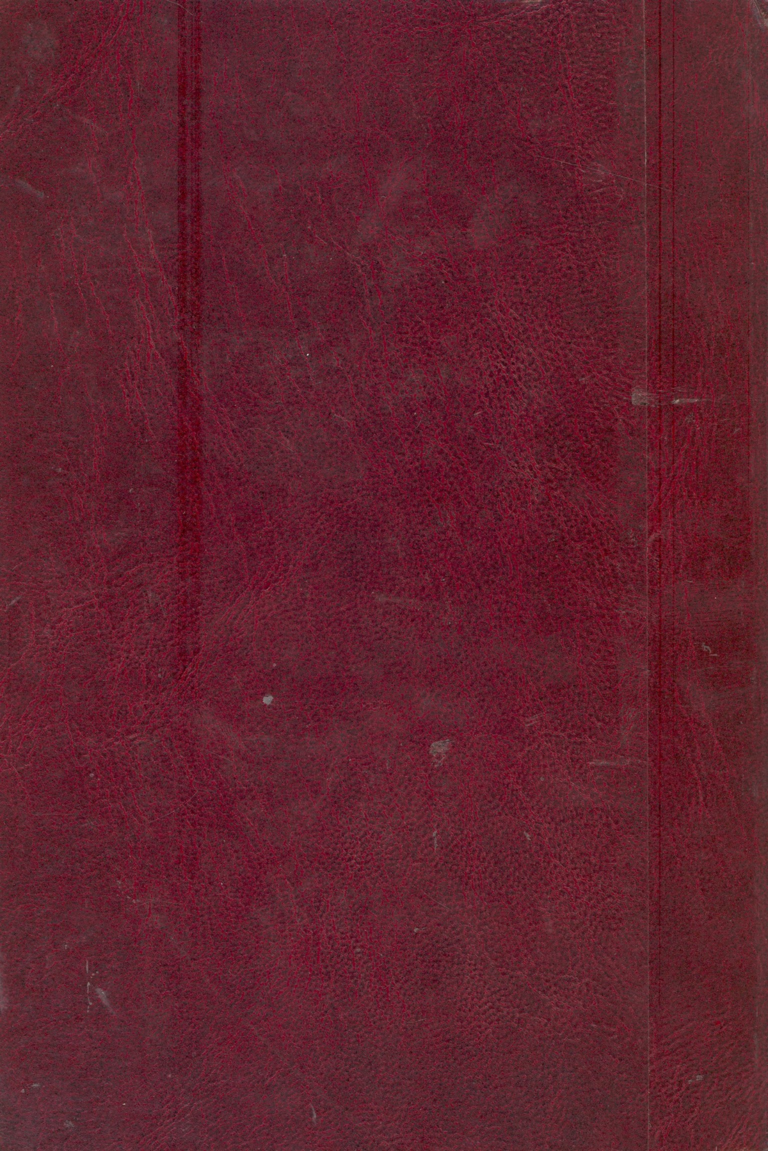


المنهل
ALMANHAL
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
جمادى الثانية ١٤٠٦هـ / فبراير
السنة ٥٢ هـ المجلد ٤٧

المركز الوطني للعلوم والتقنية

إستطلاع مصور

التوأمان

أول رواية سعودية
«هدية العدد»

أول رواية صدرت بالحجاز :

التوأمان

رواية أدبية علمية اجتماعية

بقلم

الموظف بديوان امارة المدينة المنورة

« ملحوظة هامة :
« قد فسرنا بعض الالفاظ اللغوية المغلقة »
« وحللنا بعض التراكيب الخلابة بأسفل »
« صحيفات الرواية ايضاحاً وتنويراً لأفكار »
« الناشئين والمبتدئين من القراء الكرام »
« المؤلف »

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف
١٣٤٩ ، مطبعة الترقي بدمشق ١٩٣٠ م

تعريف المفكر احمد جمال



من جامعة الى جامعات

أترانى مشتطاً فى الخيال، وأنا اخطُّ هذه السطور؟.

اننى من اولئك الذين يؤمنون بأن الخيال هو رائد الحقيقة فى أغلب الاحيان.. ان لم يكن فى جميع الاحيان.. والرائد لا يكذب أهله..

وقد كنت كتبت افتتاحية لعدد من أعداد هذه المجلة قبل نحو ربع قرن وكان عنوانها «دنيا الخيال» واستهللتها ببيت لشاعر معاصر:

سقيـا لنعماء الخيـال ولا رأت
عينـاى ربعـا من هواه محيـلا

وقلت فيها انه «ما من عمل من أعمال البشر وآمالهم واحوالهم الا وتحوط به دائرة من دوائرالخيال فانت تتخيل النجح فى أعمالك ومن ثم تقدم على العمل مدفوعا بقوة خيالية حاكمة عليك من حيث تشعر أو لا تشعر وأنت تتخيل التفوق فى أى ميدان فتظل جادا فيه حتى تتفوق».

واذا كان للتاريخ ان يسجل فانه سيسجل أن هذه المجلة كانت أول صحيفة وطنية دعت الى تأسيس «جامعة سعودية».. من قبل ان تنشأ بالبلاد وزارة للمعارف وفى وقت يرجع الى ما قبل نحو عشرين عاما. وقد تابعت المجلة دعوتها تلك لما تراه من أن الامر ضرورى محتوم حتى أذن الله بافتتاح «جامعة الملك سعود» فى الرياض.

واذا كان للتاريخ ان يسجل فانه سيسجل أيضا ان صاحب هذه المجلة كان أول من كتب مقالا يتضمن الدعوة الصريحة الملحة الى انشاء محطة «اذاعة سعودية» لكى تسمع صوتنا لبعضنا ولكى تنقل أصداء صوتنا مدوية الى غيرنا ولكى تكون اداة مرنة وحافلة من أدوات التثقيف العام والتنظيم الاجتماعى والاقتصادى المروم.

واذن فقد تبين ان الحقائق كثيرا ما تكون وليدة الخيال. وان الخيال وان يبدو جامحا فى بعض الاوقات فقد تحققه العزيمة الصادقة والتصميم المستمر البنَّاء.

عن المجلد التاسع عشر، الكتاب النصى

بطاقة تقديم

التقوا في منتصف الطريق وهم
سائرون - سائرون فرادى .. أو جماعات -
تصافحوا .. توادوا .. جرى الحبّ بينهم دفّاقا .. وهذا مرتكز
دائرة التجمع واللقاء .. ظِلّ شجرة وارفة باسقة .. أقاموا سورًا عاليًا
عاليًا حول شجرتهم - ظلالهم - ولكن دخلهم من كسر الجدار ونفخ كير التهجّر
بينهم فتطاير الشرر فتفرق الجمع وهُدِمَ السور .. لكن بحمد الله لا تظل
الشجرة باقية والظلال ممتدة .. فهل يا ترى تُحطّمّ رأس نافخ الكير
ونطفئ الشرر المتقد المتطاير وننبذ الهجر؟ شجرتنا تفتح ذراعيها
لنظلّلنا ظلالها .. ألا فلنعد فقد قاسينا الهجير واكتوينا بنار
البعد والفرقة .. ألا فلنعد أمتنا العربية والإسلامية إلى
ظلّ الوحدة والألفة والمحبّة .. ألا فلنعد
أم تسينا الطريق ..!!؟

«السماح»

المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة

خمسون عاماً في خدمة الفكر والمعرفة

أسسها سنة ١٣٥٥هـ

عبد القدوس الأنصاري

جماد الثاني ١٤٠٦هـ/فبراير ١٩٨٦م

صاحب المجلة رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

ت: ٦٤٢٧٨٣١

مدير الادارة والتحرير

زهير الأنصاري

مستشار التحرير

د. عبد الرحمن الأنصاري

مراسلونا فى الخارج

• القاهرة : د. أحمد الحفناوى
أديب وباحث

• عمان : روكس بن زائد العزيزى
محقق وباحث موسوعي

• الرباط : عبد الرحيم بن عبد السلام
أديب وباحث

• تونس : د. نور الدين صمود
أديب وباحث

المخرج الفني

فريد أبو سعدة

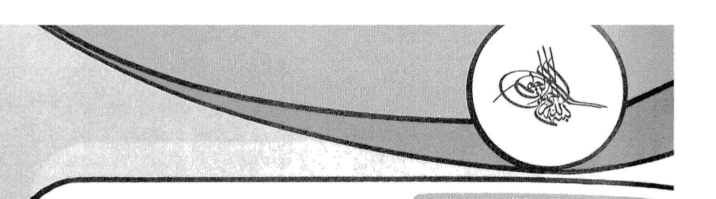
معلومات ادارية

المجلة	قيمة الإشتراك	سعر النسخة
المجلة : ٢ ش رأس تنورة. عرفات سابقًا الشرفية	السنوى في المملكة العربية السعودية	السعودية ٨ ريالات
برقيا : المنهل ص.ب ٢٩٢٥ جدة ٢١٤٦١	٢٠٠ ريالًا	المغرب ٦ دراهم
الاعلانات	وللأفراد ١٥٠ ريالًا سعوديًا	تونس ٦٠٠ مليم
تخاطب بشأنها الإدارة	أو ما يعادلها.. ودفعها الإدارة	مصر ٥٠ قرشا
تليفون ٦٤٢٢١٢٤/٦٤٤٧٧٩٤		البحرين ٨٠٠ فلس
		قطر ٨ ريالات
		السودان ١٥٠ قرشًا
		الأردن ٥٠٠ فلس
		الإمارات ٨ دراهم

المجلة السعودية الأم



دار الأصفهاني للطباعة بجدة



من كتاب هذا العدد

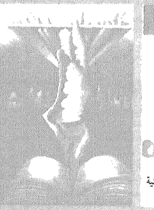


● عبد الله الرويشد ● د. جميل علوش



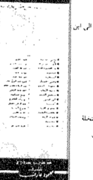
● عبد الله منصور د. عمار هلال

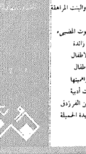
مجلاتنا الداخلية





● المركز الوطنى للعلوم والتقنية
● أشهر الجوامع فى الموصل





الصفاء الذهنى

الحياة . . الحيـاة كلٌّ مكـوّن من جزئيات متناهية الصغر . . ذرات . . شرائح . . شرائـح متجـاورة متلاصقة عاملة . . هذه الشرائح تتصاعد حرفيا لتصل بنا الى القمة . . والمجتمع الإنسانىّ (كُلّ) شريحته الفرد يتصاعد أداؤه ليصل القمة . . ومن هنا يكون التلازم والتلاحق أى (تبـادل المسميَّـات بين (الحيـاة ـ الانسان) فالأولى نمـــوذج ذهنىّ مجرد . . والثـــانى يحول المجـرد الى ملموس الى واقع . . الى (حياة).

لكن هذا التحول (**نموذج ذهنى + تجربة واختبار = نموذج ملموس**) ثم تُراصّ هذه النماذج الملموسة فوق بعضهـا فتكـوِّن الهـرمَ فقمتـه فالحياة الافضل والامثل . . كل هذا من أين ياتى . . ؟ وكيف يؤدى وظيفته . . ؟

سؤالان ان كان بينهما تداخل فهو تداخل الحياة ذاتها . . إذا ما صفا ذهنُ الانسان تكون الجديّة فى التفكير والتعمق فى الرؤية . . وتتلوه حسابات المُخْتَبَرَ الناتجة عن سابقها ثم صُنْع وبناء النتيجة.

أحـدهم نظـر الى المـاء يغلى فخـرج بـ(**قـوة الـدفـع**) والآخـر نظـر الى التفـاحة تسقط فخرج بـ(**قانون الجاذبية**) . .

هذا من أين يأتى . . ؟

امـا كيف يؤدى وظيفتـه . . فهـذا المختَرَع علمٌ . . والعلم حقيقة محايدة . . والانسان هو الذى يستخدمه . . وهـــذا الاستخـــدام يتـوقف بالطبـع على مدى صفـاء ذهنه . . وإلا فالدمار.

إذن صفاء الذهن هنا عامل مشترك . . وهذا الصفاء بكل فاعليته وأدائه ليس جبلاً ضخماً يقف وحده فى وسط الصحـراء لا تحيط به الا الرمال فى سهله . . ولكنه وليد مجمـوعـة عوامـل وتـركيبـات توفـر مجتمعـة هذا الصفاء وتـرعاه . . مجموعة تركيبات اجتماعية وسياسية واقتصادية ونفسية وعلمية . . الخ . . إذا تخلّف واحد منها يصيب هذا المولود تخلف وتعتليه الأمراض وقد تكون قاتلة . . وعلى أقل تقدير يؤثر فى ايجاد وتبلور فلسفته التكوينية التى من خلالهـا يرى الاشيـاء ويـدرك اسقـاطـاتها القائمة على مقدمات هى نتيجتها.

● الاستبـــداد السيـــاسى من اول اسبـاب الشلل الـفكـــرى . . من اول اسبـــاب فقـــدان الصفـــاء الذهنى . . إنه ليس هيِّناً ان يسير الانسان فى الطريق خائفاً يترقب مخافة أن تهوى عصا على أمّ رأسه تودى بحياته . . أو يُصْفَع على قفاه فتداس كرامته . . هل

هنى

يستطيع عالم فى مثل هذا الجو أن يبدع او يخترع . . ليس أمامه غير ان يهرب . . يهرب الى من يُقدِّرون العلم والعلماء فيبدع هناك . . وما اكثر عقولنا المهاجرة خارج اوطانها . .

ان الحاجة للاستقرار النفسى كالحاجة للقوت . . **﴿ربِّ اجعل هذا بلداً آمناً وارزق أهْلَه من الثمرات﴾** ان ضاق بالعالم رزقُه وأصبحت حياته كفافا أو أدنى منه لا نتوقع فيه صفاء ولا ننتظر منه أداء .

الحياة الاجتماعية فى عالمنا العربى والاسلامى فى الغالب الاعم لا تهيىء للذهن صفاءه ولا للعقل رواءه ولا تحفل بمثل هذه القدرات . . حتى اصابنا كسل عقلى سد الطريق دونناودون الابداع واصبح ما بيننا وبين تراثنا العقلى الضخم فجوة لا ندرى أنهتمّ بتجاوزها ام بتجاوز الفجوة الاخرى التى بيننا وبين عالم اليوم . .

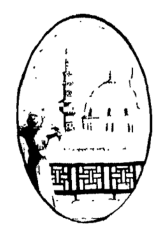
كما سد الطريق دوننا ودون طب ابن سينا وكيميا جابر وبصريات الهيثم ولوغاريتمات الخوارزمى . . واصبح مجتمعنا مشغولا بغير هذا فى حين نقَّب وبحث ودرس الأوروبيون تلك المؤلفات وافادوا منها . . أما نحن فنتلقاها من الغرب ونحكيها رواية تاريخ وليس علم حياة يدرس ويضاف اليه . . هناك يدرسون بعشق ومحبة وتظل أعينهم وقلوبهم مشدودة الى الكتاب والمُخْتَرَع وغرفة التجارب . . وهنا فى مجتمعنا العربى المسلم ـ وبكل أسف ـ تظل العقول والعيون مشتتة تائهة لا تكاد تبصر طريقاً الا ضاعت منها معالمه .

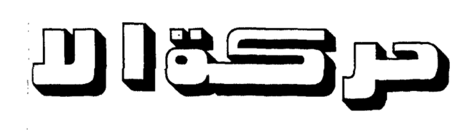
ولعل سؤالاً يطرح نفسه هنا . . أسلافنا فى عصور الازدهار اثبتوا وجودهم العلمى فى خارطة الكشوف العلمية آنذاك واحتل (وجودهم العلمى) اكبر مساحة فى تلك الخارطة فهل نستطيع نحن الآن وبكل ما توفر لدينا من امكانات وتسهيلات متاحة ان نثبت مدى وجودنا العلمى على خارطة المكتشفات والبحوث العلمية الآن . . ؟ هل ثمة وجود لنا فى هذه الخارطة؟ ام أننا أمة تستهلك ما تنتجه عقول الآخرين . . ؟

لا أظننا نغالط فى أننا نعيش عالة على العقل الأوربى من (ابرة الخيط حتى الطائرة) يا ترى اذا ما توقف الغرب عن تصدير انتاجه الينا فما ترانا فاعلين . . ؟

الحقيقة أحيانا تشخص أمام أعيننا وتهزنا هزاً . . ولكن رغم كل هذا فالعقل العربى والمسلم إن عاش فى التيه حينا وران عليه ما أنامه حينا فان فيه من (خميرة) الصحو ما تنهضه من غفوته ليؤدى ما عليه من واجب التقدم الحياتى وعلى اسلوبه . . على اسلوب الحياة الاسلامية والتقدم الاسلامى المبنى على الاخلاق . . الاخلاق فى فلسفة الاستخدام . . استخدام العلم . . يستخدمه لخيره وخير البشرية .

زهير الأنصارى





من المعلوم ان ظهور المسيحية فى افريقيا قد سبق ظهور الاسلام فى هذه القارة بعدة قرون غير ان هذا التفاوت الزمنى الكبير بين الديانتين وما شكل يوما ما عائقا بالنسبة لانتشار الاسلام فى القارة السمراء بل كان فى بعض الاحيان عاملا من عوامل القوة والصمود بالنسبة الى الاسلام وثقافته فى وجه التيارات المضادة له فى إفريقيا وذلك لسبب بسيط تمثل أساسا فى انقسام المسيحيين الى فرعين اساسيين متناحرين متنافرين فيما بينهما . . بينما ظل الاسلام متماسكا متراصا معبرا عن وحدويته فكرا وروحا وثقافة فى كل الظروف وفى كل الحالات .

ففى الوقت الذى ساد فيه الخلاف بين القساوسة المسيحيين البروتستانتيين والكاثوليكيين فى كل كبيرة وصغيرة اتفق الدعاة المسلمون فى افريقيا منهجا وعملا وفكرا بحكم وحدوية دينهم وتكوينهم الخاص والعام وعدم وجود الأضداد والمتناقضات فى مبادىء دينهم الحنيف مما يسر حركة الاسلام الحديثة فى افريقيا قاطبة وجعل كفة الميزان ترجح لصالحها بصفة محسوسة ملموسة ومن نتائج ذلك ان ساد الاسلام وثقافته اجزاء هامة من القارة السمراء واتخذت الممالك الاسلامية الافريقية القديمة منها والحديثة اللغة العربية كلغة وحيدة لتسيير شؤونها الادارية والسياسية .

ومما يدل على توطيد ركائز هذه اللغة وثقافتها فى غرب افريقيا ان رؤساء الممالك الاسلامية الافريقية الحديثة قد عملوا كل ما كان فى وسعهم لنشر اللغة العربية بين الجماهير الشعبية وفى كثير من الاحيان تولوا هم انفسهم تعليم القرآن الكريم وثقافته لابناء القارة السمراء وذلك شأن عثمان دان فودى والشيخو احمدو وساموری توری الذی كان یرفض التخاطب والتعاون مع اى كان بغير اللغة العربية وفرض على ألد أعدائه الكومندان ديسبورد الفرنسى اتخاذ هذه اللغة كلغة مفاوضة بينهما فاضطر الكومندان الفرنسى الى ايجاد مترجمين وكتاب لربط الاتصالات بينه وبين الزعيم الغينى ساموری توری وما فعله هذا الأخير فعله ايضا كل من عثمان دان فودى والحاج عمر الذى فرض على خصمه العنيد الجنرال الفرنسى لويس فيديرب ان تكون جميع الاتصالات بينهما مكتوبة كانت أم شفاهية باللغة العربية فقط .



سلام الحديثة
في غرب افريقيا

ولئن كانت اللغة العربية وثقافتها قد ترسخت اقدامها منذ قرون عديدة في غرب افريقيا فلسوء الحظ اجتاحهما تيار استعماري مخرب وقف لهما بالمرصاد وحال دون تطورهما وانتشارهما في هذا الجزء من القارة الافريقية بل عمد الاحتلال الفرنسي الى طردنا نحن العرب ثقافيا وروحيا من القارة السمراء لاحلال ثقافته وديانته محل ثقافتنا وديننا ولقد بدأ هذا «الطرد» منذ اوائل النصف الثاني من القرن الاخير، بتعيين فيديرب كحاكم عام لمناطق غرب افريقيا التي دخلت تحت النفوذ الفرنسي وهو مستمر الى يومنا هذا يزداد شدة وحدة تماشيا مع تطور اهداف الاستعمار الجديد للقارة السمراء وفي السطور الآتية سنحاول القاء الضوء على تماسك الاسلام والمسلمين في غرب افريقيا بالرجوع الى مبادىء الدين الصحيحة والى السيرة النبوية الشريفة عساه يكون عبرة لمن اراد ان يعتبر وعظة لمن اراد ان يتعظ.



(١) في بلاد الهوسة

يقول الكاتب الفرنسي فانسا مونتاي بخصوص شعب الهوسة ولغته بالحرف الواحد: «إذا كان في وقتنا الراهن قرابة عشرة ملايين يتكلمون اللغة الهوسية فإن الهوسة انفسهم قد لا يتجاوز عددهم ثمانية ملايين يرتكزون في مناطق نيجيريا الشمالية إضافة الى ذلك هناك اكثر من مليون نسمة من الهوسة يعيشون في النيجر»(١).

والحق انه من الصعب على اي كان ان يحدد بدقة عدد شعب الهوسة ذلك لان هؤلاء اضافة الى المناطق التي ذكرها السيد فانسا مونتاي كمناطق لانتشارهم في إفريقيا فهم كذلك ينتشرون على نطاق واسع في مناطق تانزانيا وكينيا وفي الجنوب الصومالي واوغندة وفي بعض مناطق بروانـدا

وبروندى وكذلك فى شرق الزايير وشمال الموزنبيق الى غير ذلك من المناطق الأخرى لأفريقيا.

وإذا علمنا ان عدد الناطقين باللغة السواحلية التى هى اللغة الاصلية للهوسة - وذلك الى جانب اللغة العربية التى ينطق بها ويكتبها حوالى ٣٥٪ من الهوسة(٢) - يقدر بأكثر من اربعين مليون افريقى وان لغتهم تدرس فى بعض جامعات ومعاهد اللغة فى افريقيا واوربا وامريكا وآسيا يتضح لنا مدى تأثير شعب الهوسة على مستويات عديدة فى القارة السمراء كما ان ذلك يوضح انتشارهم الواسع فى هذه القارة.

اما عن لغتهم فيقول الباحث ويسترمان (D.WESTERMANN) انها فرع من فروع اللغة الحامية.. بينما يردها دارس آخر للغات وهو جان ليكا (J.LUKA) الى اللهجة التشادية الحامية(٣) ويجمع الباحثون فى الميدان اللغوى على ان لغة الهوسة هذه وهى المعروفة بالسواحلى لها علاقة وطيدة باللهجات البربرية المغربية كما ان هناك نوعاً من التشابه الموجود بينها وبين اللهجات الصحراوية المجاورة للمنطقة (وسط افريقيا) مما يثبت ان العلاقات بين شمال القارة وارجائها الاخرى ترجع الى فترات غابرة فى التاريخ وان اتصال سكانها ببعضهم البعض موغل فى القدم.

وحسب الروايات الموروثة عند شعب الهوسة فإن - الهوسة - يكون قدم الى افريقيا من المشرق العربى فى فترات تاريخية يصعب تحديدها ولكن الباحثين الاوربيين يؤكدون على القرنين التاسع والعاشر الميلاديين كتاريخ لبداية قدومهم الى شمال نيجيريا وبعد ذلك بقرن واحد او قرنين انصهر الهوسة فى بوتقة المجتمع الافريقى ولكنهم حافظوا على مميزاتهم الشخصية وبعض مقوماتها كاللغة والعادات والتقاليد وغيرها.

وان كان اصل الهوسة الحقيقى لا يزال الى يومنا هذا موضوع نقاش ومد وجذر بين الباحثين والمؤرخين فإننا نلاحظ منذ بداية القرن الخامس الهجرى بداية تأسيس اماراتهم الاولى فى مناطق نهر النيجر الاعلى وفى بعض مناطق افريقيا الوسطى علما ان الفاتح العربى عقبة بن نافع كان فى سنة ٦٦٦م قد شن حملة على فزان وكعوار حيث نشر الاسلام.

تأثير الاسلام فى بلاد الهوسة

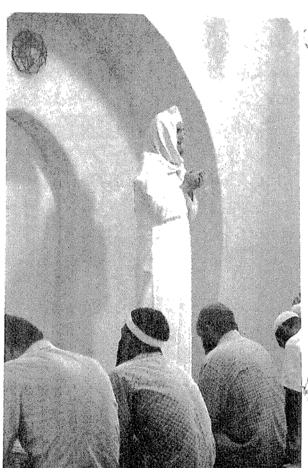
وفى القرن الثامن الهجرى بدأت امارات الهوسة الاولى تعتنق الاسلام دينا وهو ما يلاحظه كل من **القلقشندى(٤) وابن خلدون(٥)** عن دولتى كانو وكتسينا. وقد آزرت امارات الهوسة منذ هذا التاريخ الاسلام وحضارته وعملت على نشره بين الاوساط الافريقية على مختلف مستوياتها.. وفى القرن الحادى عشر الهجرى امتثالا بالحركة المرابطية التى ظهرت فى القرن الخامس الهجرى حملت امارات الهوسة على عاتقها مهمة نشر الاسلام فى افريقيا والدعوة اليه بالطرق السلمية وهو الشيء الذى ساعدها كثيرا على التوسع فى مناطق عديدة من غرب ووسط القارة السمراء وكانت للحركة الاصلاحية الاسلامية التى ظهرت فى المنطقة فى بداية القرن الثامن عشر الميلادى الثانى عشر الهجرى آثار طيبة فى ميدان نشر الدعوة الاسلامية وتخليص الدين الاسلامى من الشوائب التى ألصقت به.

وقد تبنى هذه الدعوة كثير من العلماء الافارقة الذين تعلموا بالشرق العربى وكان عمادها انتشار الثقافة العربية الاسلامية فى افريقيا واقبال الناس بحماس وشغف كبيرين عليها ونهلوا من ينابيعها العلم والمعرفة والاستقامة فى الاخلاق والدين.



ولعل انتشار الاسلام على نطاق واسع فى القارة الافريقية هو الذى جعل القبائل الافريقية القاطنة فى شمال نيجيريا وبعض مناطق النيجر تتوحد فى سبع امارات هامة عرفت فى التاريخ «بالامارات السبع الهوسية» وهى كانوا ورانوا وكتسينا وزازو أوزاريا وجوبير ودورا وبيرام وذلك فى بداية النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى.

وحسب السيد بالمير (PALMER) الذى درس مطولا تاريخ شعب الهوسة استنادا الى وثائق محلية قديمة ففى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى وبالضبط سنة ١٣٥٠م قدم الى كانو أربعون من الدعاة المسلمين من مالى واسلم على يدهم ملكها الذى اسس مسجدا للصلاة ثم طرد رؤساء القبائل الذين لم يستجيبوا للدعاة المسلمين قائلا لهم : «ابحثوا عن أقطار يسكنها المكفوفون لتحكموها».



وفى بداية القرن التالى ادخل السلطان محمد ريمغا اصلاحات جذرية نابعة من الاسلام وعقيدته على الحياة الاجتماعية الهوسية منها احتجاب المرأة والاحتفال بالعيدين والزواج على كتاب الله وسُنة رسوله واخضاع العصبية الزوجية فى التآلف والاختصام الى قوانين الاسلام.

وقد كان للدعاة المسلمين وبعض المثقفين والعلماء السودانيين من مالى والنيجر دور فى نشر الاسلام والثقافة العربية فى امارات الهوسة.

وقد زار المؤرخ السودانى الشهير أحمد بابا التمبكيتى فى بداية القرن السابع عشر الميلادى امارة كانوا الهوسية ومكث بها مدة معلما ومرشدا للدين - كما كان جده - قبل ذلك قد قام بزيارة مماثلة الى كانو وهو راجع من الحج.

وفى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى تضاعف توافد المثقفين الماليين على كانو وحذا حذوهم دعاة الدين الاسلامى الذين توافدوا تباعا على كانو التى اصبحت مركزا ثقافيا إسلاميا هاما فى غرب إفريقيا فى هذه الفترة الزمنية.

وقد لعب العالم الجزائرى محمد بن عبد الكريم المغيلى دورا هاما فى نشر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية فى امارات الهوسة شمال نيجيريا.. ومن مآثر هذا العالم الجزائرى انه ترك عدة مؤلفات فى الفقه وشتى ميادين المعرفة فى هذه المناطق لا يزال حتى الآن معظمها محفوظا فى بعض الزوايا والمكتبات الخاصة والعامة بالاضافة الى ان المغيلى كون كثيرا من الطلاب.. وبعد مغادرته للمنطقة ترك الكثير منهم يدعون الى الدين الاسلامى ويعلمون االلغة العربية فى المنطقة(٧) والى أيامنا هذه هناك جماعة من الهوسة فى نيجيريا يدعون أنهم احفاد المغيلى.

ومما ساعد على انتشار الاسلام والثقافة العربية فى امارات الهوسة أنها وجدت نفسها محاطة بعدد من الممالك الاسلامية مثل سنغاى والكانم بورنو ومالى وبعدد من المراكز الثقافية الاسلامية الهامة مثل تمبكتو وجني وغاوو التى توافد منها المثقفون والدعاة الى الدين على هذه الامارات كما سبقت الاشارة الى ذلك.

وبعد سقوط غاوو تحت ضربات المغاربة فى سنة ١٥٩١م اتحدت بعض امارات الهوسة القريبة منها لمواجهة التحدى المغربى وفى منتصف القرن السابع عشر الميلادى تحول هذا الاتحاد الى قوة حقيقية واجهت الوثنية فى المنطقة مواجهة عسكرية الى ان ردتها عن اعقابها واخضعتها الى سنة الاسلام.

الحركة الاصلاحية الاسلامية

ترجع جذور الحركة الاصلاحية الاسلامية فى غرب إفريقيا الى القرن السابع عشر الميلادى حيث ظهرت بعض المبادرات فى هذا المجال تزعمها بعض السلاطين والامراء وبعض الفقهاء المتحمسين للدين الاسلامى وبخاصة منهم الذين تعلموا فى مصر والحجاز.

وشأنهم شأن العلماء المسلمين المصلحين المحدثين.. تأثر العلماء الافارقة الذين مالوا الى الاصلاح بالمصلحين المسلمين الاوائل كالشيخ ابن تيمية(٨) ابو حركة الاصلاح التى يرجع تاريخها الى القرن التاسع الهجرى الموافق للقرن الخامس عشر الميلادى.

وقد تفطن منذ ثلاثة قرون خلت الزعماء الافارقة السياسيون منهم والدينيون على حد سواء الى اهمية العنصر الدينى كدواء ناجع للعلل والامراض التى تنخر ببطء شديد اسس المجتمعات الاسلامية.. وادركوا ان الدين هو أساس الاصلاح فى كل الميادين وهو السبيل الوحيد الذى تتوحد بواسطته الهمم لانقاذ الامة ودفعها من جديد نحو طريق التقدم والتحضر(٩).

وقد استهدفت الحركة الاصلاحية الاسلامية فى افريقيا تدارك أخطاء الماضى للتغلب على أخطاء المستقبل وما ينتج عنها والبحث عن اسباب ومسببات فساد المجتمعات الافريقية ويأتى على رأسها التفريط فى الدين والتلاعب به واستخدامه فى غير محله.

وكل ذلك لن يتأتى الا بإبعاد الشوائب التى علقت بالدين الاسلامى والخرافات التى لحقت به فى عصور التدهور(١٠).

وإذا كانت الحركة الاصلاحية الاسلامية فى غرب افريقيا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر قد اتخذت كوسيلة الحجة والاقناع والطرق السلمية لبلوغ اهدافها ففى القرن التاسع عشر اتخذت منعرجا خطيرا تمثل فى اعلاء الحق وابطال الباطل عن طريق اعلان الجهاد ضد المارقين فى الدين والوثنية المحلية(١١) التى كانت معتصمة وراء الحشائش العالية والغابات الكثيفة وقد اسهم فى هذه الحركة رجال كبار لم يغتروا فى شىء ولم يثنهم عن مقاصدهم لا لهو الدنيا ولا رغد العيش ولا التفاخر والتباهى بما هو زائل فان.. وصدوا عن الحياة لا يبتغون منها سوى نصرة الله ودينه ومن هؤلاء الرجال «عثمان دان فودى».

اسمه الكامل هو: «عثمان دان فودى ديم» وفى اللغة السواحلية او الهوسية يعنى اسمه: عثمان «دا» بمعنى ابن «فوديو» الذى يعنى «الفا» التى تعنى بدورها: المتعلم باللغة العربية او المثقف بهذه اللغة أما «ديم» فهو اسم يطلق على جماعة من التكرور.

وقد عثر الباحث الانجليزى هيسكت (HISKETT) (١٢) فى سنة ١٩٥٧م على وثيقة

مخطوطة كتبت حسب هذا الأخير بيد شقيق الشيخ عثمان دان فودى عبد الله الذى يقول فيها إن عائلة ديم قد قدمت الى شمال نيجيريا من فوتا تورو السنغالية(*) وذلك فى القرن السادس عشر الميلادى ومنذ عهدها الاول وجدت هذه العائلة ضالتها فى التصوف فاتخذته كمنهاج لحياتها التى لم تعدل عنه قط.

ولعل ذلك ما فتح أمام افراد هذه العائلة ابواب التعلم وطلب المعرفة وجعل العلم ينتقل من الاب الى الابن وابو عثمان كان من كبار المثقفين فى وقته . . فإذن لا غرابة ان يكون ابنه مثقفا ثقافة عالية شأنه شأن أبيه ولا نقصد بالتعلم هنا سوى تعلم اللغة العربية وثقافتها بحيث إنه فى هذا التاريخ ـ القرن الثامن عشر والنصف الاول من القرن التاسع عشر ـ لم يوجد فى افريقيا تعليم آخر سوى تعليم اللغة العربية التى سادت القارة فى الفترة الزمنية التى سبقت احتلالها من قبل الأوربيين.

وقد اهتم كثير من الاوربيين بالنشاط الثقافى لعائلة ديم هذا وباسهامها فى نشر الثقافة العربية فى غرب افريقيا.

ففى الستينات من هذا القرن كشف الباحث الانجليزى سميث (H.F.C.SMITH) مثلا عن ما يقرب من تسعين مخطوطا بالعربية من تأليف الشيخ عثمان دان فوديو وعن قرابة خمسة وسبعين مخطوطا آخر بنفس اللغة لأخيه عبد الله وما يزيد عن مئة مخطوط لابنه محمد بللو(BELLO) (١٤).

ولأهمية حياة عثمان دان فوديو واسهامه فى حركة الاصلاح الاسلامية فى غرب افريقيا دعنا نلق نظرة خاطفة عن هذا الميدان الخصب المليىء بالمواقف البطولية الغيورة على الاسلام وثقافته ومن جهة اخرى فهى وجه من اوجه مواجهة الاسلام للتحديات الاستعمارية فى غرب افريقيا.

> التشابه القائم بين اللغات السواحلية واللهجات الصحراوية فى شمال أفريقيا يشير الى علاقة اخاء القارة ببعضها منذ القدم.

حياة عثمان

ولد عثمان دان فوديو حوالى سنة ١٧٥٤م وتتلمذ على العلامة الافريقى الشهير جبريل غدامس والظاهر أنه لم يتعلم فى طفولته انما التحق بالمدرسة لتعلم مبادىء اللغة العربية الاولى وهو شاب مراهق وانكب على طلب العلم بشغف كبير دون انقطاع وهو كاهل الى ان تضلع فى العلوم الاسلامية التى كانت متداولة فى عصره ونال منها قسطا وافرا كمًّا وكيفا.

ويقال عنه انه كان قادريا فى هذه المرحلة من حياته ولكن هو نفسه لم يقل شيئا عن ذلك فى مختلف مخطوطاته ويبدو أنه فى هذه المرحلة من عمره لم يتحمس يوما ما الى هذه الطريقة الصوفية أو تلك.

ورغم انه لم يتعلم فى سن مبكرة الا انه كان متحمسا كثيرا لدينه يراعى قواعده بكل دقة وقد اشتهر فى مرحلة اخرى من حياته كرجل مصلح وداعية اسلامية ومحارب شديد البأس.

وقد ادى عثمان فريضة الحج وهو فى عنفوان شبابه وفى وقت كانت فيه الحركة الوهابية فى الحجاز على أشدها وهو الشيىء الذى جعله يتأثر بمبادىء هذه الحركة فانكر عثمان تبعا للوهابية الصلاة على روح الميت وتقديس الاولياء وزيارة الاضرحة وحارب شرب الخمر وفساد الخلق.

واستطاع عثمان بشخصيته القوية وبعلمه وعرفانه وبما عرف عنه من تقوى وورع ان يجمع كلمة قبائل الفلان وان يوحد صفوفهم المتناثرة من حوله وان يجعل منهم قوة يخشى جانبها.

وكان الشيخ عثمان فى مجتمعه محل احترام الخاص والعام بل حتى الملوك الوثنيين كانوا يبجلونه ويحترمونه فى البلاد وفى سنة ١٨٠٢م حدث بينه وبين ملك جوبير شقاق حاد علما بان مملكة جوبير هاته كانت قد ارتدت عن الاسلام وانقلبت الى عبادة الاصنام والحيوانات كما كانت عليه فى سابقها فى عهودها الوثنية قبل ان تعتنق الاسلام حوالى القرن الرابع عشر الميلادى هى ومجموعة امارات الهوسة التى سبق الكلام عنها(١٥).

ومن جهة اخرى كانت امارة جوبير هذه أقوى امارات الهوسة عسكريا وتطمع الى توسيع نفوذها فى المنطقة ولكن ظهور الفلان (Fevls) وتوغلهم فى بعض مناطقها حال دون ذلك خاصة بعد ظهور عثمان فى بداية القرن الماضى كشخصية مؤثرة فى حياة الفلان من كل جوانبها الدينية والدنيوية منها.

وحدث ان ملك جوبير هذا اضطهد مرة احد اتباع عثمان فتدخل هذا الاخير للدفاع عنه فاعتبر ملك جوبير ذلك اهانة كبرى لشخصه ولملكه وبعث يطلب عثمان فلم يستجب إلى طلبه فبعث جنده لاحضاره بالقوة فاشتبكوا مع انصار عثمان.

وتفاديا لصراع قد ينجم بينه وبين هذا الملك غادر عثمان بلاد جوبير للاستعداد الى اعلان الجهاد ضد الوثنية المحلية.

ومما يبين تأثير عثمان على أتباعه وانصاره ان هؤلاء قد وصفوا «هجرته» هذه بهجرة الرسول ﴿ﷺ﴾.

ولما اعلن عثمان الجهاد ضد الوثنية فى بداية سنة ١٨٠٤م سارع إليه أتباعه من الفلان والهوسة ومن كل صوب وحدب من غرب افريقيا يباركون حركته هاته وينضمون الى صفوف جنده ويبايعونه «**بأمة المسلمين**» فى البلاد وتلقب بـ «**ساركين سلمانى**» **أى** «**أمير المؤمنين**» واستقر فى سكوتو وأخذ ينظم ويخطط لحركته.

ولكن الجهاد الذى اعلنه على الوثنية ما لبث ان اخذ طابعا آخر مغايرا للذى انطلق منه بحيث لم تقتصر حركته على مملكة جوبير الوثنية عدوته اللدودة ولا على الوثنية بصفة عامة فى غرب افريقيا بل امتدت لتشمل اقطارا وامصارا اخرى من غرب افريقيا اعتبرها عثمان على الرغم من اسلامها مارقة فى الدين مرتدة عن مبادىء الاسلام الصحيحة ومن ثم حسب رأيه - وجب قتالها -.

وقد بلغت ثورة الفلان هذه اوج قوتها بين سنتى ١٨٠٦ - ١٨١٥م وكان من نتائجها الهامة ان اقام الفلان مملكتهم فى السنة الأخيرة طبقا لقواعد الاسلام وتشريعاته وقوانينه وانتشرت حركة الفلان فى هذه الفترة نحو شرق افريقيا الى ان بلغت منطقة أداماوا (فى غربى الكاميرون الحالى) اما صوب الجنوب الغربى للقارة فلم يوقف زحف الفلان هذا

سوى الغابات الكثيفة بحيث طرق هؤلاء أبواب مدينة أسوغبو (Ashogbo) التى فتحت امامهم على مصراعيها بكل سهولة .

ولما تم لعثمان النصر التام ترك امور المملكة لشقيقه وابنه بللو. وقسم البلاد بينهما وانصرف هو الى نشر الاسلام والدعوة اليه بالطرق السلمية يفقه الناس فى الدين ويعلمهم اللغة العربية ومبادىء العلوم الاسلامية الى ان توفى سنة ١٨١٨م فى مدينة سوكوتو قاعدة مملكة الفلان الاسلامية .

وبعد وفاة عثمان شاهدت مملكة الفلان حروبا واضطرابات خطيرة كادت أن تهز أركانها وتمردت كثير من القبائل الافريقية على السلطة المركزية فحاربها بللو مدة طويلة ولم يستطع التغلب عليها واخضاعها لسلطانه إلا قبيل وفاته التى كانت فى سنة ١٨٤٨م . بالتقريب وبعد هذا الانتصار الذى حققه ملك الفلان على القبائل المعادية له استتب له الامر وقدمت له كل مقاطعات المملكة فروض الطاعة والولاء ومن جديد اصبحت مملكة الفلان هذه تتكون من الامارات السبع التى تكونت منها مملكة الهوسة سابقا .

وبعد وفاة بللو خلفه ابنه ابو بكر عتيق الذى بقيت سلالته تتوارث العرش حتى وقت قريب منا متخذة لقب «أمير المؤمنين» .

ولكن سلالة ابى بكر هذا ما لبثت ان اخذت فى الضعف خاصة بعد إن انتشر الفساد فى هياكل الدولة اخلاقيا وسياسيا واقتصاديا .

وخلال فترة الضعف والتدهور هاته انغمس امراء الفلان فى الترف وملاذ الحياة وأهملوا تعاليم زعيمهم عثمان التى تؤكد على الاعتدال فى الحياة ان لم نقل التزهد والتقشف فيها وسيطر عليهم الطمع والجشع فى اكتساب كل ما تمليه عليهم شهواتهم ، وتنافسوا فيما بينهم فى تقليد الزعماء الوثنيين المحليين المجاورين لهم . ومن نتائج ذلك ان خرج عن سلطانهم كثير من الانصار ولكن التدهور الفعلى للمملكة قد بدأ بتوغل الانجليز فى النصف الثانى من القرن الماضى فى غرب افريقيا لتضمحل تماما بعد فرض السيطرة الانجليزية على نيجيريا وبذلك تكون مملكة الفلان قد عمرت قرابة قرن من الزمن .

وقد اعطى الكتاب الاوربيون تفسيرات عديدة لقيام مملكة الفلان الاسلامية هاته فى غرب افريقيا فى القرن التاسع عشر فمنهم من فسر قيامها تفسيرا سياسيا «قوميا» وادعى ان الفلان فى هذه الفترة قد بلغوا درجة عالية من «النضج القومى المتطرف» الشيىء الذى حدا بهم الى ابتلاع الامارات الافريقية التى كانت مجاورة لمملكتهم ومنهم من يرجع قيام وازدهار هذه المملكة الى طموح «المرابط» عثمان الذى سعى اولا وقبل كل شيء الى الاستحواذ على الحكم والشهرة والمجد . . وهو ما يتنافى إطلاقا مع الواقع التاريخى وقد رأينا ان عثمان بعد تأسيسه لهذه المملكة تخلى عن الحكم لصالح شقيقه وابنه وانصرف الى تعليم الناس وتثقيفهم فى دينهم .

ومهما يكن فهناك على الاقل ثلاثة اسباب هامة لثورة الشيخ عثمان هذه التى اعلنها على الوثنية المحلية . . أولها : ان عثمان تبنى فكرة الاصلاح فى وقت سادت فيه الفوضى الاخلاقية والدينية البلاد ومن يتتبع افكار عثمان الاصلاحية يجدها لا تختلف فى شيء عن الاهداف التى توختها حركة الاصلاح فى العالم الاسلامى اجمع فى القرن التاسع عشر وقبله بكثير .

ولعل رأيه فى تعليم المرأة يعطينا صورة وجيزة عن شخصيته الاصلاحية بحيث يقول فى هذا الصدد فى مؤلفه «نور الالباب»(١٦) مخاطبا نساء عصره ما يلى :

«أيتها النساء المسلمات لا تستمعن للذين يقولون لكنّ: «طعن طعن طاعة عمياء دون ان يقولوا لكنّ شيئا عن الطاعة الواجبة عليكنّ لله ورسوله. . الكثير منا متعلم بل البعض مثقف ثقافة عالية ولكنه يترك نساءه وبناته وجواريه بدون تعليم ولا يعلمهن ما فرض الله عليهن من واجبات ومالهن من حقوق وهنّ على هذه الحال فما الفرق بينهن وبين الحيوان. . إنها والله لجريمة كبرى»(١٧).

وفى إحدى مخطوطات ابنه بللو(١٨) يقول هذا الأخير ان عثمان شن حملة كبرى واستاء استياء كبيرا من أمير جوبيك الذى منع الناس من لباس الشاش على الرجال والحجاب على النساء كما أنه حمّله مسؤولية الوقوف ضد انتشار الاسلام فى المملكة وتزوجه بنساء عديدات بطريقة غير شرعية ومن جهة أخرى يتهم أهل جوبير بأكل المحرمات والضرب على الطبول والاسراف فى ذلك.

اما عن السبب الثانى فهناك ما يوحى للمتتبع لحركة عثمان أنه قد قاد حركة شعبية قاست الكثير من ظلم الحكام المحليين وعسفهم وفى كتاباته نجده يتهم الامراء الوثنيين بأنهم كانوا يعاملون العبيد والخدم معاملة سيئة للغاية ولم يكونوا منصفين فى حكمهم بين الناس ولو تعلق الأمر بأبسط الاشياء وأخيرا كان هؤلاء حسب قول عثمان يفرضون الضرائب الثقيلة على الشعب دون مراعاة للشريعة الاسلامية ولأبسط مبادئها.

اما ثالث هذه الاسباب لحركة الاصلاح التى قادها عثمان فيكمن فى الدور الذى لعبته النخبة الفلانية المثقفة بالثقافة العربية الاسلامية التى عملت على تقوية الوعى ونشره بين الناس ونشر التعاليم والمفاهيم الحقيقية للشريعة الاسلامية ومبادىء الدين الحقيقية وهو الشيء الذى حدا بعثمان ان يترجم معانى القرآن الكريم الى اللغة العامية التى هى اكثر استعمالا بين الفلانيين وكان يقرأ القرآن فى لغته ثم يفسره للعامة باللهجة الدارجة ولكن عبد الله شقيق عثمان طلب منه ان يعدل عن هذه الطريقة التى قد تجعل الفلانيين ينصرفون عن تعلم العربية وقواعدها فاستجاب عثمان الى طلب أخيه وكف عن تفسير القرآن بغير العربية الفصحى.

جهود محمد بن عبد الكريم المغيلي فى نشر الاسلام والدعوة الى الاصلاح ببلاد الهوسة:

لعب محمد بن عبد الكريم المغيلى دورا هاما فى نشر الاسلام واللغة العربية فى غرب إفريقيا قاطبة وفى غاوو وبلاد الكبي المجاورة لها وبلاد الهوسة والتكرور خاصة وهى المناطق التى أقام فيها مدة زمنية مدرسا وداعية الى الاسلام.



اما بخصوص نشاطة الاصلاحي السلفي فيعتبر أول نشاط من نوعه عرفته افريقيا جنوب الصحراء بحيث لا نعرف عالما آخر سبقه الى الدعوة الى اصلاح احوال المسلمين بهذا الجزء من القارة الافريقية.

ولأهمية الدور الذى لعبه محمد بن عبد الكريم المغيلى فى نشر الاسلام واللغة العربية خاصة والحركة الاصلاحية الاسلامية السلفية عامة فى المناطق المذكورة سابقا دعنا نلق نظرة خاطفة عن حياته المليئة بالنشاطات المختلفة السياسية منها والعلمية والفكرية والدينية.

وقبل ذلك نود ان نلاحظ بصفة خاصة ان المغيلى شأنه شأن عثمان دان فودى كان عالما مصلحا سلفيا.

حياة المغيلى

ولد محمد بن عبد الكريم المغيلى فى تلمسان بالجزائر بمنطقة مغيلة سنة ٧٩٠هـ حسب الشجرة الكبرى الجامعة لأنساب سكان توات.. وقد نشأ المغيلى بمسقط رأسه تلمسان فى بيت عريق عرف بالحسب والجاه وفيها بدأ دراسته الأولى فحفظ القرآن على يد أحمد بن عيسى المغيلى المعروف بالجلاب وأخذ عنه بعض أمهات الكتب الفقهية كالرسالة ومختصر خليل وابن الحجاب وبعض كتب ابن يونس كما تتلمذ على يحيى بن بدير وتربّى على يد ابى العباس الوغليسى والشيخ عبد الرحمن الثعالبى الجزائرى.. ومن تلمسان رحل المغيلى الى بجاية وادرك بها مشايخ كثيرين أجلاء فى العلم والمعرفة اخذ عنهم جملة وافرة من علوم التفسير والحديث وكان لهذه الرحلات والاطلاع الواسع أثر بارز فى تكوينه الثقافى والعلمى فاستفاد من اتصاله بهذه الرقعة الجغرافية الممتدة من البحر الابيض المتوسط شمالا حتى احراش افريقيا الغربية السوداء جنوبا.

اتخذ محمد بن عبد الكريم المغيلى من العلم وسيلة لتبليغ الدعوة الاسلامية ونشرها بين الناس فى غرب افريقيا كما كان العلم سلاحه الوحيد الذى مكنه من أعداء الحق ومن الحكام الفاسدين ومن شايعهم كما ساعده علمه الغزير على اكتساب ثقة الناس الذين شيئا فشيئا سواء فى توات أو فى غرب افريقيا السوداء تحولوا إلى أنصار له وأتباع مخلصين له كما كان لدعوته من حجة ساطعة وبرهان قاطع.. ومن أهم الاسباب التى جعلته يغادر تلمسان نهائيا ما رآه من جور الحكام وعسفهم وسكوت العلماء على مظالمهم فما كان منه الا ان غادرها متوجها نحو الصحراء - الجنوب الجزائرى - وبالتحديد نحو منطقة توات المعروفة اليوم بولاية «أدرار» واستقر بين أولاد سعيد فى ضواحى تميمون وبها تزوج وأنجب اولادا ومن هناك كان ينتقل من حين الى آخر الى باقى قصور توات وواحاتها التى أبدى بها اعجابه بقوله: دخلنا توات فوجدناها ديار علم ومقر أكابر وأعلام فانتفعنا بها وانتفعوا بنا.

وقد عكر صفو اعجابه هذا بتوات اليهود الذين رأى منهم تجاوزا للحدود الشرعية فاستعلوا على الاسلام.. على الاحكام فقرر المغيلى محاربتهم وقد ناصره فى ذلك عدة علماء من توات وتلمسان ومصر والمغرب الاقصى فمنهم من وقف معه ومنهم من وقف ضده وبعد مراسلات مختلفة مع فقهاء وعلماء عصره أعلن المغيلى الحرب ضد اليهود معتمدا على قناعة وتأييد بعض العلماء له امثال الشيخ الحافظ التونسى والفقيه السنوسى ولم يحارب المغيلى اليهود كيهود إنما حارب نفوذهم وطغيانهم وجبروتهم فى توات.

ومن توات واصل سيره فى اتجاه ارض افريقيا الغربية حيث واصل نشاطه فى نشر الدين الاسلامى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فأسلم على يده خلق كثير فى تومبوكتو وبلاد الكبي المجاورة لها وقد شملت رحلته الطويلة بغرب افريقيا أرض ثقدة بأواخر تمسنا من ارض النيجر واقدز التى شيد بها مسجد الكرامة وعلى يده اسلم أمير البلدتين وبدخوله الاسلام انضم خلق كثير للاسلام..

وتابع المغيلي دعوته حتى دخل كانوا إبان فترة حكم الملك محمد دومفا الذى قرب المغيلي إليه وأصبح هذا الأخير بمثابة المستشار الشرعي له وهو الشيء الذى سمح له بالقيام بإصلاحات دينية وإدارية وسياسية فى إمارة كانو الاسلامية فقد أنشأ خزينة للمالية وأوجد لها مصادر تمويلها المباشرة وغير المباشرة ومحاكم عدلية تستند للقرآن والسنة فى اصدار أحكامها ومجالس استشارية على مستوى الحكومة وقد انتشرت هذه الهيئات عبر مقاطعات كثيرة من ممالك الهوسة لا تزال آثارها باقية إلى يومنا هذا فى شمال نيجيريا الحالى وقد اجتمع الى المغيلي فى كانو أناس كثيرون قصدوه من كشنا (كتسينا) وأقدز ومرادى وزندر وغيرها من أقطار غرب إفريقيا.

ومن امارة كانو فى شمال نيجيريا انتقل المغيلي الى بلاد التكرور فى فوتا السنغالية الحالية واقام بها مدة زمنية معلما ومرشدا ومن هناك رحل الى مدينة فاوا أى غاوو حيث لقى كل الترحيب من قبل حاكمها الاسقيا الحاج محمد الكبير فالف له رسالة ذات فصول وفوائد جمة قرر له فيها الاحكام والمناهج التى يجب على الحاكم المسلم اتباعها والسير عليها وقد حُققت هذه الرسالة ونشرت فى الجزائر عام ١٩٧٣م تحت عنوان **«أسئلة الاسقيا محمد الكبير وأجوبة المغيلي»**.

وخلال اقامته بمدينة فاوا بلغه نبأ وفاة ولده عبد الجبار الذى اغتاله اليهود غدرا وعدوانا.

عزم الحج إلى بيت الله الحرام فغادر فاوا الى مكة المكرمة وفى طريقه إليها التقى بالعلامة المصرى جلال الدين السيوطى الذى سبقت له معه مساجلات حول دراسة علم المنطق اليونانى وقد كان ذلك كما هو معروف موضوع كلام عدة روايات منها ما نشر ومنها ما لم ينشر حتى الآن وبعد أداء فريضة الحج عاد إلى توات واقام بها ليواصل جهاده ونشر العلم وبناء ما هدمه اليهود فى غيابه.

مؤلفاته وآثاره

إذا كانت حياة ابن عبد الكريم المغيلي غنية بالاعمال الشامخة التى خلفها قلمه خطا ونقلا فهى أيضا تذكر بالأعمال المتمثلة فيما تركه من تلاميذ حملوا راية الجهاد والعلم واكملوا المسيرة ومنهم: محمد بن الفجيجى وابن احمد بن محمد الكنتى وابو القاسم اليُمنى ومحمد ابراهيم الطبوى ومحمد محمود ومحمد مسكين وهؤلاء جميعا كان لهم من بعده شأن يذكر فى ميدان إصلاح أحوال المسلمين ونشر العلم والدعوة الى الدين الاسلامى وثقافته، التى تجاوزت حدود البلاد وكادت أن تعم جميع أنحاء افريقيا جنوب الصحراء ولا شيء يثبت ذلك سوى مؤلفاتهم الكثيرة فى هذه الميادين التى انتشرت بشكل واسع فى المناطق المذكورة سابقا.

ومن آثار المغيلي المادية نذكر المسجد الموجود بأقدز بالنيجر الى يومنا هذا وهو مسجد الكرامة الذى نقشت على صومعته بخط طينى هذه العبارة: «هذا مسجد الكرامة الذى بناه الشيخ المبارك محمد بن عبد الكريم المغيلي من صلاة العشاء الى طلوع الفجر». . ومن آثاره بأولاد سعيد المسجد الذى بناه بقصر أولاد هارون وكذلك سوق القصر.

وللمغيلي مؤلفات كثيرة منها ما هو معروف وما هو غير معروف لا يزال سجين المكتبات الخاصة فى توات وفى غرب افريقيا وبالأخص فى شمال نيجيريا.

وقد توفى المغيلي فى سنة ٩٠٩هـ الموافق لسنة ١٥٠٣م بقصر بوعلى (التابع حاليا لبلدية زاوية كنته (بولاية أدرار) عن عمر تناهز ٨٠ سنة عمل فيها على نشر العلم والمعرفة والدين الاسلامى فى غرب افريقيا عامة وفى بلاد الهوسة خاصة عن طريق الحجة والاقناع لا عن طريق السيف مضحيا فى سبيل ذلك بأعز ما كان لديه: شبابه وابنه وراحته.

مقارنة بين آثار وجهود كل من المغيلي وعثمان دان فودى فى العلم والدعوة الى اصلاح احوال المسلمين ببلاد الهوسة:

ليس الغرض من دراستنا هاته ان نقدم حول هذا

الموضوع عرضا مفصلا للافكار الاصلاحية لكل من المغيلي وعثمان دان فودى انما هدفنا هو القاء نظرة عامة حول حياة الرجلين علنا نستطيع الوقوف على بعض اوجه التشابه التى ميزت كلا منهما فى دعوته الى الاسلام والى اصلاح أحوال المسلمين ببلاد الهوسة .

ومما تجدر ملاحظته ان الفارق العلمى والفكرى قد يكون كبيرا بين المغيلى وعثمان بحيث يجوز ان نعتبر هذا الأخير كتلميذ للأول من حيث التمكن فى اللغة العربية والتعمق فى المفاهيم الفقهية والعلوم الاسلامية التى كانت سائدة فى وقتهما .

وقد اختلفت الظروف الثقافية والعلمية والبيئة التى عاش فيها كل من عثمان والمغيلى فبينما عاش هذا الأخير عصر نشاط وازدهار ثقافى رائع نبغ فيه عدد كبير من العلماء والفقهاء والكتاب والشعراء والمؤرخين عاش الثانى عصر انحطاط ثقافى مخيف «لا علم ولا عالم فيه» وعلى الرغم من ذلك نبغ عثمان فى علم الفقه والحديث والتفسير وترك بعد وفاته اكثر من تسعين مؤلفا(١٩) فى هذه الميادين المذكورة ولا تزال هذه المؤلفات محفوظة فى المكتبات العامة والخاصة فى شمال نيجيريا وفى بعض الزوايا ولم ينشر منها سوى عدد زهيد جدا ترجم الى اللغتين الانجليزية والفرنسية وذلك شأن مؤلفه «نور الالباب» الذى نشرته المجلة الافريقية فيما بين سنتى ١٨٩٧ - ١٨٩٨م .

وبما اننا تكلمنا عن الميدان الثقافى دعنا نلق نظرة خاطفة عن تدرج الرجلين فى هذا المجال اذا كنا نعرف ان المغيلى قد حفظ القرآن فى سن مبكرة ورحل الى بجاية طلبا للعلم وأخذ عن مشايخها الكبار مثل عبد الرحمن الثاعلبى(٢٠) وأبو العباس الوغليسى ويحيى بن يزيد وغيرهم(٢١) فبالنسبة لعثمان لم يحفظ القرآن الا بعد الثلاثين من عمره ولكنه تعلم اللغة العربية وعلومها التى كانت معروفة فى وقته على يد العلامة الافريقى جبريل غداميس وواصل دراسته وهو فى سن متقدمة نسبيا الى ان تضلع فى العلوم الاسلامية التى كانت متداولة فى عصره . . ومن هنا نلاحظ ان المغيلى تعلم تعليما عاديا وفى ظروف عادية وذلك على عكس عثمان الذى تأخر فى دراسته تأخرا ملحوظا ولم يتدارك الوقت الذى فاته الا بمجهوداته الخاصة وبايمانه القوى وعقيدته الاسلامية الراسخة .

وكما نشأ المغيلى وترعرع فى اسرة متدينة شب عثمان فى عائلة متدينة انتقل العلم بين افرادها من الاب الى الابن وكان ابو عثمان من كبار العلماء فى وقته . . وخلافا لأبيه ولكل افراد عائلته التى كانت «طرقية» منذ أمد طويل تنتسب الى المذهب الصوفى القادرى لم ينتسب عثمان الى اية طريقة صوفية كانت بل شأنه شأن المغيلى كان سنّيا على مذهب الامام مالك رضى الله عنه .

وخطأ ينسب بعض الكتاب الاوربيين عثمان الى الطريقة الصوفية(*) القادرية ويعتبرونه خطأ من المتعصبين إليها(٢٢).

وعلى الرغم من ان فترة حياة الرجلين كانت متباعدة جدا فقد عاش المغيلى فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر وادرك بداية القرن السادس عشر(٢٣) بينما عاش عثمان فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر وقرابة الربع الاول من القرن التاسع عشر فإننا نجد لهم كثيرا من الميزات المشتركة فى العلم والدعوة الى اصلاح احوال المسلمين ببلاد الهوسة منها انهما كانا حازمين فى الدين متحمسين لمراعاة قواعده وتضايقا على حد سواء من وضعية عصريهما فكما انكر المغيلى على الحكام المسلمين خروجهم على التقاليد الاسلامية فى حكم رعاياهم وخرج من

تلمسان مسقط رأسه وقصد الصحراء لينتقل فيها بعد الى السودان الغربى فعل مثله عثمان الذى خرج من مسقط رأسه فى شمال نيجيريا لينتقل الى أرض آبائه وأجداده فى بلاد التكرور فى فوتا تورو السنغالية ليعد العدة لإعلان الجهاد ضد الوثنية المحلية وليخلص الدين الاسلامى من الشوائب التى الصقت به والخرافات التى تعلقت به .

وسمة الجهاد مشتركة كذلك بين الرجلين فالاول اعلن الجهاد ضد الوثنية المحلية تحمسا منه لدينه ولعقيدته ومن نتائج ذلك أن ساد الاسلام الامارات السبع العوصية(٢٤) بكاملها اما الثانى فقد اعلن الجهاد ضد اليهود فى توات لما كان لهؤلاء فى بلاد المسلمين وبناء البِيَع أى احداث الكنائس ومن نتائج ذلك ان انتشرت فتواه فى كل السودان الغربى وذاع صيتها فيه من أقصاه الى أقصاه وأضحت بلاد السودان محرمة على اليهود لا يدخلونها و«حينما يظهر اليهودى هناك يقتل ويستباح ماله وكان من يحمل مال اليهود للتجارة يستباح ماله معه بناء على مذهب الشيخ المغيلى»(٢٥).

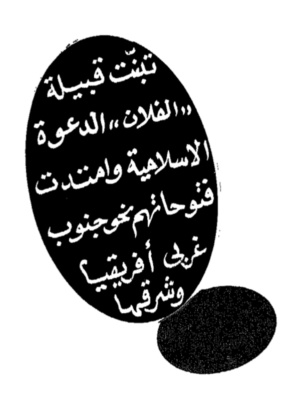
ولم يهتم المغيلى يوما ما بجمع المال ولم يعمل بالتجارة فى وقت كانت فيه منطقة توات فى تسعينات القرن الخامس عشر من اكثر المناطق نشاطاً فى تسيير القوافل التجارية بين السودان الغربى وشمال افريقيا وقلما ينتقل اليها انسان لغرض آخر سوى لغرض الاتجار ويشاركه فى هذه الميزة الشيخ عثمان الذى هو أصلا من قبائل الفلان المعروفة بنشاطها التجارى والزراعى فلم يزاول يوما لا تجارة ولا بيعا ولا شراء .

ولعل أهم ميزة تجمع بين الرجلين هى محاولاتها الحثيثة التى كانت تهدف الى اصلاح امور المسلمين الدينية والدنيوية فكما عرف عن المغيلى انه قام فى يهود توات كمصلح سلفى لا غير ومفاد رأيه أن على اليهود ان يحترموا وضعيتهم القانونية فى بلاد المسلمين(٢٦) وان لا يتدخلوا فى شؤونها اقتصاديا وسياسيا قام عثمان فى الوثنية المحلية وفى المرتدين عن الدين فى بلاد الهوسة كمصلح سلفى ولكنه اختلف عن المغيلى فى انه اعلن الجهاد واستباح ارواح واموال الوثنيين والعابثين بالدين ولمع نجمه كمحارب شديد البأس وقد ادى عثمان فريضة الحج وهو فى عنفوان شبابه وهو فى الحجاز تأثر بمبادىء الحركة الوهابية(٢٧) فأنكر عثمان تبعا لها الصلاة على روح الميت وتقديس الاولياء وزيارة الاضرحة وحارب شرب الخمر وفساد الخلق واستطاع بشخصيته وبعلمه وسعة اطلاعه وبها عرف عنه من تقوى وورع ان يجمع كلمة الفلان ليصنع منهم قوة رادعة للظلم والطغيان فى بلاد الحوصا .

ومعروف ان علماء فاس قد انكروا على المغيلى نزعته الاصلاحية السلفية فى يهود توات واتهموه بالطموح الى غير القضايا الشرعية والدينية وقد جرت بينه وبين اولئك العلماء مناقشة حادة حول هذا الموضوع بحضور السلطان انتهت باتهام هذا الاخير للمغيلى بالطموح الى الملك وقد رفض المغيلى ذلك بشدة أمام السلطان وعاد الى توات حيث يقال انه قطع على نفسه أن لا يلقى سلطانا بعد ذلك أبدا(٢٨)

ولقد وجه الكتاب الاوربيون على مختلف نزعاتهم الأيديلوجية ومشاربهم الثقافية نفس التهمة الى عثمان ورموه بالطموح الى الملك وأنكروا عليه رسالته الاصلاحية السلفية وليس هناك ما يكذب ذلك سوى ان عثمان لما تم له النصر النهائى على الوثنية المحلية وأعداء الأمة

والمنـافقـين فى الـدين ترك امور السياسة والحكم فى مملكة الفلان التى أقامها على أنقاض امارات الحوصا بين سنتى ١٨٠٤ ـ ١٨١٠م الى شقيقه عبد الله وابنه بللو وانصـرف هو الى نشـر الاسـلام والدعوة إليه بالطرق السلمية يفقه الناس فى الدين حتى وافته المنية فى سنة ١٨١٨م فى مدينة سكوتو قاعدة مملكة الفلان آنذاك.



والظـاهـر أن المغيلى حينـما سافر الى السودان الغربى فى اخريات القرن الخامس عشر بقصد نشر الاسلام والدعوة اليه كانت شهرته كعالم لامع من بين علماء عصره قد سبقته الى السودان(٢٩) وهو الشيىء الذى يسر له عمله وفتح أمامه أبواب قصور ملوكه وقـدروه احسن تقـديـر واستغلوا وجوده فى السودان ليأخذوا عليه العلم والمعرفة.

وليس مستبعدا أن يكون المغيلى قد انتقل الى بلاد الكبى من بلاد الحوصا الواقعة الى شرقى النيجر بين سنتى ١٤٩٩ ـ ١٥٠٠م بأمر من الاسقيا محمد الكبير ملك سنغاى الشهير بحبه للعلم والعلماء الذى قرر فى هذه الاثنـاء تجنيـد العلماء لنشـر الـدين الاسلامى والثقافة العربية الاسلامية فى هذه البقاع التى فتحهاجنده وضموها نهائيا الى ملكه.

ومن بلاد الكبى التى عمل فيها المغيلى مدة داعيا للدين الاسلامى ومعلما ومرشدا انتقل الى كاتسينا ثم الى كانو.

وتجـدر المـلاحظـة هنا الى ان الاسلام فى بلاد الحوصا كان حديث العهد آنذاك بحيث تؤكد المصادر على القـرن الـرابـع عشـر الميـلادى كبداية لظهور الاسلام فى بلاد الحوصا وان اولى امارات الحوصى مثل كاتسينا وكانو بدأت فى الدخول الى الاسلام فى هذا التاريخ لا قبله ولا بعده ومن ثم تبدو مجهودات ومآثر المغيلى فى مجال نشر الدعوة الاسلامية وسعيه الحثيث فى اصـلاح أمور المسلمين وأحوالهم الدينية والثقافية فى بلاد الحوصا التى لم يغادرها حتى ترك بها عدداً هامـاً من التـلاميذ وتوجد فى كانو حتى اليوم جماعـة ينسبـون أنفسهم كأحفاد للمغيلى وللمكانة العلمية التى تبوأها عرف بين العامة والخاصة فى بلاد الحوصا بالامام المغيلى وهو لقب لم يكن يحظ به الا العلماء الاكفاء فى وقته.

واثناء وجود المغيلى فى كانو «اجتمع بلسطانها ـ ابـو عبـد الله محمـد فقـربـه اليه واستشاره فى امور السلطنة فألف له رسالة(٣٠)فى الموضوع حثه فيها على اتبـاع الشـرع والأمـر بالمعـروف والنهى عن المنكـر واوضـح له احكـام الشـرع وقواعده فى كل ما يهم السلطان ثم فارقه الى بلاد التكرور(٣١) فوصل الى مدينة كاغو(٣٢) واجتمع بسلطانها اسقيا الحاج محمد وجـرى على طريقته فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وألف له تأليفا(٣٣) أجابه فيه عن مسائل شتى(٣٤).

ومن خلال ما كتبه المغيلى سواء لأمير كانو أبى عبـد الله محمـد بن يعقوب أو للاسقيا محمد الكبير سلطان غاوو[٣٥] يتضح اطلاعه الكامل ومعرفته التامة لاحوال المسلمين فى السودان الغربى وسياسة أمرائها وسلوكهم وعادات وتقاليد السكان ومن جهة اخرى اثبت المغيلى فى ذلك حرصه الشديد على ان يحكم المسلمون بحزم وذلك وفق قواعد الشريعة الاسلامية السمحة.

ومن مآثر المغيلى فى بلاد الحوصا انه نشر بها الاسلام حسب القرآن والسُّنّة لكونه كان سُنيا ومن ثم اتخذ اهل البلاد فى ميدان الفقه والشريعة مذهب الامام مالك كقانون لحياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية.

والدليل على ذلك انه عندما استقام لملوك الفلان امر بلاد الحوصا بقيادة الشيخ عثمان فى القرن التاسع عشر انهم وجدوا فى البلاد نظما ادارية صالحة احتفظوا بها ولم يغيروا منها شيئا فهذه مثلا بعض النظم المالية التى وجدوها تسير وفق النظم الاسلامية المستمدة من تعاليم القرآن فالزكاة كانت تدفع لبيت المال. من زكاة للحرث والماشية والعين وغيرها وكانت تفرض الجزية على الوثنيين الذين رفضوا الدخول فى الاسلام[٣٦].

وقد حافظ الشيخ عثمان على هذا النظام الذى وجده فى البلاد وعمل على تعميمه ونشره فى الاقطار الافريقية التى دانت له بالطاعة فى القرن الماضى وهو ما يجعلنا نعتقد ان هذا الاخير يكون قد اطلع على مؤلفات المغيلى التى هى موجودة بكثرة على شكل مخطوطات فى المكتبات العامة والخاصة وبعض الزوايا فى بلاد الحوصا ودرس على الاقل أهمها وأخذ عنها الشيء الكثير الذى أهله لحكم هذه البلاد حكما صالحا.

ويطبق القضاة الشريعة الاسلامية فى بلاد الحوصا على مذهب الامام مالك.. كما ان الحكم عندهم لا ينتقل من الاب الى الابن أى عن طريق الوراثة الشيء الذى يُعتقد معه ان الحكم فى هذه البلاد يسير وفقا لقواعد الدين الاصيلة الذى هو مبدأ الشورى.

وخلاصة القول ان الدعوة الاسلامية فى بلاد الحوصا قد تأصلت جذورها ونمت وترعرعت وأتت أكلها على أيدى المعلمين والدعاة أمثال الشيخ المغيلى والشيخ عثمان فكان الاول من زارعى بذور الاسلام وشريعته ونظمه السياسية والمدنية والاجتماعية التى تتفق مع القرآن والسنة وكان الثانى من الآخذين بها ومن الحريصيين على تطبيقها تطبيقا فعليا فى مملكة الفلان التى أقامها وفقا لهذا النظام فى القرن الماضى.

ومن يتبع أفكار عثمان الاصلاحية يجدها لا تختلف فى شيء فى سعيها ومراميها عن الأهداف التى توختها الحركة الاصلاحية الاسلامية فى العالم الاسلامى أجمع منذ ظهورها فى القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى على يد العلامة الامام ابن تيمية[٣٧].

ولعل رأى عثمان فى تعليم المرأة يعطينا صورة وجيزة عن شخصيته الاسلامية الاصلاحية وقد سبق ان تطرقنا إليه سابقا[٣٨]

وطبيعى أنه فى هذا الباب[٣٩] أى تعليم المرأة لا تصح المقارنة أو المقاربة بين أفكار كل من المغيلى وعثمان لتباعد زمان الاول عن الثانى بحيث ان تعليم المرأة والاهتمام بترقيتها اجتماعيا وثقافيا فكرة حديثة جدا تبناها بعض المفكرين والمصلحين العرب فى القرن الماضى ولم تدخل حين التطبيق فى الدول الاسلامية الا بعد الحرب الثانية.

والذى لا شك فيه أن عثمان شأنه شأن المغيلى قد استاء استياء كبيرا من حكام عصره ووقف ضد سياستهم الفاسدة وندد بها سرا وعلانية من ذلك أننا نراه قبيل اعلانه للجهاد ضد الوثنية وفساد الخلق فى بلاد الحوصا يشن حملة كبرى على أمير جوبير الذى منع لباس الشاش على الرجال والحجاب على النساء كما أنه حمله مسؤولية الوقوف ضد انتشار الاسلام فى مملكته، وتزوجه بنساء عديدات بطريقة غير شرعية ومن جهة أخرى يتهم أهل جوبير بأكل المحرمات والضرب على الطبول والاسراف فى ذلك.

وكثيرا ما تتردد فى كتابات عثمان عبارات الظلم.. الاجحاف.. المنكر.. العسف.. الباطل(٤٠).. الى غير ذلك من العبارات التى توحى ان هذا الزعيم الافريقى قاد حركة شعبية تألمت كثيرا من مظالم الحكام المحليين الذين سلطوا اضطهادهم عليها ولم يكونوا منصفين فى حكمهم بين الناس ولو تعلقت الامور بأبسط الاشياء - وحسب رأى عثمان - كان هؤلاء يفرضون الضرائب الثقيلة على الجماهير.

وأخيرا يلتقى عثمان بالمغيلى فى كونه كان معلما نشيطاً وبالأخص فى العشر الأخيرة من عمره (١٨٠٨ - ١٨١٨) التى كرسها لنشر اللغة العربية وتعليم القرآن لأبناء الحوصا.

فإذا كان الاطار الزمانى لم يجمع بين الرجلين فقد جمع بينهما الاطار المكانى بحيث نعلم ان المغيلى قد أقام مدة ما فى اخريات القرن الخامس عشر فى كتسينا وكانو ببلاد الحوصا مرشدا ومعلما قبل ان ينتقل الى بلاد التكرور الموطن الاصلى لعثمان الذى أول ما ظهر نشاطه الاصلاحى كان فى هذه الامكنة التى سبقه اليها المغيلى وبذل فيها جهودا كبيرة من حيث الدعوة الى الاسلام وإصلاح أمور المسلمين.

وما التقاء الجهود والمحاولات الحثيثة التى بذلها المغيلى محمد بن عبد الكريم الجزائرى فى ميدان الاصلاح ببلاد الحوصا منذ خمسة قرون خلت بمجهودات ومحاولات الزعيم الافريقى عثمان دان فودي مسلكا وغاية وهدفا إلا دليل قاطع على الروابط الاخوية التى كانت تجمع بين كل من الجزائر وإفريقيا بشكل خاص وببقية العالم الاسلامى بشكل عام.

---

(١) انظر كتابنا: الاسلام فى افريقيا جنوب الصحراء - الجزائر ١٩٨٥.

(٢، ٣) هـ.م، باتيبو: اسهام اللغة العربية فى انماء اللغة السواحلية وتطويرها مجلة الاسلام اليوم، العدد٢ ابريل ١٩٨٤ ص٣٩.

(٤) القلقشندى: صبح الاعشى ج٥.

(٥) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج٦.

(٧) للمزيد من الاطلاع انظر د/ عبد القادر زبادية: مملكة سونغاى فى عهد الاساقيين - الجزائر ١٩٧٣.

(٨) محمد ابو زهرة: ابن تيمية حياته وعصره آراؤه وفقهه/ القاهرة ١٩٧٧.

(٩) د. محمود قاسم: جمال الدين الافغانى - القاهرة - ١٩٥٥ ص ص ٢٦-٢٨.

(١٠) د. محمود قاسم: مناهج الاصلاح فى الشرق.. الثقافة عدد ٨١ مايو/ يونيه ١٩٨٤ ص٨.

(١١) عمار هلال الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية فى غرب افريقيا نشر وزارة الثقافة بالجزائر.

(١٢) اهتم كثيرا بالعلماء الافارقة والحركة الثقافية العربية فى افريقيا ترجم كثيرا من مؤلفاتهم من العربية الى الأنجليزية هو وزميله بيفار - انظر كتابنا السابق الذكر.

(١٣) ف، مونتوى: المرجع السابق.

(١٤) حسن ابراهيم حسن.. انتشار الاسلام فى القارة الافريقية، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٦٤م.

(١٥) انظر ما سبق عن هذا الباب كتابنا السابق الذكر «الاسلام فى غرب افريقيا».

(١٦، ١٧) المجلة الافريقية.

(١٨) انفاق المسير ترجم فى سنة ١٨٣٧ الى اللغة الفرنسية والانجليزية.

(١٩) في سنة ١٩٦٢ كشف الباحث الانجليزى هـ سميث عن هذه المخطوطات.

(٢٠) توفى سنة ٨٧٥هـ.

(٢١) لمزيد من الاطلاع انظر: مصباح الارواح فى أصول الفلاح تحقيق رابح بونار ـ الجزائر ١٩٦٨م.

(٢٢) ف، مونتاى: المرجع السابق.

(٢٣) توفى المغيلى بتوات فى سنة ٩٠٩هـ ـ ١٥٠٣م.

(٢٤) وهى: كانو ورانو وأزاديا ودوار وكتسينا وزامغارا وجوبير.

(٢٥) مصباح الارواح فى أصول الفلاح المرجع السابق.

(٢٦) د/ عبد القادر زبادية: أسئلة الاسقيا واجوبة المغيلى ـ الجزائر ١٩٧٣.

(٢٧) حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ـ القاهرة ط ٢، ١٩٦٤.

(٢٨، ٢٩) د/ عبد القادر زبادية/ التلمسانى محمد بن عبد الكريم المغيلى. الاصالة عدد ٢٦، ٨١٧/١٩٧٦م.

(٣٠) يوجد نص هذه الرسالة فى كتاب: آدم عبد الله الالورى موجز تاريخ نيجيريا بيروت ١٩٦٥، ص١٣٤ وما بعدها انظر عن ذلك أيضا: مقال د/عبد القادر زبادية الأصالة المرجع السابق ص ٢١٤.

(٣١) يقصد فوتا تورو السنغالية حيث كانت قائمة آنذاك مملكة التكرور الاسلامية وعاصمتها سنغانة التى تتربع على ضفتى نهر السنغال وكانت فى عز قوتها وازدهارها.

(٣٢) يقصد غاوو العاصمة السياسية والاقتصادية لسنغاى.

(٣٣) نشره الدكتور عبد القادر زبادية: أسئلة الاسقيا محمد وأجوبة المغيلى المرجع السابق.

(٣٤) مصباح الارواح فى أصول الفلاح: المرجع السابق.

(٣٥) حسن ابراهيم حسن: المرجع السابق.

(٣٦) لمزيد من الاطلاع انظر د/عبد القادر زبادية مملكة سنغاى فى عهد الأسبقيين الجزائر ١٩٧٣.

(٣٧) انظر عن ابن تيمية: محمد أبو زهرة المرجع السابق.

(٣٨) نور الالباب، المرجع السابق.

(٣٩) المجلة الافريقية، المرجع السابق.

(٤٠) اتفاق الميسر ترجم فى سنة ١٨٣٧م الى اللغة الفرنسية ثم الانجليزية.

(*) أكد لى شخصيا اكثر من مهتم واحد بعلم الانساب فى منطقة ادرار بالجزائر ان عائلة عثمان دان فودى تنحدر اصلا من هذه المناطق الاخيرة وهاجرت الى غرب افريقيا حوالى نهاية القرن التاسع الهجرى والى ان يثبت ذلك ماديا نحتفظ بما قلناه عن هذا الاخير اصلا وانتماء.

(*) لمزيد من الاطلاع راجع كتابنا: الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية فى غرب افريقيا نشر وزارة الثقافة الجزائرية.



ان من كمال ايمان المرء ان يعتقد ويوقن ويسلم تسليماً مطلقاً بقضاء الله تعالى ومشيئته فى خلق الحياة العامرة للكون والتى مازال تيارها يدفق منذ ان قال الله تعالى: كن.. فكان كل كائن فى هذا الوجود وستظل الحياة فى الأجساد حتى يشاء الله تعالى لها ان تنتقل لتستقر فى نسم رقيقة تبقى بها ما شاء الله تعالى لها ان تبقى ثم تحشر إلى عالم المثل أو عالم الصورة لتنتهى الى نقطة انطلاقها حيث حقيقتها وأصلها الروحى.. فالحياة ذات حركة دؤوبة غير ساكنة ولا راكدة ولكنها فى تنقل دائم وتجوال وذات أطوار وارتقاءات وأحوال فى فلك دائرة أكبر من فلك دائرة حياة الانسان فتظل تموج فى محيطات لا نهاية لها ولا قرارا.. إلا النهاية والقرار اللذين استأثر الله تعالى بعلمها.

وقد خُلق الانسان منجذباً الى تيار الحياة الكونى الأكبر مستمداً من حركة اندفاعه وقوة تدفقه طاقاته الفعالة والمتفاعلة وليكتسب من مواصلة سعيه مزيداً من الخبرات والتجارب المعينة على ممارسة نشاطاته واستغلال مواهبه وقدراته حتى يصير ماهراً وقادراً ومحققاً لذاته ولأهدافه فيضرب الأرض بقدميه ويشق البحر بساعديه ماض فى سبيله وفى المجال الذى وضع فيه او الذى هدى إليه وخط طريقه بيديه.

فكانت الحياة نعمة كبرى من الله تعالى امتن بها على مخلوقاته واستخلف الانسان فيها ليثبت فيها صلاحه وصلاحيته للاضطلاع بمسؤولياته ومباشرتها ولممارسة

عادل عبد الله حجازي

جامعة أم القرى مكة المكرمة

معاني الحياة

أجل الأعمال خلال الفترة التى يقضيها فى التدريب والتجريب والامتحان ومن ثم ليثبت انه جدير بها سيناله بعد انقضاء هذه الفترة الأولى من حياته من ثواب وبما سيحتله من منزلة عليا فى الحياة الأخرى.

ورغم ان الحديث عن تفاصيل حياة الانسان كمركز للحياة الأكبر وحركتها طويل ورغم ما قد يكتنفه من غموض وتعقيد وما قد يعترض الباحث فى قضايا هذه الحياة الانسانية ومسائلها من عوائق تصل - أحيانا - إلى حدود محظورة ومراحل ذات خطورة فإنه لا يلبث من غاص الى عمقها ان يستخرج منها افكاراً ناصعة وأسراراً مضيئة ولا يغوص إلى عمقها إلا من شغفه حب المعرفة وشغله عشقها عما يحيق به من اخطار وإلا من جعل وكده البحث والتنقيب والتأمل ثم ان ذلك من احوال الخاصة ومحبى الحكمة وطلاب الحقيقة. اما الغر الذى حسب الأمر سهلاً ميسراً فسيدفعه الغرور الى القاء نفسه فى هذه الغمرات من قبل ان يختبر قدراته أو يمحص تجاربه فيطبق عليه اليم ويبتلعه فيكون من الهالكين وكم من أحمق غلبه طيشه ونزقه وتهوره فاقتحم مجاهل هذا الأمر فكان مصيره الضلال بين مفارق الطرق والتخبط فى المتاهات ولم يكن من المهتدين.

ولقد خلق الله الكون وسخر الكائنات للانسان ليكون عوناً لاستمرار حياته فكان كل ما بين يديه من مقومات حياته أدعى الى طلب المزيد من الحياة والتطلع الى حياة أفضل وأكمل ولم يكن مدعاة الى الارتماء فى احضان الموت أو إلى الاستسلام اليه بل كان أدعى إلى بعث الحياة فى النفوس التى قارب ان يزهقها الموت وليس للاستعداد للرحيل عن الحياة أو لطلب المزيد من الموت. فحياة العاملين العالمين وموتهم ليس كحياة الخاملين المتقاعدين أو الجاهلين وموتهم. وإن الذين رضوا بالموت واستسلموا اليه وأصروا عليه وعملوا على ايقاف دورة الحياة فى شرايين قلوبهم وفى خلايا عقولهم إنما هم فى حكم التماثيل أو الأصنام التى لم تستطع ان تستمد من الحياة المحيطة بها حياة لها ولم تقتبس من جذوتها المتقدة قبساً يبدد عنها الظلمات أو يشيع فيها حرارة الحياة أو يولد طاقة فعالة تدفع بعجلة حياتها الصَّدِئة الى الأمام فكانت عنصر فساد وموت يشل دبيب الحياة وكانت من شر الدواب فى الأرض، وصدق عليها قول الله تعالى: ﴿إنَّ شرَّ الدَّواب عِندَ اللهِ الصمّ البكمّ الذين لا يعقلون﴾.

وما عسى ان يكون الانسان فى هذا الوجود العظيم إلا جزء الحقيقة الأكبر وما عسى أن تكون حياته إلا حركة واحدة تولدت عن حركة أشد تعم الكون كله فإن أبى الانسان إلا أن ينفصل عن تلك الكلية ولم يعترف بالحقيقة ولا بجزئيته منها وعمل لتعطيل دورة الحياة المنتظمة فيه. ولم يستجب لداعى الحياة بقى جامداً فى جسد مادى ميت ثم لا يلبث أن يدفن جيفة فى حفرة فلا يظفر من فرصة الحياة التى وهبه الله إياها بنصيب.

ألــم يعلم الانسان ان الحياة حركة وأنه لا حياة بدون حركة؟ ألم يعلم بأن كل ما فى الكون يتحرك ويتنفس بالحياة وأن حياته جزء من الكل الحى وأنه حلقـة من حلقـات مجال دائرة الحياة الأكبر وأنه لن ينفصل عن فلك الحياة الذى لم ولن يتوقف إلا إذا شاء الله؟ ألم يعلم بأن لكـل كائن موقعه المحدد فى دائـرة الحياة وأنه لابد أن يسعى وينطلق من موقعه ذلك ليستكمل مسيرته كسائر الكائنات وأنه لا يحق له أن يتوقف عن متابعة مسيرته ظناً منه أن توقفه سيعطل حركة الحياة فالحياة ستظل فى حركة مطردة دون توقف سواء به أو بدونه؟ ألم يعلم ـ بعد ـ أن كل ما فى الوجود حى ولو بدا لعينيه جامداً أو صامتاً بدءاً بمعشار الذرة وانتهاء إلى أضخم مجرة؟ أليس الانسان ـ من بعد ذلك ـ أحق من سائر الكائنات بهذه الحياة الدائمة والمتجـددة وهو الذى وُهِبَ العقل وخُلِقَ ليكون فى الأرض خليفة.

إن الحيـاة ليست حيـاة الأجساد فالجسد مركب مادى وعـرض زائل كسائر الأعراض ولكن الحياة حياة الجوهر النقى المحمول على كاهل الجسد فإن انفصل الجوهر عن العرض فإنه لا يفقده قيمته ولا يبخسه ثمنه ولا يحط من قدره ولكن انفصاله عنه يكشف عن حقيقته المستترة كما تكتشف قيمة الدر باستخراجه من صدفه لأن الجسد ثِقل وقيـد للنفس ولـولا ثقـل الأصـداف والتصاقها بصخور البحار واطباقها على الدر الثمين لطَفَا الدر على سطح البحـر. . وكذلك جوهر الانسان ان انفصل عن الجسد تحرر من قيوده وأثقاله فينتقل الانسان من عالم المادة إلى عالم المُثل ثم إلى عالم الروح ليستكمل مسيرة حياته ويعاود الالتحام بالكل الذى هو جزؤه فتكتمل دورة الحياة وتزداد حركتها قوة واتساعا.

لقــد سيطـر الـوهم على بعض ضعاف الايمان وتسلطت عليهم شياطين الأرض ونفثت فى روعهم مفهوماً خاطئا عن الحياة والموت. . ففهم البعض ان الموت خاتمة الحياة ونهاية اليمة تستحق التأسف وكأن الحياة ـ وفق هذا المفهوم ـ قد انقطعت وتوقف تيارها الى الأبد أو انه قد انتقض البناء من أساسه وقضى على الانسان وعلى قصته الرائعة من قبل ان تكتمل أحداثها وفصولها فكان أسطورة من الأساطير التى لن يكتب لها أن تعود. . فانصرف ذلك البعض عن خط سيره الذى رسمه بيده واختلطت عليه المسائل فأفسد ما كان يعمل وأخذ فى نقض غزله واتخذ من خيوطه حبلاً ليشنق به نفسه وليجر به الموت اليه قبل أوانه وما ذلـك إلا الاستنتاج الخاطىء الذى أثمر مزيداً من الأخطـاء وذلـك هو التصـور القبيح والفهم العقيم والسقيم للحياة فخلط بين موت الجسد وفناء العرض وبـين نهايـة الحياة وانعدام الجوهر فتحولت القلوب وتقلبت وتعطلت العقول وتبلّدت عن مواجهة الحقيقة وتحريها.

ونظر ذلك البعض إلى الحقيقة المشرقة من خلال منظار مقلوب فكانت فى نظره بعيدة وهى قريبة ونظر إلى الموت من خلال عدسات معظمة فكان فى نظره أقرب وأكبر من حجمه ثم خيل له حسه ان الموت قد بات تحت قدميه فلم يتمالك الناظر نفسه ففقد اتزانه وهوى متردياً فى حفرته.

وحقيق بنا ان نصحح هذا المفهوم قبل ان يستفحل أمره ويتطاير شرره فالانسان فى هذه الدنيا كالنائم حتى إذا ما مات جسـده وانتهت وظيفتـه انتبه واستيقظ والاستيقاظ مظهـر من مظاهر الحياة ودليل على استمرارها والموت ـ بهذا المعنى ـ ليس هو النهاية بل هو البداية التى تبتدىء بها حياة أخرى للإنسان بعد فراغه من مهمات الحياة الأولى التى استغرقها عمله وكدحه فى الدنيا، وما مثل الانسان إلا كعـامـل فى مصنـع لا يلبث ان يتوقف عن عمله فى مصنعه عندما تحين ساعة الانصراف فيخلع ثوب العمل ويلقيـه بيده ليستبدله بثوب آخر ليمارس حقوقه الأخرى المشـروعة فى الحياة فهل غيّر ذلك شيئاً من حقيقة ذلك الانسان العامل؟ بل إنه هو نفسه ذلك الانسان الذى كان

يمشى على أديم الأرض بقدميه فغدا يُحلّق فى عالم الروح فكان كمن صدر الأمر بترقيته من وظيفة أدنى الى وظيفة أسمى فانتقل من دائرة ضيقة ومقيدة الى دائرة واسعة يمارس فيها صلاحياته كاملة ويتمتع بحقوقه المفروضة.

أما الذين شغلتهم أنفسهم وشغلهم الموت عن تدبر اسرار الحياة وفهم معانيها وودوا لو اتخذوا نفقا فى الأرض أو لاهتدوا سبيلاً ينجيهم من الموت فيفرون اليه فإنى أقول لهم: أيان المفر ألم تقرأوا قول الله تعالى: **﴿قل لن ينفعكمُ الفرارُ إنْ فررتُم من الموتِ أو القَتْلِ﴾** فكل نفس ذائقة الموت يوماً ولو تحصنت فى بروج تشق عنان السماء، قال تعالى: **﴿أينما تكونوا يدرككم الموتُ ولو كنتم فى بروجٍ مشَيَّدة﴾**، فينتقل بهم الموت رغم أنوفهم إلى الحياة الأخرى فيتملكهم العجب عندما يجدون أنفسهم يحيون فى كل يوم حياة تتجدد وأنهم ينتقلون فى كل ساعة من حياة إلى أخرى وستغمر المؤمنين سعادة أبدية لأنهم سيجدون ما وعدهم ربهم حقا وسيعض الذين ظلموا أنفسهم أصابعهم ندماً وحسرة على ما فرطوا لأنهم نسوا وهم فى غمرة خوفهم وحذرهم من الموت أن يتموا ما قد أوكل إليهم من أعمال فى الحياة الأولى فلم يحسنوا ما صنعوا وقتلوا معانى الحياة فى نفوسهم وفى نفوس غيرهم فضيعوا ما أتيح لهم من فرص فى مرحلة التدريب والتجريب.

فحياة الانسان الحقة فى الحركة والعمل بقصد دوام الحياة حتى لو فرض ان الانسان لم يتح له الا القيام بعمل واحد فى الدنيا ثم مات فان أتقن ذلك العمل ووفاه حقه قاصداً به رضى الله ووجهه لم يكن ليضره الموت ولو فجأه لأنه كان عنصراً من عناصر الحياة وعوناً على استمرارها وعضواً حياً فى الجماعة التى استمدت بدورها منه حياة لها.. ونضرب مثلا على ذلك بحياة الشهداء الذين علموا ان الموت جسر يعبر بهم من الحياة الأدنى إلى الحياة الأسمى فما كان مقتلهم موتاً بل استمراراً واتصالاً لتيار الحياة والدليل على ذلك أن الله تعالى نهى عن تسميتهم اموانا ونفى الموت عنهم وأكد لهم الحياة التى انتقلوا اليها فقال عز وجل: **﴿ولا تَقُولوا لمن يُقْتَلُ فى سَبيل الله أمواتٌ بَلْ أحياء ولكن لا تَشْعُرونَ﴾** فكان النهى قاطعاً عن تداول تلك الأفكار القاصرة والبعيدة كل البعد عن ادراك حقيقة الحياة أوفهم معانيها. فالشهيد انما أراد ان يعمل عملاً يعبر به عن حقيقة إيمانه باستمرار الحياة ويسهم به فى استمرارها فأقدم على الجهاد بالتضحية بالدم والنفس وكانت الشهادة فعكس صورة مشرقة للحقيقة التى خفيت عن كثير ممن ضربت على أعينهم غشاوة المادة وتلك الحقيقة التى تقول: اطلب الموت توهب لك الحياة، والتى قال الله عنها: ***﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكُم لِما يُحييكُم﴾*** *وذكرها فى قوله تعالى:* ***﴿فليقاتل فى سبيل الله الذينَ يشرونَ الحياة الدنيا بالآخرة﴾*** *فلم يقتصر الانتفاع بذلك العمل الجليل فى دائرة محدودة بل كان كالشجرة المباركة التى تنفع الناس أصلها ثابت وفرعها فى السماء أو كالحبة التى انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة فتجنى منه الجماعة ما ينفعها وينفع الأجيال والجماعات المتعاقبة من بعدها وهو الذى تتولد منه معانى الحياة وسر الخلود وهو الذى لم يرج عامله منه أجراً مادياً ولا نفعاً عاجلاً فى الدنيا لأنه العمل الذى به يترك الدنيا بما فيها فكان خالصاً من السمعة والرياء، والمبارك عند الله المقصود به اعلاء كلمة الله وتثبيت دعائم الحق والعدل ومواجهة الالحاد وصد الكفر والقضاء على الفساد. فكان مقتل الشهيد وسفك دمه هيناً عنده ما دام ثمنه فى الدنيا حقن دماء الآلاف من المؤمنين وكان استعجاله للانتقال من الحياة الدنيا إلى الآخرة لأن فيه استمرارا لحياة المؤمنين من بعده واتصالاً وثيقاً بين الحياة الأولى والحياة الآخرة قال تعالى:* ***﴿ولا تحسبنَّ الذين قُتلُوا فى سبيل الله أمْواتاً بَلْ أحياء عندَ ربِّهِمْ يُرزقونَ فرحِينَ بما آتاهُمُ الله من فَضْله ويستبشرُونَ بالذينَ لم يَلْحقُوا بِهِمْ من خَلفِهِمْ ألَّا خَوفٌ عليهم ولا هُمْ يَحْزنُونَ﴾***.

ثبت علميا يا شيخنا أن سبب مرض الايدز الفتاك الذى لا علاج له حتى الآن والذى يقضى على المصاب به فى غضون عدة شهور. . سبب هذا المرض راجع فى المحل الأول الى المثلية الجنسية «اللواط أو السحاق» فهل تعتقد يا شيخنا أن هناك أملا لوقف انتشار هذا الوباء الذى اذا استمر غزوه بهذه السرعة سيقضى على الحضارة الغربية فى غضون سنوات قليلة. ؟



جسر الى الشاطئ الآخر



وصمت الشيخ عارف قليلا ونظر نظرة الى السماء لها معنى، ثم التفت لصاحبه عالم وقال له:

- أتذكر «ياعالم» ماذا حدث لقوم لوط الذين كذبوا بالمرسلين وكانوا لا يؤمنون ولا يتقون. . ؟

- نعم لقد كانوا لا يتورعون عن إتيان الفاحشة وما سبقهم اليها أحد من العالمين.

- نعم قال لهم لوط عليه السلام كما قال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرجالَ شهوةً من دونِ النساء» (الاعراف: ٨١).

لقد انذرهم لوط عليه السلام وبيّن لهم قبيح فعلهم ووصف شذوذهم بأنه يتجاوز الحد فى القبح والخروج على الفطرة وان ما يفعلونه لا يفعله الحيوان فكأنهم هبطوا دون البهائم بابتداعهم هذه الفاحشة التى لم يسبقهم أحد من الناس اليها.

- كأن المثلية يا شيخنا حسب النص القرآنى بدعة ضد الفطرة التى فطر الله الناس عليها وضد العقل الرشيد والقلب السليم. . وأنها دليل على البعد عن التقوى والايمان بالله. . وأنه لا يعقل أن يقدم عليها مؤمن بالله على وجه الايقان. .

- نعم يا صاحبى لا يعقل أن يقدم على هذه الفاحشة مؤمن بالله. . لذلك فقد غضب الله على قوم لوط بعد أن أنذرهم فلم يكفوا عن اتيان هذه الفاحشة فحقت عليهم كلمة العذاب. . وامطرهم تعالى بحجارة قضت عليهم ومادت الارض بالزلازل من تحتهم. . وكان ذلك عاقبة افعالهم الشاذة اذ كانوا قوما مجرمين.

- هل تعتقد يا شيخنا أن قوم لوط المحدثون سيلقون نفس المصير من ربهم. . وسيحيق بهم ما حاق بقوم لوط الأولين. . ؟

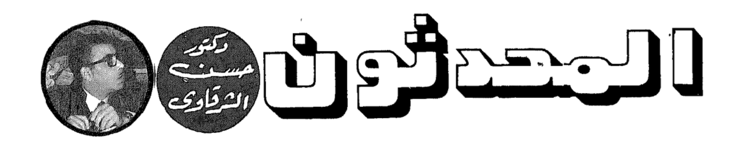
- وما الغرابة فى ذلك يا صاحبى. . لقد زعم العلماء الغربيون فى غرور وتبجح انهم فى طريقهم الى أن يتوصلوا الى علاج جميع أمراض البدن. . وكلما يعلنوا ذلك على الملأ تظهر أمراض جديدة يقفون

أمامها عاجزين مثل هذا المرض اللعين «الايدز» الذى يقضى على صاحبه فى غضون أشهر قليلة كما تعلن المؤسسات الطبية العالمية.. اليس ذلك دليلا على عجز الانسان عن مناطحة كلمة الله..؟

- نعم بالتأكيد يا شيخنا.. لقد ثبت علميا أن هذا المرض الذى لا شفاء منه حتى الآن أساسه الأول اللواط والسحاق.. كما ثبت من بعض الأبحاث الطبية أنه راجع أيضا الى النز على القرود والكلاب.. وهذا ايضا باب جديد للشذوذ الجنسى الغربية هذا الانحلال الاخلاقى بدعوى الحرية الشخصية اذ يكفل القانون الوضعى حمايتهم ومساعدتهم فى اشباع شهواتهم المريضة.

- كيف نحمى مجتمعاتنا الاسلامية من هذا الغزو الجنسى الذى يفتك بالناس فتكا؟.

- لا حل الا بتقوى الله والمحافظة على قيمنا وآدابنا واخلاقياتنا ومُثُلنا العليا.. وعدم الانبهار بالتقدم التكنولوجى لدى الغرب وعلينا أن نعتبره وسيلة لا غاية فى حد ذاته اذ يمكن أن نفيد منه دون أن يمس



استحدثته الحضارة الغربية.

- الا يجمل بالعقلاء فى أوربا وأمريكا أن يُحذِّروا مواطنيهم من هذا الوباء القادم الذى سيسحق حضارتهم تماما من على وجه الأرض..

- وهل أنصت المدمنون للخمور والمخدرات الى نصائح العقلاء بالكف عن معاقرة الكحوليات وعقاقير الهلوسة.. برغم أنها تفتك بهم فتكا.؟ لقد صدرت فى بعض الدول الغربية احصائية منذ اعوام قليلة ثبت فيها ان الذين يموتون بسبب الحوادث نتيجة لتعاطى المسكرات والمخدرات ستة من كل عشرة افراد ومع ذلك فان معدلات الزيادة فى تناول المخدرات ومعاقرة الخمور فى تصاعد خطير..

وكذلك الأمر بالنسبة للعلاقات المثلية فان الصحف والمجلات الأوربية والامريكية تعلن كل يوم فى صفحة معدة خاصة لاصحاب الشذوذ الجنسى عن رغباتهم الشاذة مقرونة بمواصفات وشروط لمن يريدون معاشرتهم وتشجع كثير من الحكومات ذلك تراثنا وتقاليدنا وديننا القيم مادمنا نتفحص ما يقدم الينا ونضعه على الميزان.. فاذا كان صالحا أخذنا به واذا كان طالحا تجنبناه وأقصيناه جانبا..

- لكن هل هناك خوف على مجتمعاتنا الاسلامية من غزو مرض «الايدز» الذى انتشر فى أوربا وأمريكا الآن بشكل خطير..

- لا أظن ذلك - ان شاء الله - يحدث فى المجتمعات الاسلامية.. فهى ما تزال الى حد كبير تكره الشذوذ وما هو ضد الفطرة السليمة وحتى اذا استقطب بعض شبابنا لمحاكاة أزياء الغرب وأدواته فاننى اعتقد انهم لن يقبلوا أن يقلدوه فى الشذوذ لأنه ضد الفطرة والدين والأخلاق.

- لقد أطمأنت نفسى الآن يا شيخنا.

- اطمئن فان الله تعالى لن يهمل هؤلاء المجرمون الذين يرتكبون الفواحش ويعيشون فى الأرض فسادا.. فسيرسل عليهم الزلازل من تحتهم لتقضى عليهم كما قضى على قوم لوط.

«مصر»





يقول الأستاذ الأديب والشاعر البارع ـ عبد الكريم الجهيمان في كلمة عنوانها هذا العالم المضطرب متى يهدأ؟

حروب في الشرق.. وحروب في الغرب.. وحروب ضد الخارجين عن العدالة.. وحروب ضد المهربين والنصابين والمحتالين.. ولو كانت الحروب هذه على طريقة الأولين.. ما هو الا السيف والرمح و«الخنجر» لهان الامر بعض الشيء.. ولخف المصاب..

ولو كانت الحروب الآن تحكمها مثل الاعراف التى كانت سائدة بين الاولين.. لقلت المآسى وتضاءلت الشرور.. فقد كان الأوّلون فى حروبهم تحكمهم قواعد ومُثل لا يتجاوزونها.. وتحكمهم اخلاق ودين لا يخالفونه.. وتحكمهم معاهدات واتفاقات يرعاها ـ فى الغالب ـ الطرفان..

اما الآن فقد تغيرت آلة الحرب من سلاح يقتل الافراد.. الى سلاح يقتل الجماعات.. وتغيرت النفوس فصارت المطامع هى التى توجهها.. قد تكون هذه المطامع اقتصادية.. وقد تكون سياسية.. وقد تكون خليطا من هذا وذاك.

واخترعوا لنا مبدأ جديدا يخالف الأعراف والمُثل والديانات.. وهو مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة فما دامت الغاية فيها مصلحة من اى نوع كان.. فاسلك اليها الطريق الاقرب والاقصر.. مهما كان فيه من ظلم وعدوان.. ومهما كان فيه من خراب ودمار للطرف الآخر المقاوم.. او الاطراف الأخرى.

لقد انحدرت الانسانية بهذا المبدأ الى عالم الوحوش.. لا واستغفر الله بل انحطوا الى عالم اشرس واخطر من عالم الوحوش.. فالوحش لا يقتل الا اذا جاع فاذا شبع لم يقتل.. وهؤلاء يقتلون من باب حب السيطرة.. ومن باب حب التملك.. ومن باب الاستكثار.. من حطام الدنيا.

وهم بهذا المبدأ لا يتورعون عن القتل.. ولا يتورعون عن السلب والنهب.. ولا يتورعون عن تحطيم اى حاجز يحول دونهم ودون مآربهم الذاتية.

وقد ينقضون العهود.. ويخلفون الوعود.. ويتأولون فى بعض الاتفاقات تأويلات لصالحهم.. وقد تكون ضارة بالطرف الآخر اقصى الضرر.. ولكن الضعيف دائما يكون هو الضحية.

وانا اتساءل فى كثير من الاحيان بينى وبين نفسى واقول متى يهدأ هذا العالم المضطرب..

واقلب هذا السؤال على جميع الاوجه فلا اصل الى نتيجة مرضية تبشر بسلام يعم كوكبنا الارضى.. ثم افكر مرة ثانية فى عالمنا الارضى.. هل خلا من الحروب فى يوم من الأيام.. اوفى عصر من العصور؟. فيأتى الجواب بأن الخلاف والصدام والحرب والقتل لم يخل منها العالم فى أى عصر من العصور.

خواطر عابرة

ولكنــه حدث شيء في هذا العصـــر الاخـــير جديـد . . وهـو آلات الـدمار المخيفة . . التي تبيد المحارب وغـير المحارب . . وتفتك بالحرث والنسل وتدع الديار بلاقع .

هذه الكلمة الصادقة لها جواب واضح ذلك أن اولئك الـذين استعملوا قوّاتهم ومبيـداتهم لأنهم لم يعملوا لخدمة الانسانية . . ولم يكن للضمير الصادق مجال في أعـمالهم وانـما هم يعبـدون الدنيا بنضارها ودولارهـا . . ويعبـدون القـوة بضـراوتهـا ويريدون الاستبـداد ببشـاعتـه لكن الاسـلام باحكـامـه . . والحنيفـية بجـمالهـا ونقـائها لو كانت مما استعملوها وطبقوها لعم الرخاء جميع البشرية وساد العدل والامن والاستقرار في ربوع الكون . . لكن الوحشية والقسوة وطبيعـة الغـاب هي التي يتصف بها هؤلاء الـذين استهانوا بالإنسانية وعبدوا الدنيا والدولا ر والسطوة كما قلت وكما قال الأستاذ الجيهيمان الذي لكلماته حلاوة وطلاوة .



●● قال بعض السلف : ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها . . ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين . . يغفر الله لكم ما بين ذلك .

●● ليس هناك نعمة لا تُحسد مثل نعمة التواضع . . وليس هناك خُلُق يرفع صاحبه في قلوب الناس مثل الرفق بهم او خفض الجناح لهم . . وما اصدق قول بعض الحكماء في هذا المعنى :

تواضـــعْ تكن كالنّجم لاحَ لنـاظـرٍ
على صفحـاتِ المـاءِ وهـو رفيـعُ
ولا تَكُ كالـدُّخَـان يعلو لنـاظـرٍ
على طبقـاتِ الجـوِّ وهـو وضيـعُ

●● كما دخل الانسان الى دنياه وحده كذلك يخرج منها ـ حين يخرج ـ وحده ليقف بين يدي ربه وحده ليحاسب عن عمله وحده . . قال الله تبارك وتعالى ﴿وكُلَّ إنسان ألزمناه طَائِرهُ في عُنُقه وَنُخْرجُ لهُ يومَ القِيَامَة كتاباً يَلقَاهُ منشورا ، إقرأْ كتابَكَ كفىَ بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ (سورة الاسراء) .

●● بقدر يقين القلوب بأن الحياة بيع وشراء ، واخذ وعطـاء يكـون حرص قلوب اصحابها على محاسبة انفسهم عنـد كل صفقـة او سلوك . . اهتداء بنور هدى نبي الـبر صلوات الله وسـلامـه عليـه «الدنيا كسوق نصب ثم انفض ربح فيه من ربح و خسر فيه من خسر» .





عائض البلادي

٣٣ عاجلاً أو آجلا ستزول اسرائيل

هذا العنوان ليس من تعبيرى ولكنه اسم كتاب أصدره فرنسيان قبل سنوات ولم اعد اذكر مما فيه غير عنوانه الذى هو ـ فى رأيى ـ أبلغ من كتاب كامل.

فكيف ستذهب اسرائيل يا ترى؟.

● اسرائيل جسم غريب دخل عرضاً ومفاجأة فى جسم ضخم ذى مناعة قوية ولكن هذا الجسم كان حاداً وكان هناك من يساعده بحقن المصاب بالمسكنات ولما طال مكوث الجسم الغريب أخذ الجسم المصاب تنتابه الحُمّى وتقيّح ما حول الجسم الغريب فلم يعد مكانه ملائماً للبقاء وتداعت أعضاء ذلك الجسم لترفض الطفيلى الحشرى.

وقد بدت التباشير ترينا أنه لأول مرة تنسحب اسرائيل بلا شروط ولا غنائم وهذه كما يقول قومنا: «فاتحة خير» وضوء يرينا أن العملاق المزعوم يمكن أن يسقط بضربة سيف فى ساقه.

● إن اسرائيل موجودة بين أمة تتزايد ـ بسرعة ـ بشرياً واقتصادياً وعسكرياً فالتزايد البشرى يفوق تزايد اليهود عشرة اضعاف على الأقل وخلال العشر السنوات الماضية كان التزايد العربى ـ وحده ـ أكثر من كل سكان اسرائيل منذ أن تأسست ولا أحد يشك أن الثروة البشرية أكثر أسلحة الأمة على الاطلاق وأمضاها.

أما التزايد الاقتصادى فلا أدل عليه من أن اسرائيل لا تستطيع أن تعيش بضع سنوات لو قطعت عنها الهبات وخاصة التى تأتيها من امريكا.

بينما تتوزع خيرات العرب على جيرانهم ولولا ما يتعرض له المسلمون فى جميع بقاع العالم من ضغوط وحروب ونكبات ـ جلها ـ مقصودة لتأخير تقدمهم الحثيث لتغير ما نرى من وضع اليوم ولو كان هذا التغير يسيراً.

ولا نستطيع أن نتكلم ـ بعمق ـ هنا عن النمو العسكرى غير أنه من البديهة أنه اذا توفرت لدولة ما الثروتان البشرية والاقتصادية فان جيشها سيكون بنفس الدرجة خاصة اذا كانت مهددة بمثل هذا الجسم الغريب.



● اسرائيل ـ اذا نظرت الى الخريطة ـ تجدها كالنقطة السوداء فى جسم الجمل الأبيض بالنسبة للعالم العربى والاسلامى ولا شك أنه متى تناولها البيطار فان استئصالها سهل.

يعبق الفكر
بندى الكلمات التى
نتنشم فوح شذاها
فيما تخيره كاتبنا
لمنهله

● اسرائيل تتقدم بسرعة وتدرك أن لا بقاء لها إلا بالقـوة وهى متفـوقـة اليوم تفوقاً مخيفاً إذ فى امكانها استخـدام جميـع الأسلحة الأمريكية والأموال أيضاً وحتى الكـونجرس الأمريكى . . ولكن هذه الأمور هى مدعاة لفنائها لا لبقائها كما يتوهم البعض .

فالتقـدم السـريع أنهك المتجمعين اليهود وشل الاقتصـاد المجمـع من جيوب سكان العالم وزاد فى التضخم المالى فى البلد المحتل مما جعل أعتى غلاة الصهيونية يجأر بالشكوى وبعض الذين أتوا مهاجرين بالأمس أصبحوا يغادرون أرض الميعاد .

ومساندة امريكا لن تبقى إلى مالا نهاية فسيأتى اليوم الذى يفوق فيه الشعب الأمريكى فيرى الحقيقة فيخجـل مما فعـل وينفض يده من المجمعـين فى فلسطـين وتصبـح شخصيـة النـاخب الأمـريكانى وشعبيتـه تزيد باعلانه التخلى عمن اغتصب أرضاً ودياراً وطرد منها أهلها الشرعيين .

● متى تزول اسرائيل ؟ . .

هذا سؤال كثيراً ما يطرح فى النقاش والمفروض الا يطـرح لأنه من البداهة أن الحسابات الدقيقة لم تحسب بعد إنما من المؤكد النتيجة وهى (زوال إسرائيل) .

فالصليبيون ظلوا ما ينيف على مائة عام وخربوا المسجـد الأقصى وجعلوه اصطبـلا للخيـول وقتلوا أضعـاف ما قتل اليهود وملكوا من الرها شمالا إلى العقبـة جنـوبـا وقطعـوا درب الحـاج الشامى سنين عديدة . . ورغم كل هذا زالوا .

● وكيف تزول اسرائيل ؟ .

هذا أمر نعرفه فعلاً وننتظره بفارغ الصبر وهو متى اتحد المسلمون على راية كراية صلاح الدين وتجردوا من اقليميتهم وضحـوا وآثـروا النصـر على المظاهر الخادعة وجعلوا الهدف الاسمى طرد هؤلاء الشذاذ والوصول اليه غاية كل أمة مسلمة بأية لغة تنطق وأية بقعة تسكن فاذا احدث هذا ضمنا النصر باذن الله .

و﴿إنَّ اللهَ لا يُغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفسهم﴾

تعريفات

● الافراط فى الصراحة : حمق

● المرأة المتبذلة : طعام مكشوف قد يكون ملوثاً بالجراثيم .

● الشحيح انسان غنى يخشى الفقر .

● الغنى : انسان وقع على كنز فى مخابىء الحياة .

● الفقير : إنسان أخطأ الطريق الذى سلكه الأغنياء .

● الجار الشرير : انسان عصى وصية النبى ﴿ﷺ﴾ .



تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



● المركز الوطني للعلوم والتقنية
● أشهر الجوامع في الموصل

التحرير
عبد الجبار محمود السامرائي



استطلاع

المركز الوطني للع

«الجوامع» هذه الأعلام
الشامخة شموخ رسالتها.. المتعالية
مآذنها تلثم جبين النور المشع في الارجاء الممتد بين
السماء والأرض يسري منها صوت الحق نورا وهداية يعرج
بالقلوب حيث الطهر والرشاد.. هذه المساجد أو الجوامع
ان كنا ندخلها للتعبد والتقرب فلنقف عند بعضها قليلاً
نتأمل: تاريخها - عمارتها - مرافقها - مجالس علمائها.. ومن
العلماء نلتمس العلم في شتى مناهجه ومعاهده نسلك به
سبل الحياة.. وتأخذ ناخطى العلم الى (المركز الوطني
للعلوم والتكنولوجيا) فهو واحد من ركائز المعرفة
.. يخطط ويبحث ويمول.. من أجل حياة
افضل.. فلا أقل من التعرف عليه..

والى اللقاء - «السائح»



يتسم عصرنا هذا بطابع التقدم العلمي.. وأصبح كل مستحدث تقني وان كان يعد جديدا في ذاته الا انه يعد من الجانب الآخر مقدمة أو قاعدة انطلاق لمستحدث جديد.. وهكذا تطفر الحياة بنا في عصر العلم من جديد الى ما يليه ومن مخترع إلى غيره.

والعلم مسخر للحياة لا شك.. وبهذا المفهوم أصبح لزاماً على كل من يود عطاء أكثر وأجود وأفضل ان يأخذ بأسباب العلوم التقنية الحديثة فيما ينتظر أو يتوقع أن تأتي فيه بجديد يثري ويفيد..

تأسيس المركز:

وانطلاقا من هذا المبدأ في تنمية الحياة في كل جوانبها على سبل علمية في المملكة جاء المرسوم الملكي السامي في ١٣٩٧/١٢/١٨هـ بانشاء وتأسيس هذا المركز (المركز الوطني للعلوم والتقنية).. وكان ان شكلت هيئة عليا أوكل إليها القيام بمهام المركز وتسيير شئونه مكونة من:

- *رئيس مجلس الوزراء.. رئيسا*
- *نائب رئيس مجلس الوزراء.. نائبا للرئيس*
- *وزير الدفاع والطيران والمفتش العام.. عضوا*
- *وزير التعليم العالي.. عضوا*
- *وزير الزراعة والمياه.. عضوا*
- *وزير الصناعة والكهرباء.. عضوا*
- *وزير البترول والثروة المعدنية.. عضوا*
- *وزير التخطيط.. عضوا*
- *وزير المالية والاقتصاد الوطني.. عضوا*
- *رئيس الاستخبارات العامة.. عضوا*
- *رئيس المركز.. عضوا*
- *ثلاثة أعضاء يختارهم رئيس مجلس الوزراء.. عضوا.*

ويرأس المركز ويدير اعماله الدكتور صالح عبد الرحمن العذل.

أهداف المركز:

وضع المركز لأداء عمله اهدافاً عامة فيها الطموح والشمولية يتحرك من خلالها تتلخص في:

● اقتراح السياسة الوطنية لتطوير العلوم والتقنية ووضع الاستراتيجية والخطة اللازمة لتنفيذها .

● تنفيذ برامج بحوث علمية تطبيقية لخدمة التنمية فى المملكة .

● مساعدة القطاع الخاص فى تطوير بحوث المنتجات الزراعية والصناعية .

● دعم برامج البحوث المشتركة بين المملكة والمؤسسات العلمية الدولية .

● تقديم منح دراسية وتدريبية لتنمية الكفايات الضرورية وتقديم منح للافراد والمؤسسات العلمية لأجراء بحوث تطبيقية .

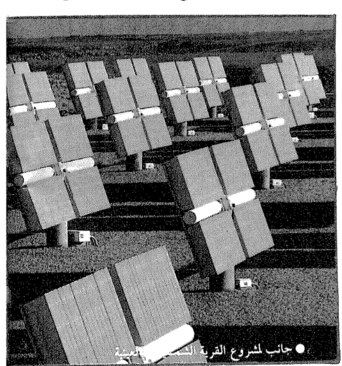
● التنسيق مع الاجهزة الحكومية والمؤسسات العلمية ومراكز البحوث فى المملكة .

ويأتى ضمن هذا السعى العلمى العمل على نقل التقنية حسب وسائلها المتاحة وتطوير قدرات تقنية مطلوبة وتكثيف الوعى التكنولوجى لدى المشتغلين فى هذا المجال من الطلاب وغيرهم . . كما يعلن المركز سنويا عن مسابقة لتقديم المنح التطبيقية التى تسهم فى حل مشكلات التنمية أو نقل التقنية أو تطوير قدرات تقنية مطلوبة ويتم اختيار المشروعات الجديرة بالدعم وفق معايير خاصة كما يهدف المركز الى تطوير وتنمية الكفاءات العلمية الوطنية فيشترط أن يكون الباحث الرئيسى أو المشارك سعوديا . وقد بدأ تنفيذ هذا البرنامج سنة ١٣٩٩ هـ وبلغ مجموع البحوث للسنوات الست الماضية التى تم دعمها ١٧٢ بحثا تطبيقيا فى شتى مجالات العلوم انفق عليها حوالى ٣٠٣ مليون ريال .

وإضافة الى تبنى مركز المعلومات لبرنامج دعم البحوث التطبيقية فانه قد تبنى أيضا عدة مشروعات بحوث وطنية مقدمة اليه من بعض الوزارات والاجهزة المعنية بتنفيذ خطة التنمية بهدف ايجاد حلول علمية لها . . وسوف نستعرض بعد قليل نماذج من هذه المساهمات .

الوسائل المتاحة فى المركز :

والمركز لكى يؤدى هذا الدور المناط به خير أداء وصولاً إلى الغاية المبتغاة والمرجوة منه فقد أسس شبكة متكاملة للمعلومات والخدمات الفنية تهدف الى توفير أحدث واسرع طرق التعرف على مصادر



● جانب لمشروع القرية الشمسية [illegible]

المعلومات وتأمين الوثائق التى يحتاج اليها الباحثون والدارسون وتوصيلها لهم فى أى مكان بالمملكة العربية السعودية . . وتشمل هذه الوسائل المتاحة والخدمات المقدمة للباحث :

■ **الاتصال المباشر بقواعد المعلومات العالمية :**

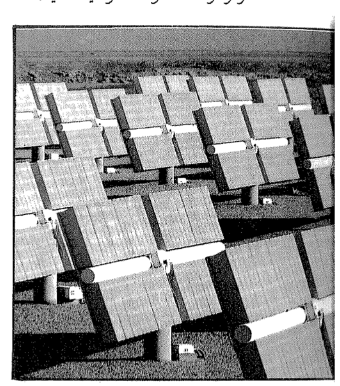
يرتبط المركز بأكثر من ٢٠٠ قاعدة معلومات تحتوى على حوالى مائة مليون مادة مسجلة يمكن

البحث فيها عن المعلومات المطلوبة وتلقى الرد على الفور بطريق الاتصال المباشر بتلك القواعد فى الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية وبريطانيا.

ويقوم المركز ايضا بتزويد الباحثين بنصوص الوثائق والمراجع التى يحتاجون اليها.. ويتم تأمينها لهم اما من داخل المملكة أو خارجها عن طريق المؤسسات المتخصصة فى بيع المعلومات.

■ قواعد المعلومات الوطنية:

انشأ المركز قواعد المعلومات الوطنية التالية:



أ ـ قاعدة معلومات البحوث الجارية.

ب ـ قاعدة معلومات البحوث المدعومة من المركز.

ح ـ قاعدة المعلومات البيبليوغرافية فى مجال العلوم والتقنية.

د ـ قاعدة معلومات القوى البشرية العاملة فى مجالات العلوم والتكنولوجيا.

هـ ـ قاعدة خاصة بالقائمة الموحدة للدوريات فى جامعات المملكة.

و ـ قاعدة معلومات عن ما نشر فى الدوريات العلمية التى تصل المركز.

● تم تطوير نظام لاسترجاع المعلومات باللغتين العربية والانجليزية فى الحاسب الآلى بالمركز مما يساعد فى عملية البحث الحر عن النصوص فى المعلومات المختزنة.

● تم توصيل بعض الجامعات وبعض المؤسسات العلمية داخل المملكة بشبكة الحاسب الآلى لدى المركز ليتسنى لها استخدام قواعد المعلومات المربوطة مع المركز.

■ بنك المصطلحات:

بدأ المركز فى انشاء بنك للمصطلحات العلمية والفنية لخدمة الترجمة البشرية والالية على حد سواء وسيبدأ البنك فى تقديم خدماته للمترجمين والباحثين فور انتهاء مرحلة تخزين المعلومات وسيكون هذا البنك نواة لبرنامج يعد له المركز لتعريب العلوم بالاستعانة بالحاسب الآلى.

■ خدمات المكتبة:

تضم مقتنيات المكتبة ٤٠٤٥ كتابا و٣٦١ دورية و٢٩٠٦٧٨٠ تقريرا مسجلا على الميكروفيش معظمها من مؤسسة المعلومات النووية الدولية اضافة الى حوالى ٢٥٠٠ مجلد عن الطاقة النووية ووثائق اليونسكو عن سياسات العلوم.

● أعدت المكتبة دليلا عن مصادر المعلومات عن الطاقة البديلة.

● تصدر المكتبة نشرة أسبوعية بمحتويات الدوريات.

■ الشبكة الخليجية :

يجرى حاليا انشاء شبكة اتصال بين الحاسبات الآلية للأغراض الأكاديمية والعلمية تربط بين أغلب جامعات المملكة وبعض المؤسسات العلمية كما تضم معهد الكويت للبحث العلمى كنواة لشبكة خليجية تضم المؤسسات الاكاديمية والعلمية فى دول مجلس التعاون.

المشاريع التى نفذها المركز:

كما أسلفنا القول فان المركز الوطنى للعلوم والتكنولوجيا استطاع خلال تلك الفترة تنفيذ أو المشاركة فى تنفيذ بعض المشروعات العلمية ذات الأهمية فى مجالها. . وقد دعم خمسة مشروعات وطنية بدعم مقداره (ثمانية واربعون) مليون ريال. . وهى :

دراسة مرض اللشمانيا :

بناءا على طلب وزارة الصحة لدراسة انتشار مرض اللشمانيا وقد أسند المركز اجراء الدراسة الى جامعة الملك فيصل وكلفت بالتعاون مع كلية الصحة وطب المناطق الحارة بلندن بوضع الأسس الكفيلة بمنع انتشار المرض فى المملكة ومكافحته والقضاء عليه ان امكن ذلك وقام فريق الباحثين باجراء مسح واسع النطاق فى المنطقة الشرقية وهم مركزون جهودهم الآن للقضاء على هذا المرض فى منطقة جيزان وتبين لهم من المسح المبدئى أن اللشمانيا الحشوية هى الأكثر انتشارا كما وجد نوع آخر من اللشمانيا هى اللشمانيا الجلدية.

مشروع سلامة المرور على طرق المملكة :

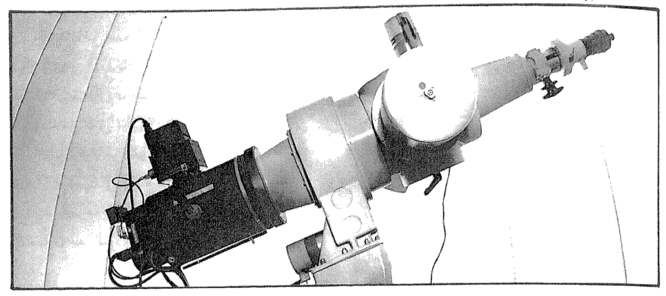
تلبية لطلب شعبة الخبراء لمجلس الوزراء شكل المركز لجنة وطنية لسلامة المرور تضم خبراء من الدوائر المختلفة والجامعات والمستشفيات والوزارات لاجراء دراسة للنواحى المختلفة لسلامة المرور على طرق المملكة. . وشمل تقرير اللجنة اصدار «الدليل السعودى لدراسات المرور» كما أصدرت توصيات من بينها اعداد تصاميم جديدة للوحات ارقام السيارات وعلامات المرور ويجرى حاليا دراسة تلك التوصيات بمعرفة الجهات المختصة.

دراسة الطب الشعبى : بناء على طلب وزارة الصحة يقوم المركز باجراء دراسة لتقويم الطب الشعبى فى المملكة فخصص المركز منحة لهذا البحث الذى تشارك فيه جامعة الملك سعود ووزارة الدفاع والطيران وقام فريق الباحثين بمسح ميدانى شامل بزيارة الاشخاص الممارسين للطب الشعبى وللمرضى الذين يعالجونهم والعطارين لجمع المعلومات عن الطرق والوسائل المتبعة فى علاج الامراض المختلفة ونسبة المرضى الذين تم شفاؤهم كما تم جمع معلومات عن أنواع العقاقير المستعملة وعن مصادرها الاصلية.



● انواع لاسماك محطة تجارب تربية الاسماك

● تلسكوب باحدى القبب الفلكية



٤ ـ دراسة ظاهرة تشقق الاسطح الخرسانية فى الجسور:

بناء على طلب وزارة المواصلات وبالتعاون معها. وذلك لمنع تدهور الجسور فى وقت مبكر وقد منح المركز جامعة البترول والمعادن منحة لاجراء البحث والقيام بالدراسة التفصيلية له. وركز فريق البحث على تأمين اجهزة القياس الميدانى الضرورية للبحث واعداد الاساليب الفنية التى ستستخدم فى اجراء المسح الميدانى لأسطح الجسور كما ركزوا على اجراء الاختبارات على العينات التى جمعوها.

٥ ـ دراسة نبات القات والآثار المترتبة على تعاطيه:

بناء على طلب وزارة الداخلية قام المركز بتقديم منحة لجامعة الملك سعود لاجراء دراسة موسعة لتقويم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية والصحية المترتبة على تعاطى القات مع اعداد توصيات لمكافحة استعماله.

■ **بحوث الطاقة الشمسية:**

الشمس هذه النعمة الكبرى من عند الله سبحانه. . أطلق عليها العلماء والباحثون «أم الطاقة» هذه النعمة مسخرة للحياة والانسان لاستغلالها والافادة من مواردها. .

هذه الشمس تعد المصدر الاول لكل أنواع مصادر الطاقة الأخرى. .

هذه الشمس لها أثرها فى التكوينات الاولى للبترول ومشتقاته الأخرى اذ تتدخل عوامل الحرارة والتفتيت والرسوبيات فى التكوينات الاولى لهذا المصدر الهام. .

الشمس هى العامل الاكبر فى تكوين المعادن وتشكلها ومنها اليورانيوم والراديوم وهما مصدر الانشطار الذرى لتوليد مصدر الطاقة الذرية. . والشمس لها دورها فى حركة المد والجزر. . ولها دور فى حركة الرياح وسرعتها نتيجة الحرارة الممتدة فى الفصول. . وهى التى تمد الارض بحرارتها الجوفية وهى اساسية للنبات.

هذه الشمس التى سخرها الله سبحانه لاداء وظيفتها فى الحياة كان لابد للانسان من الافادة منها. . ومن هنا جاءت البحوث والدراسات حولها وحول الطاقة الشمسية كمصدر دائم للطاقة خاصة وان مصادر الطاقة الاخرى قابلة للنفاد لكثرة الضغط المركز عليها وتعدد استخداماتها.

واستفادة من هذه الطاقة الهائلة فقد افتتح فى محرم ١٤٠٤هـ فى المملكة العربية السعودية اكبر مشروع للطاقة الشمسية وهو مشروع القرية الشمسية الواقع بالقرب من قرى الجبيلة والعينة والهجرة وتقع على بعد خمسين كيلا من مدينة الرياض فى الشمال الغربى منها. . واشترك فى وضع دراسة الجدوى والتصاميم والتنفيذ مجموعة كبيرة من العلماء السعوديين وغيرهم بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية ضمن برنامج التعاون المشترك لأبحاث الطاقة الشمسية المتفق عليه فى عام ١٩٧٧م لتمويل مشاريع التنمية وهذا المشروع يعد باكورة المجلس الوطنى للعلوم والتكنولوجيا. . وبالاضافة الى ذلك فان المحطة تستعمل لاجراء الابحاث فى مجال الطاقة الشمسية ومحاولة الاستفادة من الابحاث باجراء التطبيقات العملية وهى مفتوحة للباحث السعودى من الجامعات والمؤسسات العلمية للاستفادة منها فى النواحى العلمية التطويرية.

ولدى المركز برنامج متكامل لبحوث استخدامات الطاقة الشمسية يهدف الى تطوير تقنية الطاقة الشمسية كمصدر للطاقة المتجددة المتوفرة فى المملكة واستغلالها فى أغراض التنمية ويشمل البرنامج عدة مشروعات منها:

(١) انارة بعض المواقع والانفاق على طرق المملكة ووضع علامات مرورية فى الطرق التى يتعذر معها استخدام الطاقة الكهربائية التقليدية سواء كان ذلك نتيجة للبعد عن مصادر التغذية الكهربائية أو لصعوبة الوصول اليها لوعورة الطريق.

(٢) تجربة الاستفادة من الطاقة الشمسية فى الأغراض الزراعية وذلك فى محاولة للاستفادة من ذلك المصدر بتجريبه على البيوت المحمية الزراعية ليمكن الجمع بين ميزتى الزراعة المحمية واستغلال مصادر الطاقة الشمسية فى ذلك الغرض.

(٣) اجراء تجارب بانشاء محطة تحلية للمياه صغيرة فى ينبع تدار بالطاقة الشمسية وتنتج حوالى ٢٠٠ متر مكعب من الماء المُحلَّى يوميا.

(٤) مختبرات التبريد فى الجامعات السعودية: وتنفذه أربع جامعات هى الملك سعود ـ الملك عبد العزيز ـ البترول والمعادن ـ الملك فيصل وكل جامعة تنفذ ما يخصها فى مجال اجراء التجارب. . والنتائج ولله الحمد تبشر بالخير.

(٥) اعداد اول أطلس بالالوان للاشعاع الشمسى فى المملكة وذلك بالاستعانة بالبيانات اليدوية لقياس الشمس التى قامت بها وزارة الزراعة خلال الفترة ١٣٩١هـ ـ ١٤٠٠هـ وقد استعان المركز بخبراء من المعهد الملكى للارصاد الجوية فى بلجيكا لتحليل تلك البيانات واستكمال اوجه النقص فى تسلسلها التقديرى بالاضافة الى عمل المتوسطات واستخراج المعادلات.

(٦) كما ان هناك عدة برامج لاختبار الثلاجات الشمسية واقامة منزل ريفى يتغذى بالطاقة الشمسية والتجارب مستمرة لاستغلال ذلك المصدر لتواجده بشكل مستمر ونقى فى المملكة ولله الحمد.

■■ مشروع تربية الاسماك:

انشأ المركز محطة تجريبية لتربية الاسماك فى ديراب فى عام ١٤٠١هـ لانتاج اليرقات وتوزيعها على المزارعين والمستثمرين الراغبين فى تربية الاسماك فى مزارعهم الخاصة بغية تسويقها فى نهاية الأمر ويزودهم المركز بجميع الخدمات الفنية التى تتطلبها عملية التربية ويجرى حاليا تربية نوعين من الاسماك

هما: البلطى والشبوط والهدف العام لهذا المشروع هو نشر تربية اسماك المياه العذبة فى المنطقة الوسطى من المملكة لتوفير مصدر اضافى للبروتين فى المناطق البعيدة عن سواحل المملكة.

وهى أول تجربة لتربية الاسماك فى المياه العذبة فى المملكة وقد بدأت فى العام الماضى زراعة يرقات الأسماك فى مياه عيون الأفلاح لدراسة امكانية استغلال المسطحات المائية الداخلية فى تربية الاسماك.

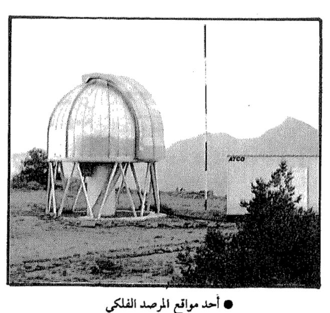
مشروع المرصد الوطنى الفلكى:

يشرف المركز على الدراسات الفنية اللازمة لاقامة مرصد وطنى فلكى للمملكة، وقد أجرى مسح شامل لمناطق المملكة لاختيار موقع مناسب لاقامة المرصد حسب المواصفات العالمية وأسفرت الدراسات المبدئية عن اختيار أربعة مواقع (قرب **حداد بنى مالك جنوب الطائف - قرب الخضراء شمال أبها - قرب الفرعة الجنوبية شمال أبها - الحريق جنوب الرياض)** لكى تجرى عليها الاختبارات اللازمة، وتم ربط المواقع الأربعة بشبكة اتصال لاسلكى وبعد تركيب التلسكوبات وأجهزة الرصد فى المواقع فى أواخر سنة ١٤٠٢هـ بدأت عملية الاختبار والتى تتلخص فى اشتراك المراصد الأربعة فى رصد نجوم معينة فى وقت واحد ليتسنى تحديد خصائص كل موقع وتحديد الفروق الدقيقة بين المواقع. وبعد جمع مقدار كاف من البيانات لأغراض المقارنة بين المواقع الأربعة تقرر اغلاق الموقعين الأول والثانى لعدم صلاحيتهما وتم نقل جميع الأجهزة الى مكتب المشروع فى جدة حيث تجرى حاليا المرحلة الأخيرة من تحليل البيانات واستخلاص النتائج تمهيدا لاختيار الموقع الأنسب لاقامة المرصد الفلكى.

المراصد القمرية:

تنفيذا للتوجيه السامى الكريم بأن يشارك المركز الوطنى فى تحديد أوائل الشهور العربية قام المركز باختيار ثلاثة مواقع لبناء محطات خاصة برصد الأهلة فى كل من (حائل وحالة عمار والوجه) وقد تم بالفعل اعداد الموقع الأول بتركيب محطة الرصد التى استخدمت فى رصد هلال شهر رمضان الماضى ١٤٠٥هـ.

وعند ثبوت نجاح هذه المحطة تتجه النية الى اقامة محطات مماثلة فى بقية المواقع المختارة وبعض المواقع الاخرى ومنها منطقة مكة المكرمة والمنطقة الشرقية والقصيم.



● أحد مواقع المرصد الفلكى

التعاون الدولى:

يقوم المركز باجراء عديد من البحوث العلمية بالتعاون مع بعض مراكز البحوث العالمية، كما يرتبط باتفاقيات للتعاون الفنى مع عدد من الدول الصديقة والمؤسسات العلمية الأجنبية، **ومن أبرز** مشروعات التعاون الدولى:

● *التعاون الفنى مع المؤسسة الوطنية للعلوم بالولايات المتحدة الامريكية.*

● *التعاون مع وزارة الطاقة فى الولايات المتحدة*

الأمريكية فى مجال الطاقة الشمسية (برنامج سوليراس).

● *التعـاون مع المعهـد العـالى الكـورى للعلوم والتكنولوجيا فى مشروع تطوير مواد البناء باستخدام خامات محلية. ومشروع آخر لانتاج علف للماشية من مخلفات الدواجن وسعف النخيل.*

● *دراسة مرض اللشمانيا فى المنطقة الشرقية بالمملكة بالتعاون مع كلية طب المناطق الحارة فى لندن.*

● *التعـاون مع المـانيا الاتحادية فى مشروع لدراسة زحف الـرمال فى مشروع آخر لاعداد أطلس نباتى. للمملكة. وفى مجال الطاقة الشمسية هناك مشروع مشترك لتطوير محطة للطاقة الشمسية مجهزة بمجمع شمسى حرارى قطره ١٧م ومشروع آخر لاستخدام الطاقة الشمسية فى انتاج الهيدروجين.*

وفى مجال المعلومـات بتعـاون المـركز مع مؤسسة سيمنس ومؤسســة كليت الألمـانيتـين لتغـذية البنك الآلى السعودى للمصطلحات بالمصطلحات العلمية والفنية فى مجالات التقنية المختلفة.

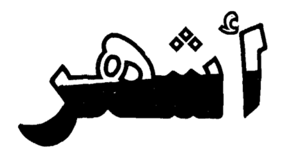
● التعـاون مع مجلس البحوث فى كندا فى مشروع المرصد الفلكى.

● التعـاون مع جمهـورية الصين الوطنية فى بحوث تربية الاسماك.

مدينة الملك عبد العزيز العلمية:

من الأغـراض المنصـوص عليها فى نظام المركز انشـاء مدينة علمية تسمى مدينة الملك عبد العزيز العلميـة تتولى استقطاب الكفاءات العالية المتميزة للقيـام بتنفيذ البرامج العلمية واعداد البحوث التى يوكـل الى المدينة القيام بها وتشمل هذه المدينة كل متطلبـات البحث العلمى كالمختـبرات ووسـائـل الاتصالات ومصادر المعلومات كما تشمل جميع المرافق اللازمة للعاملين فى المدينة.

ويجرى حاليا اقامة منشآت هذه المدينة العلمية فى الموقع الجديد للمركز على مساحة ١٫٤٠٠٫٠٠٠ متر مربـع على طريق المفـرزات جنـوب جامعـة الملك سعود. ويقسم طريق المفرزات هذا الموقع الى جزئين سيتم ربطهما بنفق وجسر للسيارات وآخر للمشاه، وقد خصص من الموقع لمشروع اسكان المركز فى حين سيضم الجـزء الجنـوبى مبنى مجمـع ادارات المـركز والخدمات الاساسية وقاعة العلوم والمختبرات الاتية:



الجامع الأموى

هو أقدم جامع بنى فى الموصل شيده (عُتبة بن فرقـد السلمى) سنة ١٧هـ بعد فتحه للموصل ولما تولى (مروان بن محمد) الموصل هدم الجامع ووسعه وبنى فيه مقصورة ومنارة وبنى الى جنبه مطابخ يطبخ بها للفقراء فى شهر رمضان وصار يعرف بـ (الجامع الأموى).

● وفى سنـة ١٦٧هـ أمـر الخليفـة (المهدى) عامله (موسى بن مصعب بن عمير) أن يضيف الى الجامع الأسواق التى كانت تحيط به فهدمها (مصعب) مع المطابخ وأضافها الى الجامع ووسعه.

وفى القرن الخامس الهجرى كانت حالة الجامع غير مرضية وذلك على عهد الولاة السلاجقة فتداعى بنيانه وترك الناس الصلاة فيه الا يوم الجمعة.

١ ـ معهد أبحاث الطاقة .
٢ ـ معهد أبحاث البتروكيماويات .
٣ ـ معهد أبحاث الاراضى القاحلة .
٤ ـ معهد الابحاث الصناعية .
٥ ـ معهد ابحاث الموارد الطبيعية والبيئة .
٦ ـ المرصد الوطنى .
٧ ـ مختبر الآلات العلمية .
٨ ـ محطة استقبال وتحليل الصور الفضائية .

وهذه فى مجملها نماذج لما قام به المركز الوطنى للعلوم والتكنولوجيا وما يقوم به من مشاريع مستقبلية تهدف جميعها الى التنمية الحضارية فى المملكة العربية السعودية .



الجوامع فى الموصل

عبد الجبار محمود السامرائي
«العراق»

● وفى اواسط القرن السادس الهجرى اهتم الأتابكة بعمارة الموصل وتجديد كافة مرافقها فجددوا عمارة الجامع الأموى سنة ٥٤٣هـ وذلك على يد (سيف الدين غازى الاول بن عماد الدين زنكى) وكانوا يسمونه الجامع العتيق تمييزاً له عن الجامع الجديد ـ (الجامع النورى) واتخذوا فى وسط فنائه نافورة من رخام جميلة ـ لا أثر لها فى الوقت الحاضر.

● والجامع الأموى فى الوقت الحاضر جامع صغير تقام به صلاة الجمعة وقد اتخذ قسم كبير من فنائه مقابر عامة وتسمى مقبرة الصحراء بمقبرة الجامع العتيق.

اما آثار الجامع الأموى فلم تصلنا من آثاره سوى المحراب الذى بناه الأتابكيون وهو الذى كان قد نقله الشيخ (محمد النورى) الى الجامع النورى وقد أعيد فى مصلى الجامع النورى بعد تجديده . وهو من أجمل محاريب الموصل مزخرف بزخارف نباتية متشابكة ومتناظرة صنعه سنة ٥٤٣ (صنقر البغدادى) . كما وصلتنا بقايا المنارة الآجرية التى تعرف اليوم بـ(منارة الكوازين) التى تبعد عن الجامع نحواً من (١٥٠) متراً وهى بداخل الجامع وتعرف بمنارة جامع الكوازين وبالمنارة المكسورة .

● والمنارة من بناء الاتابكيين أيضا وتشبه منائر الجوامع التى بنيت فى ذلك العصر. ولم يبق منها سوى جزء خال من النقش والزخرفة ويبلغ ارتفاعه عشرة امتار وقد عرى ظاهره بفعل تقادم الزمن مما كان يكسوه من زخارف وجُرِّد من كثير من محاسنه .

وفى سنة ١٦٧هـ (٧٨٣م) أمر الخليفة العباسى (المهدى) بتجديد وتوسيع الجامع الأموى ثم جدد أيضا فى ايام الاتابكيين فى عام ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م.

وفى عام ١٣٤٤هـ ١٩٢٥م جددت عمارتـه مديرية الأوقاف العامة وما يزال على هذه الحال.

الجامع النورى

اسم هذا الجامع مشتق من اسم بانيه (نور الدين بن محمـود بن عماد الدين زنكى) فى عام ٥٦٦هـ/ ١١٧٢م ويسمى هذا الجـامـع أيضا بالجامع الكبير ويقوم وسط المدينة وقد كان بنيانه قد تداعى فهدمته مديرية الاوقاف العامة. . وكان آخر تجديد له فى سنة ١٩٤٤م.

● وابرز ما يرى من دوره الأول منارته الشامخة المائلة المعروفة بـ (الحدباء) التى يبلغ ارتفاعها نيفاً وخمسين متراً وهى مزينة بزخارف آجرية جميلة ولها طريقان: احـدهما من الأرض، والثانى من القسم المنشورى (الكرسى) والطريقان لا يلتقيان داخل المنارة وكلاهما يؤدى الى اعلاها وتقوم منارة (الحدباء) على قاعدة مربعة يبلغ ارتفاعها نحو (٥٫٨٠) م مشيدة بالجص والحجارة تعلوها اسطوانة المنارة المائلة نحو الشرق.

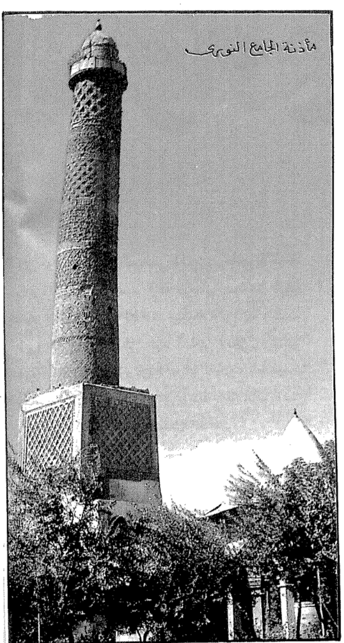
ويوجد فى مصلى الجامع أساطين الجامع الأصلية المنحـوتـة من الحجـر. ويمتـاز محراب هذا الجـامع بزخـارفـه النبـاتية والهندسية المتشابكة والتى تشكل قطعة فنية رائعة تحيط بها كتابات كوفية جميلة.

الجامع المجاهدى

وهو المعروف اليوم بـ (جامع الخضر) أو (الجامع الأحمر) على نهر دجلة فى الربض الأسفل من الموصل بناه (ابو منصور قايماز الرومى) الملقب (مجاهد الدين) سنة ٥٧٢هـ/ ١١٧٦م وبنى الى جانبه مدرسة ودار حديث ورباطاً ومكتباً للأيتام ومستشفى وتربة له ومد أمامه جسراً يصل بين ساحلى النهر.

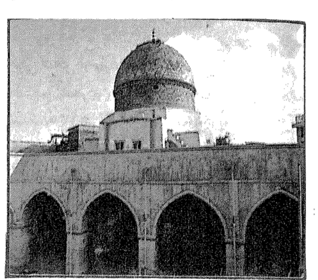
انتهى من عمارته سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م وزينه بزخارف جبسية وآجرية متنوعة وقد اعجب به (ابن جبير) الذى زار الموصل سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م فقال عنه:

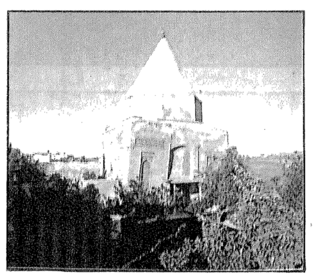
«مـا أرى وضـع جامـع أحفـل منه بناء يقصر الوصف عنه وعن تزيينه وترتيبه. . وكل ذلك نقش فى الآجر ويحيط به شبابيك حديد تتصل بها مساطب تشـرف على نهر دجلة لا مقعـد أشـرف منهـا ولا أحسن». . وكـانت قبتـه مزينـة بزخـارف جبسيـة وكتابات بخطوط مختلفة.


مأذنة الجامع النورى

أما قبة الجامع فمبنية بالآجر. أما باطن القبة فكان مزيناً بكتابات وزخارف مختلفة وكلها بالجبس فكان مكتوباً حولها آيات من القرآن الكريم بعضها بالخط الكوفى وبعضها بالخط النسخى ومما يؤسف له أن الترميمات الحديثة المتتالية التى أجريت على القبة طمست معالم ما كان فيها من كتابات وزخارف والقبة لم تزل باقية الى اليوم وهى بحالة حسنة.

واجمل مافى الجامع المجاهدى محرابه الكبير الذى هو أكبر محراب اتابكى وصلنا من القرن السادس


جامع النعمانية


مزار يحيى ابو القاسم بني سنة ٦٣٧هـ

الهجرى. ففى اعلاه زخارف جبسية فريدة فى بابها. . وهى تتألف من زخارف نباتية يتخللها صور حيوانات كالأسد والغزال وطيور أليفة كالبط والحمام متداخلة مع غيرها من الزخارف بصورة متناظرة بحيث تكون الصور متممة للزخارف النباتية ويصعب على الناظر تمييز ما فيها لأول مرة فقد أبدع الفنان فى إخراجها وان جميع الصور والزخارف ناتئة وهى بحالة مرضية.

جامع النبي يونس

وهو من أقدم الجوامع فى الموصل يقع فوق (تل توبة) فى (نينوى) وقد جدد فى فترات متباينة ووسعه (جلال الدين الختنى) واتخذه جامعاً له.

وفى هذا الجامع محاريب جميلة من الرخام كما ان قبة الحضرة فيه من أجمل القباب المزينة بزخارف جبسية جميلة.

ويعتبر هذا الجامع من الاماكن التى كان يجتمع بها أهل الموصل للصلاة والزيارة ولا يزالون وكان الناس يخرجون الى نينوى فى ليالى الجمع والأعياد يزورون مشهد النبى يونس وينشدون التراتيل والتواشيح الدينية وكان بعضهم يقضى ليله فى الرباط المجاور له وبعد أن يؤدوا صلاة الجمعة يعودون الى الموصل. وشاهد ذلك الرحالة (ابن جبير) وخرج معهم الى (نينوى) ليلة الجمعة - السادس عشر لصفر سنة ٥٨٠هـ وبات فى الرباط المذكور وتظهر بعين يونس - العين المباركة. وشرب من مائها ثم صلى فى المسجد المتصل بها.

وكان سكان الموصل يخرجون فى فصلى الربيع والخريف - على الأخص - ويقيمون حلقات الذكر فى جامع النبى يونس بعد صلاة العشاء ويبيتون فى الغرف التى تحيط بفناء الجامع ثم يعودون الى الموصل بعد ظهر يوم الجمعة - بعد أن يؤدوا الصلاة

فيه .

جامع جرجيس

وهو من المساجد القديمة والمهمة فى الموصل يقع قرب (سوق الشعارين) وفيه مشهد داخل غرفة هو مشهد جرجيس ولا نعلم متى بنى هذا المشهد أول مرة وقد عثر على بعض النصوص تذكر اسم مسجد النبى فى الموصل فلا ندرى هل أريد به هذا أم غيره .

وذكره (ابن جبير) قائلاً : (فيها مشهد جرجيس وقد بنى فيه مسجد وقبره فى زاوية من أحد بيوت المسجد عن يمين الداخل اليه وهذا المسجد هو بين الجامع الجديد وباب الجسر . . يجده المار الى الجامع من باب الجسر عن يساره فتبركنا بزيارة هذا القبر المقدس والوقوف عنده نفعنا الله بذلك) .

ويقال ان فى هذا الجامع قبر (الحر بن يوسف) والى البصرة أيام الأمويين .

وفى القرن الثامن للهجرة جدد (تيمور لنك) عمارته وأضاف اليه مما يجاوره واتخذه جامعاً كبيراً .

وفى سنة ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م اضاف اليه (الحاج حسين باشا الجليلى) جناحاً للشافعية وجدد بعض أقسامه .

وفى الجامع باب من الخشب من أجمل الأبواب القديمة ويمتاز بدقة زخارفه . وفى هذا الجامع أيضا كتابات جميلة مختلفة بعضها قديم والبعض الآخر فى حدود القرن الثانى عشر الهجرى/ الثامن عشر للميلاد .

جامع العمرية

يقع فى محلة باب العراق بناه الحاج قاسم بن على العمرى سنة ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م على أنقاض مسجد كان العمريون قد بنوه وهو جامع واسع وجدد فى فترات متباينة وفى سنة ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م، هدم الجامع وأعيد بناؤه كما اعيدت اليه بعض الألواح المزينة بكتابات وزخارف جميلة ولم تزل المنارة القديمة باقية فيه .

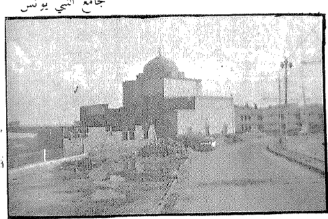
جامع الجويجي

يقع على شارع الفاروق وفى محلة باب العراق وهو من جوامع الموصل القديمة جدد عمارته الحاج ابو بكر بن ابراهيم الجويجى سنة ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م .

وفى الجامع محراب نفيس من المرمر مزين بزخارف على شكل أزهار بارزة وكتابات كوفية وهو من القرن السابع الهجرى وجددت بلدية الموصل عمارة الجامع سنة ١٣٥٨هـ لأن قسماً منه دخل فى شارع الفاروق عند فتحه .



جامع النبي يونس



الجامع المجاهدى

الجوامع مراكز الدعوة الاسلامية كانت ولا زالت موضع اهتمام القائمين عليها..

جامع السلطان أويس

يقع في محلة باب المسجد في حي ثقيف كانت أرضه مقبرة واسعة بها تكية للطريقة الويسية وفيها مدفن لنقباء الموصل ولم تزل القبة باقية ونقل منها محراب مطعم بالمرمر الى دار الآثار العربية ببغداد.

وفي سنة ١٠٩٥هـ/ ١٦٨٣م بنى الحاج جمعة الحديثي جامعاً واسعاً زين أبوابه ومحاريبه بزخارف وكتابات مختلفة وكذا داخل القبة مزين بزخارف جبسية تنتهي بدائرة في أعلى القبة مزينة بزخارف دقيقة.. وهو من الجوامع المهمة في مدينة الموصل.

جامع الباشا

بناه (محمد أمين باشا بن الحاج [illegible] الجليلي) سنة ١١٦٩هـ/ ١٧٥٥م وهو من الجوامع الكبيرة في الموصل وبني به مدرسة لتدريس العلوم المختلفة وأوقف له أوقافاً كثيرة وفي سنة ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م انشأ فيه (سليمان باشا بن محمد أمين باشا) خزانة كُتب، تحوي مخطوطات ثمينة لم تزل فيها.

جامع النبي شيت

كان مشهداً صغيراً ثم اتخذ مسجداً الى جانبه وفي سنة ١٢٣١هـ/ ١٨٠٥م أنشأه (أحمد باشا بن سليمان باشا الجليلي) جامعاً كبيراً واعتنى ببنائه وأوقف له اوقافاً كثيرة كما أنشأ فيه مدرسة فيها خزانة كُتب تحوي مخطوطات كثيرة متنوعة، وأنشأ به ست غرف للطلاب الذين يدرسون في المدرسة وأوقف لهم ما يكفيهم. وفي الجامع منارة جميلة من الرخام المعروف بالحلان وهي في شرق الجامع.

مسجد قضيب البان

يقع على بعد نحو (٥٠٠) متر من باب سنجار خارج سور الموصل مسجد ينسب الى (قضيب البان) وهو أبو عبد الله الحسين بن عيسى بن يحيى بن على الموصلي الذي ولد سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م في الموصل.

وفي المسجد غرفة فيها قبر قضيب البان، وتاريخ عمارة المسجد والغرفة سنة ١١٢٣هـ/ ١٧١١م وقد جددت عمارته حديثاً.

---

(١) سعيد الديوة جي: الموصل في العهد الاتابكي - مطبعة شفيق - بغداد ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

(٢) سعيد الديوة جي: الموصل أم الربيعين مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٦٥م.

(٣) سوادي عبد محمد الرويشدي: امارة الموصل في عهد بدر الدين لؤلؤ.. [illegible] بغداد ١٩٧١م

(٤) كورك[illegible]: مدينة الموصل - مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٥٩م.

(٥) اللجنة العليا لمهرجان الربيع الثاني عشر في الموصل: دليل الموصل لعام ١٩٨٠- مطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر. الموصل ١٩٨٠م.

(٦) رشيد الجميلي: دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي. دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٧٠م.





شخصية فذه وشاعر فحل ورائد من رواد البلاغة فى العصر الحديث ذلكم هو: (محمد بن عبد الله بن عثيمين) أشهر شعراء الجزيرة العربية فى العصر الحديث.

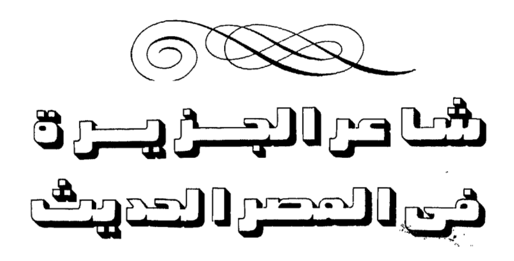
ولد ابن عثيمين عام ١٢٧٠ هجرية فى قرية السلمية من قرى الخرج من صميم نجد موطن أمه وخؤولته وكانت حوطة بنى تميم بلد آبائه وعمومته ومات والده وهو فى المهد صبياً ولم يترك له شيئاً فتعهدته أمه حتى أجاد القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم.

وهكذا نشأ ابن عثيمين نشأة العصاميين الذين ينبتون فى مواطن اليتم والبؤس فتعوضهم رعاية الله ما فقدوا من عطف وحنان وأبوة.

وسمع الشاعر بالشيخ عبد الله بن محمد الخرجى عالم القرية وقاضيها ورأى الناس يهرعون إلى مجلسه يدعوهم الى الله ويفقههم فى الدين فهداه التوفيق إلى الاتصال به والأخذ عنه.

ولما نما إدراكه واكتملت رجولته حبب إليه أن يعيش فى الحوطة بين قومه وعشيرته ولكنه ظل قوى الصلة بشيخه يزوره وينتفع بفضله وقويت لدى الشيخ الخرجى دواعى الرحلة عن نجد فرافقه تلميذه ابن عثيمين فى تجواله على شواطىء الخليج العربى وتنقلا بين إماراته حتى نزلا فى كنف الشيخ قاسم بن ثانى حاكم قطر وهناك تكشفت للشيخ قاسم مواهب الشاعر ودينه وفضله فأقبل عليه وأحله محلاً كريماً مما شجعه على الإقامة لديه أربع سنوات خفت عليه فيها أعباء الحياة وزال عنه كثير من همومها فقد اختلط بأفراد الأسرة وداخلهم مداخلة قوية تقوم على الإعجاب بروحه وأدبه، فنمت هناك شاعريته وأخصب خياله وتفتحت مواهبه ثم أقبل على الأدب وحفظ كثيرا من روائعه وتدرج من الشعر الشعبى إلى الشعر الفصيح ومازال يعالجه حتى سبق كافة معاصريه من شعراء الجزيرة العربية.

وعاد الشاعر بعد تلك الفترة إلى وطنه نجد ولكنه دأب على الرحلة التى ألفها وجنى منها الخير مادياً وأدبياً وتوالت أسفاره على شواطىء الخليج العربى متنقلا بين قطر وعمان والبحرين فكثر أصدقاؤه والمعجبون به فى تلك الأقطار وتوثقت عرى المحبة بينه وبين آل خليفة حكام البحرين خاصة فكانوا له كآل ثانى حباً وكرماً ورداءاً فى



شاعر الجزيرة في العصر الحديث



الملمات ولما نزلت بالشاعر فى تجارته (اللؤلؤ والأحجار الكريمة) ضائقة مالية وركبه دَيْنٌ فادح وجد فى صديقه الأديب الشيخ محمد بن عيسى آل خليفه ما أقاله من عثرته، وكشف من ظلامته وجازاه الشاعر بمدائح جليلة قال فى إحداها:

فما نظرتْ عينى ولا مرّ مسمعى
بحلٍ ولا حيث استقلّ رحيلُ
كمثل بنى عيسى حفاظاً ونائلا
إذا عمّ أقطار البلاد محولُ

■ وها أنت ذا ترى انه قد ذهب ما أعطوه وبقى ما أعطاهم.

صفات الشاعر وأخلاقه

كان ابن عثيمين ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير أسمر اللون حاد البصر مكتمل الصحة وكان وقوراً حسن السمت دائب الجد وقد يتندر ولكن مع قلة يصطفيها من الصحاب وكان إلى ذلك سخى الكف كثير البر شجاعا وفياً لأصدقائه ويؤيد ذلك أنه لما وقعت حروب بين أصدقائه آل ثانى وبين خصومهم اشترك فى القتال فلما كانت موقعة (خنور) قتل حامل الراية من جيش آل ثانى وكادت الهزيمة أن تلحق بهم لولا أن الشاعر نهض إلى الراية فحملها وأخذ يتقدم ويعدو بها حتى التحم الجيشان وأخذ يشق الصفوف ويهتف بالجند وقد أثار بذلك حماس صحبه فكان النصر حليفهم.

ثقافة الشاعر

وقد جد الشاعر فى التحصيل والدرس رغم كد العيش وعنت الأيام وقد حاول أن يكون له سبق فى الشريعة وعلومها لذا رأيناه فى باكورة حياته ينقطع إلى الشيخ الخرجى بالسلميّة يأخذ عنه ولما انشغل بتجارة اللؤلؤ على ساحل الخليج العربى جعل للعلم طرفى

النهار فإن كان بعمان كان استاذه الشيخ أحمد الرجبانى . وإن كان بقطر تتلمذ على العلامة الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع فإن رجع إلى نجد رأيته بالأفلاج فى دروس الشيخ (سعد بن حمد بن عتيق) وبالرياض مع أئمة الدعوة السلفية من آل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ولكنه - على هذا الجد وعلى طموحه إلى المشيخة فى العلوم الشرعية - غلب عليه الأدب وعُرف به دون سواه وقد حفظ مقامات الحريرى كما حفظ وقرأ كثيرا من شعر الأقدمين من شعراء الجاهلية والاسلام والمخضرمين والأمويين والعباسيين.

صلة الشاعر بآل سعود

فتح الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - الأحساء سنة ١٣٣١هـ والشاعر إذ ذاك يتنقل بين الامارات العربية على الخليج كما قدمنا وقد ازدهاه هذا النصر كمسلم تعنيه عزة دينه وكمواطن يتمنى لبلاده القوة والمنعة وأثلج صدره هذا النصر المبين فأنطق لسانه وقام مسرعاً بتقديم تهنئة للملك عبد العزيز وتسجيل ذلك الفتح العظيم بقصيدة رائعة يقول فى مطلعها :

العزُّ والمجدُ فى الهندية القُضُبِ
لا فى الرسائل والتنميقِ للخطبِ
تقضى المواضى فيمضى حكمها أمماً
إن خالجَ الشكُّ رأىَ الحاذق الأرِبِ
وليس يبنى العلا إلا نَدِيٌّ ووغى
هما المعارج للأسْنَى من الرُّتَبِ
ومُشْمَعِلٌ أخو عزم يشيّعُهُ
قلبٌ صروم إذا ما همّ لم يهب
لله طلاب أوتار أعدّ لها
سيرا حثيثا بعزم غير موتشب
عبد العزيز الذى ذلّتْ لسطوته
شُوسُ الجبابر من عُجْم ومن عَرَبِ
ذاك الامام الذى كادتْ عزائمه
تسمو به فوق هام النسر والقطب
وقبلكم جن نجد واستطير به
فهاذه بنفار البِيْضِ واليلب
شوارد قيدتها صدق عزمته
فظلن يرفسن بعد الوَخْدِ والخَبَبِ
ملك يؤود الرواسى حمل همته
لو كان يمكن أرقته إلى الشهب
ويركب الخطب لا يدرى نواجذه
تفتر من ظفر فى ذاك أو شجب

وتعد هذه معارضة لقصيدة أبى تمام فى مدح المعتصم العباسى وتهنئته بفتح عمورية وهى القصيدة المشهورة التى مطلعها :

السيفُ أصدقُ إنباء من الكتب
فى حده الحدُّ بين الجد واللعب

وكان شاعرنا موفقا فى هذه المعارضة كل التوفيق فالمناسبة قوية بين الفتحين : فتح عمورية كان انقاذا للمسلمين من تنكيل الروم وكذلك كان فتح الأحساء إنقاذا للمسلمين من تنكيل المحتلين والمستعمرين وهذه هى اول قصيدة قالها الشاعر فى مدح الملك عبد العزيز آل سعود ومنذ ذلك التاريخ سطع نجم شاعرنا الهمام ابن عثيمين فى سماء الأدب وسجل فى قصائده انتصارات الملك، عبد العزيز وبطولاته المظفرة ووقائعه الفاصلة وفتوحاته الكبرى وعرف الملك عبد العزيز - غفر الله له - للشاعر فضله وقدر أدبه فأضفى عليه ثوب النعمة.

خاتمة حياة الشاعر

وفى أخريات عمر الشاعر الطويل انصرف عن الشعر إلى العبادة بعد أن بلغ خمسة وثمانين عاما ووافاه القدر المحتوم فى اليوم الثامن من شهر ذى الحجة سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م وله من العمر ثلاثة وتسعون عاما وهو بكامل قواه ودافق حيويته رحمه الله.

شعره ومنزلته بين الشعراء

يمتاز شعر ابن عثيمين بالسهولة والعذوبة

ووضـوح المعنى وجـزالـة الـتركيب ويظهر فيه كلفه باحتذاء الأقدمين فى بعض قصائدهم المشهورة وإذا قيس شعره بزمنه وبيئته التى عاش فيها وبعصره الذى ساده التأخر والجهل حق لنا أن نعده من قادة النهضة الأدبيـة الحـديثـة ورائدها فى الجزيرة العربية . ومن يستوعب ديوان ابن عثيمين (العقد الثمين) من شعر محمـد ابن عثيمين الدى قام بتحقيقه وجمعه وترتيبه وشـرح مفـرداته اللغوية ـ والدى الشيخ سعد عبد العزيز الرويشد حيث بذل جهدا كبيرا فى البحث عن قصائد الشاعر فى قطر والبحرين ولدى بعض العلماء والأدبـاء فى الـريـاض وحوطة بنى تميم والخرج وفى مكتبة معالى الشيخ محمد سرور الصبان ـ رحمه الله ـ بمكـة المكـرمة وقد طبع هذا الديوان القيم (العقد الثمـين) الطبعـة الأولى على نفقة الشيخ عبد الله السليمان الحمدان رحمه الله بدار المعارف بمصر عام (١٣٧٥هـ) والطبعة الثانية بأمر حاكم قطر السابق أحمـد على آل ثانى والثـالثة والجديدة على حساب الشيخ عبد العزيز العبد الله السليمان الحمدان وإخوانه .

أغراض شعره

ويغلب على ابن عثيمين فى شعره ثلاثة أغراض وهى المدح والتهنئة والرثاء وهى تكاد تنبع من معين واحد أما المدح فقد تفوق فيه ونظم روائعه فحاكى غيره من الشعراء غير أنه اختار لمدحه ثلاث أسر عربية ماجـدة هى آل سعـود وآل خليفـة وآل ثانى حيث أختصهم بمدحه فقدروه قدره وربأ بنفسه أن يمدح من هو دون الملوك والأمراء ولم يكن فى مدحه يقصد عطاء ولا مالا ولم يكن من المتكسبين بشعره فقد كان تاجراً يعيش بكفاحه وكده وكان يشكر لهؤلاء الملوك عنايتهم به وحدبهم عليه .

واستأثـر بأكثر مدائحه الملك عبد العزيز عندما توالت فتـوحـاته للعواصم الكبرى من مملكته . فهو شاعره السياسى أما الرثاء فمبعثه الوفاء لمن أحسن إليـه من العظـماء والعلماء فهـو ينزع فيه من عاطفه صادقة إسلامية نبيلة وروح سامية وفى هذا الغرض نجد له بعض أمثلة من الحكمة ولم يتصرف شاعرنا فى بقية الأغراض الشعرية الأخرى فقد ترك الهجاء لعفة لسانه وسمو خلقه وحرصه على محبة الناس ومسالمتهم وترك الغزل لأنه إنما يحسن من ذوى الطبيعة المرحة فلا يليق بمن كان مثله فى توقره وسمته على أنه جارى السابقين وحاكاهم بالتشبيب فى أول قصائده ويكاد لا يترك ذاك إلا نادرا .

وقد جمع ديوان الشاعر كل ما أمكن جمعه من شعره إلا هذه الأبيات الخمسة التى وجدتها مخطوطة بيد الشاعر فى مكتبة الشيخ ابراهيم بن عبد الله الشايقى ضمن جواب خطاب قد بعثه الشاعر وهو بحوطة بنى تميم إلى الإمام عبد الرحمن بن فيصل آل سعود. والد الملك عبد العزيز ـ رحمهم الله جميعا ـ وهو بالرياض وذلك بتاريخ الرابع من رجب عام ١٣٤٦هـ. وكان الامام عبد الرحمن قد بعث إلى الشاعر ـ رسالة ومعها (عباءة) له وكان الشايقى يعمل مديرا لمكتب الامام عبد الرحمن وكذلك قصيدة فى الملك سعـود ـ رحمـه الله ـ يهنئه الشاعر بولاية العهد ومقطوعة شعرية فى الشيخ محمد بن مانع أستاذ الشاعر رحمه الله .

كسـوتـنـى حُلةً تبلَى محاسنُـهـا ... فسوف أكسوك من حسن الثنا حُللا

أنت ابن من زانت الـدنيا مكـارمهم ... وأصبحـوا مجدهم بين الـورى مثـلا

بكـم هدى الله ماضيـنـا وآخـرنـا ... فأنـتـم رحـمـة نلنـا بها الأمـلا

يحصى الحصى قبل أن تحصى فضائلكم ... دنـيـا ودينـا وإحسـانـا ومنتحـلا

فالله يكـسـوكـمـو نعـما ويجعـلكـم ... ملوكـنـا ما بدا نجـم ومـا أفـلا

وأسجل هنا للحقيقة والتاريخ أن شاعرنا الكبير محمد بن عثيمين قد نقل الشعر العربى فى مجتمعه فى الجزيرة العـربيـة من مرحلة التقليد والصناعة اللفظية إلى عهد جديد من الأصـالة والبلاغة الشعرية وسمو المعنى وقوة النسج وتحليق الخيال.



امير

ولد ابن قزمــان عام ٤٨٠هـ فى حى من احيـاء قرطبة التى ظلت تحتفظ حتى عصـره ـ رغم الاحداث التى هزتها ـ ببعض عظمتها وتفوقها فى المجال الفنى والصناعى والادبى . . وفى قرطبة قضى ابن قزمان صباه يشهد تحلل المجتمع الاندلسى وانهياره فالمرابطون من جهة والقشتاليون من جهة اخرى قد استولوا على الحكم ولم يبق للارستقراطية الاندلسية بعد ان خرج الامر من يدها إلا ان تسخط احيانا وتثور أخرى وقد حاول المستشرق الاسبانى غرسيا غومس رسم صورة لعصر ابن قزمان فقال (انه عاش فى فترة حاسمة لقد انقضى عهد ملوك الطوائف والنصارى يضغطون وقد جعل الـبربـر من الاسلام فى اسبانيا اقليما افريقيا) وكان مجتمـع الانـدلس لحظـة تحلله وانهيـاره يبحث عن شاعره . وكان شعراء القصيدة الكلاسيكية الفصيحة والموشحات قد جمدوا عن محاولاتهم الدائبة فى محاكاة شعراء المشرق وكان الزجالون منهمكين ايضا فى تقليد شعــراء الفصحى وفى الخلط المضحـك بين اللغـة الملحونة والمعربة ولم يكن هناك شاعر يستطيع ان يعبر عن تجربة المجتمع الاندلسى الخصب وهو ينهار غير شاعر عاش حياة وثقافة هذا المجتمع ، لم يكن هناك غير ابن قزمان المتشرد الضائع عاشق الاناقة الى حد الافراط والمنغمس فى دروب وازقة قرطبة حتى الاعماق .

وقـد عُمّـر ابن قزمـان طويلا حتى ادرك عصر الموحدين فى شظف من العيش والمجاهدة فى السعى وراء لقمـة الخبـز ويبـدو انه لم يرث شيئا عن آبائه واجداده ، فالبيت الذى شهد تعاسته وأواه ردحا من الزمن كان قد اكتراه .

وكــان كريت دويــرة من انســان
بربــاعـى سكـنـت فيـهــا زمــان

وكـان منـذ صباه والمال احد همومه الرئيسية لقد اشتغل كاتبا للوثائق ومهرجا ووشاحا ولكن رغم هذه المهارات ظل ضائعا عاطلا مثل مشط الاقرع كما قال :

ليس عار عنــدك يا قطب المــاثـر
ان تكـون وشـاح وزجـال وشـاعر



الزجل في الأندلس

واديـب كاتـب وعـنـدى نوادر
ونكـون ضايـع بحـال مشط اقرع

اما ثقافته فمن المرجح أنه سلك فى دراسته مسلك اهل عصره فقد تثقف ثقافة ادبية ودينية . . ويقول الاستاذ احمد امين الذى دعاه بشاعر الشعب (ان ابن قزمان تثقف ثقافة ادبية فهو يذكر اسماء كثير من الشعراء وهو يذكرنا بزجالى مصر امثال النجار والقوصى) ويذهب غرسيا غومس الى ان ابن قزمان كان مطلعا على شعر المتنبى وابى تمام وذى الرمة وجميل بثينة «وانه كان يعرف الفلسفة والفقه والبلاغة» فلا شك انه قد اطلع على عيون الشعر العربى ومصادر الادب وانه كان يواكب النشاط الادبى . . ومما يدل على اطلاعه اقتباسه من القرآن الكريم والحديث الشريف والامثال . . والى جانب ثقافته المتنوعة كان صاحب موهبة فذة يبز بها فطاحل الشعراء يقول:

والله انى مطبوع وانى رشيق
كل سحر نعمل فى كل طريق
عندى الغوامض والمعنى الرقيق
ومقاطع احلى من شعر الحسن

مات ابن قزمان فى قرطبة المدينة التى شهدت افراحه واتراحه وسعادته وتعاسته مات فى التاسع والعشرين من شهر رمضان عام ٥٥٥هـ الموافق للثانى من اكتوبر سنة ١١٦٠م اثناء حصار محمد بن سعيد بن مردنيش لقرطبة . وتظهر عبقرية ابن قزمان اكثر ما تظهر فى ازجاله التى اعتبرها ريبيرا (المفتاح العجيب التى تكشف لنا عن سر تكوين القوالب التى صبت فيها الطرز الشعرية التى ظهرت فى العالم المتحضر اثناء العصر الوسيط) .

الزجل *كان امتدادا طبيعيا للموشحات التى ازدهرت فى الاندلس يقول ابن خلدون (لما شاع فن التوشيح فى اهل الاندلس . . واخذ به الجمهور لسلاسته وتنميق كلامه وتصريح اجزائه نسجت العامة من اهل الامصار على منواله ونظموا فى طريقتهم بلغتهم الحضرية من غير ان يلتزموا فيه اعرابا واستحدثوا فنا سموه بالزجل . . واول من ابدع فى هذه الطريقة ابو بكر ابن قزمان وان كان قيلت قبله بالاندلس لكن لم يظهر حلاها ولا انسكبت معانيها واشتهرت رشاقتها الا فى زمانه . . وهو امام الزجالين على الاطلاق .*

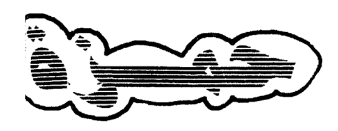
وابن قزمان نفسه لم يستبد به الغرور فينسب الى نفسه الفضل فى اختراع هذا الفن بل نجده يعترف بكل تواضع بمجهود من سبقه من الزجالين وخاصة اخطل بن نمارة فيقول: (ولم أر أسلس طبعا واخصب ربعا احق بالرئاسة فى ذلك والامارة من الشيخ اخطل بن نمارة.. ورغم هذا الاعجاب الذى ابداه بابن نمارة فقد اخذ عنه بعض التعابير وعابها ويظهر ان ابن قزمان لم يأخذ الامور كما وجدها بل وقف عند انتاج من سبقه فدرسه دراسة شاملة ويشير فى مقدمة ديوانه انه وجد نوعين من الزجل:

اولهما: شعبى خالص جاف يستعمل الزجالون فيه اللغة الدارجة وعجمية اهل الاندلس.

ثانيهما: مصقول مهذب مصطنع متكلف يستعمل الناس فيه حركات الاعراب.. ويقول ريبيرا «ان ابن قزمان درس ازجال جميع من تقدموه ثم شق لنفسه طريقا جمع بين الفريقين المذكورين.. ولا شك ان الزجل قد شهد تطورا كبيرا على يد ابن قزمان حتى قيل ان الزجل يبدأ بابن نمارة وينتهى بابن قزمان وقد طبقت شهرته الافاق قال ابن خلدون: قال ابن سعيد (ورأيت ازجاله مروية ببغداد اكثر مما رأيتها بحواضر المغرب) ويظهر ان ابن خلدون كان معجبا بهذا الزجال ويتجلى ذلك فى نقله للشهادات التى قيلت فيه وهذه المرة على لسان زجال مقتدر وهو ابو الحسن ابن جحدر قال: (ما وقع لاحد من ائمة هذا الشان مثل ما وقع لابن قزمان شيخ الصناعة).

وقد انتقل ابن قزمان بالزجل الى مراتب عليا الشيء الذى جعله يتميز بشكل واضح عن باقى الزجالين يقول غرسيا غومس: (ان اول ما يميز ابن قزمان عن معاصريه الطريقة التى تبناها لنظم الزجل.. اللغة التى كان يستعملها.. عدم الاهتمام بالاعراب. واستعماله القوافى المتنوعة) وابن قزمان نفسه اشار الى المجهود الذى كان يبذله لتنقيح ازجاله قبل اذاعتها (ولما اتسع فى طريق الزجل باعى وانقادت لغريبه طباعى وصارت الائمة فيه حولى واتباعى وحصلت منه على مقدار لم يحصله معى زجال.. سهلته حتى لان ملمسه وراق خشينه)..

وقد افتخر ابن قزمان بازجاله التى ذاعت وانتشرت



عندما سألنى صديقى ان اكتب فى مواضيع أروق اليها وأتأمل فيها فى أى عصر من عصور الثقافة العربية فى افريقيا خطر فى ذهنى شعراء السودان.. فإنى ـ منذ زمن بعيد ـ قد بدأت أجمعها واحققها لأن فيها مادة من الشعر قوية وثرة وفيها الصراع بين حقيقة الاشياء وذاتية النفس وقلقها وهذه الأشعار لغتها العربية الفصيحة.. تبلورت فى مناخ صالح غذاه العرب الذين دخلوا قبل مئات السنوات الى سهول افريقيا وغاباتها واختلطوا ما اختلطوا وأقامو ممالك تمتد من غرب افريقيا الى شرقها.

حصرت الكتابة عن الشعراء فى الفترة من الثلاثينات الى الخمسينات وذلك لأن الخطوط الرئيسية فى هذه المجموعة من الشعراء واضحة فإن ما كان خفياً صار ظاهراً وثقافاتهم ارتكزت على العطاء الاسلامى العربى اضافة الى ما اكتسبوه من الثقافات الجديدة وكتبوا شعراً جديداً.

افتخارا يذكرنا الى حد بعيد بافتخار المتنبى فى قوله : (انا الطائر المحكى والاخر الصدى) قال ابن قزمان :

الزجل زجلى وغير ريح

وشعوره بالتفوق فى هذا الفن جعله يتهم المعاصرين له بالسرقة منه قال :

قد سرق كلامى حديث وقديم
سلط الله على من ذا عظيم
كل احد يسرق قسيم فى قسيم

كان ابن قزمان صاحب مدرسة زجلية لها اتباعها ومريدوها وجمهورها ويكفى ان نذكر من بين تلاميذه ابا عبد الله احمد بن الحاج المعروف بمدغليس .



الدكتور
محمد عبد الحي
جامعة الخرطوم

حمزة الملك طمبل قبس متوهج فى عباءة الشعر السودانى جمع قصائده التى نظمها كما يقول فى الفترة ما بين ١٩١٦ الى ١٩٣٠ وطبعها فى ديوان اسمه : **(الطبيعة)** عام ١٩٣١ ولديه كتاب آخر فى النقد عام ١٩٢٧ اسمه **(الادب السودانى وما يجب ان يكون عليه)** .

فى شعره الجديد كتب شعراً عربياً فصيحاً اتجه بعضه الى الطبيعة وجمالها فقد رأى الهضاب فى السودان واستمع الى وقع المطر الغزير فى بقاع كردفان وشاهد شمسها المتألقة وتأمل فى شجرة بائسة . .

وتذكر الاشخاص الذين عرفوه والجدة التى جلس معها فى قرية **(دنقلا)** وانبهر بالنهر والجبل الرهيب . رأى كل هذه الاشياء المنظورة فاختزنها فى عقله وفى ذهنه فكتب قصائد تنبثق من صور الحس ويرتفع بها الى الصور التجريدية متأملا معانى الحياة ومفكراً فى معانى النفس والسماء . . ان «طرق السماء» كما يقول (كثيرة واهمها التفكر) .

والتفكر من لُبِّ الشعر وجوهره والشعر الجديد فى الثلاثينات ـ كصورة معارضة للشعر القديم ـ يهمس ولا يخطب ويبنى الصور المبهمة الخاصة بالشاعر ولا يقولها وسط جماهير محتشدة ويبلور اللغة الشعرية فى ذهنه حميمة بالاشياء التى يراها والعقل الذى احتشد بها . . انه ينظر فى عمق الاشياء فى مجاهل الشعر كأنه ينظر فى الماء حين ينعكس فيه السماء . . انه دائم البحث والتعمق . . ان قصائد الشعر الجديد كما يقول : «فيها من الروعة والجلال وسمو الخيال ما

يشعـرك بالبـون الشاسع بين لونين من الشعر وهى وغيرها مما للشعراء المجددين تبشر بانبثاق فجر عهد جديـد. . ذلـك العهد الجديد نرجو ان نكون بين رجاله وسنكون إن شاء الله».

وفى شعره مرحلتان متباينتان: فى المرحلة الاولى يكتب بالشعـر القـديم وفى المـرحلة الثـانية بالشعر الجديد. فقد ابتدأ فى قصائده الاولى سنة ١٩١٦ - كما قال فى مقدمة ديوانه - وتسرب الى المرحلة الثانية وانتهت عام ١٩٣٠ ورغم قلة الشعـر فإن فيه شيئا جديدا ونضرب مثلاً بمرحلة الشعر القديم:

أيســلو فؤادى أو اكـتـم
وتجـمُـدُ عيـنـى ولا تسـجـمُ
وسـيـف لحاظـك اشـهـرتـه
فاغـمـده قلبـى المغـرم
وعـلـمـتـنـى كيف ان الهـوى
له مُهَـجُ الـنـاس تستـسـلم
وغـور جمالـك فى خاطـرى
وفى مهـجـتـى نار تضـرم
ملكـت فؤادى ولـى منطـق
به اعـلن الحـق ما اعـلم.

فى هذه الأبيات الاساليب القديمة المستعملة: فالفؤاد قد يسلو وقد يكتم والعين قد تجمد وقد تبكى ولحاظك هى كالسيف المشهور وهكذا.

اما فى المرحلة الثانية - مرحلة الشعر الجديد فقد كان واضحاً انه قد فكر وتأمل فى الشعر وسافر الى بقاع (السودان) المختلفة ممتلئا قلبه فيها بالطبيعة. . وتأمل ما تأمل من أصناف البشر.

يقول فى (شيخوخة شجرة):

ذهب الشبـابُ فاطـرقتِ اطـراق شيخٍ يائس
قد ودَّع الـدنـيـا ومـا فيـهـا بوجـه عابس
ليست كسـابق عهـدهـا تزهـو بفـرع مائس
ومـواكـب للطـير مثـل مواكـب لعـرائس

ان الشجـرة البـائسـة كانت فى شبـابهـا شجـرة مخضرة. . رطبة الفرع مائسة ومواكب الطير فيها كأنها «مـواكب لعرائس» شعر رمزى يكمن فى «الشجرة» صورة «المرأة» إن صورة «النخلة» أو «الشجرة» ملىء بها شعر القدامى - مثلا:

ألا أنعمْ صبـاحـا أيهـا الـرَّبـعُ وانطق
وحـدِّثْ حديثَ الـركب ان شئت واصدُقِ
وحـدث بأن زالـتْ بليـلٍ حمولُهُـمْ
كنـخـل من الأعـراض غير منبَّـقِ

منسـوبـة الى امـرىء القيس ويقـول الشـارح المحقق مصطفى سقـا «ان الحمـول جمع حمل هو الهـودج كان فيها نساء او لم تكن. والاعراض جمع عرض (بـالكسـر) وهـو كل واد فيه شجر والمنبقات المزهى وقيـل هو النخل الذى قد فسد ثمره وسار كالنبق فى صغره». ويقول: «شبه حمولهم فى علوها وحسن الوانها بنخل الاودية القوى الذى لم يفسد ثمره وقد مر كثير من مثل هذا التشبيه».

امتد نفسه فى الشعر الجديد الى رؤى شعرية جديـدة. . قد يكـون استعـار صورة المـرأة بعدما أصابتها الشيخوخه وقد يكون انه وحده الذى اصاب «شجـرة الشعـر» فبعـدما كان فيها عالمٌ بهىٌّ مزدهر اخضر لينٌ مُحمَّل بالتمر الناضج صار شجرة بائسة لا ماء فيها ولا ثمر:

فالمـاء لا ينـدى لها عوداً به كالقـامسِ
والشمس منعشة النبات غدت لها كالدامسِ
وتكسرت عن جزعها رأس العجوز البائس
فاذا هززت به رمت بعقـارب وخنافس
ولقد تروعك فى الظلام كمارد متقاعس

او هيكل نصبوه من عظم بوسط بسابس

ونعرف ان الشاعر حمزة الملك طمبل لم ينشر شعراً بعد ديوانه (الطبيعة) سنة ١٩٣١ فربما توقف عن كتابة الشعر بعد ذلك.

وفى قصيدة (جبل على الشاطىء) بالقرية القديمة (دنقلا) يقول:

قائمٌ فوق شاطىء النهر
ذاهلٌ عن حوادث الدهر
ملاقياً ليلَهُ بلا ذعرِ
ملاقياً صبحَهُ بلا بِشْرِ

ويكمن فى قصيدته ابيات ابى اسحق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجة الاندلسى (ت٥٣٣هـ) فعندما سار «وحيداً» تهاداه الفيافى فاجتلى وجوه المنايا فى قناع الغياهب رأى فى غبش الفجر جبلا رهيبا:

وأرعنَ طمّاح الذؤابة باذخٍ
يُطاول أعنانَ السماء بغاربِ

وقد تأثر بذلك بيت حمزة طمبل:

واتصلتْ بالسماء قمتُهُ
ودونها عزَّ مطلبُ الطيرِ



● ويقولُ ابْن خفاجه:

يلوثُ عليه الغَيْمُ سُودَ عمائمٍ
لها مِن وميضِ البرقِ حُمْرُ ذوائب

● ويقول طمبل:

ككتلة من دجى اذا اعتكر الليل
وكالعهن فى ضياء البدر

فى بيت ابن خفاجة: الجبل تلفه الغيوم السود الى ان يضيىء البرق فيصير احمر وبيت طمبل قريب جدا من بيت ابن خفاجة انه يقول:

ان الجبل لا ترى مساربه اذا اعتكر الليل بل يراه كالعهن فى ضياء البدر.

● ويقول ابن خفاجة:

اصغتُ إليه وهو اخرسُ صامتٌ
فحدثنى ليل السُّرى بالعجائب

● ويقول طمبل:

ومطرق ان تراه تحسبه
يهم بالنطق وهو من صخر

ورغم ان قصيدة ابن خفاجة شعر جيد فيه بعض الابهام. إن «الليل» و«الجبل» يقفان ويسدان العالم من وجهه وهو يهرب فى «الفيافى» فهما رمزان واضحان من نكبة الدهر ومشكلات الحوادث. اما قصيدة حمزة الملك طمبل فهى رمز له إبهام وصعوبة. ان تسعة ابيات محكمات فحسب قد كتب فيها رؤية نفسية واضحة وعميقة. فقد يكون «الجبل» رمزا «للروح الخالدة» فى اجوائها العليا وقد يكون غير ذلك. ان الابهام المشرق يسعى لقراءة القارىء اكثر من مرة.

ان التراث الشعرى قد تحول الى صورة جديدة فى الشعر الجديد فالصور فى شعر حمزة الملك طمبل قد تكمن فى التراث القديم إلا انها مختلفة تماماً.. فالشعر قد تحول تحولاً عميقاً من الشعر القديم إلى الشعر الجديد كما ذكرنا انفا.. صحيح إن فى بعض اشعاره بعض الاغلاط النحوية والعروضية مع بعض التشبيهات المبتذلة ولكن الشعر عنده متألق جديد وأصيل.. لم يكن ابداً من شعراء الواقعية الجديدة فلم يكن ابدا ينظم الشعر الواقعى المادى بل كان

يكتب الشعر من مألوف الحياة لكى يرتفع به الى الشعر غير المألوف أو الشعر التجريدى إنه يمثل - مع اختلاف الصنعة - طرائق ابن الرومى .

وقد قرأ الشاعر توفيق صالح جبريل ديوان (الطبيعة) وشغف به شغفاً شديداً والشاعر توفيق شاعر متمكن فى لغته وفى شعره لقد رأى ببصيرته وهو يقرأ ديوان (الطبيعة) ان فيه شيئاً متالقاً ومدهشا انه يقول :

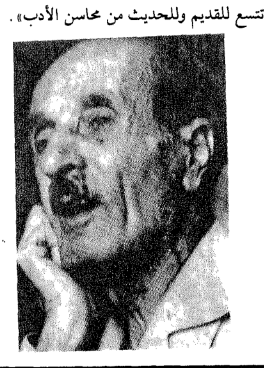
يا شاعر الآفاق كيف جلوتها
فدنتْ يطلُّ جمالها المرموقُ
أبدتْ مباهجها «الطبيعة» عندما
ناجيتها وتسابق التنسيق
فبكل لفظ صغته اشراقة
ولكل معنى من لدنك شروق
رقتْ معانيك النبيلة من علٍ
فسمت وزاد صفاءها التضييق
كدرٌ أذل نفوسنا فأزل لنا
منها الرواسب إنك الراووق
لا تبرح المحراب يرسل ضوءه
طهراً وتسمو أنفسٌ وتروق

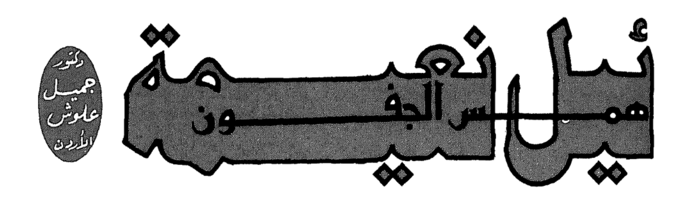
لقد اهتم طمبل بالموضوع عن الاشياء التى يقوم عليها الشعر وما ارتفع شعره الجيد منه بمجرد «وصف الاشياء» انها بادراك الاشياء والحضور الواعى العالم فى لغة الشعر وإيمانه العميق رغم الصراع بين المحسوس وما فوق المحسوس فى شعره . ان الشعر باب مضىء يقود الى الله إذا ما صفت فيه النفس الشاعرة وفى ذلك يقول طمبل مؤكدا رأيه : «ان للادب مجالا عرضه السموات والارض خليق به الذين يتفكرون فى خلق السموات والارض» وأصل موصل آخر الى المولى سبحانه وتعالى .





ميخائيل نعيمة أديب متعدد الجوانب فله جهود واسعة فى الأدب والنقد والشعر والقصة . قال أنيس المقدسى فى الحديث عنه : «وهو فى الطليعة بين ادباء العصر أدب رفيع يجمع فيه بين عمق التفكير وروعة التعبير والتصوير وقد شمل أدبه المقالة والقصة والشعر والنقد . فأغنى المكتبة العربية نتاج قلمه» . وقال **جورج صيدح فى وصف أدبه : طابع أدبه الاقتصاد فى اللفظ والسخاء فى المعنى على مرونة فى الاداء تتسع للقديم وللحديث من محاسن الأدب»** .





ويقول ناشر ديوانه: إن ميخائل نعيمة مدرسة انسانية فريدة ومذهب مضيىء من انبل مذاهب الفكر الانسانى».

ويطول بنا الحديث لو رحنا نستشهد بما قاله فلان وفلان من النقاد والمؤرخين فى ميخائيل نعيمة وأدبه فالمقصود بهذه الجولات السريعة فى دواوين الشعراء أن تكون صورة صادقة عن رأينا فى الديوان وموقفنا منه. أما حياة ميخائيل نعيمة وأسفاره وثقافته وتجاربه فى الحياة فكل ذلك خارج عن نطاق هذه العجالة التى أردنا بها أن تدور حول ديوانه «همس الجفون» هذا الديوان الذى كانت قراءتى الأولى له قبل ما يربو على ثلاثين عاما فقد كنت أنئذ أقرأ وأتذوق ولكنى لم اكن أملك القدرة على النقد والتقويم.

وميخائيل نعيمة شخصية قوية بارزة الملامح واضحة السمات فقد قدّم نفسه نقيضا لشوقى وبديلا عنه. وشوقى كما نعلم يمثل الاتجاه الكلاسيكى المحافظ فقد هاجم نعيمة أمير الشعراء بمقالات لاذعة نجدها فى كتابه «الغربال» وبخاصة ما دار منها حول «الدرة الشوقية» وهى القصيدة البائية التى نظمها عند عودته من الأندلس. واتفق مع العقاد على معاداته ومعاداة اتجاهه الذى اتهمه الاثنان بالتقليد والمحافظة والاهتمام باللفظ دون المعنى والانهماك بشعر المناسبات والولع بالمديح الممقوت فى مذهبهما إلى غير ذلك مما كالاه له من تهم فيها كثير من التجنى على شوقى والاجحاف بحقه.

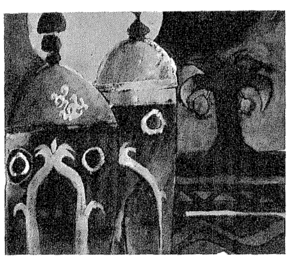
وعلى الرغم من اتفاق نعيمة مع العقاد على مهاجمة شوقى فهو يختلف معه فى أشياء كثيرة فلقد كان العقاد اكثر حرصا منه على العناية باللغة وصحة التركيب وفصاحة العبارة وقد ظهر هذا الخلاف فى المقدمة التى كتبها العقاد لكتاب «الغربال» وإن زعم العقاد أنه خلاف لا قيمة له. وكان العقاد اكثر اهتماما بالأدب العربى وتاريخه والتاريخ العربى والفلسفة الاسلامية كما كان أقل منه ولوعا بالروحانيات والغيبيات والشطحات الصوفية والايغال فى الرمزية.

وعلى الرغم من أن ميخائيل نعيمة كان محسوباً على الأدب المهجرى فقد كان يملك شخصية متميزة عن كل شعراء المهجر إنه يختلف عن جبران فى ميله إلى الاتكاء على الفكر والمنطق إلى حدٍّ ما فهو اكثر واقعية منه على الرغم من سبحاته الخيالية وشطحاته الصوفية واذا قسناه الى شاعر آخر هو (إيليا ابو ماضى) بدا الاختلاف بينهما كبيرا فأبو ماضى اكثر تمسكا بتقاليد القصيدة العربية وأشد اتصالا بالتراث العربى وأصفى ديباجة وأوضح فكراً من ميخائيل نعيمة.

وهكذا يبدو ميخائيل نعيمة شخصية متميزة لا تشبه أحداً من الشعراء وأنا هنا انما اتحدث عن الشعر فقط وقد كان من الممكن أن يلتقى مع العقاد فى مجال الابداع الشعرى كما التقيا فى حمل هموم الشعب والحماسة لمحاربة القديم ورفع راية التجديد ولكنهما اختلفا فشرَّق هذا وغرَّب ذاك.

وكان اختلافهما ناجماً عن تناقض شخصيتيهما وتباين ثقافتيهما. ففى مجال الشخصية كان العقاد يتسم بالكبرياء والعناد والغضب فى حين اتسم ميخائيل نعيمة بالوداعة واللطف والانطوائية. أما فى مجال الثقافة فقد تأثر العقاد بما كان يقرأ من الثقافة السكسونية فى حين تأثر نعيمة بالثقافة الروسية والانكليزية والأمريكية علاوة على أنه تأثر بمجتمعات أخرى فقد عاش شطرا من حياته فى روسيا وانتقل الى امريكا وقضى مدة خدمته العسكرية فى فرنسا. أما العقاد فلم يبرح مصر إلا الى اقطار العالم العربى ولفترات قصيرة ليس لها قيمة فى حياته ولا شك أن التأثر بالبيئة والحياة أشد عملا فى الشاعرية من التأثر بالثقافة فقط.

وتبدو شخصية ميخائيل نعيمة القوية الطاغية أظهر ما تكون فى ديوانه «**همس الجفون**» ففى الحقبة التى طبع فيها للمرة الأولى وأظن أنها فى أوائل الثلاثينات لم تكن العادة قد جرت بعد بأن يسمى الشعراء دواوينهم على هذا النسق ولا من هذا الطراز فلا شك أن تسمية الشاعر لديوانه فيها كثير من التفرد والخصوصية وهى تؤذن بأن ثمة تفرداً وخصوصية فى نمط الشعر الذى سيتضمنه هذا الديوان.



وقد استخلص الدكتور محمد مندور من ديوان «همس الجفون» وغيره من الشعر المهجرى رأياً زعم فيه أنه وضع يده على نوع من الشعر أطلق عليه اسم «**شعر الهمس**». وتحدث عن هذا النوع من الشعر بكثير من الدعاية والترويج وقد قال الشاعر جورج صيدح معقباً على هذا الموضوع: أصدر ديوان همس الجفون وقد أحسن اختيار كلمة الهمس لشعره فى رأى الدكتور مندور لأن شعره يقع فى النفس موقع الاسرار التى يتهامس بها الناس، يؤنس النفس ويشعرها بالواجب الوطنى همساً دون خطابة ولا تشدّق ويضيف صيدح قائلاً: **وكلمة الهمس فى رأى الدكتور ايضا هى احساس اكثر مما هى معنى احساس بالأدب المصنوع من الحياة كقطعة منها.**

وإني أرى أن قضية الهمس من أساسها خاطئة وغير صادقة فقد أخطأ الشاعر حين وصف ديوانه بهمس الجفون فلا علاقة كما سنبين فيما بعد بين همس الجفون وما فى الديوان من شعر وأخطأ مندور بتوسيع هذا المصطلح وتعميمه على طائفة كبيرة من الشعر المهجرى فليس هناك شعر مهموس ولا شعر غير مهموس.

وكأن الدكتور مندور أراد أن يفرق بين نوعين من الشعر هما الشعر التقريرى والشعر التعبيرى أو الايحائى وإذا كان هذا هو المقصود حقا فليس الأمر مقصورا على الشعر المهجرى فكل شعر قابل لأن يكون تقريريا أو تعبيريا ولا يخلو الشعر المهجرى من كثير من الشعر الخطابى أما موافقة الشاعر صيدح على رأى مندور فى شعر نعيمة فهو ضرب من التسرع أو التهاون فى معالجة الأشياء وتتبع الآراء.

ونحن نؤكد أن شعر نعيمة ليس همساً بل هو ضرب بالطبل يخرق الآذان ويفتق الأذهان وحسبنا مثالا على ذلك قصيدة «أخى» المشهورة ونورد منها هذا المقطع:

أخى إن ضجَّ بعد الحرب غربيٌّ بأعماله
وقدَّس ذكر من ماتوا وعظَّم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانوا
بل اركع صامتا مثلى بقلب خاشع دامى
لنبكى حظ موتانا

فكل عناصر هذه القصيدة من نغم وصياغة والفاظ ومعان لا تعدو أن تكون قعقعة وضجيجاً وكأننا فى معركة. ومعظم قصائد ديوان «همس الجفون» على هذا النمط فأين الهمس الذى يزعمه الشاعر ويتحدث عنه الدكتور مندور.

ونعيمة ينوِّع فى أوزانه فهو يختار الأوزان المتحركة المتوثبة ويستعين بالألفاظ المجلجلة التى تشبه الصراخ والتمرد ونلمس هذا الصراخ والتمرد فى قوله:

ايهِ نفسى أنت لحن فىّ قد رنَّ صداه
وقعتك يد فنان خفى لا أراه
أنت ريح ونسيم أنت موج أنت بحر
أنت برق انت رعد انت ليل أنت فجر
انت جزء من إله

فهذا ضرب من الطفر فى النغم والفكرة والصورة وليس فى هذا كله اى همس فهو يدل على نوع من الاضطراب والاهتزاز فى عواطف الشاعر وأفكاره وقد يظن بعضهم أن الاهتزاز سمة من سمات الشاعرية وهذا خطأ فالاهتزاز غير النداوة والطلاوة والظلال والطلال وتلك المسحة الشفافة من الغموض الريّان المفعم بالايماء والايحاء.

ولا أدل على هذا الاضطراب والاهتزاز من قوله:

واذا بسكينتى ارتجفت
وقوافل أفكارى وقفت
اذ مزق ستر الليل صدى
عرفته الاذن وما عرفت
دِنْ، دِنْ، دِنْ

وميخائيل نعيمة مغرم جدا باستخدام المطابقات والمقابلات استخداما وفيرا عجيباً وأنا أعلم أن الطباق والمقابلة قلما يخلو منهما شعر بل قلما يخلو منهما كلام.. ولكن شاعرنا يستخدمهما بسخاء قد يدل على موقف مهتز من الحياة ففى الديوان قصيدة عنوانها «يابحر» لا يخلو فيها بيت من طباق أو مقابلة ومنها:

هل فى سكونك أمن
وفى هياجك ذعرُ
أم فى امتدادك يسر
وفى انقباضك عسر
وفى انخفاضك ذل
وفى ارتفاعك فخر
وفى سكونك حزن
وفى هديرك بشر
يا بحر يا بحر قل لى
هل فيك خير وشر

والقصيدة كلها تسير على هذا النمط الغريب من الموازنات الحادة بين أشياء ومواقف متناقضة متعارضة لا شك أنها تشى بشيء من الاهتزاز والاضطراب فى الرؤية بالاضافة الى تقصير فى اجراء هذه المطابقات والمقابلات على الوجه الأدق والأكمل من حيث ان بعض هذه الألفاظ التى يفترض فيها أن تكون متضادة تفتقد مثل هذا التضاد الحقيقى فى اللغة فليس الفخر نقيض الذل ولا البشر نقيض الحزن فالذل نقيضه العز والحزن نقيضه الفرح ويبدو من ذلك كله أن نعيمة لم يكن موفقا توفيقا تاما فى هذه المطابقات والمقابلات التى جعلها فى الشعر دأبه وديدنه.

وميخائيل نعيمة يعتمد فى شعره على الفكرة وهو يستخدم وسائل كثيرة لجعل هذه الفكرة موحية مؤثرة عن طريق النغم والصورة غير أن شعره يبقى شعر فكرة فهو يهبط أحيانا إلى مستوى النثر العادى وإن كان شعره يتضمن من الحيوية اكثر من شعر العقاد وربما ارتكب نعيمة مخالفات فى الوزن والاسلوب ويبدو أنه لقى من نقاد اللغة فى ذلك عنتا كثيرا فكتب مقاله المثبت فى الغربال والذى عنوانه «ضفادع الأدب».

وما دمنا بصدد الحديث عن ديوان «همس الجفون» فلابد من القول إن الموازنة بين نعيمة وشوقى هى موازنة ظالمة لشوقى فنعيمة لم ينظم الشعر إلا مدة قصيرة فى حياته تمتد ما بين سنة ١٩١٧ و١٩٢٨م ونظم علاوة على ذلك قصائد بالانكليزية خلال سنتين من ذلك التاريخ اى حتى سنة ١٩٣٠م غير أنه عدل عن قول الشعر بعد ذلك إلى موضوعات كثيرة أتقنها وأبدع فيها ولكنه اذا قورن بشوقى يبدو ضئيلا ضحلا فشوقى عالم واسع من الموهبة الدفاقة والشاعرية الغزيرة وميخائيل نعيمة يعلم - مهما حاول أن ينكر - أنه قاصر عن بلوغ مرتبة شوقى فى الشعر ولن يفيده تصنيف رفائيل نخلة اليسوعى له بأنه من شعراء الطبقة الأولى وأن شوقى من شعراء الطبقة الثالثة فهذا قول له علاقة بحسابات أخرى كثيرة غير حسابات الشاعرية والابداع.

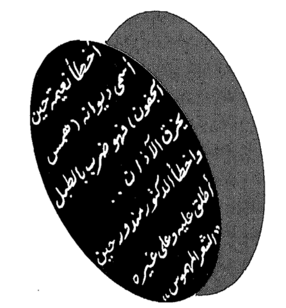
فلا شك أن بعض النقاد يدخلون فى عملية الموازنة عوامل غير فنية كالدين والاقليمية واذا ادخلت هذه العوامل فى عملية الموازنة بين الشعراء اصبح كل شيء جائزا وواردا.

ونحن لا نشك أن ميخائيل نعيمة شاعر والقليل من الشعر المثبت فى ديوان «**همس الجفون**» يدل على موهبة لا بأس بها وعلى شخصية مستقلة واضحة كما أسلفنا غير أن أقل ما يقال فيه أنه لم يخلص للشعر العربى فهو يفكر أولاً ثم يكتب الشعر ثانيا وقد ينظم بالروسية والانكليزية وقد يترجم شعره من لغة الى لغة كما فعل بقصيدة «**النهر المتجمد**» التى نظمها بالروسية فى أثناء إقامته فى بولتافا ثم ترجمها إلى العربية فى نيويورك كما يذكر الاستاذ جورج صيدح فى كتابه «**ادبنا وأدباؤنا فى المهاجر الأميركية**» وهذا الشاعر الذى ينظم بلغة ثم يترجم الى لغة أخرى يفقد من قيمته

الفكرية والتعبيرية الكثير الكثير.

ومما يؤخذ على نعيمة أنه لم يول الفكرة القومية أو الوطنية اى اعتبار فقد استعاض عن ذلك بمذاهب فلسفية ونظرات دينية يتغشاها الشك وتحيط بها الشبهات منها القول بوحدة الوجود والتقمص وتناسخ الأرواح فأخذ يتلمس الصلات والروابط التى تشدنا بدودة الثرى والنسور والغربان والوردة الحمراء قال فى ذلك:

لعمرك يا أختاه ما فى حياتنا
مراتب قدر أو تفاوت أثمان
مظاهرها فى الكون تبدو لناظر
كثيرة اشكال عديدة ألوان
وأقنومها باق من البدء واحدا
تجلّت بشهب أم تجلّت بديدانِ
وما ناشد أسرارها وهو كشفها
سوى مشترٍ بالماء حرقة عطشان



وقد دعا بناء على ذلك إلى طرح الشعارات القومية والوطنية والاستعاضة عنها بمذهب المحبة التى قد يكون لها قيمة حقا لو كنا نعيش فى عالم ملائكة لا فى عالم ذئاب وأفاعى.

وعلى الرغم من أن نعيمة كان فى أوائل الذين جهروا بأهمية الوحدة العضوية فى القصيدة نجد فى شعره كثيرا من التخلخل الذى يتجلى اكثر ما يتجلى فى ما يعتور شعره من تكرار ذلك التكرار الذى ليس له مكان فى عالم الشعر ولننعم النظر فى هذا المقطع:

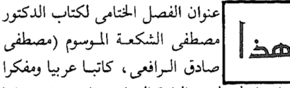
فى ثغاء الشاء فى زأر الأسود
فى نعيق البوم فى نوح الحمام
فى خرير الماء فى قصف الرعود
فى هدير البحر فى زحف الغمام

ويستمر الشاعر فى هذه العبارات القصيرة بلا نهاية اذ تصبح القصيدة عنده طائفة من العبارات المكررة التى لا يستطيع الشاعر أن يصنع لحمة بين احداها والأخرى بحيث يصبح من الممكن الاستغناء عن كثير منها دون أن نحس بنقص فى وحدة القصيدة أو تشويه فى بنائها. وقد أشار ارسطو الى هذه الظاهرة. فقال: إن عدم مراعاة الروابط والتكرار يعد معيباً فى الاسلوب الكتابى فى حين أن الاسلوب الخطابى يصلح بالتكرار وتقطيع الروابط بين الجمل. فالعبارات فى الاسلوب الخطابى تتكرر وغيبة الروابط فى هذا الاسلوب تشعر أن الانسان يتحدث كثيرا عن موضع فى لحظة واحدة فهل نستطيع بعد ذلك أن نوافق مندورا على أن هذا كله شعر مهموس أم أن ما نواجهه هو شاعر خطابى يقصر عن اسلوب الخطابيين الذين كان نعيمة يسخر منهم.

وصفوة القول ان ميخائيل نعيمة عجز كما عجز العقاد أيضا عن أن يجعل من نفسه بديلا من شوقى وأن يلغى وجوده وأن يصد عنه الانظار فما زال شوقى كما كان بالأمس شامخا وإن غضب ميخائيل نعيمة وعباس العقاد رحمهم الله جميعا.







هذا عنوان الفصل الختامى لكتاب الدكتور مصطفى الشكعة الموسوم (مصطفى صادق الرافعى، كاتبا عربيا ومفكرا اسلاميا) فى طبعته الثانية الصادرة عام ١٩٧٨م وانما اخترت من كتاب الدكتور الشكعة هذا الفصل واجتزأته لما فيه من خطورة تبسط الرأى فى جرأة على هذا الأثر المهم لمصطفى صادق الرافعى فى أدباء عصره، الذين عنى الدكتور الشكعة منهم الجهابذة والكبار فهو يعتد منهم العقاد وطه حسين وأحمد لطفى السيد والدكتور منصور فهمى وأخيرا الدكتور محمد حسين هيكل.

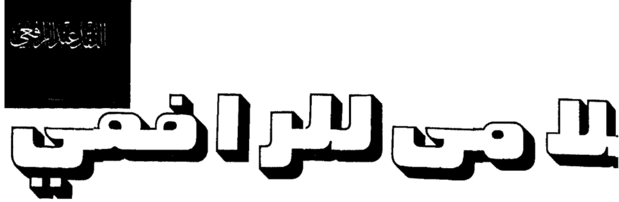
ومن هنا كانت خطورة هذا الفصل فيما استهدف ولعل ايراده من قبل المؤلف واختتامه به الكتاب كفصل أخير للبحث المنبسط الجيد فى زاويتى الابداع الكتابى عند الرافعى والعمق الفكرى الاسلامى لرأيه لمن علائم واشارات تلك الأهمية التى أرى فيها لاعتبار أو لآخر خطورة من نوع ما.

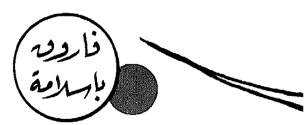
فمن يتذكر أن الرافعى رحمه الله قد توفى فى عام ١٩٣٧م وفى هذه الفترة ابتدأ العقاد وهيكل وطه وفهمى والسيد الاتجاه كما يذكر الباحث الكريم نحو الفكرة الاسلامية فى كتاباتهم ليقول مشيرا الى هذه النقطة وكيف كان هؤلاء جميعا أو لم يكن بينهم من يمكن أن يطلق عليهم كتابا اسلاميين بالمعنى الكامل وأكثر من هذا يقول الدكتور الشكعة.

«ولقد كان لبعضهم خطوات يسجلونها فى مناسباتها، ولكن كان أكثر الكتاب انذاك بمعزل عن الفكرة الاسلامية ان لم يكونوا من خصومها».

واستطراداً لما يمكن أن يحدث الاثر الاسلامى فى كتّاب كبار من عصر الرافعى كان البعض منهم كما يذكر الشكعة ينادى بالالحاد علنا.. ثم ينقلبون بعد ذلك بفضل دعوة الرافعى ومن بعده الى كتاب مؤمنين وسدنة فى محراب الفكر الاسلامى كما يقول.

وهذه تفاصيل ما أجملت من كلام المؤلف.. ان الرافعى كان رائد المقالة الاسلامية على صفحات المجلات ورائد الفكرة الاسلامية فى حنايا الكتب وصاحب الديباجة المشرفة والبيان الرصين والجملة القرآنية، لقد كان الرافعى صاحب القلم الجاد الذى يذود عن لغة القرآن كل تآمر وكيد فى فترة كثر فيها المتآمرون وارتفع فيها صوت الكائدين وحينما كان قلم مصطفى صادق الرافعى يخوض معارك الفكر





الاسلامى فى مستهل هذا القرن لم يكن بين معاصريه من يمكن أن يطلق عليهم كتابا اسلاميين بالمعنى الكامل. لقد كان لبعضهم خطوات يسجلونها فى مناسباتها ولكن كان أكثر الكتاب آنذاك بمعزل عن الفكرة الاسلامية ان لم يكونوا من خصومها. لقد كان البعض منهم ينادى بالالحاد علنا ويدعو اليه على رؤوس الأشهاد. ويقود مدارس الضلال والتضليل على مرأى من الناس جميعا. وكانت المجلات تفتح صدر صفحاتها لكل دعوة ضد الاسلام وأمام كل بدعة لحرب النزعة الاسلامية ومحاولة القضاء على اللغة العربية. . ثم وبعد ذلك يقول الدكتور مصطفى الشكعة: «ان الرافعى بريادته للكتابة فى ظل الفكرة الاسلامية كان هاديا لمعاصريه من الكتاب الذين قدر لهم بسطة فى العمر من بعده. وكانوا خصوماً للاسلاميات ظاهرا أو باطنا. ونستطيع فى غير ما حرج أن نذكر أسماء المرحوم الاستاذ عباس محمود العقاد والمرحوم الدكتور محمد حسين هيكل والمرحوم الدكتور منصور فهمى والأستاذ الدكتور طه حسين» ويقول الباحث الكريم معللا الأثر الرافعى فى كل من هؤلاء فالعقاد: «فى مستهل حياته الأدبية وحين معاصرته للرافعى كان يجمح من كل فكرة اسلامية . وتنسب إليه أن صدقا وان كذبا آنذاك أقوال تباعد بينه وبين الاسلام. ولكن لا يلبث العقاد أن يشرح الله صدره فيصير رافعيا فى قلمه اسلاميا فى فكره ليذكر بعد ذلك عدة من كتبه كعبقرية محمد، وعبقرية عمر، وعبقرية الصديق، وغيرها.

وفى مجال الحديث عن الدكتور منصور فهمى فالذين عاصروه فى شبابه وهو يعبر عن أفكاره يذكرون له المواقف التى لم تكن تنسجم مع الاسلام فى قليل أو كثير. . واذا كان الدكتور منصور فهمى لم يترك من الآثار الفكرية الاسلامية ما يمحو سالف أفكاره فان الذين عايشوه فى السنوات الأخيرة من حياته قد لمسوا فيه نور الايمان ومواظبته على الفرائض وعضويته لمجلس ادارة الشبان المسلمين ومحاضراته العديدة عن الاسلام. . «وتعمل نفحات الرافعى عملها مع طه حسين، تماما كما فعلت مع العقاد ومنصور فهمى واذا بالأستاذ الدكتور طه حسين يخرج للقارىء المسلم ـ والكلام للمؤلف الشكعة ـ والقارىء العربى روائع كتبه الاسلامية مثل (على هامش السيرة) و(الوعد الحق) وهى بقية كتبه الاسلامية التى تعتبر قبسا من نور الايمان وتاريخه وتصويره رائع لروح الأسلام وفلسفته باستثناء مقدمة (على هامش السيرة) التى جانبها التوفيق ـ كما يقول الشكعة ـ لأن الدكتور طه كان لا يزال فيه بقية من رواسب ماضيه لم يكن تحرر منها بعد». « السعودية »

وبما يقــال عن هؤلاء جميعـا من عودة الى رحـاب الايـمان بالعقيدة التى طالما حاربوها يمكن أن يقال عن الأستاذ أحمد لطفى السيد الذى وقف حربا على اللغة العربية يطلب تمصيرها أو بمعنى اخر تشويهها. وقد كان للرافعى معه صولات وجولات. . ان نفحة رافعية كما يقول د. الشكعة قد أعادت لطفى السيد الى حظيرة جلال اللغة وجلال الدين الذى هى لغته وينتهى الأمر به فى سنواته الأخيرة رئيسا لمجمع اللغة العربية وتنقضى حياته الطويلة وهو فى هذا المنصب الذى لا تستقيم طبيعته مع ماضى صاحبه. ولكنه التحول عن الفكر الخاطىء الى الخط الصائب قد جعل من خصم اللغة العربية رئيسا لمجمعها وشيخا لعلمائها. . ومن الكتاب المعاصرين للرافعى الذين لم يكـونـوا يتعـاطفـون مع الفكـرة الاسلامية فى أول عهدهم بالكتابة الدكتور محمد حسين هيكل الذى كان رائـدا للدعـوة الفرعونية الخبيثة ومبشرا بالفكر المادى الأوربى ثم ما لبثت أسباب الهداية ان بسطت جنـاحيهـا عليــه. . فاذا به يتحمس للحضــارة الاسلامية ويفنى فى العقيدة الحنيفية فناء المخلصين الصادقين. . وتقر المكتبة الاسلامية عينا بكتبه الثمينة الأصيلة «حيـاة محمد ﴿ﷺ﴾». «فى منزل الوحى» و«الصديق أبو بكر» و«الفاروق عمر».

ويختم الدكتور الشكعة هذا الفصل المهم لكتابه عن الـرافعى بالقـول: «ان مصطفى صادق الرافعى لم يكن كاتب الفكـرة الاسـلاميـة وحسب ولم يكن رائد الدعوة المؤمنة وحسب، وانما كان سببا لهداية كثير من كبار كتاب العربية المعاصرين له: فأصبحوا بفضل دعوته ومن بعده كتـابا مؤمنين وسدنة فى محراب الفكر الاسلامى بعد أن كانوا فى طرف اخر بعيدين كل البعد عن نطاق العقيدة وجوهر الفكرة الاسلامية.

من رواد الأدب

محمد حسن

العواد كاتب جرىء وناقد جبار وشاعر يعطى الكلمـة جوهـا البيـانى المـونق ولـونها المعنوى الحى وأستاذ من أساتذة الجيل الــذين خصــوا بالارادة المنتصـرة والخلق الكـريم والضمير النزيه والطبع المترسل.

لم ألتق به فقـد حال الأجل المحتوم بينى وبينه ورقـد فى مرقـد الأبـدية فى اليوم الثالث من جمادى الآخرة سنة ألف وأربعمائة للهجرة النبوية وقد قارب الثمانين.

ولكنه يوم رحل لم يكن كهؤلاء الذين لا يُعرفون إلا كما تُعـرف الكلمـة المحبوسة فى قاعدة ولا ينظر إليهم إلا كما ينظر إلى الفكرة الغائمة فى جملة مبهمة وإنـما رحـل رحيـل العظماء الذين تكتب لهم الحياة الأبدية يوم يموتون ويكونون كالواحد الذى يبدأ منه العدد فى كل عصر حين يذكر الصوت الحر والصيحة الصلبـة المـدويـة والكلمة المؤمنة الممتلئة ثقة ويقينا ووفاء وصدقا وعزما وإصرارا.



عرفته من خلال آثاره التى جمعت بين معنى أدب الفكر وفنه وجماله وفلسفته ومعنى أدب النفس وتثقيفها وإقامتها على مراشدها الصحيحة فأيقنت أنه من العقول الفذة والفلتات المفردة والموازين المنصوبة التى يبين بها النقص والزيادة والقوة والضعف.

كان أول ما وقعت عليه عينى من آثار «العواد» ـ طيب الله ذكره ـ ديوانه الذى وسمه «نحو كيان جديد» فى طبعته الأولى بدار المعارف بالقاهرة منذ ثلاثين عاما تقريبا بالتقويم الميلادى.

وفى كلمة الدكتور «**محمد عبد المنعم خفاجى**» عن العواد فى ذكرى وفاته الأولى ما يدل على أن هذا الديوان قد نشر قبل عام ١٩٥٤م حيث يقول: «تعرفت إلى العواد عام ١٩٥٤م ومن قبل بعث لى بديوانه «**نحو كيان جديد**» الذى طبع فى دار المعارف بالقاهرة.. على حين أن المقدمة التى كتبها العواد لديوانه هذا مذيلة بتاريخ ١٣٧٤/٥/٧ ـ ١٩٥٥/١/١م.

فعلى أيهما نعتمد وبأى التاريخين نأخذ؟.
ومعذرة لأستاذنا الدكتور خفاجى.

قلبت صحائف الديوان قبل أن أقرأ المقدمة فتمثل لى «العواد» شيخا وقورا حنكته التجارب ومحصته الأيام وزاده طول المراس والمران خبرة وقوة فأدرك حقيقة الفن وجرى فيه على عرق واستقام على طريقة.. ثم عدت أدراجى إلى المقدمة فإذا بى أجدنى أمام شاب فى مرحلة الشباب الأولى موزع الاهتمامات متوقد الخاطر واسع الفكرة دقيق النظرة يعنى نفسه بالحياة ومشاكلها ويطرح حلولها ويحمل نفسه مالا يتحمله غيره ممن هم فى مثل سنه فلذاته بين الروح والجمال ومسراته بين العقل والطبيعة وكل يوم ينقضى من عمره زيادة فى علمه ومعرفته ووصله بينه

وبـين نفسه بحيث تتغلب روحانيته على بشريته أو الباقى فيه على الفانى من جسده.

ولم يكن كيانـه الجـديـد إلا خروجا من النظرة الضيقة المحصورة فى حدود الوطن والقومية إلى النظرة الانسـانيـة الشـاملة التى تنطلق وراء الحب العـام والسـلام العـام وتجعـل الوجود شركة إنسانية برضا واتفاق بين كل ما خلق الله وذرأ وما أروعه إذ يقول:

«هذا هو كيانى الجديد بالنسبة لما قبله وهو كيان الطور الشعرى الذى يتجه فيه الشاعر الشاب إلى فلسفة الحياة الانسانية التى تشمل الأحياء فى هذا العالم ذى المدى البعيد المتسع بعد أن أشبع إحساس الصبا المتفتق بعاطفة الـوطنية القومية الخاصة.. هو الكيان الذى يستـوحى الـدراسـة والحيـاة معا فيأخذ منهما ويعطيهما فيتفاعل وينبثق ويقود».

ولم يكن هذا الديوان أول ما صدر له فإن اسمه يدل على أنه قد سبقه طور مثّل عهد طفولته وتفتّح ذهنـه وقـد حرص الشاعر على إخراجه فى ديوانين الأول سماه «**آماس وأطلاس**» والثانى سماه «**البراعم أو بقايا الآماس**» وكان الاقبال على الديوان الأول مؤذنـا بوجـود الثـانى (وقد جمعت فى ديوانى الأول «آماس وأطلاس» أبرز ما نظمته من شعر الحقبة آنفة الذكر (من الحادية عشرة إلى العشرين) وأغفلتُ منه بعض القطع التى لم أكن أقدر أن القراء يعنون بها فلما طبع الديوان وانتشر أحسست أن القراء يلتهمون كل ما ضم بين دفتيه ـ من شعر الصبا ـ بشغف قد يكون أكثر من شغفهم بقـراءة شعـر الشبـاب النـاضـج والكهولة المتأملة ولما كان ما أغفلته من القطع لا يقل فى إعطاء القارىء هذا الأثر عما نشر تكونت عندى رغبة لطبع ديوان لاحق يكمل رسالة السابق).

وفى تصـورى أن نشـر هذين الديوانين «آماس وأطلاس والبراعم» فى تلك السن المبكرة أفاد العواد ـ رحمه الله ـ من ناحيتين ذكر هو الأولى ولوح بالثانية.

أما الأولى: فهى أن هذا الشعر قد أرخ لطور من أطـوار عمـر العواد واعترف بذلك إذ يقول «لم أكن حريصا على تسجيل هذا الشعر الذى يمثل طفولتى وآماس شبابى لأنى لو كنت أملك الخيار فيه لاخترت طيَّه ولكن الأمانة للزمن ولتطور الحياة توجب أن يبرز المرء صفحة نفسه كما هى».

أمـا الثـانيـة: فهى أن الناس لم يقبلوا على قراءة الـديوان الأول بشغف لأنه جمع فأوعى أو لأنه بلغ درجة الكمال وإنما شغفهم به حُبَّا أمران:

- **تلك البـدايـة الجـريئـةالتى رأوهـا فى قطع هذا الديوان وما تلاه والتى تنم عن شاعرية تعدت طور «الفرزمة» وشاعر له مستقبل زاهر فى دنيا الأدب والأدباء.**
- **تلك السن الصغيرة التى أثارت العقول الكبيرة بما سجلته من معان فلسفية تعلو فى نظرهم عن إدراك العواد لها.**

أليس من الغريب حقا أن ينظم «العواد» فى سنِّ الطفـولة ما نشره فى «آماس وأطلاس» تحت عنوان «القلم المكسور» فيقول:

قد كسـرتُ الـقـلمـا
وهـجـرتُ الـكـلمـا
وتطـرفـتُ إلـى
أن جفـوت الحـكـمـا
إذ أرى فـى أمـتـى
فشـلا فيـمـا نـمـا
يا بنـى قومـى أمـا
آن أن نرقـى أمـلـا
فابـعـثـوهـا يقظـة
تقـلـب الأرض سمـا

ثـم يعتز بنفسه ويرفعها ويترفع بها إلى منزلة دونها منزلة فطاحل الشعر الأولين ومن عاصره من الأدباء

المحدثين فيقول فى ديوان «البراعم» أو «بقايا الآماس» :

وسأسمو غدا بأروع مما
راح يسمو به ولم يهضموه
رافعا راية الجديد من الفكـ
ـر فقد ضقت بالذى رسموه
سوف أملى على الجميع احترامى
واعترافا يا طالما همسوه

أضف إلى ذلك ما تمتع به شعره من الحفاظ على الوزن والقافية وإفراغ صائب المعانى فى حر الأساليب دون تهيب أو خوف . . ومهما يكن من شيىء فإن أول ما وقعت عليه عينى من شعر العواد وهو ديوان «نحو كيان جديد» يعد أول مجموعة شعرية جمعت أجمل ما عرف للعواد من الشعر وسوف تكون لنا دراسة مستقلة عن هذه المجموعة عامة وعن أول قصيدة تصدرتها خاصة وهى قصيدة «أنا والليل» لأن فيها نزعة إنسانية عالمية ومعنى كبيرا يرينا العواد على حقيقته فى إبداعه وإصلاحه وخياله وسبحات فكره وانطلاقات روحه وفيوضات مشاعره .

عرفت عن «العواد» أنه من مدرسة «العقاد» وقد بدت متابعته لأستاذه فى نظرته إلى الشعر نظرة فنية فلسفية وفى إمساكه بعصا التأديب ليحطم بها أصنام الشعر ودعاته وتجلى هذا النقد الشعرى فى ملحمته «الساحر العظيم» وفى دعوته إلى الاصلاح التى انتهت به إلى ما فى قوة نفسه من بصيرة وذكاء حاد وطبع وقاد .

وفى اهتماماته بالترجمة التى نقلها العقاد إلى العربية أدبا منثورا وجلاها العواد شعرا منظوما .

ففى قصيدتى «القمر يتكلم» و«قلت للحب» وهما من القصائد التى ترجمها «العقاد» الى العربية من شعر الأديب الانجليزى «توماس هاردى» نرى «العواد» وقد نظم ما نثره أستاذه وقدم لكل قصيدة بمقدمة تدل على ولعه بأستاذه وشغفه بترجماته .

وإذا كان لنا من كلمة نقولها للوفاء والأمانة فإننا لا نرضى للعواد ـ رحمه الله ـ أن يتابع أستاذه فى كل شيىء حتى فى بغضه لشوقى وهجومه عليه ونقول متابعة لأن الذى حدا بنا إلى هذا الظن أننا رأينا «العواد» يرثى «شوقى» بقصيدة طويلة تزيد على أربعين بيتا ومنها قوله :

قضى اليوم شوقى وهو واحد فنه
نسيجا وارنانا وصقلا مواتيا
قضى شاعر سلس البيان وديعه
رقيق حواشى اللفظ يزجى الأغانيا
إذا عُدَّ رهط الناسجين فإنه
طليعتهم ـ دعنى أجل المعانيا

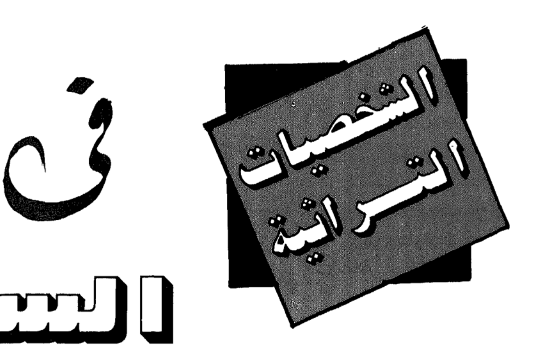
وهذه القصيدة من عيون قصائد العواد ومن أجمل وأصدق ألحان الوفاء وفيها اعتراف بأستاذية شوقى وتفوقه . ثم رأيناه يهجم على شوقى بعد سبع سنوات من وفاته ويثير ما عفا عليه الزمن ودرسه مضى السنين فيقول :

فانصب المهرجان لعبة فرد
وتمتع ـ ومن ترى ـ باحتضانه
فهى أضحوكة على الأدب المـ
ـلوك تغرى دعاته بامتهانه

وفيها تهكم بشوقى وبإمارة الشعر التى بايعه بها شعراء العربية ولا أدرى ما الذى أثار «العواد» على شوقى بعد سبع سنوات من وفاته .

رحم الله العواد والعقاد وشوقى وجزاهم بما قدموا للغة القرآن الكريم وأدب العرب خير الجزاء .

هذا الموضوع بمناسبة ذكرى وفاة الشاعر الرائد محمد حسن عواد عليه رحمة الله .



محمـد بن على السنوسى من الشعراء السعـوديـين المعـاصرين ولد فى مدينة جيزان سنة ١٣٤٣هـ(١) وكان شاعرها الأكبر بل «شاعر الجنوب»(٢) بلا منازع . . ولا أظن أحدا من المهتمين بأدب المملكة لا يعرفه أو لم يقرأ له فقـد أصدر خمسة دواوين شعرية . . وله كتاب «مع الشعراء» (دراسات وخواطر أدبية) . . وله عدة بحوث أدبيـة نشـرت فى الصحف والمجـلات المحليـة . . واشترك مع الاستاذ محمد بن احمد العقيلى فى كتاب «شعراء الجنوب» وهو أول شاعر سعودى يترجم شعره الى لغة أجنبية(٣) .

■ ظهـرت ميوله الأدبية فى وقت مبكر وكانت اولى ميزاته اكثاره من القراءة والاطلاع على فنون الفكر والأدب العربى فهو من الشعراء المثقفين حتى صارت ثقافته عنصرا مهما من مقومات شعره .

ومـن خلال مطـالعتى لشعـره وقفت عنـد ظاهـرة الشخصيـات التراثية فى شعره وتلك نتيجة حتمية لثقافة الشاعر ونظرته إلى امجاد تاريخنا فاستمد من الماضى روح البطولة والكفاح .

وأول الشخصيـات التى نالت اهتـمام شاعـرنـا هى شخصيـة الـرسـول محمد ﴿ﷺ﴾ فقد ذكره فى أكثر من مناسبة مفتخرا به كما فى قوله :

من الجــزيــرة من أرضــى ومن بلدى
تألَّــقَ الــنــورُ نورُ الحقِّ والــرُّشْــدِ
ومن رُبَاهـا رَبَـاهـا الطاهـرات ثَرَى
تنفَّس الـصُّـبْـحُ من بدْر ومن أُحُــدِ
نورٌ تألَّــقَ من نور فرقَّ به
قلبُ الحيــاة وبضَّ الصَّخْــرَ بالــبَرَدِ



وفـاض عبر شعـوب الأرض مُنـدفعـا
يُحْيِى القلوبَ ويشفى ثغـر كلِّ صَدِى
جرى فأخصبت الـدُّنْيا ندىً وهـوى
تمازجـا كامتـزاجِ الـروح بالجسـدِ
واشـرقتْ (يـابن عبـد الله) وأتلقت
(رسـالـةُ الله) زاه نورُهـا الصَّمَـدِى
(محـمـد) خيرُ خلق الله قاطـبـةً
خلقـاً وخُلْقـا على السَّـراء والنَّكَـدِ

■ وحظيت شخصيـات الخلفـاء الـراشـدين باهتمام «السنوسى» فذكرهم فى اسلامياته كما فى قوله :

مشى على هَدْيهـا (الصـدِّيقُ) منطلقاً
مُحطِّـما كلَّ أفـاكٍ ومـرْتَـدِّ
وسـارَ فى إثـره (الفـاروقُ) متَّصلا
بعـهـده كاتِّـصـال المتْـنِ بالسَّـنَـد

ومـدَّ (عثـمانُ) ذو النـورين أشـرعـةً
والبحـرُ يقـذفُ بالأمـواجِ والـزَّبـدِ
كانـتْ خلافـتُـهُ تجتـازُ مرحـلة
عسـيرة بين زمَّـيْـتٍ ومُجْـتَـهِـدِ
فكـان ما كان وامـتـدتْ يدا بطـل
(مكـرم الـوجـه) عبـل الـزّند والعَضُدِ
(أبى الحسين) الـذى ضحَّى بمهجته
(فـدى النبىِّ) المُفْـدَى ليلة الـرَّصَـدِ

■ ومجد أبا بكر فى قصيدة «ثانى اثنين» حيث قال :

يا (ثـانـى اثنـين) فى دار هى الغـارُ
إنَّ اختـيـارك للمـخـتـار مختـارُ
ويـا (رفيقَ الهـدى) والليـلُ مُعْتكرٌ
والأرضُ ترجُـفُ والأهـوالُ إعْـصَـارُ

والشِّـركُ قد زلْـزل الـدنيـا وبعثـرهـا
وأنـتـما فى ظلال الـغـار أنـوار
(نـجـان) فى كنـفِ الـرحمنِ مالهـا
سواه فى الـغـار لا حام ولا جار
أبـصـرت أشـبـاح أقـدام وهمهمـة
وألـسُـنـا تـتـنـاجـى: تلك آثـار
ففـرَّ قَلْبُـك من جنبـيـك مُحتضنـاً
بدْرا تغـذيـه أفـلاكٌ وأقـمار
خوفـا عليـه وحـرصـا أن يُحيـط به
من عصبـة الشـرك أوغـاد وأشـرار
يا صاحـبـى لا تخف الله يحرسـنـا
بلطـفـه ولـلـطـف أسـرار

■ والى جانب ذلك نراه يذكر خالدا وأسامة وسعدا ليعيد الى الأذهان بطولاتهم عندما ذكر بطولة الجزائر:

ودارتْ على أرضِ الجـزائـر (ثـورةٌ)
يشيبُ عليهـا الـدَّهـرُ وهى كِعَابُ
كتـائبُ فيهـا (خـالـدٌ) و(أسـامـة)
و(سعـدٌ) وفيهـا (خَـوْلـة) و(ربـابُ)
إرادة شعـب كَبَّـل الـقـيـدُ ساقَـه
فصـمَّـمَ لا يُثْـنـى قواه عقـابُ
وكـانـتْ إراداتُ الـشـعـوب ولم تزلْ
أحـد وأمـضـى والحـيـاة غلاب

وعنـدمـا يذكر جهاد الفلسطينيين يؤكد أن الكيان الصهيونى الذى قام على العنف لا يمكن أن يستأصله إلا العنف ويذكر فى هذا المجال بطولات الزبير والمقداد.. ولم ينس البطولات النسائية فعندما ذكر «أمينة دحبور» راح يذكر خولة والمثنى حيث يقول:

لفـلسطـين أن تشـدَّ الـزنـادا
وتحـيـى «الـزبـيرَ» و«المِـقْـدَادا»
ليس إلَّا الجـهـاد طبـا لصـهيـون
فطـغـيـانهـا تمادى وزادا
ذاك لغـز الـفـداء تلك أحـاجيـه
فجـلَّ الـفـدى وجـل المـفـادى
وسـلوهـا سلوا (أمـيـنـة دحـبـور)
وقـد خاضـت الـوغـى والجـلادا
كيـف ألـقـت سوارهـا من يديهـا
وأزالـتْ مشـدهـا والـقـلادا
واسـتـعـاضـت عن المشـد نطـاقـا
من رصـاص يردى عداهـا الـلدادا
ايـه يا أخـت (خـولـة) و(المثـنـى)
قد رفـعـنـا بك الـرؤوس اعـتـدادا
أنـت من أمـةٍ يَلَذّ لها المـوتُ
كفـاحـا عن الحِـمـى وزيـادا
أنجبتْ (خـالـدا) و(سعـدا) ومـازا
لت مدى الـدهـر تنجـب الـروادا



وفي قصيدة «**المغرب الأقصى**» يذكر السنوسى أمجاد العرب فترد على خاطره أسماء طارق وموسى بن نصير ويتخيل البطولات التى قدموها ويذكر قصة فتحهم للأندلس مؤكدا مآثر الاسلام وآثاره حيث قال:

على الشاطىء الرقراقِ فى المغربِ الأقْصَى

قرأتُ أحـاديثـاً من المجد لا تُحْصَى
مسطـرة من عهـد «مـوسى» و«طارق»
و«عقبــة» لم تنصـل شروحـا ولا نصـا
و«حســان» ـ حســان بن نعــمان إنـه
هنــاك على الآثــار يقـتصّهـا قَصًّـا
سواطـع ملء البحـر والصخر والذرَى
تزيـد ائتــلافـا كلما زدتهـا فحصـا
كأنـى أرى «مـوسى» أمــامى بخيله
وأسمع وَثْبَ الخيلِ والركْضَ والقمصا
ولمـح المـواضى والسفـين و«طـارق»
يخوض عبـابَ اليمِ واليمُ قد غَصَّـا
وخطبتــه كالـرَّعـد تقتحمُ الـذُّرى
وإيمـانُـه لا يعـرفُ الخـوفَ والحـرصا
مآثــر للإســلام وهَّـاجــة الـسَّنــا
قبـابـا وألبـابـا سوامـق لا وقصـا
وكم لهدى الاســلام فى الأرض من يد
بها صفـعـتْ مستعمــرا ورمتْ لصًّـا

■ ويمضى شاعرنا مع ذكريات المجد والبطولة والكرامة فلا ينسى خالدا وعمرا وزيدا حيث يقول:

واستــدار (التـاريخُ) يُمْلى على الـدّ
نيـا سطــور الـرسـالــة الـغــرَّاء
وإذا تلكـمــو الصحــارى حديث ال
فرس والــروم من قريــب ونــاء
وإذا تلكــم (الجــزيـرة) يمـتــد
سنـاهــا عبر الـذرى والـســماء
وإذا «خـالــد» و«عـمــرو» و«زيــد»
فلك دائــر على الأجــواء
يرســلون الـضـيــاء فى كل أفــق
ويـداوون كل سُقْـمٍ وداء
ويـنــيرون بالـعــدالــة والإسـلا
م دربَ الحيــاة والأحـيــاء

■ فالشاعر: إذ يذكر هذه الأسماء لا يعنى بها أسماء مجردة وألفاظا مسطورة بل هى منارات بارزة نكاد نحسها ونراها تتحرك بين أيدينا. وهو بذلك يؤكد ارتباط الماضى بالحاضر أو الواقع بالتاريخ حين ينظر الى هذه الشخصيات نظرة ملؤها الإعجاب والاكبار ويدعو الأجيال المعاصرة إلى أن تقتفى أثرهم وتحتذى على مثالهم.

وهنـاك صورة أخرى لظهور الشخصيات التراثية فى شعر السنوسى هى صورة شخصيات التراث الأدبى. فمن الشخصيات التى عاد إليها نبضها فى شعر شاعرنا شخصيات المتنبى وأبى العلاء وأبى نواس. وقد تكون هذه الشخصيات موضوع إلهام لقصيدة بكاملها كقصيدة (على ضفاف دجلة) التى قال فيها:

هاتيــك دجلة فانهــلْ أيهـا الصـادى
من فيض علم وآداب وإرشــادِ
وسـل بها عن «عـريب» و«ابن عائشة»
وعن «صـريـع الغوانى» شاعر الوادى

عن«المثنى» عن«البدر بن حارثة»
عن «ابن ياسر» عن «سعد» و«مقداد»
عن «ابن أكثم» عن «معن بن زائدة»
عن «ابن أدهم» عن «سلم» و«حماد»
عن «النواس» عن «الطائى» عن نفر
عن الفطاحل كانوا زينة الضاد
عن «جعفر» عن أخيه «الفضل» عن غرر
أيامهم محض أعراس وأعياد
عن سادة قادة فى كل مجتمع
لهم صدى بين أجواد وزهاد
ملء المحاريب من تقوى ومن ورع
ملء المنابر من شعر وإنشاء

■ وهذه من أروع القصائد التى وفق فيها الشاعر فى احكام الرابطة الروحية بين الماضى والحاضر.

وإلى جانب الشخصيات التاريخية والادبية هناك المواقف التاريخية المشحونة بالدلالة حيث استغلها الشاعر بنفس المنهج السابق. ويكفى أن نشير الى حادثة الهجرة حيث استغلها الشاعر احسن استغلال فى قصيدته «ثانى اثنين» إذ يقول:

هذا (سراقة) قد جنت مطامعه
حسا ونفسا وجسما فهو (رادار)
تألقت مقلتاه وامتطى فَرَساً
يعدو به فى سبيل الشر دينار
رأى كما ورأى موتا يحيط به
ولاح من تحته قبر وحفار
مادت به الأرض حتى صاح من فزع
آمنت يا رب فاغفر أنت غفار

تبسم (المصطفى) فى وجهه طربا
مبشرا (بسوار) ما به عار
وعاد أدراجه فى قلبه عجب
وملء عينيه أحلام وأشعار

■ واتخذ شاعرنا من التراث الشعبى مصدرا من مصادر الشخصيات التراثية التى وردت فى شعره كقوله:

(كليب) يحمى و(جساس) يطاوله
يرعى الحمى غير هياب ولا وجل
و(عروة) يتحدى كل ذى أشر
ولا ينام على ضيم ولا دخل
طاوٍ يبيت ويُقْرِى ضيفه كرما
وينثنى وهو مستحى من الخجل
ويوم ذى قار فى تأريخهم عجب
براكب (الفيل) أودى راكب الجمل

ولم يقتصر شاعرنا على الشخصيات التراثية الاسلامية أو العربية بل تعداها الى الشخصيات الأجنبية فذكر «كسرى» و«قيصر» و«سيشرون» و«شيلى» فى مجال الافتخار والاعتزاز بمجودنا السابقة وبشخصياتنا التراثية الخالدة:

ما (شيشرون) خطيبا كابن ساعدة
(قس الأيادى) ولا «كالبحترى»«شلى»

جزيرتى أنت مأوى أمة سمقت
أخلاقها الغر واستعلت عن الوحل

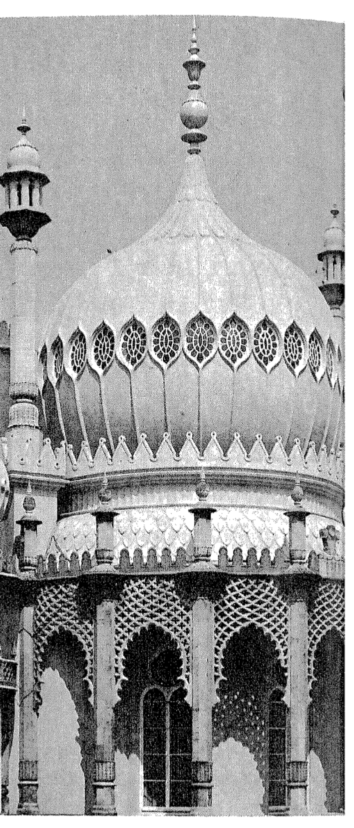
■ وقوله فى مجال الافتخار بالتقدم والازدهار فى عهد آل سعود:

ورأينــا حضــارة ما رآهــا
(قيصــر) فى جلالــه والــرشيــد
أى وربى لم يركـب (الـتـكسى)
«هارون» ولا سار فى القطار «الوليد»
سهـر الليـالى بالقنـاديل (كسرى)
وعلى الشمــع كان يقـرأ «يـزيـد»

ومــن هنا نلاحظ ان مصادر الشخصيات التراثية فى شعر السنوسى تتوزع بين القرآن الكريم والمرويات والتراث الشعبى والمواقف التاريخية والشخصيات الأدبية والتاريخية. ولكن شاعرنا لم يقف عند ذكر الشخصيات ورسم صور رائعة لها فى شعره بل وضع هذه الشخصيات كنماذج تُحتذَى مؤكدا علاقة الشعر المعاصر بالتراث وأن الوقوف عند اجترار الماضى لا يفيد:

مضى السلف الأبرار يعبق ذكرهم
فسيروا كما ساروا على الدهر واصنــعــوا
ومـا الفخـر بالماضى إذا لم يكن له
من الحـاضـر الـزاهى بنـاء مرفـع
خذوا بأكف الأسـد من أسهم العلا
نصيبا فإن الحـاضـر اليـوم أوسـع
يد الـدهـر لا تسخو بمجد لعاجز
ضعـيــف ولا تنــدى ولا تتــبرع
لقد أفصحت عن سرها لو تكلمت
حيـاة بقـدر (السعى) تعطى وتمنع

«مصر»



قد قرأنــا عن الحضـارة والعمـران
والمــلك ما روتــه الجــدود
واستمعنـا إلى التـاريـخ والأسفـار
تبــدى حديــثـهــا وتــعــيــد

(١) انظر غلاف كتابه «مع الشعراء».
(٢) مجلة المنهل أول من أطلق هذا اللقب على الشاعر وبه اشتهر.
(٣) عن الدكتور كامل السوافيرى.

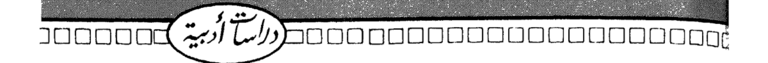


حين تجلس معه تجد فيه من اللطف بقـدر ما فيـه من العنف فهـو بحق العاشق الفارس ان تكلم عن الحب حوّل كل الاشياء الى حدائق ياسمـين وان تحدث عن الغـربة والحرب والمآسى تشعر وكأن الكرة الارضية صارت قنبلة موقوتة قد تنفجر بين لحظة واخرى . . انه الشاعر التونسى «صادق شرف» والذى سأذكر بعض الشيىء عن ديوانه الشعرى (بحجم الحب أكون) .

● يمتد الديوان على اتساع ستة وتسعين صفحة من القطع الصغير وكل صفحة من هذه الصفحـات عبـارة عن خارطة لحالة انسـانيـة خالصـة فالصادق شرف صوت شعرى متميز مسكون بالتوهج والانفعال وملّون بالجـراح والتـوجـع ومحمـول على اكتاف الموت اليومى المتكرر شأنه فى ذلك شأن اى شاعر عربى حمل وجه أمه وأوجاع الـوطن . . لا يريـد مقـابـل ذلـك الحب المنتـزع من حـالـة عشق واحدة لتكريس اشكال متعددة .

أنا أرجوك حبِّينى
بحجم الحلم اذ يبدو لأطفال المساكين
بحجم اللهو فى أقدام أطفال
بهم تلهو فراشات البساتين
بحجم الجرم من رشاش جندى به أودى
بعصفور فلسطينى

● فالشعر عند الصادق شرف ليس آتياً من العبث ولا هى نوبة مؤقتة بل هو الموقف الدائم لانسان أدرك معنى الكرامة والحياة والحق والحرية والتزم التزاما كاملا بقضايا





ديوان
صادق شرف
عرض وتقديم
عبدالله منصور

وطنه وأمته العربية فجاءت حروف قصائده ملوحة بشموس تونس ومصر والاردن وفلسطين وكل شبر من الوطن العربى الكبير.

ولكننى اعرف الأم كانت هى الرأس
والأب كان هو القدس
لها الفارس العربى على الدخلاء يخوض السباقا
ولا شىء بعد انتصاب السروج سيركب زورك
يا مهرنا العربى
سوى من صنعناه يركب للصدق، يركب للعدل، يركب للحق، يركب للبذل، يركب فينا براقا.

● كما ان الشعر عنده زاخراً بوهج العاطفة الصادقة سواء فى مناجاته للحبيبة. وهى مناجاة العاشق الفارس الذى لا يبالى وان كلفه حبه عدم لقاء حبيبته او لقاءها مع الحزن عند الحريق.

ربما لا نلتقى
ما العمر سوى حلم
وكم من حالم من دهشة الحلم يفيق
هلا تلاقينا على الشطين
كلا.. انما بالحزن فينا نلتقى عند الحريق

● أم من شكواه ألم الغربة والحنين للوطن الأم والام الوطن.

كيف أمى؟...
لم تزل تنتظر اليوم الذى فيه أعود
كيف يا أمى أعود
هاجت الموجة حتى قلت: يا ويح السدود
وصلتنى مدن الثلج الى البحر صقيعا
ضايق البرق الرعود

● ومما يلاحظ فى قصائد هذا الديوان الدوامة التى يعيشها الشاعر كغيره من شباب الوطن العربى المعاصر وهو نتيجة لما

يجرى على الساحة العربية من هزائم واحباطات تترك فى النفس الوهن والتشاؤم والكبت.

هل أحيا وحشا يستخرج ذاتى
من طاقة صمتى
يتوغل فى فلواتى
يتقاسمنى مع كتبى
ويكومنى خارج بيتى

● لكن الشاعر يعود كصقر مبلول ينفض عنه ماء المطر البارد، ويطير الى قمم الشموس فينبعث فيه الامل وتنمو به القوة والتحدى والاصرار على الكفاح.

قلمى على أذنى سلاحى
حين أورق فى شوارعنا دمى
وتشعبت طرق الكفاح

● وبالرغم من ان القصائد جاءت (شعرا حرا) والشعر الحر يعتمد اكثر ما يعتمد على الموسيقى الداخلية ولا يهتم بالقافية الا ان بعض قصائده تميزت بموسيقى خارجية شجية انسابت رخية يساعدها رنين القافية وما فى الداخل من حالات شعرية حقيقية ناتجة عن معاناة منقوشة كالبصمات على شفاه الحروف.

فأصابعى لا تعشق الورد المزجج بالسدود
لكنها تلتذ وخز الشوك من أجل الصعود

فاذا نزلت عن الجواد فاننى ابدلت سرجى
كى اعود الى الركوب بلا قيود.

● وشىء اخر تمتاز به معظم القصائد هو وقع الكلمة وتماسك العبارة وطول النفس الشعرى وكأن الشاعر يغرف من بحر (كما يقولون) فعمق جراح الشظايا وصدق التجربة والنظرة المستقبلية البعيدة ونأى صغار نجوم ليالى الشرق الصافية كل هذه أعطته هذا المد الشعرى المتدفق والملتحم بالواقع بما فيه من شظايا ودماء وضيق وفوضى ودخان ورياح.

ظل حيّا.. عربى النسغ.. أنا منه قد كنا.. وكان الحقن منا.. ارفعى يا صخرة الضيق انفجار الشكل حتى الفيضان.
اننا لا نجمع الريح شظايا.. اننا لا نلحم الشكل بفيض الهذيان.
ينتف الخالد ريش الطائش المسكون بالفوضى فقاقيعا
اذا ما انتجع القدر زوايا الغليان
ليس بحرا.. ليس برّا.. ليس فوضى بفضاء
انها فوضى زوايا من دخان

(٭) عبدالله منصور فى سطور
من الكتّاب البارزين فى الصحافة الأردنية وعضو فى رابطة الكتاب الاردنيين:- ● له من بعض دواوينه: «فداسفرى.. مواويل للحب والحرب.. الرحيل عن الأرصفة المنسية.. أوجاع فلسطينية.. الحب يلتق بحيفا.. شىء من الغضب.. مسرحية»



مدن البرد حبيبى كيف تهواها؟
أتنسى الدفء فى شاطئنا ماج اعتدالا؟
كيف تهوى امرأة شنقراء تحلو
كلّ ما فى الكون يحلو عندها يبدو حلالا
فإذا استيقظت لا تبصر نجما
انما دمعا على الخدين سالا

● فيصرخ من أعماقه بكل ما فيه اشتياق ويعدها بالرجوع.

يا غزالــــة
وصلتنى اليوم يا حبى رسالة
تطلبين العود منى بعد فصلين
لماذا هالعجالة؟
أنا ما حققت حلمى
لم احقق حلم أمى
لم احقق حلمك الغالى
على أية حالة
سأعـــود.

● وبعـد هذه القـراءة الأوليـة لديوان الصـادق شرف (بحجم الحب أكون) لابـد من الاشـارة الى أنـه شاعـر له اسلوبـه الخـاص ومعـالجتـه الشعـرية الخاصة به كما له قاموسه اللغوى المميز وبحق انـه الشـاعـر شرف يحل وبقوة حضـوره الوطنى والقومى وضمّ صوته لأصـوات الشعـراء الفـرسـان الـذين يعيشــون للكلمـة السيف ويمـوتـون بالسيف الكلمة.

● ويمكن القـول بان الشـاعـر الصادق (شـرف) ظل شرقى التقـاليـد والعادات والتفكـير مثلما هو شرقى العاطفة والفكر والضمـير والفضيلة على الرغم من وعيه وادراكـه الكامل لكل ما يدور فى شوارع العواصم الغارقة بالاضواء والعطور وشعر الصبايا المسافر دوما مع الريح والآهات. فها هو يناشد الحبيب على لسان الحبيبة أن يعـود من مدن الـبرد للشـواطىء الدافئة وتخبره بأن الفتاة الغربية الشقراء لن تكون نجمـة الليـل البـديلة. فهى مجرد حلم تصحو منه على الدموع.

تنويه وايضاح

تشكر المجلة غيرة كتّابها على إبداعاتهم وتود أن يتلمسوا ما قد تبنّته (منذ مطلع عامها الواحد والخمسين) من منهج يجعل من المقالات فى كل عدد من اعدادها بناءاً يضيىء بعضه بعضاً . . وتسرى فيه وحدة التوجه على تنوع المنطلق .

والمجلة ترجو كتّابها الا يعدّوا التأخر فى النشر وارداً ـ على الدوام ـ لأن المنهج فى حقيقته وموضوعيته يتجه الى انتاجهم مباشرة ويفرزه ليصل الى المتلقى فى غير ما خلطٍ أو تنافر . وسيعاد ما لايتفق ومسيرتها وأهدافها الى أصحابه ـ على غير عادة القاعدة الصحفية ـ مشفوعاً بالشكر والتقدير .

ختاماً نود أن يتفهم اصدقاؤنا هذا . . وألا يكون التأخير مدعاة للتقصير فى حمل رسالة الكلمة وهذا ما اوجبه التنويه .

المنهل

إقرأ .. العدد القادم

- استطلاع مصور هام عن اول المجامع اللغوية العربية فى العالم العربى .

أعده للمنهل خاصة : أبو فراس السباعى

- أقلام كبار كتاب العروبة والاسلام تصحبكم فى رحلة ماتعة فى هذا العدد .
- ما هى علاقة الشيوعية باليهودية بحث تضمه مجلتنا الداخلية «فلسطيننا» .

بقلم : مسلم عبد الله المسلم .

- البحث الطليعى فى مقاصد الشريعة .

بقلم : د . على العميرينى

- من ذخائر المكتبة التراثية .
- كناشة علمية ذات أثر وتأثير
- «هُنَّ» تتجه وفى شكل جديد للمرأة والطفل .
- قصة العدد وجديد عطاء القاص : رستم كيلانى .
- وجديد مجلاتنا الداخلية «السائح .. المشتار» والأبواب الثابتة المفيدة .

فلسطين

في الطريق للمسجد الأقصى

القضية العربية الفلسطينية في النشر الفلسطيني

الشيوعية ركيزة صهيونية

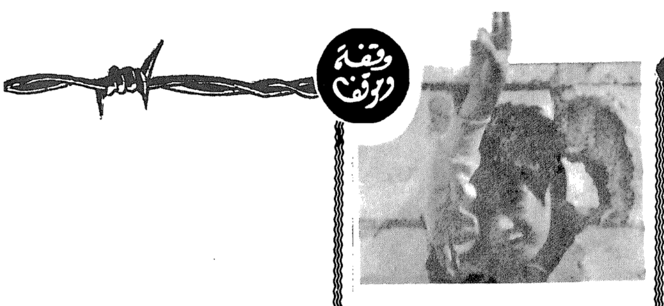
بقلم: د. سامح درويش

محمد حسن شراب

سالم بن عبدالله المسلم

العدد الحادي عشر

جماد الثاني ١٤٠٦هـ



في الطريق للمسجد

ان الاستيلاء على مخيم او مخيمين او عدة مخيمات لن يستأصل دور القضية الفلسطينية من ضمير الأمة العربية ولن يضفى الشرعية على اللامشروعية ولن يجعل من الغاصب قائدا ، كما ان المحاولات لتصفية سلطة منظمة التحرير تتجاوز كل مفهوم لانها تعرض قضية شعب باكمله للتصفية ، فى الوقت الذى نسعى فيه دائما لاحلال هذه القضية المكانة الاولى .

« عبدالله بن عبد العزيز »

أشد رحالى والخطى تترنَّحُ
إليك وآلام الفراق تُبرِّحُ
فمازلتَ أقصى من منأى ولم تزلْ
طريقك بالجمر الخرافىِّ تنضحُ
وتفصلنا بيد من الوهم فوقها
شراذم بغى بالأراجيف تنبح
بعيد .. بعيد أنت عنى وكلما
حثثتُ جوادى نحو بابك يجمح

فهل يصل الخطو الكسيح لغاية
يتوق لها القلب الجريح ويجنح؟
وهل يسلس المجد الجموح قياده
لنبلغ غايات لها النفس تطمح؟

* * *

لك القلب يهفو والعيون تفيض إذْ
ترى القبة الشرفاء فى النور تسبَحُ

الأقصى

شعر الدكتور
سامح درويش

وتسرى إليك الروحُ فى كل ليلة
تصلى بمحراب الهدى وتُسبِّحُ
ومازلتَ مأسوراً بقبضة كافر
ومازلتُ مقهوراً إلى التيه أنزح

ببابك جند البغى دونى تردنى
وفى ساحك التاريخ يُطْوَى ويُذْبَحُ
وأنتَ لىَ المجد القتيل وأنتَ لى
كرامة جيل تُستباح وتُجرَح
ومازلتُ من ضعفى أغص بمحنتى
وأبكى وهل فى الدمع للمجد مطرح؟

* * *

أيا قبلتى الأولى أتوق لسجدة
على تربة الاسراء للذنب تمسح
ولكننى ناء وعزمى واهن
وخطوى على درب الأسى متقرِّحُ
فعد يا صلاح الدين فالليل مطبق
ومسجدنا الأقصى يئنُّ ويرزح
ورايـاتك العليا تغيب وليس فى
رُبا القدس إلا فاجر مُتبجِّحُ
نريدك فى ركب يكبر مؤمنا
ويرجع للاسلام مجداً ويفتح





القضية

فى الشـ

● لقد تحدثت فى حلقتين سابقتين عن الشعر العربى فى معركة فلسطين وعرفنا من خلالها أن الشعر واكب القضية منذ لحظاتها الأولى وكان ولازال العين البصيرة والعقل الواعى المفكر والشعلة المضيئة والصاعقة المدمرة والدفقة العاطفية المتوقدة وكان حديثى ذاك يشمل الشعر العربى فى أقطار العرب كلها.. وفى هذه الحلقة وما يليها سوف أخص الشعر الفلسطينى بالذكر لأجلو مواقفه خلال المراحل التى مرت بها قضية فلسطيننا وقد كانت فئة الشعراء أكثر تنبهاً من غيرها للأخطار المحدقة بالأمة وكانت نظرتهم عميقة وأفقهم بعيداً يستشفون ما وراء الأحداث فيأتون بما لا يأتى به غيرهم ولذلك فإنهم قد عرفوا أن منزلتهم فى المعركة تكون فى المقدمة فتنادوا فيما بينهم للجهر بالصوت عالياً فى وجه الباطل لأن صوتهم هو الذى ينبه الغافلين عن حقهم ويزلزل الباطل قبل أن يثبت أركانه وكان الشيخ سليم اليعقوبى قد تنبه بفطرته الى دور الشعر فى النضال الوطنى فأرسل نداءه الى صديقه الشاعر وديع البستانى يحضه على القول ويعاتبه على السكوت، حين تعانى فلسطين قسوة أعدائها الانجليز: فيقول:

أوديع لم تجهر بصوتك عالياً
والدار حتى اليوم فى أغلالها
تشكو ولما يستمع لشكاتها
أحد وما تشكو سوى أهوالها
فالفاتحون وما بهم من رحمة
لم يعملوا إلا على إذلالها
فَلِمَ السكوت وأنت بالأدب الذى
أوتيته بالحق من أبطالها؟
فاجهر بصوتك والبغاة كما ترى
فلعله يقضى على آمالها

والشاعر اليعقوبى من مواليد مدينة اللد سنة ١٨٨٠م *تلقى العلم فى الأزهر ثم عاد الى فلسطين.. وعين مفتياً لمدينة يافا فى أواخر عهد الأتراك.. واختار لنفسه لقب «حسان فلسطين» للتوقيع على قصائده المنشورة.. وفى عام ١٩٤٦ ذهب إلى مكة المكرمة ضيفاً على الحكومة السعودية لأداء العمرة فمات ودفن فى مكة المكرمة.. رحمه الله وكان من فحول شعراء العرب فى زمانه وشهد له بذلك القاصى والدانى ومن ذلك ما سجله الأدبى*

العربية الفلسطينية

لماذا فكري

ـعر الفلسطيني

الشـاعـر الناقد الاستاذ أحمد محمد جمال حيث رثاه بقصيدة بمناسبة الذكرى الاولى لوفاته وكانت تحت عنـوان «الـذكـرى الاولى لوفاة شاعر العرب الأكبر سليم أبى الاقبـال اليعقـوبى حسـان فلسطين» . . ويقول فيها :

رثيتـك لا أبغى بمـر ثيتى فخـرا
كغـيرى ولا هذا القصيد أتى قسرا
فأنـت أمـير الشعـر غير منـازع
وقد فُقْتَ فيه البحر والزهر والفجرا
فلا غرو لما مت أن جف روضـه
وأصبـح ما فيـه من الـورد مصفرّاً

أمـا الشـاعـر وديـع البستـانى الذى أرسل له اليعقـوبى الـرسـالـة فهـو لبنانى الاصل فلسطينى الجنسية نزح الى فلسطين مع دخول الانجليز وشغل منصبـاً حكوميا كبيرا حتى سنة ١٩٣٠م ثم استقال وعمل محاميا الى عام ١٩٤٨م ثم نزح الى لبنان سنة ١٩٥٣ بعـد أن اغتصب اليهـود داره وأجبروه على الرحيل وكان ذا نشاط شعرى بارز فسجل بشعره ما عاصـره من أحـداث القضيـة الفلسطينيـة والتـزم بمحـاربة الصهيونية والدفاع عن فلسطين وعروبتها ولـه ديوان مطبوع اسمه «الفلسطينيات» وتوفى سنة ١٩٥٤ فى لبنان .

ولا أكتم القـارىء أننى كلما قرأت تاريـخ وأدب فلسطين الحديث أزداد همّاً وغمّا ويشتد حنقى وغيظى وتعاودنى الأوجاع التى كانت كامنة وبيان ذلك يأتى بعد قليل : فأنا أقول فى نفسى : ان الانسان لا يلام إذا وقـع فى حفـرة لم يرهـا ولم يعلم بها فإذا كانت الشمس ساطعة والعين بصيرة والدليل أمين وناصح ووقع السائر فى الحفرة فإن اللوم يكون شديداً والذنب لا يغتفـر ولنفـرض أننـا هجـرنا القرآن وتركنا سيرة الـرسـول ﴿ﷺ﴾ ولم نطلع على ما دبره اليهود من المكـائـد للمسلمـين أو أننا قرأناهما ولم نؤمن بوحدة

محمد حسن شراب

التاريخ ولكننا وجدنا من يطرق بابنا ويقول لنا إن اليهود والانجليز الذين جاءوا الى ديارنا بثوب جديد هم أنفسهم الذين كادوا للعرب والمسلمين فى الماضى فهؤلاء اليهود ورثوا كره العرب والمسلمين من يهود يثرب والانجليز ورثوا الصليبية من الصليبيين وقد جاءنا النذير هذه المرة على لسان الشعراء منذ بداية القرن العشرين عندما كانت النار التى أحرقتنا شرارة صغيرة أو وميضاً تطفئه قطرة ماء وقال الشعراء للعرب ما قاله نصر بن سيار الى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية :

أرى خلل الرَّماد وميض نار
فيوشك أن يكون لها ضِرامُ
فإن النار بالعيدان تذكى
وإن الحرب أولها كلام
فإن لم يطفها عقلاء قوم
يكون وقودها جثث وهام
أقول من التعجب ليت شعرى
أأيقاظ أمية أم نيام
فإن كانوا لحينهم نياما
فقل قوموا فقد حان القيام

ولكن العرب أصموا آذانهم واستغشوا ثيابهم وضرب على قلوبهم بالأسداد وقالوا : إن هذا خيال شعراء والشعراء فى كل واد يهيمون ولكن الذى يبدو أن الله إذا أراد أن يذل قوماً حرمهم تذوق الدين والتاريخ والأدب ولذلك فإنهم يحرمون نعمة البصيرة النافذة وكان هذا حال العرب حيث رقدوا وظنوا أنفسهم آمنين .

كما رقدت أمية ثم هبَّتْ
تدافع حين لا يغنى الدفاع

لقد بدأ الشعر الفلسطينى يتأثر بالقضية الفلسطينية فى وقت مبكر جداً فهذا الشاب محمد اسعاف النشاشيبى يحذر من الخطر الصهيونى ويدعو المواطنين الى المحافظة على فلسطين وينبههم الى المصير المظلم المبيَّت لهم منذ عام ١٩١٠م حيث يقول :

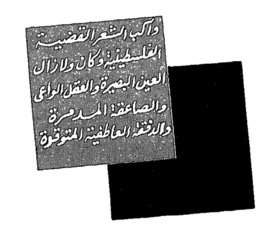
يا فتاة الحىّ جودى بالدما
بدل الدمع إذا رمت البكاء
فلقد ولَّت فلسطين ولم
يبق يا أخت العلا غير ذماء
إنها أوطانكم فاستيقظوا
لا تبيعوها لقوم دخلاء

محمد اسعاف النشاشيبى شاعر وكاتب ولغوى ولد سنة ١٨٨٥م وتوفى سنة ١٩٤٨م وقد ذاعت شهرته فى البلاد العربية وأطلق عليه بحق، لقب «أديب العربية» نظم الشعر فى شبابه ويغلب على شعره الحماسة والتغنى بحب العرب وكان من كُتَّاب مجلة الرسالة وله أثر واضح فى توثيق الروابط بين فلسطين والبلاد العربية ولم يزر عالم أو أديب القدس إلا احتفى به وكان أثيراً عند الأدباء والشعراء ولا سيما عند أمير الشعراء أحمد شوقى وانتخب عضواً فى المجمع العلمى العربى فى دمشق سنة ١٩٢٣م .

قلت : اننى سوف أخصص عدداً من المقالات لبيان دور الشعر الفلسطينى فى المعركة لأنه كان مرآة صافية وتعبيراً صادقا عن حياة الشعب العربى فى فلسطين خلال مراحل المعركة منذ ابتدائها حتى وقتنا الحاضر وهذا ما يجعله أداة مفيدة تعين على دراسة وتفهم ظواهر الأحداث وأعماقها وتعطى من العبر والوعى ما



يلامس أوتار الاحساس والوعى معاً فهو يوقظ ويبصر ويشحن بخبرات حية مستمدة من المعاناة والتجارب الواقعة فيزود العقول بمعرفة والنفوس بقوة ومناعة ويكون عنصراً هاماً فى عملية الاحياء والتحريك فقد طغى موضوع المعركة فى الشعر الفلسطينى على كل موضوع سواه حتى التزم به أكثر شعراء فلسطين وظهرت لهم عشرات الدواوين وآلاف القصائد التى لا تعالج سوى موضوعات القضية ولذا أصبح الشعر الفلسطينى قدوة الالتزام فى الأدب العربى الحديث.



ولكن الاحاطة بالموضوع فى مقالات يكون عسيراً كما أن الاحاطة به فى كتاب واحد تكون عسيرة أيضاً إنه من العسير على كاتب مقالات أن يقدم دراسة وافية عن الشعر الفلسطينى لأن الذى يجتمع أمامك من المادة الشعرية كثير وكله صالح للاستشهاد به ولا تكاد تغنى قصيدة عن قصيدة لتعدد الحالات النفسية التى تنتاب الشاعر نتيجة لتعدد الأطوار التى تمر بها المعركة لأن الانسان الفلسطينى يكون فى كل يوم بين يأس وأمل وجزر ومد وابتسامة وعبوس.. ولا يستطع كتاب أن يحيط بالشعر الفلسطينى لأن الكثير الذى يجتمع أمام الدارس الأدبى لا يمثل إلا جزءاً مما قدمه شعراء فلسطين: ومن ذا الذى يستطيع أن يحيط بأدب قوم توزع فى القارات الخمس وليس لهم صحيفة تكتب آثارهم أو إذاعة تخبر عن حالهم؟ قد يكون من السهل على الدارس الأدبى أن يقرأ الشعر الفلسطينى قبل مرحلة النكبة سنة ١٩٤٨م لاجتماع القوم فى ديارهم وقد يسهل على الدارس الرحالة - كابن بطوطة - أن يلم بأطراف من الأدب الفلسطينى بل ما يسمى بالنكسة سنة ١٩٦٧م أما بعد ذلك فإنه يصعب على - ابن بطوطة وابن جبير وابن ماجد - أن يجمعوا شتات ما تفرق ولو كان عصرنا عصر الأمثال لقالوا «تفرقوا أيدى الفلسطينيين» بدلا من قولهم **«تفرقوا أيدى سبا»**.

وإذا كان الأمر كذلك من تشعب الموضوع وتوزعه فلا يطمع القارىء أن يجد استقصاء للموضوع ولكننى سأجتهد فى تقديم صور متعددة يمكن نظمها فى سلك واحد تقدم بمجموعها انطباعاً صادقا عن أدوار القضية الفلسطينية وسوف أجمع فى كل صورة بين التاريخ الأدبى والتحليل الفكرى فأتناول القضية متزامنة مع تاريخ الدور الذى مرت فيه وامزج بين تاريخ الفكرة وتاريخ صاحبها كلما تيسر لى ذلك لأن تراجم الشعراء الدقيقة ليست متوفرة عن كل شاعر.

لم تكن الحرب العالمية الأولى وتحالف تركيا مع ألمانيا هو السبب فى احتلال بريطانيا فلسطين ولم يكن وعد بلفور وليد الحرب العالمية الأولى ولم يكن اصرار بريطانيا أن تكون فلسطين حصتها من التركة لتحقيق وعد بلفور فقط ولكن الأمر أبعد من ذلك وهو يقوم على خطة موضوعة منذ أمد وكانت تنتظر الوقت للتنفيذ فأطماع الدول الأوربية بفلسطين قديمة العهد نظراً لما يمثله موقعها الجغرافى من أهمية اقتصادية

وعسكرية وتشهد الغزوات الصليبية على مدى قوة هذه الأطماع ومداها كما تشهد هذه الغزوات على وحدة المصير العربى أمام التحديات الكبرى وخطورة الاحتلال الاجنبى لفلسطين على الوجود الحضارى للعرب وقد استعادت أوروبا اهتمامها بالمنطقة العربية فى اعقاب احتلال بريطانيا للهند فى القرن السابع عشر. . فعملت بريطانيا منذ ذلك العهد على معارضة قيام أية قوة حقيقية محلية فى المنطقة العربية. .

ومن هنا نظرت الى بروز محمد على الكبير فى مصر بقلق بالغ ما لبث أن تحول الى تدخل عسكرى عندما هزمت جيوش محمد على الجيوش العثمانية ووحدت مصر وسورية الطبيعية ولما كانت فرنسا وروسية قد فرضتا حمايتهما على الكاثوليك والأرثوذكس الموجودين فى الامبروطورية العثمانية فقد أعلنت بريطانيا حمايتها للدروز واليهود فى سوريا وجبل لبنان وفلسطين. . ومن جراء ذلك أقامت بريطانيا أول قنصلية غربية فى القدس سنة ١٨٣٩م وجهت معظم جهودها لحماية الجالية اليهودية فى فلسطين كما عملت على استقدام جاليات يهودية جديدة لأسباب ودوافع استعمارية بينها رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الوقت فى رسالة الى سفيره فى استانبول شرح فيها المنافع السياسية والمادية التى تعود على السلطان العثمانى من جراء تشجيع الهجرة الصهيونية الى فلسطين فقال «إن عودة الشعب اليهودى الى فلسطين بدعوة من السلطان وتحت حمايته تشكل سدا فى وجه مخططات شريرة يعدها محمد على أو من يخلفه».

فالهدف الاستعمارى اذن منعه اتصال المشرق العربى بالعرب فى افريقيا والحيلولة دون قيام دولة موحدة تستطيع الوقوف فى وجه المطامع الأجنبية وهم يقرأون فى التاريخ أن صلاح الدين لم يستطع هزيمة الصليبيين الا بعد أن استولى على مصر ووحدها مع بلاد الشام. . ووافق ما تعمل له بريطانيا رغبة اليهود وأخذ الطرفان يخططان للأمر وايجاد الفرص المواتية لتنفيذ خططهم مرحلة بعد مرحلة. . ورغم السرية التى كانوا يحيطون بها خططهم إلا أن كثيراً من المفكرين قد نبهوا الى الهدف الذى ترمى اليه بريطانيا من وراء تشجيع هجرة اليهود الى فلسطين. وتدل الوثائق التاريخية على أن السيد رشيد رضا (صاحب المنار) ويوسف الخالدى السياسى الفلسطينى قد أدركا فى مرحلة مبكرة أن خطة الصهيونية تهدف إلى إقامة دولة يهودية فى فلسطين.

وعندما ساء حال العرب فى أواخر العهد التركى حيث سيطرت جمعية الاتحاد والترقى على الخلافة التركية وعملت على تتريك العرب وساعدت اليهود على الهجرة الى فلسطين عندئذ اتجه الأدب الفلسطينى قبل الحرب العالمية الأولى فى الاتجاه الذى سار عليه الأدب فى الأقاليم المجاورة وبخاصة سورية حيث كانت القضية العربية والتحرر من الحكم التركى أهم ما يشغل بال الشعر والشعراء والدافع المباشر لذلك الاعتقاد باستحالة صد الخطر الصهيونى فى إطار دولة مكبلة بقيود الامتيازات الأجنبية ولكن بعض الشعراء نبهوا الى مخاطر الصهيونية قبل الحرب العالمية الأولى كما رأينا فى أبيات الشاعر «محمد اسعاف النشاشيبى» وبعد أن دخلت بريطانيا فلسطين وأعلن بلفور وعده المشؤوم ولم تعد تخفى على أحد النوايا العدوانية التى يبيتها الانجليز واليهود فاتجه الشعر كله نحو القضية الفلسطينية ونبه الشعراء الى ما أعلن وما خفى من الخطة الصهيونية وقد قدم لنا الشاعر برهان الدين

العبوشى مسرحية «وطن الشهيد» وطبعت في القدس سنة ١٩٤٧م وصور فيها التخطيط الصهيونى تصويراً عضوياً متماسكا نقتطف للقارىء بعض ما جاء فيها.. فهو يقول على لسان «وايزمن» الذى أسهم فى الحصول على وعد بلفور (وأول رئيس لدولة اسرائيل) يقول مخاطباً اليهود:

أبشركم بالفوز والفوز يفرح
فقد نجح المسعى وذو الجد ينجح
نزعت لكم بالمال وعدا مصدقا
فتيهوا بهذا الوعد يا قوم وامزحوا

● ويقول على لسان «كالفرسكى» أحد دعاة الصهيونية:

ألا أبلغوا بلفور عنا تحية
وما غير بلفور يجود ويسمح
عسانا بهذا الوعد نصبح دولة
لها فى الورى حكم وجيش مسلح

● ثم يعرض الشاعر جوهر القضية من وجهة نظر الصهيونية وطرق تذليل المصاعب فيقول (وايزمن):

قضيتكم يا قوم أرض وهجرة
فإن تنجحوا فيها فيافوز آمالى

● فيسأل «ديفيد»:

وهل يتسنى لليهود دخولها
برغم ذويها وهى فى وسع غربال

● فيجيب (وايزمان) مبينا طرق تذليل المصاعب:

نعم سوف نجلى أهلها عن ديارهم
ونوصد سبل العيش عنهم بأقفال
ونقضى على الفلاح وهو عمادهم
ونغرى وجوه القوم بالعرض البالى
سندخلها ألفاً وألفين خلسة
وانَّ اعتراض القوم ليس بذى بال

● وحول المخاوف التى قد تنتاب بعض الصهاينة يقول على لسان «شلومو»:

أأنت تخاف الشرق والشرق نائم
فقمت تثير الرعب فينا وتنذر
وان كنوز الشرق فى الأرض لم تزل
على حالها والنفط فى الشرق أنهُر
وفيم نخاف العرب والعرب أمة
على فطرة الماضى وشمل مبعثر

● ويسأل أحدهم عن المال اللازم لبناء الجيش فيجيب الآخر:

كنوز ما علمت لها نفاداً
وأمريكا سترعاه نصيراً

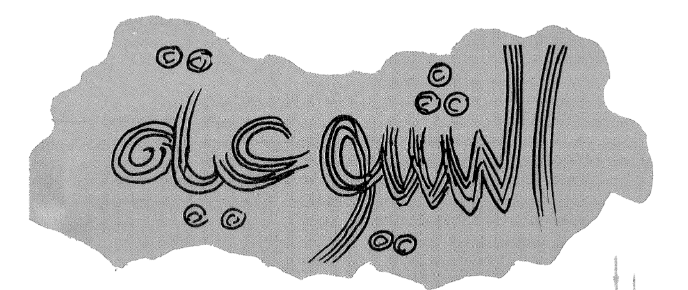
● ويسأل أحدهم: هل تعيننا أميركا لوجه الله أم لها مطامع فيجيب «عزرائيل»:

وفيم نخاف أمريكا وإنا
رعاياها وقد كانت ظهيرا
لقد وقفت بجانبنا طويلا
وقد حلت لنا الأمر العسيرا
وان طموحها فى الشرق فيه
لنا عون إذا خفنا المصيرا

وبعد: فهل ما قاله الشاعر برهان الدين العبوشى خيال شاعر أم أنها حقائق وقعت؟ إنها تجربة شاعر عانى ما عانى فكانت له هذه الرؤية التى جاءت كفلق الصبح.. فالشاعر برهان الدين العبوشى ولد فى جنين سنة ١٩١١م وتعلم فى مدارسها الابتدائية ودرس فى جامعة بيروت الأميركية وفُصل منها لأسباب سياسية فعاد الى فلسطين وأسهم فى أحداثها الوطنية بسلاحه وقلمه فحُبس ونُفى وقال شعراً فى كل ما صاحب القضية وخاض الحرب التى نشبت سنة ١٩٤٨م ودافع مع الجيش العراقى



عن بلده جنين حين احتلها اليهود واخرجوا منها ثم هاجر الى العراق فاشتغل فى التعليم واستوطن هناك وهو أول من نظم قضية فلسطين فى مسرحية شعرية طبعها فى القدس سنة ١٩٤٧م ونظم مسرحية أخرى بعد النكبة تحت عنوان «شبح الأندلس» وله ديوانان من الشعر أولهما «جبل النار» والثانى «النيازك» . . فالشاعر قد التزم بقضية بلاده فجاء شعره سجلا واعيا صور كفاح الشعب الفلسطينى خلال فترة الانتداب ونكبته بالصهيونية وهو يلتزم فى شعره بوحدة البيت وعمودية القصيدة ويعنى بجزالة العبارة وفخامة الألفاظ وطنين الأوزان ومع ذلك فشعره ثورى عاطفى حافل بموضوعات التوجيه والتوعية والنقد الوطنى اللاذع . ولم يكن توجيه الشعراء مبنيا على الوهم والخيال وإنما يأتى بعد خبرة عميقة فيما يحيط بهم من الأحداث فالشاعر صاحب احساس دقيق يهتز لكل حادث سواء كان كبيراً أم صغيراً ولا يكون تأثره إلا بعد فهم عميق يعمل فيه عقله وفكره وينفعل حباً أو كرهاً على حسب رفض العقل أو قبوله . . ولذلك فإننا عندما نمعن النظر فى هذه المحاورة التى قدمها لنا الشاعر العبوشى فى



الافكار التى لا تقوم على عقيدة صحيحة ولا تنبنى على قاعدة متينة وانما تقوم على المغالطة فى ابراز الحقائق وتبنى على التزوير فى تقديم المعلومات : هذه الافكار مهما غلفها الخداع وتلفعت بالنفاق فى سوق الشعارات ومهما غذتها جهات ذات صبغة معروفة فى ميدان المكر والتضليل فانها تنكشف ولو بعد حين . . وهذا هو وضع الاحزاب الشيوعية التى ظلت ردحا من الزمن تتلبس الروح القومية وتنادى بالتحرر الوطنى وهى اسيرة تخطيط يهودى لئيم . . فاليهود حين تعذر عليهم هزُّ القناعات الايمانية فى نفوس المسلمين والاساءة الى رسالة الاسلام بصورة مباشرة لجأوا الى عملية التخفى وراء اقنعة مزيفة وخلف اسماء براقة حتى يصلوا الى غاياتهم متوارين فى ظل تلك الاسماء ووراء تلك الشعارات ولذلك تبنت اليهودية الافكار الشيوعية واستخدمتها بمهارة لتحقيق اغراضها وسخرتها بذكاء للقيام بالادوار التى تريدها وصنعت لها الشعارات وأمدتها بالتمويل لتجعل منها منطلقا نحو تحقيق اهدافها المطلوبة ومراميها البعيدة .

ولا يفوت المتابع للحركات اليهودية وامعانها فى





وقت مبكر من تاريخ القضية نجد الخطة التى انتزعها من عقول الصهاينة مطبقة بحذافيرها فهى خطة تهدف الى توطين اليهود واعمار الأرض بالسكان ولا يكون هذا إلا بطرد المواطنين العرب واستعمال كل الوسائل لحرمانهم من بقائهم فى بلادهم وهذا يتطلب اسلوب البطش والارهاب والخداع والتضليل ولابد من تجنيد الدعاة والعيون وتسخير الأموال لتجهيز الألوف وتسهيل الاستيطان وشراء الأراضى والذمم وخلق الاجواء المناسبة لاستمالة الرأى العام واقناعه بعدالة القضية الصهيونية . .

هذه الخطة التى أوضحها الشاعر هل فعل الاسرائيليون غيرها؟ واذا كانت هذه الخطة واضحة منذ البداية فهل حاولنا إبطالها؟ لقد بقينا نحسن الظن فى أعدائنا ونستهين بقدراتهم حتى ملكت علينا الأوطان . . ولازلنا نسخر من قصائد الشعراء ونداءاتهم ونستهين بقدراتهم على الكشف عن الحقائق المخفية مع أن الشعراء فى قديم تاريخ العرب وعند الأمم المتحضرة يعتبرون الموجهين فى أشد الأوقات قسوة . .

وللحديث صلة لمعرفة أثر الشعر فى قضية «فلسطيننا» .

بقلم مسلم بن عبدالله المسلم «السعودية»

الحلقة الأولى

ركيزة صهيونية

التحركات المشبوهة التى تدور ضمن دائرة المكر والخداع والهدم والضياع : ان يرى ظل بروتوكولات حكماء صهيون مبسوطا على ساحة المنظمات الشيوعية ويجد فى تصرفات هذه المنظمات دلالات قاطعة ومواقف شاهدة على تبنى اليهود للمنتمين للشيوعية ومساندتهم فى نشاطاتهم الهدامة ودعواتهم المنحرفة والعمل على غرسهم فى كل مكان ووضعهم فى كل نظام حتى يقوموا بخدمة الاهداف الصهيونية ويحققوا لها فى العلن ما تسعى الى تحقيقه فى السر . . وذلك بدلا من المواجهة الواضحة باسم اليهود الصريح تأتى عن طريق الحركات الشيوعية من وراء ستار.

ولذلك يجيء تصعيد الضحايا من المخدوعين بالشعارات المزيفة والعبارات المضللة حيث ينصبون لهم الشراك ويدرسون عندهم نقاط الضعف ويسلطون عليهم ادوات الاغراء سواء تم ذلك فى صورة مال او جنس او سلطة واليهود فى هذا السبيل ينفقون بلا تردد ويتوسلون بالأعراض للوصول الى الغايات ، فعندهم الغاية تبرر الوسيلة ولذلك يبحثون عن المناخات الملائمة لوضع هذه البذور السيئة حتى تنبت مبادىء يستثمرونها لصالح الصهيونية وكما يسعى التبشير النصرانى الى استغلال المجاعات الوافده والاستفادة من الكوارث الحادثة من فقر

وامـراض وضيق فى العيش. كذلـك يفعـل اليهـود فينتهزون المناسبات ولا يضيعون الفرص فى التقاط الاشخاص الذين يتوسمون فيهم القيام بالمهام التى توكـل اليهم ويتم لهم الحصـول على بغيتهم من الأعداد التى يريدون لأن مقاومة الاغراءات لا تتوفر لدي كل انسان.

وفى هذا الجـو المتاح تنشـط اجهـزة الصهيـونيـة فى تكوين الخلايا وتنظيم الكـوادر وصبغهـا بالصبغـة القـوميـة واضفـاء روح التحـرر عليهـا بحيث يكون الطابع البـارز لها يتمثـل فى الـوعـود للتحرر من الاستعمار وخدمة الوطن بينما السبب الحقيقى كامن فى خدمة اليهـوديـة ولـذلـك فانهـا تعمد الى خلق طبقة من القياديين فى الاحزاب الشيوعية تدفعهم عوامل معينة فى حياة كل منهم الى المغامرة والاندفاع الى تبنى هذه الـدعـوات المشبـوهة كما نرى ذلك واضحا فى حياة الفـاشلين دراسيـا والمحـرومـين من النشأة السليمة والذين تربوا فى احضان الفاقه والفقر المدقع والذين يعـانـون من عقد نفسية ومركبات نقص والذين لا يشدهم انتماء معين الى اسرة او وطن.

كل هؤلاء لديهم الاستعداد لتلبية اول ناعق حيث يجدون استجابة لنوازعهم الغامضة ولحياتهم المغمورة ومن هذا المزيج العجيب من امثال هؤلاء الاشخاص تجد الصهيونية فيهم ضالتها المنشودة وبغيتها المطلوبة لتـزرع فى نفـوسهـم التوتر والقلق وتمنيهم بالطموح والطمـع وتشعـرهـم بالتنفيس عن تطلعاتهم المكبوتة ليصبحـوا مطـايـا لأغـراضهـا ومنفذين لمآربها حيث تقودهم كما تشاء وتوجههم حسبما تريد.

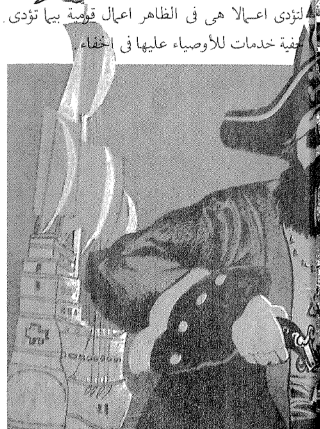
ودور اليهود بارز فى احتضان هذه الفئات التى يسهـل السيطـرة عليهـا وتـوجيهها لتتحول فيما بعد الاعداد الى فئة انقيادية تنفذ الاوامر وتلبى الرغبات ومن هنـا استطاع اليهود باصرارهم ومكرهم وخبث طويتهم ومهـاراتهم فى صنـع شبكـات التخريب ان يضعوا الاسس واللوائح والانظمة للاحزاب الشيوعية التى وضعوا جذورها فى العالم والتى قاموا بتأسيسها فى البلدان العربية بالذات ـ كما سيأتى الحديث فيما بعد ـ وهـذا الى جانب انـه من الاعمـال التى تحرص اليهـوديـة على تبنيهـا بحكم طبيعـة الحقد والنقمة المتأصلة لديهـا ضد العـرب والمسلمين خاصة وضد جميـع الاجنـاس الاخـرى عامة فانها بدأت تكوين الاحزاب الشيوعية بمؤسسين يهود لأنها لا تأتمن على هذه الـرسالة سوى يهود اصالة وولاء رغم اعدادها لعناصر بديلة فيما بعد الا انها لا تثق حين بدء عملية التأسيس الا فى يهود بالأصالة..

وفى ضوء هذا التصور قامت الاحزاب الشيوع على ايدى مؤسسيها من اليهود.. واذا انطلقنا م بداية التأسيس الحزبى الشيوعى نجد مؤسس ه المـذهب كارل ماركس يهودى وحتى بعض الاغنيا من اليهود جرى توظيفهم لخدمة هذا المذهب والتفس المنطقى لترويج بعض هؤلاء الاغنياء اليهود للشيوع يعود الى طبيعة اليهود فى اخفاء اغراضهم والاحتيا على توصيلهـا الى الغير عن الطريق الذى يضم عمليـة التضليـل ولهذا يكون التبشير بالشيوعية م غنى اجـدى من التبشير بها من فقير فالثرى هنا ل منطق مقنع بينما المعدم لا ينهض منطقه فى وهدة الفق والحقد على طبقة الاثرياء والموسرين.. ولذلك فا لابد ان ننظر الى هذه العملية بمنظار يحدد ابعاد ويقـرب المسـافة التى تدنيها من الافهام فاستخدا الاغنياء هنا ظاهر يخفى وراءه باطنا واليهود لهم ظاه وباطن، فالظاهر هو ما يعملونه للناس ويتعاملون م خلالـه مع غيرهم والباطن ما يمثل عقيدتهم وانه



شعب الله المختار الذى لابد ان يتميز على سائر البشر وما دام هذا التميز لن يتم علانية فلابد ان يأتى من وراء عملية انتقام من الاجناس المخالفة لليهود بهدم قيمتها والشغب عليها ولهذا جاء دور الترويج للشيوعية ومن هذه الزاوية المعتمه استمدت اليهودية نظرتها الى الديانات الاخرى والى معتنقيها. . فنظرة اليهود الى الشيوعية ليست نظرة اقتصادية ولا يتعاملون معها من هذا المفهوم وانما هى نظرة عنصرية يحققون فى ظلها التنفيس عن احقادهم ومكائدهم للوصول الى ما يتوهمونه من انهم شعب الله المختار.

واذا استعرضنا آثار اليهود وبصماتهم على الحركات الشيوعية نجدها واضحة للعيان تعمل مجاهرة بلا خفاء حتى تطمئن الى اشادة البنيان ثم تعهد به الى كوادر جرى اعدادها للمرحلة التالية لتؤدى اعمالا هى فى الظاهر اعمال قومية بينما تؤدى خفية خدمات للأوصياء عليها فى الخفاء.



واذا نظرنا الى بداية الاحزاب الشيوعية وجدنا منطلقاتها من اليهودية والقائمين عليها من اليهود فالثورة الشيوعية التى قامت فى روسيا عام ١٩١٧م من صنع يهودى متقن وصناعها يهود مثل ماركس ولينين.

وإذا كان ماركس يهوديا أصيلاً فان البعض يشك فى يهودية لينين لكن نقول لهؤلاء المتشككين ان وايزمن اول رئيس لاسرائيل فى مذكراته يؤكد أن لينين: (يهودى النسب صهيونى الفكر).

ولا ادل على عنصرية اليهود التى تقوم على الهدم من انهم عندما يتبنون الشيوعية كمذهب لا يقومون بتطبيق تعليمات هذا المذهب من جانبهم وانما يطالبون غيرهم بالالتزام بتطبيق تعاليمه، فهو مذهب يعلن ظاهريا بقصد معلن وهو اذابة الفوارق بين الطبقات لكن اليهود احرص الناس على بقاء الطبقية وعدم اذابة الكيان اليهودى فى اى كيان آخر مهما اتسع هذا الكيان ومهما اصبح له من سيادة. . فهم يبذلون كل جهودهم لمنع هذا الذوبان فى اى صورة من الصور وتحت اى ظرف من الظروف حتى لوكانت التيارات متجهة ضدهم فانهم يحنون رؤسهم للعاصفة تمر وبعد ذلك يتكتلون لمواجهة الموقف الذى يوحد صفوفهم ويحدد طقوسهم ولذا فانهم يحتفظون بالطبقية حتى لا يذوبوا فى غيرها بينما هم يدعون غيرهم للذوبان حتى لا تتكون طبقية اخرى تنافس التكتل اليهودى الطبقى ووضعهم فى امريكا بالذات دليل صارخ على تجذرهم وعنصريتهم فقد امتنعوا عن الذوبان فى هذا المجتمع رغم ان جميع الفئات المهاجرة ذابت فيه.

■■ واعمال اليهود فى الدعوة للشيوعية ونشرها على

نطاق واسع وبروزهم تحت هذا المظهر الخادع بينما هم فى حقيقة الامر يتخفون فى ثياب لا تبرز حقيقتهم ولا تكشف انتماءهم اليهودى المستور حيث يموهون ظاهريا بالتزامهم بالتعاليم الشيوعية بينما هم يمارسون باطنا طقوسهم المذهبية لديانتهم اليهودية ولذلك يتسترون فى احيان كثيرة فى نشاطاتهم الحزبية تحت اسماء مستعارة لأن ذلك ادعى للتمويه وابلغ فى تنفيذ المقاصد التى يهدفون اليها وهى مقاصد دينية وعنصرية وفى ظل هذا الاعتبار يتحدد وضع المؤسس او العضو العامل فى الحزب الشيوعى ولذلك دأبوا على استعمال اسماء مستعارة بدلا من اسمائهم اليهودية الصريحة على النحو التالى:

● ***كارل ماركس المؤسس الاول ومفلسف الشيوعية ينحدر من ابوين يهوديين وهو حفيد الحاخام مردخاى ماركس. وقد ظل على اسمه اليهودى لأنه اشتهر به.***

● ***لينين احد مؤسسى الشيوعية وهذا الاسم مستعار واسمه الحقيقى اليهودى «زيدر بلوم».***

● ***ستيكلوف صاحب النفوذ فى الجيش الروسى خلال الثورة واسمه الصحيح: ناهينكس يهودى المانى.***

● ***تشيرنوف. وزير الزراعة فى حكومة السوفيت اسمه اليهودى الصحيح: فيلدمان.***

● ***جولد نبرغ. . وهوليش عضوا مجلس السوفيت الأعلى: يهوديان من اصل المانى.***

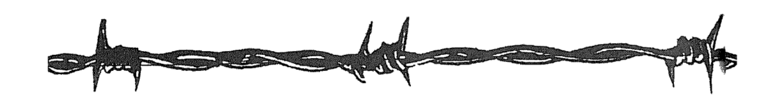
الثلاثة الذين يحتلون مرتبة عليا بعد لينين فى المجلس السوفيتى جميعهم يهود وكل منهم يحمل اسما مستعارا مغايراً لاسمه الحقيقى امعانا فى التضليل كالاتى:

زينوفيف الاسم المستعار، والصحيح ان اسمه: ابظوم. . تروتسكى الاسم المستعار، واسمه الحقيقى برونشتاين. . كاميف الاسم المستعار، والاسم الصحيح زوز نفيلد.

معلوم ان زوجتى كل من: ستالين ومولوتوف يهوديتان وان ابنة ستالين متزوجة من يهودى ويقال ان جدة ستالين لأمه يهودية.

هذا بالنسبة لبعض قادات الحزب الشيوعى فى موسكو بالذات والذى هو الركيزة الاساسية لمنطلقات الشيوعية فى انحاء العالم.

ومن الاستقراء الذى قدمناه والاستعراض الذى تقدم يتبين مدى صلة اليهودية بالشيوعية وتغلغلها فيها وقيام اليهود بتأسيس الاحزاب الشيوعية وتبنيها والهدف واضح والغاية معروفة والدليل قائم والشواهد ملموسة فى الحضور اليهودى فى المجال الشيوعى وتوجيه الطاقات عن هذا السبيل لصالحهم وتوظيفها لمصلحة كيانهم فشعورهم بالأقلية بين الاجناس فرض عليهم التفوق فى كثير من العلوم والمجالات ولذلك نشأ بينهم شخصيات تكونت لها مراكز مرموقة صنعوها بجهودهم واحتالوا للوصول اليها بكل الطرق وبجميع الاساليب. . واليهود تشدهم حوافز الشعور بالدونية والاضطهاد وانتماؤهم الى التيه فى السابق والأقلية فى الحاضر الى التكاتف فيما بينهم ومحاولة الخروج بنظريات تخدمهم ومن هنا لجأوا الى الرؤية الدينية من خلال موروثاتهم التوراتية حيث توجه فاعلياتهم وتكرس تخصصاتهم وتوظف قدراتهم للحصول على وطن قومى يمثل فى مأثوراتهم ارض الميعاد التى يحلمون بها وقد امتطوا حصان الشيوعية لبلوغ اهدافهم وتحقيق اطماعهم.



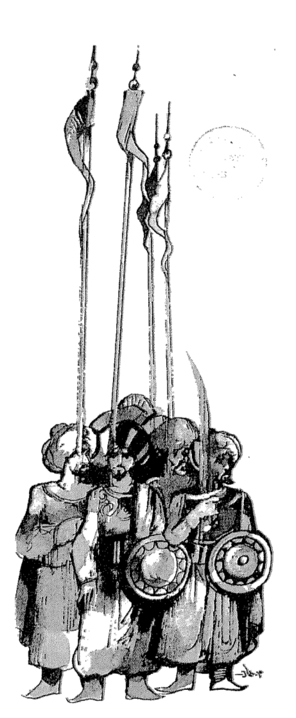
●●

شعور اليهود بالدونية والاضطهاد والتيه كل ذلك دعاهم للتكاتف ومحاولة الخروج بنظريات دينية تخدم ماهم فيه

●

اليهود أكثر عنصرية وعرقية عن غيرهم . . لا يذوبون فى المجتمعات ويظلون منها على حذر

●●



وقد تحقق لهم ـ مع بالغ الاسى وشديد الاسف ـ ما يريدون نتيجة ما كانوا يخططون وثمرة ما كانوا يعملون . . تم ذلك فى غفلة من العرب وعدم يقظة من المسلمين فأين ما حققه اليهود على حساب المقدسات الاسلامية وعلى حساب الاراضى العربية مما عليه واقع العرب والمسلمين اليوم من تفرق وتخلف واختلاف؟ .

لقد صدَّع الشيوعيون رؤوسنا بالكلمات الفارغة والتشنجات المبتذلة ولم يخجلوا من كثرة التشدق باجترار الأفكار الوافدة وترداد الهتافات الجاهزة التى تصب فى مجرى واحد لا يتغير هو الزعم برفع مستويات الطبقات الكادحة الى آخر تلك الأكلشيهات المحفوظة والتعبيرات المكررة والمبادىء المعلبه التى لا تنطلى على مدرك ولا تهز قناعة مؤمن .





العدنانى

رأيته عندها والدمع مضطرب
الجفن يحبسه والوجد يدفعه
فخلت نفسك تدرى ما ألم به
يوم الفراق وما تبديه أدمعه
وفى المآقى دموع لست تبصرها
وفى الضلوع انين لست تسمعه



ولد محمد فى مدينة جنين الفلسطينية فى ٢٦ آذار ١٩٠٣ وكان والده حاكما لتلك المدينة فى العهد العثمانى وتلقى علومه الابتدائية فى (جنين) و(طولكرم) و(غزة) و(دوما) و(دمشق) و(صيدا) واتم دراسته فى مدرسة الفنون الاميركية بصيدا وعملاً بوصية والده درس فى جامعة بيروت الأميركية الطب سنتين تحضيريتين وسنتين فى كلية الطب ثم التقى بأمير الشعراء احمد شوقى فى لبنان وانشده معارضته لقصيدة ابن زريق البغدادى التى مطلعها.

لا تعذليه فان العذل يولعه
قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه

● وعندما وصل العدنانى الى قوله:

أصرّ شوقى على ان يترك كلية الطب الى كلية الآداب بالجامعة نفسها وعلى ان يصبح والده الروحى فنزل عند ارادته وفاز بشهادة كلية الآداب عام ١٩٢٧ وسافر الى العراق وأصبح استاذا فى دار المعلمين والثانوية المركزية ببغداد. . ثم عاد الى فلسطين واصبح استاذا للأدب العربى فى كلية النجاح الوطنية بنابلس (١٩٣١ - ١٩٣٣) وانتقل بعد ذلك الى القدس استاذا للأدب العربى فى الكلية الرشيدية مدة تسع سنوات. وفى عام ١٩٤١ نال الجائزة الأولى فى مباراة شعرية موضوعها **(حرب الطيارات)** وقد شملت المباراة شعراء فلسطين والأردن وقد اعتقلته السلطات البريطانية ثلاث مرات ابان وجوده فى القدس دون ان يحاكم الا فى واحدة منها اتهم فيها باغتيال المستر آيليف مدير المتحف



الفلسطيني فى باب الساهرة ولم ينقذه من حبل المشنقة الا تمسكه بعروبته ومحافظته على العادات العربية النبيلة .

وفى الحرب العالمية الثانية نفى الى (يافا) لأسباب وطنية وبعد انتهاء الحرب ومرور خمس سنوات على نفيه اعاده المستر فرل الى (القدس) رئيسا للقسم العربى للامتحانات الجامعية فى دائرة المعارف العامة .

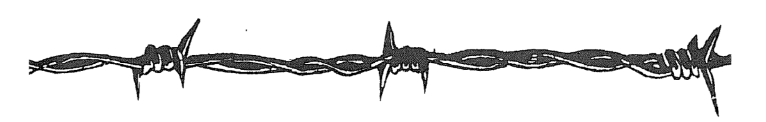
وفى عام النكبة الاولى عام ١٩٤٨ يمم مدينة الزرقاء الأردنية مشردا عن وطنه الحبيب حيث اقام فى تلك المدينة ستة اشهر ثم برحها الى سورية حيث درس فى الجامعة السورية ثم فى جامعة حلب ودارى المعلمات والمعلمين فيها الى ان تقاعد عام ١٩٦٤ .

ثم انتقل الى (صيدا) مديرا لكلية المقاصد امضى فيها مدة ثلاث سنوات وعمل بعدها مديرا اداريا لشركة المقاولات والتجارة (فرع المدينة المنورة) وفى صدر عام ١٩٦٨ انتهى مشروع الشركة هناك فعاد الى (صيدا) وتفرغ للانتاج الأدبى .

أسرته :

هو من أسرة (**خورشيد**) المعروفة فى العالم العربى تلك الأسرة التى أبى أحد الاجداد فيها ـ (**خورشيد باشا الحسنى**) الذى عاش ١١٥ عاما ـ الا أن تنسب الأسرة كلها اليه فى منتصف القرن التاسع عشر ولما شب محمد عن الطوق ونظم الشعر كوالده وعرف انه من أصل عربى وان كلمة (خورشيد) فارسية ومعناها (الشمس) بادر دون اهله الى تغيير اسم أسرته من (خورشيد) الى العدنانى نسبة الى عدنان جد الحسن بن الحسين وقد جاء فى قصيدته التى عنوانها: من محمد العدنانى الى محمد خورشيد :

نشأت على هوى الفصحى صبيا
ومع شعرائها خضت العبابا
فلم تر غير آى الله وردا
فراح اللب يلتهم الكتابا
حملت اسم (خورشيد) ولم
تمت الى الاكاسرة انتسابا
لقد ظلموك فالدم يعربى
من الزهراء سال سنى وطابا



اعماله الادارية

كان رئيسا لجمعية العروة الوثقى الأدبية فى الجامعة الأمريكية ببيروت وهو فى السنة النهائية من كلية الآداب ورئيسا لقسم المحاضرات فى بناية وست بالجامعة نفسها ورئيسا للجنة التنفيذية العليا للاتحاد القومى الفلسطينى فى محافظتى حلب وادلب ابان الوحدة بين مصر وسورية (الجمهورية العربية المتحدة) وقد استطاع الابقاء على الاتحاد الفلسطينى سنة كاملة بعد الانفصال.

جهاده ضد الأعداء

هاجم الجيش الفرنسى الذى دخل صيدا عام ١٩١٨م وخلال دراسته فى مدرسة الفنون الاميركية بصيدا انذر بالطرد مرتين لالقائه قصيدتين سنتى ١٩٢١ و١٩٢٢ هاجم بهما الاستعمار ودعا الى الاستقلال والوحدة العربية.

وابان دراسته فى الجامعة الاميركية ببيروت طرد مع زملائه شوقى الدندشلى واحمد الشقيرى ويوسف الكيلانى لانهم القوا خطبا فى ٦ أيار ١٩٢٧ على قبور الشهداء الذين اعدمهم السفاح جمال (باشا)، وكان العدنانى قد القى قصيدة حماسية عنيفة واعتقلهم الفرنسيون.

وبعد تخرجه وعمله فى التدريس ببغداد اعتقل مرتين: الأولى عندما حرض على الثورة ضد الانتداب البريطانى الغشوم هناك. ومرة أخرى اعتقل العدنانى فى بغداد عندما قام بشرح اهداف الصهيونية ومبادئها الهدامة لطلابه الابطال الذين اثاروا معظم سكان بغداد فخرجوا وخرج شاعرنا مع طلابه وبعض زملائه وقطعوا الطريق على اليهودى الانكليزى الثرى (الفرد موند) (اللورد ميلتشت فيما بعد) وارغموه على ان يتأخر فى الصحراء الى الليل ويدخل بغداد متخفيا من جسرٍ آخر بعد ان حطمت جميع اقواس النصر التى اقيمت له.

شعره:

عمل بنصيحة أمير الشعراء احمد شوقى واهتم باللفظ اهتمامه بالمعنى وحاول جهده ان تكون لغته صحيحة وما كتابه (معجم الاخطاء الشائعة) الذى لفت اليه أنظار كثير من ادباء الاقطار العربية وفاز باعجابهم ليس هذا المعجم الا وليد بحث مستفيض فى امهات المعاجم القديمة جميعها واشهر الحديثة منها وفى أحسن كتب النحو والصرف القديمة والحديثة ولم يبذل العدنانى كل ذلك الجهد الجبار الا ليفوز بلغة صحيحة فى شعره الذى لا يدعى فيه الكمال.

وله غزل متأجج العاطفة عفيف وشعره كله تمتزج فيه العاطفة بالعقل امتزاجا يزداد فى الغزل والهجاء والشعر القومى والرثاء وشعر الثورة على المستعمر والحنين الى فلسطين ويقل امتزاج العاطفة فيه بالعقل فى الوصف والتوجيه الاجتماعى والخلقى.

وللعدنانى شعر قومى جزل تتأجج فى ابياته محبته لأمته وايمانه برسالتها وعظمتها وخلودها شعر كاد يسجل به كل حادثة بارزة من حوادث العالم العربى خلال نحو نصف قرن من الزمان ينسج فى قوة شعر المتنبى ووضوح شعر البحترى ورقته وخيال أبى تمام وسموه كما قال عنه النقاد وجميع دكاترة الأدب الذين كتبوا عن الشاعر العدنانى الثائر.



وللعدنانى شعر اجتماعى انتشرت قصائده فى ثلاثة من دواوينه هى (**العبير والروض وزهر**) وقد خص الجزء الثانى من العدنانيات بقصة شعرية رمزية عن الأم وتضحياتها العظيمة اسماها (**ملحمة الأمومة**) نظمها بشكل موشح ونال بها ثناء فى العالم العربى. كما نظم فى الوصف والاخوانيات والهجاء.

نماذج من شعره :

وصف العدنانى ما يجب ان يكون عليه الزعيم :

ليس الـزعـيـم هو المختـال فى برد
من الـدمقس وفى تاج من الـذهـب
ان الـزعـيـم هو الـفـادى رعيـتـه
بالـروح لا بالبيـان الفـذ والخطب
ان الـزعـيـم هو الـبـانـى معـاقـله
بسـاعـد ليس يشكـو وطأة النصب
والسـاهـر الليـل يرعى فيـه امتـه
وليس يقـعـد عن سعى وعن دأب
والبـاسـط الكف حتى لا يجوع فتى
وان طوى ليله فى قبضة السغب
والـلابس الحلم فضفاضـا تخر له
شم الجبـاه خشـوعـا مسبل الهدب

● واختتم تلك القصيدة الرائعة التى وصف فيها الزعيم الحقيقى وحمل على العرب بقوله :

يا ويـح شعـرى قد قامت قيـامتـه
ومـن قوافيـه اجـت جمرة الـغـضـب
ثارت على العـرب تصليهم جهنمها
تنقض نيرانها حمراء كالـشـهـب
ولـو اطـلـت قوافـيـه على كبـدى
لم تلف فيهـا وفى قلبى سوى العـرب

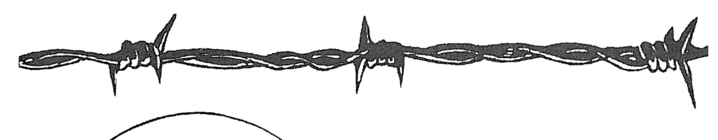
نثره :

ان نثر العدنانى رغم قوته ومتانة سبكه هو السهل الممتنع وروح الدعابة ظاهرة فى معظم كتبه وقصصه ومقالاته وهو بارع فى الترجمة الى العربية.

من آثاره :

صنف العدنانى الكثير من الكتب ونظم الكثير من القصائد ونشر الكثير من المقالات ومن كتبه المطبوعة :

١ - امير الشعراء شوقى - طبع عام ١٩٣٣ .
٢ - فى السرير - طبع عام ١٩٤٦ .
٣ - اللهيب (ديوان شعر) - طبع عام ١٩٥٤ .
٤ - ملحمة الأمومة - طبع عام ١٩٥٧ .
٥ - فجر العروبة (ديوان شعر) - طبع عام ١٩٦٠ .
٦ - الوثوب (ديوان شعر) - طبع عام ١٩٦٥ .
٧ - الروض (ديوان شعر) - طبع عام ١٩٦٦ .
٨ - أبو بكر (بمشاركة الشيخ ابراهيم القطان) - طبع عام ١٩٥٩ .
٩ - الاعراب (خمسة اجزاء) طبع عام ١٩٥٦ .
١٠- النحو البسيط - طبع عام ١٩٤٦ .
١١- الروضة (خمسة أجزاء) طبع عام ١٩٤٤ .
١٢- الطرائف (سلسلة للأطفال) طبع عام ١٩٤٥ .
١٣- اقاصيص الاطفال (٢٠ جزءا) من سنة ١٩٦٧-١٩٧١ .
١٤- معجم الأخطاء الشائعة - طبع عام ١٩٧٢ .





(المدرسة البدرية)

تنسب هذه المدرسة إلى واقفها بدر الدين محمد بن أبى القاسم محمد الهكارى. وهو من كبار المجاهدين فى عصر الحروب الصليبية وقد استشهد وهو يقاتل الصليبيين بالقرب من نابلس فى سنة ٦١٤هـ/١٢١٧م.

أنشأها ووقفها على فقهاء الشافعية فى سنة ٦١٠هـ/١٢١٣م فى عهد الملك المعظم عيسى ووقف عليها أوقافا كما يبدو فى النقش الكتابى التذكارى فوق مدخلها.

● وذُكر ان الملكة بدرية كانت قد أمرت بانشائها كما يبدو واضحا من نقش كتب على بابها.

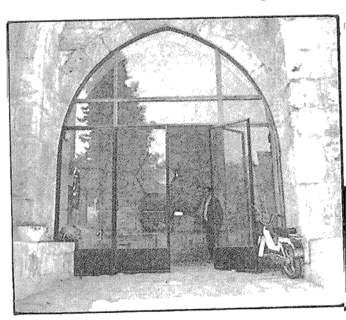
ولم يبق منها اليوم سوى بوابتها وهى عبارة عن مدخل يعلوه عقد مدبب ويوجد النقش التذكارى الحجرى بين المدخل والعقد ويبين اسم البانى وسنة البناء.

وأما اجزاؤها الاخرى المهدمة فقد دمجت بالمبانى المجاورة وتحول موقعها الى دار للسكن وفى الجزء الغربى منها ضريح كبير من الحجر ولعله قبر الامير بدر الدين الهكارى.

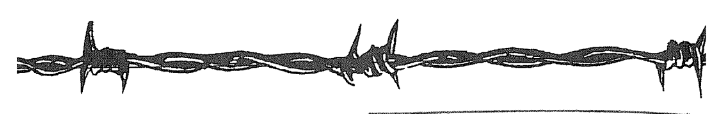
(القلعة)

بنيت هذه القلعة قبل الفترة الاسلامية وهى حصن عظيم البناء وفيه برج للمراقبة ومسجد للصلاة وأماكن للسكنى وقد جددت وعمرت وأضيف اليها فقد جدد الصليبيون عمارتها. وفى العصر الأيوبى بنى الملك المعظم عيسى برجا حربيا جميل الشكل فى سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م ويقع هذا البرج فى وسطها.. وفى العصر المملوكى نالت القلعة عناية كبيرة وأصبح لها نائب مستقل وكانت تدق فيها الطبلخانة وقد اضيف اليها مسجد فى عهد الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م ورمم بناؤها ورمم باب مدخلها فى عهده.

ويبدو ان نيابتها قد أهملت فى أواخر العصر المملوكى.



بوابة القلعة



(الرواق الشمالى)

أنشأ هذا الرواق عدد من السلاطين والأمراء فى سنوات متباعدة فقد أنشأ الملك المعظم عيسى أقدم جزء من هذا الرواق وهو الجزء الممتد غربى باب العتم فى سنة ٦١٠هـ/ ١٢١٣م وفى هذا الجزء نقش كتابى تذكارى يبين اسم المنشىء وتاريخ إنشائه وتقوم فوق هذا الجزء من الرواق المدرسة الأمنية والمدرسة الفارسية والمدرسة الملكية والمدرسة الاسعردية والمدرسة الصبيبية .

● وعمَّر نجم الدين يوسف بن المعظم عيسى نائب القدس وناظر الحرمين الشريفين الجزء الممتد بين باب حطة وباب العتم فى سنة ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م .

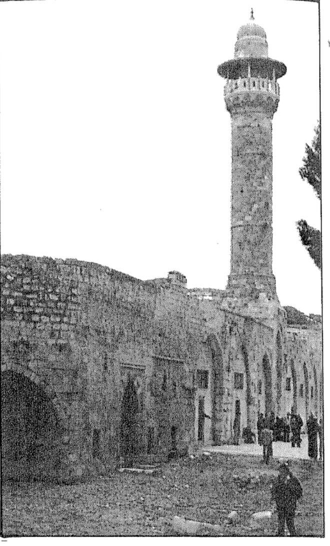
وعمَّر الأمير علم الدين سنجر الجاولى الجزء الواقع فى الركن الشمالى الغربى للحرم الشريف فى سنة ٧١٥هـ. وتقوم فوقه المدرسة الجاولية .

● وأنشأ الملك الأشرف شعبان بن حسين الجزء الممتد بين باب الأسباط وباب حطة فى سنة ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م . وتقوم فوقه أو تجاوره المدرسة الفنرية والمدرسة الطولونية والمدرسة الغادرية والمدرسة الكريمية .

ويتكون هذا الرواق من دعامات حجرية ضخمة تعلوها سقوف من العقود والأقبية المتقاطعة وقد فرشت أرضيته ببلاطات حجرية تعلو قليلا عن ساحة الحرم الشريف .

● وفى العصر العثمانى أقيمت قواطع بنائية وسد هذا الرواق واستعمل مساكن للفقراء الذين وفدوا الى القدس .

وفى سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م قام المجلس الاسلامى الأعلى بفتح الرواق وإزالة القواطع البنائية وعاد الرواق الى هيئته السابقة .



الرواق الشمالى

● وفى العصر العثمانى رممت فى عهد السلطان سليمان القانونى وأضيفت اليها المئذنة فى سنة ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م ورممت ثانية فى سنة ١٠٦٥هـ/ ١٦٥٥م وجدد بناء حائط الخندق فى سنة ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م وجدد مسجدها فى سنة ١١٥١هـ/ ١٧٣٨م ولكنها أهملت فى أواخر العصر العثمانى وأصبحت مخزناً عسكريا .

● ووضعت سلطات الاحتلال الاسرائيلى يدها عليها بعد سنة ١٩٦٧م وهى تحت سيطرتها الآن .



المبحث الرابع

الاجماع على مراعاة الضروريات فى جميع الملل :

ذكر علماء الأصول: اجماع جميع الملل والشرائع على مراعاة الضروريات: فقال القرافى: (الكليات الخمس: حكى الغزالى وغيره اجماع الملل على اعتبارها وأن الله تعالى ما أباح النفوس ولا شيئاً من الخمسة المتقدمة فى مله من الملل وأن المسكرات حرام فى جميع الملل وان وقع الخلاف فى اليسير الذى لا يسكر ففى الاسلام هو حرام وفى الشرائع المتقدمة: حلال أما القدر المسكر فحرام اجماعاً فى الملل)(١).

وهذا الذى ذكره القرافى عن الغزالى هو معنى قوله فى المستصفى: (وتحريم تفويت هذه الأصول الخمسة والزجر عنها يستحيل أن لا تشتمل عليه ملة من الملل وشريعة من الشرائع التى أريد بها اصلاح الخلق ولذلك لم تختلف الشرائع فى تحريم الكفر والقتل والزنا والسرقة وشرب المسكر)(٢).

وقوله - فى شفاء الغليل: (فلم تشتمل ملة قط على تحليل مسكر وان اشتملت فى تحليل القدر الذى لا يسكر من جنس المسكر)(٣).

اعتراضات على دعوى الاجماع :

أورد بعض الأصوليين على دعوى (أن الضروريات مراعاة فى كل ملة) ثلاثة اعتراضات وهى :

الاعتراض الأول

ذكره الامام الزركشى فى كتابه (البحر المحيط) ومحصله: أن دعوى اطباق الشرائع على الضروريات الخمس من حيث الجملة ممنوع لأن ذلك مبنى على أنه ما خلا شرع من استصلاح وهذه الدعوى فيها خلاف بين العلماء مقرر فى محله. ويرى الامام الزركشى أن الأقرب فى دعوى الاستصلاح التوقف(٤).



رد هذا الاعتراض

يمكن أن يجاب عن هذا الاعتراض بأن ما ذكر من خلاف حول اشتمال الشرائع السابقة على الاستصلاح وأن الخلاف مقرر هناك أن هذا الخلاف انما هو بالنظر الى الجواز العقلى . . اذ يجوز عقلا أن لا تشتمل الشرائع السابقة على استصلاح ولا تراعى فيها مصالح العباد ويجوز عقلا أن تشتمل على الاستصلاح . . فالخلاف انما هو فى الجواز العقلى وعدمه فذهب فريق الى جواز عدم اشتمال الشرائع السابقة على الاستصلاح وذهب آخرون الى أن الشرائع السابقة يجوز عقلا أن تشتمل على مصالح العباد فالخلاف فى الجواز العقلى .

● أما بالنظر الى الواقع فانه لم تخل ملة من الاستصلاح . . فقد دل الكتاب العزيز الذى أنزل على نبينا محمد ﷺ أن شرائع الأمم السابقة قد روعيت فيها مصالح العباد بالنظر الى ذلك الزمان كيف لا وقد جاءت هذه الشرائع من البارى عز وجل قال تعالى : ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ (سورة المائدة : ٤٥) .

فهذه الآية تدل على شرعية وجوب القصاص فى القتل العمد العدوان وتدل على أن الشرائع السابقة قد روعيت فيها مصالح العباد(٥) .

الاعتراض الثانى

اعترض على دعوى الاجماع بأن الاجماع على حفظ العقل عند جميع الملل غير صحيح لأن الخمر كانت مباحة فى جميع الشرائع السابقة مطلقاً من غير تفرقة بين القليل والكثير والخمر سبب فى ضياع العقل وهذا ينافى دعوى الاجماع على حفظه .

ويرى الغزالى : أن المباح انما هو شرب القليل الذى لا يسكر أما السكر المزيل للعقل فانه محرم فى كل ملة . وهذا القول حكاه ابن القشيرى(٦) فى تفسيره عن بعض العلماء ورده بأن الخمر كانت مباحة بالاطلاق ولم يثبت أن الاباحة كانت الى حد لا يزيل العقل(٧) .

وكما يقول ابن القشيرى : بأن الخمر كانت مباحة بالاطلاق يرى بعض الكاتبين أن شريعة موسى

وعيسى - عليهما السلام - قد أباحت الخمر من غير تقييد بعدم السكر وبهذا يتبين أن ما رآه الغزالى وحكاه ابن القشيرى من المباح انما هو القليل غير المسكر غير سديد.

قال النووى(٨) - رحمه الله - فى شرح مسلم: (أما أصل الشرب والسكر فكان مباحاً لأنه قبل تحريم الخمر. أما ما قد يقوله بعض من لا تحصيل له أن السكر لم يزل محرماً فباطل لا أصل له ولا يعرف أصلاً)(٩).

أدلة من أنكر الاجماع على حرمة الخمر

استدل من قال باباحة الخمر فى الشرائع السابقة بما يلى:

الدليل الأول: أن الذى تواتر عن أهل الأخبار أن الخمر كانت مباحة على الاطلاق ولم يثبت ان الاباحة كانت الى حد يزيل العقل هذا ما رد به ابن القشيرى على من ادعى الاجماع على تحريم الخمر فى الشرائع السابقة(١٠).

الدليل الثانى: أن الخمر كانت مباحة قليلها وكثيرها فى شريعتى موسى وعيسى.

قال الامام الشوكانى(١١) - فى ارشاد الفحول: «وقد **تأملت التوراة والانجيل فلم أجد فيها الا اباحة الخمر مطلقا**» من غير تقييد بعدم السكر بل فيهما التصريح بما يتعقب الخمر من السكر واباحة ذلك فلم يتم دعوى اتفاق الملل على التحريم وهكذا تأملت كتب أنبياء بنى اسرائيل فلم أجد فيها ما يدل على التقييد أصلا(١٢).

الدليل الثالث: ما ثبت بالأدلة الواضحة أن الخمر كانت مباحة فى صدر الاسلام ثم حرمت فى السنة الثالثة بعد غزوة أحد ونزول قوله تعالى: ﴿*يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما*﴾ (سورة البقرة: ٢١٩). على ما ذهب اليه بعض العلماء أو بعد نزول قوله تعالى: ﴿*يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون*﴾ (*سورة المائدة: ٩٠) كما يراه جمهور العلماء*(١٣)

مناقشة هذه الأدلة

ما تواتر فى الأخبار أن الخمر كانت مباحة بالاطلاق وما ذكره الشوكانى من أنه اطلع فى الكتب السابقة فلم يجد الا اباحة الخمر بالاطلاق من غير تقييد بالمسكر.

هذان الدليلان: *مردودان بأن الشرائع السابقة كانت قائمة على مراعاة الضروريات الخمس من غير تفرقة بينها ويتضح ذلك بما يلى*

(١) ما قصه الله تعالى فى كتابه العزيز على نبيه ﴿ﷺ﴾ بشأن الهدف من ارسال الرسل قال تعالى: ﴿***ورُسُلًا قد قَصَصْناهم عليك ورُسُلًا لم نقصُصْهُم عليك وكلّم الله موسى تكليما رُسُلًا مُبشّرين ومُنْذرين لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعدَ الرُّسُل وكان الله عزيزا حكيما***﴾ *(سورة النساء: ١٦٤، ١٦٥).*

فقد وصف الله تعالى أنبياءه بكونهم مبشرين من آمن وأطاع بالجنة والثواب والخير ومنذرين من كفر وعصى بالنار والعقاب فالرسل كافة انما أتوا بالخير والصلاح لقومهم وحذروهم عما فيه شر وفساد ولا شك أن الخمر من جملة المفاسد اذ تزيل العقل وتذهب التمييز عند شاربها فلا يفرق بين الصلاح

والفساد وغالبا ما يؤدى ذلك الى الفوضى والاضطراب مما ينافى وظيفة الأنبياء من جلب الخير والصلاح ودرء الشر والفساد وهذه الآيات أفادت أن الشرائع عموما جاءت لصلاح الخلق ودفع الشر عنهم(١٤)

(٢) أن من تتبع سير الأنبياء وما حدث لهم مع قومهم من التكذيب والايذاء وجد أنهم يأمرون بالصلاح وينهون عن الفساد ويعملون لذلك بكل ما أوتوا من قوة واستطاعة وما ذاك الا امتثالا لأوامر الله تعالى وهم معصومون عن المخالفة ولا ينطقون عن الهوى ومن ذلك :

● قوله تعالى - عن شعيب عليه السلام - **﴿إنْ أُريدُ إلاَّ الاصْلاحَ ما اسْتَطعْتُ﴾** (سورة هود : ٨٨).

● وقال تعالى - عن موسى عليه السلام - **﴿وقال موسى لأخيه هرون اخْلُفْنى فى قومى وأصلح ولا تَتَّبِع سبيل المفسدين﴾** (سورة الاعراف : ١٤٢) . . وهذا يدل دلالة واضحة على أن جميع الشرائع أمرت بالصلاح ونهت عن الفساد.

● وقال تعالى - عن فرعون - **﴿إنَّ فرعونَ علاَ فى الأرض وجعل أهلها شِيعَاً يستضعف طائفة منهم يُذَبِّحُ أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين﴾** (سورة القصص : ٤).

فقد ذم تعالى فرعون بما ارتكبه من فساد فى الأرض وظلم لبنى اسرائيل فأرسل تعالى الى بنى اسرائيل موسى لينقذهم من الظلم والفساد.

● وقال تعالى - حكاية عن شعيب مع قومه - **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين﴾** (سورة الاعراف : ٨٥).

● وقال تعالى : **﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾** (سورة هود : ٨٥).

وقد دلت هاتان الآيتان على النهى عن الفساد فى الأرض ولا شك أن فى اباحة الخمر فساد فلو كانت مباحة فى الشرائع السابقة لوقع تناقض بين اباحتها ونهيهم عنها والتناقض فى الشرائع لا يعقل.

وقد بين الامام الفخر الرازى فى تفسيره معانى هذه الآيات : فأوضح أن النهى عن الافساد فى الأرض يدخل فيه المنع من افساد النفوس بالقتل وبقطع الأعضاء وافساد الأموال، بالغصب والسرقة وافساد الأديان بالكفر والبدعة وافساد الأنساب بالزنا والقذف وافساد العقول بشرب الخمور والمسكرات. . فقوله : ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ منع من مفاسد الدنيا بالمحافظة على المصالح المعتبرة وهى النفوس والأموال والعقول والأنساب والأديان.

فالآيات جامعة للنهى عن مفاسد الدنيا والدين. وقوله : **﴿بعد اصلاحها﴾** يحتمل أن المراد : بعد أن صلحت الأرض بمجىء الأنبياء بعد أن كانت فاسدة بخلوها منهم فنهاهم عن الفساد بعد أن صارت صالحة.

ويحتمل أن المراد : بعد تكثير النعم والمنافع للخلق والموافقة لمصالح الدارين وكل ذلك يرجع الى ترك الفساد والايذاء والنهى عن الكفر والتمرد فى قبول الشرائع(١٥).

والنهى عن الافساد بالكفر والحيف بعدما أصلح الله الأرض بارسال الرسل واجراء الشرائع هو ما عناه أبو السعود(١٦) - فى تفسيره لتلك الآيات(١٧)

وقال - فى تفسير قوله تعالى : **﴿ولا تعثوا فى**

الأرض مفسدين﴾ (سورة الاعراف: ٧٤) العثى: يعم نقص الحقوق وغيره من أنواع الفساد كالسرقة.

وقيل معناه: ولا تعثوا فى الأرض مفسدين: أمر آخرتكم ومصالح دنياكم(١٨).

وتبين من معانى هذه الآيات عند المفسرين: أن الشرائع السابقة مانعة للفساد والافساد والخمر من جملة الفساد فتدخل فيما منعت عنه تلك الشرائع.

ويندفع ما اعترض به الشوكانى وغيره على دعوى انعقاد الاجماع على أن تلك الأمور مرعية فى جميع الملل لأنه عارض ما أخبر به القرآن من منع جميع ما فيه فساد وتفويت لصالح الدارين والحجة فى القرآن لأن كتب السابقين تقادمت عليها العهود ودخلها التحريف والتغيير والتبديل.

ثم ان أهل الأخبار يدخل فيهم المؤرخون وأهل السير فهؤلاء كثيرا ما يقعون بالخبط وعدم الضبط وكثيرا ما يجمعون بين الحق والباطل وبين ما صح وما قد أنكر وهذا واضح بأدنى تأمل وتصفح لكتاباتهم عن السير والحوادث التاريخية والأخبار والوفيات ونحوها.

الرد على الاحتجاج بالدليل الثالث

يمكن الرد على من اعترض بالاباحة للخمر فى صدر الاسلام بأن كونها مباحة فى ذلك الوقت مُسَلَّم لكنه لا يرد على دعوى الاجماع.. لأن الخمر كانت محرمة فى الاسلام فى عصر الاجماع.. وما سبق عصر الاجماع من اباحة لها فى صدر الاسلام لا يلتفت اليه.

غير أن الجواب قد لا يفيد فى دفع الاعتراض لأنه وارد على أن جميع الملل اتفقت على تحريم الخمر والناس قبل التحريم كانوا فى ملة ولم يكونوا فى جاهلية، وحينئذ فقد انتقض الاجماع بوجود الاباحة فى ملة من الملل اذ دعوى الاجماع واردة على جميع الملل والشرائع السابقة.

ويمكن أن يجاب عن ذلك: بأن المراد من اجماع الملل الاجماع بالنسبة لما استقرت عليه الأمم فى التشريع.. أو المراد: الاتفاق بين الشرائع على التحريم من حيث الجملة ولم يكن على وجه التفصيل اذ العبرة بما استقر عليه الرأى الأخير. أو يقال باعتبار ما استقرت عليه الشريعة الاسلامية وانعقد عليه اجماع الأمة المحمدية.

وبناء على ذلك: فلا ترد اباحة الخمر فى صدر الاسلام لأنها ليست مما استقر عليها الأمر فى الاسلام بل ان الاباحة كانت فترة قصيرة اقتضتها حكمة التشريع والتدرج فيه وأخذ الناس الى الحق شيئا فشيئا لئلا يقابلوا التشريع الجديد بالرفض والاستنكار لأن الناس قبل مجىء الاسلام عاكفون على تناول الخمور فلو أمرهم الله تعالى بتركها بادىء ذى بدء لكان ذلك باعثا لكثير منهم على الاعراض عن الاسلام لذلك لم يفاجئهم بالتحريم بل تدرج فى التشريع وانتقل معهم من دور الى دور حتى انتهى الى تحريم تعاطيها القليل والكثير على حد سواء.

وقد جاء فى تحريمها والتدرج فى ذلك ما يلى:

أولا: قوله تعالى: ﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا﴾ (سورة النحل: ٦٧). وهذه الآية ليس فيها تحريم للخمر.. وصف فيها تعالى الرزق بالحسن وسكت عن السكر لكى ينفر عنه النفوس بادىء الأمر.

ثانيا: قوله تعالى ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل

فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما﴾ (سورة البقرة: ٢١٩).

فقد وصف الله تعالى الخمر فى هذه الآية بان فيها منافع للناس من التجارة ونحوها ولكن مع ذلك يقرر أن فيها اثم كبير وهو أكبر من النفع وهذا يدل دلالة واضحة على أن الأولى تركها وبالفعل تركها قوم ومازال آخرون يعاقرونها ولم يرد فى الآية تحريمها والكف عنها وانما ندب الى ذلك.

ثالثا: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ (سورة النساء: ٤٣). وفى هذه الآية - وبعد نزولها - نهاهم الله تعالى عن شربها قبيل الصلاة فكانوا لا يشربونها الا ساعات محدودة خلال اليوم وذلك بعد صلاة العشاء والفجر اذ هما الوقتان اللذان يمكنهم شربها بينهما ومن ثم زوال السكر قبل الصلاة كما يؤخذ من سبب نزول الآية أنه لما نزل تحريم الخمر قال عمر بن الخطاب(١٩) (اللهم بين لنا فى الخمر بيانا «شافيا» فانها تذهب بالمال والعقل) فنزلت الآية الثانية وهو قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ فدعى عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيانا «شافيا» فنزلت آية النساء السابقة فدعى عمر فقرئت عليه فقال اللهم بيِّن لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزل قوله تعالى.

رابعا: قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنَّما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنَّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾(سورة المائدة: ٩٠، ٩١) قال عمر - رضى الله عنه - (انتهينا)(٢٠).

فهذه الآيات: تدل على أن الخمر كانت مباحة فى أول الاسلام ثم حرمت تدريجيا حتى لا يكون فى تحريمها دفعة واحدة حرج ومشقة وتنفير عن الاسلام ويمكن أن يقال: ان جميع الملل والشرائع قد حافظت على تلك الأمور الخمسة التى منها العقل ولكن ذلك لا يلزم أن تكون الخمر محرمة فى جميع الشرائع.

ويجاب عن ذلك: بأنا لا نسلم هذا.. لأن شرب الخمر ان كان مؤديا الى فساد العقول فيلزم من ذلك تحريم الخمر فى كل شريعة تحافظ على العقل.. وان لم يكن الخمر مؤديا الى الفساد فلا يكون تحريمه لقصد المحافظة عليه(٢١).

الاعتراض الثالث

اعترض على الاجماع السابق بما محصله: أن الاجماع على حفظ المال فى جميع الملل غير صحيح وذلك لأنه فى الشرائع السابقة ما يفيد ضياع المال واتلافه فدعوى الاجماع باطلة.

أدلة من أنكر الاجماع على حفظ المال

الدليل الاول: استدل من أنكر الاجماع على حفظ المال بقوله تعالى فى قصة سليمان عليه السلام: ﴿ردوها علىَّ فطفق مسْحًا بالسُّوقِ والأعناق﴾ (سورة ص: ٣٣) وقال من استدل بهذه الآية على اتلاف المال: ان سليمان - عليه السلام - أمر أن تعرض عليه الخيل فعرضت عليه ثم شغله عرضها عن أداء الصلاة حتى خرج وقتها فغضب ثم أخذ يضرب سوقها وأعناقها بالسيف لاتلافها والخلاص منها حيث شغلته عن ذكر الله تعالى.

ووجه الاستدلال بهذه الآية على عدم حفظ المال: أن الباعث لاتلافها وقتلها والخلاص منها لم يكن لشىء سوى كونها مالا شغله عن الصلاة وذكر

الله تعالى وهذا اتلاف للمال لعينه فلا يمكن القول باجماع الملل على حفظ المال(٢٢)

الدليل الثاني: ذكر الامام الشاطبى ـ فى الموافقات عن بعض الصوفية فى هذه الأمة ما يفيد افساد المال وتضييعه فى غير وجه شرعى كما روى عن بعضهم أنه اذا لبس شيئا خرق فيه موضعا فقيل له: أين فى العام افساد ما ينتفع به؟

فقال: ﴿**فطفق مسحاً بالسوق والأعناق**﴾ ولعله يشير بذلك الى ما ذهب اليه بعض المفسرين من أنه أتلفها غضبا(٢٣).

ووجه الاستدلال بهذا: أن حفظ المال لو كان مجمعا عليه لما كان الصوفية الذين هم أحرص الناس على الاتباع يعملون بخلافه.. وهذا يدل على أن دعوى الاجماع على حفظ المال فى جميع الشرائع والملل وغيره من الضروريات قول يخالفه الواقع.. كما فى شريعة سيدنا سليمان عليه السلام وكما فى شريعة نبينا محمد ﴿ﷺ﴾ بما روى عن بعض الصوفية.

الرد على هذا الاعتراض

ان ما ذهب اليه من فسر هذه الآية بأن المراد بها اتلاف الخيل لكونها شغلت سليمان عليه السلام عن العبادة والصلاة ليس كما هو رأى المفسرين بل هذا الرأى وَهْمٌ والعلماء فى تفسير هذه الآية فريقان:

الأول: جمهور العلماء ذهبوا الى أن معنى الآية: أى مسح السيف بسوقها وأعناقها أى قطعها وقالوا: انه عليه السلام لما فاتته صلاة العصر بسبب اشتغاله بالنظر الى تلك الخيل استردها وعقر سوقها وأعناقها تقربا الى الله تعالى بأحب المال عنده لأجل الفقراء كما هو المشهور أو ليكون كالوسم بالنار لحبسها فى سبيل الله(٢٤)

الثاني: ذهب آخرون الى أن معنى المسح بالسوق والاعناق: هو المسح باليد عند استعراضها لتفقد أحوالها واصلاح شأنها لا ضربها بالسيف واليه ذهب بعض الصحابة والتابعين والفخر الرازى فى تفسيره(٢٥).

وعلى كلا القولين: فلا اتلاف للمال.. اما أنه أتلفها حيث شغلته عن عبادة ربه قال الألوسى(٢٦) ـ رحمه الله ـ هذا قول باطل لا ينبغى أن يلتفت اليه وحاشا بنبى الله أن يتلف مالا محترما لمجرد أنه شغل به عن عبادة وله سبيل لأن يخرجه عن ملكه مع نفع هو من أجل القرب اليه عز وجل(٢٧)

ويرى الامام الفخر الرازى: أن رباط الخيل كان مندوبا اليه فى شريعة سليمان عليه السلام كما هو الحال فى شريعتنا فلما احتاج سليمان عليه السلام الى الغزو أمر باحضار الخيل واجرائها وتسييرها فأحضرت اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها وأعناقها تشريفا لها وابانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان فى دفع العدو واظهارا الى أنه فى ضبط السياسة والملك يتصنع الى حيث يباشر الأمور بنفسه ولأنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض ويمنعها من أداء مهمتها(٢٨).

ويقول الامام الرازى بشأن تفسيره السابق: (فهذا التفسير الذى ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن انطباقا مطابقا موافقا ولا يلزمنا نسبة شيىء من تلك المنكرات والمخدرات وأقول: أنا شديد التعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع أن العقل والنقل يردها وليس لهم فى اثباتها شبهة فضلا عن حجة(٢٩)

ولعل منشأ الخلاف بين الجمهور وغيرهم هو معنى المسح والفاعل فى قوله تعالى: ﴿**حتى توارت**

بالحجاب﴾ (سورة ص: ٣٢).

فيرى جمهور العلماء أن المسح هو: الضرب بالسيف تقربا بينما يرى الامام الرازى ومن معه أن المسح هو: تفقد الخيل والمتوارى على رأى الجمهور هو الشمس وعلى رأى الفريق الآخر هو: الخيل(٣٠)

أما ما ذكره الامام الشاطبى ـ فى الموافقات ـ عن بعض الصوفية وأنهم يرون اتلاف المال فيمكن الاجابة عنه بأن الاستدلال به غير صحيح لأنه مبنى على أن المراد بالمسح ضرب الخيل بالسيف لأنها شغلته عن العبادة لا تقربا اليه كما احتج بذلك الصوفية على اتلاف المال.

وافساد المال فى الشريعة الاسلامية غير جائز والخوف من الاشتغال به عن العبادة لا يجيز إفساده بحال من الاحوال.. ذلك ان طرق التحفظ من الاشتغال به كثيرة منها: الهبة والصدقة وغيرهما(٣١).

«للبحث صلة»

---

(١) شرح تنقيح الفصول (للقرافى ص: ٣٩٢).
(٢) المستصفى مع شرح مسلم الثبوت (١/ ٢٨٨).
(٣) شفاء الغليل (ص: ١٦٤).
(٤) انظر: البحر المحيط للزركشى (٣/ ورقة ٩٣ب مخطوط).
(٥) انظر: نبراس العقول ـ عيسى منون (١/ ٢٧٩).
(٦) هو: عبد الكريم بن هوازن القشيرى أبو القاسم زين الدين شيخ خراسان فى عصره ولد سنة (٣٧٦هـ) كان اماما زاهدا عالما بالدين له تآليف منها: التيسير فى التفسير.. ويقال له (التفسير الكبير) وله أيضا: «الرسالة القشيرية». توفى سنة ٤٦٥هـ. انظر فى ترجمته: تاريخ بغداد (١١/ ٨٣) وفيات الأعيان (٢/ ٣٧٥، ٣٧٨).
(٧) انظر: البحر المحيط ـ للامام الزركشى (٣/ ورقة ١٩٤) مخطوط.
(٨) هو أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى النووى، محى الدين، ولد بـ(نوى) سنة (٦٣١هـ) أدرك درجة عالية فى الحديث والفقه واللغة له تصانيف مفيدة منها (شرح صحيح مسلم) والاذكار وكانت وفاته سنة (٦٧٦هـ). انظر فى ترجمته: تذكرة الحفاظ للذهبى (٤/ ١٤٧٠ـ١٤٧٤) طبقات الشافعية ـ للسبكى (٥/ ١٦٥ـ١٦٧)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٧٨).
(٩) شرح النووى ـ صحيح مسلم (١٣/ ١٤٤).
(١٠) انظر: البحر المحيط للزركشى (٣/ ورقة: ١٩٤آ). مخطوط.
(١١) هو: محمد بن على بن محمد الشوكانى الصنعانى، اليمانى الفقيه، المحدث الأصولى، ولد سنة (١١٧٢هـ) حفظ القرآن. من مؤلفاته (نيل الأوطار)، و(ارشاد الفحول) وفتح القدير. توفى سنة ١٢٥٠هـ. انظر فى ترجمته: البدر الطالع (٢/ ٢١٤ـ٢٢٥)، مقدمة نيل الأوطار (١/ ٣ـ٨). معجم سركيس (١١٦٠).
(١٢) ارشاد الفحول ـ للشوكانى (ص: ٢١٦).
(١٣) انظر: البحر المحيط ـ للزركشى (٣/ ورقة ١٩٤آ)، مخطوط. احكام القرآن لابن العربى (١/ ١٥٠).
(١٤) انظر: روح المعانى ـ للألوسى (٦/ ١٧، ١٨)
(١٥) انظر: التفسير ـ للامام الفخر الرازى ـ التفسير الكبير (١٤/ ١٧٤).
(١٦) هو: أبو السعود محمد بن محى الدين، محمد العمادى، عالم نحرير ولد سنة ٨٩٦هـ له التفسير المسمى (ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم). توفى سنة (٩٨٢هـ) انظر: شذرات الذهب (٨/ ٣٩٨). والبدر الطالع (١/ ٢٦١) والفوائد البهية فى تراجم الحنفية (ص: ٨١، ٨٢).
(١٧، ١٨) انظر: تفسير أبى السعود (٢/ ٢٧٠)، (٣/ ٧٩).
(١٩) هو: أمير المؤمنين، أبو حفص عمر بن الخطاب، القرشى العدوى المدنى، شهد مع النبى ﴿ﷺ﴾ كثيرا من المشاهد منها بدر وأحد وولى الخلافة بعد أبى بكر سنة (١٣هـ) فتح الشام. انظر فى ترجمته: الاستيعاب ـ لابن عبد البر (٢/ ٤٥٩ـ٤٧٠)، الكامل فى التاريخ لابن الأثير (٣/ ٤٩ـ٧٥). الاصابة ـ لابن حجر (٢/ ٥١٨).
(٢٠) أخرجه الامام أحمد فى مسنده (١/ ص٥٣) وأخرجه أبو داود فى الأشربة باب تحريم الخمر (٤/ ٧٩ـ٨٠) وأخرجه النسائى فى الاشربة باب تحريم الخمر (٨/ ٢٨٦، ٢٨٩) وأخرجه الترمذى فى كتاب التفسير ـ باب من سورة المائدة (٤/ ٣١٩ـ٣٢٠) وأخرجه الحاكم فى كتاب الاشربة باب ذكر احاديث تحريم الخمر (٤/ ١٤٣) وقال: (حديث حسن صحيح الاسناد)، ووافقه الذهبى.
(٢١) انظر: نبراس العقول (عيسى منون ١/ ٢٧٩).
(٢٢، ٢٣) انظر: الموافقات بتعليق الشيخ دراز (٣/ ٣٧٤).
(٢٤) انظر: تفسير الرازى (٢٦/ ٢٠٥) روح المعانى ـ للالوسى (٢٣/ ١٩٣).
(٢٥) انظر: تفسير الرازى (٢٦/ ٢٠٦) وانظر: تقرير الشيخ دراز على الموافقات (٢/ ١٠)، (٣/ ٣٧٤).
(٢٦) هو: أبو الثناء، شهاب الدين محمود أفندى الألوسى، مفتى الحنفية ببغداد صاحب التفسير المعروف بـ(روح المعانى) الذى أغنى عن كثير من التفاسير بجمعه واتقانه وله تآليف كثيرة، توفى سنة (١٢٧٠هـ). انظر فى ترجمته: الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى (٢/ ١٩٢، ١٩٣).
(٢٧) روح المعانى ـ للالوسى (٢٣/ ١٩٣).
(٢٨، ٢٩) راجع: تفسير الرازى (٢٦/ ٢٠٦).
(٣٠) انظر: روح المعانى للالوسى (٢٣/ ١٩٢).
(٣١) انظر: تقرير الشيخ دراز ـ على الموافقات (٣/ ٣٧٤).

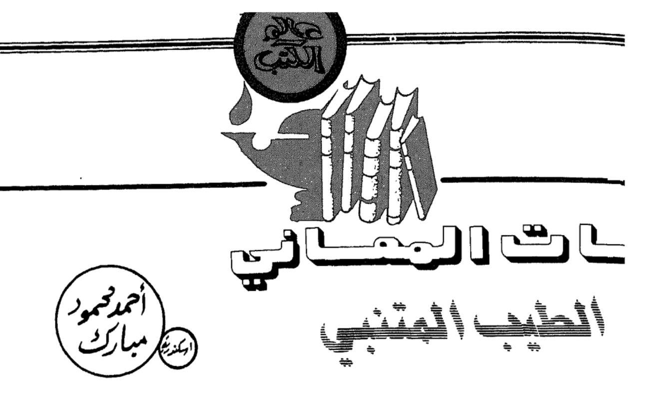


تفسير أبيات من شعر أبي الطيب

أنه فضل عظيم من الله عز وجلّ على قراء العربية وعلى تاريخها الأدبى أن يعثر الدكتور مجاهد الصواف والدكتور محسن عجيل(١) على كتاب قيم هو «تفسير أبيات المعانى من شعر أبى الطيب المتنبى» . . وذلك فى مكتبة الحرم المكى الشريف ضمن مجموعة مخطوطة عن المتنبى برقم (٢٥٥ أدب) وقد قاما ـ مشكورين ـ بتحقيق هذا الكتاب (٢) وبذلا فى عملهما هذا جهداً طيباً فأضافا الى المكتبة العربية إضافة جليلة . . وتضم هذه المجموعة المخطوطة مع كتابنا هذا ثلاثة كتب أخرى منها كتاب «الفتح الوهبى على مشكلات المتنبى» لأبى الفتح عثمان بن جنى وهذان الكتابان (تفسير أبيات المعانى والفتح الوهبى) هما مما تفردت بهما مكتبة الحرم المكى تفرداً تاماً ولا توجد نسخة اخرى لأى منهما فى أية مكتبة غيرها.

إن عنوان كتابنا الذى نحن بصدد إلقاء الأضواء عليه فى هذه العجالة كما ذكر على الصفحة الأولى هو «تفسير أبيات المعانى من شعر أبى الطيب أحمد بن الحسين المتنبى اختصار العلامة الأوحد العمدة المفيد سليمان بن على بن محمد بن عبد الله بن سليمان المعرى رحمه الله» ـ ويقول محققا الكتاب: ونحن لا نعرف شيئاً ذا غناء عن المؤلف غير بضعة أسطر كتبها عنه ابن النديم وياقوت الحموى والعماد الاصفهانى(٣) فى معرض اشارتهم الى الأدباء وأصحاب الفضل فى أسرة أبى العلاء المعرى . . وقد اتفق الثلاثة الذين كتبوا عنه على . . انه ابن ابن عم أبى العلاء أى أن أبا العلاء كان ابن عم أبيه وعلى انه تولى القضاء بمعرة النعمان ثم تركها بعد أخذ الفرنج لها سنة **٤٩٢**هـ وانتقل الى (شيزر)(٤) وتوفى بها وله رسائل وشعر. وقال ابن النديم: «**كان أديباً فاضلاً فصيحاً شاعراً مجيداً**»(٥).

● وموضوع الكتاب ـ كما يوضحه المحققان ـ هو بدلالة عنوانه مختصر لتفسير أبيات المعانى من شعر المتنبى وأبيات المعانى هى تلك الأبيات التى لا تفهم بيسر وسهولة ولا يتبين القارىء معانيها للوهلة الأولى بسبب ما يعتورها من غموض وابهام . . فهى مادة صالحة للاجتهاد والاختلاف والخصومة بين المفسرين والشراح . . وقد كثرت التآليف فى أبيات المعانى وذكر



أحمد محمود مبارك
اسكندرية

البغدادى فى مقدمته لخزانة الأدب طائفة من العلماء الـذين ألفـوا فى أبيـات المعـانى ، مثـل : الأخفش المجـاشعى والاشنـاندانى وابن السكيت وابن قتيبة وابن السيد البطليوسى(٦) .

وقد كان حظ أبى الطيب من هذه الأبيات أكثر من حظ غيره من الشعراء ولعلها تلك التى نام عن شواردها ملء جفونه وترك الناس يتخبطون فى أمرها ويختصمون فى تفسيرها . . وقد حفظ لنا أبو الفتح بن جنى نصاً يدل على أن المتنبى كان يتعمد ذلك تعمداً ليشغل به الخاصة من علماء الناس وأدبائهم .

● **ورمى ابن سنان الخفاجى** أبيات المتنبى بالتعقيد والغموض حتى انه ذكر أن «**الصاحب بن عباد**» كان يسمى أبيات المتنبى : رُقَى العقارب وكثرت الكتب المؤلفـة فى تأويلها ولعل أول من فعل ذلك معاصر المتنبى وصديقه : ابن جنى . . ثم الشريف المرتضى وبن فُورَّجَه وأبو القاسم الاصفهانى وأبو جعفر القزاز . .

● ولم يجنح مؤلف هذا الكتاب نحوالتعصب لقريبه أبى العـلاء بل كان أمينـا فيـما نقل . ولم يعمد الى الموازنة بين آراء الشراح والمفاضلة بينها وانما نقلها فى موضـوعيـة خالصة واستخرج من شروح ابن جنى والمعـرى وابن فورجه «مالا بد منه» وقد رتب كتابه على القـوافى متبعاً ترتيبها الهجائى فاذا ذكر القافية اختـار بعض قصـائـدهـا ثم مما فيهـا من أبيـات المعانى . . وهو يشير الى المعرى عادة بقوله «قال الشيخ» .

● ويؤكد المحققان الفاضلان أن قيمة هذا الكتاب انها تتمثل فى انه يغنى القارىء عن البحث عن كثير من أبيـات المعـانى ويـوفر عليه مشقة البحث عن تفاسيرها فى الشروح المختلفة وتتمثل أيضا فى كثرة النصـوص والشـواهد التى نقلها من كتب لازالت مخطـوطـة مبعثرة فى أرجاء العالم وقد لا يتاح لعامة الباحثين الاطلاع عليها ولا سيما الشرحين الكبيرين لابن جنى ولأبى العلاء المعرى إذ لم ينشر من أولهما غير جزأين فقط ولازال ثانيهما مخطوطا . . كما حفظ لنا هذا الكتاب أيضا نصوصاً نادرة من شروح قيمة مفقودة لا أمل فى العثور عليها كشروح المخزومى ومحمد بن حمدان العجلى والأحسائى . .

●● ونـذكر فيما يلى بعض النماذج مما ورد فى هذا الكتاب عسى أن نقرب صورته الى أذهان قرائنا:

● يقول أبو الطيب المتنبى (قافية الهمزة):

لا تَكْـثُـرُ الأمـواتُ كثـرة قلَّةٍ
إلا اذا شقِيــتْ بك الأحــيــاء

قال ابن جنى شارحـاً: انها تكثر الأموات إذا قل الأحياء وكثرتهم كأنها فى الحقيقة قلة وقوله: شقيت بك أى: شقيت بفقـدك فحـذف المضـاف وأقـام المضاف اليه مقامه وانما تشقى به الأحياء لمفارقته إياهم.

وقـال الشيـخ (المعـرى): معنـاه أن الأموات اذا حارب هذا الممدوح أعداءه كثروا لأنه يقتلهم وكثرة هذه الأموات مؤدية الى القلة لأنها فناء.. وقال ابن فورجه: قال المتنبى «كثرة قلة» لأن الأموات تدفن أى تبلى فتذروها الرياح أو تأكلها الوحوش والطير فهى تقل وان كثرت.

● ومن قافية الباء يقول المتنبى:

جزاكَ ربُّـكَ بالأحــزان مغـفــرة
فحُزْنُ كلِّ أخى حُزنٍ أخو الغضبِ

قال ابن فُورَّجَه: يقول جزاك الله مغفرة بهذا الحزن الذى أصابك فقد أثمت به قال الله تعالى ﴿**لكيلا تحزنـوا على ما فاتـكـم ولا ما أصــابكـم**﴾ (آل عمران: ١٥٣) والحزن أخو الغضب لأسباب كثيرة فمنها أن الحزن غضب فى الحقيقة لأنه يغضب لما نال منه الـدهـر فيحـزن ومنها أن الرجل يأثم بالحزن ويأثم بالغضب قال الله تعـالى: ﴿**والكـاظمـين**﴾ (آل عمران: ١٣٤) ومنها أن الحزن ينال من الانسان ويخلط عليه كما أن الغضب ينال منه ويخلط عليه أمره.

● ومن قافية الدال يقول المتنبى:

وكــلام الــوُشَــاة ليس على
الأحبـاب سلطـانـه على الأضـدادِ

قال الشيخ أبو العلاء: هذا البيت يحتمل وجهين أقـواهما أن يكـون سلطـانه مرفوعا بـ «**ليس**» **وقوله** «**على**» **متعلق بـ** «**سلطـانه**» أى ليس سلطان كلام الوشاة الذى يتسلط على الأصداد واقعاً على الأحباب.



● ومن قافية الدال أيضا:

حكيـتَ يالـيــلُ فَرْعَهــا الــوارد
فاحْـكِ نواهــا لجفنى الســاهـد

قال الشيخ: الفرع هو الشعر والوارد يحتمل وجهين أحدهما أنه قد طال حتى قد ورد الى الكفل والآخر أنـه يعمـل بالأدهان الطيبة فكأنه يرد الماء لكثرة ما يسقاها وقوله: (**حكيت ياليل فرعها**) أى أنك طويل شديد السواد وقوله: (**فاحك نواها لجفنى الساهد**) اى ابعد عنى كما بعدت هى فإنك ثقيل على.

● ومن قافية العين يقول المتنبي:

الحــزنُ يُقْلقُ والتَّجَمُّــلُ يردعُ
والـدمـعُ بيـنهـما عصـيّ طيِّـع

قال ابن جنى: أى يعصى التجمل ويطيع القلق والعصى: العاصى. . ثم يقول المتنبى:

المجـدُ أخســرُ والمكــارمُ صفقــةٌ
من أن يعيش بها الكــريم الأروعُ

قال ابن جنى: معناه المجد والمكارم التى هى عطف على المجد وهذا غير جائز لأن صفقة تحل من أخسر محل الصلة من الموصول ألا ترى أنه لا يجوز (زيد أحسن وعمرو وجها) ولك أن تصرفه الى وجه غير هذا فتجعل المكارم عطفا على الضمير الذى فى أخسر فاذا عطفته على الضمير لم يكن أجنبياً منه فلا يعد فصلا بينه وبين صفقة فيصير نحو قولك (مررت برجل أكل وعمرو خبزاً) فيعطف عمراً على الضمير فى أكل وينصب خبزاً بـ (أكل).

● ومن قافية الفاء:

فإن يكن الفعـلُ الذى ساء واحداً
فأفعـالـه الـلاَّتى سَرَرْنَ ألـوف

قال ابن جنى يقال فى المؤنث اللاتى واللا واللَّتى واللَّت واللَّت وفى التثنية اللتانِ واللَّتا واللَّتانٍّ وجمع التى اللاتى واللواتى واللوا. . كل ذلك من كلام العرب معروف وردت به أشعارهم.

● ومن قافية الكاف:

رُبَّ نجيـع بسيف الـدولـة انسفكا
ورُبَّ قافـيــةٍ غاظــتْ به ملكـا

قال أبو العلاء: لم يزاحف أبو الطيب زحافا تنكره الغريزة إلا فى هذا البيت ولا ريب انه قاله على البديهة ولو أن لى حكماً فى البيت لجعلت أوله «كم من **نجيع بسيف الدولة انسفكا**» إن (رب) تدل على القلة وانما يجب أن يصف كثرة سفكه دماء الاعداء ويحسن ذلك أن (ربّ) جاءت فى النصف الثانى وهى ضد (كم).

● ومن قافية اللام:

فما حاولــتُ فى أرض مقـامـاً
ولا أزمـعــتُ عن أرضٍ زَوَالاَ

قال ابن جنى: يقول إذا كان ظهره كالوطن لى فأنا وإن جئت البلاد كالقاطن فى داره ولأنى أقطع الأماكن فلست مقيما فى الحقيقة وقال ابن فورجه: كأن أبا الطيب أراد بهذا البيت الالغاز وانما يريد أنى إذا جعلت أرضى قتودى وألفْتُ الترحُّلَ فكأنى ما أقمت بأرض ولا ارتحلت عن أرض.

● ومن قافية الميم:

عُقبى اليمـين على عُقبى الوْغَى ندمُ
ماذا يزيــدك فى إقـدامك القَسَمُ

قال ابن جنى: هى آخر قصيدة قالها المتنبى بحضرة سيف الدولة وقلت لأبى الطيب وقت قراءة هذه القصيدة عليه: انه ليس فى جميع شعرك أعلى كلاما من هذه القصيدة فاعترف بذلك وقال: كانت وداعاً.

وقال الشيخ: المثل القديم (**اليمين حنث أو مندمة**) وكأن مراد الشاعر إن عقبى يمين الحالف على عقبى الوغى أى ما تعقبه الحرب ندم لأنه لا يدرى ما يكون فكأنه يشير بترك الحلف.

● من قافية الميم أيضا:

إذا كان الشبــابُ السكــرَ والشَّيْـ
ـــبُ هما فالحيــاةُ هى الحِـمامُ

قال الشيـخ أبـوالعـلاء: يقـول اذا كان الشباب كالسكر لا يصح به معقول الانسان وكان الشباب اذا جرب وعقل جاءه الشيب فاهتم لذلك فالحياة هى الحمام أى الموت خير منها. .

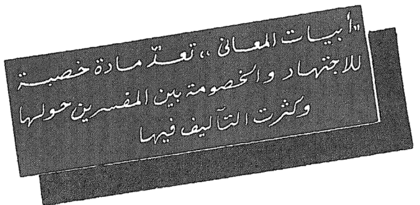
● ومن قافية النون يقول المتنبى:

لولا العقــولُ لكــانَ أدْنَى ضَيْغَمٍ
أدْنَـــى إلـــى شَرَفٍ مِنَ الإنســـان

قال أبو العلاء المعرى: أدنى فى هذا البيت على معنيين: أما الكلمة الأولى فهى مأخوذة من الدناءة وهى ضد الشـرف وأصله الهمز وأما الكلمة الثانية فهى من الدنو الذى هو ضد البعد. . الخ.

●● **لا شك أن ما قام به كل من الدكتور مجاهد محمد الصواف والدكتور محسن غياض عجيل من تحقيق دقيق أمين لهذا الكتاب هو عمل نبيل عظيم النفع فى سبيل إحياء تراث أمتنا العربية الكريمة فضلا عما فيه من تكـريم لذكرى المتنبى ومن مشاركة سديدة فى نشر نفائس مخطوطات المملكة العربية السعودية.**

● ولم يفت المحققان الفاضلان أن يوجها كلمة شكر وامتنان فى ختام مقدمتهما بالكتاب للأساتذة الأجلاء أعضاء مجلس مركز البحوث العلمى واحياء التراث الاسـلامى بكليـة الشـريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة وفى مقدمتهم سعادة الدكتور ناصر بن سعد الرشيد مدير المركز والأستاذ عبد الكريم ابراهيم الغرباوى والدكتور محمد هاشم عبد الدائم لما قدماه من ملاحظات قيمة وتصويبات سديدة. . كما نتوجه عن قراء العـربيـة بالشكـر الى هؤلاء جميعـا والى الأسـاتـذة القـائمـين على إدارة مكتبة الحرم المكى الشريف لمعونتهم وتيسيراتهم فى سبيل إتمام تحقيق هذا الكتاب القيم.



---

(١) الـدكتـور مجاهد محمد محمود الصواف الأستاذ المساعد بجامعة الملك عبد العزيز والدكتور محسن غياض عجيل الاستاذ بجامعة بغداد وجامعة الامارات العربية المتحدة.

(٢) الناشر: دار المأمون للتراث ـ سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م).

(٣) تعريف القدماء ٧٠٥ ومعجم الأدباء ٣/ ١٠٧ وخريدة القصر ٢/ ٤٤-٤٥.

(٤) خريدة القصر ٢/ ٤٤-٤٥، وتعريف القدماء بأبى العلاء ٥٠٧ وتنظر بلدة «شيزر» فى (معجم البلدان ٣/ ٣٨٣).

(٥) تعريف القدماء بأبى العلاء ٥٠٧.

(٦) خزانة الأدب للبغدادى ١/ ٣١ (مصر١٣٤٧).

المنتدى

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر



العدد الخامس والعشرون جمادى الثاني ١٤٠٦هـ

المشرف

محمود عارف



ربَّـــاهُ قد طالَ اغــترابــى واضطــرابُ منــاهجى
ودجَى علىَّ العمـرُ فى فجـرى وفى الصبح البليلْ
ربِّى أيــرضيــكَ امتهــانى واضطــرامُ لواعجى
وتعثُّـرى فى أرحبِ الآفاق . . فى الدرب الطويل؟

***

رُحمــاكَ يا من يرتجيــه الخلقُ تفــريجَ الكــروبْ
قلبى تداعَى اليــوم تحت معــاولِ الــدَّاء القــديمْ
جسمى تهدَّده السّقــام وغــالـه الضعف المـريب
ودم الشبــاب يمـور فى عصب تضعضــع بالهمـوم
أوَّاه يا ربــى ومــن أشكــو إليــه هنــا سواكْ؟
إنْ أنــتَ لم ترحــم . . فمن ذا استغيثُ وأطلبُــهْ؟
ومَن الــذى قد قدَّر الاسبــابَ تلك سوى قضــاك
ولأنَتَ وحــدك مبــدعُ الكونِ العجيب ومنشـؤُهْ

***

ربَّــاهُ عدلــك أين مدَّ ركــابــه وأتى الــدُّروبْ؟
نرى ونــسمــعُ بالعــوالِم فى غبــوقٍ واصطبــاحْ
يتخبَّــط الأشــرارُ فى النِّعــماء والــدنيـا الطـروب
ويُصــيب جُهَّــال الحيــاةِ من الأمــانى والمِــراح

***

ويتــيــهُ فى لجِّ الملذات الــكـثــيرُ من الــبـشــرْ
يتــنــاهبــونَ كؤوسهــا بين المجــانــةِ والفجــورْ
فعمـــوا وصمُّــوا عن نداءاتِ الفضيلة والــذِّكــرْ
ومـــشـــوْا على أكــتــاف سابــلةٍ عُراة فى غرور

***

عاشــوا أضـرَّ من الــوحـوش يناوئـونَ الكــائناتْ
الــوحشُ يأخــذ حقَّــه . . لكــنَّ غايــتَـهمْ تريبْ

عبد السلام هاشم حافظ

السعودية

طمِعــوا وراحــوا ينهشــونَ عوارىَ المـوت المؤات
داســوا الضــمائرَ فى سبيل مطامعِ الدنيا الغَضوب

***

يحيــونَ مثــل البهم بئس العيشُ فى تلك الحيــاه
عاشــوا وأفســدوا وضــاعَ الخـيرُ فى وادٍ سحيقْ
يتــنــعَّـــمــون وبــيــنـــها الــفــقــراء فى واه وآه
يتــلوَّعــون على الــسَّـــنـــا ما منهــمُ إلَّا غريــق

***

القيــدُ فى أعنــاقهمْ والــذُّلُّ فى الكبـدِ الجـريـحْ
نَسىَ الــزمــانُ نوالهمْ وسقــاهمُ كأسَ الشقــاء
فهمُ على الحـرمـان ظلوا يشـربـونَ من الجـروح
لا لطـفَ يدركـهمْ ولا نوراً يطــوفُ من الســماء

***

ضجُّوا ضجيجَ الأرض من ظلم ومن شبح الهوانْ
وهنــا بنــاةُ المجــد والــذِّكــر الحميـدة للزمـان
ظلَّتْ تهيــمُ وتجــرعُ الـكأسَ المــريــرةَ فى جمودْ

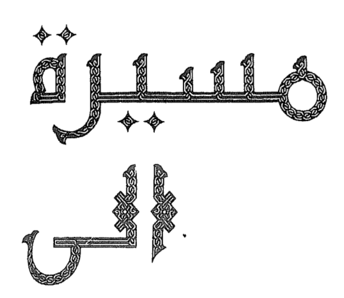
***

فإلــى متــى هذا الأســى يبقَــى ويـغمــرُ أفقنــا؟
والــرُّوحُ يصــرخُ والنفــوسُ تلوبُ فى ذلِّ القيــودْ
حتــى المــرائى أصـبحـتْ مما يصـفِّــد حلمنــا
أوَّاه من صنــع المقــاديــرِ الخـبيثــة بالــوجــود

***

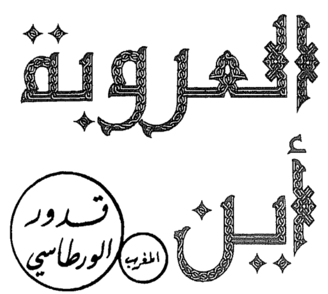
أدرك إلــه الحقِّ خلقَــك بالعــدالــةِ والطيــوبْ
أنقــذْ حيــاتى من لظَى الأدواء والألم الــدفــين
قد عىَّ جسـمى باحتــمال الــداء والهمِّ الصَّبيب
أنصفْ فؤادى فالفؤادُ من الشجــون دعَـا المنـون





سَلُوا عن وجوم الضاد والوجه قاتم
بـ (مَهْيَمْ) لعل الضاد فيه تشاؤم؟
لقد عاش عمدا فى غلائل عزة
ففى كل آن رائعات بواسم
فما شئت من مجد طريف مؤثل
يدك الوجود تارة وينـاغم
ففى السلم سلمٌ ما تشاء عداته
وفى الحرب حربٌ ما ألدَّ المخاصم
فمِنْ تربة «الاقصى» الى الهند راية
تحدَّى رواد البغى والعدل قائم
فصارتْ متون الريح متن قرومها
متى قيل: خيل الله هبَّت عوالم
فزُلزِلتِ الدنيا بجيش عرمرم
فغُصَّتْ به عبرَ المسير الغَلاصِم
ولاح غبار فى الجواء كأنه
نذير به تَهْوِى العدا والعزائم
ترى العاديات الصافنات مواكبا
وفى كل موكب رماة ضراغم
فما الامر الا أن تُدَوِّىَ صرخة
اذا بالخميس توجته العمائم
وما اعتمَّ قَرْمٌ فى حروب وأدبرت
متونٌ ولا صالت عداة اعاجم
ولامس جنبَ الضاد سهمٌ مصوَّبٌ
ولا حام حول الدين ـ للهدم ـ حائم
وما كان الا ان تجول بطولة
اذا بالأسارى والإما والمغانم
وبالراية البيضاء تُنكس ذِلة
«لضاد» ودين او تسن المغارم
كذا كانت الدنيا ووحدتنا الكبرى
صفوف رصيفة تَقِى وتهاجم

وللدين سلطة على كل مسلم
وللضاد فى كل البقاع مواسم
كأنَّا فريق واحد متكامل
اذا ما اشتكى بعض تنادى التراحم
ولا شىء الا ان تهان ظعينة
اذا بالصريخ انقذته الصوارم
فتاهت على الدنيا شموس معارف
لها دوحة الاسلام نبع وعاصم
فطارت لها الاجيال من كل موقع
قريب وناء والحياض مفاعم
فما هالنا إلا شقاقٌ تفككت
به الوحدة الكبرى فصالت قواصم
فأمست شعوب «الضاد» حربا على الاخا
وما للشعوب فى الحروب عواصم
فصارت «بسوسا» بين شعب وصنوه
تشيِّعُ الخراب والعداةُ تُساوِمُ



تُديم الحروب بينهم فتنيلهم
سلاحا جحيما والقبائل توائم
وفى كل صقع فتنة وكوارث
وفى كل شعب ادمع ومآتم
تهاوى بها الارواح قسرا فترتوى
عراض واسراب الطيور تزاحم
ترى الكُوم الحمراء فى كل بقعة
الى كَومة الجرحى فأين المكارم
تناسوا عُرى الاسلام والضاد كلها
فسادت ذحول والذحول ظوالم
فلا تعجبن «للضاد» ان ظل واجما
ولا تعجبن للدين والوجه غائم
لقد طال ليل الخُلف بين ربوعنا
وشطت اعاصير فديست جماجم
وغابت خلال عن مضارب ديننا
وكانت لنا حصنا بها نتراحم

الى فيئها يأوى الضعيف مكرما
وفى ظلها يسمو الاخاء المُكارِم
كذا والعداة فى سرور ونعمة
بما مسنا هلا ضمير يحاكم
وأين الضمير والغواة تسوقهم
ذحول لياليها بحور تلاطم؟

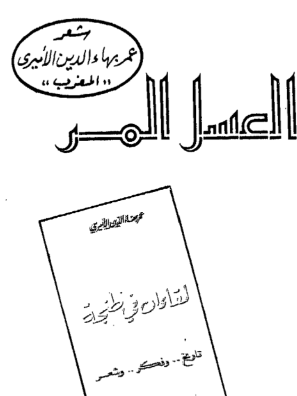
***

اليكم بنى الاسلام و «الضاد» صرخةٌ
يدوى بها قلب جريح وهائم
الى «وحدة قعساء طال انتظارها»
وليس بشيىء ان يزول التصارم
ونُضحِى وقد بَلَّ الوفاء قلوبنا
فتمشى على الصَّرم البغيض المياسِم
وتنساب ازهار الاخاء بساحنا
وتَهْوى على رغم الزمان الشتائم
وتخنس أهواء الشَّطِين وتختفى
وتندق من وجه العُداة اللهازم
فنُمسى كما كنا: شعوبا نسيقة
فترتد عن حرب الخراب المغاشم
فما زال فى ساح العروبة صفوة
لهم فى تضاريس الزمان مراحم
يُحلون اجياد الشعوب بعدلهم
كما قد تحلت بالحُلىِّ المعاصم
ويقفون اسلاف الشعوب تأسيا
بخُلْق له بين الشعوب معالم
مللنا الشقاق والحروب وفُرقةً
بها الوحدة الكبرى برتها الاداهم
ألا عودة للصف تجمع شملنا
لقد طال ليل الخُلْف والخطب جاثم
الى اين يا دنيا العروبة سيرنا
فهل لليالى الجون يوما خواتم؟

«بثّ شاعر مؤمن أبيّ غريب في ليلة
ذكرى ميلاده . .»

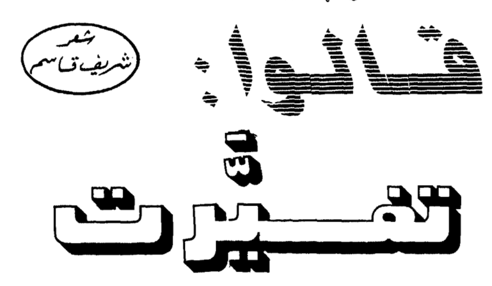
العسل المر

شعر
عمر بهاء الدين الأميري
«المغرب»



في سَفَـرِ الـوَجْـدِ الـبـعـيـد المـدى
والـريـحُ تجرى .. سأَلَ الـدَّهْـرُ
ما حالُ ذاكَ الحُـرِّ قد كان في
لأوائـه خمرتُـهُ الـصَّـبْـرُ
يحيـا غريـب الـروح في صَمْـتِـهِ
شَدْوٌ وفي الـشـكـوى لهُ شكـرُ
مرَّ عليـه الـعـامُ أعـبـاؤهُ
تترى وفي سَرَّائِـه ضُرُّ؟
فقـالـت الـريـحُ أجَـلْ شِمْـتُـهُ
مُحَلِّقـاً يسـمـو به الـشِّـعْـرُ
مِن وَحْـدة يحيـا أبـيّـاً بها
وفي جواهـا الـعَـسَـلُ المـرُّ
وقـال عـن إصـعـاده إنَّـهُ
يرقـى لميـعـاد لـه سـرُّ
يُسَلِّمُ الأقـدارَ من عمـره
«تـسـعـاً وخمـسـين» ومـا الـعـمـرُ؟
شجـيرةٌ شاخـتْ ولم يبـقَ في
خريـفـهـا طَلْعٌ ولا زَهْـرُ
الا شمـوخُ الجـذعِ مجروحـةً
أوصـالُـهُ بالهـمِ والجَـذْرُ
والجـذرُ طودٌ راسخٌ في الـذُّرى
لا في الـثـرى عزم له أزْرُ
إيـمانـه نسـغٌ ونـيرانُـهُ
في «عـوده» جمرٌ له عَطْـرُ

«الى الذين جعلوا من أهوائهم منهج حياة
وخالفوا سبيلَ الحق ورغبوا من غيرهم مشاركتهم فى
أخلاق ذمها الله».



قالوا: تغيَّرتَ قلتُ: الحقُ غيّرني
وما تغيرتُ فى دينى ولم أشنِ
وجهى إلى الله توّاق وما التفتتْ
عيناى شطرَ الهوى فى ثوبه الحسن
الحقُ يرشدنى والخير يدفعنى
والله - جلَّ جلالُ الله - يكلؤنى
عليه معتَمَدى فيما أؤمِّلُه
وفيه حبى وبغضى كيف وُجْهتى
وما تغيرتُ فى هذا ولا سكنتْ
نفسى لذى كَذِب قد جاء يفتننِى
يقارب العمر خمسينا مضت بهدى
والحمد لله.. هذا الفضل يشملنى
وقد ترفَّعتُ عن شر المِراء فلم
أقم أجادل ذا زيغ ليشغلنى
الله ربِّى ولم أُشْرِك به أحداً
وشرعُهُ مذهبى والدين أدَّبنِى
فلم أمالىء أثيماً فى جنايته
ولا كفوراً بما فى الكفر من نَتَنِ
أعيشُ لله لم تلو الصروفُ يدى
وما يئستُ لخطْب بات يؤلمنى
ففى وجيب فؤادى حرٌ قافيتى
تنبى عن الألم الموار.. من محنِ
فهل تغيَّرت إلا عن ذوى دجل
وهل تبدَّلت إلا عن ذوى فتن
وهل أعاب إذا قاطعت من سلكوا
نهجَ الضلال على آراء ممتهن
وهل بأعينكم يا صحب.. مع كذب
رأيتمونى وسَوْقُ الزيف أوقفنى
الله أكبرُ من بهتان أفئدة
تمرَّغَتْ بالهوى والعار والدَّرَنِ
ما ضرَّ رفعة أخلاقى أخو سَفَهٍ
وإن تقوَّلَ ثغر الأرعن اللسن.

أصـد عن ما قد أعـمـى بصـيرتَـهُ

فضـلُ الآلـه علىّ الـيـوم بالمـنـن

ولا أرد على ذى خِسَّـةٍ دفـنـت

أوراقـهُ الـسـود بنت الـكـيـد فى كفـن

لا يعـرف الله والآيـاتُ رادعـة

كأنـه عابـد فى الـعـيش للوثـن

هيهـات . . إن لبسـوا ثوب التقـاة ومـا

تحت الـثـيـاب سوى الـتضـليـل لم يكن

وآخـرون رعـاعُ فى جهـالـتـهـم

يجانـبـون الهـدى فى الـسـر والـعـلن

فكـيـف أنـزل كلمـى فى منـازلهـم

والجـاهـل الـوغـد يـبـقـى غير مؤتَمنِ

ربَّـاه عفـوك ما قاطـعـتُ ذا خلق

ترضـاه إنـى على المـيـثـاق لم أخـن

غداً على عرصـات الحـشـر تفـضـحـهم

أفـعـالُـهـم من شقـىّ ثم مُرْتهـن

يا صاحـبـىَّ إذا ألـقـى اللئيم ضُحـىً

مقـولـة فانظـراهـا فيـه بالـبـدن

الحـاقـدون ـ وهم قيـد الظنـون ـ على

جمرٍ بأكـبـادهِـم لم يخبُ فى زمـن

صفـر الـوجـوه بلا داء سوى حسـد

وبئس دارُ قبـيـحِ الـنـفس من سكـن

* * *

قالـوا: تغـيَّرت قلتُ: الـيـوم أخـبركـم

عن سرِّ صدًى وعـما بات يحزنـنـى

أيـن الأخـوة بالإسـلام تربطـنـا

أوَّاهُ . . إن رحـيـل الـصـدق أرَّقـنـى

لقـد مضـيـنـا على درب الإخـاء ولم

نرض الـدنـيَّـةَ من أوضـار ممتـهـن

يأبـى لى الحـقُّ أن نحـيـا على سفـه

فبـالمـكـارم ربُّ الخـلق ألـزمـنـى

قذفُ الـبرىء بلا ذنـب جنـىَ خطـلُ

والله حرَّم أكـل المـيـت الـنَّـتِـنِ

والـركضُ خلف متـاع الأرض فى جشـع

يُميـت روحَ الـعـلا . . للنفس والـوطن

وكـلُّ فانٍ إذا رمـنـاه عن طمـع

مضـى بنـا لِوهَـادِ الـبؤس والحـزن

إن الـقـنـاعـة فى الـدنـيـا لزَينـتُـهـا

فليس يخلد من مال ولا بدن

ألا لحى الطـمـعَ المـمـقـوتَ إن به

مصـيـبـةَ الـقـلق المغـمـوس بالفتن

عرفـت فيـكـم نفـوس الأمس صافـيـة

أزهـى وأنـقـى من الأوراق فى الـسفن

هان الـوفـاء لمولانـا . . فوا لهفـى

وغـىُّ أطـماعـكـم فى الـعـيش لم يهن

جلَّ الـذى جعـل الأرزاق فى مهـن

تُلفـى ومـا جعـل الـعـليـاء فى المهن

لا يدرك الأفـق الأعـلى بنـونهـم

فللسـمـو جنـاح الطـهـر للفطن

وقـد رضـيـتـم بدار غير باقـيـة

فكـيـف ترجـون دار الخـلد والمنن

* * *

ماذا علىَّ وقـد يمَّـمـتُ ملتـجئـا

حراً إلـى الله إذ بالـبر أدركـنى

وقـد حملتُ بقـلـبى فَوْحَ أمـنـيـة

فيـهـا أراكـم بثـوب الـتـوبـة الحسن

ومـا تغـيّرتُ إنِّـى مؤمـنٌ أبـدا

بالله فى عيـشـتـى بالـسـرِّ والـعلن

وما القوافى التى للخير أرسلُها
إلا ثمار الهدى والحق لم تدن

بها حملت أحاسيسى ومُعْتَقَدى
ولم أقل غير ما الاسلام عَّلمَنى

عشتُ الأمين على دفَّاق أحرفها
لله أحفظها بالله تحفظنى

وما رميتُ بسهم من كِنانتها
إلا عدُّواً لها بالزيف أقلقنى

أبكى بها أمةَ القرآن جاثيةً
كأنَّ صحوتها فى العصر لم تبن

وما شجانى سوى خطب ألَّم بها
وجرحها الشر أوهانى وأوجعنى

أنىَّ اتجهت ففى أقطارها مِحَنٌ
وخطبها اليوم أشجانى وأذهلنى

المسلمون بأيديهم لقد ذبحوا
أصالة النُّبْلِ بين الوهن والشجن

وهم على الأرض «مليار» وقد ملكوا
فِجَاجَهَا بين حلّ الناس والظعن

فمن ذُرا قمم الأوراس.. أمتهم
إلى الشآم إلى دكًا إلى اليمن

وعدة ملك أيديهم تؤيدهم
فى باطن الأرض من خير ومن مِنَنِ

لكنهم غفلوا عن سرِّ عِزَّتهم
بين المثانى وبين العهد والسنن

تفرَّقُوا باتِّباع البغى وانشغلوا
بوهنهم.. إن هذا الوهنَ حيَّرنى

فكلُّ حزب على قيثاره فرح
يجانب الحق تحت الباطل العفن

فما تغيرتُ فى رأيى ومعتقدى
وليس من وجلٍ فى الحق يمنعنى

هيهاتَ ينقذ هذا الشعبَ طاغِيةٌ
أو يدفع الضَّيْمَ خوَّارٌ عن الوطن

* * *

قالوا: تغيَّرتَ والأيامُ حافلةٌ
بالحادثات وبالبهتان والإحَنِ

ويحملونى إلى نُكْرٍ.. أحاربه
يأتى به الوهن فى أضلاع ممتهن

وما عتبت على وغد إذا أكلت
شدقاه من غيبةٍ إذ بات يذكرنى

من تحمل النور والتقوى عقيدتُه
لا يحملنَّ بها لَغْوا إلى أُذُن

ومن يتاجر بالآثام.. خاسرة
به تجارتُه فى الهجر والمدن

كم دمَّرَ الألفة الفيفاء ذوفتن
كأنه جاءها بالمعْوَل المرن

ولا يزلزلُ مثلُ الإثم مجتمعاً
ضلَّ الطريق بلا نورٍ مدى الزمن

أهلُ الضلالة داء بين أمتهم
كالعاكفين على الأهواء والوثن

يارِبّ أصْلِحْ بَنى قومى فقد فسدوا
وأنقذِ الناسَ من موج على سفن

واجعلْ لهم توبةً تمحو بنعمتها
آثارَ شَقْوَتِهِمْ فى الذنب والدخن

فما بِهِم من أذى إلا بما كسبوا
وكلُّ خطب بسوء الفعل مقتَرن



هوى المشيب

الحمدُ لله ما شابت نواصِينا
حمْدُ المشيب تعِلّات تسلّينا
أنّى نكون فإن الشيب مدركنا
كالليل يدرك قاصينا ودانينا

* * *

ما بال قلبى بكى هل شاقه ـ عرضا ـ
لهو الشباب وأيام المحبينا؟
فلا ملام إذا ما الدمع فاجأنا
بل الملام إذا جفّت مآقينا
فأين منّا شباب طائش نزِق
عشنا سعادتنا فيه تفانينا؟
كم كان فيه لنا كرّ ومعمعة
وفى مجاليه قد هامت قوافينا
وكم سللنا سيوفا دون معركةٍ
وكم هززنا رماحا فوق أيدينا

* * *

ما ضمّ نادٍ على خِلّانه أبدا
زُهْرَ الوداد كما ضمّت نوادينا
سُقنا مطايا الهوى بالشوق تحملنا
هَوْنا وكان غناء الحبّ حادينا
وقد زرعنا الهوى فى روضنا عنبا
وقد شممنا الهوى وردا ونسرينا

* * *

يا ساكنين حشانا بعد غيبتكم
لا شىء عن حبكم فى الكون يغنينا
ما حوّلتنا الليالى عن محبتكم
عشنا الغرام وفاء والهوى دينا
فإن بعدتم وما ننسى سيذكركم
لى كُلّ شبر مشيناه بوادينا



يا حسن أنت بحسنك الخلاق ... كن عاشقا واركب مع العشاق

أو فاسق مأسور الهوى في حلمه ... كأسا تعل وسكرة الترياق

في ليلة ملك الشباب فؤادها ... وهفا إلينا طيب طيب عناق

فدنا يسهدني الحديث مسامرا ... أو هائما هامت به أحداقي

صورته والحب يصنع ما يرى ... حبا. فكان كريمة الأعراق

عربية شرقية قسماتها ... تحلو لدى الإيحاء والإطراق

مهلي بروح زانها إشراقها ... مهلي بقلب هاتف خفاق

مهلي بها.. بحبيبة أرقى لها ... مهد النجوم وبينها آفاقي

كانت وكنت وإننا عشنا معا ... حتى قبيل تكون الأعماق

ومن المحال نفر من أقدارنا ... والله قدر قربنا والباقي

يا حسن كن حسنا إلينا إننا ... قلب معنى غص بالأشواق

الطـ

ولَّـا رأتـنـى شريـد الخيـالْ
وفى لُجة الـفـكـر . . قلبى غريقٌ
دعَتْنِى . . وألـقـت علىَّ السؤالْ
أمـا زلت تخشى انطفـاء الـبريقْ
تبث الظـلال . . وتجنى الـزوالْ
وتُحرم حتى طيـوف الـرَّحيـقْ
فقلتُ: دعيـنى . . فإن المحـالْ
يَسُـدُّ أمـامِـىَ كلَّ طريـقْ
● فقالتْ :
نجـوم الهـوى فى سَمَاكْ
تُضىء وتـبـسُـمُ فى خاطـركْ
وفى الشـوق تبحـرُ دنيـا هواكْ
ويُصْهَـرُ أمسُك فى حاضـركْ
وتمـتصُّ زهـرَ المـنـى شفتـاكْ
ويـرقص قلبـك فى ناظـركْ
● فقلتُ: اسأليني . .
لماذا أراكْ . . تئـن وتـضـحـكُ فى ظاهـركْ

● فقالت :
وما السرُّ . .
قـلـتُ اتـركـيـنـى
فزورقُ قلبـى بغـير شرا
إلـى شاطىء السحـر ألقى حنينى
فأقطـف منـه ثمارَ الـضيـا
وحـين الـوذ بحضـن السنـين
تفـر وتـكـتـم حتـى الـودا
فمـدَّت يديهـا فقلتُ ارحـمينى -
ظمئـت وأسْـقِـيتُ نار الخدا
● فقالت: وكيف؟
فقـلـت اطـمـئـنـى
سأكشـفُ كُلَّ الـذى فى الخفـ
رحـلتُ . . وزادي يقينى وظنِّى
أفـتش عنهـا بأفْـق المسـ
وقـلبى نايى . . ورحت أغنى
لعـلِّى ألـقـى صدى للغـنـ

طارق فكري

لكنَّ لحنى .. تبعثر منى
وذاب الصَّدَى فى فراغِ الفضاء

● فقالتْ : وماذا .. ؟
قلتُ اتْبعينى
وإلا ارجعى للطريق القريبْ
ولا يخدعنْكِ حداء الظنونْ
ولا وحشةُ الكون عند المغيبْ

فقالتْ : وهبتُك كُلَّ سفينى
وعمرى .. ونفسى فأنت الحبيبْ
قلتُ : أخاف اشتعال أنينى
إذا جف حقل الأمانى الخصيبْ

● فقالتْ :
بُدَّ خلف جَفْن الزمانْ
فَفتِّشْ عن اليوم يا شاعرى

أتحصدُ عمرك قبل الأوانْ
لتجنِىَ ما ليس فى الحاضرِ
فما لليالى الحسانِ أمانْ
ولا ربح فى الزمن الخاسر

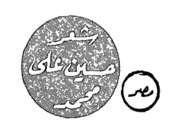
● فقلتُ :
قِفى : قد رفضتُ الهوانْ
غدى : جرسٌ دقَّ فى خاطرى

* * *

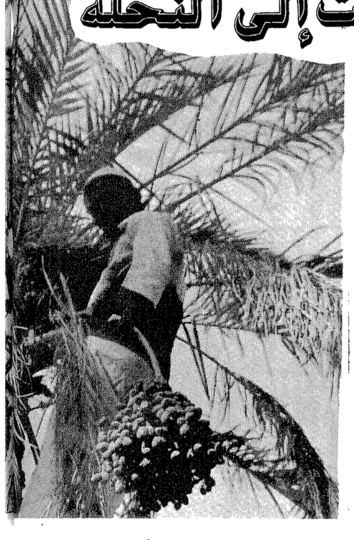
● فقالتْ :
وإنى سأقْفُو خطاكْ
ولكن سَنَسْلُكُ أىَّ طريقْ
وفى أى أفْق سألقى رؤاكْ
تشبُّ بقيدك ألف حريقْ ؟ .
تجدِّدُ ذاتَك تسقى مناك
من الخلد أشهى وأحلى رحيقْ

● فقلتُ :
الطريق توارى هناك
وخلف البحار يضوى البريق

شعر : د. صابر عبد الدايم
مكة المكرمة جامعة أم القرى



حديث إلى النخلة



يا نخلةً فى حنايا الروح عطرنى
بوابل الرمل فى العينين والوَصَبِ
مازلتُ صنو الضُحى فى الرَّوْع تسبقنى
ضراعة التَّوْق للأشعار والرُّطب
راياتُ حزنك فى عينىّ ترفعها
أصابعُ الملح والأنواء والنُّوَب
السيفُ رايتنا والنصر عزتنا
والله قِبْلتُنا والنار فى الحطب
هذا دمى فى يدَىْ كسرى يَقرُّبه
وبيتُنا فى الوغى حصنٌ من الخطب

* * *

إلى متى نتخلّى عنك فى شغفٍ
ببارق خادع وبأنجمِ الكذب
وأنتِ راية أجداد وسرب مُنىً
وذَوْبُ قلب شدا بالنار والغضب
القادسيَّةُ نور الفتح فى دمنا
ووردة طفلة فى القلب لم تَشِبِ
تكاد تشعل فى احداقنا مِزَقاً
من الهباء وعينُ الله لم تغب
عاشت ملامحها فى الروح منتجعاً
من الرؤى البيض فى دنيا من اللعب
يا نخلةَ النار يا عرساً مقاطعُه
تحاصر الرُّوح بالأنداء والحبَبِ
جودى بِوَصْلٍ فأنتِ البعثُ فى دمنا
وأنت شمس الضحى فى ليلنا اللّجب
هذا ربيعك نهرٌ، قيظنا شرس
فليس تقهره إلا ظلال نبىّ
لأنتِ حُبْلى بنور الله فاحتشدى
صبحاً من الغيث أو فيضاً من اللهب

* * *

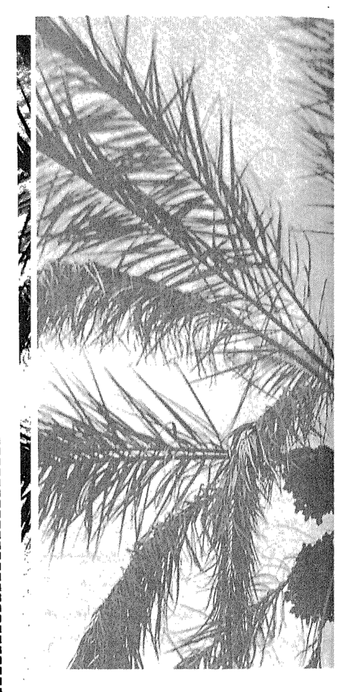
مرثية العشاق

شعر/ محمد هلال فخرو
"سوريا"

وسائلةٍ عن الأحوال..؟
قلتُ: كفى لكِ النظرُ
فبعضى مات من زمن
وبعضى الآن ينتحرُ
فإن طافت بك الذكرى
وجاءك بالأسى الضجرُ
وكنتِ وحيدةً ليلا
وهَمَّ البدر يبتدرُ
فقولى: إنها الأيامُ لا
تُبقى ولا تَذَرُ
وصِيحى بالذى يعلو
وتسبحُ حوله الزُّهُرُ
علامَ وقد مضى العشاقُ
تطلعُ أيُّها القمرُ

قالت

زعمتَ أنك نسرٌ
كالدائراتِ تدورُ
وقلتَ كيتَ وكيتا
وامتدَّ فيكَ الغرورُ
فكيف أصبحتَ قل لى
أسالمتكَ العصورُ..؟
فقلت: قلتُ ولكن
ألا تشيخُ النسورُ
لا تعجبى من مشيبى
حتى النجوم تغورُ



هذا دمى والرُّبا فيّاضة الكذب
يُهراق بينكمو يا فتيةَ العَرَبِ
وأنتمو فى طريق البعث بعضُ لظى
عشق تبقّى دليلَ الفتح للحقَب
وأنتِ يا نخلةَ الغار التى وَمَضَتْ
عصرا فعصرا ألا قُومى ألا انتصبى
رُمحاً من الزهو فى انقاض أنفسنا
ومَعْبَراً من فخارٍ فى دُجى الكُرَبِ



قدمت (المنهل) مقالتي: «بداية أديب» التي نشرتها بالعدد الصادر في ذي القعدة ١٤٠٥هـ بمقدمة تدعوني فيها الى نبش ذكرياتي الأدبية والصحفية. وقد أسفت كثيراً لأني لم أتعود خلال عملي الأدبي والصحافي أن اسجل ذكرياتي بانتظام واستمرار. ولكن هناك متفرقات من الذكريات احتفظت بها الذاكرة ـ على ضعفها وسهوها ـ وها أنا أذكر بعضاً منها:

عملي في جريدة البلاد السعودية

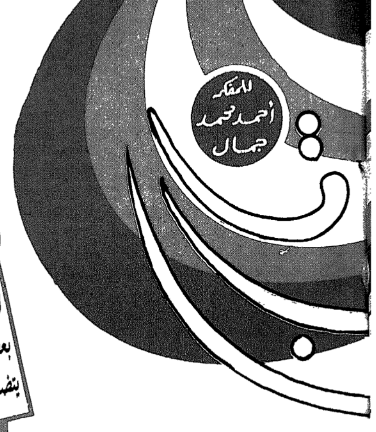
انطوت جريدة «**البلاد السعودية**» في منتصف رجب ١٣٧٨هـ بعد ثلاثة وأربعين عاما صحفيا: قضتها هذه الصحيفة في خدمة الرأي العام السعودي.

وهذا الاسم «البلاد السعودية» كان الاسم الثاني لها ابتداء من اوائل عام ١٣٦٥هـ فقد كان اسمها الأول «صوت الحجاز» واضطرت للتوقف خلال الحرب العالمية الثانية الى عام ١٣٦٥هـ المذكور حيث صدرت باسمها الجديد.

واعتقد أني الرجل الثاني ـ لصحيفة البلاد السعودية في عهدها الثاني بعد الاستاذ عبد الله عريف الذي اختير لادارتها ورئاسة تحريرها.

فقد عُيِّنت مع الاستاذ عريف كمحاسب.. وانا لا أميل الى العمل الحسابي، وقد كنت نصف ناجح في «الحساب» أيام دراستي الابتدائية والثانوية ولكن لوحظ في اختياري لهذا العمل اني اشتغل بالأدب وسأكون على هذا الاساس عوناً للاستاذ عريف في إصدار «البلاد السعودية» في أسلوب جديد.

ان «البلاد السعودية» في عهدها الثاني وفي عهدها الأول حين كان اسمها «صوت



ذكريات ماتعة تتدفق عبر قنوات الزمن فتلد جديدا عبقا مستلا من سجف الحياة الفكرية والأدبية.. لأديب وباحث ومفكر له قيمته وقدره ومكانته.. استجاب بكرم الأحافل لدعوتنا فى رصد هذه (المذكرات) إن صحت التسمية فأفرغ بعض وقته المكثف لتطالع القارىء الحصيف فى حلقات يتضاعف بها عطاؤنا وتتعاظم بها مسيرتنا ونهجنا.

الحجاز» تدخل تاريخنا الصحفى من أوسع أبوابه وفى أجمل ثيابه.

كانت تصدر فى بداية عهدها الثانى أسبوعية ثم تطورت الى الصدور مرتين فى الاسبوع وصدرت يومياً فى اوائل عام ١٣٧٢.

أما أنا فقد تحولت من العمل «المالى» الى العمل التحريرى فأصبحت سكرتيرا لتحريرها منذ صدورها مرتين فى الأسبوع.

وانتقلت منها باختيارى الى وزارة الداخلية كمساعد لرئيس شعبة الثقافة والتعليم قبل ان تنشأ وزارة المعارف وتتخلى وزارة الداخلية عن الاشراف على شئون التربية والتعليم.

ان من حق «البلاد السعودية» كجزء مهم من تأريخ الصحافة السعودية أن تذكر قراءها القدامى بجهادها الصحفى وان تصور للمحدثين من القراء هذا الجهاد فى ايجاز يَدُلّ بلا تطويل يُمل.

كان الاستاذ عبد الله عريف كرئيس لتحرير «البلاد السعودية» صحفيا بارعا ذا ثقافة واسعة ومرونة فى المعاملة واستعداد لتحمل المصاعب والمتاعب فى سبيل الصحيفة واتصال وثيق بالوزراء والرؤساء والأعيان.. مع احترام لنفسه واحتفاظ بشخصيته واعتداد بكرامته.. وكان لا يجامل.. حين يجب عدم المجاملة فى خبر أو مقال يطلب اليه نشره فى الصحيفة وكان كرئيس ادارى يحظى بالرهبة والمحبة معاً من مرؤوسيه. وكان جامعاً للخصال التى جعلتنى احتفظ بمودته وصداقته الى اليوم على الرغم من أننى كنت اختلف معه فى كثير من غاياته ووسائله.. وكان هو الآخر يختلف معى ايضاً ولكنى مازلت أحبه واعتقد أنه كان يحبنى.. كزميلين

قديمين فى عمل وطنى خَبَرْنَا بعضنا بعضاً ودرس أحدنا الآخر عن كثب.

كانت الصحيفة «البلاد السعودية» تهتم بالرأى العام السعودى.. تنشر شكاياته ومطالبه وتزوده بالنفيس القيم من المقالات والبحوث والأفكار وكان الرأى السعودى العام لا يجد غيرها يومذاك «منبرا» يعتليه بآماله وآلامه ومرآة يبدو فيها على حقيقة أوضاعه وأوجاعه.

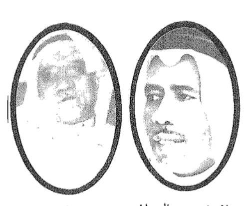
لاقت الصحيفة ممثلة فى رئيسها الاعلى الشيخ محمد سرور الصبان وفى مديرها ورئيس تحريرها الاستاذ عريف وفى سكرتير تحريرها كاتب هذه السطور - لاقت ازمات وصعوبات كثيرة ولكنها انتهت وانحلّت بنفوذ الأول وبراعة الثانى.. اما الثالث فقد كان هو السبب فى كثير من تلك الازمات والصعوبات.

لم تكن الصحيفة فى تأريخها الطويل تعرض على الرقابة ولكن فى فترة ما اضطرت الى عرض موادها على هيئة محترمة وقورة من المراقبين قوامها السادة: ابراهيم النورى وبكر شرف وفؤاد رضا وعباس عبد الجبار.

اشتغل بالعمل فى البلاد السعودية على عهد الاستاذ عريف كمحررين ثابتين الاساتذة عبد العزيز الرفاعى وعبد الرزاق بليلة وعبد العزيز ساب وبسام محمد البسام.. واخيراً سليمان قاضى وعبد الغنى قستى اللذان امتد عملهما الى عهدها الثالث والأخير تحت رئاسة الاستاذ فؤاد شاكر.

مراقبة الصحف

قرأت للكاتب الكبير الاستاذ عبد القدوس الانصارى رحمه الله فى عكاظ يوم الجمعة ١٤٠٢/١٢/٧هـ حديثا مطولا مفصلا عن ذكرياته الصحفية والدراسية والعملية الذى يقدمه الاخ ايمن حبيب تحت عنوان (يوم الاجازة) بعد ان يستخرج من صدور الادباء والكتاب مكنون أسرارهم ومخزون أخبارهم ومجهول أعمارهم - وان كان الاستاذ الجليل الانصارى رفض أن يتحدث عن تاريخ ميلاده السعيد لئلا يعرف القراء مقدار عمره المجيد.



محمد سرور الصبان — حسين عرب

ولقد أثار فى نفسى ذكرى - من ذكرياتى الصحفية - ما تحدث به الاستاذ الانصارى عن (المراقبين) الصحافيين الذين كانوا مفروضين على الصحف والمجلات فى السنوات الاولى من أعمار صحفنا ومجلاتنا وكانت لهم مواقف عجيبة مما يقرأون من مقالات الادباء وقصائد الشعراء فيحذفون ويضيفون كما يشاؤون.

وذكر الاستاذ الانصارى ـ فى مقدمتهم ـ الشيخ حسين عبد الغنى رحمه الله وقال انه كان يضيف عبارات من عنده بين سطور المقالات والقصائد المراد نشرها فى جريدة (ام القرى) التى تولى الاستاذ الانصارى رئاسة تحريرها ما بين سنة ١٣٥٩ وسنة ١٣٦٢هـ وأنه كان متشدداً جداً . . ومما عاناه من شدته : انه كان يشطب من المقالات جملة (السعادة الاجتماعية) ويعلل تصرفه بقوله فى هامش المقال : إنه ليس هناك سعادة فى الدنيا وانما السعادة فى الآخرة كما أضاف ذات مرة فى قصيدة للشيخ أحمد ابراهيم الغزاوى . . كان قد ألقاها فى احتفال لجلالة الملك عبد العزيز رحمه الله ـ أضاف جملة (بإذن الله) بعد كل عبارة فيها (سنعمل . . سنصنع . . سنقوم).

ونشر الاستاذ الانصارى القصيدة بهذه الاضافات الشاذة التى اضطرب لها وزن القصيدة ـ متعمداً لاثارة الشيخ الغزاوى وفعلاً كان له ما أراد وأسرع اليه مستنكراً ذلك . .


احمد السباعى


فؤاد شاكر


عبد العزيز الرفاعى


عبد الغنى قستى

عبد العزيز ساب

واريد ان اضيف هنا الى ما اشار اليه الاستاذ الانصارى أن الشيخ حسين عبد الغنى رحمه الله كان قاضياً للمحكمة المستعجلة الاولى وهى مختصة بالنظر والفصل فى الجنايات وكان مقرها (الحميدية) التى هى مقر ادارة الأمن العام ايضا ـ وكان الشيخ حسين رجلاً مهيبا شديداً فى مؤاخذة الجناة وكان لشخصيته القوية اثر فى نفوسهم.

وقد كنت حينئذ موظفا فى رئاسة القضاة فى بداية تخرجى من السنة الاولى من المعهد العلمى السعودى سنة ١٣٥٩هـ وكان رئيس القضاة يومذاك الشيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ ـ ورأيت كثيراً الشيخ حسين عبد الغنى يزور الرئيس واعضاء هيئة الرئاسة لمناقشته فى بعض قراراته وأحكامه.

وكنت اسمع من الأستاذ حسين عرب والاستاذ عبد الله عريف رحمه الله ـ وقد كانا يقومان بتحرير جريدة (صوت الحجاز) العجائب من تصرفات الشيخ

حسين عبد الغنى إزاء مقالات الكتاب من زيادة وحذف بين السطور.

وعندما التحقت بالعمل الصحفى سنة **١٣٦٥**هـ كمحرر ثم سكرتير للتحرير لجريدة (البلاد السعودية) التى خلفت جريدة (صوت الحجاز) وكان رئيس تحريرها الاستاذ عبد الله عريف ـ عرفت الكثير من عجائب (المراقبين) وكان منهم ـ كما ذكر الاستاذ الانصارى السيد بكر حمدى والشيخ ابراهيم النورى (ذكره **الاستاذ الانصارى باسم (إبراهيم ولى الله)** سهواً والسيد محمد شطا وممن لم يذكرهم الاستاذ الانصارى الشيخ عباس عبد الجبار والشيخ بكر شرف ـ رحمهم الله جميعا . . فقد أفضوا إلى ما قدموا.

وكان السيد بكر حمدى ممثلا لرئاسة القضاة ثم خلفه على المراقبة الشيخ عباس عبد الجبار ـ والشيخ ابراهيم النورى كان ممثلا لمديرية المعارف ـ قبل ان تصبح وزارة ـ وقد خلف السيد محمد شطا الذى كان معاونا لمدير المعارف. اما الشيخ بكر شرف فقد كان ممثلا لوزارة الخارجية.

وهكذا كانت الصحافة ـ على قلة عدد الصحف وندرة ما يكتب فيها من نقد تخضع لرقابة صارمة ومتعددة تمثل رئاسة القضاة ومديرية المعارف ووزارة الخارجية ـ والمقال او القصيدة ان سلم من ممثل المعارف فإنه لا يسلم من ممثل الدين أو الخارجية وان كان ممثل رئاسة القضاة الشيخ حسين عبد الغنى أشدهم تعنتاً حتى إنه اباح لنفسه ان يضيف بعض



الشيخ عبد الله خياط — محمد شطا

الكلمات والجمل الى مقالات الأدباء وقصائد الشعراء.

عندما اصدرنا مجلة خطية:

يروى استاذى الجليل الشيخ عبد الله خياط ـ خلال (لمحاته) فى جريدة «المدينة» يوم **١٤٠٣/٥/٩**هـ ما حدث له فى دائرة الأمن العام سنة **١٣٥٤**هـ بعد تخرجه من المعهد العلمى السعودى واشتغاله بالتدريس والادارة فى مدرسة حارة الباب.

فقد كان هو ورفاقه من الشباب وزملاؤه فى المحيط التعليمى يرغبون فى اصدار مجلة . . ورفعوا طلبهم الى الجهة المختصة للأذن بها ففوجىء صاحب اللمحات بشرطى يقتحم عليه غرفته بالمدرسة وصوت حذائه ـ كما يصفه ـ مزعج مقلق بل ورؤيته كانت غريبة فى المدرسة . . وقد جاء ليصطحب مدير المدرسة الى مركز

الشرطة ويقتاده كما يقتاد المجرم . . والناس في الحي يشهدون هذا المنظر الغريب ويتهامسون : سحبوا المدير الى المركز.

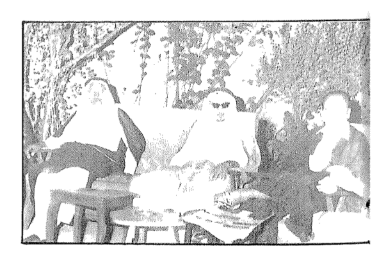
ويتابع استاذنا الجليل سرد مذكراته فيقول : وكان في المركز ضابط لم يتنازل برد السلام . . اخذا بمبدأ العظمة الكاذبة . . وقد أبلغه أنه مطلوب الآن في مديرية الأمن العام . . وذهب الى هناك فوجد ضابطا آخر . فأخبره بأن المجلة التي طلبتم إصدارها لم توافق عليها النيابة ـ فأعطاه صاحب اللمحات ظهره احتقارا لصلفه .

***** نقلت هذه المذكرات عن استاذي الفاضل الشيخ عبد الله خياط . . لاني وزملائي في المعهد العلمي السعودي كانت لنا قصة مشابهة . . فقد كنا نصدر مجلة بخط ايدينا نطلق عليها اسم (الامل) واذكر من الزملاء الاساتذة عبد العزيز الرفاعي ـ وسراج مفتي ـ والدكتور عبد القادر جان ـ وعبد العزيز الربيع رحمه الله وسراج خراز وعلي غسال وغيرهم .**

وكنا ننشر على صفحات هذه المجلة الخطية قصائد من اشعارنا . . وكلماتنا وقصصنا . . على قدر حالنا حينذاك ـ فإذا بنا نفاجأ (بطلب) من الشرطة لكل واحد منا في بيوتنا مما افزع آباءنا وأمهاتنا . . وذهبنا الى مقر مديرية الامن العام . . فيما كان يسمى (الحميدية) على عهد مهدي بك . وكان رجلا مهيبا يرحمه الله . . واقتادونا الى غرفة «القسم العدلي» وكان يرأسه طلعت وفا يرحمه الله . . وهناك أُخِذَ منا (تعهد) بعدم إصدار المجلة والا كان جزاؤنا شديدا . . فقلنا : سمعنا وأطعنا(1).

***** والملاحظة ـ او المؤاخذة ـ التي كانت تدور في أذهاننا على صغر أعمارنا يومذاك : انه كان من الممكن أن يكون بلاغ الامتناع عن اصدار المجلة عن طريق المرجع الذي نتبعه وهو إدارة المعهد العلمي السعودي الذي كنا ندرس فيه . . ونحن طبعا وشرعا لن نعصي له امراً ولكن حدث مالم يكن في الحسبان .**

وكذلك قصة الاستاذ عبد الله خياط وزملائه من المدرسين في موضوع المجلة التي كانوا يستأذنون في إصدارها ـ ولم تصدر بعد ـ كان من الممكن أن يكون بلاغ عدم الموافقة على إصدارها عن طريق إدارة التعليم بمكة .



● كاتب الذكريات يتوسط السفير التونسي وعبد القدوس الانصاري

(1) اشرت الى هذه الحادثة باختصار في الحلقة السابقة وفي هذه الحلقة بعض التفصيل وبخاصة ذكر الزملاء الذين كانوا يشاركونني تحرير مجلة الأمل .

قيد الصيد!

قال أبو تراب: ذكر ابن فارس فى مادة أجَّ فى المُجْمَل: أجيجُ النار توقُّدُها.. ويمكُنُ أن يكون اشتقاق يأجوج ومأجوج من هذا!

وفى مفردات الراغب الاصبهانى: أجَّتِ النارُ وائتجَّ النهار ويأجوج ومأجوج منه شُبِّهوا بالنار المضطرمة والمياة المتموّجة لكثرة اضطرابهم.

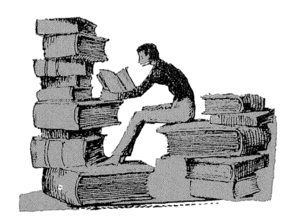
قال أبو تراب: هَذا عَلَمٌ أعجمىٌّ فكيف يَصحُّ اشتقاقُه من العربية وقد نصَّ على عُجْمَته الجواليقى فى المعرَّب (ص٣٥٦) والخفاجى فى شفاء الغليل (ص٢٧٩).

وفى لسان العرب: يأجوج ومأجوج اسمان أعجميان واشتقاق مثلهما من كلام العرب يخرج من أجَّتِ النارُ ومن الماء الأُجاج وهو شديد الملوحة المُحرق من ملوحته ويكون التقدير فى يأجوج يفعول.. وفى ماجوج مفعول كأنه من أجيج النار.. ويجوز أن يكون ياجوج فاعولا وكذلك ماجوج وهذا لو كان الاسمان عربيين لكان هذا اشتقاقهما فأما الأعجمية فلا تُشتقُّ من العربية.

ومَنْ لا يَهْمِزُ وجعل الألفين زائدتين يقول: ياجوج من يججْت وماجوج من مججْت وهما غير مصروفين قال رؤبة:

لو أن ياجوج وماجوجَ معا
وعادَ عادٌ واستجاشوا تُبَّعا

قال أبو تراب: ولم يذكر الخفاجى فى شفاء الآجُرَّ وكان حقه أن يتضمنه كتابه لأنَّه معرب، وقد نص على كونه كذلك الجواليقى فى المعرّب (ص٢١) وابن فارس فى المجمل والزبيدى فى تاج العروس.





قال أبو تراب: أورد ابن فارس فى المقاييس فى مادة (أثر) قول عروة بن الوَرْد:

فقالوا ما تشاء فقلت ألهو
الى الإصباح آثِرَ ذى أثير

وهكذا أنشده الجوهرى واستدرك عليه الصاغانى فى التكملة فقال: الصواب (فقالت) يعنى امرأته أم وهب.

ولم يتنبّه لهذا التعقب عبد السلام هارون فى تعليقه على كتاب ابن فارس.

قال أبو تراب: جاء فى اللسان فى مادة (أثر) ما نصه: «الأَثَرَةُ والثؤرور والثأثور كلها علامات تجعل الأعراب فى باطن خف البعير».

قال أبو تراب: هذا غلط فان الثؤرور والثأثور ليسا من مادة (أثر) بل من مادة (ثأر) وهذا الغلط فى طبعة بولاق وخرج اللسان بطبعة دار المعارف بتصحيح الأساتذة عبد الله على الكبير، ومحمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلى الذين قاموا بتحقيقه ومراجعته ومشوا على غلط الطبعة الاولى ولم يصححوه.

ثم لم يذكر هذا الغلط عبد السلام هارون فى كتابه الذى وضعه فى التنبيهات على أغلاط اللسان والعجب أنهم لم يلتفتوا الى قول ابن منظور: «والثؤرور على تفعول بالضم» فكيف يكون الثؤرور على تفعول والثاء أصلية الا اذا كان ثؤثوراً وهو الصواب الذى لم يثبتوه لأن الثؤرور فعلول لا غير.

قال أبو تراب: وأعجب من ذلك أن هذا الغلط موجود ايضا فى القاموس الذى صحّحه الشيخ نصر الهورينى ونصُّه: «**والثؤثور حديدة يُسْحى بها باطن خف البعير ليُقْتَصَّ أثرُهُ**» وهذا الغلط ايضاً فى تاج العروس للزبيدى وذكر فى شرحه أنه ورد فى نسخة: ثؤرور أيضاً ولم ينبه على الغلط كأنها غفلة منه فى النقل مع أن تنصيص اللسان على وزن تفعول يصحح ويؤيد ما ذهبنا اليه.. وبالله التوفيق.



تحقيقات عرضية

● امين الريحانى ـ وجوه شرقية غربية ـ دار ريحانى للطباعة والنشر ـ بيروت ١٩٥٧ـ١٤٧+١ص ص

(١) ليس لأمين الريحانى كتاب ألفه هو نفسه بهذا العنوان بهذه المادة وإنما هو تصرف شخصى قام به شقيقه البرت الريحانى صاحب دار ريحانى . . جمع فيه ما ورد لأمين الريحانى من «وجوه» فى الأجزاء الأربعة من «الريحانيات» وزاد عليها ما تركه خارجها بانتظار فرصة طبع الأجزاء الأخرى من الريحانيات.

(٢) وجوه شرقية غربية الصحيح وجوه شرقية وغربية.

(٣) الوجوه هما: عيسى الخورى هملت وشكسبير تولستوى، جان جاك روسو، فولتير، ابن سهل الاندلسى، كارلايل فى «الثورة الفرنسية» شيلى الشميل، هباسيا، الغزالى والقديس أعسطينوس، وليم غاريسون، رفيق السفر والمؤتمر (يقصد ويلز)، غاندى، أديب مظهر، سليم سركيس، يعقوب صروف، الموسيقى الفرنجية والعربية رابندرانات طاغور، جبران، جورج واشنطن، ابراهيم هنانو، كليفلاند ضودج، شبل دموس.

(٤) لمن يبحث الاصطلاحات الادبية يجد ص٩: المسرح، مسرحيات، المسارح، المسرحية.

ولكنه يقول ص١٠ «هذه ست روايات . . هملت أعظم الروايات . . هى رواية منقطعة النظير فريدة . . وفى ص١٢: رواية هملت.

فكأن المسرحية والرواية لديه شىء واحد واستعمل ص١٣: التياترو يريد المسرح . .

(٥) وهو فى ص٤٥ يستعمل الرواية للقصة فيقول: الروايات الغرامية واستعملها كذلك ص٦٢ ولكنه يقول ص٣٥: ألف ـ فولتير ـ رواية تمثيلية.

(٦) ص١٧ «تولستوى لايرشى القضاة والحكام»: لايرشو

(٧) ص٤٢ كارلايل . . لايندد ـ بالجمهوريين كتيارس

(٨) ص٨٣ رسمه: تصويره

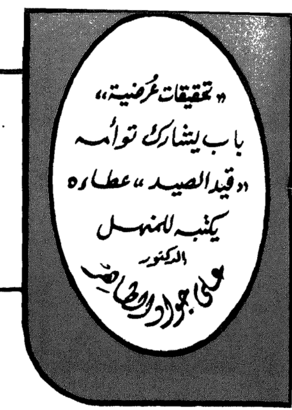
(٩) ص٨٦ «العلوم التقنية (الفنية) . . ».

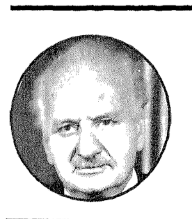
(١٠) ص١١٤ «كنا فى الماضى نقول: الكاتب العصرى، فشاء بعض ادباء اليوم أن يبدلوها بالكاتب المجدد» ـ تنفع فى تاريخ المصطلحات

(١١) ص١٢٣ «لغة فخيمة»

(١٢) ص١٢٤ «أو بالحرى».







● الدكتور جميل صليبا ـ اتجاهات النقد الحديث فى سورية ـ محاضرات القاها على طلبة قسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية ـ معهد البحوث والدراسات العربية جامعة الدول العربية القاهرة ١٩٦٩، مطبعة الجبلاوى ٢٧٨+١ص.

(١) ص١٢ «ان النقد من الغرائز التى عرف بها السوريون». . الذى اعرفه ان الدكتور صليبا متخصص بالفلسفة وسواء اصحت معرفتى ام لم تصح فانى استكثر عليه قوله هذا كيف يكون النقد غريزة ويعرف به السوريون دون غيرهم من بنى البشر.

(٢) ص١٣ : «الأساتذة الأكفياء» الأكْفَاء ـ بسكون الكاف وفتح الفاء.

(٣) ص٧٦: «ان المعرب فى نظر المغربى ـ الشيخ عبد القادر ـ عربى أو بمنزلته ومن الأدلة على أنه عربى قول الخليل: ليس فى كلام العرب على وزن «فعلل» غير كلمة (درهم) ثم عدد كلمات أخر فقال المغربى: أنظر كيف أنه جعل كلمة درهم من كلام العرب وهى معربة عن الرومية.

المقصود بالرومية: اليونانية.

(٤) ص١٢٥ـ١٢٦ ومن الكتب التى رجا لها محمد كرد على الخلود بعض كتب العقاد(. . .) قال (. . . .): تقرأ العقاد فتظنك تقرأ ناقداً من نقاد فرنسة أمثال (فاجة) و(لمتر) و(بيدو) و(بريستون) و(تين) بديباجة عربية. . .»

فاجة: فاجه: فاكه لأنه Faguet .

(٥) ص١٣١ـ١٣٢ قال أحمد شاكر الكرمى: أليست هذه سورية (. . .) هى التى أخرجت لنا جبران ومى وميخائيل نعيمة ومطران والريحانى ومن أشبههم».

أ ـ المقصود بسورية هنا سورية الكبرى: بلاد الشام ومنها سورية ولبنان وإلا فهؤلاء من لبنان على وجه الدقة.

نقول هذا لنذكر ان المؤلف ـ الدكتور صليبا ـ قصر بحثه على سورية بمعناها الضيق.

ب ـ هذه الاسماء منصوبة فسورية أخرجت ميّاً ومطرانا.

(٦) ص٢١٦: «ومع أن الأدباء السوريون قد أخذوا فى الحقبة الأخيرة يؤلفون بعض المسرحيات. .» ان الأدباء السوريين ـ والخطأ مطبعى او بسبب من سهو.

(٧) ص٢٦٢ «إذا استقرأنا أحوال المجتمعات الانسانية رأينا أن لكل مجتمع تصورات مشتركة». .

استقرأنا: استقرينا الفعل: استقرى يستقرى.



تأليف الدكتور / ابراهيم الفوزان

اقليم الحجاز

بـادرة طيبة وعمل مشكور وحميد أن يتجه الأديب الدكتور ابراهيم بن فوزان الفوزان، فى دقة التأليف عن منطقة الحجاز بأكثر من كتاب فهناك كتابه الضخم فى أجزائه الثلاثة عن «الأدب الحجازى الحديث بين التقليد والتجديد» الذى لنا معه جولة خاصة وحديث ليس مكانه هنا. . وهو الذى كان قد تقدم به المؤلف كرسالة للحصول على درجة الدكتوراه بامتياز.

وحديثنا اليوم عن كتابه التعريفى الآخر الموسوم: (إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة) الذى صدر عام ١٤٠١هـ فى قرابة من أربعمائة صفحة من القطع الكبير وقد اعتمد فى تأليفه على أكثر من (١٢٠) كتابا كمصادر ومراجع.

وزع المؤلف ابن فوزان حديث بحثه فى كتابه هذا على ستة فصول عدا التقديم الذى كان يعرِّف فيه بطبيعة الحياة المجهولة عن أدب العصر الحديث فى الجزيرة العربية التى حظى فيها التراث العربى بعناية الدارسين والباحثين على مر العصور. . أما أدب العصر الحديث فى هذه الجزيرة فلم ينل حظه من عناية الدارسين كما فى أدب الأقاليم الأخرى) - كما ورد على لسان المؤلف ونقلناه عنه بتصرف. . وقد قال فى خاتمة تقديمه: (والجدير بالذكر أن القارىء قد يجد فى هذه الدراسة (إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة) بعض الأمور التى تغيرت خلال ما بين كتابة هذه الدراسة وبين طباعتها وقد حرصت على إبقائها كما كانت عند الكتابة - وحسبى أن أجتهد).

ويتناول الفصل الأول الذى جرى فيه البحث والحديث بعرض متواصل عن (إقليم الحجاز: موقعه وحدوده وأقسامه الطبيعية والإدارية).

■ وتوطئة لهذا الفصل نستأنس بهذه العبارات: (لهذا الاقليم مكانة فى قلب العالم الاسلامى فى القديم والحديث ولبيئته الجغرافية أثر كبير على الانسان فى وسائل عيشه ونظمه وتاريخه وقد صورها لنا الأدباء والمؤرخون تصويرا كاملا).

ونعرف أن إقليم الحجاز يقع (فى الجهة الشمالية الغربية بين خطى عرض ١٦ : ٣٠ درجة شمالا وبين خطى طول ٣٤ : ٤٢ شرقا) ويشتمل على سلسلة جبال السروات الممتدة من العقبة شمالا حتى قرية طلحة عند مدينة عدن).

■ ومن أهم المدن الحجازية: مكة المكرمة والمدينة



عرض وتقديم / عبد السلام هاشم حافظ

وعوامل نهضته الحديثة

المنورة والطائف وجدة.. وغيرها.. وقد أوضح **المؤلف مواقعها بالتدقيق وشرح عن طبيعة الحياة فيها** حتى إذا تحدث عن المدينة المنورة اختتم مقالته عنها **كمقر إمارة المنطقة الشمالية من الحجاز الحديث وتتبع** لها إثنا عشر إمارة.

من بعد ذلك ننتقل الى (الفصل الثانى) لنجده **يبتدىء بالحديث عن (الحياة السياسية والاقتصادية** قبيل النهضة وبعدها).. وهذا فى اواخر القرن **التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.**

وقد استعرض المؤلف كذلك مسيرة الحكم **للاقليم الحجازى - وباختصار - عبر مسيرة أزمان** قديمة ولنستمع له يقول فى تعليل لظروف هذا **الاقليم المتميز: (وقد امتحن سكان الحجاز منذ** الرعيل الأول بحب الدول المجاورة لهم للسيطرة على بلادهم المقدسة)..

ولقد تحدث عن دور القرامطة وعن حكم الأشراف التابع للدولة الفاطمية.. وعن دخوله فى حكم الخلافة العثمانية التى كانت تبسط سلطانها على قارات ثلاث حتى إذا راح الحكم العثمانى فى فرضيّة تعصبه ومحاولة تتريك لغة العرب ولغات غيرهم بدأت مسيرة النهاية والإنحدار.. وكان هذا المثال أيضا ينطبق على حكم الأشراف للاقليم الحجازى وكانوا قد عمدوا إلى قانون مجحف للسلطة.. ومنه يتضح مدى عنصريتهم وتميزهم على الناس.. وخلال حكمهم التابع للحكم العثمانى (كانت مكة لا تتمتع باستقرار حتى تفاجئها حركات ثورية جديدة لأن اشرافها يحتكمون فى خلافهم على الامارة الى سيوفهم فتعرض البلاد لفتن عشواء وقد تتجدد الفتن فى العام الواحد لأكثر من مرة) - كما نقله المؤلف عن مصنف (تاريخ مكة) للأديب الراحل أحمد السباعى..

من لطيف ما أورده المؤلف أن جاء بأجزاء متعددة من القصائد الشعرية التى كانت تنتقد تلك الأوضاع للسلطات التركية والهاشمية.. ثم تلك القصائد التى استبشرت ورحبت بحكم آل سعود.. وقد راح يتحدث بأمانة عن اللقاء التاريخى بين كل من الزعيمين: الدينى «محمد بن عبد الوهاب» والسياسى «محمد بن سعود» فى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى.

ثم يأتى الحديث عن الدور الثانى للحكم السعودى الذى فتح الله به على قلب الجزيرة العربية، ليوحد صفوفها وأجزاءها ومن ثم تستقر الحياة الطبيعية فيها ويستتب السلام والأمن فى الديار المقدسة وما حولها والى امتداد ما أصبح كيانا كبيرا (للمملكة العربية السعودية)..

ويواصل المؤلف حديثه فيتناول جميع جوانب (الحياة الاقتصادية) بشكل عام وفى شتى اوضاعها ومراحل تطورها مع مسار الأيام وتتابع حركات النهضة على كل ميدان فى المملكة.

ونطالع (الفصل الثالث) من الكتاب لنقرأ فى مطلعه عن حركة (التحرير من الحكم العثمانى وأثره فى بعث الوعى الوطنى والقومى).. وهو فصل يصف كثيرا من الأوضاع والأحوال التى زامنت الخروج من عنق الزجاجة العثمانى وانفتاح الطريق على مصراعيه أمام تيار الحياة الجديدة للحجاز ولكل مناطق المملكة الواسعة..

وإذا أخذنا فى متابعة (الفصل الرابع).. فإننا نقرأ عن (الحركة الوهابية وأثرها فى الفكر الحجازى) وبتمهيد عن (دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية ومراحل تكوينها) وتلاحمها مع انطلاقة الحكم السعودى المزدهر. وتتابع خطوات التقدم الحتمى..

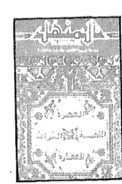
فى (الفصل الخامس) يتحدث المؤلف وبتفصيل عن (التحول الاجتماعى والثقافى فى اوائل النهضة الحجازية) فبدأ بتناول التحول الاجتماعى فى الحجاز ثم التحول الثقافى المتعدد الجوانب والاتجاهات.. بدأ من التعليم الأولى فالتعليم العالى والمدارس التركية فى الحجاز وفيه كذلك المدارس الأولية والمدارس النظامية فى العهد الهاشمى ومنها المدارس التحضيرية والمدارس الابتدائية الراقية والتعليم الثانوى (العالية) ثم يستوفى المؤلف بحثه عن عوامل ثقافية أخرى كالبعثات والمطابع والصحافة).. وكغيرها مما له علاقة بالتثقيف والتعليم.

وأخيرا: يطالعنا (الفصل السادس) بشمولية عن (النهضة الكبرى فى العهد السعودى.. وأهم معالمها) وفى مطلع البحث نستمع الى المؤلف يركز على الجوانب التى يتناولها: (فسوف يكون عرضى لمعالم النهضة فى العهد السعودى مركزا على المعالم الثقافية.. أما بقية المعالم فقد تعرضت الدراسة لبعض جوانبها فى الفصل الثالث والفقرة الأولى من الفصل الخامس بدافع الموضوعية والربط وقد كان التركيز فى الدراسة على جميع البواعث فيها قبل العهد السعودى وذلك لندرة ما كتب عنه وتطلع الكثير الى معرفته لربط الحاضر بالماضى ومقارنتها).

وهكذا بعد ان استعرض أحداث تأسيس المجلس الأهلى بالحجاز والذى أمر به الملك عبد العزيز وما تتبعه من تطورات إصلاحية كعامل من عوامل النهضة.. راح المؤلف يتحدث عن (التعليم) بتعريف واف وشامل للتعليم العام ومراحله فى الحجاز ثم تطوره.. وتفرعه الى إنشاء معاهد النور ومدارس الثقافة الشعبية والتعليم الفنى والأهلى والتعليم العالى والبعثات الخارجية والصحافة فى الحجاز الى معالم ثقافية متعددة.. والمطابع وحركات النشر والتأليف والمكتبات والاذاعة والتليفزيون.

تلك سياحة عاجلة مع كتاب (إقليم الحجاز وعوامل نهضته الحديثة).. وهو كتاريخ أمين لجانب مهم فى حياة هذا الاقليم المتميز من بين كل بلدان العالم.. فإننا نشد بحرارة على يد الدكتور الأديب والمؤلف القدير وقد قدم عملا تاريخيا جليلا يستحق الشكر والتقدير.





سعادة صاحب مجلة المنهل ورئيس تحريرها
الرمز البريدى ٢١٤٦١ جدة ـ ص.ب: ٢٩٢٥ سلمه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
وبعد
فشكرا من الأعماق على اهدائكم العدد الممتاز من مجلة المنهل الزهراء
انه بحق على مستوى المضمون والاخراج ممتاز .
وبدورى سوف أساهم حسب الامكان بالانتاج العلمى للمجلة ولندع
ذلك لظروف العمل .. سدد الله خطاكم للسير قدما الى الأمام بالمجلة ..
مع صادق احترامى وتقديرى ،

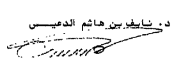
وكيل الجامعة
للدراسات العليا والبحث العلمى
د. محمود محمد على أسد الله
١٤٠٦/٤/٦

سعادة / رئيس تحرير مجلة المنهل الموقر
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

يسعدنى ان اتقدم اليكم بخالص الشكر والتقدير على تفضلكم باهدائى نسخه من العدد الاخير الممتاز من مجلة المنهل الذى يحتوى على مجموعة ممتازه من المقالات الادبيه والفكريه فى مجال الهجره واللغة والتراث والحضاره .

وبهذه المناسه فانه يسعدنى المشاركه فى هذا العمل القيم وانى على استعداد تام بتقديم بعض انتاجى المتواضع فى مجال الدراسات الاسلاميه والادبيه .

راجين ان تتقبلوا خالص تحياتى .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

د. نايف بن هاشم الدعيس

(وكيل الكليه للدراسات العليا والبحوث)



الشرق الأوسط

عدد ممتاز من «المنهل» الثقافي

جدة ـ مكتب «الشرق الأوسط» :

صدر العدد ٤٤١ من مجلة «المنهل» الشهرية للآداب والعلوم والثقافة التي اسسها الاديب السعودي عبد القدوس الانصاري سنة ١٣٥٥هـ .

والعدد الجديد عدد ممتاز، فكان جديداً في دائرته، حديثاً في تنسيقه وتجميعه، أوليا في تبويبه واخراجه ـ كما جاء في التقديم ـ ويهدف الى ان يطرح قديماً جديداً في دنيا الفكر والمعرفة، مصدرهما العقيدة الخالدة أولا، ثم تلك الثروة المعرفية الخلابة.

جديد التبويب في عدد «المنهل» لشهري نوفمبر (تشرين الثاني) وديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٥ هو تقسيمه الى اربعة فصول هي : «الهجرة، اللغة، التراث، الحضارة».

الأخ الفاضل نبيه بن عبد القدوس الانصاري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

لقد تسلمت رسالتكم المؤرخة ٢١/٢/١٤٠٦ هـ ومعها العدد الممتاز الحافل بالجيد والطيب من مجلتنا (المنهل) الحبيبة ، فشكراً على عنايتكم ، وإنني لكم من هنا سنشفعها بمبلغ ١٥٠ ريال اشتراكاً متواضعاً ارجو التكرم بقبوله

وقد عثرت في أوراقي القديمة التي احتفظ بها في منزلنا بالمدينة المنورة على اعداد من المنهل تحمل عبير ذكريات على قراءتها وكلها مؤرخة في عامي ١٣٥٨هـ ، ١٣٥٩هـ وارجو ان تتاح لي الفرصة قريباً لاعادة قراءتها واكتب لكم خواطري حول هذه الفترة من حياتي علماً بأن ... ما يمكن ان يفيد .

فلكم منا جزيل الشكر ولمنهلنا الغالي اطراد النجاح والثبات

اخوكم

عزت خطاب

أخي نبيه بن عبد القدوس الانصارى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعـد . . إننى حقيقة سعدت غاية السعادة لاستلامى مجلتكم الجامعة العظيمة «المنهل» فى عددها الممتاز مع رسالتكم الغالية لدى ففيها ثقتكم الغالية يا من كنت بحق خير خلف لأنجب وأكرم سلف . . أسأل الله تعالى أن يتولاكم بعنايته وأن يكون معكم الصاحب والمعين .

أخي . . بعثت لكم هذه السطور رداً على تحيتكم الغالية فمجلتكم تشرف العالم الاسلامى حقيقة وكان لاطلاعى على عددها الذى تفضلتم به أبلغ الأثر فى نفسى وأعمقه .

هذا . . وبحوله تعالى سيكون بين ايديكم الفصل الاول لموضوع بدأت ملامحه تتخذ لها الاشكال والأطر ولن يخرج بحال عن دراسة الحضارة الاسلامية بالاندلس وأكرر لكم شكرى وتقديرى ودعائى فى أن يحقق الله تعالى لكم ما تصبون إليه . . ودمتم لأخ لكم إنشاء الله .

د . احمد عبد الله سعيد النعمى



الندوة

المنهل فى العدد الممتاز

جده / مندوبنـــا ..

صدر العدد الممتاز من مجله المنهل الشهرية والتى يراس تحريرها زميلنا الاستاذ نبيه عبدالقدوس الانصارى ..

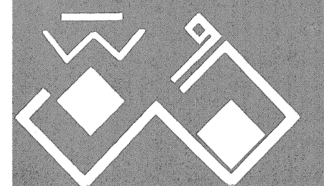
وقد اشتمل العدد على مواضيع عديدة اهمها الهجرة واللغة والتراث والحضارة حيث تناولت هذه المواضيع عدد من الاقلام المعروفه فى المملكة والعالم العربى ..

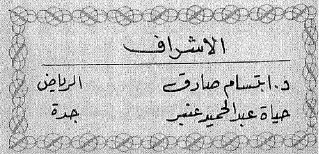


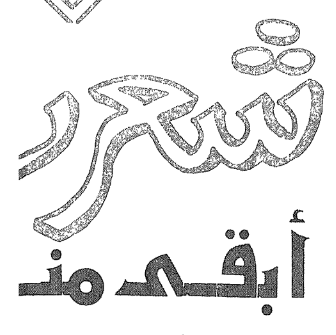
النساء .. شقائق الرجال













لعل الطبيعة قد أوحت إلى الانسان أنها أروع ما فى الوجود وأبقى إذ كان من سنتها التجدد والتحول على مدار الحياة وفى مواسمها وفصولها وفى الانسان ذاته ومن هنا أنكر كلودبرنار عالم الطبيعة فى أعقاب القرن الماضى فكرة التطور الدائم مما فسح المجال أمام المفكرين والباحثين بأن الآثار الأدبية نفسها خاضعة لهذا النظام وفى هذه الآراء كان التعسف بتطبيق أحكام العلم على الأدب، فقد انتزع ذووها من روحه وطبيعته بعض مزاياها التى اختصت بها حاسبين أن مياسم العلم يمكن أن تحتوى الفكر والفن فإذا كان الهرمان قضى عليهما الشاعر المتنبى فى لحظات من حدة غضبه زاعما بأنهما زائلان وسوف يدركهما العفاء وهما اللذان وقفا طويلا أمام الزمان والحروب والاعاصير ولا يزالان جاثمين لا يبرحان ولا يحولان لكن أبا الطيب شاعر العروبة والبطولة لم يكن يعلم أن شعره أبقى من الهرمين وأخلد على الأيام والخطوب حتى بات الدهر من رواة قصيده كما قال . .

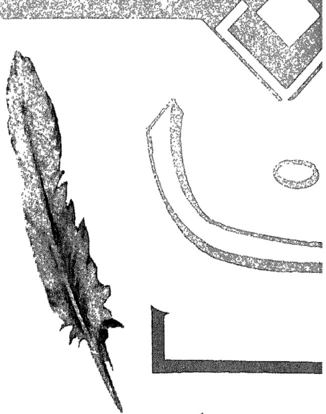
على أنى عنيت بتبدل الطبيعة وتحول مظاهرها هذه الصفحات التى نطويها أو ننشرها بين الحين والحين وعلى مداولة السنين وقد أدرك الشاعر الخالد أبو العلاء حكيم المعرة هذا التعاقب فى صنع الطبيعة فصوره فى شعره وهو الضرير ولم يكن هذا الصنع الدقيق إلا بديعاً ورائعاً فلو دام كل شيىء فى الوجود دون أن يتطور أو يتغير لسئم الانسان ومن ذا الذى يؤثر التمنى لعام كله شتاء حتى ولو كان التمنى فى ربيع دائم؟ .

والشعر الذى كان ولا يزال من روائع المواهب الانسانية أراد مبدعه فى قريحة الموهوب وشعوره وأصالته أن يطلعه فى الوجود أزاهير حياة وفن لا تبلى ولا تفنى بين أزاهير الطبيعة التى يدرك نضرتها وأريجها الفتور على تجدد مغارسها وفصولها .

الكلمة أدب العاما

● قال نفر من المتشائمين فى مسألة الشعر العربى الحديث :

«إنه اليوم يعانى أزمة من اشد الأزمات التى عاناها الفكر والتعبير وربما آلت الأزمة إلى غيابه أو زواله» فما



احسب هذا الرأى حقاً كله أو سديدا فإن هذا الشعر على ترادف العصور وتطور الحضارة والثقافة قد دخل فى محن وبلايا ثم انفرجت أساريره وشعت مواهبه وبشاشته بعد زوال الاسباب والشعر فى أدبنا الحديث يكابد محنة لا أحددها فى هذا المقال الوجيز بل أشير إليها وأراها محتدمة فى الشرق والغرب ولقد ضج بأخبارها وآثارها النقاد وتناولوها بالتحليل والتأويل حتى زعموا بأن الشعر فى عصرنا بين ضياع واضطراب من جراء الحضارة المعقدة الجديدة وفلتات التعبير والمغالطات وقد فاتهم أن الشعر نفسه وإن تأثر الى حد بعيد بقلق العصر وتنازعَهُ تيار بعد تيار فإنه بروحه الخالدة وسره الإلهى يتجلى فيما تطلبه المواهب الشعرية زهراً وعطراً ونغما فى ألفاظ موسومة مواجة بأشتات المعانى والصور وتنافس فى نضرة زهرها وثمرها وتلاوينها ربيع الطبيعة بما يضفى على الحياة فى كل عام جمالاً وانطلاقا فكيف يزول الشعر من فطرة الموهوب ومن

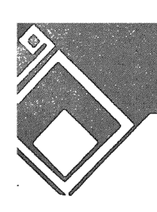


عالم الأدب وهو أروع فنونه وأبقاها فى تراثه على ترادف العصور بل كان الشعر وما يزال أدل على كل شعب فى أقوال شعرائه ونفحات إبداعهم ومنازعهم أو صور التخبط فى أيامهم.

على أن الشعر الصادق فى أدبنا الحديث على قلة قائليه ممن أوتوا أسبابه ومقوماته واختلاف المسميات فى أشكاله سيبقى دليلاً علينا متصلا بمنابت الخالدين من شعرائنا الذين تركوا دوياً فيما كان أبقى منهم على الزمان وأعلق بالنفوس والوجدان فى كل جيل وقبيل وإذا كان تبرم القراء بكثرة الأدعياء من المتزاحمين الواهمين بأنهم شعراء فإن النقاد بصمتهم تلحقهم الملامة كلما تمادى المتزاحمون على ما يسمونه شعراً وما هو إلا الغثيان والهذيان حتى جعلوا المرجوين من الشعراء يزهدون فى نشر تعبيرهم حقاً وصدقاً لكنهم آثروا السكوت فإن الذين تكلفوا الشعر غصباً ووهما لم يقنعوا بالتنافس فيها اقتحموا ولملموا بل استطاعوا أن يسدوا الطريق بالتهكم على الشعراء واتهامهم بالتقليد والجمود ومن عجب أن يتصدى شعراء فى أيامنا لمن سبقوهم بالسخرية والنقد العنيف وأن يقوم بعضهم بتجارب عابثة فى فن الشعر وأصوله ومقوماته.

وإن الشعب الذى يتفقد الشعر الأصيل متجدداً ومتطوراً اذا غاب عن سمعه ومطالعاته هو الشعب الذى ينبع من الموهوبين والملهمين فيه فالشعر فى كل شعب هو مرآة ثقافته وحضارته وأصالته.

ومهما يزين المتشاعر والنظّام أوراقه بمختلف الاشكال والألوان فإن القارىء المثقف يتجافى عن هذه الأوراق المزوقة المنمقة التى لا تستهوى إلا صاحبها ولا يعبأ بالأفكار الوافدة أو النوازع التى تتطلبها دواعى الحضارة والمعيشة.



من الشعر

لم تكن المرأة العربية بمعزل عن الحياة الأدبية والشعر وإنما تعشقت الأدب وأبدعت فى ميدان الشعر ومجالى السحر . ولا غرو فقد عاشت بين أحضان الفصاحة وتقلبت فى أعطاف البلاغة فشاهدت الملاحم وشاركت فى الحروب واستجابت للخلال العربية جنبا الى جنب مع أخيها العربى الفنان فأسهمت بنصيب كبير وكانت مثالا للمروءة والنخوة والكرم والأريحية وطالما أزجت صفوف المقاتلين بكلماتها الحماسية ورجزها الهادر.

وكانت كثيرات يواكبن الرجال ويصغن من نثر الكلام ومنظومه ويؤثرن على غيرهن إلى درجة كبيرة ومن منا لم يسمع بوصية الأم الجاهلية التى صاغت دستورا لحياة ابنتها مع زوجها وهى وصية ما تزال صالحة لأرقى الشعوب تحضرا ومنها:

«وكونى له أمة يكن لك عبدا ولا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح .. وإياك والفرح بين يديه إذا كان مهتما والكآبة إذا كان فرحا».

وهذه قتيلة بنت النضر بن الحارث وكان أخوها صاحب لواء المشركين فى بدر وحين أسر قتل لكثرة إيذائه الرسول «ﷺ» فبكته أخته قتيلة بكاء مرا أمام النبى عليه الصلاة والسلام وعتبت فى قتله بشعر مؤثر وكلام جزل له وقع كبير على النفس قالت:

أيا راكبا إن الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق

أبلغ بها ميتا بأن تحية ... ما إن تزال بها النجائب تخفق

● وتقول:

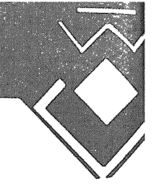
أمحمد يا خير ضنء كريمة ... فى قومها والفحل فحل مُعْرق

ما كان ضرك لو مننت وربما ... منّ الفتى وهو المغيظ المحنق

أوكنت قابل فدية فلينفقنْ ... بأعز ما يغلو به ما ينفق

فالنضر أقرب من أسرت قرابة ... وأحقهم إن كان عتق يعتق

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقّقُ



المرأة العربية

ولما نفّذ وحشى بن حرب جريمته فى قتل حمزة أسد الله قالت هند التى أغرته بجريمته :

شفيت نفسى وقضيت نذرى
شفيت وحشى غليل صدرى
فشكر وحشى علىّ عمرى
حتى ترم أعظمى فى قبرى

● وردت عليها هند بنت أثاثة بن عباد بن المطلب فقالت:

خزيتِ فى بدر وغير بدر
يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبّحك الله غداة الفجر
بالهاشميين الطوال الزهر

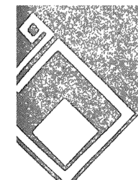


بكل قطّاع حسام يفرى
حمزة ليثى وعلىّ صقرى
إذ رام شيب وأبوك غدرى
ونذرك السوء فشر نذر

وفى هذا نجد المرأة شاركت الرجل فى النقائض التى يبطل فيها شاعر ما قرره الشاعر الأول .

وصفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها وهى عمة الرسول ﴿ﷺ﴾ بكت أخاها حمزة بكاء أليما وكان مما قالت :

دعاه إله الحق ذو العرش دعوة
إلى جنة يحيا بها وسرور
فذلك ما كنا نرجّى ونرتجى
لحمزة يوم الحشر خير مصير
فو الله لا أنساك ما هبت الصَّبا
بكاء وحزنا محضرى ومسيرى
على أسد الله الذى كان مدرها
يذود عن الاسلام كل كفور
فيا ليت شلوى عند ذاك وأعظمى
لدن أضبع تعتادنى ونسور



أقـول وقـد أعلى النعى عشـيرتى
جزى الله خيرا من أخ ونـصـير

وحـين استقبلت نسـاء الأنصـار صاحب دعوة الاسـلام محمـدا ﴿ﷺ﴾ غنـين بنشيد خلده الدهر ورنت كلماتـه فى أصـداء الزمن وتجاوبت العواطف الانسانية مع موسيقاه:

طلع الـبـدر علينـا
من ثنيـات الـوداع
وجـب الشكـر علينـا
ما دعـا للـه داع
أيهـا المبعـوث فينـا
جئـت بالأمـر المطـاع
جئـت شرفـت المدينـة
مرحـبـا يا خير داع

وكـانت الخنسـاء تماضـر بنت عمـرو الشريد السلمية أديبة شاعرة منذ الجاهلية وزاحمت الشعراء فى سوق عكاظ وشهد لشعرها النابغة ومن شعرها فى رثاء أخيها صخر:

وإن صخـرا لوالينـا وسيـدنـا
وإن صخـرا إذا نشـتـو لنحّـار
وإن صخـرا لتأتمُّ الهـداة به
كأنـه علم فى رأسـه نار

● *ومن قصيدة أخرى لها فى صخر:*

أعـينـىَّ جودا ولا تجمـدا
ألا تبـكـيـان لصخـر النـدى
ألا تبـكـيـان الجـرىءَ الجميـل
ألا تبـكـيـان الفتـى السيِّـدا
طويـل النجـاد رفيـع العماد
ساد عشـيرتـه أمـردا
إذا القـوم مدوا بأيـديهـم
إلـى المجـد مد إلـيـه يدا

● ومن النسـاء البارزات فى ميدان الشعر ولم تقصر إبداعها الفنى على الرثاء الشاعرة ليلى الأخيلية ولها فى العفة:

وذى حاجـة قلنـا له لا تبـح بها
فليس إلـيهـا ما حييت سبيـل
لنـا صاحب لا ينبغى أن نخـونـه
وأنـت لأخـرى صاحب وخليـل

● وقد أورد المبرد فى كتابه الكامل رثاء لها فى الخليفة الثالث عثمان رضى الله عنه:

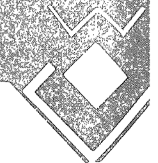
أبعـد عثـمان ترجـو الخـير أمتـه
وكـان آمـن من يمشى على ساق
خليـفـة الله أعطـاهـم وخـوّلهم
ما كان من ذهـب جم وأوراق
فلا تكـذب بوعـد الله وارض به
ولا توكّـلْ على شىء بإشـفـاق
ولا تقـولـن لشـىء سوف أفـعـله
قد قدر الله ما كل امـرىء لاق

● ورثت توبة ابن الحميّر رثاء ملؤه الحسرة ويعترف له بالشجاعة ويسجل له البطولة من مثل قولها:

أعـيـنـى ألا فابكى على ابن حميّر
بدمـع كفيض الجـدول المتفجـر
لتبـك عليـه من خفـاجة نسوة
بماء شئـون الـعـبرة المتحـدّر

● *ومنها:*

كأن فتى الفتيـان توبـة لم ينـخ
بنـجـد ولم يطـلع مع المتـغـوّر
ولم يرد المـاء السـدام إذا بدا
سنا الصبح فى أعقاب أخضر مدبر



فيا توب للمولى ويا توب للندى
ويا توب للمستنبح المتنوّر

● ولها قصيدة أخرى فى توبة تحرّم فيها على نفسها رثاء أحد بعد توبة لأنها ترى أنه لا يوجد من يماثله قوة وفروسية وتستخلص الحكمة والموعظة من الموقف فترى أن الفارس الدارع يلقى الموت مثلما يلقاه الأعزل والحياة بجديدها وشبابها ستفنى ولابد من يوم يرجع فيه المرء إلى ربه فتقول:

آليت أبكى بعد توبة هالكا
وأحفل من دارت عليه الدوائر
لعمرك ما فى الموت عار على الفتى
إذا لم تصبه فى الحياة المعاير
فلا يبعدنك الله يا توب إنما
لقاء المنايا دارعا مثل حاسر
فكل جديد أو شباب إلى بِلًى
وكل امرىء يوما الى الله صائر



● ووفدت ليلى على الحجاج بن يوسف الثقفى ومدحته بشعر قالت فيه:

إذا ورد الحجاج أرضا مريضة
تتبّع أقصى داءها فشفاها
شفاها من الداء العقام الذى بها
غلام إذا هزّ القناة ثناها

● فقال لها: لا تقولى: غلام. قولى: همام وأكرم وفادتها وأهداها. وليلى كما رأينا كانت متعددة الأغراض ولم تقف فنها الشعرى على غرض واحد بخلاف الخنساء التى جعلت شعرها كله فى الرثاء وهذا غرض يناسب طبيعة المرأة وبخاصة فى ذلك الزمن القديم.

وهذه سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية تقابل بشجاعة أدبية وثبات راسخ وإيمان حق معاوية بن أبى سفيان واعترفت عنده بأنها قالت لأخيها تحمسه وتشجعه ضد معاوية فى صفين:

شمِّر كفعل أبيك يا بن عمارة
يوم الطعان وملتقى الأقران
وانصر عليا والحسين ورهطه
واقصد لهند وابنها بهوان
إن الامام أخو النبى محمد
علم الهدى ومنارة الايمان
فقُدِ الجيوش وسر أمام لوائه
قدما بأبيض صارم وسنان

● ولما سألها معاوية عن أخيها قالت: ما كان أخى خفى المقام ذليل المكان ولكن كما قالت الخنساء.

وإن صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار

وكان الجاحظ على علمه وفضله وأدبه وبصره الثاقب يخاف جارية تسمى «هاشمية» قال: كانت تصير إلى هاشمية جارية حمدونة فى حاجات صاحبتها

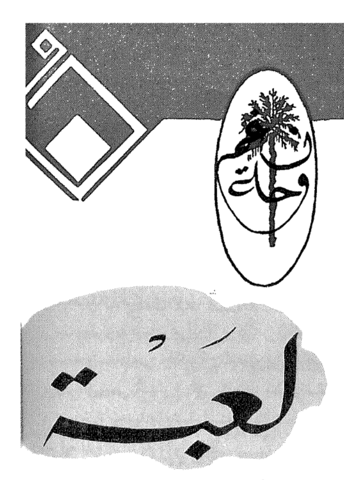
فأجمع نفسى لها وأطرد الخواطر عن فكرى وأحضر ذهنى جهدى خوفا من أن تورد على مالا أفهمه لبعد غورها واقتدارها على أن تجرى على لسانها ما فى قلبها.

وهذه امرأة من بنى عامر بن صعصعة زوّجت فى طيىء والظاهر أنها لم تكن سعيدة فى حياتها الزوجية، وإنما كانت تعتبر نفسها سجينة بعيدة عن حماية رجال قبيلتها فقالت:

لا تحمدنَّ الدهر أخت أخالها
ولا ترثينّ الدهر بنت لوالد
همُ جعلوها حيث ليست بحرة
وهم طرّحوها فى الأقاصى الأباعد

وأم ثواب الهزانية وهى من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار تصف عقوق ابنها وتبين كيف رعته صغيرا حتى اذا أصبح شابا قويا متزوجا أخذ يضربها ويمزق أثوابها يريد أن يؤدبها وقد زادت على الستين عاما ومن العجيب أن زوجته ترضيها بمعسول الكلام ولكنها تتمنى لها كل شر وتود الخلاص منها فتقول أم ثواب:

ربيته وهو مثل الفرخ أعظمه
أم الطعام ترى فى ريشه زغبا
حتى إذا آض كالفحّال شذّبه
أبّاره ونفى عن متنه الكربا
أنشا يمزق أثوابى ويضربنى
أبعد ستين تبغى عندى الأدبا
إنى لأبصر فى ترجيل لمته
وخط لحيته فى وجهه عجبا
قالت له عرسه يوما لتسمعنى
رفقا فإن لنا من أمنا أربا
ولو رأتنى فى نار مسعّرة
من الجحيم لزادت فوقها حطبا



عزيزتى الأم:

قد يضايقك أو يثير اعصابك منظر الغرفة وقد أطاح طفلك بأشيائها المستقرة.. نعم من الممكن جدا ان تشعرى انه قلب لك النظام رأسا على عقب وأضاع جهدا مضنيا بذلتيه فى التنظيم.. ومن ثم قد تسارعين الى عقابه عقاباً شديدا.. ولكنى اقول لك حينئذ تريثى.. وفكرى قبل ان تعاقبيه.. فهذه فرصة يجب ان تغتنميها.

عزيزتى الأم:

تجنبى فرض النظام على طفلك ودعيه يكون تلقائيا حتى لا يشعر بالضغط العصبى تجاه هذا الموقف من جانبك.. لا تكلميه عن وجوب كذا وكذا.. ولكن كونى مثلا له وقدوة.. خذيه من يده وأريه كيف يضع هذا هنا وذاك هناك.. وساعديه فى اعادة الاشياء الى وضعها الاول.. ثم دعيه يقارن بين ما صارت عليه الغرفة بعد التنظيم وما كانت عليه قبله.. وحينئذ كلميه.. اوضحى له اهمية النظام وفوائده.. وتأكدى عزيزتى الام ان الكلام فقط لا



يكفى اسلوبا او وسيلة للتربية فأهم منه السلوك والافعال من جانبنا نحن الكبار.

عزيزتى الأم:

ان اشراك اكثر من حاسة لطفلك فى عملية الاكتساب . . اكتساب المهارات والخبرات من البيئة المحيطة به شىء ضرورى وهام فى تلك المرحلة . . فهو حين يسمع بأذنيه . . ويرى ما تقومين به امامه بعينيه . . هذا كاف لاستيعابه . . اغرسى فيه القيم الجميلة بدءاً من الاهتمام بتنظيف حذائه حين عودته من المدرسة أو من اللعب مع اصدقائه حتى تعوديه على ان ينظم لعبه تنظيما متناسقا جماليا . وهنا عزيزتى الام أرى ان انبهك حين تختارين لعبة طفلك . . كيف تختارينها ومتى تسمحين له باللعب بها.

بداية اقول لك ابعدى تماما عن اختيار اللعب التى من شأنها ان تحدث أضرارا بدنية به . . واذا كان من اللعب ما له تأثير جسمى فيجب ان تنتبهى الى ان منها ماله تأثير نفسى ايضا فكل مرحلة لها ما يلائمها من نوعية اللعب هكذا اكد علماء النفس.

لا تشترى لطفلك فى مرحلته الاولية (مسدسا) مثلا فتساعدى على بذر بذور العدوانية فيه مع مراعاة ان هناك فرقاً بين نوعية اللعب بالنسبة للولد والبنت.

قدمى له عزيزتى الام ما ينمى مواهبه وذكاءه من اللعب بقدر سنه واحرصى على اختيار اللعب التى يعمل فيها تفكيره البسيط مع مراعاة ترك حرية اللعب لطفلك وتغيير بعض الاشياء من اماكنها كل ذلك ينمى شخصيته بعيدا عن العقد ولا مانع من ان تساعديه فى البداية شيئا فشيئا وسيتعود هو بنفسه . . ولا تتعجبى اذا تفوق عليك يوما وانت تلاعبينه فكم من تلميذ تفوق على استاذه.

عزيزتى الأم:

من المهم ايضا تخصيص مكان معين لوضع لعب طفلك لكى يسهل عليه الوصول اليها . . وعليه إعادة اللعب الى مكانها بعد انتهائه من استعمالها.

عزيزتى الأم:

ان استعمال طفلك للفرشاة والالوان دليل على نمو ذكائه فشجعيه وساعديه فذلك قد يجعل منه فنانا ذا مكانة.

واخيرا سيدتى عوديه فى بعض الاحيان على ان تكون اللعب بمثابة مكافأة له على شىء حسن يقوم به وهذا بالطبع ليس فى كل الحالات حتى لا ترتبط اللعبة بالاحسان فى العمل.

هكذا يشعر طفلك . . عزيزتى الام باهمية اللعب وحينئذ يتولد فى نفسه تلقائيا حب النظام والحرص على المحافظة على لعبه.

تذكرى عزيزتى الأم ان اطفالنا اكبادنا تمشى على الارض فدعيها تمشى فى الطريق السليم.



شاعر الريف السعودي / مفرج السيد

يقــول لى حبـيـبـتـى
وتــارة خطـيـبـتــى
يجعــلنــى من قولــه
فى فَرْحَــةٍ غريـبــة
شخصٌ رأى فى طفــلة
للحـب مسـتـجيبـة
صبراً ثمـيـنــاً غالـيــاً
فى تربـة خصـيـبـة
ومــرة شاهــدتــه
فى وقـفـة مريـبـة
بألــف عذر جاءنــى
من قصـة عجـيـبـة
وكـنـت بنـتـاً غِرَّة
صدقـتـه من طيـبتـى
ولم أُصــدِّق أَعْـيُـنــى
ومــا روتْ قريـبـتــى
حتــى تَهَاوى ساقطــاً
فى لحظـة رهـيـبـة
عشــرون بنـتــاً حولــه
وقــعــن فى مصـ
فشــلت فى ثانــى هوىً
يا حســرتــى يا خيبـ

المرأة

تلك المخلوقة الجميلة . . الناعمة . . الضعيفة . من هى؟

المرأة . . التى يضعف أمامها أقوى الرجال . . ويهيم بها الشعراء . . ويتغنى بها المغنون .

التى تحمل فى صدرها نبعا من الحنان . . وفى قلبها فيضا من الحب . . وفى رأسها بحرا من المكر والدهاء .

التى تتفانى اذا أحبت . . وتنقلب الى نمرة اذا كرهت . .

التى لا غنى عنها . . ولا مفر منها .

نبتعد عنها فنقترب منها . . نحاول نسيانها فنفكر فيها .

المرأة . . البارة . . العطوفة . . الرقيقة . . الخجول . . الهادئة . . الغامضة . . الشرسة . . العنيفة . . الماكرة .

كيف تحب؟ . . ولماذا تكره؟

ماذا تريد اذا ابتسمت؟ . . وبماذا تفكر اذا سرحت . .

وماذا تخبىء اذا عبست .

... المرأة . . هل هى ضعيفة حقا . . ؟

هل هى ناعمة . . ؟

هل هى شرسة . . ؟

... حمود

أيها الصوت المضيىء

ما الذى تُخْفيه عنى
أيها الصوتُ المضيىء . . ؟
ما الذى تخفيه عنّى . . ؟
لم تزل أصداؤك النارية الاحساس
تتهادى بين أحضان السنين
لم تزل أضواؤك الماسية الأنفاسْ
فى دجى البحر الحزين
ما الذى تخفيه عنى . . ؟
فالليالى النائحات
صارحتنى عن أساها
والثوانى الباكيات
هامستنى عن بكاها
والشموس الشاكيات
أسمعتنى ما تُقاسى
فلماذا صوتك ـ المصباح ـ يخفى ما يعانى؟
ذبـذبـات النهر قالت :
أنـت مفقـودُ الـرئـات
وخطى الأشجـار فاهتْ
أنت مضيـاعُ الحـروف
وريـاح الـليـل أوحـت
أنـت مجروح الـضـمـير
ما الذى تُخفيه عنى . . ؟
أيها الصوتُ الجمال . . ؟
ما الذى تخفيه عنى يا غنائى . . ؟
ما الذى تخفيه عنى يا عزائى .

فردوس عبدالرازق رمضان

معن بن زائدة والبنات الثلاثة

خرج معن بن زائدة يوما للصيد فلما أمن فى البرية أدركه العطش فرأى ثلاث جوار يحملن ثلاث جرار فاستسقاهن فسقينه فاستحيا معن أن لا يصلهن فطلب الى غلامه شيئا من الدراهم فلم يجد فدفع لكل جارية عشرة أسهم نصالها من ذهب.

فقالت إحداهن : ويلكن لم تكن هذه الصفات إلا لمعن بن زائده فلتقل كل واحدة منكن فيه شعراً :

فقالت الأولى :

ومحـارب من طرف جود بنـانـيـه
عمت مكـارمـه الأقارب والعـدا
صيغت نصـال سهامه من عسجد
كى لا يعـوقـه القتـال عن الندا

وقالت الثانية :

يركـب فى الـسهام نصـال تبر
ويـرمـى للعدا كرمـا وجودا
فللمـرضـى علاج من جراح
واكـفـان لمن سكـن اللحودا

وقالت الثالثة :

من جوده يرمى الـعـداة بأسـهـم
من الـذهب الابريز صيغت نصالها
لينفقهـا المجروح عنـد انقطـاعـه
ويشـترى الاكفـان منهـا قتيلهـا

فاطمة النجار جدة

تدعو (جنة الأطفال) اصدقاءها الذين يرسلون لها أفكار وطرائف ان يقرنوا ما يرسلونه بالصور الملونة

جنة الأطفال

اشراف
بابا فريد

كلمة أولى

﴿إقرأ باسم ربك الذى خلق • خلقَ الإنسانَ من عَلَق• اقرأ وربُّك الأكرمُ• الذى عَلَّمَ بالقَلَمِ • عَلَّمَ الانسان مالَمْ يَعْلَمْ﴾

هكذا كان التوجيه وهكذا كانت الدعوة ضد الأمية والجهل دعوة لبناء الانسان القادر على تأمل هذا الكون المعجز واذا اصبح الانسان قادراً على فهم هذا الكون فانه يصبح اقرب ما يكون الى الله.

لقد وفرت المدنيه الحديثة وسائل كثيرة للمعرفة ولكن سيظل الكتاب اساساً لأى ثقافة جادة بما يوفره من حوار هادىء وصحبة [illegible] يقف عند حدود الصورة المتحركة التى تستوعب اللحظة ثم تفر فمتى يمكن تنظيم معرض عربى لكتب الأطفال على غرار المعارض الدولية الأوربية تلبية لاحتياجات طفلنا العربى وتوجهاً إليه.

بابا فريد

عمرو بن العاص

كان عمرو بن العاص رضى الله عنه رجلا حاد الذكاء يعرف كيف يتخلص من المآزق التى تواجهه بسهولة.. وكان فى قتاله جريئا لا تأخذه فى الله لومة لائم.. كان واليا على عمان عندما توفى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وعندما انتهت حروب الرده وتوطد الاسلام فى الجزيرة الف الخليفة ابو بكر الجيوش لنشر الاسلام فتوجه عمرو بن العاص الى فلسطين وساهم فى تحريرها من الرومان وعندما تولى عمر بن الخطاب اشار عليه عمرو بفتح مصر فوافق وتوجه عمرو الى مصر ودخل حصن بابليون الرومانى وخطط مدينة الفسطاط ثم تابع فتوحاته فى مصر واصبح والياً عليها وظل فى منصبه حتى توفى فى خلافة معاوية بن ابى سفيان عام ٤٣هـ ودفن بمصر.

ولا يزال مجلسه فى مصر حيث كان يحكم ويقضى ويعلِّم قائماً الى اليوم تحت سقف مسجده العتيق (جامع عمرو) أول مسجد بُنى فى مصر.

طرفة

• طلب رجل من جحا ان يعيره حماره فقال جحا: انه فى السوق.. ولسوء الحظ انطلق نهيق الحمار من داخل الحظيرة فقال الرجل: الحمار هنا وتنكره علىّ. قال جحا: اتصدق الحمار وتكذبنى.



أحبابنا الحلوين


روزانا عبد الله عيد


محمد خالد العقيل

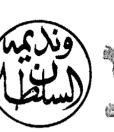

خلود خالد العقيل


فاطمة محمد على


سهيلة محمد علي

مروان خاطب

اختبر ذكاءك

غضب السلطان على نديمه ذات ليلة وصمم على قتله ولكنه لجأ الى حيلة توحى انَّ النديمَ قُتِلَ لسوء حظه فوضع ورقتين فى علبة وأمر النديم ان يسحب إحداهما فاذا كان فيها كلمة (يُقْتَل) قُتِلَ والاَّ نجا وكان الأمير قد كتب على كلتا الورقتين (يُقْتَل) وفى اليوم الموعود قدم كبير القضاة العلبة الى النديم وسحب النديم منها ورقة ونجا من القتل.

فكيف حدث ذلك؟

● حل لغز العدد الماضى:

يمتلىء نصف السلة فى الدقيقة (٥٩)

من ابداعاتهم

ارسل لنا الصديق محمود سلمان هذه المختارات:

بلاغة فتاة مسلمة

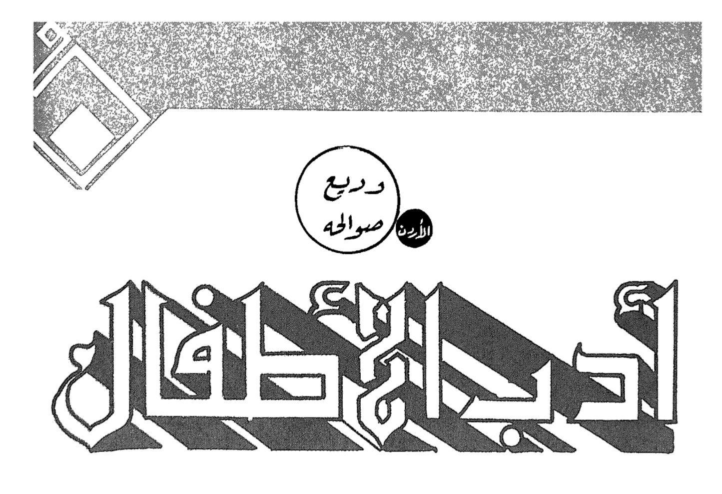
سمع الاصمعى فتاة تتكلم بلسان فصيح صحيح، فأعجب بكلامها فقال لها: ما أبلغك. فقالت: وهل بقيت لأحد بلاغة بعد بلاغة القرآن الكريم. واضافت: ان آية واحدة فى كتاب الله تعالى جمعت أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين.. الا وهو قوله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾

رأى الأسرة

مريم تسألنى من حين الى آخر أسئلة مفاجئة وغريبة ولا استطيع ان اجيبها عليها وهى دائمة الفضول وهذا ما يربكنى دائماً واحس فى عينيها البريئتين عدم الاقتناع او انها لا تصدقنى ولهذا فهى تعاود السؤال مرة ومرتين وثلاثا ثم انها تحول اجابتى الى سلسلة جديدة من الاسئلة.

ولذا فانا اقترح ان تقوم جهة ما قادرة على دراسة نفسية الاطفال بوضع اجابات مناسبة تمكننا من ارضاء هذا الفضول دون الوقوع فى الحرج أو ان تتضمن الصفحات المخصصة للاطفال هذه الاسئلة مشفوعة بالاجابات المناسبة.

(أم مريم)



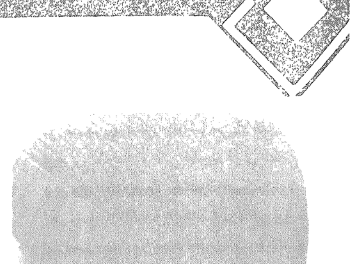
ان ادب الاطفال أهم الآداب جميعا وانه يعد الادب الموجه للجيل الصاعد بل ادب الحياة لانه الصانع لمستقبل الحياة بالنظر لأثره البعيد الراسخ فى النفوس الغضة حين العود طرى والطينة لينة قابلة للانطباع .

● قد يستهين النقـدة بأدب الصغار . . يرونه دون اقدارهم فلا يهبطون الى ميدانه اشفاقا منهم ان يتهم نقـدهم بالعبث ويرمى بيانهم بالهوان وهذه الاوهام هى التى صرفت أدبـاءنا الأعلام عن الاهتمام بامر هذا الادب فلم يتنـاوله منهم إلا قله نادرة ألفوا فيه بعض القصص ووضعـوا للابنـاء بعض المقطوعات التى تنـاسب ادراكهم ولكنهم ضنـوا عليـه بالنقـد والتـوجيه فلم يتعرضوا له مؤرخين ولم يبينوا للناس غاياته واهدافه ولم يضعوا له القواعد والاصول تلك الموازين التى تهدى الى ما يصلح منه لمراحل الطفولة المختلفـة ومن ثم كثـر متكلفـوه وصـانعوه وامتلأت مكتبات الاطفال بالغث والسمين والضار والنافع .

● ووقف المربون من هذا الانتاج فى اغلب الاحيان موقفا سلبيا فلم يقطعوا فيه برأى وانما تركوا أمره الى الطفل يلتمس منه ما يشاء فأصاب من قراءته النفع والضرر والخير والشر على السواء .

وعندى ان ادب الاطفال اهم الاداب جميعا . . اذا كان قياس الادب بأثره الباقى فى النفوس فهو بذلك يعد الادب الموجه للجيل الصاعد وغارس العادات ومقوم الاخلاق وموضع امل الآباء والمجتمع والامة بل يعد أدب الحياة الصانع لمستقبل الحياة .

● ولابـد لنـا اذا شئنا التأليف الادبى للاطفال ان نتعرف على هذه النفوس الغضة ونلم باتجاهاتها حتى يكون عملنا واقعاً موقعه من الصواب ولست مبالغا اذا قلت ان الدراسة النفسية ستقفنا على امر عجيب سنعلم ان الاطفال شعراء العاطفة لان الطفولة تلتقى بالشـاعـرية فى كثير من صفاتها : تلتقى بها فى غلبة



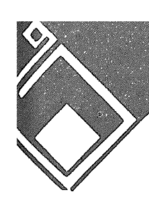
الخيال ورقة الاحساس وحدة العاطفة والاقبال على الطبيعة والنفور من القيود التى تحد الحرية وفى الايمان بالمثل التى يصورها الخيال سامية عالية فالطفل شاعر حين يستنطق الجماد ويخاطب الطير والحيوان وشاعر حين يفر من الواقع الى قصص ينسجها الخيال وشاعر بصفاء نفسه التى تنعكس عليها صور الحياة فيتفاءل ويتشاءم ويبغض ويقبل على الناس وينفر منهم كل ذلك يهديه اليه قلبه الرقيق الفياض بشتى العواطف .

فلا نكاد نجد فى ادبنا العربى قبل النصف الثانى من القرن التاسع عشر أى أثر لادب الاطفال وان كنا نجد فى ثناياه الوانا قليلة قد تصلح لبعض مراحل الطفولة اراد بها الادباء التسلية او العظة فجاءت دون قصد منهم صالحة بفكرتها احيانا وبأسلوبها فى قليل من الأحيان .

● كانت الامهات فى قديم الزمان بما ينظمن من اشعار البطولة اسبق من ادب القبيلة فى التأثير فقد كن يدللن اطفالهن بأشعار الحماسة منذ الصغر فتنفتح عيونهم على احاديث الشجاعة وإباء الضيم ولقاء الاعداء ولا نحسب الطفل فى مهده او حداثة سنه يدرك الاغراض البعيدة من هذا الكلام ولكنه الايحاء المستمر يواتيه من كل جانب من امه ومجتمعه وقبيلته فينبه احساسه ويلقى بالشرارة الاولى فى نفسه فلا تزال تتوهج كلما مر الزمان حتى تحيلها آخر الامر الى نار متأججة لا يهدىء من اوراها الا دم الاعداء فى ميدان القتال . . وظل أدب الاطفال يسير متخبطا بين الوان من القصص الشعبية كقصص الظاهر بيبرس وابى زيد الهلالى وسالم الزير واخبار الصالحين وغيرها الى ان ادرك العرب اخيرا بعد ان ظهرت اهمية علم النفس الحديث ان للطفل مستواه الخاص ولم يعد رجلا صغيرا كما كانوا يظنون وادركوا كذلك ان الادب اذا احسن اختياره وقدم للطفل بأسلوب مقبول كان مؤثرا فى نفسه وملونا لاخلاقه ورأسماله المُثل العليا فى سيرة ابطاله .

ولا نود ان نقف فى امثلتنا البطولية عند الشجاعة وحدها فهى لون من الالوان وانما نعد كل متفوق على نظرائه فى الصفات الانسانية بطلا : فالكريم والوفى وذو المروءة والمعين على الشدة ابطال والصالح والحكيم والصبور ابطال . . نقول ذلك لان الطفل يرى فى كل هؤلاء مثل السمو والتفوق .

كانت الجدة ولا تزال أدبية هذه الفترة فى حياة الطفل تأخذ مكانها المختار حول المدفأة ثم ترسل بصوتها المتهدج الى الاسماع قصة الغول والشاطر حسن ويأخذ الاطفال فى السكون لما يتملك قلوبهم من الرهبة حينا وعجائب الحياة حينا آخر وليس للجدة من هدف فيما تقول الا ان تغرى الاطفال بالسماع وتحول بينهم وبين العبث قبل النوم : رواسب



من الاجيال السحيقة توارثتها الجدات عبر قرون وقد يكون فى بعضها متعة واذكاء للخيال ولكن قد يكون فى بعضها الاخر خلق للمخاوف بما يجرى على ايدى الاطفال من الشياطين واللصوص والفتاكين.

وقد استمعت الى القصص التى تلقى فى الاذاعة والتلفزيون فأعجبتنى منها أشياء:-

أعجبنى ما فيها من خيال جامح يناسب الطفل فى هذه المرحلة فالطيور تتحدث والحيوانات تغنى والجماد يتحرك فيتخيل للطفل ما يسمعه او يراه هو حقيقة واقعة.

ويجب ان نعلم ان كثيرا من قصص الجدات بلاء وأى بلاء اذا كان ابطالها من الاغوال ونحن نعلم ان غريزة الخوف فى هذه المرحلة من الحياة تبلغ الغاية من الحدة والعنف ومن واجبنا ان نهدىء من ثورتها بما نصطنع من قصص نختار ابطالها من الاطفال الشجعان ونجرى الاحداث على ايديهم فيرى الطفل انهم لا يرهبون الظلام ولا يخشون السكون ولا يخافون الحيوانات الاليفة والحشرات الضعيفة فيحاول تقليدهم مهدئا من حدة الخوف المسيطرة عليه وما أن يصل الطفل الى مرحلة الطفولة المتأخرة من السادسة الى الثانية عشرة نقرأ فى وجهه تساؤلا وكأنه يقول: أريد ان افهم ما يحيط بى من اشياء اى من هذه الاشياء حقيقة واى منها خيال؟؟؟ لا تدفعونى بقصصكم العجيبة الى الحيرة فقد بدأت افهم ان البساط لا يطير لاننى رأيته ثابتا.. اريد ان اعرف بيئتى على حقيقتها واعرف بلادى وأتودد الى اصدقائى ممن يعيشون فى بلدتى اننى لأحس كثيرا من الغموض فيما حولى وهذا ما يقلق نفسى فأحس التشاؤم فى بعض ايامى.. فروحوا عنى بألوان من



الفكاهة تسرى بعض ما ينتابها من حيرة وكآبة .

انها انتقالة جديدة حقا من ادبائنا الى حكمة فى اختيار القصص وانواع الابطال . . فليكونوا فى هذه الفترة من اصحاب الحرف كالصناع والزراع والتجار ممن يؤدون خدمات لمواطنين وليكونوا كذلك من الغرباء عن اهليهم واوطانهم حين يحسون بالشوق والعودة وبذلك نبدأ الخطوة الاولى فى طريق الاحساس والوطنية على ان يكون خيالنا محدودا بل تغلب عليه الواقعية الا فى القليل من الخيال الذى يجذب الانتباه ويحمل عناصر التشويق .

قد نستطيع ان نؤلف قصصا صغيرة تتخللها الفكاهة حول طفل ينسى كثيرا فيلبس حذاءه معكوسا او يلبس حلة اخيه الصغير فيبدو منظره مضحكا او نذكر له قصصا لأناس يقعون فى مشكلات لانهم يفكرون تفكيرا سديدا كقصة الرجل الذى وجد لوحة معلقة على عمود فلم يستطع قراءتها لضعف بصره ليعلم ما بها فلما وصل اليها وقرأها وجد بها هذه العبارة «احذر الدهان» .

واذا ما كبر هذا الطفل واصاب من المعرفة ما يمكنه ان يميز بين الواقع والخيال علينا ان ننقله الى عالم البطولات الحقيقية التاريخية بطولات الوفاء للوطن والتضحية فى سبيله كالجندى فى القتال والاسير فى ايدى الاعداء والفدائى يضحى بنفسه فى سبيل المبادىء .

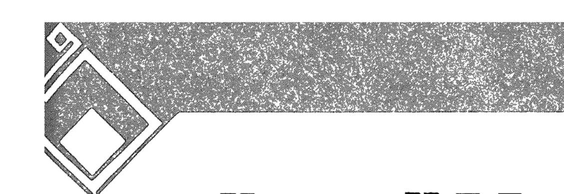
كل ذلك فى اسلوب قصصى يلائم سنهم ويتمشى مع ادراكهم والابتعاد عن قصص الجن والشياطين .

ها هى ذى الابتكارات فى الاقمار الصناعية والذرة والصواريخ ومعجزات الطب وغيرها كفيلة بأن تفسح المجال امام الخيال الابتكارى فليتخير القصاصون ابطالا مغامرين يسافرون الى القمر وليتخيلوا ابطالا يطيرون فى الجو بالات صغيرة ويأتون بأعمال عجيبة .

● فى هذه الفترة من الحياة يبدأ التطلع الى القوة يراها الطفل فى قوة الجسد وقوة العقل وسعة الحيلة لذلك يرغب فى تكوين جماعة يقودها هو بنفسه ليحارب جماعة أخرى فى حى من احياء بلدته .

وقد تجره هذه الامور فى غفلة عن الآباء لتقليد الاقوياء من القتلة والسفاكين . . لهذا علينا بالادب الموجه ليعلم ان القوه خير حين توجه لصالح الوطن والدفاع عن الكرامة وغير ذلك انحراف لا يليق . . اما مرحلة المراهقة فهى فترة القلق فالغريزة الجنسية ثائرة والقيود من حوله تقف فى سبيله : سلطة الآباء . . تقاليد المجتمع . . تعاليم الدين . . فنراه اشد قلقا قد يتمرد على كل سلطة وقد يغضب ولكن هذه الفترة هى خير الفترات لتكوين المثل العليا والعادات الصالحة عن طريق دراسة الابطال المجاهدين والشهداء والسياسين وغيرهم .

وبعد فانى ذاكر لمؤلفى ادب الاطفال جهدهم وفضلهم وارجو ان يتابع الادباء نشاطهم وان يلتمسوا بأدبهم أقوم الطرق للاعداد والاصلاح حتى يعدوا رجال المستقبل بما يقدمون من نماذج رائعة للبطولة فقد وضعت الامة العربية بين ايديهم اعز شىء لديها وضعت آمالها العزيزة ومستقبلها الذى تصبو اليه وضعت جيلها الصاعد بل وضعت الابطال أحفاد الابطال .



التربية وأهميتها في حياة الطفل



تعتبر التربية فى واقعها الحقيقى هى النمو والرقى والتقدم فى كل من الجوانب المختلفة التالية بالنسبة للطفل وهى: الجانب العقلى المعرفى والجانب الجسمى والجانب الانفعالى.

أما بالنسبة للجانب العقلى المعرفى: فمن المعروف أن الطفل يكتسب فى أثناء حياته اليومية الكثير من المهارات والعادات والخبرات والمعلومات والميول والمعتقدات سواء قصدنا تعليمه ذلك أم لم نقصد فهو يتعلم اللغة ويكتسب القدرة على التحدث بها نظراً لأن اللغة هى وسيلة الاتصال المباشر بين الأفراد والجماعات ويكون اكتسابه لها عن طريق التقليد والاستماع والمحاولة والخطأ وعن طريق الاحتكاك والاتصال بغيره ومواجهة مشكلات حياته اليومية ومن ثم ينمو لديه الجانب العقلى المعرفى ويصبح بإمكانه التعبير عن حاجاته والتفاعل مع من يحيطون به.

وكذلك بالنسبة للجانب الجسمى: نعلم أنه من طبيعة الطفل فى سنى حياته الأولى الحركة المستمرة والنشاط الدائب واستخدامه الأدوات المحيطة به فى البيئة المنزلية وهذا يكسبه الكثير من المهارات اليدوية والحركية ويكسبه أيضا نوعاً متميزاً من القدرة على السيطرة على عضلاته واطرافه فى الوقوف والمشى والجرى والقفز وتناول الاشياء. ويملك القدرة على الاعتماد على نفسه فى بعض أمور حياته عن طريق نموه الجسمانى ومن ثم نموه العقلى المعرفى.

أما بالنسبة للجانب الانفعالى: فمن البديهى أن البيئة التى يعيش فيها الطفل تؤثر على سلوكه ومعتقداته واتجاهاته فنجد أن الجو الاسرى الذى يعيش فيه الطفل وأساليب معاملة الوالدين له يكسبه العديد من القيم الخلقية والعواطف والصفات الحميدة التى تحدد نوع سلوكه ومعاملته لغيره وطرق هذه المعاملة مع الآخرين كما تحدد سماته الشخصية المستقبلية.

وبناء على ما تقدم فإن التربية هى عملية استمرارية تشمل حياة الانسان من المهد الى اللحد وهى كل ما يحيط بنا فى البيئة التى نعيش فيها ونتفاعل معها وخير



ل والمجتمع

تربية لأبنائنا هى التربية الاسلامية الرفيعة المستوى اذ ترقى بالفرد وتسمو به الى الدرجات العلى.

ولذلك فالتربية هى مجموعة التطورات والتغيرات التى تطرأ على حياة الانسان نتيجة تفاعله مع الوسط الاجتماعى الذى يعيش فيه. فمثلا يعتبر المنزل مجالا من مجالات التربية كما هو الحال بالنسبة للمجتمع والوالدين والاخوة والاصدقاء والمدرسة وغيرها التى تتيح كل منها جواً صالحاً وظروفاً مناسبة لكى ينمو الطفل نمواً سليماً ويمكنه أن يخدم وطنه ونفسه ويكون مواطناً صالحاً.

الطفل والتربية:

فى الواقع ان الطفل باعتبار أنه كائن حى بيولوجى يعيش فى وسط اجتماعى يتفاعل معه فإنه يؤثر فيه ويتأثر به نظراً لأنه لا يعيش بمعزل عن الآخرين ومن ثم تتوقف حياته على سماته الشخصية وفكرته عن ذاته كما تتوقف على البيئة التى يعيش فيها.

وبديهياً أن التربية ليست من اختصاص المدرسة وحدها ولكنها تمتد وتتسع فتشمل تأثير كل وسط يتحرك فيه الكائن البشرى وكل بيئة يعيش فيها أى

ان التربية هى الحياة بأوسع معانيها وما تشمله من حولها وما فيها.

ولذلك تبدأ التربية بالطفل وتهدف الى تنمية قدراته واتجاهاته واستعداداته مع مراعاة رغباته وميوله وحاجاته النفسية ودرجة النمو التى وصل اليها ويقع عبء ذلك على الوالدين والجو الاسرى الذى يعيش فيه الطفل، وطبيعة العلاقات بين الوالدين والجو الانفعالى بالمنزل إذ انه يشكل وضعاً هاماً فى حياة الطفل وفى تكوينه النفسى.

فالطفل الذى يعيش فى جو انفعالى سليم متوازن يجد فيه التربية الصالحة السليمة التى تعمل على تحقيق واشباع رغباته وحاجاته العاطفية والانفعالية واستقراره النفسى يشعر بالأمن والسعادة والاستقرار والامان والطمأنينة مما تنعكس آثاره على حياته وتكوين شخصيته.

ومن ثم فإن اساليب تربية الطفل السليمة تؤدى دوراً مهماً فى حياته وبخاصة فى سنواته الأولى التى ينعكس أثرها على تكوينه النفسى والاجتماعى فعملية تربية الطفل ليست بالعملية السهلة بل تحتاج الى الأبوة الرشيدة القادرة على منح الحب والأمان.

ولذا يجب الاهتمام باطفالنا أمل المستقبل وكل الحاضر ونقدم لهم كل سبل الرعاية والاهتمام حتى ينشأوا مواطنين صالحين يعتمد عليهم فى تحقيق أهداف البلاد من تقدم ورقى.

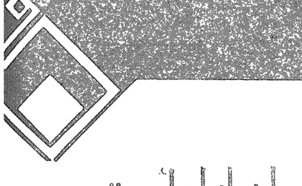
فالطفل بطبيعته يلتمس مقومات حياته من الوسط الاجتماعى الذى يعيش فيه ويكون بامكانه استخدام ما خصه الله سبحانه وتعالى به من مميزات وقدرات ومواهب أهمها العقل فى تحقيق مطالبه وحاجاته الاساسية إذ أنه لا يستطيع ان يتعامل مع افراد بيئته

الا بالعقل والتفكير المنطقى السليم ولذلك يؤدى الوسط الاجتماعى الذى يعيش فيه الطفل دوراً مهماً فى تنمية استعداداته وقدراته ومواهبه واتجاهاته ومعتقداته وغيرها.

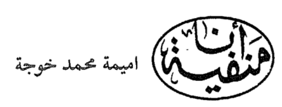
ومن ثم فإن الطفل يكتسب سلوكه الاجتماعى من خلال تفاعله مع الآخرين وبالتالى تنمو لديه القدرة على التفكير والتعبير عن نفسه والقدرة على حل مشكلاته وبذلك يشعر بالاعتزاز بالنفس فى المشاركة مع افراد مجتمعه ويشعر بمكانته الاجتماعية كفرد صالح فى المجتمع وبهذا يستمد الطفل قوة عظيمة وشعوراً بالأمن والاطمئنان والامان واشباعاً لحاجته للانتماء للمجتمع الذى يعيش فيه.

كما أن المجتمع بما يمتلكه من وسائل ايجابية كالتوجيه الاسلامي فى دور العبادة (المساجد) والصحف والمجلات والاذاعة والتليفزيون وغيرها من وسائل تكوين الرأى العام وبما يضعه من مثل وقيم واخلاق قادرة على تكييف الطفل واخضاعه لقوانينه وانظمته ولوائحه.

ونحمد الله سبحانه وتعالى على أن مجتمعنا من المجتمعات الناضحة فهو مجتمع متضامن وبخاصة ان جميع افراده يؤمنون بعقيدة سمحة غراء هى عقيدة الاسلام ويكفل المجتمع أمن أفراده ويعمل على راحتهم ويسمح لهم باستغلال مواهبهم وقدراتهم الى أقصى حد ممكن وهذا بدوره يؤدى الى نمو شخصياتهم وفى الوقت نفسه الى تقدم المجتمع وازدهاره ورقيه.



اخوانيات أدبية



امیمة محمد خوجة

ما سرّ أن اهوى وقلبى متعبٌ
ما سرّ ان ابقيك ملء كيانى

أتُراك تسكنُ نبضةً فى خافقى
أم دمعة صُلبتْ على أجفانى

أم أنت هدهدةُ الحياة وزيفُها
ام لقطةٌ علقت بطرف لسانى

* * *

يا باعث الآلام من قبر النوى
يا ايها المزروع فى ايمانى

يا كلّ أحلامى وسيّد واقعى
يا شقوة الانسان فى إنسانى

إنى أحبُّك رغم كلّ متاعبى
رغم احتراقى.. رغم ما يغشانى

إنى احبُّك رغم طعنات الأسى
هل يا ترى أضناك ما أضنانى

* * *

اليوم تشرحنى سطور قضيتى
منفية أنا.. والوفا عنوانى

هاجرت خلف الحبّ نحو مرافىء
منسية تشتاق للشطآنِ

النَّوْرَسُ المهزُوم قلبى والندى
دمعى ووجهى لوعةُ الحرمان

اقتاتُ من مِلْح العذاب كانما
اسطورتى ازليةُ الأحزان

حتى التقيتُكَ قطرة معسولةً
وأنا التى عطشَتْ مدى الأزمان

* * *

كم ارتجى من فرط حبىّ لو غدا
يا سيدى فى الصدر قلبٌ ثانِ

جبّار يا طفلَ الهوى ومدللٌ
تحظى ومهما جُرْتَ.. بالغفرانِ



لا تسألينى يا أميمةُ فالذى
أبكاكِ من هذا الهوى أبكانى
قلبى يجاورنى ويمسحُ دمعهُ
وأنا أواسى والأسى أدمانى
ليس الذى بينى وبينك كالهوى
بل خفقةُ الزلزالِ فى وجدانى
ما كان حبَّ العاشقينَ وانما
نارٌ تنفَّسُ فىَّ ما أشقانى
يا نورساً فوق الغروبِ مسمراً
هل أنتَ قلبى أم تراك لسانى
هاجرتنى وتركتنى وحدى هنا
ومنحتَ للأحزانِ عنوانى
ها أنت منفىٌّ ومثلك قلبها
فكلاكما فى المنفى يحترقانِ

لا أنت مُدْركها ولا هى أنتما
ليلٌ وصبحٌ ليس يلتقيانِ
ولّى زمانُ العشقِ وانفرط الهوى
مثل العقودِ فمن يلمُّ كيانى
بعضى بمصر وانما قلبى هنا
وبقايا من جسدى بكل مكانِ
فلتجمعى جسدى علىَّ ورِّنى
بالدمعِ آخذ هيئة الانسان
وأعودُ أخفقُ من جديدٍ بالهوى
وتعودُ تشدو الطيرُ من ألحانى
لا تسألينى يا اميمةُ ما الذى
قد ضاع من عمرى وكيف أعانى
لا تسألينى اننى بكِ لائذٌ
والنارُ من حولى بلا شطآنِ

الوزنة ٩٢

يؤسفنى أن الأمور لا تستقيم بيننا الا عقب خصام.. وكم تمنيت أن يكون تعاملنا الرائع هذا بدون تلك المقدمة.. التى تترك ندوباً تشوه الوجه المشرق لعلاقتنا كزوجين.

الوزنة ٩٣

عندما يصبح ترك العتاب.. فى حد ذاته عتاباً.. فهذا يعنى أننا بدأنا ندخل مرحلة جديدة من التفاهم.. استغنينا معها عن الاتيان بالحجج والأدلة والبراهين.. وقائمة التبريرات.. ثم باقات الأسف.. وطلب السماح.. وتجديد العهد ببدء صفحة بيضاء ونسيان ما فات.. اننا بهذا الأسلوب.. بدأنا ندخل مرحلة النضوج فى التعامل مع مشاكلنا الحياتية.

الوزنة ٩٤

لا بأس من يوم فى الأسبوع تشح فيه الخضار أو اللحم.. وغيرها لدرجة لا تجدين ما تعديه لنا على طعام غذاء ذلك اليوم فنتناول ما يقع تحت ايدينا فنأكله حتى لو كان ملعقة مربى او قطعة من الجبن.. فاننا بهذا وحده نحس كم نحن مبذرين فى باقى أيام الأسبوع.. وكم من محروم.. يعيش دهره كيومنا هذا.

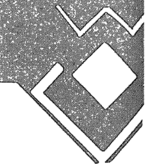
الوزنة ٩٥

انهم يقولون ان الزوجة بوسعها أن تجعل من بيتها جنة.. فأرجو ان تحاولى ذلك.. واذا فشلت.. فهذا ليس عيبا المهم أن تحاولى.. لا تبذلى قصارى جهدك فى ذلك.. لكن أرجوك اذا استحال عليك تحويله الى جنة.. فلا تجعليه قطعة من جهنم.



الوزنة ٩٦

ينبغى أن يكون لهذا البيت حرمه.. ولهذا الرباط قدسية.. أنا وانت معنيون بالابقاء عليه منطقة محايدة.. مطالبون بعدم السماح لأى حرف او رسالة او قصة او حكاية.. قد تثير زوبعة فى فنائه.





الورقة ٩٨

أنا معك ـ أحيانا ـ أن المجاملة مطلوبة ـ حتى اننى مع (انيس منصور) فى انها رصيد ـ ولكن حين تدخل المجاملة فى معاملتنا كزوجين فى كل صغيرة وكبيرة.. تأكدى اننا سنبدأ نخاطب بعضنا البعض من ابراج عاجية ومن تحت أقنعة.. وتأكدى أن الواحد منا سيجد نفسه فى نهاية المطاف يضحك على نفسه قبل ان يضحك على الآخر.

الورقة ٩٩

أعاملك أحيانا معاملة المدرس لتلاميذه.. فأقسو عليك لتنشئتك نشأة سليمة.. ولا أجاريك فى كل رغباتك حتى تعتادى لوناً من الوان الأيام فليست جميعها مشرقة كما يبدو لك ذلك. لكنى فى الوقت نفسه.. أسايرك بعض الشيء.. فلا أريد أن أحرمك من اندفاع الشباب واحلامهم.

الورقة ١٠٠

اعلمى ان مازاد عن حده انقلب الى ضده.. فالتهور شجاعه زائدة.. والتبذير كرم زائد.. والانطواء خجل زائد وخير الأمور أوسطها.

الورقة ١٠١

التقليد الأعمى الذى لا يكون لنا فيه رأي مسبق اعتبره تقليداً ممجوجاً لأنه مفروض من الخارج ولا ينبع من الداخل إطلاقاً.. اننى فى بعض الأحيان أفضل ان أهديك فى عيد ميلادك رسالة معبرة أو وردة شذية.. او قلماً تؤرخى به عن سنة مضت من عمرنا سوياً فأتحاشى كل ذلك.. خوفاً من استخفاف او استهجان.. واضطر ان اكون مقلداً. بالاكراه..



الورقة ٩٧

الايام لا أحد يعلم بمغيباتها الا الله وحده.. ولا يعقل أن نعيش بمستوى دخلنا حالياً.. فتكاليف الحياة تتشعب وتتزايد بمتوالية هندسية اذا صح هذا التعبير بينما دخلنا نموه لا يرقى ليشكل متوالية حسابية وما أصعبها على الانسان.. ان يجد نفسه يتقدم للوراء.

قص الشعر

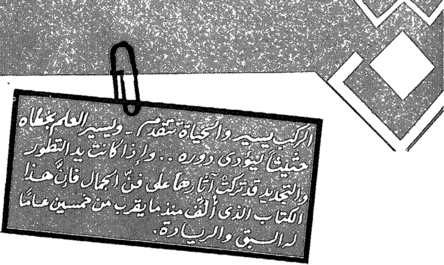


لقد كانت المرأة تفخر بطول شعرها فكان الشعر الطويل عنوانا لجمال المرأة كما كان من النادر أن توجد سيدة أو فتاة ذات شعر مهمل أو غير منتظم ذلك لأنهن كن يعنين بشعرهن عناية تامة فكان الشعر ينمو فاخراً بطبيعته.

ظلت تتقدم الحضارة والمدنية وأرادت المرأة أن تساهم فى حياة الأعمال وأن تفسح لنفسها الميدان لمنازلة الرجال فقللت من اهتمامها بمظهرها وجمالها وأرادت أن تتخلص من كل القيود التى تعيقها عن متابعة أعمالها فاضطرت الى قص شعرها حتى يسهل عليها تمشيطه ولا يحتاج الى وقت طويل للعناية به وحتى لا يكون معرضا للاصابة بشتى الأمراض إذا ما أهملته.

تطورت هذه الفكرة وتحورت واتخذت شكلا معينا حتى أصبحت (مودة) من المودات فى شتى بلاد العالم ومن بينها مصر.

ولقص الشعر نماذج مختلفة نجد أن لا فائدة من نشرها حيث إنها مهنة يحترفها الاخصائيون والأخصائيات فى صالونات الحلاقة الراقية ولديهم النماذج الحديثة التى يعرضونها على عميلاتهن - وكل ما أود أن ألفت اليه النظر فى هذه المناسبة أن تقلع كل فتاة عن قص شعرها بيدها أو بيد صديقتها لأن الأمر لا يخلو من تشويه ظاهر فى شكل الشعر. ورغم أن بعض السيدات لا يزلن مصرات على قص شعرهن لكن فكرة التصفيف آخذة فى الانتشار وتتغلب تدريجياً على فكرة القص العالى الذى يظهر خلف الرقبة.



تموج الشعر

ليس أجمل من التموج الطبيعى للشعر الذى يحدث عقب عملية التدليك بمركبات الشامبو وجفاف الشعر فهذا النوع يظل حافظاً لبهائه ورونقه على الدوام وإذا كان فى الشعر أقل ميل طبيعى للتجعد فانه يمكن تقوية هذا الميل فيه بوضع المشط أو (بنسات الشعر) فى كل ثنية بعد عملية التدليك كما أنى أحذر استعمال المكواة الحديدية فى تمويج الشعر لأن ادخال الحديد الساخن بين طياته يجمد العناصر الأولية التى يتركب منها فيفضى ذلك الى تقصفه وضياع رونقه وهناك مستحضرات كيميائية تستعمل للتمويج نذكر منها فيما يلى أسهلها وأقربها الى الاستعمال.

١ - محلول ماء الخص المذاب فيه صمغ عربى بمقدار العشر والمعطر بعطر الورد، يموج الشعر تموجا جميلا وطريقة تحضيره هى استخراج كمية من عصير الخص فى أوان بيعه وحفظها بزجاجة لاستعمالها طول العام ويؤخذ من العصير مقدار ٩ جرامات ومن الصمغ العربى (الذى يستحضر من الصيدلية) مقدار جرام واحد ويذاب فى ماء الخص ويضاف الى المزيج الناتج بضع نقط من إحدى العطور حسبما يوافق ذوقك ويدلك هذا المحلول بالشعر بعد غسله وتجفيفه فكلما جف المحلول ازداد تموج الشعر.

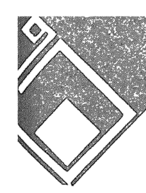
٢ - مركب آخر لتمويج الشعر ويستعمل كسابقه:

بوراكس	١٠ دراهم
صمغ عربى	٢٠ جراما
روح الكافور	٥ دراهم
ماء ساخن	١٢ أوقية

تصفيف الشعر

يعتبر التصفيف من أحدث ما وصل اليه الفن فى تشكيل الشعر وتنسيق منظره حسب قواعد معينة تتبع شكل الوجه وطبيعة تكوينه وبالرغم من أنها عملية فنية يقوم بها كبار الاخصائيين فى معاهد التجميل لكننا نبسطها لقارئاتنا فيما يلى حتى يمكن لكل واحدة منهن أن تقوم بأدائها بمفردها. أو بمساعدة احدى صديقاتها وهى فى الواقع عملية ضرورية جداً ولازمة لتنويع شكل الوجه واكسابه مظهراً فاتناً.

ولا يحتاج القيام بعملية التصفيف الى شىء من الأجهزة أو الأدوات سوى بضع دبابيس أو أسلاك أو خيوط مذهبة ومفضضة أو فتائل من نفس الشعر - وهذه الأدوات على اختلاف أنواعها تباع فى المحلات الكبرى بأبخس الأثمان ويستعمل كل نوع منها حسب قاعدته الخاصة.



● رسالة

من الفرزدق الى النوار

حبيبتى النَّوار . . يا من كنت زوجتى

ما الـذى أصابك يا نوار؟ . . كيف سولت لك نفسك أن تعصى أوامرى حتى يقع ما وقع من فراق بينى وبينك؟ . . نعم كنت زوجتى وأم أولادى وكان لجمالـك سلطان على قلبى . . كنت ومازلت أحبك لكن يبدو أن غامر حبى لك أنساك مكانتى ومكانة أهـلى وعشـيرتى فجعلك تلجـين فى عصيـانى وتستعذبين عذابى فى هواك . . هل غاب عنك أن . .

أحـلامنـا تزن الجبـال رزانـة
ويـزيـد جاهلنـا على الجهال؟

وأكثر من هذا يا نوار إننى أقول لك ولكل حى من العرب:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا
وإن نحن أومأنـا إلى الناس وقفوا

حبيبتى النوار . . يا من كنت زوجتى

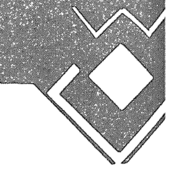
لا شىء يكشف عن معادن الناس قدر الأحداث ولقد بان لى معدنك الأصيل وحبك الجميل يوم أن هجوت خالد بن عبد الله القسرى وكان قد أوعز الى مالك بن المنذر بأن يحبسنى بتهمة أننى هجوت نهر المبـارك وهـو النهر الذى حفره أمير المؤمنين بواسط وذلك حين قلت:

فأهـلك مال الله فى غير حقـه
على نهرك المـشؤوم غير المبـارك

والله ما قصـدت مولانـا أمير المؤمنين ولا إياه عنيت ولكننى عنيت ذلـك الأفـاك خالـد بن عبـد الله القسرى . . لقد أبكاك أنهم سجنونى وأشقاك أنهم عذبـونى وكم كانت دمـوعـك الغـزار تؤلمنى وأنت تسكبينهـا سكبا يوم أن اقتادونى إلى السجن بتلك التهمـة الـزائفـة أدركت ساعتها وأنا أختلس اليك النظرات أن قلبك لا يكن لى إلا الحب المكين.

حبيبتى النّوار . . يا من كنت زوجتى

ليس عصيـانك لما كنت آمرك به هو وحده الذى جعل حياتى معك مستحيلة ولكـن هنـاك شيئا آخر ربما كان أشد من العصيـان: إنـه غيرتـك الشـديـدة علىّ لاجــدال يا حبيبتى فى أن الغـيرة فطـرة طبيعية ـ وضرورية ـ فى الانسان فعلى المرء





سيدة الجميلة

أن يغار على أرضه ووطنه وعقيدته . . وعليه أن يغار على ماله وولده وعرضه فبغير الغيرة يستباح الحمى وتنتهك الحرمات وتضيع الحقوق ويتفشى البغى بين الناس وذلك كله شريطة أن تكون الغيرة معتدلة فلا يجمح بها المرء أو تجمح هى به فتدمره وتدمر معه من يغار عليه . .

وكذلك أنت يا نوار كنت تغارين علىّ غيرة جامحة مدمرة . . واعترف لك بل وأعترف للناس أجمعين بغير أن أخشى فيما أعترف به لومة لائم أننى أشتاق لكل من تقع عليها عينى متزوجة كانت أم غير متزوجة وإن نالنى منها أو من أهلها أذى أو سخرية . . ورغم هذا الجموح الذى أنكرتيه علىّ واستهجنه الكثيرون واستقبحوه فإنّ حبى لك لم يفتر وتقديرى لشأنك لم ينقص .

حبيبتى النوار . . يا من كنت زوجتى

أعترف لك يا حبيبتى أنى كنت أحيانا أعرضك لمواقف الحرج حين كانت تقع بينى وبين أحد من الناس مشكلة إذ كنت أحلف بالطلاق دعماً لموقفى وتأكيدا لسداد رأيى . . ومن تلك المواقف ما جرى بينى وبين جرير حين قلت لعبد الله ابن عطيه راويتى : إنى قلت بيتا من الشعر والنوار طالق إن نقضه ابن المراغة (يعنى جريرا) وكان البيت :

فإنى أنا الموت الذى هو نازل
بنفسك فانظر كيف أنت محاوله

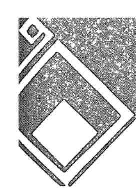
● فكان جواب الملعون لعبد الله بن عطية : أنا أبو حرزة طلقتُ امرأة الفاسق ثم قال :

أنا الدهر يُفنى الموت والدهر خالد
فجئنى بمثل الدهر شيئا يطاوله

● لكن علم الله أننى نافحت عن أهلى وعشيرتى وحسبى ونسبى كأشرس ما تكون المنافحة . . وكان ذلك كله من أجلك أنت يا نوار . .

حبيبتى النوار . . يا من كنت زوجتى

لئن كان لسانى شرساً عنيفاً إلا أننى لا أنكر فضلاً لصاحب فضل ولا أتنكر لمن طوقنى بجميل وأعاننى فى يوم عسر . وهذا دليل على أن نفسى



طيبة وأن صدرى مبرأ من دنس الحقد والضغينة . . هل تذكرين يوم ضاقت بنا سبل المعاش حتى أننا لم نجد لأولادنا ما يسد رمقهم ويسكن أجوافهم؟ . . وفجأة طرقنا أسماء بن خارجة الفزارى ودخل علينا وهو يحمل على كاهله ما أنعشنا وأقال عثرتنا لله در هذا الرجل :

إن السماح الذى فى الناس كلهم
قد حازه الله للمفضال أسماء
يعطى الجزيل بلا منٍّ يكدره
عفوا ويتبع آلاء بأسماء
ما ضرَّ قوما إذا أمسى يجاورهم
ألَّا يكونوا ذوى إبل ولا شاء

وإذا كانت تلك هى طبيعة نفسى وأخلاقى فإننى لا أحب الغدر ولا أسير فى ركابه ولكننى أرشد وأبصر وأجهر بكلمة الحق مهما كلفتنى . . لقد كان «الحسين بن على» رضوان الله عليهما يثق فى الناس ثقة كبيرة فلم يعرف دخائلهم ولا ما يحرك سواعدهم فلما أن قابلته قلت له : «يا ابن رسول الله أنفس الناس معك وأيديهم عليك» . . لكنه رحمه الله لم يأنس لكلامى وعندما قتل لم أخش فى الحق إلا الله فرفعت صوتى بين الناس قائلا :

انظروا فإن غضب العرب لابن سيدها وخيرها فاعلموا أنه سيدوم عزها وتبقى هيبتها . . فإن صبرت عليه ولم تُغِر لم يزدها الله إلا ذلًّا إلى آخر الأبد . . وعندما وجدتهم خانعين لا يتحركون خاطبتهم بما أوجعهم فقلت لهم :

فإن أنتمو لم تثأروا بابن خيركم
فألقوا السلاح واغزلوا بالمغازل

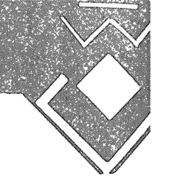
حبيبتى النوار . . يا من كنت زوجتى

لكم حذرتك من أحابيل الوشاة ومن فى قلوبهم مرض وقلت لك : خير لك أن تأمنى وحشاً ضارياً من أن تأمنى إنساناً وتثقى فيه . . لقد أمنت للذئب يوما ووثقت فيه وأمننى هو واطمأن الىَّ حتى قاسمته زادى فلما أنس كل منا إلى صاحبه قلت له :

تعش فإن عاهدتنى لا تخوننى
نكن مثل من ياذئب يصطحبان
وأنت امرؤ يا ذئب والغدر كنتما
أخيين كان أرضعا بلبان
ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى
رماك بسهم أو شباة سنان

أفما كان الأجدر بك يا نوار أن تفعلى فعل ذلك الذئب وتسلكى مسلكه؟ .

ولكن ما حيلتك وأنت محكومة بطبعك فالنساء ناقصات عقل ودين؟ .





حبيبتى النوار . . يامن كنت زوجتى

لعلك بعد أن صارحتك بكل شيء تعرفين من أنا . . إننى من أبناء آدم وكل ابن آدم خطاء كما قال رسولنا صلى الله عليه وسلم . . خدعنى إبليس الرجيم تسعين حجة ولكننى اليوم :

رجعت الى ربى وأيقنت أننى
ملاقٍ لأيام المنون حمامى

● فعاهدت ربى :

على حلفة لا أشتم الدهر مسلما
ولا خارجاً فىَّ زور كلام

● نعم رجعت الى ربى وعاهدته وسأظل الى آخر يوم من عمرى متعلقاً بأستار الكعبة منيباً إلى الله سبحانه الرحمن الرحيم

حبيتى النوار . . يامن كنت زوجتى

لئن وقع بيننا الطلاق ولم يعد هناك أمل فى تلاق فلا يخالجنك شك فى أننى أحبك فلسوف يظل قلبى يهتف بهواك ويلهج لسانى بأيام أنسك وليالى رضاك . . إننى حين طلقتك :

كنت كفاقىء عينيه عمداً
فأصبح لا يضىء له النهار

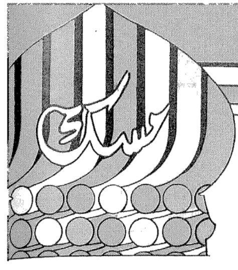
● ووالله يا نوار لقد :

كنت جنتى فخرجت منها
كآدم حين أخرجه الضرار
ولو أنى ملكت يدى ونفسى
لكان على للقدر الخيار

حبيبتى النوار . . يا من كنت زوجتى
عشت وأولادى بَلَه أولادك . . فى دعة وخير وسلام

حبيبك الذى كان يوماً زوجك

الفرزدق





كثيرا ما يجنى على الفرد أن يتخذ من أسلوب اللامبالاة ديدنا وطريقة له.. يترك ميدان العمل الجاد ويطرح الخلق والعزيمة جانبا يضيع حقه وحقوق الغير ومصالح الناس وهو بذلك يجنى على نفسه التعاسة والشقاء..

ان المرء ليتأثر كثيرا عندما يرى بعض الناس وخاصة من وُكلَ اليه أعمال ومصالح ترتبط بالمجتمع فبدل أن يتحسس سلامة الأداء ويهتم بتلك المصالح ويعمل على انجازها وقضائها بكل اخلاص ووفاء وأدب وأمانة نجده على العكس من ذلك.. فيه ميل الى الكسل والدعة والاسترخاء.. وانصراف عن الواجبات دون أن يكترث لاى ملامة أو تثريب.. ولعمرى كيف يستسيغ بعض الناس اضاعة الوقت واتباع أسلوب اللامبالاة مع ذوى الحاجات.. ان علينا أن ننبذ أسلوب اللامبالاة ونسعى الى العمل المثمر وطرح الخمول وتمزيق رداء الكسل وعدم الاكتراث ونأخذ انفسنا بالتوجه الصادق الى الجادة الصحيحة وكسب الوقت فيما ينفع ويفيد فالمبالاة هى الايجابيه واللامبالاة هى السلبية كما أن المبالاة هى دليل النجاح واللامبالاة هى دليل الاخفاق.. وان اساس الفضيلة فى الانسان هو الخلق الكريم والصدق والوفاء والصبر فأحسن الناس ايمانا أحسنهم خلقا.. والى هذه المعانى الكريمة والروح المبصرة ينبغى أن تتجه عنايتنا واهتمامنا الى الحفاظ على مقوماتنا الاصيلة وأخلاقنا الكريمة بحيث تكون هى الاساس فى معاملاتنا بل هى الاساس فى تقييم العاملين ولنبتعد عن اللامبالاة ولنتعلم الصبر والمثابرة والحكمة.

ولعلنا بعد ذلك نقدر أسلوب المبالاة ونشيح بوجوهنا وأسلوب حياتنا عن طريقة اللامبالاة فلا نقع فى حبائلها بل ننطلق من إسارها ولنرسل لنفوسنا سلوكا انسانيا رفيعا فى أصالة وصدق..

ولقد سجل التاريخ فى صفحاته آيات من الفخر والتقدير لرجال أسهموا فى خدمة أوطانهم وبناء امجاد أممهم ورفعة بلادهم ومساعدة بنى جلدتهم ومواطنيهم.. ان على كل قادر على البذل والعطاء من أبناء هذه الامة المجيدة التى

الختام

عبد الله حمد الحقيل



تعتز بدينها الاسلامى وتراثها الاصيل ومفاخرها الكريمة أن يكون قدوة حسنة فى البذل والعطاء والتضحية والاخلاص والوفاء لهذا البلد الكريم . . ان حكومتنا الجليلة لم تدخر وسعا فى سبيل البناء والاصلاح فى مختلف الحقول والمرافق والميادين . . ويبقى دور المواطن فان واجبه أن يعمل على رفعة وطنه فى زراعة الأرض واستثمارها وتأسيس المصانع وتكوينها لتوفر للمواطن احتياجاته وتحفظ ثروته وكذلك الاسهام فى انشاء المدارس والمساجد والمستشفيات والدور الخيرية ومساعدة اليتيم ومعاونة المعسر وبناء المكتبات والاخذ بيد أصحاب المواهب والملكات وطباعة كتب التراث الاسلامى وتقديم المنح الدراسية لابناء الفقراء من المسلمين يجب علينا أن نعمق معانى الاحساس بالمسئولية فى نفوسنا ونحرص على توطيد دعائم الاخاء والتعاون والمساعده والتكافل ونترفع عن كل ما يوهن تلك الروابط من حسد وحقد وخصومات ولكى نحقق ما نطمح اليه فلابد من اصلاح النفوس وتهذيبها لنقبل على أعمال الخير والبناء برغبة واقتناع وايمان وبذلك يكون المرء قدوة لغيره ومثالا كريما يقلده سواه فى مجالات الخير والعطاء والتضحية والوفاء .

إن بلادنا اليوم وهى فى ذروة نشاطها وتقدمها فى مسيرة العمل ووضع الخطط والبرامج الانمائية ومشاريع التطوير والبناء والاخذ بالاساليب والنظريات الحديثة فى بناء المجتمع المتطور كل ذلك سيجعل دور كل مواطن مهما كان موقعه كبيرا لمواكبة عملية المشاريع الانمائية والاستثمارية والاقتصادية والاسهام فى مختلف جوانب الحياة وحقول التصنيع والخدمات العامة وغير ذلك من المجالات النامية والمفيدة للفرد والوطن والمواطنين وهكذا يجب أن نسير فى طريق الخير والتعاون والبذل والعطاء الى غير ذلك مما يرفع من شأن أمتنا ويحفظ عليها مقومات الحياة الكريمة وأخلاقها الرفيعة وقيمها الاصيلة حتى نصل حاضرنا بماضينا .

نبنى كما كانت أوائلنا
تبنى ونفعل مثل ما فعلوا

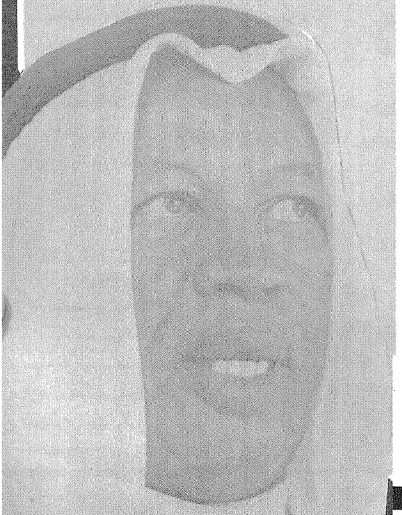
سدد الله خطى الجميع وحقق الآمال .

فاصنعْ لنفسِكَ قبلَ موتِكَ ذكرَهَا
فالذكرى للانسانِ عمرٌ ثانِ
دقاتُ قلب المرء قائلة لَهُ
إنَّ الحياة دقائقٌ وثوانِ

●

قال الصديق لصديقه:

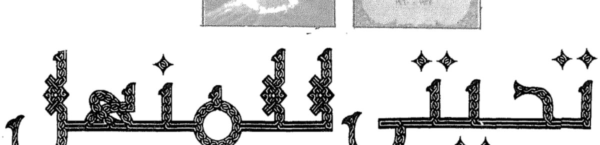
دعنى يا صديقى أحدِّثك عن الذى حبس نفسه عن متع الدنيا وحرمها ملذات العيش.. دخل المحراب ورفقاء عمره.. كتاب.. ورقة.. قلم.. ثم خرج الى الناس ينير لهم مظلم السُبُل ويقيل لهم عثرات الطريق.. فى كل خطوة يخطوها كان قلبه يخفق بقول الله تبارك وتعالى **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾. الآية.**



سار وقد فاز بالدنيا وتفاءل بالآخرة.. أنار الله قلبه وعقله وهداه فأبى إلا أن يحمل الرسالة ويؤدى الأمانة.. وحمل على عاتقه تبعة بناء عقولهم.. كان قدوة لهم.. أخلص لله ولهم فأحبوه.. وأفنى حياته فى سبيلهم فأكرموه.

حينئذ بدره الصديق:
أدركت مَنْ تعنى.. أنت تحدِّثنى عن العالِم يا صديقى.





ظللت أتابع خطوات منهلنا الحبيب فترة طويلة بعد أن تولى مسئولية رئاسة التحرير الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى فلاحظت ان هناك خطوات طيبة تهدف نحو الافضل وتُتِم البناء الشامخ الذى بدأه أستاذنا عبد القدوس رحمه الله.

وصاحب المنهل (الوالد) عالم وأديب طرق جوانب الفكر المختلفة من شعر وقصة ومقالة وكان فيها من الرواد الاوائل الذين حفروا الطريق الصعب بأظافرهم حتى وصلوا هم وأوصلونا ـ نحن أبناءهم ـ الى هذا المستوى الذى نفخر به.

وانني لأذكر بالشكر والعرفان أننى كنت من الذين نالوا منه كل تشجيع وتقدير بالرغم من أننى لم أقابله أو أجتمع به شخصيا لاننى كنت تلميذا صغيرا فى مدرسة تحضير البعثات وكنا (شداة) أدب نجتمع مساء كل خميس ليلقى الشعراء قصائدهم.. ويتلوا القصاصون (أوالقصصيون) قصصهم ويمثل (الممثلون) تمثيلياتهم.. حتى أنبتت (المسامرات الادبية) جيلا من الشباب كان لبعضهم مساهمات طيبة فى هذا المجال.. اما البعض الآخر فألهته الوظيفة عن الادب والتشجيع الذى لقيته أرد الفضل فيه ـ بالطبع ـ الى أستاذى الكريم عبد الله عبد المجيد البغدادى الذى كان يلقى علينا محاضراته فى علم النفس صباحا، ويشرف على المسامرات الادبية مساءاً فيصحح المقالات ويقوم ما اعوج من أوزان قصائدنا.. ويأخذ بيد المبتدىء الى جادة الادب الطويلة.

أستاذى (البغدادى) أعجب مرة بقصيدة (نظمتها) فتكرم بارسالها الى (المنهل) وهى بعنوان


عبد القدوس الانصارى

عبد الله بن محمد القرعاوى

ودعوتى للرواد

(**الشاعر**) . . مازلت أذكرها . . ويبدو أنه أوصى بها خيرا فقد ظهرت بشكل جيد وباخراج جميل وقد نشرها الاستاذ عبد القدوس دون أن يعرفنى . . فكان هذا التشجيع دفعة جيدة شجعتنى على الاستمرار . . وكانت الدفعة الثانية هى كتابه «**المسامرات الادبية**» الذى ألفه وأشرف على اخراجه فى القاهرة حتى أصبح أحد المراجع . . لكل الذين كتبوا عن الادب السعودى الحديث لا سيما فيما يخص أدب الشباب واتجاهاته ومذاهبه الادبية.

هذه ذكريات سريعة عَنَّتْ للخاطر . . واننى لأتساءل لماذا لا تلقى المنهل ورفيقاتها من المجلات الادبية الرصينة والمتخصصة عناية من المتخصصين القادرين على المساهمة فيها . . ببحوثهم ومقالاتهم وقصائدهم وقصصهم وأخص الرواد وتلاميذ الرواد . . ممن أدركوا حمزة شحاته والعواد . . وتتلمذوا عليهم فى أمسياتهم الجميلة . . وفى (**المركاز**) . . ويخطر على البال أستاذنا عبد العزيز الرفاعى . . وشاعرنا «**الطائى الصغير**» الاستاذ عبد الله الغاطى . . والاساتذة الشعراء الكبار محمد حسن فقى وحسين عرب وحسين سرحان ومحمود عارف وطاهر زمخشرى ومحمد هاشم رشيد . . وناقدنا الكبير أستاذنا عبد الله عبد الجبار . . وكلهم . . كانوا أعضاء فى «ندوة المنهل» التى يعقدها الاستاذ عبد القدوس منذ ما يقرب من أربعين عاما . .

ليت كلا منهم . . عاد بذاكرته الى الوراء . . وقلب فى دفاتره القديمة والجديدة ليتهم فعلوا ذلك . . لوجدوا فى «جعابهم» الشيىء الكثير والمفيد واللذيذ.

لقد ساهم المنهل «**العذب**» فى حمل افكار هؤلاء النخبة فترة من الزمن غير قصيرة مع الرعيل الاول الذين رحلوا وتركوا ذكراهم العطرة . . أمثال شحاته والعواد والزركلى وفؤاد الخطيب رحمهم الله.

ولقد ساهم أصدقاء مجلة «**الاديب**» اللبنانية . . فى ازدهارها ونموها . . واستمرارها . . فترة طويلة من الزمن.

فهلا سرنا على نفس الطريق؟ . .

كلمة اولى

منذ سبعة وخمسين عاما صدرت «**التوأمان**» للشيخ عبد القدوس الانصارى عن مطبعة الترقى بدمشق (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م) لتسجل بداية الرواية السعودية وقد ظلت الوحيدة فى هذا الجنس الأدبى لما يقرب من عشرين عاما حتى بدأت تظهر أعمال أخرى مثل «**فكرة**» للأستاذ احمد السباعى و«**البعث**» للأستاذ محمد على مغربى وكلتاهما صدرتا عام ١٩٤٨م ثم تواترت القصة فى مفهومها الفنى فى أعمال مثل «**ثمن التضحية**» و«**مرت الأيام**» لحامد دمنهورى و«**ثقب فى رداء الليل**» لابراهيم الناصر.. وغيرها.

ولم تكن «التوأمان» إيذانا ببدء هذا الجنس الأدبى فقط وإنما ـ ايضا ـ معالجة لقضية كانت وظلت أخطر وأهم قضايا الحداثة والمعاصرة فى حياتنا الفكرية وهى قضية «**الذات العربية الاسلامية فى مواجهة الغرب**» وهذا فى حد ذاته يفسر لنا نهج الأنصارى منهج «**الرواية التعليمية التهذيبية**» واهتمامه فى هذه الرواية بالتعليم «الوطنى» فى مقابل «الأجنبى» وموقفه المعلن صراحة ـ والمستبطن ـ فى هذه القصة وهو ـ بالطبع ـ الانتصار للمدارس الوطنية «لسلامة نتائجها وحسن عواقبها» دون أن يغلق منافذ الخير أمام العلوم النافعة والتربية الصالحة من الغرب والتى يهيب بنا أن «نسعى سعياً حثيثا لاقتناصها» فالقضية التى تطرحها «التوأمان» ـ هنا ـ هى «رشيد» فى مقابل «فريد» بطلا الرواية (ولا يخفى مافى كل من هذين الاسمين من ايحاء). وهى ليست قضية «صواب» فى مقابل «خطأ» بقدر ما هى دعوة «رشد وتفرد» وإدراك للذات وأبعادها ومسؤولياتها، نعيد طرحها لتذكير قرائنا الاعزاء «بقديم جديدنا» فقد ظلت ألسنة عربية كثيرة خلال هذه الفترة التى تزيد على نصف قرن تلوك نفس السؤال وتجعلنا «نلتقى وكأننا غرباء» ـ على حد تعبير بنت الشاطىء ـ ولم تعد ترن غرفتنا ـ غرفة «التوأمان» التى طالما فاضت ـ أمس ـ بالأنس بصدا ضحكات التوأمين اللطيفة.

«م. ح»

هدية العدد

أول رواية صدرت بالحجاز :

التوأمان

رواية ادبية علمية اجتماعية

بقلم



الموظف بديوان امارة المدينة المنورة

« ملحوظة هامة :

« قد فسرنا بعض الالفاظ اللغوية المغلقة »
« وحللنا بعض التراكيب المجازية باسفل »
« صفحات الرواية: ايضاحاً وتنويراً لافكار »
« الناشئين والمبتدئين من القراء الكرام »

« المؤلف »

١٣٤٩ هـ مطبعة الترقي بالقيمرية في دمشق ١٩٣٠ م

١ ـ التوأمــان

فى ذلك القصر الفخم الرائع القائم فى قلب ذياك الحى الشرقى الجميل من هاتيك المدينة العربية الزاهرة التى طالما خفقت فى فضائها اعلام الخلافة الاسلامية فى ازهى عصورها الغابرة: كانت تقطن أسرة عربية مسلمة عريقة فى المجد معروفة بوفرة الثراء.

وكان رئيس هذه الاسرة النبيلة شيخ وقور جاوز العقد الخامس من عمره الذهبى الى حلقة السادس يدعى: «سليماً».

وكان سليم هذا كاسمه سليماً فى طويته سلامته فى ديانته وماضى حياته.. فطالما تراءت له الأيام فى غلائل السعادة والهناء غير ان فى قلبه لوعة لا ينطفىء أوارها الا بتنسم ريحانة الأبناء رجاء ان يكونوا له أبهج سلوى وأحسن ذكرى فى هذه الحياة الدنيا فمكث طويلا لا يألو جهداً فى الابتهال الى بارىء النسم ان يتحفه بأمنية أمانيه حتى اذا وافى الوقت المقدور حبته العناية الآلهية بتوأمين اثنين فأسمى احدهما: «رشيدا» والآخر «فريدا».

ولشد ما سر بنجوم(١) هاتين الزهرتين الناضرتين فى روضة الوجود الزاهر لذلك لا غرو(٢) ان يكونا موضع حفاوته وموطن رعايته.. فعاهد الله فى اخلاص لأن ابقاهما له فلن يرهقهما(٣) من امرهما عسراً حتى يبلغا اشدهما ويستقلا بشأنهما.

٢ ـ التوأمان يجتازان دور الطفولة

واجتـاز(٤) التوأمان دور الرضاع فالفطام وترعرعا وهما صحيحا الجسم موفورا النشاط بسبب ما يحاطان به من ضروب العناية والحياطة واذ ذاك عنَّ(٥) لوالدهما ان يدخلهما بادىء بدء مكتبا تحضيريا يدرسان فيه مبادىء القراءة والكتابة العربية.

ففى ذات يوم جمعهما وابدى لهما رغبته هاته واعلمهما فى لطف وحنوّ(٦) انه قد عقد النية على ابرامها (اذا هما قابلاها بارتيـاح) شارحا لهما مزايا العلم ومنوها لهما بان التعلم فى الصغر كالنقش على الحجر وفوق هذا فقد وعدهما بان يمنحهما ازاء قبولهما بأنفس التحف.

فكان منهما ان ارتاحا لرغبة والدهما السنية مغتبطين بها أيمّا اغتباط وبالفعل فقد أخذ بيديهما فى صباح اليوم التالى الى المكتب التحضيرى وسلمهما ليد المدير. وبالغ فى وصايته والحاضرين من المعلمين ـ بهما خيراً وذلك بتعهدهما فى التعليم خصيّصى بنصح واخلاص وضمن دائرة العطف والحسنى.

ولمكانة الشيخ فى النفوس: قوبل رجاؤه من الجميع بالقبول فانصرف الى مقره ولسانه يلهج بالثناء على هؤلاء وفؤاده مملوء بالجذل والرجاء.

٣ ـ التوأمان فى المكتب التحضيرى

دخل التوأمان قاعة الصف الاول من المكتب التحضيرى فهالهما لأول مرة ذلك الدوى المنبعث من ارجاء القاعة فى استمرار وانتظام.

فلا بدع والحالة هذه: ان تكون منهما دهشة القادم الساذج بله انكماش الغريب المرتاع.
فلاحظهما المدير وهما على تلك الحال فاقترب منهما نجيا ولاطفهما قائلا لهما بكل بشاشة ولين:
«ايها التلميذان الجديدان: لا تظهرا اندهاشاً ولا تبطنا انكماشاً فوالدكما الوقور لم يلق بكما الى مسبعة ولم يرمكما في مضيعة وانما أودعكما حبا برقيكما وسعادتكما الى أبر أسرة وخير منزل لحاضركما ومستقبلكما.
لا تراعا فما هذا المكتب الا داركما الثانية تتمتعان فيها بما لذ وطاب من مبادىء الفنون وزهرات العلوم الفواحة.
لا تندهشا بل امتلئا اطمئنانا وابتهاجا أن منَّ البارى عليكما فبوأكما هذه الدار التى منها مبدأ رقيكما ومنشأ تقدمكما ان شاء الله».
وهنا آنس منهما استئناسا.. اذ طفحت على جبينيهما دلائل البشر والانشراح فدعا اليه بعض خيرة المعلمين واوعز اليه بتعليمهما وارشادهما بكل نصح وفق رغبة والدهما الوقور.

وابتدأ التوأمان فى تعلم الهجاء العربى منذ ذلك اليوم حتى إذا أُذن بانقضاء ساعات الدوام: انقلبا الى والدهما قريرى العين فنوّها له فى غبطة وسرور عن النصيحة التى اسداها المدير اليهما.
فكان من الشيخ ان ضم اليه هذا وقبل جبين الآخر.. استبشاراً بما بدا عليهما من علامات الرغبة والنشاط ولم يدع تحفة ظريفة ولا هدية نفيسة لديه الا وقدمها اليهما وفاء بمقطوع وعده والوعد على الكريم دين.
حتى اذا ارخى الليل سدوله(٧) ناداهما فى تلطف ورجاء منهما ان يعيدا درسهما الاول على مسمع منه فالفى منهما أمارات(٨) الجد والذكاء فتهلل جبينه فرحاً. واذ ذاك بسط لهما بدوره نصائح فى شئون الدراسة وكان مما اوصاهما به المحافظة على توفير عموم الاساتذة وأملاهما هذين البيتين المشهورين:

إنَّ المعلمَ والطبيبَ كلاهما
لا ينصحان إذا هُما لم يُكْرَما
فاصبرْ لدائك إنْ جفوتَ طبيبَه
واصبرْ لجهلك إنْ جفوتَ مُعَلِّما

فحفظاها فى سرعة البرق واوضح لهما مغزييهما فقابلا نصيحة والدهما الرؤم(٩) بالسمع والطاعة.
وهكذا كانت خطة التلميذين: (رشيد) و(فريد) بعدئذ: يوقظهما والدهما عند انبلاج الفجر فيتوضآن معه ثم يبكر بهما الى المسجد الجامع المأثور حيث يؤدون صلاة الصبح مع الجماعة فى وسط ذلك السكون المملوء روعة وجلالا وعظمة وجمالا.. ثم ينثنى(١٠) بهما الى المنزل وقد هيىء لهما طعام الفطور فيتناولانه هنيئاً ويشربان بأثره القهوة العربية مريئا. وفى الحال ينهضان فيرتديان ملابسهما المدرسية النظيفة الجميلة ويغدوان الى المدرسة فيصلانها قُبيل سائر الطلاب ويمضيان سحابة دوامها فى الحفظ والتكرار بكل جد واعتناء ثم ينقلبان الى الأهل فى نشاط وسرور.. ثم ما تأذن رايات الليل السوداء بالقضاء على جحافل النهار البيضاء الا وقد اجتمع الصنوان(١١) كرة اخرى يتذاكران بضع ساعات على ضوء ذلك المصباح (الكهربائى) المشرق - درسيهما بالامس. ثم ينامان ملء اجفانهما فى هناء واطمئنان.
ويبتدئان فى الصباح التالى بنفس مشروعهما بصباح اليوم الماضى» لهذا لا غرابة ان يكونا موضع عناية المعلمين

الخاصة لما أودع فى فطر هؤلاء ـ من الانكباب على تثقيف من يتوسمون فيه من ابنائهم الروحيين ـ جداً ودأباً على التحصيل.

ثم لهذا نفسه لا عجب ايضا ان يكونا مغبوطين من قبل من فى مكتبهما من الزملاء.

على ذلك المبدأ الحميد درجا وعلى هذا النظام الميمون سارا فما كادت سنوات الدراسة التحضيرية تنتهى الا وقد برز التوأمان المجدّان كوكبين لّماعين فى سماء النجاح وردتين فريدتين فى جيد التقدم والفلاح.

٤ ـ بعد الفراغ من التحضيرى

ها هو الأب «الشيخ سليم» منثلج الصدر شديد الفرح عظيم الاستبشار بتفوق ابنيه فى ميدان التعلم الاولى.

وها هما التوأمان الفائزان بدورهما جذلان ضاحكا السن متهللا الجبين ـ لفوزهما على بقية الاقران.

ثم ها هى ردهة(١٢) القصر الواسعة وقد اكتظت بعشرات الوفود المهنّئين من سراة المدينة واعيانها ـ من أصدقاء ومعارف الشيخ سليم مقدمين لحضرته باقات(١٣) التهانى الصميمية بنجاح نجليه وحوزهما قصب السبق فى مضمار التعليم التحضيرى الذى هو اساس الرقى ومهد التقدم.

وها هو الشيخ سليم يستقبل زائريه الكرام ـ كلا بما يليق به من اللطف والبشاشة والاكرام مقابلا تهانئهم بتقديم جزيل الشكران وفائق الامتنان.

ثم ها هم الزائرون المهنئون يباركون الطالبين الفائزين ويشجعونهما على المثابرة على الجد الحثيث المتواصل الى ان يرقيا قمة المجد العليا.

ثم ها هم قد بدأوا يتباحثون فيما بينهم فى شتى المواضيع وها هو البحث قد جرهم بقاعدة ـ «الحديث ذو شجون» الى الخوض فى المدارس ومناهج التعليم.

وها هم قد انقسموا فى هذا الموضوع الى حزبين: حزب يشيد بالمدارس الاجنبية وينوهً بمالها من آثار وأفضال فى ثقافة الناشئة العصرية منددا بالمدارس الوطنية أيما تنديد.. حاثاً على انتجاع مناهل الاولى المترعة بما يفيد الفكر أيتما افادة اما الوطنية، اما الديانة الاسلامية: فمعلوم ان هذه المدارس بالرغم عن كونها اجنبية المنشأ فانها بمعزل عن التأثير فيهما بما يسوء.. حيث لا تزال تعلن دائما ان مبدأها الوحيد هو التثقيف الفكرى البحت باسلوب قويم لا يكاد يصطدم بالديانات والمبادىء مطلقاً.

وممن راح يناقض هذه النظرية ويهدمها من اساسها حاملا على تلك المدارس الاستعمارية حملة شعواء مبرهناً على انها لم تؤسس من اول الأمر ولن تؤسس الى آخره الا لتخريب الشرق وتسويس ادمغة ابنائه، اتماما للقضاء عليه بدعوى انقاذه وتثقيفه. فالغربى لا يخدم الا مصلحته منوهاً عما انكشف حديثا وقديماً من اغراضها الخبيثة فى هذا السبيل وموضحاً ان الغربيين وهم الحريصون على الانانية والاستثمار والاستعمار ليسوا من الانسانية او البله بحيث يهجرون ديارهم ويحرمونها من ثمرات علومهم بقصد غرسها فى الشرق الذى اغرموا باضطهاده واستباحة محارمه واستنزاف خيراته ومحق دياناته وغمط مدنياته ذائداً عن كرامة المدارس الوطنية التى شيدت بالشرق لنشله من هوة الخمول وتأمينه من انياب الدخيل حاثا على مناصرتها وتشجيعها حتى تكون وفق المرغوب منها.

واخيرا احتدم الجدال بين اثنين من هؤلاء الزوار فراح كل منهما يوقع بنظرية الآخر مؤيداً ما ذهب اليه حزبه بكل ما يملك من برهان وبكل ما أوتى من بيان.

كان كل هذا بمحضر من كلا التلميذين: رشيد وفريد وبمشهد من نفس والدهما الذى لم يَنْبسُ(١٤) ببنت شفة يفهم بها مشايعته لنظرية ضد اخرى.

وبالطبع فمثل هذه المباحثة تبقى اثراً قويا فى عقليات الناشئة المتعلمة وبالفعل فقد تكونت إثر ذلك لكل من التوأمين نزعة لم تكن بالنزعة التى تنضم عليها جوانح اخيه نحو المدارس والتعليم.

رشيد اقتنع تماماً بنجاح المدارس الوطنية وسلامة نتائجها وحسن عواقبها كما ثبت فى ذهنه اضرار المدارس الاجنبية واضطراب نتائجها لغش مؤسسيها وخداع القائمين بشؤونها.

لذلك اطمأنت نفسه للانتظام فى سلك الأولى اذا ساعد المقدور ووافق الوالد:

اما فريد فعلى العكس من ذلك انه قد شغف بما يسمى مدارس اجنبية اقتناعا فيما يظهر بثبوت نظرية الفريق الذى قد كان اطنب فى تقديسها وتغالى فى تفخيمها ولأنه فى الواقع كان كثيرا ما يمر فى منصرفه الى الدار اثناء انتظامه بالمكتب التحضيرى - على احداها فيطل من احدى نوافذها السفلية الى داخلها فيشاهد فى عرصتها الواسعة ألعاباً شائقة ولهواً مغرياً.

هكذا تكونت نزعتا رشيد وفريد.. وإذاً فما بقى لهما الا أن يتلقيا الكلمة الاولى والآخرة من سيدهما الوالد:

وها هما وقد احتفا به من جانبيه وقبيل ان يعرضا عليه فكرتيهما بدههما هو قائلا من تلقاء نفسه:

لقد وعيتما كلاكما ما دار من المناظرات فى مناهج الثقافة بين زائرينا هنا بالامس وعملا بمبدئى معكما وحبا بارضاء خاطريكما وعدم تكليفكما ها انا ألقى الحبل لكما على الغارب. فليعرب لى كل منكما عن نوع المدارس الذى يود الالتحاق به فأناله عندما اراد.

لقد اسلفنا لك ان الشيخ «سليما» كان قد عاهد الله بتحرير ابنيه من قيود الارهاق وبالاحرى من قيود التربية المحتومة والارشاد الالزامى ومعاملته هاته معهما برهنت لنا على انه جد وفىّ بعهده وفاء دلَّ على ما فى طويته من بساطة وسلامة.. هو فى ساعة احتدام المناظرات لم ينبس(١٥) بكلمة يوضح بها وجهة نظره. ثم لا يكتفى بذلك حتى يعلن التوأمين بانهما حران طليقان فيما يهويان.

ولكن لا غرابة: فهذا شأن فئة ليست بالنذر اليسير من اولياء امر الطلاب يرخون لهم العنان فى منهج التثقيف الذى يهوون ثم لا يعبأون باعوجاج خطتهم ولا بسوء سلوكهم الا اذا بلغهم مثلا رسوبهم فى اختبار جغرافية قطعة حقيرة من قطع اوروبا او امريكا فاذا حازوا (الليسانس) او (الدكتوراه) مثلا آبوا الى اوطانهم ناعين عليها تقاليدها وعقائدها ناقمين على انفس اوليائهم الذين اوصلوهم الى هذه الذروة - جمودهم على الاساطير التى مضى وقتها.. وهناك تنشب معركة منزلية هائلة كثيراً ما تلتهب لها القلوب حسرة وأسفاً وتذوب لها الضمائر حزناً وأسى.

قلنا ان الشيخ «سليما» تفضل.. فمنح ابنيه (حرية المصير المدرسى) رغبة فى رضاهما.

فاما «رشيد» فقد اعرب عن رغبته فى اللحاق بمدرسة ابتدائية وطنية هناك لها تاريخها المجيد فى تخريج متفوقين بارعين. فامضى الوالد رغبته.

والتفت الى شقيقه «فريد» كأنما يستمليه ارادته. فابدى له تعلقه بمدرسة ابتدائية اجنبية بالمدينة (هى التى كثيراً ما تستوقفه مناظرها فى طريقه) إذ مديرها وثلثا معلميها من قديرى الاجانب المخلصين.. والثلث الباقى من احرار نوابغ الوطنيين.

فانفذ له الشيخ طلبته ايضاً.

٥ ـ التوأمان فى الدراسة الابتدائية

وما يوشك زمن العطلة الصيفية ينقضى حتى نلمح الشيخ «سليماً» ممسكا بيدى نجليه مسرعاً بهما نحو مديرى تينك المدرستين الابتدائيتين اللتين عرضا عليه رغبتيهما فى دخولها فوافق.

هذا «رشيد» بين يدى المدير الوطنى الغيور «نبيه افندى» يوعز الى الكاتب بقيده فى ضمن طلاب المدرسة وذلك بعد اجراء الفحص اللازم.. مخبراً والده فى توقير بأن مبتدأ الدراسة بيوم الاثنين المقبل اما النفقات الدراسية فهى لا تتجاوز ثلاثين ليرة انكليزية لكل عام اى ثلاثة ليرات لكل شهر دراسى.

ثم ها هو «فريد» بين يدى المدير الاجنبى مسيو «برنار» يأمر بقيده فى عداد طلاب مدرسته ويشعره مباشرة بأن فتح المدرسة يكون بيوم السبت القادم.

اما رسم المدرسة السنوى فهو خمسون ليرة ليس غير.

وبزغت شمس صباح يوم السبت الموعود وراء غمام قاتم لم تشأ الرياح الا ان تعبث به فتبدد جحفله عن جبهة «اخت يوشع»(١٦) لتطل بشعاعها الملتهب من خلف سجوفه الى نافذة تلك الغرفة العليا التى لا يزال بها «فريد» يغط فى المنام. فما كان منه بعد ان أثرت بوجهه أشعة تلك (الطارقة) الحمراء الا أن هب من فراشه فغسل وجهه ويديه بالصابون. ثم دعا الخادم ليحضر له طعام الفطور. واذ تناوله بسرعة وثب الى بذلته المعلقة على «مشجب»(١٧) بالغرفة فارتداها فى خفة وعمل لنفسه (التواليت) باكمله ثم توجه الى المدرسة.

وهنـاك ألفى جماهـير الطلاب قد تناثلوا(١٨) اليها مصطفين بساحتها صفوفاً صفوفاً والمدير واقف فى وسطهم. وقد شرع يلقى عليهم التعليمات الاساسية للمدرسة وطبعاً فقد كان فى مقدمتها وجوب تحرر الطالب اثناء وجوده بالمدرسة من ربقة ديانته.. ليتقيد بالواجبات المختصرة القدسية.. التى يلقنها اياه «الأب يوحنا».. مع عدم التحاور بقدر الامكان الا باللغة الاجنبية المقررة فى البرنامج ليتسنى(١٩) للتلميذ الوطنى ـ والحالة هذه ـ اتقانها واجادتها والنطق بها كما لو كان واحداً من راضعى لبانها فى أوجز مدة ممكنة.

وانتهى المدير من خطابه فوزعت التلامذة على الصفوف بحسب درجاتهم وعينوا لفريد مقعداً بالصف الأول.

ومرت بضع دقائق واذا بالمعلم الاستاذ «أسيف» داخل عليهم فوقفوا مؤدين التحية الرسمية لحضرته وشرع يلقى درساً عليهم كان فى جغرافية (اوروبا)..

ومن غير مناسبة واضحة انتقل بهم الى ذم الشرق والحط فى مدنياته فصار يكيل له الطعن جزافاً(٢٠) ولم يكد ينتهى من هذه المهزلة حتى دق الجرس ايذاناً بانتهاء حصته فقام وتولى من الباب الذى منه أتى.

خرج طلاب الصف للفسحة.. واذ انتهت مدتها رجعوا.. فتلقوا الدروس وهكذا حتى اطلق المدفع. فتجهَّزوا للعودة الى اهليهم وفى الجملة صاحبنا «فريد».

واذ دخل على ابيه بادره هذا بالاستيضاح عن حالة المدرسة وعن وجهة فكرته نحوها:

فاجابه قائلا:

نعم يا سيدى الوالد انى جد سعيد بانتظامى فى عقد هذه المدرسة الفريدة انهم يا مولاى أراحونا قبل كل شىء من عناء القيود الدينية الكثيرة حفظاً لمدة الدراسة من ان تضيع هباء فيما لا اتصال لها به ثم فوق

هذا ألـزمونا بان نتمرن على التخاطب باللغة الاجنبية المقررة بمدرستنا لنتمكن من استيعابها فى أقرب مدة . . حبا بسرعة تقدمنا ونجاحنا ثم قال : لذلك كله يتمنى من صميم فؤاده لو يسعد الحظ أخاه «رشيداً» فيصمم على الانضمام الى هذه المدرسة الراقية ليهتصرا (٢١) معاً ما لذ وطاب من ثمار المعارف باجود اسلوب واقوم سبيل .

لم يصل «فريد» فى اطرائه الى هنا حتى تفجر بركان غيظ اخيه «رشيد» فعارضه بكل تأثر واحتدام قائلا :

لا . لا . بل انا الذى يحق لى ان اتمنى ان ينقذك الله من هذه الهوة السحيقة التى ارتميت فى احضانها الوبيلة ظاناً بصنيعك هذا انك تحسن صنعاً بينما انت جد مسيىء الى نفسك ثم الى امتك باساءتك الى نفسك .

قاتل الله مدرستك الاستعمارية الوقحة التى تنفرك عن تعاليم دينك الحنيف باسلوب ماكر استهواك يا ساذج الفكر ويا قاصر النظر : لتوقعك فى كنائس الكنائس وتلجم لسانك عن الانطلاق فى رياض لغتك الفيحاء لتوغلك فى مسابخ اللاتينية وأذنابها المشئومة . .

هذا وان يوم الاثنين القابل هو اليوم الذى تفتح فيه مدرستنا الوطنية الراقية بحق إن شاء الله فان كنت ملحوظاً بعين السعادة فسترفض العودة الى ذلك الفخ الأجنبى . . وتطمئن لمرافقتى الى مديرنا الوطنى الغيور . . ولحبه لمواطنيه واخلاصه لسيدى الوالد لا اراه يتوقف فى قبولك وان جئت متأخراً .

وقدم طعام العشاء فى تلك الساعة فكان السبب فى انقطاع المحاورة فى هذا النهار غير انهما لما أويا الى فراش منامهما لم يدعا باباً من أبواب المناظرة فى موضوع المدرستين الا ولجاه ـ حتى آل الامر الى مناقشة حادة دوى صداها المزعج فى فضاء الغرفة الجميلة فرددته سائر انحاء القصر العظيم . . ثم كان صمت فجائى من كلا الاثنين . . إذ ان الشيخ الوالد قد ايقظه من لذيذ منامه ذلك الصدا المتجاوب فصعد اليهما مسرعاً واذ لمحاه داخلا وجما (٢٢) خجلا وبعد ان عاتبهما عتاباً خفيفاً واصلح ذات بينهما ظاهراً : عاد .

لم ترنّ الغرفة التى طالما فاضت بالانس ـ بصدا ضحكات التوأمين اللطيفة هذه الليلة بل ولم يتبادلا حسب المألوف تلك المداعبات الاخوية البريئة التى طالما فاحت الغرفة الظريفة بعبيرها المسكى بل ها هما كلاهما وقد استقبلا على سريرهما عالم المنام الفسيح فى تأثر وقلق واضطراب .

وبالتالى فلم ينثن «فريد» عن مدرسته فقد غدا اليها مبكرا وكأنما زادته نصيحة شقيقه «رشيد» شغفا بها وتعلقاً .

ووافت ليلة الاثنين فكان «رشيد» يشعر بسرور داخلى عميق واذ مضى الليل الا اقله قام وتوضأ وهبط الى الطابق الاوسط الذى به (مقر الوالد) فافاقه بكل ادب واحترام . وآذنه بلطف ـ بدنو الصباح ثم عاد صاعداً الى الغرفة فما ترك وسيلة لايقاظ أخيه «فريد» الا وعملها . واذ ذهبت كل جهوده فى هذا السبيل سدى نزل مستاءا فرافق والده الى الجامع فأديا به صلاة الصبح مع الجماعة ثم رجعا فتناولا الفطور معاً .

نهض «رشيد» فارتدى ملابسه المدرسية وتأبط حقيبة كتبه ولثم انامل ابيه ملتمسا منه الدعاء بالتوفيق فافرغ له ما فى تاموره (٢٣) من ابتهالات بنيل المنى وتحقيق الرغبات واذ ذاك انطلق الى المدرسة يخامره (٢٤) سرور جم وأمل كبير فألفى اخوانه مصطفين بعرصتها حسب الأصول .

وما هى الا دقائق وجيزة حتى وقف المدير الوطنى القدير «الدكتور محمود» فى وسط ذلك المجمع الحاشد. وألقى عليهم خطاباً افتتاحياً بليغاً مؤثراً بلسان عربى مبين برهن على ما فى قلبه من عاطفة شريفة ومبداء سام وايمان كامل. . ثم جلس.

وتلاه «السكرتير الاستاذ برهان افندى» فأملى عليهم التعليمات الاساسية لاستحقاق رعاية المدرسة وعنايتها وكان فى اولها المحافظة على فرائض الدين الاسلامى منذ نعومة الاظفار لينشأ الطالب وقد امتزج نوره الوضاء بدمه ولحمه. . وهناك اقتران الفوز وازدواج السعادة مع التمرن بقدر الطاقة على التكلم باللغة العربية الفصحى فى سائر الاوقات وخصوصاً فى اثناء ساعات الدوام والتمسك بحسن الاخلاق سواء فى داخل المدرسة او فى خارجها.

وبعد انتهائه من هذه المهمة يبادر الطلاب كل فريق الى صفه ورشيد فى الصف الاول.

ولم تمض برهة وجيزة حتى يوافيهم الاستاذ الاختصاصى فى التاريخ الاسلامى «حسن افندى» فوقف الصف تحية بقدومه وابتهاجا. . بدأ يلقى عليهم درساً فى (التاريخ الاسلامى) المجيد مبتدئاً بمبدأ سيد الخلق ﴿ﷺ﴾ الذى لقب بين عشيرته (بالامين) من قبل البعثة باعوام عديدة.

وظل ينثر عليهم درراً قيمة من هذا القبيل باسلوب ممتع خال من التكلف والتمويه حتى حان وقت انصرافه فانصرف والقلوب ترفرف عليه غبطة وشكرانا.

وتوالت الدروس تتلوها الفسح حسب النظام المتبع حتى انقضى وقت الدوام فتوجه رشيد الى داره.

اقبل الى ابيه ووجهه متهلل وثغره باسم.

الاب سليم ـ كيف تجدك بالمدرسة يا رشيد؟ ارى علائم الابتهاج مرتسمة على جبينك. .

رشيد ـ أجل يا أبت انى مغتبط جداً بدخولى لهذه المدرسة واحمد الله الذى لم يخيب املى ازاءها وكان عند رجائى به فقد الفيت من هذه المدرسة روحاً اسلامية وطنية عالية. وبكل اعجاب يسرنى ان اعرض لسيدى الوالد ان اول درس تلقيته بين جدرانها اليوم كان فى تاريخ الاسلام المجيد. وأيم الحق انه لدرس جد مفيد ولقد برع استاذنا الاختصاصى «حسن افندى» فى تخطيط خريطة الادوار الأولى لنشأة الاسلام بصورة فائقة حركت فينا نحن الطلاب عرق العروبة الخامد وذكرتنا بالمجد التالد. والخلاصة يا مولاى انى لمسرور الى النهاية بالتحاقى بهذه المدرسة لذلك آمل ان تكون لى الخطوة الثانية الى قمة التعليم العالى فالتخصص باحسن اسلوب واقوم طريق. وما ذلك على الله بعزيز.

الاب سليم ـ اعلم يا بنى (وفقت لجادة الرشاد ونكبت عن مَهْيَع(٢٥) الفساد): انى حين رُزِقْتُكُما كنت آليت على نفسى اذ ذاك ان لا احملكما ما تكرهان بناء عليه منحتكما الحرية المدرسية منذ قطعتما شوط التعليم التحضيرى فانت سلكت هذا السبيل الذى يميل اليه قلبى. فانا عليك لذلك جد راض. بل وطالما دعوت الله لك بالفلاح. اما شقيقك فريد فدخل من الباب الآخر وانا عملا بالعهد الآنف الذكر انفذت له ما أراد. على انى ـ بسبب ما بدر(٢٦) منه ـ على وجل من امره. . وارجو البارى ان يكون عند حسن ظنى به وعلى كل فأنتما شقيقان توأمان: والرشيد العبقرى منكما هو الذى سيكون خليفتى ويحوز الحسنيين.

رشيد ـ قبل كل شيىء أدعو الله لك يا أبت بطول العمر ونيل الرجاء وبالتالى أرجو لنفسى ولأخى فريد ان نكون

كلانا عند مُناك بنا كما ربيتنا صغاراً وكنت لنا خير الوالدين معاملة واشدهم بنا رأفة ورحمة . . وأنى لاشكر البارى إذ منّ علي بتوفيقى لسلوك المنهج الذى يروق لك يا سيدى الوالد .

الاب سليم ـ ان افتراقكما يا ابنى فى منهجى التثقيف هو بمثابة مسابقة معنوية بينكما وسنرى ما يكون .

ويصمت الشيخ فيقوم رشيد ويلثم انامله ثم يرقى الى غرفته فيطالع بها جملة من الدروس الماضية والآتية .

حتى اذا اقبل الليل يخرج الى ذلك البستان البديع المحيط بالقصر فيكرر به دروسه مرة ثانية على ضوء ذلك المصباح «الكهربائى» المنير فاذا أحس بسنة من النوم تسرى الى أجفانه يعود الى الغرفة فينام على سريره هادئاً مطمئناً الى ان ينادى المؤذن بالفجر فيثب من علا(٢٧)فراشه . ويتوضأ على عادته وينزل فيصاحب أباه الى المسجد ثم بعد اداء الصلاة يعودان فيتناولان طعام الفطور معاً . ويبكر هو الى المدرسة فيمضى وقت دوامها فى الحفظ والمذاكرة وتلقى الدروس والتكرار.

على هذا درج منذ اول يوم حتى أخريات السنة النهائية للدراسة وهناك تراه وقد اتخذ من السهر المتواصل مسامراً ومن الجد المستمر أليفاً ملازماً .

فقلما يُرى منفصلا عنهما الا فى تلك الساعة : ساعة الأصيل(٢٨) التى اعتاد ان يتروض فيها بضواحى المدينة الجميلة وفى خمائلها الانيقة(٢٩) مشياً على الاقدام . . ابقاء على بقية قواه الجسمانية التى كاد ان يخنى(٣٠) عليها ادمانه المطالعة بالصفة المذكورة ثم استجماماً لفكره الذى طالما يكدسه(٣١) بعويصات المسائل الحسابية والجغرافية والتاريخية والهندسية الخ . . الخ . .

وما فتىء على ذلك المنوال حتى يوم اعلان الفحص الختامى وهناك ترى «رشيداً» وقد ارتدى بالمرة (مسوح) الاعتزال عن الناس . فكأنه ذلك «الصوفى» المتبتل السائر فى دور الفناء حتى اذا لم يبق الا يومان اثنان لافتتاح ذلك المعرض العظيم : رفّه على نفسه نوعاً ما استعادة لنشاطه واستعداداً لخوض معمعة الامتحان النهائى وقامت هيجاؤه على ساق وقدم فخاضها (رشيد) بكل ثبات واقدام . ولم ينجل الغبار الا وهو فى طليعة الفائزين غير مزاحم .

أما «فريد» فقد قدمنا لك ما كان من انتظامه بالمدرسة الاجنبية واتينا لك بالمحاورات الحادة التى جرت بينه وبين شقيقه هذا «رشيد» من اجلها ولسببها .

واليك خطته بعد ذلك :

انه نسى او تناسى الحرارة الوطنية والدينية معاً بعد بضعة شهور مرت على دخوله هاته المدرسة الابتدائية .

والسبب الوحيد فى هذا الشذوذ المشئوم ما كان يُحشى فكره دواماً من الطعن والايقاع بصميم ذينك كليهما باساليب مكريّة تتسرب الى اذهان امثاله من دون استئذان .

فكان دأبه انه كلما عاد من المدرسة فاجتمع بافراد أسرته ينوه لهم عما تلقاه بها من اشياء فى هذا القبيل متفاخراً بالتشدّق بها .

وكان كثيراً ما يفيقه والده لصلاة الفجر مثلا فيقوم وكله تأفف وضجر قائلا فى نفسه جزى الله عنى تلك المدرسة خير الجزاء فانى لا اجدنى مستريحاً من هذه التكاليف المرهقة ـ الا اذا كنت بين جدرانها . ولكن لأعتبر هذه الحركات التى سأوديها : (قياماً وقعوداً ، ركوعاً وسجوداً) ـ تكملة للألعاب الرياضية التى كنت قمت بها امس فى المدرسة .

فيقوم ويأتى باعمال الصلاة تفكيكا لتخدّر أعصابه واجراء لدمه الذى قد اعتراه فتور بسبب ما كان فيه من النوم طول الليل . .

ما برح «فريد» فى مدرسته سائرا فى سلوكه هذا مشمولا لاجله بعين الرضا من المدير الذى كثيراً ما يسوغ له ما كان يقع منه من تقصير . حتى حان وقت الفحص الختامى . فاختبر بصفة استثنائية فكانت النتيجة المقررة ان اكتسب الدرجة الاولى فى النجاح .

٦ ـ التوأمان فى الدراسة الثانوية

ها هما التوأمان بعد ان قطعا مرحلتى التعليم التحضيرى فالابتدائى : قد استقبلا الآن المرحلة الثالثة الا وهى مرحلة الدراسة الثانوية .

وبالطبع فانت على علم ان لكل منهما نزعة مدرسية غير ما للآخر . اما «فريد» فقد اختار الانضمام الى المدرسة الاجنبية التى يقوم بشئون ادارتها احد الاجانب المستعمرين أيضاً . وفى اليوم التالى ذهب به والده الشيخ الى مديرها المشار اليه . واذ أبدى له أن غرضه قيد ابنه هذا الحاضر معه فى عداد طلاب مدرسته : التفت اليه وخاطبه فى شيىء من الجفاء الاوروبى قائلا :

بأية مدرسة ابتدائية تخرج ابنك هذا؟ فاننا لا نعتبر غير شهادات المعاهد الغير الوطنية . . فان كان من خريجيها فنحن نقبله بعد التحقيق من ذلك والا فنحن معذورون فى رفضه .

فريد فى قلق واضطراب ـ اجل يا جناب المدير ان الداعى من خريجى المدرسة الابتدائية الامريكية ونجاحى وحسن سلوكى محققان ومسجلان لديها بموجب هذه الشهادة التى اتشرف بتقديمها الى جنابكم : (ويناوله الشهادة) .

فيتناول المدير منه الشهادة ويتحول الى المسرة (التلفون) ـ آلو . . آلو . . اعطنى جناب مدير المدرسة الابتدائية الامريكية . (وتمضى برهة يحضر فيها المدير المطلوب على التلفون) فيخاطبه المدير :
ـ بونجور يا مسيو: أصحيح أن من بين خريجى مدرستكم لهذا العام فتى يدعى فريداً؟
ـ اجل : ان المذكور من متخرجى مدرستنا وهو حسن السيرة للغاية حر الضمير مهذب الفكر . هل وافاكم لقيده لديكم؟ فان يك ذلك فهو اهل للقبول والاحتفاء .

وبانتهاء هذه المحاورة التلفونية يعود المدير فيطالع الشهادة وغب لحظة يلتفت الى ابى الطالب متشقق الجبين عن ابتسامة خفيفة لا تخلو من الجفاء ويقول له :

ـ بناء على هذه الشهادة وعلى هذه المحاورة قد قبلنا ابنك طالباً بمدرستنا على ان تهب له حريته فلا تضايقه فى اى شيىء فنحن فيها بعد المسئولون عن امر تهذيبه وتربيته وارشاده ما دام تلميذاً بين ايدينا . فان قبلت بهذا فادفع نفقاته المدرسية وهى سنوياً سبعون جنيها انكليزية .

(يضع الشيخ سليم هذا المبلغ امام المدير) وحينئذ يأمر بتسجيل فريد . ويعلنه بيوم الحضور .

واما «رشيد» فقد رغب فى الانضمام لتلك المدرسة الثانوية الوطنية التى يدير شئونها احد اولئك الوطنيين الافذاذ الناهلين من العلم بسجل عظيم مع اخلاص جم وتفان مقدس فى سبيل الدين والوطنية وما اليهما من المبادىء

القويمة.

وسرعان ما اسرع به والده الى حضرته وبعد اطلاعه على الشهادة التى يحملها رشيد من المدرسة الابتدائية الوطنية أذن بقيده فى سلك التلامذة.

اما النفقات الدراسية فهى ترجح(٣٢) الأولى بمبلغ زهيد لا يكاد يذكر. سلم الوالد اول قسط من النفقات. فاخبره المدير باليوم الذى يحضر فيه ابنه النجيب رشيد الى المدرسة لابتدائه فى الدراسة.

وفى اليوم الموعود بكَّر «رشيد» الى المدرسة وغب اجراء الترتيبات اللازمة دخلت كل فرقة الى صفها وكان صاحبنا «رشيد» مبتدئاً بالصف الاول.

وما هى الا هنيهة حتى جاءهم الاستاذ الاديب «فريد بك» فوقفوا لأداء التحية والاحترام ووقف بينهم منشرح الخاطر والجبين ليلقى عليهم درساً فى تاريخ الأدب العربى بموجب البرنامج الموضوع. فاجاد وافاد ومما قال فى هذا الصدد.

- قبل كل شىء انبهكم يا ابنائى النجباء الى أن ثروة لغتكم العربية فى كلماتها ورقتها فى الفاظها وانسجامها(٣٣) فى تعابيرها واقتدارها المعجز على التعبير عن العواطف وخلجات النفوس بجمل متناسبة المقاطيع والاجزاء تفوق ريشة الرسام الماهر فى التمثيل والتصوير - كل ذلك مما سما بالادب العربى الى الذروة العليا خصوصاً فى عصر نهضته الكبرى الغابرة التى من ينبوعها المعين استمدت - ولا فخر - جميع الآداب الغربية فتوتها ونشاطها. وما عصركم هذا الذى تعيشون فيه إلا نشر لدفينها القيم ونبث(٣٤) لمكنوزها الثمين بعد ان مضت عليه قرون يعلوه القتام(٣٥) فثابروا على احياء مواتها واجتهدوا فى استعادة مركزها الاسمى فبكم تعقد الآمال.

وما انفك يمر بهم على بحث خصيب من هذا النوع حتى انتهت حصته فاعلنهم بالانصراف.

ثم مازال يتعاقب امثاله من كفاة المعلمين على هؤلاء الطلاب واحداً يتلوه آخر حتى تم الدوام فانصرف كل طالب الى داره، وبالمثل صاحبنا «رشيد».

واتفق ان «فريداً» كان فى ساعة قدوم اخيه «رشيد» جالسا الى الوالد يتحادثان فى الاوضاع التعليمية وما الى ذلك فلم يستقر برشيد المجلس حتى انهالت عليه الاستفهامات من كلا الوالد والأخ وكان فى مقدمتها السؤال عما قرأه من الدروس فى ذلك اليوم. فصار يسرد لهما دروسه اليومية واحداً بعد واحد حتى أتى على آخرها الذى هو فى فن «الحكمة والكيمياء» والذى جاء فيه: «ان جابر بن حيان الكوفى العربى الكبير هو المؤسس لعلم (الكيمياء) الحالية وانه اخرج الى العالم علماً هو اساس المدنية الاوربية وانه واضع علم (الجبر) ايضا وان ابا بكر محمد الرازى جالينوس العرب الكبير» هو مكتشف حامض الكبريت وكبريتات الحديد والجراثيم التى هى اسس الطب الغربى الحديث. . الخ. . الخ. (٣٦) فما كاد يطرق هذا النبأ مسامع فريد حتى اشمأز وانتفخت اوداجه وقال فى حماسة وتهور:

عجبا هذا الانتحال المفترى هو كل ما تدرسون وكل ما به تتباهون كذبا وميناً. من أين لأسلافكم بهذه المخترعات والمكتشفات وهم على ما درسنا أمة حاكية فقط وملة نقلية لا عقلية ولا مادية؟. . الحق غير ما تلوت يا رشيد فهذه الامور كلها غربية المنبت والمنشأ بدون تردد ولا توهيم. انما علينا اقتباسها منهم مع عزوها اليهم وتمجيدهم ازاء ما افادوا به الانسانية المطلقة من غير تمييز ولا أثرة ولا انانية.

رشيد فى امتعاض وتأثر - لا بأس عليك وانا غير عاتب عليك فهذا مبلغك من العلم وليس جاهل شىء مثل من علمه والتاريخ يغنينى عن اسقاط كلامك الفطير فى مهاوى التزييف. وأرى لك ان تتدبر مغزى هذه الأبيات نابذاً

عنك هراء السخافات فانما انت مثلي شرقي محض:

ان يفخر العربي بالعظماء
من قومه وبنهضة شماء(٣٧)
فالشرق أس بناء نهضته التي
يسطو بعزتها على الغبراء
هلا تذكر يوم كان بجهله
متخبطاً كتخبط العشواء
بنيا صروح النهضة العلياء
في الشرق تنطح قبة الزرقاء

وهنا ارتسمت على جبين الوالد الشيخ سليم بارقة جذل شفَّت عن مبلغ استحسانه العظيم لرد ابنه رشيد وقال:

ـ زادك الله علما وحلما يا ابني يا رشيداً كاسمه

فانعكس هذا الاعجاب نار غيرة حامية في فؤاد «فريد» ونهض في غاية الاستياء ونهاية الكدر والانقباض حتى إذا أظلم الليل ذهب الى احدى غرف القصر فارتمى فيها وما زال يغط في النوم المنكود حتى انفلق الافق عن قرص «ذكاء»(٣٨).

انتبه فريد اذ ذاك فقام وغسل وجهه وكفيه بصابون خاص به وتناول الفطور وجلس خالي البال. . فلما رآه اخوه رشيد على تلك الحال نبهه الى ان هذا اليوم هو اليوم الذي تفتح فيه مدرسته فما باله لا يتهيأ للغدو اليها؟ أنسياناً أم تناسياً؟.

لم يفطن لذلك حتى وثب فارتدى بذلته التي هي من آخر (مودة) وهبط راكضاً الى المدرسة فوجد زمرة من الطلاب يعزفون بنشيد افرنسي لا يخلو في الجملة من دعاية استعمارية. . واذا فرغوا منه اودع كل فريق منهم الى الصف المقرر باسمه وفي الاول فريد.

ومرت دقائق فقدم اليهم المعلم (الاجنبي) المستشرق متبرنطاً فقاموا له اجلالا واحتراماً. . ووقف هو حيث يملي عليهم درسا في علم الصحة. استهله بالعبارة التالية:

ـ أقف امامكم الساعة ايها الطلاب لالقي عليكم درساً في علم الصحة واقول لكم قبل كل شيء ان الشرق مدين للغرب ازاء نشره مبادىء هذا الفن الجليل في ربوعه بعد ان كان لا يدري منه الا الاسم ولا يعرف منه غير الرسم ولكي توقنوا ذلك يجب ان تطالعوا مؤلفات الغربيين الناطقة بالحق والدامغة بالحجج التي لا يمكن ان تقارع ولا ان تدافع وحينئذ لا غرو انكم تلهجون بذكرانا وتقدرون مدنيتنا حق قدرها حيث انها اسدت الى الانسانية جمعاء خيراً عظيماً ونفعاً عمياً من غير التفات الى ائتلاف الديانات ولا الاجناس.

احد التلامذة مستشكلا ومستوضحاً ـ قد قرأت في كثير من كتب التاريخ حتى الغربي خلاف ما تقرره لنا يا حضرة الاستاذ واذكر الآن ان من الآثار المتواترة منذ زمن اسلافنا

الاولين: النظافة من الايمان وهناك حديث مروى عن نبينا ﴿ﷺ﴾ فى ذلك الاعرابى الذى حضر لصلاة الجمعة وثيابه متسخة فقال (عليه الصلاة والسلام): «الا يجد هذا ما يغسل به ثوبه» وهناك تنويه عظيم عن مزايا حفظ الصحة اذ بها تكمل العبادة مما هو مدون فى أسفار اسلافنا فالرجاء من حضرة الاستاذ أن يحل لى هذا الاشكال بلطيف حكمته ودقيق معرفته.

المعلم ممتقع اللون مغتاظاً ـ قُبِّحت من طالب غبيٍّ جهول أتعارضنى يا وقح بينما انا اجهد فكرى واكرس ذهنى لافادتكم بمبادىء هذا الفن المقررة بانياً لكم بحثى على اصول العلم الحقة التى لا يختلف فيها اثنان. تباً لك يا جهول (وينادى المراقب فى اهتياج وتحمس) ـ يا مراقب. اخرج عنى هذا الخبيث واودعه غرفة «الايقاف» لتجاوزه حدود الادب وتعديه على برنامج المدرسة الواجب الاتباع ولكيلا يعود الى امثال هذه المعارضة العمياء الشاذة ابد الدهر..

فريد ملتفتا الى المعلم فى حياء وتواضع ـ فى الحقيقة ان مثله يستحق الطرد من المدرسة اسبوعاً كاملاً ليتربى كما يجب ولئلا يحرمنا من اقتطاف ثمرات عملك الناضر يا حضرة استاذنا المحبوب.

بعض التلامذة متحمساً ـ الواقع ان هذه اسئلة وجيهة لا اعتراضات شاذة اوردها زميلنا على حضرة المعلم بقصد الاستيضاح والاسترشاد ولكن ربما خانه الاسلوب بعض الشىء فالامل من حضرة الاستاذ ان يشمله بواسع عفوه ويجيب بما يبرد غلته ويقنعنا معه.

فيحدق اليه المعلم تحديقة المغضب الحاقد ويعود الى املاء الدرس فاذا فرغ منه تولى عنهم ثم يجيىء خلفه وهو بالطبع من شكله.. وهكذا حتى يتم وقت الدوام اليومى فيؤذن للطلاب عموماً بالانصراف. ما عدا ذلك المسكين سجين (الصراحة) و(البحث عن الحقيقة).

من دأب هؤلاء «الغربيين» انهم ـ بالرغم من تشدقاتهم الزائفة ـ اذا سد عليهم باب الحق وأوذنو بالغلب فبدلا من ان يقرعوا الحجة باختها ثم يرضخوا للحقيقة الراهنة ـ انهم بدلا من كل ذلك يلجؤون الى القوة ويصوغون منها حقائق مسلحة.. ولا عليهم من هذا التهافت فعندهم ان «القوة تخلق الحق».. وهذا عين صنيع المعلم الأجنبى المستبد المغرور مع ذلك الطالب المستفهم البصير.

بقى التلميذ المشار اليه سجيناً بتلك الغرفة المظلمة الكئيبة طيلة ساعات عدة كأنما اتى بجناية سياسية واشترك فى مظاهرة استقلالية نادباً حظه المنكود الذى ساقه الى هذه المدرسة التى هى فى الحقيقة «مذئبة» مشيدة الجدران لصيد الضمائر والفتك بالحقائق ـ حتى قبيل ساعة الطفل(٣٩) واذ ذاك صدر الاذن الى (البواب) بالعودة الى المدرسة واطلاق سراح الفتى المسجون ولكن بعد تهديده باللازم فصدع هذا بالأمر وانطلق من توه الى المدرسة ففتح عن الطالب وانذره بموجب التعليمات التى تلقاها بشأنه.

اما هو فانه لم يكد يعلم بخروجه من البوابة الكبيرة حتى عاهد الله انه لن يعود الى هذه

المجزرة العلمية مادام على قيد الحياة.

واستبطأه والده لهذه المرة فذهب يعدو فى الشوارع والازقة والاسواق باحثاً عنه فى كل مكان بعدما اعطى الاشارات اللازمة عن فقدانه لدائرة الشرطة وسائر مراكز الأمن فى البلدة.

وصادف انه بينما كان ماراً من الحى الذى فيه المدرسة لمحه ابنه فهرول اليه ولم يكد يدانه حتى ارتمى على احضانه باكياً مستغيثا وقص له ما كان من امره مع الاستاذ الأجنبى. وختاماً رجاه بكل تلهف ان ينشله من هذه الهوة السامة ويدخله فى المدرسة الثانوية الوطنية التى هى جد ناصحة ومخلصة وراقية (هى التى فيها رشيد) فسمح له بذلك. واسترد النفقات وتم انضمام ابنه هذا الملحوظ بعين السعادة الى المدرسة المومأ اليها فكان من العبقريين النابغين.

استمر «فريد» فى الدراسة على الاسلوب الذى يناسب افكار المدير الأجنبى وسائر المعلمين متخذاً من رشاوى التحف والدعوات الدورية سلماً موصلاً لنجاحه. فما كاد العام الختامى للدراسة يتم حتى تقدم صاحبنا الى ميدان الاختبار بقلب هادىء وفكر مطمئن بالفوز فكان لذلك من الفائزين.

اما اخوه «رشيد» فانه لم يفتأ يجد فى دروسه بمدرسته تلك الوطنية بكيفية عطفت اليه انظار سائر الاساتذة متنقلا من صف الى اعلى ومن سنة الى أرقى حتى دنت ايام الفحص النهائى فتقدم اليه بكل اقدام فكان فى مقدمة الناجحين بحق والسابقين بصدق.

ها هما الطالبان التوأمان قد استحصل كل منهما شهادة (البكالوريا) من كلتا مدرستيهما وها نحن سنرى ما يكون من امر كل منهما بعد الآن:

٧ ـ رشيد ينتظم فى سلك المدرسة العالية الوطنية

تقدم «رشيد» الى عميد(٤٠) هذه المدرسة العالية الوطنية: «الدكتور عبد الله شاكر بك» ـ بشهادته التى حازها من الثانوية وطلب من حضرته ان يقبله طالباً لديه فبعد اطلاع العميد على الشهادة المشار اليها اجاب بالايجاب فى فرح واغتباط وعين له موعد الحضور.

ففى الوقت المحدود تأهب رشيد بما يلزم واسرع فى نشاط الى المدرسة وبعد ان اجريت الترتيبات النظامية توزع الطلاب على الصفوف وكان صاحبنا «رشيد» فى الصف الاول وغب هنيهة دخل اليهم الاستاذ الاجتماعى الكبير «السيد محمد منير». ثم ابتدأ فى املاء الدرس عليهم فكان فى علم الاقتصاد واستهله بشرح اسباب سقوط الشرق عامة والعالم الاسلامى خاصة والعربى بالاخص من الناحية الاقتصادية باسلوب طلىٍّ جذاب خال عن التكلف والتعقيد والتمويه والتضليل ومما القاه فى هذا الصدد:

ـ ايقنوا يا ابنائى النجباء ان لسقوط بلادكم هذه اسباباً شتى اقتصادية وغير اقتصادية والذى يهمنى تنبيهكم اليه الساعة: الوجهة الاولى:

افيدكم ان من افدح ما نكبتم به فى العُصُر الاخيرة عدم الاهتمام بالمسائل الاقتصادية التى عليها عمدة الحياة للأمم والشعوب خصوصاً فى هذا العصر الكهربائى القاسى الذى يبتهج فيه القوىّ بقتل الضعيف ليتخذ من رفاته(٤١) مادة يزداد بها قوة وعتوا واستكباراً وعلواً فى الارض.. الخ.. الخ.

فلما اذن بانتهاء مقرره خرج من عندهم والقلوب ممغطسة بحسن القائه واجادة بيانه.

وتوالت الدروس تعقبها الفسح حتى انتهى الدوام فعاد كل الى منزله واذ قرب «رشيد» من القصر ادهشه مالاحظه من وقوف والده امام البوابة الكبيرة على خلاف عادته كأنما هو فى انتظار قادم ولم يكد يصل اليه حتى ضمه الى صدره وقال له فى حنو الأب الرؤم:

ـ قواك الله يا ولدى فقد بلغنى من حضرة العميد الساعة حسن سلوكك واجتهادك بارك الله فيك.

لم يزل «رشيد» مكباً على الدراسة بكل جد وتفان مراعياً لنظام المدرسة بكل دقة حائزاً لذلك درجة «الامتياز» فى عموم الامتحانات الخصوصية والعمومية حتى اكمل التحصيل العالى بحق فصار يشار اليه بالبنان من بين سائر الاقران.

ولما لشخصيته البارزة من منزلة عالية فى نفوس زملائه: اقاموا له حفلة تكريم حافلة القيت فيها غرر القصائد تنويها بنبوغه ورتلت بها درر الخطب اعترافاً بميزته.

ولتفوقه العظيم عينته ادارة هذه المدرسة العالية التى تخرج منها اخيراً: معلماً اول فيها بمرتب مناسب لوظيفته.

فظل ينثر على الطلبة ما تحويه كنانته من نفائس المعارف ولطائف العلوم بذلك الاسلوب الشهى المفيد. فما هى الا بضعة اعوام حتى تخرج على يديه خلق كثير من ناشئة الوطن الذين قاموا فيما بعد بشتى الاعمال العلمية والادارية فى كفاءة واقتدار.

٨ ـ رشيد يتقدم طالباً بكلية الحقوق

لم يكن الشاب النابغ بله الاستاذ العبقرى الصادىء الى موارد العلم المنيفة: «رشيد افندى» ليقنع بالبقاء والرسوب فى هذه المهنة: مهنة التعليم وهى على ما تعلم ضيقة الارجاء محدودة الجوانب فمنذ السنة الثالثة لممارسته هاته المهنة داخلته سآمة من جانبها سببها مالاحظه من انه ان اخلد اليها خلود المستكين المستديم فستبقى آماله الراقية مسجونة مكبلة فى عالم الامانى.. لذلك فكر فى عاقبة امره طويلا فكانت نتيجة ذلك التفكير العميق ان صمم على مغادرة هذه الدائرة المحدودة لينطلق الى ما لعله يكون كافلا بتحصيل مستقبل ارقى وذلك بالالتحاق بكلية الحقوق الوطنية التى يعلم انه اذا تخرج منها ينفتح امامه باب واسع من العمل الحر والسعى المفيد المثمر.

ولكنه وهو العالم بالأثر السيىء الذى يخلقه خروجه هذا فى قلب العميد العطوف فكر ملياً ايضاً فى التدابير اللازمة لاسترضائه من دون انزعاج ولا تكدير. وإذ تم له ما اراد اعترضته عقبة اخرى وهى اقناع ابيه بالفوائد الجلى التى سيجنيها من فعلته هاته ثم استصدار موافقته فمساعدته.

وكانت ليلة مقمرة زاهرة سرى النسيم فيها عليلا الى اغصان الحديقة الملتفة الانيقة المحتفة بالقصر البديع فأثار النسيم منها حفيفا موسيقياً جذاباً واتفق ان الوالد الشيخ سليماً عاد فى تلك الساعة من صلاة العشاء فآنس آثار ذلك الجمال الطبيعى الاخاذ فمال الى كراسى مصفوفة بوسط تلك الحديقة الغناء واتكأ على احداها مستنشقاً عبير الازهار الفاتح متمتعاً بمنظرها الجميل وصادف ان لاحظه رشيد فى تلك الحال فخف اليه قائلا فى نفسه لعلها الفرصة سنحت وبادر بلثم انامله ثم جلس بالكرسى الذى على يمينه فى صمت وتواضع فكانت من الوالد نحوه ملاطفات جمة شجعته على عرض طلبته باسلوبه اللطيف الساحر:

رشيد يخاطب والده مستعطفاً ـ اطال الله عمر سيدى الوالد فى سعادة وبعد فهل يأذن لى مولاى بعرض امنية فريدة طالما حاكت فى صدرى عدة أشهر.

الوالد ـ قل يا بنى ما تشاء : لازلت موفقاً باراً.

رشيد ـ انى بفضل الله ثم بحسن عطف الوالد وعنايته قد كنت اكملت التحصيل التحضيرى فالابتدائى فالثانوى فالعالى وقد استحصلت على شهادات الجميع من اعلى الدرجات كما فى كريم علمكم ولقد كان ان انتخبنى حضرة عميد التالية فضلا منه وحسن ظن بى (معلما اول) فيها ولكنى مع ذلك لا ازال أرانى فى تضجر من المكث على هذا الحال ذلك لما ادركه من نقص معلوماتى وفى وسعكم يا مولاى اكمال نقصى وسد خللى.

الوالد بكل حنو ـ لتبد ما فى ضميرك يا ولدى بكل صراحة (بارك الله فيك) فما انا من المتكلفين.

رشيد ـ نعم يا ابت : الذى اعرضه على مسامعكم الكريمة رغبتى الوحيدة فى الانتظام بكلية الحقوق الوطنية الاسلامية لأحوز درجة التخصص فى هذا الفن الباهر الذى أصبح وعليه المعول فى تصريف الشئون البشرية الكلية والجزئية.

الوالد ـ هذا كل ما تروم : اهنأ فانى جِدُّ موافق : وما عليك الا الاستعداد وعلي هاطل الامداد.

وفى صباح تلك الليلة يتهيأ «رشيد» لدخول الكلية فيمضى الى عميدها واذ يعرض عليه غرضه يقابله بكل بشاشة وحفاوة ويأمر فيقدم الى هذا الزائر الكريم «اكواب» القهوة العربية حفاوة به وترحيبا فما يعود الصباح الا وقد تم دخوله الى الكلية المذكورة وها هو قد اصبح من جملة طلابها بالفعل بعد ان كان بالامس القريب «معلما اولا» بالمدرسة العالية و«استاذا» من خيرة الاساتذة.

وكان رشيد فى حالته الدراسية على ما تعهد من اجتهاد ونشاط وما برح على تلك الخطة الناجحة يترقى فى معارج الكمال حتى ازف(٤٢) الفحص الختامى فاقتحمه بكل بسالة ونشاط واخيراً خرج من مضماره حائزاً قصب السبق والفلاح.

اقام الوالد له بمناسبة تخصصه وحوزه رتبة (الدكتوراه فى الحقوق) حفلة شائقة جاءت فى نظام بديع وترتيب بهيج.

وبعد عدة ايام اعلن «الدكتور رشيد» على صفحات الجرائد السيارة بانه سيمتهن «المحاماة» نصرة للحق على الباطل وللضعفاء على الاقوياء ونشلا للابرياء من سجون التهم الباطلة الخرقاء.

ولما هو مشهور به من حسن السيرة والعدالة مع المقدرة الفائقة انهالت على «مكتبه» بالشارع الجديد «رزم» الوكالات كبراها وصغراها فكان قديراً فى كلا هجومه ودفاعه ازاء الحق بما طالما هز نياط قلوب القضاة واجبرهم على الحكم له والرضوخ لما يقرر:

٩ ـ رشيد يتقلب فى المناصب العالية

ظل «الدكتور رشيد» محامياً بارعاً محبوباً مشكوراً ومازال اسمه وصيته يكبران فى القلوب وتتسع دائرة تمجيدهما واطرائهما فى الالسنة والاسماع الى ابد بعيد.

لذلك كثيراً ما تناقلت الاندية العامة والخاصة اشاعات واقتراحات بترشيحه لعدة مناصب عليا ليفيد الامة من واسع خبرته وجليل مقدرته بما هى فى حاجة شديدة اليه.

واتفق ان جدد انتخاب اعضاء مجلس ادارة تلك المدينة فانتخب المحامى العبقرى «الدكتور رشيد بك» بالاغلبية الساحقة ـ عضواً فخرياً فى المجلس.

ولم يمكث بهذه العضوية عاماً كاملا حتى طار ذكره فى ارجاء الولاية بسبب ما يبديه من قيِّم الملاحظات الاصلاحية وما يعرضه من اقتراحات بشأن ترقية المشاريع العمرانية والاقتصادية فى المدينة الكبرى.

لذلك سرعان ما رشح عضواً فى مجلس «النواب الكبير» فانتخب بالاكثرية العظمى «نائباً محترماً» فيه عن اهالى تلك المنطقة باسرها فصار عمادها الركين ولسان حال مهامها المبين.

لبث فى هذا المنصب الكبير ثلاث سنوات متواليات وفى الرابعة صدر «مرسوم ملكى» عال بناء على ترشيح الامة على لسان حالها «الجرائد الوطنية المخلصة» بترقيته الى منصة «رئاسة» ذلك المجلس الخطير نفسه.

وعلى الأثر انعم عليه «برتبة باشا» الفخمة بمرسوم ملكى آخر.

وهكذا اصبح التلميذ «رشيد» بفضل جده واعتدال مسلكه واخلاصه لوطنه وتفانيه فى تقديسه ـ رئيسا لأمته بارادتها نفسها.

ومن بعد ان كان يدعى بـ «رشيد» مجرد اسمه عن ألقاب التعظيم كسائر التلاميذ صار الآن لا ينطق باسمه الكريم الا مقرونا بلقب «باشا» الافخم.

١٠ ـ التحاق فريد بالمدرسة العالية الاجنبية

لقد مر بك ان «فريداً» حاز «البكالوريا» من مدرسته الثانوية الاجنبية والآن سنأتى لك بصنيعه بعدئذ:

انه حسب مبدئه الدراسى قد ازمع اللحاق بمدرسة عالية من طرازالثانوية المذكورة واذ وافق والده على رأيه هذا انطلق مهرولا الى مديرها الاجنبى هو الآخر حاملا بيده الشهادة الاخيرة فكان من هذا ان احتفى به لانه عمل «فى نظره صالح» ثم قيد اسمه فى الطلاب الجدد بدون ادنى تردد غير ان نفقات الدراسة بهذه المدرسة باهظة بالنسبة لما تقدم. فهى سنوياً ستون ليرة.

وفى بكرة اليوم الموعود نهض من النوم فى نشاط وما هى الا لحظات يسيرة حتى ارتدى ملابسه وهبط مُيِّمما(٤٣) شطر المدرسة. واذ دخلها لاحظه المدير الذى لما تحقق ان القادم هو الطالب «فريد» دعاه فى تلطف واكرام ثم قال له:

لتحيى ايها الطالب النجيب الفريد فلقد تأكدنا نبوغك وتفوقك الباهر فى جميع حلقات الدراسة التى تجاوزتها بالمدارس الراقية من تحضيريتها الى ثانويتها والذى نرجوه ان تتحقق فيك آمالنا وتصدق فيك فراستنا العالية.

لم يصل صدا هذه الملاطفة الأبوية الى مسامع التلامذة المصطفين حتى اتقدت فى قلوبهم شعلة الغيرة متسائلين فيما بينهم من هو هذا الطالب الذى استحق من سعادة المدير كل هذه الملاطفات النادرة اما هو فلا اكتمك انه قد كان يطير على اجنحة السرور ازاء هذا الالتفات السامى الذى هو غاية مناه من دينه ودنياه.

وبعد هنيهة اجرى فيها اللازم بموجب الاصول المدرسية أوعز الى كل فريق بدخول صفه. وكان فريد طبعاً فى الصف الاول منها.

وما استقروا على مقاعدهم حتى وافاهم المعلم «طليق افندى» وابتدأ فى إلقاء درس عليهم كان فى التاريخ البشرى العام. فبينما هو يشرح لهم الادوار الاولى للانسان إذا به يتدرج من هذا البحث الى الايقاع بعرض التاريخ الشرقى عامة فى كل القرون الثلاثة: الاولى والوسطى والحديثة.

واذا اتم درسه ولاهم الادبار . . (والى حيث القت . .) واتى من يليه حسب النظام المقرر وهكذا حتى انتهى زمن الدوام بذلك اليوم .

عاد الطلاب الى ذويهم وصاحبنا «فريد» الى منزله .

هذه المرة لم يباحثه الوالد ولم يستفهمه عن اى شأن من شؤون المدرسة سوى أنه بعد اطراقة طويلة التفت اليه فاوصاه من تلقاء نفسه بالمحافظة على تعاليم الدين الاسلامى الحنيف ليضمن لنفسه كلا جانبى الفلاح الدنيوى والاخروى .

(فأوما فريد برأسه فى اظهار امتعاض وتأثر وقبول) .

ولكن يا ليت شعرى ماذا تغنى تلك الوصية بل ماذا تجدى هذه الايماءة الماكرة وفريد قد رسخ فى ذهنه صحة هذه القضية وثبوت نتيجتها .

(سيدى الوالد شرقى صميم وكل شرقى صميم فهو مخرف وكل مخرف تجب مداهنته مؤقتا ما دام يوجد هناك احتياج اليه) .

ذلك ما طرق فكر فريد فى لحظة نصح ابيه اياه فعمل بمقتضاه وفى الواقع فهذا بعينه هوما يتطرق الى كثير من امثاله فى امثال هذه المواقف الحرجة .

وإذاً فان الوالد «وهو السليم النية» بلا ريب قد اغتر بظاهر حال ابنه فريد ازاء نصحه الوحيد .

انت تدرى ان هذه المدرسة العالية هى من قبيل سالفتيها : الابتدائية والثانوية واذاً فانت مدرك معنا انها (وهى العالية . .) ادرى باساليب الافساد والتضليل والخداع والتمويه .

واذاً فقد وجدت من عقلية فريد مرتعا خصيباً لبذر ما فى جعبتها(٤٤) من سموم فتاكة وجراثيم قتالة .

١١ ـ فريد واغراآت زميله الفتى الفرنسى

كان بالصف الذى فيه صاحبنا «فريد» وعلى مقربة من مقعده فتى من اسرة افرنسية اتخذت من ذلك البلد الوفير الخيرات النضير الجنات ـ وطناً ثانياً اغتناماً لفرصة التنعم بين ظلاله الوارفة وغيوثه المغدقة على ما اعتاده كثير من بؤساء ومنكوبى «الغرب» الذين ينضب ماء المعيشة فى وجوهم ببلادهم فينثالون على الشرق زرافات ووحداناً ليشبعوا سغبهم(٤٥) وأطماعهم منه باسم التمدين والتعمير . .

وكان هذا الفتى الفرنسى مرحاً براق العينين غاثرهما مجداً فى تلقف وحفظ دروسه . ونظراً لبعض تلك الخصال فقد اتخذ منه «فريد» ذلك الصديق الودود .

فصار ديدنهما(٤٦) فى أغلب الاحيان ان يتناوبا فى تناول الطعام .

فمرة يتغديان معاً بقصر ذاك واخرى يتعشيان سواء بالفندق الذى تقيم فيه عائلة هذا .

وعلى توالى الايام استحكمت بينهما عرى الصداقة والمودة أيما استحكام .

فمكثا اليفين لا يكادان يفترقان اللهم الا فى ساعات المنام .

وكان دأب الفتى الفرنسى مع صديقه فريد محاولة اقناعه دائماًبعظمة مدنية الغرب مع الازدراء من طرف خفى بماضى الشرق كافة والعالم الاسلامى العربى خاصة والانذار بتعاسة مستقبلهما معاً .

وكان هذا الانذار وذيانك التبشير والتنفير: عملا باوامر كان يتلقاها من عميد هذه المدرسه العالية الذى يمت(٤٧) اليه بقرابة نسب والذى طالما أغدق(٤٨) عليه وابلا من الانعام مقابل دعايته هاته الطيبة فى نظره الوحيد.

ولم يكد الفتى يشعر بقرب انقضاء امد دراسة خليله فريد حتى جعل نقطة ابحاثه المستمرة معه ـ اغراؤه بالقيام برحلة الى قارة اوروبا عامة وبالاخص عاصمة فرنسا المدهشة «باريس» ام العلم والانس والجمال باريس ام الحضارة والترف والنعمى، باريس «إرم» القصاد، التى لا يوجد الآن مثلها فى البلاد.

ويعزز له هاته الفكرة بقوله فى خداع ودهاء اوروبيين: والذى يجعلنى اعتقد انك ستهنأ وتسعد فى هذه الرحلة الميمونة يا عزيزى ما ابشرك به الساعة من ان لسيدى الوالد بتلك العاصمة الخالدة اصدقاء كثيرين من ذوى الهيئات والشخصيات البارزة ـ نظراً لاننا من سلالة النبلاء الامجاد ـ واذا التمست منه ان يكتب لك اليهم توصيات خاصة فلن يتأبى بتاتاً لما يعلمه من الارتباط الودى الذى بينى وبينك وعلى كل فهذا متوقف على استحسانك واشارتك اولا وبالتالى على موافقة والدك الوقور.

صادف هذا الاقتراح هوى كامنا بين جوانح صاحبنا فريد.

لذلك سرعان ما اجاب صديقه الفرنسي فى كل بشاشة وامتنان:

ـ اجل يا عزيزى الوحيد انى لمستحسن جداً لهذا الاقتراح النزيه الذى ابديته لى كصديق مخلص يهمه سعادة ورفاهة صديقه.

لذلك اقدم اليك شكرى الجزيل مؤملاً ان تقابله بالقبول:

على ان هذا لا يمنعنى (نظراً لقاعدة: اذا ثبتت الالفة سقطت الكلفة) ان اصرح لك بانه (اى الاقتراح» هو شيء كان يدور بخلدى منذ عدة اعوام.

والذى اعلمه من سلامة وعطف قلب ابى سليم نحوى: جعلنى اعتقد من قبل انه لن يقف حجر عثرة فى سبيل اتمام ما ارغب فيه من هذا الشأن ولكن على شريطة ان امهد له الوسائل اللازمة: «وأتوا البيوت من ابوابها» ولا اراها متهيئة الا بعد خروجى من هذه المدرسة ونيل شهادتها العليا: هناك اذا طلبت من الوالد الموافقة على النزوح(٤٩) الى باريس باسم التخصص فلن يمانع.

وهنا ترتسم ابتسامة سرور وشكر على وجه «الفتى الفرنسى» نظرا لما ابداه فريد من حسن الظن به ولحسن ما أبانه من الحيلة للتوصل للغرض المنشود.

وها دور الاختيار النهائى قد قدم ولم يكد ينقضى حتى بشر فريد بالنجاح.

ولما تناول شهادة «الليسانس» اسرع بها نحو أبيه متهللا ضحوكا ليهنئه اولا بفوزه العالى وليؤكد لديه بالثانى علو همته تمهيداً للامر المقصود.

ولم تكد تصل هذه البشرى القيمة الى مسمع الشيخ سليم حتى خفق فؤاده خفقة المأخوذ بالسرور العميق. وقد حاول كتمانها ولكن محاولته ذهبت سدى.

فالفرح والحزن معاً اذا تملكا ناصية الفؤاد فانى لبشرة الجبين وهى الشفافة اللطيفة ان تستطيع حجبهما بل انهما بقوتهما الهائلة سرعان ما يخرقانها فيغشيانها كما يغشى الليل النهار والنهار الليل سواء بسواء.

ومـا يكـاد «فريد» يفطن بهذه الظاهرة التى استولت على مشاعر ابيه حتى ينبرى(٥٠) لعرض رغبته العالية فى التخصص من مهد العلوم مرتجلا شبه خطبة للسماح له بالترحال الى العاصمة: باريس، عاصمة العلم الحديث مبيناً

ما يعود عليه وعلى الوطن من رحلته هذه من فوائد ادبية جلى لا يكاد يأتى على وصفها اللسان حيث ان غرضه الـوحيـد وغـايته القصوى الانتظام بسلك احدى معاهدها العلمية الكبرى لاستحصال «رتبة دكتور» فى الفلسفة والآداب معاً.

ولما تعلم من الشيخ «سليم» من سلامة الضمير وطيبة الخلال قابل طلبة نجله هاته بالايجاب.

وفوق ذلك فقد اكد له انه مستعد فى اى وقت شاء فريد نفسه بتقديم المساعدات المادية والادبية اذا كان منه تصميم وعزم.

١٢ - الابحار الى باريس

وما هى الا ايام حتى تأهب «فريد» للرحلة القصوى على استئذان ورضاء من ابيه فنفحه(٥١) هذا بما يلزم له من نقود واوصاه بأن يطير اليه «برقية» بسرعة حال وصوله محط رحاله «باريس» ليطمئن على سلامة الوصول.

ها هو فريد على الرصيف يعانقه والده الشيخ معانقة الوداع راجياً ان لا يجعله الله آخر عهد به - وموصياً اياه بالمحافظة على السير الحسن حتى لا تخلبه تلك(٥٢) المناظر الفتانة وبالمثابرة على الاجتهاد ليسرع الأوبة عند انجاز المهمة العلمية الخطيرة التى يغترب من اجلها.

ثم ها هى الاسرة المؤلفة من شقيق فريد: رشيد وابن عمه وخاله وصهر ابيه - محتفة به تدعو له بلسان واحد وقلب واحد بالتوفيق وسرعة العودة والسلامة من اهوال هذا البحر الهائج.

اقلعت الباخرة «الايطالية» التى اقلت(٥٣) فريداً عن «المرفأ» وسارت الى الامام شاقة عباب(٥٤) اليم(٥٥) الخضم(٥٦) ماخرة(٥٧) امواجه المزبدة الهائلة فى تجاهل واطمئنان: تحمل فريداً وغير فريد والابصار حائمة وراءها عطفاً واشفاقاً حتى غابت عن الانظار تماماً.

ثم ما هى الا ايام معدودة واذا بموزع البرقيات يقدم لسليم «تلغرافاً» من ابنه فريد يبشره فيه بوصوله الى باريس فى صحة وسلامة وفق ما يتمنى.

وبعد بضعة ايام اخرى توافى الوالد منه «برقية اخرى» يخبره فيها بانه قد تم انتظامه بسلك احدى الجامعات العلمية العظيمة بباريس نفسها. ويلفت نظره الثاقب الى ان نفقاته الدراسية للثلاث السنوات التى يقضيها هناك لنيل رتبة «الدكتوراه» يجب ان تكون ضخمة.. ليظهر امام المنتمين الى الجامعة بالمظهر المناسب حتى يزداد الاعتناء بشأنه من قبل الاساتذة والعميد.

دعا الشيخ ابنه «رشيداً» فاطلعه على هذه البرقية.. فما كان من هذا الا ان طفح وجهه بالبشر والسرور.. ولكنه سرعان ما اكتسى بعارض من التأثر ثم قال:

- احسن اخى فريد فيما اشار اليه من جهة ضخامة نفقاته فهو هناك كما لا يخفى على انظاركم السديدة يا مولاى فى ارفه عواصم اوروبا وافخمها فأحر به ان تمثل نفقاته نفقات اقرانه هناك:

غير أنى يا سيدى الوالد يسؤنى ان الوح لك بما تفرسته من نيات ومقاصد فريد التى لا تتفق مع المظهر الذى تظاهر به فى رحلته هاته والمستقبل كشاف وغاية ما اقول:

- كفاه الله شر مزالق الحرية المشئومة الضاربة اطنابها بتلك القارة النازحة(٥٨).

وساد صمت بضع دقائق نطق الشيخ إثرها بهذه الجملة فى صوت خافت متهدج :
ـ وانا ايضاً أتفرس . . ولكن . . وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعلى كل فانا ما ساعدته على انفاذ امانيه الا رغبة فى الوفاء بسابق عهدى .
هذا ما دار بين الشيخ ورشيد عن فريد بمناسبة البرقية االاخيرة الواردة الى الاول من هذا .

١٣ ـ المراسلة بين فريد ورشيد

وتمضى ليال وايام اثر ذلك ويوافى البريد «الخارجى» حاملا الرسالة التالية من فريد الى اخيه رشيد :

باريس فى ١٥ اغسطس

شقيقى رشيد :

لاول مرة اثر وصولى للمدينة «الخالدة» باريس ترانى أحرر اليك رسالتى هذه لأعطيك صورة مصغرة مما احتاط بى من الذكريات والشواعر أزاء هذا المحيط العظيم .

وفى الواقع فانى لا اكتمك انى اجدنى فى هذه الساعة على جانب عظيم من الحيرة والذهول بها اودعته فى نفسى هذه المشاهد الراقية المدهشة من آثار الحضارة الاوربية المجيدة القائمة على أسس العلم الصحيح ومعجزات البخار والكهرباء .

الآن دقت الساعة عشرة صباحاً ـ وقد حمى وطيس الاعمال المختلفة فلن ترى اينما تضع بصرك فى هذه الميادين الواسعة الا نشاطاً مستمراً وحركة مطردة . فلا عاطل متسول ولا مقطوع ولا ممنوع .

ويعجبنى «ابن الغرب» فى بذلته الافرنجية راكضاً فى ميادين السعى الحثيث لا يعرف معنى للفتور ولا سبيل للكلال والاعياء الى قلبه الحديدى الجبار . فتذكرت عندها حالتكم البائسة المحزنة : معاشر الشرقيين فما وسعنى إزاء الحقيقة الملموسة الا التصريح لك : بانكم مجموعة امم همجية كسلى وان همجيتكم هذه ليست بابنة اليوم ولا كسلكم بوليد هذا الامس الذاهب بل انها هما عريقان فيكم منذ عهد الاسلاف الاولين الذين علمناهم فى كل أدوار تاريخهم (كما تلقيناه بالمدرسة الاجنبية الابتدائية من قبل) ـ ألآفاً للبطالة وعشاقاً للرسوب فى حمأه الخرافات والاساطير التى لا تتفق مع المنطق السليم والعقل القويم .

واذ ذاك ايضاً مرت بذهنى نظرية المدنية العربية الغابرة«» التى طالما تغنيت لى بها فى البلد . . فلما قابلتها على ضوء التمحيص والعيان بهذه الحضارة الغربية الزاهية وجدت الامر كما كنت أصرح لك به حينئذ (الاشارة الى المحاورة التى جرت بينهما بشأن جابر بن حيان وابى بكر الرازى وقد مر ذكرها) .

فبالله عليك قل لى : هل أوجدت المدنية العربية كناطحات سحاب امريكا او هل اخترعت كجهاز «ماركونى» او استحدثت كـ «بالونات» زبلين ، او كان بها كمتاحف وجامعات باريس ، او. او. الخ . لا شىء من ذلك كله فى المدنية العربية السائدة مطلقاً .

اذاً فالحقيقة التى يجب الرضوخ بها ان نستيقن جميعاً ان مدنية العرب هباء منثور بالنسبة لمدنية «اوربا» الحديثة الميكانيكية .

هذا وان فى النية ان سأجعل هذا الموضوع الخطير: موضوع الكتاب الذى سوف اقدمه للجامعة التى انا فيها الآن ـ لنيل رتبة الدكتوراه فى الآداب .

وبعد فقد اطلت عليك : واخيراً اقول لك ليس الخبر كالعيان: ولا الوصف كالمشاهدة .

التوقيع : «فريد»

لم ينته «رشيد» من تلاوة هذه الرسالة حتى اشتعلت فى قلبه جمرة الغيرة والاستياء الشديد. فتناول القلم من ساعته وحرر الى «مراسله فريد» الرسالة الآتية فى تذمر(٦٠) واغتياظ واودعها فى البريد القائم الى باريس فى اليوم التالى:

اخى فريد ارشده الله:

تحية وبعد فقد اخذت رسالتك التى ارختها بـ ١٥ اغسطس والتى كتبتها الى ابتهاجاً بمناسبة بلوغك الى باريس التى تصفها بالخلود.

وكم كنت مسروراً حين فضضتها(٦١) ثم كم عدت آسفاً متكدراً بعد ان تلوتها اغلاط جمة وتطرف فاحش قادك اليهما معلموك المضللون فجئت اليوم تصارحنى بهما فى وقاحة متناهية برسالتك هذه المشئومة.

تصف باريس بالخلود ومن انبأك بهذا؟ وها هم ابناؤها المفكرون ينذرون ليل نهار بقرب انهيار صرحها وذبول نضارتها ذلك لشيوع الادواء الاجتماعية والفوضى الاخلاقية هناك. فقد صارت «المواليد» تقل فى تلك الانحاء يوماً اثر يوم - بينما سيل الوفيات جد منهمر(٦٢)

فكانت الفطنة والواقع المحسوس يقضيان عليك - وانت المفكر الجرىء - بالتأمل والتأنى فى وضع لفظة «الخالدة» اثر كلمة «باريس» تمشياً مع مبدأ الصراحة الذى اخذت على نفسك اتباعه؟

ووصفت لى اندهاشك العظيم من آثار الحضارة الاوروبية القائمة على ركن العلم ومعجزات الكهرباء والبخار.

وقدحت بفحوى اطرائك لتلك المدنية - زند الحط من حضارتنا الشرقية الباهرة. .

وكأنى بفكرك الساذج يا فريد وقد حيل بينه وبين التأمل فى مآثر اسلافنا الذين لم يدعوا باباً من ابواب التمدن الا وجالوا فيه جولة صادقة لا تماثل ولا تدانى.

وهلا تتذكر تلك الايام البيضاء التى كان رجالات الغرب يتفاخرون بترجمة تآليف الاجداد وبتلقى العلوم والفنون فى جامعاتنا العلمية الكبرى ببغداد وقرطبة ودمشق ومصر.

فليتك فى هذا الرأى كنت على الاقل كغربى مطلع ومعتدل لتقلع عن هذه الآراء الواهنة المزيفة واذ ذاك تذكر ما قام به آباؤك الكرام فى سبيل تشييد صروح المدنية - مما على انقاضه قامت قصور هذه الحضارة الغربية المادية التى سلبتك مظاهرها شعورك:

وذكرت انك لا ترى عاطلا ولا متسولا ولا مقطوعاً ولا ممنوعاً فقبل كل شىء الفت نظرك الى تلك الحكمة العربية القائلة: **«وعين الرضا عن كل عيب كليلة»**

نحن هنا الساعة نقرأ فى شتى الصحف الغربية المعتمدة المبثوثة بين ايدينا ما يدهشنا وينقض مزاعمك الخيالية المضحكة. وذلك من اتساع هوة البطالة الضاربة اطنابها فى تلك الاصقاع بين «ملايين» العمال مما يجر الى فوضى عامة وثورات طامة يقوم لهولها الغرب ويقعد وهذا بعكسنا نحن «الشرقيين» فاننا بالرغم عن تعداد ازماتنا الاجتماعية والاقتصادية وتشتت شملنا وفقرنا المادى الحاضر لا نزال نفتخر بحق - بمواساتنا لمساكيننا وفقرائنا باشراكهم معنا عن طيبة خاطر فى اموالنا بقدر الممكن وذلك مالا يدع لهم مجالا لفكرة القيام باية ثورة هدمية يتأتى منها الخراب والدمار والانقلاب.

وتقول لى اعجبك ابن الغرب فى بذلته الافرنجية فاستأت من حالتنا - اى من بذلنا الفضفاضة. . وارتكست فى هذا الاستياء وذياك الاعجاب فى طينة التهويش:

ويك ألم تسمع بنداء اجتماعيى واطباء الغرب نفسه بان الصحة والنشاط جاثمان فى طيات هذه «الملابس الشرقية» التى تعيبها من طرف خفى - بينما هم انفسهم يجاهرون بخطورة الاضرار الصحية التى تنشأ من ارتداء ثبابينهم(٦٣) وسترهم الملتصقة بالاجسام التصاقاً يحبس تنفس المسام. .

وتجاهر بهمجيتنا نحن الشرقيين فى وقاحة كوقاحة طوائف المبشرين المستعمرين وتدعى انها تالدة فينا وسليلة اسلافنا العاملين وكأنك بهذا الذم اجنبى عنا.
وتفنيد هرائك فى هذا الصدد اغنانى عنه عزوكه الى الذين سميت. .
وابنت لى يا فريد عن مبلغ جهلك بتاريخ امتك العربية المجيدة جهلا لا اجد له مبرراً اصلاً. . وذلك حيث نوهت لى عن موازنتك الحمقاء بين حضارة اسلافك والحضارة الغربية الحاضرة فحكمت لهذه على تلك بدون استعراض الماضى واستقراء الحاضر. وفى الحقيقة فانت فى نظريتك هذه «نصف» معذور. . اذ إنك لم تدرس من تاريخ الاجداد الا القشور مموهة ومصبوغة بصبغة الاستعمار والتزيف. والذى انصحك به ازاء هذا الجهل الشائن ان تعود فتدرس العلم من مبدئه من جديد.
هذا وفى الختام ارجو لك السداد بعد الغى والرشاد بعد التيه والسلام. فى ١٢ربيع الاول «التوقيع: رشيد»

وكتب باسفل الرسالة الملحوظة الآتية:
أمرنى الوالد باخبارك انه بعد بضعة ايام سيبعث اليك بمبلغ من النقود يكفل لك الطمأنينة من جهة النفقات. وذلك بعد ان يتحقق اجتهادك هناك مع حسن السلوك كما اوصاك به سابقاً.
«التوقيع رشيد»

١٤ ـ اغتباط فريد بنجاح الحيلة وحوز الغنيمة

وصلت هذه الرسالة الى فريد ففضها فى تلهف واستطلاع. وما اوشك ان يأتى على آخر الملحوظة المذكورة بذيلها حتى دب الى جسمه سرور عظيم اذ ايقن بتمام «الدست»(٦٤) على الوالد السليم.
اما ما كيل له بها ـ اى الرسالة ـ من الفاظ التقريع والتنديد: فلم يكن له أثر ما فى فؤاده لان الذى تظاهر به فى رسالته السابقة شىء والهدف المقصود منها الآن شىء آخر.
والواقع ان «فريداً» لم يحمله على انتجاع القارة الاوروبية النازحة وبالاخص عاصمة فرنسا الخلابة(٦٥) شدة الشغف بارواء الظمأ العلمى كما كان يقول او الغرام باكمال التثقيف الفكرى بالتخصص كما كان به يتشدق دائماً بل كانت له غير ذلك مآرب اخرى كانت مطوية فى عالم «الصدور» وسعى بذلك التظاهر الذى نم عن فكرته الاساسية ـ الى اشباع نهمته(٦٦) منها. .
فهو انما كتب رسالته تلك التى هى فى غاية التطرف ـ الى اخيه رشيد توطيداً لنجاح حيلة استدرارها مع النفقات من ابيه العطوف.
حتى اذا استلم كتابا مسجلا منه مضمونه (بعد ابداء رضاه عليه، والابانة عن اغتفار نزواته(٦٧) الفكرية ازاء اغترابه للارتواء من مناهل العلم ـ اعلامه انه رغبة فى انجاح مشروعه الدراسى الجليل: رسم له خريطة تشجيعه النهائى وفتح امامه طريق تشويقه التام. وذلك باراحته من التفكير فى امر النقود والنفقات, فارسل اليه «شيكاً» على احد البنوك هناك (وسماه وعين له موقعه ونمرته الخ ما يلزم) ـ بمبلغ الف ومايتى ليرة انكليزية. واخبره انه اوعز الى مدير ذلك البنك بوضع هذا المبلغ برمته رهن اشارة ابنه فريد الطالب بالجامعة «الفلانية بباريس».
فما قرأ هذا الكتاب الاغر حتى لمعت على جبينه بارقة الجذل العميق وسرعان ما اختلق وسيلة غير شريفة لطرده من الجامعة طرداً نهائيا فابعده عميدها عنها وانذره بعدم العودة مطلقاً ودونت(٦٨) الخطيئة التى ارتكبها والتى نفى من اجلها حذاء اسمه من دفتر الجامعة.
فقابل هذا الابعاد بكل بشاشة وسرور.

وهرول من وقته الى حيث المبلغ المؤمن باسمه فى المصرف(٦٩) فاستلمه دفعة واحدة.
والآن أتدرى الى أين يطير؟.
ذلك ما سنبينه لك فى الفصل التالى:

١٥ ـ الغرام باحدى كواكب التمثيل

إن لب صاحبنا فريد كان دواماً يرفرف حول ذلك المسرح البهيج الحاوى ـ عشرات من كواكب التمثيل الباريسيات. ولذلك لا غروان يكون طيرانه فى الحال الى هنالك: لأنه: «الى حيث يهوى القلب تهوى بك الرجل».

غير انه تريث(٧٠) فى اقتحام(٧١) ذياك المسرح بقدر ما عاد الى الغرفة العليا التى استأجرها بذلك الفندق (٧٢) الفخم فاصلح من هندامه وارتدى بذلة السهرات من ابدع طراز افرنجى.. ثم امتطى صهوة(٧٣) السيارة الصغيرة الجميلة التى ابتاعها بيومه لهذا الشأن نفسه فقفزت(٧٤) به الى حيث يريد وقطع «تذكرة» باعلى واقرب المقاعد. وبدأت فرقة التمثيل المؤلفة من تلك الفتيات الخليعات فى تمثيل فصل مغر خليع.. وتعلق فريد باحداهن فى تلك الليلة وانقضى الدور. وعاد صاحبنا الى مقره بسيارته الفخمة تنهب به الشوارع نهباً كما ينهب الغرام الآن نهبا.

وصار ذلك ديدنه فى كل مساء سمع فيه باعلان يشعر باقامة تمثيل بأبهاء(٧٥) ذلك المسرح المشهود.

ويطريق منه مباشر ادركت ابنة باريس الماكرة: «مارى بوقوع هذا الفتى الشرقى الغر(٧٦) الذى عليه سيما(٧٧) الترف والثراء ـ فى شرك هواها فما عليها اذاً الا ان تتحقق: هل لديه ثروة متناسبة مع مظهره؟ فان يك كذلك فانها ستغريه ثم تستنزف (٧٨) ما معه من نقود: واذ ذاك تجفوه.

وفريد كما زَكَنْتَ(٧٩) فتى غر لم يجرب الامور وبالتالى فتى حظ ولهو وطرب لذلك سرعان ما اطلعها على مقدار ثروته ومناها الامانى الطويلة العريضة فألانت هى بدورها له القياد مؤقتاً حتى ابتلعت ما معه من اصفر وابيض واذ ادركت انه قد خلا وفاضه تنكرت له واستوحشت منه واخيراً نبذت به مكانا قصياً.

وها هوقد عاد طريداً بائساً وقد التظ فؤاده بانواع الهموم وأصناف الغموم يتأوه تأوهات الحسرة والندامة كأنما قامت عليه القيامة.

ولكنه وهو العارف ببساطة وحدب ابيه عليه عاد فجدد العزيمة ثانية وارهف من حد الرجاء المنثلم وقال فى نفسه متفائلا:

لأكتبن الى ابى أستعطفه وأستجديه من وفير خيراته وهو الكريم فلن يضن(٨٠) علىّ بفلس والشفوق فلن ينهرنى(٨١) عن بابه:

وبينما هو سابح فى بحر هذه الفكرة الجديدة المنعشة يعد مواد رسالته الاسترحامية وينسق(٨٢) جملها الجذابة فى ذهنه: اذ بموزع البريد الخارجى يسلمه رسالة عادية عارية العنوان الخارجى من كل عبارات العطف والتكريم بعث بها اليه والده الشيخ سليم ففضها (٨٣) فى تشاؤم وتلاها فى قلق واضطراب. وما انتهى لآخر سطر من سطورها المؤثرة حتى القى بها الى الأرض وأجرى عليها وابلاً من الدموع الحارة الحزينة.

لعلك تتساءلنى ماذا فى الرسالة؟.

فاليك نصها: «الى فريد اليف المسارح وخدن(٨٤) الممثلات بباريس:

السلام على من اتبع الهدى واجتنب طرق الردى: وبعد:

فقد اتصل بى حديثاً عموم سيرتك المشئومة وصار معلوماً لدى انك قد طردت من قبل من الجامعة لفعلة شنيعة ارتكبتها كوسيلة لانطلاقك الى ميادين الاستهتار والفوضى والخلاعة ولقد خدعتنى بمظهرك الكاذب سابقا. فهل

التخصص يكون عادة فى المسارح؟ هذا وانى جد ساخط عليك وليكن هذا آخر عهد بيننا والسلام.

فى ١١ جمادى الثانية التوقيع : سليم»

١٦ ـ النهاية المحزنة

لم يكن من الخطأ ان ينقطع رجاء فريد بعدئذ من صلات والده . . لذلك فانه اضطر مكرها ان يستوطن تلك المدينة على بؤس وانقطاع وسوء حال بالرغم من جمالها وتدفق أموالها . . لأنه غر جاهل ومترف عاطل.

فظل بها يبحث عن مهنة يقتات من دخلها أية كانت . واخيراً صادفه الحظ المنكود بمهنة «مسح الاحذية» فتشبث بها . . على انه خصص ما يفيض من واردها اليومى الضئيل بحانة(٨٥) ماثلة على بضعة امتار من «المسطبة» التى يعمل فوقها بياض ايامه.

فكان دأبه انه ـ اذا أوت «ابنة السماء» الى حجرها بالمغرب(٨٦)

لا يلتفت لامر ما بل ولا يهمه شأن ما من شئون الدين والدنيا الا ان يعدو الى تلك الحانة فى اشتياق ولوعة زائدة فيقدم الى «الخمار» كل ما تحوى محفظته من نقود ويقول له بكمال التواضع والاستعطاف :

ـ عفواً يا مولاى فهذا كل ما أملك الساعة من نقود فيترع(٨٧) له هذا كأساً بعد اخرى . وما يزال هو يشرب ويشرب حتى يغمى عليه من شدة الثمل فيبيت بداخل عتبة الحانة وهو يعربد ويخور خوار العجول حتى يقرب الاسفار.

فكانت ليلة ذات نحس جرى فيها بينه وبين بعض زوار ذلك الحان نفسه من اشقياء الاوربيين ـ شجار عنيف بسبب من تلكم الاسباب الشيطانية انتهى باخراج ذلك الغربى السكران «مسدسه» وتصويبه الى دماغ «فريد» ـ قائلاً له فى تذمر وحنق :

ـ خذ هذا جزاء وقاحتك واستهتارك علينا وعلى أعراضنا فى عقر ديارنا ايها الشرقى الغر الخبيث.

فكان هذا خاتمة مأساة حياة فريد ونهاية تطرفه المحزنة وقضى هناك حيث لا قريب ولا حبيب نازحاً غريباً عن الاهل والدار.

---

(١) نجم الشيء ينجم نجوماً : ظهر وطلع : المنجد . ص٥٩٢ طبع عام ١٩١٣م . (٢) اى لا عجب . (٣) اى فلن يكلفها . (٤) بمعنى : قطع . (٥) اى ظهر . (٦) اى تعطف . (٧) عبارة عن اظلام الليل . (٨) الامارات : جمع امارة : وهى العلامة . (٩) اى العطوف . (١٠) ينثنى : يعود . (١١) الصنوان : الاخوان الشقيقان . (١٢) الردهة : اوسع محل فى البيت . (١٣) الباقة : الحزمة من الزهور . (١٤) اى لم ينطق . (١٥) اى لم ينطق . (١٦) كناية عن الشمس . (١٧) آلة لتعليق الثياب معروفة .

(١٨) اى انصبو اليها . (١٩) اى ليتمكن . (٢٠) اى من غير دلائل ولا تبصر . (٢١) اى ليقتطفا . (٢٢) اى أمسكا عن الكلام متأثرين . (٢٣) التامور : القلب . (٢٤) اى يخالطه . (٢٥) المهيع : الطريق العظيم . (٢٦) اى ظهر . (٢٧) اى من فوق فراشه . (٢٨) الوقت الذى بين العصر والمغرب . (٢٩) اى بساتينها الجميلة . (٣٠) اى يقضى . (٣١) اى يملؤه . (٣٢) اى تزيد عن الاولى . (٣٣) اى انتظام تعابيرها وحسنها . (٣٤) اى استخراج . (٣٥) الغبار الاسود . (٣٦) انظر مبادىء الحكمة والكيمياء للسفرجلانى طبعة ثانية ص: ٣٧ وص: ٣٨ . (٣٧) من قصيدة للمؤلف . (٣٨) هى الشمس . (٣٩) الطفل : دنو الغروب . (٤٠) اى رئيس ومدير . (٤١) الرفات : العظم البالى . (٤٢) ازف : اى قرب . (٤٣) اى قاصداً المدرسة . (٤٤) الجعبة : وعاء السهام . (٤٥) السغب : شدة الجوع . (٤٦) الديدن : العادة . (٤٧) اى يتوسل اليه ويتصل به . (٤٨) اى امطر عليه . (٤٩) اى الرحيل . (٥٠) اى يتهيأ ويستعد باهتمام . (٥١) اى اعطاهـ . (٥٢) اى لا تفتنه . (٥٣) اى حملت . (٥٤) اى امواج . (٥٥) البحر . (٥٦) البحر العظيم . (٥٧) اى قاطعة امواجه فى سرعة وصوت . (٥٨) البعيدة جدا . (٥٩) اى الماضية . (٦٠) اى غضب . (٦١) اى حين فتحتها . (٦٢) اى سائل بكثرة وقوة . (٦٣) القصد منها : البنطلونات . (٦٤) الدست : الحيلة . (٦٥) الخلابة : الفتانة . (٦٦) النهمة : الشهوة . (٦٧) اى وثباته . (٦٨) دونت : قيدت . (٦٩) المصرف : تعريب البنك . (٧٠) تمهل وتأنى . (٧١) الاقتحام : الدخول . (٧٢) الفندق : الخان . (٧٣) الصهوة : المتن . (٧٤) اى وثبت به . (٧٥) جمع بهو ، والمقصود به : محل اقامة التمثيل . (٧٦) الغر : الذى لم يجرب الامور . (٧٧) السيما : العلامة . (٧٨) تستنزف : تستخلص . (٧٩) زكنت : علمت . (٨٠) اى : لن يبخل . (٨١) اى : لن يطردنى . (٨٢) ينسق : أى يرتب . (٨٣) فضها : فتحها . (٨٤) الخدن : الاليف . (٨٥) الحانة : موضع بيع الخمر . (٨٦) كناية عن مغيب الشمس . (٨٧) اى : يملأ .

عبد القدوس

كلمة الذكرى قد يكون لها رنين وصدى فى دنيا الخاملين . . أما أولئك الرواد من العلماء والأدباء والشعراء والمفكرين فهم فى حياة دائمة فى وجدان أمتهم وفى خطوات مسيرتها ينيرون الطريق من خلال عطائهم المتجدد فى فكر وأذهان الباحثين والدارسين، فيعيش هؤلاء فى أمتهم بآثارهم وأعمالهم جيلا بعد جيل.

واذا كانت هذه الأيام توافق موعد رحيل عبد القدوس الأنصارى فإنما هى تعنى موعداً لسفر رجل عظيم رحل عن وطنه . . وكل ما لدى أهله ومواطنيه يذكرهم به وهو يحيا حياة دائمة فى عالم الفكر والأدب واللغة والتاريخ ويتجدد بأعماله وآثاره فى أذهان وعقول أهله وأصدقائه وأبناء أمته فى كل يوم وساعة وفى كل رسالة ومقالة وفى كل بحث يكتب عن نهضة الأدب السعودى . . وسيظل المنهل وصاحبه مصدرا من مصادر هذا الأدب .

مقومات الريادة

نعنى بكلمة الريادة معناها بمفهومها الواسع الذى يجعل من الانسان مرشداً إلى مجامع الخير وضروب السعادة بكل إخلاص دون أن يكذب أمته وترجع مقومات الريادة عند عبد القدوس الأنصارى (١٣٢٤-١٤٠٣هـ/ ١٩٠٦-١٩٨٣م) إلى عدة عوامل أهمها شخصيته فى تكوينها التربوى والثقافى ومنها إصداره لمجلة (المنهل) وجعلها مدرسة للفكر العربى والاسلامى وجامعة يربط من خلالها أجيال الأمة فى عصر طغت فيه الثقافة الدخيلة لتفرق بين أبنائها وتجعلهم أحزابا وشيعا فلا تجدى كثرتهم مع تباين أهوائهم ومن عوامل ريادته أيضا ندوته الأدبية والفكرية التى تجمع كل نابه ولبيب من أجل دفع المسيرة على طريق الحق والخير والفضيلة. ومن مقومات الريادة عند الأنصارى مؤلفاته المتعددة والمتنوعة فى ثقافتها واتساع جوانبها وتناولها لموضوعات مبتكرة فى الأدب السعودى، فخرج الى العالم العربى بمفاهيم جديدة فى إطار الأصالة ونعنى بالأصالة فى شخصية الانصارى . . أصالة المنبت والبيئة . . وأصالة الفكر والثقافة وأصالة العقيدة التى ألهمته . . أصالة المبدأ. تلك سمات يسهل على الباحث ردها إلى كل أعماله التى بين أيدينا وهى لا تنفصم عن الأصالة المستمدة من العروبة والاسلام .

شخصية الرائد

وبقليل من التفصيل فى الجوانب المتقدمة من



مقومات الريادة التى نحن بصدد الحديث عنها نقف مع شخصية الأنصارى التى أثرت فى دوره الريادى فنشأته فى رحاب أرض النبوة فى بيئة المدينة المنورة فصقل هذه الشخصية . . ونهل منابع ثقافته العربية الأصيلة فى ظلال الروضة والمسجد على يد كبار العلماء حتى نال الشهادة العالمية ولا شك أن ثقافته تلك تبتعد عن كل شائبة دخيلة على الثقافة الاسلامية شأنها شأن الدراسة القديمة فى الأزهر الشريف . . لأن هذا النوع من التعليم يستلهم كتاب الله والسنة النبوية المطهرة وينعكس صداه على نتاج الأديب أو الشاعر فيسير على نمط الجملة القرآنية وتتوق النفس إلى الاغتراف من موارد المعرفة من كل جنس ولون ولكنها لا تطغى أو تتنكر للثقافة التليدة .

وهذا هو سر نجاح الكثيرين من روادنا فى الشرق الاسلامى أمثال جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والمنفلوطى والرافعى والعقاد وسيد قطب والأنصارى وغيرهم . . يقول إبراهيم فلالى(١) (أعرف عبد القدوس الأنصارى ويعرفه الأدباء فى بلادنا وهو الشخصية الوقورة ذات الكلام الموزون الذى لا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا فى أداء المعنى الذى يريده وهو فى كتابته مثله فى كلامه مثله فى شعره وهو رائد من رواد الأدب الصحيح الذى لا يأخذ بالبهرج ولا يؤخذ به ينفذ الى الحقائق دون أن تخدعه التهاويل) .

ويتفق طاهر زمخشرى وعزيز ضياء ومحمد على السنوسى(٢) وأحمد عبد الغفور عطار وحسين عرب(٣) ومحمود عارف(٤) وغيرهم على أن الأنصارى نمط فريد فى الريادة من حيث العطاء والاخلاص فى التوجيه والتفانى فى الايثار باعطاء الفرصة لكثير من الأدباء والشعراء من الناشئين بل وغير الناشئين فى المملكة العربية السعودية وفى غيرها وعدم الضن بالمساعدة بعلمه وأدبه وفى كل موقع وطور من أطوار حياته فى مجال الوظيفة وحين تولى رياسة تحرير صحيفة (أم القرى) ومنذ إصداره «للمنهل» وعن طريق ندواته التى كانت تضم قادة الأدب والفكر فى العالم العربى من أمثال على أحمد باكثير وغيره من أساطين الشعر وفنون الأدب .

وكان الأنصارى لا يضيق بالنقد الجاد ويرى أن ذلك يرسى قواعد الفن الأدبى ويرتقى بمستواه فكان يخصص صفحات كثيرة فى مجلة (المنهل) لتستوعب المعارك الأدبية كما كانت له مطارحات أدبية بينه وبين محمد حسن عواد على صفحات (البلاد السعودية) وله مناقشات أدبية وعلمية فى ميادين أخرى تمخضت كلها عن الروح العلمية والريادية وشهدت له بالفضل ورسوخ القدم .

وحسبنا أن نذكر فى هذا المقام واقعة تدل على مكانة

الأنصارى فى المجتمع العربى وقد رواها أحمد عبد الغفور عطار(٥) حين ذهب الأنصارى والعطار إلى ندوة العقاد وكانت تضم الصفوة الممتازة من الشعراء والأدباء والمفكرين (وثار جدل بين العقاد والأنصارى وكان العنف فى أسلوب الأنصارى واللين واللطف فى أسلوب العقاد. وعجب الحاضرون من لين عريكة العقاد المعروف بشدته فقال لهم: من العقاد بجانب رسول الله ﴿ﷺ﴾ الذى أكرم الأنصار وأوصى بهم كل خير؟ اذا كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ خير الخلق يكرمهم أفلا يكرمهم العقاد؟ وهل بلغ العقاد من سوء الأدب حتى لا يحترم أنصاريا لعلمه وفضله وجواره لرسول الله؟).

ومن الجوانب التى تشهد للأنصارى بعلمه وسعة اطلاعه مؤلفاته فى وقت مبكر من حياته والتى اعتمد عليها كبار الباحثين واسترشدوا بها فى فتح ما استغلق عليهم فها هو محمد حسين هيكل صاحب المؤلفات الاسلامية المعروفة يشيد فى عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م بكتاب (آثار المدينة) ويقول عنه (.. وما لبثت حين اطلعت على محتوياته أن رأيت مهاجر النبى الكريم انفتحت أمامى مغالق آثارها وأصبح من اليسير تتبعها فى أماكن وجودها وتتبع تاريخها والأطوار بها خلال هذا الكتاب الوجيز الجامع)(٦) وللأنصارى فى هذا الاتجاه كتاب آخر هو (طريق الهجرة النبوية) تحدث فيه عن أحداث الهجرة ومعالمها التاريخية والآثارية وجمع فيه القصائد والملاحم التى قيلت فى هجرة الرسول ﴿ﷺ﴾ فى القديم والحديث.

وتبرز قوة شخصيته فى مؤلفه «مع ابن جبير فى رحلته» ويكشف عن أخلاقه وتحليه بالصبر والكتمان من خلال اختياره وعرضه لأدب ابن جبير وتمثله بأشعاره وأقواله التى منها: (٧).

عليك بكتمان المصائب واصطبر
عليها فما أبقى الزمان شفيقا
ويكفيك فى الشكوى الى الناس أنها
تسر عدوا أو تسوء صديقا

● ومن سمات شخصية الأنصارى التواضع وترك المظاهر الزائفة فهو يتمثل قول القائل:

إن لله عبادا فطنا
طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا
أنها ليست لحر وطنا
جعلوها لجة واتخذوا
صالح الأعمال فيها سفنا

● ويتمثل أيضا قول الله تعالى **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وقوله تعالى ﴿واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ وقول الشاعر:**

تنزه عن العوراء مهما سمعتها
صيانة نفس فهو بالحر أشبه
إذا أنت جاوبت السفيه مشاتما
فمن يتلقى الشتم بالشتم أسفه(٨)

__ولعل__ ذلك يكشف عن علمه وسعة ثقافته التى أشرنا إليها فى تكوين شخصيته وفى ذلك يقول الشاعر الكبير طاهر زمخشرى فى حديثه لصحيفة عكاظ (لقد ذكرت بصراحة فى اكثر من مرة أن عبد القدوس الأنصارى ـ رحمه الله ـ هو الأديب الوحيد الذى صحح لى قصيدة وكذلك هو الأديب الوحيد الذى وجهنى وحقيقة فإن عبد القدوس الكاتب والمؤرخ والشاعر المجيد والصحفى)(٩).

مدرسة المنهل

ومن المقومات التى تضع الأنصارى فى مقدمة الرواد إصداره مجلة (المنهل) فى عام ١٣٥٥هـ/١٩٣٧م لتكون أول مجلة أدبية ثقافية متخصصة فى المملكة العربية السعودية تشرق على العالم العربى وتقف مع مجلة الرسالة التى صدرت فى سنة ١٩٣٣م.

وعلى الرغم من تواضع امكاناتها ومواردها المادية ارتقى بها إلى مصاف المجلات الكبرى ذات النهج الاسلامى المعتمد على التراث الحضارى مثلها مثل مجلة الثقافة التى زامنتها فى الصدور.

ولو تصدى أحد الباحثين فى الدراسات الأدبية لأثر (المنهل) لأثبت ـ بالاستقراء ـ أنها أدت رسالة فى مجالها قد تعجز عنها بعض الكليات المتخصصة من حيث الثقافة وتنمية الأدب الرفيع ونشر المعارف والعلوم وتوثيق الصلات بين أبناء الأمة العربية والاسلامية والتصدى للهجمات المعادية بصورها المختلفة ولأوضحت الدراسة أن «**منهل**» عبد القدوس الانصارى وقف فى خندق واحد مع «**رسالة**» أحمد حسن الزيات «**وثقافة**» أحمد أمين فى حمل لواء الثقافة العربية الأصيلة المستلهمة من حضارة الاسلام.

لقد ظلت مجلة «المنهل» على مدى السنوات الخمسين الماضية تؤدى رسالتها وتقاوم كل تيار مشبوه يكيد أو يدس للاسلام أو ينال من اللغة العربية.. ووقفت ضد كل الأنظمة الالحادية فى صورها الظاهرة والخفية.. وسلطت الأضواء على العداء للغة القرآن تحت شعار الثقافات الحديثة التى يمولها ويغذيها الاستشراق والتبشير عن طريق كتائبه الموفدة إلى الشرق أو بواسطة ربائبه فى بلاد الاسلام.

أوضح المنهل بأصالته مضار هذه الثقافات وكشف عن سمومها وواكب العصر بتطوره وحدته واحتوائه لكل طريف وتالد ليجد القارىء فيه بغيته ويعزف عن غيره من المجلات التى تشوبها الشوائب.

وبالوقوف على بعض مجلدات المنهل فى سنواته المختلفة يتبين لنا أنه كان مدرسة بكل معانى الكلمة وأبعادها وبكل مقاييس النقد الأدبى الحديث وربما يقوم بعض طلاب الدراسات العليا فى جامعاتنا العربية بعمل أطروحة لنيل درجة علمية فى ذلك كما حدث فى دراسة مجلة (الرسالة). ولا شك أن تقويم «المنهل» ودراسته منذ انشائه يرشد إلى مدرسة كبيرة تدفقت برفيع الأدب وألوان المعارف والعلوم المنتشرة فى مجلداته تحت أبواب ثابتة ومتغيرة وفى موضوعات مختلفة مثل الاسلاميات والثقافيات والتاريخيات والأدبيات والشعر والقصص ومعرض الآراء وميدان النقد والبحوث اللغوية والطرائف والجديد فى العلوم وأخبار التراث وعالم الكتب إلى جانب مواكبة الأحداث وبريد القراء وباقات الأنباء ومتابعة أخبار الأدباء والعلماء ووفيات الأعيان وغير ذلك مما يحتاج إلى دراسات مفصلة.

● يقول الشاعر الكبير محمد حسن فقى فى قصيدة بعنوان (قم حى منهلنا الأبر): (١٠)

قم حى منهلنا الأبر
فى يوم ذكراه الأغر
حى السنين الحافلا
ت الخاليات من الهذر
حى الرجال العاملين
السائرين على الأثر
الشارعى الأقلام فى
وجه الحماقة والبطر

والبـاذلـى الأرواح ما
يخشـون عاقبـة الخطـر

● ويقول السيد على حافظ من قصيدة بعنوان (خميلة الأدب العالى) : (١١)

يا منهـلا فوق هام المجـد مثـواه
وبـين بدر السـماء الشهب مجراه
منـابع العلم من أنهاره انطلقت
وروعـة الفن من إبـداع يمنـاه

● ويقول أنور الجندى فى صاحب المنهل (١٢)

«هو مثل رفيع للصحفى المسلم حتى أطلق عليه (شيخ الصحافة الاسلامية) . . أما عبد القدوس فهو معنى بمجلته الأثيرة (المنهل) التى يصدرها منذ نصف قرن والتى تدرج بها حتى أصبحت تستكتب كتاب المسلمين من أندونسيا إلى المغرب وعنايته أكبر بالأدب والقصة والشعر وهى دائما تحفل بالجديد . » .

هذه لمحات عابرة عن مقومات الريادة فى شخصية الأنصارى ومن نافلة القول أن نزعم لبحثنا المتواضع الاحاطة بجوانب الرجل المتعددة أو الوقوف على كل مقومات ريادته وحسبه أنه مجرد دعوة لدراسة شخصيته فى ضوء عطائه الواسع وأن تكون هذه الدراسة أكاديمية يحتذيها الجيل الجديد ويضعها فى مكان القدوة.

ولله در شاعر الجنوب محمد بن على السنوسى حيث عبر باحساسه الصادق عن مشاعره ومشاعر كل عربى فى قصيدته (أبا نبيه لك الغفران) ويستهلها بقوله :

يا صاحـب القلم المتألق السـامى
ويـا أبـا المنهـل المتـدفق الطـامى
لقـد تقطـعـت لما جاءنـى خبر
رب بالسيف من خلفى وقدامى

● وفيها يقول :

تنـأى خلائقـك الشماء عن أدب
ان لم يكن عربى الـذوق إسـلامى
وتسـتريب إذا جاءتـك فى قحـة
مقـالـة نسـجـتهـا كف هدام
نهج من الأدب الـنـفسى كنت به
نسيـج وحـدك فى فكـر وإلهـام

شخصية

حلقتنا لهذا الاسبوع عن:

أيها الاخوة المستمعون : قد ينتاب المرء شيىء من الحرج إذا تحدث مادحاً إنساناً ما تربطه به علاقة صداقة ومودة وقد ألمَّ بى هذا الاحساس منذ ان عقدت العزم على تقديم ضيف حلقة الليلة . . وذلك لان هناك صلة شخصية ضمتنا معاً قبل أن ينتقل إلى رحمة الله غير أنه مما يُهوِّن علينا هذا الحرج كون الراحل الكريم قد شهد له القاصى والدانى واعترف بفضله القريب والبعيد وأثنى عليه العلماء والمثقفون واعتبر لدى الجميع فى عداد الباحثين . . وأصبح علماً مبرزاً فى اكثر من فن فهو مؤرخ . . محقق . . أديب . . ناقد . . شاعر . . ناثر . . وعلى

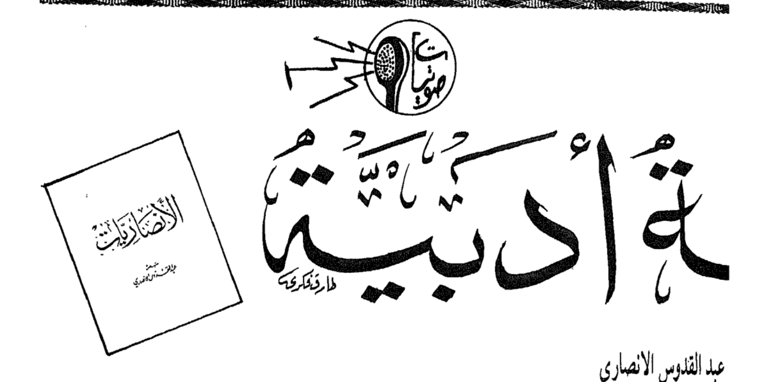
● ثم يختم القصيدة بقوله:

(أبـا نبيـه) لك الغفران ما سطعت
شمس الضحى وتوارت خلف إظلام

فإن منهلك العـذب الـذى شربت
منـه الـقـلوب زلالا نهره طامـى

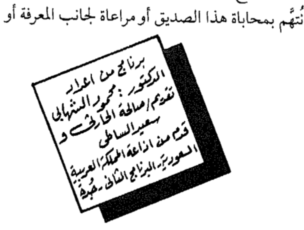
مازال غضًـا طـريًا زاهـراً بأبـى
زهـير يلمـع فى صَحْـوٍ وإقتـام

(١) المرصاد ص١٩١ منشورات النادى الأدبى بالرياض ١٤٠٠هـ.
(٢، ٣، ٩) عكاظ العدد ٦١٥٧ فى ٢٦/٦/١٤٠٣هـ.
(٤) المنهل عدد ربيع الاول ١٣٩١هـ.
(٥) أصداء قلم ص٨٦.
(٦) انظر (آثار المدينة) ص ٣٠/١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
(٧، ٨) مع ابن جبير فى رحلته. ط. ١
(١٠، ١١) المنهل السنة ٣٨ المجلد ٣٣ المحرم ١٣٩٢هـ مارس ١٩٧٢م.
(١٢) المنهل السنة ٥١ المجلد ٤٦ المحرم وصفر ١٤٠٥هـ نوفمبر ١٩٨٤م.



عبد القدوس الانصارى

هذا نستطيع أن نتحدث ما شاء لنا الحديث دون أن نُتهَم بمحاباة هذا الصديق أو مراعاة لجانب المعرفة أو



انطلاقاً من الود الشخصى.. ثم قد يحس الانسان بعض التقصير ويشعر بشىء من عدم الرضا لكون العـاطفـة التى فى نفسـه تريـد منـه اكثر مما ينبغى تقديمه.. ومن خلال هذا الشعور الذى يغمر النفس بانفعـالات متضـاربة سنحاول الحديث عن ضيف الحلقة المرحوم عبد القدوس الانصارى ولقد اتاحت لى المقادير ان اعرفه عن قرب منذ زمن طويل حينما كان يحضـر ندوات العقـاد وكنـا نراه ونحن طلاب صغـار جالسـا فى هدوء ورزانـة ووقـار حتى ليظن الانسان أنه سيقضى معظم وقت الندوة صامتاً غير مشـارك فى الحـديث وفجأة نراه ينـاقش العقاد فإذا الهدوء عنف والرزانة حدة والوقار انفعال وإذا الحضور فى دهشـة بالغـة ثم تبلغ الدهشة قمتها حينما نرى

العقـاد يبتسم ويقابل ثورة الشيخ بالتلطف ويعالج غضبه بالرقة واللين وهو الذى ما كان يطيق من أحد أن يرفع صوته فى محاورته.

ودارت الأيام وعملت بجامعة الملك عبد العزيز وجاء الاستـاذ عامر العقاد فى زيارة الى جده والتقينا معاً بالشيخ عبد القدوس الانصارى وازدادت معرفتى به عن قرب وتكررت لقاءاتى معه فى مكتبه بمجلة المنهل

ترك هذا النتاج الهائل من الفكر والأدب لا يمكن أن تكـون وفـاته كوفاة الأشخاص العاديين وقديماً قيل الناس موتى وأهل العلم أحياء.

أيهـا السادة واذا اردنا أن نقيس عمر عبد القدوس الأنصارى بالسنين فلسوف نظلمه ونغمطه قدره أما ان نضع عمره حسب معيار العلم فهذا هو الانصاف والعـدل وبهذا يكون شيخنا قد عاش مئات السنين وسيظل حياً فى نفوس القراء والدارسين. . ومن يريد أن يقف متأملا حياة مثل هذا العلم الفذ خالد الذكر



● فى رحلة للظهران يرى فى الصورة من اليمين الشيخ ضياء الدين رجب وعلى حافظ وعبد القدوس الانصارى.

فكانت تلك السويعات هى من لحظات العمر التى تحسب فى أطـايب الزمان وحينها قدمنا المرحوم أحمد حسن الـزيـات لدى برنـامجنا هذا تحدثنا عن قيامه بالمجهـود الأدبى الـرائـع فى اصدار مجلة «**الرسالة الادبية**» قرابة عشرين عاماً ثم وجدنا الفرصة سانحة للحديث عن شيخنا عبد القدوس فتطرق الذكر إليه وقلنا لا نرى من تفوق على الزيات فى المدة الزمنية سوى الاستاذ عبد القدوس الانصارى الذى اشرف بمجلة المنهل على قرابة العام الخمسين ثم دعونا له بطول العمر وتمنينا له المدد فيما بقى له من أيام الا ان إرادة الله قد شاءت ألا يتحقق ما تمنيناه وألا يستجاب دعاؤنا فودع عالمنا بما فيه وانتقل الى الرفيق الأعلى وأصبحنا نلقاه فى آثاره مثلما كنا نراه فى شخصه ومن

يلمس استعداده الفطرى منذ الصغر لأن يبلغ تلك المكانة حيث ولد فى عصر كان هادئ الايقاع يتيح لمن عاشوا فى كنفه أن يتعمقوا فى العلم ويحصلوا منه أغزره ولا يقف بالأدب عنـد الأسلوب دون الغوص على المعانى ثم هم لا يكتفون من كتب البلاغة بالشذرات التى يلقـونها فى المؤلفات المدرسية التى تبسط المواد دون سبر غورها فلهـم دأب وصبر يمكنهم من اتقان كتب الأولـين وفهمها ثم تكون مطالعاتهم لدواوين الشعر مطالعة المتذوق الفاهم الواعى الذى يسعده ترديـده فى وقت لا تصـل فيه يده إلى الكتاب وهنا يسترجع مافى حفيظته من جيد الشعر وبذلك يقبل على الحفظ اقباله على الفهم ثم كان هذا الجيل إذا طالع كتب التاريخ لم يقنع إلا بالمراجع الكبرى التى

اتسمت بصحة العبارة وسلامة المعنى ووفرة المعلومات ولا يكتفى أبناء ذلك الجيل ببعض المعارف واليسير من المواد ثم راحوا يُعرضون عن الضحالة ويفتشون عن الأعماق لاستخراج ما فيها من كنوز ولآلىء وهل تكون تلك إلا فى القيعان البعيدة الغور ويجمل بنا ان نتابع مسيرة حياة شيخنا لنرى اسس تكوينه الثقافى ونتعرف تدرجه العلمى ونطلع من قرب على بيئته الاجتماعية والثقافية.

ولد رحمه الله بالمدينة المنورة عام ١٣٢٤هـ وأول ظاهرة فى حياته العلمية هى حفظه للقرآن الكريم وهذا بلا شك يقوِّم لسانه ويثبت جنانه حيث الآيات القرآنية حينما تُتْلى على مسامعه من شيوخ العلم مصحوبة بالتفسير والشرح تموج فى وجدانه وتهزه بانفعالات تخصب عالم النفس ولا يستطيع صبى ان يبلغ هذه المكانة إلا إذا كان حافظاً للقرآن حيث يكون الربط بين الحفظ والفهم ومن فهم شيئاً دون حفظ نصوصه يقلّ بلا شك إدراكه له.. وقد يسأل سائل ومن أين له الاستماع إلى دروس التفسير والفقه؟ ولكن من يتصور المدينة المنورة فى ذلك الوقت يدرك أنها كانت تموج بالعلماء غاصة بحلقات العلم.. وقد واصل دراسته النظامية فى مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة وحصل على الشهادة العالية منها وعمره آنذاك خمسة وعشرون سنة ثم دلف إلى عالم الوظائف وتقلد عدة مناصب حكومية ثم هيّأت له الأقدار أن يلج عالم الصحافة حيث تولى رئاسة تحرير جريدة أم القرى بمكة المكرمة حينما أصبحت حكومية تنشر الوقائع الرسمية للدوله وانطلاقاً من الحس الأدبى الذى رزقه اجتهد فى ان يجعل الجريدة تعرض الأحداث والتقارير عرضاً أدبياً حتى يتثنى للقارىء أن يطالعها برغبة وتشوق ومما لا شك فيه أن هذا الطور من حياته قد أفاده خبرة عظيمة فطوع أسلوبه وجعل قلمه يفيض سلاسة وعذوبة ثم زاده شغفاً بالأدب وحباً له وربما يكون هذا هو الذى دفع به الى ذلك الإنجاز العظيم الذى يتمثل فى مجلة المنهل وبهذا نرى العمل فى أم القرى كان فاتحة خير وبركة فقد نمى مواهبه الصحفية وزاده احساساً برسالة الصحافة ودورها الفعال فى تثقيف الأمة..

ومن هنا اتجه رحمه الله الى نوع خاص من الصحافة وهو الصحافة الأدبية.. الصحافة المتخصصة ذات الاسلوب الجميل الأخاذ الذى ينمى أذواق القراء ويحلق بهم فى آفاق سامية من الفكر.. ولا نريد أيها الاخوة المستمعون ان نسترسل فى الحديث عن مجلة المنهل ذات الخمسين عاماً فهى فى غنى عن التعريف إلا أن اللمحة التى نريد الاشارة إليها التضحية بالمال والجهد والوقت فى سبيل ابراز هذا العمل ثم مواصلة اصداره مع ان المجهود الذى يبذل فى سبيله لو بذل جزء منه فى تجارة أو أى أمر يجلب المال الوفير لعاد على صاحبه بالربح الكثير إلا أن الشيخ قد سيطر على نفسه حب الأدب وامتلأ قلبه رغبة فى البحث ويالها من سعادة لا يعدلها شيء فى الوجود حينما يرى العلماء والمفكرين والأدباء فى جميع أرجاء العالم العربى يثنون على مجلته ويقدرون مقالاته ويشكرون جهوده ثم وهو يرى المنهل قامت بمهمة التعارف بين الأدباء ولا يقاس أمر هذه الظاهرة الصحفية بعدد قرائها أو أرقام التوزيع لديها بل تقاس بنوع القارىء الذى يقبل عليها ويغلل يترقبها ولا يفوته عدد منها.

وأمثال هؤلاء القراء هم الذين صدرت المنهل من أجلهم وهى تعرف جيداً أنهم من الندرة بمكان إلا أن الفرد يساوى الآلاف وتحضرنى فى هذا المقام عبارة لكاتب أمريكى فحواها.. «ان العالم لا يوجد فيه فى أى وقت من الاوقات أكثر من أثنى عشر شخصاً

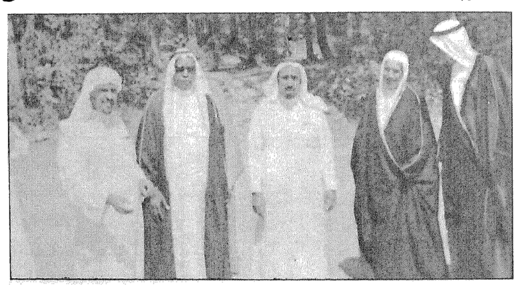
يفهمون تعاليم أفلاطون غير أنه لأجل هذه الحفنة من الفضلاء تطبع مؤلفات افلاطون آلاف الطبعات»ألا فلتكن هناك مجلة أدبية على غرار المنهل التى أنشأها المرحوم عبد القدوس الأنصارى وتحمل فى سبيل اصدارها الكثير وتكون هذه لارضاء الندرة من خيار المثقفين والعلم اذا كان للعامة فلا يمكن أن يسمى علماً أما وهو للخاصة فيصبح جديراً بتسميته وهؤلاء المتخصصون من تسلم لهم الانسانية زمامها وتترك لهم حق قيادتها وهم شموس الهدى بهم تستضىء فى ظلمتها وبفضلهم تسمو وبتوجيهاتهم تسير.

أيها الأخوة.. إن الأمر فى نظرنا يسير مع العبارة المأثورة الحديث ذو شجون.. وشجون هنا جمع شجن وهو الطريق الذى يتفرع إلى عدة طرق كما أن الانسان يحار وتختلط عليه الأمور حينما يحاول أن يعيش مع ضيف حلقتنا فمن أى زاوية ننظر إليه ومن أى جانب نلمسه ومن أى اتجاه نتناوله؟ أمن تحليلنا لبعض مقالاته فى المنهل وفى هذا ما يكفى لسد حاجة البرنامج أم من عرضنا لكتاب من كتبه المتعددة وفى هذا ما يشغل وقت الحلقة وزيادة ام نستعرض معاً قصته التوأمان؟ التى تعد فاتحة عهد جديد فى الرواية السعودية حيث هى أول رواية مطولة ظهرت فى هذا الوطن وتناولنا إياها يؤدى غرضنا وزيادة .

وفى غمرة الحيرة التى نعانيها طالعت العدد الأخير لمجلة المنهل الذى صدر بمناسبة مرور خمسين عاما على صدورها.. ويزخر العدد بعدة مقالات عن فقيدنا عبد القدوس الانصارى تعرض شتى الموضوعات التى عالجها فى انتاجه العلمى الأدبى إلا أن هناك نقصاً فى الحديث عن شاعريته كما يتراءى لنا وفى اعتقادنا أن شاعريته تحتاج إلى وقفة اعتبار وتأمل فله من الصور البديعية والأخيلة الرائعة والعاطفة الدفاقة ما يجعل شعره جديراً بالبحث والدراسة ويخيل إلينا أن تعمق الأنصارى فى البحوث وانكبابه على التحقيق والتصحيح والتدقيق فى اللغة والكشف عن لآلئه المستورة والغوص فى أعماق التاريخ لاستخراج كنوزه المخبوءة كل ذلك الذى استغرق حياة الشيخ جعله شاعراً مقلا من حيث الكم.

فمما لا شك فيه أن الاندماج مع الفكر والانهماك فى النتاج العقلى يبعد المرء عن عالم الشعر فالشعر يحتاج الى ابتهاج النفس مع عواطفها دون النظر الى ذلك نظرة منطقية وارتياد عالم الأحلام هو جوهر الشعر والسير على أرض الواقع مجال العقل فكيف يفرغ صاحبنا لهاجس الشعور ويجد الوقت الكافى لامتاع القلب مع سيطرة الحقائق العقلية على مؤلفاته وبحوثه.. غير ان ضيفنا كان شاعراً فى كل حياته وتحضرنى فى هذا المقام عبارة لزكى مبارك مفادها تفريق بين الشعر والشاعرية فقد يكون الانسان شاعراً ليس له نصيب من الشاعرية وقد لا يكون ذا مقدرة على قول الشعر إلا ان نفسه مفعمة بالشاعرية.. والشيخ عبد القدوس كان ذا حظ وافر منها.. احساس مرهف وعاطفة جياشة وخيال يموج بالطريف من الصور.. ومن عرفه عن قرب يشهد له بكل ذلك.. زيادة على هذا استشهاده بالشعر فى بحوثه ومقالاته بكثرة ثم كتابه عن المرحوم المغفور له «**الملك عبد العزيز**» حينما تناوله من جانب لم ينتبه إليه غيره ولم يهتم به سواه وهو جمع قصائد الشعر التى قيلت فيه من مختلف الشعراء على اختلاف أوطانهم وتعدد نظرتهم وتنوع الرؤية الشخصية لكل منهم ومن الجدير بالذكر أن كتابه «**الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر**» قام فيه بدور الناقد حيث رأى أن الشعر

الذى قيل فى جلالته يرحمه الله ـ يملأ مجلدات . . إذاً والحالة هذه لابد من اختيار . . وهنا تبرز بصيرة الأديب الذى يصطفى الشعراء وينتقى قصائدهم ثم يكون له من التعليق ما يؤكد خبرته فى هذا المجال ونرى أنه من المناسب أن يقدم للسادة المستمعين شيئاً من اتساع فكره عن عالم الشعر وهو يتحدث عن الذين جمع أشعارهم فى كتابه وها هو يقول «إذا أردنا أن نحلل شعر هؤلاء الشعراء من حيث جودة البيان ومسالكهم بالشعر فإن لنا أن نقول على وجه الاجمال إنهم ضربوا فى آفاق الشعر القديم وآفاق الشعر الحديث وطائفة منهم جمعت بين القديم والحديث وطائفة آثرت الأسلوب الحديث المرتكز على أساس



● فى منطقة الباحة يرى فى الصورة الانصارى وهاشم دفتر دار ومحمد سعيد العمودى وبعض اعيان الباحة.

عمودية الشعر وعلى أوزانه العربية الاصلية الناصعة وقد حللت بحسب امكاناتى الفكرية والأدبية والمرجعية قصائد هؤلاء الشعراء قصيدة قصيدة متخذا من اقتباسى ما رأيت أنه يمثل عيونها استلهاماً لفن الشعر كمرآة لمواهبه الشعرية المتجسدة فى المقطوعة أو الأبيات المختارة وكمجهر استكشف فى ضوئه الآفاق التى تتجه إليها شاعرية الشاعر إذ الأثر يدل على انفعالات المؤثر . .

وننتقل بكم أيها الأخوة المستمعون إلى الحديث عن شاعرية الأنصارى فنرى فيه احساس الشاعر بجمال الكون واستلهامه روح الطبيعة وتصوره للجمادات على أنها أحياء أو بعثها فى وجدانه الدافق وكأنها تتفوق على البشر فى المشاعر والعواطف والأحاسيس وإلى المستمعين الاكارم تلك الابيات من قصيدته :

«الشاعر والغيم»

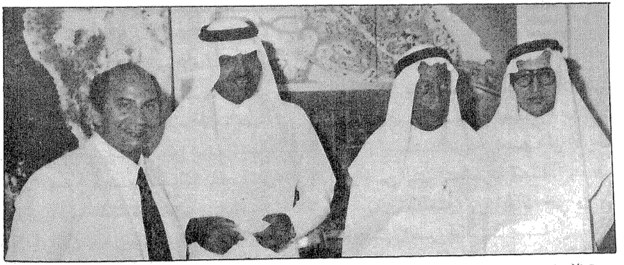
أيها الغيم يا ابن ماء البحار
لِمَ تبكى بدمعك المدرار
لم تذق فى حياتك البؤس حتى
تملأ الأرض بالدموع الغزار
لم تذق فى حياتك الحب حتى
يعصف الحب بالفؤاد المطار
أنت يا غيم باقة من زهور
تنثر الريح بعضها فى الأراضى
فالأراضى التى تناثرت فيها
كلها عن شذاك حى وراضِ
والأراضى التى تجافيت عنها
قد قضى باجتوائها أى قاض

وها هو يناجي السانية وهي آلة جافة صماء في مفهومنا إلا أن شاعرنا يجلوها أمامنا في صورة روحية شفافة تبعث في النفس الجواء وفي الروح الحنين وفي القلب شجن.

في ظلام الليل ما بين التلول
هتفت سانية وسط النخيل
وشدا سائقها مبتهجاً
بسكون الليل في الوادي الجميل
ومضت سانية الحقل جوى
ترسل اللحن حزيناً في السهول
يخزق الأجواء في رناته
فيفيض الأنس في الوادي العليل
شعرت أن الذي قد أمها
ليس إلا مستهاماً في طلول
فالتواس النضو في جنح الدجى
بقرى ينعشه قبل الرحيل
واستطاب النضو في ليلته
لحنها الذاهب بالهم الثقيل
كلنا صب وأرباب الهوى
أخوه يجمعهم كبح الميول

فإذا ما برح الحب بكم
واستبد الهم بالجسم النحيل
وسبت قلبك ساعات النوى
ربة القامة والطرف الكحيل
فأنا أعشق أغصان النخيل
مائسات في صباح وأصيل
وإذا ارسلت دمعاً ساخناً
في الدياجي كاتماً سر الرسول
فأنا أسكب دمعي أنهراً
فائضات في خدود من حقولي
وإذا سرك ليل عابر
فأنا أسعد بالليل الطويل

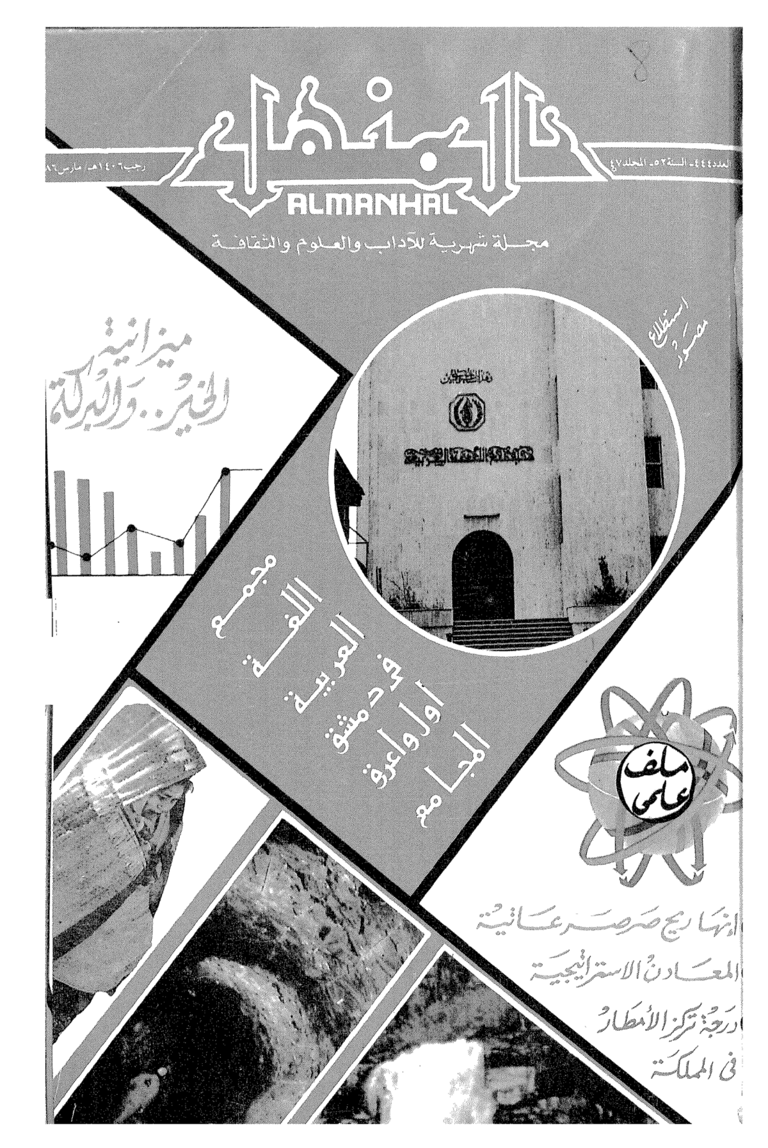
وأخيراً أيها الأخوة المستمعون الأكارم لقد كان الشيخ عبد القدوس الأنصاري رحمه الله من جيل الرواد جيل الأصالة الجيل الموسوعي ذلك الجيل الذي عاش كالشمعة تحترق لتضيء لنا الطريق وأصبح هذا الجيل يودعنا أبناؤه واحداً بعد الآخر وإنَّا لنسأل الله أن ينسأ في أعمار من تبقى من هذا الرعيل وأن يتغمد برحمته من ودع دنيانا منهم ولهم منا الذكر الحسن ومن المولى الرحمة والرضوان إن شاء الله.



● الأنصاري.. ومتابعته الدقيقة لمشاريع مدينة جدة اثناء اعادة طبع موسوعته «تاريخ مدينة جدة».



مركز سكنى
شقق مفروشه
مطعم
خدمات داخلية وخارجية
خدمات توصيل للمطار
صالة اجتماعات
مجهزة بأحدث الوسائل
السمعية والبصرية
مكتب سياحى
بوتيكات
مركز خوجه السكنى
يشارك فى النهضة
العصرية المتوطده التى
تعيشها المملكة العربية
السعودية
يخدم الخاصة
والعامة فى جده
ستكتشف فى عوالمه
فلسفة رفاهية
الخدمة المتميزه
مركز خوجه
Old Airport Road P.O. Box:16955
Telephone: 6318 000, Telex: 405127 AMKCNT SJ
405128 KHOCNT SJ JEDDAH 21474
شارع المطار القديم
ص.ب: ١٦٩٥٥ ـ هاتف: ٦٣١٨٠٠٠
تلكس: ٤٠٥١٢٧/٤٠٥١٢٨ ـ جدة ٢١٤٧٤



المنهل
ALMANHAL
العدد ٤٤٤ـ السنة ٥٢ـ المجلد ٤٧
رجب ١٤٠٦هـ مارس ٨٦
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
استطلاع مصور
ميزانية الخير والبركة
مجمع اللغة العربية في دمشق أول واعرق المجامع
ملف علمي
انهاريج صرصر عانية
المعادن الاستراتيجية
درجة تركز الأمطار في المملكة



واقع العالم العربي والاسلامي

حينما يضع المرء واقع العالم العربى والاسلامى اليوم تحت مجهر الفحص والدراسة والتحليل يجدهما ممعنين فى «التخلف» بالنسبة للعالم الغربى والشرقى الاوروبيين وذلك فيما يتعلق باستيعاب الوان العلوم التقنية الصناعية السلمية والحربية على السواء. . وهى العلوم التى تكون روافد الاستقلال الحقيقى للامم. بينما نرى العالم الغربى والشرقى الاوروبيين يتسابقان فى السعى الى أسرار الكون، استكشافا واستنباطا لما يريان انه يرفع شأنهما منها. . وبينما يبلغان فى هذه المسيرة الى المستوى الذى أهَّلهما أخيرا للصعود الى الفضاء. . وبينما يخترعان ويستكشفان ما جلَّ منها وما دقَّ متجاوزين بذلك «منطقة الاكتفاء الذاتى بآلاف المراحل» ومتوغلين فى مناطق التصدير لاسواق العالم العربى والاسلامى وغيرهما ـ نرى العالم العربى والاسلامى ـ مع بالغ الاسف ـ سوقا مفتوحة على مصراعيها لاستيراد كل شىء من الخارج التافه والقيم من الابرة والخيط الى الطائرة والباخرة.

ان العالم العربى والاسلامى مدعوان اليوم الى تبديل خططهما من هذه الناحية بصفة جذرية تبديلها بخطط جديدة مرسومة جديرة بالتقدير والاهتمام البالغ بأن يتوجها بعناية بالغة الى استيعاب اكبر كمية من العلوم التقنية والى ايجاد اكبر كمية من المصانع الحديثة الصغيرة والضخمة والى ايجاد اكبر قدر من العلماء التقنيين والصناع والخبراء والمهندسين، فى بلادهما الواسعة الخصبة ليستغلوا ما فيها من خيرات ومعادن وطاقات وخامات وفيرة وليخرجوا من قوقعة الاستيراد الشامل الى ميدان الاكتفاء الذاتى فالتصدير. فذلك هو الباب المفتوح لدعم استقلالهما وتقوية كيانهما ومحو آثار العدوان عنهما ما كان وما يكون وحفظ بلادهما من هجمات المعتدين النهَّازين.

عبد القدوس الأنصاري

صفر ١٣٨٩هـ



الإسراء والمعراج .. آيتان
معجزتان .. ساقهما الله سبحانه بين يدي رسوله
المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام رسالة مفتوحة مقروءة
.. كغيرها من رسائل الحق للخلق في الكون والحياة معجزتان جاءتا
لتؤكدا أن قانون الحق سبحانه غير قانون الخلق .. عندنا المقدمات تسوق
لنتائجها .. والغايات آخذة بعناق أسبابها .. فالنقطة (أ) لا توصل
للنقطة (جـ) إلا عبر النقطة (ب) .. لكن في قانون الحق قد تنكسر القاعدة
«يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم» .. وهنا تبهرنا الإرادة العليا «وما تشاءون
إلا أن يشاء الله» إذن علينا أن نقول لهذا العقل البشري «قل الله ثم
استقم» .. باصرة العقل محدودة لمحدودية حواس البشر وبصيرة الإيمان هي
النافذة لأنها ترى بنور ربها .. فإذا ما تعاملنا مع الكون والحياة فلنتعامل
معها باسم الخالق الباقي لا باسم العقل المخلوق الفاني .. وإذا
ما تكسرت المقدمات دون نتائجها فلنفزع لبصيرة الإيمان .. هذا
العقل إذا لم ينظر من وراء إيمان هلك وأهلك

«د. السماني»

المنهل
AL-MANHAL
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
خمسون عاماً في خدمة الفكر والمعرفة

أسسها سنة ١٣٥٥هـ
عبد القدوس الأنصاري

رجب ١٤٠٦هـ / مارس ١٩٨٦م

صاحب المجلة رئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الأنصاري
ت: ٦٤٢٧٨٣١

مدير الادارة والتحرير
زهير الأنصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الأنصاري

مراسلونا فى الخارج
● القاهرة : د. احمد الحفناوى
● عمان : روكس بن زائد العزيزى
● الرباط : عبد الرحيم بن عبد السلام
● تونس : د. نور الدين صمود
● أنقرة : د. انور طاهر رضا

المخرج الفني
فريد أبو سعدة

معلومات ادارية

المجلة : ٢ ش رأس تنورة. عرفات سابقاً الشرفية
برقيا : المنهل. ص.ب ٢٩٢٥ جدة ٢١٤٦١
الاعلانات تخاطب بشأنها الإدارة
تليفون ٦٤٣٢١٢٤/٦٤٤٧٧٩٤

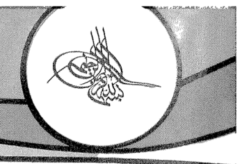
قيمة الإشتراك
السنوى في المملكة العربية السعودية
٢٠٠ ريالاً
وللأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً
أو ما يعادلها.. وخارجها الإدارة

سعر النسخة
السعودية ٨ ريالات
المغرب ٦ دراهم
تونس ٦٠٠ مليم
مصر ٥٠ قرشاً
البحرين ٨٠٠ فلس
قطر ٨ ريالات
السودان ١٥٠ قرشاً
الأردن ٥٠٠ فلس
الإمارات ٨ دراهم

المجلة السعودية الأم



دار الأصفهاني للطباعة بجدة



من كتاب هذا العدد

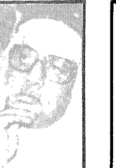
على خالد الغامدى — فاضـل السباعى

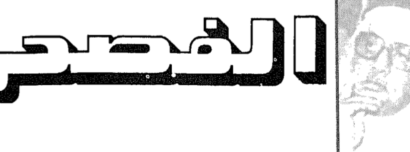
كمـال الوحيدى — د.عبد القادر عبد العزيز

مجلات الداخلية

● مجمع اللغة العربية بدمشق

● قصيدة «السيف» ● الشيوعية ركيزة صهيونية
● القضية الفلسطينية فى الشعر ● الطريق الى الوطن





ضمنا مجلس كانت «**العربية**» مدار الحوار فيه.. لفت انتباهي أن الجميع يتحدث باللهجة العامية فتذكرت مقولة أحد العلماء: لو أن أى عربى تحدث الى الآخر بعاميته لما فهم أحدهم الآخر. وهذا واقع الأمر بكل أسف.. وما كان أجدر بنا ألا نتمادى فى الخطأ حتى يوصلنا الى الواقع الذى نقرره الآن.. وكل أمر شاع فى مجتمعنا العربى والاسلامى وان كان خطأ أصبح ـ بكل أسف ـ واقعاً.. كل من تحدثه عن الخطأ يقول لك هذا هو الواقع.. أى أصبح عرفا.. والعرف كما يقولون له حكم القانون.. ولا يهم فى عرفهم إن كان القانون صواباً أم خطأ.. المهم انه سرى واستشرى..

الاستعمار ـ قديما وحديثا ـ عمل ولا يزال على الفصل التام بين الدين والدولة.. وأدخل عدة أنظمة وفلسفات للحكم ليصل بها الى غايته ووجد عند بعضنا افئدة وعقولا خاوية فانطلقت الخدعة وضرب النظامَ الاسلامى أهلُه.. فعزلوا الحكم عنه وحصروه فى داخل المسجد والانكحة حتى اصبح الامر واقعا.. وعندما ترتفع أصوات منادية بتحكيم كتاب الله سبحانه يدرج الأمر كمشروع ـ كأى مشروع معمارى او تجارى ـ ليعرض على مجلس النواب.. عجبا.. دولة مسلمة تناقش فى مجلسها ان كانت تريد الاسلام حكما ام لا.. وهذا هو الأمر الواقع.. ضربوا على وتر المرأة حتى نزعوا منها الحجاب.. حتى اصبح السفور واقعا.. أما الحجاب فَيُعرض للنقاش فهو جديد على المجتمع.. وهذا هو الامر الواقع ايضا..

وضمن هذه السخافات.. أطلقوا العنان للهجات العامية الدارجة.. جرت على الألسنة.. امتدت مساحتها وتقلّصت مساحة الفصحى وهكذا امتد الزحف العامى حتى أتى على العربية من أطرافها.. وعندما تيقن أعداء الفصحى أن الأمر اصبح واقعا ـ وهذا ما يهدفون إليه ـ تعالت أصواتهم بدراسة وتعميق الشعر الشعبى والادب الشعبى وتلتها الدعوة الى إلغاء الإعراب وحركات الإعراب. والدعوة الى تحطيم عمود الشعر العربى وقامت عدة دعوات تنادى بكتابة العربية بالأحرف اللاتينية وكثير من مثل هذه الدعوات المحمومة ضد اللغة العربية لا يعرف مداها الا الله سبحانه.. كلها تتعانق وتتكاتف وتلتقى عند بوتقة نتيجتها الهدم.. الهدم ممن يعملون ويخططون لهذا الهدم بكل قواهم ومن اولئك الذين اعتلوا الموجة موجة الجديد.. ولا يدرون أنها ستتحطم بهم عند أول صخرة عاتية.

عندما جاء الاستعمار الأوربى حاول اغلاق المعاهد الدينية المنتشرة فى كثير من الدول العربية والاسلامية لانها تغرس فى الناشئة اساسيات الدين واللغة ولما لم يفلح عمل على

وتيه العامية

إضعـافهـا بانشـاء مدارس عامـة تهتم بتعليم اللغـة الانجليزية او الفرنسية لدرجة ان معظم المواد كانت تدرس بها مما اضعف العربية عند خريجى تلك المدارس او على أقل تقدير أصبح الحديث فى مجالسهم يدور بلغة مختلطة جزؤها من العربية والآخر مما تعلموه من لغات أخرى.

هذا إضافة الى الوضع الاجتماعى الذى اصبغه على تلك المدارس وخريجيها.. من حيث طبيعة الوظائف التى يشغلونها والمرتبات التى يتقاضونها.. ومن الجانب الآخر حصر طلاب وخريجى المعاهد الدينية فى أضيق نطاق ما أمكنه. حتى انغرس فى ذهن العامة افضلية المدارس على المعـاهـد.. وهكذا استطاع الاستعمار بخبثه ودهائه ان يؤسس تعليـما (مـزدوجـا) يرمى فيـه بالفـرقة الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والعلمية بين هاتين المؤسستين التعليميتين..

وقبل هذا وذاك انشأ ما عُرف فى العالم العربى والاسلامى بـ(**مـدارس الارسـاليـات**) وهى فى مضمونها مدارس تبشيرية تديرها هيئة موكلة من مجلس الكنائس العالمى.. وهى لا تزال حتى يومنا هذا تؤدى ـ وبكل اسف ـ رسالتها التبشيرية ـ ويؤمها من ابناء المسلمين عدد غير قليل.. ولا تزال رواسب تلك التفـرقة او الفرقة قائمة حتى الآن فى أذهـان قلة من الناس ولولا جهود فردية بذلت من علماء اجلاء بصفة فردية او جماعية محدودة بذلوا جهدهم ومالهم وجندوا أنفسهم لخدمة الدين والعربية لظلت ألسنتنا تشكو العجمة..

ولا نحسب بحال ان الغزو الفكرى والثقافى المستعمر سيتركنا لحالنا.. كلا فالحرب بيننا وبينه سجال.. يظل يتربص بنا الدوائر فما وجد ثغرة الا وأطل منها..

غَيْرُ العرب عندما يهاجمون اللغة العربية ويحاربونها لا ينطلقـون من فراغ وانما من قاعدة أساسية تقوم على معرفة تامة بخاصية وفعالية هذه اللغة.. مكانتها وتأثيرها فى المتخاطبين بها.. انهم يعلمون انها ليست مجرد (لغة) وانما هى وعاء منهج كامل يحدد السلوك وخط السير. لغة تحدد فى منهجية دقيقة معالم الحياة فيما تحمله ولمن تحمله.. هم يدركون تماماً ويعلمون يقينا ان لها من السحر والجاذبية والمنهجية المحكمة ما جعل اصحاب اللغات الأخرى عن طوع واختيار منهم يعتنقونها لساناً كما اعتنقوا الدين الذى

.. العربية ليست مجرد لغة وانما هى وعاء منهج..

افصحت عنه عقيدة وعملاً. . حتى قال قائلهم «لأن أهجى بالعربية أحب إلىّ من أن أمدح بغيرها»

يقول أحد الرهبان فى أسبانيا «يا ويله على الشبان الأسبان تحت نير الاستعمار العربى الاسلامى. . فهم لا يتحدثون الا باللغة العربية ولا يكتبون الأشعار لخطيباتهم الا باللغة العربية بكيفية أجود من العرب أنفسهم» وفى قول لنابليون «لو أن عربياً ممن عاشوا فى الجاهلية حتّى اليوم لاستطاع ان يتفاهم مع قبائل العرب فى جميع بلاد العرب» وهذه هى عبقرية اللغة العربية الباقية ابداً وهذا ما جعلهم اكثر حرصاً على تفتيتها وهدمها بكل ما استطاعوه من وسائل.

تكاثرت عاديات الزمن على فصحانا. . (مخططات الاستعمار الفكرى والثقافى ذات النفس الطويل. . ضعفنا الثقافى. . بعد الشقة بيننا وبين اللغة الفصحى. . تفشى العامية فى كثير من الميادين حتى غزت مدرجات الجامعة) كل هذه العوامل وغيرها أوصلتنا لما نحن فيه الآن. .

والامر الواقع الآن ان كثيرا من خريجى الجامعات لا يستطيع ان يقيم جملة صحيحة. . حتى طالب كلية اللغة العربية ذاتها لا يعرف منها الا القشور يأخذ اللغة من وريقات المذكرات ولا يجهد نفسه بالرجوع الى امهات كتب التراث اللغوى والادبى التى حفظت لنا اللغة نقية صافية ناصعة ليقيم لسانه عليها. فاصبحوا هم أنفسهم ـ من حيث دروا أم لم يدروا حرباً على لغتهم. اليس هذا هو واقع الحال الآن؟

بلسان عربى مبين نزل القرآن الكريم. . وبهذا اللسان تلوناه. . بهذا اللسان العربى المبين فهمناه وطبقناه شريعة حياة ولا يزال اللسان به رطباً طريّا. . فهذا اللسان العربى ـ إذن ـ وسيلة تعبد ووسيلة حياة. . منهج متّبع. . فما بالنا نحيد عنه. . اللغة العربية ليست وليدا جاء ليسجل تاريخ مولده ثم يُقْبر وينزوى. . انما هى وليد جاء ليعيش ويخلد بكل أسباب الخلود ومعطيات البقاء. . جاء ليعيش بيننا نأنس به ويأنس بنا. . العربية ليست حدثا طمره الزمن واعتلته طبقات الارض المتراكمة فوق بعضها لكنها قديم وجديد. . بل جديد وجديد.

فها هو المتنبى (أبو الطيب أحمد بن الحسين) يطوف به أبوه على القبائل فى البادية حتى ينهل اللغة من ينابيعها الأصيلة. . والامام الشافعى يتتبع قبائل هذيل يتعلم منها الفصاحة. . أسلافنا فى عصور ازدهار حضارتهم كانوا يلقون بفلذات أكبادهم فى أحضان البادية ليستقيم لسانهم على الفصحى هرباً بلغتهم من لُكْنَة الحاضرة. . وكانت ضربة السيف البتار أهون عندهم من اللحن أو الخطأ فى اللغة. . انه الحرص على سلامة العربية. . عندما سمع الرسول ﴿ﷺ﴾ أحد الناس وقد لحن فى لغته قال لمن معه (أرشدوا أخاكم فقد ضلّ) سمى اللحن ضلالا. .

أليست اللغة هى سبيل فهم القرآن الكريم. . أليست هى سبيل فهم الدين الذى هو الحياة المثلى بكل تفاصيلها. . أليس الخطأ فيها يترتب عليه خطأ فى الفهم. . وهذا يترتب عليه خطأ حتمى فى كليات أو جزئّيات معطيات الحياة القائمة على ركائز هذا الدين. .

واذا تتبعنا رد فعل الخطأ فى اللغة او اللحن فيها نجده الاستهجان والاشمئزاز ممن فهموا اهداف وغايات اللغة. . فنسمع سيدنا عمر بن الخطاب يؤنب بعض الرماة على خطأهم فى اللغة (**لحنُكُم أشد علىَّ من فساد** رميكم) واللحن عند عبد الملك بن مروان (**أقبح من التفتيق فى الثوب النفيس**). . ويقول عمر بن عبد العزيز (**ان الرجل ليكلمنى فى الحاجة يستوجبها فيلحن فأرده عنها. . وكأنى اقضم حب الرمان الحامض.** .).

والآن. . الآن أمامنا عدة أسئلة تطرح نفسها بالحاح شديد وعلى خارطة العالم العربى بأجمعه منها:

● إذا أجرى مسح إحصائى يشمل عينات واسعة من طلاب الجامعات - باعتبارهم الطبقة المستنيرة - وعلى مختلف تخصصاتهم لقراءة القرآن الكريم من المصاحف كم من هؤلاء يستطيع قراءته قراءة سليمة؟ ترى كم تكون النسبة المئوية؟.

● إذا أجرى مسح إحصائى عينته القائمون بتدريس اللغة العربية (من المدارس الابتدائية وحتى الدراسات العليا فى الجامعات كم ترى من هؤلاء الأساتذة والمعلمين يلتزم الحديث بالعربية الفصحى؟

● إذا أجرى مسح إحصائى حول برامج الاذاعة والتلفزيون.. ترى كم نسبة البرامج التى يدور الحوار فيها بالعربية الفصحى.؟

إليست هذه فى مجموعها تمثل الأجهزة والمؤسسات الثقافية والعلمية ذات الأثر المباشر والفعال فى تكوين وبلورة الحاسة اللغوية وتنميتها وصقلها؟

● والآن أيضا وبالحاح شديد يطرق أسماعنا هذا التساؤل.. كيف نستطيع بناء جيل - على مستوى العالم العربى - يتحدث العربية بطلاقة ويتعامل بها ويكون نواه صالحة للأجيال التالية..؟ كيف نستطيع تنشئة جيل بعيد عن هذا الضياع وهذا التيه العامى..؟

وهذه المهمة من سيقوم بأمرها - الحكومات العربية منفردة ممثلة فى وزاراتها المختصة..؟ مجامع اللغة العربية؟ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم..؟

أسئلة واستفسارات عدة تدور فى خاطر الحادبين على مصير هذه اللغة نطرح للرأى العام والمهتمين ما ورد بخاطرنا منها.. وانا لنرجو الاصلاح ما استطعنا والله المستعان.

واذا كان ابو حنيفة عليه رضوان الله قد قال قولته المشهورة (آن لابى حنيفة ان يمدد رجله) لما تحدث من ظنه عالما فى مجلسه فلا ندرى ان حضر زماننا هذا هل كان سيضحك سخرية أم سيبكى حزنا..

اللغة العربية سارت فى موكب الفتوحات الاسلامية الخالدة وغزت الدول والممالك وكانت البوابة العريضة الواسعة للداخلين فى رحاب الدين.. أصبحت جسر العبور للثقافة الاسلامية العربية منها وإليها.. نقلتها بدقة وأمانة الى الشعوب غير العربية ونقلت خير ما عندهم من علوم ومعارف وفكر وفلسفة وادب وفن إليها.. وانصهر هذا الأخير فى بوتقتها فأصبحت هى الناطق بكل ذلك.. اكسبت كل هذا (الناتج) طعمها ومذاقها.. لغة اعتز بها أهلها وأعزوها فكانت لها الغلبة.. واللغة هى لسان القوم فان كانوا أقوياء قوى لسانهم وأبان عنهم وان ضعفوا وهزلوا هزل لسانهم وانتكست أعلامهم.. ويشهد على هذا الانتكاس عصور الانحطاط إذ تحولت اللغة فيها من موقف الفاتح الى موقف المدافع بل واخيرا الى موقف المستكين المغلوب على امره.

اللغة لا تحيا حياة هامشية الا إذا بات أهلها على رصيف الحياة.. ولا أحسبنا بحال نبيت على ارصفة الحياة ما دمنا نحمل بين جوانحنا هذه العقيدة السمحاء العربىّ لسانها.

نبيه الأنصاري

اتساع دائرة العاميّة يكون دائماً على حساب مساحة الفصحى



ميزانية الخير والبركة

«الميزانية» .. وقفة مراجعة متأنّية متأملة تناقش ما تم تنفيذه مما أُقِرَّ سلفا وما يمكن تنفيذه مستقبلا فى خطة متكاملة مدروسة . . يقوم منهجها على مجريات ووقائع الأحداث المحلية والاقليمية والعالمية . .

والمملكة العربية السعودية حين تنظر فى ميزانيتها وخطتها التنموية تضع امام ناظريها كل خطوط المد العلمى والصناعى والتكنولوجى والاجتماعى والبشرى . . فى نظرة فاحصة لحاضرها ومستقبلها . . وفاحصة للمنهج الامثل الذى تقوم عليه فى كل ميادينها ومساراتها . .

■ ولا تنحصر ميزانية مملكتنا الحبيبة فى حدودها بل تتجاوزها مدّاً خيّراً وانماءا فى مجالات خدمة الاسلام والمسلمين فى انحاء العالم العربى والاسلامى . . والتزاماتها المشتركة التى تستوجبها المجالات والدوافع الانسانية الأخرى .

نحن لسنا ـ بالطبع ـ هنا فى مجال حصر وتدقيق لما تقدمه مملكتنا الحبيبة لغيرها ولسنا أيضاً فى مجال حصر ما قدمته حكومة المملكة فى الداخل وما حققته من خطط التنمية فى جميع جوانبها وانما ـ فحسب ـ اعطاء نموذج ورسم خطوط عريضة لما قدم فعلاً وعملا .

ولقد شهدت المملكة خلال الخمسة عشر عاماً الماضية تحولاً اقتصادياً يفوق فى حجمه التحولات الاقتصادية للعديد من الدول خلال قرون عديدة . . وخلال تلك الفترة ظلت المملكة تبذل جهوداً حثيثة لتحويل ثروتها النفطية القابلة للنضوب الى مصدر ثابت ومستمر للدخل القومى باستخدامها للايرادات النفطية فى تمويل التجهيزات الاساسية المطلوبة لتمكين اقتصادها التسويقى العصرى من اداء وظيفته على اكمل وجه .

وبما أن واردات النفط ظلت تتقلب حسب اتجاه السوق العالمى . . وتحسبا لمفاجآت هذا السوق غير المستقر كانت نظرة حكومتنا الرشيدة بعيدة وثاقبة وحكيمة فى ادخار الفوائض الاحتياطية كوقاء وهى تمثل أحد العناصر الاستراتيجية التى تستهدف ضمان سلامة برامج التنمية فى المملكة عند وقوع نقص فى الايرادات النفطية . . مما وفر للدولة المرونة المطلوبة للسير قدماً فى برامجها الانمائية رغم الاتجاهات غير المواتية فى السوق العالمية للنفط . .

ولذلك فإن خطط التنمية لهذا البلد الطيب عمدت الى توظيف كل امكانات المملكة الاقتصادية



السعودية حققت نموًا اقتصاديًا فى ١٥ عامًا يفوق ما حققته دول أخرى فى قرون «أبا الخيل»

الاقتصاد السعودى دخل مرحلة انتقالية تتسم بمعدل تقدم مستمر

والاجتماعية من اجل بث نواة صناعية وزراعية واجتماعية جبارة بدأت والحمد لله ـ تكبر وتتفرع حتى غدت مشاتل خير وبركة فى جميع النواحى.

يحصد المواطن السعودى خيراتها وثمارها جيلاً بعد جيل.. وما مشاريع الجبيل وينبع الصناعية الا شاهدان عملاقان على ما اسلفت.. هذا ولنضف لها نتائج الاكتفاء الذاتى من القمح بل وازيد تصدير ما يفيض الى دول أخرى.. وكثير من مشاريع الخير والنماء بدأت تظهر وتكبر وتأتى اكلها.

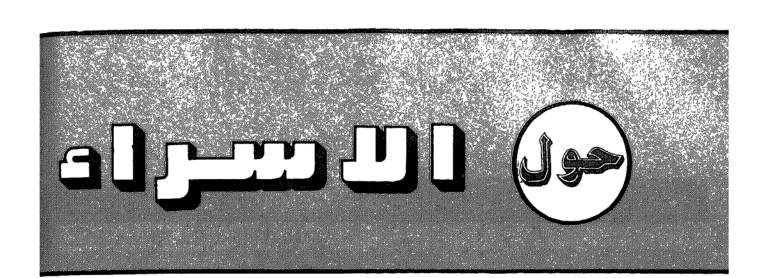
ولقد عمدت الخطط التنموية السابقة والآتية ان شاء الله إلى التوسع الهائل فى الخبرة الوطنية السعودية العاملة وإلى التوسع فى التعليم والتدريب للشباب السعودى والعمل على تزويده باحدث وسائل التكنولوجيا الحديثة مساهمة فى استمرار مسيرة بلادنا فى شتى صنوف المعرفة ومجالات الخبرة.

■ لا غرو ان تنمية القدرات البشرية وتدريبها أصبح من أساسيات ومقومات الحياة الحديثة. وكل ما يمكن القيام به فى هذا الجانب يعد رصيدا علميا واقتصاديا واجتماعيا لا غنى عنه.. وهو بعينه الخط الواعى الذى تسلكه حكومتنا الرشيدة فى نهجها وتطلعها لمستقبلها القريب والبعيد.. وما احرانا للتركيز على هذه الأبعاد ذات الناتج الايجابى فى بناء صرح حياتنا.. وهنا يأتى دور شبابنا الفتىّ الواعد فى تحمل مسئولياته المنوطة بكاهله.. ولا غرو أيضا إن حسبنا هذه الوجهة فى الرقم الحسابى لاقتصاديات الدول.. وهذا بالطبع يسبقه الجانب الانسانى فى الشباب كمدخر ورصيد حقيقى لحياة إنسانية

أن المقدرة الكبيرة التى حدثت بالمملكة فى تخفيض معدل الانفاق لتواكب الظروف الاقتصادية العالمية تعد تجربة اقتصادية فريدة ورائعة وهى بحق معادلة استطاعت الايدى السعودية تركيبها ومن ثم حل رموزها وأجبرت جميع اقتصاديي العالم والذين شككوا فى امكانية بلوغ هذا المعدل من الخفض. نعم اجبرتهم ان يقفوا مبهورين بقدرة الدفعة السعودية المخلصة على قيادة هذا البلد الى بر الامان الاقتصادي.

وتأتى ميزانية عام ١٤٠٦هـ/ ١٤٠٧هـ لتؤكد استمرارية هذا التحدى ولتؤكد حرص حكومتنا الرشيدة على العمل من اجل رفاهية المواطن وراحته وليستمر مبدأ التركيز على التشغيل والصيانة للمشاريع العملاقة التى نفذت من قبل مع ضمان معدل التوازن لكل افراد الشعب





كان الاسراء والمعراج ـ دون جدال ـ معجزة بكل ما تحمل كلمة المعجزة من معانٍ وما تشير إليه من إيماءات. . هذه المعجزة التى اختص الله عز وجل بها خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم لتكون لها معانيها الشاملة الباقية الى يوم أن يرث الله الارض ومَنْ عليها.

وعندما نحيا فى ذكرى الاسراء والمعراج فعلينا بعقول متفتحة وايمان ثابت لا يتزعزع ان نتدارس هذه المعجزة وان نتأملها. . وان نعى معانيها ومقاصدها الشريفة. . وان ننهل منها ما يمكن ان يحقق لنا نحن النفع ويحقق لنا النجاح فيما نقوم به من الدعوة الى الله والى الدين الحنيف.

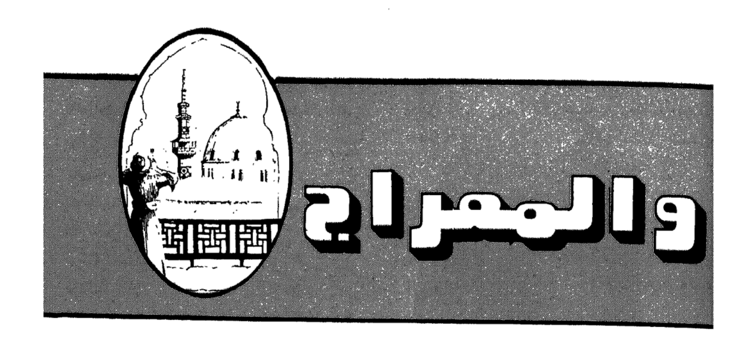
منذ ان اعلن خاتم النبيين ﴿ﷺ﴾ الدعوة العظيمة من عند الله سبحانه بدأ العداء يتجه نحوه ونحو ما يدعو اليه والدعوة لا تزال فى مهدها.

وفى ذلك الوقت كان هناك من آمن برسول الله ﴿ﷺ﴾ حقا وصدقا ـ وهم قليل ـ وكان هناك من لم يكتمل الايمان فى قلبه. . وكان هناك من هو حديث العهد بالاسلام فلم يدخل الايمان فى قلبه فقد كانوا مذبذبين لا الى هؤلاء ولا إلى هؤلاء اما الاعداء فكانوا هم الاعداء لم يتوقفوا للحظة واحدة عن استخدام كافة الوسائل والالاعيب من اجل تصفية الدعوة فى مهدها والتخلص من رسول الله ﴿ﷺ﴾ ومن آمن بدعوته الكريمة.

ولما مات أبو طالب نال رسول الله عليه الصلاة والسلام من قريش من الاذى مالم تكن تطمع فيه حال حياة أبى طالب وازداد أذاهم وانصرافهم عن الاسلام وزهدهم فيه.

عند هذا الموقف خرج الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ من (مكة المكرمة) الى (الطائف) يلتمس النصرة من (ثقيف) وان يدخلوا فى الاسلام. . وعمد الى نفر من سادتها واشرافها فجلس اليهم ودعاهم بالحكمة والموعظة الحسنة الى الله والى الاسلام.

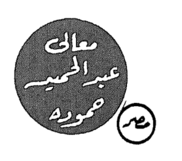
ماذا فعلت ثقيف؟. . كان رد اشرافها وسادتها اسوأ رد إذ استهزأوا برسول الله ﴿ﷺ﴾ واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يرجمونه بالحجارة. . وكان



السفهـاء قد قعـدوا له صفـين على طريقـه فلما مر الرسول ﴿ﷺ﴾ بين صفيهم جعل لا يرفع رجليه الا رضخوهما بالحجارة حتى أدموهما.

عمد رسول الله ﴿ﷺ﴾ الى حائط فاستظل بظل نخلة وهـو مكـروب موجـع واذا فى الحـائط (عتبة) و(شيبة) ابنا ربيعة فلما راهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله.

فلما رآه ابنا ربيعة ومالقى تحركت له رحمهما فدعوا غلامـا لهما نصرانيا يقال له (عداس) فقالا له؛ خذ قطفا من العنب فضعه فى هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له ياكل منه. ففعل عداس ثم اقبل به حتى وضعه بين يدى رسول الله ﴿ﷺ﴾ فلما وضع رسول الله يده قال: بسم الله ثم أكل.



نظر عداس فى وجهه ثم قال: والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد.. فقال له رسول الله: ومن اى البلاد أنت يا عداس وما دينك؟ قال؛ نصرانى وأنا من اهل (نينوى).. فقال له رسول الله ﴿ﷺ﴾ من اهل قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى؟، قال رسول الله ذاك اخى كان نبيا وانا نبى.

اكب عداس على رسول الله ﴿ﷺ﴾ يقبل رأسه ويـديـه وقـدميه فلما جاءهما عداس قالا له: ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟.. قال لهما عداس: ما فى الارض خير من هذا لقد اعلمنى بامر لا يعلمه الا نبى.

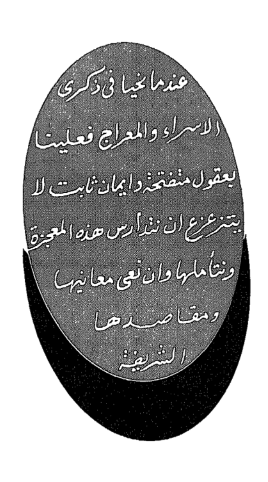
وانصرف رسول الله ﴿ﷺ﴾ من الطائف عائدا الى مكـة وهـو محزون فلم يستجب له رجـل واحد ولا امرأة.. فلما نزل (نخلة) قام يصلى من الليل فصرف اليه نفر من الجن فاستمعوا اليه وهو يقرأ سورة الجن ولم يشعر بهم رسول الله ﴿ﷺ﴾ حتى نزل عليه قول الله تبارك وتعالى:

﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن﴾.

قال زيد بن حارثة لرسول الله ﴿ﷺ﴾ كيف تدخل عليهم ـ يعنى قريشا ـ وهم أخرجوك؟ فقال رسول الله يا زيد: ان الله جاعل لما ترى مخرجا وفرجا . . وان الله ناصر دينه ومظهر نبيه . . ثم انتهى الى (حراء) فارسل رجلا الى (المطعم بن عدى) أأدخل الى جوارك؟ فقال: نعم . . ودخل رسول الله ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى الى المسجد الحرام ثم انتهى الى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف إلى بيته.

قبل ان نصل للحديث عن بعض معانى الاسراء والمعراج علينا ان نتأمل ما سبق فرسول الله ﴿ﷺ﴾ عندما اشتد ايذاء قريش له ترك مكة المكرمة ليس هاربا ولكن منتقلا بالدعوة الى مكان آخر هو الطائف يدعو سادتها واشرافها الى الاسلام . . ومن هنا علينا ان نتعلم كيف ان الداعى الى الله تاسيا برسوله ينبغى عليه الا يجزع ولا يفزع مما يتعرض له بل عليه ان يدعو لدين الله فى كل مكان بوسعه ان يصل اليه.

وتعرض رسول الله ﴿ﷺ﴾ للايذاء الشديد فى الطائف . . ووصل الامر بسادتها وعبيدها وسفهائها ان اهانوه واستهزأوا به . . وضربوه بالحجارة وادموه . . ومع ذلك يتقابل النبى مع خادم نصرانى فلا يجبره الرسول على اعتناق الاسلام ولكن يتحاور معه ثم يخبره انه نبى . . فما كان من الغلام النصرانى الا ان قال: مافى الارض شيىء خير من هذا الرجل . . حتى فى هذا الموقف العصيب الذى تعرض له اكرم خلق الله انما دعا الى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة . .



ثم جاءت معجزة الاسراء والمعراج اذ أُسرى برسول الله ﴿ﷺ﴾ من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فيما قصه علينا القرآن الكريم من قوله تعالى:

﴿سبحانَ الذى أسْرَى بعبده ليلاً مِن المسجدِ الحرام إلى المسجدِ الأقصى الذى باركنا حولَهُ لنُريَهُ من آياتِنا إنّه هو السميعُ البصيرُ﴾.

وكان فى مسراه عليه الصلاة والسلام بلاء وتمحيص وعبرة لاولى الالباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق وكان من امر الله على يقين فاسرى به كيف شاء وكما شاء ليريه من آياته ما اراد حتى عاين ما عاين من امره وسلطانه العظيم الكريم وقدرته التى لا اول لها ولا نهاية التى يصنع بها ما يريد.

اسرى برسول الله ﴿ﷺ﴾ من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ومنه الى ما شاء الله من القرب والدنو والسير فى السموات ومشاهدة الآيات والاجتماع بالانبياء الكرام عليهم سلام الله .

وروى رسول الله ما حدث له ليلته من الاسراء . . ووقعت ضجة مدوية لم تحدث من قبل . . ووقعت فتنة لم تقع من قبل . . واهتزت مكة كلها من اولها الى آخرها . . لهذا الحدث العجب . .

يصف لنا الحافظ ابن كثير الدمشقى هذا الموقف الفذ فى كتابه : «السيرة النبوية ٢/ ٩٦» (ثم انصرف رسول الله ﴿ﷺ﴾ الى مكة المكرمة فأخبر فأصبح يخبر قريشا بذلك فذُكِرَ أنه كذَّبه أكثر الناس وارتدت طائفة بعد اسلامها وبادر الصديق رضى الله عنه الى التصديق وقال : انى لأصدقه فى خبر السماء بكرة وعشية أفلا أصدقه فى بيت المقدس؟) .

● ويقول ابن هشام فى كتابه : «سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٢» .

(فلما اصبح رسول الله ﴿ﷺ﴾ غدا الى قريش فأخبرهم الخبر فقال أكثر الناس : هذا والله الامر - اى العجيب والمنكر - البين والله ان العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة؟) .

علم المسلمون المؤمنون بهذه المعجزة الباهرة ان الله عز وجل مؤيد دينه وناصر نبيه فازدادوا يقينا وصبرا . . وعاد النبى الكريم من هذه الرحلة بما لقى من تكريم إلهى ، عاد وقد ازداد قوة واقبالا على نشر الدعوة واحتمال المعاناة فى سبيلها حتى اظهر الله هذا الدين العظيم .

ثم جاء أهم (رد فعل) لهذه المعجزة اذ انها كانت ابتلاء وتمحيصا وتصفية نهائية اخرجت من بين صفوف المسلمين من لو بقوا فيهم لكانوا شرا عليهم ومصدر خذلان لهم .

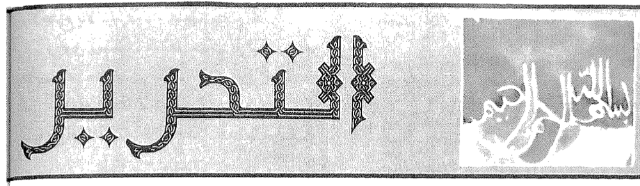
وتجىء المعانى الكبيرة الفاضلة من هذه المعجزة الكريمة فمنها اجتماع خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام باخوانه الانبياء السابقين بالمسجد الاقصى وامامة الصلاة بهم جماعة وفى هذا المعنى الكثير من النفع والفوائد التى تثبت الاخوة بين الاسلام والانبياء قبل رسول الله وتثبت ختام النبوة والرسالات الالهية فلا نبى ولا رسول بعد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وتثبت ان الاديان السابقة للاسلام قد هيمن عليها الاسلام وهيمنت عليها الرسالة الخاتمة التى جاء بها رسولنا الكريم .

وفى الاسراء والمعراج فرض الله تبارك وتعالى على رسوله وأمته الصلاة التى هى عماد الدين والتى بدونها لا يكون هناك ايمان ولا دين .

وفى الاسراء والمعراج شاهد الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ من المشاهد التى توضح الاوامر الإلهية التى امر الله الناس باتباعها والنواهى الالهية التى أمر الله الناس بالابتعاد عنها .

ويبقى ان نقول لانفسنا ماذا نفعنا هذا السبات العميق وتلك الحلول الانهزامية التى تفرض علينا أليس من الانفع والأجدى والافضل ان نأخذ باسباب النصر ونعود الى الله حتى نستطيع استعادة مسجدنا الاقصى الذى اغتصبه شرار الخلق وأحط مخلوقات البشرية؟

عينة من ادلة الترجيح والتعليل في :



لعل أبرز ما يمتاز به تفسير العلامة الامام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير) يجتمع فى ثلاث نقاط

النقطة الاولى:

بيان معانى مفردات القرآن وأساليب استعمالها بدقة لا نكاد نجد الكثير منها فى قواميس اللغة وموسوعاتها. فهو يتوسع فى ذلك توسعا يدل على مدى تمكنه من اللغة العربية وتبحره فى علومها.. وتوفقه فى الاستدلال على المعنى المراد.. وصحة حمل الالفاظ على الاستعمال كاستعمال اللفظ المشترك فى أحد معنييه او معانيه.. واستعمال اللفظ فى حقيقته أو مجازه.. وفى صريحه أو كنايته. ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله يسجُدُ له مَنْ فى السموات ومَن فى الارضِ والشمسُ والقمرُ والنجوم والجبالُ والشجرُ والدواب﴾ فللسجود معنيان.. حقيقى وهو وضع الجبهة على الارض ومجازى وهو التعظيم والتقديس. وقد استعمل فعل (يسجد) هنا للمعنيين الحقيقى وهو سجود الناس والملائكة له والمجازى وهو سجود ما لا يعقل كالشمس والقمر والنجوم والجبال الخ.

وهو لا يغفل فى ذلك كله عن بديع الاشارة الى فن دقائق البلاغة وبيان وجوه الاعجاز، ونكت البلاغة العربية فى أساليب الاستعمال.

النقطة الثانية:

اهتمامه ببيان تناسب اتصال آى القرآن بعضها ببعض وهو منزعٌ جليل قد عنى به فخر الدين الرازى وألّفَ فيه برهان الدين البقاعى كتابه المسمى «**نظم الدرر فى تناسب الآى والسور**» ولكنهما كما قال الشيخ ابن عاشور: (لم يأتيا فى كثير من الآى بما فيه مقنع.. فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع).

اما هو فقد التزم بذلك فى تفسيره كله فى شمول ودقة كما قال فى التمهيد:

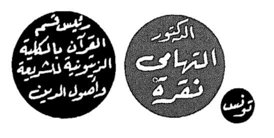
«**ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر فى تفسير القرآن مقصورا على بيان مفرداته ومعانى جمله كأنّها فِقَر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله**»(1)كقوله مثلا فى تفسير هذه الآية ﴿**ولتَجِدَنّهم أحْرصَ الناسِ على حياة..**﴾ (البقرة: ٩٦) معطوف على قوله: ﴿**ولن يتمنوه ابدا**﴾ للاشارة الى أن عدم



تمنيهم الموت ليس على الوجه المعتاد عند البشر من كراهية الموت ما دام المرء بعافية بل هم تجاوزوا ذلك الى كونهم أحرص من سائر البشر على الحياة.. حتى المشركين الذين لا يرجون بعثا ولا نشوراً ولا نعيما فنعيمهم هو نعيم الدنيا فاليهود يتمنون أن يعمروا أقصى امد التعمير مع ما يعترى صاحب هذا العمر من سوء الحالة ورذالة العيش(٢).

النقطة الثالثة:

الادلة التى يستعملها فى تفسيره ابتداء أو عند ترجيح وجه او رأى على آخر.. وكذلك حسن التعليل لما يراه أمثل الوجوه واقربها إلى السداد عند تقرير المعنى المراد. وهنا تتجلى منزلة (ابن عاشور) العلمية من خلال سعة اطلاعه.. وتوغله فى شعب المعارف والفنون.. وتمكنه من علوم المقاصد وعلوم الوسائل.



كما تتجلى منزلته الفكرية فى عمق تحليله وثاقب رأيه وبعد نظره وبراعته فى الاقناع بالبراهين.. وفى تمحيص الأدلة وتوجيهها مع قدرة فائقة على الاستنباط والحكم وحل القضايا الشائكة بأوضح المناهج وأيسر الحلول.

فقضية الصلاح والأصلح عند أهل الاعتزال من القضايا الأساسية التى عارضهم فيها أهل السنة وقد تناظر فيها الأشعرى مع شيخه الجبائى وفارق الاشعرى من أجلها نحلة الاعتزال كما هو معلوم يستدل ابن عاشور على بطلانها من أساسها من خلال تفسيره لقوله تعالى:

﴿كُتبَ عليكم القتالُ وهو كُرْه لكم. وعسى أن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خيرٌ لَكُمْ وعسى أن تُحبّوا شيئاً وهو شرٌ لكم والله يعلمُ وأنتُم لا تَعْلَمُونَ﴾.

فالمناسبة بين الآية وبين قول المعتزلة بوجوب مراعاة الصلاح والأصلح على الله قد تبدو بعيدة إذ لا علاقة تربط بينهما فى الظاهر فلا يكشف عن هذه العلاقة بالمناسبة الخفية وهى لطف الله الخفى بخلقه إلا من تمرس بعلم العقيدة وفهم آراء الفرق الاسلامية فى مختلف محاورها وجزئياتها ودرس علم الكلام والفلسفة والتشريع وهو ما يشعر به المتأمل فى تفسير ابن عاشور لهذه الآية الكريمة بما



استعمله من مصطلحات وبها أثاره من مسائل وجزئيات.. تتساند فيها الآراء.. وتتسلسل النظريات.. ويركز فيها الكلام حتى ينقلب إلى استدلال ولكن بطريق غير مباشر.

يقول فى تفسيره للآية:

«فالقتال كريه للنفوس لأنه يحول بين المقاتل وبين طمأنينته ولذاته.. ونومه وطعامه وأهله وبيته.. ويعرضه لخطر الهلاك أو ألم الجراح.. ولكن فيه دفع المذلة الحاصلة من غلبة الرجال واستضعافهم».

ومعلوم أن كراهية الطبع للفعل لا تنافى تلقى التكليف به برضى لأن اكثر التكليف لا يخلو من مشقة.

ثم هو يعلل وجه الربط بين قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عليكم القتالُ وهو كُرْهٌ لَكُمْ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وهَوُ خيرٌ لَكُمْ﴾ فيقول: لأن القتال إذا كان مكروها فإن شأن رحمة الله بخلقه الا يكتبه عليهم فجاءت الآية الموالية تذييلا لرفع الاستغراب وتلطف من الله تعالى ولرسوله والمؤمنين.. وان كان سبحانه وتعالى غنيا عن البيان والتعليل لأنه يأمر فيطاع ولكن فى بيان الحكمة تخفيف من مشقة التكليف.. وفيه تعويد المسلمين بتلقى الشريعة معللة مذللة.. فأشار الى أن حكمة التكليف تعتمد المصالح ودرء المفاسد ولا تعتمد ملاءمة الطبع ومنافرته إذ يكره الطبع شيئا وفيه نفعه وقد يحب شيئا وفيه هلاكه وذلك باعتبار العواقب والغايات فإن الشيء قد يكون لذيذاً ملائما ولكن ارتكابه يفضى إلى الهلاك.. وقد يكون كريها منافرا وفى ارتكابه صلاح.. وشأن جمهور الناس الغفلة عن العاقبة والغاية أو جهلها فكانت الشرائع وحملتها من العلماء والحكماء تحرض الناس على الأفعال والتروك باعتبار الغايات والعواقب).

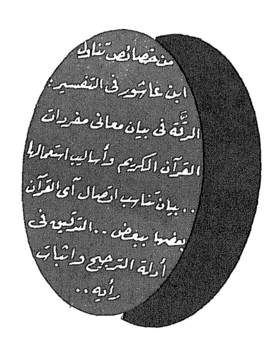
فإنا نرى هذا التفسير المعلَّل براعة فى المزج بين ما يرجع الى الطباع البشرية وما يرجع إلى حكمة التشريع.

ثم إن الآية لما كانت تحتمل وجهين فى التفسير أحدهما: أن تكون خبرا عن تشريع مضى.. وثانيهما: أن تكون إنشاء تشريع بسط الاحتمالين فى جلاء وبيَّن أن الأول أظهر وأقرب الى المراد ليناسب قوله عقبه: ﴿يسألونَكَ عَنْ الشهر الحَرَام قِتَالٍ فِيه﴾ وقد قال فى تقريره للوجه الأول: (إن الآية خبر عن تشريع مضى فتكون جملة (وَهُوَ كُرْه لَكُمْ) حكاية لحالة مضت فى أيام قِلَّة المسلمين، فكان إيجاب القتال ثقيلا عليهم وقد كان من أحكامه أن يثبت الواحد منهم لعشرة من المشركين أعدائهم وذلك من موجب كراهيتهم القتال. وعليه فليس يلزم أن تكون تلك الكراهية باقية إلى وقت نزول هذه الآية، لاحتمال نزولها فى شأن صلح الحديبية وقد كانوا كرهوا الصلح واستحبوا القتال لانهم يومئذ جيش كثير. فيكون تذكيرا لهم بأن الله أعلم بمصالحهم فقد أوجب عليهم القتال حين كانوا يكرهونه.. وأوجب عليهم الصلح فى وقت أحبوا فيه القتال.. فحذف ذلك لقرينة المقام والمقصود الافضاء إلى قوله سبحانه: ﴿وعسى أنْ تَكْرَهُوا شيْئاً وهُوَ خَيْرٌ لكم﴾ لتطمئن أنفسهم بأن الصلح الذى كرهوه هو خير لهم كما تقدم فى حوار عمر مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ ومع أبى بكر.

أما تعمقه فى الشرح والتحليل.. وغوصه على المعانى لاستخراج درر الحكمة.. فكثيرا ما يمهد إليها بسؤال يثير به الانتباه إلى ما يلوح فى الاجابة عليه من طرافة ودقة وصعوبة.. ولكنه يجيب على السؤال المثير بما يشفى الغليل مع استيفاء لفنياته واحتواء على كلياته وجزئياته مما يدل على سعة أفقه الفكرى والثقافى فى مجال المعرفة كقوله فى فلسفة النافع والضار.. وما يحب الانسان وما يكره.. والحكمة من اختباره فى اختيار ما ينفعه وترك ما يضره.. وتقرير نظرية النقض الذى نقض به الاشعرى على شيخه الجبائى أصلا من اصول الاعتزال فى وجوب الصلاح والاصلح.

وكقوله وهو يمعن فى تفسير هذه الآية نفسها

تفسير احاطة وشمول.. واستقصاء وتفصيل.. يشهد أن نفسه طويل وعلمه غزير.



فإن قلت: ما الحكمة فى جعل أشياء كثيرة نافعة مكروهة وأشياء كثيرة ضارة محبوبة..؟ وهلا جعل الله تعالى النافع كله محبوبا والضار كله مكروها فتنساق النفوس للنافع باختيارها وتجتنب الضار كذلك فنُكفَى كلفة مسألة الصلاح والأصلح التى تناظر فيها الأشعرى مع شيخه الجبائى وفارق الاشعرى من أجلها نحلة الاعتزال؟.. قلت: إن حكمة الله تعالى بنت نظام العالم على وجود النافع والضار والطيب والخبيث من الذوات والصفات والأحداث.. وأوكل للانسان سلطة هذا العالم بحكم خلقه الانسان صالحا للأمرين.. وأراه طريقى الخير والشر كما قدمناه عند قوله تعالى ﴿**كان الناس أمة واحدة**﴾ وقد اقتضت الحكمة أن يكون النافع أكثر من الضار.. ولعل وجود الأشياء الضارة كوَّنها الله لتكون آلة لحمل ناس على اتباع النافع كما قال تعالى ﴿**فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ومنافعُ للناسِ**﴾. وقد أقام نظام هذا العالم على وجود المتضادات.. وجعل الكمال الانسانى حاصلا عند حصول جميع الصفات النافعة فيه بحيث إذا اختلت بعض الصفات النافعة منه انتقضت بقية الصفات النافعة منه أو اضمحلت وجعل الله الكمال أقل من النقص لتظهر مراتب النفوس فى هذا العالم ومبالغ النفوس البشرية فيه فاكتسب الناس وضيعوا، وضروا ونفعوا، فكثر الضار وقلَّ النافع بما كسب الناس وفعلوا.. قال تعالى: ﴿**قُلْ لا يَسْتَوِى الخَبِيثُ والطَّيبُ وَلَوْ أعْجبَكَ كَثْرةُ الخَبِيثِ**﴾.

كما صارت الذوات الكاملة الفاضلة أقل من ضدها صارت صفات الكمال عزيزة المنال وأحيطت عزتها ونفاستها بصعوبة منالها على البشر وبما يحف بها من الخطر والمتاعب لانها لو كانت مما تنساق لها النفوس بسهولة لاستوى فيها الناس فلم تظهر مراتب الكمال ولم يقع التنافس بين الناس فى تحصيل الفضائل واقتحام المصاعب لتحصيلها.. قال ابو الطيب:

ولا فضل فيها للشجاعة والندى
وصبر الفتى لولا لقاء شعوب

فهذا سبب صعوبة الكمالات على النفوس.

ثم إن الله تعالى جعل نظام الوجود فى هذا العالم يتولد الشىء من بين شيئين وهو المعبرَّ عنه بالازدواج.. غير أن هذا التولد يحصل فى الذوات بطريقة التولد المعروفة.. قال تعالى: ﴿**ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين**﴾.. واما حصوله فى المعانى فانما يكون بحصول الصفة من بين معنى صفتين أخريين متضادتين متعادلان فى نفس فينشأ عن تعادلهما صفة ثالثة.

وبهذا تكمل نظرية النقض الذى نقض به الشيخ الأشعرى على شيخه الجبائى أصلهم فى وجوب الصلاح والأصلح فيكون بحث الأشعرى نقضا وكلامنا هذا سندا وانقلابا الى استدلال.

ألم يكن فى هذا البيان من فنون القول وحسن الاستدلال وتحليل إشكالية الانسان فى هذا العالم الذى أقيم على المتناقضات لتظهر مراتب النفوس فيه وتتهيأ الأنفس لمراتب المخلوقات فى عالم الخلود ما يبرز عبقرية هذا العالم الجليل وما أودع الله فيه من فكر ثاقب وذكاء وقَّاد

وقدرة على إزالة الحواجز وحسن المزج بين العلوم الانسانية والعلوم الدينية فى خدمة القرآن الكريم.

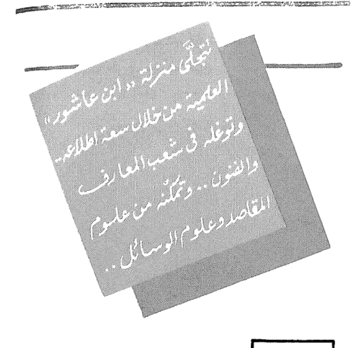
فلنتأمل كيف يختم تفسيره للآية التى ختمت بقوله سبحانه ﴿والله يَعْلَمُ وانتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ فيقول معللا ومستنبطا: لأن الله يعلم الاشياء على ما هى عليه والناس يشتبه عليهم العلم فيظنون الملائم نافعا والمنافر مضراً.

والمقصود من هذا تعليم المسلمين تلقى أمر الله تعالى باعتقاد أنه الصلاح والخير وأن ما لم تتبين لنا صفته من الافعال المكلف بها نوقن بأن فيه صفة مناسبة لحكم الشرع فيه فنطلبها بقدر الامكان عسى أن ندركها لنفرع عليها ونقيس ويدخل تحت هذا مسائل مسالك العلة لان الله تعالى لا يجرى أمره ونهيه إلا على وفق علمه.

هذه عينة من تفسيره لآية واحدة فى التحرير والتنوير الحافل بالأدلة الحاسمة المقررة لحقيقة أو الموجهة لمذهب.. اوالمرجحة لرأى.. والتى يصوغها الشيخ الامام بأسلوبه الجزل.. ويستلهمها من خزينة معلوماته الثرية فى العلوم اللسانية أو الانسانية أو الشرعية بحسب ما يقتضيه الموضوع والمقام.. ومن تعليلاته الذكية المقنعة التى يستنبطها من الأصول والكليات أو القياس بالاجتهاد.. أو مما لا يختلف فيه الناس من المسلمات بعيدا عن شطحات الخيال.. وعن التعصب المذهبى.. وعن التحكم بالرأى ملتزما بمدلول النص.

وهو فى ذاته موسوعة جمعت شتى الفنون والعلوم.. يستخدمها فى مواطنها ومناسباتها.. ويستعملها عند الحاجة إليها فى مقاماتها رحمه الله وطيب ثراه.

(١) ١/ التمهيد: ٨ (ط الدار التونسية للنشر).
(٢) التحرير والتنوير: ١/ ٦١٧.



وضحنا فى مقال سابق دور الاتصال الشخصى فى نشر الدعوة الاسلامية واستكمالا للحديث نتناول دور قادة الرأى فى نشر الدعوة الاسلامية من خلال الاتصال الشخصى. فقد وعى الرسول ﴿ﷺ﴾ بفطرته ما يمكن للقادة تحقيقه من تأثير على من يدور فى فلكهم.. وبذل النبى أقصى جهده لكى تكتسب الدعوة من بين هؤلاء مؤيدين حتى تخف حدة المعارضة للاسلام والمسلمين ويزداد عدد المسلمين من تابعى هؤلاء القادة.. ولكم تمنى الرسول أن تعز الدعوة باسلام أحدهم فكان له ما أراد باسلام عمر بن الخطاب ثم باسلام حمزة بن عبد المطلب.

ودعا النبى الى الاسلام قادة الرأى بين القبائل العربية فكان لا يسمع برجل من العرب قدم على مكة وله شرف ومكانة فى قومه إلا لقيه وعرض عليه أمره وسأله على النصر والحماية(١).

ويوم غادر النبى ﴿ﷺ﴾ مكة المكرمة الى الطائف لدعوة أهلها رجا لقادتها أن يسلموا فيساعدوا الدعوة على الانتشار ولا يعرقلوا مسيرتها كما فعل قادة مكة فعمد النبى ﴿ﷺ﴾ الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا أخوة ثلاثة هم: عبد ياليل وأخوه مسعود وحبيب وهم أولاد عمرو بن عمير بن عوف الثقفى وكلمهم النبى فلم يؤمنوا به(٢).

دور

قادة الرأى فى عملية الاتصال الشخصى

فى الدعوة الاسلامية

وقد جسد خروج النبى ﴿ﷺ﴾ الى الطائف ورفضر قادتها الاسلام مدى ما يمكن للقيادة أن تحدثه من تأثير فى المجتمع العربى القبلى ـ تجسيدا واقعيا فقد كان القادة السادة من قريش يقفون فى طريق النبى ﴿ﷺ﴾ بمالهم وجاههم وقوتهم يصدون الناس عنه ويكيدون له كيدا شديدا حتى ليجمدوه فى مكة المكرمة تجميدا ظاهرا بينما يقف الآخرون خارج مكة لا يقبلون على الدعوة التى يقف لها أقرب الناس الى صاحبها وأشدهم عصبية له فى بيئة جاهلية قبلية تجعل لموقف القبيلة كل قيمة وكل اعتبار(٣).

الرسول ﴿ﷺ﴾ جعل كل واحد من أتباعه مطالبا بأن ينقل لغيره الدعوة فزاد بذلك قنوات الاتصال الشخصي التي نقلت فكر الدعوة فصار أبو بكر داعية يدعو من خلال اتصاله الشخصي بمن يعرفه ويثق فيه.. وكذلك كان أبو ذر الغفاري والطفيل بن عمرو الدوسي..

ولما كان النبي ﴿ﷺ﴾ حمَّل أصحابه مهمة دعوة غيرهم سواء كان هؤلاء الأتباع الذين ينقلون لغيرهم قادة أو سادة أو أناسا عاديين فقد حمل النبيّ المسلمَ أيا كان وضعه أو مركزه أمانة نقل الدعوة بدليل قوله: «نضر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثم أداها الى من يسمع»(٤).



وكان الرسول ﴿ﷺ﴾ أشد حرصا على قيام القادة بعملية الاتصال الشخصى لنقل الدعوة لما يمكن أن يكون لهم من تأثير أشد فاعلية من غيرهم الذين لم تجتمع لهم صفات القيادة ورجا النبى للطفيل الشاعر الذى يملك امكانية التأثير بالكلمة المنظومة شعرا رجا له التوفيق فى دعوة قومه فقال النبى «اللهم اجعل له آيه..»(٥).

اذن فقد كان النبى ﴿ﷺ﴾ يطلب من الناس أن ينقلوا لغيرهم ما يسمعونه منه «**تسمعون ويُسْمع منكم ويُسْمع ممَّنْ يَسمع منكم**».. واتصل النبى بقادة الرأى وزعماء القبائل ممن يؤثرون تأثيرا بالغا على بقية الناس ولعل ذلك خيرما يسمى فى الاعلام الحديث بالاتصال على مرحلتين أو عدة مراحل.

ونشير فيما يلى الى الدور الذى قام به قادة الرأى الذين خوطبوا بالدعوة الاسلامية من خلال الاتصال الشخصى وما نتج عن هذا الدور من آثار ايجابية وسلبية من حيث التأثير على التابعين وذلك على النحو التالى:

قادة الرأى فى مكة

قادة الرأى هم الأشخاص ذوو التأثير الكبير على معلومات وآراء ومواقف وسلوك أشخاص آخرين فى مجتمع ما(٦). وللقادة دور فى تشكيل الرأى العام فى الجماعة التى ينتمون اليها اذ يمكنهم أن يوصلوا لأعضاء الجماعة المعلومات التى تؤثر على اتجاهات الأفراد وتشكل الرأى العام للجماعة(٧)

ولما كان النبى ﴿ﷺ﴾ قد دعا باتصاله الشخصى قادة الرأى فى مكة المكرمة فانه قد أسلم بعضهم ورفض الاسلام آخرون فكان من الطبيعى أن من آمن وأسلم يبذل جهوده لنشر الدعوة ومن رفض لا يتوانى عن عرقلتها وصد الناس عنها ـ ومن هنا يمكن أن نلمس الآثار الايجابية ثم السلبية لقادة الرأى فى مكة المكرمة على النحو التالى:

(١) آثار ايجابية

نتجت هذه الآثار الايجابية من:

● **الدور الاتصالى لقادة الرأى المؤيدين للدعوة:**

اعتنق أبو بكر الصديق الاسلام وهو العالم بأنساب العرب الحائز لثقة قومه المعظم فى قريش صاحب المال وكريم الأخلاق ومحط مشورة قريش (٨).. وقام بدور اتصالى ـ فمن خلال اتصاله الشخصى بمن وثق فيهم اعتنق الاسلام على يديه عدد منهم.. كان منهم «**عثمان بن عفان.. وطلحة بن عبيد الله.. وسعد بن أبى وقاص.. والزبير بن العوام.. وعبد الرحمن بن عوف**»(٩) كما اعتنق الاسلام من قادة الرأى فى مكة ومن صناديد قريش حمزة وعمر بن الخطاب(١٠) آمن حمزة المتمتع بقوة الجسم ورجاحة العقل وقوة الارادة(١١) وأسلم عمر «القوى الشامخ العملاق الذى اذا تكلم أسمع واذا مشى أسرع واذا ضرب أوجع.. والذى لم يخف قط فى حياته أحدا.. والوارث من طباع أبيه صترامة لا تعرف الوهن وحسما لا يؤرجحه التردد وتصميما لا يقبل أنصاف الحلول(١٢).

وخرج عمر وحمزة يدعوان الى الاسلام فى مكة وكل منهما يتصدر صفا من المسلمين كما أراد عمر أن يعلن اسلامه من خلال قناة اتصال شخص لها القدرة على نقل الأخبار فى سرعة بين المجالس «فقال عمر اى قريش أنقل للحديث؟.. فقيل له: جميل بن معمر فغدا عليه وقال: يا جميل انى قد أسلمت واتبعت دين محمد»(١٣).

ومضى جميل وهو أسرع قريش الى اذاعة الأسرار وافشائها.. فأسرع فى أندية قريش لم يترك حلقة من حلقاتهم الا وقف عليها وأنبأهم بإسلام عمر بن الخطاب(١٤).

هذا وقد كان لاسلام عمر وحمزة كثير من الآثار الايجابية اكتفى منها بذكر ما ذكرت وهو ما يتعلق بقيامهما بدور من خلال الاتصال الشخصى. ولعل ما قام به أبو بكر من دور اتصالى بالطريقة الشخصية وكذا عمر وحمزة وما نتج عن ذلك من اسلام الناس يؤكد ما تشير اليه دراسات علم الاتصال من أن قادة الرأى هم رجال اتصال على درجة كبيرة من الأهمية اذ يمكنهم أن يوصلوا لأعضاء الجماعة المعلومات التى تؤثر على اتجاهات الأفراد وتشكل الرأى العام للجماعة(١٥) وأن قائد الرأى اذا اقتنع يمكن أن يفعل الكثير فى زيادة فاعلية الاتصال المثمر بين الأفراد(١٦).

● التأثير الاغرائى لاسلام القادة

تبين لى من خلال محاولة تعرفى على التأثير الذى أحدثته القيادة على تابعيها تجاه قضية الاسلام أن القائد أحيانا كان يقتنع بالاسلام ويتابعه من يدورون فى فلكه سواء قام بدور اتصال شخصى مرر فيه الدعوة من خلاله لغيره أو لم يقم بهذا الدور.. أطلقت على هذا التأثير الناتج عن دور قيام القيادة بدور اتصالى ـ التأثير الاغرائى ـ حيث إن الناس تنظر الى قائد الرأى على أنه شخص يمثل القدوة

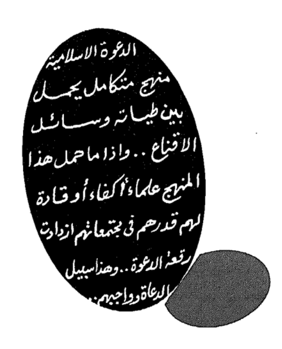
المثالية فيما يقوم به من أعمال وما يعتنقه من أفكار. . وهم يرون أن اقدام القائد على فعل أو اعتناقه لفكرة أو لرأى انـما يقـوم دليلا وبرهانا على صحة الفعل وسلامة الرأى.

■ وقـد كان هذا التأثير أشد وضوحا بالنسبة لدور القـادة فى مجتمع المدينة وبدا واضحا فى مجتمع مكة المكرمة كذلك:

١ ـ فقد كان أشد ما يخافه المعارضون لدعوة النبى ﴿ﷺ﴾ من اسـلام حمزة أن اسـلام هذا الـرجل وهو أعز فتيان قريش سيغرى كثيرين من الصفوة بالاسلام(١٧).

٢ ـ وبالفعل كان اسلام حمزة وعمر اغراء ناجحا لكثير من القبـائـل التى قادها اسلام حمزة أولا ثم اسلام عمر بن الخطاب بعد ذلك الى الاسلام فدخلت فيه(١٨).

ولعـل هذا يمكن أن يكـون متـوافقـا مع احـدى النظـريـات فى مجال علم الاتصـال وهى نظـرية القائد ومؤداها أن القادة اذا تم اقناعهم فان بقية أفراد الجمهور سوف تتبعهم. . وهذه النظرية تفترض أن الناس تحترم وتقلد رؤساءهم وأرفعهم منزلة(١٩).



(٢) آثار سلبية

مثّـل قادة الـرأى فى مكة المكرمة ممن لم يعتنقوا الاسـلام الـرأى العام المعادى الذى مرر من خلال اتصاله بالناس فكرا يناهض الاسلام والنبى ﴿ﷺ﴾ حتى انتهت جهود هؤلاء القادة الى تجميد الدعوة فى مكة مما اضطر المسلمون معه الى الخروج الى المدينة المنـورة بعـد أن تأكـدوا أن أمـانيهم فى نشـر دينهم ستضيع منهم اذا استمروا خاضعين لسلطة الأقوياء المعارضة لهم(٢٠).

فقد وقف القادة من قريش أمثال: عتبة وشيبة ابنى ربيعـة وأبى جهل عمرو ابن هشام وأمية بن خلف والـوليـد بن المغـيرة وغـيرهـم وقفـوا فى طريق النبى ﴿ﷺ﴾ بمالهم وجـاههم وقوتهم يصدون الناس عنه ويكيـدون له كيـداً شديـدا حتى ليجمدوه فى مكة تجميدا ظاهرا(٢١).

● *ويمكن أن نتبين هذه الآثار السلبية من استعـراض ما تردد من خلال قنـوات الاتصال الشخصى لقادة الرأى المعارضين للدعوة:*

أ ـ صدر من أبى لهب ما كان هدفه صرف الناس عن النبى محمد ﴿ﷺ﴾ فى مواسم الحج فقد كان يقول للناس أن محمدا يهذى ويقول: «أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم»(٢٢).

ب ـ اجتمع القرشيون حول الوليد بن المغيرة صاحب المال والولد كما نعته القرآن الكريم للاتفاق حول ما ستنطلق به أسلنتهم ضد محمـد لصرف العرب عنه اذا أقبلوا للحج فاقترح القائد الوليد بن المغيرة أن تنطلق الألسنة كلهـا وأن تمرر قنـوات الاتصال الشخصى للقادة ما نصه «أن هذا الرجل ساحر البيان وأن ما يقوله سحر يفرق به بين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشـيرتـه»(٢٣). وانطلقت ألسنتهم بذلـك تحذر قادة العرب من الاستماع اليه.

ج ـ وانبرى أحد هؤلاء القادة وهو النضر بن الحارث صاحب العلم بأحاديث ملوك الفرس وعبادتها وأقوالها فى الخير والشر فأخذ على نفسه كلما جلس محمد مجلسا يدعو فيه قومه الى الله ويحذرهم عاقبة من قبلهم من الأمم التى أعرضت عن عبادة الله بأن يخلف محمدا فى مجلسه وأن يقص على قريش حديث فارس ودينها ثم يقول بماذا يكون محمد أحسن حديثا منى؟ أليس محمد يتلو من أساطير الأولين ما أتلو؟ (٢٤) وكانت قريش تردد كلام النضر دعاية ضد ما ينذر به محمد الناس وما يدعوهم اليه .

وهكذا مررت قنوات الاتصال الشخصى لقادة الرأى المعادين للنبى ﴿ﷺ﴾ كل ما كان من شأنه أن يصرف الناس عنه وعن دعوته .

قادة الرأى بين القبائل العربية

انطلقت الدعوة الاسلامية فى سيرها نحو القادة من العرب تخاطبهم بالاسلام فهدى الله على يد النبى ودعاته بعضا منهم ورفض البعض الدعوة .

وكان لمن قبلوا الاسلام دينا منهم آثار ايجابية وللرافضين آثار سلبية نتناولها على النحو التالى :

١ ـ الآثار الايجابية

ونتجت هذه الآثار عن :

● **قيام القادة بدور اتصالى :** ولعل أوضح ما يفسر ذلك قول الطفيل بن عمرو الدوسى للنبى يكشف بذلك عن الامكانيات التأثيرية للقادة على الناس فى المجتمع العربى : يا رسول الله انى امرؤ مطاع فى قومى وانى راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام(٢٥).

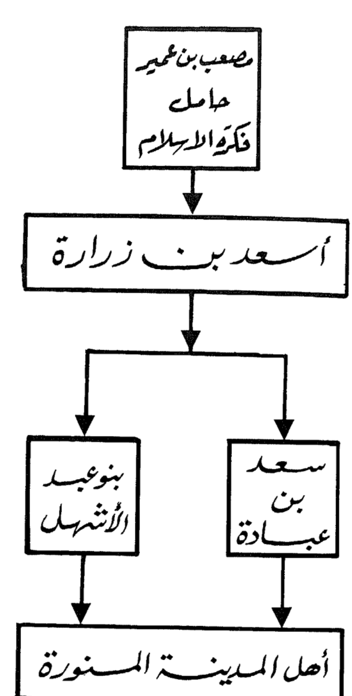
ومضى الطفيل لتحقيق ما عقد العزم عليه أمام النبى فاتصل بالناس وابتدأ بأبيه فواجه أباه بعقيدته ودعاه الى الاسلام وحدثه عن الرسول . . فأسلم أبوه فى الحال . . ثم انتقل الى أمه فأسلمت ولما اطمأن الى أن الاسلام قد غمر بيته انتقل الى عشيرته فأسلم منهم أبو هريرة أولا ثم أسلم الباقون»(٢٦) .

● **التأثير الاغرائى لإسلام قادة العرب :** لعل هذا التأثير الاغرائى أوضح ما يكون فى المدينة فباسلام قادتها دخل الناس فى الاسلام أفواجا وكان مصعب بن عمير داعية النبى يقيم فى ضيافة أسعد بن زرارة وهو من سادة العرب وزعمائهم(٢٧) وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة وما كاد سعد يقرب من مجلس مصعب فى دار ابن خالته وما كاد يسمع كلمات مصعب حتى أسلم ـ وباسلام سعد دارت فى فلكه قلوب كثيرة أسلمت مع محمد لله رب العالمين(٢٨) ـ وكان سعد بن معاذ زعيم الأوس .

وأسلم على يد مصعب «أسيد بن خضير وهو من زعماء المدينة وأشراف العرب وكان أبوه حضير الكتائب زعيم الأوس»(٢٩) ولما أسلم أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وسرى الخبر كالضوء فى المدينة فتلا ذلك اسلام سعد بن عباد زعيم الخزرج(٣٠).

ولعل مما يوضح هذا الأثر الناتج من التأثير الاغرائى لاسلام القادة حتى وان لم يمارسوا الاتصال بغيرهم من تابعيهم ما ترويه كتب السيرة . . فقد ذكر صاحب كتاب (**الدرر فى اختصار المغازى والسير**) أنه بمجرد أن أسلم سعد بن معاذ وأسيد بن خضير أسلم باسلامهما جميع بنى عبد الأشهل فى يوم واحد الرجال والنساء لم يبق منهم أحد الا أسلم(٣١).

كما روى أنه باسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة أقبل أهل المدينة بعضهم على بعض يتساءلون اذا كان أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وسعد بن عبادة قد أسلموا ففيم تخلفنا هيا الى مصعب لنؤمن معه(٣٢).



(التأثير المتعدد المراحل لقادة المدينة المنورة على غيرهم من القادة . . وكذلك تأثير القادة على الجماهير تجاه قضية الاسلام).

ولعل هذه الحقائق تكشف عن دور هام للقيادة وهو أن :

(١) القيادة تمارس تأثيرها بالاغراء على القيادة أى أن القائد اذا اقتنع برأى أو فكرة يمكن أن يتابعه عليها غيره من القادة فقد أسلم سعد بن معاذ على أثر اسلام أسعد بن زرارة واعتنق سعد بن عبادة الاسلام على أثر اعتناق من سبقوه من القادة .

(٢) أن القادة يمارسون تأثيرهم ولو بالاغراء على التابعين وقد اتضح ذلك من خلال اسلام بنى عبد الأشهل فى يوم واحد عندما أسلم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وباسلام سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وأسيد بن حضير أسلم معظم أهل المدينة .

ويمكن التعبير برسم توضيحى عن هذا التأثير للقيادة أو للقائد على القائد ثم للقادة على الجماهير كما تبين من تقبل قادة الرأى فى المدينة لفكرة الاسلام واعتناقهم لها واحدا اثر واحد ثم متابعة الناس لهم على ذلك :

■■ ويكشف هذا النموذج الموضح بالرسم المبين تتابع عمليات التأثير الاغرائى لقائد الرأى على غيره ثم لقادة الرأى جميعا على جماهير الناس كما توضح ذلك كتب السيرة .

■■ كما يكشف الرسم عن الدور الذى تلعبه علاقات وصلات القربى فى التأثير الاغرائى لقائد على قائد غيره . . فقد كان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة الذى كان مصعب بن عمير حامل فكرة الاسلام فى ضيافته ويعتمد عليه فى الدعوة بين أهل المدينة .

(٢) الآثار السلبية

ولعل أوضح ما يقوم دليلا على هذه الآثار السلبية الناتجة عن رفض قادة الرأى العرب الدعوة الاسلامية ما حدث من دعوة النبى ﴿ﷺ﴾ لقادة الطائف وكما كانت

قبيلة قريش لها الزعامة فى مكة المكرمة(٣٣) واشرافها هم الكلمة المسموعة فانه كان «لثقيف السيادة السياسية والدينية فى مدينة الطائف ولها منزلتها كمنزلة قريش فى مكة . . فعمد النبى ﴿ﷺ﴾ وهو بالطائف الى سادات ثقيف وأشرافهم وكانوا اخوة ثلاثة هم: عبد ياليل وأخوه مسعود وحبيب فجلس النبى اليهم وكلمهم فلم يؤمنوا(٣٤).

وكان من الطبيعى وقد رأى أهل الطائف سادة ثقيف قد أعرضوا عن الاسلام أن ينصرفوا هم كذلك عن الاسلام حتى أن النبى ﴿ﷺ﴾ أقام بالطائف مدة لا يدع أحدا من أشرافهم زيادة على من ذكرت آنفا الا جاء اليه وكلمه فلم يجبه أحد(٣٥).

(١، ١٢، ٢٩) حامد عبد القادر: الاسلام ظهوره وانتشاره فى العالم: ص١٦٣، ١٥٠، ٢٢٧.

(٢، ١٠، ٢٤) على برهان الدين الحلبى: السيرة الحلبية: ج١ ص٣٨٥، ٢٩٩.

(٣، ٢٣) سيد قطب: فى ظلال القرآن: ج١ ص٨٢٢، ٨٢٤.

(٤) مجمع البحوث الاسلامية: الدعوة الى الاسلام: ص٥٥.

(٥، ١٣، ١٩، ٢٠، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٤) خالد محمد خالد: رجال حول الرسول: ص١٠٧، ١٥٠، ١٥١، ٣٨.

(٦) سمير محمد حسين: الاعلان: المداخل الأساسية: ص١٧٠.

(١١) المقريزى: تقى الدين أحمد بن على: امتاع الأسماع: ج١ ص١٥، ١٦.

(١٤، ١٥، ١٦) دكتور طه حسين: الشيخان: ص١٢٨.

(٢٢) على حبيسة: فى سيرة الرسول: ص٢٥٤.

(٢٥، ٢٦) محمد حسين هيكل: حياة محمد: ص١٣٥، ١٣٦.

(٣٣) أمين عبد البر: الدرر فى اختصار المغازى والسير: ص٧٣.

(٣٥) على حسنى الخربوطلى: الرسول فى المدينة: ص١٢١.

(٨) Bertrand Canfield and Moore Frazier: puflic Relation prinaples: Cases and problems: Six ed, U.S.A, Home Wood Illutions, 1973; P.P-35-36.

(٩) Lawrence, W: Nolte: Fundomontals of Public Relations, second ed, New york: pergamon press Inc, 1978, P.224

(١٧) Bertrand C,M, Frazier, Op. at.. P.35.

(١٨) John Makay and thomas £ a wyer: speech Communication New, U.S.A: charles Merrillpublishing comp-any, 1973, P.251.

(٢١) Lawrence, W, Notle, op. cit., p.254.

الحكمة

من ايجاد الخلق والخليقة أن يُعرف الخالق سبحانه بأسمائه وصفاته وأن يُعبد ويُعظم ويُقدس. ولما كانت العقول البشرية قد تطيش - أحيانا - ولا تستقيم على حال أرسل الله الرسل وأنزل معهم الكتاب لبيان الأمر الذى خلق الله من أجله الخلق وايضاحه وتفصيله حتى تكون العبادة على بصيرة وهدى وحتى يكون الناس على بينة من أمرهم وبذلك قطع الله على الناس طريق الحجج حتى لا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فأقام الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتاب قال تعالى ﴿**ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ (النحل: ٣٦). وقال: ﴿**لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط**﴾ (الحديد: ٢٥). فالرسل نور وهداية . . وتبليغ وارشاد.

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الناس كانوا أمة واحدة على التوحيد الخالص لله عز وجل . . ووقع الشرك فى قوم نوح عليه السلام وبدأ الاختلاف وأرسل الله إليهم نوحا ليبين لهم ما اختلفوا فيه ويهديهم إلى الصراط المستقيم وليقيم شريعة الله فيما جهله الناس ليقفوا عند حدوده ولكن الاختلاف استمر وما آمن منهم إلا القليل وتوالى ارسال الرسل وكان خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . . قام



الدعوة



بأعباء الرسالة . . مكث ثلاثا وعشرين سنة يبلغ رسالة الله ويدعو إليه وينشر أحكامه . . أوذى وصبر على الدعوة وأذى الناس مع إنهم يعرفون صدق قوله وفضله وشرفه ولكنه الهوى والحسد والعناد والتقليد الأعمى وأتم إبلاغ الرسالة كما أدى الأمانة ورحل إلى مولاه فتحمل أصحابه من بعده الأمانة . امانة الدعوة الى الله وانتشروا فى أرجاء المعمورة دعاة للحق ومجاهدين فى سبيله لا يخشون فى الله لومة لائم انتشروا دعاة فاتحين مهتدين يعلمون الناس شريعة الله ويوضحون العقيدة حتى انتشر الاسلام فى أرجاء المعمورة كلها تبعهم فى ذلك الهداة من التابعين وتابعيهم من العرب وغير العرب ممن دخلوا الاسلام واخلصوا وجاهدوا فى سبيله . . قال تعالى : **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾** (السجدة : ٢٤) .

واليوم وبعد دخول الاسلام لجميع البلدان وبين الطوائف أصبحنا نواجه حملات شرسة مشبوهة ضده عقيدة وشريعة . . ديناً ودولة نظاماً وسلوكا . . تهدف النيل منه وجودا وتاريخا . . حضارة وتراثا . . حملات لا تعرف الهوادة ولا التردد . . حملات قديمة إلا أنها فى الآونة الأخيرة أخذت تستشرى وتستفحل وتزداد شراهة وشراسة تعددت مؤسساتها ومخططاتها وأساليبها وارتبطت بمن يمدها بكل عون ويدافع عنها مما جعلها تأخذ طابع التطاول والتحدى والاستخفاف بوجود القوى الاسلامية التى يمكنها أن تواجهها ومازلنا نذكر قول القائد الصليبى الفرنسى الجنرال «غورو» بعد انتصاره فى (ميسلون) عندما زار قبر صلاح الدين الأيوبى وركله بقدمه وقال **«ها نحن قد عدنا يا صلاح الدين»** ولما تأكد أعداء الاسلام من استحالة القضاء على الكيان الاسلامى بقوة السلاح ومساندة الخونة لجأوا الى الكلمة بنوعيها المكتوبة والمنطوقة مسموعة ومرئية لزلزلة الكيان الاسلامى ديناً وامة فبدأوا بالتشكيك فى الاسلام وتشويه مبادئه السامية والتقليل من شأنه وتراثه وتاريخه للوصول فى نهاية المطاف الى زلزلة قيمة الاسلام لدى المسلمين أنفسهم وتأكيد اقتناع غير المسلمين بدياناتهم أىّ كان نوعها وليت الأمر قد توقف على الكلمة المكتوبة والمسموعة بل تعدت الكتب والنشرات والندوات والمؤتمرات ودوائر المعارف والمسرح والسينما وشتى الفنون حتى النحت والرسم وبلغ الأمر غايته باستغلال المجاعات الناتجة عن الدمار الذى أحدثوه للترويج لمعتقداتهم ونفث سمومهم البغيضة فى العقول قبل البطون فهل نؤثر

السلامة على مواجهة التحديات التى تواجه الاسلام والشعوب المسلمة؟ .

إننا بحاجة الى جيل بل وأجيال من الدعاة إلى الله والتذكير بمبادىء الاسلام الصحيحة التى خربها أعداء الاسلام عند الشعوب كما أننا بحاجة الى اعلام إسلامى متطور لمواجهة الحملات الاعلامية والتصدى لها. . فالدعوة إلى الله من أهم المهمات الآن والأمة الاسلامية فى أشد الحاجة إليها وسنحاول التذكير فى هذه العجالة بحكمها وفضلها وكيفية أدائها والأخلاق والصفات التى ينبغى للداعية أن يتحلى بها كما أننا سنحاول القاء الضوء على الاعلام الاسلامى ودوره فى مواجهة الغزو الفكرى والعقائدى وسبل تطويره ومتطلباته للقيام بدوره الفعال القائم على المنهج العلمى التقنى.

الدعوة الى الله واجبة

دلت الآيات والأحاديث النبوية على أن الدعوة إلى الله واجبة وأنها من الفرائض قال تعالى: **﴿وادع إلى ربِّك ولا تكونَنَّ من المشركين﴾** (القصص: ٨٧). وقال: **﴿قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾** (يوسف: ١٠٨). والدعاة أهل البصائر. والدعوة يمكن أن تكون فرض كفاية إن قام بها من يكفى اسقاط الحرج عن الباقين أما إذا لم يقم بها من يكفى لها فان الواجب على الجميع كل حسب طاقته وامكاناته واصبحت فرض عين على كل مسلم بالكتابة والخطابة وبكل وسيلة والضرورة الآن ملحة إلى التعاون والاشتراك والتكاتف فى هذا الأمر العظيم لمقابلة النشاط المضلل وعمليات غسيل المخ التى يتعرض لها أطفال المسلمين ممن حلت بهم مجاعات وانتشرت فيهم نفثات المضللين. . وفى الحث على الدعوة وردت آيات كثيرة فى فضل الدعوة الى الله منها **﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنَّنى من المسلمين﴾** (فصلت: ٣٣) وقال صلى الله عليه وسلم «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم مخاطباً عليًّا كرم الله وجهه: فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حُمُرُ النَّعَم» ولك أيضا أيها الداعية فى كل زمان ومكان مثل أجور أتباعك والقابلين لدعوتك غير منقوص من أجورهم فاغتنم هذا الخير الجليل وسارع اليه بالدعوة إلى الله ولبى النداء.

كيفية الدعوة ومناهجها

بيَّن الله سبحانه وتعالى لرسوله فى كتابه الحكيم منهاج الدعوة الى الله وكيفيتها فقال **﴿ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن﴾** ومراد الحكمة فى الآية الكريمة هى الأدلة المقنعة الكاشفة للحق بأكمل وجه وعليه فعلى الداعية أن يبدأ بالحكمة ثم الموعظة الحسنة ثم الجدال بالتى هى أحسن وهو الاجتهاد فى كشف الشبهة وايضاح الأدلة بالأسلوب الحسن وهذا ما علمه الله سبحانه وتعالى موسى وهارون حينها أرسلهما إلى فرعون لدعوته الى الايمان بالله حيث أمرهما أن يقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وكذلك كان أمر الله لنبيه محمد حيث قال **﴿فبما رحمة من الله لِنْتَ لهم ولو كُنْتَ فَظًّاً غليظَ القلبِ لانفضُّوا من حولك﴾** (آل عمران: ١٥٩) أما إذا أظهر المدعو من العناد والاصرار والظلم فلا مانع من الاغلاظ عليه وبذلك أمر الله رسوله الكريم بقوله **﴿يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾** (التحريم: ٩).

ولا يخفى علينا أن محل الدعوة هو الرجوع الى الله والدعوة للتمسك بشريعته والرجوع إلى العقيدة الصحيحة وإلى الاخلاص فى طاعة الله وتوحيده وإلى الترقى بالعبادة إلى مرتبة الايمان بكل ما أخبر به الله ورسوله عن الآخرة والغيبيات والنهى عن المحرمات وقد حددت الآيات الكريمات سبل الايمان فقال تعالى ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾ (آل عمران: ١٠٣) وقال: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل**﴾ (النساء: ٥٨) وقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾ (النساء: ٢٩) وقال صلى الله عليه وسلم: كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.. ويجب على الداعية أن يكون مخلصا فى دعوته لا يريد رياء ولا سمعة ولا ثناء من الناس عليه وأن يكون على علم بما يدعو اليه وألا يدعو الى جهالة وعليه أن يتمسك بالحلم فى الدعوة وأن يكون رقيق القلب صبوراً وأن يضع نصب عينيه قول الرسول الهادى البشير «**اللهم مَنْ وَلِىَ من أمر أمتى شيئاً فرَفِقَ بهم فارفق به ومن ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه**».

فيظل الاعلام هو الوسيلة الأسرع فى التأثير على الرأى العام وفى نقل المذاهب والأفكار

الهدف من الدعوة إلى الله

ارشاد الناس الى الحق ليأخذوا به ودفعهم عن الباطل واخراجهم من الظلمات الى النور، قال تعالى: ﴿**كتاب أنزلناه إليك لتُخْرِجَ الناسَ من الظلمات إلى النور بإذن ربِّهم الى صراط العزيز الحميد**﴾ (ابراهيم: ١) وقال تعالى: ﴿**الله وليُّ الذين آمنوا يُخْرِجُهُم من الظلماتِ إلى النور**﴾ (البقرة: ٢٥٧).

الحملات الاعلامية ضد الاسلام

ان الحملات الاعلامية المعادية للاسلام قامت على عدة مراحل منها:

(١) تهجير اليهود وتنظيم استيطانهم فى بعض الاراضى العربية فى شكل جاليات وتأمين سيطرتهم.

(٢) السيطرة على وسائل الاعلام ودور التعليم والعمل على تخريب النظم التعليمية واحلال لغة الاستعمار أو الاقليات محل اللغة العربية وتشجيع مدارس الاقليات والجاليات الأجنبية.

(٣) الهجوم الشرس على التاريخ والتراث العربى والاسلامى ومحاولة طمس معالمه وتحويله الى ظواهر عائمة.

(٤) الهجوم على الاسلام ودستوره ومحاولة افراغه من محتواه الحقيقى باعتباره عقيدة روحية تنظم حياة البشرية.

وعليه فيجب ان يكون لدينا نحن العرب مؤسسات تدرس وتخطط وتنظم وتصوغ الاساليب التى تضحد افتراءات اعداء الاسلام نحن بحاجة الى دراسة

يتوافر فيها امكاناً ـ الكشف عن مخططات العدو وأساليبه ووسائله التى يستخدمها قبل استخدامها وان نعمل على مراجعة كل ما يبث فى وسائل اعلامه بدقة لأن مخططات الغزو تسعى الى تقويض مبادىء الاخلاق لدى الشباب وتعمل على ترويج الاباحية والانحلال. فلابد لنا ونحن نملك القدرة والمادة ولنا تاريخ عريق وامجاد وحضارات ان نقوم باستيعاب كل وسائل الغزو الفكرى واحصائها لنقوم بالرد عليها وبنفس اللغات التى كتبت بها أو بثت بها.

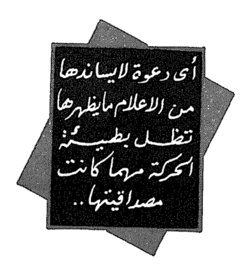
يقول الملحدون وبعض المستشرقين إذا كان الاسلام هو الدين الخالد والرسالة العالمية التى جاءت لخير البشرية فلماذا نجد المسلمين اليوم فى حال يؤسف له من التخلف عن الركب الحضارى؟. ولكنا نقول ان هذا التخلف الذى حدث يرجع اساسا الى عدم تمسك المسلمين بتعاليم الاسلام.. فهو يدعو الى العلم والاستزادة منه ولكنهم اهملوا.. ويدعو الى الوحدة ولكنهم تفرقوا.. ويدعو الى القوة والأخذ بأسبابها فتواكلوا وتكاسلوا.. ويدعوا الى الحكم بالعدل فجاروا.. ويدعو الى عمارة الارض واصلاحها واستثمارها والتنقيب فيها والنظر فى السماء وخيراتها فتهاونوا.. وتأخرهم هذا إنما يرجع الى بعدهم عن تعاليم دينهم وعدم الأخذ بها فى حياتهم العملية وفساد الاخلاق والانغماس فى الشهوات والملذات وعدم التحلى بالآداب والفضائل التى حث عليها الدين الحنيف. فجدير بهم ان يثوبوا الى رشدهم ويستيقظوا من غفلتهم وان يعتصموا بحبل الله المتين وان يعملوا على تطبيق شريعتهم فى جميع المجالات والميادين وان يطرحوا أنظمة الشرق والغرب التى استوردها عملاؤهم أو أتى بها الاستعمار اليهم لئلا ينطبق عليهم ما جاء فى الحديث القدسى: ﴿**لأتيحنَّ لهم فتنة يصير الحليم فيها حيران**﴾. ويوافقوا قوله تعالى: ﴿**كنتم خَيْرَ أمةٍ أُخرجتْ للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله**﴾ (آل عمران: ١١٠).

وقد قال «**لورانس براون**» احد زعماء التبشير فى كتابه «**الاسلام والارساليات**» (اذا اتحد المسلمون فى امبراطورية عربية أمكن ان يصبحوا لعنة على العالم الغربى وخطرا وامكن ان يصبحوا نعمة له أيضا اما اذا ظلوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا قوة ولا تأثير) وبذلك يتبين ان الهدف بين تلك الحملات والاستعمار هو التفرقة فى توجيه المسلمين واتجاهاتهم فى جميع المجالات لأجل اضعافهم.

التصدى للحملات المعادية للاسلام

■■ ان عالم الاسلام اليوم فى حاجة ماسة الى القدوة العملية التى تبرهن واقعيا للمسلمين فى كل انحاء الأرض على مدى ملاءمة شريعتهم النقية لكل طموح يحلمون به ويسعون اليه من خلال تكوين الخاص المستمد من ثقافتها الاسلامية الاصيلة المستقلة باصولها ومفاهيمها والتى تقوم على:

- **معرفة الاسلام معرفة صحيحة خالية من البدع والشوائب شاملة لعقيدته وشريعته وخصائصه ومميزاته على اساس الدراسة والفكر والاقتناع.**
- **انماء الولاء للاسلام والاعتزاز به.**
- **انماء استطاعة الفرد على التفكير السليم والاستنباط العلمى الصحيح بتحريره من الخرافات والاوهام والعقائد الفاسدة.**
- **نشر اساليب العمل الجماعى وغرس طبيعة الطاعة والانقياد لولى الأمر.**
- **تعميق الوعى بحقيقة الصراع الحضارى الدائم والدائر الآن بين حضارة الاسلام والحضارات الأخرى.**



● انماء الشعور بالانتماء الى العروبة والاعتزاز
تاريخها.
● نشر وتعميق الوعى بالمشكلات والتحديات التى
تواجه الأمة العربية.

من صلب واجبات الاعلام رعاية المواهب وتنميتها واعداد الكوادر الاعلامية المبدعة والقادرة الملتزمة وبدون ان يتبنى الاعلام تلك المواهب يصقلها ويتيح لها فرصة التعليم والتدريب تنضب القدرات ويصاب الاعلام بالجفاف.. والمؤسسات الصحفية مطالبة باخراج صحافيين مجيدين باستمرار وهكذا الأمر بالنسبة للاذاعة والتلفزيون.. وصحافة بلا هدف معناها غياب فكر الأمة التى تصدرها إذ لابد أن يكون للصحافة هدف وقيم ومبادىء وسلوكيات وأعراف وتقاليد تذود عنها وتعمل من أجل تحقيقها ونمائها وازدهارها وليس اسمى من الذب والدفاع عن الاسلام من هدف.. فعلينا ان نعيد النظر فى سياسة التدريس الاعلامى ومناهجه وطرق التدريس والتدريب فنحن بحاجة الى صحفى متمكن محترف ومذيع يقرأ بابداع ومخرج فنان وكاتب سيناريو مقتدر ومصور بارع مبدع واقسام وكليات اعلام قادرة على اعداد تلك الكوادر متى اعادت النظر فى واقعها.

فالاعلام خير سند للداعية والحقيقة المجردة التى تقوم أساسا على مخاطبة العقل بالحجة هما خير ما يقوم عليه الاعلام فاذا خلا الاعلام من الايمان واليقين غدا باهتا لا حس فيه مما يصرف الناس عنه.. وعلينا تدعيم وكالات الانباء الاسلامية وتطويرها وتغطيتها بأخبار العالم الاسلامى بصفة خاصة وانتاج مواد ذات صيغة دينية اعلامية ومحاولة الزام الدول الاسلامية بايجاد مساحات زمنية لبثها وانتاج ودعم الافلام الروائية والتسجيلية التى تذكرنا بأمجاد المسلمين وتدعم مسيرتنا ودعم نشر الكتب والبحوث الاسلامية بكافة اللغات لدى المسلمين فى شتى بقاع العالم الغربى وعلينا ان نعمم المراكز الاسلامية وندعم مسيرتها وأن يكون لتلك المراكز رابطة تستطيع من خلالها التعاون والتنسيق فيما بينها وخاصة فى اوروبا وامريكا وان تكون تلك المراكز بعيدة عن الخلافات السياسية بين الدول الاسلامية ومع تعدد وسائل الاعلام وتباينها وتطورها على مر العصور والازمان بقيت الدعوة وبقى منهج الاعلام.

وهذه هى مهمة الدعاة الى الله فى هذا العصر.. ان يعيدوا للاسلام مفهومه الأصيل المستمد من القرآن والسنة.. المفهوم الربانى الذى بنى أولئك الأبرار الذين حملوا الامانة على مدى العصور لم يتخلفوا ولم يتوقفوا ولم يتراجعوا.

أولئك الذين صبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله.

وإنها لمهمة صعبة ولكنها ضرورة ملحة حتى يبرز الجوهر النضير صافيا براقاً متألقا وحتى تستمر الرسالة الخالدة قائمة وممتدة إلى ان يرث الله الأرض ومن عليها.

أيمكن للانسان وحده يا شيخنا أن يتحصل على طمأنينة النفس وسكينة القلب ؟



جسر الى الشاطئ الآخر



وسكت الشيخ عارف قليلا كعادته وابتدر صاحبه عالم قائلا:

إن الذى يلعب وحده فى مباراة كرة القدم لا يستطيع أن يحرز هدفا واحدا . . فكيف يستطيع الانسان أن يحقق لنفسه السكينة . . بدون معونة الله . .

لكن هناك أنانيين كثيرين . . حققوا نجاحات فى جميع المجالات والأنشطة . . فكيف تحقق لهم ذلك . . ؟

ـ الانشطة والأعمال الدنيوية . . لها بداية ونهاية فاذا بدأت بخطة ودراسة سليمة . . حققت نجاحا . . لكن هذه الخطة والدراسة مادامت لا ترتبط بالايمان بالله فلن يحقق هذا النجاح أى نوع من السكينة والطمأنينة . . اذ النجاح مرتبط بالايمان بالله فكون بعض المنافقين والفاسقين قد أثروا فليس معنى ذلك أنهم فى أمن نفسى وسكينة قلبية . . فكثيرا ما يدخل المال عليهم فيكون سببا فى شقائهم وتعاستهم وضلالهم القديم . .

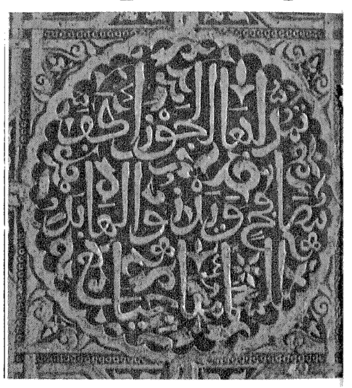
لابد يا شيخنا اذن أن يرتبط هدى القلوب بالايمان . . لكن هل لى أن أعرف كيف يتحصل الانسان على الايمان ليحقق سكينة القلب وطمأنينة النفس وأمنه الداخلى .

يقول تعالى : ﴿ومن يؤمن بالله يَهْدِ قَلْبَه﴾ (سورة التغابن : ١١) .

ولا شك ان الانسان المخلص فى علمه وعمله لله . . يحظى بالايمان تفضلا ومنّة من الله .



القلوب



كيف يا شيخنا؟

لأن هنـاك اختـلافاً بين طالب يستذكر دروسه جيـدا ويمتحن فلابـد أن ينجح وبين انسان يؤدى فرائضه والتكاليف الشرعية . . وينجح أو لا ينجح .

ما الفرق يا شيخنا؟

ـ ربـما يبتلى الله بعض عبـاده فيبتليهم بنقص فى الثمـرات وذلـك ليجـربهم ويختـبرهم . . وربما يمن عليهم بنعمـه وفضله وجوده . . فيدخل الايمان الى قلوبهم ويفتح عليهم فتحا مبينا . . وهذا ما أراده الله لحكمة لا نعرفها .

ـ يعطى من يشاء ويمنع عمن يشاء . .

ـ معنى ذلـك أن على الانسان أن يخلص فى عمله وعبادته ولا يطالب الله بالجزاء كثمرة لما فعله .

ـ نعم لأنـه لو طالبه ولم يعطه لاعترض . . ولو زاد اعتراضه لاصبح تمردا وتحديا له تعالى . . فاذا لم يعطه لم يُصَـلّ ولم يَصِـل . . وكأنه يريد أن يشارك الله فى ملكه . . ولا يقبل الله هذه الشركة . . ولا ينجح ذلك المعترض أبدا ولا ينفذ الله له ما يريد . . الا اذا ندم وتاب واستغفر عن ذنبه . . ولو علم يقينا أن الله لا يظلم احـدا فليس تعـالى بظـلام للعبيد . . لرضى بحكم الله وهنا تبدأ سكينة القلب عملها ويبدأ عمل النفس وهذا معناه دخول الايمان . . أو هدى القلوب .

■ اذن باب الايمان عدم الاعتراض .

ـ نعم وهدى القلب ثمرة الايمان يا صاحبى . . ومن اراده فلا يشك فى رحمة الله وفضل الله وجود الله جميعا .





عاتق البلادى

٤٣ ـ من تاريخ النخلة :

مرت العصور وتكررت الأزمان . . ولم تكد تتغير الحياة ولا وسائل المعيشة ومكونات المجتمعات حتى جاءت ثورة الآلة بكل ما تحمل من متناقضات فتغير معهـا كل شيىء . . تغـيرت المواصلات . . وتغيرت طريقة عيش الانسان ونومه بل وحتى طريقة حديثه ولهجتـه تغـير كل شيىء بكـل ما تحمل كلمة (كل شيء) من معنى .

وطيلة تلك العصور السوالف كان للعربى صديقان حميمان لا يعدل بهما شيئا وهما : البعير والنخلة .

أما البعير فكان منه اللبن والوبر والحمولة والركوبة فهو وسيلة المواصلات الرئيسية أما النخلة فإنها طعام العربى ـ واقصد هنا البدوى ـ فانه كان يعتمد اعتماداً كليـا على اللبن والتمـر ويقول بعضهم : ان اللبن والتمر كان الغذاء الرئيسى . . وأن كثيراً من البيوت كان لا تشب فيه النار أياماً وليالى . . وأن الخبز كان عند فقراء الاعراب ـ يعتبر من الكماليات .

لذا اعتنى العربى بالنخلة وتمرس فى طريقة قلع صنوانها وغرسها وتشذيبها وتأبيرها اذا أطلعت وجنيها وجذاذها .

وبرع فى حفظ تمرها حولين أو أكثر وذلك بحشيه فى أواعى تمسكه وتحفظه من الفساد . . وعمل منه العجوة . . وتفنن فى طرق حفظه .

فمتى بدأت النخلة تعطى أكلها؟ .
هذا سؤال سألنيه احد الاخوة فى مجلس عام

●● إن أول ذكر للنخلة ورد فى الكتاب الخالد «القرآن» حين قال جل وعلا على لسان فرعون موسى ﴿**فلأقَطِّعَنَّ أيْـديَكُم وأرجُلَكُم من خلافٍ ولأصَلِّبَنَّكُم فى جُذُوعِ النَّخْلِ**﴾ (سورة طه : ٧١) .

فهـذا اول خبر للنخلة ولعلهـا أقـدم منـه حيث إن المظنـون أنها انتقلت الى مصر من جزيرة العرب أو من العراق . . فربما تكون جاءت مع ابراهيم الى فلسطين ثم ذهب بها يعقوب الى مصر أو غير ذلك والله أعلم .

■ ثم يجيىء ذكرها فى فلسطين حين يقول تعالى ـ فى قصة مريم ـ ﴿**فأجَاء ها المخاضُ إلى جِذْعِ النَّخْلَة**﴾ وقوله : ﴿**وهُزِّى إليكِ بجِذْعِ النَّخْلة تُساقطْ عليكِ رُطَباً جَنِياً**﴾ (سورة مريم : ٢٣ ، ٢٥) .

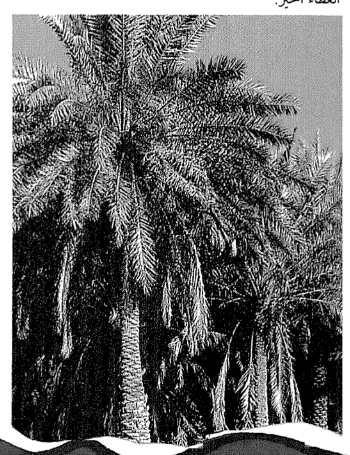
■■ ثم يذكر الله النخلة فى مواضع كثيرة من محكم التنزيل ممتناً بها على الانسان لأنها من أطيب حصاد الأغذية تعطيه طعاماً لا يحتاج الى نار ولا حتى إلى أوان خاصة لحفظه فقد يحمله فى خرقة أو جراب أو كيس يصنعه من خوص النخل .

●● ومما قال الله فى ذلك : ﴿*ومن النخل طلعها قنوان دانيـة*﴾ . . *وقوله :* ﴿*وهو الذى أنشأ جنات معروشاتٍ وغير معروشاتٍ والنَّخل والزرع مختلفاً أُكُلُهُ*﴾ . . *وقوله :* ﴿*وزروع ونخل طلعها هضيم*﴾ . . ﴿*والنخلَ باسقاتٍ*



لها طَلْعٌ نضيد﴾. . ﴿فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام﴾. . ﴿فانبتنا فيها حبّاً وعنباً وزيتونا ونخلا﴾. . ﴿أيودُّ أحدُكم أن تكونَ له جنّةٌ من نخيل وأعناب﴾. . ﴿ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد﴾.

وآيات أخر مباركات كلها تشيد بشرف النخلة ذات العطاء الخير.



٤٤ ـ شعر برناردشو :

قيل: زار برناردشو أمريكا فلما عاد سألته احدى الصحفيات: كيف رأيت أمريكا؟. . فقال برناردشو: تماما كشعر رأسى. . غزارة فى الانتاج. . وسوء فى التوزيع. . يلمح بذلك الى أنه كان أصلع.

تذكرت هذه الطرفة وأنا أجيل الفكر فى عالمنا العربى. . أليس هو نفس رأس برناردشو؟.

٤٥ ـ عصفوركو. . وتأريخ «كو»:

دخلت الأردن سنة ١٩٥٦م أثناء ما عرف بالعدوان الثلاثى على قناة السويس. . ولم تكن (كو) آنذاك معروفة فى المملكة السعودية. . وكان لى صديق أردنى شاب اسمه (**عبد الجبار جبر محسن**) لم أره منذ ذلك العهد. . وذات يوم ذهبت وإياه الى محل لبيع الملابس اسمه «**عصفوركو**» فاشترينا بدلتين وعدنا إلى معسكر العبدلى. . فلما قسناها لم تكن مناسبة وكان مكتوباً عليها ما يفيد (**ان البضاعة لا ترجع**) فقلت للأخ جبر: ما العمل؟

فذهبنا الى الضابط المناوب فاتصل عبد الجبار بالمحل ولما سألوه: من أنت؟ قال: (**أنا عبد الجبار كو**) فضحك الذى فى المحل وقال: (خلاص يا سيدى مادمت قريباً لنا نرجع البدل. . وبدلناها بغيرها إكراماً لقرابتنا من (كو).

أما اليوم فقد انتشرت (كو) حتى انى رأيت ـ فى مكة ـ دكاناً لا يزيد عرضه عن مترين اثنين وقد كتبت لوحة فوقه تقول: (رضاكو) وفى جدة شركة اسمها (**شركة صيانكو**) وهؤلاء قد يجهلون معنى (كو) إذ هى تعنى ـ هنا ـ «شركة» وكأنهم يقولون: (**شركة شركة الصيانة**).

معانى كو: كو اختصار لكلمة انجليزية هى (Company) وتعنى: شركة ـ سرية عسكرية ـ مجموعة ـ زمرة.





ماذا تحب من الدنيا

يقول: ناصر الصويلح فى مختاراته هذه الكلمات الجليلة:

* يحكى ان الرسول محمداً ﴿ﷺ﴾ كان يجلس ذات يوم بين اصحابه فى جلسة نورانية اراد ان يخرج منها هؤلاء الاصحاب الفضلاء بدرس مفيد يستنيرون به فى طريق الحق تبارك وتعالى حتى يصلوا اليه وبطريقة تربوية رائدة نظر صلى الله عليه وسلم الى صاحبه الصديق رضى الله عنه ثم قال له: «اتحب من الدنيا شيئا يا أبا بكر»؟.

قال: نعم. احب لأجلك ثلاثا. قال وماهى؟ نظرى اليك.. وجلوسى بين يديك.. وانفاق مالى عليك.

ثم نظر الى عمر رضى الله عنه وقال له:

«وانت يا عمر اتحب من الدنيا شيئا؟..

قال نعم.. احب لأجلك ثلاثا:

قال وما هى؟ قال امر بمعروف ولو كان سرا.. ونهى عن منكر ولو كان جهرا.. وقول الحق ولو كان مرا..

ثم نظر الى عثمان رضى الله عنه وقال:

«وانت يا عثمان اتحب من الدنيا شيئا؟..

قال نعم احب لأجلك ثلاثا: قال وما هى؟. قال إطعام الطعام.. وإفشاء السلام.. وركعات بالليل والناس نيام.

ثم نظر الى على رضى الله عنه وقال له:

«وانت يا على.. اتحب من الدنيا شيئا.. قال: نعم: احب لأجلك ثلاثا.. قال ما هى؟. قال: اكرام الضيف، والصيام فى الصيف.. وضرب اعناق المشركين بالسيف..

فيا ايها الناس.. انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى.. وان لكم ميعادا يجمعكم الله عز وجل فيه حكم فيكم والفصل بينكم فخاب من اخرجه الله من رحمته التى وسعت كل شىء.. ويكون الأمان لمن خاف الله واتقاه وباع قليلا بكثير.

الا ترون انكم كل يوم تشيِّعون غاديا رائحا الى الله قد قضى نحبه وانقطع امله فتضعونه فى بطن صدع من الارض غير موسَّد ولا ممهَّد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب.. وعدد نفسك فى الموتى فقد اوضح النبى محمد ﴿ﷺ﴾ هذا المعنى الكبير فى حديثه لعبد الله بن عمر رضى الله عنه «كن فى الدنيا كانك غريب او عابر سبيل».

وفى الختام رحم الله مؤمنا عرف قدر نفسه والله ولى التوفيق.

انك ايها القارىء لا شك سترتع فى روض زاهر من الحكمة وستمتعٌ قلبك ونفسك بنفحات وباقات عن نبينا الاعظم وخلفائه الراشدين وصحبه الميامين وما من حكم أصدق.. ولا علم أشرف.. ولا حكمة أبرع.. ولا توجيه ابدع من الاسلام الذى تفضل الله به على عباده وشرف الله به محمداً ﴿ﷺ﴾ واسعد البشرية بدينه وبرسوله ﴿ﷺ﴾.



نهرو والاسلام

يقول نهرو:

«ان الاسلام له اهمية كبيرة فى تاريخ الهند فانه فضح الفساد الذى كان قد انتشر فى المجتمع الهندوكى واظهر انقسام الطبقات وحب الاعتزال عن العالم الذى كانت تعيش فيه الهند».



ويمضى نهرو قائلا:

ان نظرية الاخوة الاسلامية والمساواة التى كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها اثرت فى اذهان الهندوس تأثيرا عميقا وكان أكثر الناس خضوعا لهذا التأثير هم اولئك البؤساء الذين حرمهم المجتمع الهندى من حقوق المساواة والتمتع بالحقوق الانسانية.

انتهى.. ومع ذلك ومع أن المسلمين فى الهند لهم عقيدة سليمة وثبات عليها وجهاد فيها.. فما قاله نهرو ما هو الا ارضاء للمسلمين وإلا فما الذى يمنعه وقد فهم معنى الاسلام ان لا يكون جنديا فى الاسلام؟.. انها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور..

التلاقى والتلاحم فى الأدب مع الاقطار العربية

ان التلاحم فى الأدب والتلاقى فى المعرفة بين الاقطار العربية والاسلامية واجب محتم ولقد شاقنى ما كتبه الدكتور «نور الدين صمود» عن الشاعر التونسى «محمد الناصر الصدام» الشيخ والأديب النابه والذى يعد من كبار شعراء القيروان التى اختطها الفاتح العربى الاسلامى الشهير عقبة بن نافع.. ولهذا الشيخ التونسى (الصدام) مجموعة شعرية اختار لنا منها «الدكتور صمود» مختارات جميلة ننقل منها مختارات له بعنوان مناجاة:

أرنى جلال تجلياتك
يا من وجودى من هباتك
انت الذى فى خلقتى
برزت بواهر مبدعاتك
حملتنى ما اشفقت
منه شواهق راسياتك
تلك الامانة لم يطقها
كائن من كائناتك
حملى لها يا ذا الجلالة
من خوارق معجزاتك
كن حافظى ومؤيدى
لأكون فيها من رعاتك

الى آخر تلك القصيدة الطويلة.. ونلاحظ من خلال الابيات السابقة مدى تأثر الشاعر بالآيات

القرآنية فهو فى البيت الثالث يشير الى قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر..﴾ واما البيتان الرابع والخامس فيشير بهما الى قوله تعالى: ﴿إنَّا عرضْنَا الأمانَة عَلىَ السَّمواتِ والأرضِ والجبالِ فأبينَ أنْ يَحمِلنَهَا وأشْفَقْنَ مِنهَا وحملها الإنسَانُ..﴾.

● ويختار لنا الدكتور من قصيدة له فى «ليلة القدر» فيقول منها:

وما ليلة القدر التى جل شأنها
وخصت بآى فى الكتاب كريمة
فما قدرت الا لبعث محمد
وما شرفت الا بفجر الشريعة
تجلى بها الخلاق جل جلاله
علينا شهودا بالصفات القديمة

✪ ✪

بمناسبة صدور الموافقة بترقية الأستاذ عبد الله الحقيل وتعيينه أمينا عاما لدارة الملك عبد العزيز.. بعث الشيخ عثمان الصالح بهذه القصيدة الأخوية.

(أبا حمد) عميد المخلصينا
ويا شيخا (بسيرته) رَزينا
(بدارة) قائدٍ فذٍّ عظيمٍ
صعدتَ لها فصرتَ لها الأمينا
نُهنِّيكُم بفوزٍ فى مجالٍ
شريفٍ ما تزالُ به قَمِيْنَا
وكنتَ مربِّياً ومديرَ علمٍ
وربَّيْتَ الشبيبةَ أجمعينا
وفى درْبِ الثقافة سرتَ شوطا
وفى التدريس قد زاولتَ حينا
لذا أهَّلْتَ نفسَك دون شكٍّ
لتصبح رائدَ الروَّادِ فينا
(بدارة)(١) من بنى مجدا مجيدا
ووحَّد أمةً ضاعتْ سنينا
(ابو تركى) بدين الله يمشى
وينشُرُه على الدنيا فنونا
سرى (عبد العزيز) به حثيثا
على مسرى عميد المرسلينا
فكان لكل معتنق نجاة
وأيَّة مؤمن حصنا حصينا
أهنئكم بقلبى من محبٍّ
يراك من القديم له خدينا
وعن (حمد الحقيل) أخى وخلِّى
(بمصر) يؤلِّف الأدبَ الثمينا(٢)
وغيبته ننوبُ اليومَ عنها
بباقاتٍ بهنَّ لقد عنينا



قطفناهنَّ من روض خَصِيْبٍ
(لقاضٍ) أبدع الأدبَ الدفينا
مؤرِّخنا أبو الهمم العوالى
يدوِّنها لنا نسباً رصينا
تهانينا نكررها دواما
(لعبد الله) رأس المخلصينا

---

(١) هو حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود رحمه الله الامام العظيم والقائد الفذ الذى استطاع بما وهبه الله من قوة وعزيمة وصبر ان يجمع اشتات الجزيرة ويوحد أطرافها ويقيم بعد ذلك صرح المملكة العربية السعودية. فالدارة تحمل اسم احد أبطال التاريخ الأفذاذ.

(٢) كان الشيخ حمد الحقيل فى رحلة الى مصر لطباعة كتابه «كنز الأنساب».



تغرب عن الأوطان فى طلب العلا
وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



● مجمع اللغة العربية بدمشق

استطلاع مصور

أعده خصيصا للمنهل
الاستاذ أبو فراس السباعي



استطلاع مصور

أعده خصيصا للمنهل
الأستاذ أبو فراس السباعي

مجمع اللغة العربية

لسان الضاد يجمعنا..

الى مجمع اللغة العربية بدمشق.. أول وأعرق المجامع اللغوية في العالم العربي قاطبة نطير وإياك - قارئنا العزيز - وفي القاعة الكبرى المطلة على "تورا" أحد فروع نهر (بردى) بمياهه الرقراقة الشفيفة .. لقاؤنا مع ثلة من الأعلام والكتاب الذين برزوا في شتى مجالات العلوم.. ووهبوا كل دقيقة بل كل لحظة من حياتهم بطيب خاطر خدمة للغة القرآن الكريم.. في لجانه نجلس ونستمع.. نرهف الأسماع.. ونفتح الأذهان.. في معاجمه ومجلاته نتقل الأبصار.. علنا بذلك نقف على القليل القليل الذي تبذله "الصفوة" حفاظاً على ضادنا..



بلاد مشق

الأول والأعرق بين المجامع العربية

اللغة العربية .. ودمشق :

يلاحظ الكتاب والنقاد أن لأدباء الشام عناية خاصة باللغة العربية حتى الشداة الطالعين منهم فهم إذ يكتبون يتخيرون من الالفاظ والتعابير أصحها وأفصحها وأبعدها عن العامية وذلك ما اشتهر به منهم كتاب القصة والرواية خاصة لدى كتابتهم حوارهم القصصى . . فقلما عرف أديب شامى بأنه يكتب حواره بالعامية فإن فعل ففى أضيق الحدود ولضرورة فنية تتراءى له وعلى استحياء يمنعه من أن ينادى باستعمال العامية فى الكتابة .

فى عام مضى سألنى - وأنا فى تونس - أحد الصحفيين هناك فى ذلك بقوله لى : «ان الأسلوب الذى يكتب به أدباء سورية يختلف تماماً عن كل الأساليب الأخرى فهو شاعرى وموسيقى وفصيح» ثم سألنى عن الأسباب؟ فكان أن أجبت فيما أجبت بأن مرد ذلك ربما كان تاريخياً الى أن من دمشق كانت تنطلق جيوش الفتح الاسلامى وكانت بلاد الشام تموج بالحماسة العربية المتدفقة التى ما خبت شعلتها على مر الأجيال. صحيح أن العواصم العربية كلها أسهمت بدرجات متفاوتة فى ذلك ولكن ألم تكن دمشق وحدها عاصمة الدولة عندما كان الحكم عربياً خالصاً فى عهد الأمويين؟ .

وقلت أيضا : إن ثمة أمراً آخر حديثاً ما أظنه يغيب عن الأذهان هو ما عمد إليه الاتراك القوميون (الطورانيون) من محاولة «تتريك» بلاد الشام أى جعل اللغة السائدة فى المدارس بعد دواوين الحكومة تركية وما ظهر عند الناس من ردة الفعل (التى جعلتهم أكثر تشبثاً بلغتهم القومية التى هى أولا وآخراً لغة القرآن الكريم) .

وقلت ثالثا : ولعل من مظاهر عناية أهل الشام بلغتهم . . وتقديرهم إياها . . وحرصهم على إعلاء

شأنهـا . . (أن أول ما أنشىء) فى عالمنـا العـربى المعـاصـر من مجامـع لغـويـة كان **«المجمع العلمى العـربى بدمشق»** الذى تأسس سنة ١٩١٩ قبل أن يتسمى بمجمع اللغة العربية ولم يظهر مجمع القاهرة إلى حيز الوجود إلا سنة ١٩٣٤ وبعده مجمع بغداد ١٩٤٧ فمجمع عمان ١٩٧٦.

وإذن فمجمـع اللغة العربية بدمشق يمكن أن يُعَدّ مظهراً صادقاً من مظاهر عناية الشاميين بلغتهم القومية.

فما هى ظروف نشأته؟ . .

وما هى أهدافه من قبل ومن بعد؟ . .

المصطلحات الديوانية بالتركية

لقد بدت اللغة العربية فى مطالع القرن العشرين الميـلادى من أهم القضايا التى تشغل ساسة البلاد ومفكريها وهم يرون إلى اللغة التركية تغزو المدارس وتسود الدوائر والدواوين فقد كان الموظفون الأتراك يتولون رئاسة كثير من الدوائر الرسمية مما حدا بالزعماء العرب إلى أن يقرروا فى مؤتمر باريس العربى المنعقد فى ١٨ حزيـران ١٩١٣ (٢٤ رجب ١٣٣٢هـ) أن **«اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة فى مجلس النواب العثمانى . . ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية فى الولايات العربية»**.

وسرعان ما صدرت «الارادة السنية» من السلطات العثمانية بعد خمسة وأربعين يوما من تاريخ هذا القرار أو التوصية بالنص التالى:

«يكون التدريس باللغة العربية فى جميع مدارس الـولايات التى تتكلم أكثرية سكانها هذه اللغة فى المـدارس الابتـدائية والاعدادية وينظر من الآن فى الـوسـائـل التى تؤدى إلى جعل التعليم العالى فى البلاد العربية باللغة العربية».

فلما قامت الثـورة العـربيـة بقيـادة الأمير فيصل بن الحسين سنة ١٩١٦/ ١٣٣٥هـ، وانتهت بتأسيس الحكومة الفيصلية العربية فى ربوع الشام فى ٥ تشرين الأول ١٩١٨ (٢٨ذى الحجة ١٣٣٦هـ) تعيّن على هذه الحكومة الفتية أن تواجه فيما تواجه مشكلة اللغة العربية فى المدارس وفى الدوائر الرسمية . . فأما فى الدوائر: فقد كان الموظفون العرب يجهلون الانشاء العـربى ويعـبرون فى كتـابـاتهم الديوانية بالمفردات والمصطلحات التركية.

نحو الاصلاح

فلم يكن بد من أن تبادر الحكومة العربية إلى التغيـير بأن تجعـل العـربيـة هى اللغـة الرسمية فى المـدارس والـدوائـر الـرسمية . . وأن تبذل فى ذلك قصارى جهدها . فأنشأت شُعَباً إدارية وفنية لمختلف أعمال الدولة ومنها **«الشعبة الأولى للترجمة والتأليف»** (بتـاريـخ ٢٨ تشـرين الثـانى ١٩١٨) التى كانت مهمتها تدبر أمر اللغة العربية الرسمية ونشر الثقافة بين المـوظفـين . . واستبـدال المصطلحـات العربية بالتركية . . وأناطت الحكومة هذه المهمة الجليلة بنخبة من موظفيها المتمكنين من العربية أو القادرين على الترجمة إليها من اللغات الأجنبية.

■ ومـا هى إلا أشهـر ثلاثة حتى رأت الحكومة أن تجمع فروع الثقافة كلها فى دائرة واحدة أطلقت عليها اسم «ديوان المعارف» موكلة إليه المهام التالية:

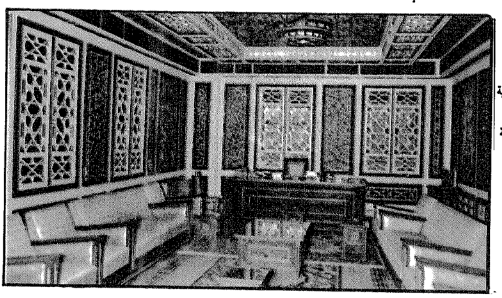
- **النظـر فى شؤون المعـارف عامة (أى ما تقوم به وزارة التربية والتعليم).**
- **العمـل على تأسيس دار تجمـع مختلف الآثـار القديمة (متحف).**
- **وإقامة دور تضم مكتبات عامة تفتح أبوابها للجمهور.**

واختارت للديوان رئيساً هو الأستاذ محمد كرد علي (من مواليد دمشق ١٨٧٦/ ١٢٩٣هـ).

المجمع العلمي العربي

وأقبل المواطنون على التعلم.. وطالبوا الحكومة بالاكثار من فتح المدارس.. وأوشك هذا الجانب الخطير من مهام الديوان أن يطغى على الجانب الآخر منها وهو خدمة اللغة ونشر التراث.. فعمدت الحكومة إلى تجزئة الديوان إلى اثنين:

يختص الأول بأعمال المعارف العامة وشؤون التعليم (وقد غدا هذا الديوان نواة لوزارة المعارف فيما بعد).



المقر الجديد لم تفت المجمعيين العناية بالزخرفة العربية الاسلامية فحرصوا على أن يكون مكتب رئيس المجمع آية من آيات الفن والجمال

على حين يستقل الديوان الآخر ليعنى بأمور اللغة والمكتبات والآثار. وقد جاء في الصك القانوني الذي صدر عن السلطة بتاريخ ٨ حزيران ١٩١٩ (٩ رمضان ١٣٣٧هـ) أن يسمى هذا الديوان بـ«المجمع العلمي - آقاده مى» وعهد بالسهر عليه - أيضا - إلى الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وثمانية من الأعضاء.

وفي شأن هذه التسمية يلاحظ أن مصطلح «المجمع العلمي» هو ترجمة للكلمة الفرنسية Academie وقد ظهرت المجامع العلمية اول أمرها في ايطاليا عصر النهضة ثم في فرنسا أوائل القرن السابع عشر على نحو كان فيه المجمع العلمي مؤسسة ثقافية تعنى بالعلوم اللغوية خاصة. وغني عن البيان أن وصف المجمع بـ«العلمي» لا يقصد به الاختصاص بالعلوم Sciences بمعناها الحديث بل المعنى المألوف عند العرب قديما: العلوم اللغوية والأدبية وغيرها.

أخذ أعضاء المجمع يعقدون جلساتهم بادىء ذي بدء في إحدى غرف دار الحكومة ثم صدرت الأوامر بأن تعطى للمجمع «المدرسة العادلية» المشهورة التي كان قد بدأ ببنائها أوائل القرن السابع الهجري، الملك العادل ابن أيوب (أخو صلاح الدين الايوبي) وكمل بناؤها في عهد ابنه الملك المعظم واتخذت مدرسة لتدريس الفقه والعربية من سنة ٦١٩هـ (١٢٢٢م) وكانت - كما يقال - على نظام الكليات في توزيع الاختصاص «للفقه وللقراءات وللغة العربية» ولم ينقطع فيها العلم وتدريسه حتى ما قبل إنشاء المجمع.

وكان الحريق قد أصاب هذه المدرسة مرتين ثانيتهما في

غزو تيمورلنك لدمشق سنة ٨٠٣هـ (١٤٠٠م) فأخذ المجمع على عاتقه ترميمها واسترداد رونقها العربى الأصيل فأصلحت قبة الملك العادل وأكبَّ المهرة من النجارين والنقاشين على صنع أبواب البناء ونوافذه.. فإذا البناء يصبح فى غضون شهرين تحفة فنية تسر الناظرين.

الجلسة التاريخية تموز ١٩١٩

●● ويعقد «المجمع العلمى العربى» فى مقره الجديد أولى جلساته بتاريخ ٣٠ تموز ١٩١٩ (٣ذى القعدة ١٣٣٧هـ) تحت رئاسة محمد كرد على وبحضور أعضائه: أمين سويد.. وأنيس سلوم وديمترى قندلفت.. وسعيد الكرمى.. وعبد القادر المغربى.. وعز الدين علم الدين التنوخى.. وعيسى اسكندر المعلوف (وانضم إلى الأعضاء فيما بعد طاهر الجزائرى بعد عودته من الديار المصرية فى تشرين الأول ١٩١٩).

●● فى تلك الجلسة التاريخية قرر المجتمعون أن يُحدَث فى المجتمع قسمان: لغوى أدبى وآخر علمى فنى. ورشحوا كذلك أسماء لعلماء فى العاصمة دمشق ليكونوا «أعضاء شرف» يستعين بهم المجمع فى كلا القسمين مثل: عبد القادر المبارك.. ومحمد الخضر التونسى.. ومحسن الأمين.. وفارس الخورى.. وعبد الرحمن الشهبندر.. ومرشد خاطر.. وميخائيل بخاش ـ وغيرهم.

●● وفى فرحة أعضاء المجمع بهذه الغرسة الطيبة فى التربة الحانية يصدرون فى أيلول ١٩١٩ منشورا بالعربية والفرنسية باسم رئيس المجمع يرسل إلى المجامع فى الشرق والغرب معرفا بمجمعهم رغبة فى تبادل الأفكار وتوثيق العلاقات بينه وبينها.

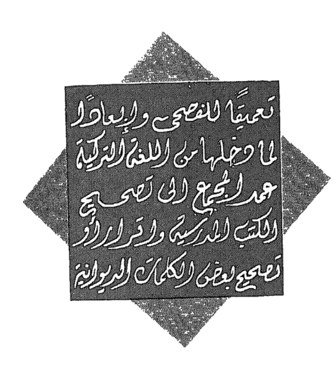
وقد حدد المنشور أهداف المجمع التى انحصرت فى أربعة:

(١) النظر فى اللغة العربية وأوضاعها العصرية.. ونشر آدابها وإحياء مخطوطاتها.. وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون عن اللغات الأوربية وتأليف ما تحتاج إليه من الكتب المختلفة المواضيع على نمط جديد.

(٢) جمع الكتب «مخطوطة ومطبوعة» وتأسيس دار كتب عامة.

(٣) جمع الآثار القديمة «عربية وغير عربية» وتأسيس متحف لها.

(٤) إصدار مجلة خاصة بالمجمع ينشر فيها أفكاره وأعماله وتكون رابطة بينه وبين المؤسسات المماثلة.



التعليم من أجل التصحيح

كان أول ما قام به المجمع ـ خدمة للغة العربية ـ أن أخذ فى تنظيم دروس خاصة لموظفى الدولة قصد تعليمهم قواعد الانشاء وأساليب التراسل ليكونوا مؤهلين لاعداد الكتب الديوانية والنصوص القانونية

كان ذلك مما أملته الضرورة فى تلك المرحلة من عمر الدولة العربية الناشئة المنسلخة حديثا عن جسد الامبراطورية العثمانية ومن الذين قاموا بأداء هذا الواجب: أنيس سلوم.. وسليم الجندى.. وخليل مردم بك.

وعمد المجمع إلى بعض القوانين فصححها ونقحها.. أو نقلها إلى العربية ابتداء.

ثم إنه أصبح ممتنعاً تقديم أى كتاب مدرسى الى التلاميذ والطلاب قبل أن يعرض على المجمع أولا لتدقيقه لغة وموضوعاً.

ونظم المجمع سلسلة من المحاضرات اللغوية والأدبية ألقيت على طلاب دور المعلمين والصفوف العليا من المدارس الثانوية.

الوضع والتعريب

ومن المهام الأخرى التى نهض بها المجمع فى تلك المرحلة أيضا أنه استجاب لحاجة دوائر الدولة إلى مفردات ومصطلحات إدارية عربية تحل محل سابقتها الأعجمية.

فكان المجمع يتلقى القوائم (الجرائد) وقد أدرجت فيها أنواع من المفردات والمصطلحات مما تأخذ به الدواوين عمليا فيجتمع أعضاؤه فى جلسات طويلات يشاركهم فيها ممثل متخصص عن هذه الدائرة أو تلك وينظرون فى ما ورد إليهم من الجهات الرسمية ويقرون بعضها لصحتها واتفاقها مع أساليب العربية ويعدلون بعضها الآخر التعديل الذى يرونه مناسبا ويستبدلون ببعضها الثالث مفردات ومصطلحات يستحدثونها.

وإنهم فى ذلك لينشرون مصطلحاتهم فى مجلة المجمع الشهرية التى ظهر عددها الأول فى كانون الثانى (يناير ١٩١٩م) (ربيع الثانى ١٣٣٧هـ).

ونسوق فيما يلى طائفة نراها اليوم طريفة من تلك المفردات والمصطلحات المحولة عن أصلها أو المعدلة تعديلا أو المستحدثة من قبل المجمع:

(الوضع القديم)	(الوضع الجديد)
النافعة	ديوان العمائر
الطابو	ديوان التمليك
البوليس	الشرطة
قوميسير	مفوض
الدورية	العسس
نوبتجى	آذن، أو بواب
أوده جى	فراش
قاصة دفترى	دفتر الخزانة
نومرو	رقم أو عدد
دركنار	حاشية
ايستاتستيق	إحصاء
رابور	تقرير
بول	طابع
قوجان	قسيمة أو دفتر قسائم
القائمقام	القيِّم
مأمور السجن	السجان
مأمور إطفائية	إطفائى
أوراق موروده	الرسائل الواردة
أوراق مرسولة	الرسائل الصادرة
ماصه	مكتب
قاصة	خزانة
قولتق	متَّكأ
دوسيه	إضبارة أو ملف
روزنامه	تقويم
صوبا	مدفأة

التجديد والطبيعة البشرية

وكان المجمع فى فهمه للطبيعة البشرية يتوقع أن ينصرف الناس والكتاب أو هم لا يتحمسون كثيراً ولا سريعاً للمفردات الجديدة التى لم يألفوا استعمالها ولا سماعها وألفوا القديم الأعجمى والركيك والخاطىء.. فكان يخاطب القراء بمثل هذا الوعى القومى التربوى المقرون بالتواضع. يقول المجمع فى مجلته وفى الصحف:

«لا يخفى أن مجرد وضع المجمع لهذه الكلمات لا يفيد الفائدة المرغوبة ما لم يتناولها الأفاضل رؤساء الدواوين ورجال الصحافة فيستعملوها فى كتاباتهم ويزيلوا خشونتها وغرابتها بواسطة التداول والتخاطب والتراسل بينهم.

«واذا استعمل احدهم هذه الأوضاع الجديدة حسن أولا أن يتبعه بأصله القديم فيزيده بذلك وضوحاً وشيوعا بين الناس فاذا استعمل كلمة «حاشية» مثلا أتبعها بكلمة «دركنار» واضعاً لها بين هلالين.

«ونحن على يقين من أن ما اخترناه للكتاب الأفاضل من هذه الأوضاع والتعابير الجديدة لم يكن خير ما يقال وأفضل ما يعول عليه إذ قد يتفق لبعضهم أن يخطر له كلمة أو تعبير خير مما وضعنا واخترنا فله أن يستعمل ما ارتآه هو كما أن لغيره أن يستعمل ما ارتأيناه نحن فتحيا الكلمتان معاً أو إحداهما التى تكون أفصح وأصلح..».

لغة التدريس

أقول: إننا نكون قد غمطنا المجمع بعض حقه إن لم نسرع إلى بيان أن من أجل ما عنى به هو اللغة فى المدارس والجامعات.

ففى شأن اللغة فى المدارس الابتدائية والثانوية عقدت اجتماعات بين أعضاء المجمع وبين لجنة سميت «لجنة الاصطلاحات العلمية المستعملة فى كتب المدارس» رئيسها ساطع الحصرى (مدير المعارف العام) للنظر فى الألفاظ التى اصطلح عليها المؤلفون فى كتب: العلوم الطبيعية.. والرياضية.. والزراعية.. وغيرها من الكتب.

وكان الرأى الذى عبَّر عنه عضو المجمع الشيخ عبد القادر المغربى: أن نشر الفصحى بين تلامذة المدارس يكون بتحصيل «ملكة الكتابة والانشاء الفصيح بها» وذلك بتعليمهم قواعد النحو والصرف واللغة والانشاء على نحو يتوخى فيه تطبيق تلك القواعد وتمرين الناشئين على الكتابة الفصيحة.. وكذلك بتحصيل «ملكة النطق والمحاورة الفصيحة» وتكون بالمداومة على محاورة التلاميذ بالفصحى وهم على مقاعد الدرس فى الصفوف الابتدائية.

وفى شأن لغة التدريس فى الجامعة: وقد كان فى دمشق ذياك العهد ما يسمى «معهد الطب» و«معهد الحقوق» كان لابد من أن يتعاون المجمع مع المتخصصين فى جميع العلوم (ومنهم: فارس الخورى.. ومصطفى الشهابى.. ومرشد خاطر) فجمع بذلك بين قدرة أعضائه اللغوية وبين معرفة الأساتذة الجامعيين بمعانى الالفاظ الفنية. فكانت حصيلة هذا التعاون المثمر آلاف الألفاظ والمصطلحات فى الحقوق والفلسفة والطب وسائر العلوم تم وضعها على مدى السنين أو تعريبها.

وقد عاشت تلك المصطلحات وهى تتزايد على كر

السنين وتنتقل إلى الكتب الجامعية فى الاقطار العربية الاخرى. . وإن لجامعة دمشق (الجامعة السورية قديماً) ثم للجامعات التى أنشئت بحلب واللاذقية وحمص سبقاً سيظل يذكر لها فى كتب التاريخ: أنها تدرس مقرراتها جميعاً ـ بما فيه الطب والعلوم ـ باللغة العربية وذلك منذ تأسيس معهد الطب (سنة ١٩٠٣) ومعهد الحقوق (١٩١٣) وإلى اليوم (ولهذا حديث شيق ربما أفردنا له مقالا يأتى). (*)

نشاط ثقافى مكثف

وفى شأن تعويد الآذان سماع الفصحى خارج قاعات المدارس والجامعات ولم تكن يومذاك إذاعة ولا تلفزيون. . ورغبة فى تعميم الثقافة على الناس خصص للمجمع فى مقره فى المدرسة العادلية قاعة للمحاضرات العامة. . وطفق يمارس نشاطا ثقافيا مكثفا كان فريداً فى نوعه فى عصره. . وذلك بسلسلة من المحاضرات افتتحها الشيخ المغربى بمحاضرته «معلقة طرفة بن العبد» يوم الأحد ١٧نيسان ١٩٢١ (٨ شعبان ١٣٣٩) فى الساعة الرابعة والنصف من بعد الظهر.

وكانت المحاضرات تلقى كل أسبوعين. . فلما لوحظ إقبال الجمهور على حضورها وسماعها جعلت الدورة أسبوعية. . ولنستمع إلى ما يقوله رئيس المجمع الأستاذ محمد كرد على فى تقرير له قدمه إلى السلطات العليا (ونشر فى مجلة المجمع آخر أعداد السنة الثانية سنة ١٩٢٢) يقول:

كان المجمع يلقى المحاضرات فى موضوعات علمية وأدبية على الجمهور مرة كل أسبوعين فأنشأ يلقيها مرة فى الأسبوع وهو يفكر الآن فى إلقائها مرتين أو أكثر كل أسبوع لتتخرج من المحاضرين فى المستقبل جماعة يصلحون للتدريس على مقاعد مدرسة الآداب التى تضاف إلى الجامعة السورية المؤلفة الآن من معهدين فقط (الطب. . والحقوق).

وقد زاد الاقبال على سماع تلك المحاضرات حتى قدر معدل المستمعين كل مرة من طبقات مختلفة بأكثر من مائتى مستمع معظمهم من الوجهاء والفضلاء والأدباء وطلاب المدارس العالية.

●● وقد قيل فيما بعد إن المقبلين على سماع المحاضرات قد تكاثر عددهم حتى وقفوا على الأبواب والنوافذ مما حدا بالمجمع الى توسيع القاعة.

● وقد استمر إلقاء هذه المحاضرات إلى سنة ١٩٤٦ (١٣٦٥هـ) مع توقفها المعتاد كل صيف (علماً بأنها انقطعت ما بين ١٩٣٢-١٩٤١).

● ولم يكن للمجمع استكمالا لأسباب النهضة الثقافية التى يرسى دعائمها أن ينسى المرأة: فدعاها مستمعة كما دعاها محاضرة. . وقد اشترط فى الأيام المخصصة لسماع النساء أن يكون بناء المجمع خالياً من الرجال والموظفين. . وأن تقوم بتنظيم المحاضرات النسائية إحدى المعلمات الفاضلات.

● وأما المحاضرون: فقد كانوا أعضاء المجمع وكذلك كل من يكلفهم إلقاء المحاضرات من الرجال والنساء من دمشق ومن المدن السورية ومن الأشقاء العرب ومن المستشرقين. وقد أربت المحاضرات فى تلك المواسم الثقافية الطيبة على الأربعمئة طبعت مختارات منها فى مجلة المجمع (ثم فى مجلدات ثلاثة ظهرت فى السنوات: ١٩٢٥ ثم ١٩٥٤، ١٩٥٥).

●● وقد بلغ عدد السيدات اللواتى حاضرن بضعاً وعشرين معظمهن أسمعن بنات جنسهن مثلما فعل بعض أشقائهن الرجال وإن منهن من تابعن الكتابة أو التأليف فما تزال أسماؤهنَّ ترد اليوم فى الصحف ووسائل الاعلام مثل:

وداد سكاكيني: التى حاضرت فى المجمع حول «مجالس الأدب عند نساء العرب».

وفلك الطرزي: «الحداء والطفل».

ومقبولة الشلق: حول المرأة.

وثريا الحافظ: فى التربية وفى الجمعيات النسائية.

ونديمة المنقارى: عن الرسول والمرأة.

●● وكان من المحاضرات من تحدثت عن: **«البحترى صياد الخيال والجمال» (منيرة المحايرى). و«شعر الفكاهة» (لميس الشهابى).. و«أدب القصة» (مديحة الرازى).**

●● وإن منهنَّ من وقفن محاضِراتٍ أمام الرجال مثل: روز شحفة (واجبات المرأة فى الهيئة الاجتماعية ١٩٢٤) وسارة الخطيب (المرأة وواجباتها الوطنية والزوجية ١٩٢٥).. ثم جهان الموصلى (عبقرية المرأة تكشف عن أعظم سر من أسرار الكيمياء ١٩٤١).. وعفيفة حصنى (التربية السورية ومبادىء التربية الحديثة ١٩٤١.

قلنا: إن هذه المحاضرات المنتظمة استمرت حتى سنة ١٩٤٦ ثم انقطعت نهائيا وذلك لأنه كانت قد ظهرت فى دمشق النوادى والجمعيات الثقافية للرجال وللنساء التى راحت تقدم المحاضرات للجمهور على اختلاف فئاتهم.

حفلات وحفلات

على أنه كان للمجمع نشاط ثقافى يخرج عن إطار المحاضرات الى إقامة حفلات تكريم وتأبين للمشاهير من أدباء العرب.

وإذا كان قد حرص على تأبين الراحلين مثل الشيخ طاهر الجزائرى (١٩٢٠/ ١٣٣٩هـ) وأحمد كمال باشا المصرى (١٩٢٣/١٣٤٢هـ) محمود شكرى الألوسى - مصطفى لطفى المنفلوطى (١٩٢٤م/ ١٣٤٣هـ) ومحمد رشيد رضا (١٩٣٥/١٣٥٤هـ) وغيرهم.. فإنه قد كرم من الأحياء فى حضورهم إلى دمشق الشاعر أحمد شوقى (١٩٢٥/١٣٤٤هـ) ثم الشاعر حافظ إبراهيم (١٩٢٩/١٣٤٨هـ) ثم أقام لهما حفلتى تأبين بعد وفاتهما (١٩٣٢/١٣٥١هـ) وما بين الحفلتين إلا أقل من شهرين.

وأقام المجمع** **مهرجاناً لشاعر العربية الأكبر أبى الطيب المتنبى لمرور ألف سنة هجرية على وفاته استمر أسبوعا (١٩٣٦/١٣٥٥هـ) وبعد ثمانية أعوام أقام مهرجاناً عظيما آخر للشاعر الفيلسوف أبى العلاء المعرى لمرور ألف سنة هجرية على مولده (١٩٤٤/١٣٦٣هـ) استمر أيضا أسبوعاً تنقل خلاله المحتفلون بين دمشق ومعرة النعمان (حيث ضريح الشاعر فى بلده) وحلب اللاذقية ودعا فى كليهما عدداً من أقطاب الأدب فى الأقطار العربية ومن شرق وغرب.. وكانت أيام الاحتفال بالشاعرين العظيمين مشهودة..



العقاد — حمد الجاسر

ولم ينس المجمع فى تكريمه للعظماء وفى تأبين الراحلين الشباب الواعدين.. فأقام مرة حفلة مبتكرة سماها «حفلة تنشيط» وذلك أن أربعة من طلاب المدرسة التجهيزية (الثانوية الوحيدة فى العاصمة يومذاك) قد أظهروا فى امتحان شهادة العالمية (الثانوية) ذكاء وتفوقاً لا سيما فى الآداب العربية وقرض الشعر العربى فقدم المجمع هؤلاء الشباب الأربعة فى حفلة إلى الجمهور

(١٩٢٧/١٣٤٦هـ) وقدم المحتفى بهم بدورهم قصائد مما جادت به قرائحهم وكانوا أربعة هم: زكى المحاسنى وجميل سلطان وأنور العطار وعبد الكريم الكرمى وما خاب ظن المجمع بهم فقد أصبح الأربعة جميعا من الشعراء والكتاب المرموقين فى الوطن العربى وأسهموا فى بناء أدب أمتهم وفكرها وثقافتها.

إحياء التراث

قلنا إنه كان من أهداف المجمع أن يقوم بجمع الكتب - مخطوطة ومطبوعة - فى دار كتب عامة.. وقبل ذلك إحياء المخطوطات القديمة.

فأما دار الكتب: فإن المجمع قد ألحق به منذ تأسيسه «المكتبة العمومية» التى كانت فى المدرسة الظاهرة وجعل منها داراً للكتب على نحو ما يرجو وكذلك أنشأ المجمع مكتبة خاصة به جعل كتبها فى متناول أيدى أعضائه فى المدرسة العادلية.

وأما إحياء المخطوطات: فقد أخذت الأعين ترنو - بأسف - إلى كتب التراث المودعة مخطوطاتها فى دار الكتب الظاهرية والمتزايدة أعدادها عاماً بعد عام حتى لقد تجاوزت عشرة الآلاف.. ويتمنى العارفون بها لو يستطيعون نشرها على الملأ بعد تحقيقها تحقيقاً علميا وطبعها طبعاً متقناً ولكن ميزانية المجمع ما كانت لتسعف فى هذا الرجاء. (وكان ما طبعه المجمع - أوائل عهده - من كتب هو الجزء الأول من محاضرات المجمع سنة ١٩٢٥.. وما طبع الجزءان التاليان إلا فى ٥٤ و١٩٥٥).

وفى عام ١٩٣٠ صدر أول الكتب فى مطبوعات المجمع وكان الجزء الأول من كتاب **«نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة»** تأليف القاضى أبى على المحسّن التنوخى ولحق به جزءاه بعد عامين.. وبعد بضع سنوات صدر كتابان.. وبعد سنوات أخرى صدر من الكتب ما مكنت منه ميزانية المجمع وهو قليل.

ومن الكتب التى طبعها المجمع ما هو وثيق الصلة ببلاد الشام سواء من ناحية موضوعاتها أو انتهاء مؤلفيها الشاميين مثل:

«بحر العوام فيما أصاب فيه العوام» لابن الحنبلى الحلبى ١٩٣٧.

«ديوان الوليد بن يزيد» الخليفة الأموى تحقيق المستشرق الايطالى جبريالى ١٩٣٧.

«رسالة الملائكة» لأبى العلاء المعرى ١٩٤٤.

«الدارس فى تاريخ المدارس» للنعيمى الدمشقى ١٩٤٨.



«غوطة دمشق» تأليف رئيس المجمع الأستاذ كرد على ١٩٤٩.

«فضائل الشام ودمشق» لأبى الحسن المالكى ١٩٥٠.

«ديوان الوأواء الدمشقى» ١٩٥٠.

«أمراء دمشق فى الاسلام» للصلاح الصفدى ١٩٥٥.

«جريدة القصر وجريدة العصر» قسم شعراء الشام لعماد الدين الاصفهانى ١٩٥٥.

وغيرها كثير. ومنه كتاب «تاريخ المجمع العلمى العربى» الذى ألفه أحمد الفتيح (عندما كان مديرا لدار الكتب الظاهرية) ونشر سنة ١٩٥٦-١٣٧٥هـ وعليه كان أكثر اعتمادى فى كتابتى هذا الاستطلاع.. فقد استوفى الكتاب تاريخ المجمع حتى سنة تأليفه أو نشره.

على أن المشروع الكبير الذى ينهض المجمع به هو تحقيق كتاب «تاريخ مدينة دمشق» للحافظ أبى القاسم بن هبة الله المعروف بابن عساكر (٤٩٩-٥٧١هـ) كتاب مؤلف من نحو ثمانين مجلدة قد أنفق ابن عساكر فى تصنيفه عمره وقد صدر أول ما صدر من هذا الكتاب الضخم مجلدته الأولى سنة ١٩٥١/١٣٧١هـ ثم القسم الأول من مجلدته الثانية سنة ١٩٥٤ بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.. ثم سار المشروع سيراً بطيئاً قبل أن يستحث خطاه فى السنوات العشرة الأخيرة فبلغ ما صدر منه نحو عشر من مجلداته.. وقد توفر على تحقيق أجزائه فى السابق واللاحق جماعة من المحققين العلماء منهم المجمعيون: كالدكتور المنجد.. ومحمد أحمد دهمان.. والدكتور شكرى فيصل. ومنهم أدباء شباب قد اكتسبوا الخبرة الوافية فى هذا المجال تم ندب بعضهم للعمل فى المجمع لتحقيق هذه الغاية الجسيمة وهم: «**روحية النحاس.. ورياض عبد الحميد مراد.. ومحمد سعيد دباس.. ومحمد مطيع الحافظ.. وسكينة الشهابى.. ومطاع الطرابيشى.. ونشاط غزّاوى وغيرهم**».

ومع أن تحقيق هذا الكتاب - الموسوعة يتطلب جهدا وأناة إلا أنه قليل - فيما نرى - أن يصدر منه عن المجمع مالا يزيد على عشر من مجلداته خلال عشر من السنين.. فليس يعقل أن يستغرق «تحقيق» كتاب ونشر كامل أجزائه، من السنين، ما يزيد على ما كان مؤلفه قد «عاش» من عمر.

ومهما يكن من أمر فإن مطبوعات المجمع - بصورة عامة - قد تجاوز عددها المئتين حتى اليوم ويعد هذا نتاجاً طيبا فى نظر أولئك الذين يعرفون ما يعانيه الباحثون فى تحقيقهم كتب التراث وفق أساليب التحقيق العصرية وطبعها طباعة الأنيقة.

آخر اصدارات

● **ومن الكتب التى أنجز طبعها فى السنوات الأخيرة:**

«**شرح الكافية البديعية فى علوم البلاغة**» لصفى الدين الحلى: تحقيق الدكتور نسيب نشاوى ١٩٨٣.

«**رسالة أسباب حدوث الحروف**» لابن سينا: تحقيق محمد حسان طيان ويحيى مير علم ١٩٨٣.

«**نظرات فى ديوان بشار بن برد**» للدكتور شاكر الفحام ١٩٨٣.

«**نظرة فى معجم المصطلحات الكثير اللغات**» للدكتور حسنى سبح ١٩٨٣.

«**سفر السعادة وسفير الافادة**» ثلاثة أجزاء - للسخاوى: تحقيق محمد أحمد الدالى ١٩٨٣ و١٩٨٤.

«**نوح العندليب ديوان الشاعر شفيق جبرى**» شرحه وأشرف على طباعته قدرى الحكيم ١٩٨٤.

«**تاريخ مدينة دمشق**» لابن عساكر السيرة النبوية القسم الأول تحقيق السيدة نشاط غزاوى ١٩٨٤.

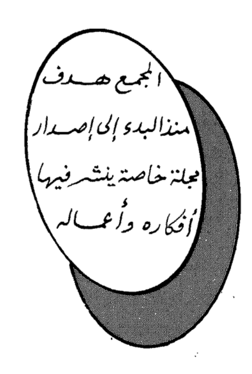
«**تاريخ مدينة دمشق**» الجزء السابع (أحمد بن عتبة - أحمد بن محمد بن المؤمل): تحقيق عبد الغنى الدقر ومراجعة مطاع الطرابيشى ١٩٨٤.

«**تاريخ مدينة دمشق**» ترجمة عثمان بن عفان: تحقيق سكينة الشهابى ١٩٨٤.

«شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدى» جمعه ونسقه مطاع الطرابيشى . . الطبعة الثانية ١٩٨٥ (الأولى ١٩٧٤) .

«معرفة الرجال للإمام يحيى بن معين» الجزء الأول تحقيق محمد كامل القصار والثانى : محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير ١٩٨٥ . . وغيرها .

والمجمع يصدر فى سنته الواحدة ما بين خمسة كتب (أو مجلدات) وعشرة ويشترك بمطبوعاته فى معارض الكتب العربية تمثله فى ذلك دار الفكر بدمشق وقد اشترك خلال الفترة الماضية فى معارض فى : الجزائر والكويت والمغرب وصنعاء .



الآثار التى لا تقدر بثمن

قلنا إن من مهام المجمع العلمى العربى . . كان العمل على تأسيس متحف يجمع مختلف الآثار القديمة . ذلك أنه لم تغب عن أذهان مؤسسى المجمع العناية بالآثار القديمة المنتشرة فى انحاء البلاد وتلك الدفينة فى أرضها .

وقد خصص المجمع لاحتواء الآثار غرفاً فى مقر المدرسة العادلية . . وأخذ يجمع العاديات بالشراء وبالاستهداء وكذلك حصل على ما كان منها مبعثراً فى الدوائر الرسمية والمساجد والمدارس . . وأوفد - فى أول عهده - بعثات إلى تدمر وحمص وإلى جهات لبنان الغربى والشرقى (وقد كان لبنان جزءاً من الوطن السورى) وإلى مناطق أخرى لجلب الآثار القديمة ولقد أبدت الحكومة العربية اهتماماً واضحاً بذلك كله حتى إن الأمير (زيد) نائب الملك فيصل بن الحسين جعل حفلة افتتاح «المتحف» تحت رعايته . وكان من نتيجة هذا الاهتمام المتزايد أن ضاقت بالآثار المقتناة الغرف الأربع التى خصصت لها فى المجمع .

وهكذا نرى رئيس المجمع يذكر فى تقريره المشار إليه آنفا أنه تقدر قيمة ما فى المتحف من الآثار بعشرات الألوف من الليرات وذلك حسب تقدير من زارنا من الاخصائيين : مثل رئيس متحف كاليفورنيا فى أميركا . . ومدير الآثار فى المفوضية العليا فى بيروت» ويضيف غير كاتم سروره : «ولم ينفق المجمع للحصول عليها سوى بضع مئات من الليرات» . . والحق إن الآثار القديمة لا تقدر قيمتها بثمن .

وكانت عاديات «دار الآثار العربية» تتألف من قطع من الحجر (تماثيل) وزجاجية وقيشانى ونقدية وأسلحة تعود إلى العهود اليونانية والرومانية والاسلامية .

وفى سنة ١٩٢٨ رؤى أن تتمتع دار الآثار بالشخصية المعنوية والاستقلال المالى وتلحق بوزارة المعارف مباشرة إلا أنها استبقيت فى المدرسة العادلية بضع سنوات ريثما أنشىء المتحف الحديث بدمشق فنقلت إليه الآثار . . ثم أنشئت كثير من المتاحف فى

بلاد الشام وامتلأت بما فيها بعد أن نشطت أيما نشاط البعثات الآثارية الوطنية بمعونة البعثات الأجنبية وراحت تستخرج كنوزاً دفينة وتكتشف حضارات مثل: حضارة مملكة ماري.. ومملكة أوغاريت.. ولن يكون آخرها حضارة مملكة ايبلا.

رسالة المجمع ماثلة في مجلته

ولتحقيق المجمع لرسالته السامية كان لابد من نشرة دورية تحمل آراءه إلى الجمهور وفى طليعتهم العلماء والمفكرون وذلك ما هدف إليه المجمع منذ البدء: أن يصدر مجلة خاصة به ينشر فيها أفكاره وأعماله وتكون رابطة بينه وبين المؤسسات المماثلة وبالتالى تكون المرآة التى تعكس منجزاته وتدونها على الورق بادية للعيان على طول الزمن الآتى.

صدر العدد الأول - من هذه المجلة الرائدة - يحمل اسم «**مجلة المجمع العلمى العربى**» فى مطلع عام ١٩٢١ (ربيع الثانى ١٣٣٩هـ) وأخذت تنشر الأبحاث والمقالات والتعليقات التى يكتبها أعضاء المجمع من العاملين والمراسلين والشرفيين ممن تخيرهم ليعاونوه بعد البحث الطويل فى الشام ومصر والعراق وتونس والجزائر ومراكش وأوربا وأمريكا كما قال الرئيس الأول للمجمع.

وقد كان المجمع يهدى مجلته إلى أعضائه والى أشهر المجامع والجامعات ودور الكتب فى القارات الأربع.. آسيا وافريقية واوربا وأميركا.. وقد بلغ عدد من تبادلهم المجلة من هذه المجامع والمكاتب والجامعات فى اوربا ٨٥ وبذلك زادت شهرة المجمع فى الأندية العلمية.. وأصبحت المجامع والجامعات تهاديه بكتبها ومذكراتها ومجلاتها وتدعوه بصورة رسمية إلى مؤتمراتها.

ولقد بدأت المجلة واستمرت مضمارا للحوار العلمى المثمر فى شؤون اللغة (وضعاً وتعريباً وتعريفا) كما فى شؤون الأدب والتاريخ والوطنية اشترك فيه - وبحماسة جياشة أحياناً - كتاب شاميّون وعرب ومستشرقون فتبادلوا الآراء وانتفعوا ونفعوا.

●● ومن كتاب المجلة الشاميين فى العقدين الأولين أو الثلاثة من عمرها: ***محمد كرد على.. وعيسى اسكندر المعلوف.. وعبد القادر المغربى.. وأنيس سلوم.. وسعيد الكرمى.. وأحمد رضا.. وشفيق جبرى.. وشكيب ارسلان.. ومحمد سعيد الأفغانى.. وعز الدين علم الدين التنوخى.. وخليل مردم بك.. وكامل الغزى.. ومرشد خاطر.. وإسعاف النشاشيبى.. وفيليب حتى.. ومصطفى الشهابى.. وقسطاكى الحمصى.. ومحمد أسعد طلس.. ومحمد راغب الطبّاخ.. وأسعد داغر.. وعبد الرحمن الكيالى.. وجميل صليبا.. وعمر فروخ.. وسامى الدهان.. ومنير العجلانى.. وصلاح الدين المنجد.***

*ومن **المصريين**: أحمد تيمور باشا.. ومحب الدين الخطيب.. وأحمد عيسى بك.. وأحمد أمين.. وخليل مطران.. وأحمد حسن الزيات.. ومحى الدين عبد الحميد.. وعبد الوهاب عزام.. وغيرهم كثير من العرب والمستشرقين.*

وكانت المجلة فى بدايتها شهرية وتؤلف أجزاؤها السنوية مجلداً لا يزيد على أربعمئة صفحة.. بلغت بعد بضعة أعوام بتزايد المؤازرين (٧٨٠ صفحة) وبعد ذلك أصبح المجلد يضم ستة أجزاء: لكل شهرين جزء.. ثم أخذت المجلة ابتداء من سنة **١٩٤٩** *تظهر فصلية (كل ثلاثة أشهر).*

واليوم مجاراة من المجمع للعصر فإنه عمد الى تنضيد المجلة وكثير من مطبوعاته بأجهزة التنضيد الضوئى (الألكترونى) التى اقتنى منها طاقماً خصص له مكاناً فى أعلى طوابق بنائه الحديث. . تعمل فيه «منضِّدات» من الجنس اللطيف هن فى عمر الورود وبعد التنضيد والتصوير يتم طبع المجلة على الأوفست فى مطابع خاصة ويجىء مجلدها السنوى فى تسعمئة صفحة أو يزيد مدروزة كلها بالأسطر والكلم على نحو مريح للناظر وباعث ـ كما أرى ـ على القراءة.

الصفحة الأولى من العدد الأخير من مجلة المجمع : شوال ١٤٠٥هـ، تموز (يوليو) ١٩٨٥م.

ومن البحوث المعمقة المنشورة فى آخر أعداد المجلة (الجزء الثالث ـ المجلد الستون ـ شوال ١٤٠٥هـ تموز (يوليو) ١٩٨٥م ما يلى :

السيرة الذاتية للمستشرق الألمانى بروكلمان : بقلم الدكتور محمد كامل عياد.

العثور على النسخة المسروقة من كتاب «تحفة الزائر فى مآثر الأمير عبد القادر» بقلم الدكتور أبو القاسم سعد الله.

المعجمات الطبية : بقلم الدكتور نشأت الحمارنة وهو القسم الثانى لبحث نشر قسمه الأول فى الجزء الأول من المجلد.

رسالة يعقوب الكندى فى اللُّثْغَة بقلم محمد حسان الطيان.

القمرى (أبو المنصور الحسن بن نوح) وكتاب «غنى ومنى» بقلم وفاء تقى الدين.

فهارس المجلة

ولقد فطن المجمع ـ والمجلة توالى صدورها مغتنية بموضوعاتها ـ الى ضرورة «فهرستها» بالطريقة المستحدثة تسهيلا للباحثين لدى الرجوع إلى موضوعاتها فعهد إلى


مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء ١ كانون الثاني سنة ١٩٢١م الموافق ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣٣٩هـ المجلد ١

فاتحة المقال

جرت عادة المجامع العلمية في البلاد المتمدنة أن يكون لها مجلات خاصة بها تصدر في أوقات معينة . ينشر فيها ما يكتبه أعضاؤها ومراسلوها في مواضيع العلوم والفنون المختلفة . وما يلقى في المجمع من المحاضرات على الجمهور من وقت الى آخر . وما يتجدد في عالم العلم من الآراء والافكار وضروب الاكتشاف والاختراع . وخلاصة الاعمال التي قام بها المجمع أو هو في صدد القيام بها . وغير ذلك من الاخبار والشؤون التي [illegible] ولا تخرج عن حدود وظيفته . وقد رأينا أن مجمعنا العلمي العربي في حاجة الى مثل هذه المجلة [illegible] [illegible]

أما الأبواب أو الاقسام التي يتركب منها كيان هذه المجلة فهي أربعة

(الاول) في المقالات والمحاضرات ذات الموضوعات العلمية والادبية .

(الثاني) في المراسلات التي ترد الى ادارة المجلة من المراسلين والعلماء وأهل

الصفحة الاولى من العدد الأول من مجلة المجمع : كانون الثانى ١٩٢١، ربيع الثانى ١٣٣٩هـ.

الموسوعى السورى المعروف الأستاذ عمر رضا كحالة صاحب «معجم المؤلفين» بإعداد فهارس خاصة بكل عقد من عقودها التى انصرمت. . فصدر سنة ١٣٧٥هـ (١٩٥٦) مجلد أول ضخم بعنوان «فهرس مجلة المجمع العلمى العربى» وهو جزؤها الأول ويتضمن «فهرس ما صدر من المجلة فى السنوات العشر الأولى من المجلد الأول إلى المجلد العاشر» وتتألف فهارس هذا المجلد من :

(١) فهرس الموضوعات.
(٢) فهرس للكتب المقرظة أو المنتقدة.

(٣) *فهرس للألفاظ التى وضعها المجمع أو عربها ووافق عليها فى جلساته العامة.*

(٤) *فهرس لكتاب المقالات ومؤلفى الكتب القديمة التى نشرت فى المجلة.*

(٥) *فهرس لأعلام الرجال والنساء.*

(٦) *فهرس للكتب والمجلات والجرائد التى ورد ذكرها.*

(٧) *فهرس للشعوب والقبائل والدول والأسر.*

(٨) *فهرس للبلدان والأمكنة.*

ثم توالت الأجزاء الأخرى

الثانى: للمجلدات من الحادى عشر إلى العشرين.. وطبع سنة ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م.

الثالث: للمجلدات من الحادى والعشرين إلى الثلاثين ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

الرابع: للمجلدات من الحادى والثلاثين إلى الأربعين.. طبع مجلداه سنة ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م وفى السنة التى تليها.

● فكان آخر ما تمت فهرسته هو مجلدات العقد المنتهى سنة ١٩٦٥ / ١٣٨٤هـ. وقد جاء كل فهرس من هذه الفهارس الأربعة فى نحو ثمانمئة صفحة.

وأمر آخر عمد إليه عمر رضا كحالة هو أنه لما رأى تزايد الألفاظ المعربة والموضوعة التى ترد فى المجلة تباعا وهو يرتبها فى فهارسه العشرية على حروف المعجم ويدرج بجوار كل منها اللفظة الأجنبية التى تم تعريبها أو وضع مقابل لها ثم يذيلها برقم الصفحة والمجلد (من المجلة) التى كانت قد وردت فيها..

عمد المصنف إلى هذه الألفاظ فاستخرجها من فهرسه وأعاد طبعها فى كتاب منفرد بذاته بعد أن ألحق به - إتماما للفائدة - فهرساً إضافيا للألفاظ الأجنبية وذكر بجانب كل لفظة منها رقم الصفحة التى بها وردت فى الكتاب وسماه «الألفاظ المعربة والموضوعة» وأصدر منه جزءين:

الأول عن الألفاظ الواردة فى السنوات العشر الثالثة من المجلة.

والآخر عن السنوات العشر الرابعة.

والمجمع اليوم فى سبيله إلى طبع الفهرس الخامس (من المجلد الحادى والأربعين إلى الخمسين) وهو من إعداد محمد خير محمد. كما أن المجمع عهد إلى الباحثة غزوة بدير بإعداد الفهرس السادس (للمجلدات من الحادى والخمسين إلى الستين) الذى ينتهى فى آخر السنة الميلادية ١٩٨٥م.

اعضاء المجمع العاملون

والمجمع يتألف من عشرين عضوا «عاملا» ومن عدد غير محدود من الأعضاء المراسلين ويشكل «العاملون» لجانا دائمة ومؤقتة تعمل كل منها فى مضمارها وهى:

(لجنة المخطوطات وإحياء التراث.. لجنة المصطلحات.. لجنة المجلة والمطبوعات.. لجنة اللهجات العربية المعاصرة.. لجنة ألفاظ الحضارة.. لجنة الأصول).

ولم يتفق فيما يبدو أن استوفى المجمع عدد العشرين فى أى من سنوات عمره فكثيرا ما يتخطف الأجل المحتوم آحاداً من هؤلاء العلماء الذين اجتازوا الكهولة إلى الشيخوخة فازدادوا معرفة وتجربة.

●● وقد كان المجمعيّون العاملون فى مطالع سنة ١٩٨٥م ستة عشر - هم العلماء والأدباء:

مدخل «المدرسة العادلية» المقر القديم للمجمع (قريبا من الجامع الأموى)



ومدخل المقر الجديد «غربى المالكى» بدمشق وقد انتقل إليه المجمع سنة ١٩٨٠ (١٤٠٠هـ).

حسنى سَبَح : الرئيس.
شاكر الفحام: نائب الرئيس
عدنان الخطيب: أمين المجمع.
والأعضاء: «محمد كامل عياد.. وأمجد الطرابلسى.. ووجيه السمان.. وعبد الهادى هاشم.. وعبد الرازق قدّورة.. ومحمد هيثم الخياط.. وعبد الكريم اليافى.. وأحمد راتب النفّاخ.. وإحسان النص.. ومحمد مروان المحاسنى.. وعبد الحليم سويدان.. وشكرى فيصل.. وعبد الكريم زهور عدى.

وقد انتقل (فيصل وعدى) الى رحمته تعالى فى صيف ١٩٨٥ فأصبح بذلك العدد أربعة عشر ولكن مجلس المجمع سرعان ما رشح لعضويته أربعة من العلماء مرة واحدة هم: بديع الكسم.. ومحمد زهير البابا.. ومختار هاشم.. وعبد الله واثق شهيد..

من الأعضاء المراسلين

ومن أعضاء المجمع المراسلين (أى المقيمين خارج العاصمة دمشق):

«عمر أبو ريشة.. وقسطنطين زريق (من سورية).. وناصر الدين الأسد (الأردن).. ومحمد مزالى (تونس).. وأحمد طالب الابراهيمى (الجزائر).. وحمد الجاسر (المملكة العربية السعودية) ومحمود شيت خطاب.. وعبد العزيز الدورى.. ويوسف عز الدين (العراق).. وإحسان عباس (فلسطين).. وعمر فروخ.. وفريد سامى حداد (لبنان).. وعلى الفقيه حسن (ليبيا).. ومحمود محمد شاكر (مصر) وعبد الله كنون (المغرب).

ومن الأعضاء المراسلين من غير الأقطار العربية:

«اميليو غارسيا غوميز (اسبانيا).. ومحمد جواد مشكور (ايران).. وفرنسيسكو غبرييلى (ايطاليا).. ومحمد صغير حسن المعصومى (باكستان).. وفؤاد سزكين (تركيا) وهنرى لاوست (فرنسا) وأبو الحسن الندوى (الهند).. وغيرهم كثير.

من مشاهير الراحلين

ومن مشاهير الأعضاء الذين تغمدهم الله برحمته:

فى سورية: طاهر الجزائرى.. وعبد القادر المغربى.. ومرشد خاطر.. وفارس الخورى.. وسامى الدهان.. وشفيق جبرى.. ومحمد المبارك.. ومحمد سليمان الأحمد (الشاعر بدوى الجبل).

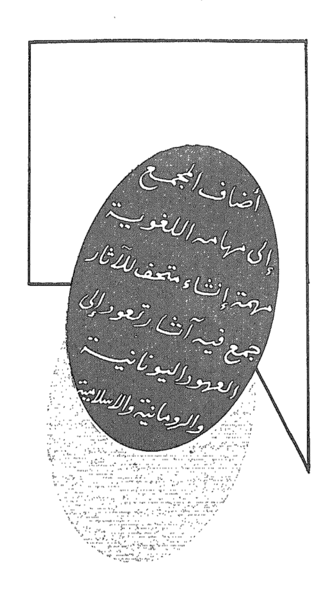
ومنهم: حسن حسنى عبد الوهاب.. ومحمد الطاهر بن عاشور (تونس).. ومحمد بن أبى شنب.. ومحمد البشير الابراهيمى (الجزائر).. وجميل صدقى الزهاوى.. ومعروف الرصافى.. ومحمد رضا الشبيبى (العراق).. ومحمد إسعاف النشاشيبى.. وخليل السكاكينى.. وعادل زعيتر.. وقدرى حافظ طوقان (فلسطين).. ولويس شيخو.. وأمين الريحانى.. وعمر فاخورى.. ومصطفى الغلايينى.. وشكيب أرسلان (لبنان)

ومن مصر: مصطفى لطفى المنفلوطى.. ويعقوب صروف.. وأحمد تيمور.. وحافظ إبراهيم.. واحمد شوقى.. ومحمد رشيد رضا.. ومصطفى صادق الرافعى.. وعبد العزيز البشرى.. وخليل مطران.. وإبراهيم عبد القادر المازنى.. وأحمد أمين.. وأحمد لطفى السيد.. وعباس محمود العقاد.. وأحمد حسن الزيات.. وطه حسين.. وأحمد زكى.

ومن المغرب: عبد الحى الكتانى وعلال الفاسى.

ومن مشاهير المستشرقين الراحلين:
كراتشكوفسكى (الاتحاد السوفيتى) بروكلمان (المانيا) ومرغليوث (بريطانية) وماسينيون وبلاشير (فرنسا) وغولدزيهر وعبد الكريم جرمانوس (المجر) وجورج سارتون وفيليب حتى (الولايات المتحدة الأمريكية).

وإنما ذكرنا من كل ما أوردنا من الأسماء نماذج قليلة من عدد وفير.



تغير.. وتطور

ينتخب رئيس المجمع مدة أربع سنوات من قبل الأعضاء العاملين (المعينين فى المجمع مدى العمر) وقد تعاقب على رئاسة المجمع منذ تأسيسه حتى اليوم أربعة من كبار الأدباء والعلماء فى المشرق العربى.

مؤسس المجمع الأستاذ الرئيس محمد كرد على: ابتداء من سنة ١٩١٩/ ١٣٣٧هـ.

الشاعر خليل مردم بك: من ١٩٥٣/ ١٣٧٢هـ.

الأمير مصطفى الشهابى: من ١٩٥٩/ ١٣٧٩هـ.

والطبيب الدكتور حسنى سبح: من ١٩٦٨/١٣٨٧هـ. أمد الله فى حياته.

ولقد طرأت على «الكيان القانونى» للمجمع - فى ذلك - تغيرات شتى. منها أنه ألحق سنة ١٩٢٣/ ١٣٤١هـ بـ «الجامعة السورية» المكونة آنذاك من معهدى الطب والحقوق وذلك قبل أن ينفصل عنها ويصبح ذا شخصية معنوية واستقلال مالى ويربط بوزارة المعارف مباشرة وتلحق به - بالمجمع - دار الكتب الظاهرية.

ثم إن وزارة المعارف (التى تسمت فيما بعد بوزارة التربية) تنفصل عنها سنة ١٩٦٨ وزارة وليدة هى «وزارة التعليم العالى» فيلتحق بها المجمع وتابعته دار الكتب الظاهرية.

ولقد تأسس المجمع باسم «المجمع العلمى العربى بدمشق» وتسمت مجلته «مجلة المجمع العلمى العربى».. ثم عدلت التسمية إلى «مجمع اللغة العربية» تأسيا بالمجامع العربية.. وكذلك تسمت مجلته ابتداء من سنة ١٩٦٧ (مطلع ١٣٨٦هـ).

تغير آخر

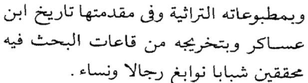
لقد ضاق بالمجمع مبنى المدرسة العادلية القائم وسط دمشق القديمة ذات الأسوار.. ضاقت غرفه بدوائر المجمع المتزايدة عدداً وعملا فابتنى للمجمع مقر حديث ذو طوابق فالمجمع منذ صيف ١٩٨٠/ ١٤٠٠هـ يشغل مقرين اثنين: القديم والجديد الذى يقع فى المنطقة المسماة «غربى المالكى».

فى مبنى المدرسة العادلية حيث صحن الدار الوسيع والبركة وأشجار الليمون.. والكبّاد والنارنج تنتقل بين أفنانها الحساسين المغردة.. ويعشش اليمام الأليف بدأ المجمع حياته بنشاط كثيف.. ولقد كانت الحماسة بلغت بمجمعيى التأسيس أنهم أخذوا يعقدون منذ صيف ١٩٢٢/ ١٣٤١هـ جلسات أسبوعية أرادوها أن تكون علنية فهم لم يكتفوا بحضورها هم وحدهم بل كانوا يدعون إليها طائفة من أهل الفضل والأدب فتتلى عليهم أعمال المجمع الأسبوعية ويطلعهم (المجمع) على الرسائل الواردة عليه من الأقطار فى الموضوعات العلمية والأدبية.. ويعرض عليهم مبادلات الكتب والمجلات وما أهدى إليه من الآثار والأسفار.. وتؤخذ آراؤهم ويستشارون فيما يعرض للمجمع.. ويتناقشون فى الألفاظ الواجب وضعها والأغلاط الشائعة المتحتم الاقلاع عنها.. (من تقرير الرئيس كرد على، المجلة المجلد٢: ٣٥٧).

تلك كانت حماسة منقطعة النظير استثنائية.

أمنية وأمنية..:

واليوم يعمل المجمع بلجانه الفنية ويزدهر بمجلته ذات الأبحاث المعمقة



ويمطبوعاته التراثية وفى مقدمتها تاريخ ابن عساكر وبتخريجه من قاعات البحث فيه محققين شبابا نوابغ رجالا ونساء.

وإنا لنريد أيضا لقاعته الكبرى أن تشهد محاضرات فى التراث والحضارة العربية يؤمها مثقفون متعطشون.. تلك القاعة التى تطل على أحد فروع نهر بردى: تورا.. ذى المياه الرقراقة الشفيفة التى تستبين من خلالها الحصباء على حين يحف بهذا النهير شجر الحور الباسق والصفصاف الحانى.

ونتمنى كذلك (أمنية أكبر): لو أن مجمعنا يعمل على إصدار معجم فى اللغة.. أمنية أنطقتنا بها معرفتنا لتاريخ المجمع العريق ولرجاله الذين هم نخبة النخبة.

محمد كرد على الرئيس الأول للمجمع ١٩١٩-١٩٥٣

● ولد بدمشق (١٨٧٦م/ ١٢٩٣هـ) ونشأ فى أسرة دمشقية معروفة انحدر جدها الأول من حوالى مئتى سنة من بلاد الأكراد فى السليمانية (من أعمال الموصل):

■ عمل صحفيا فى دمشق ومصر وكتب فى كثير من المجلات العربية.

■ انقطع إلى المجمع منذ إنشائه (١٩١٩) فكان عمله فيه أبرز ما قام به فى حياته.

■ ولى وزارة المعارف مرتين (١٩٢٠ و ١٩٢٨).

■ له بضعة عشر مؤلفا لعل أهمها: «خطط الشام» ستة مجلدات.. «أمراء البيان» جزءان.. «المذكرات» أربعة أجزاء.

■ توفى بدمشق (١٩٥٣م/ ١٣٧٢هـ).

■ يصفه صاحب موسوعة «الاعلام» كان من أصفى الناس سريرة وأطيبهم لمن أحب عشرة وأحفظهم ودا.

الشاعر خليل مردم بك رئيس المجمع (١٩٥٣-١٩٥٩)

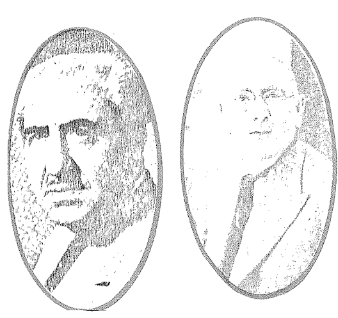
● من مواليد دمشق (١٨٩٥م/١٣١٣هـ).

● قام بتدريس الأدب العربى فى الكلية العلمية الوطنية بدمشق تسع سنوات.

● سمى عضواً فى المجمع (١٩٢٥) وانتخب أميناً للسر (١٩٤١) ثم رئيساً (١٩٥٣) إلى آخر حياته.

● كان عضواً مراسلا لمجمع اللغة فى كل من القاهرة وبغداد والمجمع العلمى السوفيتى.

● ولى وزارة المعارف (١٩٤٢) ووزارة الخارجية (١٩٥٣).



محمد كرد على — خليل مردم بك

● حقق عدداً من كتب التراث . . وأصدر له المجمع بعد وفاته شعره فى ديوان حمل اسمه .
● توفى بدمشق (١٩٥٩م/ ١٣٧٩هـ) .
● يصفه صاحب «الأعلام» «فى طبعه هدوء وحب للمسالمة وبعد عن المغامرات وإيثار لما يشبه العزلة» .

الأمير مصطفى الشهابي
رئيس المجمع (١٩٥٩-١٩٦٨)

● ولـد فى حاصبيا لبنان (١٨٩٣م/١٣١١هـ) فى الأسرة الشهابية .

● درس فى بعلبك ودمشق . . ثم حصل على شهادة مهندس زراعى من فرنسا .

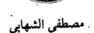
● سمى عضـوا فى المجمـع . . وانتخب رئيساً له (١٩٥٩) إلى آخر حياته .

● كان عضوا مراسلا لمجمع اللغة فى كل من القاهرة وبغداد .
● عين محافظـا لحلب والـلاذقيـة . . وولى وزارة المعارف (١٩٣٦) والمالية (١٩٤٣) والعدل (١٩٤٩) وعين وزيراً مفوضا فى مصر (١٩٥١) .
● أبـرز أعـماله العلمية ما وضعه من المصطلحات الزراعية والنباتية وله فيها : «معجم الألفاظ الزراعية» وأخطـاء شائعـة فى ألفـاظ العلوم الزراعية» . . وله كتاب «الاستعمار» جزءان . . و«القومية العربية» جزءان .
● توفى بدمشق (١٩٦٨م/ ١٣٨٨هـ) .

الدكتور حسنى سبح
رئيس المجمع منذ ١٩٦٨ م

● ولد بدمشق .
● لم تكن دراسته الأولية منتظمة . . وتخرج طبيبا (١٩١٩) وتخصص بالأمراض الداخلية فى فرنسا .
● يحسن التركية والفرنسية والانكليزية والألمانية .
● عمـل أستـاذاً فى كليـة الطب بالجامعة السورية فعميدا لها (١٩٣٨) ثم رئيساً للجامعة (١٩٤٢) .
● انتسب إلى المجمع (١٩٤٦) . وانتخب رئيساً له (١٩٦٨) . . وجدد انتخابه أربع مرات .
● عضو مراسل لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .
● له فى الطب بضعـة عشـر مؤلفا وله كتابه الكبير «نظرة فى معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات» فى أزيد من ألف صفحة صدر فى مطبوعات المجمع (١٩٨٣) وسرعان ما نفدت نسخه .
● بادى الحيـويـة والنشـاط والصفـاء الذهنى على تقدمه فى السن أمد الله فى عمره .





مصطفى الشهابى   حسنى سبح



فتحت نافذتى يوماً لأستنشق عبير وردة بريَّة نبتت إلى جوارها فتسللت عبر النافذة فراشة مزركشة كانت تقف بأعلى أملود فى شجرة الورد وحطت على كتابى الذى أقرأ فيه وكأنها تعانقه وتبثه أشجانها وأشواقها. . فتبسمتُ. . وبدأتُ أراقبها من حيث لا تدرى ثم انتقلت إلى مجلة ذات غلاف لامع صقيل مُحَلًّى بصورة زاهية الألوان فوقفت عليها تنظرها مليّا. . ثم ما لبثت أن بدأت تحرك جناحيها برفيف خلت من سرعته. . أنها ترقص طرباً كما ترقص فِرَقُ الديسكو والجاز (Disco and Jazz) أو أنها تبث صورة الغلاف الجميلة نجواها بشيىء من التعبير العفوى الراقص.

ولئِنْ كان الأدب والشعر والفن والموسيقى هتاف النفوس وتعبيرها الصادق إلا أنها فى الجانب الآخر أنّات سمت فى صفائها إلى ذُرى بعيدة لذلك كان الأديب والفنان والموسيقار كالفراشات الجانية الرقيقة التى لها اكثر من (عالم واحد). . فهى تنتقل لتعبر عما تحس به فى جو غير جوها الذى لا ترتاح إليه ولا تأنس به وتبحث عن مستقر لها تنفث فيه أسرارها وهى مرتاحة مطمئنة.

لكنْ الأدب الذى يشبه ويماثل عبير الوردة الفواح لم يكن يوماً صنعة أو مجال اتجار بل كان رمزاً سامياً ومناراً سامقاً عملاقا يشهد له الناس ويعتزون به ولا ينكرون فضله ـ عامتهم وخاصتهم ـ بالرغم من تناسيهم له لأنه ـ فى نظر الجهلاء به ـ غير مجد. وليكن كذلك فالمهم أنه ككل معانى الحياة يتطور وينمو ويتحرك ويتقدم أو يتأخر كما هو حال التعليم أو المعمار. . أو الرسم أو الغناء. . أو ما شابه ذلك من فنون الحياة ودروبها المتشعبة الأخرى. إذن فهو يخضع لعملية التطور والتقدم والنمو والازدهار أو التراجع والنكوص لكنَّ للتطور ـ فى العادة ـ أسساً واضحة معلومة. . فهل تطور الأدب المعاصر على مثل هذه الأسس. . ؟

إن واقع الحال يقول بمخالفة الفن والرسم والتعليم والمعمار الأسس المعتمدة لنموها وتقدمها. . وكذلك حالف الأدب بشقيه الشعر والنثر (فى القصة والقصيدة) مثل هذه القواعد وإن بقيت المقالة على حالها ـ تقريبا ـ وإن هبطت فكراً وسخفت موضوعاً للأسف الشديد.

أينْ تكمن العلة إذن. . ؟ هل هى فى الأدب..؟



ناس العصر

والأدب جوهر نفيس. ؟ هل هي في الأديب. ؟ وهو الداعي الى سبل الخير باستمرار. ؟ أم تكمن في المقياس ذاته. ؟ وهو الراجح والقريب إلى التصديق والتقبل لا سيما ونحن نلاحظ ذلك في كل يوم (جديد) ونعيش تأثيره على شبابنا ونلمس أثره فيما ينتجون (ولا أقول يبدعون ـ لأن ما ينتجونه صار بعيداً عن الابداع).

إذن البلوى في النقد الذي جر النقاد إلى سوء الفهم وبالتالي إلى سوء الحكم على النص الأدبي بكل أشكاله حتى فسدت الأذواق وانحرفت الأمزجة وانحطت الأفكار. وومات الأدب كما تموت الوردة من ظمأ أو تقطفها يد عابثة تلقى بها إلى الأرض ثم تدوسها بدلا من وضعها في إناء رطب جوفه بالماء ليمنحها ديمومة الرونق والعبير.

وليت مقياس (العصر) كان دقيقاً يجيد الوزن ويعطى الحقيقة وصفها اللائق. إذن لكان كميزانيّ الصائغ أو الصيرفيّ.

أحمد جبر
الأردن

الأول: يعرف المعدن المغشوش.

الثاني: يعرف العملة المزيفة ويفرزها عن العملة الحقيقية.

إذن لهان الأمر وانتهى الإشكال وليت الحال قد اختلط في ميزان العصر ـ الذي يزن أثمن مافي الوجود وهو الأدب ـ فتساوى فيه السيىء الردىء مع الجيد الثمين.. ولو ان الحال وقف بميزان العصر عند هذا الحد.. لاعتبر الأمر بسيطاً وهانت المصيبة وتوارت الشكوى من قلة النصفة.. واضمحلت إلى الحد الذي تبدو فيه الأشياء غير ذات بال لكن الذي حدث أن الذي رَجَحَ هو الردىء فحطت كفته في حين خَفَّ الثمين النفيس وشالت كفته وبدأ يتوارى شيئاً فشيئاً كما يتوارى السارق أو ذو الجرم عن عيون الناس.

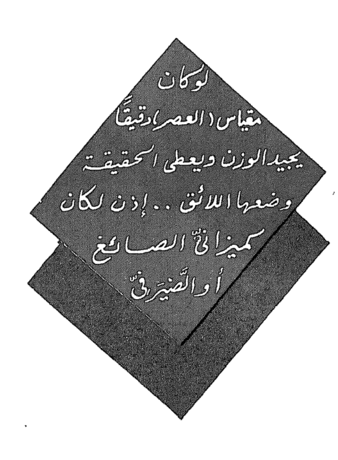
والآية الكريمة. **﴿فأمَّا الزَّبدُ فيذهبُ جُفاء وأما ما ينفعُ النَّاسَ فيمكثُ في الأرضِ﴾** (سورة الرعد:١٧). قد أسيىء فهمها وتفسيرها من قبل الشباب فالذي ارتؤى أن يذهب جفاء ـ في هذا الموضع ـ هو الماء النقى الصافي السلسبيل وليس الزَّبد.. وبقى الزَّبد ـ من خلال هذا التصور ـ في الأرض فلا هو يفيدها

وليس بمقدوره أن يمنحها الحياة التى جعلها الله فى الماء . . ﴿وجَعَلْنَا مِنَ الماء كُلَّ شيىء حَىّ . ﴾(سورة الانبياء : ٣٠) .

لذلك ومن هذا القبيل ما يتشدق به البعض من أن (المباشرة فى الأدب) أى عدم إخفاء المعانى المقصودة فى النص جريمة يحاسب عليها الكاتب أو الأديب بالامتعاض والتعليق . . وعدم الرضا عما أنتج أو كتب أو نظم أو أبدع . . وبالسخط أحياناً أو غمز الجانب من أن هذا الكاتب لم يخرج الى دائرة عصره (عصر التعمية وإخفاء المكنونات) وكأن الأدب سر يجب على الأدباء عدم البوح به لئلا تدركه العامة وتفهم مقصوده ومراده .

كذلك كان (السَّردُ فى القصة) لاسيما فى القصة القصيرة أى (الحكاية) . فالقصة ليست حكاية حتى يسرد حدثها ويقال للناس . إذ على القارىء أن يدرك القصة دون أن يقص عليه كيف حدثت أو كيف حصلت أو وقعت أحداثها والقارىء مطالب ببيان ما فى نفس الكاتب من دون أن يقول الكاتب شيئاً أو يعبر عن شيىء مما تتحدث عنه القصة فإذا جاد الكاتب على القارىء بشيىء من هذا الذى فى قصته فهو كاتب فاشل يسير فى قصصه على طريقة السرد القديمة . . إذ المفروض أن يفهم القارىء كل شيىء وكأنه هو صاحب الرسالة الذى يجب عليه أن يبلغها إلى الأديب وليس العكس . .

فأى منطق هذا . . ؟ الذى يحرم الكاتب/ الأديب من أداء رسالته وإخفائها عن الناس بحجة أنه (غير مطالب بذلك) فإذا لم يكن الكاتب/ الأديب مطالباً بأداء رسالته بشكل واضح موح فبأى شيىء نطالبه؟ ومن هو المطالب فى هذه الحالة . ؟ لست أدري .



هل يفهم من ذلك أن إلغاء رسالة الأديب هو المطلوب . . أو الغاء وجوده باسم الفنية والنقد السفسطائى . ؟

أما العيب . . الثالث الذى ينفر منه كتابنا الشباب

فهو (الوضوح) سواء كان وضوح رؤية . . وضوح فكرة . . وضوح صورة . . وضوح معنى . أو أى وضوح كان . المهم أن الوضوح فى النص عيب فى نظرهم . . هكذا من غير تعليل . فالنص الواضح (البَيِّن) لا يستحق الالتفات إليه وعيبه ظاهر (للعيان . .) فهو (واضح . . مفهوم) إذ يجب - انطلاقا من هذا المفهوم المعاصر للأدب ـ أن يكون

الأدب كالحجرة المغلقة بلا نوافذ أو أبواب حتى يتذوقه هؤلاء الشباب.. ويكون له نكهة وطعم.. وبغير ذلك فهو من سقط المتاع.

وقبل أن أُبينَّ شيئاً مما ينعم به هؤلاء (الجهابذة..) في الأدب من فهم واطلاع على الأدب أود أن أتساءل عن معنى رغبتهم في أن يكون الأدب طلاسم ورموزاً لا يعرفها أحد غير (الكهنة..) في عصور الوثنية والذين انقضى عهدهم منذ مئات السنين وطوتهم القرون ومعنى أن يكون كل شيء مبهماً.؟ وهل المراد للأدب أن كل من يسعى نحوه يشعر بالسأم والملل ويعود بَرِمَاً بها شاهد أو سمع.؟ هل المراد للأدب أن يكون غثاء كغثاء السيل.. لا رسالة له ولا فائدة ترجى منه كأي نوع من أنواع العبث الرخيص..؟.

إن كانت هذه هي (الغايات) التي يسعن إليها لافراغ الأدب من محتواه الفكري ورسالته السامية فقد حققوا ـ للأسف ـ شيئاً مما يسعون إليه. وأصبحت مقولة «إن الناس أعداء لما جهلوا» مقلوبة إذ أصبح سوء التقدير أساساً في نجاح العمل الأدبي بدلا من الابداع والشفافية والفهم العميق للأشياء وأصبحوا يحترمون كل مجهول.. ويحبون كل غامض ويمتدحون ما خفي واستغلق فهمه باسم (الرمزية) والواقع هو التعمية والغموض والتمويه وما إلى ذلك من مسميات هزيلة وكلام فارغ.

وكمثال على ذلك أسوق قصة (الشاعر..) الذي كان يشرف على إحدى الصفحات الأدبية في صحيفة يومية معتبرة ذُكِرتَ أمامه الأراجيز فراح يتساءل عن البحر الذي ينظمونها عليه فقيل له: شاعر ولا تعرف على أي بحر تنظم الأرجوزة..؟ أما عرفت من اسمها أنها تنظم على بحر الرجز..؟ فسكت ولم يحر جواباً والأنكى من ذلك أن هذا الشاعر ناقد أيضاً (يُقَيِّم الأدباء والشعراء) يرفع من يشاء ويخفض من يريد بجرة من قلمه (العجيب).

أما المثل الآخر الذي أجدني مضطراً لذكره فقد أجزت قصة ذات يوم بهدف كشف سخفها للناس وبيان مثالب هذا النوع من الأدب فماذا كانت النتيجة.؟ كانت النتيجة أن الصحف قد تسابقت لنشر (الثناء العاطر عليها.. وكيل المديح لمبدعها العبقري) والأفدح من ذلك أن جهة أدبية كنت أجلها قد منحتها جائزة أدبية وأدخلتها وصاحبها في سجل الخالدين.. فواعجباً واحسرتاه على الأدب.. هل أعطب ميزان العصر وتعطلت آلته إلى هذا الحد حتى فقد حاسة التقييم نهائيا.؟ وأقصد بميزان العصر (الذوق العام) أي ذوق الأمة الذي أرجو أن لا يكون قد وصل الى حد (الهستيريا الفكرية) ففقد كل مقومات (الذوق السليم).

ومادام مقياس العصر قد وصل الى هذه الحالة من (التردي والانحدار) فلا عجب أن يغدو الأدب الأصيل والشعر الأصيل الذي يضم عمود الشعر أدباً تقليدياً بينما هو الأدب (المُقلَّد) لأنه النموذج الأصل أي المتبوع وليس التابع المقلَّد.. والأدب الحديث (التابع) هو الأدب الأصيل. فأية صيغة أو تسمية هذه التي تقلب الأشياء رأساً على عقب..؟ وأي صلاح ترجوه الأمة بعد أن تأخر فكرها بدلا من تقدمه..؟ وأي إجلال واحترام لمجدها وكيانها وهي ترفض امرأ القيس ليكون (تي. اس. اليوت) هو (العربي الصميم) باسم الأدب والفكر المخفي في تلافيف أدمغة تطمس كل ما هو عربي لتتعالم على

سواها بحجة أنها تعرف شيئاً خارجاً عن نطاق الأمة والـوطن. . ؟ وأنهـا تقبس من الآخرين وتتبنى هذا الاقتبـاس لدرجـة أنهـا تضيـع فى ثنـايـاه وتمحى شخصيتها تماماً كما حصل مع الغراب الذى أراد أن يقلد مشية الحمامة فلا هو سار كالحمامة ولا تذكر كيف كان يمشى فضاع بين الأصل والصورة.

أليست هذه المتغيرات التى تدل على تغير المنظور الاجتماعى والفكـرى للأمة (المنبهرة بما عند غيرها والمضيعـة لذاتهـا وكيانها وروحها) التى أريد لها أن تتلاشى عوضاً عن أن تنهض فكريا وتتقدم حقيقة.

لذلـك أهيب بالأمـة أن تراجع مواقفها الراهنة (بالنسبة للأدب) وما يتعلق به من نظريات (حالية) سطحيـة منتشـرة على أرضهـا وتقارنها - باخلاص وتعقـل - مع ما ورثناه عن أمتنا بمختلف عصورها لاسيما عصور المد الواعى العربى (الجيد) ثم النهج السوى فى قبول ما يصادفنا من أفكار ومثل وتقاليد ومعتقدات وآداب.

عندها سيكون الأدب العربى ذا علاقة جدلية مع مقيـاس العصـر وليست علاقـة تطـابقية مع الواقع (على عِلاَّته) ورحم الله ابراهيم طوقان حين قال:

ما ضلَّ ذو أمـــل سعـــى
يومـــاً وحكمتُـهُ الـدليـلُ

فليكن لنا دليل من الحكمة والدين وتقوى الله فى كل شيىء - بما فى ذلـك الأدب - حتى تستقيم حيـاتنا وأفكـارنـا ونصـل إلى شيىء من الصـدارة التى فقدناها. وليس عيباً أن نسترد مكانتنا اللائقة بنا تحت الشمس ونعود إلى الصَّدارة من جديد لكن العيب أن نبقى على ما نحن عليه وفى قدرتنا أن نفعل الأحسن.



الحياة الاجتماعية عند الجاهليين كانت تقوم على ركيـزة «القبيلة»، والانتـماء القبلى يمثـل المحور الأساسى الذى تدور حوله نظمهم الاجتماعيـة ويحـدد مسـارها وطبيعة العلاقة بين أفرادها والدور الذى يقوم به كل فرد منهم تجاه مجموعة قبيلته مقابل ان تقوم القبيلة أيضا بأداء حقوقه الواجبة عليها.

ولهـذا يعتـبر كل خارج عن نظـام القبيلة خارجـا عليهـا. . والقبيلة العربية فى الجاهلية - كما نعلم - اكثر وأعمق إيـمانـاً بأنسـابهـا وأحسـابها لان هذا هو العنصر الأسـاسى فى التكـوين القبلى ولذا فلا غرو إن ظهرت عنـدهم بوضـوح التفرقة العرقية والعنصرية والاجتماعية كأساس اجتماعى لابد منه للتفرقة بين العربى وغير العربى حيث يقـوم على ذلـك نظـام يحدد الـوجـود الاجتماعى للجنسيات الأخرى أو ما يسمون بأغربة العرب من الموالى والعبيد.





وهذا التعصب القبلى أوجد فيها طائفة «الخلعاء» والشذاذ الذين تمردوا على القبيلة وكثرت جرائرهم وجرائمهم بحيث لا يمكن للقبيلة أن تدافع عنهم فتركتهم وشأنهم وتخلت عنهم مما افقدهم هويتهم الاجتماعية التى لا يعرفون إلا بها وساروا فى الأرض لا يحجزهم حاجز عما يودون فعله.

كل هؤلاء (خلعاء ـ اغربة عرب ـ موال وعبيد ـ شذاذ الآفاق) انتظمهم سلك الصعلكة.. سيوفهم تسيل دماً.. رؤوسهم فى أكفهم.. يفترشون الصماء، يداعبون الوحش، يسكنون الصحارى والجبال.. كل اطوار حياتهم غريبة كغربتهم.. مجموعة متفرقة وقد تكون أحيانا متباينة جمعت بينهم الغربة وربطهم التشرد والضياع.. تعانقت ظروفهم ومصائبهم.. توحدوا فى الاغارة واختلفوا فى الغاية وان كان الخلاف بينهم نادرا لان المصائب يجمعن المصابيا.

وهناك مجموعة من الصعاليك لم تكن من الخلعاء ولا من العبيد والموالى ولكنها مجموعة احترفت الصعلكة احترافاً وحينئذ قد تكون هذه المجموعة افراداً مثل عروة بن الورد العبسى وقد تكون قبيلة بأجمعها مثل قبيلتى هذيل وفهم: مضافا الى تلك المجموعات اولئك الذين تمردوا وتصعلكوا نتيجة الفقر والعوز.

وبدراسة هذه المجموعات التى شملتها خيمة الصعلكة والذين تم الاصطلاح على تسميتهم بـ(الصعاليك) وباستقراء مسببات تصعلكهم يمكن تصنيفهم فى عدة اتجاهات:

● الاتجاه الاجتماعى الانسانى المتمثل فى اشباع الجياع واقالة عثرة الفقراء والمعدمين: وهؤلاء يمثلهم عروة بن الورد.. ولتأكيد هذه الظاهرة نقرأ هذا النص فى كتاب الأغانى (أجدب ناس من بنى عبس فى سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد وبؤس فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته فلما بصروا به صرخوا وقالوا: يا أبا الصعاليك أغثنا.. فرق لهم وخرج ليغزو بهم ويصيب معاشاً فنهته امرأته عن ذلك لما تخوفت عليه الهلاك فعصاها وخرج غازيا.. حتى انتهى الى بلاد بنى القين فأغار عليهم فأصاب هجمة عاد بها على نفسه واصحابه(١)

● الاتجاه القائم على اسلوب الاغارة من اجل الاغارة والسلب والنهب: لا يسنده من ورائه هدف اكبر من هذا.. وهذا ما يمكن استقراؤه ايضا من كتاب الاغانى فى قوله: (أغار رجل من همدان يقال له «حريم» على إبل لعمر بن براق وخيل فذهب بها.. فأتى عمرو امرأة كان يتحدث إليها ويزورها فاخبرها ان «حريما» اغار على إبله وخيله وإنه يريد الغارة عليه فقالت له المرأة: ويحك لا تعرض لتلفات حريم فانى أخاف عليك.. فانشد عمرو يقول:

تقـول سُليمـى لا تعـرَّض لتلْفَـةٍ
ولـيْـلُكَ عن ليـلِ الصعـاليـك نائمُ
وكـيـف ينـامُ الـليـلَ من جلّ مالـه
حسـامٌ كلون الملح أبـيض صارمُ
ألم تعلمـى أىّ الصـعـاليـك نومهم
قليـلٌ إذا نام الـدَّثـور المسـالم(٢)

وفى اخبار امرىء القيس أنه غزا بنى أسد ثائراً بأبيه وقد جمع جموعاً من حمير وغيرهم من ذؤبان العرب وصعاليكها(٣) ولعل هؤلاء ما يسمون عندنا الآن (مرتزقة).

الاتجاه القائم على التمزق النفسى وفقدان الذات بين الأهل والعشيرة

والانسان بطبعه مخلوق اجتماعى فاذا ما خدش وجوده هذا خادش من عرض او كرامة فلا مناص من أن يسعى الى تحقيق وجوده الاجتماعى فى مكان آخر. بخاصة اذا تملكه احساس بانه ابن حسب ونسب.. وكانموذج لهذا الاتجاه نستقرىء حالة (الشنفرى) اذ تجمعت فى بؤرة نفسيته ما جعله ـ يستأنس الوحش ويستوحش الانس ـ.

تقول بعض الروايات أن بنى سلامان أسرت رجلاً من فهم بن عمر بن قيس عيلان ـ والشنفرى منها ـ ففُدِيَ الرجل بالشنفرى وتبناه احد رجال بنى سلامان.. ولم يعرف حقيقة تبنيه الا بعد ان نازعته بنت الرجل الذى كان فى حجره ولطمته(٤) فهو كان يعتقد انها اخته فقال فى ذلك:

ألا ليتَ شعـرى والـتَّـلَهّـف ضلّة،
بما ضربـتْ كفُّ الـفتـاةِ هَجينَـهـا
ولـو علمتْ قَعْسُوسُ أنسابَ والـدى
ووالـدهـا ظلت تَقَـاصَـرُ دونهـا
أنـا ابن خيـار الحجـر بيتنًا ومنصباً
وأمى ابنـة الأحـرار لو تعـرفينهـا(٥)

تجمعت فى حياته كل اسباب الشعور بالضياع والاحساس بالنقمة

ويكفينا هنا أن نستمع لتلك الصيحة الصادرة من اعماقه تصويرا دقيقاً لحالته التى هو عليها.

طريـدُ جنـايـاتٍ تيَـاسَـرْنَ لحمَـه
عَقـيرتُهـا لأيّهـا حُمّ أوّل
وإلـفُ همومٍ ما تزال تعـوده
عيـاداً كحمى الـرّبـع أدهى وأثقل
إذا وردتْ أصـدرتُهـا ثم إنهـا
تثـوب فتأتـى من تُحَيْـتٍ ومـن عَل

● ولا بأس ان نسمع الى تأبط شراً وهو يردد قوله:

ولسـتُ أبيتُ الـدهـرَ إلَّا على فتى
أسلُبُـهُ أو أذعـر السـربَ أجمعـا

● وهل قوله هذا إلا عدم التوافق النفسى والاجتماعى بينه وبين مجتمعه الاول.

لاستكمال هذه الصورة نطرق جانباً آخر له أهميته فى ظهور حركة الصعلكة وهو الجانب الاقتصادى أو ما عرف عندهم بالفقر والجوع الناتج عن الأثرة والانانية التى اتسم بها مشائخ القبائل والسادة والوجهاء فى توزيع الغنائم عليهم لهم نصيب الأسد ولغيرهم الفتات وسقط المتاع.

● ونكاد نسمع صياح وصرخات اولئك الصغار الجياع عندما نرهف السمع للاعلم الهذلى:

وذكـرت أهـلى بالـعـراء
وحـاجـة الـشـعـث الـتـوالـب
المـصـرمـين من الـتّـلاد
الـلاحـين الـى الأقـارب

صورة حية متحركة لمنظر اولئك الاطفال الجياع المحدقين بابصارهم ـ فى بلاهة لا يخطئها الناظر ـ فى كل قريب أتاهم عله يحمل لهم زاداً.

ويُحكى أن السليك مرَّ على حى بنى شيبان فى ربيع والناس مخصبون فى عشية فيها ضباب ومطر حيث خرج شيخ يعشى إبله فتبعه السليك حتى وجد فيه مضربه فاطار رأسه وصاح بالابل فطروها وهو يحكى ذلك بقوله:

وعـاشيـةٍ راحتْ بطـانـاً ذَعَـرْتُهـا
بسـوطِ قَتـيـلٍ وَسْطـهـا يتـسيَّـفُ

● ويقول في آخرها :

ومـا نلتُهـا حتـى تصعلكتُ حقيبـة
وكـدتُ لأسـبـاب المنـيّـة أعْـرَف
وحتـى رايتُ الجـوعَ بالصيف ضرّنى
إذا قمتُ تغشـانى ظلال فأسْـدَفُ(٦)

● وحسبنا هنا أن نشير الى هذا البيت الأخير لما فيه من تصوير صادق وموح لضربات الفقر ولسعة الجوع.

«إذا قمت تغشانى ظلال فأسدف» يُغمُّ عليه ولا يكاد يرى شيئاً . . ثم لا يكاد يقف على رجليه حتى يسقط الى الارض كأنه مشدود اليها.

الوجود الاجتماعي للصعاليك

ونصطحب الصعاليك ليحدثونا فى صراحة ـ حسب منهجهم فى الحياة ـ عن عزة النفس وقوة الشكيمة والاباء والكبرياء المتعالى على كل شىء رغم الجوع والحرمان. ليس الجوع فى شرعتهم هو الذى يقلص الأمعاء ويفتلها كما تفتل الحبال وليس هو الذى يقعد الانسان عن الحركة ويفقده وعيه كلا لا يعتبر ذلك جوعاً وإنما الجوع هو ذلك الـذى يقلص الشخصية ويمحـو الكرامة وينسف قدر الانسان ومكانته فى مجتمعه.

● نصادف من الشنفرى قوله :

أديـمُ مطـالَ الجـوع حتـى أُمـيتُـهُ
وأضـربُ عنـه الـذكـر صفحـاً فأذهل
وأسـتـفّ تُربَ الأرض كيـلا يرى له
علىَّ من الطـّوْلِ امـرؤ مُتطَـوّل

يدخل فى جدال مع الجوع فى محاولة جادة لهزيمته وابعاده ويحقق ذلك.

وهـذا صوت متعـال نسمعه من أبى خراش الهذلى حيث أقفر من الزاد أياما ثم مر بامرأة من هذيل جزيلة شريفة فأمرت له بشاة فذبحت وشويت فلما وجد بطنه ريحَ الطعـام قرقـر فضرب بيده على بطنه وقال: إنك لتقرقر لرائحـة الطعام والله لاطَعِمْتِ منه شيئاً ثم قال: يا ربة البيت هل عندك شىء من صبر أو مرٍّ؟.

قالت: تصنـع به ماذا؟ قال: أريـده فأتتـه منـه بشىء فاقتحمـه ثم أهـوى الى بعيره فركبه فناشدته المرأة فأبى فقالت له يا هذا هل رأيت بأساً أو أنكرت شيئاً؟ قال: لا والله ثم مضى يقول: (٧)

وإنـى لأثـوى الجـوعَ حتـى يملّنـى
فأحيـا ولم تدنس ثيـابـى ولا جُرَّمـى
وأصْطَبِـحُ المـاءَ القـْراح فأكـتـفـى
إذا الـزَّاد أضحى للمـزلـج ذا طعم
أردّ شُجـاعَ البطـن حتـى تعلمينـه
وأوثـر غيرى من عيـالـك بالطـعـم
مخافـة أن أحـيـا برغـمٍ وذلـةٍ
فللمـوتُ خَيْرٌ من حيـاة على رغـم

إذا كان غيره تنهال نفسه فى القصعة ويسيل لعابه وينحنى رأسه حتى ليكاد يلامس الماعون وإذا كان غيره ينكسر تحت ضربات الجوع فانه يماطل الجوع حتى يمله.

ونحن فى مسيرتنا عبر سراديب تلك النفوس المترفعة المتعالية الأنِفة من كل دون يستوقفنا السليك وقد ابيض شعر رأسه:

أشـابَ الـرأسَ أنّـى كلَّ يومٍ
أرى لى خالـةً وسـطَ الـرِّحَـال
يَشـقُّ علىَّ أنْ يلقـيْنَ ضيـماً
ويـعـجـز عن تخلّصـهـنّ مالـى

● ولا نكاد نلتقط انفاسنا ونرجع الى يومنا بعد هذه المسيرة الزمنية والشعورية حتى يستوقفنا الشنفرى:

ولـولا اجتنـابُ الـذامّ لم يُلفَ مشـربٌ
يُعَـاشُ بـه إلا لدىّ ومأكـل
ولـكـنَّ نفسـاً حُرَّة لا تقيـم بى
على الـذامِّ الا ريـثـما أتحـول
وأطوى على الخمص الحوايا كما انطوت
خيـوطـة مأرى تُغـار وتُـفـتـل

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا
أزلُّ تهاداه التنائف أطحل(٨)

●● ويقرر الاستاذ احمد امين دور الصعلكة فى قوله: «ولقد افادت الصعلكة كثيرا من ناحية تخفيف ويلات الفقر فى الجاهلية.. فقد كان الجاهليون ينقسمون الى شيوخ قبائل ينعمون بالغنى والترف هم ومن اتصل بهم والباقون جياع لا يجدون ما يأكلون(٩).. ومن اجل ذلك لم يكن اسم الصعلوك منفراً ولا مكروها بل كان الرجل يفتخر بأنه صعلوك لأنه محقق العدل بالقوة وكان عملهم في السلب والنهب ليس غريباً لان السلب والنهب واغارة القبيلة على القبيلة كان شائعاً مالوفاً.

وتقول الدكتورة بنت الشاطىء: «ولابد أن نلتفت الى ما تركه الخلع فى وجدانهم من اثر عميق نافذ سجَّلتْهُ أشعارهم المشحونة باشجان الغربة ووطأة الوحدة النفسية وقسوة الحرمان من أنس الاهل والدار بل ان سلوكهم نفسه كان يطوى وراء الاستهانة بالحياة والانطلاق فى الفضاء العريض والمغامرة الفتاكة المثيرة سخرية مريرة بالحياة الفردية والحرية الفردية وشعورا كبيرا بالتمزق والتشرد والضياع(١٠).

والصعاليك الساعون لأثبات وجودهم الاجتماعى اختطوا لانفسهم منهجاً يحدد مسار حياتهم واهداف ومبادىء يسعون لتحقيقها ولذلك فكثيرا ما نسمعهم يحدثوننا عن الكرم والجود وبذل المال والعطاء ونجدة المظلوم واشباع الجياع وارجاع حقوق المستضعفين.

ولكن الذى يهمنا هنا أن هذا الطريق الذى طرقوه صعب المسالك كثير المهالك فداؤه النفس والنفيس مما أشبع نفوسهم بعدم المبالاة واقتحام المهالك والاستهانة بالحياة.

فان فاز سهمٌ للمنيَّة لم اكنْ
جزوعاً وهل عن ذاك من متأخِّرِ
وإن فاز سهمى كفَّكم عن مقاعد
لكم خلف أدبار البيوت ومنظر

● ثم يؤكد عروة قوله السابق بهذا البيت ايضا:

أليس ورائى أن أدبَّ على العصا
فيأمن أعدائى ويسأمنى أهلى(١١)

●● ويتضح لنا هذا الوجود الاجتماعى فى مثل قول عروة ابن الورد:

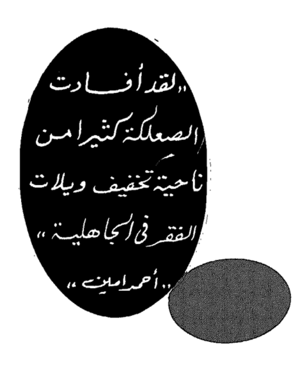
إنى امرؤ عافى إنائى شركة
وانت امرؤ عافى اناءك واحد
أتهزأ منى إن سمنتَ وأن ترى
بجسمى شحوب الحق والحق جاهد
أفرِّقُ جسمى فى جسوم كثيرة
وأحسو قراح الماء والماء بارد(١٢)

ومثال آخر للجود والكرم نسمعه فى كلمات تأبط شراً:

سدِّد خلالك من مال تجمِّعه
حتى تلاقى الذى كل امرىء لاقى

● ونستمع اليه فى صوت آخر ملىء بالفخر ومدح النفس:

ولا أقول اذا ما خلة صرمتْ
يا ويحَ نفسى من شوقٍ واشفاق
سَبَّاق غاياتٍ مجدٍ فى عشيرته
مرجِّع الصوتِ هدًّا بين أرفاق
حمَّال ألوية شهَّاد.. أندية
قوال محكمه جواب آفاق(١٣)



■ نرجع الى عروة بن الورد سيد الصعاليك وإمامهم لنسمع رأيه فيهم فهو يفرق بين نوعين من الصعاليك يمتدح الأول ويعيب الثانى.

الصعلوك الأول عنده صعلوك صاحب مبادىء سامية وأهداف نبيلة.. صحيفته بيضاء مشرقة بالفضائل والأعمال الخيرة يطل على أعدائه غير متردد ولا خائف لا يسمع زجرهم ولا يلين لهم: قوى الشكيمة شجاع غير هياب ولا رعديد برهبونه ويخافونه حتى اذا ابتعدوا عن دائرته.. يترقبون هجمته عليهم فى كل حين يتطلعون غزوه تطلع «أهل الغائب المتنظّر» وتبدو على صفحة وجهه آثار العزة بالنفس والأنفة.

ولله صعلوكٌ صحيفةُ وجهه
كضوء شهاب القابس المُتَنَوِّر
مطلاً على أعدائه يزجرونه
بساحتهم زجر المنيح المشهر
فإن بَعُدوا لا يأمنون اقترابه
تشوُّف أهل الغائب المتنظّر
فذلك إنْ يَلْقَ المنيّة يلقها
حميدا وإن يستغنِ يوما فأجدر(١٤)

●● ويصف الصعلوك الآخر بانه ضعيف الهمة ذليل النفس يعيش على فتات موائد الموسرين لا يبرح المجزر ينام ملء جفونه فليس هناك ما يشغله من شئون الحياة لمهانته وانكساره ينام حتى يلتصق الحصا بجنبيه يستيقظ معفر الوجه يدغدغ النوم عينيه لا يكاد يفتح عينيه حتى يغمضهما ثانية يتثاءب ويتمطى ليحث الحصا عن جنبه يجرى تحت أرجل النساء يخدمهن ما استعن به ـ لا يعرف من حياته الا النقائص راضيا بذلك ولا يشغل نفسه باكثر:

لحى اللهُ صعلوكاً اذا جنَّ ليلُه
مضى فى المُشاش آلفا كل مجزر
يَعُدّ الغِنَى من دهره كلّ ليلة
أصاب قِراها من صديقٍ ميسَّر
ينامُ عِشَاءً ثم يصبح طاوياً
يحثّ الحصا عن جنبه المتعفِّر
قليل التماس الزاد إلا لنفسه
اذا هو أمسى كالعريش المجور
يعين نساءُ الحيّ ما يستعنَّه
فَيُضْحِى طليحا كالبعير المحسَّر(١٩)

● وفى هذين المعنيين يقول حاتم الطائى:

لحى اللهُ صُعلوكا مُنَاهُ وهمه
من العيش أن يلق لبوسا ومَطْعَما
ينامُ الضحى حتى اذا الليل جنَّهُ
تنبَّه مثلوج الفؤادِ مورَّما
مقيماً على المثرين ليس ببارح
إذا نال جدوى من طعام ومجثما

موضوعات شعرهم

● شعر المغامرات:

من السمات البارزة فى شعر الصعاليك حديثهم عن المغامرات التى يقومون بها.

والمغامرات كما نعلم هى الخط الواضح فى حياة الصعاليك لانها هى وسيلتهم الأساسية فى تحقيق اهدافهم وغاياتهم. ولذلك فقد سجلت كتب الأدب التى تحدثت عنهم غاراتهم وغزوهم وسجلت بجانب ذلك قصصا وحكايات مثيرة.

جاء فى الأخبار أن السليك بن السلكة «أملق حتى لم يبق له شىء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب بإبله حتى أمسى فى ليلة من ليالى الشتاء باردة فاشتمل الصماء.. فانضم اليه أحد مثله فانطلقا معا فوجدا ثالثا قصته مثل قصتهما فانضم اليهما وذهبوا جميعا فإذا هم بمجموعة من الابل فامر السليك زميليه بان يختبئا واحتال هو على الرعاء واستنطقهما بمكان الحى فلما عرف ألا أحد أنشد لصاحبيه:

يا صاحبيَّ ألا لا حيَّ بالوادى
سوى عبيد وآم بين أزواد

أتـنظـران قريـبـا رَيْثَ غفلتهـم
أم تغـدوان فان الـريـح للغـادى

● ومـا أن سمع صاحباه ذلك حتى أتياه فاطردوا الابل وذهبوا بها ولم يبلغ الصريخُ الحيَّ حتى فاتوهم بالابل(١٦)

ومثال آخر من حديث الغارة والغزو وسرعة التخلص نأخذه من تأبط شرا:

تحدثنا الأخبار أن تأبط شرا كان «أعدى ذى رجلين وذى ساقين وذى عينين وكان إذا جاع لم تقم له قائمة فكان ينظر الى الظباء فينتقى على نظره اسمنها ثم يجرى خلفه فلا يفوته حتى يأخذه فيذبحه بسيفه فيأكله(١٧)

وبتتبع سيرته الشخصية نعلم أنه منذ نشأته كان جريئاً شجاعا لا يخاف ولا يهاب.

من اخبار مغامراته واحتياله أنه أغار ومعه عمرو بن براق الفهمى على بجيلة فاطردوا لهم نعماً. ونذرت بهما بجيلة فخرجت فى آثارهما ومضيا هاربين فى جبال السراة وركبا الحزن وعارضتهما بجيلة فى السهل وجاءا الى ماء لعمرو بن العاص بالطائف.

وثب القوم على تابط شرا وسط الماء وأخرجوه مكتوفاً وابن براق قريب منهم لا يطمعون فيه لأنهم يعلمون أنه ليس سريع العدو. فاحتال عليهم تابط شراً وأغراهم بقبض عمـرو بن براق عنـدمـا وصف لهم عدوه وشدّه وأوضح لهم رغبته فى أن يصير ابن براق فى أيديهم كما صار هو لأنه خالفه.

فصاح تابط شرا بصاحبه صياحا فهم منه ابن براق أنه قد كادهم فلما أن عدا القوم جميعهم خلف ابن براق عدا تابط شراً فى كتافه وعارضه ابن براق وقطع كتافه وأفلتا معاً ففزع تابط شراً لشعره يصور لنا ذلك: (١٨)

ليـلة صاحـوا وأغـروا بى سراعَـهُـمُ
بالـعـيـكـتـين لدى مَعْـدَى ابن بَرَّاق
كأنـما حَثْحَـثُـوا حصّـاً . قوادِمَـهُ
أو أمَّ خشْـفٍ بذى شَثٍّ وطُـبَّـاق
لا شىء أسـرع منـى ليس ذا عذر
وذا جنـاح بجـنـب الـرَّيـد خفَّـاق
حتـى نجـوتُ ولمَّا ينـزعـوا سلبـى
بوالـهٍ من قبـيـض الـشـدّ غيـداق

● وصف دقيق محكم وصورة حيـة متحركة نسمع منها صياح القوم ومناداة بعضهم لبعض ونشاهد فى تتبُّع مثير ذلـك السباق. فهو سباق بين الحياة والموت والهارب من الموت يخيل اليه أنه يسابق القدر فلا شىء اسرع من هؤلاء الصعاليك ولا أعدى منهم.

ومن طرائف مغـامـرات تأبـط شراً أن هذيلا كانت تتربص به الدوائر وصادف أن جاء يشتار عسلا فى غار من بلاد هذيل يأتيه كل عام وأن هذيلا ذكرته فرصدوه لإبان ذلك حتى اذا جاء هو وأصحابه تدلى فدخل الغار. رأتهم هذيـل فاغـاروا عليهم فانفروهم وجرى حوار بينه وبين هذيل وهو فى داخل الغار يطلب منهم الأمان فابوا عليه فاتخذ لنفسه خطة للهرب فجعل يُسيل العسل من الغار. ويهـريقه ثم عمد الى الزقّ فشدَّه على صدره ثم لصق بالعسل فلم يبرح ينزلق حتى خرج سليما وفاتهم.

فانشد يقول: (١٩)

أقـول للحيـان وقـد صفـرت لهم
وطـابى ويـومى ضَيِّق الجحر مُعْور
لكـم خصـلة إمـا فداء ومـنّـه
وإمـا دمٌ والـقـتـل بالحـر أجـدر
وأُخْـرَى أُصـادى النفسَ عنها وإنها
لمورد حَزْم إن طفـرت ومـصـدر
فرشـتُ لها صدرى فَزلَّ عن الـصفـا
به جؤجؤٌ صلب ومـتـنٌ مُخَصَّـرُ
فخـالـط سهل الأرض لم يكدح الصفا
به كدحـه والمـوت خزيـان ينظـر
إذا المـرء لم يحتـل وقـد جدَّ جدُّه
أضـاع وقـاسى أمـره وهـو مُدْبِـرُ
ولكن أخـو الحـزم الـذى ليس نازلاً
به الأمـر إلا وهـو للحـزم مُبْصـر

● اول ما يسترعى انتباه القارىء فى هذه الأبيات ذلك الوصف الدقيق الحى للمحادثة التى تمت بينه وبين من يريدون دمه.

ثم وصف خطة الهرب وسرعة العدو ويستوقفنا قوله «والموت خزيان ينظر» حيث يصور الموت فى صورة رجل

قوى شديد العدو سريع الحركة لا يعتقد ان أحدا يسبقه مهما كان من القوة والسرعة ولكنا نراه قد انهكه الجرى واعتلاه التعب والاعياء وقعدت به سرعته الخارقة دون اللحاق بذلك الصعلوك . . ثم يجلس متصاعده أنفاسه متلاحقة وقد ارتمى راسه بين كفيه وعيناه مشدودتان الى البعيد . . البعيد الذى لا يراه . . فليلحقه بعينيه ـ ان استطاع ـ مادام قد تكسرت رجلاه وتحطمت قواه .

ويختم الابيات ببيتين أخيرين أفرغ فيهما حكمة العمر . . وحصاد تجارب السنين :

إذا المرء لم يحتل وقد جدَّ جدُّهُ
أضاع وقاسى أمره وهو مُدْبر
ولكن أخو الحزم الذى ليس نازلا
به الامر الا وهو للحزم مبصر

● ليس عيبا فى شرعتهم أن يحتال الانسان لتخليص نفسه من هلكة محققه وميتة أقرب اليه من حبل الوريد .

وتأكيدا لفلسفة الفرار هذه نجد أبا خراش الهذلى يدافع عن فراره ويضفى على فراره لوناً من المذهبية فهو يفر لا لأنه جبان ولكن لانه يرى أحياناً أن قتاله لا يجديه شيئاً الا أن يورده موارد الهلاك وهو مع ذلك لا يكف عن القتال اذا لم يجد لنفسه مجالا(٢٠) .

● الحديث عن الرفاق

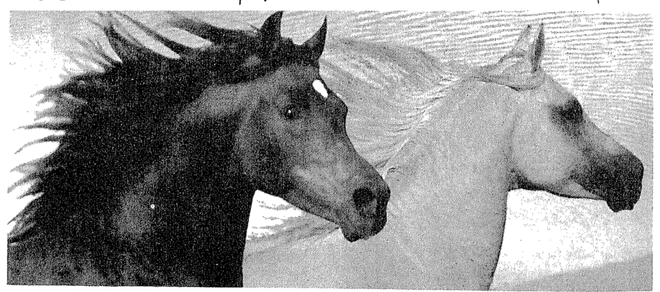
كما تحدث الصعاليك فى شعرهم عن المغامرات كاساس قامت عليه حركتهم وعن العَدْو والفرار كطريقة للتخلص واعادة الكرة ثانية تحدثوا ايضا عن المعارك التى شنوها فى وصف مفصل كما يحدثنا شعرهم عن الرفاق باعتبارهم زملاء كفاح واخوان مصيبة جمعت بينهم دوافع مشتركة وهدف موحد .

يروى صاحب الأغانى(٢١) بأن الشنفرى خرج فى عدة من فهم فيهم عامر بن الأخنس وتابط شراً والمسَّيب وعمرو بن براق ومرة بن خليف يقصدون العوص وهم حىّ من بجيلة فلما انتهوا من الغارة واخذوا طريق العودة اعترضت لهم خثعم ودارت بينهم معركة انتهت بانتصار الصعاليك .

ففزع الشنفرى الى فنه يحدثنا عنها حديثا رائعا فيه دقة وتفصيل .

دعينى وقولى بعدُ ما شئتِ إننى
سَيُغْدَى بنعشى مرة فأُغَيّب

● سيغدى بنعشه ويغيَّب فى باطن الارض ويهال فوقه التراب ثم يتحدث فى اختصار شديد من غير إطالة



فان تزعمى أنى جبنت فإننى
أفر وأرمى مرّة كل ذلك
أُقَاتِلُ حتى لا أرى لى مقاتلاً
وأنجو اذا ما خِفْتُ بعضَ المهالك

عن خروجهم . . وما له والاطالة دقائقه محسوبة والموقف لا يسمح بالأناة والاطالة .

خرجنا فلم نعهد وقلّت وصاتنا
ثمانية ما بعدها متعتَّبُ

● ثم ماذا عن صحابه:

سراحينُ فتيانٍ كأنَّ وجوههم
مصابيح أو لونٌ من الماء مُذْهَبُ

■ *ثلاثة أيام على أقدامهم يصلون بعدها الى هدفهم يتقدمهم دليل خفيف شجاع.*
لا يحملون زادا ولا يدرون فى أى مكان سيجدونه.
الزاد عندهم ظن مغيب لا يعلمونه ولا يدرون عنه شيئا.
يسابقون الزمن فيمرون بمكان الماء مَرًّا سريعا حتى أن ثمائلهم قد طويت من عدم الماء:

نَمُرّ بَرَهْوِ الماءِ صفحاً وقد طوت
ثمائلنا والزَّادُ ظنٌّ مغيَّبُ
ثلاثا على الاقدام حتى سما بنا
على العوص شعشاع من القوم مِحْرَبُ

ثم تبدأ المعركة ويتشابك الرجال وترتفع الأنفاس وتعلو الأصوات ويعمل الحسام فى الرقاب ويثبت الصعاليك فى المعركة ويهزمون خصمهم ويسلبونهم.

فثاروا الينا فى السواد فهجهجوا
وصوت فينا بالصياح المثوّب
فشن عليهم هزة السيف ثابت
وصمم فيهم بالحسام المسيَّبُ
وظَلْتُ بفتيان معى اتقيهُمُ
بهن قليلا ساعة ثم خيَّبُوا
وقد خرَّ منهم راجلان وفارس
كمىٌّ صرعناه وخوم مسلَّبُ
يشن اليه كلّ ريع وقلعة
ثمانية والقوم رَحْلٌ ومِقْنَبُ

●● ويحدثنا الشنفرى ايضا فى تائيته عن رفاقه ويصور لنا كيف كان تابط شراً يحمل زادهم ويقتر عليهم فى الطعام خيفه ان تطول الغزاة بهم فيموتوا جوعاً ويقص علينا ذلك فى مداعبة طريفة له اذ يدعونه أمهم وهو وأصحابه عيالها: (٢٢)

وأم عيال قد شهدتُ تَقوتُهُم
اذا أطعمتهم أوتَحتْ وأقلَّت
تخافُ علينا العيل إن هى أكثرتْ
ونحن جياع أى آل تألَّت
مصعلكة لا يقصُرُ الستر.. دونها
ولا ترتجى للبيت إن لم تُبَيِّت

●● هذه هى أمهم صاحبة صعاليك امرها مكشوف وحياتها واضحة لا خفاء فيها ولا غموض.. تسير مع عيالها الليل والنهار لا ترتجى البيت ولا ترغب فى المبيت الا اذا اضطرت للمبيت.

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفاً
اذا آنست أولى العَدىِّ اقشعرَّتِ
وتأتى العَدىَّ بارزا نصف ساقهَا
تجول كعير العانة المتلفِّتِ
اذا فزعوا طارت بابيضَ صارم
ورامت بها فى جفرها ثم سلَّت

● ويكثر الحديث عن الرفاق فى شعر الصعاليك.
يقول عروة بن الورد: (٢٣)

اقيموا بنى لبنى صدور مطيِّكم
فان منايا القوم خير من الهزل
فانكم لن تبلغوا كل همتى
ولا أربتى حتى تروا منبت الأثل

●● ويحدثنا تابط شراً عن صحابه حديث المعجب بهم المعتز برفقتهم.

مســاعــرةٌ شعــثٌ كأنَّ عيــونهــم
حريق غضــاً تلقى عليـه الشقـائق(٢٤)

وصف الاسلحة

إذا كانت حياة الصعاليك تقـوم على الغزو والاغـارة فان الأسلحـة هى الـوسيلة الأولى للغزو والـدفاع عن النفس. وللاسلحة فى نفوسهم مكانة عظيمة ولذلك نجدها احتلت مكانا مرموقا فى شعرهم.

الشاعر يحدثنا عن سلاحه وكأنه يحدثنا عن طفله المدلل.

يصف لنا نوع السلاح ومن أى بلاد اشتراه وكيف قام بتزيينه وتجميله. . اسلحتهم هى السيف والقوس والرمح.

عمر بن براقة يفتخر بسلاحه ويرى فى سيفه الغلبة والنصر على كل معتد. . سيف قتال بتار اذا عضَّ الكـريهـة غادر أعـداءه أشـلاء فى ساحة المعركة. . ويلفت النظر الى شىء مهم لابد من وجوده وتوافره بجـانب السيف وهـو العقـل الـذكى الواعى وعزة النفس ومتى ما توفر العقل الذكى والابيض الصارم والعزة بالنفس كان النصر هو الحليف وبها تجتنبك المظالم:

وكـيــف ينـامُ الـليــلَ مَنْ كل ما له
حســامٌ كلون المـلح أبـيضَ صارم
غمــوض إذا عضَّ الكــريهــة لم يدعْ
لها طمــعــا طوع الـيــمـين مكـارم
متى تجمــع القلب الـذكى وصـارمـا
وانـفــاً حميًّـا تجتـنـبــك المظـالم(٢٥)

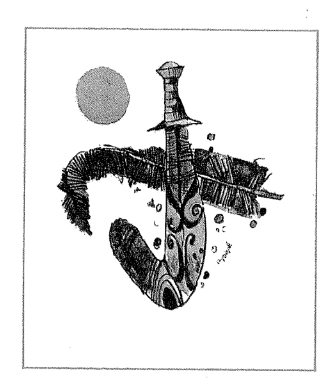
● ونلمـح من على البعـد سيف الشنفرى ذلـك الابيض اللامع المتلألىء كأنه قطع الغدير:

حســام كلون المــلح صاف حديــده
جُزار كأقطــاع الـغــديــر المنعَّت(٢٦)

● وفى وصف آخر نسمعه يقول:

وأبــيض من ماء الحــديــد مهــنــدُ
مجزٌ لاطــراف الــســواعــد مقطــف

■ واهتم الصعـاليـك ايضا بوصف السهام وكيفية تخيرها وانتقائها.



● ويطالعنا الشنفرى بوصف سهامه:

هتــوفٌ من الملس المتــون يزيـنهــا
رصــائــع قد نيطـت اليهــا ومحمــل
اذا زلَّ عنهــا الـسَّـهـم حَنَّتْ كأنهـا
مُرَزَّأة عَجْــلَى ترنّ وتُــعْــول

■ رمحه لها صوت عند انطلاقها وهى ملساء المتن لا تؤذى حاملها مزينة برصائع جميلة زاهية.

ويستوقفنا البيت الأخير: اذا زل عنها السهم.. وصف دقيق لصوت السهم وصورة تعبيرية رائعة..

اذا خرج السهم من القوس وانطلق أصدر صوتا مجلجلا كصوت المرأة الثكلى التى نكبتها الايام وفقدت عزيزها وقرة عينها وتوالت عليها الرزايا والنكبات فهى لا تنقطع عن البكاء والنحيب والعويل تحنانا على فقيدها.

تلك هى حال ذلك السهم ينطلق فى سرعة غير عادية يردد الأفق صدى رنينها وعويلها حتى تلاقى ضحيتها وتنغرس فى جوفه.

ونرهف السمع لذلك الصدى المتداعى الى الآذان تطلقه سهام الشنفرى:

اذا طال فيها النَّزْعُ تأبى بعجسها
وترمى بِذَرْوَيها بهنّ فتقذف

لكثرة ما طال نزع هذا القوس وانطلاق سهمه نحو ضحيته أصبح لا يرغب فى البقاء داخل الاكنّة لقد تعود على النزع والانطلاق فلا تكاد تمسك بها حتى تفلت من بين يديك «اذا طال فيها النزع تأبى بعجسها» تأبى بمقبضها وترمى بطرفيها انطلاقا فى سرعة خارقة نحو الهدف.

● ويكمل الشنفرى هذا الوصف بقوله:

كأن حفيف النبل من فوق عجسها
عوازب نحل أخطأ الغار مُطنف

■ صوت النبل من فوق مقبضها كصوت جماعة النحل الراجعات الى غارها وقد أخطأت طريقها وضلت يزداد صوتها ويعلو كلما بعدت عن دارها ولم تدر مكانه.

● وصف الطبيعة

تعامل الصعاليك مع الطبيعة تعاملا مباشرا. عرفوا وهادها وتسلقوا جبالها ونزلوا أوديتها. ضربتهم شمس الهاجرة وأطار البرد النوم من أعينهم وأظلتهم السحب.. سابقوا الظباء والطيور عرفوا الوحوش وعرفتهم وتآخوا واستأنسوا بها.. جاء شعرهم وصفاً دقيقاً محكما للطبيعة يدل على معرفتهم وخبرتهم الطويلة.

يصف لنا الشنفرى فى لاميته تلك الارض المقفرة الجرداء التى قطعها برجليه ولما بلغ به الاعياء مبلغاً جلس على الأرض باسطا رجليه أمامه مستندا بظهره على الجبل.

ثم يواصل مسيره الى قمة الجبل فيقعد حينا ويواصل المسير حينا آخر.. تمر به الوعول السود حوله كأنها عذارى يغطيها ملاء مذيل وذلك كناية عن طول شعرها وسواده.. ونلاحظ أن هذه الوحوش لا تهرب منه ولا تفترسه وكانها على معرفة سابقة به: (٢٧)

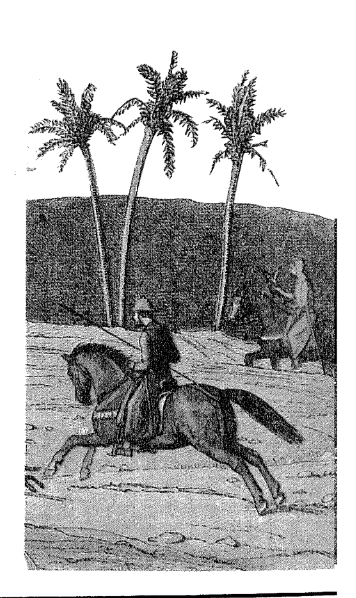
وخرق كظهر الترس قفْرٍ قطعتُهُ
بعاملتين ظهره ليس يعمل
فألحقتُ أولاه باخراه موفيا
على قُنَّه أقعى مراراً وأمثل
ترود الاوارى الصحم حولى كأنها
عذارى عليهن الملاء المذيَّل

ويـركـدن بالآصـال حولى كأنـنـى
من العُصْم أدفى ينتحى الكيح أعقـل

●● وصف رائع آخر يصف فيه تأبط شراً الضبع وهى تنبش الأرض عن الجيف المدفونة ثم تنشب فيها أنيابها وبراثنها ثم تدعو رفيقاتها وبناتها فيسارعن اليها

ليشاركنها نهش فريستها.

فزُحْـزِحـتُ عنهـم أو تجئنـى منـيـتى
بغـبراء أو عرفـاء تفـرى الـدفـائنا



كأنـى أراهـا المـوت لادرٌ درُّهـا
إذا امـكـنـت انيـابهـا والـبراثـنـا

●● وقد سبق ان تحدثنا فى نماذج متفرقة عن الكرم والجود عندهم وكذلك سبق لنا الحديث عن ضياعهم وتشردهم وخلعهم ونبذ قبائلهم لهم.

وعموما يمكن القول بأن شعر الصعاليك شمل موضـوعـات متعددة جاءت انعكاسا لحياتهم وتمثيلا لواقعهم وتصويراً دقيقا لبيئتهم وكما ذكرنا سابقا فإن موضـوعـات شعـرهـم تتفق وتختلف لحد ما مع موضـوعـات الشعـر الجـاهلى وان تعطلت بعض موضوعات الشعر الجاهلى عندهم فلانهم لم يعيشوها وهم يمتازون بالواقعية دائما.

الظواهر الفنية لشعر الصعاليك

أولى الخصائص التى نلحظها فى شعر الصعاليك أنه فى غالبه شعر مقطوعات معبرة ومعظمها لقطات سريعـة تصـور مغـامـراتهم أو لوحات فنية تنعكس الطبيعة على صفحتها أو أخبار موجزة عن حدث مر بهم لا يودون الوقوف عنده طويلا أو شرائح للحياة اقتطعـوها على عجل وهذا القِصرَ ظل ينسجم مع طريقة خطفهم فهم يخطفون فى حروبهم ويخطفون فى شعرهم(٢٨).

ولحياتهم القلقة المضطربة اللاهثة أبداً اكبر الأثر فى قِصَر القصيدة عندهم وهم لم تترك لهم حياتهم زمنا للتفرغ للشعر وتنميقه وتهذيبه.

وإن وجدنا قصيدة طويلة كـ (لامية الشنفرى) فذلك استثناء وربما أنشأها فى حالة استقرار يستدعى

الطول وهى تمثل عدة مغامرات وتتناول كثيرا من الجوانب دون ترتيب وقد يكرر بعضها.

ويلاحظ فى شعرهم الوحدة الموضوعية(٢٩) فالقصائد الطويلة عندهم لم تقف عند موضوع واحد وهذا التعدد انها يرجع الى أصل موضوعى واحد تتفرع منه كما تتفرع أغصان الشجرة من جذعها فليس التعدد هنا تعدداً فى الموضوع وإنما هو تفرع فى اغراض الموضوع.

وهى على العموم لا تخرج عن الموضوع العام وهو حياتهم وما يعترضهم فهناك خيط نفسى يربط بين أجزاء القصيدة على اختلاف صورها.

من الظواهر الواضحة فى شعرهم انهم يتجافون عن الحب وقل ان نجده فى شعرهم إنما نجد فى شعرهم مخاطبة زوجاتهم بعدم العتب عليهم فى سيرتهم. ربما كان سبب ذلك أن الحب يبنى على أساسين: حياة مترفة بعض الترف ليس كحياة الصعلكة من بؤس وفقر لأن الحب كالزهرة على المائدة لا ينتفع بها الا بعد القوت(٣٠). والثانى أن الحب يحتاج فى أول تكوينه الى الاستقرار والصعاليك أبعد الناس عن الاستقرار.

ونلحظ أن شعر الصعاليك خلا من المقدمات الطلية المعهودة عند الجاهليين لانه كما ذكرنا آنفا حياتهم لا تسمح بذلك. واتخذوا مذهباً للاستعاضة به عن ذلك المذهب التقليدى وهو مخاطبة زوجاتهم أو المرأه المحبة الحريصة على فارسها وكثيرا ما يخاطبونها فى مستهل قصائدهم مخاطبة الأنثى الضعيفة التى يظهر صاحبها الى جوارها بطلا قويا مستهينا بحياته من أجل فكرته.

يرفض نصيحتها فى رفق وأدب ويقابل جزعها بابتسامة الواثق بنفسه المعتد بشخصيته ويحاول أن يقنعها فى قوة وإيمان بسداد رأيه وسلامة مذهبه فى الحياة. الشنفرى يستهل قصيدته (**البائية**) بحديث الى صاحبته بأن تتركه وشأنه الذى هو ماض فيه:

دعينى وقولى بعدُ ما شئتِ إننى
سيُغدى بنعشى مرة فأغَيّب

● عمرو بن براق يستهل قصيدته (**الميمية**) بحديث بينه وبين صاحبته التى حذرته من التعرض للصعاليك:

تقول سُليمى لا تعرَّض لتلفة
وليلك عن ليل الصعاليك نائم

● واكثر مانرى هذه الظاهرة عند عروة بن الورد:

دعينى للغنى أسعى فإنى
رأيتُ الناس شرّهم الفقير

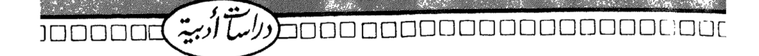
● ونقرأ مع تأبط شرا قوله:

عاذلتى إن بعضَ اللَّوم مَعْنَفَة
وهل طعام وإن أبقيته باق

■ كما نلاحظ فى شعرهم التدفق والسرعة اذ كانوا مشهورين باسم العدائين فكأنهم يعدون بأرجلهم ويعدون فى شعرهم والسرعة الفنية فى شعرهم هى صدى نفسى لتلك السرعة التى اعتمدت عليها حياتهم(٣١).

فقد كانوا فى شعرهم خير مثال لتصوير حياتهم فى بساطة واخلاص.

من السمات البارزة فى شعرهم الواقعية.. اتخذوا الحياة بما فيها من خير وشر مادة لموضوعاتهم بعدوا عن الامعان والخيال امعانا ينقلهم من عالم الواقع الى الأوهام.





ولذلك نجدهم ينقلون ما يقع تحت أعينهم نقلا صادقا من غير تزييف ولا تبديل لذا فانا نجد الصورة الشعرية مطابقة تماما لصورة الحياة الواقعية التى نقلت لها الصورة.

ويكملون هذا الصدق والواقعية بالصراحة فى القول والتصوير ولذلك فإنا نجدهم ينقلون صورة عدوهم وهربهم فى صور موجية صادقة(٣٢).

كما يتحدثون فى صراحة متناهية وفى تصوير دقيق رائع عن الجوع والفقر والهزال والفزع والاحتيال والتربص.

ولا يغيب عن القارىء لشعرهم حرصهم الشديد على ذكر التفاصيل والجزئيات اكمالا للصورة وروعة فى البيان وشعرهم غالبا ما يأخذ الطابع القصصى(٣٣).

اما من الناحية اللغوية فمن الخصائص المميزة له كثرة الغريب فى شعرهم حتى يشعر القارىء أنه امام مجموعة من الطلاسم اللفظية ومرجع ذلك عدم اختلاطهم بالقبائل الا نادرا مما جعلهم يحتفظون بلغتهم من غير تجديد(٣٤).

ولقد كان لاختلاط القبائل مع بعضها والاسواق التى تقام سنويا اكبر الأثر فى نمو اللغة العربية اذ كانت القبائل تنتقى من بعضها أحسن ما تقول. وهذا أمر مفقود تماما بالنسبة للصعاليك لان أسلوب حياتهم قد جافى الاستقرار واستمرأ الحركة المستمرة.

ولذلك فإن لغة الشعراء الصعاليك أقرب الى فطرة اللغة العربية وأصدق تمثيلا لها من سائر الشعراء الجاهليين.

ولما جاء علماء اللغة والأدب فقد استشهدوا بشعر الصعاليك.

لقد مثل شعر الصعاليك الفطرة العربية وعبر عن معاناة وجدانية لمحنة الغربة والتشرد وعكس صورا مثيرة من واقع حياتهم المحرومة من أنس الجماعة.

جاء شعرهم ممثلا لانطلاق ذاتية الشاعر المتمرد على قبيلته مسجلا صدى نضاله عن هذه الذاتية(٣٥).

الهوامش

(١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٧، ١١، ١٢، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦) كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى (ج٢/ ٣٦٤ - ج٢١/ ٢٦٤ - نفسه - ج٢١/ ٢٠٥ - نفسه - ج١٨/ ٣١٦ - ج٢١/ ٩٤ - ج٢/ ٣٦٥ - نفسه ٣٥٨ - نفسه - ج١٨/ ٣١٥ - نفسه ٤٨١ - نفسه ٤٨٥ - نفسه ٤٩٢ - نفسه ٤٩٥ - نفسه - ج٢/ ٣٩٥ - ١٨/ ٤٩٠ - ٢١/ ٢٦٤)

(٨ - ٢٧) ديوان الشنفرى.

(٢٠، ٢٩، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤) الشعراء الصعاليك فى العصر الجاهلى للدكتور يوسف خليف ص٤٠-٢٦٢ (أنظر أيضا كتاب - الصعلكة والفتوة فى الاسلام ص٤٣)- ٢٩٠-٣٠٠-٣١١.

(٩، ٢٨، ٣٠) الصعلكة والفتوة فى الاسلام للأستاذ أحمد أمين (٩-٢٨-٣٠) ص٤٢-٤٤).

(١٠-٣٥) قيم جديدة للأدب العربى بنت الشاطىء (الدكتورة عائشة عبد الرحمن) ص٤٥.

(١٣، ١٤) العصر الجاهلى د. شوقى ضيف (ص٣٧٨-٣٨٦).



تلقيت رسالة من أحد قراء «المنهل» رمز لاسمه بهذه الحروف: (م. أ. ج) يقول فيها إنه يتابع قراءة هذه الذكريات وأنه يود لو أن كل أدبائنا يكتبون ذكرياتهم لينتفع بها الشباب فى سلوكهم نحو الأفضل والأجمل ولكنه يلاحظ أنها غير مرتبة زمنيا.. فليس فيها أخبار عن الطفولة والولادة والحى.

ـ وما هى صورة المجتمع الذى عشت فيه صغيرا؟ ومن هم الأنداد الذين كنت ألعب معهم وما هى الألعاب التى كنا نمارسها فى عهد الصبا؟.

ـ ما هو دور الوالد والوالدة فى حياتى؟ وكيف عشنا كأسرة مكافحة؟ وكيف كانت الحياة تمضى بنا وبأمثالنا؟.

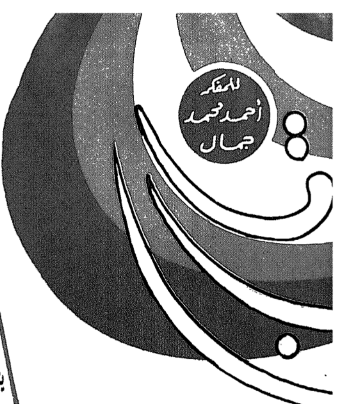
وقد أسلفت فى حلقة ماضية أنى لم أرتِّب لكتابة ذكرياتى كمؤرخ يتدرّج بها من البداية مرحلة فمرحلة وإنما هى مفاجأة مجلة «المنهل» لى عندما نشرت لى مقالة عن «بداية أديب» فكتبت لها مقدمة ألزمتنى فيها بمواصلة الكتابة عن ذكرياتى..

أما وقد اخذنى هذا القارىء الفاضل «م. أ. ج» بهذه الملاحظات ووجَّه الىَّ هذه المسائل.. فانى استجيب له مضطرا لا مختاراً واتحدث اليه بها لعله يشفى صدره ويحقق وطره.

ولكنى لن أتكلم عن نفسى وأسرتى بقلمى استحياء مما قد يُظَنُّ مدحا لذاتى وإطراء لأهلى ـ وأترك هذا الجانب للاخ الفاضل الدكتور عبد الوهاب ابو سليمان ـ استاذ الفقه الاسلامى بقسم الدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

فقد كتب ـ جزاه الله خيرا ـ فى رثاء إبن عمى الشيخ اسماعيل جمال يُثنى عليه ويذكر تقواه وعمله الصالح ـ ثم يشير الى أسرة «آل جمال» التى أنتسب إليها بقوله:

«**بيت عريق من بيوتات مكة المكرمة له دوره الاجتماعى والعلمى فى الماضى.. اذ خرَّج عددا من العلماء والأعيان ـ منهم** الشيخ عبد الرحمن جمال الكبير المتوفى سنة **١٢٤٩هـ تحدث عنه مؤرخ مكة العلامة الشيخ عبد الله مرداد ابو الخير بقوله فى كتابه** «نشر النور والزهر فى تراجم افاضل مكة من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر» **كان اليه المنتهى فى الفطنة والذكاء وقوة الاستحضار لدقائق العلوم مع**



ذكريات ماتعة تتدفق عبر قنوات الزمن فتلد جديدا عبقا مستلا من سجف الحياة الفكرية والأدبية.. لأديب وباحث ومفكر له قيمته وقدره ومكانته.. استجاب بكرم الأحافل لدعوتنا فى رصد هذه (المذكرات) إن صحت التسمية فأفرغ بعض وقته المكثف لتطالع القارىء الحصيف فى حلقات يتضاعف بها عطاؤنا وتتعاظم بها مسيرتنا ونهجنا.

طلاقة الوجه والبشاشة وحسن التقرير وطرح التكلّف وَلِىَ مرة قضاء جدة فى مدة الشريف غالب(١)

●● (ومن افاضل وعلماء هذا البيت المجيد أيضا العلامة الشيخ عبد الرحمن بن عثمان بن العلامة عبد الرحمن جمال ـ وصفه مؤرخ مكة الشيخ عبد الله مرداد ابو الخير بقوله: «كان رحمه الله من الجهابذة المتقنين والعلماء المتّقين.. وكان عفيفا صالحا فقيها وانتفع بعلومه كثير من أعيان مكة الافاضل. ومن جملة من قرأ على يده الشيخ على مرداد والشيخ احمد.. أمين بيت المال.. وسيدى الوالد وأخبرنى أنه توفى بالطائف سنة ١٢٩٠هـ».

●● ومازال هذا البيت من بيوت مكة ـ حرسها الله ـ معطاء سخيا بالرجال والشباب.. يأتى فى طليعتهم المترجم له الشيخ اسماعيل جمال ـ رحمه الله ـ والعَلَمانِ البارزان والأديبان المفكران الشيخ صالح محمد جمال والشيخ احمد محمد جمال والعدد العديد من شباب هذا البيت الذين يحتلون الصدارة الاجتماعية بين طبقتهم من جيل الشباب». أهـ

وهذا ما كتبه الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان عن أسرة «آل جمال» فى جريدة (عكاظ) الصادرة يوم الجمعة ١٤٠٥/٨/٢٠هـ الموافق ١٩٨٥/٥/١٠م.

أما الجيل الاخير من اسرتى الذى نشأت فيه فقد كان والدى رحمه الله يشتغل بالتجارة مع شريك له وخانه الشريك ـ كما قيل لى ـ وانفرد بالعمل وخرج أبى من الشركة صفر اليدين.. وكانت حياتنا خلال هذه الفترة صعبة جدا وكان مالك البيت الذى نسكنه (بالمسعى) يُمْهل ابى لدفع أجرة البيت الى موسم الحج كى يؤجِّر بعضه ويؤدى أجرته السنوية من تأجيره على الحجاج ومن حق هذا المالك أن نذكره وندعو له بحسن الجزاء ـ وهو الشيخ سراج قطب رحمه الله وأجزل مثوبته.

وقد اضطر أخى صالح قبلى الى قطع دراسته بالمعهد العلمى السعودى ـ الذى كان يمثّل الدراسة الثانوية الوحيدة فى بلادنا ـ ليعمل وينفق على الأسرة ثم

فعلت مثله ولم آتم دراستى الثانوية واشتغلت بأول عمل لى فى رئاسة القضاة كما أسلفت الكلام على ذلك فى حلقة ماضية.

وكنا نعيش فى هدوء واستقرار عَبْر أسرتنا المتواضعة وقد امتاز أبى «**بطولة البال**» وهو تعبير شعبى نطلقه على من اتصف بالهدوء وعدم الانفعال وافتقاد العنف فى التعامل مع اهله ومع الناس أيضا. كما كنا نلاحظ عليه الخروج الى المسجد الحرام ليلا بعد العشاء ليطوف بالكعبة ويصلى ويدعو - يفعل ذلك حتى توفاه الله سنة ١٣٦٥هـ.

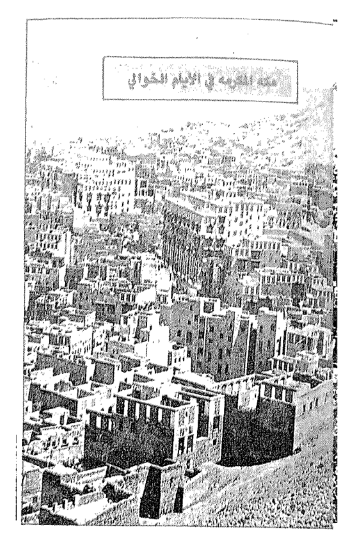
وقد ضُمَّ (المسعى) وهو جزء من مناسك الحج والعمرة الى المسجد الحرام منذ سنة ١٣٧٥هـ - بعد أن كان سوقا كبيرة تقوم على جانبيها المتاجر والمنازل والمباسط المتنقلة لعرض الفواكه والخبز والسلع الأخرى وكنا نسمع ونحن فى بيوتنا خلال الليل والنهار دعاء الحُجَّاج والعُمَّار. وهم يسعون بين الصفا والمروة كما نسمع نداء الباعة على سلعهم بأصوات مرتفعة. وحقا كان مشهدا سعيداً عندما أجلس بجوار نافذة بيتى فانظر إلى الحجاج والعمار - من كل جنس ولون - يدعون الله ويكبرون ويسبحون واسمع ايضا الى من ينادى على فاكهته او يدعو الزبائن إلى خبزه وكل الباعة يصفون معروضاتهم من المأكولات والمشروبات باحسن الأوصاف ويزعمون انها رخيصة الاثمان.

وكما كنا نعيش فى أسرة هادئة متواضعة كان المجتمع هادئا متواضعاً كذلك. ليس هنالك تكلف ولا تعسف ولا إهمال لحق القرابة والجيرة ولا عدوان على حقوق الناس. وعلى الرغم من أن كافة الأسر فى ذلك العهد كانت كل أسرة تنفرد بمنزل خاص فان الجيرة كانوا يتزاورون ويتعاونون بصورة تعجب وتطرب. خلافا لما تطورت اليه الاحوال الاجتماعية الآن فقد أصبح أكثر من عشر أسر بل عشرين يسكنون فى منزل واحد وتتجاور أبواب مساكنهم (شققهم) ومع ذلك لا يعرف الجار جاره ولا الجارة جارتها ولا يتزاورون ولا يفرح بعضهم لسراء بعض ولا يحزن لضرائه.

وكنا فى عيد الفطر - مثلا - يتزاور الاقرباء والاصدقاء يمشون على اقدامهم من حى الى حى ومن شارع الى شارع وهم فرحون مبتهجون بهذه الزيارات واللقاءات خلال ايام العيد الأربعة حيث كان هناك عرف يخضع له المواطنون وهو أن لكل يوم من الايام الأربعة احياء معلومة يجلس اهلها لاستقبال الزوار وتبادل الأحاديث والتهنئة بالعيد معهم.

وكنا - نحن الصبية والشباب فى ذلك العهد - سعداء بهذه التقاليد الاجتماعية. لاننا كنا نرتدى خلال ايام العيد ثياباً جديدة وننتعل احذية جديدة ونضع على رؤوسنا العُقَل القصبية المذهبة ونتبادل الزيارات مع اقربائنا الذين كانوا يقدمون الينا «**العيديّة**» وهى الهدايا النقدية التى كنا ننتظرها بفارغ الصبر ونأخذها كأنها فرحة العمر.

وكان مجتمعنا أيضا يمتاز بتقاليد تعاونية رائعة - غير ما أسلفنا من عادة التزاور خلال أيام عيد الفطر - وذلك ما تعوده آباؤنا واعمامنا واخوالنا وسرنا على طريقهم لفترة قصيرة - من تقديم ما كنا نسميه «**الرِفْد**» لمن يقيم مأدبة زواجه ويتمثل الرفد فى هدايا من خرفان او حبوب كالارز والسكر والشاهى او صفائح السمن وكان العروس - اى المقدم على الزواج ويطلق هذا الوصف على الذَّكَر والانثى ولكن الذكر عرف فى الاصطلاح الشعبى بوصف «**العريس**» وعرفت الانثى «**بالعروسة**» - اقول كان العروس او اهل الزوج واهل الزوجة ايضا يردون على هذه التحية وهذه الهدية ببعث اطباق الطعام





صالح محمد جمال



د. عبدالوهاب ابوسليمان

صبيحة يوم الزفاف مما يصنعونه للمدعوِّين الى الرافدين لهم جزاء ووفاقاً وثناء عملياً على رفدهم.

اليوم فقد اكتفى الناس بقصور الأفراح التى يستأجرونها لاقامة حفلات زواج ابنائهم وبناتهم ولم يعد هناك رفد ولا رافدون ولم يكن ـ بالتالى ـ هناك حاجة لرد الجميل بطعام كثير او قليل.

ويسأل القارىء (م. أ. ج) عن ألعابنا التى كنا نمارسها ونحن صبية صغار.. وما اذكره الآن هو أن لنا فى صبانا بعض الألعاب التى نلعبها فى ازقتنا الضيقة كلعبة «البَرَجُوه» ولعبة «الكَبَت» والكبت بفتح الكاف والباء ـ لعبة رياضية اشبه ما تكون بالمصارعة.. ينقسم فيها اللاعبون الى فريقين ويمثل كل فريق طرفاً من الملعب بحيث يتقابلان ويخط فى الوسط خط عرضى يفصل بين حدود كل منهما.. ويبدأ اللعب باقتحام واحد من الفريق الأول حدود الفريق الثانى ويناوشهم بيديه متحديا لهم ان يركلوا به وقد يمسكون به ولكنه يفلت منهم.. فاذا لم يفلت منهم اعتبر مغلوبا وأخرج من اللعبة ويعقبه آخر وهكذا الى ان تنتهى اللعبة بانتصار أحد الفريقين أو بالتعادل بينهما كما هو الحال فى كرة القدم او المصارعة.

اما لعبة «البَرَجُوه» بفتح الباء والراء وضم الجيم مع الامالة ـ فهى لعبة تحتاج الى مهارة كمهارة كرة السلة.. الا انها لعبة أرضية حيث تحفر ثلاث حفر صغيرة متباعدة نحو متر بين كل منها.. ويتبارى فيها لاعبان متقابلان بقطعة حجرية مستديرة يسددها كل لاعب الى الحفر الثلاث متتابعة.. فاذا لم ينجح فى انزال الحجر المستدير فى الحفرة الأولى اخذ اللاعب الثانى الدور منه ويظلان يتنافسان فى تسديد الحجر الى الحفر وانزاله بها حتى يفوز أحدهما بالمهارة فى التسديد والاصابة.

وقد اختفت هاتان اللعبتان من حياة الصبية اليوم ولم يعد لهم أُلْهيّة او مسلاة الا مشاهدة التلفاز او متابعة كرة القدم او ركوب الدراجات الصغيرة المناسبة لهم يمشون بها حول بيوتهم أو فى أسطحتها او عندما يخرجون مع أهليهم خارج المدينة الى منتزهات فسيحة يجدون فيها مجالا واسعا للسباق.

فلسطيننا

السيف (شعر)
في الطريق الى الوطن
القضية العربية في الشعر الفلسطيني
الشيوعية ركيزة يهودية

يوسف حمدان
فاطمة النجار
محمد حسن شراب
مساعد بن عبدالله المسلم

العدد الثاني عشر
رجب ١٤٠٦هـ

المشرف
شكيب الأموي

وقفة وموقف



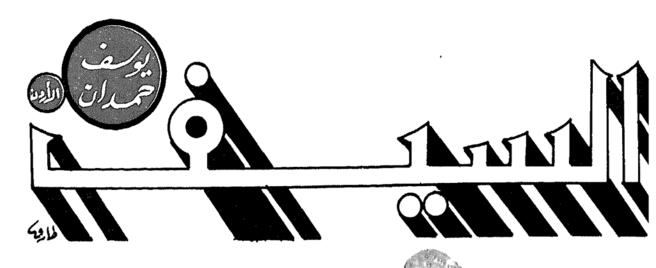
قضيتنا الكبرى ـ شعب فلسطين ـ ماذا بعد مسيرته الطويلة المضنية على دروب كفاحه ونضاله لازلنا نسمع نداء القدس يهز الأرجاء ولازلنا نرى الشعب العربى الأبى المسلم يتشرد كل يوم من وطن الى وطن ويتشتت بين الشعوب حتى الخيام التى تؤويه ولا تكاد تحميه أعزوها عليه فأحرقوها فوقه ودمروا الأرض من تحته.. لا شىء يريد هذا الشعب اكثر من استرجاع حقه المسلوب والعودة الى وطنه المغتصب وامتلاكه حق تقرير مصيره.

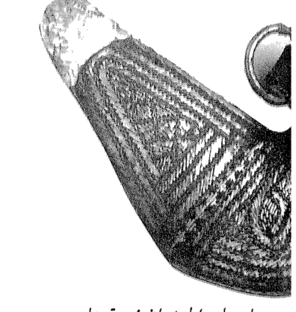
« فهد بن عبد العزيز »

آالشم حدَّ السيف وهو مخضَّبُ
أم أنه زعمٌ ونصرٌ مخيِّبُ
أنا لا أرى إلا وجوهاً عوابساً
وإلا عيوناً دمعُها يتصببُ
وإلا جباهاً نكّستْ علياءها
وإلا ظهوراً تنحنى وتُحدَّبُ
وإلا رقاباً طُوِّقت بسلاسل
وإلا هواناً فى النفوس يُعلَّبُ

أنصرٌ.. وهذى القدس خلفَ ظهورنا
وفى أسرها وهوانها تتقلَّبُ
أفخرٌ.. وحد السيف ليس مخضَّباً
بدم العَدوِّ.. دمُ العدوِّ مجنَّبُ
أمجدٌ.. ومجدُ الأمس يهدمُهُ العِدا
ونحن على أطلاله نتشبَّبُ
لقد كان سيفَ الله سيفُ جدودِنا
أمَّا فسيفُ اليوم للبغى يُنسَبُ

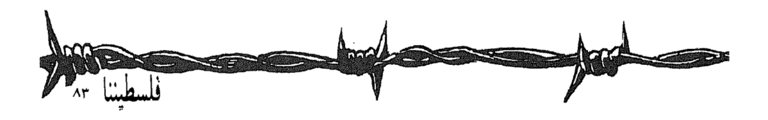


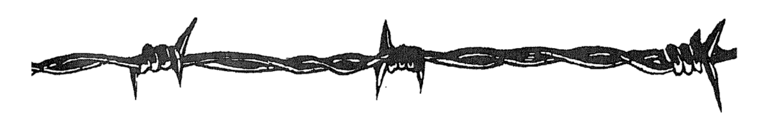




ينـام على الجـدران نومـة هاجـع
وُيستـلُّ ضد الحق لحظَـةَ يغضَبُ
بكـلِّ اللغـاتِ عليه نقشٌ وزخرفٌ
ولـكـنَّ إسـمَ الله عنـهُ مُغيَّـبُ
يُقـامُ له التكـريمُ وهـو بغمـدِه
ومـن حولـهِ أرضٌ تئـنُّ وتنـدبُ
وتأتيـه صرختُهـا فيعـرضُ ساخـراً
كأن السيـوفَ لغـير ذلـك تُطْلَبُ

وفيٌّ لِمَنْ صنـعـوه للشـرقِ تارة
وللغـرب أخـرى دائـماً يتحـزَّبُ
فسـيـفٌ كهـذا مشـركٌ بإلهـه
ولـيس لَهُ إلا الـصليـلُ المهـذَّبُ
متـى يسـتجيبُ لأنـةٍ أو صرخـةٍ
وفـوق الـرقـاب لذبحهـا يتأهَّبُ
لقـد كان سيفُ الله سيفـاً يمانيـاً
يحاربُ شركَ المشـركـينَ ويضـربُ
ومـا كان يومـاً سيفُ لينين سيفنـا
ولا سيـفُ ريغـان يشـاء فنكتُبُ
ألفْنـا حيـاة العـزِّ فى يوم عِزِّنـا
فما بالُنـا نحنى الـرِّقَـابَ ونُغَلبُ
هُوَ الـسَّـيفُ لو لله كان مجاهـداً
لما فى عَريـن الـليثِ حَلَّ الـثعلبُ





فى الطريق



أنا ممن يؤمنـون بالوطن بعد ايمانهم بربهم فمن لم يشكر للأرض التى أقلتــه وكفلت له ولأسـلافـه من قبـل ثم لأخلافه من بعد منبتا ومرادا ومآلا يكون جاحداً ناكراً . .

لقد كانت الرغبة فى العودة الى الوطن ورؤيته بعد فراق طويل وسنوات عديدة حلما يراودنى الى أن شاءت الأقدار أن أزور هذا الوطن بعد غياب دام سبعة عشر عاما . .

إن فلسطين اسم عزيز على كل فلسطينى بل كل عربى واستعادتها وطرد الصهاينة منها . . أمل سوف يتحقق بإذن الله .

لقـد زرت القـاهرة ومن هناك ركبت السيارة إلى الوطن وسرحت بخاطرى عبر الآفاق الى ربوع بلادى . . كيف سيكون الحال هناك؟ هل تغير الناس؟ هل تغيرت المعالم؟ .

لقد خرجت من هذا الوطن قبل سبعة عشر عاما على أمل العـودة اليـه بعـد أيام أو شهور وامتدت الأيام والشهور لتصبح سنوات . . خرجت فتاة صغيرة مقبلة على الحياة وها أنذا أعود اليها شابة فى مقتبل العمر خطّت سنوات البعد والغربة على قسمات وجهى خطوطا لا تمحى .

واجتزنا قناة السويس وأصبحنا على الجانب الآخر من القناة . . هذه صحراء سيناء تمتد بامتداد البصر كما يمتد تاريخها عبر القرون حافلا بأضخم الحوادث وأقدس الذكريات .

ووقفت بنا السيارة بعد أربع ساعات تقريبا فى العريش والعريش تقع على البحر الأبيض المتوسط وساحلها اجمل ساحل رأته عينى .

●● والعريش مدينة صغيرة آخذة فى الاتساع والعمران اول ما يلفت الانتباه فيها طيبة سكانها وبساطتهم .

●● ومن العريش اتجهنا الى غزة وفى الطريق الى غزة يمر المسافر برفح المصرية وقد أقيم فيها بعد انسحاب اليهود من سيناء معسكر للفلسطينيين يدعى (معسكر كندا) إنه صورة صادقة للفقر الذى جعل هذه المنطقة مسكنا له ومقاما .

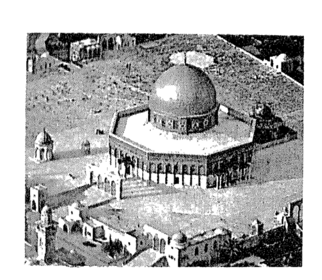
●● ووصلنا الى أول نقطة تفتيش عند الحدود بين مصر وفلسطين «انتم قادمون من الخارج»؟ هذه العبارة تعنى أنك لا تمتهن التجارة بين مصر وفلسطين وبالتالى فأنت لا تحمل اشياء تستحق الجمارك عند العرب المصريين فى هذه النقطـة . وينتقـل المسـافر بعد اجراءات الجوازات ودفع رسوم رمزية الى سيارة نقل تقله حوالى خمسين مترا ليصل الى الجانب الآخر هناك إلى أرض الوطن . . وننزل من السيارة لتبدأ رحلة الذل من العدو بالتفتيش الأولى وأخذ الجواز وتصريح المرور إلى أرض الوطن الذى يحصل عليه المسافر الى هناك مسبقا .

ثم جلسنا ننتظر دورنا فى مكان أعد لهذا الغرض تحرس الناس فيه فتاة تحمل بندقية مسلطة الى أصحاب الأرض .

ولـو ألقيت نظـرة فيـها حولـك ستجـد الشبـاب . . الرجال . . النساء . . الاطفال . . الجميع ينتظرون السماح لهم بالدخول الى وطنهم ونظرات الأسى والعزم والتصميم على العودة تشع من العيون . . الأسى لهذا الموقف الذى لا يحسدون عليه . . والعزم والتصميم على طرد هذا العدو الغادر واستعادة الأرض .



ق الى الوطن



ثم يبدأ التفتيش الثانى وتفتش الحقائب بالقطعة ثم تعاد الى مكانها . . ممنوع أن تأخذ معك أى جهاز كهربائى واذا غامرت وأخذت فيؤخذ منك عنوة ولا تستطيع أن تنطق بكلمة .

إنها نقطة للاهانة والذل وليست للتفتيش وتنتهى الاجراءات بعد اكثر من خمس ساعات . . ثم استقلينا السيارة من الطرف الآخر لتقلنا الى خان يونس وفى الطريق أول ما يقابل المسافر قرية رفح فلسطين . . الناس فى سرابيلهم . . البيوت تغير طرازها قليلا . . الأطفال أضمرهم الجوع وأعجزهم المرض وأذلهم الفقر والبؤس والحرمان .

وأخيرا هذه «خان يونس» المعالم لم تتغير كثيرا بعد مرور هذه السنوات الطوال . .

لقد كانت المفاجأة عندما وقفت امام الأهل بعد غياب طويل . . لقد تغير شكل الجميع . . الشاب أصبح كهلا والكهل عجوزا والصغير شابا . . ما هذا؟

●● المنازل لم تتغير كثيرا . . النفوس الطيبة مازالت كما هى . . هنا . ـ وفى هذه المدرسة تلقيت التعليم طفلة . . اذكر أنه كان مكتوبا على باب ادارتها بيت الشعر:

لن ينام الثأر فى صدرى
وان طال مداه

أين آثاره اليوم لقد مسحها العدو محاولا أن ينسى الناس الثأر . . ولكن التصميم والعزم فى العيون . . وأجمل ما يشد الانتباه هناك الأفراح والأغانى للوطن وللثورة ولأبى عمار دون خوف من العدو الجاثم على الصدور.

بعد استراحة يومين توجهت لزيارة الوطن الأم . . فى الطريق الى القدس ذهلت من رؤية الأرض . . انها جنة الله على أرضه ووصلنا القدس ـ هذا المسجد الأقصى إن كل ما يقال قليل فى هذه الأرض وهذا الوطن .

إنه الوطن ولا اسم أعز على من اسمه .
وإن غدا لناظره قريب .



تحدثت فى الحلقات السابقة عن إحساس الشعراء بدورهم الطليعى فى المعركة وتناديهم للكشف عن الخطط المرسومة للاستيلاء على الوطن. واستجاب الشعراء جميعهم. وسخروا طاقاتهم الفنية لخدمة أمتهم ـ فكان الشعر الفلسطينى قدوة الالتزام بقضايا الوطن وعرفنا كيف أن الشاعر العبوشى كشف عن الخطة اليهودية فى مسرحية (وطن الشهيد).

وأتابع فى هذه الحلقة الحديث عن موقف الشعراء من المراحل التالية التى تبعت وضع الخطة وهى مراحل التنفيذ والتأسيس.

من المعروف أن الفتح العربى الاسلامى كان يقيم بنيانه على الايمان بالله وتفتيح القلوب على المعرفة فإذا استقروا فى مكان يحرصون أول ما يحرصون عليه إقامة المسجد الذى كان مركزاً للعبادة والتعليم. وقد أخذ الاستعمار الأوروبى هذه السنة من تاريخنا وطبقها فى البلاد التى غزاها.. فكانت المدارس التبشيرية التى تبث الفكر الأوربى تسبق الغزو العسكرى وترافقه لأن الحرب الفكرية تصنع مالا تصنعه الحرب العسكرية وبخاصة فى البلاد ذات الجذور الحضارية العميقة والقوية مثل البلاد العربية واليهود يعرفون ما للفكر العربى الاسلامى من تأثير عميق على نفوس العرب فأرادوا أن تكون أول مراحل الصراع بين الأفكار والحضارات ولذلك كان انشاء الجامعة العبرية من أهم الأعمال التى بدأت بها الحركة الصهيونية فى فلسطين ففى تاريخ ١٩١٨/٤/٢٧م وقبل مرور ستة أشهر على احتلال الانجليز مدينة القدس وقبل أن يتم احتلال سائر فلسطين حملت الحركة الصهيونية الحكومة البريطانية العسكرية على أن تحتفل بوضع الحجر الأساسى لمبنى الجامعة العبرية.. على جبل الطور فى الجانب الشرقى من القدس.. وقد وضع حجر الأساس الصهيونى البريطانى وايزمان الذى أصبح فيما بعْد أول رئيس لدولة اسرائيل وقد غرر ببعض المشايخ والمطارنة فشاركوا فى وضع حجر الأساس فتألم الشاعر وديع البستانى لهذا العمل المخزى وسجل ذلك شعراً بقوله:

إفتنى بالله بالكعبة
بالحجر الأسود بالركن الأغرّ



العربية الفلسطينية

فايز فكري



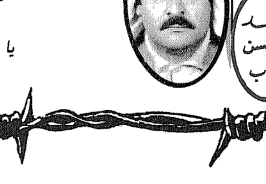
ـعر الفلسطيني

الحلقة الثانية

إن عَلَتْ فى عزِّها شامخةً
فوق رأس الطور تلهو بالعبرْ
وغدت جامعة عبرية
ونهى الحاخام فيها وأمرْ
أيقول الشيخ والقس اتئد
إن للمطران والمفتى حجرْ

● وقد تم افتتاح الجامعة العبرية سنة ١٩٢٥م وحضر بلفور وزير خارجية بريطانيا لتدشينها وحضر الاستاذ أحمد لطفى السيد مندوباً عن الحكومة المصرية وكان مديراً للجامعة المصرية حينئذ.. وفى هذه المناسبة هاجم الشاعر الفلسطينى اسكندر الخورى البيتجالى جامعة اليهود العبرية ـ ومن شارك فى الاحتفال بافتتاحها من الانجليز والعرب. أما الجامعة فليست غايتها رفع منار العلم بل هى وسيلة سياسية لخدمة الاستعمار والصهيونية وأما المحتفلون فصنفان: احدهما الاستعمار والصهيونية وقد تمثلا مجتمعين فى «لورد» بلفور صاحب الوعد وهذا لالوم عليه لأنه يمثل الأعداء. وأما الصنف الثانى من المحتفلين أعوان الاستعمار وأذنابه من العرب وهؤلاء قد مثلهم الاستاذ احمد لطفى السيد، واليه والى حكومة مصر وجه الشاعر سهام لومه فسلخها عن الشعب المصرى الشقيق الذى لم يرض عن المشاركة فى هذا الاحتفال لأن المشاركة تعنى تأييد مطامع الاستعمار والصهيونية وتوحى بتخاذل العرب وانفكاك وحدتهم أمام العدو.. ولذلك يقول الشاعر اسكندر البيتجالى:

ما تلك جامعةُ العلو
م بل المطامعَ جامعة
إنَّ السياسةَ أوجدتْـ
ـتها والسياسةُ خادعة
من «لندن» هرولتَ تُضْـ
م نار هذى الواقعة
يا لوردُ ما لومى عليـ
ـك فأنتَ أصلُ الفاجعة:



محمد محمد حسن شراب

لومــى علـى مصــر تمدّ
لنــا أكـفــاً صافـعــة
يا «سـيــد» قد جئـتــنـا
وقـلـوب قومـك هالــعــة
وشــهــدتَ جامــعــة المطــامــع
لا الــعـلوم الـنـافـعــة
نشـكــو لكــم منـكــم بنــى
مصــر ظروفَ الـواقـعــة
أوهمتــم الأعــداء أنّــا
أمـــة متـقــاطـعــة
لا تشــتــمــوا أممـا غدت
فيـنــا وفـيـكــم طامــعــة

●● والشاعر صاحب القصيدة اسكندر البيتجالى - شاعر فلسطينى ولد فى قرية بيت جالا بجوار مدينة بيت لحم جنـوبى القـدس سنة ١٨٩٠م وتعلم فى مدارسها. . تلقى العربية وآدابها على يد الشيخ عبد الله البستـانى فى بيروت ودرس فى معهـد الحقـوق الفلسطينى وتقلب فى المناصب القضائية بفلسطين حتى أحيل على التقاعد سنة ١٩٤٥م وبدأ يقول الشعر مبكراً وطبع له أول ديوان سنة ١٩١٩م واسمه «العنقـود» وبقى يقول الشعر حتى آخر حياته سنة ١٩٧٣ حيث وافاه الأجل فى بلده بيت جالا.

وهــو شاعـر مطيـل ومكثـر يجنح الى السـرد القصصى ويعـبر بأسلوب سهـل يقرب من العامية الـدارجة وقد أعانته ثقافته الواسعة وتجاربه الزاخرة ومعرفته بأكثر اللغات الحية على طول النفس واتساع الأفق وتنوع الانتاج.

وقد امتد النشاط العمرانى الصهيونى فى فلسطين الى جميع مرافق الحياة فى طول البلاد وعرضها فلفت هذا أنظار الشعراء الفلسطينيين وعرفوا أبعاده فنبهوا الشعب العـربى الفلسطينى الى الأخطـار الزاحفة عليه ودعوه الى اليقظة والى نبذ الفوضى والاهتمام بدفـع الخطر المحدق: فقال الشاعر ابراهيم طوقان «مضت ترجمته فى عدد سابق من «فلسطيننا» وقد توفى سنة ١٩٤١م».

اذهبـوا فى البـلاد طولاً وعـرضـا
وانظــروا ما لخصمكم من جهـود
والمســوا باليــدين صرحــا منيعـاً
شاد أركــانــه بعــزم وطـيــد
شاده فوق مجدكــم وبـنــاه
مُشْمَخــراً على رُفــات الجــدود
كل هذا اســتــفــاده بين فوضــى
وشــقــاق وذلــة وهــجــود

●● وعندما يزور الشاعر برهان الدين العبوشى بلدة «بيسـان» فى غور نهر الأردن الشمالى يصيبه الذعر حيث سدت طريقـه اليهـا المستعمـرات اليهـودية المنتشرة حولها فيقول: منبها المواطنين الى هذا الخطر الداهم:

بيســانُ قد سدت طريقـك دوننـا
مستـعـمــراتُ الخُبثِ والبُهتــان
حجبتك عن عين المحب وطوقتْ
أرجــاءك الـغـنّــاء بالأكـفــان
«السيبة» الخضراء أضحت مسرحاً
لكــلابهــم يا ذلــة الـفـرسـان
يا ساكـنـى بيســانَ من بدو ومن
حضــر ومـن شيـب ومـن شُبــان
أضـحتْ مدينتكم يهددهــا الفنــا
ومـصــيركـم فيهــا الى خســران
فاستيقظــوا قبـل الفنــاء فما لكم
والله غير دقــائــقٍ وثــوانِ

●● والسيبة الخضراء التى ذكرها الشاعر قطعة ارض خضراء كانت مراحاً لخيل خالد بن الوليد عند الفتح الاسلامى.

وكان امتلاك الأرض أول ما تسعى اليه الصهيونية لقيام العمران عليها وقد وضعت الصهيونية خطة لشراء الأرض منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى فجعلت تجمع الأموال وتشترى الأراضى وتقيم عليها المستعمرات وكان اغراؤها بالمال يتجه أولا الى كبار الاقطاعيين الذين كانوا يملكون مساحات واسعة فى فلسطين ومن أربح الصفقات التى فازت بها الصهيونية شراؤها «مرج ابن عامر» من آل سرسق الصيارفة اللبنانيين بثمن بخس سنة ١٩٢٢م وهو أخصب سهول فلسطين على الاطلاق ومن أكثرها غنى بالأمجاد التاريخية والدينية.. وهذا ما هزَّ مشاعر برهان الدين العبوشى وروَّعه حين رأى المستعمرات اليهودية تملأ ذلك السهل المحيط بالناصرة بلد المسيح عليه السلام فقال متألما:

لهفى على بلد المسيح وحسرة
فلقد أحاط بها أذى وبلاء
انظر الى المرج الفسيح فكلُّه
مستعمراتٌ أهلها دُخلاء
لم تبق للعربىّ فيه بقيةٌ
إلا الشعابُ وبقعةٌ جرداء
بيع المسيحُ وبيع قدسُ محمد
بالمالِ وهو الحيَّة الرقطاء

●● وقد حقق اليهود فى سنوات قليلة ما لم يكونوا يحلمون بتحقيقه ونجحت خطتهم بأسرع مما كانوا يتوقعون حيث استطاعوا أن يخلقوا ظروفاً تساعدهم فى ذلك وبخاصة فى أواخر الدولة التركية عندما ظهرت جماعة الاتحاد والترقى ذات الاتجاه اليهودى وأثرت على الأحداث فى ظل الدولة التركية: فقد ضعفت المالية التركية فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وصارت الحكومة بحاجة الى الأموال.

وقد رفض السلاطين رشوة اليهود للسماح لهم بالهجرة وشراء الأراضى، ولكن الحكومة اتجهت الى طرق أخرى للحصول على المال فأخذت تبيع الأراضى التى ليس لساكنيها حجة «طابو» فى امتلاكها ومن ذلك حين قامت ببيع أراضى «مرج ابن عامر» سنة ١٨٦٩م وما عليها من قرى لبعض التجار والاقطاعيين اللبنانيين وقام هؤلاء بدورهم ببيعها لليهود فيها بعد ومن أشهر القرى فى هذا المرج «**قرية (العفولة)** التى كان أهلها يزرعون أرضها منذ مئات السنين دون أن تسجل لهم حقوق الملكية فقام اليهود بعد شراء المرج سنة ١٩٢٥م بطرد السكان من قريتهم وأنشأوا عليها مستعمرة يهودية.. ولا شك أن هذا يشيع الفرحة فى نفوس اليهود وقد عبر الشاعر برهان الدين العبوشى عن مشاعر اليهود على ألسنتهم فى مسرحيته «**وطن الشهيد**» فقال:

قد وطئنا أرضَهم فى غفلةٍ
وغدا أعداؤنا عنا نيام
هذه «العفّولة» الأرض التى
مرّ فيها فتحنهم من ألف عام
قد هدمنا دورها فى ليلة
وحرثنا القبرَ فيها والعظام
وملكنا كلَّ خصب ممرع
ودَحَرْناهم الى قفر رِغَام
إنما الدنيا فلسطين التى
شعّ منها النور وانجابَ الظلام
سوف نجلى أهلَها عنها إلى
بيدهم قسراً ونسقيهم حمام

وكانت الهجرة شغل اليهود الشاغل منذ اتجهت أنظارهم الى فلسطين أو منذ فكرت بريطانيا ايجاد جسم غريب فى فلسطين ليقسم العرب الى «عربين» ولذلك كانت الهجرة محل اهتمامات مفكرى الاستعمار والصهيونية ونشطت حكومة الانتداب الانجليزية والمنظمات الصهيونية فى تهيئة الوسائل وتخطيط البرامج لتسهيل الهجرة وضمان تدفقها الى فلسطين فارتفع العدد فيها من خمسة وخمسين ألفاً فى بدء الاحتلال البريطانى الى نحو عشرة أضعاف هذا العدد سنة ١٩٤٧م وكانت الهجرة على حساب أقوات العرب وأرزاقهم حيث كانت الأراضى تؤخذ من العرب فيحل اليهود محلهم مستثمرين ومستوطنين وكانت أسعار السلع ترتفع لكثرة الطلب نتيجة لازدياد السكان. . وقد أدرك الشاعر ابراهيم الدباغ أبعاد هذه المشكلة التى نتجت عن الهجرة فخاطب الشعب قائلا:

يجنون من ثمرات أرضك غرس ما
فرضَتْه أحكامُ الأثيم على البرىء
سدوا الثغور بهجرة دفاقة
رعناء مقبلة ليوم مدبر
يجدون من كوخ الفقير وقوته
رزقاً يضيق عليه مخرج «فلتر»
ويشيّدون عليه ملكاً قائماً
غَصْباً على كهل الزمان المقتر
فى كل شبر من فلاة مدينة
جُنْد وأعوانٌ وقائد عسكرِ
وبكل منبت حَبّة من ربوة
ذئبٌ لغير الفتك لم يتنمّر

●● والشاعر ابراهيم الدباغ. . من مواليد مدينة يافا نشأ وشدا فيها حتى التقى بالأديب الثائر خطيب الثورة العرابية الشيخ عبد الله النديم سنة ١٨٩٢م حيث كان الشيخ منفيا فى فلسطين فوجهه الشيخ الى الأزهر لطلب العلم فيه فهاجر ابراهيم الدباغ الى مصر ونبغ هناك فى الشعر والأدب ولمع نجمه بين كبار الشعراء المصريين وغيرهم. . وطبع له فى مصر ديوان الطليعة سنة ١٩٢٥م وديوان الطليعة الثانى سنة ١٩٣٧م وقد بقى مقيما فى مصر منذ خروجه من وطنه الأول يافا الى أن وافته المنية سنة ١٩٤٦م بعد أن كُفَّ بصره وعانى من الفقر والمرض. . وهو شاعر فلسطينى قوىّ يبارى شعراء العالم العربى الأعلام فى عصره كمعروف الرصافى واحمد شوقى وله فى أحداث فلسطين الوطنية خلال فترة الانتداب ـ شعر وطنى ثورى جيد يتدفق بالعاطفة الوطنية الجياشة. . واسلوبه الشعرى يمتاز بالفخامة والجزالة وعذوبة النغم الغنائى.

●● نعم. . لقد كانت الهجرة اليهودية أخطر عملية تهدد وجود الشعب الفلسطينى فى وطنه وقد تعاون فيها اليهود والانجليز معاً حيث نصت المادة السادسة من صك الانتداب على تسهيل هجرة اليهود فى موجات محددة ومنتظمة ولكن اليهود كانوا يستعجلون الأمر واختصار الزمن لأنهم لم يجدوا ما كانوا يتوقعونه من العقبات وقد عبر ابراهيم طوقان عن ذعر الناس من هذه الهجرة بطرق شتى فقال:

يهاجرُ ألفٌ ثم ألف مهرباً
ويدخلُ ألفٌ سائحاً غير آيب
وألفٌ جواز ثم ألفٌ وسيلة
لتسهيل ما يَلقونه من مصاعب
وفى الهجر آلافٌ كأنَّ عبابه
وأمواجه مشحونةٌ بالمراكب
بنى وطنى هل يقظةٌ بعد رقدة
وهل من شعاعٍ بين تلك الغياهب

●● وهـذا الشاعر الفلسطيني محمد العدناني يردد أحاسيس شعبه نحو هذه الهجرة ويراها كهجرة الجراد الـذى يأتى الـزرع والضرع بل هى طاعون يهلك العباد والبلاد وهى هجرة قوم يستبيحون الخراب والدمار ينزلونه فى البلاد التى يحلون فيها:

يا وفـودَ الـسـوء يا رُسـل الأذى
وتجـاراً لشَجى يُصمِى الفؤادا
أأنـاسـى نزلـتـم أرضـنـا
أم نزلـتـم بفـلسطـين جرادا
يا عبـيـد المـال والـشـرّ أرى
عهـدَ نيرون بكـم فى الأرض عاد
أشـعـلتْ ناركـم حقـد الـورى
ونسـجـتـم لفـلسطـينَ الحـدادا

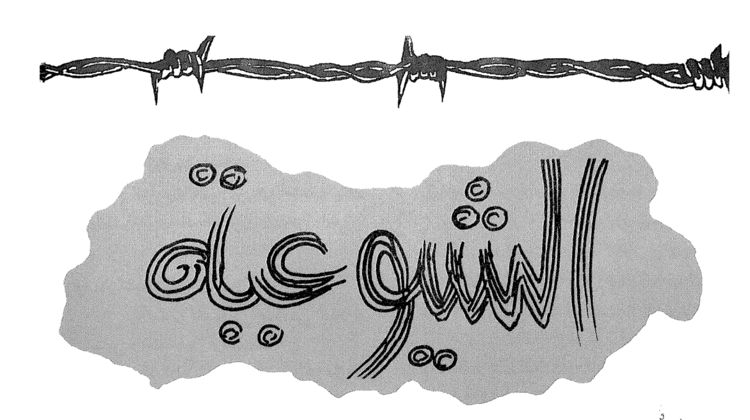
●● ويشـير الشـاعر فى الأبيات الى جريمة اليهود البشعة حين نسفوا مبانى دار الحكومة فى القدس على من فيها من الناس وكان أكثرهم عرباً مواطنين وذلك سنة ١٩٤٦م ومحمد العدنانى: شاعر وأديب ولد فى مدنيـة «جنين» وكان والده (**فريد خورشيد**) حاكم هذه المدينـة فى العهـد العثمانى. ولد الشاعر سنة ١٩٠٣م ودرس فى جنـين وطـو لكـرم وغزة والتحق بجـامعـة بيروت الأمـيركية فدرس الطب مدة أربع سنوات عملاً بوصية والده ثم تحول الى كلية الآداب فحصل على الاجازة سنة ١٩٢٧م وكان تحوله تلبية لرغبة أمير الشعراء أحمد شوقى إثر استماعه لقصيدة العـدنـانى فى معارضة قصيدة ابن زريق البغدادى التى مطلعها:

لا تعـذلـيـه فإن العـذل يولعُـه
قد قلتِ حقـاً ولكن ليس يسمعـه

●● ثم عمل فى بغداد مدرسا واعتقل مرتين بسبب تحريضه على مقاومة الانتداب البريطانى ثم عاد الى فلسطـين ودرس الأدب فى نابلس والقدس واعتقل ثلاث مرات أثنـاء عمله فى القـدس فنفته سلطات الانتداب الى يافا وفرضت عليه الاقامة الجبرية وفى سنة ١٩٤٨م هاجر الى شرقى الأردن ثم الى سورية ومارس التدريس فى جامعتى دمشق وحلب ثم انتقل الى صيـدا فى لبنـان وتوفى رحمه الله فى بيروت سنة ١٩٨١م.. وكـان قد غير لقبه من «خورشيد» الى «العـدنـانى» عنـدمـا اكتشف أن «خورشيد» كلمة فارسية.. له مجموعة من الدواوين وهو باحث لغوى.

●● وهكـذا وقف الشعراء جميعهم متنبهين يقظين يخبرون عن الحـوادث المتوقعـة ويصفـون ما وقـع ويستنطقون الأحداث الجارية التى يبدو فى ظاهرها الصـلاح وهى 'تبطن الأذى والشر مما جعل الطريق أمـام الأمـة واضحة المعالم مكشوفة المدى البعيد لا يحجب الـرؤيـة ضباب أو رغام: وعرف القوم الحية الرقطاء التى لدغتهم أول مرة «والمؤمن لا يلدغ من جحـر مرتـين» ونبـه الشعراء فى صدور الناس أهم خصائصهم: فهم عرب أعزاء زادهم الاسلام عزة وإباء يأبون الذل ويذودون عن حياض كرامتهم لأنه لا يسكت على الضيم «إلا الأذلان عير الحى والوتد» ومن مأثور كلام الامام على رضى الله عنه «لا يأبى الكرامة الاحمار»..

■ فلننظر فى حلقة قادمة ماذا كان من أمر الشعر مع أهل «فلسطيننا».



نواصل متابعة الحديث للكشف عن الايدى اليهودية فى تكوين الاحزاب الشيوعية وذلك فى البلدان العربية بصورة خاصة فاننا عندما نمعن النظر نجد ان هذه الاحزاب التى عندما تكونت فى العالم العربى انها ولدت فى حضانة يهودية فقد قام بتأسيسها يهود حرصوا على رعايتها والاشراف عليها وسوف يتم استعراض صور سريعة للتكوينات الحزبية الشيوعية فى الاقطار العربية وفق الأسس التالية:

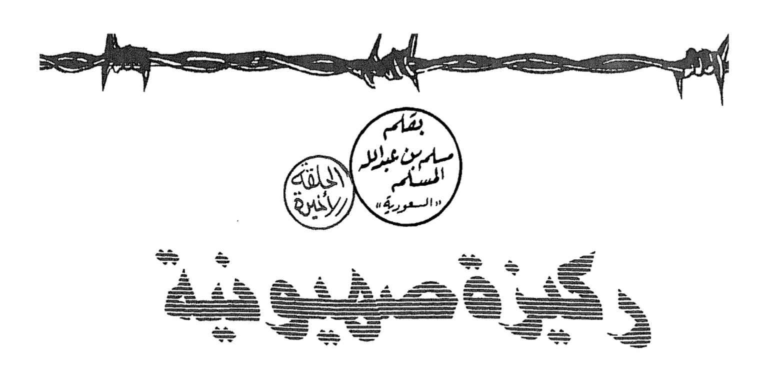
مصر: بدأ التنظيم الشيوعى فى الاسكندرية على يد شخص يهودى الديانة روسى الجنسية اسمه: «جوزيف روز ينبرغ وابنته شارلوت.

وفى القاهرة تأسس الحزب الشيوعى من الاسماء الآتية:

سلامه موسى الكاتب المعروف.. وحسنى العربى وروزنتال وانطون مارون الى جانب بعض اليهود امثال افيحدور وناداب وآخرين ولكنه ظل ضعيف الاثر محدود العدد رغم اعتراف الكومنترن بهذا الحزب الشيوعى المصرى فى مؤتمره الثالث عام ١٩٢٠م.

وفى بداية الاربعينات نشأ فى مصر عدد من المؤسسات الشيوعية فقد اسس هنرى كوريل: الحركة المصرية للتحرر الوطنى عام ١٩٤٢م وامتد نفوذها الى الطلاب السودانيين الذين اسسوا بدورهم منظمة شيوعية باسم «**الحركة السودانية للتحرير الوطنى**».. وفى عام ١٩٤٤ اقام هيلل فارتس منظمة الايسكرا (الشرارة) كما قام مرسيل اسرائيل بتأسيس منظمة اطلق عليها مسمى: «**تحرير الشعب**».

وكان لهذه المنظمات التى انشئت تحت توجيه يهودى وفى ظل مسميات قومية اتجاه بارز للتجاوب مع امانى اليهود فى تحقيق وطن قومى لهم فقد دعا بعض قادة (حدتو) وهى منظمة يطلق عليها اسم «**الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى**» الى تأييد اسرائيل لانها فى رأى قادة هذه المنظمة تمثل مرحلة من الرقى الاجتماعى فى المرحلة الرأسمالية البورجوازية بينما الدول العربية ـ فى نظرهم ـ تمثل المرحلة الاقطاعية وكانت هذه المنظمة التى اشتهرت باسم (حدتو) تدعو فى صفاقه ودون حياء الى الاخاء العربى اليهودى.



وقد ضبطت فى مصر وثائق وتقارير ومكاتبات تؤكد ان النشاط الشيوعى فى مصر يدار من الخارج كما كشفت السلطات الايطالية فى ميلانو فى اواخر عام ١٩٥٠ خلية شيوعية مكونة من بعض الاسرائليين الذين كانوا يقيمون فى مصر ثم غادروها الى ايطاليا وثبت من الاوراق التى تم العثور عليها انهم كانوا يديرون منظمات شيوعية فى مصر وانهم على صلة تامة بالنشاطات الشيوعية فى بعض دول اوربا وقد اعترف احد الذين القى عليهم القبض فى احدى القضايا الشيوعية بمصر انه ظل قرابة ستة شهور متنقلا بين كل من فرنسا وايطاليا والنمسا على نفقة المؤسسات الشيوعية وبتوصية خاصة من الاسرائيلى هنرى كوريل.

السودان: كما تقدم فى الحديث عن دخول الشيوعية الى مصر ان مجموعة من الطلاب السودانيين الذين كانوا يدرسون بها اذ ذاك تأثروا بهذه الدعوة وانجرفوا وراءها خلف شعار براق هو تحرير الوطن من المستعمر ففى سنة ١٩٤٤م تشكلت اول نواة للحزب الشيوعى السودانى وكان الانطلاق الاول لهذا التشكيل الاساسى ما اطلق عليه تسمية «**الحركة السودانية للتحرر الوطنى**» وهو التشكيل الذى تم على ايدى الطلاب السودانيين فى القاهرة ثم انتقل هذا التشكيل بطبيعة الحال الى السودان. . واليهود هم الذين وراء غرس الشيوعية تحت مسميات مختلفة ولذلك يلجأون لاصطياد انصارهم من المراهقين والمتحمسين والطبقات الفقيرة بحيث يستثمرون سخطهم وذلك باقامة تنظيم ينمى هذا السخط ويعمل على توسعة شقة الخلاف بين المواطنين وبالتالى يتم توظيف النشاط الشيوعى للمصالح الخارجية التى رسمها اليهود لهذه المبادىء الطارئة على البلدان العربية والاسلامية وهم يرفعون راية مغرية امام انظار الشباب تغريهم بالانضمام الى هذه التكتلات الشيوعية ومن هذا الجانب جاء التشكيل الشيوعى فى بدايته تحت اسم يحمل الاضواء على هذا المنوال مثل «**الحركة السودانية للتحرر الوطنى**» وعلى هذا الأساس جرى وضع البذور الأولى لتأسيس الحزب الشيوعى السودانى فيما بعد والذى اشتهر بعد ذلك وكانت له ادوار معلومة فى المؤامرات المشبوهة.

سوريا ولبنان: تأسس الحزب الشيوعى كبداية عام ١٩٢٤م وقد قام هذا الحزب فى تأسيسه على يد يوسف يزبك وفؤاد شمالى وبعض اليهود الوافدين من فلسطين الذين كلفوا بالعمل على نشر فكرة الشيوعية وتوسيع نطاقها فى هذه المنطقة ووضع خطة لانطلاق الافكار الماركسية من خلال التكوينات الحزبية والخلايا التنظيمية فى الوطن العربى.

وفى عام ١٩٢٥م اعيد تنظيم الحزب الشيوعى فى لبنان وتولى سكرتاريته جاكوب تيبر وهو يهودى من اصل روسى يقيم فى فلسطين.

وفى عام ١٩٢٦ جرى اعتقال اعضاء اللجنة المركزية لهذا الحزب وأبعد سكرتيره العام جاكوب الى تل ابيب.

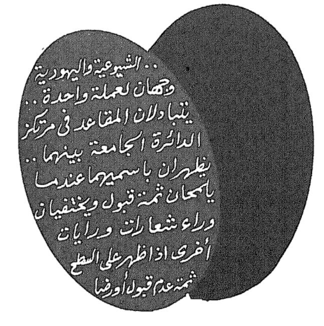
وفى عام ١٩٢٨ تم اطلاق سراح المعتقلين من الحزب الشيوعى فى بيروت فانتقل نشاط الحزب المذكور الى دمشق وانضم اليه احمد ظاظه ورشاد عيسى وفوزى الزعيم وخالد قرطوش الذى اشتهر فيما بعد باسم خالد بكداش وارتبط الحزب باسمه حتى الآن.

وفى عام ١٩٣٢م عندما بلغ خالد بكداش مركز الصدارة فى الحزب حاول اثبات زعامته وتدعيم موقفه حزبيا فرشح جاكوب تيبر اليهودى المبعد سابقا وانضم معه الى الحزب رفاق جدد هم: نقولا شاوى وفرج الله الحلو. ورفيق رضا.. وعندما خرج الاخير رفيق رضا على الحزب كتب رسالة مفتوحة موجهة الى زملائه الشيوعيين من قادة الحزب يفضح فى هذه الرسالة أهداف الحزب ومخططاته قائلا ما نصه:

«فى عام ١٩٣٢م وفد الى بيروت عدة مندوبين شيوعيين يهود حملوا مبالغ وافرة من المال الى قيادة الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان اذكر منهم «اميل.. واوسكا.. ومولر وقد ابدلت لهم شخصيا قسما من الاموال التى حملوها بالعملة المحلية آنذاك وفى عام ١٩٣٨ حملت الى الحزب مبلغ خمسة وعشرين الف فرنك كان الحزب الشيوعى الفرنسى قد قرر آنذاك وضعها تحت تصرف الحزب الشيوعى السورى اللبنانى لتوسيع حملته من اجل اقرار المعاهدة الفرنسية السورية البغيضة ومحاربة الاتجاه الوطنى فى ذلك التاريخ. هذا مع العلم ان خالد بكداش قد نقل بنفسه مبلغا آخر حين كان فى باريس واشترك فى مؤتمر «ارل» الشيوعى الفرنسى».

وشهد شاهد من اهلها فهذه شهادة ليست من خارج الحزب ولا من مخالفيه وانما هى شهادة احد الرفاق فى القيادة الحزبية وهو يصف بعض موارد الحزب المالية والحقائق مهما حاول اخفاءها الرفاق لابد ان يكشفها الزمن.

فلسطين والاردن: منذ العهد المبكر للثورة البلشفية فى روسيا اصدر الزعيم الشيوعى (لينين) قرارا يتضمن الاتى:



١ ـ اعتبار العداء لليهود (السامية) جريمة قانونية.
٢ ـ تأييد اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين.

ومن هذا المنطلق اهتم شيوعيو روسيا بوضع تنظيم شيوعى فى فلسطين يحقق الاهداف التى صدر بها قرار لينين فكان الحزب الشيوعى الفلسطينى الذى تأسس عام ١٩١٩م هو اول حزب فى المنطقة. ولأهمية الدور الذى سيؤديه هذا الحزب لخدمة الاهداف الصهيونية فقد اوفدت موسكو قطبين يهوديين من اعضاء الحزب الشيوعى الروسى هما: شابيليف ورادول كان بورغ لوضع اسس هذا الحزب وتدعيمه وكانت عضوية الحزب الشيوعى الفلسطينى فى البداية محصورة فى اليهود ومقصورة عليهم ثم عملت اليهودية على توسعة نطاقه حتى تتسع خدماته من خلال خارج اليهود فانضم الى الحزب افراد من الفلسطينيين العرب وكانوا فى البداية موضع شك من الكثرة اليهودية فى الحزب.

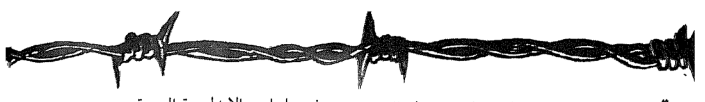
وفى عام ١٩٣٧م تأسست اول حركة علنية للحزب الشيوعى الفلسطينى خلف ستار مسميات نقابية حيث انشىء فى حيفا نقابة عمال سكرتيرها اميل توما وفى الناصرة نقابة عمال سكرتيرها امل حبيبى وفى يافا نقابة سكرتيرها فؤاد نصار وفى سنة ١٩٣٩م تم انشاء منظمة اطلق عليها مسمى عصبة التحرر الوطنى سكرتيرها اليهودى (بن فسكى).

وفى حرب ١٩٤٨م تحول اعضاء عصبة التحرر الشيوعى الى عصابات مسلحة يفتكون بالشعب الفلسطينى فانسحب بعض الشبان العرب المغرر بهم للدخول فى هذه العصبة الشيوعية التى تحولت الى عصابة.

وفى اعقاب النكبة صار الحزب الشيوعى الفلسطينى المذكور يشرف على بقية فلسطين غير المحتلة وكان يتولى قيادة هذا الحزب اميل توما وتوفيق طوبى واميل حبيبى والاخيران اصبحا عضوين فى الكنيست الاسرائيلى.. وكان الاتصال بين الشيوعيين فى قسمى فلسطين عن طريق ضابط اسرائيلى وسكرتير صحفى من الشيوعيين يعملان فى لجنة الهدنة وكانت نشرات الحزب الشيوعى تنتهى بعبارة باللغة العبرية: طبعت بمطابع الحزب الشيوعى الفلسطينى.

وفى سنة ١٩٥١م عثرت قوات الامن فى الاردن على مطبعة للشيوعيين وهى مسجلة بارقام وعبارات عبرية.. وفى سنة ١٩٥٢م صدر امر موسكو بفصل الحزب الشيوعى الاردنى عن الحزب الشيوعى الفلسطينى.. وفى سنة ١٩٥٧م جرى حل الحزب الشيوعى الاردنى واعتقال قادته ومما يدل على تعاطف الشيوعيين مع الصهيونية والسعى لخدمتها عبر هذه المبادىء المنحرفة ما القاه فؤاد نصار سكرتير هذا الحزب واحد قيادييه حيث ألقى عدة محاضرات اولها تحت عنوان: (الشيوعية واسرائيل) وعندما هلك فؤاد نصار هذا فى الاردن سنة ١٩٧٧ اقام له الحزب الشيوعى الاسرائيلى (راكاح) حفل تأبين فى الناصرة واستمر تبادل برقيات التعازى بين الحزبين الشيوعيين فى الاردن وفى اسرائيل.

العراق: تكونت الخلايا الشيوعية للحزب الشيوعى العراقى سنة ١٩٣٤م وقد تعرض الحزب لانقسامات فى صفوفه اهمها الانقسام بين جماعة (القاعدة) وجماعة (راية الشغيلة) وتعاقبت على قيادة هذا الحزب الشيوعى فى العراق ست لجان مركزية بعض اعضائها من اليهود ابرزهم صديق يهودا وساسون دلال ويعقوب كوجمان.



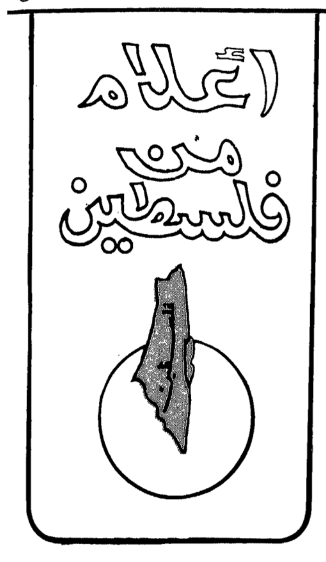
وقد اصدرت منظمات الحزب الشيوعى العراقى بيانات تدعو للاعتراف باسرائيل وتطعن المقاومة العربية وتفسر اتجاه القضية الفلسطينية على النحوالذى يبرىء اليهود من كل تبعة ولا غرابة فى هذا الموقف لأن اليهود هم الذين يوجهون دفة الحزب ويديرون شؤونه ولذلك بلغت الصفاقة بهذا الحزب ان خرجت منه مظاهرات تهتف بحياة الصداقة العربية اليهودية.

وقد كشف الشاعر العراقى المشهور بدر شاكر السياب حقيقة الحزب الشيوعى المذكور بعد ان تخلى عن الانتهاء اليه حيث كان مغررا به فى انضمامه اليه ولكنه عندما صحا ضميره وتكشفت له الحقائق فضحه فى مذكراته.

المغرب: تم تأسيس اول حركة شيوعية ابان الاستعمار الفرنسى على يد مجموعة من اليهود الفرنسيين واعتبروا هذه الحركة جزءا من الحزب الشيوعى الفرنسى وقد تأسس الحزب الشيوعى المغربى عام ١٩٤٨م من اليهود الذين يحملون الجنسية الفرنسية ويستعمرون المغرب الشقيق.

ومن اهم الشيوعيين البارزين فى الحزب الشيوعى المغربى: ابراهيم سرفاتى ومناحيم ريمون واسيدون صهيون.. واسماء اليهود تنبىء عن نفسها فى قائمة المؤسسين لهذا الحزب الشيوعى.. ومما هو ملفت للنظر اشتراك الدكتور عبد الله العروى فى هذا الحزب الشيوعى وهو مفكر مغربى محسوب على هذا المعسكر يحمل الهوية الاسلامية ويحمل معها نزعة يسارية وقد اصدر هذا الكاتب كتابات تفصح عن نزعته الالحادية وكان قد حصل على الدكتوراه من فرنسا تحت اشراف مكسيم رودنسون وهو يهودى شيوعى اما الرسالة التى نال بها العروى الدكتوراة فتحمل اسم الايدلوجية العربية.

وبعد: فهذه حقيقة الاحزاب الشيوعية وواقع المنتمين اليها واسماء المؤسسين لها ونحن نقرأ ونسمع كلاما كثيرا للشيوعيين فيه هجوم ظاهر على اسرائيل وعلى امريكا الامبريالية التى تحتضن اسرائيل وهو كلام مغلف يخفى وراءه حقيقة مطوية هى الاتجاه لخدمة اهداف اسرائيل واذا كانت امريكا تمد اسرائيل بالمال وروسيا تمدها بالرجال فان الاحزاب الشيوعية تلتقى معها فى الاهداف وتدعو للاتفاق معها فى المصير الواحد ولا ننخدع بالشعارات المضللة والعبارات البراقة فالمعول على ما يحدثنا به الواقع



وهذا الواقع يقدم نفسه من خلال الالمامة المحدودة التى قدمناها عن اهم الاحزاب الشيوعية فى البلدان العربية ومن هذه النظرة الكاشفة لأسس الشيوعية يتبين الحق من الباطل والصحيح من المزيف ونعلم ان ما تكتبه الاقلام الشيوعية من تنديد للامبريالية وما تلوكه من عبارات التحرر الوطنى انما ذلك خداع يخفى وراءه جنايتهم الكبرى على الاسلام وعلى أمة العرب.

فاعرفوا ايها الشباب حقيقة الشيوعيين وارجعوا الى الكتب التى تفضح اساليبهم وتعرى واقعهم حتى تروهم على حقيقتهم تحت الاضواء الكاشفة فانهم يكرهون النور ويؤثرون العمل فى الظلام ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور.

المراجع

- *الشيوعية للعقاد*
- *القاموس السياسى ـ احمد عطية*
- *الماركسية فى ميزان الاسلام ـ د. امير عبد العزيز.*
- *الشيوعية منشأ وسلوكا ـ دندل جبر.*
- *تاريخ الاحزاب الشيوعية ـ دار البراء ـ عمان.*
- *التاريخ السرى للعلاقات الشيوعية الصهيونية ـ نهاد الغادرى.*
- *هذه هى الشيوعية فى الوطن العربى ـ عبد الحفيظ محمد.*
- *الاندحار الماركسى فى العالم الاسلامى ـ محمد العربى الناصر.*



ولد «على السرطاوى» فى قرية **(سرطة)** بمحافظة نابلس بفلسطين وفجع وهو صغير بوالده الفقيه المتعبد والمتصوف المتجرد «الشيخ محمد السرطاوى امام (سرطة) وخطيبها فتجرع (على) غصص اليتم ولكن عمه (عبد القادر) تعهده ببره وعطفه.

تلقى (على) تعليمه الاو ى - . القرية وفى عام ١٩٢٢م اختارته مديرية المعارف العامة بفلسطين مع نفر من لداته أبناء قرى لواء نابلس للدراسة فى دار المعلمين الابتدائية بالقدس وبعد نجاحه فى السنة التحضيرية قُبل طالبا فى السنة الأولى الثانوية وفى عام ١٩٢٧م تخرج من دار المعلمين يحمل شهادتها وعين فى ادارة المعارف العامة

وعمـل فى حقـل التعليم بفلسطـين وزاول التدريس فى قلقيلية وخان يونس وطولكرم ونابلس وصفد.

وخلال دراسة (على) فى دار المعلمين بالقدس عكف على الدرس والمطالعة واقبل على نظم الشعر واطلع على دواوين كبار شعراء العربية وقرأ الكثير من أمهات الأدب والتـاريـخ متأسيـا خطى استـاذه المربى المرحوم درويش المقـدادى. وفى عام ١٩٣٨م تقـدم من امتحـان شهادة المعلمين العليا فكان النجاح حليفه واقبل على الدراسات الأدبية الخاصة فنهل من عيون الأدبين العربى والانكليزى ولما جرت المنـاظـرات الأدبيـة بين عميد الأدب العربى الـدكتـور طه حسـين والمرحوم الدكتور زكى مبارك عام ١٩٣٤ على صفحـات مجلة «**الـرسالة**» القاهرية أدلى (على) بدلوه فى هذه المناظرات ونشرت «الرسالة» الكثير من أبحاثه وآرائه.

وبعـد النكبـة الأولى التى زلـزلت الكيـان العربى بفلسطـين عام ١٩٤٨ نزح (على) مع افراد أسرته الى بغداد حتى يسرت له الأيام صديقه الدكتور هاشم جواد مدير التربية والتعليم فى بغداد فهيأ له العمل مدرسا للغة الانكليزية فى مدرسة المسيب الثانوية فمدرسا ومحاضرا فى دار المعلمين الريفية فى بغداد.

وفى عام ١٩٥٢م عادت الأيـام فتنكرت له اذ كاد له بعض العمـلاء والزبانية ففصل من عمله بل حرم عليه العمل فى أية مؤسسة حكومية أو أهلية حتى عام ١٩٥٤م ففى هذا العام تكونت غرفة بغداد التجارية فاسندت الى (على) أمانة سرها وظل يعمل فى هذه المؤسسة الاقتصادية الأهلية حتى عاد بعض الزبانية الى الكيد له ففصل من عمله فى ربيع عام ١٩٥٧ وحظر عليه مزاولة أى نشاط فى أى ميدان من ميادين الحياة وأخيرا عين مدرسا فى احدى قرى لواء الـديلمية فقبل العمل على مضض وفى هذه القرية أصيب (على) بنوبة قلبية كادت تجهز عليه.

وفى أحداث عام ١٩٥٨م التى جرت فى العراق سارع اصدقاء (على) الى دفع الظلامة عنه وأعادوه الى العمل فى الغـرفـة التجارية ببغداد وعوضوا عليه ما لحق به من خسائر مادية وما لبث بعض عارفى فضله أن أنصفوه وعينوه عام ١٩٦٣م مدرسـا للغـة الانكليـزية فى كلية الهندسة والصنـاعـة فمساعدا لعميدها ومشرفا على تحرير مجلتها (رسـالة المهندس) وترأس وفد معلمى العراق فى الزيارة التى قاموا بها للقاهرة.

وبعد ان اطمأنت نفس (على) بعض الشىء عاوده نشاطه الأدبى وخلف صورا زاهية مشرقة من وجدانيات أدبيـة جاءت موزعة فى صحف العراق الشقيق وفى عام ١٩٧٠م أحيل على التقاعد بعد أن انشأ بنيه تنشئة قومية صالحة وغرس فيهم حب الوطن العربى الكبير وحضّهم على الاخلاص له وتذكر فلسطين فردوس العرب المفقود والذود عن حياضها، فغالى الابناء بوصية الوالد الماجد حتى استشهـد نجله المهنـدس الطيـار (عمـر) اثر غارة اسـرائيلية جويـة.. ثم انتقلت قرينتـه الى رحمة الله فاصطـلحـت عليـه العـلل والامـراض. وتـوفى فى ٢٢/٤/١٩٧١م فخسر به أدبنا المعاصر نسرا محلقا هوى من عل ودفن فى مقـبرة جامع الامام ابى حنيفة فى حى الأعظمية ببغداد.

نماذج من شعره:

كان (على) شاعـرا بالفطـرة وقرض الشعر فى صباه وتطارح القول مع صفوة مختارة من الشعراء أمثال عمر أبو ريشة.. أبو سلمى.. ابراهيم طوقان.. نازك الملائكة وغـيرهم. وتميزت مطارحاتهم الشعرية بالوان من الغزل والهجـاء والتشطير والاخوانيات والوطنيات ونشر (على) الكثـير من نفثـات قلمـه فى مجلتى «**الرسالة**» و«**رسالة المهندس**» **وفى جريدة «صوت الشعب» وفى صحف ومجلات تصدر فى العراق. وفى قصيدته «فلسطين» تغنى (على) بوطنـه المغصوب وسأل عن كل مدينة وقرية وحن الى كل زيتونة فى (سرطة) والى كل تينة وداليـة فى مسقط رأسه. وفى اعتداء اسرائيل على قريـة (السموع) بمحافظة الخليل بفلسطين أرسل (علي) قصيدة مما قال فيها:**

فلسطـين أحـلى لفظـة ما ذكـرتهـا
لنـفـسـى الا فاض دمعى على الخـد
فلسطـين دارى والـديـار عزيـزة
لها الحـب فى قلبى المقيم على العهـد

فلسطـين أنت الحب والأهـل والمنى
وأنـت مدى الأيـام شامخـة المجـد
فلسطـين كيـف اجتـاح ربـعـك غادر
وحـدك من ماء المـحـيـط الـى نجـد
غرامـك فى روحـى وحبـك فى دمى
رضعت الهوى والحب مذ كنت فى المهد
لقـد زادنـى فيـك التـشـرد لوعـة
وعـلمنـى صدق الحفـاظ على الـود
تراك على بعـد المـزار خواطـرى
وراء ضبـاب الـدمع أبهى من الخلد
ولـيـست دمـوع البـاكيـات وانـما
دمـوع حنـين الشـوق للأم فى البعـد

من آثارة القلمية :

جمع (علي) الكثير من قصائده ومقطوعاته فى ديوانين هما :

أ ـ السفينة الكبرى .

ب ـ السفينـة الصغـرى ـ وقد ضمنها بعض آثار والده الشيـخ محمـد السرطاوى الشعرية ذات النزعة الصوفية والموشحات والأناشيد والابتهالات .

ج ـ وليم تل ـ مسرحية نقلها (علي) عن الانكليزية

وترجم (على) قصـائـد من الشعر الانكليزى نظما الى العـربية .

كنوز القدس

(سبيل شعلان)

أنـشأه الملك المعظم عيسى فى سنـة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، فى العصر الأيوبى ثم عمره الأمير شاهين الذباح نائب القدس فى عهد الملك الأشرف برسباى فى سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٩م .

وفى سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م عمره محمد باشا محافظ القدس فى عهد السلطان مراد الرابع فى العصر العثمانى .

ويتكون هذا السبيل من بناء مربع الشكل وفيه بئـر للماء وله أربع دعامات صغيرة من جهة الغرب وتحمـل سقفاً بسيط التكوين وهو مفتوح من جهاته الجنـوبيـة والغربية والشمالية وفى الجهة الشرقية يقع البئـر وفيهـا غرفـة مربعـة الشكـل تقع خلف البئر

وتلاصق بناء السبيل.

(المدرسة المعظمية)

أنشأها الملك المعظم عيسى ووقفها على الفقهاء والمتفقهة من أصحاب المذهب الحنفى فى سنة ٦١٤هـ/ ١٢١٧م ويبدو ذلك واضحا فيما كتب على بلاطة فى جدار المدرسة القبلى. وقد وقف عليها جهات كثيرة. وكانت هذه المدرسة من كبريات المدارس فى القدس وكان لها دور ملموس فى الحركة الفكرية فيها وقد تولى مشيختها والتدريس فيها عدد من كبار العلماء واستمرت تقوم بدورها الفكرى عدة قرون.

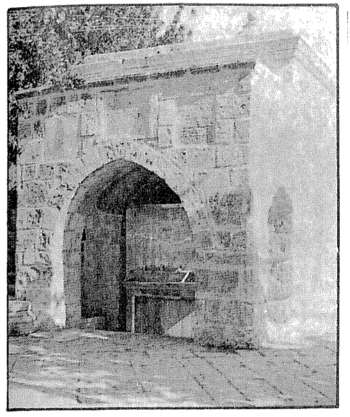
وتتكون هذه المدرسة من طابقين يتوصل اليهما عبر مدخل يؤدى الى دركاه تؤدى بدورها الى الصحن المكشوف من الطابق الأول (الذى مازال قائماً) ويوجد إيوان مرتفع كبير الحجم الى الشمال من الصحن ويطل على الصحن من فتحة جنوبية يتقدمها عقد مدبب وحول الصحن عدد من الغرف والخلاوى.

وتشير الدلائل الأثرية الى وجود إيوان جنوبى مقابل الايوان الشمالى وتوجد غرفة فى هذا المكان الآن وخلفها تربة تضم قبور مجاهدين يعتقد أنهم من العصر الأيوبى وتوجد بقايا مئذنة خلف التربة وفوق الواجهة المطلة على الشارع.

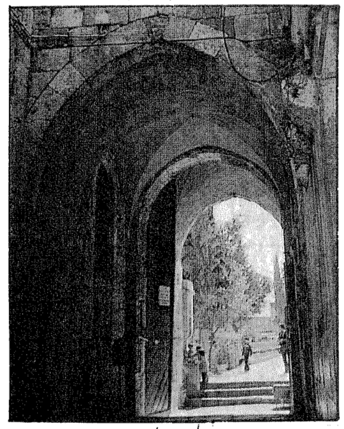
(بـــاب حطـــة)

وهـو من أقدم أبواب الحرم الشريف جدد عدة مرات وآخرها تجديده فى عهد الملك المعظم عيسى فى سنة ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م فى العصر الأيوبى كما يبدو فى النقش التذكارى الكتابى الذى يعلو الباب.

ويتكـون هذا الباب من مدخل عالى الارتفاع يغطيه مصـراعان من الخشب القوى وتحف جانبيه مصطبتان حجريتان جميلتا الشكل وقد فرشت أرضيته بالبلاط الحجرى القديم.



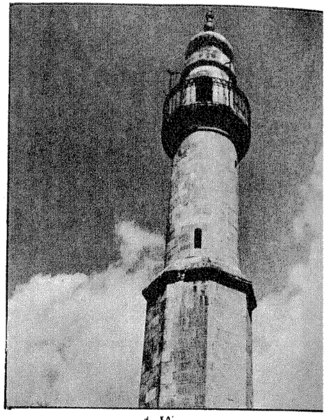
منظر عام للسبيل



باب حطة



مئذنة القبة القيميرية



(القبـة القيمريـة)

تسمى هذه القبة بهذا الاسم نسبة الى جماعة من الشهداء المجاهدين فى سبيل الله قبورهم بها وهم: الأمير الشهيد حسام الدين أبو الحسن بن أبى الفوارس القيمرى. ووفاته فى العشر الأوسط من ذى القعدة سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م والأمير ضياء الدين مدسى بن أبى الفوارس ووفاته فى عاشر ذى القعدة سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م والأمير حسام الدين خضر القيمرى ووفاته فى رابع عشر ذى القعدة سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٢م والأمير ناصر الدين أبو الحسن القيمرى ووفاته فى عشرى صفر سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م وفيها قبر خامس للأمير ناصر الدين محمد جابر بك أحد أمراء الطبلخانة بالشام وناظر الحرمين الشريفين بالقدس الشريف والخليل وقد كانت وفاته فى سنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م.

وبظاهر هذه القبة تربة فيها قبور جماعة من المجاهدين. . ومن الواضح أن هذه القبة قد أنشئت فى نحو منتصف القرن السابع الهجرى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى.

ويبدو أن هذه القبة تنسب إلى جماعة من المجاهدين من قلعة قيمر ذكر ياقوت الحموى أنها قلعة فى الجبال بين الموصل وخلاط ينسب اليها جماعة من أعيان الأمراء بالموصل وخلاط وهم أكراد ويقال لصاحبها أبو الفوارس.

وهى قبة كبيرة ومرتفعة ولها مدخل رئيسى من جهة الشمال وتوجد فيها القبور الخمسة متجاورة ولها محراب.

وتتكون هذه القبة من بناء مربع الشكل وقد حول أعلاه الى مثمن وذلك بملء كل ركن من أركانه الأربعة بحنية ثلاثية الأقواس لتكوين رقبة مثمنة ويوجد بها عدد من النوافذ وتقوم عليها قبة لطيفة البناء.

ويتم الوصول إليها بوساطة مدخل متوسط الحجم يغطيه عقد ثلاثى الفتحات.

وقد فتح فى الجدار الجنوبى من البناء محراب بسيط وهو عبارة عن حنية حجرية.

(بـاب المطهـرة)

وهو باب قديم وكان يسمى باب المتوضأ قديما ويسمى باب المطهرة الآن.

جدد عمارته الأمير علاء الدين أيد غدى البصير فى سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م عندما عمر المتوضأ وقام بعدة أعمال عمرانية فى منطقة الحرم.

وهو باب من النوع المتوسط الحجم البسيط البناء وينزل إليه من أرض الحرم بعدة درجات قليلة ويتكون من مدخل حجرى معقود بعقد مدبب ويغطى فتحته مصراعان من الخشب القوى ويؤدى الى الممر المكشوف الذى يوصل الى المطهرة.

شاعر الدعوة

هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الاكبر الانصارى الخزرجى ويكنى أبا محمد وقيل (أبو رواحة).

كان أحد النقباء الاثنى عشر الذين بايعوا الرسول بيعة العقبة الأولى وكان أيضا واحداً من الثلاثة والسبعين أنصارياً الذين بايعوا الرسول بيعة العقبة الثانية.. وكان ممن شهد بدراً وأُحُداً والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء.. ولقد جاهد بسيفه وقلمه معاً.. ودافع عن الاسلام بقلمه حيث كان ينظم الشعر الحماسى للمعارك والشعر الدينى الذى ينبع حكمة وهتافاً إيمانياً يهز وجدان الأثير.

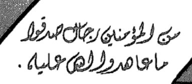
ولما دخل النبى الأعظم بعد سنوات من الجهاد مكة فى عمرة القضاء كان ابن رواحة يأخذ بخطام القصواء (ناقة الرسول) وسط القرشيين الذين هالهم نصر محمد وتجمع الجموع الغفيرة خلف كلمة الحق.. فائتلفت القلوب وتلاقت على الحب.

وفى وسط البشاشة البادية على جموع المسلمين أراد ابن رواحة أن يقذف فى وجه قريش بصيحة الحرب فمنعه عمر وقال له الرسول ﴿ﷺ﴾ مهلاً يا ابن رواحه.. قل لا إله الا الله وحده نصر عبده.. وأعزَّ جنده وخذل الأحزاب وحده.. فنادى بها بن رواحة.. فتجاوبت أصداؤها فى جنبات مكة وارتفعت الى الأودية والجبال المحيطة.. وهزت القلوب التى هجرتها.. وانشد عبد الله بن رواحة.

خَلّو بنى الكفار عن سبيله
خلو فكل الخير فى رسوله
يا ربّ إنى مؤمنٌ بقيله
أعرف حقَّ الله فى قبوله

وقد سمع عمر ابن رواحة ينشد الشعر أمام النبى وفى بيت الله فقال له (بين يدى رسول الله وفى حرم الله تقول الشعر) فقال له النبى «خل عنه يا عمر فلهى أسرع فيهم من نضح النبال». فقال عبد الله بن رواحة:

ياربِّ لولا أنتَ ما اهْتَدَيْنا
ولا تصدَّقْنا ولا صلَّيْنَا
فأنزِلَنْ سكينة علينا
وثبِّتِ الأقدام إنْ لاقَيْنَا
إنَّ الذين قد بغو علينا
إنْ أرادوا فتنةً أبَيْنَا





عبد الله بن رواحة

فقال النبي ﴿ﷺ﴾ اللهم ارحمه فقال عمر: وجبت ولما نزلت ﴿**والشعراء يتبعهم الغاوون**﴾فقال عبد الله بن رواحة: إنى منهم فأنزل الله: ﴿**إلَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾.. ومن مظاهر تقدير الرسول الكريم لشعره أنه قال (إن أخاً لكم لا يقول الرفث وهو ابن رواحة) فقد قال:

وفينا رسولُ الله يتلو كتابَهُ
إذا انشق معروفٌ من الفجر ساطعُ
رآنا الهدى بعد العمي فقلوبُنا
به موقناتٌ إنّ ما قال واقع
يبيتُ يجافى جَنبُهُ عن فراشِه
إذا استثقلتْ بالكافرين المضَاجِعُ

وهل بعد تشجيع وتقدير رسول الله لشعر ابن رواحة تشجيع وتقدير.. فما هو إلا هتاف إيمانى ونبرات تتألق شفافية وطهراً.. فما أجمل العقيدة التى تجلب السعادة بالالتزام بها.. فتنهض وتسمو بالنفس الانسانية.. وكان رسول الله يستجيد شعره إذ أن من الشعر لحكمة وإن منه ما يسمو بالنفس عن مواطن الاغواء والاضلال فالرسول كان يدعو له بالخير كلما سمع شعره..

وكان عبد الله بن رواحة.. شديد الحب لرسول الله.. أتى النبيَّ الكريم وهو يخطب فسمعه يقول: إجلسوا.. فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ النبى من خطبته فلما بلغ ذلك رسول الله قال له «زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله ومدح ابن رواحة رسول الله فقال:

إنى تفرَّستُ فيك الخيرَ أعرفُهُ
والله يعلم أنْ ما خاننى البصرُ
أنت النبيُّ ومن يُحْرم شفاعتهُ
يومَ الحسابِ فقد أزرى به القَدَرُ
فثبَّت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا

فدعا له النبى وقال: وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة.. وقد استجاب الله دعاء الرسول فقد قال



هشـام بن عروة «لقـد ثبت الله ابن رواحـة أحسن الثبات فقتل شهيداً وفتحت له أبواب الجنة» .

وعبد الله بن رواحة احد الشعراء الذين عقد لهم الرسول ﴿ﷺ﴾ لواء المجد والفخار وتوج شعرهم بأن اختارهم ليناضلوا ويردوا كيد فصحاء مكة التى كانت تحفل بالشعر عن سائر فنون القول .

وبعثه رسول الله فى ثلاثين راكباً الى أسير بن قرام اليهودى بخيبر فقتله وبعثه بعد فتح خيبر فخرَّص عليهم . . يقول أبو الدرداء : **«أعوذ بالله ان يأتى علىَّ يوم لا أذكر فيه عبد الله بن رواحة كان إذا لقينى مقبلا ضربنى بين ثديى واذا لقينى مدبـراً ضرب بين كتفى»** ثم يقـول : يا عويمر . . تعال ساعة فلنجلس فنذكر الله ما شاء ثم يقول : يا عويمر هذه مجالس الايمان . . وسألوا امرأته عنه فقالت كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين . . وإذا دخل صلى ركعتين لا يدع ذلك وكان رضى الله عنه ذائع الصيت بين القبـائـل العـربية . . فالشعر فى عصره كان يعتبر جهازاً اعلاميا ولقد كان شعره نابعاً من قلبه فى سبيل الله وبنفس الشجاعة التى ينظم بها الشعر ليرد على أعداء الاسلام ويخرس ألسنتهم كان يقتحم صفوف الأعداء فى استبسال أمام نبل الغاية التى يحارب من أجلها فهو أول من يخرج للغزو وآخر من يُقْفِل .

وعنـدمـا أراد رسـول الله أن يرسل بجيش إلى حدود الشام . . لبثِّ الرعب والرهبة فى نفوس الروم حتى لا يفكروا فى غزو الجزيرة العربية . . كان عبد الله بن رواحـة ثالث ثلاثـة على الـترتيب عقد لهم الـرسـول لواء الجيش . . ولمـا ندب النبى ﴿ﷺ﴾ النـاس فأسـرعـوا وعسكـروا «بالجرف» من أطراف المدينة حتى اكتملوا ثلاثة آلاف وأعدهم رسول الله وهيأهم للقتال . قال لهم «أمير القوم زيد بن حارثة فإن قتل فجعفر بن أبى طالب . . فان قتل فعبد الله بن رواحة . . فإن قتل ليرتض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم» .

وتهيأ المسلمون للخروج إلى مؤتة فى جمادى الأولى من السنـة الثـامنـة للهجـرة (سبتمبر ٦٢٩م) أى بعد عمرة القضاء بنحو خمسة أشهر . .

ولما ودع عبد الله بن رواحة من ودَّع من أمراء رسول الله بكى فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال (أما والله مابى حب الدنيا ولاصبابة إليها ولكنى سمعت رسول الله يقرأ :

﴿وإنْ منكم إلا واردها كان على ربِّك حتماً مقضياً﴾

فلست أدرى كيف لى بالصبر بعد الورود؟ فدعا له المسلمون بالخير والثبات فلم يلبث ابن رواحة أن ذهب عنه ما يجد وعاد إليه ايمانه القوى وثقته بما وعد الله فأنشد :

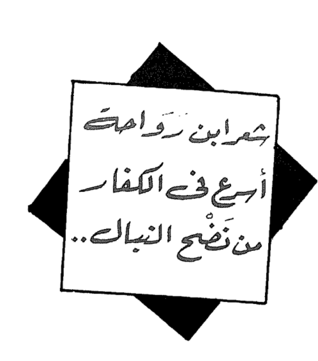
لكـنَّـنـى أسأل الـرحمـنَ مغـفـرة
وضـربة ذات فرع يقذف الزبدا(١)
أو طعـنـة بيـدى حران مجهـزة
بحـربـة تنفـذ الأحشـاء والكبدا(٢)
حتى يقـولوا إذا مروا على جدثى
يا أرشـد الله من غازٍ وقـد رشدا(٣)

● *ثم أتى رسول الله مودعه وقال :*

أنـت الـرسـول ومن يُحْرَم نوافلَهُ
والـوجـه منـه فقد أزْرَى به القدر
فثـبَّـت الله ما آتـاك من حسـن
فى المـرسلين ونصراً كالذى نصروا
إنـى تفـرَّست فيـك الخـيرَ نافلةً
فراسـةً خالفت فيـك الـذى نظروا

● وخرج القوم وخرج النبى يشيعهم حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم قال عبد الله بن رواحة :

خلف السـلام على امـرىء ودعته
فى النخـل خير مشيـع وخليـل(٤)



ويأخذ البعض على ابن رواحة أن الثقة لديه تزعزعت عندما وازن بين نصين من كتاب الله وسماها تردداً وقد يكون ذلك البعض مبالغاً. . فهل يطلب من ابن رواحة وهو الانسان. المسلم. . الشاعر أن يكون أكثر إطمئناناً وثقة من النبى والرسول سيدنا إبراهيم فقد وجد فى نفسه شيئاً من البعث فقال (ربِّ أرنى كيف تحيى الموتى) فقال له الله تعالى ﴿أولم تؤمن﴾ فقال ابراهيم (**بلى ولكن ليطمئن قلبى**) فهذا الذى سموه تردداً هو استذكار لغريزة حب البقاء أو إستلهام لوحى الشعر فالقائد الشاعر وقف يستلهم شعره ليلهب حماسة جنده ويدفعهم إلى القتال من أجل غاية شريفة ترخص لها الأرواح.

وكان شعر ابن رواحة تخفيفاً لهموم الحياة وليس أدل على ذلك. . لما سار الجيش وكان فى رحال عبد الله بن رواحة زيد بن أرقم وكان يتيماً ولقد أردفه على حقيبة رحله وذات ليلة سمعه ينشد:

إذا أدنيتنى وحملت رحلى
مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعمى وخلاك ذمى
ولا أرجع إلى أصلى ورائى
وجاء المؤمنون وغادرونى
بأرض الشام مشهور الثواء
وردك كل ذى نسب قريب
إلى الرحمن منقطع الاخاء
هنالك لا أبالى طلع بعل
ولا نخل أسافلها سواء

فلما سمعه زيد بكى. . فخفقه بالدرة وقال: «ما عليك أن يرزقنى الله الشهادة وترجع بين شعبتى الرحل».

وكانت الخطة التى سار على أساسها الجيش أن يفاجىء جيش الروم ويأخذهم على غرة ولكن الروم علموا نبأ الجيش فأخذوا يستعدون له. . ونزل مآب من أرض لبلقا فى مائة ألف من الروم وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مائة ألف وروى الواقدى. . بسنده عن أبى هريرة. . قال: شهدت مؤتة فلما دنا المشركون منا رأينا مالا قبل لأحد به من العدة والسلاح والكراع والحرير والديباج. فبرق بصرى فقال لى ثابت بن أرقم: يا أبا هريرة كأنك ترى جموعاً كثيرة. قلت: نعم قال إنك لم تشهد بدراً معنا إنا لم ننصر بالكثرة.

ولما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان(ه) ليلتين. . يفكرون فى أمرهم وبدأ الموقف عصيباً أمام المسلمين. . ماذا يصنعون أمام هذا الجيش اللجب الذى لا قبل لهم به ولكنهم تربوا فى المدرسة المحمدية وعلموا أن النصر لا يأتى بكثرة العدد ولا كثافة العدة. . وإنما يأتى من عند الله. . وليس هنالك أدل على ذلك من نصر المسلمين فى يوم بدر وهم قلة وانهزموا فى حنين وهم كثرة. . لأنهم يوم بدر خرجوا وهم موقنون أن الله ناصرهم إن أراد. رغم أنهم قلة. . أما يوم حنين فقد خرجوا عن منهج وظنوا أنهم

منتصرون بالكثرة وحدها. فحاقت بهم الهزيمة.. وتبادل المسلمون وجهات النظر وأدلى كل منهم برأيه واقتراحه فقال قائل منهم نكتب إلى رسول الله فنخبره بعدد عدونا فاما أن يمدنا بالرجال واما أن يأمرنا بأمر فنمضى اليه وكاد هذا الرأى يسود لولا أن قام عبد الله بن رواحة ليقول لهم فى نبرات كلها إيمان وصدق وعزيمة:

«يا قوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة. ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به.. فانطلقوا فانما هى إحدى الحسنيين إما ظهور.. وإما شهادة».. فتأثر الجند بقول الشاعر الشجاع وقالوا: قد والله صدق ابن رواحه.. لقد كانت كلمات ابن رواحة إيماناً زاد الايمان الذى يتأجج فى صدور جند المسلمين ففعلت بهم ما يفعل السحر فمضوا الى لقاء عدوهم لا يبالون بشىء وانطلقوا يسيرون حتى وصلوا بعد ليلتين إلى تخوم البلقاء من أرض الشام لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها «مشارف» وأخذت فيالق العدو تدنو منهم فانحازوا الى قرية مؤتة ليتحصنوا بها. ولكن الروم انحدروا اليهم كانحدار السيل وأقبلوا بخيلهم ورجلهم فى مظهر يبهر الأبصار ويذهل العقول.

فتعبأ لهم المسلمون وجعلوا فى كل من الجنبين قوة تحول دون إحداق العدو بهم. فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عذرة يقال له قطبة ابن قتادة.. وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عبابة بن مالك.. والتحم الجيشان فى قتال قريب المدى.. عنيف الاشتباك فاندفع المسلمون إلى أتون المعركة الضاربة فقاتلوا فى استماتة واستبسال وأبلى المسلمون فى هذا اليوم بلاء حسنا فقتالهم فى هذه المعركة كان أعنف قتال قاتله المسلمون. وقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله حتى شاط(٦) رماح القوم فلما قُتل زيد أخذ الراية جعفر بن أبى طالب فجعل يقاتل بها مستميتاً حتى ألحمه(٧) القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها بسيفه. ثم اندفع يقاتل حتى قُتِل. فلما قُتِل جعفر أخذ اللواء عبد الله بن رواحة فتقدم وقاتل فى المقدمة.

ولقد اختلفت الروايات فى موقف عبد الله بن رواحة حيث أخذ الراية بعد جعفر. فقد روى ابن اسحاق ان ابن رواحة لما أخذ الراية تقدم بها وهو على فرسه. فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد وأنشد:

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنه
لتنزلنَّ أو لتكرهنَّه
قد طالما قد كنتِ مطمئنه
ما لى أراك تكرهين الجنَّه؟
يا نفسُ ألَّا تُقتلى تموتى
هذا حِمامُ الموتِ قد صَليتِ
وما تمنيتِ فقد أُعْطيتِ
إن تفعلى فعلهما هُديتِ

● وقيل أيضا انه استقبل اللواء فقاتل برهة ثم عاد وتردد هنيهة ولكنه لام نفسه على التردد فعاد يقول:

يا نفسُ مالكِ تكرهينَ الجنَّة
أُقْسِمُ بالله لتنزلِنَّه
طائعه أو تكرهينه
فطالما كنت مطمئنه
هل أنت الا نطفة فى شنه(٨)
قد أجلب الناس وشدوا الرنه(٩)

ولم يذكر البيهقى ولا موسى بن عقبة فيما نقل عنهما ابن كثير شيئا عن هذا التردد كذلك لم يذكره المقريزى فى «امتاع الاسماع» ولاابن سعد فى الطبقات الكبرى.. وعبد الله ابن رواحة كان قد ألهب حماسة المسلمين بشعره الحماسى حين ترددوا فى قتال الروم وليس أدل على ذلك إلا ما رواه ابن اسحاق فى روايته «فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم(١٠) فقال: شد به صلبك فانك قد لقيت فى أيامك هذه ما لقيت فأخذ من يده ثم انتهس منه نهسه(١١).

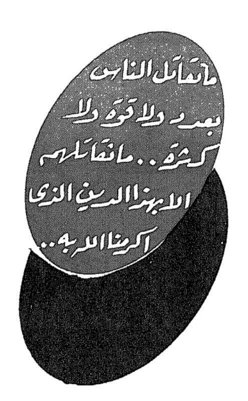
أصحابه بخبر الشهداء فى مؤتة ولما طعن ابن رواحة تلقى الدم بيديه وذلك به وجهه وسار بين صفوف المسلمين وهو يقول: يا معشر المسلمين ذبوا عن لحم أخيكم فكان لذلك أثره فى استبسال المسلمين فى الحرب لا ينقص من قيمته هزيمتهم.

روى البخارى.. بسنده عن أنس بن مالك - أن رسول الله نعى زيداً وجعفر وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم الخبر فقال (أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها جعفر فأصيب ثم أخذها ابن رواحة فأصيب - وعيناه تذرفان - حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح عليه).

وبعد شهر تجيىء الأنباء مصدقة قول الرسول وتحتسب المدينة المنورة شهداء المسلمين عند الله.

وتصمت القيثارة الاسلامية عبد الله بن رواحة التى هزت وجدان الجزيرة العربية.. ذهب ابن رواحة شهيداً سريره فى الجنة بين سلفيه كما أخبر بذلك ابن اسحاق عن رسول الله.

ولكن التاريخ يقف منشدا سيرة هذا البطل.. المجاهد بسيفه وقلمه فى سبيل الله.



ثم سمع الحطمة(١٢) فى ناحية الناس فقال وأنت فى الدنيا. ثم ألقاه من يده ثم أخذ سيفه فتقدم.. لقد استكثر على نفسه أن يبقى لحظة فى الدنيا وهو بعيد عن المعركة وكيف له أن يشجع الناس على ملاقاة الروم ثم يجبن هو عن ذلك؟ فهل من الطبيعى أن يكون مقداما شجاعا وهو جندى ثم يكون متردداً خائفاً وهو قائد.. أما الشعر الذى نسب إلى ابن رواحة فى تردده.. ما هو إلا محاورة بين الشاعر ونفسه فيها حث على الاقدام والشهادة.. ومما رواه ابن اسحاق فى أخبار هذه الغزوة يدل على أن ابن رواحه خرج من المدينة ولا يتمنى سوى الشهادة.. وها هى أمنيته تحققت فى مؤتة فكيف يتردد عنها وكل ما نستطيع قوله وأكدته الروايات أن عبد الله بن رواحه أقبل على الموت مقداماً غير هيّاب مطمئناً غير جازع.

وكشف الله لرسوله عما دار فى المعركة لحظة بلحظة فاذا به فى كلمات نورانية ولكنها مخضلة بالدمع يخبر

الهوامش

(١) الفرغ: السعة.. والزبدا: رغوة الدم.
(٢) مجهزة: سريعة القتل.. تنفذها: تخترقها.
(٣) الجدث: القبر.. ويروى: يا أرشد الله.
(٤) خلف السلام: أى كان السلام خلفا.
(٥) معان: حصن كبير من أرض فلسطين على خمسة أيام من دمشق بمشى الابل.
(٦) شاط: تفجر دمه وتمزقت أوصاله.
(٧) ألحمه: زحمه وأجهده أو نشب فيه فلم يجد مخلصاً.
(٨) شنه: السقاء البالى.
(٩) الرنة: صوت فيه ترجيع شبيه بالبكاء.
(١٠) العرق: بالفتح العظم الذى عليه بعض اللحم.
(١١) انتهس: أخذ منه بفمه يسيراً.
(١٢) الحطمة: زحام الناس وحطم بعضهم بعضا.

أبي بن كعب

هو أُبَىّ بن كعب بن قيس من بنى النجار أبا وأما آخى الرسولُ بينه وبين طلحة بن عبيد الله وكان له كنيتان الأولى أبو المنذر كناه بها الرسول ﴿ﷺ﴾ والثانية أبو الطفيل كناه بها عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

كان أُبَىّ رجلا ليس بالقصير ولا الطويل نحيفا قضى حياته شاحب الوجه وقد جلل الشيب رأسه وغلب البياض على لحيته وكان رثَّ المنزل زاهدا غنى النفس قد كفاه الدنيا وما فيها كما كان حريصا على العلم: . وأُبَىّ من الرهط الخزرجيين الذين حضروا العقبة الثانية مع الرسول ﴿ﷺ﴾ وبايعه مع سبعين من الأنصار ثم شهدوا بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها.

فى الجاهلية كان أُبَىّ حَبْرا من أحبار اليهود مطّلعا على الكتب القديمة فلما أسلم رأينا فيه هذا المنزع الدينى يهرع به الى أن يتفيأ ظل النبوة فيختاره الرسول لأمر فيه حسبة لله ويمهد له سبيل الاشتغال بالقرآن ويعيش حياته موصول الصلة بنصه حتى يصبح حجة فى كل شئونه فلقد أحاط بمواضع النزول حتى أصبح أهلا لكى يجيب مَنْ يسأل عنها.

لقد مكنه طول الملازمة للرسول من ان يقف على آخر آية نزلت من القرآن فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال: آخر آية نزلت على عهد رسول الله ﴿ﷺ﴾ **﴿لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم﴾**.

ولم يقتصر ما أتاحته الصحبة للرسول على علم أُبَىّ بمواضع نزول الوحى وأوقاته كما لم يقف أثر هذه الصحبة عند معرفة ما نزل فى نهايته فلقد أحاط بأسباب النزول ووقف على كثير من أحوال مَنْ نزل القرآن فيهم.

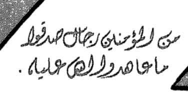
يقول الزركشى: كانت الصحابة رضى الله عنهم علماء كل منهم مخصوص بنوع من العلم كعلىّ رضى الله عنه بالقضاء وزيد بالفرائض ومعاذ بالحلال والحرام وأُبَىّ بالقراءة.

إن أُبيًّا كان يدوام على قراءة القرآن وقد قرأ على النبى القرآن وقرأ عليه الرسول بعضا منه.

روى عن أنس بن مالك أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال لأُبَىّ ان الله أمرنى ان اقرأ عليك. قال الله سمانى لك؟ قال له: الله سماك لى. فبكى أُبَىّ.

ولقد شاءت ارادة الله ان يقرأ الرسول بعضا من القرآن على أبى للارشاد والتعليم فيتعلم الفاظه وصيغة أدائه ومواضع الوقوف وضع النغم فى نفحات القرآن على أسلوب ألفه الشرع وقيل قرأ ليسن عرض القرآن على حفاظه ولينبه الناس على فضيلة أُبَىّ فى ذلك.

ولقد أصبح أُبَىّ سيد القراء بالاستحقاق وأقرأ الأمة على الاطلاق. قال رسول الله ﴿ﷺ﴾: **«أرحم أمتى بها أبو بكر واقواهم فى دين الله عمر وأقرؤهم لكتاب الله أُبَىّ بن كعب»**.





وصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم

وأصبح أهـلا لكى يأخذ المسلمون القرآن عنه فقصدوه لهذا الأمر ونجد ما يؤيد ذلك قول عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) من أراد ان يسأل عن القرآن فليأتِ أبىّ بن كعب.

وكما كان أُبَىّ مرجعاً للمسلمين فى شئون القرآن كذلك كان من خير الصحابة استعدادا لتعريف من يدخلون حديثا فى الاسلام عن طريق التعليم بنجوم الوحى القرآنى وهو بعد النبى رأس وإمام مقصود فى ذلك مشهور به مما يسر للكثيرين ان يأخذوا القرآن عنه.

أُبَىّ وحفظ القرآن

العرب لهم ذاكرة قوية اتخذوا منها وعاء لحفظ ما يريدون وكان نقل النصوص يعتمد على هذه الذاكرة فلا غرابة إذن ان يحفظ المسلمون القرآن وأُبَىّ من الـذين أتموا حفظه فكان أبى فى المدينة يشع العلم على من حوله من الصحابة والتابعين.



أُبَىّ وكتابة القرآن

كان الرسول «ﷺ» يعنى بكتابة القرآن وكان أبى يكتب فى الجـاهلية فلما جاء الاسلام شارك فى كتابة الوحى مع من كانوا يكتبونه.

يقول ابن حجر العسقلانى : كان اول من كتب الوحى من الأنصار عندما قدم المدينة.. يقصد (أُبَىّ).

والمقصـود ان أبَىّ أول من كتب الـوحى من الأنصار للرسول عندما قدم إلى المدينة.

أُبَىّ وجمع القرآن فى عهد أبى بكر

لما شرح الله صدر أبَىّ بكـر لجمـع القرآن بين لوحين لئلا يذهب شىء منه بموت القراء فى حروب الردة كُلّف زيد بن ثابت بأن يقوم بهذا الأمر فشرع فى كتـابته فى صحف يمكن وضعها بين دفتين.. وقد شارك أبىّ بن كعب فى انجاز هذا العمل.

أُبَىّ وجمع القرآن فى عهد عثمان بن عفان

يقول ابن عربى فى احكام القرآن (فأما كتابة عثمان للمصـاحف فإنـما كان ذلـك لأجـل اختلاف الناس فى القراءات فأراد ضبط الأمر).

ولقد أجمع عثمان أمره على أن ينسخ الصحف التى كتبت فى عهد ابى بكر فى مصاحف ويرسلها إلى الامصار ليجتمع الناس على القراءة بها واشترك أُبىّ فى هذا العمل

لأنه ممن شهدوا العرضة الأخيرة للقرآن مع النبى .

أُبَىّ بن كعب وصحبة الرسول

الكتابة للرسول ﴿ﷺ﴾ :

كانت الأمّية فاشية بين العرب قبل الاسلام فإن الكتابة كانت قليلة بينهم بعامة وأول من نشر الكتابة فى المدينة بطريقة عامة هو الرسول ﴿ﷺ﴾ بعد الهجرة اليها فقد اشترط على مَنْ ليس معه فدية من أسرى قريش فى غزوة بدر أن يعلم عشرة من غلمان المدينة الكتابة .

وقد كان أُبَىّ يكتب فى الجاهلية قبل الاسلام كما ذكر البلاذرى وابن عساكر وقد لمس الرسول ﴿ﷺ﴾ هذه المهارة فى أبىّ فوجهها لصالح دعوته وجعله ضمن من كتبوا له الوحى ومن حرروا له رسائله التى بعث بها الى الملوك وغيرهم من العرب يدعوهم فيها الى الاسلام . وقد كتب أُبىّ كتاب رسول الله الى خالد بن ضماد الأزدى كما كتب له كتابا لجنادة بن الأزدى وقومه ومن تبعه .

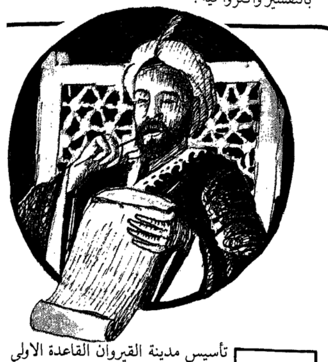
وكان أبىّ أول من كتب فى آخر الكتاب «كتب فلان بن فلان» . ولقد كتب أُبىّ أيضا عهود النبى ﴿ﷺ﴾ لمن بعث بهم الى الأمصار لينشروا الاسلام فيها .

كذلك نرى ان أبيًّا كان يقرأ للرسول ﴿ﷺ﴾ ما يرد اليه من كتب . . نرى فى غزوة أُحُد كتاباً يأتى للرسول من العباس بن عبد المطلب فيقرأه أُبىّ وغير ذلك من الكتب التى كانت تأتى الى الرسول .

أُبَىّ بن كعب وتفسير القرآن

يُعد أبىّ فى الصدارة بين المفسرين وقد كشف علىّ بن أبى طالب (رضى الله عنه) عن مكانته فى هذا المجال فقال : «ابن عباس كأنما ينظر الى الغيب من ستر رقيق ويتلوه عبد الله بن مسعود وأُبَىّ بن كعب» .

وقد توفرت عوامل كثيرة ساعدت أبيًّا على ان يأخذ هذه المكانة فهو أمضى حياته فى المدينة وكانت بيئتها بعامة ذات خبرة سابقة بالدين وشئونه كما أتيح لأبىّ بما كان عليه من اليهودية فى الجاهلية ان تكون له خبرة بالكتب القديمة يقرؤها ويفسرها فيعرف أسرارها ويقف على ما ورد فيها وكذلك توفرت كل الأدوات التى لا غنى عنها للمفسر فقد عرف مواضع نزول الوحى وأوقاته ووقف على أسباب النزول وأحاط بأحوال من نزل فيهم القرآن بالاضافة الى قراءته القرآن على الرسول ﴿ﷺ﴾ وإقراء الرسول له بعضا منه تعليما له وإرشادا وقد عُدّ أبىّ ممن عرفوا بالتفسير وأكثروا فيه .



برنتبط

تأسيس مدينة القيروان القاعدة الاولى للاسلام بافريقيا بجهود الفاتح العربى القائد عقبة . . وللتمهيد لهذا الفتح لابد لنا من المامة اولية لهذا الفتح اعتمادا على جهود من سبق عقبة الى رفع لواء الاسلام وبناء اول عاصمة بافريقيا كلها وانطلاقا من خلافة سيد عثمان بن عفان رضى الله عنه حين علم ان الروم انحطت سلطتهم البيزنطية وآلت بلادهم الى انقسام كلمتهم

يقول السيوطى: (اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: «الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس وأبىّ بن كعب وزيد بن ثابت وأبو موسى الأشعرى وعبد الله بن الزبير).

وفاة أبىّ بن كعب

ظل أبى يسكن المدينة طول حياته ويبدو أن رحلته مع المرض كانت طويلة فقد وصفوه بأنه كان شاحبا وقد اختلفوا فى وفاته واكثر الاقاويل واثبتها انه مات سنة ٣٠هـ فى خلافة عثمان بن عفان تقريبا. وكانت وفاته يوم جمعة.

يقول عتبى (أتيت المدينة يوم الجمعة فإذا أهلها يموج بعضها فى بعض فقلت ما شأن هؤلاء الناس؟.. فقال بعضهم: أما أنت من أهل البلد؟ قلت: لا.. قال: فإنه قد مات سيد المسلمين اليوم أبىّ بن كعب).

وهكذا رأينا أبىّ بن كعب عاش للقرآن وأحاط بأسباب النزول ولقد مكنه طول الملازمة للرسول ﴿ﷺ﴾ من ان يقف على آخر آية نزلت من القرآن وكان من المفسرين لأنه تعلم من الرسول المصطفى وعاش للقرآن حتى توفى.



عقبة بن نافع



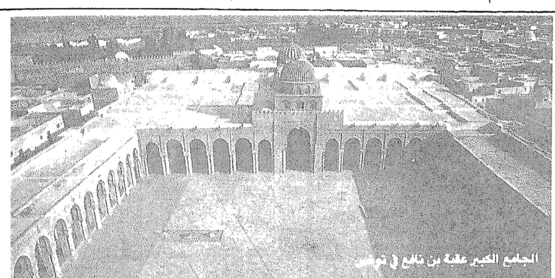
وضعف حكومتهم وتلاشى زمام الامور تدريجيا من ايديهم فأمر سنة ٢٧هـ الموافقة لسنة ٦٤٧م عامله على مصر وأخاه من الرضاع عبد الله بن سعد بن ابى سرح بالمسير الى افريقيا ونشر كلمة الاسلام فيها فكانت واقعته مع جرجير وهى المحاولة الاولى للفتح وحين استقر الامر لمعاوية بن ابى سفيان جاء لافريقيا عقبة بن نافع بن عبد قيس القريشى الفهرى سنة ٥٠هـ - ٦٦٩م وعن غزوته هذه وابعادها الدينية والعسكرية والعمرانية يقول صاحب البيان المغرب: **«وصل عقبة بن نافع الى افريقيا فى عشرة آلاف من المسلمين وافتتحها ووضع السيف فى من بها من النصارى ثم قال: ان افريقيا اذا دخلها امام اجابوه الى الاسلام واذا غادرها رجع من كان منهم وقد آب من دين الله الى الكفر»**.. وقال: انى اخاف ان يطرقها صاحب القسطنطينية ويملكها لكن اجعلوا بينها وبين البحر الاميال.. قربوها من السبخة فان دوابكم الابل وهى التى تحمل اثقالكم وتكون ابلنا فى مراعيها آمنة من عادية البربر والنصارى.. وفى سنة

٥٠هـ - ٦٦٩م شرع عقبة فى بناء مدينة القيروان واختط دار الامارة والمسجد الاعظم ثم اخذ فى بناء السور والمساجد والمساكن وشد الناس المطايا من كل بلد اليها وعظم قدرها» (١هـ).

●● يعقب صاحب معجم البلدان عن سبب تاسيسها فى هذا المكان قائلا:

«سار عقبة الى افريقيا ونازل مدنها فافتتحها عنوة ووضع السيف فى اهلها واسلم على يديه خلق من البربر وفشا فيهم دين الله حتى اتصل ببلاد السودان فجمع عقبة حينئذ اصحابه وقال: ان اهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم اذ عضهم السيف اسلموا واذا رجع المسلمون عنهم عادوا الى عادتهم ودينهم ولست ارى نزول المسلمين بين اظهرهم رايا وقد رأيتُ أن أبنى هنا مدينة يسكنها المسلمون.. فاستصوبوا رايه فجاؤوا الى موضع القيروان وهى فى طرف البر وهى أجمة عظيمة وغيضة وقال انما اخترت هذا الموضع لبعده عن البحر ولئلا تطرقها مواكب الروم فتهلكها ثم امر اصحابه بالبناء واختط دارا للامارة واختط الناس حوله واختط جامعها فاستقامت فى سنة خمس وخمسين للهجرة».

والقيروان مدينة اشتق اسمها من لفظ فارسى دخيل عن العربية (محط الجيش) ومناخ القافلة وموضع اجتماع الناس فى الحرب اسسها لانه لم تعجبه العاصمة التى اتخذها (معاوية بن حديج الكندى) وبعد بحث وترو وقع اختياره على مكان القيروان اليوم.. الى منبسط الارض يسع الجيوش وخيلهم ودوابهم بعيدا عن مباغتات العدو من جهة البحر.. بناء فى موقع كان صحراء خاوية الا من عين غزيرة ترقرق ماؤها بمشيئة الله عذبا فعسكر جنوده واسس المدينة وجامعه وعيَّن اتجاه القبلة فيه بناه بمواد من الخرابات الرومانية واتخذها مقرا للادارة ومركزا عسكريا حصينا تنطلق منه الجيوش الاسلامية لفتح بلاد المغرب الاوسط: الجزائر والمغرب الاقصى وموريتانيا لكن احداثا سياسية جدت بالمشرق العربى اجبرته على العودة قبل ان ينجز كل ما عزم عليه من مواصلة الفتح.



الجامع الكبير عقبة بن نافع في تونس

العودة الثانية

فى سنة ٦٢هـ رجع عقبة للقيروان على عهد الخليفة الاموى يزيد بن معاوية فجدد بناءها ثم اتجه لاتمام فتح المغرب الاوسط ولذلك عمل على تجهيز جيشه وكان هو على رأسه ومعه الزعيم البربرى (كلغيلة) اسيرا ولما بلغ هذا الجيش الاسلامى (كلغيلة) قرب (حنشلة) خرج اليه الروم واتباع من البربر فدارت رحا الحرب سجالا فى عنف وقوة وتمكن المسلمون من التغلب وعند الانتقال لعاصمة (اربة) عاصمة منطقة (الزاب) فقاتلوا اهلها ولما بلغوا مدينة (تهرت) التى صارت عاصمة الدولة (الرسمية) ثم تلمسان تم لهم الفتح المبين.

ثم وصلوا (تلمسان) ومن هناك وقع تنظيم الحملة للتوغل فى المغرب الاقصى الى طانجة وعند الوصول وفى بحر المحيط الاطلسى أدخل البطل العربى (عقبة) فرسه الى البحر وشهر سيفه ورفع بصره الى السماء قائلا (اللهم اشهد انى قد بلغت المجهود ولولا هذا البحر لمضيت فى البلاد اقاتل من يشرك بك حتى لا يُعبد احد من دونك).

ثورة البربر والاستشهاد

بعد ان أوصل جيش عقبة الاسلام الى اصقاع لم يبلغها قبله اعتزم العودة الى دار الامارة ومركز الحكم الاسلامى (القيروان) و(كلغيلة) الذى كان ينتظر الفرصة السانحة للانقضاض على هذا القائد العربى المسلم المغوار حتى يعود المجد للامير البربرى وما ترحيب البربر بالمسلمين الا خديعة ومكر انهم اظهروا التعاطف مع المسلمين كقوة معادية للروم البزنطيين طمعا فى الاطمئنان منهم اليهم. . ويظهر هذا جليا من هروب (كلغيلة) وتنظيم جيشه وطلب الحماية من اتباعه وتعقب جند المسلمين. . وفى (بسكرة) بالجزائر ينقض (كلغيلة) على جيش المسلمين ويباغتهم ورغم القتال العنيف ومحاولة صد الهجوم المباغت استطاع ان يقضى على الجيش الاسلامى وبالرغم من طلب النجدة من القيروان لم يبق معه الا ثلّة قليلة من افضل اصحابه الذين جاهدوا بالايمان حتى استشهدوا عن آخرهم فى سبيل نشر الاسلام ورفع رايته خفاقة (دفن بالزاب سنة ٦٩هـ) مع رفاقه بالمكان المعروف لليوم بسيدى عقبة يقول ابن خلدون فى تاريخه «واحداث اولئك الشهداء عقبة واصحابه مكانهم ذلك من ارض (الزاب) يعرف لليوم باسم سيدى عقبة وهو واحة صغيرة فى غاية الجمال فى (بسكرة) من ولاية قسنطينة لهذا العهد وقد جعل على قبر عقبة اسمه ثم جصص واتخذ عليه مسجد يعرف باسمه وهو من عدد المزارات ومظان البركة بل هو اشرف مزور من الاحداث من بقاع الارض لما توفر فيه من عدد الشهداء من اصحابه والتابعين».

ما يؤثر عنه من الوصايا

مما يؤثر عنه من الوصايا الخالدة التى اوصى بها ابناءه فى القيروان لما عزم على فتح المغرب قال لهم: «يا بَنِيّ إنى بعت نفسى لله ولا ارى ما يقضى علىّ

فى سفرى يا بَنِىَّ انى أوصيكم بعدة وصايا وخصال فاحفظوها ولا تضيعوها.

● *املؤوا صدوركم من كتاب الله فانه دليل على الله.*

● *خذوا من كلام العـرب ما تهتدى به السنتكم ويدلكم على مكارم الاخلاق.*

● *اوصيكم ان لا تتداينوا ولو بعتم العباءة فإن الدين ذلّ بالنهار وهمّ بالليل فدعوه تسلم لكم اقداركم واعراضكم.*

● *لا تقبلوا العلم من المغرورين فيفرقوا بينكم وبين الله.*

● *لا تأخذوا دينا الا من اهل الورع فانه اسلم لكم ومن احتاط سلم ونجا.*

وبهـذه التـوجيهـات علم عقبـة كقائد للجيش الاسلامى وكأمير على افريقية وبهدى الله صار يدفعه وجدانه الدينى فجاهد فى الله حق جهاده حتى ابلى البلاء الحسن فى اعلاء كلمة الله واشادة معالم الاسلام وبفضله ما رجع المغرب العربى كله حتى اليوم عن هذا الاختيار فى اعتناق الاسلام كعقيدة ومبدأ ونشر مبادئه والذود عنه والانتساب اليه رحمه الله رحمة واسعة واسكنه جنة رضوان.

المراجـــع

● تاريخ ابن خلدون.
● معجم البلدان لياقوت الحموى.
● خلاصة تاريخ تونس لحسن حسنى عبد الوهاب.
● اتحاف اهل الزمان لاحمد بن أبى الضياف.
● الخلاصة النقية فى امراء افريقيا.
● معالم الايمان للدباغ.

المختار

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر



العدد السادس والعشرون رجب ١٤٠٦هـ

للشرف

محمود عارف

الإسراء

فى رحـلة المـعـراج والإسـراء
وحـتّى يفـوق تَخَيُّـلَ الـشـعـراء
سبحـان منْ أسْرَى بخير عباده
فى ليـلةٍ قُدْسِيَّـةِ الأضـواء
جبريـلُ فيهـا قد أتـاه بمـركَبٍ
فاقَ الـضيـاء بسـرعـةٍ ومضـاء
للمسجد الأقصى منَ البيتِ الحرامِ
مضـى به ليـلًا بغـير مِراء
فى وَمْضَـةٍ قَهَـرَ الـزمـانَ بُراقُـه
وعـلى جنـاح الـنـور للعليـاء
فى لمحةٍ صَعَدَ الرسول وفُتِّحَتْ
لمحـمـدٍ أبـوابُ كلِّ سماء
حتى رأى رُسُـلَ الهـدايـةِ قَبْله
وجميـعهمْ كانـوا منَ البـشـراء

عَرَجَ الأمينُ مع المكينِ مَعَارجاً
بهما سَمَـتْ للسِّدْرَةِ العصـماء

وأمـامَهـا جبريـلُ قال مُوَدِّعـاً :
هذا مقـامُـكَ دُونَـنا رُفَـقَـاء
هذا مقـامُـكَ يا محمـدُ فاستلمْ
منْ ربِّـك الـوهَّـابِ خيْرَ عَطاء

●●●

أَدْنَى منَ القـوسـينِ كانَ محمَّـدٌ
فى باهـرِ الأنـوارِ يالـلرَّاء
ولـه تَجلَّى الحـقُّ جَلَّ جلالـه
وعـليـهِ منَّ برؤيـةٍ ولِـقَـاء
ولـقـد رأى ما قد رأى بفؤاده
ما لَمْ يُتَـحْ لبصـائـرِ البُصَـرَاء
تالـلـه ما كذَبَ الـفؤاد وقـد رأى
الـكُـبْرَى منَ الآيـاتِ والآلاء
أَسْمِعْ به .. أبْصِرْ بِهِ .. منْ مُنْعِم
يَخْتَصُّ منْ قد شاء بالـنـعـماء

والمعراج

شعر
أحمد فهمى
خطاب

فوقَ الخيـال . . وقـدرةِ العلماء
فوقَ العقـولِ ومُـدْرَكِ العقلاء
فى جَنَّـةِ المأْوَى أراه مَنـازِلَ
الأبـرارِ والأخيـارِ والشهَـدَاء
وأرَاهُ فى درْكِ الجـحيم مَعَـازِلَ
الكُفَّـارِ والأشـرارِ والسفهـاء

●●●

آمنْـتُ بالـرحمـنِ جلَّ جلاَلُـهُ
وبكُـلِّ ما أوحـاه منْ أنْـبَـاء
لا يُنكـر الاسـراء والمعـراجَ إلَّا
كافِـر بالـقُـدْرَة الـشمَّاء
صَلُّوا على منْ كان خَيْرَ مُوَحـدٍ
للمسجـدينِ برحلـة الاسـراء
وامْضُوا على أنـوارِه حتى تُعيـدوا
المسجـدَ الأقْصَى منَ الأعـداء
حتـى يصـيرَ مُحَرَّراً ومُطَـهَّـراً
وتـقـامَ فيـه شعـائِـرُ الحُنَفَـاء

وتَـوحَّـدوا صفـاً . . ولا تتفـرقـوا
شِيَـعـاً وأَحْـزَابـاً بغـير سَوَاء
واسـترجعـوا ما كان منْ أمجادِكمْ
وتَـشَبَّهُـوا بالقـادةِ العُظَـماء

●●●

ولتحذروا الأهْواء . . تَصْدَعُ صفَّكَمْ
لا شىء يَصْـدَعُـه سِوَى الأهْـواء
وتمسكـوا بالحق . . لا تتقـاعسـوا
عن أخْـذِهِ بالـقـو ة القَعْسَـاء
فالحـق يأْخُـذُه الـقَـوى بقـوةٍ
لكـنَّـه ينـبـو عن الضعـفـاء

●●●

والله ينـصـر منْ يقـومُ بنصـرهِ
مُتَمسِّكـا بالشِّـرْعـةِ السَّمْحَـاء
وهْـوَ الكفيلُ بنصرِ منْ قد جاهدوا
مثـل الـرسـول . . وصحبه الخُلَفَاء



ومستشـرفٍ فوق الأنـامل عرشـه
يخط ويُملى والحيـاةُ تُرددُ
إذا اهتـزّ فوق الطّرس وأفْترّ ثغْرُه
أضـاءَ دياجى الليل منـه توقّـدُ
ضعيف ولا سلطـان فى الكـون مثله
وظـل على هذا الـوجـود ممددُ
له خطـواتٌ بارك اللهُ سَعْيَهـا
تقـودُ الى المجـدِ الشعـوبَ وتسعدُ
إذا نطـقـتْ آيـاتُـه وهى أحـرف
أصـاخ إليهـا العالمـون وزغـردوا
يُمجّـدُه القـرآنُ فى كل سورةٍ
ويـدعـو إليـه المسلمين محمـدُ
ولا عِزّ فى الـدنيـا لغير رجالـه
ومـا منهم إلا عظيـمٌ مُخَلّدُ
وكـل بنـاء لم يشيَّـد بهَدْيِهِ
بنـاء وإن طال الـزمـانُ مُهـدّدُ
وبالقـلم الخلّاق قامتْ ممالـكٌ
وأرستْ صروحـاً بالمعارف تشهـد
وبالقـلم الأقـدارُ خطّتْ حروفهـا
على جبهـة الانسـان ساعـة يولـد
مضت دولٌ شادت على السيف مجدَها
ومـا خلّفـت الا الصـدى يتردّدُ
فلو حَقّ فى الـدنيـا سجـودٌ لكـائنٍ
لكـانـت له تعنـو الجبـاهُ وتسجـدُ

إذا اسـود ليـلُ الجهـل لاح بأفقـه
هداه وأضـفـى نوره وهـو فرقـدُ
وكـم عصفـت آيـاتُـه بجحـافـل
ونـيـل به ما لم ينله المهـنـدُ
وكم أخـرستْ آيـاتُـه من شقـاشق
وأُفحِمَ من اعجـازه الفـذ ملحـدُ
وكـم أُشْعِلتْ نارٌ فأطفأ وقـدهـا
ولـولا خطـوط منـه لم تك تخمـدُ
رسـولُ سلامٍ لم تزل صرخـاتـه
تقـى أممَ المعمـور ما يتهـددُ
أضـاء به قومـى ممالـك لم تكـن
تبـاهى بغـير السيف فى عرفهـا يدُ
وشـادوا به فى الكـون كل منـارة
تمد حضـارات الشعـوب وتُـرفـدُ
ومـا ضرهـم أن لا تُسَلّ سيـوفهم
واقـلامـهـم فى الخافـقـين تُجرّدُ
لها كل يوم فى الجـهـالـة جولـةٌ
وفى الخلق والابـداع ما ليس يُجحـدُ
وكـل يد شلاء غير سويّـة
إذا لم يقـومـهـا الـيراع ويسـنـدُ
ومـا ليراع فى يد غير حرة
مجال ولا ينسـاب وهـو مقـيـد
ولا سيـف فى يوم الملاحـم قاطـع
اذا ضربـت أيـدٍ به وهـو مغـمـدُ

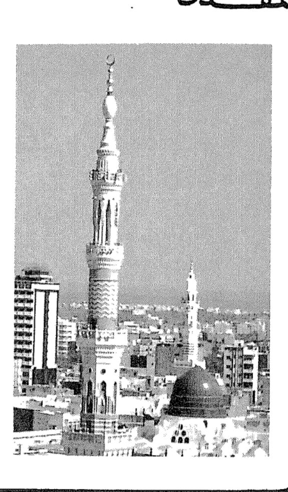
(توسعة الحرم النبوى الشريف)

يد بيضاء للفهد المفدى



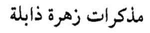
القــولُ آن أوانُــهُ
والـشـعـر حان بيـانُـهُ
مَلِكُ البـلادِ وخـادمُ
الحـرمَـيْن طاول شانُـهُ
شمـل (المـدينـةَ) روضةَ
الـرَّوْضـاتِ ذاك رمـانُـهُ
وأفـاضَ من آلائـهِ
فيضَ الكـريم.. احنـانُـهُ
أولـى (المـدينـةَ) لَفْتـةً
كُبْرى وجَـلَّ مكـانُـهُ

رَحُبتْ (بَطْيبـةَ) رَوْضـةٌ
والـروضُ طاب جُنانُـهُ
والـنـاسُ بين معظِّـمٍ
لمليكِـهِ .. ولـسـانُـهُ
يُثـنـى ويحـمـد صُنْعَـهُ
حمداً يدوم كيـانُـهُ
كُلُّ الـقـلـوب عوارفٌ
وكـتـابُـهُ .. عنـوانُـهُ
شمـلتْ أيـاديـه البـلا
د أجَـلْ. وعـزَّ بنـانُـهُ
عاش المـليـكُ ممتَّـعـاً
بالـعـزِّ دام حِسـانُـهُ



ألا إنـه الـنـور الـذى ليس ينطفى
ونـبـعٌ لأسـرار الحـيـاة ومـولـدُ
إذا سال فَوْقَ الطـرس سحرُ لُعَابِهِ
وارفــده فكـرٌ وغـذاه موردُ

تمخّض عن دنـيـا معطـرة الـرؤى
واهـدى الى الانسـان ما ليس ينفد
سلام عليـه ما اعـتـلى كفّ كاتب
وغنى بما يمليـه فى الكـون منشـدُ





دورة الحياة

بذرتى كانت بأعماق الوجود
أنبتتها ديمة.. بين الورود
فى ظلال الأيْك صارتْ بُرْعماً
ناعماً يزهو بأعطافٍ وجِيد

●●●

وبدا الإزهارُ وضّاء الجبين
يفعمُ الأجواءَ بالعطر الثمين
حوله نحلٌ بشوقٍ حائمٌ
وفراشٌ عن يسارٍ ويمين

●●●

نسمة الفجر بأنداء الرُّبى
أطلعَتْنى فى شموق كوكبا
غير أنى حين طال العهد بى
فى فتوتى بلغَ السَّيل الزُّبى

●●●

غارت الحسناء من سمتى النضير
قمة الإبداع فى صنع القدير
فتمنَّت لصباها مثله
دون أن تحْيا به عمر الزهور

●●●

كلّ نبتٍ بعد حين للزَّوَال
وسواء بذُبول أو نضال
قِصَرُ الآجال محسوب علَى
من تمادى فى رُواء وجمال

●●●

فاذا أدرك عُودى ما يهول
من ضمور ونُحُول وأُفول
أتَعزَّى بالشّذا بعض الشذا
نفحُهُ يبقَى كآثار الطّلول

●●●

وإذا صرت هشيما مستباح
ومضَت فى الأفْق تذرونى الرّياح
وتراخيتُ رويداً فى الثَّرى
لا أبالى ما بأوْصَالى أطاح

●●●

ستعود الروح فى أجلى سُطُوع
لرُفاتى بين هاتيك الرُّبوع
مثل يَبعث لـ (أوزوريس) إذا
رَشَقتنى بالسّنا.. كفُّ الربيع

لبيك يا أفغان



أفـغـانُ يا شعـبَ الجـهـادِ وأرضَـه
بدمـائـنـا نفـديـك يا أفـغـانُ
فالـرّوس تغـزو أرضـكـم بنـذالـة
والـنـاس صمٌّ عنـكُـمُ عمـيـانُ
وطَـغـوْا كثيرا فى الـبـلاد بشـرّهـم
قد قُتِّـل الأطـفـالُ والـشـبـانُ
هدمـوا المـسـاجـد والمـعـابـدَ كلَّهـا
إذ أنّهـم ليـسـتْ لهمْ أديـانُ

والـقـدس أنـّتْ مثـلكـم قد نالهـا
بؤسٌ كذا الـنـسـيـان والهـجـرانُ

* * *

شهـداؤكـم حِبُّ الآلـه تسـرّهُـم
رحمـاتُـهُ وصـلاتُـكـم وجـنَـانُ
والـذكـريـات الخـالـدات وحبـكـم
وكـذا الـريـاض وظـلهـا الـفيـنـانُ
والـعـالم المـغـبـون فى غَفْـلاتـه
ضحَّـى بكُـم وكأنـكـم قربـانُ
ولـسـوف تدركُـهـم عواقـبُ غزوكـم
يا بؤسَـهـم وجمـيـعُـهـم ندمـانُ
وبـذاك تنـدثـرُ الحـضـارةُ كلُّهـا
فى ضعـفـهـم ويخـرّب الـعُـمْـرانُ
يا عالمَ الأحـرار فلتـتـنـبـهـوا
وتـراحمـوا ولـيـهـدكـم رحمـنُ
هل تهدأ الـنـفسُ الـكـريـمـة بينـما
شعـبٌ يسُـامُ الخـسـف ذاك هوان؟
هل يسـكـنُ الـقـلبُ الـرحـيم واخـوة
فى بؤسـهـم وأذلهـم حرمـانُ؟
أيـسـرُكـم أن تنـعـمـوا بمـلابس
وجمـيـعـهـم بشـقـائـه عُريـانُ؟
أو أن تنـامـوا الـلـيـل ملء جفـونكـم
وجمـيـعـهـم متـشـرّد سهـرانُ؟

* * *

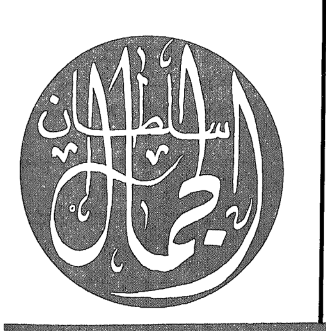
من قبـلُ حدّثـنـا الـرسـول تعـاونُـوا
وتـوحّـدُوا وكأنـكـم بنـيـانُ
وكـذاك أنـصـارٌ كرامٌ رحّـبُـوا
بمـهـاجـريـن وانهـم إخـوانُ
وكـذا جمالُ الـدّيـن حثّ جموعـنـا
بتـعـاون يعـلو به سُلطـانُ
وبـذلـك الـتـاريـخُ ينطـقُ عبرة
وكـذلـك الـتـنـزيـلُ والـقـرآنُ

الزهرة الغريبة



هل تذكرينَ إذِ الْتَقَيْنَا صدفةً
لُقْيَا يُسَرُّ بمثلها الخِبَّانِ
لُقْيَا تَخِفُّ لها القلوبُ ولم يكن
بينى وبينَك قبـ[illegible] عِرفان
وتكلَّمتْ منا العيونُ فأفصحتْ
ولقد تقولُ [illegible]نان
حسبى لِقاء كانَ من نظراتِنا
لَمَّا أبَيْتَ صرا[illegible]
ثم التقتْ نظراتُنا فى زهرةٍ
مِنْ حَوْلها بعضُ [illegible] الآلى
هبَّتْ عليه من السَّمُومِ [illegible]
حتى غدا كالأرؤسِ [illegible]انِ
سكنتْ مكاناً لا تدرُّ [illegible]
ما كانَ قبلُ [illegible] بمكانِ
يجرى عليها الماءُ من [illegible]
ويفرعها لفحُ [illegible]مِ الآنى

تلكَ الزهَيْرة إن نظرتِ فإنها
شبَهٌ لقلبى المحرمِ الصَّديَانِ
يَحْيى على أمل الوصال تمنِّيا
ويموتُ مِنْ ديمومةِ الهِجْرَانِ



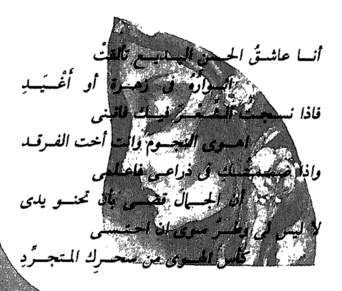
شعر حافظ شرف

حياة الأمل

وقفتُ بين الزهر استوحى الجمال
في رحبِ آفاق الرُّبى بين التلال
فاذا بها الأصداء بين جوانبى
تثير آلاما يُبرِّحُهَا الخيال
فرأيتها الأشجار تعصفها الرياحُ
والسيل يجرف كل شىء كالرمال
فليسَ يبقَى للرؤى شىء عظيم
أبدا يظل بمنعة صون الكمال
فما المصيرُ اذا ضللت بفتنة
وأنا أسيرُ بدرب وهم أو ضلال
أأعيش فى أمل البقاء مكابراً
بزيف احلام تظلُّ من المحال
انى أرى أن الجمالَ بها يزول
فاذا بها تبقى الكلالة والظلال
وما الشباب بعمرنا الا قليل
يوما سيمضى دون رجع أو مآل
كانت حضارات تتيهُ بها تشيد
فأتى الزمانُ على عراها أو أزال
فلست تدرى ما الحياة اذا الشجونْ
فى سر أقدار تهيم بلا جدال
كأنها الأشباح فى ستر مريب
تتقاذفُ الحقدَ المريرَ مع القتال
ماذا تُرانى اليوم أسعى جاهدا
رغم المذلة والمهانة أن أنال
أمضيتُ عهداً أسأل الدنيا القليل
وأجادل الاعمى الذى يهوى الجدال
قد أراك الخير فى قلب كبير
به الرضى للعفو نبلا من مثال
وهناك يبقى الخير فى عهد السنين
حب البراءة فى الطفولة والجمال
وفى التقى والبر والعَدل الكريم
وفى الصلاة وفى الصيام لذى الجلال
ما يغبط القلب الكسير من الهموم
فيرى البهاء متمما ويرى الكمال



قبسٌ سناك من الجمال السرمدي
يا للهوى من نوره المتوقدِ
أنا شاعرٌ لا عاشقٌ متدلِّهٌ
أهوى الجمالَ وان يكن فى الجلمدِ



أنا عاشقُ الحسنِ البديعِ تألقتْ
أنوارُهُ فى زهرةٍ أو أغْيَدِ
فاذا نسجتُ الشعرَ فيكِ فانني
أهوى النجوم وأنتِ أخت الفرقد
واذا ضممتُكِ فى ذراعى فاعلمى
أن الجمالَ قضى بأن تحنو يدى
لا ليس لى وطرٌ سوى أن أحتسى
كأس الهوى من سحرِكِ المتجرِّدِ

شعر
كمال عبد الكريم الوحيدي
قطر



محبُوبَتى(١) هل تذكُرينْ
حُبًّا نما عَبْرَ السنينْ؟
حُبًّا تسامَى بيننا
عطراً كنفحِ الياسَمِين
يا بسمةً تاقَتْ لها
نفسى على الثَّغْرِ المصون
يا نسمةً فاحَتْ شذاً
يا دُرَّة فوقَ الجبين
يا فَيْضَ حُبٍّ صادقٍ
يجرى نَقيًّا مِنْ مَعين
يا نَغمَةً.. رَدَّدْتُها
بين السَّواقى والعيُون
يا زهرة ماسَتْ على
قلبى دَلالًا لا تَهُون
يا رَوْضَةً فى فَيئِهَا
طابَتْ نفُوسُ العاشِقين
يا بُلبلًا أَلْحانُهُ
تَبقَى بأضلاعى رنين
ليلاىَ يا نبعَ الهَوى
أحلامَنا هل تذكُرين؟
لم أنْسَهَا يا سَلْوَتى
يا نبضةَ القلبِ الحزين

إن فَرَّقُوا ما بَيْنَنَا
فالوجدُ فى صَدْرِى أنين
إن باعَدُوا أجسادَنَا
فالوُدُّ باقٍ والحنين
إنْ شابَ رأسى وانحنى
ظهرِى فَحبِّى لا يَلين
لا تجزَعِى محبوبتى
مهما تمادى المجرمون
لا تيأسى لا تقنَطى
مِن رَوْحِ ربِّ العالمين(٢)

---

(١) محبوبتى: هى فلسطين.

(٢) روح: رحمة.



معزوفة حب

يُعذبنى الهوى.. فتصدّ عنّى
وتَصْطَدِمُ فيك إحساسى وظنى
ويُلبسنى الأسى فأراك نورا
يُجمّل هذه الدنيا لعَينْى
على العالمين يحملنى وفاء
إليك ويستبدُّ بى التّمنّى
ولا أدرى لأى مدى سأحيا
على جمر الأسى وأنا أغنى

* * *

ينام الناس حولى.. واشتياقى
إليكِ يردُّ طيفَ النومِ عنّى
وكم أشتاق فى ليلى لرؤيا
بها أجتاز آفاق التّجَنّى
ولكنى وسهدى يحتوينى
وأوتارى تكف عن التغنى
أكاد أحس أنّا ما التقينا
وأنى لستُ منك ولست منى

* * *

بحق هواك يا أمل الليالى
على نار انتظارى لا تدعنى
إليك أحن.. عُدْ لى أو فخذنى
كفى بعداً كفى لا تمتحنى
وإلا فامحُ طيفَك من وجودى
وأرجع لى وجود المطمئن
ومَزِّق ما نسجت من الأمانى
ودعنى للحنين وللتمنى

* * *

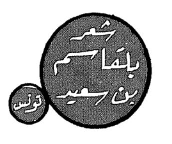
أحبُّك حبّ عصفور سجين
وراء السور مذبوحا يُغَنِّى
وحبّ الطفل يرنو فى اشتياق
إلى ثدى يجودُ بغير مَنِّ
وحبّ العود حَنَّ لهمس لحن
كما حَنَّ الضريرُ لنصف عين
وأنت هناك لا تدنيك مِنى
أماسينا ولا تقصيك عنى

* * *

أجبنى كيف أنت وكيف تغدو؟
إذا ما الليل طال بغير لحنى
وكيف تنام؟ إن مرت ليال
عليك وأنتِ فى شكٍّ وظن
أتذكرنى؟ أتهتف بى أَعِنّى؟
وأهتف: لا.. لأنّك لم تعنى؟
حبيبى: لا.. فديتك يا حبيبى
ولو أنى أذوب من التجنى

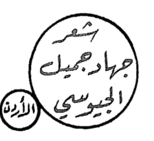
ذات يوم قالت لى حبيبتى شكرا لك عن إحساسك العربى الثائر الرافض للصمت القاتل.. فقلت المعذرة أرفض شكرك ما دام بنوا أمتى صامتين مكتوفى الايدى.

تقولين شكراً



تقولين شكرا لأنكَ ثائرٌ
على صمتنا العربى الفظيع
وواقعنا المرّبين الشعوب
وموتنا بين اللظى والصقيع
تقولين شكرا حبيبى شكرا
لأنت حبيب الأنام جميع
تقولين شعرك أينع حسى
وقولك فى الخانعين بديع
تقولين حس العروبة فيك
يضيىء بدربى ألوف الشموع
تقولين هذا حبيبة عمرى
تقولين ان شعورى رفيع
وما نفع حسى إذا ما بقيت
وحيداً أحس بمجد مضيع
وأسعى لحقن الصبى بالصمود
وأسعى لقهر العدو المريـ[illegible]
فما الصمت إلا العدو الألدّ
وصمت العروبة أمر فظيع
يحيِّرنى صمتنا العربى
وفعل اليهود شنيع.. شنيع

فما تنفع ثورتى يا فتاتى
وصمت ألمّ نفوسَ الجميع
كأن صراخى يشق الفيافى
فلا من مجيب ولا من سميع
سئمت السكوت حبيبة عمرى
وما عدت أهوى نشيج الدموع
[illegible]وبة يحوى دمائى
[illegible]ف شعورى أضيع أضيع
[illegible] تذوب رويدا
[illegible] موت الأب والرضيع
[illegible]تى يا حَيَاتى
[illegible]ر السكون وبحر الخنوع.





وصمَتٌ طالَ الصمتُ أصبحَ خِنجرا — فالصمتُ مقبرةُ الأمانى والرُّؤى

ومكثْتَ فى كهفِ السكوتِ طويلا — فاذرع بصوتِكَ أنجُداً وسُهُولا

فاخرجْ من البئرِ المعطّلة التى — ...الصمت من آساسها

لازَمْتَها زمناً فعُدْتَ عليلا — واجعل كلامَكَ أنهُرا وسُيُولا

أخرجْ إلى نور الحياة وشمسِهَا — ...دُودُ يَأبى أن يظلَّ مُشَرْنَقاً

تجِد الوجودَ محبَّبا وجميلا — والعبدُ يرفضُ أن يظلَّ ذليلا

فلربّما يَلْقَى إليك سبيلَهُ — ...لامَ إذا اقتضَتْهُ ضرورة

ولربما تَلْقَى إليه سبيلا — فالصمتُ أصبحَ باطلا مَفْعُولا

وانفضْ غبارَ اليَأسِ واستنشقْ شذا — ...تُ مثلُ السدِّ يُحْبَسُ ماؤه

الآمالِ وارشفْ ماءها المَعسُولا — فتراهُ من ضغطِ المياهِ مَهيلا

بكى الصمتُ يبدو حبيبة قلبى — ...قبل الورد منك فتاتى

وضاق بها لم يعد يستطيـ... — دليل هوى صامد وولوع

أُنقتادُ للفاتكين بنا — وأبناء هذى الربوع نيام

كحمل صغير غرير وديع — وركب اليهود.. سريع سريع

سيقتاتنا الأطلس المستبد — فمعذرة أرفض الشكر حبى

بحق الرعاة وحق القطيع — وأرض العروبة منى تضيع

أنا دمرتنى مآسى العروبة — سأقبل منك جميل التهانى

وما أنقذتنى ورود الربيع — إذا نسف العربى الخضوع

الدالية الغراء فى محمد

قضى اللهُ للعلياء أن تتجسَّدا(1)
فقالَ لها كُونى فكانتْ محمَّدا
وأجرَى له فى النَّاسِ حُبّاً مُؤثلاً
فما مِنْ ضُحى إلاَّ نَما وتجدَّدا
وأبقى لَهُ مِنْ سرمد النور شارقاً
فما مِنْ دُجى إلا ومنه تبدَّدا
فكانَ هُوَ العَلياء والحبَّ صافياً
وكان هو النورَ الذى صار أحمدا

* * *

وكان ختامَ المرسلينَ جميعهم
إلى الله يدعُو مؤمناً وموحِّدَا
دعا الله إبراهيمُ قبلَ مجيئه
فكان هو التصديقَ والغيثَ والهُدَى
وبشَّرَ عيسَى بالذى يشملُ الوَرَى
بدعوته لله دَوماً عَلَى المدى
فكان هو البُشْرى التى قَدْ تواترتْ
على ألسُن الرُّهبان حتى إذا بدا
وكان هوالرؤيا لأفضل من رأت
بأنَّ سراجَ الحق منها تصعَّدَا

* * *

سلامٌ عليه يوم مولده الذى
أطلَّ على الأكوان بالخيرِ والندى
وأزكى سلام الله بعدَ صلاته
على خير مبعوث دعا وتعبَّدا
على خير من فى الله جاهد بالقَنَا
نهاراً وأمسى طائعاً متهجِّدَا
على خير من وطىء الثرى وثوى به
على خير من شادى القريض به شَدَا
أتى هذه الدنيا وقد كان أهلُها
يخرُّونَ للأذقانِ للصَّخْرِ سُجَّدَا
وبعضٌ جثا للنَّار دُونَ رَويَّة
وبعضٌ إلى الشيطانِ يجثُو تودُّدَا
أتاها رسُولُ الله حين تناحرت
وألقتْ بنيها فى المهالِكِ والرَّدى
أتاها ونيرانُ الضغينة يصطلى
بها أهلُها والنُّصحُ ليسَ لهُ صَدَى
أتاهُم وأشباهُم تُوارى بريئةً
وأموالهم بالظُّلم قد ذهبتْ سُدَى



أتاهُم فكان النورَ يَهْدى جموعَهُم
إلى شِرْعَةِ الرحمنِ عونِ مَنِ اهتدَى

* * *

ويتلُو كتاب الله فيه عن الأُلى
مضى عهدُهم قولٌ صحيحٌ تأكَّدَا
وفيه لهُمْ حُكم نزيهٌ وفاصلٌ
وعمَّنْ سيأتِى كان نُوراً ومَرشِدا
وقد أفلح المستمسكُون بآيه
كما خابَ غاوٍ من سواه تزوَّدا
أردتُ أقولُ الشِّعرَ فيك فعاقَنى
قُصُورى وفيكَ الطَّيْرُ غنَّى وغرَّدَا
ولو أنَّ كُلَّ الشاعِرينَ تآلفوا
على مدْح طه لم يفُوا منه مَقْصدَا
عليه من المولَى الثَّنا وثناؤُه
يجلُّ عن الشعر الذى فيه أنْشدَا

* * *

رسولَ الهُدى أنت الذى قد تزيَّنَتْ
لمقدمِكَ الدنيا سناً وتشهَّدا
ويا خيرَ خلق الله من عهد آدم
تنقَّلتَ فى أصلاب من طابَ محتِدَا
وكُنتَ لعبد الله نُوراً ورحْمةً
وشيبة أوفى إذْ دعاكَ محمَّدا
وكُلِّلت بالأنوارِ فى يوم مولد
نُباهِى به إذْ كان للحقِّ مولِدَا
وطاف حواليك الصِّحابُ لدعوة
تُنادى الى توحيد ربٍّ تفرَّدا
وآمنتَ أنَّ النفسَ تمضى إلى الذى
بَراها ليُوفيها الجزاء المؤكَّدا
وبالبعثِ والنَّشرِ الذى فيه منْ مضى
ومنْ سَوْفَ يأتى قَدْ أقيمَ وأُشهِدا
وبالجنِّ والملكوت فيه ملائكٌ
تسبِّحُ ربَّ الكَوْنِ سبحاً مُردَّدا

---

(١) هذا البيت الأول للشاعر العراقى الراحل ابراهيم أدهم الزهاوى (وهو غير جميل صدقى الزهاوى وصاحب هذا البيت كان ينوى كتابة قصيدة فى مدح الرسول ﴿ﷺ﴾ مبتدئا بهذا البيت اليتيم ولكن لم يتسن له البناء عليه وهأنذا قد كتبت القصيدة بتوفيق الله تعالى كما تمنى الشاعر ولكن للشاعر الراحل قصائد كثيرة فى الاسلام.

في الحلقة السابقة تحدث الكاتب حول الاعتراضات الواردة على مراعاة الاجماع للضروريات في مجملها.. وفي هذه الحلقة يتناول جوانب حفظ الضروريات الذي يتحقق بأمرين: وجودي.. وهو ما يوجد بوجوده المقصد.. وعدمي وهو ما يكون عدمه سببا في وجود المقصود.

من مقاصد الشريعة: حفظ

المبحث الخامس
حفظ الضروريات ومكملاتها

معنى الحفظ: الحفظ في اللغة له عدة معان والمناسب منها هنا معنيان:

الأول: الرعاية فيقال مثلا: حفظ المال وحفظ السر بمعنى: رعاه والحفاظ: التعاهد وقلة النسيان(١).

الثاني: الحفظ بمعنى الاستظهار يقال: حفظت القرآن أي استظهرته وصرت أقرأه من غير نظر الى كتاب(٢).

●● وفي بحث مقاصد الشريعة عند الأصوليين ذكروا له معنيين:

الأول: حفظ الشيء بمعنى القيام به وتثبيته فحفظ المال مثلا: القيام به وتنميته بالوسائل التي تؤدي الى ذلك كالبيع والشراء والمراد تنميته اذا كان قاصرا عن درجة الوفاء بما يحفظ النفس وغيرها(٣).

الثاني: حفظ الشيء بمعنى صونه مما يضيعه كالاسراف والسرقة والحرق في المال فحفظ المال مثلا المحافظة عليه مما فيه اتلافه كالسرقة ونحوها(٤).

وهذان المعنيان مرادان عند الأصوليين وكل واحد منهما يناسب أحد المعنيين اللغويين.

ما يكون به حفظ الضروريات

تقدم معنى الحفظ والمراد به عند الأصوليين. والضروريات الخمس يتحقق حفظها بأمرين اثنين:

الأمر الأول: وجودي وهو ما يوجد بوجوده المقصد وذلك عبارة عن مراعاة المقاصد من جانب الوجود وتكون مراعاتها بما يقيم أركانها ويثبت قواعدها وتتحقق مراعاة الضروريات من جانب الوجود بثلاثة أمور:

أ ـ العبادات: وهي راجعة الى حفظ الدين من جانب الوجود كالايمان والنطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج.

ب ـ المعاملات: وهي راجعة الى حفظ النسل والمال من جانب الوجود أيضا كانتقال الأملاك بعوض أو بغير عوض بالعقد على الرقاب أو المنافع أو الابضاع.

جـ ـ العادات: وهي راجعة الى حفظ النفس والعقل من جانب الوجود كذلك كتناول المأكولات والمشروبات والملبوسات والمسكونات التي يتوقف



عليها بقاء الحياة والعقل.

الأمر الثاني: عدمي وهو ما يكون عدمه سببا فى وجود المقصود وهذا عبارة عن مراعاة الضروريات من جانب العدم ومراعاتها من جانب العدم يعنى: دفع الاختلال الواقع والمتوقع فيها ويتحقق ذلك بشىء واحد وهو: الجنايات.

وهى: **الأفعال المحظورة التى تخل بالنفس والعقل والنسل والمال وهى ما كانت عائدة على تلك الضروريات بالابطال فشرع فيها ما يدرأ ذلك الابطال ويتلافى تلك المصالح كحفظ النفس بالقصاص والديات وحفظ العقل والنسل بالحد وحفظ الأموال بالقطع والتضمين(٥).**

مكمل الضروري

■ الضروريات الخمس السابقة ينضم اليها ما هو كالتتمة والتكملة لها ويعرفه الامام الشاطبى بأنه: (مالو فرضنا فقده لم يخل بحكمتها الأصلية)(٦).

■ ويذكر الامام الشاطبى أن كل تكملة من حيث هى تكملة شرط وهو أن لا يعود اعتبار المكمل على الأصل بالابطال ذلك أن كل تكملة يفضى اعتبارها الى رفض أصلها سواء كانت من الضروريات أو من الحاجيات أو من التحسينيات لا يصح اشتراطها لأمرين:

الاول: أن فى ابطال الأصل ابطال التكملة لأن التكملة مع ما كملته كالصفة مع الموصوف فاذا كان اعتبار الصفة يؤدى الى ابطال الموصوف لزم من ارتفاع الموصوف ارتفاع الصفة أيضا. ذلك أن اعتبار التكملة على هذا الوجه مؤد الى عدم اعتبارها اذ هو محال لا يتصور واذا لم يكن متصورا لم تعتبر التكملة ويعتبر الأصل فقط.

الثاني: **أن العمل على حصول الضرورى الأصلى هو المقصود فاذا كان اعتبار ما هو كالتتمة والتكملة له يؤدى الى زواله كان زوال المكمل أولى من زوال المقصود الأصلى لما بينها من التفاوت فيجب ترجيح المقصود الأصلى على التكميلى، اذ التكملة كالمساعد للأصلى فاذا عارضته فلا تعتبر(٧).**

وذلك يتضح بالمثال: فان حفظ النفس مقصد ضروري وحفظ المروءة أمر مستحسن ولذلك حرمت النجاسات للحفاظ على المروءات واجراء الناس على محاسن العادات لكن اذا دعت الضرورة الى المحافظة على النفس بتناول النجس واهدار المروءة كان الحفاظ على النفس بتناول النجس أولى. . وسوف يأتي مزيد أمثلة للمكملات ان شاء الله.

وحيث فرغت من بيان معنى الضروري فى اصطلاح الأصوليين وبيان أنواع الضروريات على سبيل الاجمال ووجه حصر الضروري فى الأمور الخمسة واختلاف الأصوليين حول ترتيبها والاجماع على مراعاتها وما ورد على دعوى الاجماع من اعتراضات والاجابة عنها وبينت معنى الحفظ وما يكون به حفظ الضروريات ومكملاتها أشرع فى بيان كل واحد من الضروريات على وجه التفصيل من حيث المراد بكل منها وكيفية حفظها وأمثلتها ومكملاتها فأقول:

الأول: حفظ الدين

تقدم قريبا معنى الحفظ أما الدين فى اللغة فهو: «الطاعة والانقياد والعادة والشأن»(٨).

واما فى الاصطلاح: فيمكن تعريفه بأنه «وضع إلهى يرشد الى الحق فى الاعتقاد والى الخير فى السلوك والمعاملات والى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل».

والوضع بمعنى الموضوع: وهو ما جاء به النبى (ﷺ) عن الله عز وجل وما جاء به الأنبياء عليهم السلام عموماً».

والمرشد الى الحق فى الاعتقاد ـ أى موصل للصلاح والفلاح ـ لأن معرفة الحق واتباعه سبب الى الفلاح والفوز وهو يتضمن خير الآخرة وخير الدنيا وكذا المرشد الى الخير فى السلوك والمعاملات.

واذا كان الدين وضعا إلهيا جاء به الرسل عن الله عز وجل فان حفظ الدين الذى هو أحد الضروريات يعنى: حفظ ما جاء به الأنبياء عليهم السلام. . وما جاء به الأنبياء ليس قاصرا على الدين ـ الذى هو أحد الضروريات ـ بل هو شامل لجميع الضروريات الخمس فان كل واحد منها جاءت الرسل بحفظه ورعايته.

ولكن ليس الأمر كذلك فليس المراد بالدين هنا: ما عرفناه سابقا بأنه وضع الهى بل المراد به معنى خاص يعرف به فى مباحث مقاصد الشريعة وهو عبارة عن الايمان وأركان الاسلام الخمسة من النطق بالشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج كما قال الشاطبى(٩) والاحسان كما يراه فى موضع آخر(١٠).

فمعنى حفظ الدين ـ كما يراه الامام الشاطبى ـ حاصل بثلاثة أشياء هى: حفظ الايمان وحفظ الاسلام وحفظ الاحسان.

مايكون به حفظ الدين

● حفظ الدين يكون بأمرين اثنين:

الأول: حفظه من جانب الوجود بما يقيم أركانه ويثبت قواعده.

الثانى: حفظه من جانب العدم بدفع الاختلال الواقع والمتوقع فيه.

ففى دائرة حفظ الدين من جانب الوجود نجد أصول العبادات.

●● وأصول العبادات هى: الايمان والاسلام والاحسان.

أما حفظ الدين من جانب العدم فهو: مراعاة النواهى واجتناب ما نهى عنه مما يؤدى الى اختلال أصول العبادات الواقع فيها من جانب الكفر والشرك والنفاق أو المتوقع من الردة ونحوها.

فحفظ الدين من جانب العدم : يكون بمشروعية الجهاد فى سبيل الله تعالى لقتال أهل الكتاب والمشركين كما فى قوله تعالى : ﴿قاتِلُوا الذين لا يُؤمِنُونَ بالله ولا باليومِ الآخر ولا يُحرِّمون ما حرَّمَ الله ورسولُهُ ولا يَدِينُون دينَ الحقِّ من الذين أُوتُوا الكتابَ حتى يُعْطوا الجِزْيَةَ عن يدٍ وهم صَاغِرُون﴾ (سورة التوبة : ٢٩).

وقال تعالى : ﴿وقَاتِلُوا المشركِينَ كافَّةً كما يُقَاتِلونَكُم كافَّةً واعْلَمُوا أنَّ الله مع المتَّقِين﴾ (سورة التوبة : ٣٦).

وحفظ الدين من جانب العدم : يكون ـ أيضا ـ بعقوبة المرتد والداعى الى البدعة والخروج عن الدين فهذه تؤدى الى ضياع الدين فشرعت الزواجر عن الردة والبدعة بقتل المرتد وزجر المبتدع فيبقى الدين محفوظا وقد قال صلى الله عليه وسلم : «من بَدَّلَ دينه فاقتلوه»(١١).

ويكون حفظ الدين أيضا من جانب العدم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الذى يتناول الترغيب فى الطاعات والترهيب بالوعيد على المعاصى.

هذا ما يراه الامام الشاطبى فى حفظ الدين وخلاصته : أن حفظ الدين يكون من جانب الوجود بما يقيم أركانه ويثبت قواعده وذلك دائر فى أصول العبادات ويكون من جانب العدم بدرء الاختلال الواقع والمتوقع فى الدين وذلك دائر فى مشروعية الجهاد وعقوبة المرتد والمبتدع والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ويرى غير الشاطبى من الأصوليين أن حفظ الدين انما يكون من جانب العدم فشرع الجهاد لقتل الكافر المضل وقتل المبتدع الداعى الى البدعة(١٢).

قال الامام الغزالى ـ رحمه الله : «هذه الأصول الخمسة حفظها واقع فى رتبة الضرورات فهى أقوى المراتب فى المصالح ومثاله : قضاء الشرع بقتل الكافر المضل وعقوبة المبتدع الداعى الى بدعته فان هذا يُفوِّت على الخلق دينهم»(١٣)

ويتبين من المقارنة بين الرأيين

(١) ان ما ذهب اليه هؤلاء يشير الى أحد معنيى الحفظ ـ السابقين ـ وهو: الحفظ بمعنى صون الشيء عما يضيعه والعمل على رعايته وبقائه ودوامه بخلاف ما عليه رأى الشاطبى فانه شامل للحفظ بمعنى صون الشيء ومنعه من الضياع وشامل للحفظ بمعنى القيام بالشيء وتثبيته.

(٢) ان الامام الشاطبى توسع فى حفظ الدين فجعله مقصدا لجميع التكاليف أصولها وفروعها بخلاف ما ذهب اليه غيره فانه خاص بالايمان فقط اذ أول ما يدعى اليه الكافر هو الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

(٣) أن القول بان الضروريات مراعاة فى كل ملة قد لا يوافق ما ذهب اليه الشاطبى بخلاف ما ذهب اليه غيره لأن الشرائع اختلفت فى كثير من فروع الشريعة فلم تكن فيها على منهج متحد كما فى الزكاة ونحوها(١٤).

وأرى أن ما ذهب اليه الشاطبى هو الأرجح لما يلى :

(١) لأنه شامل لمعنى الحفظ ولا شك أن حفظ الدين انما يكون بما يصونه عما لا يضيعه ولذلك شرع قتل المرتد كما أنه يكون بما يثبته ويقيم أركانه ولذلك فرض الجهاد لقتال الكفار ونشر الاسلام.

(٢) ولأن القول بأن الامام الشاطبى توسع فى حفظ الدين حيث جعله مقصدا لجميع التكاليف يمكن أن يجاب عنه بأن أول ما يدعى اليه الكافر هو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ولو اقتصر على ذلك لم يخرج عن دائرة الكفر ولذلك أمر بالصلاة والزكاة ونحوها ولأن الايمان على الرأى الراجح هو قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان والعمل انما يكون من الايمان والايمان من العمل.. والعمل انما هو القيام بما فرضه الله على المؤمن من الصلاة والزكاة والصيام ونحوها(١٥).

(٣) أما ما ذهب اليه الشاطبى لا يتفق مع القول بأن الضروريات مراعاة فى كل ملة لأنها مختلفة فى كثير من فروع الشريعة أقول: تقدم القول بأن الراجح أن الشرائع السابقة قد راعت جميع الضروريات ولا يقدح فى ذلك اختلافها فى كثير من الفروع اذ كل شريعة تناسب الزمان الذى أرسلت فيه الى أقوام الأنبياء عليهم السلام فالضروريات جميعا لم تبح فى ملة من الملل.

مكمل حفظ الدين

مكمل حفظ الدين: هو مالا يستقل بالضرورة بنفسه بل تكون ضروريته تابعة لضرورة حفظ الدين ويشترط لمكمل حفظ الدين: أن لا يعود اعتباره على مقصود حفظ الدين بالابطال فكل تكملة تفضى الى رفض اصلها عند اعتبارها لا يصح اشتراطها عند ذلك(١٦).

مثال مكمل حفظ الدين

١ - اظهار شعائر الدين: مكمل لضرورة حفظ الدين كصلاة الجماعة فى الفرائض والسنة وصلاة الجمعة.

٢ - ذهب بعض الاصوليين الى أن المقصود من شرع عقوبة الداعى الى البدع مكمل لضرورة حفظ الدين وليس هو ضرورياً أصلياً.

بينما يرى آخرون: أن عقوبة المبتدع ليست مكملة لضرورة حفظ الدين بل انها وسيلة لحفظ الدين فالدين لا يحفظ الا بقتال الكفار ومعاقبة المبتدع الداعى الى البدعة ولذلك شرع الجهاد لمقاتلة أهل الحرب وزجر المبتدع الداعى الى البدعة المفضية الى الكفر(١٧).

٣ - قتل المرتد واعتبار البلوغ فى قتله مكمل لضرورة حفظ الدين.

وقال الامام الشاطبى: مكمل الدين ثلاثة أشياء:

الأول: الدعاء اليه بالترغيب والترهيب.

الثانى: جهاد من عانده أو رام افساده.

الثالث: تلافى النقصان الطارىء فى أصله(١٨).

●● ويلاحظ أن اعتبار التكملة هنا لا يعود على أصلها وهو حفظ الدين بالابطال. ومثال ما اختل فيه هذا الشرط:

الجهاد مع ولاة الجور فقد ذهب العلماء الى جوازه ولذلك قال الامام مالك(١٩) - رحمه الله - لو ترك لكان ضرراً على المسلمين وذلك لأن الجهاد ضرورى لحفظ الدين والوالى فى الجهاد ضرورى ومن شرط الولاية العدالة والعدالة فيه مكملة لضرورة وجوب نصب الوالى وكما تقدم.. المكمل اذا عاد على الأصل بالابطال لم يعتبر فلو اشترط العدالة دائما كما هنا لتعطل الجهاد ولذلك جاء الأمر بالجهاد مع ولاة الجور عن النبى ﴿ﷺ﴾(٢٠).

ومما تقدم أقول: الكفر وصف مناسب ووجوب الجهاد حكم شرعى والمحافظة على الدين هو المقصود.. والردة وصف مناسب ووجوب الحد عليها حكم شرعى والمحافظة على الدين هو المقصود من شرع الحكم.

والترغيب فى الطاعات والترهيب عن المعاصى وصف مناسب والحكم وجوب النصح والارشاد للبعض والتحذير بالعذاب والمقصود هو المحافظة على الدين.

الثانى: حفظ النفس

تقدم معنى الحفظ وحفظ النفس يكون بأمرين:

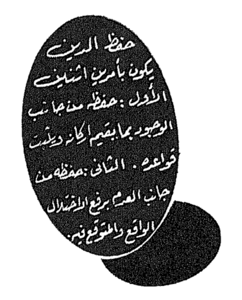
الأول: من جانب الوجود بما يكون به استقرارها وثباتها.

والثانى: من جانب العدم بما يدرأ عنها الهلاك ويضمن لها البقاء الى المدة المقدرة لها عند الله تعالى.

وفى دائرة حفظ النفس من جانب الوجود نجد العادات وهى ما يختص بنفس الانسان والمعاملات وهى ما كانت راجعة الى مصلحة الانسان مع غيره.

فالعادات راجعة الى حفظ النفس من جانب الوجود كالمأكولات والمشروبات والملبوسات والمسكونات وما أشبه ذلك والمراد أصل الغذاء والشراب واللباس والمسكن الذى يتوقف عليه بقاء الحياة وتقوم به البنية ويسد به الرمق وهو ما يكون بفقده تلفها(٢١) .

فنجد الشارع الحكيم يحل لنا الطيبات من الأغذية المأكولات والمشروبات وهو ما كان عائدا الى حفظ النفس من الداخل كما فى قوله تعالى : **﴿كُلُوا من طيِّباتِ ما رزَقْناكُم﴾** (سورة الأعراف: ١٦٠) . . وقال تعالى : **﴿يا بَنِى آدمَ خُذُوا زينَتَكُم عندَ كلِّ مسجدٍ وكُلُوا واشرَبُوا ولا تُسْرِفُوا إنَّه لا يُحبُّ المُسْرِفِين﴾** (سورة الاعراف: ٣١) .



ومن جهة أخرى نرى الشارع الحكيم يوجهنا الى اتخاذ الملبوسات ما نستر به أجسامنا واتخاذ المساكن التى تقينا حر الصيف وبرد الشتاء وتسترنا من عيون المارة وترك هذه الأشياء فيه هلاك النفس وهو ما كان عائدا الى حفظ النفس من الخارج كما فى قوله تعالى : **﴿يا بنى آدمَ قد أنزلنا عليكُم لبَاساً يُوارِى سوءاتكُم وريشاً ولِبَاسُ التقوى ذلك خيرٌ ذلك من آياتِ الله لعلَّهُمْ يَذَّكَّرون﴾** (سورة الأعراف: ٢٦) . . ويقول سبحانه تعالى : **﴿والله جعل لكُمْ مما خلقَ ظلالاً وجعلَ لكُم من الجبال أكناناً وجعلَ لكُم سرابيلَ تقيكم الحرَّ وسرابيلَ تقيكم بأسكُم كذلك يُتِمُّ نعمته عليكُم لعلكم تُسْلمون﴾** (سورة النحل: ٨١) .

والمعاملات راجعة الى حفظ النفس من جانب الوجود والمراد من المعاملات القدر الذى يتوقف عليه حفظ النفس لأن المعاملات طريق الى ما تتوقف عليه النفس من الأمور العادية كالبيع والاجارة وغيرهما من أصناف العقود الأخرى(٢٢) .

والاحتياج الى هذه المعاملات لتحقيق حفظ النفس يكون بالمقدار الذى يتوقف عليه قيامه فالبيع يكون ضروريا فيما يتوقف عليه واحد من الضروريات بحيث لو لم يتمكن منه بالبيع لأدى الى ضياع أمر ضرورى أما مطلق البيع فليس من الضرورى هذا ما يراه بعض الأصوليين ولهذا جعل الأمدى المعاملات من الضرورى كتسليط المولى على تربية الصغير وارضاعه وشراء المطعوم والملبوس له واستئجار من يقوم بمصلحته لأن الحاجة الى النفقة والحضانة طبيعية جبلِّيَّة فى حال الصغر وفى الإعراض عنها سعى فى هلاك الصبيان وفيه هلاك النفوس وانقطاع الجنس(٢٣) .

بينما يرى الآخرون : أن الاحتياج الى هذه المعاملات فى التوصل الى حفظ النفس ليس أمرا لازما فقد يستغنى الانسان عن هذا الطريق فى الوصول والتصدق أو الحصول على المباح الذى لا تتوقف عليه عملية المبادلات السابقة من الإجارات والبيوع ونحوها ولا تتعلق به ملكية أحد .

غير أن هذا القول مردود قال العز بن عبد السلام : (فان البيع لو لم يشرعه الشرع لفاتت مصالح الخلق فيما يرجع الى أقواتهم ولباسهم وسكنهم ومزارعهم ومغارسهم وسواتر عوراتهم وما يتقربون به الى عالم خفياتهم ولا عبرة بالهبات والصدقات لأنها نادرة)(٢٤) .

وذهب امام الحرمين: الى أن البيع ضرورى مطلقاً ويعلل ذلك بأن الناس لو لم يتبادلوا ما بأيديهم لجر ذلك ضرورة ظاهرة ويقرر أن مستند البيع آيل الى الضرورة الراجعة الى النوع والجملة وأنه اذا تمهد فى الشريعة أن الأصول اذا ثبتت قواعدها فلا ننظر الى طلب تحقيق معناها فى آحاد النوع بل ان امام الحرمين يرى فوق ذلك أنه اذا اعتبر معتبر عقدا تمس الضرورة اليه بالبيع كان حسنا على شرط السلامة(٢٥)

حفظ النفس فى جانب العدم

فى دائرة حفظ النفس من جانب العدم نجد أن الشارع شرع أحكام الجنايات من القصاص فى النفس وفى الجروح وفى الأطراف والديات وأرش الجنايات.

والجنايات هى: ما كان عائدا على ما تقدم بالابطال فشرع فيها ما يدرأ ذلك الابطال ويتلافى تلك المصالح(٢٦) فلولا شرعية ما يدرأ ذلك الابطال لتهارج الخلق واختل نظام المصالح.

فمن وسائل حفظ النفس: القصاص فى النفس لأن من يهم بقتل نفس اذا علم أنه سيقتل لا محالة انكف عن القتل ولهذا قال تعالى: **﴿ولكُمْ فى القصاصِ حياةٌ يا أُولى الألباب لعلَّكم تَتَّقونَ﴾** (سورة البقرة: ١٧٩).. ويقول سبحانه **﴿يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكُمُ القصَاصُ فِي القَتْلَى﴾** (سورة البقرة: ١٧٨).. ويقول سبحانه وتعالى: **﴿وكتبْنَا عليهم فيهَا أنَّ النَّفْسَ بالنَّفْسِ﴾** (سورة المائدة: ٤٥).

وقال الرسول ﴿ﷺ﴾ «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله الا الله وانى رسول الله الا باحدى ثلاث: الثيِّب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة»(٢٧).. وانما كان حفظ النفس من جانب العدم بواسطة شرعية القصاص لأن الانسان غايته السعادة الأخروية الدائمة وتلك منوطة بالايمان والطاعات ولا وجود لها الا بفعل المكلف والمكلف لا فعل له الا بالبقاء للمدة المقدرة له التى كُتِبَ له أن يعيش فيها ولا يحصل هذا العيش والبقاء الا بصون النفس عن الهلاك.. ولهذا اقتضت عاطفة الشرع شرعية القصاص صونا للنفس عن الهلاك وصون النفس أمر مشروع وشرعية القصاص مفضية الى هذا المطلوب.. ولهذا اقتضت عاطفة الشرع شرعية القصاص واذا تحقق هذا المعنى لزم حفظ النفس باقامة القصاص فالأنفس على هذا محفوظة بالقصاص(٢٨).

غير أن بعض الأصوليين يرى: أن حفظ النفس من الضروريات ولهذا حرم القتل فى كل ملة لكن حفظها بشرعية القصاص ليس من الضروريات بل هو أمر أتم فى الحفظ ويستدل على هذا بأن القصاص لم يشرع فى شريعة عيسى عليه السلام وهذا يدل على أن القصاص ليس أمرا ضروريا فى حفظها (٢٩).

ومن وسائل حفظ النفس أيضا القصاص فى الأطراف لأن القاطع اذا علم أنه سيفعل به مثل ما فعل ارتدع عن ذلك كما فى قوله تعالى: **﴿وكتَبنَا عليْهِمْ فيها أنَّ النفسَ بالنفسِ والعينَ بالعينِ والأنفَ بالأنفِ والأذنَ بالأذنِ والسنَّ بالسنِ والجُروح قصاصٌ﴾** (سورة المائدة: ٤٥).

وقال صلى الله عليه وسلم: حينما كُسِرتْ ثنية جارية وطلب أهلها القصاص قال: (كتاب الله القصاص)(٣٠). بعد ما سأله أهل الجانى العفو.. فيرى الامام الشاطبى أن حفظ النفس حاصل فى ثلاثة معان: اقامة أصل وجود النفس وذلك بشرعية النكاح والتناسل وحفظ بقائه بعد خروجه من العدم الى الوجود من جهة المأكل والمشرب والملبس والمسكن وحفظها من جانب العدم وهو ما يعود عليها بالابطال

بشرعية احكام الجنايات من القصاص والدية .

مكمل حفظ النفس

مما يعتبر مكملا لحفظ النفس التماثل فى القصاص فإنَّ قتلَ الحرِّ بالعبد والمسلم بالكافر مؤدٍ الى ثوران نفوس العصبية ولذلك . أُشْتُرِطَ الاسلامُ والحرية فى القصاص . فلا تكمل حكمة التشريع فى القصاص بدونه وذلك أن الزجر وتشفى الغيظ مقصود ـ فى أصل القتل ـ مراعاته لأن التماثل مشروع للزجر والتماثل فى القصاص لا تدعو اليه ضرورة ولا تظهر فيه شدة حاجة ولكنه تكميلى(٣١) وكذلك المماثلة فى القصاص مرعية ذلك أن التشفى والزجر فى شرعية القصاص مقصود والقصاص مشروع للزجر ولا يحصل الزجر والتشفى الا بالمثل . . وتمام المماثلة فى القصاص انما يكون فى التنكيل بالقاتل المتعدى كما فعل . . فالاحراق اذا حرق والتغريق اذا غرق وما يجرى مجراه وكذلك اذا قتل بحجر فانه يقتل بحجر أو قتله بالسم فانه يقتل بالسم أو قتله بالخنق فانه يقتل خنقا وغير ذلك من أنواع القتل التى يتوصل بها الى ازهاق الروح(٣٢) .

ومن ذلك أيضا : شرع القصاص فى المثقل فلولا شرعية القصاص حينئذ لأدى الأمر الى أن كل من يريد قتل انسان فانه يعدل عن المحدد الى المثقل دفعا للقصاص عن نفسه اذ ليس فى المثقل زيادة مؤنة ليست فى المحدد(٣٣) .

تشريع حفظ النفس مكى

حفظ النفس من الأصول الكلية التى جاءت الشريعة الاسلامية بحفظها ولما كان شأن التشريع المكى أن يتناول أصول الدين وأركانه وحفظ النفس من أصول الدين ومن أسسه التى يقوم عليها بنيانه فقد نزل تشريع حفظ النفس وغيرها من الضروريات بمكة(٣٤) .

ومن هذا التشريع ما جاء فى النهى عن وأد البنات خشية الاملاق وخوف الاسترقاق قال تعالى : ﴿**واذا الموءودةُ سُئلَتْ بأىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾ (سورة التكوير: ٨، ٩) . . ونهى الشارع الحكيم عن قتل الأولاد خشية الفقر . قال تعالى : ﴿**ولا تَقْتُلوا أولادكُمْ خَشْية إملاقٍ نحن نَرْزُقُهُم وإيَّاكُم إنَّ قَتْلهُم كان خِطْئاً كبيراً**﴾ (سورة الاسراء : ٣١) .

ونهى عن القتل عموما فى قوله تعالى : ﴿**ولا تَقْتُلُوا النفسَ التى حرَّمَ الله إلَّا بالحق**﴾ (سورة الانعام: ١٥١) . . كما أباح تعالى : ﴿**وقد فَصَّلَ لَكُم ما حرَّم عليكُم إلَّا ما اضْطُرِرْتُم إليه**﴾ (سورة الانعام: ١١٩) . . ويتضح مما تقدم: أن الوصف المناسب هو القتل العمد العدوان والحكم الشرعى هو وجوب القصاص والمعنى المقصود للشارع من ترتيب الحكم على الوصف هو المحافظة على النفس .

الثالث : حفظ العقل

حرمة العقل داخلة فى حرمة النفس فحفظ العقل انما يكون بحفظ ما هو حال فيه وهو النفس والنفس تقدم أن حفظها يكون بما تحتاج اليه من جهة الوجود من حيث المأكولات والمشروبات ونحوها ومن جهة العدم من حيث تحريم القتل وايجاب القصاص ونحوه .

● **فحفظ النفس يكون بأمرين :**

أحدهما : حفظها من جانب الوجود .

والثانى : حفظها من جانب العدم والعقل كذلك يكون حفظه بأمرين :

● الأول : حفظه من جانب الوجود بما فيه بقاؤه وثباته .

● والثانى : حفظه من جانب العدم بمنع الاختلال الواقع فيه والمتوقع بما يؤدى إلى مفسدة للعقل(٣٥) .

الأول : حفظ العقل من جانب الوجود

فى دائرة الحفظ للعقل نجد العادات وهى كل ما يختص بنفس الانسان فالشارع الحكيم حرم علينا كل ما يفسد العقل ويؤدى الى ذهابه ولهذا حرم الشارع الخمر لأنها تضر العقل بالازالة والافساد وتحريمها لا يجوز أن يخلو عنه شرع مهد بساطه لرعاية مصلحة الخلق فى الدين والدنيا لما فيها من العدواة والبغضاء والصد عن ذكر الله تعالى وكل ما من شأنه تفويت مصالح الخلق قال تعالى : ﴿**إنّما يريدُ الشيطانُ أن يُوقعَ بينكُمُ العدواة والبغضاء فى الخمرِ والميسرِ ويَصُدّكُم عن ذكرِ الله وعن الصلاةِ فهل أنتم مُنْتَهون**﴾ (سورة المائدة : ٩١).

فالوصف المناسب هنا هو الاسكار الذى أشار اليه تعالى بايقاع العداوة والبغضاء والحكم المترتب عليه هو حرمة تعاطى المسكر ووجوب الحد عليه ويلزم من ترتب الحكم على الوصف المناسب المعنى المقصود من شرع ذلك الحكم وهو المحافظة على العقل وقد قال صلى الله عليه وسلم «**كل مسكر حرام**»(٣٦).

الثانى : حفظ العقل من جانب العدم

فى دائرة حفظ العقل من جانب العدم نجد (الجنايات) وهى ما كان عائدا على العقل بالافساد والزوال فشرع من أجل ذلك ما يدرأ هذا الابطال ويتلافى تلك المصلحة وهى حفظ العقل فالجناية على العقل تكون بشرب المسكر وكل ما من شأنه ضياع العقل وتفويته ولهذا شرع الحد زجرا لشاربها الثابت بالسنة والاجماع.

- اما السنة : فنحو قوله صلى الله عليه وسلم «من شرب الخمر فاجلدوه» الحديث(٣٧).
- أما الاجماع : فقد أجمعت الأمة بل ـ سائر الملل ـ على أن الشريعة انما جاءت من أجل المحافظة على الضروريات الخمس ومنها العقل وأجمعوا على أن كل مسكر حرام قليله وكثيره وأنه خمر كيف ما كان وأنه يجب الحد على شاربه.

مكمل حفظ العقل

وشرع لتكميل حفظ العقل تحريم شرب قليل الخمر المسكر مبالغة فى حفظ العقل ذلك أن اليسير يدعو الى الكثير ويحرك العطش الى الشرب ويبعث على الترقى الى الحالة المطلوبة للنفوس من الطرب والهزة وكذلك سائر المسكرات ويلاحظ أن قليل المسكر لا يزيل العقل وحفظه حاصل بتحريم المسكر والحد عليه وانما حرم القليل لتتميم الحفظ والتكميل.

الرابع : حفظ النسل

اختلفت عبارات الأصوليين فى التعبير عن هذا الضرورى فبعضهم ـ كابن الحاجب ـ يطلق على هذا الضرورى عبارة (النسل)(٣٨) وبعضهم ـ كالبيضاوى ـ يعبر عنه بالنسب(٣٩). وجمع بعض الأصوليين ـ كالغزالى ـ بين العبارتين(٤٠).

والنسل فى اللغة الولد والذرية فيقال : تناسل بنو فلان : اذا كثر أولادهم(٤١). ومعنى حفظ النسل حينئذ : حفظ الولد والذرية والعمل على تكثير الذرية.

والنسب فى اللغة : القرابة مطلقا أو القرابة من جهة الأب فقط(٤٢).

ومعنى حفظ النسب : حفظ القرابة مطلقا أو حفظ القرابة من جهة الأب وعلى كلا الوجهين : فالمراد حفظ الولد لأن حفظ النسب انما يكون بحرمة الزنا والجلد والرجم ولأن المزاحمة على الابضاع تفضى الى اختلاط الأنساب وانقطاع التعهد من الآباء لأولادهم فالمراد بالنسب هنا الولد فحفظ النسب يعنى : حفظ الولد.

ما يحفظ به النسل

حفظ النسل كغيره من الضروريات يحفظ بأمرين :

الأول : حفظـه من جانب الوجود بما يقيمه وينميه ويضع أساسه ويثبته حتى يبلغ أشده .

الثـاني : حفظه من جانب العدم بدفع ما يعرض حياته للخطر والزوال وانقطاعه وارتفاع نوعه .

● أمـا حفظه من جانب الوجود: فيكون فى ميدان (المعاملات) من النكاح ومتعلقاته : كالطلاق واللعان ونحوهما .

● أما حفظ النسل من جانب العدم : فيكون فى دائرة (الجنايات) .

فقد حرم الشارع الزنا وجعل عقوبة رادعة لمرتكبه وهى الجلد والرجم لأن الوثوب على الابضاع من غير علاقة شرعية يؤدى الى الجهل بآباء المواليد فيحرمون عطف آبائهم ورعايتهم فيؤول أمرهم الى الضياع .

● جاء فى التحرير وشرحه :وحفظ النسب بكل من حرمة الزنا بالكتاب والسنة والاجماع لأن المزاحمة على الابضاع تفضى الى اختلاط الأنساب المفضى الى انقطاع التعهد من الآباء المفضى الى انقطاع النسل وارتفاع النوع الانسانى من الوجود»(٤٣).

وقد ثبت حد الزنا بالكتاب والسنة والاجماع :

●● أما الكتاب فقوله تعالى : ﴿**الزانيةُ والزانى فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدةٍ ولا تأخذكم بهما رأفةٌ فى دينِ الله إنْ كُنْتُم تؤمنون بالله واليومِ الآخرِ وليشهَدْ عذابَهُما طائفةٌ من المؤمنينَ**﴾ (سورة النور:٢) .

●● وأما السنة : فقد قال صلى الله عليه وسلم : «واغد يأأنيس الى امـرأة هذا فان اعـترفت فارجمها» قال : فغدا عليها فاعترفت فأمر بها رسول الله ﴿ﷺ﴾ فرجمت(٤٤) .

●● وأما الاجماع : فقد أجمع المسلمون على حرمة الزنا وأنـه من الكبـائـر العظـام التى قال الله تعـالى فيهـا : ﴿**والـذين لا يدعـون مع الله إلَهـا آخرَ ولا يَقْتُلُونَ النفسَ التى حرَّم الله الا بالحقِّ ولا يزنون ومن يفعلْ ذلك يَلْقَ أثاما يُضاعفْ له العذابُ يومُ القيامِة ويَخْلُدْ فيه مُهَانا**﴾ (سورة الفرقان : ٦٨، ٦٩) .

مكمل حفظ النسل

من مكمـلات حفظ النسل منع النظر الى الأجنبية ذلـك أن النظـر وسيلة الى الـزنى المؤدى الى اختـلاط الأنساب وانقطاع النسل ولهذا جاء الوعيد على مقارفة الزنا .

كما جاء المدح للذين حفظوا فروجهم من هذه الرذيلة والمفيد ذم المقارقين لتلك الرذيلة . قال تعالى : ﴿**والذين هُمْ لفُـرُوجهْم حافظُـونَ إلاَّ على أزواجِهم أوْ مَا ملكتْ أيـمانُهُم فإنَّهم غيرُ ملُومِـينَ**﴾ (سورة المؤمنون : ٥، ٦). كما جاء الأمـر بغض الطرف للرجال والنساء فى قولـه تعـالى : ﴿**قـل للمُؤمنـين يَغُضُّوا من أبصارهم ويحفظـوا فرُوجهمْ ذلـك أزْكى لهم إنَّ الله خبيرٌ بما يصنعـون وقُـل للمؤمنـاتِ يغضُضْنَ من أبصارِهنَّ ويحفظْنَ فروجَهُنَّ ولا يُبْـدِين زينتهُنَّ إلاَّ ما ظهـر منها**﴾ (سورة النور: ٣٠، ٣١) .

ويـلاحـظ أن الوصف المناسب هنا هو الزنا والحكم المترتب عليه هو الحرمة ووجوب الحد على الزانى والمعنى المقصود من ترتيب الحكم على الوصف هو المحافظة على النسل .

الخامس : حفظ المال

حفـظ المـال : هو الضرورى الخامس والمراد بالمال : الـواجب حفظـه : عرفه الامام الشاطبى بقوله : «وأعنى بالمـال ما يقع عليه الملك ويستبد به المالك عن غيره اذا

أخذه من وجهه ويستوى فى ذلك الطعام والشراب واللباس على اختلافها وما يؤدى اليها من جميع المتمولات»(٤٥).

فقوله: ﴿ما يقع عليه الملك﴾ يخرج به مالا يملك كالخمر والخنزير وقوله ﴿ويستبد به المالك عن غيره﴾ يخرج به مالا يستبد به المالك عن غيره: كالماء والنار والكلأ.

والمراد بالضرورى من المال: هو ما يتوقف عليه حفظ الضروريات، فالدين مثلا لا يكون محفوظا الا ببقاء الأشخاص الذين يتحملونه والأشخاص لابد لها من المال ما تقوم به حياة الانسان من مأكل ومشرب وما الى ذلك(٤٦).

● وحفظه كغيره من الضروريات يكون بأمرين:

الأول: حفظه من جانب الوجود: فى دائرة المعاملات وذلك عن طريق الحصول عليه بأسباب الملكية من بيع وشراء وغيرهما من عقود التبرعات وأبواب نقل الملكية ومن حفظه كذلك أن يقوم بتنميته عن طريق التجارة والزراعة والصناعة وكل ما يؤدى الى تنمية المال وتكثيره بالطريق المشروع الحلال(٤٧).

وهذه التنمية التى تعد من حفظ الضرورى المراد بها تنمية مال القاصر عن درجة القيام بها يحفظ النفس وغيرها وتنميته بحيث يصل الى الحد الذى يكفى لسد الضرورى أو المحافظة على ما بلغ حد الضرورة بالتنمية اذا كانت وسيلة الى عدم فنائه بالانفاق وغيره أما مجرد الكثرة فليست داخلة فى ضرورى حفظه(٤٨).

وفى سبيل التذكير بنعمة الأموال والتوجيه الى تحصيلها بالطرق المشروعة يقول تعالى: ﴿**هو الذى جعلَ لكُمُ الأرضَ ذلُولاً فامشُوا فى مناكِبِهَا وكُلُوا من رزْقِه وإليه النُّشُورُ**﴾ (سورة الملك: ١٥).. ويقول تعالى: ﴿**فاذا قُضِيَت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضلِ الله واذكروا الله كثيرا لعلَّكُم تُفلِحُونَ**﴾ (سورة الجمعة: ١٠).

الثانى: حفظه من جانب العدم: ويكون فى دائرة (الجنايات) بدفع العوارض التى تؤدى الى انعدامه وخروجه عن ملك صاحبه كالسرقة والغصب والاسراف وسائر ما يؤدى الى اتلافه وضياعه(٤٩)، وحفظ المال من جهة العدم يكون بأمرين:

●● أحدهما: ايجاب القطع فى السرقة وقطع الطريق.

●● وثانيهما: الزجر وايجاب الضمان على المتعدى فيه بالغصب فان المال فيه دوام العيش وقوام الحياة(٥٠).

أما حفظه عن طريق ايجاب حد السرقة فيقول فيه تعالى: ﴿**والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيزٌ حكيم**﴾ (سورة المائدة: ٣٨).

وكذلك حفظه الشارع الحكيم عن طريق اقامة حد الحرابة على قاطع الطريق لأخذ المال قال تعالى فى شأنه: ﴿**انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يُقتَّلوا أو يُصَلَّبوا أو تقطَّع أيديهم وأرجُلهُم من خِلافٍ أو يُنْفَوا من الأرض ذلك لهم خِزْىٌ فى الدنيا ولهم فى الآخرِة عذابٌ عظيم**﴾ (سورة المائدة: ٣٣).

أما الغاصب: فهو الذى يعتدى على الأموال ويأخذها عن طريق القهر والغلبة دون حرابة فان عليه تعزيرا وهو فى نفس الوقت ضامن لما أخذه ان تلف فان كان باقيا رده بعينه وفى ذلك يقول تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالَكُم بينكم بالباطل الا أن تكون تجارة عن تراضٍ منكم**﴾ (سورة النساء: ٢٩).

وقال النبى ﴿ﷺ﴾ «ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام»(٥١).

وحفظ المال من جانب العدم ومن جانب الوجود هو ما سلكه الامام الشاطبى وهو صحيح موافق للعادة فى حفظه فالمال محتاج الى حفظه من جانب الوجود عن طريق تنميته واستثماره ومن جانب العدم عن طريق مشروعية حد السرقة والحرابة وزجر الغاصبين.

وغير الشاطبى من الأصوليين ذهب الى أن حفظ المال يكون من جانب العدم وذلك بشرع الزواجر للغصاب والسراق. فمثلا يقول الغزالى: (والأموال مقصودة بالحفظ على ملاكها، عرف ذلك بالمنع من التعدى على حق الغير وإيجاب الضمان ومعاقبة السارق بالقطع)(٥٢).

«.. معنى حفظ الدين حاصل بثلاثة اشياء: حفظ الايمان.. حفظ الاسلام.. حفظ الاحسان..»
«الامام الشاطبى»

ويقول الآمدى: (وأما حفظ الأموال التى بها معاش الخلق فبشرع الزواجر للغصاب والسراق)(٥٣).

وقد أورد ابن قاسم العبادى فى آياته اشكالا «حول جعلهم حفظ المال ضروريا والبيع حاجيا» من غير تفصيل فى البيع بين مالابد منه وغيره قال: (قد يستشكل جعل المال من الضرورى والبيع من الحاجى مع أن ضرورية المال انما هى لتوقف المعيشة عليه وحينئذ فأى فرق بين المال الذى فى يده والمال الذى يراد تحصيله بالبيع؟ ولم كان حفظ الأول ضروريا دون الثانى؟ مع التوقف على كل منهما فليتأمل(٥٤).

واحتمال الاستغناء عن البيع بنحو هبة واعارة أو تصدق إن منع ضرورية البيع لاغناء ذلك عنه فليمنع ضرورة حفظ ما بيده كذلك أيضا فليتأمل(٥٥).

ويمكن أن يجاب عن هذا الاشكال بأن البيع وسائر المعاملات التى تدخل فى ضرورة حفظ المال هو: ما تتوقف عليه الحياة أما ما زاد عن ذلك فداخل فى حد الحاجى والتحسينى.

وهذا المقدار هو الذى جعله الآمدى من الضرورى وذلك أنه جعل شرع الحكم: أما أن يكون مفضيا الى المقصود الضرورى وهو أصل المقصود أو مفضيا الى دوامه أو الى مكمله فجعل الوسيلة المؤدية الى تحصيل أصل المقصود هى البيع والاجارة ونحوهما قال: (فالأول: يعنى ما كان مفضيا الى تحصيل أصل المقصود مثل القضاء بصحة التصرف الصادر من الأهل فى المحل تحصيلا لأصل المقصود المتعلق به من الملك أو المنفعة كما فى البيع والاجارة ونحوهما)(٥٦).

مكمل حفظ المال

من مكملات حفظ المال اعطاء اجرة المثل لكل من الأجير وعامل القراض الذى يأخذ اجرة من ربح المال

الذى وكلت إليه ادارته وفى هذا حفظ لمال كل من المستأجر وصاحب المال من جهة واجرة الأجير وعامل القراض من جهة أخرى ففيه حفظ لمال كل من الطرفين(٥٧).

ومن ذلك أيضا: ما جاء عن الشارع من الأمر بحفظ المال وعدم تضييعه والتوعد على من يحاول جمع المال بطريق غير مشروع قال تعالى: ﴿**ويل للمطفِّفين الذين اذا اكْتَالوا على الناس يستوفون. واذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسِرُون**﴾ (سورة المطففين: ١، ٢، ٣).

ومن مكملات حفظ المال: منع الربا فان منعه تكميل لحفظ المال ذلك أن الزيادة التى يأخذها صاحب المال المرابى جزء من مال الدافع يذهب هدرا بدون مقابل معتبر شرعا(٥٨).

ومما تقدم أقول: ان السرقة والغصب وصف مناسب والحكم المترتب عليه هو التحريم ووجوب الحد والضمان والمحافظة على الأموال هو المقصود.

حفظ العرض

زاد بعض المتأخرين كابن السبكى والطوفى على الضروريات الخمس السابقة نوعا سادسا وهو (حفظ العرض)(٥٩).

ويلاحظ أن كثيرا من الأصوليين لم يذكره والواقع أن الأعراض مما اتفق على تحريمها ووجوب حفظها فما أباح الله العرض بالقذف والسباب.

قال الامام الزركشى - فى البحر المحيط - «فان عادة العقلاء بذل نفوسهم وأموالهم دون أعراضهم وما فدى بالضرورى أولى أن يكون ضروريا».

ويقول: وهو أحق بالحفظ فان الانسان قد يتجاوز عمن جَنَى على نفسه أو ماله ولا يكاد أحد يتجاوز عن الجناية على العرض ولهذا كان أهل الجاهلية يتوقعون الحرب العوان المبيدة للفرسان لأجل كلمة فهؤلاء أهل عبس وذبيان استمرت الحرب بينهم أربعين سنة «لأجل سبق فرس فرسا» وهما قبيلتا داحس والغبراء فاليهما تضاف هذه الحرب(٦٠).

لأن المسبوق اعتقد أن عرضه انفضح بهزيمته فى هذا السباق ويكون حفظ العرض كغيره من الضروريات بأمرين:

الأول: حفظ العرض من جانب الوجود بما يساعد على انتظام الحياة ويقيم أركان العلاقات بين الناس يثبت عوامل الاستقرار فى الحياة الزوجية وحفظ العرض من جانب الوجود يكون فى دائرة المعاملات.. فنجد الشارع الحكيم يحث على الزواج وانتقاء الزوجة الصالحة ذات العنصر الطيب والأخلاق الكريمة كما يوجهنا الى اختيار ذات الدين فيقول تبارك وتعالى: ﴿**وأنكحوا الأيَامَى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إنْ يكونوا فقراء يُغْنِهُمُ الله من فَضْلِهِ والله واسعٌ عليمٌ**﴾ (سورة النور: ٣٢).

وقصد الشارع من وضع أحكام الزواج الشرعى بهذه الطريقة أن ينظم الحياة الزوجية تنظيما سليما أساسه المودة والتراحم ليحقق الحياةالزوجية بأكمل معانيها المطلوبة شرعا.. قال تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾ (سورة الروم: ٢١).

ويحث النبى ﴿ﷺ﴾ على ذات الدين فيقول: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)(٦١).

الثانى: حفظ العرض من جانب العدم ويكون فى دائرة الجنايات وذلك عن طريق درء الاختلال الواقع والمتوقع فى الأعراض بما يحفظ شرف الانسان ويصون كرامته ويكون حفظ العرض بايجاب حد القذف واللعان على من رمى زوجته بالزنا ولم ينف النسب.

أما القذف: فهو الرمى بالزنا الذى يفضى الى الشك فى النسبة الى الآباء وقد أوجب الله تعالى على القاذف ثمانين جلدة وعدم قبول شهادته قال تعالى: ﴿**والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون**﴾ (سورةالنور: ٤).

أما اللعان: فانه يكون بين الزوج وزوجته حينما يشك الزوج فى عفافها ويرميها بالزنا ويتعذر مع ذلك احضار الشهود لأن مبنى الحياة الزوجية على الستر والحياة الزوجية فى هذه الحالة سوف تكون متعذرة لذلك شرع الله سبحانه وتعالى اللعان بينهما وبعده تنحل الزوجية ويسلم الزوج والزوجة من الحد بعد أن يتلاعنا قال تعالى: ﴿**والذين يرمون أزواجهُم ولم يكن لهم شهداء إلاَّ أنفُسُهُم فشهادة أحدهم أربعُ شهاداتٍ بالله إنَّه لمن الصَّادقين والخامسةُ أنَّ لعنة الله عليه إنْ كان من الكاذبين. ويدْرؤُ عنها العذاب أنْ تشهد أربع شهاداتٍ بالله إنَّه لمن الكاذبين. والخامسة أنَّ غضب الله عليها إنْ كان من الصادقين**﴾ (سورة النور: ٦، ٧، ٨، ٩).

ومن ذلك أيضا ما يراه بعض الأصوليين أنه مما شرع لحفظ الأعراض من جانب العدم القطع فى السرقة ويعلل ذلك بأن السرقة تلطخ عرض السارق فشرع القطع لئلا يلطخ عرضه برذيلة السرقة(٦٢).

واختلف الأصوليّون القائلون بأن العرض أحد الضروريات فى مرتبته بين الضروريات على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب اليه جماعة من الأصوليين وهو: أن حفظ العرض يقع فى رتبة حفظ المال ولهذا عطف السبكى وحفظ العرض على حفظ المال بالواو اشارة الى أنه فى رتبة المال فقال: والضرورى كحفظ الدين فالنفس فالعقل فالنسب فالمال والعرض(٦٣).

القول الثانى: ذهب آخرون الى أن قذف العرض ليس فى رتبة تلك الخمسة المجمع على حفظها فى كل ملة وان كان القذف كبيرة شرع فيها الحد ويرى صاحب هذا القول: إن من رأى أن القذف يؤدى الى الشك فى النسب فقد غلط لأن النسب الثابت شرعا لا يتطرق اليه الشك بقول القاذف الفاسق.

وفساد هذا القول وما استدل به قائله فى غاية الظهور لأنه ان أراد بالشك الشك فى الحكم الشرعى فهو غير مراد فى مبحث الضروريات وسبيل حفظها.

وان أراد شك الناس فى النسب نفسه الذى هو المراد هنا فزعمه عدم تطرق الشك بقول القاذف زعم باطل لا يخفى بطلانه للقطع باحتمال صدق القاذف الفاسق بل انهم جوزوا التعويل على اعتقاد صدقه وأوجبوه فى مواضع وهذا يوجب الشك قطعا بل ويوجب ما هو أعلى من الشك(٦٤).

القول الثالث: ذهب الامام الزركشى الى أن الاعراض تتفاوت فمنها ما هو من الكليات وهو الأنساب وهو أرفع من الأموال فان حفظها يكون تارة بتحريم الزنا وتارة يكون بتحريم القذف المفضى الى الشك فى الأنساب وتحريم الأنساب مقدم على الأموال ومن الأعراض ما هو دون الكليات فهو دون الأموال وهو ما عدا الأنساب(٦٥).

ويمكن تصوير تلك الحالة باللواط فان المراد بالزنا ما يشمله وليس فى ذلك التطرق لأنه ليس محلاً للايلاد وفى هذه الحالة يشكل كون العرض فى دون رتبة المال لأن الانسان المعتبر يتأثر بالقدح فيه باللواط مالا يتأثر بفوات ماله خصوصا اذا كان يسيرا كربع دينار ونحوه ويمكن أن يحمل قول الزركشى فى القذف على مطلق الشتم ومنه ما كان رميا بغير الزنا(٦٦).

هذا آخر ما تيسر لنا كتابته وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

(١، ٢) انظر مختار الصحاح ص١٤٤، لسان العرب (٩/ ٣٢٠)، ٦/ ١٩٩-٢٠٠).

(٣، ٤) انظر: الموافقات بتقرير الشيخ الدراز (٢/ ٨)، (٤/ ٢٨).

(٥، ٦) انظر: الموافقات ـ للشاطبى (٢/ ٨-١٠-١٢).

(٧) بتصرف من الموافقات (٢/ ١٤).

(٨) انظر: مختار الصحاح (للرازى: ص٢١٨) ولسان العرب (١٧/ ٢٧/ ٢٨).

(٩، ١٠) انظر: الموافقات (٢/ ٨)، (٤/ ٢٧).

(١١) اخرجه البخارى فى الجهاد ـ باب لا يعذب بعذاب الله (٤/ ٧٥) وفى كتاب الاستتابة ـ باب حكم المرتد والمرتدة (٩/ ١٩) وفى كتاب الاعتصام باب قول الله تعالى: ﴿ وأمرهم شورى بينهم﴾ (٩/ ١٣٨).

* واخرجه الامام أحمد فى مسنده (١/ ٢٨٢، ٢٨٣).

* واخرجه أبو داود فى كتاب الحدود ـ باب الحكم فيمن ارتد (٤/ ٥٢٠).

* وأخرجه النسائى أيضا فى كتاب تحريم الدم باب الحكم على المرتد (٧/ ١٠٤، ١٠٥).

(١٢) انظر: شرح الجلال المحلى على جمع الجوامع (٢/ ٢٨٠) والاحكام للآمدى (٢/ ٢٧٤) والتحرير (٤٣٣).

(١٣) المستصفى ـ للغزالى (١/ ٢٨٧) مطبوع مع فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت.

(١٤) انظر: تقرير الشيخ دراز على الموافقات (٢/ ٩).

(١٥) انظر: كتاب الايمان لشيخ الاسلام ابن تيمية (ص: ٢٥٠).

(١٦، ١٨) انظر: الموافقات (٢/ ١٣)، (٤/ ٢٧).

(١٧) انظر: تيسير التحرير (٣/ ٣٠٦) والتقرير والتحبير (٣/ ١٤٣).

(١٩) هو: الامام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو الأصبحى المدنى امام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة واليه ينسب المالكية ولد بالمدينة سنة ٩٣هـ من أشهر مؤلفاته الموطأ ورسالة فى اجماع أهل المدينة توفى سنة ١٧٧هـ بالمدينة انظر فى ترجمته: حلية الأولياء (٦/ ٣١٦-٣٥٥) ترتيب المدارك ـ للقاضى عياض (١/ ١٠٢-٢٣٧) تهذيب التهذيب (١٠/ ٥-٩).

(٢٠) انظر: الموافقات للشاطبى (٢/ ١٥)..

(٢١، ٢٢) انظر: الموافقات (٢/ ٩، ٤/ ٢٧، ٢/ ٩) بتقرير الشيخ دراز.

(٢٣) انظر: شفاء الغليل للغزالى (ص: ١٦٥، ١٦٦).

(٢٤) قواعد الأحكام لابن عبد السلام (١/ ٣٣٥).

(٢٥) انظر: البرهان فى أصول الفقه ـ للجوينى (٢/ ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٣٠).

(٢٦) انظر: الموافقات (٢/ ١٠).

(٢٧) أخرجه عن ابن مسعود الامام أحمد فى مسنده (١/ ٣٨٢).

* وأخرجه البخارى فى كتاب الديات ـ باب فى قوله تعالى ﴿أن النفس بالنفس﴾ (٩/ ٦) وأخرجه مسلم فى باب ما يباح به دم المسلم (٣/ ١٣٠٢).

* وأخرجه أبو داود فى كتاب الحدود باب الحكم فيمن ارتد (٤/ ٥٢٢).. وانظر: نيل الأوطار (٧/ ٨).

(٢٨) انظر: الكاشف ـ عن المحصول للأصفهانى (ج٣ ورقة ٢٤٠آ).

(٢٩) انظر: فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت (٢/ ٢٦٢).

(٣٠) أخرجه بألفاظ متقاربة عن أنس بن مالك: البخارى فى كتاب الاصلاح بين الناس ـ باب الصلح فى الدية (٣/ ٢٤٣) وفى تفسير سورة البقرة ـ باب: ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص﴾ (٦/ ٦٥/ ٦٦) وفى كتاب الديات ـ باب السن بالسن (٩/ ١٠).

* وأخرجه مسلم فى كتاب القسامة ـ باب اثبات القصاص فى الاسنان.

وما فى معناها (٣/ ١٣٠٢).

* وأخرجه أبو داود (٤/ ٧١٧).. وأخرجه النسائى فى كتاب القسامة (٨/ ٢٦-٢٧).. وأخرجه ابن ماجة (٢/ ٨٨٤، ٨٨٥).. وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى (٨/ ٦٤).

ويلاحظ أن هذا الحديث وقع فيه اختلاف كثير. ففى رواية البخارى وأبى داود والنسائى وابن ماجة والبيهقى فى «السن» وفى رواية مسلم ورواية للنسائى والبيهقى «فى الجرح» ورواية البخارى وأبى داود وابن ماجة والبيهقى قال أنس بن النضر، ورواية مسلم والنسائى والبيهقى قالت أم الربيع، وفى رواية للبخارى وأبى داود وابن ماجة والبيهقى: «أن الجانى الربيع» وفى رواية لمسلم والنسائى والبيهقى: «أن الجانى اخت الربيع».



يقول النووي عن هذا الاختلاف: أنها قضيتان انظر صحيح مسلم بشرح النووي (١١/١٦٣).

(٣١) الموافقات بتقرير الشيخ دراز (٤/٢٧).

(٣٢) اختلف العلماء في التماثل في القصاص فذهب مالك والشافعي وأحمد الى أنه يقتص من الجاني على الصفة التي قتل فمن قتل تغريقا «يقتل تغريقا» الا أن يطول تعذيبه فيقتل بالسيف وحجتهم حديث أنس أن يهوديا رضخ رأس امرأة بحجر فرضخ النبي ﴿ﷺ﴾ رأسه بحجر وذهب ابو حنيفة وأصحابه الى أنه بأي وجه قتل لا يقتل الا بالسيف لحديث: (لا قود إلا بحديدة).. انظر: بداية المجتهد (٢/٣٣٨، ٣٣٩) والمبسوط (٢٦/١٢٢).

(٣٣) ذهب جمهور الفقهاء الى أن القتل بالمثقل موجب للقصاص لحديث (أن يهوديا قتل جارية على أوضاح لها بحجر فقتله رسول الله ﴿ﷺ﴾ بين حجرين) متفق عليه. وذهب بعض الفقهاء ومنهم أبو حنيفة الى أنه لا قود الا ما كان بالسلاح وفي مثقل الحديد عن أبي حنيفة روايتان لحديث: (الا أن في قتيل عمد الخطأ قتيل السوط والعصا والحجر مائة من الابل).

انظر: المبسوط للسرخسي (٢٦/١٢٥) الشرح الكبير لابن قدامة (٥/١٥١).

(٣٥،٣٤) انظر: الموافقات - للشاطبي (٣/٤٧)، (٢/٨،٩).

(٣٦) أخرجه مسلم في كتاب الاشربة (٣/١٥٨٧) وأبوداود في الأشربة (٤/٨٩). والنسائي في الأشربة (٨/٢٩٨).

(٣٧) هذا جزء من حديث يرويه مرفوعا جماعة من الصحابة.. أخرجه الامام أحمد في مسنده (٢/١٦٦).. وأخرجه أبو داود في كتاب الحدود - باب اذا تتابع في شرب الخمر (٤/٦٢٥، ٦٢٦).. وأخرجه الترمذي - في كتاب الحدود - باب ما جاء من شرب الخمر فاجلدوه فان عاد في الرابعة فاقتلوه (٢/٤٥٠).. وأخرجه النسائي - في كتاب الأشربة - باب ذكر الروايات المغلظات في شرب الخمر (٨/٣١٣).. وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤/٣٧١) وقال (هذا حديث صحيح الاسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.. وأقول: هذا الحديث روى بعدة طرق يقوى بعضها بعضا (فتح الباري ١٢/٦٩-٧٠).

(٣٨) انظر مثلا: مختصر المنتهى وشرحه (٢/٢٤٠) والبحر المحيط - للزركشي (٣ ورقة ٩٣ب) مخطوط. وشرح الكوكب المنير (ص:٣١٣).

(٣٩) انظر: التحرير (ص:٤٣٣) المنهاج للبيضاوي (ص:٨٥).

(٤٠) انظر: المستصفى - للغزالي (١/٢٨٨).

(٤١) انظر: مختار الصحاح (ص:٦٥٧) لسان العرب (١٤/١٨٣)..

(٤٢) انظر: لسان العرب (٢/٢٥٢).

(٤٣) التقرير والتحبير - شرح التحرير (٣/١٤٤).

(٤٤) روى هذا الحديث عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني بألفاظ متقاربة:

* أخرجه الامام مالك في (موطأه في كتاب الحدود - باب ما جاء في الرجم (تنوير الحوالك شرح موطأ مالك (٣/٤٠، ٤١).. وأخرجه البخاري عن أبي هريرة وزيد بن خالد في كتاب الحدود - باب الاعتراف بالزنا (٨/٢٠٨) وفي باب: من أمر غير الامام باقامة الحد غائبا عنه (٨/٢١٢).. وأخرجه مسلم في كتاب الحدود - باب من اعترف على نفسه بالزنا (٣/١٣٢٤، ١٣٢٥).. وأخرجه أبو داود - في كتاب الحدود - باب المرأة التي أمر النبي ﴿ﷺ﴾ برجمها من جهينة (٤/٥٩٣).

(٤٥)،٤٦،٤٧،٤٨) الموافقات (٢/١٧)، بتقرير الشيخ دراز (٢/٩)، (٤/٢٨). وهامشه.

(٤٩) انظر: الاحكام للآمدي (٢/٢٧٤) والمستصفى (١/٢٨٨) وشرح الجلال المحلي على جمع الجوامع مع حاشية البناني (٢/٢٨٠).

(٥٠) انظر: البحر المحيط - للزركشي (٣ ورقة ٩٣ب) مخطوط.

(٥١) هذا الحديث مروي عن عدد من الصحابة بألفاظ متقاربة في بعضها، ﴿إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام﴾ وبعضها بدون ذكر الأعراض. أخرجه البخاري في كتاب العلم باب قول النبي ﴿ﷺ﴾ «رب مبلغ أوعى من سامع» (١/٢٦) وفي كتاب الحج باب الخطبة أيام منى (٢/٢١٥، ٢١٦)، ومسلم في كتاب الحج باب حجة النبي ﴿ﷺ﴾ (٢/٨٨٩).

(٥٢) شفاء الغليل (ص: ١٦٠).

(٥٣) الاحكام للآمدي (٢/٢٧٤).

(٥٤،٥٥) الآيات البينات - لابن قاسم العبادي (٤/٩٦، ٩٧).

(٥٦) الاحكام للآمدي (٣/٢٧١).

(٥٧) انظر: الموافقات (٢/١٢).

(٥٨) انظر: تقرير الشيخ دراز على الموافقات (٢/١٢،١٣)

(٥٩) انظر: جمع الجوامع وشرحه (٢/٢٨٠) وشرح مختصر الروضة - للطوفي (٢/٤٤٢) مخطوطة مكتبة الحرم المكي رقم (٤٦) أصول.

(٦٠) البحر المحيط: للزركشي (٣/٩٤آ).

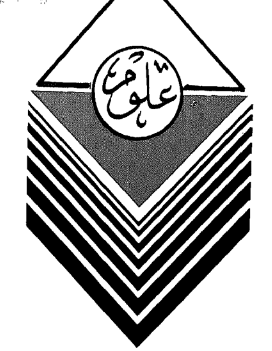
(٦١) هذا الحديث يرويه أبو هريرة مرفوعا: أخرجه البخاري في كتاب النكاح باب الاكفاء في الدين (٧/٩).. ومسلم في كتاب الرضاع - باب استحباب نكاح ذات الدين (٢/١٠٨٦).. ومعنى تربت: أي التصقت بالتراب.

(٦٢) انظر: التوضيح شرح فصول القرافي لليزليتي المالكي (ص: ٣٤١).

(٦٣) جمع الجوامع وشرحه - للجلال المحلي (٢/٢٨٠).

(٦٤،٦٥) انظر: الآيات البينات - لابن قاسم العبادي (٤/٩٧).

(٦٦) انظر: حاشية البناني على جمع الجوامع وشرحه (٢/٢٨٠-٢٨١). وحاشية العطار عليه (٢/٣٢٣).



إنها ريح

فجأة غيرت واستبدلت جميع محطات الاذاعة والتليفزيون فى مدينة نيويورك برامجها المعتادة من اغان واخبار وموسيقى ومطاردات رعاة البقر بأخبار «جلوريا» والدمار الذى احدثته فى شواطىء المدينة وقطعها اسلاك الكهرباء وتحطيم عشش الاصطياف مما اثار الرعب والفزع فى قلوب سكان المدينة التى لا تعرف الراحة أو الهدوء.

وقبل جلوريا بأسابيع قليلة قطعت المحطات المشابهة على الساحل الغربى للولايات المتحدة الامريكية مادتها الاعلامية المألوفة واحلت محلها اخبار احداث مشابهة عن امتلاء الشوارع بالماء فى بعض المصايف الساحلية وتهدم معسكرات الشواطىء وكأن الدمار النووى قد مس مناطق الساحل الغربى لامريكا.

فمن هى جلوريا واخواتها؟.

انها ريح صرصر عاتية.. واعاصير قاسية.. وعواصف هوجاء.. لها صفير مثل العويل يصم الآذان ويخلع القلوب. ويكاد يفقد الناس عقولهم إن لم يفقدوا وعيهم.. يصاحبها تدفق كميات خرافية من الماء قد ترتفع الى اثنى عشر مترا ويسقط فى معيها كميات هائلة من الامطار لم يألفها الناس من قبل تعادل ما يجرى من ماء فى مجرى نهر النيل يوميا. وهى فى تقدمها تدمر وتتلف.. تقتلع وتحطم.. تشرد الناس وتحيلهم إلى لاجئين دون مأوى.. وتخلف وراءها خسائر تقدر بالملايين من الجنيهات أو الدولارات. فقد احالت جلوريا شاطىء مدينة نيويورك إلى خراب ودمار تطلب الاستعانة بقوات حرس السواحل والحرس الوطنى والشرطة المحلية والفيدرالية واستدعاء وحدات من سلاح المهندسين العسكريين والخدمات الطبية بالجيش الامريكى.

ومنذ مدة اغارت الريح الصرصر العاتية على بنجلاديش فأحدثت ما احدثت وشردت قرابة اربعين الف مواطن ودمرت من الحاصلات الزراعية الشىء الكثير.

والاعاصير معروفة منذ فجر التاريخ وجاء ذكرها فى القرآن الكريم عدة مرات إذ يقول الحق جل وعلا **﴿ريح صرصر عاتية﴾**.. وهى تهب فى كل بقاع العالم وتعرف فى كل مكان باسم.. ففى منطقة الخليج العربى تعرف باسم **«السيكلون»** أو



صرصر عاتية

«النكباء» . . وفى استراليا باسم «ويلى ويلى» . . وفى امريكا باسم «التورنادو» واحيانا «فيت» . . ولعل اشهر الاعاصير صيتا وشهره اعصار شيتانوج فى ١٣ نوفمبر عام ١٩٧٠ حيث لم يمض على هبوبه دقائق معدودات حتى غرقت المدينة الصغيرة فى بحر لجى من الماء المتدفق.

ويحدثنا التاريخ عن اعصار هايفونج عام ١٨٨٠م أو اعصار كالكتا قبل مئتى سنة وقد خلف كل واحد منها قرابة ١٥٠,٠٠٠ قتيل ونحو ١٠٠,٠٠٠ مصاب . . ومثل هذه الاعاصير لا تحدث سوى مره واحدة كل مئة سنة فى حين أن الاعاصير البسيطة نسبيا تبلغ قرابة ٢٠,٠٠٠ إعصار سنويا.

ودراسة مناطق الاعصار دراسة متأنية يوضح بجلاء أنها تتكون فى المناطق المطلة على سواحل بحار مفتوحة حيث تمتد وراء السواحل مناطق متسعة من اليابسة مثل سواحل اليابان وبحر الصين وشواطىء امريكا والظروف المثلى لتكوُّن الاعاصير حول سواحل الولايات المتحدة الامريكية . . هى تصادم كتلة هوائية باردة قادمة من اتجاه القطبين مع كتلة هوائية ساخنة آتية من فوق المدارات الرئيسية الثلاث - خط الاستواء ومدارى الجدى والسرطان - ومتى التقت الكتل الهوائية لا تمتزج أو تذوب احداها فى الاخرى انما تحاول كل منها ابعاد الأخرى عن طريقها . . وتعجز الرياح والتيارات البحرية عن نقل الحرارة بالسرعة الواجبة . . ويحدث الصراع على هيئة دوران ودورات بين كتلتى الهواء . . ويشق الهواء البارد طريقه خلال الهواء الساخن مسببا ارتفاعاً لأعلى . . وينتج عن ذلك تكثف بخار الماء المحمول للهواء الساخن ويسقط المطر بغزارة ما بعدها غزارة فى زمن قليل . . وتدور الزوبعة حول نفسها كالحلزون يساعدها فى ذلك دوران الارض حول نفسها.

وقد دلت الدراسات والبحوث باستخدام الحاسبات الالكترونية والرقابه الرادارية فى مراكز بحوث الظواهر الجوية والتنبؤ بالطقس وحالة الجو أن الدلالة الاولى لبدء تكوّن اعصارات مشاهدة التراب وبقايا المهملات الخفيفة مثل شراذم الاوراق تتصاعد بسرعة فى شكل دائرى حتى تلتقى مع سحابة كثيفة على شكل قمع أو خرطوم يتدلى من كتل السحاب

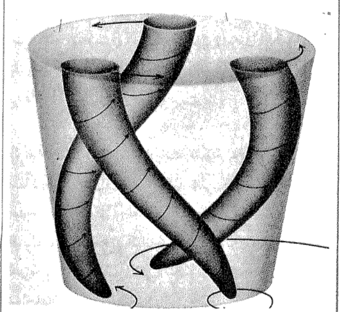
الداكن . . ويزداد حجم القمع ويمتد طوله ويلتوى حتى يلامس طرفه الاسفل سطح الارض وينطلق بسرعة ويتفرغ الهواء داخله ويقل الضغط ويصبح مثل مضخة ماصة تجمع مزيدا من التراث والنفايات التى تتحول بدورها إلى سحابة عريضة اخرى . . ويزداد انطلاق الرياح حتى تصل سرعتها إلى قرابة ٤٠٠ كيلو متر فى الساعة فى بعض الحالات وإن كانت سرعة معظم الاعاصير فى حدود ٥٠ كيلو مترا فى الساعة . . ومع اندفاع الهواء اكثر واكثر تتشكل دوامه مخيفة وتتحول السماء على منطقة الاعصار الى ظلام دامس كالليل الاسود الداكن .

ومن صور الاقمار الصناعية يثبت أن هذا الدوران يسبب قوة طاردة مركزية رهيبة ويصبح شكل الاعصار مخروطيا مسطحا قاعدته تصل الى مسافة ٥٠٠ كيلو متر وارتفاعه عشرة كيلومترات . . ويحمل طاقة مخيفة قدرها بعض العلماء بما يعادل عشرة قنابل هيدروجينية أو على الادنى ذات الطاقة التى فجرتها قنبلة هيروشيما . ولو قُدِّر لاحدنا مقابلة اعصار والدخول فى مخروطه والخروج منه سالما - وهذا نادراً - لعاد وروى انه عندما كان فى قلب المخروط نظر الى السماء فوجدها زرقاء لذلك اسماها العلماء العين أو عين الاعصار .

ويتراوح زمن الاعصار بين ربع وثلث ساعة ومع ذلك فإن بعض الاعاصير كاملة النمو تستطيع أن تظل محتفظة بقوتها قرابة الثلاث ساعات منطلقة بسرعة ٣٠٠ كيلو متر فى الساعة بعدها يغلظ المخروط وتضعف قوته ويتلوى من جانب الى جانب وتنطلق منه الاتربة والقش والنفايات وتعود مرة اخرى الى سطح الارض . . وإن كان القليل منها يعود الى اكتساب قوته ويعاود هجومه على المساكن والمزارع وهذا نادر الحدوث نسبيا .

وفى دراسة حديثة نشرت عام ١٩٨٤م عن اعداد التورنادو على الولايات المتحدة الامريكية وجد أن موسمها يحضر بين ابريل ويوليو حيث تتعرض الى عشرة اعاصير قوية شهريا وقرابة ٣٥ اعصاراً متوسطاً وضعيفاً بسببها يموت حوالى ٣٥ شخصاً شهريا . . اما الاعاصير المدمرة الهواء فلا تتعدى ما بين اعصار واحد واعصارين خلال الموسم ثم تكاد تنعدم تماما خلال الشتاء واواخر الخريف . . وتؤكد الدراسة زيادة اجمالى عدد الاعاصير سنويا مما قد يعزى الى تقدم اساليب الاكتشاف المبكر لها وتسجيلها وليس اسبابا تمس طبيعة الغلاف الجوى نفسه . . فقد بدأ حضر فيدرالى للاعاصير منذ عام ١٩٥٣م وجرى تقسيمها حسب قوتها بين - قوية - اعاصير متوسطة - اعاصير مدمرة - فيما شكلت الاعاصير المدمرة قرابة ٣٪ من اجمالى هذه الظاهرة الجوية المربكة لكنها اشرس الانواع على الاطلاق : فهى تكتسح فى طريقها كل

ثلاثة من اقماع الاعصار تدور كل منها حول محورها وحول مركز الاعصار مما يسبب انخفاض الضغط داخل القمع فيسحب . الاتربه اذا مر ماء محيط سحبه لاعلى بما فيه من اسماك ثم يلقى الماء بما حوى بعيدا عن المركز . فيظن الناس أن السماء تمطر سمكا .

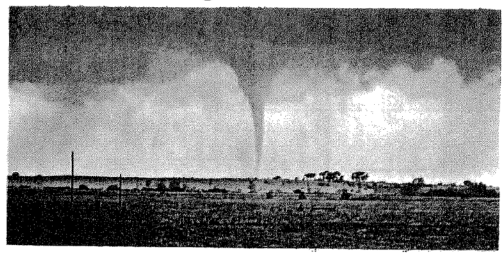


شيء. وقد وقع اخطر اعصار معروف قبل الميلاد على مدينة الاسكندرية عام ٣٥٨ ق.م ويقال ارتفعت الامواج ارتفاعا وضع القوارب على اسطح المنازل المشيدة بجوار الشاطىء مما سبب قتل الآلاف وتهدم الكثير من المنازل.

وماذا فعل الانسان لمواجهة هذه القوة الهائلة؟.

قبل الاجابة أود ذكر انه برغم الدراسات العلمية الجادة والشاقة باستخدام احدث ما توصل اليه العلماء من اجهزة ومعدات فنية والاستعانة باضخم واسرع انواع الحاسبات الالكترونية وافضل طرق الكشف الراداري فلازال فهم تكوّن الاعاصير يشوبه كثير من كشيء أو وحدة مناخية مستقلة أمراً بالغ الصعوبة.

والآن نعود الى اجابة السؤال بالقول بأن البعض دعا الى تقليل وخفض الرطوبة النسبية للهواء.. وهذه اجابة نظرية محضة فالرطوبة النسبية امر ليس من السهل التقليل منه لانه يتوقف اولا على درجة حرارة الجو وتلامس الطبقات مع الارض والبحار والمحيطات المفتوحة.. وهناك من اقترح وضع جبال جليدية فى طريقها.. وهذا خيال قد يتحقق يوما لكنه ليس باليوم القريب ابداً.. لكن لو امكن تحويل بخار الماء الى ثلج وهو ما تم عام ١٩٦٩م عندما اطلقت صواريخ صغيرة تحمل مادة ايوديد الفضة



صورة التقطت من على بعد ١٨ كيلو متراً لاعصار جنوب كاناس بالولايات المتحدة. التقطت الساعة ٧ر٥ صباح يوم ٣٠ يونية ١٩٧٤م وفيها يتضح ما جاء بنص المقال عن الحلزون وحلول الظلام واهتزاز كل ساكن على الارض.

القصور والضعف.. فإذا كنا عرضنا الى خطوات تكوّن الاعاصير المدمرة فيما اسلفنا فإن الاعاصير المتوسطة تتخذ مساراً مختلفا.. وتسحب الهواء للداخل مما يوضح انها تنهج نهجا مختلفا تماما حتى تتحول الى اعاصير ناهيك عن أن دراسة الظواهر الجوية مثل الاعاصير يتطلب مسحاً شاملاً كاملاً لمساحات ممتدة من المحيطات واليابس وضرورة انشاء محطات رصد مترابطة على امتداد الكرة الارضية بأسرها.. ولو فرضنا جدلا تحقق هذا الامل البالغ التكاليف فإن التغيرات الجوية فى منطقة قد لايمتد اثرها الى باقى المناطق المجاورة مما يجعل دراستها AGI فكثفت الماء وجمدته الى قطع جليد مما يرافقها انبعاث حرارة كامنة تكفى لتسهيل حركة الهواء الى اعلى.

ويذكر (جون.ت.سنو) فى بحث شيق نشر بمجلة العلمى الامريكى انه لا بديل عن مراقبة الاعاصير ورؤيتها رأى العين.. ليس العين المجردة انما عدسات صنعها العلم مثل التصوير الضوئى والسينمائى للاعاصير.. ومقارنة الصور بالصور الرادارية المتاحة.. ولذلك حاولوا وضع مجموعة من الاجهزة العلمية بما فى ذلك التصوير السينمائى فائق السرعة فى مسار احدى الاعاصير وتضمن قياس

سرعة الرياح (الضغط الجوى . . درجة الحرارة . . وقوة المجال الكهربى المولد بدوران الرياح) مما اتاح لهم بعد اجراء التجربة التقنية من قيم بعض القياسات ثبت منها انها اقل مما فرضه العلماء كثيرا مما دعاهم الى تصميم صواريخ قياس خاصة يتم اطلاقها فى مسار الاعاصير تحمل اجهزه علمية خاصة .

إن الاعاصير رغم كوارثها اللاحقة ليست شراً دائما انها تمتلك جوانب مضيئة عكس ظن الناس بها فالمياه التى ترافقها تغمر كثيرا من الاراضى وتحولها الى اراض زراعية ولولاها لتحولت إلى ارض صحراوية قاحلة .

هنا نصل الى سؤال رغم الجوانب المضيئة فلا يمكن ابداً نكران شرورها فما الحل لهؤلاء القوم الذين قدر لهم العيش على مساراتها؟ .

بادىء ذى بدء يجب أن نعلم أن التكهن بالاعاصير لا يمكن حتى الآن التأكد منه الا قبل ست ساعات من دراسة الرياح التى خطت اشواطا نحو النوم . وبرغم اجهزة الرادار والطائرات المجهزة خصيصا لذلك الغرض . . والاستعانة بالاقمار الصناعية التى تصور مناطق تعلوها على ارتفاع مئات الكيلومترات كل نصف ساعة . . الا أن كثيرا من التنبؤات تأتى وتكذبها الحقائق ولا تحدث الاعاصير مما جعل الناس لا يلقون بالا إلى هذا الاسلوب مما يحتم ضرورة اللجوء الى أمرين :

الأول: أن تصمم المساكن والمنازل بطريقة تعادل الضغط داخلها مع الضغط خارجها لحظة مرور الاعصار حتى لا يدق المبنى من الداخل ويعرض السكان للموت وفى هذا الصدد نجح العلماء نجاحا كبيرا .

الثاني: اجراء القياسات والرصد لحركة الرياح حول الكرة الارضية باكملها والارتقاء بالتنبؤ الجوى رغم أن الاعاصير تسير وفق تحركات غير منضبطة تحت الوية القوانين العلمية فى معظم الاحوال لكن يبقى الممكن افضل من المستحيل .



المعادن ونصيب العالم

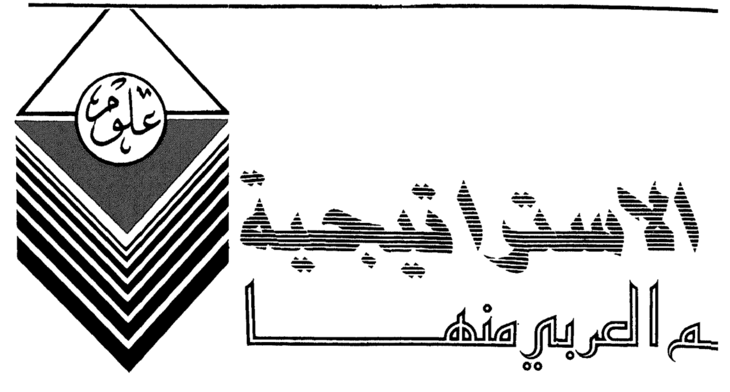
كانت المعادن ولازالت تمثل العمود الفقرى لاقتصاديات الدول عامة ولكل ما هو مستحدث من تقنيات شملت جميع مناحى الحياة من حولنا خاصة .

ولقد قسم علماء الآثار ـ اعترافا بأهمية المعادن فى التاريخ ـ وذلك بنسبة عصور فجر التاريخ الى معدن بذاته فكان أولا العصر الحجرى ثم العصر البرونزى الذى استعمل الانسان القديم فيه أدواته وأسلحته من البرونز وتلاه بعد ذلك العصر الحديدى حيث عم فيه استعمال الحديد .

أما فى العصور الحديثة فتلعب المعادن دوراً خطيرا لا فى اقتصاديات الدول فحسب ولكن فى مصائرها أيضا فلا يمكن للدول سواء النامية منها أو المتقدمة إغفال دور المعادن الهام الذى تلعبه فى اقتصادها .

وبعد هذه قوة من قوى الطبيعة سخرها الله سبحانه وتعالى قبل بعث محمد صلوات الله وسلامه عليه ضد المشركين فأذاقهم خزى الدنيا والآخرة. ●

إنه سبحانه احاط بكل شىء علما.. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب.



وإذا كانت المعادن تلعب دوراً ايجابيا فى تنمية ونهضة دول ما فإنها تلعب على النقيض تماما دوراً سلبيا فى حياة دول أخرى وهى تلك الدول التى تعج أراضيها بالثروات المعدنية التى تجعلها هدفا ومطمحا لاستعمارها.

ونظرة فاحصة إلى تاريخ الحروب قديمها وحديثها نجد أن معظمها ما قام ـ فى حقيقته ـ إلا للسيطرة على الموارد المعدنية وحتى عندما بدأت حركات التحرر فى بلدان العالم الثالث ـ بعد الحرب العالمية الثانية حرصت الدول الاستعمارية على تطويق مستعمراتها ـ التى كانت فى سبيلها الى الاستقلال على ربطها بسياج من المعاهدات والاتفاقيات الثنائية التى تهدف فى نهاية المطاف الى بقاء سيطرتها على تلك الثروات المعدنية.

ومن الضرورى ـ وقد لمسنا بعض ملامح الدور الذى تلعبه المعادن بشقيه الايجابى والسلبى ـ أن نتعرف على ماهية المعادن وهل تلك المعادن على صعيد واحد من النفع والاهمية وبعبارة أخرى هل يستوى فى قيمته معدن وآخر.

وتتلخص الاجابة فى تعريف المعدن Mineral والفرق بينه وبين الخام Ore .

ويمكن تعريف المعدن بأنه مادة غير عضوية طبيعية ـ أى تكونت فى الطبيعة ـ لها صفات طبيعية متجانسة وتركيب كيميائى ثابت ولها شكل بلورى مميز.

ويتضح من هذا التعريف استبعاد كل من الفحم

والنفط من مفردات المعادن بسبب أصلها العضوى كما هو معـروف وهـذا بالطبـع لا ينفى كونهـا من الثروات المعدنية الفائقة النفع والأهمية فى عالمنا المعاصر.

أما الخام فما هو الا معدن فى حالته الطبيعية غير أنه ذو قيمة إقتصادية لاحتوائه على فلز أو أكثر بحيث تلعب نسبة الفلز أو الفلزات الداخلة فى تكوينه دورا أساسيا فى جعله خاما.

ولقد أدت كثرة المعادن فى الطبيعة (حوالى ٢٠٠٠ معـدن) الى محاولـة وضعهـا فى اطار تصنيفى طبقا لأسس وقـواعـد تصنيفيـة خاصـة يسهل الالمام بها جماعـات أو دراستهـا أفـراداً. والـوقـع انه من ألزم الاشيـاء فى دراسة العلوم الطبيعية وقبل البحث فى الجزئيات أن تدرس أولا أطر تصنيف تلك الجزئيات ونعنى بها أسـماء الأعيـان وعلى سبيـل المثـال ففى الكيميـاء وقبـل البحث فى ماهية العناصر لابد من دراســة ـ لاغنى عنهـا ـ تشمـل الاطـار التصنيفى للعنـاصـر الـذى يتمثل فى دراسة الجدول الدورى للعناصر الذى بدأه مندليف العالم الروسى الشهير.

وعندما نأتى الى المعادن وأطر تصنيفها نجد أنها حظيت باطارين هامين من أطر التصنيف:

أولهما: تصنيف جامع لكل المعادن وافرها ونادرها غثها وثمينهـا والـذى وضعـه العالم الامريكى دانا J.D. Dana فى كتابه الموسوعى عن المعادن System of Mineralogy حيث اعتمـد على الشق الحـامضى للمعـدن ـ كأساس للتصنيف باعتبار أن المعدن كما جاء فى التعريف ـ مركب كيميائى متجانس التركيب.

وقد بدأ تصنيفه بالعناصر التى توجد منفردة فى الطبيعـة كالـذهب والبـلاتـين والكبريت ثم معادن الكـبرتيرات Sulfides كالجالينا Galena (كبريتيد رصاص) ومعادن الاكاسيد Oxides كالمرو (كوارتز Quartz (ثـانى اكسيـد السيليكـون) ومعـادن السيليكات Silicates . . . الخ.



ثانيهما: وهـو تصنيف خاص يختلف فى جوهره عن سابقه جملة وتفصيلا فعلى حين أن التصنيف السابق كان جامعـا للمعـادن نجـد ان هذا التصنيف قد اختص بالثـروات المعـدنيـة وبعبـارة أدق الخـامات والـرواسب المعـدنيـة وهـو تصنيف لا غنى عنه فى الجيولوجيا الاقتصادية عامة ودراسة الرواسب المعدنية خاصة وقد فصله باتمان A.M.Bateman فى كتابه الـشهـير Economic Mineral Deposits حيث اتخـذ من تقـارب خواص واستعـمالات الخـامات

وبالتالى وظائفها واستخداماتها فى الصناعة أساسا للتصنيف فقد قسم المعادن ـ وبالاحرى الخامات منها ـ الى شعبتين رئيسيتين يتدرج تحت كل منهما اكثر من طائفة من المعادن تتميز كل طائفة على حدة بتقارب أفرادها تبعا للخواص أو الاستعمال وتضم الشعبة الاولى وهى المعادن الفلزية Metallic Minerals مجموعات الفلزات الثمينة Precious Metals والفلزات الحديدية والفلزات غير الحديدية والفلزات النادرة.

اما الشعبة الثانية وهى المعادن اللافلزية Non metallic Minerals تضم مجموعات مواد الوقود المعدنى ومعادن الحراريات والمعادن الكيميائية... الخ.

المعادن الاستراتيجية

على الرغم من هذين الاطارين اللذين جمعا مفردات المعادن الا ان مجالات التقنية المعاصرة ومستحدثاتها التى أحدثت بما يشبه الطفرة فى حياة الانسان والتى صعدت به الى اجواز الفضاء قد اصطفت لنفسها طائفة خاصة من المعادن وجعلتها فى مكان الصدارة من بين سائر المعادن التى تناهز الألفين عدًّا وتخرج عن نطاق أى من الاطارين السابقين. بل ان الأمر قد تعدى مجرد اصطفاء التقنية المعاصرة ومستحدثاتها لتلك الطائفة الى اهتمام الدول المتقدمة صناعيا بها والبحث عنها وعن مصادرها الطبيعية سواء فى ترابها أم فى تراب الغير، مع حرص تلك الدول على الاستئثار بتلك المعادن وربما يتعدى الامر الى ما هو أكثر من الاستئثار وهو منع الغير من الحصول عليها.

وقد تعاظم دور تلك المعادن حدا كبيرا بلغ الامر به الى رسم السياسات الاستراتيجية لتلك الدول ومن هنا اطلق عليها المعادن الاستراتيجية.

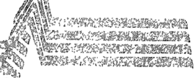
ويمكن تعريف المعادن الاستراتيجية بأنها تلك المواد اللازمة لحماية الدول وقيام الصناعات الهامة بها والتى يؤتى بها كلها أو جلها من مصادر هذه الدولة وذلك حين لا تكفى المصادر المحلية كما وكيفا لمتطلبات الحاجة.

وقد يظن القارىء انها نوع غير مألوف من المعادن أو انها معادن مجهولة الخواص لم تبح بأسرارها الا حديثا والصحيح ان تلك المعادن والتى أطلق عليها المعادن الاستراتيجية تشمل ما هو معروف وشائع من المعادن بجانب ما هو غير معروف وغير شائع منها.

● فمن المعادن الشائعة والمعروفة والتى تدخل ضمن هذا الاطار. الذهب وهو من أوائل المعادن التى عرفها الانسان ولازال محتفظا بصدارته باعتباره ـ كما يقال ـ سيد المعادن.

ولقد تطور استخدام الذهب عبر العصور فكان استخدامه فى البداية للزينة لدى القدماء ولازال محتفظا بطبيعة هذا الاستخدام حتى وقتنا الحالى وفى مطلع القرن التاسع عشر عرف العالم نظام قاعدة الذهب Gold Standard System حيث ارتبطت قيمة وحدة النقد الاساسية ارتباطا ثابتا بالنسبة للذهب فتعادلت المقدرة الشرائية لوحدة النقود مع القدرة الشرائية لكميات معينة من الذهب.

● وفضلا عن كون الذهب هو المعدن المختار لتغطية العملات النقدية فانه ـ نظرا لبعض خواصه الطبيعية المميزة له عن سواه ـ قد دخل فى كثير من مستحدثات التقنية المعاصرة فهو من أفضل المعادن نقلا للحرارة ونتيجة لليونته المعروفة عنه فقد استخدم فى احكام سد أبواب السفن الفضائية وكواقٍ لملاحى الفضاء من



الاشعاع ولانه لا يتأثر بالاكسجين فقد استخدم ايضا فى كثير من الاجهزة الالكترونية والكهربية .

وإذا كان الذهب الذى يشكل عامل الندرة واحدا من أسباب قيمته فان الحديد على العكس تماما فهو يتميز بوفرته فى القشرة الأرضية التى تنعكس على تعدد خاماته كما وكيفا .

● فالحديد هو العنصر الرابع فى ترتيب الوفرة فى القشرة الأرضية حيث يكوّن وحده ٥٪ بالوزن منها . وعلى الرغم من هذه الوفرة فانه من اكثر العناصر نفعا واستخداما بل لا يمكن الاستغناء عنه بأية حال فى عالم الصناعة ـ مهما كثرت البدائل ـ الأمر الذى يجعله احد المعادن الاستراتيجية الهامة ولا سيما فى عالمنا المعاصر إذ أن السبائك التى يدخل الحديد فيها بنسبة أو بأخرى تشكل ٩٥٪ من اجمالى المعادن التى تدخل فى الصناعة كما ان تقدم الأمم واضطراد نصيبها من المدنية والحضارة يقاس بمدى استهلاكها للحديد والصلب .

أما النفط والغاز الطبيعى وهما من الثروات المعدنية التى تعد فى مقدمة الاستراتيجية ان لم يكن كلاهما أهم الثروات المعدنية على الاطلاق وهما غنيان عن التعريف فمن الصعب أن نعثر على منتج من منتجات الصناعة التى تحيط بحياتنا المعاصرة من كل جانب لا يساهم النفط بشكل أو بآخر فى انتاجه فضلا عن انه هو سيد القوة المحركة التى لا غنى عنها فى العالم مهما قيل عن البدائل المطروحة كالطاقة الشمسية والطاقة النووية بل وأصبحت أسعاره مثار حديث العالم شرقه وغربه على السواء .

● وسوف نتخير هنا ـ تمثيلا لا حصرا ـ بعضا من ذلك الصنف الخاص من المعادن مع التركيز بالدرجة الاولى على بعض الخواص المميزة لها والتى تكسبها سماتها فى الصناعة والتقنيات المتعلقة بأهم استعمالاتها مع ذكر لمحة يسيرة عن مكامنها فى الطبيعة أى الصخور الحاوية لها وأخيرا وجودها فى انحاء الوطن العربى .

أولًا : التنجستن

ويعرف ايضا بـ (ولفرام) Wolfram وهو عنصر فلزى صلب وقد اكتشف فى عام ١٧٨١م واستخدم لاول مرة فى عام ١٨٤٧ ويقع فى المجموعة السادسة من الجدول الدورى وهو عنصر فلزى صلب قابل للطرق والسحب ـ شأنه شأن الكثير من الفلزات ـ إلا أن أسلاكه تمتاز بقوة شد عالية وهو ذو مقاومة كبيرة للكهربية وتبلغ درجة انصهاره ٣٤٠٠مْ وهى أعلى درجة انصهار فى العناصر.

● وعن مصادره الطبيعية فمن بين إثنى عشر معدنا للتنجستن يبرز معدنان فقط هما اهم مصادره فى الطبيعة أولهما معدن الولفراميت وهو عبارة عن تنجستات الحديد والمنجنيز (Fe, Mn) Wo4 وثانيهما معدن الشيلايت Ca Wo4 Scheelite وتوجد خامات التنجستن فى بعض أنواع الصخور النارية ولا سيما الحامضية منها كالجرانيت والبجماتيت Pegmatite وعروق المرو وتتعدد إستعمالات التنجستن بتعدد خواصه الطبيعية أو الكيميائية فبسبب مقاومته الكهربية الكبيرة ودرجة إنصهاره العالية فانه لا منافس له فى صنع فتائل المصابيح الكهربية .

● ويدخل التنجستن بصفة اساسية فى صناعة الصلب ذى المواصفات الخاصة من حيث درجة صلادته العالية حيث تصنع منه المعدات الحربية والمدافع وآلات القطع عالية السرعة ولا سيما ان صلب التنجستن يحتفظ بصلادته وصفاته القاطعة

حتى عند درجة الاحمرار.

● ويحتل المغرب الغربى أهم مناطق وجود خامات التنجستن فى العالم العربى حيث ينحصر وجوده فى منطقة بليليتا شرقى الجزائر وفى مناطق ازجور وأولما فى جبال الأطلس بالمغرب.

اما فى مصر فيوجد فى مناطق متناثرة بالصحراء الشرقية أهمها أبو مردة وأبو خريف وزرقة النعام.

● وهناك احتمالات لوجوده فى السودان والسعودية.

ثانيا: الموليبدنم:

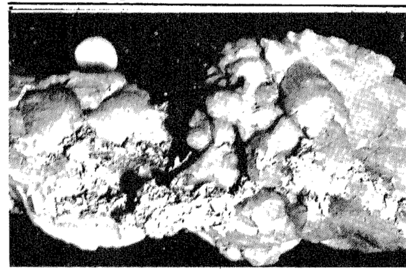
الموليبدنم من العناصر الفلزية الانتقالية ويقع فى الصف السادس من الجدول الدورى وهو فلز ذو لون أبيض فضى شديد الصدارة وتبلغ نقطة انصهاره ٢٦١٠ْم.

الرصاص $PbMo_4$ ويوجد الموليبدنم كنظيره التنجستن فى نفس أماكن تواجد الأخير أى فى صخور الجرانيت والبجماتايت وعروق المرو لاشتراكهما فى نفس طريقة التكوين.

● وللدلالة على ما لهذا العنصر من أهمية فى عالم الصناعة فان الصخور الحاوية له يمكن اعتبارها خامات اذا ما احتوت على ٠٫٠٥٪ من الموليبدنم بحد ادنى.

ويدخل الموليبدنم فى صناعة سبائك الصلب الفائقة التحمل كما أن السبائك التى تحتوى على أقل من ١٪ منه تستعمل فى صناعة السيارات والطائرات وقضبان السكك الحديدية.

أما سبيكة الموليبدنم والمعروفة بسبيكة الفيروموليبدنم فتستخدم فى صناعة الواح الصلب المدرع وفوهات المدافع والقذائف الخارقة للدروع.



أصفر وبراق كالشمس، ولا شىء يغير من سطوعه، انه الذهب.

● وقد تم فصله كعنصر فى عام ١٧٨٢ ولم يستخدم على نطاق تجارى الا فى عام ١٨٩٣ وتنحصر مصادره الطبيعية فى معدنين له هما الموليبدنيت Molybdenite وهو المصدر الرئيسى له ويتكون كيميائيا من كبريتيد الموليبدنم MOS_2 ويحتوى على ٥٩٫٩٪ من العنصر نفسه ويليه فى الاهمية معدن الولفنيت Wulfenite وهو عبارة عن مولبدات

● كما تستخدم الموليبدنم فى حالته الفلزية فى صناعة الصمامات وأجهزة الاشعة السينية والافران الكهربية.

● اما عن وجوده فى الوطن العربى فرغم انه لم تجر تقديرات مؤكدة عن كمية الخام الموجودة أو الاحتياطى المأمول منه الا ان احتمالات وجوده كبيرة فى كثير من اقطار الوطن العربى نظرا لتمتع التراب

العربى بمساحة هائلة من الصخور النارية والتى يمكن للموليبدنم أن يتواجد فيها وخاصة صخور الدرع العربى ـ النوبى.

● ويعتبر المغرب أكبر اقطار العالم العربى إنتاجا له حيث يبلغ حوالى ٧ر٪ من جملة انتاج العالم وتوجد فى مناطق ازاجور وسيدى ابو عثمان واغادير.

● **أما المملكة العربية السعودية وهى أحد الاقطار العربية الداخلة ضمن صخور الدرع العربى - النوبى فيوجد الموليبدنم فى أكثر من منطقة إلا ان الدراسات الخاصة بتقييم ومعرفة الاحتياطى من الخام لازالت قيد البحث ومن أهم مناطق تواجده فى المملكة موقع جبال كوش.**

● أما فى مصر فيوجد الخام فى أكثر من منطقة بالصحراء الشرقية كوادى الديب (وأبو مروة) (وأبو حربة) وجبل قطّار وكلها بالقطاع الشمالى من الصحراء الشرقية اما فى القطاع الجنوبى فقد اكتشف مؤخرا منطقة تمعدن للخام فى حمرة عكارم وتقدر بأكثر من ٨ ملايين طن.

ثالثًا: الزركونيوم

وهو من العناصر الانتقالية ويقع فى المجموعة الرابعة من الجدول الدورى وأهم ما يميزه كعنصر هو درجة انصهاره العالية وتبلغ ١٨٥٧م.

ويتمثل أهم مصدر له فى معدن الزنكون Zincon وهو سيليكات الزركونيوم Zrsio ورغم وجوده كمعدن إضافى فى الصخور النارية الحامضية كالجرانيت وكذلك الصخور المتحولة الا انه قد يوجد فى بلورات كبيرة الحجم فى صخور البجماتيت قد اتاحت ظروف نشأتها ان تنمو.

وتعد رواسب الوديان والرواسب الشاطئية المنقولة والتى يطلق عليها الرمال السوداء من أهم مصادر الزنكون وهو أحد العناصر الرئيسية التى تدخل فى صناعة السبائك ذات المواصفات الخاصة من حيث تحملها لدرجات الحرارة العالية أو لشدة صلابتها فعلى سبيل المثال تمتاز الكوبيرايت Coperite وهى سبيكة النيكل والزيركونيوم بشدة صلابتها ومقاومتها العالية للصدأ والتآكل الحمضى.

● اما أكسيد الزركونيوم والمعروف بالزركونيا Zirconia فهو غير قابل للانصهار.

ومن أجل تلك الخواص وغيرها من خواص سبائك الزركونيوم فان صلب الزركونيوم يدخل فى صناعة اجزاء من المدرعات وسفن الفضاء والصواريخ والقذائف وآلات القطع السريع.

● وعلى الرغم من أن الزركونيوم ليست له أى صفات إشعاعية ـ أى انه ليس من العناصر المشعة ـ الا أنه لخواصه الحرارية العالية وارتفاع درجة انصهاره يستخدم فى صنع المفاعلات الذرية كما انه يوجد بصفة أساسية أثناء عملية انشطار المواد المشعة فى المفاعلات.

ويكمن المصدر الرئيسى للزيركونيوم فى معدنه الاساسى الزيركون الذى يوجد بدوره ضمن محتوى الرمال السوداء ويوجد هذا النمط من الرمال فى ليبيا فى عدة مناطق أهمها عوينة أونين ورملة وأوبارى وفى موريتانيا فى أقصى المغرب العربى توجد الرمال السوداء فى جزيرة أرجين والمحارا ومنطقة كاب تيمرس ويوجد بالاخيرة حوالى (٦ مليون) طن من هذه الرمال.

● اما فى مصر فتوجد الرمال السوداء على الساحل الشمالى للدلتا ما بين رشيد ودمياط وقد اكتشف فى منطقة ابو خشبة بالقرب من رشيد حوالى ١٤ مليون طن من الرمال السوداء كما توجد بعض هذه الرمال

أيضا عند التقاء الوديان القديمة بشاطىء البحر الأحمر.

● كما ان هناك احتمالات مؤكدة لوجود هذه الرمال فى أكثر من قطر عربى آخر ولاسيما المملكة العربية السعودية والسودان والصومال وخاصة فى مجارى الوديان القديمة حيث تكمن مصادر تلك الرمال.

رابعًا: العناصر المشعة

تنفرد بعض العناصر بأنها على حالة من عدم الاستقرار فى انويتها حيث تُصْدِر من تلقاء نفسها إشعاعات مختلفة فوصفت بأنها عناصر مشعة كاليوارنيوم والثوريوم ولقد عرف العالم لاول مرة القوة الرهيبة الكامنة فى تلك العناصر عندما ألقيت أول قنبلة ذرية فى أغسطس من عام ١٩٤٥م حيث بدأ بعد ذلك عصر الذرة واتجه فريق من العلماء لترويض تلك الطاقة الشرسة واستخدامها فى السلم لرفاهة الانسان فى عالم البناء واتجه البعض الى استخدامها كسلاح من أسلحة التدمير الشامل التى لا تبقى ولا تذر وتكالبت الدوُل فى سبر اغوار تلك العناصر والبحث عن مكامنها.

ومن أهم معادن اليورانيوم معدن اليورانينايت Uraninite وهو عبارة عن اكسيد اليورانيوم UO_2 ويوجد فى العروق الحرمائية Hydrothermal veins وفى الصخور النارية كالجرانيت والبجماتيت.

ومن الطريف فى الامر ان اليورانيوم من أكثر العناصر عددا فى معادنه فهى تربو على المئة معدن تنتشر فى سائر انواع الصخور ناريةومتحولة ورسوبية الا ان القليل منها يعتبر من الخامات كاليوراندنايت والبتشبلمد Pitchblemde وهو صورة غير نقية من الاول وتتراوح نسبة اليورانيوم فيهما من ٥٠-٨٥٪ اما الثوريوم فانه يوجد على هيئة معدن الثوريت Thorite ($Th\ Si\ O_4$) وهو اهم معادنه بالاضافة الى ان الكثير من معادن اليورانيوم تحوى آثاراً من الثوريوم.

ولا يغيب عن ذهن القارىء ان استخدامات العناصر المشعة قد وسعت جميع مناحى الحياة تقريبا من صناعة وزراعة وطب فضلا عن ان العالم قد اصبح الان مستعدا لاستبدال مصادر الطاقة التقليدية من نفط وغاز وفحم بمصادر الطاقة الذرية النووية التى سوف ترث عرش النفط.

● أما عن وجود المعادن المشعة فى العالم العربى فهناك احتمالات قوية لتواجده إلا ان الدراسات لازالت - فى معظمها - قاصرة فى مجال البحث والتقييم غير ان الأمل كبير فى تواجد المعادن المشعة فى تراب العالم العربى لسببين اولهما وجود مساحة هائلة من الصخور النارية والمتحولة وخاصة فى مصر وشبه الجزيرة العربية والسودان ومناطق متفرقة فى الجزائر وثانيهما وجود نسبة من اليوارنيوم فى صخور الفوسفات التى يمتلك العالم العربى فيها احتياطيا ضخما.

أما عن توزيع المعادن المشعة فى العالم العربى فيوجد اليورانينايت فى كابليا واشرارين ويوجد البتشبلمد فى صحراء الحجار بالجزائر.

● وفى المغرب يوجد اليورانيوم مصاحبا لخامات التنجستن والموليبدنم فى ازجور كما انه يوجد بنسبة تصل الى ٠١٤ر٪ فى الفوسفات المغربى.

● اما فى مصر فقد عثر على اليورانيوم فى أكثر من منطقة نخص بالذكر منها منطقة العطشان بالصحراء الشرقية وصخور الفوسفات فى (أبو طور) والبحر الاحمر حيث يحتوى الطن منه على ١٠٠ جم من اكسيد اليورانيوم كذلك فى الرمال السوداء على

الساحل الشمالى للدلتا كذلك فى الطبقات الرملية فى جبل قطرانى شمال منطقة الفيوم .

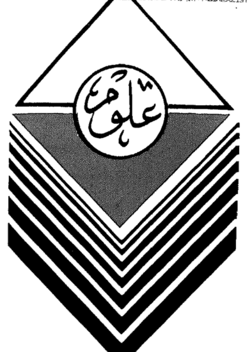
خاتمة :

ان اهم ملاحظة نخرج بها من تتبع الصخور الحاوية للأمثلة القليلة السابقة من المعادن الاستراتيجية ان معظمها يكمن بصفة رئيسية فى الصخور النارية والقليل الباقى موزع فى الصخور الرسوبية غير ان هذا بالطبع لا يمنع من انتشار البعض فى الانواع المختلفة للصخور نارية او متحولة أو رسوبية كالمعادن المشعة مثلا .

● واذا كانت الصخور الرسوبية قد حظيت باهتمام جارف بسبب وجود مكامن النفط بها وهو كما نعلم ثروة معدنية فائقة التأثير والنفع للدول المنتجة والمستهلكة على السواء غير أن الصخور النارية لم تلق من العناية والاهتمام ما لقيته الصخور الرسوبية فى حين ان الاولى تشكل مستقبل الثروة - ولا سيما فى عالمنا العربى - بعد ان حدد العلماء عمر النفط الذى يقدر بعشرات السنين وهو كما نرى قصير الأجل .

أما الصخور النارية فتحمل فى طياتها آفاق مستقبل الثروة المعدنية لتكون نعم العوض عن النفط ومن حسن الحظ ان الثروات المعدنية بما فيها المعادن الاستراتيجية التى تحتويها الصخور النارية لا توجد فى معظم الاحيان فرادى فضلا عن التركيز فى الخام نفسه الذى هو من صنع الطبيعة فى بعض مراحل تطور الصهير الذى يشتق منه هذا النمط من الصخور.

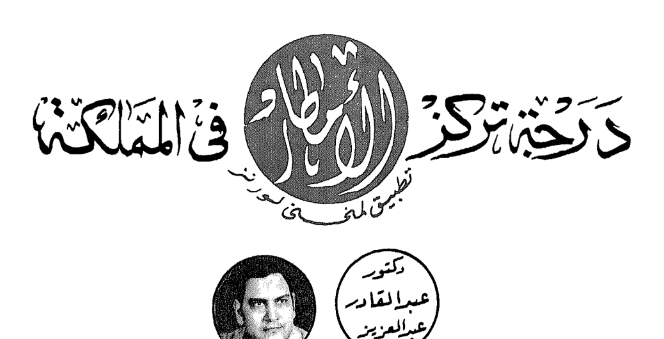
أن البدء فى الاهتمام ولو قليلا - بالصخور النارية فى انحاء الوطن العربى والكشف عن الدفين من ثرواتها المعدنية لهو أمر من الأمور الواجبة لاسباب شتى لعل أبرزها هو الاسراع بمعرفة وامتلاك تقنيات التعدين.



هذه الدراسة هى محاولة لقياس درجة تركز الأمطار فى المملكة العربية السعودية باستخدام منحنى لورنز.

وهذا البحث هو المحاولة الأولى لتطبيق هذا المنحنى على أحد فروع الجغرافية الطبيعية الهامة وهى الجغرافية المناخية على عنصر المطر. هذا بالاضافة الى أن الباحث لم يستخدم النسب المئوية للأرقام المطلقة بل تم استخدام المقاييس الاحصائية المختلفة والتى تضمنها هذا البحث والتى تتمثل فى الوسط الحسابى والانحراف المعيارى ومعامل الاختلاف .

● وقد أظهرت نتائج هذه الدراسة أن اكثر مناطق المملكة تركزا للأمطار هو الجزء الجنوبى الغربى من المملكة بمستوى انتشار ٧١٪ ولكن أشد المناطق انتشاراً وأقلها تركزاً هى الجزء الاوسط والجزء الشمالى بمستوى انتشار قدره ٩٦٪ فى كل من المنطقتين .



وضـــع الاحصـــائى الامـريكى لورنـز M.O. Lorenz أسس بناء منحنى قياس درجة التركز الذى عرف فيما بعد باسمه فى المقالة التى عرض فيها لطرق قياس تركز الثروة (Lorenz, 1905) حيث ناقش فى هذه المقالة الطرق المتبعة فى ذلك الوقت لقياس درجة التركز وعرض لأخطائها ثم اختتم بحثه باقتراح طريقة جديدة تستند الى التراكم النسبى للعنصر والتراكم النسبى للمجال الذى يوجد فيه ثم تجسيم ذلك فى رسم بيانى على محورين أحدهما للعنصر والآخر للمجال.

ويمكن تلخيص الفلسفة الاحصائية التى بنى عليها لورنـز طريقتـه هذه فى انحصـار التراكم النسبى فى نطـاق المـائـة. . لذلـك فإن تقسيم المحورين إلى وحدات نسبية متكافئة من صفر الى مائة سينتج عنه فى حالة كون توزيع الصفر على جميع أجزاء المجال منتظما ومتساويا أن يكون المنحنى على شكل خط مستقيم بزاويـة (٤٥°) ويقسم مربع الرسم البيانى الى مثلثـين متسـاويين. وحيث إن التوزيع المنتظم المتساوى مائة فى المائة للصفر فى المجال الذى يوجد فيه من النادر جدا فقد رأى لورنز أن يمثل هذا الخط المستقيم المنصف لمربع الرسم خط التوزيع المنتظم أو المثـالى أى أن يمثـل وضعـاً افـتراضيـا هذا الخـط الافـتراضى يمثـل فى الحقيقة القاعدة التى تعكس درجة التركز بعد توقيع خط التوزيع الفعلى الذى يبدأ وينتهى بنفس النقاط التى يبدأ وينتهى عندها خط التوزيع المثالى وذلك قياسا ببعد خط التوزيع الفعلى عن خط التوزيع المثالى.

زيـادة المسـافة الفاصلة بين المنحنى والخط المستقيم تعنى زيـادة درجـة الـتركز التى يتم قياسها بقسمة

مجموع المربعات التى يحصرها خط التوزيع الفعلى فى إتجاه المحور الرأسى الأيسر لمربع الرسم على المجموع الكلى للمربعات التى يشتمل عليها المثلث المتضمن للمنحنى والذى تمثل قاعدته خط التوزيع المثالى.

من البديهى ان تكون نتيجة القسمة واحداً صحيحاً فى حالة كون التوزيع منتظما تماماً وتقل عن الواحد الصحيح تدريجياً بازدياد درجة التركز. وقيمة التركز فى شكل كسور مئوية وعشرية توفر لنا وسيلة عددية للمقارنة بين المجالات المختلفة التى يتوزع فيها عنصر ما إضافة الى الوسيلة المرئية التى يمكن مشاهدتها من الرسم البيانى للمنحنى.

خطوات بناء منحنى لورنز

يمكن تلخيص خطوات بناء منحنى لورنز فى النقاط التالية:

١ - حساب التراكم النسبى للعنصر والمجال.

٢ - توقيع القيم التى تم الحصول عليها على رسم يمثل محوراه وحدات نسبية متساوية من صفر - ١٠٠، ثم ايصال نقاط التوقيع ببعضها البعض الآخر للحصول على منحنى لورنز.

إن ارتكاز هذه الطريقة على مسألة التوزيع لعنصر فى مجال جذب انتباه الجغرافيين إليها وبدأاستخدامه على نطاق واسع فى الدراسات الجغرافية لمقارنة ظاهرة واحدة فى تاريخين مختلفين أو مقارنة ظاهرتين من نفس النوع مثل توزيع الملكية أو الدخل القومى أو تركز السكان فى مساحة معينة أو توزيع مساحة محصول معين أو توزيع الأقليات ضمن سكان المدينة ومقارنته بتوزيع السكان الاصليين. والقصد من ذلك معرفة وإظهار التفاوت فى التوزيع أو التركز.

ولقد استخدم كثير من الباحثين هذا المنحنى فى مجالات عديدة من اهمها المقارنة العددية ونذكر فى هذا المجال تطبيقات كول وكنج فى كتابهما «الجغرافية الكمية» (Cole and King, 1968) وفى نطاق قياس التوزيعات المكانية قام بها كل من هاموند وماكولا فى كتابهما «الطرق الكمية فى الجغرافية» (Hammond and Mccullagh, 1968) والجغرافى الفرنسى بوجوين فى كتابه «طرق التحليل الكمى الجغرافى» (Beguin, 1979) والجغرافى الامريكى يتس فى كتابه «مقدمة التحليل الكمى فى الجغرافية الاقتصادية» (Yeates, 1980) والاحصائى الألمانى لورنز فى كتابه «مقدمة فى الرياضة الاحصائية» (Lorenz, 1965) والاحصائى الأمريكى يومان فى كتابه «الاحصاء لدارسى العلوم الاجتماعية» (Yeoman, 1971).

هذا فضلا عن العديد من المؤلفات الاحصائية باللغة العربية التى تناولت هذا المنحنى بالشرح والدراسة نذكر منها «عبد الإله أبو عياش ١٩٧٨.. ناصر عبد الله الصالح.. ومحمد محمود السريانى ١٩٧٩.. محمد العبد الله الجراش ١٩٨١.. عبد القادر عبد العزيز على ١٩٨٤... الخ».

جميع الدراسات السابق عرضها تناولت تطبيقات لمنحنى لورنز فى مجال الدراسات الجغرافية البشرية فقط.. هذا فضلا عن استخدامها للأرقام النسبية للعنصر والمجال. ولكن فى هذا البحث الذى بين أيدينا المحاولة الأولى من نوعها لتطبيق هذا المنحنى فى أحد فروع الجغرافية الطبيعية الهامة وهو الجغرافية المناخية. إذ تم استخدام المطر فى هذا البحث ليمثل العنصر المتوزع والمحطات المناخية فى الوحدات الادارية فى شكل الامارات والمجال الذى يتوزع فيه هذا العنصر. واعتمد الباحث فى هذه الدراسة على الاحصاءات المناخية لكمية الامطار السنوية فى الفتر

من (١٩٧٠-١٩٨٣م) وذلك لعشرين محطة مناخية (وهى عدد قليل بالمقارنة بالمساحة الشاسعة التى تتوزع فيها وإنما لا توجد محطات مناخية خلال هذه الفترة اكثر من هذا العدد) موزعة فى جميع انحاء المملكة.

الكاتب فى سطور

أستاذ مشارك كلية البنات / جدة

المؤلفات:

- الطلس مناخ مصر بالكمبيوتر
- الطقس والمناخ والميتورولوجيا
- الاحصاء والكمبيوتر فى معالجة العلوم الاجتماعية عامة والجغرافية خاصة.
- مقالات عن الكمبيوتر والاقمار الصناعية الميتورولوجية

هذا فضلا عن أن الباحث لم يستخدم الأرقام المطلقة فى التوزيع كما هو الحال فى الابحاث السابق عرضها بل استخدم بعض المقاييس الاحصائية التى تتمثل فى الوسط الحسابى والانحراف المعيارى ومعامل الاختلاف لمعرفة مدى تركز عنصر المطر خلال فترة الدراسة على اقسام المملكة التى سوف توضحها الدراسة التفصيلية فيما بعد.

النتائج والتحليل

لقد تم اتباع الخطوات التالية لبناء الرسوم البيانية التى يتضمنها هذا البحث:

١ - ترتيب المحطات المناخية حسب قيمة معامل الاختلاف ترتيباً تصاعدياً ابتداء بالأقل ثم الاكبر قيمة.

٢ - حساب النسب المئوية للوسط الحسابى والانحراف المعيارى لكمية الأمطار فى كل محطة من المحطات المناخية التى يتضمنها البحث.

٣ - الحصول على المجموع التراكمى للنسب المئوية للوسط الحسابى والانحراف المعيارى لكمية الأمطار فى كل محطة مناخية.

٤ - توقيع نتائج الخطوة السابقة على ورق مربعات للحصول على الشكل البيانى لمنحنى لورنز.

٥ - ثم رسم ستة منحنيات بيانية لمنحنى لورنز موضحة الاشكال من (١-٦) وذلك حسب البيانات المدونة فى الجداول المرفقة أيضا من (١-٦).

عند تحليل الرسوم البيانية (الاشكال من ١-٦) التى يتضمنها البحث يظهر بوضوح النتائج التالية:

أ - أن النمط العام لتوزيع الأمطار هو الأقل تركزا بصورة عامة وأكثر انتشاراً حيث تصل نسبة الانتشار الى حوالى ٨٠٪ على مستوى المملكة ككل.

هذا الوضع هو فى الحقيقة نتاج الظروف البيئية الطبيعية المثلة فى أن المملكة تقع فى نطاق البيئة تحت المدارية الصحراوية الجافة والتى تتميز بسيادة الجفاف بصورة عامة وبسقوط الأمطار التصاعدية بصورة فجائية

ولفترات مقيدة جدا فى انحاء كثيرة من المملكة. هذا فضلا عن سقوط نوعين من الامطار على المملكة هما الأمطار الشتوية (فى فصل الشتاء) والأمطار الموسمية الصيفية (فى فصل الصيف).

ب ـ ولمعرفة ما إذا كان هذا النمط العام الممثل للمملكة كشكل يعكس الأنماط الممثلة للوحدات المساحية الفرعية المتجاورة ضمن الوحدة المساحية الشاملة ثم تجميع المحطات المناخية المتجاورة فى خمس وحدات مساحية هى:

(١) **الجزء الغربى**: ويشتمل على المحطات المناخية التالية «المدينة ـ جدة ـ تبوك ـ ينبع ـ الوجه ـ الطائف».

(٢) **الجزء الأوسط**: ويشتمل على المحطات المناخية التالية: «القصيم ـ الرياض ـ حائل».

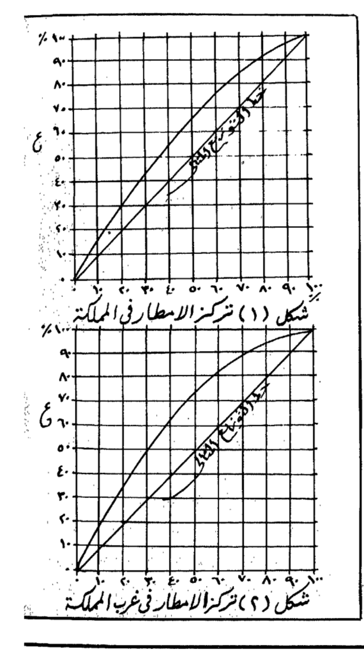
(٣) **الجزء الشرقى**: ويشتمل على المحطات المناخية التالية: «الظهران ـ السليل ـ القيصومة».

(٤) **الجزء الشمالى**: ويشتمل على المحطات المناخية التالية: «الجوف ـ طريف ـ عرعر (بدنة) ـ رفحة».

(٥) **الجزء الجنوبى الغربى**: ويشتمل على المحطات المناخية التالية: «جيزان ـ بيشة ـ نجران ـ خميس مشيط».

جـ ـ عند تحليل الرسوم البيانية الممثلة لهذه الوحدات الادارية أشكال (٢، ٣، ٤، ٥، ٦) نجد أن أقرب الانماط الفرعية للنمط العام هى الممثلة للجزء الشرقى للمملكة (بنسبة ٧٩٪ إنتشار) والجزء الغربى بنسبة ٧٨٪ إنتشار ويلى ذلك الجزء الجنوبى الغربى بنسبة ٧١٪ إنتشار. من هنا يتضح لنا أن الامطار اكثر تركزاً نسبياً فى الجزء الجنوبى الغربى بصفة خاصة بالمقارنة ببقية أجزاء المملكة الأخرى.

وهذا إنما يرجع الى سقوط الأمطار فى هذا الجزء من المملكة فى فصل الصيف (الامطار الموسمية الصيفية) وفى فصل الشتاء (الامطار الشتوية) هذا يعكس أيضا ارتفاع كمية الأمطار بصورة عامة فى هذه المنطقة من المملكة بالمقارنة بأجزاء المملكة الأخرى. وهذا إذا انطبق بصورة خاصة على جنوب غرب المملكة فإنه ينطبق بصورة عامة على غرب المملكة لأن الأمطار فى هذه الأجزاء إما أمطار تضاريسية أو أمطار تصاعدية. هذا بالاضافة إلى ارتفاع نسبة معامل الاختلاف بين محطات هذه المنطقة (جدول٢).



شكل (١) تركز الامطار فى المملكة

شكل (٢) تركز الامطار فى غرب المملكة

أما فيما يتعلق بالمنطقة الشرقية التى تتضمن نسبة تركز متقاربة من المنطقة الغربية إنما ترجع أساساً الى عاملين هما :

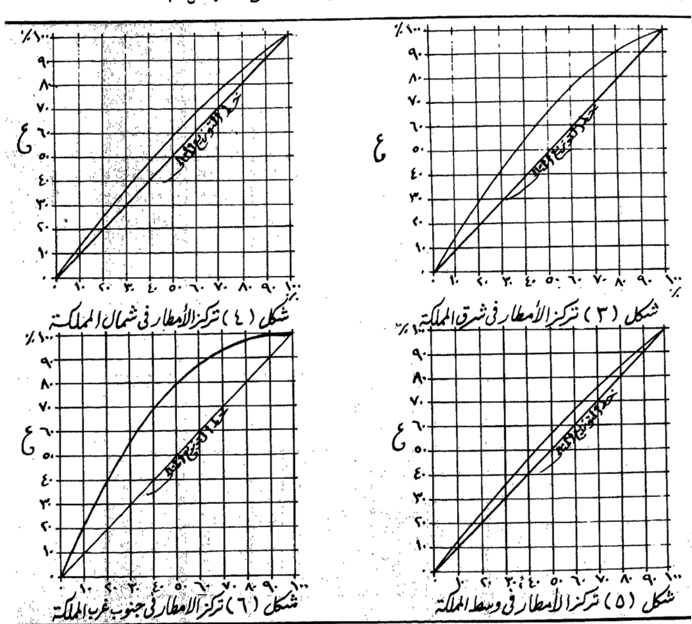
(١) التشتت الكبير فى كمية الأمطار من عام الى آخر خلال فترة الدراسة (١٩٧٠-١٩٨٣م) وهذا يظهر بوضوح من معامل الاختلاف بحيث تشتمل محطة الظهران على أكبر معامل إختلاف بالمقارنة بالمحطات المناخية الأخرى (جدول ١).

(٢) قلة المحطات المناخية فى هذه المنطقة الشاسعة.

د ـ من ناحية أخرى يتضح لنا من الأشكال (٣، ٥) أن وسط المملكة وشمالها تمثلان أكثر المناطق إنتشاراً وأقل تركزاً (اى ان درجة الانتشار تصل الى حوالى ٩٦٪ من كل من المنطقتين) وهذا إنما يرجع الى عاملين هما :

١ ـ قلة الأمطار بصفة عامة فى الوسط والشمال ويعكس ذلك التقارب الملحوظ بين قيم معامل الاختلاف بين المحطات فى وسط وشمال المملكة (جدول ٣، ٥).

٢ ـ قلة المحطات المناخية فى هاتين المنطقتين بالمقارنة بالمساحات التى تشغلها كل منها.



شكل (٣) تركز الأمطار فى شرق المملكة

شكل (٤) تركز الأمطار فى شمال المملكة

شكل (٥) تركز الأمطار فى وسط المملكة

شكل (٦) تركز الامطار فى جنوب غرب المملكة

المحطة	الوسط الحسابي (س)	٪	متجمع صاعد	انحراف معياري (ع)	٪	متجمع صاعد	معامل الاختلاف
الظهران	٩٩ر٨	٥ر٩	٥ر٩	٩٦ر٨	١٠ر٢	١٠ر٢	٩٧ر٠
المدينة المنورة	٤٩ر١	٢ر٩	٨ر٨	٤٥ر٤	٤ر٨	١٥ر٠	٩٢ر٥
جدة	٤٢ر٨	٢ر٦	١١ر٤	٣٧ر٥	٣ر٩	١٨ر٩	٨٧ر٦
تبوك	٢٩ر٦	١ر٨	١٣ر٢	٢٤ر١	٢ر٥	٢١ر٤	٨١ر٤
الجوف	٣٣ر٢	٢ر١	١٥ر٣	٢٦ر٦	٢ر٨	٢٤ر٢	٨٠ر١
ينبع	١٩ر٢	١ر١	١٦ر٣	١٤ر٨	١ر٦	٢٥ر٨	٧٧ر١
طريف	١٣٤ر٢	٨ر١	٢٤ر٧	٩٩ر٢	١٠ر٤	٣٦ر٢	٧٣ر٩
القصيم	١٧٥ر٦	١٠ر٥	٣٥ر٢	١٢٤ر٦	١٣ر٢	٤٩ر٤	٧٠ر٩
الرياض	٥٤ر٢	٣ر٣	٣٨ر٥	٣٦ر٦	٣ر٩	٥٣ر٣	٦٧ر٥
السليل	٣٢ر٦	١ر٩	٤٠ر٤	٢٢ر٠	٢ر٣	٥٥ر٦	٦٧ر٥
عرعر (بدنه)	٥٩ر٢	٣ر٥	٤٣ر٩	٣٧ر٧	٤ر٠	٥٩ر٦	٦٣ر٧
رفحه	١٠٠ر٢	٥ر٩	٤٩ر٨	٦٢ر١	٦ر٥	٦٦ر١	٦٢ر٠
حائل	١١٦ر٧	٦ر٩	٥٦ر٧	٦٧ر٥	٧ر١	٧٣ر٢	٥٧ر٨
جازان	١١١ر٣	٦ر٦	٦٣ر٣	٥٩ر٨	٦ر٣	٧٩ر٥	٥٣ر٧
بيشة	٧٦ر٦	٤ر٦	٦٧ر٩	٣٨ر٧	٤ر١	٨٣ر٦	٥٠ر٥
نجران	٧٦ر٥	٤ر٦	٧٢ر٥	٣٨ر٤	٤ر٠	٨٧ر٦	٥٠ر٢
الوجه	١٥ر٣	٠ر٩	٧٣ر٤	٧ر٣	٠ر٨	٨٨ر٤	٤٧ر٧
الطائف	١٤٥ر٦	٨ر٦	٨٢ر٠	٥١ر٩	٥ر٥	٩٣ر٩	٣٥ر٦
القيصومة	١١٠ر٥	٦ر٥	٨٨ر٥	٣٣ر٧	٣ر٥	٩٧ر٤	٣٠ر٥
خميس مشيط	١٩٣ر٥	١١ر٥	١٠٠ر٠	٢٥ر١	٢ر٦	١٠٠ر٠	١٢ر٩
المجموع	١٦٧٥ر٧			٩٤٩ر٨			

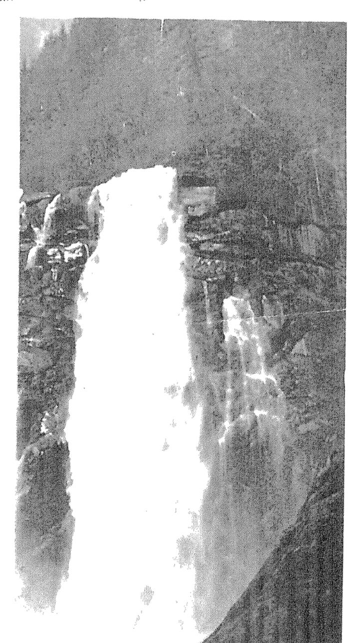
المحطة	وسط حسابي (س)	٪	متجمع صاعد	انحراف معياري (ع)	٪	متجمع صاعد	معامل الاختلاف
المدينة المنورة	٤٩ر١	١٦ر٣	١٦ر٣	٤٥ر٤	٢٥ر١	٢٥ر١	٩٢ر٥
جدة	٤٢ر٨	١٤ر٢	٣٠ر٥	٣٧ر٥	٢٠ر٧	٤٥ر٨	٨٧ر٦
تبوك	٢٩ر٦	٩ر٨	٤٠ر٣	٢٤ر١	١٣ر٣	٥٩ر١	٨١ر٤
ينبع	١٩ر٢	٦ر٤	٤٦ر٦	١٤ر٨	٨ر٢	٦٧ر٣	٧٧ر١
الوجه	١٥ر٣	٥ر١	٥١ر٧	٧ر٣	٤ر٠	٧١ر٣	٤٧ر٧
الطائف	١٤٥ر٦	٤٨ر٣	١٠٠	٥١ر٩	٢٨ر٧	١٠٠ر٠	٣٥ر٦
المجموع	٣٠١ر٦			١٨١ر٠			

المحطة	الوسط الحسابي (ش)	٪	متجمع صاعد	انحراف معياري (ع)	٪	متجمع صاعد	معامل الاختلاف
القصيم	١٧٥ر٦	٥٠ر٧	٥٠ر٧	١٢٤ر٦	٥٤ر٥	٥٤ر٥	٧٠ر٩
الرياض	٥٤ر٢	١٥ر٦	٦٦ر٣	٣٦ر٦	١٦ر٠	٧٠ر٥	٦٧ر٥
حائـل	١١٦ر٧	٣٣ر٧	١٠٠	٦٧ر٥	٢٩ر٥	١٠٠	٥٧ر٨
المجموع	٣٤٦ر٥	١٠٠		٢٢٨ر٧	١٠٠		

المحطة	الوسط الحسابي (ش)	٪	متجمع صاعد	انحراف معياري (ع)	٪	متجمع صاعد	معامل الاختلاف
الظهران	٩٩ر٨	٤١ر١	٤١ر١	٩٦ر٨	٦٣ر٥	٦٣ر٥	٩٧ر٠
السليل	٣٢ر٦	١٣ر٤	٥٤ر٥	٢٢ر٠	١٤ر٤	٧٧ر٩	٦٧ر٥
القيصومة	١١٠ر٥	٤٥ر٥	١٠٠ر٠	٣٣ر٧	٢٢ر١	١٠٠ر٠	٣٠ر٥
المجموع	٢٤٢ر٩	٪١٠٠		١٥٢ر٥	٪١٠٠		

المحطة	الوسط الحسابي (ش)	٪	متجمع صاعد	انحراف معياري (ع)	٪	متجمع صاعد	معامل الاختلاف
الجوف	٣٣ر٢	١٠ر٢	١٠ر٢	٢٦ر٦	١١ر٨	١١ر٨	٨٠ر١
الطريف	١٣٤ر٢	٤١ر١	٥١ر٣	٩٩ر٢	٤٤ر٠	٥٥ر٨	٧٣ر٩
عرعر (بدنه)	٥٩ر٢	١٨ر١	٦٩ر٤	٣٧ر٧	١٦ر٧	٧٢ر٥	٦٣ر٧
رفحـه	١٠٠ر٢	٣٠ر٦	١٠٠	٦٢ر١	٢٧ر٥	١٠٠ر٠	٦٢ر٠
المجموع	٣٢٦ر٨	٪١٠٠		٢٢٥ر٦	١٠٠		

المحطـة	الوسط الحسابي (ش)	٪	متجمع صاعد	انحراف معياري (ع)	٪	متجمع صاعد	معامل الاختلاف
جـازان	١١١ر٣	٢٤ر٣	٢٤ر٣	٥٩ر٨	٣٦ر٩	٣٦ر٩	٥٣ر٧
بيشـه	٧٦ر٦	١٦ر٧	٤١ر٠	٣٨ر٧	٢٣ر٩	٦٠ر٨	٥٠ر٥
نجـران	٧٦ر٥	١٦ر٧	٥٧ر٧	٣٨ر٤	٢٣ر٧	٨٤ر٥	٥٠ر٢
خميس مشيط	١٩٣ر٥	٤٢ر٣	١٠٠ر٠	٢٥ر١	١٥ر٥	١٠٠	١٢ر٩
المجموع	٤٥٧ر٩	٪١٠٠		١٦٢ر٠	١٠٠		



خاتمة

بعد هذه الدراسة التطبيقية لمنحنى لورنز يمكن أن نخرج بالنتائج التالية:

(١) ظهر بوضوح من هذه الدراسة أن منحنى لورنز ليس قاصراً استخدامه على موضوعات الجغرافية البشرية فقط بل يمكن استخدامه فى فروع الجغرافية الطبيعية بنجاح أيضا.

(٢) دلت هذه الدراسة التطبيقية أيضا أنه لا يمكن الاعتماد على النسب المئوية للأرقام المطلقة فقط بل يمكن استخدام المقاييس الاحصائية المختلفة والتى تمثلت فى هذا البحث الذى بين أيدينا فى الوسط الحسابى والانحراف المعيارى ومعامل الاختلاف.

(٣) من هنا نجد أن هذه الدراسة فتحت المجال لمزيد من الاستخدامات المختلفة لمنحنى لورنز فى أى فرع من فروع الجغرافية لقياس درجة التركز ليس فقط باستخدام الارقام المطلقة بل باستخدام اى مقياس من المقاييس الاحصائية سواء البسيط منها أو المتقدم.

(٤) ويجب ان نضع فى الاعتبار هنا أن يكون التعامل مع الأساليب والطرق الاحصائية بحذر وذلك لأن الاحصاء أداة تخدم الجغرافيا وليس العكس ومن هنا يجب على كل دارس يستخدم الأساليب الاحصائية أن يكون على دراية وعلم تام بأى مقياس إحصائى يخدم مشكلته التى يعالجها.

المراجــــع

● عبد الاله أبو عياش ١٩٧٨م. الاحصاء والكمبيوتر فى معالجة البيانات مع تطبيقات جغرافية وكالة المطبوعات ـ الكويت ص ص ٣١٨.

● عبد القادر عبد العزيز على ١٩٨٤م ـ الاحصاء والكمبيوتر فى معالجة البيانات الاجتماعية عامة والجغرافية خاصة دار الجامعة للطباعة الحديثة ـ القاهرة ص.ص ٢٥٨.

● ناصر عبد الله الصالح ومحمد السريانى ١٩٧٩م ـ درجة التركز السكانى فى المملكة العربية السعودية تطبيق لمنحنى لورنز ـ مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية ـ جامعة الملك عبد العزيز ـ المجلد الاول ص ص: ٢٧-٤١.

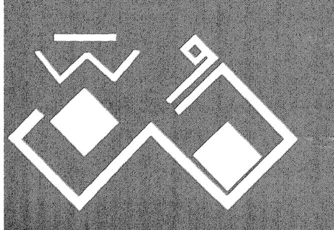
● التقرير البيئى السنوى ـ وزارة الدفاع والطيران ـ مصلحة الارصاد وحماية البيئة ـ المملكة العربية السعودية للسنوات ١٩٧٠-١٩٨٣م.







النساء .. شقائق الرجال





الدرر والجواهر:

لقــد تفنن النــاس فى تسمية بنـاتهم وفلذات اكبـادهم وأختاروا لهنَّ أجمل الأســماء وأعـذبها لأن هذه الأسـماء ستبقى ملتصقة بصاحباتها إلى ما بعد مفارقة الحياة ومغادرة الدنيا حتى أن الحفيدات قد تسمينَّ بأسماء الجدات تخليداً لذكراهن العطرة.

ومن البنات من تسمين بأسماء بيت النبوة كخديجة وعـائشـة وفـاطمـة وزينب نظـراً لما لصاحبات هذه الأسماء فى قلوب الناس من المحبة والتبجيل والاحترام.

● ومن الفتيـات من تسمين بأسماء الأزهار كالزهرة والوردة والريحانة والياسمين والسوسن... الخ. فقد كان ديك الجن الحمصى يهوى جارية تدعى «ورداً» وقـد كانت عذبة الصوت بارعة الحسن والجمال وقد قال فيها:

انظـر الى شمس القصور وبدرها
وإلى خُزامَـاهـا وبهجة زهـرهـا
لم تبـك عينـك أبيضـاً فى أسـود
جمع الجـمال كوجهها فى شعـرها

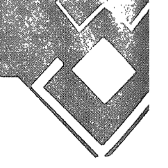
وردية الـوجنات يختبر اسمها
من ريقهـا من لا يحيط بخـبرها

●● ومنهن من سُمِّـين بأسماء أسرة الظبى كالظبية والغـزالـة والـريم والشادن والخشف فهذه ريم كان يهواهـا مطيـع بن إيـاس وهـو شاعـر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية قال فيها:

يـاريـم قد أتـلفـت روحـى فما
منهـا معـى إلا القـليـل الحقـير
ماذا على أهـلك لو جُدْتِ لِى
وزرتِـنـى يا ريـم فيمـن يزور
لعـمـرى من أنـت له صاحـب
ما غاب عنـه فى الحيـاة السـرور

●● وغـيرهن من النسـاء قد سُمّـين بأسـماء بعض الطيور كالهدهد والطاووس والهزار والحمامة فقد كان هنـاك امـرأة تدعى حمامة عُذِّبَتْ فى الله عذاباً أليماً فاشتراها أبو بكر الصديق رضى الله عنه فأعتقها. أما طاووس فهى أم الخليفة المستنجد وكانت دينة صالحة لها بر ومعروف ماتت سنة ٥٦٥هـ.

الكلمة أدب أبعاد



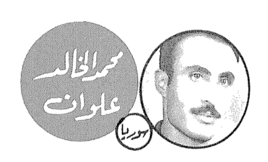
النســــــاء

وكذلك فقد كان الايمان والتقوى والهدى علماً على أسماء بعض النساء مثل: **تقية وعابدة ومؤمنة وهادية وطاهرة.**

ومنهن عابدة الحسناء: وهى بنت شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص كان يهواها الحسين بن عبد الله بن عبيد بن العباس خطبها فمنعه أهلها منها وعاون مالك بن أبى السمح حسيناً وكانت العابدة تستنصحه وكانت بين أبيها شعيب وبينه مودة فأجابت حسيناً وتزوجته.

●● وقال الحسين فيها قبل أن يتزوجها:

أعابد إن الحب لا شك قاتلى
لئن لم تعارضنى هوى النفس عابدة



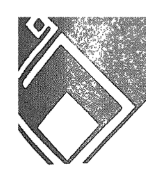
أعابد خافى الله فى قتل مسلم
وجودى عليه مرة قطّ واحدة
فإن لم تريدى فىَّ هجراً ولا هوى
فكم غير قتلى يا عبيد فراشدة
فكم ليلة قد بت أرعى نجومها
وعبدة لا تدرى بذلك راقدة

وما أعذب الأسماء التى اتصفت بصفات الحسن والجمال فقد قيل: جميلة وحسناء وهيفاء ولمياء ودعجاء وجيداء وغيداء.

● قال عبد الرحمن بن أرطأة يمدح امرأة تدعى جميلة:

إن الدلال وحسن الغنا
ء وسط بيوت بنى الخزرج
وتلك جميلة زين النسا
ء إذا هى تزدان للمخرج
اذا جئتها بذلت ودها
بوجه منير لها أبلج

***ولكن** اذا استقصينا الشهيرات من النساء لوجدنا أن*



من تسمين بأسماء بيت النبوة أكثرهن عدداً فالفاطمات أكثر النساء الأعلام من حيث العدد يليهن الزينبات فالعائشات ثم الخديجات.. فقد أحصى مؤلف كتاب أعلام النساء (٢٣٥) امرأة تسمين باسم فاطمة وأحصى (١٢٧) امرأة تسمين باسم زينب أما من دعين باسم عائشة فكن (١٠٥) نساء ومن لهن اسم خديجة (٦٧) امرأة وهكذا حسب شهرة الاسم ومكانة صاحبته فى قلوب الناس.

أما الجواهر من النساء أى من تسمين بأسماء الدرر والجواهر واللآلىء فهى كما أوردها صاحب كتاب أعلام النساء.

درة بنت أبى سلمة:

أمها أم سلمة زوج النبى ﴿ﷺ﴾ من فواضل نساء عصرها كانت معروفة عند أهل العلم بالسير والأخبار والحديث.

درة بنت صالح بن كامل الخفاف:

محدثة حدثت بالإجازة عن الأرموى وأبى القاسم بن الحاسب وتوفيت سنة ٦٠٧هـ.

درة بنت عثمان الحلاوى:

محدثة سمعت من أبى القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريرى المقرى وتوفيت يوم السبت ١٣ شوال سنة ٦٠٤هـ.

درة بنت أبى لهب بن عبد المطلب:

شاعرة ومحدثة حدّثت عن النبى ﴿ﷺ﴾ وعن عائشة أم المؤمنين ثلاثة أحاديث وقالت يوم الفجار:

ملمومة خرساء يحسبها
من رامها موجاً من البحر
والجرد كالعقبان كاسرة
تهوى أمام كتائب خضر
فيهم إزعاف الموت أبرده
يغلى لهم واحرّه يجرى

●● وحين أسلمت وحسن إسلامها هاجرت الى المدينة فيمن هاجر.

ودرة جارية من جوارى القيان كانت لبعض الهاشميين وكان يهواها بكر بن النطاح وقال فيها:

العين تبدى الحب والبغضا
وتظهر الإبرام والنقضا
درّة ما انصفتنى فى الهوى
ولا رحمت الجسد المضنى
كيف إطاعتكم بهجرى وقد
جعلت خدى لها أرضا

■ اما الجواهر من النساء فمنهن المحدثات والعابدات ومنهن الجوارى والمغنيات.. فالمحدثات والعابدات منهنَّ:

جوهر البراثيّة:

عابدة من عابدات بغداد كانت جارية بعض الملوك فعتقت وخلعت الدنيا ولزمت أبا عبد الله البراثى وتزوجت به وتعبدت معه فى كوخ.

جوهر بنت عبد الله القشيرى:

محدثة عابدة من محدثات وعابدات نيسابور ولدت

نحو ٤٦٠هـ فسمعت جدها أبا القاسم وسمع منها السمعانى أوراقاً فى الحديث بنيسابور سنة ٥٣٠هـ.

جوهر بنت الدوامى:

من ربات الورع والزهد والوعظ والارشاد.

■ أما الجواهر من الجوارى والمغنيات فمنهن:

جوهر جارية بربر:

مغنية محسنة الغناء جميلة ظريفة عاصرت مطيع بن إياس الشاعر.

جوهر جارية المهدى:

مغنيـة اشتراها المهدى من مروان الشامى وكان معجبا بها فدخل عليه ذات يوم مروان الشامى وجوهر تغنيه فقال مروان:

أنـت يا جوهـر عنـدى جوهـرة
فى بيـاض الـدرّة المشـتهـرة
فإذا غنـت فنـار ضرمـت
قذفـت فى كل قلب شررة

● وقال فيها المهدى:

ألا يا جوهـر القلب لقـد زدت على الجوهـر
وقـد أكمـلك الله بحسـن الـدلّ والمنظـر
إذا ما صُلْت ما أحسـن خلق الله بالمـزهـر
وغنـيت ففـاح البيت من ريقـك بالعنـبر

جوهر جارية نافع بن عون بن المقعد:

كان حماد عجرد يحبها حباً شديداً فقال فيها:

إنـى لأهـوى جوهـراً
ويحـب قلبـى قلبـهـا



وأحــــب من حبــى لها
مَنْ وَدَّهـــا وأحــــبـهـــا
وأحـــب جاريـــة لها
تخفـى وتـكــتـم ذنـبـهـــا

جوهرة جارية المعتمد بن عَبَّاد :

كان المعتمد يحبها فجرى بينهما عتاب فكتب إليها يسترضيها فأجابته برقعة لم تعنونها باسمها فقال :

لم تصــف لى بعــد وإلا فلم
لم أر فى عنــوانـهـــا جوهـــره
درت بأنــى عاشـــق لاســمــهـــا
فلم ترد للغــيـــظ أن تذكـــره
قالـــت إذا أبــصـــره ثابــتـــاً
قلبـــه والله لا أبــصـــره

●● ومن الفاضلات من النساء من تسمين بأسماء الجواهر:

الجمانة بنت قيس بن زهير العبسى : شاعرة من شواعـر العـرب كانت ذات رأى ثاقب ولسان مبين وأنشدت مرة تقول :

أبــى لا يرى أن يترك الــدهــر درعــه
وجــدّى يرى أن يأخــذ الــدرع من أبـى
فرأى أبــى رأى الــبـخــيــل بمالــه
وشـيـمـــة جدى شيـمـــة الخـــائـف الأبـى

جمانة بنت المسيب بن نجبة الفزارى :

راوية من راويات الحديث روت عن حذيفة بن اليمان المتوفى سنة ٣٦هـ.

زمرّد بنت جاولى :

من ربّـات العقل والحزم والدين والصلاح والبر والاحسان سمعت الحديث من أبى الحسن بن قيس وأبى الفتـح نصر الله بن محمد وأبى طالب بن أبى عقيـل الصورى واستنسخت الكتب وقرأت القرآن وحفظتـــه على أبى محمـــد بن طاووس وأبى بكـر القـرطبى وشيـدت المدرسة الخاتونية بصنعاء دمشق ووقفت عليها أوقافاً كثيرة .

زمرّد خاتون بنت أيوب :

من ربـات الـبر والاحســان فضلت أمثـالها فى الصدقات الجارية وعمارة المشاهد والأربطة والمدارس وغيرها. ينسب إليها مسجد زمرد خاتون الكبير بتل الثعـالب ووقفت عليه أوقافاً ورتبت له إماماً ومؤذناً وبَنَتْ مدرسة ظاهر دمشق على نهر بردى .

زمرد خاتون :

أم الناصر لدين الله العباسى التركى : من ربات البر والاحسان حجت مرة فأنفقت ثلاثمائة ألف دينار وكـان معهـا نحـو ألفى جمل وتصـدقت على أهل الحرمين وأصلحت البرك والمصانع وعمرت التربة عند قبر معروف الكرخى والمدرسة إلى جانبها . وتوفيت فى جمادى الاولى سنة ٥٩٩هـ.

فيروز خونده بنت علاء الدين :

أمـيرة جليلة ذات عقـل وذكـاء وأدب وفصاحة شاركت أخـاهـا السلطـان شهـاب الـدين فى ادارة

السلطنة وكان أخوها السلطان لا يقطع أمراً إلا برأيها.

فيروزة بنت المظفر:

عالمة محدثة عابدة لها إجازات عالية ولها كتاب فى الحديث سمته كتاب الأربعين راوية الصالحات عن الصالحين وتوفيت سنة ٧٤٠هـ.

لؤلؤة مولاة الأنصار:

راوية من راويات الحديث روت عن أبى صرمة الأنصارى المازنى عن النبى «ﷺ». وروى عنها محمد بن يحيى بن حبان المتوفى سنة ١٢١هـ.

لؤلؤة بنت عبد الله:

محدثة سُمع عليها حوالى القرن السابع للهجرة المجلس الأربعون من أمالى هبة الله بن الحسن هبة الله الشافعى.



مرجانة:

امـرأة صدق قالت لعبيد الله بن زياد حين قتل الحسين ويلك ماذا صنعت وماذا ركبت.

مرجانة أم علقمة بن أبى علقمة:

راويـة من راويـات الحـديث الثقات روت عن عائشة أم المؤمنين ومعاوية وروى عنها ابنها علقمة بن أبى علقمة وبكير بن الأشج وروى لها النسائى وعلق لها البخارى.

ياقوت بركات:

من فواضل نساء عصرها وأوفرهن علماً تزوجت الـدكتـور يعقوب صروف فرأست بيته وجعلته نادياً لأصدقائه الكثيرين من أهل العلم والفضل ونشرت على صفحات المقتطف كثيراً من المقالات التى تدل على طول باعها فى العلم والأدب.

وختاما يجب ان لا يفوتنا أنه ليس هناك عبرة بالاسم اذا لم تكن صاحبته على جانب جيد من الأخلاق الفـاضلة والخصـال الحميـدة الى جانب التمسـك بأهداب التقى والطهارة والعفاف فاسم المرأة لا يزيد من شأنهـا شيئاً ولا ينقص ولكن جرت العادة على التيمن بالأسماء التى لها شأن فى عالم الشهرة والتُّقى والنسب والصلاح وأحياناً فى عالم الفن والغناء والعبرة بالأفعال الخيرة والصفات الحسنة والسمعة الطيبة لا بالأسماء البراقة والجذابة.

● وهكـذا فإن النساء شقائق الرجال فى الذكـاء والعقــل والتقى والصــلاح والفقـه وروايـة الحـديث والطب والتمريض والأدب والشعر وغــير ذلــك من الـعلوم وحَسَب القــارىء الاطـلاع على كتـاب أعـلام النساء فى عالم العرب والاسلام ذى الأجزاء الخمسة إذا أراد الاستزادة للتدليل على ما ذهبنا إليه.

تدعو (جنة الأطفال) اصدقاءها الذين يرسلون لها أفكار وطرائف ان يقرنوا ما يرسلونه بالصور الملونة



كلمة أولى

«احترسوا من هذا الرجل.. انه لا يحب الموسيقى»

لا أدرى مَنْ الذى قال هذا.. لو كنت اعرف لشكرته فالذى لا يحب الموسيقى ولا يطرب لها ليس انسانا وان أخذ هيئة الانسان.

فى كل بلاد الدنيا توجد (اغانى) للاطفال وفى بعض بلدان اوربا تقام سنويا مهرجانات لاغنية الطفل.. فالمسألة ليست سهلة انها عامل مهم فى صياغة وجدان الطفل وهم يدركون ذلك جيداً ولا يتركون وجدان الطفل/ المستقبل للصُدف العمياء.

وانا أرثى لحال الطفل العربى الذى يعيش اغانى الكبار وليتها كلها جيدة.

فمتى يقام مهرجان لأغنية الطفل **العربى ومتى نصوغ وجدان الطفل العربى بشكل صحيح بدلاً من تركه على قارعة طريق الكاسيت.**

بابا فريد

الوحش الاسطورى

فى ٩ فبراير عام ١٨٥٥م استيقظ اهالى بلدة ديفونشاير بانجلترا ليجدوا آثار أقدام ظهرت حديثا فوق الثلوج وكان الشكل البيضاوى لهذه الآثار يشبه إلى حد كبير الأثر الذى تتركه حوافر الحمير. إلا ان الخلاف كان واضحا فى المسافة بين كل اثر إذ بلغت ثمانى بوصات بين كل قدم أما الخلاف الآخر فكان لطريقة السير نفسها إذ انها كانت على خط مستقيم وكأنما هذا الحيوان كان يسير فوق حبل مشدود غير مرئى على سطح الأرض أما اعجب ما فى الأمر فانه بتتبع هذا الأثر وجد ان هذا المخلوق قد مشى بنفس الطريقة لمسافة تقدر بـ٩٨ ميلا اخترق خلالها ١٥ قرية ونهرا مارا فوق كل ما اعترضه من موانع كالمبانى والعربات والكبارى والاشجار تاركا الأثر فوق جميع الاسطح سواء كانت طولية او عرضية او مائلة او عمودية.

وقد اجمع العلماء بعد فحص هذه الآثار انها ليست لأى نوع من المخلوقات المعروفة على وجه الأرض ولكن شاع بين الاهالى انه ربما تكون لإنسان الثلوج الذى سمعوا عنه او ربما للشيطان نفسه.

وعلى ذلك فقد امتنع الاهالى عن الخروج من منازلهم ليلا مهما كانت الاسباب ولعدة اشهر خوفا من مقابلة الشيطان على الطريق.

لهم وذلك لتنشر مع ابداعاتهم وان يكتبوا على المظروف مجلة المنهل (جنة الأطفال) جدة - ص ب ٢٩٢٥

أحبابنا الحلوين







داليا محمود كنساره — يوسف محمد على — أسماء محمد قيدى — إبراهيم حلمى — سماح عبد الفتاح السيد — محمد عبد الفتاح السيد

معلومة

اكبر جناحين لطائر

يمتلك طائر الباتروس الذى تلتقيه السفن فى اجـواء المحيطـات اكـبر جنـاحـين بين الطيـور التى تعيش فى ايامنا هذه.

وقد تم قياس المسافة بين جناحيه حيث بلغت ٦٠ر٣م.

طرفة

■ هدية زواج:

سألت الزوجة زوجها: «اليس فى نيتنا ان نحتفل بمرور خمس وعشرين سنة على زواجنا؟».

فأطرق الزوج برهة ثم قال: «ولم لا؟ ما رأيك فى صمت دقيقتين؟».

من الصديق محمد سعد اسماعيل

حل لغز العدد الماضى

يأخـذ الرجل ورقة ويمزقها ويطلب من القـاضى ان يقرأ الأخرى فيجد فيها (يقتل) فينجو من القتل باعتبار ان التى مزقها فيها (لا يقتل).

من ابداعاتهم

ارسـل لنـا الـصـديق تامـر على البحراوى هذه الحكاية.

■ مكافأة وعقاب:

وقف رجـل بين يدى الخليفـة المنصـور وقـال ان لدى ما يستوجب العجب فقال الخليفة هات ما عندك فاخـرج الـرجل من كيس كمية من الابـر وقـذف بابـرة منها الى الحائط فنشبت فيه ثم قذف ابرة ثانية فدخل طرفهـا فى سم (ثـقب) الأولى.. وهكذا كلما قذف ابرة دخل طرفها فى سم سابقتها حتى اكمل مائة ابـرة فاعجب المنصور بفعله وامر له بمائـة دينـار وامـر بجلده مائة جلدة فارتـاع الـرجـل وقـال وقد استبد به الجـزع: لماذا اجلد يا أمير المؤمنين؟ فقال الخليفة: الدنانير المائة لبراعتك اما الجلدات المائة فلاضاعتك الوقت فيما لا ينفع ولا يفيد.

رأى الأسرة

الفلاح الذى ينتظر ارنبا

كان هناك فلاح يعيش فى مملكة (سـونغ) بالصين وحدث ان رأى ذات يوم اثناء عمله فى الحقول أرنبا يمـر من امـامـه بسـرعـة فائقـة واصطـدم الارنب بشـجـرة فى الطريق فأصيب فى عنقه ومات.

اقترب الفلاح منه وأخذه دون عناء ومنذ ذلك اليوم صار الفلاح يذهب الى الحقل كل صباح.. لا ليعمـل كعادته ولكن لكى يجلس تحت تلك الشجـرة التى اصطدم بها الأرنب واضعاً ركبتيه بين ذراعيه ينتظر ان يأتى ارنب آخر يصطدم بالشجرة فيدق عنقه فيأخذه ويأكله ولكن هل سيأتى ارنب آخر فعلاً؟

هذا بالطبع لن يحدث ابداً ومن هنا اصبح هذا الفلاح الكسول محط سخرية جميع اهل مملكة (سونغ).

«ام هند»



التجربة الكبرى

يا قلبُ يا شيخى الذى نهلتْ
شفتاهُ كلَّ منابعِ الخبره
كم خُضتَ تجربةً .. وتجربةً
ومشيتَ فوق الشَّوك والزهره
ولبستَ أقنعةً وأقنعةً
أخفتَ وراء ستارها الفكرَه
أتُرى التجارب كلّها فرغتْ
لم يبق فى ينبوعها قطره
يا قلبُ ياطيرى الذى سبحتْ
أحلامُه فى الأفْقِ مُنْتَشره
جرَّبتَ كلَّ أمورِ عالمنا
وسبرتَ غور السَّهلة الوعره
أودعتَ سرَّك مقمرا ألقا
وكشفتَ أنتَ مع الضحى سرَّه
وعلوتَ بحرا واعيا حذِراً
ولقطتَ من أعماقِه دُرَرَه
وترنحتْ قدماك فى وهنٍ
فسقطت كالمشدوه فى الحُفْرَه
أتُرَى فرغت من التجارب أم
لما تَزَلْ تبلوكَ مُنْتَصِرَه

* * *

يا قلبُ يا نهرى الذى اندفقت
أمواجُه بالأمس منهمره
كم عاصف ناداك مُلْتَمِعاً
عانقته بمشاعر حذره
أرغيت ثم هدرت مُنْطَلِقاً
وعبرتَ كلَّ جسورك الخطره
واليوم كم تنساب فى دَعَة
وبخطوةٍ مأمونة .. حُرَّه

* * *

أترى التجارب كلّها فرغتْ
لا .. والذى فى الغيب مستتره
عند المصب هناك تجربة
كبرى تعدُّ خطاك منتظره(1)

---

(1) أى عند لقاء الموت ساعة الاحتضار

اخوانيات أدبية

هذه القصيده من الشاعرة (أميمة خوجة) رداً على ما جاء فى قصيدة (النورس المهزوم) للشاعر محمد فريد أبو سعدة ويسعدنا نشرها هنا اثراءء للاخوانيات الأدبية

المنهل

● فوجئت وأنا أقرأ مجلتنا الحبيبة «المنهل» فى عددها رقم ٤٤٣ لشهر جمادى الثانية ١٤٠٦هـ بقصيدة «النورس المهزوم» للشاعر محمد فريد أبو سعده إلى جانب قصيدتى «منفية أنا» واعتقدت فى البداية أن ما سأجده مساجلة شعرية أو رداً أدبياً فسعدت بأن أجد لأحرفى صدى فى نفس زملاء الحرف وكم كان حجم الأسى كبيراً حين قرأت القصيدة.

● طبيعى جداً أن تثير كلمات قصيدة ما لأى شاعر كان معاناة لشاعر آخر وجميل جداً أن تبعث الدفء فى وريد المشاعر وتدفع للكتابة الأدبية كصدى معاناه ولكن ليس من الطبيعى أن تُوَجَّه لغة الخطاب بعفوية لتخاطب إسماً وكأنه احد الأسماء المعروفة لدى الشاعر ثم يعقبها شرح لمشاعر جريئة؟.. وانا إذ أخاطب أخاً فى الدين والانتماء والحرف لأخاطب فيه الشاعر العربى المتحفظ والحافظ لبراءة الكلمة.

عفواً إن جاءت كلماتى غضبى فما عنيت أن تكون هكذا يوماً.

بل لا تسل يا من أتانى شعره
فأثار حرفى واستفزَّ لسانى
أتراك تحرجنى بقولك «لأئذ
والنار من حولى بلا شطآن»؟
ومَنْ الملاذ سوى الإله لشاعر
يشكو له الآلام حين يعانى..
يا شاعر الكلمات أرهقنى الذى
قد جاء مردوداً فهزَّ كيانى
إنَّ الحروف حمائم جوالة
ما قيدت أعناقها بمكان.
أطلقتها كالروح من فيض الأسى
ونقيضها ما كان فى حسبانى
لو تعلمن بما صنعت لأدركت
كلماتُك «الولهى» أساة بيانى
لغة الخطاب وما كتبت أساء لى
لا تعتذر ما جاء منك كفانى

أميمة محمد خوجة

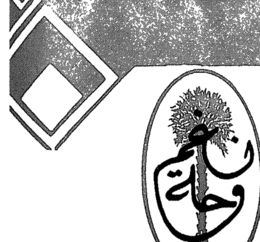
جدة ١٥/٦/١٤٠٦هـ

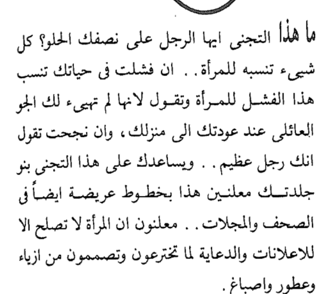


شعر / أسيمة خوجة
" السعودية "

يا حادىَ العيس أتراب الهوى رحلوا
عنـــى فبتُّ كأن وافـــانـــى الأجـــلُ
يوم الـرحيـل أفاض القلبُ خلفهموا
كالطـفــل يجرى مغــلولا ولا يصــلُ
أطـلقـتُ دمـعـى من أصفــاد محبســه
قســراً يهيم وقــد ضاقت به المُقَــلُ
كبتُ اصطبــارى والأحـــزانُ تحرقنى
مُرُّ الفــراق لظىً فى الصـــدر يعتمــلُ

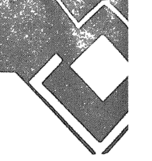
يا حادىَ الـعيسٍ فاحملنى لأرضِهِمُــوا
زيــف الـتـصــبّر بى ما عاد يُحْتَمــلُ
كان الـتــلاقى رغم البعــد لى أمــلًا
والـيــوم أصبــح لا يأس ولا أمــلُ
الـيــوم تأخــذ أحــزانى أعنّتـهــا
تبنى بصــدرى من لوعــاتهـا جَبَــلُ
خذنى بدربك يا حادى الهوى كرماً
أو خذ فؤادى إمّـا شئــت ينـتـقــلُ
أولـيــت تأخــذ عينـى ضمـن قافـلة
عل الـعيــون برؤيـا الخِـلّ تكتحــلُ
قلبـى كشـمـعــة قديسٍ قد انطـفأتْ
هبّتْ ريــاح البَـيْـنِ فكيف تشتعــلُ





ما هذا التجنى ايها الرجل على نصفك الحلو؟ كل شيىء تنسبه للمرأة. . ان فشلت فى حياتك تنسب هذا الفشل للمرأة وتقول لانها لم تهيىء لك الجو العائلى عند عودتك الى منزلك، وان نجحت تقول انك رجل عظيم. . ويساعدك على هذا التجنى بنو جلدتك معلنين هذا بخطوط عريضة ايضاً فى الصحف والمجلات. . معلنون ان المرأة لا تصلح الا للاعلانات والدعاية لما تخترعون وتصممون من ازياء وعطور واصباغ.

أن لبست البنطال وهو من تصميمكم تقولون تشبهت بالرجال. . واذا طلت وجهها بالاصباغ. تقولون إنها غامضة لا تريد ان يُرى وجهها الحقيقى. . وان تعطرت تقولون انها شيطان وتريد اغراءكم. . كفاك تجنٍ على انثاك. . لو لم تكن هى النصف المكمل لك لما انزلها الله معك على الارض، ولما قال لنوح عليه السلام ضع فى سفينتك من كلٍّ زوجين اثنين؟ ولو كانت الشيطان مثلما تدعى لكان حصرها فى مكان معين لترجمها آلاف الجموع التى تأتى الى بيته فى الشهر الحرام. . المرأة تمارس عواطفها الانسانية كما يمارسها الرجل، وكلانا يشترك فى الانسان ومنه نتفرع الى ذكر وانثى بما وضع الله فى داخلنا من نوازع وسمات لكلٍ منّا. .



القيثارة

صفية عبد الحميد

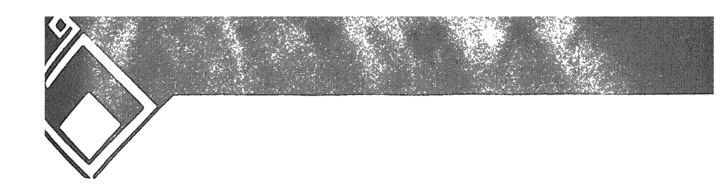
ينـدر من اللآلىء فى هذا الـزمن الـذى طغت فيـه الماديات على كل جميل فالغلطة ليست غلطتها يا سيدى.

اما اذا تزينت وتجملت فهى تريد ان تكون واحتك الغناء عندما تستقبلك عند عودتك الى مملكتها.. هل رأيت سيـدى ماذا تفعل حواء من اجلك؟ انها تعمل كل هذا لتبقى شريكة حياتك لا خادمة تنظف لك بيتك وتطبخ لك وجبتك أو معمل تفريغ لتربى لك ولدك.

ارجوك المعذرة اذا استوقفتك هذه اللحظة.. وكما قلت لك فى بدايـة نقـاشنا الهادىء كلانا يشترك فى الانسـانيـة لا اتهجم عليـك.. ولكننى ادافع عن انسانيتى ولا اريد ان اعود الى حظيرة الحريم.. فانا اقدر فيك انسانيتك واحترمك زوجاً فشدّ من أزرى مثلما شددت من أزرك وكن ملجئى بعـد الله اننى رفيقة دربك فى جميع مراحل حياتك.. اننى قيثارة متعـددة الانغـام بين يديك.. اذا احسنت العزف عليها سوف تسمع اجمل الالحان.



● المرأة عميقة كالبحر ولكنها بعيدة النظر والصبر ايضاً اكثر من الرجل ولولا هذا العمق لما اسند اليها العزيز الحكيم مهمة احتضانك ـ ايها الرجل ـ منذ ان كنتعلقـة فى الـرحم الى ان تشب عن الطـوق فتستلمـك الحيـاة. واذا لم يكن منكم غواص ماهر يستطيع الغوص فى قاع البحار ليحصل منه على ما



منزلة المرأة

موضوع حقوق المرأة المسلمة له أهمية فى هذا الوقت بالنسبة لمجتمع اليوم ذلك أن مجتمعنا الاسلامى يعيش فى دوامة اجتماعية جامحة ولا يزال الحاقدون يحاولون النَّيْل من الاسلام يقودهم فى ذلك أناس محسوبون عليه وعلى أهله وهنا يكمن الخطر. تغذوا بأفكار الغرب الدخيلة وآمنوا بها وسيلة للتقدم والرقى ومثالا يحتذى به فى بلاد المسلمين.

وحكموا على الاسلام دون روية بعدم صلاحيته للحياة المتطورة وذكروا تقاليد بالية تسود المجتمعات الاسلامية فمن جملة ما زعمه هؤلاء الحاقدون فاقدو الاحساس من وجهة نظرهم حال المرأة المسلمة فى مجتمعات بعض البلاد الاسلامية وما تعيش فيه من الفقر والجهل فهى تشقى اكثر مما تسعد وتعطى اكثر مما تأخذ ولا يتاح لها الارتفاع.

وقد اتخذوا حالة المرأة تلك سلاحا يناهضون به الاسلام وعدم انصافه للمرأة واحتقاره لها وأنه تأثر فى تشريعاته بالمجتمع الجاهلى الذى يحط من شأنها.

والحقيقة أن هذا كذب ليس له دافع سوى الحقد الدفين على الاسلام فالثابت أن الإسلام هو الشريعة الوحيدة التى منحت المرأة حقوقها وجعلت لها شخصية مستقلة ولا نستطيع ان ندرك منزلة المرأة فى الإسلام الا إذا تعرضنا أولا لوضع المرأة عبر الاديان والحضارات القديمة. اذ من خلال المقارنة يتضح عدل الاسلام فى شأن المرأة وانصافه لها.

المرأة فى العهود القديمة

كان اليونانيون ينظرون الى المرأة نظرة التسلط والغلبة فهى تابعة لابيها بنتا ولسلطة الزوج اذا كانت متزوجة ثم هى خاضعة لابنها أرملة وقد يقوم ببيعها فى السوق أو يوصى بها لشخص آخر قبل مماته ولم تكن لترضى عنهم أصنامهم إلا اذا قدموا اليها القرابين من الذبائح أو من عذارى البنات كما يزعمون.

وكان الرومان ينظرون إلى المرأة نظرة المتعة والتسرى ولا تعدو المرأة فى نظرهم عن كونها أداة من أدوات الزينة فى المنزل والرجل له حق الوصاية عليها وحق السيطرة لعدم كفاءتها وهو المتصرف فى شئون معاشها فاليه ترجع الحقوق كلها أما المرأة فلم تكن تتمتع بأية أهلية أو شخصية استقلالية فقد كان القانون يعتبرها سببا من أسباب انعدام الاهلية لحداثة السن والجنون.

والمرأة فى الهند لا تعدو أن تكون أمَةً للرجل طوال

فى الاسلام

ابراهيم ابراهيم زيدان
مصر

حياتها وليس لها حق التصرف فى أى أمر من الأمور الا باذن الرجل وارادته . . ففى مراحل طفولتها تتبع والدها وفى مرحلة شبابها تكون تابعة لزوجها فليس للمرأة فى اى مرحلة من مراحل حياتها حق فى الحرية ولا فى الاستقلال والتصرف وفق ما تشاء كما كانت الشريعة البرهمية تعد الابتعاد عن المرأة شرطا لدخول الجنة .

والمرأة فى نظر اليهودية المحرفة أشبه ما تكون بالسائمة فهى تحت وصاية والدها ثم هى خاضعة لسلطة الزوج بعد الزواج ، ولليهودى المعسر ان يبيع ابنته بيع الرقيق لقاء ثمن زهيد وكان اليهود عامة ينظرون إلى المرأة وكأنها لعنة السماء وكانت لاترث شيئا اذا كان لابيها ذرية من البنين .

وتأثرت الكنيسة بهذه النظرة اليهودية للمرأة فقد غالى رجال الكنيسه فى اهدار شأن المرأة فنظروا اليها نظرة احتقار ومهانة وتجاوزوا الحد فى نظرتهم الى العلاقة بين المرأة والرجل فهم يرون أن المرأة ينبوع المعاصى وأصل السيئة والفجور وهى للرجل باب من ابواب جهنم ثم انها مدخل الشيطان الى نفس الانسان وهى شر لابد منه كما كان يقال ان الشيطان مولع بالظهور فى شكل انثى ولما انتشرت المسيحية بمبادئها الروحية والخلقية خففت من القيود التى تهمل المرأة ودعت الى تخفيف سلطة الاب وسطوته .

وكانت المرأة الفارسية أمة سجينة فى منزلها فقد أباحت الانظمة الفارسية بيعها وشراءها وكانت تحت سلطة الرجل المُطْلَقَة ويحق له ان يحكم عليها بالموت دون رقيب أو مؤاخذة ويتصرف فيها كسلعة او متاع فى بيته .

وفى بعض الدول الاوروبية فى وقتنا الحاضر لا تستطيع المرأة التصرف فى أموالها الا بعد أخذ الاذن من زوجها .

أما المرأة عند العرب قبل الاسلام فكانت مهضومة فى كثير من حقوقها بل من أهمها وهو حق الحياة .

فقد كانت بعض القبائل العربية القديمة تتشاءم بولادة الانثى وتتطير منها وتأخذها رعدة الغيظ وكان المولود له انثى يعتبر ذلك بلاء وشراً عليه وعلى أسرته وقد وصف الله تعالى حالهم حيث قال:

﴿وإذا بُشِّر أحدُهُم بالأنثى ظلَّ وجْهُهُ مُسودًا وهُوَ كظيمٌ يتوارى من القوم من سُوء ما بُشِّر به أيُمْسكهُ على هُون أمْ يَدُسُّهُ فى التُّراب ألا ساء ما يحكُمُون﴾ (سورة النحل: ٥٨، ٥٩) وقد أدى كرههم



هذا وبغضهم أن كانت الحيرة تعصر نفوسهم مخافة الفقر أو العار أيمسكها الاب ويبقى على حياتها لاستخدامها بعد البلوغ لترعى الابل والغنم فى البادية ويلبسها لباسا من صوف أو جلد لتبدو أشبه ما تكون بالفتيان أم يحاول التخلص منها بالقضاء عليها مستندا الى العرف عندهم بأن ذلك من حقه وقد أشار الحق سبحانه وتعالى الى فعلتهم هذه قائلا: ﴿وإذا الموءودة سُئلت بأى ذنبٍ قُتِلَتْ﴾ (التكوير: ٨، ٩) وكانت المرأة لا ترث إذ كان الارث خاصا بالذكور ولم يكن لها على زوجها حقوق كذلك لم يكن هناك ضوابط لحالات تعدد الزوجات أو الطلاق ولم يكن لها حق فى اختيار زوجها.

ومجمل القول أن المرأة كانت مسلوبة من حقوقها فى ظل الشرائع والنظم غير الاسلامية.

المرأة فى الاسلام

وفى الوقت الذى كانت المرأة فى تلك المجتمعات القديمة تعانى ما تعانيه كما سبق البيان شع نور الاسلام وبزغ فجر الحرية الحقة للانسان عامة وللمرأة على وجه الخصوص فقد قرر لها الاسلام من الحقوق والواجبات ما كان مثار عجب ودهشة بين اتباع النبى ﴿ﷺ﴾ أنفسهم فضلا عن غيرهم فقرر انسانيتها وذلك لقول الحق تبارك وتعالى ﴿يا أيها الناسُ اتقوا ربَّكُم الذى خلقكُم من نفسٍ واحدةٍ وخلق منها زوْجَها﴾ (النساء: ١) وقال تعالى: ﴿هو الذى خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وجعل منها زوجها ليسْكُن إليها﴾ (الاعراف: ١٨٩) كما اكرم الاسلام المرأة وحث على الرفق بها سواء فى طفولتها أو شبابها أو كهولتها فهى أخت الرجل إذ ينسب هو وهى الى ب واحد وأم واحدة.

قال تعالى: ﴿يا أيها الناسُ إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا﴾ (الحجرات: ١٣). وقال رسول البشرية «**انما النساء شقائق الرجال**»رواه أحمد وابو داود.

فهى معززة فى بيت ابيها وسيدة محترمة فى بيت زوجها وجليلة القدر فى بيت ابنها وعلى هذا الاساس قرر الاسلام لها حقوقها والتزاماتها فقرر اهليتها الكاملة للعبادة والتكاليف الشرعية ولم يسمح لأحد بالتصرف فى أموالها وأمورها.. قال تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ (النساء: ١٢٤).

والمرأةُ مساوية للرجل فى مجال التكليف والثواب على الاعمال على حسب ما قدم كلٌّ منهما لنفسه من احسان أو سوء قال تعالى: ﴿فاستجابَ لهم ربُّهم أنى لا أُضِيعُ عَمَلَ عاملٍ منكم من ذكرٍ أو أنثى بَعْضُكُم من بعض﴾ (آل عمران: ١٩٥).

والجدير ذكره فى هذا المقام أن الاسلام رفع عن كاهل المرأة المسئولية التى ألصقها بها أهل الديانات الاخرى وقد ذكر القرآن الكريم جملة مواطن من هذه القصة وسار مع آدم وحواء طلقا فى التدرج كى نقف على وضعهما وهما هانئان ثم وهما مخطئان ثم وهما تائبان قال سبحانه: ﴿وقلنا يا آدمُ اسكنْ انتَ وزوجُكَ الجنَّة وكُلَا منها رغداً حيثُ شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلَّهما الشيطانُ عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطُوا بعضُكُم لبعضٍ عدوٌّ ولكم فى الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين، فتلقى آدمُ من ربِّه كلماتٍ فتابَ عليه إنَّه هو التوابُ الرحيمُ﴾ (سورة البقرة: ٣٥، ٣٦، ٣٧).

وفضلا عن ذلك فإن الاسلام لا يُحمِّل انسانا مسئولية انسان آخر ولا يُحمِّل نفسا وزر نفس أخرى لقوله تعالى: ﴿كلّ امرىء بما كسب رهين﴾ (الطور: ٢١).

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله كغيرها من التكاليف الشرعية كما كلف الله به الرجال كلف به النساء ايضا يقمن به فى حدود الاطار الاسلامى لهن ولذلك جاءت النصوص موجهة الى الجنسين جميعا (المكلفين).

قال تعالى: **﴿والمؤمنونُ والمؤمناتُ بعضُهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينْهَون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاةَ ويُطيعون الله ورسولَهُ أولئك سيرحَمهُمُ الله إنَّ الله عزيزٌ حكيمٌ﴾** (التوبة: ٧١).

فهذه الآية الكريمة صريحة وواضحة فى تكليف النساء بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر كالذكور. . وقد قاست المسلمات فى بدء ظهور الاسلام مثل ما قاسى الرجال من عذابٍ وهجرةٍ واضطهادٍ وخرجن مع المقاتلين اعلاءً لكلمة الحق وذَوْداً عن دين الله فقاسمن الرجال شرف الجهاد.



ولم يفرق الاسلام فى العلم والتعليم بين الرجل والمرأة فهى مكلفة بالتزود بالعلم النافع الموصل الى معرفة الله ودينه الحنيف كما أن الرجل مكلف به أيضا.

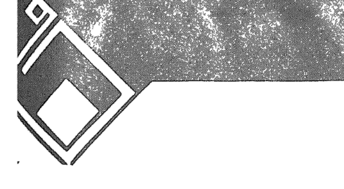
وأما الزوجة فقد حث القرآن الكريم والسُنّة الشريفة على اكرامها وذلك بالعشرة الطيبة ومنحها حقوقها دون جور كما أمر الرجل بالعدل اذا تزوج باكثر من واحدة.

قال رسول البشرية **«استوصوا بالنساء فإن المرأة خُلقتْ من ضلع وان أعوجَ مافى الضلع أعلاه فان ذهبتَ تُقيمه كسَرْتَه وان تركته لم يزل أعوج فاستوصوا بالنساء»** (رواه البخارى ومسلم).

والمرأة باعتبارها أمًّا لها حق التكريم والكلمة الطيبة والرحمة بها والاحسان اليها فى المعاملة والنفقة وليس أدل على ذلك من قول الحق تبارك وتعالى: **﴿وقضى ربُّك ألا تعبدوا الَّا إياهُ وبالوالدين إحسانا إما يبلغنَّ عندك الكبرَ أحدُهما أو كلاهما فلا تقلْ لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقلْ لهما قولاً كريما﴾** (سورة الاسراء: ٢٣).

وقد منح الاسلام للأم حق الصحبة قبل الاب جاء رجل الى رسول الانسانية فقال يا رسول الله من أحق بحسن صحابتى؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: ابوك). متفق عليه.

كما منع الاسلام تعدد الزوجات بدون حساب وأباحه فى أربع ما لم يخش المؤمن الجور فى حقوق



الزوجات فإن خاف الجور اقتصر على واحدة وألغى الإسلام نظام وراثتها كسائر الاشياء التى تورث وأشركها فى الميراث مع الرجل وليس هناك ما هو اكبر تكريم للمرأه فى الاسلام من أنه قد جاءت سورة باسمها هى سورة النساء.

وقد كان الاسلام عادلا فى توزيع الوظائف الاجتماعية بين الرجل والمرأة بصورة تتناسب مع طبيعتها وذلك لضمان سير الحياة الاجتماعية فى طريقها الصحيح فالمرأة تتقن بعض الاعمال التى لا يحسنها الرجل والعكس صحيح فعلى سبيل المثال فإن الاعمال السياسية لا تتناسب مع طبيعة المرأة وتكوينها.

واذا كان الاسلام وتعاليمه السمحاء تحافظ على شرف المرأة وكرامتها فمن الأمور المسلم بها أن مشاركة المرأة فى تعليم بنات جنسها ومعالجتهن من الاهمية بمكان ويعود على المجتمع بالفائدة.

وفيما يتعلق بالميراث فقد جعل الاسلام لها نصيبا مفروضا فى ميراث أقاربها بعد أن كانت محرومة منه . . قال الله تعالى: **﴿للرجال نصيبٌ مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيبٌ مما ترك الوالدان والاقربون مماقلَّ منه أو كثر نصيباً مفروضا﴾** (النساء: ٧).

وقرر الاسلام للمرأة مهرا خالصا لها لا يشاركها أحد فيه ولم يجعل لزوجها أو وليها أى سلطان عليه.

كل هذا منحه وقرره الاسلام للمرأة أعطاه لها اكراما واعزازا وتقديرا لها لا خضوعا ولكن احسانا بالحق والعدل.

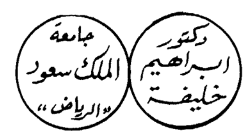
فهل للمرأة أن تعى حقيقة دينها وما منحه لها من خير وحق فتؤدى واجباتها نحو زوجها وبيتها ومجتمعها.

رعاية

لما كان طفل اليوم هو رجل الغد وعدة المستقبل وأمل الامة وقوام المجتمع لذلك فقد عنى الاسلام بتكوين الاسرة الصالحة حفاظا على الطفل حتى قبل ميلاده.. وأثبت للجنين اهلية وجوب ناقصة تحفظ له حقه كوارثٍ مؤقت.. ورعاية الطفل كمظهر من مظاهر التكافل الاجتماعى فى الشريعة الاسلامية لها اثرها فى الوقاية من الجريمة.

التفسير الاجتماعى للانحراف

تركز المحاولات الاجتماعية العلمية لتفسير الانحراف على البيئة الاجتماعية التى يولد فيها الفرد وفى نطاقها يشب وفى دائرة ظروفها وملابساتها ينمو وتتشكل انماط سلوكه على اساس ما تلقنه البيئة وما يلقاه فيها وما يتعلمه منها. ونقصد بالبيئة الاجتماعية الاسرة والجيرة والمدرسة والرفاق حيث تأخذ عملية التنشئة الاجتماعية مجراها بمراحلها الاولية والثانوية والموازية.



الطفولة وأثرها في: الوقاية من الانحراف

والتنشئة الاجتماعية الاولية تتم داخل نطاق الاسرة خلال سنوات العمر الستة الاولى وهى مرحلة مغطاة Covert وهى اعمق اثرا فى تكوين شخصية الانسان وسلوكه مما يعقبها من مراحل.

اما التنشئة الاجتماعية الثانوية فهى التى يتعرض لها الفرد خارج نطاق الاسرة: «فى المدرسة ومع رفاق اللعب وفى المسجد والنادى ومع رفاق العمل والجيران وهي مرحلة مكشوفة Overt وتستمر مع الانسان طوال حياته وقد يتعرض خلالها لما نسميه «اعادة التنشئة Resocialization بانتقاله الى مجتمع مغاير او ثقافة مغايرة من اجل العلم او العمل راغبا او مرغما.

والتنشئة الاجتماعية الموازية نقصد بها جوانب التنشئة والتطبيع التى تسير موازية لأىٍّ من المرحلتين السابقتين فى الاسرة او خارج الاسرة وذلك عن طريق التعرض والمتابعة لبعض ما تعرضه اجهزة الاذاعات المرئية والمسموعة فى البيوت او دور العرض السينمائى والمسرحى خارج البيت وهى قد تكون مؤكدة ومثبتة للتنشئة فى الاسرة وغالبا ما تكون معوقة او متناقضة مع ما يقوم به البيت نحو النشء.

والتنشئة الاجتماعية فى الاسرة قد تكون ناقصة او منحرفة عما ترتضيه ثقافة المجتمع الذى ينشأ فيه الطفل لكى يصبح مواطنا صالحا منتجا وتُعْزى اسباب النقص او الانحراف الى عوامل متعددة ومتباينة منها فقر الاسرة او ثراؤها ومنها ازدحام المسكن او خواؤه ومنها ترتيب الطفل بالنسبة لسائر اخوته واخواته ومنها تعليم الام أو جهلها او انشغالها بالعمل خارج البيت او استعانتها بالخدم أو دور الحضانة ومنها كون الطفل وحيدا او يعيش مع اخوة وأخوات وتعرضه لنقص فى الغذاء او لسوء التغذية وكونه يحمل عائقا - جسميا او حسيا ظاهرا أو خفيا.

من هذا يتضح ان العمق الاجتماعى للانحراف يكمن فيما اسميناه بالتنشئة الاجتماعية بوصفها عملية اجتماعية اساسية مستمرة ومتواصلة تبدأ مع المرء قبل مولده وتظل معه وتصاحبه خلال رحلة عمره ومن خلالها تتشكل انماط سلوكه السوية وغير السوية ليها يرجع استقراره وأمنه وعبثه وتسيبه وانحرافه.



ومن القواعد المعروفة ان السلوك الانسانى كله مُتَعَلَّم فالانسان يتعلم السلوك السوى ويتعلم السلوك غير السوى وهو يتعلم كيف يعيش فى جماعة ملتزما بعقيدة معينة وقيم معينة وعادات وتقاليد معينة كما يتعلم السلوك المنحرف من خلال انتمائه او مخالطته أو عضويته لجماعة معينة.

● وقد يكون السلوك المنحرف حصيلة تنشئة اجتماعية ناقصة وفى هذه الحالة يكون الخروج على المألوف والمتفق عليه وما ترتضيه الجماعة جهلا بكل ذلك او بعضه.

وهكذا نجد أن عملية التنشئة الاجتماعية هى بمثابة حجر الزاوية فى بناء الشخصية المنحرفة وذلك عندما يتعلم الطفل مفاهيم خاطئة تتعلق بالعفة والامانة والنزاهة والشرف وما الى ذلك.

مفهوم رعاية الطفولة

يشير مفهوم الطفولة للمرحلة المبكرة من حياة الانسان التى يكون خلالها فى حالة اعتماد واضح على المحيطين به كما يكون الطرف المستجيب لعمليات التفاعل من حوله حيث يزود بالعادات والتقاليد والقيم والمعايير واساليب التفكير وانماط السلوك التى تسود المجتمع وتحددها ثقافته العامة وثقافاته الفرعية Subculture

والطفل لديه قابلية سريعة للتأثر بما يدور حوله ولذلك فان حمايته من أى مؤثرات بيئية يعتبر أمرا ضروريا . . وتمتد حاجة الطفل للرعاية لتشمل فترة الحمل باعتبارها فترة حاسمة ومؤثرة على تكوين الجنين الحيوى عن طريق رعاية الام صحيا وغذائيا.

● والاطفال فى فترة السنوات الستة الاولى من العمر تنحصر صور الرعاية المباشرة لهم فى نطاق الاسرة ودور الحضانة ورياض الاطفال. ونظرا لارتباط تغيّر الحاجات اللازمة لنمو شخصية الطفل بتغير النسق الاجتماعى والثقافى للمجتمع فى الوقت الذى تواجه فيه المجتمعات البشرية موجة جارفة نحو التغير الذى تعضده وتقويه خطط التنمية فى المجتمعات النامية فان ظهور حاجات ومتطلبات جديدة للطفل وبصفة مستمرة فى ظروف تلك التغيرات أصبح من الامور المألوفة للباحثين المهتمين بشئون الطفل وخاصة فى نطاق المدن بوصفها أكثر الوحدات العمرانية تقبلا لمتطلبات التغير على المستوى الثقافى الاجتماعى مما يؤدى الى ظهور بعض المشكلات التى تواجه الاطفال وتستدعى وضع البرامج والسياسات الاجتماعية التى تكفل مواجهة ما يتعرض له الطفل من مشكلات اسريا وتعليميا وترويحيا وغذائيا وما الى ذلك من متطلبات حماية الامومة والطفولة ورعايتها.

وتشكل الاسرة ـ عادة ـ اطار الرعاية لتنشئة الطفل اجتماعيا ويصبح نمو الطفل المبكر بكل جوانبه استجابة مباشرة للخبرات التى يتعرض لها داخل الاسرة.

والطفل فى المجتمعات الريفية وخاصة فى الاماكن الاقل تقدما من النواحى التكنولوجية ينشأ فى أسرة واسعة النطاق تتضمن الآباء والاجداد والاقرباء وغالبا يعيش فى الاسرة الواحدة ثلاثة اجيال متعاقبة وفى هذا النمط من الاسرة تتقاسم الام دورها فى حضانة الطفل مع من يشاركها فى المسكن من الاجداد والجدات والاقارب الكبار.

● وبالتالى وبعد ان تأثرت المناطق الريفية بعوامل التحديث والتحضر وبعد ان اصبح الاتجاه نحو تكوين الاسر الاصغر نطاقا فان على المجتمع ان يرعى صحة الطفل وتعليمه والترويح عنه وتنمية قدراته وتلبية احتياجاته آخذا على عاتقه تلك المهمات التى كانت تتولاها الاسرة الاوسع نطاقا والتى لا تستطيع الاسر الاصغر القيام بها على الوجه الاكمل.

وكلما انتقلت مسئولية رعاية الطفل وتربيته من دائرة نفوذ داخلية الى دائرة اوسع فان مصلحة الطفل تستدعى المزيد من العمل على ان تقوم البيئة المحلية التى تعيش فيها الاسرة بالتوسط من خلال نشاطات محلية خاصة لاحداث تفاعل وتجاوب بين بيئة الطفل المباشرة أو الاسرة من ناحية وبين المجتمع الذى يشكل المصدر البعيد للتنظيم والخدمات من ناحية أخرى.



وفى المجتمعات الصغيرة التى تتكون غالبا من مجموعات من الاسر الواسعة النطاق يعرف كل فرد دور كل فرد آخر، مما يوفر للطفل الصغير بيئة اجتماعية غنية ذات شبكة متلاحمة من العلاقات ويؤكد - فى نفس الوقت - اهمية الدور الفعال الذى تلعبه البيئة المحلية فى رعاية الطفل.

وللطفل حاجات جسمية ونفسية تتغير تدريجيا وبصورة مستمرة مع نمو وتطور الاساس التكوينى الذى تبنى عليه وهو اساس فردى خاص لكل طفل يتضح من خلال تنوع انماط النمو نتيجة التفاعل المعقد الذى يجرى بين النمط عند الولادة وكل ما يتعرض له الطفل من خبرات لاحقة وعملية التفاعل بين الطفل الصغير وبين جميع المظاهر فى بيئته القريبة وهى عملية دينامية بالمعنى الزمنى فالبيئة اليوم تتفاعل مع الطفل الذى هو نتيجة تفاعلات الامس.

دور رعاية الطفولة فى الوقاية من الانحراف

كلما تقدمت بالانسان السنون ازدادت الصعوبة فى تقويم ما اعوج بسبب فعل الايام متمثلة فى الوقائع والاحداث والظروف كما انه يصعب التوصل الى تحديد واضح للفترات التى يمكن اعتبارها «**مراحل حرجة**» فى النمو المبكر وهى المراحل التى يحتاج الطفل خلالها الى ان يُستجاب لبعض حاجاته بطرق معينة او أن يعرض لمؤثرات من نوع معين أو الى ان يحصل على خبرات تعليمية يستخدم فيها مهارات سبق له أن تعلمها.

وقد يحدث ان تكون التنشئة الاجتماعية للطفل ناقصة او منحرفة عما ترتضيه ثقافة المجتمع وفى هذه



الحالات تكون مهمة الرعاية محددة فى عملية «**اعادة تنشئة**» هدفها مساعدة الطفل على استكمال ما فاته خلال مرحلة التنشئة الاولية أو فى مستهل مرحلة التنشئة الثانوية أو تصحيح مسار احدى هاتين المرحلتين بما يعيده الى حظيرة المجتمع ويؤهله لكى يصبح مواطنا صالحا آمنا منتجا.

فالمرء ـ صغيرا أو كبيرا ـ قد يواجه موقفا اجتماعيا يفتقر الى القواعد الملائمة أو ان تكون القواعد الخاصة ببعض المواقف الاجتماعية غامضة أو غير متفق عليها اتفاقا قاطعا واضحا أو ان يناقض لديه الفعل القول فيما يقوله الآباء وما يفعلونه او فيما ينصح به المربون والمعلمون والاطباء والوعاظ وما يأتونه من افعال وهنا يكون دور الرعاية هو اعطاء القدوة والمثل وتحديد القواعد المتفق عليها وتوضيحها بما لا يدع مجالا للبس.

ولذلك فان برامج رعاية الطفولة مدعوة لكى تتغلغل وتصل الى حيث تؤدى عمليات التنشئة وظائفها بحيث تكون رقيبا وموجها ومكملا ومصححا يقظا وواعيا بمكونات ومقومات وقواعد ومعايير الثقافة السائدة فى المجتمع ووسائل ضبط عمليات التنشئة وفقا لها وسرعة ادراك وتدارك اى خروج عليها بحيث تُعاد الى مسارها كلما انحرفت وتُستكمل نقائصها لدى الذين يحرمون لسبب أو لآخر من التنشئة الاجتماعية المتكاملة.

● ويؤكد البحث الاجتماعى فى مجال التنشئة الاجتماعية على ارتباطها بانحراف الصغار والكبار فالاسرة مسئولة الى خد كبير عن تكوين نمط شخصية الفرد واستجاباته المستقبلية تجاه اهله ومجتمعه بما قد تسببه الظروف العائلية من قلق او حقد او كراهية وهنا تتضح اهمية الضبط القائم بين الطفل ووالديه وموقف الطفل تجاه هذا الضبط ومدى استجابته له ونلاحظ ان الضبط القائم على القسوة والشدة قد يترك آثارا عكسية تشكل شخصية الطفل بصورة تنمى لديه الشعور بالذنب والخوف والنفور من السلطة وربما عدم احترامها أو الخروج عليها ومن هنا تتضح اهمية التوعية والارشاد كعامل اساسى من العوامل التى تقوم عليها برامج رعاية الطفولة فى مجال الاسرة كصمام أمن ووقاية من تخريج صغار حاقدين محرومين من العطف والحنان جانحين متمردين على سلطة الآباء وبعدها على أية سلطة أخرى من المجتمع والحياة.

والطفل الذى يشب وينمو فى بيئة منحرفة يتعلم السلوك المنحرف وعدم احترام النظام والقانون من والديه وهنا تتضح اهمية التربية الاسلامية الموازية فى المسجد وفى المدرسة وعن طريق وسائل الاعلام: ﴿**وإن جاهداك على ان تشرك بى ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا**﴾.

ودور الرعاية الاجتماعية بالنسبة للصغار فى مثل هذه الحالات يكون عن طريق عدم تركهم لكى يعانوا من العزلة او الشعور بالاغتراب وذلك بتعويضهم عما يفتقدونه فى البيت وذلك بالحرص على دمجهم فى جماعات رياضية وثقافية ودينية تنمى لديهم الثقة بالنفس والشعور بالقيمة الذاتية وتحقيق الذات والرضا عن النفس والتآلف مع الغير والقدرة على التعامل الايجابى البناء مع الآخرين.

اما فى نطاق المجاورة أو الحى الذى يعيش فيه النشء

فان غياب وسائل الترويح السليمة والصحية والمشروعة قد يترتب عليه اللجوء الى الاستنفاد غير اللائق أو غير المقبول او غير المشروع لأوقات الفراغ وليس معنى هذا بالضرورة ان توفر وسائل الترويح السليمة يمنع منعا باتا وقوع الانحراف ولكنه - قطعا - يقلل الى حد كبير من احتمالات ودوافع وقوعه.

الاجتماعية للطفل ويربطه بجماعة معينة بروابط الولاء والانتماء والتعاون والتسامح وتبادل الادوار والاسهام المستمر المشترك والشعور بالالفة والتآلف.

● ويلاحظ فى هذا المجال ان فشل الاسرة بمهمة الضبط والانضباط وفشل المجاورة أو البيئة المحلية فى توفير وسائل الترويح الملائمة قد يترتب عليه تكون جماعات طائشة منحرفة تسلك سلوكا جانحا أو



ولذلك فان دور الرعاية فى هذا المجال يتلخص فى العمل على توفير وسائل الترفيه والترويح البرىء والصحى واللائق وأمثلة - ذلك السباحة والرماية وركوب الخيل ومساعدة الصغار لكى يتعلموها ويتباروا فيها. . هذا بالاضافة الى النواحى الرياضية الأخرى التى يمكن ان يُقبل عليها أبناء البوادى والارياف والمدن وخاصة ما يتعلق منها بالتراث الشعبى التعبيرى ذى الطابع المحلى المألوف والمستحب والمقبول.

● وهنا تبرز جماعة اللعب بصفتها الجماعة الاولية التى تنمو حولها أصول الدافع الاجتماعى فى المراحل الاولى من تكوينه وهو الدافع الذى يشكل الذات

تتهافت على اشكال ترويحية مستوردة ظاهرها الترويح والترفيه غير أنها كثيرا ما تنطوى على عنصر المقامرة والمضاربة وتنمى بطريق غير مباشر بعض مظاهر التسيب والانحراف.

وينحصر دور القائمين على شئون الرعاية فى ضرورة توفير الوسائل المانعة والواقية من ظهور مثل هذه الانشطة والتجمعات وذلك عن طريق توفير الوسائل البديلة المشروعة والمستمدة من قيم الجماعة وتراثها وتقاليدها وهنا تبرز اهمية التوصل عن طريق البحث الاجتماعى العلمى الى الانماط الترويحية العربية والاسلامية الاصلية وعلى اقسام الدراسات

الاجتماعية بالجامعات العربية والاسلامية يقع عبء القيام بهذا الدور الذى اصبح ملحا وقد آن لجامعاتنا ان تكون بحق مراكز لخدمة المجتمع.

الاسلام ورعاية الطفولة

طفل اليوم هو رجل الغد وطفلة اليوم هى زوجة المستقبل وأم الاجيال القادمة ولذلك عنى الاسلام بتكوين الاسرة الصالحة حفاظا على الطفل حتى قبل ميلاده وذلك بتهيئة العوامل المسببة لصحة جسمه وسلامة بنيته ورجاحة عقله فحث على اختيار الزوجة الصالحة: قال الرسول ﴿ﷺ﴾ «**تُنْكحُ المرأةُ لأربع: لمالها وحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**» (البخارى ومسلم).

وبعد مولد الطفل يحرص الاسلام على ان تكون رضاعته حولين كاملين: قال تعالى: ﴿**والوالداتُ يُرْضعْنَ أولادهُنَّ حولين كاملين لمن أراد أن يُتِمّ الرضاعة**﴾ (سورة البقرة: ٢٣٣).

وعندما يشب الطفل وينمو ويقوى عوده يوصى الاسلام بان تتاح له فرصة تعلم الرماية والسباحة وركوب الخيل وذلك استمرارا لضمان لياقته البدنية وتنمية قدراته وغرس حب الشجاعة والاقدام لديه وتدريبه على التحمل وتعويده على ان يكون صاحب «**النفس الطويل**» لتحقيق غاياته واهدافه واحراز قصب السبق بالوسائل المشروعة فى ميادين الحياة.

أما من ناحية التفاعل الاجتماعى فى محيطه فإن الاسلام يحرص على ان يوجه الطفل توجيها سليما نحو ربّه وأهله وأترابه والوسط الاجتماعى الذى يعيش فيه داخل الاسرة وخارج نطاق الاسرة وفى المجتمع العام حتى يطابق سلوكه او يقارب السلوك الاجتماعى الذى ترتضيه الجماعة ويتقبله المجتمع ويرضاه الله. قال تعالى: ﴿***وإذْ قال لُقمانُ لابنه وهو يعظُهُ يا بُنىَّ لا تُشْرك بالله إن الشِّرْك لظُلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه حَمَلته امه وهنا على وهن وفصالُهُ فى عامين أن اشْكُر لى ولوالديك إلىّ المصيرُ وانْ جاهداك على أن تُشرك بى ما ليس لك به علمٌ فلا تُطعهُما وصاحبهُما فى الدُّنيا معرُوفاً***﴾ (سوة لقمان)

ويقول الله تعالى فى نفس السورة: ﴿***يا بُنىَّ أقم الصلاة وأمُر بالمعرُوف وانه عن المنكر واصْبرْ على ما أصَابكَ إن ذلك منْ عزمِ الامُور ولا تُصعّرْ خدَّك للنَّاس ولا تمش فى الأرض مرحاً إنَّ الله لا يُحبُّ كُلَّ مُختالٍ فخُور واقصدْ فى مشيكَ واغضُض مِنْ صَوتِك إنَّ أنكر الأصواتِ لصوتُ الحَمير***﴾.

كما يوصى الاسلام بضرورة معاملة الطفل معاملة حسنة ويقول الرسول الكريم ﴿ﷺ﴾ «***من كان له صبى فليتصاب له***» *(الترمذى).*



هذا *وقد وضعت قواعد الشريعة الاسلامية معايير محددة لحماية حق الطفل تجاه والديه بشكل محدد وشامل بالنسبة للطفل السوى منذ كونه جنينا فى بطن أمه الى ان يصبح قادرا على رعاية نفسه بنفسه*

وبلوغه سن الرشد . . كما اهتمت الشريعة الاسلامية بالاطفال غير السويين بمعنى الاطفال المعوقين جسديا وعقليا ونفسيا حفاظا على ذواتهم واموالهم وفى كل الحالات تثبت الشريعة الاسلامية للطفل قبل ولادته اهلية ناقصة وتلزم بحفظ حقه فى تركة مُورِّثه ويُعْتبر وارثا مؤقتا .

وان كانت الام ملتزمة بارضاع طفلها حرصا على عدم هلاكه وتنفيذا لقوله تعالى : ﴿والوالداتُ يُرْضِعْنَ اولادهُنَّ حوْليْنِ كامِلين لمن أراد أن يُتمّ الرَّضاعة﴾ (سورة البقرة) فان الاب - ايضا - ملتزم بالنفقة على الام اثناء الزواج وكذلك فى حالة الطلاق قال تعالى : ﴿وإن كُنَّ أولات حَمل فانفقُوا عليهنَّ حتّى يضعْن حملهُنَّ فإنْ أرضَعْنَ لكُم فأتُوهُنَّ أجورَهُنَّ﴾ «سورة الطلاق» .

وتختص الام بحضانة طفلها طيلة حياتها وتنتقل الحضانة بعدها الى محارم الطفل او اقارب أمه ثم اقارب ابيه . واحتضان الطفل حق مطلق للطفل وليس للحاضنة ، وشروط الحاضنة ان تكون بالغة عاقلة أمينة وما الى ذلك .

ويستحق الطفل على أبيه نفقة المعيشة اللازمة لطعامه وكسوته ومسكنه وتعليمه وسائر مستلزمات الحياة ويلتزم الاب بنفقة الطفل سواء أكان موسرا او فقيرا يقول الله تعالى : ﴿وعلى المولُودِ له رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ (سورة البقرة) .

التوصيات

(١) اعطاء المزيد من العناية بالطفولة فى مرحلة التنشئة الاجتماعية الاولى اى سنوات ما قبل الالتحاق بالمدرسة .

(٢) تأكيد الحرص على اختيار الزوجة الصالحة المدركة والمدربة على واجبات الامومة كما يقرها الاسلام وفى مقدمتها حق الرضاع الطبيعى للطفل حولين كاملين او ما يقرب من ذلك حرصا على لياقة الطفل البدنية ونموه السليم مستقبلا .

(٣) توفير الرعاية للامهات العاملات بما يكفل لهن التفرغ الكافى لمواليدهن خلال السنة الاولى على الأقل على ان تشارك الدولة قدر المستطاع فى العبء المادى وتكاليف تلك الرعاية على اساس ان مشاركة الدولة هى فى حد ذاتها استثمار بشرى لطاقاتها المستقبلية .

(٤) تأكيد أهمية التوصل عن طريق البحث الاجتماعى العلمى الى تحديد واضح للانماط الترويحية الغربية والاسلامية الاصيلة ومطالبة اقسام الدراسات الاجتماعية بالجامعات بالقيام بدورها كمراكز لخدمة المجتمع .

(٥) إبراز اهمية الدور الذى يمكن ان تقوم به مؤسسات الرعاية الاجتماعية فى مراكز التأهيل المهنى للاحداث والمعرضين للانحراف ومراكز مكافحة التسكع والتسول .

المصادر

● ابراهيم خليفة : دور الرعاية الاجتماعية فى مكافحة الجريمة - الندوة العلمية الخامسة - المركز العربى للدراسات الامنية والتدريب الرياض ١٤٠٣هـ .

● ابراهيم فلاته وعبد الله خوج : التربية النموذجية للطفل فى الوطن العربى - المركز العربى للدراسات الامنية والتدريب الرياض ١٤٠٣هـ .

● بدرية العوضى : حقوق الطفل فى الكويت منشورات دراسات الخليج والجزيرة العربية جامعة الكويت ١٩٧٩م .

● عبد الله البنيان وسيد شتا : احتياجات الطفولة فى المجتمع العربى السعودى وحدة البحوث الاجتماعية والتوثيق قسم الدراسات الاجتماعية جامعة الملك سعود - الرياض ١٤٠٠هـ .

● الاستيرهسرون (مترجم) : التخطيط لرعاية الطفولة المبكرة وتربيتها فى البلدان النامية - مكتب التربية العربى لدول الخليج - الرياض ١٤٠٢هـ .



١٠٢

فى أحيان كثيرة اهمّ باطلاق النار عليك بسيل من الالفاظ الجارحة التى تهدىء من شدة انفعالى ـ فألوذ بالصمت ـ واكتفى بنظرة معربدة.. فهل تميزين نظراتى المحمومة المشحونة..؟

الورقة ١٠٣

افتش لكِ عن مجلة نسائية متخصصة تتبنّى قضاياك كامرأة تطرح فيها المواضيع الطبية والاجتماعية والانسانية والعائلية الوثيقة الصلة بالاسرة والمجتمع.. فكل ما أجده يا عزيزتى فى الاسواق غلاف جميل من الكوشيه الثقيل ـ المصقول اللامع متوج بوجه حسناء.. وكل ما بداخله مطبخ جميل وريجيم ناجح.. وأزياء.. وموضة..

الورقة ١٠٤

انهن جئن لزيارتك.. وطبعا عما قليل سيبدأ ـ العرض ـ وارتقاء سلالم المثل ـ والبرجوازية المزيفة ـ فكونى انت واقعية.. ولا تنسى ان تقدمى لهن مائدة الطعام قليلا من البصل الأخضر.. معلش قد يكسب الفم رائحة خاصة لكنه مفيد.. وكلى انت تفاحتك بدون تقشير.. واشرحى لهن ان ما فى قشره من الالياف يجعل تناوله افضل من الاستغناء عنه.

الورقة ١٠٥

أحيانا أحب أن تحدثينى فلا اشاركك الحديث ومطلوب منك الاستمرار فيه دون زعل.. وفى أحيان أخرى احب ان تجلسى بجانبى وإذا طلبت منك التحدث تتمنعين.. دونها يحملنى ذلك على زعل.. هى ليست فزورة.. وانا لست فى هذه أو تلك اعانى من الـ شيزوفرينيا «الفصام فى الشخصية» لكنها تحصل.. فعلا.



الورقة ١٠٦

صديقى ـ عامر ـ ألحَّ علىَّ أن أوصيك بعدم التصريح بسعر الفساتين التى ابتعناها من محله.. فالتجاره شطارة.. وليس جميع الأزواج ـ عاطلين مثلى عن العمل.. فيرافقون زوجاتهم للأسواق.



الورقة ١٠٧

أريدك كالرجال فى عقولهم.. وكالنساء فى انوثتهن.. أريدك أن تتنكرى لمفردات كثيرة فى قاموس حواء.. أريدك أن تكونى واقعية.. واتركى الخيال للشعراء ومالك واحلام اليقظة؟.

الورقة ١٠٨

سأقولها للمرة الثالثة بعد الألف.. ان الحياة بينى وبينك لن تأخذ طريقها للسعادة والرفاء إلا اذا تركت قمة الهرم لى.. ونزلت لمكان منخفض فتشاهدينى دائما بالنظر للاعلى.

الورقة ١٠٩

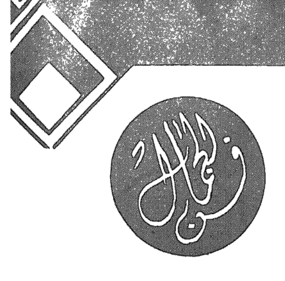
لست على استعداد ان أجامل فى الشارع.. والعمل.. والمنزل.. فى آن واحد.. واذا كنتُ ارى المجاملة خارج بيتى شراً لابد منهُ.. فاننى احوج ما اكون داخل بيتى للتحرر من هذا القيد وخلع ذاك القناع..

الورقة ١١٠

يبدأ حسابى لنفسى ـ من الداخل ـ اذا اعطيتينى الفرصة كى احس بما تبذلين فى سبيل راحتى وسعادتى.. لكن سرعان ما يتبدد هذا الاحساس عند أول منة من جانبك.. بقصدٍ او غير قصد.. فلا اراك تؤدين اكثر من واجبك.

الورقة ١١١

متى تقلع النساء عن المباهاة أو التباهى بالمظاهر البراقة التى تورث الآباء.. أو الأزواج ـ الفقر ـ.. ومتى تؤمن حواء أن نفيس معدنها ليس فى صَدَفة جميله تتخذها خدراً.. أو قطعة مجوهرات أو فستان طاووس.



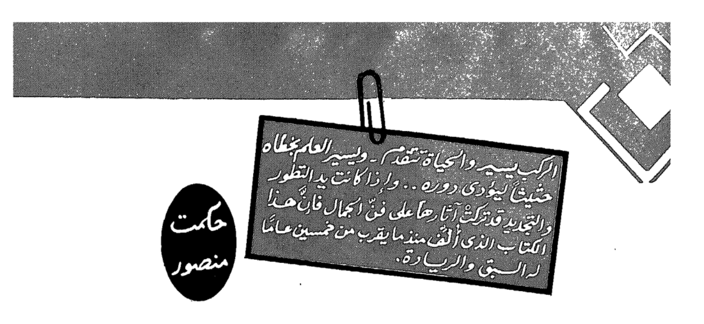
نعومة البشرة وصفاء الوجه

للوجه المشرق الجميل أثر واضح فى اكساب المرأة وجاهة وفتنة لأنه بمثابة مرآة مكبرة تتجلى عليها نفسية المرأة وأخلاقها وشخصيتها كما يتبين منه مقدار اعتزازها بجمالها وفتنتها ويجعلها دائماً قبلة الأنظار ومطمح المعجبين. بعكس المرأة ذات الوجه المنمش المحبب ذى الأعصاب المتهدلة والأعين المتكسرة الذى يدل على أن صاحبته لا تقدر قيمة العناية بجمالها وهى فى الواقع انما تدفع بنفسها سنوات عديدة إلى الامام نحو الكبر والشيخوخة كما يدل تماما على مقدار اهمالها لنفسها ومن أهمل نفسه يهمله الناس.

وانى لا أرى بى حاجة الى الاسهاب فى انشاء الالفاظ والأساليب للتدليل على أهمية العناية بجمال الوجه لا لتفاهة الموضوع فى ذاته بل لإفساح المجال الى دراسات علمية ممتعة وبحوث فنية نافعة تكون أكثر انتاجا من انشاء الألفاظ والأساليب. وبالرغم من أن الوجه له صلة أولى بدراسة الجلد لكننى أفرد لدراسته هذا الباب خاصة. . لبحث وسائل تجميله بحثاً مستفيضا.

ان الوجه كباقى أعضاء الجسم أو كعضو منها قائم بذاته أول ما يحتاج الى النظافة التامة وعدم تركه عرضة لأثر الميكروبات المختلفة التى يصادفها طول اليوم سواء من الأتربة أو الافرازات فيكون من الواجب حينئذ غسل الوجه يوميا بالماء النقى والصابون الدسم ويعامل فنيا طبقا للارشادات التى ذكرت ضمن دراسة الجلد مع ملاحظة أن أى معاملة فنية يعامل بها الوجه رغبة فى تجميله لا تنتج أثرهاالمنشود طالما كان الوجه قذرا.

ومن العادات المستحبة جداً ذات الأثر الحسن على



البشرة هى ازالة كل مساحيق التواليت وأدهانه المختلفة قبل النوم بواسطة الغسيل ليس فقط ساعة المساء بل وفى أى لحظة من لحظات النهار ترغبين النوم فيها لأن ترك المساحيق على الوجه وقت النوم يؤثر على البشرة أسوأ تأثير لما فى هذه المساحيق من مواد كيمائية فعالة تضر الجلد فنصيحتى اليك يا سيدتى أن تغسلى وجهك دائما قبل النوم لازالة كل آثار البودرة والأحمر فتتركى بذلك مسام الجلد فى حالة نشاط تتنفس وتفرز بانتظام دون أن يعيقها عن أداء وظيفتها أى شىء من المساحيق.

وهنا يتضح لنا أن أول خطوة واجبة فى سبيل تجميل الوجه هى النظافة التامة ثم اتباع احدى الطرق الفنية المختلفة التى نذكر منها فيما يلى أبسطها تركيبا وأسهلها استعمالا.

أما العمليات الرئيسية لتجميل الوجه فهى:
«أقنعة التجميل. . التدليك الفنى. . المبيضات. . طرق أخرى».

أقنعة التجميل

وصف وبيان:

أقنعة التجميل عبارة عن قطع من الشاش أو القماش توضع على الوجه وهى ممتلئة بمعاجين أو بمُركَّبات خاصة وتترك كذلك مدة من الزمن لتتخلل هذه المركبات مسام الوجه فتفيد الفائدة المطلوبة أو توضع المعاجين والأدهان على الوجه مباشرة وتترك دون تغطية. وهذا ما سيأتى شرحه مفصلا فيما بعد وسميت بهذا الاسم لأنها - سواء كانت معاجين أو انسجة - فانها تغطى الوجه بشكل الأقنعة (الوجوه المستعارة) التى تلبس عادة فى الحفلات التنكرية (**الكرنفال**).

ولقد استعملت هذه الاقنعة منذ عهد بعيد فى صناعة التجميل وأصبحت فى المنزلة الأولى من الطرق التى يعتمد عليها اخصائيو الجمال كثيراً لأنها تؤدى إلى نتائج حسنة.

ولقد استغلت الحيوانات والنباتات والمعادن الى حد كبير فى صناعتها وليس من شك فى ذلك التأثير المنعش الجميل الذى ينتج عن استعمالها فى تجميل البشرة وتنقية الجلد من الشوائب واظهار الوجه بمظهر ساحر بديع.

وتستعمل الأقنعة مساء أو قبل الخروج بساعة على الأقل حتى يكون هناك متسع من الوقت لأدائها بهدوء وانتظام وحتى لا يظهر على الوجه بعد استعمالها شىء من الاحمرار أو البقع الخفيفة التى سرعان ما تزول ويصفو لون الجلد بعدها.

وللأقنعة أنواع كثيرة مختلفة فمنها المبردة والمنعمة والمبيضة والشافية ومن الميسور لكل سيدة أو آنسة أن تستعمل النوع الذى يوافق حاجتها كما سيأتى ذكره فى كل نوع منها على حدة.

• رسالة

من العرجى إلى

هو عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ـ من شعراء قريش، شهر بالغزل على غرار أستاذه عمر بن أبى ربيعة ـ كان مشغوفاً باللهو والصيد ـ من الفرسان المعدودين الذين أبلوا بلاء حسناً فى أرض الروم.

حبيبتى زوجتى أم عثمان:

من نافذة صغيرة فى سجنى الذى ساقنى إليه والى مكة محمد بن هشام المخزومى استطعت أن أحتال على أحد الحراس حتى قبل أن يحمل رسالتى هذه إليك.. فاقرئيها وتدبرى مافيها وتصورى ما أصبحت فيه. ووالله إنى لنادم على ما اقترفته فى حق نساء المسلمين الذين شهرت بهم فى شعرى أيام لهوى ومجونى الذى لم أقدر له عاقبة..

فمن نافذتى الصغيرة لا أجد مسلاة لى غير التطلع ليلاً إلى النجوم المحزونة التى تبعث فى وجدانى أشجان الماضى الذى عانيت منه الكثير واجترحت فيه الكثير. والحق أقول لك إن محمداً بن هشام جرعنى كأس الذل والهوان لأنه كان يحمل لى حقداً دفينا وغيظا ضاريا لأننى وقد استسخفت إمَّعيته وتكبّره على الناس عزمت على أن أشنع عليه وعلى أمه وزوجته.. ولا أنكر أننى تغزلت فى أمه وما أردت إلا فضحه أمام الناس فقلت فيها:

عوجى علينا رَبَّةَ الهودجِ
إنَّك إن لا تفعلى تحرجى
إنى أُتيحَتْ لى يمانيةٌ
إحدى بنى الحارث من مُذْحِج
أيسر ما نال محبٌّ لدى
بيْن حبيب قوله عَرِّجِ
نقض إليكم حاجة أو تَقُلْ
هل لى مما بى من مخرج

●● أما زوجته «جبر» فقد مال قلبى إليها واستهام عقلى بجمالها فتمنيت أن لو كانت زوجاً لى فقلت لها يوماً:

عوجى علىَّ فسلمى جبرُ
فيم الوقوف وأنتم سفرُ
ما نلتقى إلا ثلاث منى
حتى يُفرِّق بيننا النفرُ
الحول بعد الحول يتبعه
ما الدهر إلا الحول والشهر



السيدة الجميلة

وهنا جن جنون محمد بن هشام ولكنه كظم غيظه حتى أتحت له السبب الذى يحاكمنى به. ذلك أننى سببت يوما مولاى الحبشى وأطلت شتمه ولما رد عليه بشتمة وكان أشعب حاضرا ساعتها طلبت منه أن يشهد على ما سمع ولكن الخبيث قال لى: وعلام أشهد وقد شتمته ألفاً وشتمك واحدة.. والله لو أن أمك أم الكتاب وأمه حمالة الحطب مازاد على هذا.

حبيبتى زوجتى أم عثمان:

عندما رفض أشعب أن يظاهرنى ويشهد معى استشاط عقلى غضبا فهجمت على الحبشى أنا وصديقى الحُصين بن غُرير الحميرى وضربناه ضرباً مبرحاً وهدمنا داره وأحرقناها على من فيها وكانت - كما قلت لك - فرصة لمحمد بن هشام لكى ينتقم منى فقبض علينا وحلق رءوسنا وضربنا ثم صب علينا الزيت وأقامنا فى الشمس هزءة للناس وسخرية.. ومن المضحك المبكى أن الحصين بن غُرير لم تفته الفكاهة ونحن فى موقف العذاب والعار والشماتة. فقد مر بنا صبيان يلقطون النوى فوقفوا ينظرون إلينا فالتفت ابن غرير وقال: ما أعرف فى الدنيا شيخين أشأم منى ومنك إن هؤلاء الصبيان لأهلهم عليهم فى كل يوم على كل واحد منهم مدّ نوى فقد تركوا لقطهم للنوى ووقفوا ينظرون إلىَّ وإليك فينصرفون بغير شىء فَيُضربون فيكون شؤمنا قد لحقهم.

حبيبتى زوجتى أم عثمان:

أنا على يقين من أنك أسيفة على فراقى لك ولبيتى.. وأنا على يقين من أنك خير راعية لبيتى وأولادى.. وإننى لآمل منك وأنا فى محنتى هذه ألا تجعلى لسيئآتى مكاناً فى قلبك واذكرى أننى أحللتك من فؤادى مقام الاعزاز والتبجيل لأننى أعرف قدرك ومقامك:

إن عثمان والزبير أحلا
دارها باليفاع(1) إذ ولداها
إنها بنت كل أبيض قرم
نال فى المجد من قصى ذراها
سكن الناس بالظواهر(2) منها
وتبوّى لنفسه بطحاها(3)

وإذا كان هذا مقامك عندى فإننى أستحلفك بحق الحب الذى ألّف بين قلبينا والهوى الذى تساقيناه كأساً رويًا إلا غفرت لى انطلاق أهوائى وجموح



أشواقى . . فالحق أننى كنت تلميذا مخلصا لأستاذى عمر بن أبى ربيعة وليتنى ما تتلمذت عليه فلقد كان سبب شقائى وغضب الناس على . ولماذا لا يغضبون ويتمنون لى الدواهى وقد تغزلت فى عاتكة زوجة طريح بن اسماعيل الثقفى فقلت:

يادار عاتكة التى بالأزهر
أو فوقه بقفا الكثيب الأحمر
بفناء بيتك وابنُ مِشْعب حاضرٌ
فى سامر عطر وليل مقمر
مستشعرين(٤) ملاحفاً(٥) هروية
بالزعفران صباغها والعُصْفُرِ
فتلازما عند الفراق صبابة
أخذ الغريم بفضل صوب المعسر

●● ولماذا لا يثور الناس علىَّ لقولى فى إحدى العقيلات الثقفيات ولا أسميها:

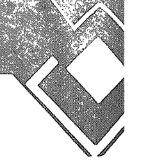
أماطت كساء الخز عن حُرّ وجهها
وأدنتْ على الخدين برداً مهلهلا
من اللاَّء لم يحججن يبغين حسبة
ولكن ليقتلن البرىء المغفلا

نعم . . ولماذا يصبّ علىّ الناس لعناتهم ويتمنون هلاكى وقد نسجت من وحى خيالى قصة غرام وقعت بينى وبين كُلابة مولاة القاسم الثقفى . . ووالله ما حدث شىء بينى وبينها ولكنها استثارت غيظى حين بلغنى أنها قالت لصويحبات لها: لشد ما اجترأ العرجى على نساء قريش يذكرهن فى شعره ولعمرى ما لقى أحد فيه خيرا ولئن لقيته لأسوِّدن وجهه . . فنسجت عنها هذه القصة:

حورٌ بعثن رسولاً فى ملاطفة
تثقفا(٦) إذا غفل النساءة الوهمُ
إلىَّ أن إيتنا هَدْأً إذا غفلت
أحراسنا وافتضحنا إن هُمُ علموا
فجئتُ أمشى على هول أُجَشِّمُهُ
تَجَشُّمُ المرء هولا فى الهوى كرم
حتى جلست إزاء الباب مكتتماً
وطالب الحاج تحت الليل مكتتم
قالت كُلابة من هذا؟ فقلت لها
أنا الذى أنت من أعدائه زعموا
أنا امرؤ جد بى حب فأجرضنى(٧)
حتى بليتُ وحتى شفنى السقم
فأنعمى نعمة تُجْزى بأحسنها
فطالما مسَّنى من أهلك النعم
قالت رضيت ولكن جئت فى قمر
هلا تلبثت حتى تدخل الظلم
فبتّ أُسْقى بأكواس أعلّ بها
من بارد طاب منها الطعم والنَّسم

ولازلت أذكر كيف أنك عاتبتنى على قصتى هذه والمتنى كثيراً حتى لكأن كلابة إحدى قريباتك . . وكان مما قلته لى: أتريد أن تقطع مأكلتها من عند القاسم مولاها؟ إنها امرأة مسكينة لماذا تشنع عليها وتفضحها؟ إن لك بنيات أفيرضيك أن يقول فيهن الشعراء مثل قولك؟ .

والحق يا أم عثمان أن كلامك أرجعنى الى صوابى ورد إلى عقلى .



حبيبتى زوجتى أم عثمان :

أسر إليك بما يهمنى الآن ويقلقنى : إن محمد بن هشام مضغن علىَّ كما تعلمين وانه صمم على إتلافى وهلاكى رغم أن نفراً من وجهاء الطائف رجوه أن يصفح عنى ويغتفر خطيئتى لأن سعار الانتقام الذى يتنزى فى صدره بسبب تغزلى فى أمه «جيداء» وزوجته «جبر» لن يهدأ حتى يقضى علىّ ولاسيما حين هجوته فى موسم الحج بقولى :

وكيف يزكى حج من لم يكن له
إمام لدى تجميره غير(٨) دلدل
يظل يرائى بالصيام نهاره
ويلبس فى الظلماء سمطى(٩) قرنفل

لا أظن أن هذا الخبيث سوف يقبل شفاعة أحد من الناس ولا أظن أنه سيرعى حقى فى جهادى فى سبيل الله فى أرض الروم ولا أنه سيرعى حقى حين أغثت الناس يوم وقعت المجاعة .

أبداً يا أم عثمان إننى لن أنجو من سيفه أما إذا نجوت . . ماذا أقول؟ لقد أضاعنى أهلى . .

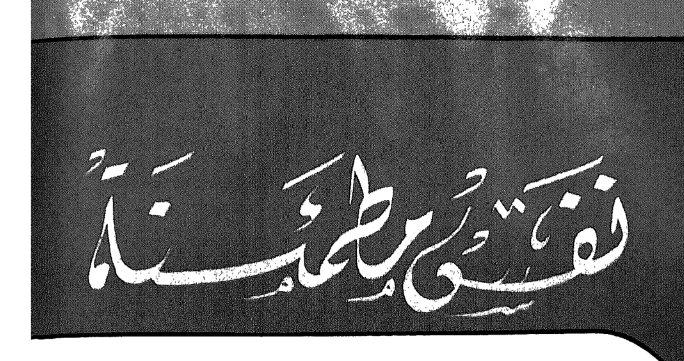
أضاعونى وأى فتى أضاعوا
ليوم كريهة وسداد(١٠) ثغر
وصبرى عند معترك المنايا
وقد شرعت أشعتها بنحرى
أجرر فى الجوامع(١١) كل يوم
فيا لله مظلمتى(١٢) وصبرى
كأنى لم أكن فيهم وسيطاً
ولم تك نسبتى فى آل عمرو

حبيبتى زوجتى أم عثمان :

لا تحزنى . . ولا تقنطى من رحمة الله . . فمن يدرى ربما أرجع إليك وإلى أولادى وبيتى . . فصبر جميل والله المستعان .

---

(١) اليفاع : ما أشرف من الأرض والجبل .
(٢) الظواهر : خارج مكة .
(٣) بطحاء مكة : شعبها الذى بين أخشبيها وأكرم قريش من نزل البطحاء .
(٤) مستشعرين : لابسين .
(٥) ملاحفاً : ما يلتحف به .
(٦) ثقفاً : حاذقا .
(٧) أجرضنى : أهمنى وأجهدنى .
(٨) الدلدل : القنفذ
(٩) سمطى قرنفل : عقدى قرنفل
(١٠) سداد ثغر : ما يسد به من رجال وعدة .
(١١) الجوامع : جمع جامعة وهى الغل .
(١٢) المظلمة : الظلم .



بينما كان يعد لها الدواء كالعادة قبل النوم، نظرت اليه نظرة عطف، ثم قالت: كفي لا داعي للدواء بعد اليوم. . لقد انتهيت تماما، ويجب. . .

وقاطعها وهو يجلس بجانبها على حافة الفراش، وقد أسند رأسها علي صدره:

ـ لا داعي لليأس. . أنت بخير سوف تعيشين. .

ـ كن واقعيا. . أيامي في الحياة معدودة، وأنا أشعر بذلك، لقد عرفت كل شيء لقد اتصلت بالطبيب المعالج ولم أعرفه بنفسي بل قدمتها إليه بصفة شقيقتى وسألته هل هناك أمل في الشفاء. . فقال الحالة ليست مطمئنة، ويخشي منها خاصة اذا تعرضت لمتاعب الحمل.

وأحب أن أحدثك في أمر هام يخصنا، إذ لا بد لك من الزواج إذ هو شريعة الحياة وأن تكون بجانبك زوجة أخرى تحمل الرسالة وتنير لك الطريق، ولتقف معك أما أنا فلم يعد لي وجود. . وأنا راضية بأن تطلقني وتبحث عمن تسعدك، فانني لا أجد مرارة في نفسي في أن تنفذ رغبتي حتى يستريح ضميرى، ولن أكون ناقمة عليك ولا حاقدة عليها وكفي ما تحملته في سبيلي. .

وبدهشة قال وهو ينتفض واقفاً:

ـ ماذا تقولين. . أنت تهذين. . وعاودت الحديث في حزم:

ـ الطلاق هو الشيء الوحيد الذى لا بد أن تفكر فيه. . ما ذنبك أن تعيش بقية عمرك مع إنسانة محطمة مريضة بمرض لا شفاء منه. .

ـ ولكن حرام عليك أن تقولي ذلك. . لا تكوني متشائمة. . إن حبنا أقوى من أن ينتهي بهذه البساطة. .

ـ فقاطعته قائلة:

ـ إذا أردت لي أن أعيش بقية عمرى في راحة وافق على طلبى فأنا أريد الراحة التامة فكلما رأيتك تشقي من أجلى يزيد ذلك من آلامى. . وأنا أتمنى لك الراحة والهناء. . والسعادة. .

● ●

وتم الطلاق. .

واعتصمت ببيت أهلها. .

ومرت فترة على طلاقها. .

وفوجئت بحضوره. . ولم تصدق ما سمعته من حديث دار بينه وبين والديها، ولكنها بعد ذلك تيقنت صحة الخبر. .

كانت الصدمة قوية عنيفة زلزلت كيانها، وشعرت بأنها طعنت في صميم كبريائها، وكتمت غيظها وعذابها المروع، وشعرت بقلبها المريض يتفتت حسرة، ورغم ما حلّ بها من أزمة فقد تجلدت واستطاعت رغما عنها أن تسيطر على الموقف. . ولزمت الصمت وألقت برأسها بين يديها. .

ولما قال لها:

ـ لم أسمع رأيك. .

رفعت إليه عينيها، وقالت والدموع قد تحجرت في مآقيها:

ـ وهل هناك رأى بعد رأى والدى. . أظن أن الموضوع قد





ولد رستم كيلانى فى أوائل الأربعينات وبدأ كتابة القصة فى السادسة عشرة من عمره ذلك أن الطبيعة قد حبته بعوامل وراثية وبيئية أثرت فى شخصيته الأدبية.

* تعلم رستم كيلانى فى المعاهد المصرية ثم أقبل على الآداب العربية والغربية ونهل منها.. وتأثر بأستاذه «محمود تيمور».. و«موبسان».. و«تشيكوف».

* منح جائزة ندوة القبانى الأدبية.. وهو عضو فى اتحاد الكتاب وجمعية الادباء ونادى القصة.. وله رصيد جيد فى التأليف القصصى القصير.

انتهى تماماً.. ولكن هل فكرت كثيراً قبل أن تتقدم بطلب الزواج من شقيقتي؟.. هل فكرت في أنك ستبنى سعادتكما على أنقاضي؟.. هل أدركت معنى ذلك ؟. هل خلت الدنيا من الفتيات سوى شقيقتى لتتقدم بطلب الزواج منها؟.

لقد ضحيت بحبى من أجل مستقبلك، **فهل أستحق منك ذلك؟** أنت الانسان الذى أحببته بكل ما للحب الأول من عمق ولهفة.. إن كلماتك الأخيرة التي رددتها لي في تلك الليلة التى صارحتك فيها بالطلاق ما زالت محفورة في أعمق الأعماق.. عندما همست إليّ:

«ان حبنا أقوى من أن ينتهي بهذه البساطة..»

آه.. لا داعي لكل هذا الآن.. لقد تم كل شىء.. برضاء والدى وبكل أسف برضاء شقيقتي.. انكم بهذا توارون جسدى التراب قبل أن تفارقنى الروح.. **فأى ذنب ارتكبته؟؟**

وصمتت، وزمت شفتيها كأنما أثقل نفسها كل هذا الحديث، وكتمت ما في نفسها من لوعة..

● ●

ومرت أيام ثقيلة، بطيئة بعدها غادرت القاهرة الى أسوان حيث تعيش عمتها.. واعتصمت هناك لتقضى بقية أيامها التي قدر لها أن تعيشها في عذاب وحرمان..

وبينما كانت مستغرقة في حلم من أحلام اليقظة.. انتفضت.. إذ خيل إليها أن هاتفاً من بعيد يقول لها:

«لقد اقترب موعد سعادة شقيقتك»

فنظرت إلى «النتيجة» المعلقة أمامها، فتحقق لها ما دار بخلدها، اذ أن بعد يومين سيكون موعد زفاف شقيقتها إلى زوجها السابق..

ومرت عليها لحظات تفكر وتتذكر.. بعضها يدفعها إلى الأمام، وبعضها يعود بها إلى الوراء، بعضها حلو، وبعضها مر.. ولكنها تخلصت من تلك الوساوس والظنون.. وقالت وكأنها تحدث نفسها:

«لقد رضيت أن يتزوج.. وسيان كانت الزوجة الأخرى امرأة لا أعرفها أو أن لي بها صلة فالأمر واحد عندى.. ستمر الأيام وستنسي الآلام.. وكل منا سيخلد إلى دنياه.. ولماذا أقف من شقيقتي موقف المتألمة وأنا ربما أكون على عتبة الهاوية..

ولماذا ألومه فيما اختاره لنفسه.. فربما سر زواجه بأختى يريد أن يعيش بذكرياته معي.. مع صورة مشابهة لي.. فان شقيقتي تكاد ملامحها تقترب منى.. ولعل هذا وفاء منه..»

★★★

وفي اليوم التالى.. أرسلت طرداً الى القاهرة يحمل وشاح زفاف «و» ربطة عنق أنيقة «هدية للعروسين».. شقيقتها وزوجها.. ومع تلك الهدية بطاقة صغيرة كتبت عليها كلمات تدعو لهما بالسعادة..

قيد الصيد!

قال أبو تراب: ذكر الفقيه الدَّامغانى فى كتاب الوجوه والنظائر إطلاق الأجل على خمسة معانٍ مرادة فى الكتاب العزيز الخامس منها الأجل العذاب كما فى قوله تعالى فى سورة نوح: ﴿**إنّ أجل الله اذا جاء لا يُؤخّرُ**﴾ **يعنى ان عذاب الله اذا جاء لا يُؤخّرُ** ﴿**لو كنتم تعلمون**﴾.

قال أبو تراب: ولم يذكر الثعالبى ولا ابن الجوزى هذه الكلمة فى كتابيهما فى الوجوه والنظائر.

قال أبو تراب: أورد فى اللسان الشاهد الذى أنشده الفرّاء فى إبدال الألف من العين وهو: «سار الأحبة بالأحد الذى أحدوا». وأورده الصاغانى فى التكملة وهو من قول الراعى وتمامه:

(فلا تمالك عن أرض لها عمروا)

وهذا الابدال لم يذكر فى إكمال الابدال لأبى الطيب الحلبى ولا فى إبدال الزجاجى وقال الصاغانى: قلبوا العين همزة والهاء حاء وحروف الحلق قد يقام بعضها مقام بعض.

وذكر له شاهداً آخر من قول رؤبة وهو:

وما علمنا أحداً من أحد
سدَّى من المعروف ما تُسَدِّى

●● ولم يذكره الزبيدى فى تاج العروس مع أنه يكثر النقل من التكملة. ولا ذكره فى اللسان قال الأصمعى: يريد من عهد وقيل يريد من أحدٍ.

قال أبو تراب: جاء فى اللسان فى تعليل قوله تعالى: ﴿**لستن كأحدٍ من النساء**﴾ أنه لم يقل كواحدة لأن أحداً نفى عامٌ للمذكر والمؤنث والواحد والجماعة.

قال أبو تراب: هذا صحيح وقد يقال إنه جاء بصيغة المذكر لأن كلمة النساء ليس لها مفرد من جنسها ولفظها والله أعلم.

قال أبو تراب: جاء فى غريب الحديث لابن الجوزى قالت امرأة لعائشة رضى الله عنها أوخّذ جملى؟

قال أبو تراب: ولم يذكر هذا الحرف فى فهرس مواد غريب الحديث لابن قتيبة بتحقيق عبد الله الجبورى ولا فى فهرس موادّ غريب الحديث للخطّابى بتحقيق عبد الكريم العزباوى والغلط فى أرقام الفهارس



ومودها كثير فاشٍ فى الطبعات الحديثة نسأل الله السلامة.

قال أبو تراب: والحرف المذكور مذكور فى فائق الزمخشرى ونهاية ابن الأثير ونقل منه اللسان وعائشة أذنت للمرأة فى تأخيذ جملها أى قيده.. ثم لما علمت أنها تعنى بالتأخيذ السحر وبالجمل زوجها أخرجتها وهجرتها.

قال أبو تراب: ذكر ابن الجوزى فى نزهة الأعين الوجوه التى فسر بها لفظ الأخذ فى القرآن وكذلك فعل الدامغانى فى الوجوه والنظائر.

لكن أهمل هذه المادة الثعالبى فى كتابه «الاشباه والنظائر».

قال أبو تراب: جاء فى اللسان فى (أخذ) بيت للأخطل وهو:

فظلَّ مرتثثاً والأخذُ قد حُميتْ
وظنَّ أن سبيلَ الأخْذِ ميمون

●● ونّبه عبد السلام هارون على أنه مُحرَّف وصوابه:

فظلَّ مُرتثباً والأخْذُ قد حميتْ
وظنَّ ان سبيلَ الأخْذ مثمود

● كما فى ديوانه (ص١٤٩) وذكر ذلك فى هامش المقاييس والتنبيهات له على اللسان (ص٨٧).

قال أبو تراب: والعجب ان طبعة اللسان التى أصدرتها دار المعارف بمراجعة وضبط اعضائها اللغويين المشاهير عَريتْ عن هذا التصويب.

قال أبو تراب: أورد صاحب اللسان قول مسروق فى حديثه قال: ما شبهت أصحاب رسول الله «ﷺ» إلَّا الإخاذ تكفى الإخاذة الراكب وتكفى الإخاذة الراكبين وتكفى الإخاذة الفئام من الناس ثم قال: وباقى الحديث يعنى أن منهم الصغير والكبير والعالم والأعلم.

قال أبو تراب: ليس هذا باقى الحديث بل هو تفسير قول مسروق كما فى النهاية لابن الأثير التى يلخصها ابن منظور فى اللسان وانما باقى الحديث هو كما ورد فى علل ابن المدينى (ص٤٣): وقد سألت عمر وعثمان وعليًا فلما لقيت عبد الله يعنى ابن مسعود كفانى.



تحقيقات عروضية

● العصر العباسى الاول ـ دكتور شوقى ضيف، ط٣ منقحة، القاهرة ـ دار المعارف ـ د.ت ـ كانت ط١ سنة ١٩٦٦، هو الجزء الثالث من سلسلة «تاريخ الأدب العربى» للمؤلف نفسه ـ ص٥٧٦.

١ ـ ص ١١٩ «الأصمعى المتوفى سنة ٢١٣».

يبدو أن البتَّ فى تواريخ وفيات اللغويين الأوائل لا ينتهى الى الدقة وكثيراً ما ذكر المؤرخون لهم أكثر من تاريخ واحد ومنهم الأصمعى.

ويمكن أن يكون ابن خلكان مصدراً موثوقاً لأنه أقام كتابه على الوفيات. وهنا يقول فى الأصمعى (عبد الملك بن غريب) «توفى فى صفر سنة ست عشرة وقيل أربع عشرة وقيل سبع عشرة ومائتين بالبصرة وقيل بمرو».

والملاحظ أن «٢١٣» لم يكن بين ارقام ابن خلكان.

٢ ـ ليس لهذه الملاحظات فرض المختارات من الأشعار. ولكنها تستغرب أن يعقد كلام على أشجع السّلمى (ص ص٣٣٥ـ٣٤٠) ولم يردله البيتان:

وعـلى عدوك يا ابـن بنـت محمـد
رصـدان ضوء الـصبـح والاظـلام
فإذا تنـبـه رعـتـه وإذا هدا
سلّت عليـه سيـوفـك الأحـلام

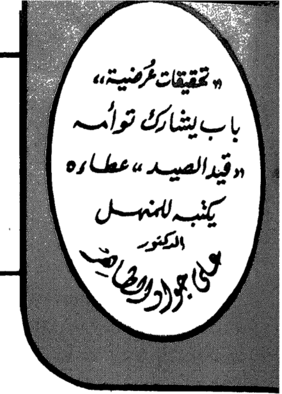
● عن قصيـدة فى مدح الرشيد من أعمر قصائده وبهذا «المعنى» النادر المبتكر الخاص باشجع.

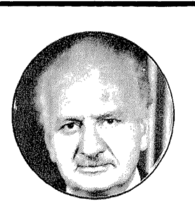
٣ ـ أجل ليس من كدِّ هذه الملاحظات هذا الاستدراك ولكنها تستغرب كذلك ورود كلام على أبى الشيص (ص ص ٣٤٦ـ٣٥١) ولا تردله مقطوعته:

وقفَ الهـوى بى حيثُ أنت فليس لى
متأخَّـر عنـه ولا متـقـدَّم
أجــدُ المـلامـةَ فى هواكِ لذيـذة
حبـاً لذكـرك فليـلمـنـى الـلوَّمُ
أشـبـهـت أعـدائى فصـرت أحبّهم
إذ كان حظـى منـك حظـى منهـم
وأهـنـتـنى فأهـنـت نفسـى صاغـراً
ما مَنْ يهون عليـك ممن أُكْـرِمُ

انها أبيـات نادرة خاصـة، فيهـا حالـة من حالات الانسانية يهتبلها دارسو الانسان وعلماء النفس.. اوردها







ابو تمام فى باب النسيب من كتابه الخالد: «الحماسة» ولم ترد الحماسة هنا فى مصادر الدكتور ضيف.

٤ - ص ص ٤٢٦ - ٤٣٩ فى كلامه على «بشر ابن المعتمر» يذكر فى الحاشية مصادره ولكنه يحيل فى المتن على «ابن المرتضى» ولم يرد ابن المرتضى فى المصادر؟.

٥ - ص ٥٠٦ «ابن المقفع.. اسمه روزبه بن داذويه».. مناسب أن نقول إن الفرس لا يلفظون الذال ويقول عن ابيه: «عمل فى دواوين الخراج للحجاج وظهرت عليه خيانة فى أموال الدولة فضربه الحجاج ضربا مبرحا تقفعت (يبست) منه يده فسمى من حينئذ المقفع.».

٦ - ص ٥٥٩ «محمد بن عبد الملك.. اشتهر بابن الزيات.. وأصله من مقاطعة جيل جنوبى بغداد ومن قرية تسمى الدسكرة..».

٧ - للاستاذ الدكتور شوقى ضيف عادة التزمها وارتضاها هى انه لا يختم كتابه «بقائمة» المصادر والمراجع.. ترتبها هجائيا وتذكر ازاءها الطبع وتاريخه وما الى ذلك.. وان كان يذكر مصادر البحث حاشية فى مكانه من الكتاب.. على وجه من الاقتضاب عادة.. وقد يكتفى بأقل إشارة لدى تكرر المصدر فى موضوعات تالية.

● **مدخل لدراسة المراجع - تأليف دكتور عبد الستار الحلوجى (كلية الآداب - جامعة القاهرة) الرياض. دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٣/١٩٨٣، ط٢ مزيدة ومنقحة ١٧٩ص.**

١ - ص ٣٧ «فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى ألف ابن البيطار كتابه «**الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**».. فى ترتيب هجائى دقيق» - فى الحاشية: «مع تقديم حرف الواو على حرف الهاء».

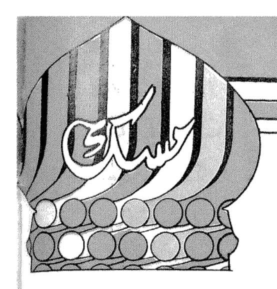
لم يكن ابن البيطار الوحيد أو الأول فى تقديم الواو على الهاء.

ولدينا من «**المشارقة**» على سبيل المثال الزمخشرى (٤٦٧-٥٣٨) فى «**أساس البلاغة**» والفيروز آبادى فى أبواب الفصول من «القاموس المحيط».

٢ - عرض ص ص ٣٦-٧٣ للكتب التى ألفت فى اللغويين والنحاة ولم يذكر كتاب الانبارى «**نزهة الألباء فى طبقات الأدباء**» ولم ينبه على ان كتاب ياقوت «**ارشاد الأريب**» المعروف بمعجم الأدباء كتاب مهم جداً فى تراجم اللغويين والنحاة وما كتاب السيوطى «**بغية الوعاة**» الذى أثنى عليه كثيراً إلا من أصداء كتاب ياقوت.

٣ - ص ٩٣ «لقد شهد العصر الحديث عملين ببليوجرافيين عن التراث الغربى.. كلاهما ألمانى اولهما.. لكارل بروكلمان.. والثانى لفؤاد سيزكين».

المناسب أن نقول: كلاهما باللغة الألمانية لئلا يذهب الظن الى أن فؤاد سيزكين - وهو تركى - ألمانى مثل كارل بروكلمان.



صـــورة

●● كان يجب ان يدرك شيئـا هاماً فى «**شخصيتك الذليلة**» وهو هذا الانكسار الواضح فى ملامح وجهك حتى لا يقـع فى سوء الظن بأن وراء هذا الانكسار «**حـزنا انسانيا**» استمر فترة من الزمن يحترمه ويقدره ويرعاه ويحرص على عدم ايذائه.

ونسى أن يراقب تصرفاتك ويتابع سلوكك ويدقق فى علاقـاتـك ويبحث خلف «شخصيتـك الذليلة» ليعـرف انـك تعانى من عدم وجود «**الكرامة**» التى تسـاعـد اى انسان على ان يكون شخصاً سويّا فى تصرفاته. . لا يتكلم الا بما يؤمن به ولا يشتكى الا بما يعتقـد انـه يستحق الشكـوى ولا يرفع صوته فى الظلام ويغتاله فى النور.

لقد كنت تختفى فى صورة «**المهرج**» مرة. . وفى صورة «**البهلوان**» مرة. وكنت توزع ادوار شخصيتك الذليلة بمهارة شديدة تحسد عليها.

الاشجار الجميلة

●● يلعب الهوى بالشجرة. . تتمايل اغصانها فى كل الاتجـاهـات. . تسقط بعض أوراقها على الارض وتبقى الاخرى معلقة تتحدى الهوى.

يقف فى مكـان بين الهوى والشجرة. . لو كان الهـواء قويـا. . والشجـرة حديثة عهد فان الشجرة تسقط على الأرض، واغصانها تذهب بها الرياح.

ولو كانت الشجرة قوية والهوى مثل النسيم فان الاغصان تتمايل، وترقص وتغنى وكأنها فى حفلة عرس.

لا شىء يجعل الاشجار تغنى وترقص مثل الهوى ولا شيىء يجعل الهوى يتحرك مثل الاشجار الجميلة.

يستريح الهوى وهو يداعب الشجرة وهو يهز اغصانها ويـلاعب أوراقهـا. . وتستريح الشجرة وهى تبادل الهوى هذه المشاعر.

ولا يستطيع تغيير هذه العلاقة بين الهوى والشجرة سوى «العاصفة».



كم يكره «العاصفة» كم يخافها وكم يخشاها فلو جاءت.. لو وصلت سيصمت الهوى عن ملاعبة الشجرة ومداعبتها وستصمت الشجرة واغصانها عن الغناء واللعب بضفائرها الخضراء.

وقد تأتى «العاصفة» بدون موعد لتقتلع الشجرة واغصانها واوراقها والهوى الذى يشبه النسيم يختفى من المكان.. وقد لا تأتى «العاصفة» ليستمر الهوى وتستمر الشجرة واغصانها فى الغناء.

كم يكره «العاصفة».. كم يخافها.. وكم يخشاها فاشياؤنا الجميلة نحرص عليها من «**جنون العواصف**» **لكن «العاصفة» لا تفهم لغتنا ولا تعرف** التعامل معنا ولا احترام مطالبنا ورغباتنا..

الحياة على الورق

●● ظل زمنا طويلا يرسم مستقبله على الورق.. المرأة التى احبها رسمها على الورق.. البيت الذى تمنى ان يعيش فيه رسمه على الورق.. الاصدقاء الذين يبحث عنهم رسمهم على الورق.. السعادة التى كان يريدها لنفسه رسمها على الورق.. الاستقرار الذى ركض من أجله رسمه على الورق..

كان الورق كل حياته.. وتفكيره.. وشغله. كان ماضيه وحاضره ومستقبله وكل شىء عنده.

مستقبله كان يراه مشرقا.. دروبه واسعة، وطرقه ممهدة، ومنعطفاته غير خطرة، ومرتفعاته مأمونة.

حبيبته التى رسمها على الورق كانت ومازالت جميلة.. تحضر اليه عندما يريد وتذهب عنه عندما يريد تصغى له، تسمع كلماته.. تتبادل معه مشاوير الشوق واللهفة.. الاصدقاء من حوله ظلوا أوفياء له.. يبادلونه الاخلاص بالاخلاص والحب بالحب والعطاء بالعطاء والصدق بالصدق.. لم يغدروا به.. لم يتسلقوا على ظهره.. لم يكذبوا عليه.. ولم يحاول احدهم ان يخونه أو يخدعه.

السعادة التى ينشدها عاشها بالطول والعرض.. لم يعرف الشقاء.. أو الخوف فكان وجهه مشرقا باستمرار وقلبه يفيض بالفرح.

الاستقرار الذى كان يراوده تحقق له.. وكان ركضه له فى محله.. والمحطات التى تنقل فيها كانت باختياره ورغبته.

لم يشعر فى لحظة من اللحظات ان هناك «**شيئا ما**» يزعجه ويؤلمه ويقتل احساسه بالسعادة وشعوره بالاستقرار.

لم يشعر فى لحظة من اللحظات ان هناك «**شيئا ما**» يحاول تدمير حاضره ومستقبله وهدم طموحاته واحلامه والاعتداء على تاريخه.

لم يشعر فى لحظة من اللحظات ان هناك «**شيئا ما**» يستطيع القضاء على رموز الحياة الجميلة ومعانيها الصادقة وتبديدها وتفتيتها.



ترقبوا مجلدات المنهل الفاخرة

تعتزم مجلتكم إصدار أعدادها خلال خمسين عامًا في مجلدات أنيقة فاخرة وذلك استجابة لرغبة الكثيرين من محبي المنهل وتأصيلًا لمسيرته في العطاء الفكري والأدبي وحتى تكون هذه المسيرة حاضرة وماثلة بين أيدي الباحثين والمؤرخين ومحبي الأدب وطلابه وسوف يبدأ المشروع على دفعات لذا تهيب الإدارة بالراغبين في شراء المجموعة الكاملة إرسال طلباتهم على العنوان التالي:-

جدة - الشرفية - ٢ شارع رأس تنورة (عرفات سابقًا)
ص.ب: ٢٩٢٥ الرمز البريدي: ٢١٤٦١
تلفون: ٦٤٢٧٨٣١ - ٦٤٤٧٧٩٤ - ٦٤٣٢١٢٤



بترومين انطلق بقوة ... انطلق مع زيوت بترومين

وحدات بترومين التسويقية فى جميع انحاء المملكة العربية السعودية

لمنطقة الغربية
ركة بترومين لزيوت التشحيم (بترولوب)
لركز الرئيسى:
ندة ص.ب: ١٤٣٢
انف: ٦٣٦٧٨٢٩/٦٣٦٧٤١١
كس: 4o1675 petlup.S.J

شركة مصفاة جدة للبترول
المركز الرئيسى
جدة ص.ب: ١٦٠٤
هاتف: ٦٣٦٧٨١١٠/٦٣٦٧٤١١
تلكس: 4o1150 petromn.S.J

المنطقة الوسطى
شركة بترومين لزيوت التشحيم (بترولوب)
الرياض ص.ب: ٣٧٩٩
هاتف: ٤٠٦٧٧١٨/٤٠٦٨١٩٣
تلكس: 203045.S.J

بترومين للتسويق (بتمارك)
الرياض ص.ب: ٢٣٩٦
هاتف: ٤٩٨٢٩١٢/٤٩٨١٧٧١
تلكس: 202366 pet mark.S.J

المنطقة الشرقية
بترومين للتسويق (بتمارك
*المركز الرئيسى:
الظهران ص.ب: ٥٠
هاتف: ٨٩١٥٦٧٦
تلكس: 670009.S.J

مجموعة شركات تابعة للمؤسسة العامة للبترول والمعادن (بترومين)

المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

العدد ٤٤٥ السنة ٥٢ المجلد ٤٧

شعبان / رمضان ١٤٠٦هـ / مايو ١٩٨٦م

الثقافة العربية

العدد السنوي المتخصص



إنطلق بقوة..
مع زيوت بترومين
زيوت
بترومين
صناعة وطنية ... بمواصفات عالمية
انتاج : شركة بترومين لزيوت التشحيم (بترولوب)

بطاقة تقديم

هذا عددُنا السنوي

أردنا به أن يكون رسول خير لدنيا العروبة..

وقصدنا به أن يكون سفيرًا متنقلًا بين يدي كل قارئ عربي ..

واعتمدناه كعادة "المنهل" بكم ليكون أداة تعريف بين المبدع والقارئ.

ووسيلة عطاءٍ ثرٍّ وتمازج محمود.. تتآلف وتتقارب حوله ومن خلاله شعوبنا ثقافيًا وفكريًا.. وما أشد حاجتنا لذلك.. وما أدعانا الآن نُسهم في تأصيل هذه الرسالة على مستوى أقطارنا متجاوزين الإنغلاق.. نابذين الاقليمية علّنا بذلك نُذوِّب الجزئيات ونعمِّق الكُلِّيات التي تقرّب لكل منا إطاره ومحيطه.. فتجلّيه وتفرزه.. وحسبنا أن نكون قطرًا يفيض ليروي.. وضوءًا يسطع ليعم.. ومعذرة عن التقصير في شمولية الاحتواء فأقله نُسأل عنه وأكثره وهذا الأهم. قصور مشاركات مَن عنيناهم وتوجهنا اليهم. ويبقى.. يبقى أن نقول على قدر

أهل

العزم

..!!

المنهل
ALMANHAL

مجلة شهرية للأدب والعلوم والثقافة

خمسون عامًا في خدمة الفكر والمعرفة

أسسها سنة ١٣٥٥هـ

عبد القدوس الأنصاري

صاحب المجلة رئيس التحرير

نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

ت: ٦٤٢٧٨٣١

مدير الإدارة والتحرير

زهير الأنصاري

مستشار التحرير

د. عبد الرحمن الأنصاري

مراسلونا في الخارج

- القاهرة: د. احمد الحفناوى
- عمان: روكس بن زائد العزيزى
- الرباط: عبد الرحيم بن عبد السلام
- تونس: د. نور الدين صمود
- انقرة: د. انور طاهر رضا
- الجزائر: د. بكرى عبد الكريم

- د. محمد حمدون

مشرفا

شارك في الاعداد

التحرير:
- السيهانى كمال الدين
- محمد سيد على الدين
- نادر صلاح الدين
- عبد الفتاح السيد سليمان
- طارق فكرى عبد العزيز

العلاقات العامة:
- مصطفى محمد مصطفى

المخرج الفني

فريد أبو سعدة

معلومات ادارية

المجلة	قيمة الإشتراك	سعر النسخة
٢ ش. رأس تنورة . عرفات سابقًا الشرفية	السنوى في المملكة العربية السعودية	السعودية ٨ ريالات
برقيا: المنهل ص.ب ٢٩٢٥ جدة ٢١٤٦١	٢٠٠ ريالًا	المغرب ٦ دراهم
الاعلانات	وللأفراد ١٥٠ ريالًا سعوديًا	تونس ٦٠٠ مليم
تخاطب بشأنها الإدارة	أو ما يعادلها .. ومرجعها الإدارة	مصر ٥٠ قرشا
تليفون ٦٤٢٣١٢٤/٦٤٤٧٧٩٤		البحرين ٨٠٠ فلس
		قطر ٨ ريالات
		السودان ١٥٠ قرشًا
		الأردن ٥٠٠ فلس
		الإمارات ٨ دراهم

المجلة السعودية الأم



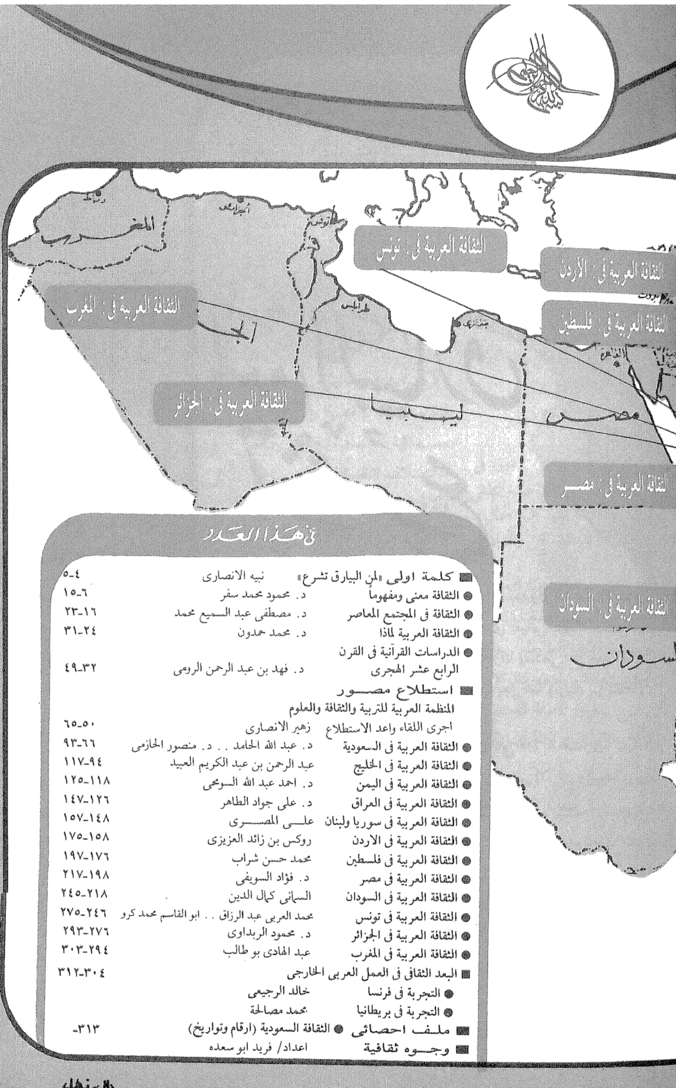
ص.ب ٩٤٠٩

الثقافة العربية في القرن ١٤هـ

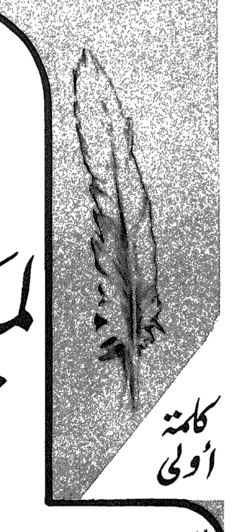
- الثقافة العربية في: سوريا ولبنان
- الثقافة العربية في: العراق
- الثقافة العربية في: الخليج
- الثقافة العربية في: السعودية
- الثقافة العربية في: اليمن

العدد ٤٤٥ السنة ٥٢ المجلد ٤٧

شعبان/ رمضان ١٤٠٦هـ/ مايو ٨٦م


الثقافة العربية فى: تونس
الثقافة العربية فى: الأردن
الثقافة العربية فى: المغرب
الثقافة العربية فى: فلسطين
الثقافة العربية فى: الجزائر
ليبيا
مصر
الثقافة العربية فى: مصر
الثقافة العربية فى: السودان

فى هذا العدد



كلمة أولى

لمن البيارق تشرع

تتنوع مصادر الثقافة.. وتتعدد معابرها.. ويتلون دفقها.. وتشرع هنا وهناك جذلى.. تزهو بألوانها الصاخبة حيناً والهادئة فى أغلب الأحيان.. تبدو فى أثوابها الفضفاضة التى ترسم سطحيتها أو تؤكد عمقها.. وتكاد تختنق ساحات الفكر الانسانى بهذا الخليط العجيب.. وتظل الثقافة بهذا التنوع تعرض نفسها إما من خلال القيمة المرقومة.. أو الاختيار المحمود.. أو من خلال الفوقية التى رسمتها فى عقول البسطاء فظنوا أن لا شىء بعدها.

وهاجس الثقافة يكمن فى «تنوعها وتعدد معابرها ومشاربها وتلون دفقها» فى هذا العصر اللاهب اللاهث.. ومع تخلخل مبادىء الأخذ والعطاء.. وتذبذب قواعد أصول اللعبة.. وتهدن مسوغات البقاء - على هذا المستوى أو ذاك - يظل هاجس الثقافة الهيكل المعتمد الذى ُسمخ عند (ضاده) الايجابيات وتنعدم عند (يائه) السلبيات.

وإذا ما قصدنا إلى الدالّ بعد هذا الذى ضغطناه عن المدلول يرد دور المفكر والباحث والمحقق.. وهم جميعا يعدون العنصر الفاعل المميز الذى يفيض بعطائه فيمس صميم معارفنا وتستقى من معينه مفاهيمنا فيما يعبر عنه (أوليا) بـ(الثقافة).

ويأتى دور القارىء ليختار فيحار.. إلا من مطبوعة أو وسيلة تعشقها فَأَلِفَتْهُ.. وصحبها فَصَدَقَتْهُ.

وحتى لا نكون كماً تائهاً فى هذا الزحام نقول إن موطن الثقافة ومنبتها الصالح (القرآن الكريم والعقيدة السمحة) وأرضيتها البكر (المسجد.. والمدرسة) وكلاهما له

الثقافة العربية فى القرن ١٤هـ

دوره فى الأخذ والتلقى منه وله فعالياته فى التساكن والتمازج.

ويمثل وبالضرورة افتقادنا لتحليل ذواتنا من خلال عدم تعمقنا (كثيرا) لواقع (الثقافة) فى أقطارنا.. ومن هنا ولكوننا «أمة واحدة» كان لابد ان تشرع بيارق المعرفة لتحتضن كل تلك الأصول والجذور..

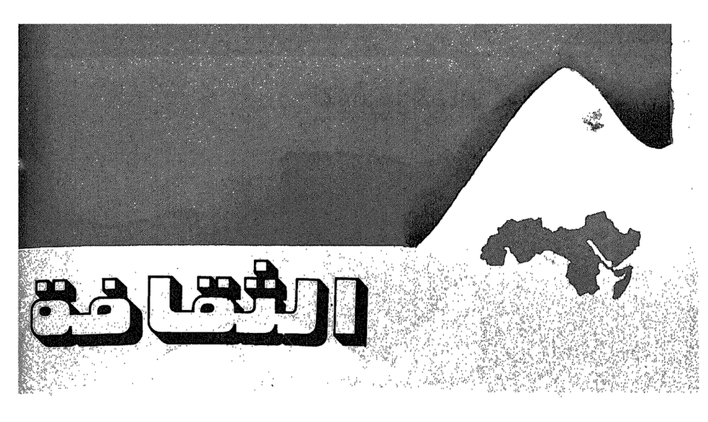
ولتتسامى فتصل الى انعطافات آلامنا وعمق آمالنا فى الجماعات والأفراد.. ومن هنا يتزامن «المثل الجهير مع المنهج الأثير» ويمتزجان فى بوتقة الفعل والتفاعل فيتبلور الاندماج المعرفى.. وتتحرك الوحدة الثقافية لأهدافها وغاياتها المتوخاة.

ولابد من وقفة نمرق من خلالها لتلك النواة المخصبة والتى تحمل مصداقية الالتفاف لتكوين روافد الائتلاف الثقافى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى والتى سبقتنا لجنى ثمارها الامم المعاصرة المتحضرة بعد أن كنا نحن السابقون.. السابقون

وخير ما تمثله تلك النواة ويحس نابض - الاجتماع على كلمة سواء - ومرحلياً.. وفى اطار تكوينات جغرافية وظروف بيئية واقليمية تتماثل لتلد جديدا يثبت بصدق النية ويتطاول بحسن الرويّة.. وما اتحاد دول مجلس التعاون الخليجى بكل أطروحاته وفعالياته إلا المثال النافذ الذى يجب ان يحتذى.. وحتماً سيجد الذين يعايشون هذه الصحوة من الأجيال الوافدة والرافدة أصالة هذا المنعطف وتسامق تجربته مروراً بطريق التكامل المدروس والمتماسك بين وسائل الثقافة والأطر التربوية والاعلامية والعلمية.. بل وكل الروافد المعبرة الاخرى - وهذا بعض ما يعنينا هنا.

وإذا كان هذا العدد (الثقافة العربية) قد اختط مسلكاً جديدا واشتق معبراً فريدا فانه يقف (بزهو) ليعطى الفرصة لمصادر الثقافة مهما كان دوحها وزخمها لتلحق به.. وتواكب مسيرته.. وتحلق معه.. وهدفها (معاً) التعرف على مواطن الضاد ودنيا العروبة والاسلام لتتماثل الثقافة وتتعانق المعرفة ويتعاشق الفكر.. وحتى نفرز (معاً) حتمية التعارف من خلال أدق واهم ذخائرنا ومدخراتنا آخذين فى الحسبان واجهتنا الحضارية والثقافية المضيئة. وإنّا على الدرب سائرون.

نبيه الأنصارى



الثقافة فى اللغة هى التهذيب والصقل - يقال ثقف الرمح اى قوّمه وسوّاه - والثقافة اصطلاحا هى التطور فى الافكار والخصائص الذهنية والممارسة والسلوك واساليب العيش والتعامل.

وبهذا الاصطلاح تستند الثقافة الى كل ما تقوم عليه الحياة فى المجتمع من عقيدة وقيم وفكر وانماط سلوك وهى ايضا بذلك تعبر عن رغبة الانسان فى تغيير العالم المحيط به وسيطرته على الامكانات المتاحة من حوله ليسخرها لبلوغ اغراضه وقضاء حاجاته الضرورية والكمالية.

وقد خضع المفهوم المعاصر للثقافة لاعتبارات «ايديولوجية» و«فلسفية» ففى الغرب يعرفون الثقافة على انها تراث (الانسانيات الاغريقية اللاتينية) بمعنى ان مشكلتها ذات علاقة وظيفية بالانسان.. فالثقافة فى رأيهم هى فلسفة الانسان.

اما فى البلاد الاشتراكية فهم يرون انها ذات علاقة وظيفية بالجماعة فالثقافة عندهم هى فلسفة المجتمع.

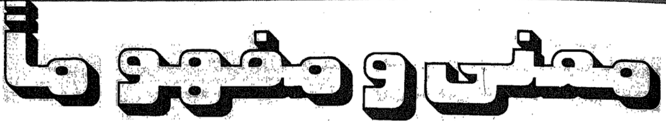
واذا كان المفهوم الغربى للثقافة ينحصر فى كونها ثمرة فكر الانسان الفرد واذا كان مفهوم الثقافة فى المجتمعات الاشتراكية يجعلها - اى الثقافة - نتاج المجتمع ككل فان الفكر الاسلامى اتخذ لنفسه مفهوماً واقعياً ووسطاً بأن جعل الثقافة والفكر الصالح ثمرة الانسان والمجتمع معا.

والثقافة فى اى مفهوم لا يمكن الا ان تكون مرتبطة بالانسان على اعتبار انه قيمة مطلقة وكونه فى ذات الوقت خليّة فى مجتمع وفردا فى جماعة.. وقد اكد ذلك الشاذلى القليبى فى كتابه «الثقافة رهان حضارى».. «بأن محتوى الثقافة مرتبط بانتاج الافراد ولكن الجماعة تساهم فى اثرائه وتكييفه بما تتميز به من خصائص ذهنية او اساليب فى السلوك والعيش.

ويظل تعريف مالك بن نبى للثقافة - فى رأينا - اكثر التعاريف العملية وضوحا فهو يرى ان الثقافة هى: «مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية يلقاها الفرد منذ ولادته كرأسمال اولى فى الوسط الذى ولد فيه والثقافة على هذا هى المحيط الذى يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته».



دكتور
محمود محمد سفر
مدير جامعة الخليج
« البحرين »



كما انه يعبر عنها فى موقع «آخر بأنها لا تضم فى مفهومها الافكار فحسب وانما تضم اشياء اهم من ذلك تخص اسلوب الحياة فى مجتمع معين من ناحية كما تخص السلوك الاجتماعى الذى يطبع تصرفات الفرد فى ذلك المجتمع» .

لقد فهم مالك بن نبى الثقافة على انها نظرية فى السلوك اكثر منها نظرية فى المعرفة وهذا رأى نقدره لهذا الفيلسوف المسلم ونعود الى مناقشته فيما بعد .

الثقافة اذن ليست كتابا منشورا او انتاجا فكريا يمكن فصله عن السلوك بل الثقافة محيط يشمل التقاليد والعادات والسلوكيات جميعا لافراد المجتمع كافة تحكم حركته وتوجهها وبالتالى فان سلوك الانسان فى مجتمع يختلف عنه فى مجتمع آخر تبعا لدرجة تحضر هذا المجتمع ونموه الثقافى ومن ثم فان الثقافة ليست برجا عاجيا ينعزل فيه المثقفون عن المجتمع ولكنها تفاعل متصل بقضايا الحياة فى المجتمع وتعبير عنه وتوجيه له .

الثقافة هى المحتوى الفكرى للحضارة أى حضارة . . تسكبه فى وعاء انسانها المعاصر لها . واذا كان الشق المادى للحضارة يتمثل فى العمران والمرافق والهياكل الصناعية المختلفة فان شقها الفكرى يمثل القاعدة الراسخة لقيام تلك الحضارة مما يستوجب تصفية المفهوم الثقافى مما قد يعلق به من شوائب ويختلط به من ادران حتى تؤدى الثقافة دورها المطلوب بنقاء وصفاء .

والحضارة الاسلامية مثال صادق يؤكد اهمية تصفية المفهوم الثقافى من الادران والشوائب لتقوم الثقافة فى نقاء وفعالية بدورها فى ارتكاز الحضارات على عقيدة سليمة ومنهج مستقيم وقد بدأت العقيدة الاسلامية ـ اول ما بدأت ـ بتصفية الوسط الثقافى فى مكة من جاهليته حين نبذت كل ما هو طالح واخذت بكل ما هو صالح للانسان ومجتمعه فطهرت النفوس من رجس الوثنية وادران الشرك وانكرت وأد البنات احياء . ثم اخذت الثقافة الاسلامية مدارجها فى تكوين محيط فكرى يحكم السلوك ويؤثر تأثيرا اصلاحيا فى القيم التى سادت الجزيرة العربية قبل الاسلام بعد ترسيخ الايمان فى القلوب

وقيام الدولة الاسلامية الاولى فى المدينة المنورة.

الثقافة والعلم وما بينهما

تحدثنا فيما سلف عن مفهوم الثقافة.. وانها تعنى التطور فى الافكار والخصائص الذهنية والممارسة العملية والسلوك الحياتى.. وانها تعتمد على ما تقوم عليه الحياة الاجتماعية من عقيدة.. وقيم.. وفكر.. وسلوك..

وعلى حين تخضع الثقافة للايديولوجيات والفلسفات المعاصرة فى الشرق والغرب بحيث تجعلها هناك اما ثمرة لفكر الفرد واما نتاجا للمجتمع كله.. فانها فى الفكر الاسلامى تستصحب من سمات الاسلام الاساسية: «واقعيته» و«وسطيته» وتختط لنفسها خطا مستقلا ومختلفا تماما بحيث تبدو الثقافة من منظوره مزيجا من: «الوجود القيمى والواقع السلوكى والمحيط الصورى لكافة الاعراف والتقاليد والمواريث المتعلقة بالفرد.. والمجتمع معا».

تلك التى تمثل الشق الفكرى والسلوكى والحياتى لحركة اى مجتمع وتميزه عمن سواه.. ولذا فان واجب الامة - فى غضون الاعداد للاقلاع الحضارى - يقتضيها ان تنفر لغربلة ثقافتها من الدخيل ولتنقيتها من «الفيروسات» والسموم حتى تكون لهذه الثقافة فعاليتها المؤثرة فى نشأة الحضارة المأمولة.

ولقد يكون من المهم هنا: ضرورة التفريق بين الثقافة والتربية من جانب.. والعلم من جانب آخر اذ ليس كل متعلم مثقف ولكن يمكن ان يكون المثقف عالما لان العلم يبحث فى مبادىء واسس ونظريات تخضع للتجريب والمشاهدة والاستنتاج مما يصاحب ذلك من ماديات واشياء ملموسة تخاطب العقل ومن هنا فان العلم يتجلى «فى التمييز بين الواقعى وغير الواقعى.. الحقيقى والخرافى.. المثبت بالاراء واليقين الموضوعى الذى تثبته المعتقدات الذاتية» اما الثقافة فهى تبحث فى قيم معنوية فى المجتمع ليست دائما ملموسة بالضرورة ومن ثم فهى ليست وقفا على فئة معينة رغم انها قد تكون صفة متميزة لطبقة معينة فى المجتمع دون اخرى لكنها تظل - على اى حال - مطلبا لجميع افراد المجتمع فتحمل اراء العامة كما تشمل افكار الخاصة حيث تصهر الجميع فى بوتقة واحدة تغذى المجتمع ككل وتصبغه بلون معين تؤدى به فى النهاية الى ان يكون فى درجة من التمدن تتناسب طرديا مع المحصلة الثقافية لافراده كما انها - اى الثقافة - تحدد لافراد المجتمع السلوك الامثل وتحميهم من الوقوع فى الزلل او الانقياد لتيارات معاكسة .وقد عبر مالك بن نبى عن ذلك بصدق فى قوله:

«اذا كانت الثقافة هى الجسر الذى يعبره المجتمع الى الرقى والتمدن فانها ايضا ذلك الحاجز الذى يحفظ بعض افراده من السقوط من فوق الجسر الى الهاوية».

وقد اوجز احد المفكرين الانجليز الفرق بين العالم والمثقف فى قوله بأن «العالم» هو الذى يعرف كل شيء عن شيء معين اما «المثقف» فهو الذى يعرف شيئا عن كل شيء.

ومعنى هذا ان معرفة العالم معرفة تتسم بالعمق والاستيعاب والشمول الرأسى، والاهتمام بالجزئيات

الاحـادية والخطـوط الـدقيقـة والعـلاقـات والاواصـر والتحولات والاطوار المتصلة بالامر الواحد او بمجموعة الامور المتشابهة والمتقاربة فى الفن الواحد من فروع العلم وفنـونه . . بينما تنتشر معرفة المثقف افقيا لتغطى بسعتها وامتدادها اكبر مساحة من الامور الكائنة تحت مظلة الواقع المحيط ومجال تفاعله تغطية مسطحة وافقية فى غير عمق ولا استغراق بحيث تحوم الثقافة بأطيافها الافقية لتشمل عددا من الاشيـاء الحياتية مع معرفتها الواعية بعقيدتها وقيمها ومثلهـا ومبـادئها ومواريثها من الالف الفاضل والعادات السوية فى يقين تام بوجوب سيادتها وحتمية الاهتمام بها .

والحق ان «معـرفـة العالم» . «وثقافة المثقف» كلاهما امران لا غنى عنهما فى اعداد الامة ووضع اقدامها على الطـريق تقـوم على الامـر الاول قلاع العلم ومـراكـز البحوث . . على حين تتعهد الامر الثانى اجهزة التوجيه والتربية المعنية بالصياغة الاجتماعية .

وعلى هذين المعقلين «للعلم» و«الثقافة» يقع العبء الـضـخم وتلقى المسؤوليـة الثقيلة وتلكم لعمـر الحق واجبات عينية وفرائض محتومة لا مناص من التبتل بالوفاء بها لله وللامة فى محراب الحضارة ان اريد لهذه الامة ان تفطن لواقعهـا وان تنفض من وجههـا غبار السنين وان تقف باقـدامها على مشارف العصر وان تغوص بايديها الطـاهرة فى معين حضارته فتحتويها وتحيلها الى حضـارة الطهر والنقاء والنفع .

الفكر . معين الثقافة

لقد فهم بعض المفكرين الثقافة على انها نظرية فى السلوك اكثر منها نظرية فى المعرفة والفكر اللذين يلازمان السلوك والممارسـة ويؤثران فيهما تأثيرا بالغا يصعب معه فصلهما الا بخطوط وهمية ولاغراض فلسفية وتأثير الفكر فى الحالة الثقافية لأية امة من الامم يعتمد على مصدر ذلك الفكر الذى تستمد منه الثقافة زادها .

ومصـادر الفكـر يمكن تصنيفها الى ثلاثة : مصدر التراث المـوروث من الأجيـال الماضية ومصدر الحضارة المعـاصـرة ومصـدر الذاتية الخصوصية للامة . ويستطيع البـاحث المهتم ان يتعمق بدراسته لكل مصدر من هذه المصادر . . غير ان الذى يهمنا فى هذه العجالة ان نقف عند كل مصدر من مصادر الفكر الثلاثة هذه لنتبين تأثيره فى الحالة الثقافية فى المجتمع الذى يستقى فكره منها . . وكمدخل لهذه الوقفة نود ان نقول ان الثقافات امم وان الامم ثقـافات والثقافة التى لا ترقى بامتها ثقافة عقيمة والامة التى لا تطور ثقافتها امة راكدة ويظل التراث مصدر الهـام للامـة ما بقى نبعا ثرا لفكرها تعود اليه بين الحين والآخر لاستقراء الماضى املا فى اثراء الحاضر واستشراق المستقبل .

والتراكمات الفكرية التراثية تحمل فى طياتها ايجابيات كما تحتوى على سلبيات وفيها حوافز كما ان بها مثبطات وتعكس حالة صعود كما تبين حالة هبوط بما يستتبع كل ذلك من تقدم أو انحطاط تبعاً للبيئة التى أحاطت بالفكر والفترة الزمنية التى عاشها هذا الفكر .

ويجب ان يكون للأمة من هذا الفكر موقف واضح وشجاع يرتكز على العقلانية والمنطق فتقبل منه ما يقوى العزيمة ويضاعف الجهد ويجزل العطاء ويرقى بالفعالية ويزيد الانتاجية ولا يهم بعد ما وراء ذلك . . فحسب الامة ان تتـذكـر دائـما ان تراثهـا الفكرى هو محطة الكثير من التجـارب والمـواقف الانسـانية التى مرت على الاجيال الماضية خلال عصور مختلفة وفترات زمنية متباينة مما قد لا يجعـل بعضـه بالضـرورة ملائما او متماثلا او متطابقا مع اشواق وتطلعات وامال الجيل المعاصر ومن ثم فان موقف الامة من الفكر التراثى اجدى ان يكون موقف البـاحث الامـين فى دروبـه . . المقلب فى نظرياته . . المتمكن من الاخذ منه بما يحقق الاصالة ويبرز الشخصية الذاتية للامة دون تفريط ودون افراط .

ولفكر الحضارة السائدة والمهيمنة على مجريات الاحداث والمسيطرة على المسيرة الانسانية العامة بجميع شؤونها وشجونها بريق يجذب واضواء تبهر ويعتقد البعض بحق ان الفكر المتسرب من تلك الحضارة المعاصرة من اكثر مصادر الفكر تأثيرا ومن اخطرها اثرا فى الامم النامية فى انطلاقاتها نحو تقدم واع وتطور مدروس حتى اخذوا ينعتونه احيانا بالفكر الغازى».

ومنبع الخطر فى هذا النوع من الفكر ـ كما يراه البعض ـ انه اجنبى التربة غريب النزعة فقد انبثق وترعرع وانتشر فى بيئات مغايرة وتحت ظروف اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية تختلف فى مضمونها وجوهرها عن بيئة المجتمعات النامية وظروفها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية . . وفى ذات الوقت فان الفكر الانسانى المعاصر هو فى حقيقته معيار الحضارة ولسان حالها ووسيلة انتشارها . . دونه لا تفهم الحضارة المعاصرة ولا يستقيم امر التعرف على خصائصها ومن ثم فان موقف الامة منه احرى ان يكون موقف التفتح بيقظة والانفتاح بحذر . . نأخذ منه ما يتناسب مع القيم الفكرية فى مجتمعنا ونشرع له الابواب والنوافذ بقدر ما يتلاءم مع تصوراتنا للمبادىء الانسانية كما عرفتها عقيدتنا . . وبديل ذلك هو التقوقع الفكرى والعزلة الثقافية والاغتراب الانسانى . . وكل هذه امور لم نعد قادرين على العيش فى كنفها فى عصر بلغ فيه التطور التقنى فى سرعة وشمول الاتصالات بين الامم مراحل فاقت كل خيال.

اما الفكر الذاتى للامة فهو بناؤها العقلى الاصيل ومؤشرها الحضارى الصحيح وهو مؤذن الفجر بميلادها من جديد فى دورة حضارية جديدة.

ولكن كيف يتم هذا الفكر الذاتى؟ ، كيف يتكون؟ . . وما هى وظيفته؟ . . وما مدى التفاعل بينه وبين الثقافة؟ . . وعن اى فكر ذاتى نبحث؟ . .

الفكر الذاتى .. هوية الأمة

عندما تتعرض الامة لمعارك وصراعات بين الوان الفكر المختلفة التى يبرز من بين اهمها: الفكر المتسرب من الحضارة المعاصرة (وقد تمثل فى افكار وقيم عصرية حية ومتفاعلة) والفكر التراثى الموروث، (وقد تمثل فى انظمة الماضى بعد ان اصبحت تاريخا وآثارا) . تجد نفسها فى حيرة فكلا اللونين من الفكر لا يمثل الذاتية المعاصرة بالنسبة لها . . فالاول يمثل تغايرا فى المكان والثانى يمثل تباينا فى الزمان.

وتكون الحيرة الفكرية التى تتولد فى عقل الامة وتتسرب فى ضميرها نتيجة لهذا التغاير وذلك التباين اشد تأثيرا فيها فى فترات المخاض الحضارى خاصة عندما لا يكون لهذه الحيرة عمق علمى او سبب جوهرى بل يكون الامر كله حيرة بين شعارات مختلفة تبدو متناقضة ويكون كل ذلك مدعاة للامة كى تبحث عن فكرها الذاتى الذى يعبر عن قيمها بمعاصرة حية ويرتكز على اصالتها بعمق وتفتح.

الفكر الذاتى للامة هو ذلك البناء العقلى الذى ينمو من مجموعة القيم والمبادىء التى تمثل عقيدة الامة والذى استقر فى وجدانها عن طريق الرسالة السماوية التى تؤمن بها وترسب فى ذهنها عن طريق رجال اوتوا الحكمة فطرة والهاما «والحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو احق الناس بها».

واذا كان الفكر هو بؤرة الحضارة ونواتها التى تدور حولها جميع نظم الحياة فان الفكر الذاتى للامة هو ذلك الفكر النابع من عقيدتها التى تؤمن بها وهو المؤشر الصحيح والركيزة الاساسية والمعين الثابت والمنبع الثر الذى يزود مسيرتها على طريق التطور والنماء وهو المقياس الاساسى لمنجزات حضارتها.

وامتنا تملك من المقومات الفكرية ما يمكنها من ان تعبر به عن ذاتها كما انها تملك بحمد الله من الامكانات ما يجعلها قادرة على التبشير بميلاد دورة حضارية جديدة تلتزم فيها بعقيدتها وتثبت معها على مبادئها وتتمسك باصالتها وتعتز بشخصيتها دون جمود او تخاذل امام الفكر الانسانى المعاصر ودون قطيعة او إحجام عن الخوض فيه لاستخراج كنوزه.

والفكر الذاتى الذى تبحث عنه الامة هو ذلك الفكر الجاد الملتزم بعقيدتها المرتكزة على منطلقاتها الايمانية والنساهل من معينها الصافى والمعبر عن معاناة الامة وقضاياها السائر فى دروب الخير والقائد لها على طرق الحق بحثا عن حلول ايجابية لها فيظل ملتصقا بمشكلات حياة افرادها ومجتمعاتها مصورا لواقعها بعمق وصدق وموضوعية وهو باختصار الجسر المتين الذى تعبر عليه الامة بحار الظلم والنفاق والتفسخ والفساد والاتكالية الى شواطىء الحق والخير والصدق والعدل والفعالية بأمل واستبشار.

ويبرز سؤال: عن اى فكر ذاتى نبحث؟.

●● ولكى تأتى الاجابة على هذا السؤال موضوعية كافضل ما تكون يجدر بنا ان نعترف ان امتنا تعيش خمولا فى فكرها اطال نومها وجمد حركتها وفتت عزمها وقلل عطاءها فغدت فريسة مطيعة للغزو بشتى صوره والوانه ولذلك الخمول أسباب عديدة كما ان له مبررات معروفة لكنه يبقى حقيقة منفردة بذاتها وعنوانها بارزا للحياة فى مجتمعاتها. واطلاق القول فى وصف هذا الخمول الفكرى لا يجحد وجود بعض المبادرات ولا ينكر واقع بعض المحاولات ولكنها مبادرات مبعثرة ومحاولات متناثرة لا يربطها رابطة ولا يجمعها جامع ومن ثم جاءت تأثيراتها محدودة وذات ـ طبيعة اقليمية ضيقة لأنها افتقدت شمولية عقيدتها وفقدت نور بصيرتها.

● وجــوه  ثقافيــة ●

ابـــن رشـــد

ابـو الـوليـد محمـد بن احمد: (١١٢٦ـ١١٩٨) فيلسوف وطبيب وفقيه. عربى اندلسى. ولد بقرطبة وحذق العلوم الشرعية والعقلية وولى القضاء فى اشبيلية ثم فى قرطبة فشغل منصب أبيه وجده واصبح يلقب بقاضى قرطبة الى جانب تلقيبه بالشارح لشرحه كتب ارسطو بتكليف من «ابى يعقوب يوسف امير الموحدين الذى عرفه عن طريق ابن طفيل فاكبره وقربه وعندما اصبحت الفلسفة موضعا للسخط اضطهد ابن رشد ونفى فى اليسانة قرب قرطبة ثم عفا الأمير عنه فعاد الفيلسوف الى مراكش حيث عاجلته المنية. اكبر ابن رشد «ارسطو» فشرح من كتبه «الطبيعيات» و«السماء» و«العالم» و«الكون والفساد» و«الآثار العلوية» و«النفس» **واهم شروحه: شرحه المعروف باسم «تفسير ما بعد الطبيعة لأرسطو» واهم مصنفاته الفلسفية: «تهافت التهافت» الذى رد فيه على كتاب الغزالى «تهافت الفلاسفة» وقد عنى الفيلسوف بالتوفيق بين الفلسفة والدين وباثبات ان الشريعة الاسلامية حثت على النظر العقلى واوجبته وانها والفلسفة حق والحق لا يضاد الحق بل يؤيده ويشهد له ولهذا وضع رسالتين: احداهما «فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال» والاخرى «الكشف عن مناهج الادلة فى عقائد الملة». وله فى الطب كتاب «الكليات» وكان له شأن فى العصور الوسطى وقد الفه لكى يقابل به كتاب «التيسير»** لمعاصره ابى مروان بن زهر الذى عنى ببحث الجزئيات.

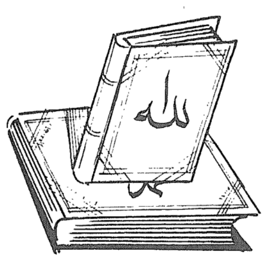
●● ولأن الفكـر يجرى فى الثقافة مجرى الدم من جسم الانسان فان الحاجة ملحة الى فكر ذاتى ناصع يقود الى ثقافة متحركة فعالة تتخطى مرحلة الانبهار بالثقافة الغربية الوافدة الى مرحلة الابداع الاصيل لفكر عربى اسلامى يمر بمرحلة الاستيعاب المفيد والصالح للفكر الانسانى المعاصر.

●● واذا ما استبان لنا ارتباط الثقافة بلون الفكر وتأثيرها فيه امكن لنا ان نحدد طعم تلك الثقافة وطبيعتها ومن ثم الانتـاج الفكـرى والممارسـة الاجتـماعية لافرادها الذين ينتمون اليها.

●● وتحتاج الامة على اى حال الى فكر جديد يعبر عن ذاتها بصدق دون انغلاق وفعالية دون انكفاء حتى يغذى ثقافتها بسلوك حضارى ومسلك معاصر اذ لا تعارض بين اثبات الذات الفكرية وبين الانفتاح المتزن على المعاصرة بعقـل ناضـج وبصـيرة وقـادة وبمعيـار المناقشة العلمية والدراسة التحليلية قبل اصدار احكام جائزة على الانتاج الفكرى الانسانى المعاصر على ان يكون نبراس الحكم وفيصله هو عقيدة الامة وما انبثق منها من قيم ومبادىء.

الثقافة التزام أخلاقى

تقـوم الثقـافـة على عنـاصر اساسية ومكونات رئيسية تستند عليها خصوصياتها ويتشكل منها كيانها وترتكز عليها ذاتياتها وقد قسم علماء «الانثروبولوجيا» والمختصون فى علم الاجتماع عناصر الثقافة الى ثلاثة هى: **«السمات والمركبات والانماط»**. وعرفوا السمات الثقـافية بانها ادق واصغر مكونات الثقافة وجزئياتها التى تتركب منها باقى العناصر الثقافية الاخرى.. والمـركبات بانها مجموعة متناسقة من السمات.. اما الانماط فتتشكل من مجموعات متجانسة ومتكاملة من



المركبات الثقافية وهذا التقسيم «الميكانيكى» الهيكلى للثقافة من سمات فمركبات فأنماط يجب ان لا يجردها من المحتوى الفكرى لها من خيال خصب يغذيها او واقعية حقيقية تسندها والا اصبح التعامل مع الثقافة وكأنها هيكل خرسانى جامد مجرد من روح الانسان ونفثاته.

وإذا كانت تلك هى مكونات الثقافة وعناصرها كما صنـفـهـا علماء الاجتـماع و«الانثروبولوجيا» على أى حال فان هناك مؤثرات بعضها ذاتى وبعضها خارجى تخضع لها أية ثقافة وتجعلها متميزة عن غيرها من الثقافات الاخرى. ومن اهم هذه المؤثرات:

اولا «الاخـلاق العقائدية» ونعنى بها النظم الاخلاقية المرتكزة على عقيدة موحية تحكم الحياة فى المجتمع.

ثانيـا: البيئة التى يعيش الانسان فى اطارها ويستلهم فكـرة منهـا ولنـا ان نتعـرض لهذين المؤثـرين بشىء من التفصيـل المـركـز لأهميتهـا فى صياغة التيارات الفكرية المتعـددة وفى تشكيـل المعين الذى يغذى تلك التيارات لتنساب بروافدها عطاء وفعالية وجهدا مثمرا.

وبادىء ذى بدء فان الامانة العلمية توجب الاعتراف للمفكر الاسلامى العظيم مالك بن نبى رحمه الله بدور الـريادة ـ من وجهة نظرنا ـ فى ابراز وتأكيد اثر الاخلاق على الثقـافـة بصـورة واضحـة ومسببه من خلال اعماله

المنشورة ومن اهمها كتابه الشهير: «شروط النهضة» وكتابه الآخر: «مشكلات الثقافة» كما يعنينا مبدئيا ان نؤكد ان الثقافة المتميزة هي تلك التي تجعل من الاخلاق العقائدية قاعدة عريضة وصلدة تنطلق منها سماتها وتعتمد عليها مركباتها وترتكز عليها انماطها.

فالأخلاق -دون شك ـ تمثل جزءا أساسيا من مكونات الثقافة المتميزة والفعالة لأنها تكون بها ومعها تعبيرا صادقا عن القيم الصالحة ورمزا واضحا للسلوك المستقيم ومؤشرا مهما للممارسات المنضبطة فتترك الثقافة بذلك أثرها الواضح فى الفكر المنتج والسلوك المنضبط وفى تكريس القيم والمبادىء التى تحض على الارتقاء بالانتاجية والعطاء الفعال ولهذا لم يكن من الغريب ان يفسر احد الفلاسفة سر عبقرية الشعب الألمانى بقوله: إنهم ـ اى الشعب الالمانى ـ وهم فى طريقهم الى الجامعات يمرون على الثكنات.. ومعنى قوله كما يبدو لنا هو: أن المجتمع الالمانى بما فيه من جامعات تنشر العلم فان له ثكنات تعلم الانضباط والنظام وتدرب على العمل بروح الفريق الواحد.. وهذه لعمرى قمة من قمم الاخلاق العالية والمؤثرة تبدو واضحة فى ثقافة الشعب الالمانى مثلما هى محسوسة ايضا فى الثقافة اليابانية التى جعلت من ذلك الشعب مَثَلاً يحتذى.

والايمان بالله أساس الاخلاق ونبعها ولا يكتمل تفوق الانسان فى حياته دونه اذ لا اخلاق دون ايمان مثلما ان لا ايمان دون عقيدة موحية.. وقد استندت كل الثقافات العالمية منذ بدء الخليقة حتى يومنا هذا على ركائز أخلاقية ايمانية مكنتها من حفر مسيرتها فى التاريخ البشرى.

إنّ الذى لا نشك فيه هو ان الثقافة الغربية ليست بدعا من الثقافات بل كانت ـ كغيرها ـ مستندة فى نشأتها على اصول دينية وأسس اخلاقية وان كان ما نشاهده اليوم من بعض انحراف عن القيم فى الفكر وابتعاد عن المبادىء فى السلوك عند بعض القوم فى المجتمعات الغربية لا ينفى تلك الحقيقة ولكنه يثبت طغيان الجانب المادى فيها على بعدها الأخلاقى العقائدى مما عطل عمل الأخير ولو بصورة جزئية فى بعض الأحيان.

لقد انبهر رفاعة الطهطاوى منذ اكثر من خمسين عاما بالجانب المادى للحضارة الغربية عندما زار فرنسا مع غيره من الذين شاهدوا شجرة الحضارة الغربية باسقة هنا بأمل ومزدهرة بقوة لكنه انبهر اكثر بالجانب الاخلاقى فى الثقافة الغربية فى ذلك الوقت حين رأى العدالة والصدق والأمانة والحق والاخلاص رموزا سلوكية تمارس فى المجتمع الغربى فأطلق قولته الشهيرة: «لقد رأيت قوما لا يتبعون الدين الاسلامى ولكنهم يعملون به» وقد روى ايضا الشيخ محمد عبده عبارة متشابهة لهذه ومن الحق القول بأن بعضا من تلك القيم والمبادىء مازالت تحكم الثقافة الغربية حتى اليوم وستظل تلك الثقافة قائمة ما قامت تلك القيم والمبادىء.. لأن الثقافة الغربية قبل كل شىء هى التزام اخلاقى وسلوك منضبط فى المأكل والمشرب والملبس كما هو فى الفكر والتعامل.

أما البيئة بكل موقعها ومناخها وكوامنها ومؤثراتها فى المزاج النفسى والطابع الاجتماعى والسمت الثقافى وما ينبغى ان يوليه المعنيون بالعمليات الحضارية من عناية بها لتنمية ايجابياتها وتهذيب سلبياتها وما يدور فى فلك البيئة من ثنائية جمالية، قوامها: «الانسان والمكان».. وما ينبثق من هذه «الثنائية» من ضمير جمالى يلعب دورا اساسيا فى توظيف طاقات الانسان فى خدمة مجتمعه وبناء حضارته..

للبيئة دور فى الثقافة

إن المكـــان الـذى تعيش عليـه امـة من الأمم بجغرافيته وما يكمن فى اعماقه وينمو فوق سطحه يؤثر تأثـيرا بالغـا فى ثقـافـة المجتمع وافراده ويطبع تلك الثقافة بخصائص تميزها عن ثقافات اخرى نشأت فى مكان آخر ويعطيها صفات ويمنحها مميزات . . بل نستطيع ان ندَّعى ان المكان قد يؤثر حتى فى المزاج الاجتماعى لساكنيه.

وكما ان للبيئة والمكان تأثيرات ايجابية على الانســان تجعله يبـدع بجـد ويعطى باخـلاص فان لهما تأثـيرات سلبية فيه تقوده الى التكاسل والتراخى والاحباط. ومن المفيد ان يدرس الــذين يرقبــون العمليـات الحضـاريـة لمجتمعـاتهم كل تلك المؤثرات بعناية حتى يمكنهم مواجهتها والتغلب عليها فى نفس الانسان الفرد ومن ثم المجتمع.

فلو نظرنا الى الناحية الجمالية البحتة فى البيئة وتأثيرها فى الانسان فاننا نبصر استعداده للتجاوب مع البيئة المحيطة به ورؤية الاشياء حوله بمنظار جمالى خاص به وبمن يعيشون معه فى البيئة نفسها. اى انه يمكن للبيئة والفرد ان يتفاعلا فينتج عن هذا التفاعل تصور جمالى خاص بهما وحدهما . . اننـا نكاد نلمح هذه المعـانى مع فارق التشبيه عندما يصف الحق تبارك وتعالى فى محكم التنزيل فى سورة «الرحمن» نعيم اهل الجنة فيقول:

﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتـا افنان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الإحسان إلا الإحسان فبأى الاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حســان فبأى آلاء ربكـما تكـذبـان حور مقصورات فى الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان﴾ (٥٥: الرحمن/ ٤٦-٧٦).

الحضارة الاسلامية مثال صادق يؤكد أهمية تصفية المفهوم الثقافى من الادران والشوائب لترتكز الحضارة على عقيدة سليمة..

بعينـه : انسان ومكان والارتباط هذا يظل يعيش فى تناغم وانسجام ما ظل الانسان متفاعلا مع بيئته بما لها وما عليها وما ظل المكان يزود انسانه بمشاعر واحاسيس وانفعالات تنعكس فى أدب يكتبه وفكر ينشره وثقافة يعيش بها.

ويعمل الضمير الجمالى عند انسان معين مع مؤشرات اخرى على ربط هذا الانسان بالمكان الذى نشأ به وترعرع فيه.. بحيث يصبح حنينه لهذا المكان هو التعبير الظاهر لهذا الضمير الجمالى.. وهكذا كان رسول الله «ﷺ» يناجى مكة فى حديث مؤثر حزين:

«والله إنَّكِ لخير أرضِ الله وأحبُّ أرضِ الله إلى الله ولولا أنى أخرجتُ منكِ ما خرجتُ»

ومن هنا ندرك ايضا ان هذا الضمير الجمالى يلعب دورا فى بقاء الانسان بين قومه خادما لهم.. بانيا لحضارتهم وان شق عليه ظلمهم وتخلفهم.. انه هو ذاك الضمير الذى يجعل الانسان مرتبطا بالارض التى نبت فيها وبالسماء التى احتمى بها.. انه هو ذلك الحس الذى يجعل الانسان يردد بوفاء قول الشاعر:

وطنى إن شُغلتُ بالخلدِ عنهُ
نازعتنى إليه فى الخُلد نفْسى

وهو الاحساس نفسه الذى يجب ان يجعله يتبع هذا القول بعمل جاد ومضنٍ من اجل الوطن حتى يستحق بجدارة نعمة العيش فى ظله.

● وجوه  ثقافية ●

محمود بيرم التونسى

(١٨٩٣-١٩٦١) شاعر زجال عربى اشتهر بما نظمه بالعامية المصرية. ولد فى الاسكندرية من اصل تونسى وتوفى بالقاهرة. لم يتلق تعليما منظما فيما عدا فترة قصيرة تردد فيها على «مكتب - كتاب» ثم على معهد دينى ولكنه شغف بالقراءة وكان قد سبقه من الكتاب والشعراء الذين استعملوا العامية المصرية بنجاح: عثمان جلال.. وعبد الله النديم. اشتغل بالصحافة وابعد فترة عن مصر لزجل رأى فيه الملك فؤاد تشهيرا به. واقام مدة فى باريس وكانت ازجاله فى هذه الفترة مليئة بالحنين الى مصر والمصريين الف «اوبريتات» زجلية، لحن سيد درويش بعضها وكتب قصصا زجلية واغنيات ومقامات. فى شعره روح شعبية اصيلة تمتزج فيها الرقة بالدعابة غنت ام كلثوم كثيرا من اغنياته بتلحين زكريا احمد والسنباطى.

أما ان الضمير الجمالى الذى ينبثق من المكان سوف تكون له خصائص تتأثر بهذا المكان وما يحيط به من بيئة فاعلة ومؤثرة. وليس هناك منظار جمالى واحد وانما هناك مناظير جمالية عديدة.. كل منظر منها مرتبط بثنائى



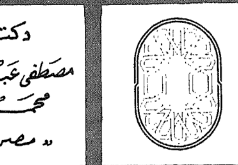
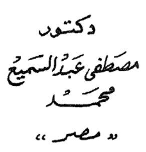
الثقافة

حياة الفرد هى سلسلة انتقالات متتالية ومتشابكة من خبرة الى خبرة خلال خبرة . . ومن مجال الى مجال فى مجال. والفرد فى هذا محاط باطارين متمايزين وغير منفصلين ـ الاول اطار خاص نشأ فيه ودرج عليه وحقق وجوده بالانتماء اليه ونعنى بهذا الاطار الثقافة التى يحملها هذا الفرد ويعايشها . . فالعربى ينتمى الى الثقافة العربية . . والفرنسى الى الثقافة الفرنسية . . وهكذا .

أما الاطار الثانى فهو اطار عام قد يتعرفه ولكن عن بعد . . وقد يهتم بعناصره ولكن دون احساس بالانتماء اليه . . ونعنى بهذا الاطار ثقافات الجماعات الأخرى البعيدة عن الفرد ـ فقد يقرأ عربى شيئا عن ثقافة اجنبية ولكن دون التأثر بها . . وقد يعرف البعض الكثير عن ثقافات اخرى ولكن دون الاعتماد عليها . بل وقد يستغنون عنها . . وهكـذا ـ وحـديثنـا عن الثقـافـة .هنـا حديث عام موجز نحاول فيه الاشارة الى المفهوم العلمى للثقافة والى خصائصها . . ثم الى وسائلها فى مجتمع معاصر ولعلنا فى البنود التالية نستطيع ان نوفى هذه العناصر الثلاثة حقها بما لا يخل بمعنى او ينقص من علم .

(١) **فى اللغة** : (١) يقال (ثقف) الرجل اى صار حاذقا خفيفا فهو (ثقف) . . و(الثقاف) ما كان الحذق الرماح و(تثقيفها) يعنى تسويتها . وربما كان الحذق والتسويه ـ وغيرهما من شامل المعانى ـ سببا أساسيا فى دلالة لفظ (ثقافة) على المعرفة والتعليم فى عالمنا العربى . . وما زالت بعض القبائل العربية فى مصر وليبيا تستعمل لفظ (الثقاف) للدلالة على جلسات المسامرة الادبية بين الشيوخ . . وما زال البعض الآخر يستعملها للدلالة على الجلسات التى تجرى بين الشباب رجالا ونساء ليختبر كل منهما الآخر قبل الزواج ـ فى ثقافة آله وعشيرته .

وفى الغـرب : ترجع كلمة «ثقافة Culture » الى الفعل اللاتينى (Colere) ويعنى الزراعة أو التمجيد ومن استعمالاته أيضا «الدرس أو التحصيل العلمى» .

في المجتمع المعاصر

واذا ما انتقلنا الى مفهوم الثقافة كما يستخدمه رجال العلوم الانسانية نجد ان هناك مجموعة من الآراء حول مضمونه . منها مثلا ما يلى :

يرى تايلور : ان «الثقافة هى ذلك الكل المركب الذى يتضمن المعرفة والعقيدة والفن والاخلاق والعادة واية قدرات اكتسبها الانسان كعضو فى المجتمع» .

ويرى بينز هويجر : ان «الثقافة» هى تجريد مأخوذ من السلوك الانسانى المحسوس ولكنها ليست هى ذات السلوك(٢).

ويرى كلباتريك : ان «الثقافة» هى كل ما صنعته يد الانسان وعقله من اشياء ومن مظاهر فى البيئة الاجتماعية اى كل ما اخترعه الانسان او اكتشفه وكان له دور فى العملية الاجتماعية(٣).

ويرى أوجبرن : ان الثقافة تشتمل على «الاشياء المادية والنظم الاجتماعية والطريقة الاجتماعية التى يسير عليها الناس فى حياتهم(٤).

ويرى لينتون : ان الثقافة من «تنظيم للسلوك المكتسب ولنتائج ذلك السلوك يشترك فى مكوناتها الجزئية افراد مجتمع معين وتنتقل عن طريق هؤلاء الافراد(٥).

ويرى نيللر : ان الثقافة هى «جميع طرائق الحياة التى صورها الانسان فى المجتمع»(٦)

ويرى المنتصر: (٧) ان الثقافة عبارة عن علاقات معينة تؤلف بين الافراد فى المجتمع وتنظم وظائفهم الانسانية التى تبنى على اساس عقائدهم ومعايشاتهم الاسرية والسياسية والاقتصادية والسلوكية والترفيهية.

ويرى حجاج: (٨) وعباس ان الثقافة هى جماع ما انتجته الجماعات البشرية من ماديات ولا ماديات ولا يقل اى جانب فى اهميته عن الآخر.

ويرى عفيفى: ان الثقافة «هى اساس نتاج انسانى للتفاعل الاجتماعى بين افراد مجتمع من المجتمعات وتوفر انماط اجتماعية مقبولة يستجيب الافراد فى ضوئها لحاجاتهم البيولوجية والاجتماعية والاقتصادية.. وهى تنتقل من جيل الى جيل فى المجتمع وتتراكم نتيجة هذا الانتقال وهى محملة بالمعانى التى يعبر عنها الافراد بلغتهم بما فيها من رموزولذلك فهى ليست فطرية وانما يكتسبها الفرد فى سياق نموه وسط الجماعة(٩).

ولعل هذا التعريف الاخير هو اشمل ما ذكر لتوضيح مصطلح الثقافة كما انه يمثل عصارة جماع غيره من التعريفات.

(٢) **ومن هذه التعريفات** ومع اتفاقنا مع التعريف الاخير ـ لمصطلح «الثقافة» ـ نرى انه يمكن لنا ان نجمع الانساق ـ الثقافية ـ فى أى مجتمع ـ فى ثلاثة قطاعات كبرى تتكون منها الثقافة.. واساس هذا التقسيم هو طبيعة العنصر الثقافى الغالب فى كل قطاع.

القطاع الأول: يتضمن ذوات الاناسى ونعنى بها ما يميز الناس من أفكار وعادات.. وعقائد واتجاهات.
القطاع الثانى: يتضمن الماديات المحسوسة التى يعطيها الانسان معنى محدودا ويشكل ظاهرها بنفسه.
القطاع الثالث: يتضمن العلاقات وخطوط التفاعل والاتصال بين البشر بعضهم ببعض.. وبينهم وبين الماديات المحسوسة فى المجتمع. وبصيغة اخرى يمكن لنا ان نطلق على هذه القطاعات الثلاثة:

«القطاع الفكرى.. والقطاع المادى.. والقطاع الاجتماعى.

وحقيقة الامر ان هذا التقسيم ليس تقسيما واقعيا اذ لا نشعر به فى حياتنا اليومية وانما هو من قبيل الدراسة العلمية التحليلية فقط التى تسمح لنا بالمزيد من التعمق فى العلم.

(٣) ولعل تعريفنا للثقافة واشارتنا الى قطاعاتها يسوقنا بعد ذلك الى الحديث عن الخصائص العامة للثقافة وقد اتفق معظم العلماء عليها وفيما يلى ايجاز للبعض منها:

أ ـ الانسانية: يختص الانسان وحده بالثقافة ـ دون سائر المخلوقات ـ ذلك ان الانسان هو الكائن الحى الوحيد الذى منحه الخالق جهازا عصبيا خاصا يتميز بالقدرة على تغيير السلوك.. وقدرات عقلية خاصة تسير القدرة على التكيف مع الظروف الاجتماعية المحيطة وتتيح له فرصة الابتكار والابداع والانسان بهذه الصفات والمقومات يستطيع ان يضع ويدرس ويوجه ما نسميه «الثقافة» اذ ان الثقافة بناء على ما

سبق هى نتاج لتفكير العقل البشرى ينفذها الانسان سلوكا ببعض اعضائه او باحدها او بغير ذلك من أدوات يصنعها لنفسه. ومن ثم كان لابد لنا من ان نصف الثقافة بلفظ الانسانية.

ب ـ الاكتساب: فالثقافة تنتقل من جيل الى جيل.. وتتراكم الانساق الثقافية المختلفة تحت اسم «التراث الثقافى» Cultral Hivltage ويكتسب الانسان الثقافة منذ مولده عن طريق الخبرات المباشرة وغير المباشرة.. وتظل عملية التطبيق الثقافى Encultrau tion طالما بقى الفرد حيا فى المجتمع دون اى تأثير بعوامل سلالية او فسيولوجية وهذا يعنى اننا لا ندخل فى نطاق الثقافة الدوافع الفطرية والسلوك الفطرى.. والافعال المنعكسة.. والعملية الفسيولوجية داخل الانسان.. وغير ذلك فالثقافة نتيجة لطبيعتها «مكتسبة».

ج ـ الشبكية: فالثقافة تتكون من قطاعات اساسية وكل قطاع يتضمن مجموعات مختلفة من العناصر وكل مجموعة عناصر تتصف بصفات واحدة يمكن ان تميزها عن غيرها من المجموعات. ومع ذلك فالعلاقات بين عناصر المجموعة الواحدة وبينها وعناصر مجموعة اخرى متداخلة لا يمكن فصلها عن بعضها وارتباطها العضوى هذا هو الذى يكون لنا ما نطلق عليه لفظ (حضارة).

فالحضارة هى التطبيق المادى للتراث الثقافى.. وهى وليدة هذا التراث الثقافى ايضا.. ولعلنا لا نستطيع ان نفصل الثقافة عن الحضارة فكل منهما شىء واحد او هما وجهين لعملة واحدة.. ولا يجوز لنا القول بوجود تراث ثقافى دون الاشارة الى اصالة العلاقات بين عناصر الثقافة الواحدة والى ثقافة ارتباط العناصر البشرية الحية ـ فى قطاعات الثقافة ـ بالمجتمع بحيث تنهل منه غذاءها الروحى وتصب فيه ما حباها الله به من فكر وعلم.

د ـ التباين: ونعنى بالتباين هنا (تنوع المضمون) وقد تختلف الثقافة عن غيرها ـ من حيث المضمون ـ اختلافا كبيرا على الرغم من توحد شكل الهيكل العام. ونعتقد ان لهذا التباين اسبابا متعددة من اهمها ان العقل البشرى يختلف من فرد الى فرد فى القدرة على الاختراع والابتكار تبعا لمجموعة من العوامل الخارجية المؤثرة فى المجتمع. وكذلك فان الطاقة البشرية تختلف من جماعة الى جماعة وبالتالى تؤثر تأثيرا فعالا فى المنتج المادى والفكرى للمجتمع وبالتالى تؤثر فى تركيب ثقافة المجتمع.

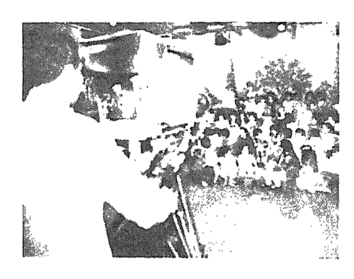
كما ان عاملا هاما لا يمكننا اغفاله فى تكوين الثقافة.. ذلك هو «قيم الجماعة» فقيم المجتمع الاسلامى تختلف عن قيم المجتمع اليهودى وقيم المجتمع الرأسمالى تختلف عن قيم المجتمع الاشتراكى.. وبالتالى فالدور الحضارى للفرد فى مجتمع يختلف عن دوره فى مجتمع آخر.. وبذلك يحدث التأثير فى مكونات الثقافة ومضمونها.

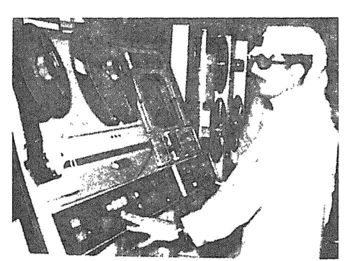
هـ ـ الاستمرارية: فالثقافة تستمر آلاف السنوات.. وتتغير مظاهرها بتغير الاجيال فى المجتمع الواحد.. ولا يعنى هذا ان الثقافة تظل كما بدأت اول الامر وانما هناك التراكم المنطقى لجزئيات العلوم.. وهناك القوى المختلفة داخل المجتمع من قوى (مؤيدة) تسهم فى تطوير الثقافة وتعمل على احياء التراث مع الحفاظ على مكوناته المختلفة وقوى (كابتة) تسعى الى موت هذه الثقافة بأساليب غير مباشرة وقد تتمثل فى مجتمعنا العربى بطبقة الذين عاشوا فى مجتمعات أجنبية وتأقلموا بالثقافة المغايرة ويؤمنون بأهمية حدوث الغزو

الاجنبى ـ فكريا كان او ماديا لتطوير مجتمعهم ـ وقوى (استراتيجية) وتتمثل فى اصحاب السلطان فى المجتمع. وهؤلاء لهم اليد الطولى فى الحفاظ على الثقافة بما يملكون من امكانيات وبها يستطيعون بذله من جهود فى الحفاظ على الفكـر الانسانى مبدع هذه الثقافة. . والذى يستولى على عالم الحوادث بما فيه حتى كان كله فى طاعته وتسخيره. ولعل هذا هو معنى الاستخلاف المشار اليه فى قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿**إنى جاعلٌ فى الأرضِ خَليفَةً**﴾.

فهـذا الفكر هو الخاصة البشرية التى تميز بها البشر عن غيره من الحيوان. . وعلى قدر حصول الاسباب والمسببات فى الفكر تكون انسانيته. . وعلى قدر انسانيته تميز ثقافته.

(٤) **وهذه الثقافة** ـ ذات القطاعات الآنفة وصاحبة الصفات المتعددة لها مجموعة من الاجهزة والوسائل فى المجتمع المعاصر عن طريقها يتم فهم الناس والاشياء فهما صحيحا والحكم عليهم حكما سليما. وهذا الفهم وذلك الحكم لا يمكن الوصول اليهما الا اذا جمع الفرد بين وسيلتين هامتين هما الدراسة من ناحية والتفكير من ناحية اخرى. . فالدراسة بغير تفكير لا تنتهى مطلقا الى فهم صحيح. . والاكتفاء بالتفكير الذاتى دون دراسة لا يؤمن معه الضلال عن الفهم الصحيح. . والوسيلة الجادة للثقافة هى التى تجمع بين الدراسة من جهة واثارة التفكير أو الايماء به من جهة اخرى. . وسوف نتعرض فى السطور التالية لبعض وسائل الثقافة ـ اجهزتها ـ التى يمكن ان تسهم فى تربية الافراد وتثقيفهم بطريقة مباشرة او غير مباشرة.





الثقافة .. فى المجتمع المعاصر

أولاً : الاذاعـة :

اصبحت الاذاعة اليوم اقوى وسيلة لنشر الثقافة والفن وتوجيه الناس فى المجتمع . . وقد لا نجد دربا فى أى مكان بالعالم العربى ليس فيه مذياعا يقدم المواد الثقافية الى جانب الآداب والفنون على اختلافها ويتم تقديم المواد الثقافية فى صورة احاديث او ندوات او محاضرات أو غير ذلك من صنوف التثقيف . ومن الواجب فى رأينا أن تتصف هذه المواد بالوضوح والنفعية والعمومية مع مراعاة التبسيط فى الإعداد والعرض الاذاعى .

وقد يكون لهذا التبسيط اضرار متعددة منها مثلا الاسهاب والاتساع الذى تتميع فيه المادة وتخليط التفصيلات بالحقائق الكبرى التى يجب التركيز عليها كعمد أساسية لفرع ما من فروع الثقافة . . ومنها ايضا استخدام المقدم ـ المذيـع ـ لبعض المصطلحـات التخصصية التى قد تعمق المضمون وتثقل على المستمعين . . ومنها كذلك استخدام المقدم لبعض الالفاظ المجازية التى يعتقد انها تفيد فى الايضاح مع انها قد تسبب للمستمعين خللا فى منطقية ترتيب المادة او شططا يبعدهم عن محتوى العلم .

وحينها نقول هنا «تبسيط الثقافة» فنحن لا نعنى اختزالا للمعرفة وانما نعنى تقديمها بوضوح يتناسب مع عامة المستمعين.

أما فى عرض العلوم الانسانية مثل الاجتماع والفلسفة وغيرها ـ تلك التى اصبحت فى عالمنا المعاصر كوسائل حياة ـ فينبغى ان تسهم الاذاعة اسهاما فعالا فى نشرها دون كلفة او تفخيم . وقد يكون المذيع العادى المدرب خيراً من الاكاديمى الخبير فى تقديم مادة هذه العلوم للمستمع وذلك لحرص الأول على تقديم المادة المعدة باعتبار ان فهم الانسان لنفسه وللغير وللمجتمع الذى يعايشه بنظمه واحتياجاته كفيل بأن ينمى قدرة الفرد على التكيف مع الحياة والسيطرة عليها وحسن تسخيرها لمصلحته المشروعة المرتبطة بمصالح غيره من افراد المجتمع . . وبالتالى يسهم هذا كله فى تكوين ما نطلق عليه «**الوعى الاجتماعى**» وتبدو لنا مظاهره فى نمو هؤلاء الافراد وجماعاتهم ويرى البعض ان للتثقيف عن طريق الاذاعة عيوبا متعددة من اهمها انها قد تقتل فى عامة المستمعين روح التفرد . . وتعمل على احداث «**القولبة الفكرية**» ونشر روح القطيع ـ او ما يسمى «**كونفودميزم**» ـ التى تطبع الناس جميعا بطابع واحد مما يقضى على الاصالة الفردية وحرية الرأى والاختيار. ولعل هذا العيب مردود عليه اذ ان امتنا العربية لا زالت فى مسيس الحاجة الى التقريب بين الثقافات المختلفة داخلها . . وبينها وبين اقطار العالم المختلفة مما يتطلب منا ان نعمل على نقل الثقافات الاخرى ـ بالاضافة الى ما نملك الى اكبر قدر من الناس فى اماكنهم ـ ولا يتم هذا الا عن طريق الاذاعة .

ثانيًا : السينما :

بالرغم من ان العلم يصدر عن اسمى ملكة يملكها الانسان ـ وهى العقل ـ الا اننا كثيرا ما نرى مكتشفاته تستخدم ضد الانسان بدلا من ان تستغل لخدمته . وربما استهللنا حديثنا هنا بهذه العبارة لان السينما ـ كفن أو

صناعة ـ تحولت فى عصرنا الى عمل تجارى من الدرجة الاولى مما دفعها الى ان تنسى كل ما كان ينتظر منها كجهاز للثقافة والتهذيب. وكأداة للسمو بالبشر لا الانحطاط به وجرفه الى سحيق الهاوية واصبح الهدف الاساسى منها ـ فى الغالب ـ هو الترفيه فقط عن جمهرة الناس. . ونقل المعرفة السطحية اليهم. . أو بث المعرفة الرخيصة فى نفوسهم.

وعندما نصل الى مهمة التثقيف الخالصة التى لابد للسينما من الاضطلاع بها لابد ان نعرف كيف نواجه الروح التى تحدو الجمهور الى التردد على السينما فهذه الروح نراها فى الغالب الاعم ابعد ما تكون عن الرغبة فى التثقيف. . وهى فى الغالب الاعم مجرد رغبة فى أيسر انواع الترفيه. . وهى حتى من هذه الناحية أبعد عن الجدية من الروح التى يذهب بها المتفرج العادى.

وربما لهذه الامور من المهم أن تجعل دور السينما الافلام التثقيفية الى جانب النوعيات الاخرى من الافلام فى آن واحد. كما انه لابد ان يزداد اهتمام السلطات بهذا النوع من الافلام ـ الذى نسميه احيانا **«الاخبارية» او «الجريدة السينمائية»** ـ وخاصة فى القرى النائية اذ عن طريق ذلك تسهم السلطات فى التسامى بالجماهير بتثقيفهم وتربيتهم فنيا وأدبيا بما يتمشى ومتطلبات الحياة فى مجتمعهم الحاضر. ولكن من الواضح ان مثل هذه الافلام لا يمكن ان تصبح سلعة تجارية مربحة ولذلك لا ينهض بها سوى الدول ذاتها. . وهى تعتبرها كجزء من مرفق التعليم العام. . وتعتبرها من اهم وسائل الايضاح التى تستخدمها فى تعميق المعرفة ونشر الصحة الثقافية بين عامة الشعب وبين طلاب العلم فى معاهده المختلفة مما يتطلب زيادة جهد القائمين على الثقافة لتعزيز مثل هذه الوسيلة.

ثالثاً: الكتاب:

ولعل الكتاب هو اهم وسائل الثقافة على الاطلاق واعمقها اثرا فى نفوس البشر على الرغم من المنافسة الشديدة اذ ان كلا من هذه الوسائل يستمد مادته من «كتاب» وللكتاب ـ فى جمع مادته واعدادها واخراجها اصولا لابد من مراعاتها وقواعد لابد من اتباعها. فعلى سبيل المثال من حيث (المادة) لابد ان تكون صحيحة وسليمة والمستوى مناسبا لمن كتب لهم الكتاب والتقارير مذكورة بوضوح وعناية. . ومن حيث (اللغة) فلابد ان تكون الفاظها جزلة وتركيبها سهلاً ميسراً فى عبارات ملائمة. . ومن حيث الاسس النفسية ـ فلابد الى جانب دور الكتاب كأداة ثقافية ـ ان يخلق فى القارىء الميل والدافعية الى زيادة الثقافة. . وان يسهم فى امداده بما يجعله يتعلم جديدا عن طريق التفكير البناء والخلاق. . وان يجعله فى شوق دائم الى المزيد. ومن حيث (الاخراج) فلابد ان تكون احرف الكتابة واضحة ومريحة للعين. . وان تنظم العناوين والصفحات بطريقة تناسب مستوى نمو ونضج القارىء. . وان يكون حجم الكتاب مناسبا قدر الامكان.

ولعله من الاجدر بنا ـ كعرب ـ ان ننظر فى عالمنا العربى الى مشكلة عدم القراءة عند المتعلمين أو ما نسميه **«أمية المتعلمين»** والى ضرورة حلها كنظرة البلاد المتقدمة التى اصبحت تنظر الى القراءة والتزويد بالمعرفة نظرها

الى الغذاء المادى سواء بسواء بحيث تستمر عملية القراءة والتثقيف باستمرار الحياة فى سباق ما نطلق عليه «التربية المستمرة» التى لا تتوقف الا بالموت الذى تتوقف به ايضا عملية التغذية البدنية وان تتكاتف كل الجهود حتى يمكن ان تستعيد الامة قوتها وبأسها ـ وليس هذا بمستغرب علينا الم تكن اول آية انزلت على محمد ﴿ﷺ﴾ «اقرأ باسم ربّك الذى خلق . . » بما فيها من شمول فى المعنى .

(٥) وواقع الامر ان ما نراه اليوم فى بعض بقاع عالمنا العربى من تخلف ثقافى مرده الى عدة امور نعتقد ان من اهمها :

١ ـ عدم مواكبة الانتاج الفكرى والمادى لهذا المجتمع لما فى غيره من مجتمعات متطورة لا من حيث الكيف والمضمون وانما من حيث الجودة والجدية ومن حيث السرعة والغزارة وقبل كل شىء من حيث الاصالة التى تستند عليها الثقافة المعاصرة لهذا المجتمع .

وينتج عنه ما نسميه التمزق الفكرى والنفسى الذى يؤدى بدوره الى :

٢ ـ عدم تجانس بعض فئات المجتمع مع البعض الآخر . فقد تكون فئة تؤمن بضرورة إحداث التغيير فى كيان المجتمع بينما تقوم أخرى بما نسميه «مقاومة التغيير» ويحدث ما نسميه «صراع القوى الاجتماعية» الذى ينتج عنه التخلف الاجتماعى . .

٣ ـ والاطار الاقليمى الذى يتميز به افراد المجتمع عامل حاسم وفعال فى احداث الثورة الثقافية أو التخلف الثقافى . ذلك ان الناس يشجعون التطور ويساندوه على المستوى النظرى ولكنهم يؤمنون بالماضى ويحترمون ما ترك السلف ويرغبون عن كل ما يمسه . وعلى ذلك يرفضون التغيير ويتمسكون بكل تقليدى ويمنحوه حق السيادة .

٤ ـ والغزو الاجنبى الاستعمارى سواء كان فكريا او عسكريا او اقتصاديا أو سياسيا او اجتماعيا له من القدرة على ان يصبغ ابناء هذا المجتمع او ذلك بصبغة خاصة مستوردة ليبعدهم بها عن مجتمعهم بأصالته وعناصره البنائية وانسقة الحياة فيه بما يميزها .

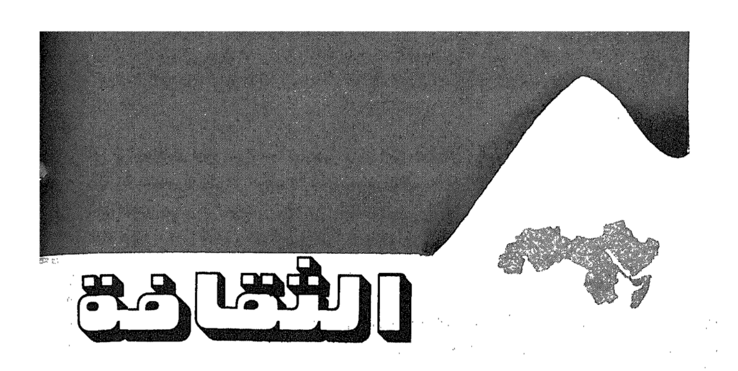
ولعل حديثنا هنا عن الثقافة وخصائصها . . ووسائلها وتلك الالماحة الموجزة عن التخلف الثقافى هو حديث عام أردنا به أن نضع الاعين على بداية الطريق لبحوث فى هذا المجال ـ الثقافة ـ واسعة وعميقة يفيد منها كل ابناء الامة ويرتكزون عليها فى تطوير ثقافتهم .

ولا نستطيع الآن إلا ان نضع امامنا التوجيه القرآنى نستمد منه الهدى ونضىء به الطريق فى البحث عن سبل احياء تراثنا الثقافى ووسائل تطوير ثقافتنا .

﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرضِ جميعاً منه إنَّ فى ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾ .

(١) انظر : الصحاح ـ طبعة ١٩٥٣ ـ وزارة المعارف بمصر ص٨٤ .
(٢) محى الدين صابر ـ التغير الحضارى وتنمية المجتمع ـ دار المعارف ١٩٦٢ ص٣٩ القاهرة .
(٣) محمد لبيب النجيجى ـ الاسس الاجتماعية للتربية ـ الانجلو المصرية ١٩٧١ ص١٩٤ القاهرة .
(٤) محمد عاطف غيث ـ علم الاجتماع ـ دار المعارف ـ ١٩٦٦ ص٦٥ القاهرة .
(٥) وهيب سمعان ـ الثقافة والتربية فى العصور القديمة ـ دار المعارف ـ ١٩٦١ ص١٣ القاهرة .
(٦) نيللر ـ ترجمة منير مرعى وآخرون ـ الاصول الثقافية للتربية ـ عالم الكتب ـ ١٩٧٢ ص ١٤ القاهرة .
(٧) خليفة عبد المجيد المنتصر ـ مقال بمجلة الوعى العربى ـ اتحاد الجمهوريات العربية ـ العدد الاول ١٩٧٢ القاهرة .
(٨) عبد الفتاح حجاج وشكرى عباس ـ التربية والمجتمع ـ كلية التربية جامعة الاسكندرية ١٩٧٥ الاسكندرية .
(٩) محمد الهادى عفيفى ـ فى اصول التربية ـ الانجلو المصرية ١٩٧٢ ص١١٤ القاهرة .
(١٠) قد ينسحب قولنا هنا على التليفزيون والمسرح .





الثقافة

● **قال له جَدُّه وهو يحكى له ذكريات طفولته:** «كنت ألعب (الطاب)(١) وأشاهد الحاوى واسمع شاعر الربابة وهو يتغنى بقصص (الزناتى خليفة) و(أبو زيد الهلالى) وأقرأ القرآن و(كليلة ودمنة) وأسامر بالشعر».

● **قال له الحفيد ـ وهو يحاوره:** «وأنا العب (بَاكْ مَانْ) و(سْبَايْ هَانْتَرْ) وأشاهد التليفزيون وأسمع اناشيد وأغانى وموسيقى . . و. .

ـ **فقاطعه الجد:** «خليط . . لا أفهم اكثره ولا أستسيغه».

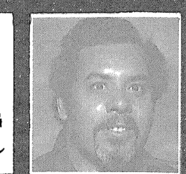
ـ **واستمر الطفل:** «أقرأ مما كنت تقرأ ولكنى أحب ايضا قصص المغامرات ومسابقات تيليمتش».

وما الجد والحفيد إلا طرفا الخط الثقافى للقرن المنصرم من حياتنا العربية أو قل هما رمز الانسان العربى فى حاضره ذلك الرمز الذى سوغ لنا أن نسأل: «**الثقافة العربية . . لماذا؟**»

لماذا هذا الاهتمام الذى يدفع بالمنهل الى افراد عدد خاص لها؟.

إنَّ أخصّ ما تثيره حكاية الجد والحفيد هو تزامن طرفين متصارعين فى ثقافة هذا العصر ذلك التزامن الذى خلع على حياتنا الثقافية قدرا من التناقض والصراعات التى لم تُحل رغم ما استنفدت من جهود وآراء. فابرز ظواهر الحياة العربية الثقافية خلال القرن الماضى هى المواجهة المستمرة بين أصيل موروث ودخيل مستجلب ظهرت ابعادها أولا فى مناطق الاحتكاك بالثقافة العربية (**مصر ولبنان وبلاد المغرب العربى**) ثم امتدت بعد ذلك وبدرجات متفاوتة الى بقية أجزاء الوطن العربى.

ولا يشك عاقل ـ أيا كان ـ فى أن الصلات السياسية والاجتماعية والفكرية بين العرب والغرب فى العصر الحديث ـ وهى شرط مسبق للمقارنات الادبية والثقافية عامة(٢) ـ قد صحبتها وتبعتها نماذج وتأثيرات فى مجالات الأدب والفن ووسائل الحياة مما يدخل فى اطار الثقافة المعاصرة. بل ولا يشك عاقل ـ ايضا ـ فى ان «**المطامع الثقافية**



دكتور
محمد حمدون
أستاذ الأدب الحديث المساعد
كلية البنات / جدة

العربية.. لماذا؟!

للغرب تواكب **غاياته السياسية**»(٣) مما فرض ويفرض نوعا من الحذر فى التعامل مع هذه النماذج الجديدة بل ورفضها أحيانا. خاصة وقد ظهرت آثارها السيئة منذ البداية فى تفرقة «**وحدة الشعور العربى**» و«**ضياع معالم الشخصية**».

فالصراع الذى ظهر فى لبنان بين الدروز والموارنة ـ مثلا ـ وانتهى بمذبحة عام ١٨٦٠م يرجع الى انفصام حقيقى بين الثقافتين العربية والاسلامية من جهة والغربية من جهة أخرى. فعلى حين رأى البعض ان لبنان ـ تاريخا وحضارة ـ مرتبط بالأمة العربية وتاريخها الذى هو ـ فى الواقع ـ «تاريخ الأمة الاسلامية دون سواها» كما يشرح الشاعر اللبنانى إلياس أبو شبكة(٤) ـ ذهب البعض الآخر الى تمجيد التاريخ الفرنسى والثقافة الفرنسية الى الحد الذى انعكس على شعر كثير من اللبنانيين كصلاح لبكى وسعيد عقل ـ مثلا ـ اللذين يقودان حركة تنزع إلى الثقافة الأوروبية(٥) لإحلالها محل العربية فى ثورة تشبه تلك التى تبزغ بين حين وآخر فى مجال التجديد فى الشعر العربى رافضة «**سائق الاظعان**» و«**مضارب الوبر**».. لا تبكى لليلى ولا تطرب لهند.

هذا الموقف الذى ظهر فى تقسيم وحدة الشعور العربى فى لبنان إلى حد المجازر الدموية قد ظهر بصورة أخف مظهراً وان لم تكن أقل أثرا فى مواطن اخرى ربما لخصتها عبارة لبنت الشاطىء قالت فيها: «**وهكذا التقينا (المثقفون العرب) ونلتقى وكأننا غرباء**»(٦).

أما ضياع معالم الشخصية العربية بفعل تلك الثقافة الوافدة فأمثلته أكثر من أن تحصى. فإذا كان وعى الانسان بذاته هو دليل ـ أو بداية ـ تطوره فإن «الانبهار» بالوافد الغربى الذى سيطر على شعور بعض العرب قد سد الطريق امام هذا الوعى فراحوا يعبُّون من تلك المنابع الثقافية الغربية يترجمون أدبها ويحاكون فنونها وينسجون الحياة على منوالها، فلم يعد أثر الحملة الفرنسية على مصر ـ مثلا ـ يتوقف ـ ثقافيا ـ عند «أول صحيفة» «وأول مطبعة» «وأول مسرح» والمكتبة العامة والمراصد الفلكية والمصانع الكيمائية «والمجمع العلمى المصرى».

لقد انفلت الزمام وتغلغلت الفرنسية ثم الانجليزية فيما بعد ووقف من ينادى بالحياة على الطريقة الافرنجية وهجر الفصحى ـ على حين يصر عبد الله النديم فى «**التنكيت والتبكيت**» على ان إضاعة اللغة تسليم للذات كما توالى إصدار الصحف الأجنبية المشجعة على هذا المظهر الافرنجى حتى كان فى عهد اسماعيل ـ على سبيل المثال ـ سبع وعشرون صحيفة أكثر من نصفها بلغات أجنبية(٧) وراح «**الغزو الثقافى**» ـ وهو مصطلح سائد فى لغتنا النقدية الآن ـ يفعل ما لم يستطع أن يفعله الغزو العسكرى من جلب أنصار للغرب فى كثير من مناحى الحياة فى مصر العربية حتى كان أبرزها وان لم يكن أسوأها ـ تلك العبارة المشهورة لطه حسين «**خسرت الأخلاق وربح الأدب**»(٨) فهى تتعارض فى الواقع مع مضمون الثقافة الأدبية العربية السائد خلال العصور، لقد أقر مؤتمر الأصالة والتجديد فى الثقافة العربية المعاصرة الذى عقدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى القاهرة (١٩٧١م) أن «**الثقافة والأدب العربيان ملتزمان هادفان فى معظم الأحيان**»(٩).

وواضح أن هذه العبارة لطه حسين لم تصدر عن مسايرة للاستثناءات التى لم يكن فيها الأدب والثقافة العربيان ملتزمين حيث لم تقف تلك الاستثناءات فى مثل هذه المجابهة القاطعة ضد الأخلاق ومن بداياتها ـ مثلا ـ فكرة الأصمعى من أن «**الشعر نكد حظه الشر**» بقدر ما صدرت عن منظور «**قيمى**» غربى يفصل بين الحسين الجمالى والخلقى(١٠) بناء على ما أحدثته النظرة العلمانية من فصل بين القيم الدينية وشؤون الحياة.

وفى المغرب العربى نجد مثالا آخر لـ«الذوبان» فى النماذج الثقافية الغربية حين يقول الكاتب الجزائرى مصطفى كاتب: «**موليير فى أفريقيا الشمالية هو الاكثر اعتبارا بين المؤلفين**» . . ثم يحاول الناقد المغربى الدكتور ابراهيم السولامى(١١) أن يسوغ ذلك بقوله: «**فموليير بالنسبة للشعب الجزائرى ليس أجنبيا إذ لا علاقة له بالسلطة الاستعمارية**».

ربما جاز للبعض بناء على هذا المثال الأخير أن يفرق بين «الذوبان» فى النماذج الثقافية الغربية و«تذويبها» فى ثقافة عربية أصيلة ـ وسنعود الى تحليل هذا بعد قليل ـ وهو ما يحقق الاتصال بالثقافات المجاورة والمعاصرة دون هدم للأصالة أو تسليم للذات ودون هدر لقيمة الموروث من ثقافتنا.

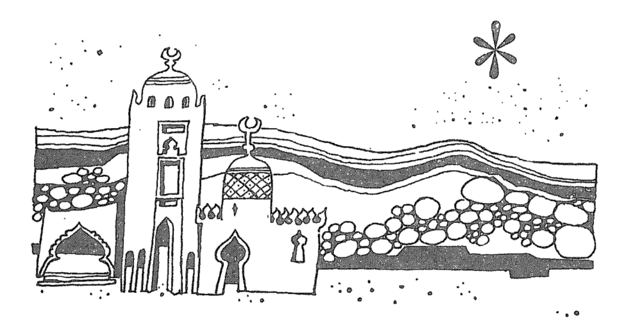
وعلى الجانب الآخر نقول: إنه لا يشك عاقل ـ أيضا ـ فى ضرورة امتداد الموروث الثقافى الى الحياةالعربية المعاصرة وأهمية هذا الموروث الذى لا شك يفيد الحياة الثقافية ويثريها. **لكن أى موروث؟** وهو السؤال الذى طرحه من اهتموا بالثقافة الغربية وأثرها، أو شكوا فى جدوى الموروث الثقافى ـ على الأقل دون «غربلته» .

نعم إن على العربى المسلم أن لا يتشبه بالغربيين سعيا للعمل بأحاديث الرسول ﴿ﷺ﴾: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» و«**ليس منا من تشبه بغيرنا**»(١٢) وتحقيقا لتفرد الذات العربية المسلمة وتميزها وإن عليه أيضا أن يعب من تراثه الدينى والأدبى والتاريخى ليملأ حياته المعاصرة. . ولكن: **أى جانب من هذا التراث نقصد؟**.

●● *يطالعنا الدكتور زكى نجيب محمود - وهو اكثر المفكرين المعاصرين (فى تقديرنا) اهتماماً بهذه المشكلة بأن من هذا التراث مالا يصلح للثقافة المعاصرة إذ لا تستقيم معه حياتنا من مثل التشبث الشكلى بهذا التراث دون تفاعل معه والتقوقع فيه احيانا ومجىء الفكرة فيه من عل - يقصد من الانسان الذى فى موضع السلطة - دون حوار أو مناقشة مما يجعل رفضها المطلق مثل «**عناد الاطفال**» وقبولها المطلق مثل «**طاعة العبيد**» وان يجتمع السيف والرأى فى يد واحدة ناقلا عن أبى العلاء المعرى:*

جَلَوْا صَارِماً وتَلَوْا باطلاً
وقالوا: صَدَقْنا فقُلْنَا: نَعَمْ

ومثل اضطهاد المخالفين فى الرأى - وإن كانوا صوابا - كما حدث لأحمد بن حنبل، والنظر للانسان أحيانا من منطلق فطرى لا يفرِّق فيه فى بعض امور معاشه - كما ورد فى العقد الفريد - «**بين الانسان والفأر والغرانيق والكراكى والنحل والحشرات.**» واجترار بعض الأفكار والآراء والشروح وشروح الشروح من جيل الى جيل «اجترار من اجترار بعد اجترار»(١٣).



ليست الثقافة العربية القديمة بهذا الشكل الممقوت، حتى عند الدكتور زكى نجيب محمود نفسه «فقد راح يعدد أيضا الجوانب المشرقة والمبادىء الأساسية التى تحكم مجريات الفكر والثقافة العربيين» ولكن الذى نود الاشارة اليه هو أنها جميعا حقائق لا مناص من مواجهتها لرفضها خلال الصراع بين الأصيل والمستحدث فى تطور الثقافة العربية خلال القرن الماضى. فهى قد شوهت صورة بعض المحافظين على الأصالة عند المجددين. . فحين يقول جلال العشرى - مثلا - «فعلى امتداد ثقافتنا العربية الحديثة أو منذ عصر التنوير «هكذا؟» حتى الآن لا نكاد نجد الناقد النظرى الذى يعبر عن ذواتنا الأصيلة دون ما انعزال عن العالم من حولنا»(١٤) لا يعنى فقط أن المنظِّرين المحدثين من المحافظين فى النقد الأدبى وهو أحد جوانب

الثقافة غير مدركين لما أحدثه النقد الغربى من مرئيات جديدة وإنما هم أيضا يعيشون الماضى الثقافى من منظوراتهم الجزئية دون «فرز» لأبعاده ورفض الغث وقبول السمين. وهكذا وصُم المحافظون الداعون الى التمسك بالثقافة القديمة ـ ربما فى كل انحاء الوطن العربى ـ بعيب أو بآخر.

●● وتعايش «الجد والحفيد» رغم ذلك: المحافظون على الثقافة القديمة والمتأثرون بالثقافة الغربية كل فى درجات متفاوتة حتى فى شخص وفكر الدكتور زكى نجيب محمود نفسه(١٥). فماذا نتج عن هذا التعايش؟

«**خليط**».. هو ابرز خصائص الثقافة العربية المعاصرة.

و«**تنظير**» يحاول رسم السياسية الثقافية وتحديد ابعاد الأصالة.

«**ولا شىء**» من الدراسات العملية التى تهجم على الظواهر الثقافية العربية ـ أصيلة ودخيلة ـ فتنظّر وتقبل وترفض على أساس من تمحيص الفكر «ومنازلة» التجارب.

● اما «**الخلط**» فمصدره الاقتناع الكامل بأهمية ـ ووجود كل من الجانبين فى حياتنا ـ إن كل كلمة فى ثقافتنا العربية الموروثة ـ ناهيك عن الاحداث والمواقف ـ مشحونة بوجدان تنبثق عنه رؤيتنا للأشياء وإحساسنا بها. ولكن كل آلة أو مخترع غزا حياتنا من الغرب ـ ناهيك عن الافكار وألوان الفن والمعرفة ـ يصر على إعادة تشكيل هذا الوجدان. من يقول إننى أستطيع أن آخذ ـ من الغرب ـ الهاتف والمرناة والنظامة (ولا أقول التليفون والتليفزيون والكومبيوتر) اجهزة وكفى دون المتغيرات الثقافية المتصلة بها؟

«لم يَزُرْ أمه بالأمس اكتفى بمحادثة هاتفية معها».
«ترك الشِلَّة» ليلة الأمس لأنه كان يحرص على مشاهدة مسلسل تليفزيونى»
«المعلومات الواردة من الكومبيوتر تحتاج لـ «تغذية بالرجعة» Fedback .

إن كلا من هذه العبارات الثلاثة المرتبطة بالأجهزة المذكورة تشير الى متحولات ثقافية لا يقلل من أهميتها ـ أو خطورتها ـ أننا أصبحنا نفعلها كل يوم دون أن نفكر فى انعكاساتها على حياتنا بكل أبعادها. أولها يؤكد سيرنا نحو الأسرة الصغيرة ـ أو الأصغر Nuclear Family بعد أن كنا عائلة كبرى أو قبيلة، وثانيها يساعد على «الفردية» بعد ان كان طابع ثقافتنا «الجمعية» أما الأخير فلن تستطيع «التغذية بالرجعة» ـ وهى اقرب واصح ترجمة ممكنة ـ ان تشرح لنا الأبعاد الثقافية(١٦) التى تنطوى عليها كلمة Fedbadk فيه لأن هذه الأخيرة ترتبط بنظام خاص فى ادارة شؤون الحياة يقوم على إمداد الأعلى فى الشكل الهرمى الاجتماعى بمعلومات من الأدنى ـ أقرب الى «الشورى» ولكن ليست هى ـ وهى ظاهرة أقل ما يقال عنها انها لم تكن موجودة فى الثقافة العربية أثناء احتكاك الثقافتين فى مطلع القرن الماضى(١٧).

وإذا تركنا قائمة «التكنولوجيا» وما ارتبط ويرتبط بها من وجوه الحياة الثقافية الغربية فإننا نجد فى أبواب الأدب والفنون الجميلة والشعبية والمسرح والموسيقى وألوان الترفيه والمتعة قوائم يستحيل حصرها.

والمشكلة الحقيقية فى هذه جميعا هى عدم وضوح وثبات المعايير فى التعامل معها فإذا كانت نتيجة «الصراع الثقافى» هو تلك «المصالحة الثقافية» التى عبر عنها النقاد والهيئات من ناحية(١٨) وبدت واقعا معاشا من ناحية اخرى، فإنه لا يزال بين ظهرانينا من يعد «إحياء جوانب الثقافة العربية القديمة» رجعية ومن يعد «إثراء الثقافة العربية المعاصرة بجوانب من الثقافة الغربية» انحرافا. وبمعنى أصح ما أسهل تبادل الاتهامات فى هذا الجانب الحيوى الخطير من حياتنا الثقافية. ولذلك فإن الامة العربية ـ كما اوضح مؤتمر الأصالة والتجديد(١٩) «مازالت تعانى مشكلات اللقاء بين الاصالة والتجديد فى صورة حادة لم تخفف من حدتها عشرات السنين التى انقضت منذ بدأت الامة نهضتها الحديثة.. فمازالت حتى الآن تعانى مخاض الحياة العصرية ومازال بين المثقفين والأدباء خلاف واضح حول مفاهيم الأصالة والتراث والمحافظة والتقاليد والتجديد والعصرية. ويزيد الصورة حدة اننا ـ برغم انقضاء تلك السنين كلها ـ مازلنا مضطرين الى أن نأخذ الكثير من الأشكال الأدبية والمضامين الفكرية من أمم سبقتنا فى مضمار الحياة الحديثة».

ولما يزيد فى «الخلط» بين هذه المصطلحات المحددة لغايات وطبيعة الثقافة العربية المنشودة فى العصر الحديث هو استخدامها ـ غالبا ـ فى «**مفهوم تجريدى**» وهى مشكلة تنبه لها الدكتور زكى نجيب محمود فى الحديث عن «**التراث**» وحاول حلها(٢٠).

إن مثل هذه المصطلحات يجب أن يُبذل قدر كبير من الجهد فى إخراجها أولا إلى «تعريفات اجرائية» تحظى بقبول الوجدان الجمعى العربى لها وتضيّق الهوَّة ـ أو ما يشبه الهوة على حد تعبير الاستاذ محمد سعيد الكوارى(٢١) ـ بين ثقافتنا القديمة وثقافتنا الجديدة وتُبرز ـ فى النهاية ـ الدائم أو الثابت، والمتحول أو المتغير فى كل من هذين(٢٢).

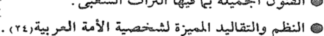
وسبب ثالث من أسباب الخلط هو عدم وضوح مفهوم الثقافة نفسه إنه يضيق ويتسع طبقا لمنظور الكاتب او المتحدث عن ثقافتنا المعاصرة.. فقد يقف حس المستعمل لها عند «**الفكرة المجردة**»دون تحديد وقد يحسبها «الموروثات» او «محددات السلوك» الجمعى أو «الذوق» أو «انتاج العقل والفن» أو «المثل والقيم التى يقوم عليها تراثنا سواء مكنتنا ظروف التربية والتنشئة من معايشتها أم لا».. وقد تكون الثقافة «كل هذا» أو «كل ما من شأنه إعداد المواطن الصالح القادر على خدمة الحياة اليومية والاجتماعية والانسانية».. ولكنها فى النهاية وفى تعبير جميل نقله الدكتور زكى نجيب محمود: «**تسرى فى جسم الحياة العملية سريان الزيت فى الزيتونة**»(٢٣).

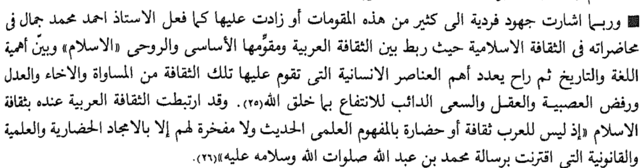
فحين تنساب الثقافة فى عروق الناس تصبح هى حياتهم ولا تنفصل عنهم، ولا تكون وافدة عليهم من الخارج بل ولا من الماضى ـ ففى الحالتين لا تعدو أن تكون مجموعة تشمل من الاقوال أحسن ما قيل ومن الأفعال افضل ما عمل.. إنها تصبح أثرا غير محدد الأبعاد والتأثير. ولكنها بالتأكيد ليست ذلك الخليط الذى نشاهده فى كل جوانب حياتنا والذى يجمع بين معطيات الثقافتين القديمة والحديثة فى عشوائية.

وربما بحثنا إذن عن الحل فى «التنظير».

لا شك أن أول وأهم هدف لمحاولات «تنظير» الثقافة العربية والاسلامية المعاصرة هو القضاء على حالة الخلط والتشويش الناتجة عن ذلك اللقاء الحزين بين «**القديم**» و«**الجديد**» من ناحية وبينهما وبين «**الدخيل**» من ناحية اخرى. ولقد أسفرت المحاولات الجادة التى بذلها مؤتمر الأصالة والتجديد عن مقومات خمسة تقوم عليها الثقافة العربية الأصيلة:

- الجانب الروحى .
- اللغة العربية .
- التاريخ المشترك .
- الفنون الجميلة بما فيها التراث الشعبى .
- النظم والتقاليد المميزة لشخصية الأمة العربية(٢٤) .





■ وربما اشارت جهود فردية الى كثير من هذه المقومات أو زادت عليها كما فعل الاستاذ احمد محمد جمال فى محاضراته فى الثقافة الاسلامية حيث ربط بين الثقافة العربية ومقوّمها الأساسى والروحى «الاسلام» وبيّن أهمية اللغة والتاريخ ثم راح يعدد أهم العناصر الانسانية التى تقوم عليها تلك الثقافة من المساواة والاخاء والعدل ورفض العصبية والعقل والسعى الدائب للانتفاع بما خلق الله(٢٥). وقد ارتبطت الثقافة العربية عنده بثقافة الاسلام «إذ ليس للعرب ثقافة أو حضارة بالمفهوم العلمى الحديث ولا مفخرة لهم إلا بالامجاد الحضارية والعلمية والقانونية التى اقترنت برسالة محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه»(٢٦).

إن الثقافة العربية عنده أشبه بدائرة مركزها (أو محورها) نظرة الاسلام للكون والانسان والحياة. وأحسبه فى ذلك مشابها للدكتور زكى نجيب محمود الذى يعتبر أساس الثقافة - أى ثقافة - ومحورها هو: «**النظرة العامة للكون والانسان**» ولكنهما يفترقان فيما وراء ذلك فمحيط الدائرة أو إطارها عنده يظل هو «الاسلام» بكل أبعاده على حين لا يتضح هذا الاطار عند زكى نجيب محمود الذى يكتفى بأن يجعل هذه الثقافة «**خريطة حياة تحدد الموقع**» .

●● ولكثير من الكُتّاب والمفكرين العرب آراء فى الثقافة العربية ومحاولات لتحديد مقوماتها وأبعادها وصورها - مما يضيق عنه الحصر - ولكنها - فيما نظن - تحتاج لموازنة بين ظواهر الانفتاح على الثقافة الغربية فى هذا العصر والانفتاح الذى ظهر فى العصر العباسى حين كانت الترجمة - ومدرسة الحكمة - على الاخص فى عصر المأمون ترفد الحياة الثقافية بكثير من مظاهر الثقافة اليونانية والهندية والفارسية دون أن تفقد الثقافة العربية مقوماتها وقدرتها على رفض ما لا يساير نظرتها الأساسية للكون والحياة. فرفضت الذين انبهروا بمعطيات الثقافة اليونانية . . الفلاسفة . والذين ضاعوا بين البراهمن Brahman (الحقيقة الواحدة والوحيدة التى تشمل الكل) والمايا Maya (ظواهر الوجود التى لا تعدو أن تكون خيالات وأوهام Illiosions من الثقافة الهندية وهم بعض المتصوفة الذين بنوا على ذلك «وحدة الوجود» . . بل اكثر من ذلك وجهت أصالة الفكر الاسلامى نحو الأصوليين من الفقهاء اكثر مما اتجهت بها الى علماء الكلام .

لماذا وقفت الثقافة العربية آنذاك ذلك الموقف ؟ .

● ربما قادتنا اجابة ذلك السؤال الى أن قادة الثقافة فى ذلك العصر من أدباء ولغويين وفقهاء وأصوليين . . وغيرهم لم يصدروا عن الثقافة الوافدة أو الموروثة أو المزاج الشخصى وإنما صدروا عن طبيعة مجتمعهم نفسه ونوع مشكلاته وحقيقة مصالحه ومحاولته الدائبة فى النمو والاستمرار فظهرت آثار ثقافتهم العربية الاسلامية فى الخط والمساجد والسجاد والشعر دون حاجة الى «تنظير» يعتمد على وضع القواعد وتحديد الأصول معزولة عن واقع الامة وما يجرى فيها .

هذا يقودنا إلى خاتمة موضوعنا وهى الدعوة الى ضرورة أن تصحب هذه الدراسات النظرية التى تحدد المنهج

الثقافة العربية فى القرن ١٤هـ

والفلسفة والاصول محاولات ميدانية «تجريبية» تحلل ـ تاريخيا واجتماعيا ـ العلاقات الثقافية بين القديم والجديد ومع المستورد وتسلط الضوء على الواقع الحياتى ومظاهر الصحة أو العلة فيه. تخرج كما يقول هاملت: من معرفة «اللفظ» الى معرفة «الأداء»(٢٧). فتلك طبيعة العصر. تنزل الى الاعراس والمآتم والحكم والأمثال والشعر وحكايات الجدات وقصص الأطفال والكرة المسيطرة على الشباب والمسرح فى شكل خيال الظل أو القراكوز الذى لا يزال يعيش فى بعض القرى والمسرح المستورد ودائرة السامر. تنزل الى ما يفعل الناس حين يولدون وحين يتزوجون حين يحبون وحين يكرهون حين يحاربون وحين يموتون. . فتلك معالم الطريق الثقافى.

(١) الطُّاب:

(أ) لعبة قديمة فى الريف المصرى تتكون من: ولوح من الطين. . ١٢ نواه تمر. . ١٢ قطعة فى حجم النواة من الجريد. . ٦ قطع من الجريد بطول ٢٠سم تقريبا ذات وجهين أبيض وداكن.

(ب) يقسم اللوح الطينى الى ١٢ خطا عرضا و٣ طولا مثقوبة بما يسمح بايقاف النوى او قطع الجريد فيها.

(ج) يصف كل لاعب جنوده (النوى والقطع الصغيرة) ويتحرك فى الاتجاه المحدد له كما فى الشكل.

(د) تكون الحركة بناء على القواعد الآتية:

١ ـ يلقى كل لاعب بالقطع الستة. . والذى يظهر فى رميته عدد اكبر من الوجوه البيضاء يلعب أولا.

٢ ـ يرمى اللاعب القطع الستة ـ إذا كانت كلها بلون واحد (داكن ـ أو أبيض) يرقى جنديان الى الميدان (الخط الطولى الأوسط) اذا كان هناك وجه واحد أبيض يرقى جندى واحد للميدان.

٣ ـ فى المرات التالية يبدأ فى تحريك أى جندى رقى فى اتجاه عدوه ولا يصح تحريك أى جندى لم يرق.

٤ ـ حين يصل الى صف منافسه يقضى على جنوده الذين يقف العد (بناء على الوجوه البيضاء للقطع الستة) عندهم.

٥ ـ يلاحظ انه يجوز القضاء على جنود المنافس عند الوقوف فى النقطة التى يحتلونها سواء كانوا فى خط الميدان الأوسط او فى خطهم هم.

٦ ـ اللاعب الذى تنتهى جنوده اولا يخسر اللعبة.

(و) يلاحظ ان هذه اللعبة لا تعتمد على الحظ فقط ففيها استراتيجية فى حركة الجنود تنشط العقل وتعتمد على الذكاء وان لم يكن بدرجة الشطرنج مثلا.

(٢) الدكتور محمد غنيمى هلال: الأدب المقارن ـ مكتبة الانجلو، القاهرة ١٩٦٢ ص٣٣١.

(٣) دكتور محمد فتوح احمد: الرمز والرمزية فى الشعر المعاصر (دار المعارف ـ القاهرة: ط ١٩٧٨ ص١٦٩.

(٤، ٥) السابق ص١٨٠ وص١٨١.

(٦) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) قيم جديدة للأدب العربى القديم والمعاصر (معهد البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٦٧ ص١٨٥.

(٧) دكتور محمد فتوح احمد ص١٦٩. وقد اعتمد على حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر لجاك تاجر وهو احد مصادر الحركة الثقافية الهامة فى تلك الفترة.

(٨) العبارة نقلا عن جلال العشرى: ثقافتنا بين الاصالة والمعاصرة (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٧١ ص١٧.

(٩) انظر «تقرير اللجنة الفرعية الثانية» على مؤتمر الاصالة والتجديد فى الثقافة العربية المعاصرة (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ القاهرة ١٩٧١) ص٥٠.

(١٠) على ان هذه النظرة نفسها عورضت من بعض نقاد الغرب: انظر بحثنا العلاقة بين الدين والادب «المنهل» رجب١٤٠٤هـ ص٧٨، ص٧٦.

(١١) تأملات فى الادب المعاصر (دار الثقافة الدار البيضاء ١٩٧٩) ص٢٨١.

(١٢) الأول رواه أبو داوود والثانى رواه الترمذى.

(١٣) انظر على التحديد ـ كتابه: تجديد الفكر العربى (ط دار الشروق ١٩٧١) ص ص١٣، ١٦، ٣٠، ٣٣، ٤٥-٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٤-٥٧، ٥٧-٦١.

(١٤) ص٧ المرجع السالف الذكر.

(١٥) تجديد الفكر. . ١١-١٤.

(١٦) أشار الدكتور زكى نجيب محمود الى ان البعد الثقافى لكلمة ما فى ثقافة قد لا يمكن ايصاله بسهولة فى ثقافة اخرى كما ظهر من مقال لكاتب امريكى أراد ان يشرح موقفا لعمر بن الخطاب فاطال وأضاف شروحاً وهوامش حتى يفهمه القارىء الامريكى على حين يفهم العربى هذا الموقف فى لمحة ـ انظر ثقافة هذا العصر (دار الشروق ـ ط٢/ ١٩٨٢) ص٤٩.

(١٧) ناقش مؤتمر الأصالة والتجديد (السالف الذكر ص٢٤) مسألة التكنولوجيا وصلتها بالتطور النفسى والعلاقات الانسانية دون اسهاب.

(١٨) جاء فى المصدر السابق (ص٥١) إن على العرب أن ينفتحوا على جميع الثقافات والأفكار شريطة ألا يضيعوا فى خضمها وان يغلبوها ولا تغلبهم».

(١٩) المرجع السابق ص ص٥-٦ وقد صرح ممثل المملكة الاردنية محمود سيف الايرانى بأن قضية الاصالة والتجديد فى الثقافة العربية مازالت تشغل تفكيرنا» ص١٧.

(٢٠) ولعل كتابه تجديد الفكر العربى كله ينصرف الى تلك المحاولة.

(٢١) من الوفد العراقى مؤتمر الاصالة ص٤٠٠.

(٢٢) تتزايد الاهتمامات فى هذا المجال منذ السبعينات الميلادية مثل المؤتمر المشار اليه للمنظمة العربية وما تبعه من جهود للمنظمة حيث تشير لجنة المؤتمر إلى التوصية بضرورة انعقاده لنفس الغرض كل سنتين (ض١٣) ومثل كتاب زكى نجيب محمود تجديد الفكر. . وكتاب جلال العشرى ثقافتنا بين الاصالة والمعاصرة المذكورة اعلاه ولكنها محاولات لم تحقق بعد القدر المطلوب لهذه المصطلحات من وضوح وثبات.

(٢٣) تجديد الفكر، ص٦٩.

(٢٤) مؤتمر الاصالة، ص ص ٣٢-٣٨.

(٢٥) دار الكتاب العربى بيروت، ط ٦ (١٤٠٣/ ١٩٨٣م) «المحاضرة الاولى خاصة».

(٢٦) المرجع السابق، ص١٦.

(٢٧) زكى نجيب محمود، تجديد الفكر ص٨٢.



الحمد لله الذى جعل القرآن ربيع قلوبنا وبهجة نفوسنا ونور عقولنا. وهادى علومنا ومدبر امورنا ومرجع خلافنا وحكم ما بيننا ونظام دولتنا ومنهج امتنا ومحور فكرنا وملجأ تائهنا وهادى ضالنا وشفاء لما فى صدورنا. . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بلغ الرسالة وأدى الامانة وجاهد فى الله حق جهاده. . ورضى الله عن صحبه الكرام وأرضاهم. . ذادوا عن حياض الاسلام وباعوا المهج والارواح فى سبيله كانوا جنود الاسلام حقا وجذوره الاولى فكانوا خير القرون.

نزل عليهم القرآن فتدبروه ففقهوه فآمنوا به فعملوا به فبينوه فدعوا اليه.

كانوا عربا خلصا يفهمون القرآن بمقتضى سليقتهم العربية فإن أشكل عليهم معنى أو غمض عليهم مرمى جاءوا اليه ﴿ﷺ﴾ فبينه لهم وجلا معناه.

كانوا بفطرتهم يعرفون ما ينبغى السؤال عنه وكانوا بفطرتهم أيضا يعرضون عما لا طائل فى معرفته بل يعدونه تكلفا.

تعلموا وعَلَّموا القرآن ومعانيه فلم يتجاوزوا عشر آيات حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل. فجمعوا بين حفظ القرآن وفقهه والعمل به وما اجتمعت هذه الخصال فى أمة الا كان لها الفلاح فى الدارين وما تخلت عن جانب منها أو بعض جانب الا ضعف وتحللت قدر تخليها.

فلا عجب ان يهتم الصحابة رضى الله عنهم فى فتح المدارس لتعليم القرآن وتفسيره للناس.

فأنشأ عبد الله بن عباس رضى الله عنهما مدرسته فى مكة وكان من تلاميذه فيها سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب. . وأنشأ عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مدرسته فى العراق وكان من تلاميذه فيها علقمة والحسن البصرى وقتادة بن دعامة السدوسى. . وأنشأ أبىّ بن كعب مدرسته فى المدينة وكان من تلاميذه فيها محمد بن كعب القرظى وأبو العالية الرياحى.

فلا عجب من بعد هذا أن اقبل التابعون من بعدهم على القرآن الكريم يحفظون تلاوته ويتدارسون الفاظه ويستلهمون معانيه يلقون ذلك مشافهة حينا

دكتور
فهد بن عبد الرحمن الرومي
أستاذ مساعد ورئيس قسم
الدراسات القرآنية
الكلية المتوسطة
إعداد المعلمين / الرياض



القرآنية فى القرن الرابع عشر الهجرى

ويسطرونه على الورق حينا آخر فصدرت مؤلفات كثيرة فى عهد التابعين ومن بعدهم الى يومنا هذا فى الدراسات القرآنية. منها ما كان فى التفسير ومنها ما كان فى الناسخ والمنسوخ أو أسباب النزول أو مجاز القرآن أو المتشابه فى القرآن أو القرآءات أو رسم المصحف أو أقسام القرآن أو غير ذلك من علوم القرآن. وصل الينا بعض هذه المؤلفات وفقد باقيها.

ولكثرة هذه المؤلفات فانه ليس من السهل حصرها كلها والكتابة عنها. وقد كنت أود أن لو قام بعض الباحثين بالكتابة عن الدراسات القرآنية عامه والتفسير خاصة، حسب القرون فيكتب احدهم عن الدراسات القرآنية أو اتجاهات التفسير فى القرن الاول الهجرى ويكتب آخر عنها فى القرن الثانى وثالث فى القرن الثالث وهكذا.

وهم حين يكتبون لا يكتبون سردا للمؤلفات بل لابد من دراسة لهذه المؤلفات خاصة ودراسة عامة تبين اتجاه هذه الدراسات فى هذا القرن وما لها وما عليها وبمجموع هذه الدراسات يصبح لدينا موسوعة للدراسات القرآنية.

وحين طلب منى الاستاذ نبيه بن عبد القدوس الانصارى أن اكتب لهذا العدد الخاص اخترت هذا الموضوع «الدراسات القرآنية فى القرن الرابع عشر الهجرى» لعله يكون نواة لهذه الدراسات المقترحة ومع أنى أعرف صعوبة هذه الدراسة أولا وضيق المقالة الصحفية عنه ثانيا الا أنى رأيت الكتابة فيه ولو كنت مختصرا مقتصرا ولعلى أقتصر على جانب من هذه الدراسات وهو جانب التفسير والمؤلفات التفسيرية فى القرن الرابع عشر الهجرى وأرجىء الحديث عن الجوانب الاخرى الى مناسبة أخرى ان شاء الله. فليكن حديثى اذاً عن (التفسير والمفسرين فى القرن الرابع عشر الهجرى).

تمهيد

بينما كان العالم الاسلامى فى أوج حضارته العلمية كان العالم النصرانى فى اوروبا يتخبط فى ظلمات الجهل فقد سيطرت الكنيسة فيه على العقول وحظرت على اتباعها ممارسة كثير من العلوم فسيطرت على العلماء واحتكرت العلم واحتفظت لنفسها بحق تفسير ظواهر الحياة ولم تكن تتردد فى الاعدام والحرق والتعذيب تحت آلات أعدت له فى محاكم التفتيش لكل من يجرؤ على

مخالفتها من علماء الطبيعة والكيمياء والفلك وغير ذلك حتى لا يضيع سلطانها وهيبتها من النفوس.

كان هذا حال الشرق وحال الغرب لكن الامر لم يدم على هذا فقد اثار البابا جريجورى السابع الحرب الصليبية الاولى وعندما تحرك الصليبيون لم تكن هناك جبهة اسلامية موحدة فى الشرق الذى كان يعانى عهدئذ التفكك والانقسام فواصلوا زحفهم حتى القدس واستولوا عليها سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م(١) ثم لم تزل الحروب الصليبية على العالم الاسلامى تتتالى وكان من نتيجة هذه الحملات الصليبية ان نقلت الحضارة الاسلامية الى بلادهم فاستولى الاوروبيون على الكتب العلمية فى شتى العلوم والمعارف واقبلوا عليها دراسة وتجربة وتنمية ووقفت الكنيسة موقفها فاحرقت كثيرا من العلماء واعدمت الكثير لكن هذا لم يمنع العلماء من الظهور بمظهر الاستشهاد فى الدفاع عن مبادئهم وآرائهم حتى الموت مما اتاح الفرصة لدعاة التحرر الفكرى من سلطان الكنيسة فهدموا الكنيسة وهدموا الدين معها وانتهى ذلك الصراع الطويل بانتصار دعاة التحرر والحد من سلطان الكنيسة وحصره فانكمش نفوذ البابا ولم يعد يجاوز طقوس التعميد والصلاة والزواج والجنائز وبذلك تحقق فصل الدين عن الدولة(٢).

فى تلك الفترة كان العلم فى حالة انكماش فى الشرق وتمدد ونمو فى الغرب واستمر الأمر على هذا الحال. أضف الى ذلك ما عاناه العالم الاسلامى من حروب انهكته وحطمته بعد الحروب الصليبية نذكر منها هجمات المغول وسقوط الدولة العباسية على أيديهم وقتلهم الكثير من العلماء ورميهم للكتب العلمية فى نهر دجلة حتى صار ماؤه أزرق ثلاثة ايام(٣). كما يذكر المؤرخون ادت هذه الامور وغيرها الى ضعف العالم الاسلامى وانتقال الحضارة العلمية الى اوروبا التى وجهت طاقتها وعنايتها الى الاهتمام بالعلوم ونشرها.

ثم مر العالم الاسلامى بعد هذه الحروب التى انهكته - بفترة اخلد فيها الى الدعة وآثر السكون فلم تفت الفرصة على الاعداء فتداعوا عليه كما تتداعى الأكلة على قصعتها فأكلوا منه وشربوا حتى اصبح جسما بلا روح او كاد بل اصبح غثاء كغثاء السيل.

واستقر البلاد الاسلامية تحت سيطرة الدولة الاوروبية التى استغلت خيراتها ونعمت بثرواتها واستيقظ العالم الاسلامى على ازيز الطائرات ودوى المدافع وضجيج المصانع فانبهر بتلك الحضارة وبادر الى السؤال عن اسبابها ولم يفت على الاستعمار اعداد الجواب لمثل هذا السؤال فقد اقصى اصحاب الثقافة الدينية عن ميادين الاصلاح وحصر وظائفه فى المساجد التى قل روادها عموما وأصبحت الوظائف الحكومية وادوات التوجيه الاجتماعى فى ايدى اصحاب الثقافة الأوروبية(٤) الذين نشأوا فى احضان الاستعمار وتشبعوا بثقافته فسيطروا على اجهزة التعليم فى كثير من البلاد الاسلامية فضلا عن جهود الاستعمار الدائبة لنشر التغريب واللادينية بكل الوسائل الممكنة واوهموا الناس ان حالة العالم الاسلامى تشبه حالة أوروبا فى العصور الوسطى ولن ينهض إلا بما نهضت به اوروبا من فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية وبذلك يتحقق له ما تحقق للأوروبيين.

وهال الامر علماء المسلمين وذهبوا للرد على تلك الافكار مذاهب مختلفة وكان منهم طائفة اتخذوا تفسير القرآن سبيلا لذلك وسلكوا فيه مناهج متعددة منهم من سلك المنهج العقلى وذهب يقيم أسس الدين

الاسلامى عليه. ويدعو الناس اليه ومنهم من سلك المنهج العلمى التجريبى وبيّن وجوه الاعجاز القرآنى فيه ومنهم من سلك المنهج الادبى فبيّن الاعجاز البلاغى فى القرآن ودعا الى التأمل فيه. ومنهم من سلك المنهج العقائدى فذهب يبين اصول العقيدة واستمدادها من القرآن الكريم ومنهم من اقتصر على تفسير آيات الأحكام فيه فذهب يبيّن أحكام القرآن فى العبادات والمعاملات ومنهم من استقام تفسيره ومنهم من انحرف عن جادة الصواب.

ومثل هذا الكم الهائل من التفاسير للقرآن الكريم لا يمكننا أن نستوعبه كله بل نرى أن السبيل الامثل لمثل هذا دراسة المناهج والاتجاهات التى تحصر هذه المؤلفات ثم نورد تحت كل منهج بعض المؤلفات التى سلكته وعلى هذا فان المناهج التى سندرسها هى:

(١) الاتجاه العقائدى.

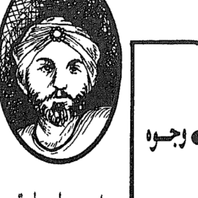
أ ـ منهج أهل السنة والجماعة.
ب ـ منهج الشيعة.
ج ـ منهج الاباضية.
د ـ منهج الصوفية.

(٢) الاتجاهات العلمية.

أ ـ المنهج الفقهى.
ب ـ منهج التفسير بالمأثور.
ج ـ منهج التفسير العلمى التجريبى.

(٣) الاتجاهات العقلية الاجتماعية.

● وجوه ثقافية ●



ابن بطوطة

محمد بن عبد الله اللواتى: (١٣٠٤-١٣٧٨) رحالة عربى، ولد بطنجة قضى ٢٨ سنة يجوب الأرض شرقا وغربا فقطع فى رحلاته مسافة لم يقطعها رحالة فى العصور الوسطى (قدرت بنحو ١٢٠٫٠٠٠كم) كانت رحلته الاولى لغرض الحج فخرج من طنجة (١٣٢٥م) وسار الى شمال افريقيا ومصر وزار بلاد الشام وادى فريضة الحج ثم تنقل فى فارس وبلاد العرب وزار شرق افريقيا ثم زار آسيا الصغرى والقرم، وحوض الفولجا الأدنى ودخل القسطنطينية ومنها سار شرقا الى خوارزم وبخارى وتركستان وافغانستان والهند حيث قضى ثمانية اعوام فى خدمة سلطان دلهى الذى ارسله فى سفارة الى الصين. وتعرف فى طريقه على جزر المهل (ملاديف) وبعض جزر الهند الشرقية (اندونيسيا والصين) ثم عاد الى طنجه (١٣٤٧) قام بعد ذلك برحلتين الاولى الى الاندلس (١٣٥٠) والاخرى الى السودان الغربى (١٣٥٢) وعاد الى فاس (١٣٥٤) فأقام بها حتى وفاته. وفيها املى وصف رحلاته ـ المشهورة باسم «تحفة النظار، وغرائب الامصار، وعجائب الأسفار» ـ على ابن جزى الكاتب ببلاط السلطان ابى عنان المرينى (٧٥٧هـ/١٣٥٦م) وقد ترجمت اجزاء من الرحلة ونشرت فى كثير من اللغات ونشر النص العربى الكامل فى القاهرة (١٨٧١-٧٥، ١٩٠٤) كما نشر مختصر له بعنوان «مهذب ابن بطوطة» (١٩٣٤)

(٤) الاتجاهات الادبية.

أ ـ المنهج البيانى.
ب ـ منهج التذوق الادبى.

(٥) الاتجاهات المنحرفة.

أ ـ المنهج الالحادى.
ب ـ المنهج القاصر.
ج ـ اللون اللامنهجى.

الاتجاه العقائدي

تعددت المناهج فى التفسير تعدد المذاهب فى العقيدة وكان لها صولة وكان لها جولة ثم خبا سعيرها وأصبح لا يرى فى رمادها الا وميض نار. الى أن جاء بعض المجددين ونبهوا المسلمين الى دينهم وأيقظوهم من سباتهم وأفاق المسلمون وعاد الكثير منهم الى الاسلام عودا حميدا واشتعل وميض النار من خلال الرماد فنشطت أيضا بعض الفرق الاسلامية وأصبح كل منهم يدعو الى مذهبه والى فرقته.

اذا ما نظرنا الى الفرق القائمة فى القرن الرابع عشر الهجرى وأردنا أن ندرس تفاسيرها فانا نجدها:

(١) اهل السنة والجماعة.
(٢) الشيعة.
(٣) الاباضية.
(٤) الصوفية.

وليس من شأننا هنا ان نبين أصول كل مذهب تفصيلا ولا أدلتهم استقصاءا ولكنا نشير اجمالا الى معتقدات كل مذهب وأهم المؤلفات فيه.

اهل السنة والجماعة:

والمقصود بمذهبهم ما سلم من الشبهات فى الاعتقادات خاصة فى مسائل الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر وفضائل الصحابة.

●● وسموا بأهل السنة لقول الرسول ﴿ﷺ﴾ عليكم بسُنتى وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى فهم الذين أخذوا بها.

●● ومجمل عقيدتهم الايمان بما وصف الله به نفسه فى كتابه وبما وصفه به رسوله ﴿ﷺ﴾ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل والايمان بملائكته وكتبه وأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأن الله تعالى تكلم به حقيقة. . ويؤمنون باليوم الآخر وبكل ما أخبر النبى ﴿ﷺ﴾ به مما بعد الموت فيؤمنون بفتنة القبر وعذابه ونعيمه وبالبعث وبالموازين والدواوين ـ وهى صحائف الاعمال ـ وبالحساب وبالعرض والحوض والصراط وبالشفاعة. وبالجنة وبالنار ويؤمنون بالقدر خيره وشره.

وان الايمان قول وعمل وانه يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان. ولا يكفرون أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ومن اصول اهل السُنة سلامة قلوبهم والسنتهم لاصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ ويحبون أهل البيت ويتولونهم ويمسكون عما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم، ومن اصولهم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على ما توجبه الشريعة ويرون اقامة الحج والجهاد والجُمَع والاعياد ويحافظون على الجماعات ويأمرون بمعالى الاخلاق وينهون عن سفاسفها.

ذلكم مجمل عقيدة أهل السُنّة والجماعة.

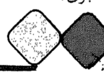
أما منهجهم فى التفسير فيقوم على أسس:

أولا : تفسير القرآن الكريم بالقرآن.

ثانيـــا : تفسير القرآن بالسُنّة .
ثالثـــا : تفسير القرآن بأقوال الصحابة .
رابعـــا : تفسير القرآن بأقوال التابعين .
خامسا : تفسير القرآن بعموم لغة العرب .
سادسا : التحذير من التفسير بالرأى المجرد من الدليل .
سابعـــا : العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .
ثامنـــا : ترك الاطناب عما أبهم فى القرآن .
تاسعـــا : التقليل من شأن الاسرائيليات .

وقـد سلك هذه العقيـدة وهذا المنهج طائفة من المفسرين فى العصر الحديث وان كان لبعضهم هنات الا أنها ـ ان شاء الله لا تؤثر فى مجمل مذهبه .

ومن أهم المؤلفـات التى سلكت هذا المنهـج فى القرن الرابع عشر الهجرى :





«مصطفى محمد كتوعة»

لقد استطاعت اثنينية الأستاذ عبد المقصود خوجة التي جمعت شمل الأدب ان تنسج من خيوط اللقاءات كساءً حريريًا ليكسو به جدار الثقافة ليس في بلادنا فحسب بل في البلاد العربية أيضا وذلك لأن الفكر ليس له وطن واحد فبلادنا التي نبع منها وهج الفكر في كل الأزمان كفيلة بان تعطي هذا الوهج في هذا العصر المليء بالمشاحنات والصراعات ولقد نجحت «الاثنينية» في رسم نهج واقعي لمسيرة الثقافة وبلورتها بمبدأ اليقظة الفكرية حتى تعم الفائدة اقطارنا العربية ليجني ثمارها كل من هو ضليع ومهتم بالأدب والثقافة

(١) محاسن التأويل

■ **المؤلف : محمد جمال الدين القاسمى .**

● ولد يوم الاثنين ١٢٨٣/٥/٨هـ فى دمشق .

● تعلم القـرآن اولا ثم تعلم الكتابة ثم انتقل الى مكتب فى المـدرسة الظاهرية ثم جوّد القرآن الكريم على شيخ القراء احمد الحلوانى وأجازه كثير من علماء عصره .

● توفى رحمـــه الله تعـــالى فى دمشق مســاء السبت ١٣٣٢/٥/٢٣هـ ودفن فى مقـبرة البـــاب الصغـير بدمشق وله من العمر ٤٩ عاما وترك عددا يقارب المئة من المؤلفات .

● ويكفى ما قالـه فيه الامير شكيب أرسلان «وانى لأوصى جميـع الناشئة الاسلامية التى تريد أن تفهم الشرع فهماً ترتاح اليه ضمائرها وتنعقد عليه خناصرها الا تقدم شيئا على قراءة تصانيف المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمى»(٥) .

● و قال الشيـخ محمد رشيد رضا «هو علامة الشام ونادرة الايام والمجدد لعلوم الاسلام محي السُنّة بالعلم والعمـل والتعليم والتهـذيب والتأليف وأحد حلقات الاتصـال بين هدى السلف والارتقـاء المـدنى الذى يقيضه الزمن»(٦) .

الكتـــاب :

ويقع الكتاب فى سبعة عشر مجلدا عدد صفحاتها ٦٣١٦ صفحة بدون المجلد الاول الذى جعله مقدمة لتـفـســيره . وصـــدرت الطبعــة الاولى بين عامى ١٣٧٦-١٣٧٧ من دار احياء الكتب العربية واعتنى به الاستـاذ محمد فؤاد عبد الباقى وأصدرت دار الفكر ببـيروت الطبعـة الثـانيـة عام ١٣٩٨هـ مصورة عن الطبعة الاولى .

طريقته فى التفسير:

سلك رحمه الله تعالى منهج اهل السنة والجماعة فى صفات الله تعالى. وكثيرا ما ينقل نقولا طويلة عن علماء السلف فينقل عن احمد بن حنبل وابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن جرير الطبرى وغيرهم.

وكثيرا ما يستشهد بالأحاديث النبوية من الصحاح والسنن والمسانيد ويرجع فى اللغة الى كتبها كالقاموس والصحاح وغيرهما.

ولكثرة نقله رحمه الله فانك لا تقرأ فى كثير من الابحاث الا النقول عن كتب السلف وله رحمه الله ما يبرر عمله.

(٢) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان

■ **المؤلف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله آل سعدى.**

● ولد فى عنيزة بالقصيم سنة ١٣٠٧هـ - توفى والده فكفلته زوجة والده وعطفت عليه أكثر من عطفها على أولادها وأدخلته مدرسةلتحفيظ القرآن فحفظه وهو فى الرابعة عشرة من عمره اشتغل بطلب علم التوحيد والتفسير والحديث والفقه. واشتهر بعلمه وارتفع قدره وذاع صيته وكثر طلبة العلم عنده.

● وتوفى رحمه الله تعالى قبل فجر الخميس ٢٢ جمادى الاخرة سنة ١٣٧٦هـ وترك عددا من المؤلفات تجاوزت الثلاثين مؤلفا. من أهمها هذا التفسير تفسير تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان.

● ويقع فى سبعة مجلدات وفرغ رحمه الله تعالى من تأليفه سنة ١٣٤٤هـ وصدرت طبعته الاولى سنة ١٣٦٥هـ ووزع مجانا على نفقة المؤلف ثم صدرت الطبعة الثانية بالمطبعة السلفية بالقاهرة ثم الثالثة بالرياض.

طريقته فى التفسير:

هذا التفسير وان كان شاملا لآيات القرآن الا أنه ليس من التفاسير المطولة وقد أشار الى هذا فى مقدمته.

ومما تميزت به طريقته فى التفسير أنه لا يكتفى فى موضع بما ذكره فى موضع آخر بل يذكر عند كل آية ما يحضره فيها وان كان قد سبق ذكره لأن الله وصف هذا الكتاب بأنه مثانى تثنى فيه الاخبار والقصص والاحكام - كما يقول.

(٣) أضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن

■ المؤلف محمد الامين بن محمد المختار الجكنى الشنقيطى.

● ولد رحمه الله تعالى سنة ١٣٢٥هـ فى تنبه من أعمال مديرية كيفا فى شنقيط وهى دولة موريتانيا الاسلامية الآن.

● توفى والده وهو صغير فسكن مع أمه عند أخواله وكانوا أهل علم. وكان بيتهم مدرسته الاولى فحفظ القرآن وتعلم رسم المصحف العثمانى ودرس الادب وأنساب العرب وأيامهم والسيرة النبوية ونظم الغزوات.. وسافر الى المملكة العربية السعودية لاداء الحج واتصل ببعض علمائها وقرأ بعض كتب الدعوة من مؤلفات شيخ الاسلام وتلميذه وبعض رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكان هذا كافيا لتنقية فكره مما شابه من تدنيس الخصوم وجلاء الحقيقة أمام ناظريه فآثر البقاء فى هذه الديار فدرس التفسير فى مسجد الرسول (ﷺ).

● ثم اختير مدرسا فى المعهد العلمى بالرياض سنة ١٣٧١هـ فمدرسا فى كليتى الشريعة واللغة العربية

الى سنة ١٣٨١هـ حين افتتحت الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فعاد اليها وفى سنة ١٣٩١هـ صدر تشكيل هيئة كبار العلماء وكان رحمه الله أحد اعضائها.. الى أن توفى رحمه الله تعالى ضحى يوم الخميس ١٣٩٣/١٢/١٧هـ بمكة المكرمة ودفن بمقبرة المعلاة.

● وله عدد من المؤلفات أهمها: «تفسير اضواء البيان فى ايضاح القرآن بالقرآن».

وصل المؤلف فى تفسيره هذا الى قوله تعالى ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ آخر سورة المجادلة. واستغرق هذا سبعة مجلدات صدرت بين عامى ١٣٨٦-١٣٩٦هـ ثم أكمل التفسير من بعده تلميذه عطيه محمد سالم فى مجلدين كبيرين صدر المجلد الثامن وهو الاول من التتمة فى شهر رمضان ١٣٩٧هـ والتاسع وهو الثانى بدون تاريخ وفيه تفسير جزء عم وبعض مؤلفات الشيخ رحمه الله.

طريقته فى التفسير:

التزم رحمه الله تفسير القرآن بالقرآن معتمدا على القرآءات السبع مبتعدا عن القرآءات الشاذة ومستندا الى السنة النبوية الطاهرة معتبرا لاقوال العلماء الثقات لا يتعصب لرأى ولا يحقر قولا بل ينظر الى ذات القول لا إلى قائله.. يستوفى الاقوال ويرجح بالدليل والبرهان. ان كنت اصوليا وجدت فى تفسيره دقائقه.. وان كنت من علماء الحديث وجدت فيه بدائعه.. وان كنت فقيها وجدت فيه وفاءه.. وان كنت من علماء العقيدة وجدت فيه صفاءها ونقاءها بل عقيدة أهل السنة والجماعة التى لا تشوبها شائبة.. وان كنت من علماء كل هذا وجدت فيه رواءك وشفاءك.



٤) فتح البيان فى مقاصد القرآن

■ المؤلف محمد صديق حسن خان.

● هو ابو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن على بن لطف الله الحسينى البخارى القنوجى ولد فى بريلى سنة ١٢٤٨هـ ثم رحل صغيرا الى قنوج وتعلم بـ «دلهى» فى الهند وانتهى به الترحال فى بهوبال حيث تزوج ملكتها.

● عرف بكثرة الكتابة فكان يكتب فى اليوم الواحد عدة كراريس وبلغت مؤلفاته نيفا وستين مصنفا بالعربية والفارسية والهندسية توفى رحمه الله تعالى سنة ١٣٠٧هـ.

● وقد تأثر فى مؤلفه بالامام الشوكانى رحمه الله تعالى فى تفسيره «فتح القدير» فجاء هذا أشبه ما يكون بملخص له مع زيادات لطيفة.

● وقد ألفه فى بهوبال سنة ١٢٨٩هـ فى عهد زوجته الملكة «شاه جيهان بيكم» التى أمرت بانشاء مطبعة خاصــة لطبــع هذا التفسـير وقـد طبـع بين عامى ١٣٠٠-١٣٠٢هـ فى عشـرة مجلدات وأعـادت طبعه المطبعة الاميرية ببولاق بمصر سنة ١٣٠٠هـ ثم صدر بعد ذلك فى عدة طبعات مصورة من لبنان.

● وأبـرز ما فى هذا التفسـير اهتمامه رحمه الله تعالى بابـراز الجانب البلاغى فى القرآن الكريم واعتباره له وجه الاعجاز فى القرآن. لكنه فى مواضع متعددة يذكر وجوها أخرى للاعجاز اضافة الى الاعجاز البلاغى.

(٥) صفوة الآثار والمفاهيم فى تفسير القرآن العظيم

■ المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن خلف الدوسرى.

● ولـد فى البحرين سنة ١٣٢٢هـ ونشأ فى الكويت وتعلم فى المدرسة المباركية واشتغل بالاعمال الحرة وكان له نشـاط كبـير فى الـدعـوة فى الصحافة وعلى منابر المساجد فى الداخل والخارج وانفق من ماله بسخاء فى سبيل ذلك.

■ له عدد من المؤلفات.

التفسير: صفوة الاثار والمفاهيم فى تفسير القرآن العظيم.

وقد بدأ المؤلف فى كتابته فى وقت مبكر وبالتحديد قبـل سنــة ١٣٨١هـ ثم بدأ نشـره فى مجلة البعث الاسلامى الهندية سنة ١٣٨٣هـ واستمر الى وفاته.

وبدأت اذاعة القرآن من الرياض فى بث هذا التفسير فى يوم الجمعة ١٣٩٣/٤/١ وأذاعت منــه ١٦٧٥ حلقـة مدة كل حلقــة عشـــر دقــائق واذيعت آخـر حلقـة منـه فى ١٣٩٩/٩/٣٠هـ ثم طبع بعد ذلك وصدر منه حتى الآن أربعة مجلدات فيها تفسير سور (الفاتحة والبقرة وآل عمران).

طريقته فى التفسير:

اهتم رحمه الله تعالى بتنقية العقيدة مما شابها فى العصر الحديث فكان ينبه على هذا فى مواضع عديدة ويلفت الانظار الى ما يخططه أعداء الاسلام وعلى رأسهم الماسونية من كيد ومكر لهدم الاسلام.

وهـو بهذا يبسـط أمـراض المجتمـع الاسـلامى العقـائـديـة والسيـاسيـة والاقتصـاديـة والاجتماعية فيشخص داءها ويصف دواءها.

ويحرص على التفريق بين الاسلام كمنهج وواقع المسلمين المعاصر وعدم إلقاء أخطاء المنتسبين للاسلام على الاسلام.

(٦) منار السبيل فى الاضواء على التنزيل

■ المؤلف: الشيخ محمد بن عثمان بن صالح القاضى.

● تتلمـذ على والـده وعلى الشيخ عبد الرحمن بن سعدى ثم على الشيخ محمد الصالح العثيمين وعلى غيرهم من العلماء وله عدد من المؤلفات.

التفسير: منار السبيل فى الاضواء على التنزيل.

وهو تفسير مختصر يقع فى أربعة أجزاء فى مجلدين سلك فيه مؤلفه منهج أهل السنة والجماعة طبع سنة ١٤٠٠هـ تقريبا.

(٧) بشائر الرضوان فى تفسير القرآن

■ المؤلف: على رفاعى محمد.
● من علماء الأزهر ومدرس الدعوة الى الله بالدراسات العليا بجامعة الازهر.

التفسير: بين يدى منه ستة أجزاء من الجزء ٢٤ إلى الجزء ٣٠ وهو تفسير مختصر يجمل مفردات الآيات وأسباب النزول وطبع سنة ١٣٨٨هـ.



(٨) الذخيرة فى تفسير اجزاء قرآنية

■ المؤلف محمد بن عبد الله الجزار.

تناول فيه المؤلف تفسير بعض السور من سورة الاحقاف الى سورة المرسلات. ويبدأ التفسير باللغة ثم الشرح وهو تفسير موجز يعنى فيه صاحبه بجانب الاصلاح الاجتماعى.

(٩) صفوة البيان لمعانى القرآن

■ المؤلف: حسنين محمد مخلوف.
● ولد سنة ١٨٩٠م فى القاهرة.. اتم الدراسة بالازهر والتحق بالقسم العالى بمدرسة القضاء الشرعى ونال شهادتها سنة ١٩١٤.
● عضو فى هيئة كبار العلماء.. وتولى رئاسة محكمة طنطا ومنصب مفتى مصر وعضو لمجمع البحوث الاسلامية بالازهر.. ونال سنة ١٤٠٣ جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الاسلام وله عدد من المؤلفات.

التفسير: صفوة البيان لمعانى القرآن.

ويقع فى مجلدين كبيرين وصدر منه أكثر من طبعة.. وهو تفسير مختصر يضع المؤلف النص القرآنى فى أعلى الصفحة ثم يفسر مفرداته فى هامشها من غير استطراد.

(١٠) تفسير سور المفصل من القرآن الكريم

■ المؤلف: عبد الله بن عبد الصمد كنون.
● من مواليد فاس بالمغرب سنة ١٣٢٦هـ نال شهادة العالمية من جامعة القرويين سنة ١٣٤٩هـ الامين العام لرابطة علماء المغرب.. عضو مجمع اللغة العربية بمصر.. وعضو بمجمع البحوث الاسلامية بمصر.. وعضو المجمع العلمى بدمشق. ومن مؤلفاته مفاهيم اسلامية، اسلام رائد، على درب الاسلام، تحركات اسلامية وغيرها.

التفسير: تفسير سور المفصل من القرآن الكريم.

ويقع فى جزء متوسط الحجم صدرت طبعته الاولى سنة ١٤٠١هـ وفيه تفسير المفصل من سورة الحجرات الى آخر القرآن وهو تفسير موجز.

(١١) بيان المعاني

■ المؤلف: عبد القادر ملاحويش ال غازى العانى.

التفسير: فسر المؤلف سور القرآن على حسب ترتيب النزول وهو تفسير يعنى بالتفسير الاجمالى أكثر من عنايته بالجوانب اللغوية والبلاغية وغيرها ويعقد ابحاثا قيمة فى ثنايا التفسير تحت عنوان «مطلب» وقد صدر سنة ١٣٨٢هـ.

(١٢) توفيق الرحمن فى دروس القرآن

■ المؤلف: فيصل بن عبد العزيز المبارك.

● ولد فى حريملاء سنة ١٣١٣هـ وأخذ العلم عن علماء الرياض وقطر وتولى القضاء بالجوف وله عدد من المؤلفات منها خلاصة الكلام فى شرح عمدة الاحكام، وبستان الاحبار مختصر نيل الاوطار فى جزءين كبيرين، ولذة القارى مختصر فتح البارى فى ثمانية أجزاء وغير ذلك.

التفسير: توفيق الرحمن فى دروس القرآن.

ويقع فى أربعة أجزاء فى ثلاثة مجلدات وقد وزع المؤلف الآيات على شكل دروس يفسرها مجتمعه ويعنى بالمعنى الاجمالى أكثر من عنايته بمفردات الآيات.

(١٣) الموجز فى تفسير القرآن الكريم

■ المؤلف: محمد رشدى حمادى.

التفسير: الموجز فى تفسير القرآن الكريم المصفى الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول.

اطلعت على جزءين منه الجزء الاول فى ٥٥١ صفحة بدون الفهارس وفيه تفسير سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والجزء الثانى وهو فى ٥٦٧ صفحة كذلك وفيه تفسير سورة النساء والمائدة والانعام وليس فيها ما يدل على رقم الطبعة ولا تاريخها أما الناشر فدار احياء الكتب العربية.

وسلك المؤلف منهج أهل السنة والجماعة واعتنى عناية واضحة بالتفسير بالمأثور حتى عد من التفاسير القليلة التى اعتنت بذلك فى العصر الحديث.

وبعد:

هذه بعض المؤلفات فى التفسير على منهج أهل السنة والجماعة فى القرن الرابع عشر الهجرى وقد كان بودى أن لو اقتبست من كل تفسير شواهد على ما أثبته لولا خشيتى أن تتحول هذه المقالة الى بحث واسع مطول لا يناسب المقام.

منهج الشيعة فى التفسير:

هم الذين يعتقدون أن على بن أبى طالب رضى الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله ﴿ﷺ﴾ وأحقهم بالامامة وولده من بعده ولهم عقائد وأصول أخرى شذوا بها بين المسلمين.

مجمل عقيدتهم:

■■ الاعتقاد أن الامامة لعلى رضى الله عنه جاءت بطريق التلميح والتصريح والاشارة والنص وان الامامة انتقلت من بعد على بن أبى طالب الى الحسن بن علىّ ثم الى أخيه الحسين بن على ثم الى ابنه على بن الحسين «زين العابدين» ثم الى ابنه محمد بن على «الباقر» ثم الى ابنه جعفر بن محمد «الصادق»

ثم افترقوا بعد ذلك الى فرقتين الامامية يعتقدون أن الامـامـة انتقلت بعـد ذلـك الى موسى بن جعفـر «الكاظم» ثم الى ابنه على «الرضا» ثم الى ابنه محمد «المهدى المنتظر» فى عقيدتهم وبهـذا تكـون الائمة عندهم اثنى عشر وسمو لذلك بالاثنى عشرية.

■■ امـا الاسـماعيلية فيرون انها انتقلت بعد جعفر «الصادق» الى ابنه اسماعيل ونسبوا اليه وانتهى بوفاة اسماعيل دور الظهور وبدأ دور الستر فكانت الائمة عندهم سبعة فسموا السبعية.

● ومجمـل اصـول العقيـدة عنـد الامـاميـة خمسة: «التـوحيـد.. النبوة.. الامامة.. العدل.. المعاد» وتتضمن اصولا وعقائد اخرى فيؤمنون بالبداء على الله «تنزه الله عن ذلك» وهو أن يظهر الله شيئا على لسان نبيه أو وليه أو فى ظاهر الحال لمصلحة تقتضى ذلـك الاظهـار ثم يمحوه فيكون غير ما قد ظهر.. وأرادوا بهذا تبرير اختلاف أقوال ائمتهم فيما أخبروا به فى المستقبل فانه ان وقع قالوا هذه معجزة وان لم يقع قالوا بدا لله فى أمره.

■■ ويعتقـدون بأن الامـام كالنبى يجب أن يكـون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن من سن الطفولة الى الموت عمدا وسهوا.

وان المهدى شخص معين معروف ولد سنة ٢٥٦ ولا يزال حيا.

ويعتقـدون بأن الله يعيـد قوما من الاموات الى الـدنيا فى صورهم التى كانوا عليها يعز فريقا ويذل فريقا آخر ويديل المحقين من المبطلين ويسمون هذا بـ«الرجعة».. ويؤمنون بالتقية وهى كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه وهى عندهم تسعة أعشار الدين.

■■ ولا يقبلون من السنة الا ما صح لهم من طرق أهـل البيت عن جدهم.. هذه اشـارة سريعـة الى بعض عقائدهم.

منهجهم فى التفسير:

ولهم منهج مستقل فى التفسير ساروا عليه أهم سماته:

الاول: تفسـير القـرآن بالقـرآن ثم بأقـوال الـرسـول «ﷺ» ثم أقوال ائمتهم ورفضوا ما رواه الصحابه عن رسول الله «ﷺ» وردوا رواياتهم كلها الا ما صح من طرق اهل البيت.

الثانى: للقرآن عندهم ظهر وبطن ويقصدون بهذا ان للقرآن مراتب من المعانى المرادة بحسب مراتب أهله ومقاماتهم.

الثالث: اسلوب الجرى فى القرآن عندهم.. وهو ان تطبق الايـات القرآنية على أئمتهم ـ ان كانت خيرا وعلى أعدائهم ان كانت شرا وان خالف هذا التطبيق الادلة والبراهين واللغة.

الرابع: التفسير بالرأى المجرد من الدليل.. ويظهر ذلك فى تفسيرهم لمسائل علم الكلام متأثر تأثرا بينا بنظرة المعتزلة.

الخامس: الإعتقاد بتحريف القرآن.. وقد ألف فيه بعض علمائـهـم المـعـاصـريـن مؤلفـات مستقلة ولاختصاصهم بهذه الفرية تجد أن اكثر الابحاث عن تحريف القرآن فى مؤلفاتهم.

وبعضهم ينكر القول به ـ تقية ـ لان التقية من أصـول مذهبهم كما مرّ وهم يقـولـون به على أقوال

مختلفة فى كيفيته . . وانما الجأهم إليه ضعف حجتهم وفقد الادلة على ما ذهبوا اليه وينسبون ـ إفتراء ـ الى إمامهم ابى جعفر عليه السلام أنه قال: «لولا أنه زيد فى كتـاب الله ونقص منـه ما خفى حقنـا على ذى حجى»(٧) والقول بذلك عند الشيعة مما اتفقوا عليه من القرن الرابع الى القرن السادس ولم ينكر القول بتحريف القرآن الا أربعة قال أحد أئمتهم «انه لم يعرف الخلاف صريحا الا من هؤلاء الاربعة»(٨).

وقـد قال بتحـريف القـرآن كثير من أئمتهم المعاصرين مثل حسين الطبرسى الذى وضع فى اثباته كتاب «فصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الارباب».

ومنهم محمـد حيـدر الجنابذى . . وميرزا سلطان أحمد الدهلوى . . ومحمد مجتهد اللكنوى وغيرهم كثير.

ولهذا الاساس فى منهجهم فى التفسير تجد بعض مفسريهم يوردون رواياتهم عن ائمتهم على أنها من القرآن ويـرفضـون بعضها لانها بزعمهم زيدت فيه ويحرفون بعضها نسأل الله لنا ولهم العافية والسلامة من الزيغ والضلال.

أهم مؤلفاتهم فى التفسير:

(١) *الميزان فى تفسير القرآن*: محمد حسين الطباطبائى.

المؤلف من أكـابـر علماء الشيعة فى ملقرن الرابع عشر الهجرى ولد سنة ١٣٢١ فى تبريز وأصل دراسته فى النجف عاد بعدها الى ايران وتصدر للتدريس فى مدينة قم وتوفى سنة ١٤٠٤هـ.

التفسير: اما التفسير فيقع فى عشرين مجلدا وبين يدى الطبعة الثانية منه وجاء فيها أنها تمتاز عن غيرها بالتحقيق والتصحيح الكامل واضافات وتغييرات هامه من قبل المؤلف. وقد صدرت هذه الطبعة بين عامى ١٣٩١ ـ ١٣٩٤.

وفرغ المؤلف من تأليفه كما يقول «فى ليلة القدر المبـاركة الثالثة والعشرين من ليالى شهر رمضان من شهور سنة ١٣٩٢هـ».

ولا شك أن هذا الكتاب يعتبر من أهم المؤلفات فى التفسير عند الامامية الاثنى عشرية فى القرن الرابع عشر الهجرى.

ولم يقتصر على لون من الوان التفسير بل كما وصفه مؤلفه على غلاف كل جزء «**كتاب علمى . . فنى . . فلسفى . . أدبى . . تاريخى . . روائى . . اجتماعى . . حديث يفسر القرآن بالقرآن» حسب قوله.**

ومن أهم الاسس التى جرى عليهـا الطباطبائى فى تفسيره هذا أنه اجتنب تفصيل آيات الاحكام لرجوع ذلك الى الفقه. وأنه وضع فى ذيل بياناته متفرقات من أبحـاث روائيـه يورد فيها ما ورد عن النبى ﴿ﷺ﴾ وأئمة أهل البيت من (طرق العامة والخاصة) ويقصد أهـل السنـة والجماعة والشيعة . . وأما الروايات عن الصحابة فلا يحتج بها.

وقـد وضع المؤلف ابحاثا مختلفة فلسفية وعلمية وتاريخية واجتماعية وأخلاقية وكثيرا ما يسلك المؤلف ما يسمى عند الشيعة بأسلوب الجرى وهو تطبيق آيات الثناء والمدح فى القرآن على ائمتهم وآيات الذم على اعدائهم. وهو من التفسير الباطنى.

وبقراءة قصيرة لهذا الكتاب ندرك فيها أن هذا التفسير لم يؤلف للعامة بل هو مؤلف للعلماء نظرا لما فيه من أبحاث دقيقة وهو عندى من التفاسير الجيدة لولا ما فيه من التشيع المتطرف.

وأنى لأعجب من هذه العقلية التى تغوص بك فى

عويص المعانى وتجلو لك غامض الحقائق أعجب منها اذا طفت الى السطح كيف يلتبس عليها الامر وكيف تختلط عليها الحقائق وتلتبس عليها السبل وكيف تقبل هذه الخرافات والمهازل.

صحيح أن المؤلف أورد غالب هذه السفاسف تحت عنوان بحث روائى وصحيح أن المؤلف يجعل بعضها من أسلوب الجرى. لكن هذا لا يعفيه من مسئولية ايرادها ولا يبرئه من انحراف اعتقادها وليست هذه الروايات هى المآخذ عليه فحسب بل يؤخذ عليه كل ما يؤخذ على العقيدة الامامية فما تفسيره الا على اصولها وما منهجه الا منهجها.

(٢) التفسير الكاشف

أولا: المؤلف هو محمد جواد مغنيه العاملى من علماء الشيعة الامامية ولد فى طيردبا فى لبنان سنة ١٣٢٢هـ وتعلم بالنجف وعاد فسكن بيروت ومات فيها سنة ١٤٠٠ونقل جثمانه الى النجف وله عدد من المؤلفات.

ثانيا: التفسير الكاشف:

ويقع فى سبعة مجلدات صدرت طبعته الاولى فى بيروت سنة ١٩٦٨ والطبعة الثانية سنة ١٩٧٨م.

● والمؤلف يورد الآية ثم يتبعها بتفسير بعض المفردات تحت عنوان (اللغة) ثم (الاعراب) ثم (المعنى) وتحته عناوين جزئية.

● ونص فى المقدمة على أنه ينظر الى الاسرائيليات على انها خرافة واساطير وأنه تجاهل الروايات فى أسباب النزول الا القليل منها وأهمل بيان المناسبة بين الآيات بعضها مع بعض.

● ثم جرى بعد ذلك على المنهج الشيعى فى التفسير والمؤلف ذو مكر فى تزييف الحقائق وتحريفها فاذا أراد تقرير عقيده عند الامامية ـ مثلا ـ أورد بعض الادلة الضعيفة عند أهل السنة ثم حمّلها مالا تحتمل أو أورد نصا صحيحا وبتره بترا ليستدل به على ما أراد وليس هذا مكان التفصيل.

(٣) التفسير المبين

أولا: المؤلف محمد جواد مغنيه.

ثانيا: التفسير الكاشف. . وهو فى مجلد كبير. . كتب التفسير فيه على هامش المصحف قال عنه صاحبه «ان هذا الكتاب تفسير وجيز لا نقاش فيه ولا مقارنة بين أقوال المفسرين ولا اسرائيليات ومطولات لان الهدف منه ان يتصور قارىء القرآن الكريم موضوع الآية ويتمثله ولو من بعض جوانبه» وكان فى أول أمره يريد أن يختصر تفسير جوامع الجوامع لشيخهم الفضل بن الحسن الطبرسى ثم عدل عن الاختصار وألفه تأليفا.

وصدر الكتاب سنة ١٣٩٨هـ فى مجلد كبير عدد صفحاته ٧٣٠ صفحة.

(٤) البيان فى تفسير القرآن

أولا: المؤلف ابو القاسم الخوئى.

ثانيا: التفسير: البيان فى تفسير القرآن. . صدر منه المجلد الاول فى ٥٥٧ صفحة ويحتوى على مدخل وتفسير فاتحة الكتاب وصدرت طبعته الاولى سنة ١٩٥٧م وبين يدى الطبعة الرابعة وقد صدرت سنة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

وهذا المجلد هو ما اطلعت عليه منه ويظهر لى أن حجمه كبير ذلك أن المجلد الاول جعل غالبه (٤١١ صفحة) مقدمة للتفسير ثم تفسير الفاتحة فى (٧٧ صفحة) ثم تعليقات فى (٤٠) صفحه ثم الفهارس

بعد ذلك . . والمؤلف لا يقل عن سابقه فى روغانه عن الحق .

(٥) الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن والسنة

أولا : المؤلف محمد الصادقى .

ثانيا : الكتاب ـ الفرقان فى تفسير القرآن بالقرآن والسنة . . وصدر منه حتى الان اربعة مجلدات هى الاجزاء ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٧ وهما فى مجلد واحد، ٢٦ .

بدأ المؤلف تفسيره من آخر القرآن وتفسيره هذا دراسات القاها على طلابه فى (قم والنجف) مع زيادات وتنقيحات لفظيه ومعنويه تفسيرا للقرآن بالقرآن متنا وبالحديث هامشا ـ كما يقول المؤلف ـ وقد صدرت طبعات الكتاب ما بين عامى ١٣٩٥ـ١٣٩٧هـ وفى هذا التفسير جم من غرائب التفسير الباطنى خاصة ما يورده فى الهامش من رواياتهم عن أئمتهم .

(٦) بيان السعادة فى مقامات العبادة

أولا : المؤلف سلطان محمد بن حيدر محمد الجنابذى الخراسانى .

ثانيا : الكتاب ـ بيان السعادة فى مقامات العبادة . . ويقع فى مجلدين كبيرين انتهى مؤلفه من تأليفه فى ١٣١١/٢/١٤ وصدرت طبعته الاولى والاخيرة فى ١٣١٤/٩/١٤هـ والمؤلف من غلاة الشيعة وممن يزعمون وقوع التحريف فى القرآن وقد أغرق المؤلف تفسيره بكثرة التأويلات الصوفية والشطحات والمواجيد والاشارات والاصطلاحات التى لا يكاد يعرف لها معنى بل هى أشبه ما تكون بالطلاسم .

(٧) آلاء الرحمن فى تفسير القرآن

أولا : المؤلف محمد جواد البلاغى . . من كبار فقهاء الشيعة الامامية ومفسريهم ولد فى النجف سنة ١٢٨٢ وتوفى فيها سنة ١٣٥٢هـ عارف بالعبرية والفارسية والانجليزية .

ثانيا : الكتاب ـ آلاء الرحمن فى تفسير القرآن . . صدر جزءان وطبع فى صيدا عام ١٩٣٣ـ١٩٣٤م .

(٨) تفسير سورة الزمر

الحسين السجاسى الزنجانى ت ١٣٢٢ .

(٩) مجمع الانوار ومعدن الأسرار

فتح على بن ولى بن على عسكر الزنجانى . ولد فى زنجان فى ايران سنة ١٢٦٨ وتوفى ١٣٣٨ .

(١٠) التبيان فى تفسير غرائب القرآن

محمد على بن محمد حسين الشهرستانى . . ولد فى كربلاء سنة ١٢٨٠هـ وتوفى فيها سنة ١٣٤٦ .

(١١) منتخب التفسير فى غريب القرآن

محمد على بن ميرزا محمد النجفى . . تعلم فى النجف ومات فى طويج بين النجف وكربلاء سنة ١٣٣٤هـ .

(١٢) محاضرات فى تفسير الآيات

اسماعيل الصدر من علماء بغداد والكتاب طبع فى النجف سنة ١٣٨٣هـ .

(١٣) جوامع الخيرات فى تفسير الآيات

ويقع فى خمسة مجلدات . . حبيب الله بن زين العابدين القمى . . من اهل قم ـ بها ولد ونشأ وتعلم سنة ١٢٨٩ وتوفى فى زيران سنة ١٣٥٩هـ .

(١٤) أحسن القصص فى تفسير سورة يوسف

على بن محمد بن دلدار النقوى ـ ولد سنة ١٢٦٠ وتوفى سنة ١٣١٢هـ من أهل «لكهنوء» بالهند .

(١٥) التبيان فى تفسير غريب القرآن

على بن محمد الحسينى المرعشى ـ ت ١٣٤٤هـ .

وبعد . .

هذه أبرز المؤلفات التفسيرية عند الامامية الاثنى عشريه فى القرن الرابع عشر الهجرى .

منهج الاباضية فى التفسير:

● *اما الاباضية فنسبتهم الى «عبد الله بن أباض» من أهل العراق أخذ العلم عن جابر بن زيد .*

● *ويوجد أتباع المذهب الاباضى فى القرن الرابع عشر الهجرى فى عمان . . وزنجبار . . وجبل نفوسه وزواره بليبيا . . وجزيرة جربه فى تونس . . ووادى ميزاب فى الجزائر .*

● *ويرجع تاريخ ظهور هذا المذهب الى القرن الاول من الهجرة اذ أن عبد الله ابن أباض كان معاصرا لعبد الملك بن مروان وكان بينهما مراسلات ولا يعرف لولادة أو وفاة عبد الله بن أباض تاريخ .*

● *وهم يؤولون الصفات وينكرون الرؤيه ويذهبون مذهب المعتزلة فى أن القرآن مخلوق . . ويعتقدون خلود صاحب الكبيرة فى النار الا أن الموحد أخف عذابا من غيره . . ويرون أن الشفاعة لا تنال أصحاب الكبائر من الامة المحمدية . . ويتبرؤن من أهل المعاصى مطلقا سواء كانت كبائر كفر نعمة أو كبائر شرك والبراءه عندهم توجب البغض وكذلك الشتم أى شتم العاصى لعصيانه والكافر لكفره(٩) .*

■ ويعتقدون أن البيعه انتقلت بعد على رضى الله عنه الى عبد الله بن وهب الراسبى الذى بايعوه بعد التحكيم .

أما مصادر التشريع عندهم بعد القرآن مسند الربيع بن حبيب ويليه فى الرتبة كتب الصحاح .

المنهج الاباضى فى التفسير:

● ظاهرة بارزة فى تأريخ الاباضية هى قلة المؤلفات عندهم ليس فى العصر الحديث بل فى القديم أيضا وأقل هذا القليل ما كان فى تفسير القرآن الكريم لذلك لا يستطيع الباحث أن يستخرج منهجا مرسوما يستطيع بكل ثقه أن يقول عنه هذا هو منهجهم .

● وما كتب من تفاسيرهم ـ قديما ـ لا يوجد الا تفسير واحد فى اربعة مجلدات هو تفسير هود بن محكم وتداوله نادر وما عداه فمفقود .

● وفى القرن الرابع عشر الهجرى لا تكاد تعثر الا على عدد محدود من المؤلفات . . اليك ما عثرت عليه منها :

●● هميان الزاد الى دار المعاد:

أولا : المؤلف محمد بن يوسف بن عيسى اطفيش . . ولد سنة ١٢٣٦هـ فى بلدة يسجن فى وادى ميزاب فى الجزائر وله عدد من المؤلفات كبير وتوفى سنة ١٣٣٢ وعمره ٩٦ سنة .

ثانيا : التفسير ـ هميان الزاد الى دار المعاد . . وصدرت طبعته الاولى فى زنجبار بالمطبعة السلطانية سنة ١٣١٤هـ وذكر الاستاذ «محمد حسين الذهبى» أن هذا التفسير يقع فى ١٣ مجلدا كبيرا . . وذكر الزركلى فى الاعلام أنه فى ١٤ جزءا . . وذكر وزير التراث العمانى فى مقدمته للطبعة الثانية من هذا التفسير انهم عثروا على نسخة وحيدة منه فى ١٥ مجلدا وقد حاولت التأكد من عدد مجلداته فزرت دار الكتب المصرية وطلبت المجلد الاخير منه فناولنى المجلد الثانى عشر وآخره تفسير سورة الحجرات واعتذر بعدم وجود ما بعد هذا المجلد .

وعلى كل حال فان هذا التفسير هو أهم مؤلفات الاباضية فى التفسير فى العصر الحديث وقد أعادت وزارة التراث القومى والثقافة بسلطنة عمان طباعته فصدر الجزء الاول منه سنة ١٤٠١هـ ولم يصدر حتى الآن سواه حسب علمى وقد حاولت الحصول عليه كاملا بسبل متعددة ولم أستطع .

●● تيسير التفسير:

■ نفس المؤلف السابق .

أما التفسير فهو اختصار للتفسير السابق وصدرت

طبعته الاولى فى سبعة مجلدات طبع بلاد المغرب وبالحروف المغربية وصدرت أجزاؤه بين سنتى ١٣٢٥-١٣٢٧هـ . . وقد أعادت وزارة التراث القومى والثقافة فى سلطنة عمان طبعه فصدر الجزء الاول منه بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجرى وبين يدى من هذه الطبعة الجزء الاول.

●● تفسير داعى العمل ليوم الامل:

■ نفس المؤلف السابق.

وهو التفسير الذى لم يكمله مؤلفه وقد اطلع الشيخ (محمد حسين الذهبى) على نسخته المخطوطة لدى ابن اخ المؤلف فى القاهرة ورآها تحتوى على تفسير الاجزاء الاربعه الاخيرة من القرآن وتقع فى مجلدين.

●● القول الوجيز فى كلام الله العزيز:

المؤلف: صالح بن عمر بن داود بن صالح - ولد فى يسجن سنة ١٢٨٧هـ وتوفى سنة ١٣٤٧هـ.

● التفسير: توفى المؤلف ولم يكمل تفسيره هذا وأظنه ما زال مخطوطا.

وبعد . . هذه هى أهم مؤلفات التفسير عند الاباضية فى القرن الرابع عشر الهجرى لا أعلم سواها الا ما كان دروسا غير محرره كدروس ابراهيم بن عمر بن بابه الملقب بيوض (١٣١٦-١٤٠٠هـ) الذى القى دروسا فى تفسير القرآن مدة ٤٥ سنة من ١٣٥٤ الى سنة ١٤٠٠ سنة وفاته ولم يطبع منها شيىء.

منهج الصوفية فى التفسير:

● تعريف التصوف والصوفية:

لن أتعرض هنا لنشأة التصوف أو سبب تسميتهم بالصوفية أو نحو ذلك لان هذا موضعه كتب العقائد لكنى أعرض عرضا سريعا لاعطاء القارىء لمحة موجزة عنهم أنفذ منها الى مؤلفاتهم.

وخلاصة الامر أن التصوف فيما أرى مر بثلاث مراحل:

المرحلة الاولى: مرحلة الزهد . . وهو نمط من العزوف عن الشهوات ايثارا لتربية النفس وتهذيبها وترويضها فى العزوف عن المحرمات.

المرحلة الثانية: مرحلة الفلسفة: ثم انتقل الى الدور الثانى حيث دخلته الفلسفة فتحول الى التصوف الفلسفى الذى أدى بأتباعه الى الالحاد فى الدين والانحراف عن جادة الصواب وأشهر المنتسبين الى التصوف هم من هذه المرحلة.

المرحلة الثالثة: مرحلة الانحطاط . . حيث تحولت الصوفية شيئا فشيئا عن الفلسفة والبحث عما وراء الطبيعة الى ما يسمى جلسات الذكر والمجاهدة مع الغناء والرقص . . وتأسست التكايا ونشأت الطرق وكثر المرتزقة والدجالون والمحتالون والمشعوذون . . وكثر التكلم بالكرامات وخوارق العادات . . وتطرفوا فى الايمان بالاولياء فنصبت فوق قبورهم القباب واقيمت لهم الموالد والأعياد - وصاروا يزورون القبور لجلب الاولاد أو الشفاء من الامراض والعاهات أو جلب الحظ أو الاكثار من الرزق (١٠) رهبانية ابتدعوها.

منهج الصوفية فى التفسير:

مما سبق فى بيان ادوار الصوفية يظهر أن منهجهم فى التفسير ينقسم الى قسمين:

الاول: منهج فلسفى نظرى.

الثانى: منهج فيضى اشارى: وهو وليد اتخاذهم اصطلاحات وعبارات ضمنوها أسرارا ومكاشفات ومكنونات لا يعلمها الا أصحاب المقامات فى نظرهم وفسروا على ضوئها آيات القرآن الكريم فتولد عندهم هذا اللون من التفسير.

أما اللون الاول من التفسير عندهم: فقد سلكه من فلاسفتهم ابن عربى الذى فسر القرآن على هذه الطريقة . . ولا أعلم كتابا فسر القرآن من بعده على

شاكلته مع ان تفسيره هذا ليس شاملا للقرآن بل هو نصوص متفرقة.

ولم يوجد أحد غير ابن عربى هذا فسر القرآن على هذا النحو لا فى القديم ولا فى الحديث.

أما اللون الثانى: المنهج الفيضى الاشارى.

فخلاصة تعريفه أنه تأويل آيات القرآن الكريم بغير ظاهرها بمقتضى اشارات خفية تظهر لارباب السلوك وقد يمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا.

●● وقد أنكر كثير من العلماء هذا اللون من التفسير وشنعوا على أصحابه.. وقبله بعض أربابه.. ووضع آخرون شروطا لقبوله هى:

(١) الا يتنافى وظاهر النظم القرآنى الكريم.

(٢) ان يكون له شاهد شرعى يؤيده.

(٣) الا يكون له معارض شرعى أو عقلى.

(٤) ان لا يدعى أن التفسير الاشارى هو المراد وحده دون الظاهر بل لابد من الاعتراف والتسليم بالمعنى الظاهر(١١).

أهم المؤلفات فى التفسير الاشارى:

انقسم المفسرون السابقون فى تفاسيرهم من ناحية التفسير الاشارى الى أقسام خمسة:

الأول: من أعرض كل الاعراض عن هذا اللون من التفسير وغالب المفسرين من هذا القبيل.

الثانى: من التزم فى أكثر تفسيره التفسير بالظاهر مع اشارات قليلة الى التفسير الاشارى ومثاله تفسير النيسابورى.

الثالث: من جعل غالب همه فى التفسير الاشارى لكن يضيف اليه بقلة التفسير الظاهر كتفسير سهل التسترى.

الرابع: من جعل همه كله فى التفسير الاشارى ولا يشير مطلقا الى التفسير الظاهر كتفسير أبى عبد الرحمن السلمى.

من جمع بين التفسير الاشارى والتفسير الصوفى النظرى مع الاعراض كل الاعراض عن التفسير بالظاهر كتفسير ابن عربى.

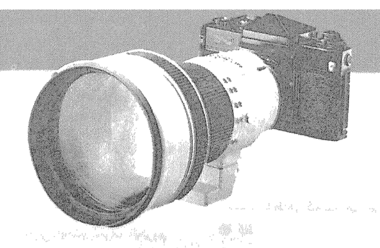
● كانت تلك الاقسام الخمسة هى حال أصحاب التفسير قديما أما فى القرن الرابع عشر الهجرى فلا تكاد تجد أحدا من الانواع الثلاثة الاخيرة - على حد علمى - أما اللون الاول الخالى من التفسير الاشارى فموجود وبكثرة.. أما اللون الثانى فموجود ولكن بقلة.

● ومما زاد القلة قلة ان اقطاب التصوف فى العصر الحديث والذين ألف بعضهم فى التفسير لا تكاد تجد أى دلالة لا من قريب ولا من بعيد - على انتمائهم الصوفى فى التفسير بينما تزخم كتبهم الاخرى برموزهم واصطلاحاتهم.

ولست التمس بهذا عذرا فى قلة ما عرفته من مؤلفاتهم لكنى أبين الواقع الملموس.

وبهذا أيضا نأتى على تناول اهم المناهج العقدية فى القرن الرابع عشر الهجرى.

(١) التاريخ الاسلامى ابراهيم الشريقى ص٢٢٣.
(٢) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر محمد محمد حسين ج١ ص٢٥٤ - ٢٥٥.
(٣) مجلة التمدن الاسلامى السنة ١٥ الجزءان ١٥، ١٦ رجب ١٣٦٨هـ ثروتنا العلمية وفهارسها: احمد مظهر العظمة ص٣٤٧.
(٤) الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر: ج١ ص٢٥٥.
(٥) مقدمة قواعد التحديث: للقاسمى.
(٦) مجلة المنار - المجلد السابع عشر ص٥٥٨.
(٧) انظر تفسير العياشى ١/ ١٣ والصافى للمحسن الكاشى ص١٠ والبرهان للبحرانى ١/ ١٢ والبحار للحجلى ١٩/ ٣٠.
(٨) فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الارباب - حسين الطبرسى ص١٥.
(٩) طلقات المعهد الرياضى: سالم بن حمود بن شامس ص١١٩.
(١٠) انظر التصوف بين الحق والخلق: محمد فهر شقفه ص٥٠-٥١.
(١١) الاحياء: الغزالى ج١ ص٢٩٨ والاتقان: السيوطى ج٢ ص١٨٥



منذ فترة دأبت مجلتكم المنهل وعبر مجلتها الداخلية «السائح» على اصطحابك قارئنا العزيز فى سياحة استطلاعية نقف فيها على احد روافد الثقافة والعلم فى عالمنا العربى والاسلامى الكبير. ولقد فكرنا كثيرا عند إعداد عددنا الماثل بين يديكم فى امكانية عمل استطلاع مصور عن احد روافد الثقافة العربية. وتعددت أمامنا تصورات شتى عن مراكز الثقافة فى العالم العربى وكان توجهنا الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الاليسكو) لتكون محور استطلاعنا هذا. وكان هذا الاختيار لعدة اسباب منها:

ان هذه المنظمة تعد الركيزة الثقافية الاولى فى وطننا العربى الكبير من حيث الدراسة والتنظير والتخطيط والبرمجة.. وخلال كل مراحلها قدمت الكثير الذى يؤكد ويؤصل فاعليتها ودعمها المتواصل لاداء رسالتها المنوطة بها.. وحزم مدير تحرير المجلة حقائبه وغادرنا الى تونس الشقيقة حيث مقر هذه المنظمة. وكان هذا الاستطلاع الذى نأمل ان يعطى القارىء الكريم إضاءات معرفية حول المنظمة العربية وان يعطى ايضا خطوطاً عريضة لخطط المستقبل الحافل بكل خير باذن الله تعالى.

نشأة المنظمة وأهدافها

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منظمة باشرت نشاطها الفعلى كوكالة متخصصة فى نطاق جامعة الدول العربية باجتماع مؤتمرها العام فى دورته العادية الاولى المنعقدة بالقاهرة فى ٢٥ يوليو/تموز ١٩٧٠م.

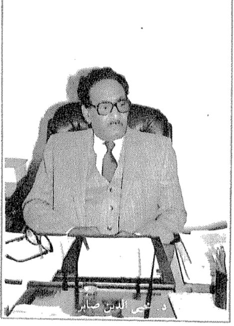
وكان ميلاد المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تجسيدا لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية ومتابعة لما هدفت اليه المعاهدة الثقافية التى كانت اول معاهدة فى نطاق العمل العربى المشترك تعقد بين الدول العربية سنة ١٩٤٥م.

وكان مجلس جامعة الدول العربية فى دورة انعقاده العادية الحادية والاربعين المقامة فى شهر مايو/ ايار سنة ١٩٦٤م قد اقر مشروع ميثاق الوحدة الثقافية ودستور المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بناء على مقترحات المؤتمر الثانى لوزراء المعارف

المنظمة العربية
للتربية والثقافة والعلوم

والتربية والتعليم المنعقد فى بغداد فى ٢٩ فبراير/ شباط١٩٦٤م وقد رصد للمنظمة هدف تنظيم الجهود المشتركة التى تقوم بها الدول الاعضاء فى سبيل تحقيق ميثاق الوحدة الثقافية الذى صدر «استجابة للشعور بالوحدة الطبيعية بين ابناء الامة العربية وايمانا بان وحدة الفكر والثقافة هى الدعامة الاساسية التى تقوم عليها الوحدة العربية وبان الحفاظ على التراث الحضارى العربى وانتقاله بين الاجيال المتعاقبة وتجديده على الدوام هو ضمان تماسك الامة العربية ونهوضها بدورها الطليعى الابداعى فى مجال الحضارة الانسانية والسلام العالمى المبنى على اسس العدل والحرية والمساواة».

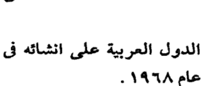
لدى قيام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى ٢٥ يوليو/ تموز سنة ١٩٧٠م الحقت بها الاجهزة الثقافية التى كانت تابعة للامانة العامة لجامعة الدول العربية آنذاك وهى :

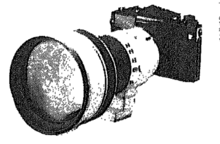


د. [illegible] الدين صابر

- الادارة الثقافية التى تمخضت عن المعاهدة الثقافية عام ١٩٤٥ .
- ومعهد احياء المخطوطات العربية الذى انشىء بناء على قرار مجلس الجامعة العربية سنة ١٩٤٦ .
- ومعهد الدراسات العربية العالية الذى بدأت الدراسة فيه سنة ١٩٥٣ .
- والمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربى الذى انبثق عن مؤتمر التعريب فى الرباط عام ١٩٦١ وتبنته جامعة الدول العربية عام ١٩٦٩ .
- والجهاز الاقليمى العربى لمحو الامية الذى وافق مجلس







الدول العربية على انشائه فى عام ١٩٦٨ .

- واخيرا قسم العلوم والتكنولوجيا الملحق آنذاك بمكتب الامين العام لجامعة الدول العربية.

ولكن كان الهدف الذى تعمل لتحقيقه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وهو التمكين للوحدة الفكرية بين اجزاء الوطن العربى عن طريق التربية والثقافة والعلوم ورفع المستوى الثقافى فى هذا الوطن حتى يقوم بواجبه فى متابعة الحضارة العالمية والمشاركة الايجابية فيها وذلك حسب ما تنص عليه المادة الاولى من دستور المنظمة فانها منظمة ذات ابعاد عالمية منفتحة على كل تعاون يهدف الى ايجاد حوار فعال ومستمر للغات والحضارات.. فهى مدعوة الى الحضور حيث تكون الثقافة العربية والانتاج الفكرى العربى والجماعات العربية.

* ويحدد دستور المنظمة وسائل تحقيق هذا الهدف الكبير فى:

- تنسيق الجهود العربية فى ميادين التربية والثقافة والعلوم.

- النهوض بالتعليم والثقافة وذلك بالتعاون مع الدول الاعضاء بناء على طلبها للنهوض بالفكر الى المستوى الذى يتيح للعرب حياة فكرية مثمرة تمكنهم من تحمل ما تقتضيه الحرية من مسؤوليات.

- تشجيع البحث العلمى فى البلاد العربية والعمل على ايجاد هيئة من الباحثين.

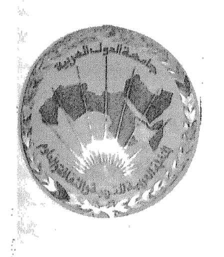
- اقتراح المعاهدات وجمع المعلومات والحقائق والبيانات الخاصة بتنفيذ المعاهدات التربوية والثقافية والعلمية والفنية التى تبرم بين البلاد العربية.

- المساعدة على تبادل الخبرات والمعلومات والتجارب التربوية والثقافية والعلمية والمعونات الفنية وتنسيق هذا التبادل والمساهمة فى الحفاظ على المعرفة وتقدمها ونشرها.. وفى سبيل القيام بهذه الاعباء فقد استحدثت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم فى خلال مسيرتها الاجهزة الفنية واسست النظم الادارية واصبح لها وجود مؤسسى فى معظم الدول الاعضاء التى تستضيف المراكز التربوية والثقافية والعلمية والاجتماعية.



تتكون من مؤتمر عام ومجلس تنفيذى وادارة عامة وادارات رئيسية واجهزة متخصصة.. والمؤتمر العام الذى يتألف من وفود الدول الاعضاء هو السلطة التشريعية العليا للمنظمة. ويجتمع المؤتمر العام فى دورة عادية مرة كل سنتين.. وتشمل اختصاصات المؤتمر العام:

«تحديد الخطوط الرئيسية لعمل المنظمة واتخاذ القرارات بشأن مقترحات المجلس التنفيذى ودعوة الدول الاعضاء الى عقد مؤتمر على النطاق العربى فى التربية والثقافة والعلوم او مؤتمرات غير حكومية تتناول نفس الموضوعات وتقديم المشورة الى مجلس جامعة الدول العربية فى مجالات التربية والثقافة والعلوم ودراسة تقارير الدول الاعضاء السنوية التى تقدمها الادارة العامة بعد تحليلها وانتخاب اعضاء المجلس التنفيذى وتعيين المدير العام للمنظمة والموافقة على مشروع الميزانية والبرامج...».





اما المجلس التنفيذى للمنظمة

فتشمل اختصاصاته إعداد جداول اعمال المؤتمر العام ومتابعة تنفيذ البرامج التى يوافق عليها وتقديم المشورة لمجلس جامعة الدول العربية والتوصية بقبول اعضاء جدد فى المنظمة ويجتمع المجلس التنفيذى فى دورة عادية مرتين على الاقل كل عام.

اما اعضاء المجلس التنفيذى

فان المؤتمر العام يقوم بانتخابهم من بين مندوبى الدول الاعضاء وينضم اليهم رئيس المؤتمر العام بصفة استشارية ويحضر المدير العام للمنظمة جلسات المجلس التنفيذى وتبدأ عضوية المجلس التنفيذى من تاريخ انتهاء دورة المؤتمر العام الى نهاية الدورة العادية التالية له.

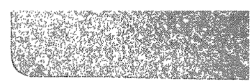
ويتولى المدير العام للمنظمة الدكتور محيى الدين صابر - المدير العام الحالى وثانى مدير عام لها بعد الدكتور عبد العزيز السيد - شؤون الادارة والاشراف وهو وحده المسؤول امام المؤتمر العام والمجلس التنفيذى عن جميع اعمال المنظمة ويشارك هو او من ينيبه فى اجتماعات المؤتمر العام والمجلس التنفيذى واللجان ويقدم لها مقترحاته ويضع مشروع برنامج العمل والميزانية ويعرضها على المجلس التنفيذى ويعد تقارير دورية يبلغها للدول الاعضاء ويعرضها على المجلس التنفيذى، وباقى الموظفين بترشيح من لجنة الموظفين.

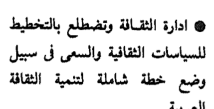
وينتخب المدير العام للمنظمة مؤتمرها العام ويساعده على اداء مهامه مديرون عامون مساعدون فى مجالات التربية والثقافة والعلوم.

الادارة العامة وأجهزتها

الادارة العامة هى الهيئة التنفيذية للمنظمة وتتولى الشؤون المناطة بها فى اطار خطة العمل التى يقرها المؤتمر العام وتتكون الادارة العامة من الادارات والاجهزة المتخصصة التالية:

- **ادارة التربية ومن مهامها تنسيق السياسات التربوية وتشريعاتها وبنيانها واساليبها بهدف تحقيق الوحدة الفكرية التربوية.**
- **ادارة البحوث التربوية والتى انشئت تلبية للاحتياجات العربية للبحث التربوى ولترشيد العمل فى هذا المجال.**





● ادارة الثقافة وتضطلع بالتخطيط للسياسات الثقافية والسعى فى سبيل وضع خطة شاملة لتنمية الثقافة العربية.

● ادارة العلوم وتعمل فى مجالات العلوم والتكنولوجيا لتوثيق الصلة بين العلوم والتنمية الشاملة فى الوطن العربى.

● ادارة التوثيق والمعلومات وتختص باعداد الركائز الفنية وتوفير الخدمات البيلوغرافية واجراء الدراسات النظرية والميدانية.

● ادارة الاعلام وتقوم بالدراسات والبحوث والندوات الاعلامية طويلة المدى على صعيد الوطن العربى.

● ادارة الشؤون المالية والادارية التى تقوم بتحضير مشروع الميزانية وتنفيذ قرارات المؤتمر العام والمجلس التنفيذى.

● ويوجد ضمن ادارة المدير العام فروع للتخطيط والدراسات والاعلام.

● واخيرا يوجد بالادارة العامة جهاز تنمية الثقافة العربية فى الخارج كجهاز ملحق بالادارة العامة يهدف الى تمويل مشروعات نشر اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية فى الخارج.

وتجسيدا للمد الذى شهده نشاط المنظمة ولاتساع رقعة تحركاتها على صعيد الوطن العربى نشأت اجهزة جديدة رافدة ومكملة لمختلف الادارات والاجهزة الاساسية بحيث اصبح وجود هذه الاجهزة فى الوطن العربى على النحو التالى :

- *معهد المخطوطات العربية بالكويت.*
- *معهد البحوث والدراسات العربية ببغداد.*
- *مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى (بالرباط).*
- *معهد الخرطوم الدولى للغة العربية (الخرطوم).*
- *الجهاز العربى لمحو الامية وتعليم الكبار ومركز اعداد وتدريب قيادات محو الامية وتعليم الكبار (البحرين) (طرابلس).*

ومباشرة لسياسة التعاون الافريقى العربى فى الحقل الثقافى انشأت المنظمة المكتب الاقليمى لشرق افريقيا ويشرف المكتب على تنفيذ المشروعات والبرامج المشتركة للمنظمة مع دول شرق افريقيا ومتابعة قضية التعريب فى الصومال وجيبوتى. ودعم الجهود المبذولة لحلها. والعمل على نشر الثقافة العربية وتكثيف التعاون العربى الافريقى وتنفيذ برامج الصندوق العربى للمعونة الفنية وغيره من المؤسسات والاجهزة العربية.

ويضم المكتب نشاطين هامين احدهما معهد التدريب الادارى ويقوم على تعليم الصوماليين الطباعة على الالة الكاتبة العربية والتدريب على اعمال السكرتارية.

واما النشاط الثانى فهو المركز الثقافى الذى يقوم على تعليم اللغة العربية وعلى تنظيم المحاضرات والندوات والمعارض فى مقديشو بصفة منتظمة ويضم المركز مكتبة عربية هامة.

تلك هى بعجالة الصورة التشريعية والهيكلية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.. اما اهم مؤشرات نشاط المنظمة فيمكن اختصارها كالاتى :

قطاع التربية

● يبقى قطاع التربية القطاع العريض ومع وحدة هدفه فان هناك تنوعا فى اجهزته واداراته وفقا للحاجات الوظيفية التى تستدعى تعدد الاساليب والوسائل وتتمركز نشاطات هذا القطاع الاساسية على الدراسات التحليلية للتطور التربوى فى البلاد العربية وتقوم المنظمة كل سنتين باصدار دراسة فى هذا المجال كما تصدر المنظمة نشرة سنوية شاملة وفق الاساليب الاحصائية.

● وتعتبر استراتيجية التربية العربية من اهم انجازات المنظمة فى هذا القطاع وقد ارست هذه الاستراتيجية المبادىء

الاساسية للتطوير التربوى العربى وفصلت عناصر العمل التربوى فى التطوير وحددت الاسبقيات فى كل حالة فى ضوء الواقع التربوى للدول العربية فى مراحل تطورها، وقد قامت المنظمة بتوزيع التقرير النهائى لهذه الاستراتيجية على اوسع نطاق والمنظمة عملت وتعمل على التعريف بها والتوعية بها فى الاجتماعات التى تعقدها على مستوى المسؤولين ومستوى الخبراء بما يكفل الاسباب بوضعها موضع التنفيذ.. وكذلك وفى المجال التربوى تم وضع واقرار استراتيجية عربية لمحو الامية فى عام ١٩٧٦م وقد اعطت هذه الاستراتيجية مفهوما جديدا لمحو الامية.

كما عنيت المنظمة بالجيل القادم فعمدت الى وضع خطة شاملة للتربية ما قبل المدرسة فى الوطن العربى.

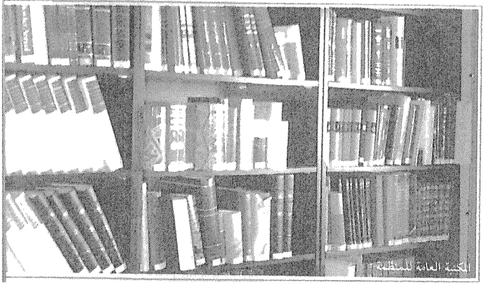
● وتعتبر المنظمة ككل المنظمات العربية المتخصصة بيت خبرة للوطن العربى فى مجال تخصصها قادرة على استقطاب الخبرات العربية والدولية فى المؤسسات المختلفة فتقوم المنظمة بالوفاء بحاجات الدول العربية بايفاد خبراء ومتخصصين إما لاجراء دراسات ولتقديم استشارات او لمباشرة العمل لفترات محددة فى مجالات التربية المختلفة وتستفيد الدول العربية الاعضاء على نطاق واسع وبدرجات متفاوتة على حسب الحاجة من هذه المعونة فى مجال مناهج اللغة العربية والرياضيات والعلوم فى مجال: التقويم والبحث التربوى.. التعليم الزراعى.. وفى مجال تدعيم مركز البجوث التربوية هناك. والى جانب ايفاد الخبراء تتولى المنظمة تلبية طلبات الدول فى اعداد دراسات وتقديم استشارات متخصصة حسب ما تطلبه كل دولة.

● كذلك فان المنظمة تتعاون بنفس القدر فى مجال تبادل الخبرات مع المنظمات العربية الاقليمية كمكتب التربية العربى لدول الخليج ومع عدد كبير من المؤسسات والتنظيمات المهنية العربية ومع مراكز البحوث والدراسات العربية ومع الجامعات.

●● ومن الانشطة الهامة لهذا القطاع «تنظيم دورات تدريبية متخصصة فى مجال التربية وتقديم منح دراسية متنوعة كما تعمل المنظمة من خلال هذا القطاع الى النهوض بالتربية الدينية واللغة العربية وتنفيذ المشروعات الريادية لتطوير الرياضيات والعلوم».

قطاع الثقافة

● ويشغل قطاع الثقافة حيزا واسعا فى نشاط المنظمة لتنوع مجالاته وتعدد اهتماماته فى الحياة الاجتماعية على مستوى بناء الفرد وتطوير قدراته الابداعية وعلى مستوى المجتمع فى تعميق قيمه وتأصيلها وفى الحفاظ على الانجازات الفكرية والفنية التى حققتها الامة فى مسيرتها بما يبقى على شخصيتها وقيمها.


المكتبة العامة للمنظمة

●● ومن النشاط الهام للمنظمة وضع الخطوط الاساسية لاستراتيجية عربية موحدة للتنمية الثقافية التى وافق المؤتمر الثانى للمسؤولين عن الشؤون الثقافية



عليها والذى عقد بطرابلس فبراير/ شباط ١٩٧٩م بعد ان مهد لهذه الاستراتيجية المؤتمر الاول الذى عقد فى عمان فى شهر ديسمبر/ كانون اول ١٩٧٦م.

وتقوم على وضع التصور الفكرى الشامل والمتكامل للخطة لجنة عليا مكونة من اعلام المفكرين ولجنة عامة فى المستوى القومى ولجان متخصصة قطرية.

● وتعمل المنظمة ضمن خطتها طويلة المدى على ترجمة هذا التصور الى اعمال وتحركات منسقة داخل الوطن العربى ووضع الخطط القطرية والخطة القومية الشاملة لتنمية الثقافة العربية على غرار استراتيجية تطوير التربية العربية التى اشرفت المنظمة على انجازها.

كما تقوم المنظمة بوضع البرامج التنفيذية التى تؤدى الى تنظيم عملية احياء التراث بجمعه وفهرسته وتصويره وتحقيقه وتيسيره للباحثين فى مختلف جوانب المعرفة وتحقيق تفاعله الخلاق مع الانتاج العلمى المعاصر.

● ويأتى فى صلب المشاريع الاساسية ابراز مساهمة العلماء العرب فى النهضة العلمية الانسانية والتعريف بالعلماء العرب وبانتاجهم العلمى بمختلف الوسائل المتاحة من بحوث اكاديمية وكتب بسيطة ومقالات وحصص اذاعية وتلفزيونية وافلام.. الخ.

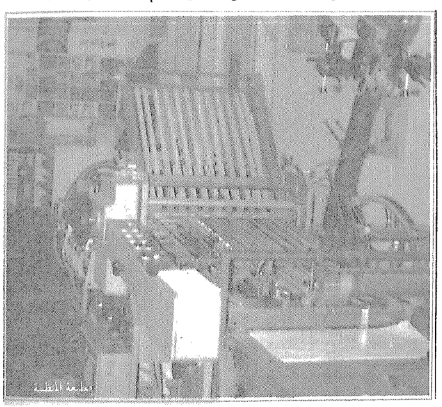
●● واعتنت المنظمة بالمخطوطات العربية من خلال معهدها المتخصص على تنسيق سياسة العناية بالمخطوطات وتيسير وسائل الانتفاع بها وصيانتها وتحقيقها ونشرها ودعم الهيئات العلمية العاملة فى مجال حماية المخطوطات العربية وانقاذها من الاستلاب والنهب الحضارى الذى تتعرض له.

تعمل المنظمة على تنسيق حركة الترجمة ودعمها والعناية بمشكلات التعريب وتوحيد مصطلحاتها وتأسيس لغة عربية علمية تصل كنوز التراث بالمكتشفات والتقنيات الحديثة الفنية المتلاحقة ومن اجل تنسيق الجهود التى تبذل للتوسع فى استعمال اللغة العربية.

● كما عنيت المنظمة فى هذا المجال بتطوير المسرح العربى واعداد البحوث والدراسات التى تتناول القضايا والمشكلات العربية المعاصرة فى المجالات الثقافية والاجتماعية والحضارية التى تساعد على ترسيخ الوعى العلمى الدقيق بمشاكل الواقع العربى.

● كما تعنى المنظمة بثقافة الطفل العربى والبرامج الثقافية لفلسطين وبتنمية الاعلام والاتصال فى اكثر من جانب.

وفى مجال تشجيع الابداع الفكرى والادبى دابت المنظمة منذ سنوات على تقديم مجموعة من الجوائز الادبية



فى شتى انواع الابداع والكتابة.

● وبمناسبة مرور اربعة عشر قرنا على الهجرة النبوية الشريفة حرصت المنظمة مع سائر الهيئات الاسلامية للاحتفال ببداية القرن الخامس عشر الهجرى ولتكون هذه المناسبة تقويما لمسيرة الحضارة العربية الاسلامية طيلة اربعة عشر قرنا.

● وبالاضافة الى تاكيد عالمية الثقافة واللغة العربيتين تعمل المنظمة على تدعيم جهود بعض الدول العربية ذات الاوضاع الثقافية الخاصة مثل الصومال وجيبوتى وموريتانيا وجنوب السودان فى تعريب التعليم ووضع المناهج واعداد الكتب وتدريب المعلمين وايفاد الخبراء وتعريب المجتمع بتعريب المناخ الثقافى والاجتماعى وذلك عن طريق النشر المحلى وايجاد المطابع العربية ومعاهد التدريب على الكتابة على الات الطبع وبدعم الافلام العربية لتكثيف النشاط الثقافى العربى فى المجتمع من خلال وسائل الاعلام الجماهيرية عن طريق محو الامية.

بنك المعلومات .. فارابى

مجال التعاون العربى والدولى تسعى المنظمة فى سبيل تحقيق اهدافها العربية والعالمية الى التعاون مع عدد كبير من المنظمات والهيئات العربية والدولية.

كما تعمل على دعم أواصر الاتصال بين العرب والشعوب الاخرى فى مجالات الثقافة والفكر وبخاصة فى افريقيا والصومال وجيبوتى والسودان وموريتانيا وفى اسيا وخاصة مع البلاد الاسلامية وكذلك مع اوروبا وامريكا واستراليا دعما للحوار العربى الاوربى.

بنك المعلومات .. فارابى ..

شعرت المنظمة منذ بداية نشأتها باهمية المعلومات وعملت على العناية الفائقة باحدث ما وصل اليه التقدم التكنولوجى فى مجال حفظ المعلومات وجمعها فى الوطن العربى ولهذا عمدت المنظمة على انشاء جهاز للمعلومات يمثل مكاناً واسعاً من هيكل المنظمة وهكذا تم ادخال الحاسب الآلى فى مجال حفظ المعلومات وظهر «فارابى» الى النور كقاعدة ممكنة ذات قدرات واسعة يمكنها الهيمنة على مصادر المعلومات ويرتكز هذا النظام على منطق الآلية فى المعالجة . . الامر الذى يحقق السرعة فى تنفيذ اعمال الخزن والاسترجاع كما انه يوفر قدرة عالية فى المراجعة الآلية ويمكن للمستفيدين الحصول على المعلومات وكذلك تبادلها مع النظم العربية والدولية للمعلومات.

اهم اهداف هذا النظام توفير أحدث المعلومات الضرورية فى الوطن العربى بطريقة علمية منظمة ومدروسة.

■ *وفارابى يضم ثلاثة قواعد:*

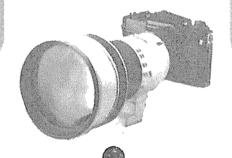
● *معلومات ببليوغرافية (صادق).*

● *معلومات احصائية (صائب).*

● *معلومات مالية وادارية (صفا).*

لكل قاعدة من هذه القواعد خصائص تختلف عن غيرها من حيث شكل البيانات وطرق معالجتها تجعل كل نوع منها قاعدة معلومات متكاملة ومستقلة بذاتها. وتنفذ على النحو التالى من خلال الانشطة المذكورة:

المكتبة وخدمات الميكروفورم «صادق» . . واهدافه تطوير الركائز الفنية والآلية والبنيات الاساسية لتوفير



المعلومات وتنظيمها تنظيما سليما فى الوطن العربى . . توفير الخدمات البيبليوغرافية بأساليب متطورة باستخدام التقنيات الحديثة . . رفع كفاءة وقدرات العاملين فى مجالات التوثيق والمعلومات من خلال الدورات التدريبية . . توثيق الصلات مع المنظمات الدولية والعربية والدول الاعضاء فى مجال اهتمام المنظمة . . تحقيق التنسيق فى مجالات التشريعات والتنظيمات على المستوى القومى بين الدول الاعضاء من خلال انشاء شبكات ومراكز المعلومات .

الاحصاء بين الجمع والمعالجة

«صائب» وأهدافه تطوير الركائز الفنية لاجهزة الاحصاء فى الوطن العربى . . تمكين المستفيدين من الحصول على ما يحتاجونه من معلومات عن الاقطار العربية تتميز بالدقة والحداثة . . تمكين ادارات المنظمة واجهزتها الخارجية من السرعة فى انجاز البرامج والمشروعات المنوطة بها .

الضبط المالى والادارى

. . وأهدافه رفع كفاءة الخدمات الادارية والمالية فى المنظمة لامكان توفير صورة واضحة وصادقة وفورية عن اوضاع العاملين بها واجهزة الادارة المختلفة .

اتخذت المنظمة العربية ضمن اهتماماتها وضع خطوط أساسية لاستراتيجية عربية موحدة للتنمية الثقافية

التعاون والتنسيق على المستوى الذاتى والعربى والدولى :

فارابى حسب التصميم الذى وضع له . . بنك عربى رائد للمعلومات فى مجالات التربية والثقافة والعلوم ويضم بين جوانبه ثلاث قواعد رئيسية تخدم هذه الحقول . . هى قواعد للتوثيق والاحصاء والضبط المالى والادارى . . عندئذ يمكننا ان

الاستاذ الدكتور محى الدين صابر . . من رواد الحركة الأدبية والفكرية فى السودان . . شاعر رقيق الحواشى طيع الكلمة . . شغلته الحياة الاجتماعية والعلوم الاجتماعية فدخل ميدانها تجربة وتأليفا . . حصل على الدكتوراه فى الآداب والدكتوراه فى العلوم الاجتماعية . . شغل فى السودان مجموعة من الوظائف العليا فى الدولة وآخرها منصب وزير التربية والتعليم . . والتعليم العالى . . كما شغل مجموعة من المسؤوليات القومية والدولية . . ويشغل مركز المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم منذ عام ١٩٧٦م . . له من المؤلفات :

«التغير الحضارى وتنمية المجتمع . . قضايا الثقافة العربية المعاصرة . . البدو والبداوة مفاهيم ومناهج . . التعريب والمعاصرة التكنولوجية . . تعليم الكبار فى السودان . . النظم الاجتماعية لقبائل «الزاندى» وغيرها من المؤلفات والبحوث والمقالات فى مجالى الثقافة والاجتماع .

فى مكتبه برئاسة المنظمة فى تونس كان لـ(المنهل) معه هذا اللقاء وكانت منه سعة الفكر ورحابة الأفق .

نحدد طبيعة وجود هذا النظام وأيضا اتصالاته بالانظمة المشابهة له على المستوى العربى والدولى.

اما عن طبيعة النظام فهذا يعنى توضيح اركان التنسيق بين الاجهزة الداخلية وهو ما اطلقنا عليه المستوى الذاتى.. يؤدى تحقيق التنسيق على هذا المستوى الى انجازات وأوضاع تدفع المنظمة الى مستوى متقدم فى كافة المجالات.

ان قيام فارابى لا يعنى نهاية الطموح بل هو بداية العمل فى انجاز له وزنه.. نحقق به تطورا لوطننا العربى. وفى اطار تلك القناعة فاننا سوف نسعى الى تكوين بنك معلومات يحتوى على كل البيانات التى تهم الامة العربية.. انشاء نظم آلية عربية صرفة.. قيام شبكة اتصالات عربية ذات كفاءة عالية لنقل المعلومات التى توفرها الحاسبات.. انشاء شبكات عربية متخصصة متطابقة ومتكاملة تعمل بانتظام وتنسيق بينها وتشمل المراكز القطرية التابعة لها.. انشاء مراكز معلومات قطرية متطورة ومجهزة باحدث المعدات التقنية والبشرية تمكنها من تبادل المعلومات مع الانظمة الخارجية.

لقاء مع الدكتور محي الدين صابر

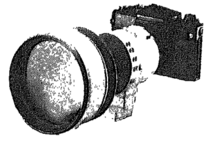
أجرى اللقاء/ زهير الأنصاري

● المنظمة حققت الكثير منذ انشائها ولا شك انها تحمل بين طياتها الكثير.. فهل لـ«المنهل» أن يطلع (بصفة عامة) على ما فى كنانة غدها؟.

المنظمة تعمل على اساس من تصور فكرى شامل لمجالات عملها فى ضوء اهدافها التى نص عليها دستورها وميثاق الوحدة الثقافية


مدير التحرير فى لقاء مع رئيس المنظمة





العربية ثم على اساس خطة طويلة المدى مداها ثمانية عشر عاما بدأت فى عام ١٩٨٢ لتصل الى نهاية القرن وهى تضم ثلاث خطط: متوسطة المدى - مدى كل واحدة منها ستة اعوام - وهذه الخطط المتوسطة المدى تتضمن تسع خطط قصيرة المدى فترة كل واحدة منها سنتان هى عمر الدورة المالية للمنظمة وتنفذ المنظمة فى كل دورة شريحة من الخطة على أساس من الاولويات المقررة فى كل قطاع من قطاعات المنظمة، القطاع التربوى والثقافى والعلمى والاعلامى على المستوى العربى.. وفى مجال العلاقات الثقافية الدولية فى نشر اللغة العربية والحضارة العربية الاسلامية.. فى المجال القومى بين المهاجرين وأبنائهم والدينى بين المسلمين من غير العرب والحضارى بين المؤسسات الاكاديمية والثقافية والجامعات ومراكز البحوث.

وهى تتناول تنمية الموارد البشرية فى الوطن العربى والتنمية الاجتماعية والاقتصادية والتنمية العلمية والتقنية وتنمية الثقافة العربية الاسلامية داخليا وخارجيا وتنمية البيئة الطبيعية وتنمية التعاون العربى والدولى.. تنمية خدمات التوثيق والمعلومات.. تنمية خدمات الاعلام والاتصال.

وبانتهاء الخطة تكون المنظمة استكملت بناء الخطط القومية الشاملة والسياسات العامة فى كل المجالات واستكملت وضع التشريعات القومية وتنسيق الوسائل والاساليب الفنية وتطويرها وانشاء المؤسسات القومية النوعية.. واتخذت المبادىء والاتجاهات العامة للاستراتيجيات طريقها الى الواقع ومنها قومية المعرفة وتعميم التعليم الالزامى.. ومحو الامية.. ونشر اللغة العربية والثقافة الاسلامية فى الخارج بين المهاجرين وابنائهم وبين المسلمين.. وفى الجامعات والمؤسسات الخارجية.. فتحقق بذلك اهدافا قومية ودينية وحضارية ويأخذ التعاون العربى الدولى حجمه فى سعى المنظمة.

الصراع بين الحداثة والتقليد قديم.. وخلاصة الأمر أنه يخرج من هذا كله جديد لا هو الذى تقول به الحداثة ولا الذى يقوم على التقليد ولكنه شىء غير هذا وهذا وذاك..

● فيما يتعلق بموضوع نقل العلوم الحديثة للعربية (تعريبها) وفيما يتعلق بالترجمة كأدوات فاعلة فى مجال التنمية الفكرية والعلمية والثقافية.. هل من جهود تبذل من المنظمة فى هذا المجال (وما مدى هذه الجهود)؟.

جهود المنظمة فى مجال نقل العلوم الحديثة الى العربية: ترجمة وتعريبا باعتبارها المنطلق الحقيقى للتنمية الشاملة كثيرة ومتنوعة ومثمرة.. الحضارة المعاصرة: وهى تتخطى الثورة الصناعية الى الثورة التقنية حصيلة السعى الانسانى فى مجال المعرفة العلمية: واكتشاف سنن الكون وطبيعة الاشياء وفى مجال المهارة العملية فى تطبيق تلك النظريات والاكتشافات على تنمية المجتمع وعلى تغيير علاقات الانسان وبيئته الاجتماعية بالاشياء وبالبيئة الطبيعية فالمستوى العلمى والتقنى المتقدم الذى يسود عبقريات الشعوب وكان للعرب والمسلمين الفضل الاكبر فى ذلك: فى مجالات العلوم الرياضية والهندسية والعلوم الحيوية والعلوم الطبيعية وقد ادركت المنظمة ان اساس التقدم التقنى وطريق المعاصرة هو تملك العلم والتقنية وذلك باستنباتها فى اللغة العربية.. وليس هناك طريق اجتماعى آخر الا هذا.. وكل البلاد المتقدمة علميا وتقنيا تملكتها فى لغتها.. ذلك ان جنسية الفكر والعلم

هى اللغـة كما جنسية الانسـان هى الدولة . . فما كتب فى لغة يصبح ملكا لها مهما كانت جنسية الكاتب السياسية أو الحضـارية وفى اللغة العربية وفى تراثها دليل على ذلك قائم فهو تراث اشـترك فى صناعته المسلمون من كل الجنسيـات . . المثـل الـواضح هو فى تاريخنا هو عمر الخيام الذى كتب آراءه فى الـرياضة والفلك بالعربية فعدّ فى تراثهـا من علماء الـريـاضـة والفلك وكتب لاسبـاب أخـرى شعـره الذى يحمـل فلسفتـه ورؤيتـه فى الحيـاة بالفارسية فعد شاعرا فارسيا .

وهـكــذا فان مئـات آلاف من الـرسـائـل العلميـة التى كتبهـا ابناء العـرب الذين اعدوا دراساتهم العليا فى خارج الـوطن العـربى باللغـات المختلفة اصبحت كلها من حق تلك اللغـات وحـرمت منها اللغة العربية ونحن على اى حال بصدد استرجاعها وحصرها وتبويبها وترجمتها الى العربية .

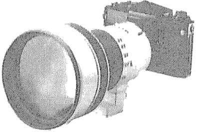
هذه المقدمة كان لابد منها لتصور المنظمـة فى هذا المجال الحيوى ذلك انطـلاقـا من فكـرة استنبـات المعرفة والتقنيـة . . فى اللغة عملت المنظمة الى البـدء من تدريس الـعلوم فى المراحـل التعليميـة المختلفة فعملت على وضع الكتب الريادية فى العلوم


د. صابر يسلم الوسام الاكبر للمنظمة الى سمو الامير طلال بن عبد العزيز فى حفل خاص.

وفى الـريـاضيـات الحديثة للمراحل التعليمية باللغة العربية لتكون مرجعا للمؤلفـين المـدرسـين وفى كثـير من الاحـيـان لتـقـوم هى مقـام تلك الكتب . . فقـد ثبتها عدد من الدول العـربيـة وخـاصة فى مراحل التعليم العام والمشكلة تبدو فى بعض وجوهها فى التعليم العالى وفى بعض المجالات مثـل العلوم الطبيـة والهندسة . . وقد اتخذت مؤتمرات وزراء التعليم العالى اجراءات متنوعة للوصول الى جعل اللغـة العـربيـة لغـة التعليم والتعلم والانـتـاج وقـامـت لتحقيق ذلـك مؤسسات فى المنظمة .

● لجنة الخطة الشاملة للثقافة العربية بدأت اعمالها فى الكويت ابتداءا من شهر ابريل ١٩٨٤م قدم الباحثون فى مجمـوعـة ندواتهـا (٦١) بحثـا رئيسيا تنـاولت العـديـد من قضـايـا الثقافة العـربيـة وهمومهـا «الـتراث - الغـزو الفكـرى - التعـريب والترجمة - اللغة العربية والمجامع اللغوية» كما تعرضت فى أبحـاثهـا لموضـوع العقول العربية المهـاجـرة فهـل لـ(لمنهـل) ان يعـرف امكـانية نشر هذه البحوث للاستفادة منها وهل تم ذلك؟ .

ان الخطة الشاملة للثقافة العربية التى قامت عليها لجنة قومية من كبار المثقفـين العـرب من مختلف المـواقـع والمجـالات واشـترك فيهـا مئات من البـاحثـين والمفكـرين والتى وافقت عليهـا الاجهـزة الدستورية العليا فى المنظمة اصبحت وثيقة رسمية وقومية فى القطاع الثقافى تضاف الى وثيقتى



استراتيجية التربية العربية والاستراتيجية العربية لمحو الامية اللتين ووفق عليها عام ١٩٧٨ وتشهد نهاية هذه الدورة انجاز الاستراتيجية العربية للعلوم والتقنيات وبهذا تتم للمنظمة كل الادوات الفكرية لمجالات عملها .

اما فيما يتصل بنشر البحوث والدراسات التى اعتمدت عليها الخطة فيما اعتمدت من مناهج البحث وأساليب الدراسة فقد اتخذت الاجراءات لطبعها مع غيرها من الوثائق المتصلة باعداد الخطة التى تكون فى الواقع مكتبة شاملة تتكون من اربع مجلدات : المجلد الاول يضم الخطة نفسها : مبادىء واتجاهات ووسائل . . والمجلد الثانى يضم الدراسات التى القيت فى الندوات المتخصصة والتعليقات التى دارت حولها . . والمجلد الثالث يضم التوصيات التى صدرت عن تلك الندوات والحلقات . . والمجلد الرابع يمثل الجانب الميدانى فى الدراسة فهو يشتمل على الاستبيانات التى قدمت فى مختلف مجالات الثقافة على المستوى الجغرافى فى الوطن العربى والاجابات عليها وتحليلها .

على ان تلك الدراسات والتوصيات لا تمثل رأى المنظمة وانما تمثل رأى كاتبيها والمعلقين عليها .

وان فى نشر هذه الوثائق اغناء لدراسات الفكر العربى المعاصر ومشكلاته وقضاياه وان فى ذلك لنفعا للباحثين والدارسين .

● الموسوعة الفلسطينية جاءت عملا متكاملا بذل فيه من الجهد العلمى والمادى ما جعله مكان فخر واعتزاز، هل تسعى (المنظمة العربية) وعلى غرار هذه الموسوعة الجادة الى اخراج موسوعة أو موسوعات فى مجالات العلوم ـ التاريخ وغيرها من المجالات الاخرى عند العرب؟ .

الموسوعة الفلسطينية انجاز فكرى وقومى كبير وتجربة ناجحة فكرية أو ادارية وتنظيمية . . وهى انجاز كبير أيضا فى تمويله وتحريره . . وهى ثمرة تعاون وثيق بين المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم وبين منظمة التحرير الفلسطينية (ادارة التربية والتعليم العالى) وقد استطاع مجلس امنائه ومجلس ادارته اللذان ضما طائفة متميزة من المثقفين العرب ان يديروا هذا فى كفاية كما ان الباحثين العرب



الذين انتدبوا للكتابة عن موضوعاته المختلفة كانوا على المستوى العلمى منهجية ومعرفة وموضوعية والموسوعة تضم ثلاثة اقسام قسم عام وفيه اربعة اجزاء وقد صدر وقسم للدراسات المتخصصة ثلاثة اجزاء وقسم ثالث للملاحق .

وهنا لا بد ان اشيد بالدول العربية التى اسهمت بسخاء فى تمويل هذه الموسوعة وتأتى مساهمة المملكة العربية السعودية فى المقدمة فقد كانت رعاية جلالة الملك فهد بن عبد العزيز لها عظيمة وقام معالى الاستاذ عبد الوهاب عبد الواسع بدور بارز فى متابعة هذا الانجاز ودعمه .

وتقوم المنظمة الآن بالاعداد للموسوعة العربية التى ظلت حلما عربيا منذ ثلاثين عاما فقد قامت ادارته

وعين اعضاء مجلس الامناء ومجلس الادارة الذين يجتمعون فى غضون الشهرين المقبلين وهى موسوعة شاملة تقع فى حوالى ثلاثين جزءا ثلثها تخصص للحضارة العربية والاسلامية وثلثاها للمعارف العامة . . ذلك الى جانب موسوعات قطاعية . . فى التربية . . مدونة الفكر التربوى العربى الاسلامى . . وفى قطاع الثقافة موسوعة الفن العربى الاسلامى . . الفن التشكيلى العربى المعاصر . . المرجع البيئى فى التعليم العام والتعليم الجامعى .

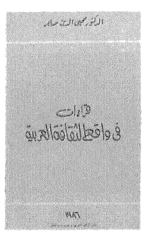
● وطننا العربى فيه الكثير من الابداعات فى مجالات الادب والثقافة والفنون ويسعدنا ويسعد القارىء أن يعرف شيئا عن الجوائز التشجيعية (ان وجدت) المرصودة لمثل هذه الابداعات .

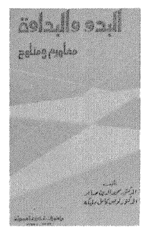
الجوائز هى اسلوب من اسلوب الحوافز التقليدية والحاجة اليها فى مجالات العلوم والفنون والآداب اكبر ومن هنا فان المنظمة تنشيطا للسعى الفكرى والانتاج الثقافى قررت منح جوائز تقديرية وتشجيعية فى مختلف مجالات الابداع الثقافى واسندت جوائز لشخصيات متميزة على المستوى العربى وهذه الجوائز تشكلت لها لجان فنية من أعلى المستويات فى مجال الجوائز تعرض عليها الاعمال الفكرية والادبية ويحكمون على اساسها وبصورة موضوعية .

وقد أدت هذه الجوائز هدفها فى تنشيط العمل الثقافى ويتمثل فى اقبال المثقفين والمفكرين عليها .

للمنظمة عدد وافر من المجلات الفصلية المتخصصة فهل يطمح المثقف العربى الى اصدار مجلة شهرية شاملة تعكس نشاطات المنظمة فى مختلف مجالات تخصصها؟ .

للمنظمة دوريات متخصصة ونشريات يصل عددها الى العشرين . وقد كانت توزع مجانا على الادارات الحكومية والجهات الرسمية فكان عائدها الفكرى قليلا وقد رأينا تحقيقا للاشعاع الثقافى ان نبيعها بسعر التكلفة وهكذا بدأت تدخل فى الدورة الثقافية اما عن المجلة الشهرية فهى فكرة جيدة ونحن نصدر هذه النشرة وهى تضم فى جزء منها اخباراً وفى جزء آخر تحليلا ونبعث بها الى الصحف والمجلات ولا تباع فطبيعتها تحول دون ذلك وان كانت ذات فائدة علمية من حيث انها تعرض النشاط الثقافى العربى كله .







● فى عدد المنهل الاخير هذا (رجب ١٤٠٦هـ) تناول رئيس التحرير فى افتتاحية العدد موضوع اللغة العربية واهمية العناية بها فهى لسان القوم ومنهج حياتهم وعنوان مجدهم واستعرض ما وصل اليه اللسان العربى اليوم من ضعف بين متحدثيه وطرح عدة استفسّارات عن مدى وكيفية العناية باللغة من قبل المجامع

والجامعات والمنظمات ما هو دور المنظمة العربية فى هذا المجال. . ؟ .

قرأت الافتتاحية الجيدة التى كتبها السيد رئيس تحرير مجلة المنهل العتيدة وهى تعبير حقيقى عن اهمية اللغة فى حياة المجتمعات وبخاصة اللغة العربية التى هى بين اللغات وبين كل لغات العالم لغة قومية للعرب ولغة عقيدة لكل المسلمين من غير العرب الى جانب تراثها الضخم واسهامها الكبير فى مسيرة الحضارة البشرية .

واسباب ضعف اللغة كثيرة وهى اسباب تشكو منها ايضا اللغات الاخرى ومنها اللغات الكبرى المعاصرة فالانجليز والامريكان والفرنسيون يطيلون الشكوى من الضعف اللغوى لابنائهم . . وقد حاولت المنظمة معالجة هذا الامر فى التعليم العام وعقدت عشرات الندوات والحلقات واصدرت عشرات الدراسات والبحوث والاسباب تتجاوز المدرسة الى وسائل الاعلام الى اسلوب الطباعة .

واللغة العربية لغة ولدت ومعها استراتيجية بقائها ونموها وانتشارها متمثلة فى القرآن الكريم ومع ذلك فاننا نعتقد ان عناية العرب بلغتهم عناية كبيرة ولم تكد امة من الامم تخدم لغتها كما فعل العرب . . ان الجهود المبذولة على مستوى الدول العربية ومؤسساتها فى جامعاتها ومجامعها وفى المنظمة كفيلة مع الزمن ان تؤتى أكلها .

● هل لنا ان ندخل العالم الخاص للاستاذ الدكتور محيى الدين صابر . . نعلم ابداعكم الشعرى ونعلم كذلك موقعكم الريادى بين رواد الشعر فى السودان هل للمنهل أن يجد أحدث انتاجكم . . ام شغلتم عنه بالعمل القومى . . ؟ .

هذه مسألة هامة فالشعر ليس عملا اضافيا وهو لا يقبل المشاركة . . الشعر رؤية كاملة . . طريقة حياة . . وأداة فهم . . واسلوب تفسير . ولا يمكن لشاعر جاد ان يمارس «قرض الشعر» فى اوقات الفراغ او فى ساعات الوحى . . ان اسلوب الحياة الذى امارسه وواجباتى القومية كل ذلك لا يعين الشعر ولا يعيننى وانه افضل للشاعر ألا يقول شعرا من ان يقول شيئا لا هو بالشعر ولا هو بالنثر . . لم يزل فىَّ كثير من الشعر فى طريقة تصورى لكثير من الاشياء وليس معنى هذا ان يكون ذلك شيئا غير واقعى فقد الف الناس ان يربطوا بين الشعر والخيال وعدم الواقعية . . والموضوع بطبيعة الحال مختلف تماما .

على اى حال : انت تثير اشجانى بهذا السؤال انى ارجو ان يكون فى العمر متسع لأعود الى الشعر كما يجب ان يكون . . اما الآن فانَّ حالى هو ما عبرت عنه بقولى :

والشعر كنت اقوله ويقولنى
ولقد نكون ، وللزمان عرام
واليوم عدنا صاحبين مودة
حينا وعتبى مرة وخصام

وفى هذه الايام نحن فى حالة خصام .

●●

تعمل المنظمة على تنفيذ مجموعة من الموسوعات منها الموسوعة العربية فى حوالى ثلاثين جزءًا مدونة الفكر التربوي العربي الاسلامي . . موسوعة الفن العربى الاسلامى

●●



معالى الدكتور عبد العزيز الخويطر وزير المعارف السعودى مع د. صابر فى احد الاجتماعات

● وبصفتكم الشخصية ايضا ما تقييمكم لما يدور فى الساحة الادبية اليوم من شبه صراع بين تيار الحداثة والتيار التقليدى . . ؟ .

الصراع سمة اساسية من سمات الحياة والاحياء وحين يختفى الصراع - وصوره كثيرة بيولوجيا وعضويا واجتماعيا وفكريا - تختفى الحياة .

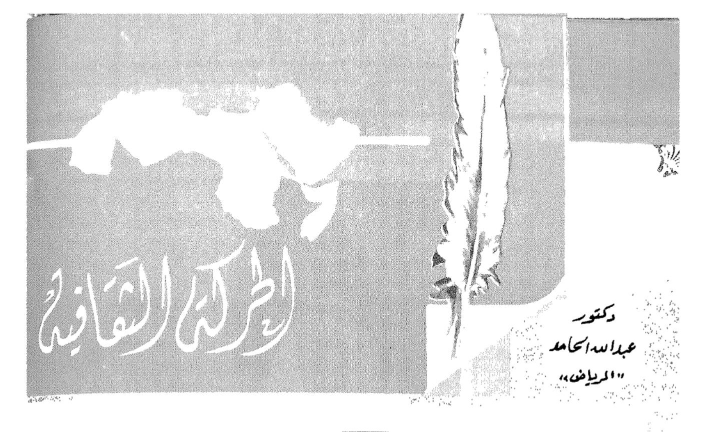
والصراع بين الحداثة والتقليد قديم وخلاصة الامر انه يخرج من هذا كله جديد لا هو الذى تقول به الحداثة ولا الذى يقوم على التقليد ولكنه شىء فيه من هذا ومن ذاك . . ان كل جيل يحمل معه اسهامه الحضارى للمجتمع ويحاول ان يفرضه ويهدم القديم ويظل يصارع حتى ينشأ جيل آخر يصبح معه ذاك الجيل محافظا وتقليديا لانه يدافع عما حمله فى مواجهة الجيل الجديد الذى يريد ان يفرض اسهامه . . وهكذا شىء واحد يبقى هو الاطار العام والجوهر الذى يدور حوله الصراع وهو فى حالة الصراع الادبى . . اللغة . . هنالك حديث عن تفجير اللغة ارستقراطية اللغة . . الخ . . ولكن كل ذلك لا يؤدى الى استبدالها بلغة اخرى . . الافكار تتجدد والاساليب تتغير واعتقد ان الحداثة ظاهرة اجتماعية طبيعية .

ومن هذا المنطلق ايضا ما مدى تقييمكم للادب السودانى الآن؟ .

الادب السودانى هو جزء من الادب العربى المعاصر ومن ادب العالم الثالث بصفة عامة وهو يتعرض لكل ما يتعرض له ذلك الادب من احباطات ومن انجازات .

وفى السودان قدرات كبيرة وأدباء موهوبون وأهل عطاء ولكن المشكلة التى تكاد ينفرد بها الادب السودانى هى فى وسائل انتشاره فذلك جزء اساسى من الانتاج الادبى ومن نوع ذلك الانتاج . . فقضايا النشر ومشكلات الكتاب فى السودان - انتاجا واستيراداً - الى ضيق المجال وقلة الرعاية كل ذلك مما يؤثر فى الحركة الادبية بصفة عامة .

ولكن السودان الى جانب كل ذلك اسهم بكُتّاب ذوى قامات فى القصة وشعراء متميزين . . وفى اعتقادى ان الادب السودانى بخير وهو ادب واعد وقد كان ابدا أدبا مسئولا وملتزما ووظيفيا .



الثقافة في المملكة العربية السعودية



حركة التأليف الدينى نشطة فى العصر الماضى ومن ابرز رجالها آل الشيخ.. محمد بن عبد الوهاب.. وآل مبارك.. وآل عبد القادر.. وابن سحمان.. وآل الملا.. واحمد زينى دحلان.. ومن اشهر من عرف بذلك فى نهاية الفترة العلامة عبد الرحمن بن سعدى.. الذى أدرك النصف الثانى من هذا القرن وكانت له مؤلفات فى الأصول والفقه والتفسير.

وتمتد الحركة الثقافية المعاصرة فى علوم الدين فقها وحديثا وتفسيرا واصولا ووعظا وافتاء وتأليفا وتدريسا وقد عرفت رجالات كثيرة فى هذا الميدان.

وأظهر من عرف بذلك عبد العزيز بن باز وهو من اوسع العلماء المعاصرين فى البلاد ثقافة دينية ويضيف الى هذا الحجم الثقافى قدرة على الرؤية الصحيحة واختيار الأمثل من السنة ويحسب فى المحدثين الذين يقللون الاعتماد على آراء الفقهاء بل يوردون الأحاديث ويرجحون بينها وله تعليقات وتهميشات على فتح البارى لابن حجر العسقلانى يتجلى فيها جانب من علمه الذى شغلته امور شتى عن التفرغ له

وعرف أيضاً بالحديث محمد الأمين الشنقيطى

فى المملكة العربية السعودية ١٣٥٠-١٤٠٠هـ

المهاجر نزيل المدينة وله مؤلفات فى التفسير وغيره ويعتبر من كبار العلماء . . قال فيه **محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله**: «إنسان مملوء علماً من هامته الى ابهامه» وعبد الله بن محمد ابن حميد رحمه الله عرف عنه العدل فى القضاء والذكاء اللماع والقدرة الفائقة على الاستجواب إضافة الى العلم والفقه والمفتى **محمد بن ابراهيم آل الشيخ** رجل عالم أتاح له ذكاؤه وفطنته وشرف أرومته أن يفيد كثيرا وينفع جماً غفيراً بعلمه وتدريسه وإدارته وفتاواه رحمه الله .

ولم يكن لأكثرهم شأن فى التأليف بل كانوا مشغولين بالقضاء ونحوه ولكن لهم من الفتاوى المنشورة والمذاعة والنصائح والأقضية الشىء الوافر.

وقد وجدت ظاهرة الشعر العلمى فى هذا الوسط . . شرحاً للعقيدة أو نظماً للفقه وغير ذلك من الاغراض . . وأشهر من عرف بذلك النحو«**حافظ الحكمى**»(١) **فقد نظم فى أصول التوحيد أرجوزة مطلعها**(٢):

أبدأ باسم الله مستعينا
راض به مدبراً معينا

كما نظم فى مصطلح الحديث والفقه والنصائح .

وقد اخذ الشعر العلمى فى الضمور وإن كانت له قوة ورواج فى أوائل الفترة امتداداً للعصور الماضية .

ووجدت المعارك التى جددت دور «**ابن سحمان**» فى معاركه مع خصوم الدعوة إلا أن المعارك الجدلية كانت أقل وكان غبارها يثور غالباً بين العلماء والمتطرفين من المجددين الذين يدعون الى بعض مذاهب الحضارة الجديدة الفكرية أو السياسية أو الاجتماعية وأكثر المعارك وأكبرها الجدل الذى ثار بين عبد الله القصيمى والعلماء وهو رجل نبت فى هذه الأرض وتديّن حتى غلا وزهد حتى تطرف ثم انطلق من أقصى اليمين الى أقصى اليسار مهاجماً الاسلام ونظامه وألف كتابه «الأغلال» ودعا فيه الى الثورة على كثير من قواعد المجتمع ومبادىء الاسلام وجدّف فى ذلك حتى وصل به التطرف الى التجديف على ذات البارى جل وعلا . . وقد كثرت الكتب فى الرد عليه حتى قاربت عشرة كتب(٣) ومعارك أخرى طفيفة ما بدأت حتى خمدت ثارت حول قضايا أخلاقية وسلوكية كشرب الدخان والتصوير وحلق اللحى والتشبه بالغربيين فى اللباس ونحوه والغناء واللهو.

وخلال فترة حكم الملك سعود عام ١٣٧٣هـ/

١٩٥٣م اشتدت المعارك وارتفع أوارها بين القوميين والاسلاميين وكانت البلاد سواء بعلمائها أو بحكومتها تمثل الجانب الاسلامى كما كانت هناك أصوات واتجاهات اكثرها فى الخارج تدعو الى القومية العربية وتردد أفكارها وقد انبرى لها العلماء والكتاب وكثرت نصائح العلماء ورسائلهم وألفت الكتب ومن أبرز من ألف فى الدفاع «**محمد أحمد باشميل**». وكانت حركة القومية قد بدأت منذ اشتد عنف الأتراك على العرب بعد حركة **جمعية الاتحاد والترقى** التى فصلت بين الأتراك والعرب وألغت العامل الاسلامى لكن التيار القومى ضعف أخيراً وتلاشى تحت عوامل كثيرة ليس هذا معرضها. . وخلفه التيار الاشتراكى وكان له ذيوع وشيوع فى بعض البلدان العربية وقد نشط العلماء أيضا فى البحوث والرسائل والفتاوى وكانت دار الافتاء التى يشرف عليها **المفتى محمد بن ابراهيم آل الشيخ** تنشر وتطبع كثيراً من هذه الكتب والرسائل أو تمولها ولكن المعركة هدأت نسبياً بعد عام ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

وفى مجال الفكر الاسلامى وجدت طبقة أخرى كانت اكثر اتصالا بالدراسات الجديدة والحديثة مع عمقها الفكرى والدينى وكانت اكثر قدرة على التأثير على ناشئة العصر الذين أخذوا يتأثرون بالتيارات الثقافية والاجتماعية الوافدة لما يتمتع به هؤلاء من قدرة فى الحجاج وبراعة فى عرض المنقول بالأسلوب الجديد المعتمد على العقل والنقاش والحجاج والجدل منهم الكاتب الاسلامى أحمد محمد جمال فى محاضراته ومقالاته وكتبه الكثيرة كـ «**استعمار وكفاح**» و«**الاسلام أولا**» و«**على مائدة القرآن**» و«**نحو سياسة عربية صريحة**» و«**مكانك تحمدى**». . واحمد عبد **الغفور عطار** العالم الموسوعى فى محاضراته وكتبه المنشورة كـ «**إنسانية الاسلام**» و«**الشيوعية والاسلام**» و«**الشريعة لا القانون**» و«**الاسلام طريقنا الى الحياة**».

وقد استطاع هؤلاء العلماء من كلا الأسلوبين التصدى للهجوم القوى والمستمر على التراث والعقيدة والتشريع والعبادة سواء غارات الاستشراق القديمة والمتجددة أم أفكار المتأثرين بالثقافة الغربية التى ينادون بها فى بعض الأقطار العربية أم تساؤلات الشباب الذى تأثر بالتيارات الغربية.

التاريخ والجغرافيا

وحركة التاريخ من أقوى الحركات وكان العلماء يتبارون فى ذلك ويؤرخون للمدن والأحداث والعادات والقبائل. . والعلامة **حمد الجاسر**(٤) أوضح وأنشط من كتب فى هذا الباب سواء بتحقيقه كتب التاريخ أم تآليفه وله فى ذلك «تاريخ مدينة الرياض» و«فى سراة غامد وزهران» و«فى شمال غربى الجزيرة» «وبلاد ينبع» وهو يتناول التاريخ السياسى والاجتماعى والثقافى مركزاً على تواريخ المدن والقبائل وأنسابها.

وعبد القدوس الانصارى(٥) باحث قدير خاض هذا الميدان وكتابه «**تاريخ مدينة جدة**» جهد كبير إضافة الى «**آثار المدينة المنورة**» و«**بناة العلم فى الحجاز الحديث**» وله رسالة فى تأريخ حياة العلامة عبد الرحمن بن سعدى.

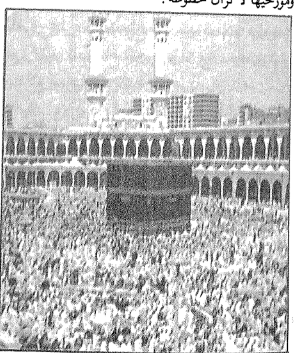
●● ومن كتب التاريخ التى ظهرت على الأسلوب القديم تاريخ الاحساء **لمحمد بن عبد القادر** وتاريخ ملوك آل سعود **لابن هذلول والتذكرة للشيخ ابراهيم بن عبيد** وقد بدأ بتاريخه حيث انتهى ابن بشر بتاريخ نجد بعام ١٢٦٨هـ حتى عام ١٣٧٠هـ وهو واسع فيه الدقة والتحرى وقد جلس المؤلف قرابة عشرين حولا ينقحه ويقرؤه فى المسجد على الناس ويستمع الى ملاحظاتهم حتى حصل له من ذلك شىء كثير لولا ما فيه من الهنات المنهجية.

وفى المنهج الجديد من كتابة التاريخ صدر كتاب الأنصارى «**تاريخ مدينة جدة**» و«**تاريخ المخلاف السليمانى**» **للعقيلى** و«**تاريخ مكة**» **للسباعى** و«**فى قلب جزيرة العرب**» **لفؤاد حمزة وهو من أفضل ما كتب عن الجزيرة** و«**جزيرة العرب فى القرن العشرين**» **لحافظ وهبة** و«**ساحل الذهب الأسود**» **لمحمد سعيد المسلم**.

● وظهرت دراسات فى تاريخ القبائل وأنسابها كـ «**المنتخب فى ذكر قبائل العرب**» **للمغيرى** و«**كنز الأنساب**» **لحمد الحقيل والدراسة العميقة لقبيلة العوازم التى كتبها عبد الرحمن العبيد**.

● وفى تحقيق كتب التاريخ القديمة كانت لدار اليمامة وصاحبها حمد الجاسر جهود ثرة طيبة.

ولأمين مدنى عالم المدينة كتب فى تاريخ المدينة تاريخها العام ومساجدها والمسجد النبوى وأطامها وتواريخها ومؤرخيها لا تزال مخطوطة.



المسجد الحرام.. منبر اشعاع دينى واجتماعى وثقافى.

وقد نشط البحث عن التراث والآثار والمعالم التى ضاعت خلال القرون الماضية ولم يبق من كثير منها باق ويكفى أن يعرف الانسان ان «عكاظ» نادى الشعر وسوق الفصاحة قد ضاع مكانه وانطمست علاماته.. وهذا ومثله ما حدا بالعلماء والباحثين الى الدراسة والبحث ويعتبر حمد الجاسر ومؤسسة دار اليمامة التى اشترك فيها أصدقاؤه ومحبوه وتلاميذه خير من نهض فى هذا المجال.

ونشير الى أن أول من كتب فى هذا المجال الشيخ «**محمد بن بليهد**» رحمه الله كتابه الكبير «**صحيح الأخبار عن ما فى بلاد العرب من الآثار**» ومن بعده عرف عبد القدوس الانصارى وحمد الجاسر.. كتب عبد القدوس الانصارى بحوثاً ومقالات وكتباً منها «**آثار المدينة**» و«**تحقيق أمكنة فى الحجاز وتهامة**» و«**التحقيق المدعم فى مسجد الراية وبئر جبير بن مطعم**» **كما حقق كتاب** «**المغانم المطابة فى معالم طابة**» **فى تاريخ المدينة المنورة** و«**تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد**» **لابن عيسى واشترك مع الدكتور صالح احمد العلى فى تحقيق كتاب** «**بلاد العرب**» **للأصفهانى**.

● وكتب حمد الجاسر «أبو على الهجرى وابحاثه فى تحديد المواضع» كما كتب تحقيقات جغرافية وتاريخية فى كتب «بلاد ينبع» و«سراة غامد وزهران» و«فى شمال غربى جزيرة العرب» و«مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ».

والف عبد الله بن خميس «المجاز بين اليمامة والحجاز» وتبنت مجلة العرب أخيرا كتابه «المعجم الجغرافى» لكافة البلاد السعودية وقد شرع فى كتابة مواده فحول هذا الميدان صدر منها المعجم الجغرافى شمال المملكة والمعجم الجغرافى شرق المملكة لحمد الجاسر والمعجم الجغرافى لمنطقة القصيم لمحمد العبودى.

●● وكتب أخرى صدرت فى الدراسات الاقليمية الجغرافية مثل كتب الدكتور محمد أحمد الرويثى «جوانب

من مشكلة الغذاء فى العالم والوطن العربى» و«الموانى السعودية على البحر الأحمر» وغيرها.

وفى هذا الميدان ثارت أعنف المعارك النقدية فى تاريخ الثقافة بعد المعارك الدينية والفكرية وكانت أول معركة ثارت بين حمد الجاسر وابن بليهد حول ملاحظات وانتقادات الاول على كتاب الأخير «**صحيح الأخبار**» ثم عادت جذعة فى مسألة تحديد سوق عكاظ وساق كل منهما الدلائل التى تؤيد وجهة نظره وكان من نتاج هذه البحوث والمناقشات الكشف عن مكان سوق عكاظ وقد كتب حمد الجاسر فى ذلك رسالته فى تحديده وكان كل من الباحثين يشد الرحال راكباً بعيراً أو سيارة للوقوف على المواقع والآثار وقد عرف ذلك عن ابن بليهد كثيراً وعرف أيضاً عن حمد الجاسر.

وثارت معارك أخرى بين الجاسر والأنصارى كل يغير على ما كتبه الآخر بالنقد والملاحظة والتصحيح وقد وصلت هذه المعارك أحياناً الى الاسفاف كما فى معركة «**جيم جدة**» التى يرى الأنصارى وجوب ضمها ويرى الجاسر جواز الحركات الثلاث.

وألف الأنصارى كتيباً اسماه «**التحقيقات المعدة فى حتمية ضم جيم جدة**».

وأرخ الكُتّاب والباحثون للعلم والعلماء فى البلاد منذ القرن الثانى عشر وما بعده أو ما قبله أحياناً وكان التاريخ بطبيعة الحال يتناول البيئات الدينية والعلمية التى وجدت فى الأقطار كلها فكتب عمران العمران عن ابن المقرب وكتب الدكتور عبد العزيز الخويطر عن ابن بشر وتاريخه وأحمد عبد الغفور عطار عن «**محمد بن عبد الوهاب**» ومنها «**التصوف فى تهامة**» **للعقيلى** و«**دروس من ماضى التعليم وحاضره**» **لعمر عبد الجبار** و«**ماذا فى الحجاز لأحمد محمد جمال** و«**تواريخ المدينة ومؤرخوها**» لعبيد مدنى (مخطوط) و«**علماء الدعوة**» **لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ**، وقد أعاد طباعته بعد ثمان سنين من نشره باسم «**مشاهير علماء نجد**» و«**بناة العلم فى الحجاز الحديث**» **لعبد القدوس الأنصارى**، وهى كتب متخصصة فى تاريخ العلم والثقافة فى البلاد فى العصور القريبة الماضية إضافة الى الفصول الموسعة والأجزاء التى تجيىء فى كتب التاريخ العام عن العلم والثقافة كتاريخ الاحساء لابن عبد القادر الذى خصص جزءاً منه للأدب والعلم ويشبهه تاريخ المخلاف السليمانى للعقيلى وتاريخ مكة للسباعى، وفى التذكرة لابن عبيد شذرات متفرقة عن الثقافة والعلم والأدب.

اللغة

وفى المجال اللغوى يعتبر العطار نسيج وحده فى الاتساع والعمق والتأليف والتحقيق ومن كتبه: «**آراء فى اللغة والزحف على لغة القرآن، والفصحى والعامية، ومقدمة تهذيب اللغة، والصحاح ومدارس المعجمات العربية**» وله فى تحقيق التراث اللغوى تهذيب الصحاح مع عبد السلام هارون ٣ مج وتحقيق الصحاح للجوهرى ٦ مج، وتحقيق ليس فى كلام العرب لابن خالويه.

خلال النصف الثانى من القرن الماضى نشطت حركة التأليف فى الدراسات الدينية واللغة والتاريخ والجغرافيا والأدب.

ويأتى بعده عبد القدوس الانصارى وإن لم يكن فى منزلته لكن له اهتمام بتصحيح الكلمات والأساليب الدخيلة والبحث عن بديلها الفصيح الصحيح

وطوال فترة أربعين عاماً من عمله فى مجلة «المنهل» كان يوالى هذا الجهد وله فى ذلك كتيب «**إصلاحات فى لغة الكتابة والأدب**».

وآخرون لهم تأثير فى الحياة الاجتماعية والثقافية بعضهم له كتب وآراء مجموعة وآخرون نشروا آراءهم وأفكارهم فى الصحف وبعضهم جعل المقالة الأدبية وسيلته وآخر جنح إلى الكتابة الصحفية وآخر نشط فى الأحاديث الاذاعية فى الإذاعة المرئية والمسموعة وآخر استخدم القصص الاجتماعى ومنهم من عبر بأسلوب الفكاهة فكانت فى الفكر والمجتمع والسياسة والتعليم والادارة يجمعها رباط الاهتمام بهذه البلاد والدعوة الى الاصلاح. . منهم عبد الكريم الجهيمان فى مقالاته التى جمع مختارات منها باسم «**أين الطريق**» و«**آراء فرد من الشعب**» وهو من اكثر كتابنا الاجتماعيين دقة ملاحظة وقوة وجرأة فى النقد. . وسعد البواردى فى كتبه وقصصه ومقالاته وأشعاره الكثيرة. . ومحمد حسن عواد فى كتابه «**خواطر مصرحة**» الذى ثار فيه على كثير من التقاليد والعادات ودعا الى تصحيحها وقد كانت للكتاب ضجة وصدى وحسن آل الشيخ فى «**خواطر جريئة**» واحمد محمد جمال فى مقالات كثيرة وعبد الفتاح أبو مدين وعبد الوهاب آشى وعمران العمران وعبد العزيز بن عبد الله التويجرى وعبد الله عريف وحسن الصيرفى وأحمد قنديل فى أشعارهما ومقالاتهما ذات الأسلوب الفكه والنقد اللاذع وصالح السليمانى العمرى وعبد الرحمن العبيد وحسين عرب وعبد الله جفرى ومحمد على قطب، وأحمد الراشد المبارك وعلى الطنطاوى وعبد العزيز المسند والدكتور يحيى ساعاتى.

■ ولم يكن للعلوم البحتة أو الطبيعية والرياضية والطبية والفلسفية والتقنية شأن كبير لا تأليفاً ولا ترجمة لحداثة تكوين البلاد السياسى والاجتماعى والثقافى.

(١) ولد عام ١٣٤٢هـ ببلدة المضايا جنوب جازان وتلقى العلم على الداعية المصلح عبد الله القرعاوى وتخرج على يديه وعمل مساعدا له فى مدارسه الاصلاحية واشتغل بعده بالوظائف الحكومية منذ عام ١٣٧٣هـ ولم يلبث أن توفى عام ١٣٧٧هـ (العرب - السنة السابعة - ص٢٢٩ مقال عنه بقلم ابنه احمد حافظ الحكمى).

(٢) سلم الوصول: ٢.

(٣) وهجى أيضا بشعر كثير من شعر العلماء قال صالح بن سحمان:

أين «الصراع» و«نقد» و«البروق» وما
أعلنت بالحق عن هذى الخرافات
أتلك زندقة والرشد ما نطقت
أغلالك الآن من هذى الحماقات؟
إذن فدينك دينار جعلت له
فخاً فدمت على تلك الركيعات
إن كان بالشرق أومات الركوع له
أو كان عندك أكثرت التحيات

● (ملتقى الأنهار: ١٠٩-١١٠)

(٤) ولد عام ١٣٣٧هـ فى قرية «البرود» من السر وتخرج من المعهد العلمى السعودى فعين فى التعليم فالقضاء ثم قصد مصر للدراسة فى الجامعة ورجع إبان الحرب العالمية الثانية فعمل فى الظهران ثم مديراً للتعليم فى نجد ثم وكيلا لمدير الكليات والمعاهد العلمية بالرياض فمديراً لكليتى الشريعة واللغة وانصرف للعمل الصحفى منذ عام ١٣٧٢هـ فأنشأ مجلة اليمامة ومطابع الرياض وأخيراً أنشأ عام ١٣٨٦هـ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر وأصدر عنها مجلة العرب وهو عضو بالمجامع اللغوية والعلمية والعربية فى القاهرة ودمشق وبغداد «معجم المطبوعات العربية السعودية مقالات على جواد الطاهر - العرب ذوالحجة ١٣٩١هـ» واعتمدنا هذا المصدر فى ترجمته الذى يخالف غيره فى بعض التواريخ لأن كاتبه كتبه فى مجلة (العرب) ولم يعقب عليه صاحب الترجمة.

(٥) ولد عام ١٣٢٤هـ وتعلم على يدى محمد الطيب الأنصارى ودرس فى مدرسة العلوم الشرعية وعمل فى الوظائف الادارية والتدريس وفى ديوان نائب الملك وفى وزارة المالية وتفرغ أخيراً لأعماله الخاصة أنشأ مجلة «المنهل» للثقافة والآداب عام ١٣٥٥هـ وظل يواصل نشاطه فيها بصبر وعزم رغم كثرة المعوقات حتى توفى عام ١٤٠٣هـ رحمه الله.

عن مجلة الفيصل

لمحات من أدبنا السعودي المعاصر

د. منصور الحازمي

فكـرت كثيراً فيما عساى أن أقول عن أدبنا السعودى المعاصر هل أقنع بالنتف اليسيرة أسوقها تبـاعاً أعرف بها تعريفاً سريعا بالأدب فى بلادى فأكون بذلك كالمرشد الذى قد يثير فضول السواح ولا يشبـع لهم غلة. . ولكن هذا الـدور ـ على ضآلته ـ مفيد لسببين :

الأول : قلة ما يعرف عن أدبنا خارج الحدود.

الثانى : ما تقتضيه المناسبة هنا من الاختصار وعدم الاملال ولكل مقام مقال.

ولكن هل الأدب الـذى ينتـج فى بلادنـا لم يعـرف حقا خارج الحدود؟ وهل من المعقول أن يظهر العشرات من الشعراء والكتاب فى الحجاز ونجد والاحساء والقطيف وحائل وجازان وعسير على مدى نصف قرن أو يزيد ـ تطبع دواوينهم وتنشر آثارهم. . نعجب بهم ونتحدث عنهم دون أن يسمـع بهم أحـد من جيراننـا فى الأقطـار الشقيقة؟ أو ليس من المؤسف حقا أن يموت العواد وشحاته والقنديل والفلالى. واخيرا السباعى. . من غير أن يحس بهم أحـد فى البلدان المجاورة أما حين يموت السياب أو خليل حاوى أو أمل دنقل فإننا نقيم هنـا الدنيا ولا نقعدها تأبينا ورثاء كما ندبج عشرات المقـالات تحليـلا وتشريحا؟ هل انتشار الأدب خارج حدوده الاقليميـة يرجـع الى قيمته الفنية. . أم إلى وسـائـل ذيـوعـه وانتشـاره. . أم الى وعى القارىء وثقـافتـه؟ أم الى كل هذه العـوامل مجتمعة وعوامل أخرى لم نذكرها؟.

الكتابات حول الأدب السعودي

إن المـوضـوع يحتـاج الى وقفة طويلة ليس هذا مكانها ومع ذلك فلابد أن نؤكد هنا أن أول من عرَّف بالحيـاة فى بلادنا هم اخواننا العرب الذين قدموا فى أوقات متفرقة للحج والزيارة أو لأغراض أخرى فكتبوا أطرافاً مما شاهدوا او سمعوا. . وإن كان حظ الأدب فى هذه الكتابات قليلا لا يذكر. . كانوا منشغلين فى أواخـر العصـر العثـمانى والعهـد الهاشمى بمشاكل الطرق والأمن. . وإن وصفوا المواضع والآثار وعادات السكان فى المدن والقرى أو تطرقوا الى بعض الأمور السيـاسيـة أيام احتدام الثورة العربية. ومن الرحالة العـرب فى أواخـر العصـر العثمانى «ابراهيم رفعت» الذى صور فى كتابه «**مرآة الحرمين**»(١) وقائع رحلاته الأربع الى الديار المقدسة إذ كان أميراً للحج المصرى خلال السنوات ١٣١٨ و١٣٢٠ و١٣٢١ و١٣٢٥هـ

الموافق: ١٩٠١، ١٩٠٣، ١٩٠٤، ١٩٠٨ وكذلك «محمد لبيب البتنونى فى كتابه (الرحلة الحجازية)»(٢) وكان قد قدم الى الحج فى معية الخديوى عباس سنة ١٣٢٧هـ (١٩٠٩-١٩١٠م) وقد أمره الخديوى «بوضع شىء عن هذه الرحلة المباركة» (٣) وكلا المؤلفين ليس لديهما اهتمام كبير باللغة أو الأدب وإن كانا قد أشارا إشارات طفيفة الى لهجات بعض القبائل وأشعارها.

نستطيع ان نقول إنَّنا فى الثقافة نتواصل بصورة لا يحظى بها أى عنصر من العناصر الأخرى.. وان كانت هناك عوائق فإنها لا تعدو فى معظمها ان تكون مادية.. تكمن فى القدرة على نشر الفكر عامة والثقافة على وجه الخصوص وتوزيعه بقدر كبير فى جميع أرجاء الوطن العربى. وهناك توجه عام للمنظمات المتفرعة عن الجامعة العربية الى ان تأخذ بمبادرة اكبر لتحقيق التواصل بين اقطار الوطن العربى.. وبين شعوبه كافة.

«د. محمد الأحمد الرشيد»

مدير مكتب التربية لدول الخليج العربى

واعل اشهر رحلتين فى أواخر العهد الهاشمى هما رحلة خير الدين الزركلى فى (ما رأيت وما سمعت) سنة ١٩٢٠م.. ورحلة أمين الريحانى (ملوك العرب - أو رحلة فى البلاد العربية) سنة ١٩٢٢م وكلاهما أديب وشاعر كما هو معروف. ولكن الزركلى كان مهتما بالمخطوطات وتحقيق المواضع والآثار. وقد أتاحت له رحلته الى مدينة الطائف أن يتحدث عن الكثير من معالمها وآثارها كما تحدث عن البدو وآدابهم. وأما الريحانى فقد قدم لمهمة سياسية فلم تقتصر زيارته على الحجاز بل شملت كذلك بلدان الجزيرة العربية الأخرى فى ذلك الوقت: «اليمن وعسير ونجد والنواحى التسع المحمية والكويت والبحرين».. الخ.

وعلى الرغم من النزعة الأدبية عند كل من الزركلى والريحانى فإنهما لم يتحدثا عن أدباء تلك الفترة اللهم إلا ما ذكره الزركلى عن جريدة «القبلة» وأنها كانت لسان حال الشريف الحسين. وقد ذكر من رؤساء تحريرها محب الدين الخطيب وفؤاد الخطيب والطيب الساسى كما تحدث عن بعض الشعراء التقليديين الذين التقى بهم صدفة فى مدينة الطائف وأورد لهم جملة من القصائد الضعيفة(٤) وكذلك الريحانى فإنه لم يجد فى كافة أنحاء الجزيرة العربية من الأدب ما يستحق الذكر يقول عن الشعر فى نجد: «لا يزال للشعر مقام فى نجد وإن رثت حواشيه وتفاقم اللحن فيه»(٥) ويقول عن منطقة جازان - وكانت تحت حكم الأدارسة فى ذلك الوقت - انها تخلو من الشعراء الذين يستطيعون النظم بالفصحى وقد كانت قبل ذلك تعج بالأدباء والشعراء(٦).

أما الرحلات العربية فى العهد السعودى فقد كثرت وتنوعت وإن اقتصر معظمها - بين الحربين - على

الأماكن المقدسة ولم يتعدها الى المناطق الأخرى ومن أهم هذه الرحلات: رحلة ابراهيم عبد القادر المازنى (رحلة الى الحجاز) سنة ١٩٣٠ . . ورحلة الأمير شكيب أرسلان (الارتسامات اللطاف) سنة ١٩٣١ . . ورحلة على الطنطاوى (من نفحات الحرم) سنة ١٩٣٥ . . ورحلة محمد حسين هيكل (فى منزل الوحى) سنة ١٩٣٧ . . ورحلة عبد الوهاب عزام سنة ١٩٣٧ و١٩٤٨م . . ورحلة بنت الشاطىء (أرض المعجزات) سنة ١٩٥١ . . ومع أن هذه الرحلات صادفت ظهور الصحف والمجلات فى بلادنا ـ أى بداية تكوّن الأدب الحديث ونشره فى جرائد ***«أم القرى» و«صوت الحجاز» و«المدينة المنورة» ومجلة «المنهل»*** *ـ فإن أحداً من هؤلاء الأدباء لم يتوقف عند هذه الظاهرة الجديدة ولم يشر أو يسجل شيئاً مما أبدعه روادنا الشباب فى تلك الفترة. وربما كانت بنت الشاطىء ـ التى قدمت الى المملكة فى فترة متأخرة نسبيا ـ كانت أكثر هؤلاء الرحالة اهتماماً بالنشاط الأدبى فكتبت صفحات قليلة عن بعض أدباء المنطقة الشرقية وأوردت شيئاً من انتاجهم وقد اعتذرت بنت الشاطىء ـ فى كلمات رقيقة ـ عن الإهمال الذى لحق بأدب المملكة وأدبائها من قبل أشقائهم العرب ومما قالته:* ***«كم تألمت وأنا أصغى إلى حديث أدباء «القطيف» عن معاركنا النقدية ومذاهبنا الفنية . . كم خجلت وأنا أرى فى أيديهم كتبنا ومجلاتنا ونحن الذين لا نشعر بهم أو نلقى إليهم بالا»*** (٧) .

لقد كانت الرحلة إذن ـ رغم طابعها السريع وآفاقها المحدودة وأحكامها العامة ـ من أهم الوسائل الثقافية التى وصلت بلادنا بشقيقاتها العربيات فى تلك الأيام الخوالى التى قلّت فيها وسائل الاتصال الحديثة وأبطأت فيها حركة الحياة. أما الوسيلة الأخرى فتتمثل فى ما كان يكتبه بعض الأدباء والنقاد العرب عن أدبنا وأدبائنا فى شكل مقالات أو مقدمات وهو وإن كان قليلا الا انه قد ساعد فى التعريف بالوجه الثقافى للمملكة خارج حدودها الاقليمية. ومن أقدم هذه المقالات والمقدمات ما كتبه طه حسين عن **«الحياة الأدبية فى جزيرة العرب»** ـ وقد ضمنه كتابه (ألوان) ـ وما كتبه محمد حسين هيكل مقدمة لكتاب **(وحى الصحراء)** وهو مجموعة لنماذج من إنتاج أدبائنا شعراً ونثراً بين الحربين جمعها محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بلخير وقد ظهرت الطبعة الاولى من الكتاب سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م .

وفى مقالة طه حسين تقييم عام لما كان عليه الوضع فى أقطار الجزيرة العربية بعد الحرب العالمية الأولى من النواحى السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية مع نظرة تاريخية توازن وتقارن . . ونظرة أخرى تستشرف المستقبل. وما رسمه طه حسين من صورة كئيبة لحال الجزيرة العربية فى أوائل هذا القرن، العزلة والجهل والفقر والتفكك الخ ـ لا يختلف كثيراً عما رسمه ـ عن معاناة وتجربة ـ أمين الريحانى فى **(ملوك العرب)**. أما الأدب فقسمه طه حسين إلى قسمين: فصيح وشعبى. الأول فى الحاضرة والثانى فى البادية. الفصيح يغلب عليه التكلف والتقليد الى أن هبت عليه نسمات الجديد من مصر والشام والمهجر الأمريكى، والشعبى فيه عفوية وصدق وهو قريب الشبه من الشعر العربى القديم، إلا انه فاسد اللغة لا يعترف به الأدب الرسمى (٨) .

لقد كان طه حسين معنياً بالتنظير فلم يذكر أمثلة ولم يورد أسماء. وكذلك فعل محمد حسين هيكل. فإنه لم يشر الى النماذج التى بين يديه وإنما اكتفى بايراد بعض

الملاحظات العامة مثل تقليد الأدب السعودى فى ذلك الوقت لآداب مصر والشام والعراق فى أشكال الشعر وأوزانه وفى مناحى الفكر والأساليب ومثل ملاحظته لتأثير البيئة فى الشعر السعودى ولا سيما فى قصائد أبناء البادية الذين لم يولدوا فى المدن(٩) ويبدو أن طبيعة المقدمات تقتضى من المقدم شيئا من اللباقة او المجاملة وقد كان هيكل لبقاً ومجاملاً فلم يدرس ولم يحكم ولم يفضل وهذه طريقة لا ترضى الباحث المدقق ولكنها ـ فيما أظن ـ قد ارضت شبابنا المتحمس فى ذلك الوقت.

وقد ظل تلاميذ أبى شادى أوفياء لأستاذهم. ومن هنا رأينا احتفاء رابطة الأدب الحديث بأدب الجزيرة العربية وأدبائها ومن أكثر اعضاء الرابطة تحمساً لهذا الأدب الأستاذان محمد عبد المنعم خفاجه ومصطفى عبد اللطيف السحرتى(١٢) ومن محاسن الصدف أن تظهر أول دراسة منهجية كبيرة عن الأدب العربى فى المملكة العربية السعودية على يدى واحد من السعوديين المنتمين لهذه الرابطة تلك هى دراسة الأستاذ الناقد عبد الله عبد الجبار فى محاضراته التى ألقاها فى معهد الدراسات العربيةالعالية التابع لجامعة



جلالة الملك المفدى فى احد لقاءاته المتعددة مع طلبة الجامعات السعودية.

وقد اسهمت رابطة الأدب الحديث إسهاما لا بأس به فى التعريف ببعض أدبائنا ودراسة انتاجهم. وكان أستاذهم أحمد زكى ابو شادى رائداً فى هذا الميدان إذ فتح صدر مجلته «أبولو» لانتاج الشباب من كافة البلدان العربية كما عنى فى دراساته بانتاجهم ولم يدخر وسعاً فى التنويه بهم وتشجيعهم ولا غرو فى ذلك فهو ـ كما يقول أحد تلاميذه ـ إنسان فى فكره وثقافته وقد «دعا فى الأدب الى الاخاء والاخلاص والديمقراطية والوحدة وخدمة الفكرة والايمان بالمثالية»(١٠) ومن شعرائنا الأوائل الذين حظوا باهتمام أبى شادى محمد سرور الصبان ومحمد حسن عواد وأحمد عبد الغفور عطار(١١).

الدول العربية بالقاهرة، ثم جمعها فى كتاب بعنوان: **(التيارات الأدبية الحديثة فى قلب الجزيرة العربية)** صدر فى القاهرة سنة ١٩٥٩م. وتتميز دراسة عبد الجبار بالاستقصاء والشمول وان اشتط فى بعض الآراء التى لا تتفق مع نزعته العلمية وطبيعته المتزنة الهادئة.

●● وبازدياد التعليم وانتشار الجامعات فى جميع أرجاء المملكة ـ ابتداء من اواخر الخمسينات ـ كثرت أعداد الوافدين للعمل من أخواننا العرب وازداد اطلاعهم على إنتاج الخمسينات ـ كثرت أعداد الوافدين للعمل من اخواننا العرب وازداد اطلاعهم على إنتاج ادبائنا

سواء ما كان منه منشورا فى الصحف والمجلات أو ما كان مطبوعاً فى الكتب والدواوين وقد شارك بعضهم مشاركة إيجابية فى حياتنا الثقافية عن طريق الكتابة فى الصحف والمجلات الأدبية أو إلقاء الأحاديث فى الاذاعة والتلفاز أو المحاضرات فى الجامعات والنوادى الأدبية وقد تهيأت لبعضهم مجموعة صالحة من هذه المقالات والأحاديث والمحاضرات فطبعها فى كتب أو كتيبات كما توفر بعضهم على دراسة بعض الجوانب فى الأدب السعودى الحديث، فى بحوث علمية جادة كما فعل بكرى الشيخ أمين فى رسالته للدكتوراه التى قدمها للجامعة اليسوعية ببيروت وعنوانها **(الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية)** وقد طبعت سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م وكما فعل الأستاذ الدكتور على جواد الطاهر فى بحثه الرائد الذى استغرق منه سنين طويلة وعنوانه **(معجم المطبوعات العربية فى المملكة العربية السعودية)** وقد نشره منجماً فى ست وخمسين حلقة بمجلة «العرب» وللدكتور أحمد كمال زكى نظرات علمية عميقة عن الشعر السعودى ضمنها كتابيه **(النقد الأدبى الحديث)** و**(شعراء السعودية المعاصرون)**.

ولعل من أوائل الوافدين العرب الذين أقدموا على التأليف فى الأدب السعودى كان أحد المعلمين فى بعض المدارس السعودية وهو الاستاذ أحمد أبوه بكر ابراهيم الذى أصدر كتاباً بعنوان: **(الأدب الحجازى فى النهضة الحديثة)** طبع بالقاهرة سنة ١٩٤٨م. وهو مؤلف مفيد له فضل الأسبقية ومساوئها.

ولقد شهدت السنوات الأخيرة فيضاً من تصانيف اخواننا العرب عن أدب المملكة وأدبائها فيها الغث والسمين، وهى تشهد على أية حال بأن هذا الأدب لم يعد ضئيلا مقلدا منعزلا كما كان الحال حينما كتب هيكل مقدمة كتاب (وحى الصحراء) أو حين كتب طه حسين بحثه عن الحياة الأدبية فى جزيرة العرب بين الحربين.

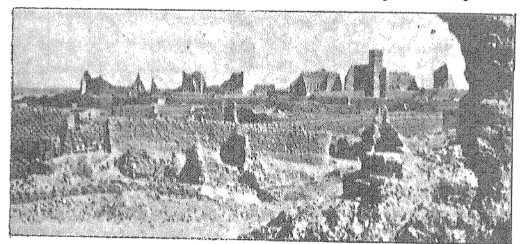
وإذا كان الأدباء والباحثون العرب قد طوفوا - فى أرجاء المملكة ونقلوا ما عرفوه أو شاهدوه الى أوطانهم فإن إخوانهم السعوديين قد شدوا الرحال إليهم - إلى مراكز الثقافة العربية فى القاهرة وبيروت ودمشق وبغداد - منذ زمن بعيد رحلوا طلابا وسواحا فى أول الأمر ثم رحلوا لطبع انتاجهم او لعرضه على شيوخ العلم والأدب، ثم رحلوا ممثلين لبلادهم فى المجامع العلمية والمحافل الأدبية، ثم رحلوا أخيراً أساتذة زائرين فى بعض الجامعات والمعاهد العربية وفى جميع هذه الرحلات كانت تنعقد الصلات الفكرية والروحية وتتوطد العلاقات بينهم وبين إخوانهم العرب. فلم يكن أدباؤنا فى وقت من الأوقات منعزلين عن نبض الحياة فى العالم العربى. وكانوا ينشرون بعض إنتاجهم فى المجلات الأدبية المشهورة مثل **«الرسالة»** و**«الأديب»** و**«الآداب»** ويذيعون بعضه من محطات الاذاعة العربية والعالمية ومن جميع هذه الرحلات والعلاقات والقراءات الواسعة لأقطاب الفكر والأدب، استوحى أدباؤنا أدبهم وفكرهم ومزجوه مزجا متقنا بالتراث والبيئة واختاروا منه ما يلائم القيم الدينية والتقاليد المحلية فأدبنا هو الأدب المتزن وهو الأدب الموزون.

ولم ينتظر أدباؤنا - بين الحربين - من يكتب عنهم بل كتبوا هم عن أنفسهم وتلمسوا جوانب القوة والضعف فى إنتاجهم قالوا إن أدبهم ضعيف لضعف التعليم. عشوائى مشتت لعدم وجود رابطة تجمع الأدباء وتشجعهم.. باهت الشخصية لأنه يقلد ولا يبدع،

وقالوا أشياء كثيرة تفوق ما قاله هيكل وطه حسين من باب النقد الذاتى والطموح الى المثل الأعلى(١٣) وأول البحوث السعودية الطويلة فى الأدب ما كتبه المرحوم محمد سعيد عبد المقصود سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م مقدمة لكتاب «وحى الصحراء» بعنوان: «**الأدب الحجازى والتاريخ**» تناول فيها الأدب فى الحجاز منذ العصر الجاهلى حتى أوائل العهد السعودى وهناك الكثير من المقالات القصيرة التى كانت تنشر فى جرائد «**أم القرى**» و«**صوت الحجاز**» و«**المدينة المنورة**» ومجلة «**المنهل**» حتى أوائل الحرب العالمية الثانية ثم استؤنفت هذه المقالات بعد الحرب فى جريدة «**البلاد السعودية**» و«**اليمامة**» و«**المنهل**» وغيرها من الصحف والمجلات السعودية.

كان عليه فى السابق - ولا سيما فى كتابى عبد الجبار وابن ادريس - وان كنا لا تزال نرى فيها جميعها تعثر المنهج والافتقار احيانا الى الموضوعية.

ثم ما لبثت الجامعات السعودية ابتداء من أوائل الستينات أن شاركت مشاركة قوية فى البحث العلمى لافى مجال اللغة والأدب فحسب بل وفى كافة المجالات الأخرى وقد بدأت بابتعاث معيديها الى الجامعات العربية والأجنبية للتخصص فى دراساتهم العليا فى العلوم والطب والهندسة والدراسات الانسانية ثم أخذت هذه الجامعات بعد عودة مبعوثيها وتطور مراكز البحوث فيها تمنح درجات الماجستير



وفى منتصف الخمسينات الميلادية من هذا القرن نشطت حركة التأليف فى الأدب السعودى نشاطاً ملحوظاً إذ ظهرت ثلاثة كتب فى فترات متقاربة الاول كتاب الأستاذ عبد الرحمن العبيد (الأدب فى الخليج العربى) سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م والثانى كتاب الأستاذ عبد الله عبد الجبار الذى سبقت الاشارة اليه (التيارات الأدبية الحديثة فى قلب الجزيرة العربية) سنة ١٩٥٩م والثالث كتاب الاستاذ عبد الله بن ادريس (شعراء نجد المعاصرون) سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م. وقد تقدم البحث الأدبى فى هذه الكتب خطوات عما

والدكتوراه لطلابها فى شتى فروع العلم والمعرفة ومنها الأدب.

ومن الاساتذة السعوديين الذى كتبوا اطروحاتهم للدكتوراه فى أدب المملكة الدكتور «محمد عبد الرحمن الشامخ» الذى حصل على الدكتوراه من مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م وكانت رسالته بعنوان: (**النثر الأدبى فى الحجاز ١٩٠٨ - ١٩٤١م**) - مع نبذة عن تاريخ صحافة هذه الفترة والدكتور محمد عثمان الصالح وقد حصل على الدكتوراه من جامعة

كيمبردج سنة ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م عن اطروحته التى كانت بعنوان : (الشعر الحديث فى نجد) والدكتور عبد الله آل مبارك الذى حصل على الدكتوراه من جامعة عين شمس بالقاهرة عن رسالته (أدب النثر المعاصر فى شرق الجزيرة العربية) وقد طبعت سنة ١٩٧٠م. ومن المختصين فى الأدب السعودى الدكتور محمد بن سعد بن حسين ومن مؤلفاته (الأدب الحديث فى نجد) وقد طبع سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م والدكتور عبد الله الحامد، وقد ظهر له كتابان فى هذا الموضوع : (الشعر فى الجزيرة العربية خلال قرنين ١١٥٠-١٣٥٠هـ) طبع سنة ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، و(فى الشعر المعاصر فى المملكة السعودية) وطبع سنة ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

إن هذه الأطروحات والكتب تدل على مدى عناية أقسام اللغة العربية فى جامعاتنا بأدب المملكة بل إن هذا الأدب قد أصبح مقرراً قائما بذاته يدرسه الطلاب فى المرحلة الجامعية ومجالا خصباً يبحثونه - ان شاءوا - فى دراساتهم العليا. وقد تبدو هذه العناية مبالغاً فيها ولكننا لو نظرنا إلى عشرات الشعراء والكتاب وعشرات الموضوعات التى لا تزال فى حاجة الى الدراسة والبحث لأدركنا مدى الفائدة التى يمكن أن تعود على أدبنا بخاصة والأدب العربى الحديث بعامة من دراسات هؤلاء الطلاب وبحوثهم. وقد تعجب من كثرة الأدباء فى المملكة على الرغم من أن نهضتنا الحديثة لا تزيد كثيراً على النصف قرن، وقد أحصى الدكتور بكرى الشيخ أمين من هؤلاء الأدباء «ما يقرب من مائة وستين شاعراً وشاعرة». . ومثل هذا العدد من الناثرين والناثرات. .(١٤) كان ذلك عندما طبع كتابه «**الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية**» سنة ١٩٧٢م فكم ترى قد بلغ هذا العدد فى هذه الأيام؟.

الشعر :

لقد تحدثنا فيما مضى عن بعض ما كتبه الباحثون السعوديون وأشقاؤهم العرب عن الأدب العربى السعودى ولكننا لم نتحدث حتى الآن عن هذا الأدب. **فمن أين نبدأ والى أين ننتهى؟** وأمامنا - كما ترون - هذا الكم الهائل من الانتاج الذى درس بعضه ولم يدرس الكثير منه ولا نطمع فى هذه اللمحات الخاطفة - كما سبق أن ذكرت - أن نستوعب القوالب والفنون الأدبية أو أن نغوص فى تحليل الأفكار والتيارات والصور بل يكفينا الوثوب على السطح ونجمع من هنا وهناك «عينات» عشوائية لعلها تغرى بالاستزادة ومتابعة الموضوع فيما ذكرناه وما لم نذكره من مراجع وكتب.

وقصة الأدب فى المملكة العربية السعودية لا تختلف فى مجملها عن قصص الأدب فى البلدان العربية الأخرى. بل الأحرى أن نقول إن للأدب العربى الحديث - مهما اختلفت أو تباعدت مواطن إنتاجه - قصة واحدة تتكرر دائما حتى سئمنا تكرارها أحيانا ولو وجدنا البديل لتحولنا إليه من باب التنويع أو التشويق على الأقل.

فترة ما بين الحربين نشطت فيها حركة النقد الذاتى لدى الكتاب السعوديين طموحًا الى المثل الأعلى فى الانتاج الأدبى

تبـدأ هذه القصة بأواخر العصر العثمانى . . ثم بالاحتكـاك بأوربا . . ثم باحياء التراث . . ثم التأثر بالأفكـار والقـوالب والتيـارات الأوربيـة تأثـرا متـزناً معقـولاً . . ثم بنقـد الـتراث او التمـرد عليه . . ثم بالصراع بين القديم والجديد . . ثم أخيراً وليس آخراً بهذا الكـلام الكثـير الـذى لا ينتهى عن الـتراث والمعـاصـرة . . وقصيـدة النثـر . . والأسطـورة . . والغمـوض . . والقصيـدة والـلاقصيـدة . . والـرواية والـلاروايـة . . والمعقـول والـلامعقـول . . والـوعى واللاوعى والبنيوية وما بعد البنيوية . . الخ .

أما البـدايـة فهى أكثـر فصول هذه القصة وضوحاً وأقلها تعقيداً . نقول عادة إن العصر العثمانى هو عصر الأميّة والجهـل والتأخـر ونطلق عليه أحيانا «**عصر الانحطاط**» او «**العصور المظلمة**» إن أردنا أن نضم اليـه عصـوراً قبله ـ ويبـدو انها ترجمة حرفية لعصور المسيحية فى أوربا (Dark Ages) التى سبقت عصر نهضتها فى القرن الرابع عشر ومؤرخو الأدب العربى قد وجدوا فى هذه التسمية ما يريحهم من عناء وضع المصطلحات الجديدة كما وجدوا فى حملة بونابرت على مصر سنة ١٧٩٨م وماتلاها من اصلاحات وتطلعات فى عهد محمد على بداية مناسبة لعصر النهضة العربية أى المقـدمة المعقولة للأدب العربى الحديث . ولكن هذا الأدب لم يبـدأ فى حقيقة الأمر فى كل من مصر ولبنان الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر حينما أصلح نظام التعليم وتوفر شىء من حرية الرأى وانتشـرت الصحف وازدادت المطـابـع ودور النشر، وبعث التراث وقويت الصلات الفكرية والأدبية بأوربا .

والنهضة بهذا المفهـوم هى ولا شك حيـاة جديدة لم يألفها العرب فى عصورهـم المتأخرة ـ عصور الانحطاط أو عصور الظلام . أما إذا كانت النهضة تعنى العودة بالدين الى منابعه الصافية الأولى وتطهير العقول مما عشش بها طويلا من أوهام وخرافات فإن هذه النهضة قد بدأت هنـا فى الدرعية قبل حملة نابليون بما ينيف على النصف قرن . لقد كان أثر الدعوة السلفية التى قام بها الشيـخ محمد بن عبد الوهاب بمناصرة أئمة الدولة السعودية الأولى ـ عظيماً فى توحيد عرب الجزيرة تحت راية العقيدة والجهاد فى سبيلها كما كان لها أثر كبير فى إحياء الفكر والأدب .

يقول الدكتور طه حسين إن الشعراء الذين التفوا حول الدعوة وحول أمرائها المجاهدين قد عادوا بالشعر الى أسلوبه القديم «وأسمعونا فى القرن الثانى عشر والثالث عشر فى لغة عربية فصيحة هذه النغمة التى لا يقلد صاحبهـا فيهـا أهل الحضر ولا يتكلف فيها البديع وإنما يبعثها حرة ويحملها كل ما تجيش به نفسه من عزة وطموح إلى المثل الأعلى ورغبة قوية فى إحياء المجد القديم»(١٥) .

ولكن تلك النهضـة التى تمثـل الانطـلاقـة العـربية الأولى لا فى الجزيرة العربية وحدها بل فى العالم العربى بأجمعه ـ لم يكتب لها أن تستمـر فى القـرن التاسع عشر بعد أن أجهز عليها العثمانيون وحلفاؤهم .

وعـادت النهضـة العربية الى رد الفعل أمام قوة بونابرت بعد أن كانت فاعلة تتفجر ذاتيا من وجدان الأمـة وتـراثهـا العظيم . وإذا كانت سحب العصور العثـمانية القديمة قد بدأت تنقشع تدريجياً عن سماء مصر منذ مطلع القرن الماضى فإن هذه السحب قد استمرت فى سماء الجزيرة العربية حتى أوائل هذا القرن .

وفي ولاية الحجاز قام الاتحاديون - بعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م - ببعض الاصلاحات الطفيفة التي جاءت متأخرة جداً وكأنها صحوة الموت. فأسسوا في مكة المكرمة أول جريدة رسمية في الجزيرة العربية - ما عدا اليمن - باسم «حجاز» تصدر أسبوعية باللغة التركية والعربية. وقد كتب تحت عنوانها في بعض الاعداد عبارة: **«جريدة الولاية الرسمية»** كما كتب أيضاً في بعض أعدادها الأخرى عبارة: **«جريدة الولاية الخادمة لعموم منافع الدولة والملة»** وقد ظلت تصدر حتى قيام الثورة العربية سنة ١٩١٦م.

والمتصفح لجريدة «حجاز» يلاحظ بسهولة كثرة الأخطاء اللغوية والنحوية بل والاملائية في أكثر مقالاتها كما يلاحظ ركاكة الأسلوب المليء بالعديد من الكلمات والمصطلحات الأجنبية. ولم تهتم جريدة «حجاز» بالأدب وإن رأيناها تنشر قصيدة طويلة لأحد الشعراء النظامين في مديح السلطان محمد رشاد يسير فيها على الطريقة التقليدية على هذا النحو:

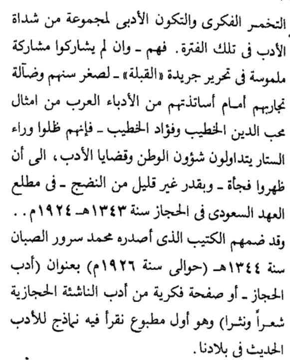
بني عثمان هنئتم بليث
لكم من ركن دولته اعتماد
بني عثمان هنئتم بعصر
لكم بيت الرشاد به يشاد
بني عثمان حزتم سعد مجد
وسبق قد يقصر له اطراد

ورغم ركاكة الأسلوب في جريدة «حجاز» فإن الدكتور محمد الشامخ يقول إن بعض ما كان ينشر فيها من افتتاحيات ومقالات كان ينشد الاصلاح ويحث المواطنين على النهضة واللحاق بركب الحضارة الحديثة. ويقول إن لجريدة «حجاز» الفضل في كونها أول صحيفة تناقش شؤون الحجاز المعاصرة وتحاول معالجة مشاكله(١٧) ولم تكن جريدة «حجاز» هي الجريدة الوحيدة التي صدرت في ولاية الحجاز في أواخر العهد العثماني بل صدرت بعدها خمس صحف أخرى هي: **«شمس الحقيقة» و«الاصلاح الحجازي» و«صفا الحجاز» و«الرقيب» و«المدينة المنورة»**، وان كان بعضها لم يعمر سوى بضعة أشهر أو عدة أسابيع(١٨).

ومهما يكن فإن أواخر العصور العثمانية تتشابه في كافة البلدان العربية: الركاكة والعجمة.. والسجع والمحسنات.. وغلبة الموضوعات التقليدية المكررة من اخوانيات ومدائح ومراث وتهان.. الخ.. وكذلك اجترار الصور والأخيلة والمعاني التي لاكها الشعراء والكتاب منذ أقدم الازمان. هكذا كتب الشيخ أبو بكر خوقير مفاخرته: «مسامرة الضيف بمفاخرة الشتاء والصيف» وهكذا نظم الشاعر إبراهيم الأسكوبي مفاخرته الشعرية بين «وابور البحر ووابور البر»(١٩) وكلاهما من ادباء أواخر العهد العثماني في الحجاز.

أما العهد الهاشمي في الحجاز - من سنة ١٩١٦ الى سنة ١٩٢٤ - فقد كان مشغولا بحرب الأتراك ومفاوضاته مع الانجليز وآماله في الدولة العربية الكبيرة. وقد حلت جريدة «القبلة» محل جريدة «حجاز» في الحرب الكلامية والدعاوى السياسية. كانت «حجاز» تنافح عن سياسة «الاتحاد والترقي» فأصبحت «القبلة» تنافح عن قضايا التحرير وتهاجم العثمانيين وتعاقب الانجليز وتذكرهم بوعودهم. وبطبيعة الحال: لم يكن للأدب نصيب كبير على صفحات جريدة «القبلة» المزدحمة بالمقالات السياسية والافتتاحيات والتعليقات اللهم إلا ما كان يخدم تلك الأهداف والقضايا.

ومع ذلك فإن العهد الهاشمي يعتبر بداية



التخمر الفكرى والتكون الأدبى لمجموعة من شداة الأدب فى تلك الفترة. فهم - وان لم يشاركوا مشاركة ملموسة فى تحرير جريدة «القبلة» - لصغر سنهم وضآلة تجاربهم أمام أساتذتهم من الأدباء العرب من امثال محب الدين الخطيب وفؤاد الخطيب - فإنهم ظلوا وراء الستار يتداولون شؤون الوطن وقضايا الأدب، الى أن ظهروا فجأة - وبقدر غير قليل من النضج - فى مطلع العهد السعودى فى الحجاز سنة ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م.. وقد ضمهم الكتيب الذى أصدره محمد سرور الصبان سنة ١٣٤٤هـ (حوالى سنة ١٩٢٦م) بعنوان (أدب الحجاز - أو صفحة فكرية من أدب الناشئة الحجازية شعراً ونثرا) وهو أول مطبوع نقرأ فيه نماذج للأدب الحديث فى بلادنا.

وللصبان الفضل فى تعريفنا بهؤلاء الشباب الذين نسمع بأسمائهم لأول مرة ولم نقرأ لمعظمهم شيئا فيما صدر من صحف العهد الهاشمى. وفى مقدمة الصبان للكتاب إشارات مهمة تلقى بعض الأضواء على هؤلاء الأدباء المجهولين الذين كانوا عصاميين فى تعليمهم وطنيين فى افكارهم ومشاعرهم.. يملؤ قلوبهم الحزن على ما أصاب البلاد من تأخر وضعف خلال العصور الماضية.

● يقول الصبان فى مستهل مقدمته: «أقدم بين يدى القارىء الكريم صفحة فكرية وجيزة من شعر الشبيبة الحجازية ونشرها لهذا العهد ولأول مرة فى التاريخ الأدبى لهذه البلاد بعد فترة طويلة وقرون كثيرة قضى بها سوء الطالع لهذه الأمة ولهذا الوطن ان يكون علم الأدب فيها غريبا والأدب مبتذلا»(٢٠) ويقول عن هذه الطلائع من الأدباء الشبان انهم كانوا نفرا من الطلبة وجدوا التشجيع والرعاية من بعض الرجال المخلصين الذين «كانوا يقومون بتثقيفهم وتهذيبهم بقدر الامكان فى جو من الصمت والانزواء»(٢١). ومن هؤلاء الذين ضمهم كتاب الصبان: محمد عمر عرب ومحمد حسن



● وجـوه ثقافيـة ●

عبد القدوس الانصارى

عبـد القـدوس الانصارى ابن القاسم بن محمد بن محمـد الانصـارى الخـزرجى (١٣٢٤هـ/١٤٠٣) درس على يد الشيـخ محمـد الطيب الانصـارى ثم تخرج فى مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة ١٣٤٦هـ. والتحق بديوان امارة المدينة فى ١٣٤٦هـ وظل به حتى ١٣٥٩ حين عين رئيسا لتحرير الجريدة الرسمية «ام القرى» بمكة ثم انتقل فى ١٣٦١ للعمل بديوان نائب جلالة الملك بالحجاز حتى ١٣٨٦. تتلمذ على الشيخ الطيب بن اسحق بن الزبير الانصارى والسيد احمد الفيض أبادى والشيخ عبد الغنى. بدأ نشر مقالاته فى ١٣٤٦هـ وفى ١٣٤٨ بدأ فى اجـراءات اصـدار مجلة المنهـل وصـدر العـدد الاول فى ١٣٥٥هـ وفى ١٣٤٨ أيضا نشرت له اول قصه فى المملكة العـربيـة السعودية وهى **«التوأمان»** وفى ١٣٥٣هـ كتاب «آثـار المـدينـة المنـورة» وفى نفس السنـة اصـدر كتاب (اصـلاحـات فى لغـة الكتابه والأدب) وفى سنة ١٣٦٤ اصـدر كتاب «بناة العلم فى الحجاز الحديث» ثم توالت الكتب (**تحقيق امكنــة فى الحجــاز وتهــامــه**) (**ديـوان الانصـاريات**).. (**تاريخ مدينة جدة**).. (**تاريخ العين العزيزية بجدة**) (**لمحات عن مصادر المياه بالمملكة العربية السعـودية**).. (**بين التاريخ والآثار**).. (**بنو سليم**).. (**نشاط وزارة المواصلات**).. (**الشيخ عبد الرحمن الناصر السعـدى**).. (**رحلة الـريـاض**).. (**رحلة الباحة**).. (**رحلة الحجاز**).. (**رحلة بنى تميم**).

عواد ومحمد سعيد العامودى وعبد الوهاب آشى، وقد استمروا فى الانتاج والعطاء وبعضهم لا يزال. أمد الله فى عمره على قيد الحياة.

لقد اختلف الباحثون حول بداية الأدب الحديث فى هذه البلاد أيعودون بها الى أواخر العصر العثمانى (١٩٠٨ ـ ١٩١٦م) أم الى الفترة الهاشمية (١٩١٦ ـ ١٩٢٤) أم الى مستهل العهد السعودى فى الحجاز سنة ١٩٢٤؟ ومهما كانت مبررات الباحثين ـ وقد ألمحنا الى بعضها فيما سبق ـ فى التقديم أو التأخير، فإن الحقيقة التى ينبغى التأكيد عليها هنا هى أن الظاهرة الأدبية لا يمكن أن تقاس بالسنوات بل لابد أن تكون مصاحبة لظواهر أخرى فى حياة الأمة مادية ومعنوية.

ولم يكن اعلان الدستور العثمانى ولا الثورة العربية ضد الأتراك مما يهم المواطنين البسطاء فى مدن الحجاز وبواديها وقد آدهم الفقر والجهل والمرض قرونا طويلة ولا يمكن للأدب أن ينشأ من فراغ أو يقتات على شعارات براقة وأفكار مجردة.

● أما دعوة جلالة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ فقد كانت نابعة من ضمير الأمة ووجدانها فى العودة الى الدين الحق، وتحرير العقل من الأسطورة والخرافة وبناء الشخصية العربية على أسس ثابتة من المبادىء الاسلامية العظيمة التى تؤمن بالعلم والعمل وتدعو إلى الحرية والعدالة وقد كان عبد العزيز رجلا واقعيا يعمل فى حكمة وصمت قضى شطراً عظيما من حياته منذ فتحه الرياض سنة ١٩٠٢م يحارب ويجاهد فى سبيل التوحيد والوحدة حتى استطاع فى آخر الأمر أن يلم الأشلاء المتناثرة ويتألف القلوب المتباغضة فأعلنها وحدة وطنية تحت راية التوحيد باسمها الجديد: «المملكة العربية السعودية» سنة ١٩٣٢م.



● وجوه ثقافية ●

بشارة الخورى:

(١٨٨٤ ـ) شاعر عربى تلقب بالأخطل الصغير. مولده ونشأته واقامته فى لبنان. نشر فى مطلع حياته الأدبية قصائد قصصية: «عمر والنعمان» و«عروة وعفراء».. الخ. واتجه الى الصحافة فانشأ مجلة «البرق» ولكنه لم ينقطع عن قول الشعر وظهر ديوانه «الهوى والشباب» بعد ان نال شهرة واسعة. انتاجه الشعرى يمتد طوال فترة بدأت بسيطرة انصار الصياغة التقليدية والنسج المحكم واستمرت الى التمذهب الواضح بالرومانسية أو الرمزية أو غيرها. يعد بين شعراء لبنان متميزا عن الأولين بنغماته الوجدانية وصوره التخيلية وعن الآخرين بمحافظته على القوالب العربية القديمة. ظل محتفظا دائما برنة موسيقية ناعمة وبعض شعره يتغنى به.

إن العهد السعودى قد بدأ فى نجد منذ إطلالة هذا القرن قبل الدستور العثمانى وقبل الثورة العربية ولم يكن الحجاز سوى حلقة من حلقات العمل الوحدوى الذى انجزه عبد العزيز على مدى ربع قرن من الجهاد والكفاح، وفى موجات متتالية.. ورغم إمكانيات الدولة الضئيلة وضيق مواردها الاقتصادية فى ذلك الوقت فإن عبد العزيز قد قام بكثير من الاصلاحات المهمة وفى مقدمتها توطين البدو وتوطيد الأمن، وتنمية الموارد ونشر التعليم والانفتاح على العالم الخارجى. لقد بدأت الدولة السعودية الحديثة إذن منذ الربع الثانى من هذا القرن، وبدأ معها أدبنا الحديث. وظلت منطقة الحجاز حتى نهاية الحرب العالمية الثانية فى مقدمة مناطق المملكة استهلاكا وإنتاجا لهذا الأدب بحكم مركزها الثقافى القديم وبدء انتشار التعليم الحديث وتأسيس الصحف فى ربوعها ولكن ما لبثت أن لحقت بها مناطق المملكة الأخرى فتعددت البيئات التى تستوعب هذا الأدب وتنتجه.

والملاحظ أن أدباءنا قد واكبوا هذه النهضة السعودية الجديدة وتابعوا مسيرتها الخيرة منذ البداية فتغنى الشعراء بأعمال عبد العزيز وبهرتهم شخصيته العظيمة وتحدثوا عن منجزاته وخلدوها فى مناسبات عدة. ومن يطالع كتاب المرحوم الأستاذ عبد القدوس الأنصارى **«الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر»** يجد أمثلة لهذه القصائد التى تفيض بالحماسة والاعجاب وقد قسمها المؤلف الى قسمين:

الأول: **«شعر الملامح»** وهو الشعر الذى يصف ويصور ويجسد الشمائل والملامح والمفاخر والمآثر..

الثانى: **«شعر الملاحم»** وهو الشعر المعروف بشموله لكل من سيرة البطل الذى انتظمت فيه الملحمة الشعرية.. وسير أسلافه وأوضاعهم.. وسير خصومه وأوضاعهم.. وانتصاراته الحاسمة وهزائمه إلى بطولات أخرى مقارنة أو مقاربة.. وقد أورد الأنصارى نماذج لتسعة عشر شاعراً فى القسم الأول.. كما ذكر فى القسم الثانى ملحمتى خالد الفرج فى «أحسن القصص».. وبولس سلامة فى «ملحمة عيد الرياض» ولم يقتصر المؤلف على الشعراء السعوديين بل شمل كذلك بعض الشعراء العرب من أمثال: أحمد فتحى وعباس محمود العقاد وعبد المحسن الكاظمى وعلى أحمد باكثير. ويقول الأنصارى: «لو جمع سائر الشعر الذى قيل فى الملك عبد العزيز لملأ مجلدات.. ففى عصرنا الحالى لم تنثر درر البيان الشعرى على ملك أو زعيم عربى كما نثرت هذه الدرر على عبد العزيز(٢٢).

ومن أبرز الشعراء السعوديين الذين التصقوا بعبد العزيز وخلدوا مآثره وبطولاته محمد بن عثيمين ومحمد بن بليهد وأحمد ابراهيم الغزاوى وفؤاد شاكر. وكانوا ينهجون فى مدائحهم نهج القدماء وشعراء الاحياء وقد يوغل بعضهم فى التقليد فيقف على الأطلال ويسائل الديار ويتغزل بمحبوبته ثم يتخلص الى غرضه كما نرى ذلك واضحا فى شعر محمد بن عثيمين إذ يقول فى

مطلع قصيدته التى يمدح فيها جلالة الملك عبد العزيز بمناسبة انتصاره فى وقعة «تربة» سنة ١٣٣٧هـ.

عُجْ بى على الربع حيث الرند والبان
وإن نأى عنه أحباب وجيرانُ
فللمنازل فى شرع الهوى سنن
يدرى بها من له بالحب عرفان
وقلَّ ذاك لمغنى قد سحبن به
ذيل التصابى برسم الشجو غزلان
القاتلات بلا عقل ولا قود
سلطانهن على الأملاك سلطان
لله أحور ساجى الطرف مقتبل
عذب اللمى لؤلؤى الثغر فتان
عبل الروادف يندى جسمه ترفا
ظامى الوشاح لطيف الروح جذلان
كأنما البدر فى لألاء غرته
يا ليت يصحب ذاك الحسن إحسان

وتابع الشعر السعودى المناسبات الوطنية وعبر عن فرحة الشعب بكافة المشروعات البناءة التى تعود عليه بالرفاه والخير. كما انتقد العادات السيئة فى المجتمع ودعا الشباب الى الاغتراف من نبع العلم والتشمير عن ساعد الجد لبناء الوطن وإعادة أمجاده السالفة يقول عبد الله الفيصل من قصيدة له مشهورة بعنوان «الى شباب بلادى»:

مرحى فقد وضح الصوابْ
وهفا الى المجد الشبابْ
عجلان ينتهب الخطى
هيمان يستدنى السحاب
فى روحه أمل يضىء
وفى شبيبته غِلاب
قد فارق الجهل العقيـ
ـم وهش للعلم اللباب
ورنا الى مستقبل
يرقى له متن السحاب

● ويحث الشباب على طلب العلم لأنه سر تقدم الشعوب فيقول:

ما المجد يطلب بالمنى
كلا ولا السُّمْر القضاب
المجد يبنى بالعلو
م تهز عالمنا العجاب(٢٤)
والعلم راية كل شعب
ناهض سامى الرغاب

وقد تغنوا بالوطن فكرة وأرضا.. ووصفوا جباله ووهاده.. ونجوده وسهوله ووديانه ومياهه وشطآنه.. كما وصفوا أزهاره ونخيله ونباته.. وحنوا الى مدارج الطفولة ومرابع الصبا ومغانى الحب. وللمرحوم حمزة شحاته قصيدة طويلة مشهورة فى وصف مدينة جدة يناجيها بأعذب الألفاظ وأرقها يقول فى أبياتها الأولى:

النهى بين شاطئيك غريق
والهوى فيك حالم ما يفيق
ورؤى الحبِّ فى رحابك شتى
يستفز الأسير منها الطليق
ومعانيك فى النفوس الصديا
ت إلى ريها المنيع رحيق
إيه يا فتنة الحياة لصبٍّ
عهده فى هواك عهد وثيق

سحرته مشابه منك للخلد
ومعنى من حسنه مسروق
كم يكر الزمان متئد الخطو
وغصن الصبا عليك وريق
ويذوب الجمال فى لهب الحـ
ـب إذا آب وهو فيك غريق
عدت ملفوفة به فى دجى الليـل
وقـد هفـهف النسيـم الرقيق(٢٥)

● ويقول محمد الفهد العيسى من قصيدته «صبا نجد» وقد نحا فيها نحو القصيدة العربية القديمة وزناً ومعنى :

ألا يا صبا نجد فديتك يا نجدى
متى كان عهدك بالأحباب فى نجد؟
متى كنت فيهم فى مواسم حبهم
وفى روضة «التنهات» كيف هو بعدى؟

أيذكرنى الخلان فى الوسم عندما
تلوح بروق المزن أم أنسيوا عهدى؟
سقا الله أرضا كنت بين رياضها
أريق كؤوس البوح وجداً على الوجد

● ويختمها بهذه الأبيات التى تعبر عن الفقد والحزن :

ألا يا صبا ما الطيب ما العرف بعدها
وما الزهر ما القيصوم ما العبق للورد؟
ألا يا صبا ما قد صفا الدهر مثلما
تناهى الينا الحب فى الروض من نجد
ومرت كبرق لحظة العمر بعدما
تناهت بى الأيام فى المهمه الجرد(٢٦)

وكما تغنى الشعراء السعوديون بالوطنية والوطن. فقد تغنوا كذلك بالوطن العربى الكبير وتابعوا قضاياه فى التحرر والوحدة ومعاركه مع الاستعمار والصهيونية وكانت قضية فلسطين - ولا تزال - فى مقدمة القضايا التى تستقطب المشاعر وتدمى القلوب وتستثير الغضب. وقد شارك الشعراء السعوديون إخوانهم العرب فى التعبير عن النكبات المتلاحقة التى حلت بالعرب منذ نكبتهم الأولى سنة ١٩٤٨م حتى اليوم ومن الصعب الاحاطة بالقصائد التى قيلت فى فلسطين فهى تعد بالعشرات أو المئات فلا يكاد يخلو ديوان من دواوين شعرائنا من قصيدة أو اكثر تفخر او تمجد او تسخر وتتشاءم. وبعضهم جعل من اسم فلسطين عنوانا لبعض دواوينه كما فعل حسن عبد الله القرشى فى ديوانه (فلسطين وكبرياء الجرح).

وفى الشعر السعودى الى جانب الصوت النضالى الصاخب الثائر نغمات ذاتية هامسة حزينة تنداح من قلب الشاعر فى دفقات مفعمة بالألم والشعور بالضياع أو الغربة وهى نغمات قديمة سمعناها من شعرائنا الرواد من أمثال العواد والفقى وحسين سرحان وحمزة شحاته الذين تأثروا بمدرسة الديوان ومدرسة المهجر ومدرسة «ابولو» ولا نزال نسمعها من شعرائنا الشباب المتأثرين بأدونيس والسياب والماغوط أو أساتذة هؤلاء من أمثال اليوت وعزرا باوند. ومظاهر الرومانسية فى شعرنا المحلى لا تختلف عن مظاهرها فى الشعر العربى الحديث الهيام بالطبيعة والليـاذ بالماضى. . والشعور بالغربة الروحية. . والاغراق فى عالم الخيال والنفحات الصوفية والنظرة المتشائمة. . الخ(٢٧).

●● وإذا كنا لن نستطيع فى هذه العجالة ان نكتشف هذا العالم الشعرى الرائع الحافل بالمواقف الانسانية

وألوان الصراع النفسى والعواطف المضطربة الصاخبة فلا أقل من أن نشير الى واحد من أبرز شعرائنا واكثرهم عطاء فى هذا اللون الفلسفى التشاؤمى المتأمل وهو محمد حسن فقى الذى أصدر حتى الآن ديوانين (قدر ورجل) و(رباعيات) وهو يعكف فى هذه الأيام على جمع شعره الكثير الذى سيصدر فى عدة مجلدات يقول فى المقطع الأول من قصيدته الطويلة «نفس تبحث عن نورها» فى ديوانه «**قدر ورجل**» :

قلت للأنجم المضيئة حولى
أى نجم يضىء ظلمة ليلى
سرمدى الظلام هذى دياجيك
تراكمن فى فؤادى وعقلى
حندس فوق حندس - أيها الليل

وهول يسير فى إثر هول
واغتراب يحن للدار والأهل
فيشقى بكل دار وأهل
ومسير اذا استراح الى السير
تصدى لوقفه الف غل
ان فى وحدتى فراراً من الناس
ولكنه فرار . . المدلّ
ما الذى ابتغيه منهم سوى الجهل

وحسبى أنى أضيق بجهلى
رُبَّ مستوحد تجلى له الأنس
ومستصحب عداه التجلى
إن روحى لو استظل من الشمس

ليحسو الهجير فى كأس ظل
قد تولت سعادتى فتجلدت
ولكن عزتى لم تول(٢٨)

ولقد نشأ فى شعرنا المعاصر اتجاه رمزى يجارى الرمز فى الشعر العربى القديم ولكن هذا الاتجاه ما لبث أن تطور على أيدى الشباب الى رمزية غامضة تعتمد على الأسطورة والأحلام واللاوعى ولا تحتفل بالموسيقى الخارجية أو الترابط المنطقى للألفاظ والمعانى(٢٩) ومن الطبيعى أن يثير هذا الغموض والتحرر من الموسيقى نوعاً من القلق النفسى لدى المحافظين والمعتدلين على حد سواء.

أولا : لانطواء هذا الشعر واستغلاقه على الفهم.

ثانيا : لما يمكن ان يؤدى اليه من بتر للصلات بين القديم والحديث. وقد ألف الأستاذ أحمد فرح عقيلان كتيباً طريفاً سماه (**جناية الشعر الحر**) عدد فيه أربع عشرة «جناية» لهذا اللون من الشعر على تراث الأمة العربية وقيمها وأخلاقها(٣٠).

والحقيقة انه رغم تأثر الشعر السعودى المعاصر بأقطاب الشعر الحر وقصيدة النثر فى العالم العربى فلا يزال فى جوهره محافظا معتدلا. وقد لاحظ بعض الباحثين تميز شعر الغزل فى الأدب السعودى بشخصيته الاسلامية وتأثره بالألفاظ الدينية. وترفعه عن تصوير مواقف الخلاعة والمجون وبعده عن الميوعة والتخنث(٣١) ولا يظهر الطابع الدينى على الغزل وحده بل نراه كذلك فى كثير من القصائد التى تحتفل بالمناسبات الدينية او التى تدعو المسلمين إلى الوحدة والنهوض والتى يرجع فيها الشاعر الى نفسه متحسساً ضعفه ومتأملا فى تفاهة الحياة أو، تائبا الى ربه يرجو المغفرة والرضوان(٣٢).

النثر

●● واذا ما التفتنا بعد ذلك الى فن آخر وهو فن النثر الأدبى . . وجدناه يولد مع ولادة الصحافة فى بلادنا . . وينمو وينتشر ويتنوع مع نموها وانتشارها وتنوعها. فالحديث عن النثر هو بالضرورة حديث عن الصحافة لا سيما أنها كانت بين الحربين تغلب عليها الصبغة الأدبية كما أنها تولت نشر معظم الانتاج الأدبى ـ شعره ونثره ـ لقلة الحوافز المادية والمعنوية التى من شأنها ان تدفع الشعراء والكتاب اثناء تلك الفترة الى نشر انتاجهم فى كتب مستقلة. ومن هنا رأينا روادنا الأوائل يجمعون بين الصحافة والأدب . . وقد عانوا من أعباء صاحبة الجلالة ما عانوه من حمى الالهام وشياطين الشعر(٣٣) وقد استمرت هذه العلاقة الحميمة حتى وقتنا الحاضر وإن رأينا التطور الكبير الذى بلغته صحافتنا فى السنوات الأخيرة، كما رأينا ظهور الكثير من المجلات التى تعنى بالأدب والثقافة والمجلات الأكاديمية المتخصصة التى تصدرها الجامعات والمؤسسات العلمية المختلفة.

●●

«الخمسينات» تعد بداية النمو والانتشار للقصة السعودية «والسبعينات» تعد أهم فترات ازدهار القصة القصيرة شكلا ومضمونا..



●● إن مادة الصحافة هى النثر ولكن النثر لا يصبح أدبا إلا اذا توفرت فيه شروط الأدب من عمق الفكرة وجمال الصورة وجودة الصياغة . . الخ. وقد كان للمقال الأدبى مكان الصدارة فى صحافتنا بين الحربين وذلك لغلبة الصورة البيانية على المادة الصحافية فى ذلك الوقت وتأثر روادنا بمختلف الأساليب الأدبية السائدة فى العالم العربى.

فلم يكن من العسير أن تميز المؤثرات القوية التى خلفها أمثال: «جبران والريحانى وطه حسين والرافعى والعقاد» على أساليب الناشئة من أدبائنا فى أثناء العقدين الثالث والرابع من هذا القرن. ولكن ذلك التأثر كان طبيعياً فى مرحلة التكوين والتلمذة. ومع ذلك فإننا لا نعدم ـ حتى فى تلك المرحلة المبكرة من تاريخنا الأدبى ـ ظهور بعض المواهب المتميزة التى استطاعت أن تشق طريقها فى زحمة التقليد ووطأة التقاليد لتميز نفسها بفكر نفاذ وشخصية مستقلة.

ولابد أن نذكر هنا المرحوم الشاعر الأديب حمزة شحاته فقد كان عملاقا متفرداً فى شعره ونثره ترفده ثقافة واسعة وذكاء لماح ولغة مشرقة مركزة ومقدرة عجيبة على تفتيق المعانى وإثارة السخرية. ولا يزال معاصروه يذكرون سلسلة مقالاته العميقة الساخرة التى كان ينشرها فى جريدة «**صوت الحجاز**» سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م تحت عنوان «حنفشعيات» وقد نشرت مؤخرا مع مجموعة من مقالاته النقدية فى كتيب بعنوان (حمار حمزة شحاته) ـ كما يذكرون محاضرته «**الرجولة عماد الخلق الفاضل**» وقد استغرق إلقاؤها ساعات طويلة(٣٤) والحقيقة أن كتاب المقالة الأدبية كثيرون نذكر منهم على سبيل المثال ـ لا الحصر ـ الأساتذة «**أحمد عبد الغفور عطار . . وحمد الجاسر وعبد القدوس الأنصارى . . وعبد الكريم الجهيمان . . وعبد الله بن إدريس . . وحسين**

سرحـان . . ومحمـد عمـر توفيق . . وسعـد البواردي . . » الخ .

●● أما القالب النثرى الآخر الذى أفرزته الصحافة فهـو قالب القصـة القصـيرة . وقـد بدأت فى صورة مقـالات قصصيـة متأثـرة بفن المقـامـة أو الأسلوب الحوارى البسيط الذى يهدف فى الدرجة الأولى إلى التعليم والـوعـظ ثم ما لبثت أن اتخـذت شكلا فنيا معقـولا فى مجلة «المنهـل» ولصـاحب المنهل المرحوم الاستـاذ عبـد القـدوس الأنصارى فضل لا ينكر فى إدخـال هذا اللون المهم من الفنـون النثرية فى ادبنا المعـاصـر . فهو فضلا عن مشاركته الفعلية فى كتابة القصة فقد شجع نشر الانتاج القصصى فى مجلته وقام برعاية المواهب الشابة منذ وقت مبكر . .

يقول الانصارى :

«منـذ صدور المنهل (سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٧م) جعل نصب عينيه النهوض تدريجياً بالقصة فى الأدب السعودى فالتزم فى أغلب الأحيان وفى أكثر الأعداد نشر قصة نثرية أو شعرية أو قصتين أو ثلاث فى عدد واحد . ذلك لأنه أدرك أمرين : أحدهما ان القصة هى لون من ألـوان الأدب العالمى المعاصر وثانيهما قصور مستـوى أدبائنا عن الركب العالمى فى هذا الفن . . » ويـذكـر الأنصـارى أن عدد القصص التى نشـرهـا «المنهل» ما بين السنوات ١٩٣٧-١٩٦٠ قد بلغ خمساً وعشـرين ومائة قصة ما بين نثر ونظم . ومن الأسماء التى يذكرها فى قائمته : أحمد رضا حوحو ومحمد عالم الأفغـانى ومحمـد أمـين يحيى ومحمد سعيد العامودى واحمـد السباعى وشكيب الأموى ومحمد زارع عقيل وحسين سرحان وطاهر زمخشرى(٣٥) .

●● ولكن القصة السعودية لم تبدأ فى النمو والانتشار فى مجموعات مستقلة إلا فى منتصف الخمسينات حين اصدر حسن القرشى وأمين سالم رويحى وخالد خليفة مجمـوعاتهم القصصية ثم حذا حذوهم فى الستينات قصصيـون آخرون من أمثال ابراهيم الناصر ومحمود عيسى المشهدى وغالب حمزة ابو الفرج ونجاة خياط . على ان أهم الفـترات التى ازدهـرت فيهـا القصـة القصيرة فى بلادنا شكلا ومضمونا هى فترة السبعينات حتى وقتنا الحاضر فقد أثبتت القصة القصيرة فى هذه المرحلة أنهـاالقـالب المفضـل لدى الكثـير من أدباء الشبـاب فنـافست الشعـر وزحـزحتـه عن مكـانتـه القـديمـة . ونـذكر من القصصيين الشبان : «**محمد علوان وعبد الله السالمى وحسين على حسين وجار الله الحميد وعبد العزيز مشرى وسباعى عثمان**» ومن القصصيـات : «**خـيريـة السقـاف ورقيـة الشبيب ولطيفة السالم**» .

●● ومن أهم المـوضـوعـات التى عالجتهـا القصـة السعـوديـة القصـيرة قضية التحول الاجتماعى الذى واكب النهضـة العمـرانيـة والتعليمية والاقتصادية فى بلادنا منذ توحيدها إلى أن بلغ أوجه فى السبعينات من هذا القرن . وكان المرحوم أحمد السباعى قد بدأ الاتجاه الواقعى فى القصة القصيرة بما كان ينشره من مقالات وصـور قصصيـة فى جريدة «**صوت الحجاز**» ومجلة «**المنهل**» بين الحربين يهدف منها إلى الاصلاح وانتقاد بعض العادات السيئة فى المجتمع . ولكنه استطاع أن يرسم بعض اللوحـات الشعبيـة الـرائعـة فى كتـابـه (**أيـامى**) وهو سيرة ذاتية تحكى عن طفولة الكاتب وشبـابـه فى اثنـاء العهـد الهـاشمى وأوائـل العهـد السعـودى . وكـان السبـاعى دقيقـاً فى وصف البيئة وتصوير ملامح الشخصية ودوافعها النفسية يستخدم اللهجـة المحليـة لتصـويـر الـواقع وتقريبه إلى ذهن القارىء وكان ساخراً مرحاً يذكرك بالجاحظ والبشرى

لقد مهد السباعى فى (أيامى) وفى مجموعاته وصوره القصصية الأخرى - مثل (خالتى كدرجان) و(صحيفة السوابق) و(قال وقلت) - للاتجاه الواقعى فى القصة السعودية المعاصرة الذى يلتصق بالبيئة ويصور معالمها وشخوصها ويبحث فى قضاياها الاجتماعية وهمومها ومن أهم القصصيين الذين ساروا فى هذا الاتجاه - فى أواخر الخمسينات والستينات - ابراهيم الناصر فى مجموعاته القصصية الثلاث: «**أمهاتنا والنضال**» و«**أرض بلا مطر**» و«**غدير البنات**».



بعض ندوات
مجلة المنهل الثقافية.

لقد ورث الناصر عن السباعى ميله الى النقد الاجتماعى وتدخله - أحيانا - فى بعض المواقف القصصية وإن لم يكن مثله فى خفة الروح والسخرية إذ كان يرصد مجتمعاً معاصراً فى حالة نمو دائم وحركة بينما كان السباعى يسجل بقايا مجتمع ساكن قديم. لذلك فإننا نرى إبراهيم الناصر يركز على أثر التغير الاجتماعى وانعكاس مظاهر الحياة الجديدة على نفسيات أبطاله وسلوكهم فى أكثر اقاصيصه. وقد كانت هجرة البدو والقرويين إلى المدن الكبرى من أهم المظاهر الاجتماعية الجديدة التى عالجها الكاتب وقد بيّن - عن طريق المناجاة الذاتية أو «**الديالوج الداخلى**» - عنف الصراع الذى ينشب فى نفوس شخصياته حين تصطدم قيم البادية وحياتها العفوية البسيطة بقيم المدنية وحياتها المتكلفة المعقدة(٣٦).

وقد استمرت قصة السبعينات فى معالجة القضايا الاجتماعية ولكنها اتخذت عند بعض الشبان طابعا جديداً يختلف كل الاختلاف عن ذلك الذى رأيناه فى القصة السابقة. ومن أهم ما يميزها بعدها عن الحكاية وتمردها على قواعد القصة التقليدية وقلة عنايتها بتصوير الواقع المسادى للبيئة. فهى تدور غالبا حول الذات الانسانية مصورة احساسها بالضياع والغربة فى وسط يناوئها او لا يحس بوجودها. وقد اقتربت القصة المعاصرة - فى بعض نماذجها - من القصيدة الجديدة فى ضبابيتها وغموضها وفى اتكائها على الرمز واللاوعى واستخدامها للجمل القصيرة المركزة الموحية. ولكى نرى مدى اقتراب القصة من القصيدة دعونا نقرأ السطور الأولى من قصة محمد علوان «**الطيور الزرقاء**» فى مجموعته الأولى (**الخبز والصمت**):

«**كان اسمها زينه مليحة اليدين والوجه**

والقدمين. . لكنها حزينة تلبس مثلما يلبسون ثيابهم سوداء. . لحظتها اتفق العالم المتحضر على أن السواد هو لون الحــزن العميق وهــو نفسه لون السهـرة الصاخبة. . تناقض مريع - كان اسمها زينة ويحبها الجميع لأن عينيها سوداوان ووجهها مضيء. . لأن صوتهـا ينشر الطيـوب لكنها حزينة. . وحيدها أب يكـافـح. ويحـرث الحياة يزرع الأيام لعلها تزهو فى اصابع الحبيبة الوحيدة. مع الطيور وجوههم سمراء قاسية نظراتهم. . حنونة متعبة ساعاتهم. . وفى النهاية تشمـر السـماء تسعين نجمة تنتفض وترقب القمر. . كالأطفال يفرحون - يضحكون. . وكالرجال لا تدمع العيـون. . وحـين يغضبـون حجـارة لعينـة وحـين يجرحون تنبت الأشواك والذئاب والثعالب». . الخ(٣٧).

إن هذا سرد لا ينقصـه الـوزن فى أكثـر مقـاطعـه. . وهو بعد مليء بالمعانى والصور الشعرية الموحية.

واذا ما بحثنا بعد ذلك عن فن نثرى آخر وهو فن «**الرواية**» وجدناه يبدأ - مثل القصة القصيرة - بداية متـواضعة بين الحربين بعيدا عن تقنية الرواية الفنية ومـواصفـاتهـا لأن ما يهم أدبـاءنا فى ذلك الوقت هو الاصلاح لا الفن.

هكذا ولدت (**التوأمان**) سنة ١٩٣٠م وأول قصة طويلة فى ادبنـا السعـودى الحـديث للمـرحـوم عبد القدوس الأنصارى وهكذا حال روايتين أخريين ظهرتا حوالى سنـة ١٩٤٨م (البعث) لمحمـد على مغربى و(فكـرة) لأحمـد السبـاعى وفى كل واحـدة من هذه الروايات الثلاث فكرة إصلاحية تريد ان تبثها وتدافع عنها. (التوأمان) تبين مخاطر التعليم الأجنبى وتدعو الى التعليم الـوطنى النـابـع من شخصيـة الأمـة وعقيـدتهـا. . و(البعث) تبـين فوائـد المشـروعـات الاقتصادية وتدعو المواطنين الى النهوض والاحساس بالمسؤوليـة. . أمـا روايـة (فكـرة) فتبين أهمية التربية الصحيحـة فى بنـاء الشخصيـة وتدعو الى استقلال الفكر وتعليم المرأة.

وتتميـز روايـة السبـاعى عن الروايتين الأخريين بطرافة فكرتها فقد بناها كاتبها بناء أسطوريا خياليا أدار حوادثهـا حول فتاة بدوية إسمها «فكرة» تتمرد على أنـوثتها وتقاليد مجتمعها وتحيا حياة «بوهيمية» حرة لا يحكمهـا سوى العقل والمنطق وان تضاربت مقاييس العقل والمنطق مع الواقع المعاش. وفى (فكرة) روح «جبرانية» عنيفة فى النقمة على المجتمع والهيام بالحرية والانـدمـاج فى الطبيعة وقد استطاع السباعى - رغم عدم اقتناعنا بوجود بطلته وجوداً حقيقياً أو وجودا فنيا - ان يرسم لوحـات فنية رائعة لطبيعة الطائف ومناظره الخلابة تذكرنا باللوحات اللبنانية فى أعمال جبران. . ولـوحـات الـريف المصرى فى رواية (زينب) لمحمد حسـين هيكـل. لقـد خرج السباعى لأول مرة - فى روايتـه (فكرة) - عن طبيعته الواقعية المرحة الساخرة الى الشعـر المشحـون بالحـزن والعاطفة. . ولم تكن بطلتـه «فكـرة» سوى الـرمز للفتاة السعودية المتعلمة المثقفة. . وقد كانت حلماً مستحيلاً فى تلك السنوات البعيدة ولكنها أصبحت - بحمد الله - حقيقة عادية لا تثير شعراً ولا تلفت نظراً فى أيامنا هذه.

أما الـروايـة الفنية «الدرامية» المبنية على الصراع وتشابك الأحداث فلم تبدأ فى أدبنـا المحلى إلا سنـة ١٩٥٩م حين اصـدر المـرحـوم الأستاذ حامد دمنهورى أول أعماله القصصية الطويلة (**ثمن التضحية**) وهو يدعو فيها بصـورة غير مباشرة الى تعليم المرأة إلا انه قد جسدم هذه الـدعوة فى احداث وشخصيات حية متطورة ولم يكتف بنحت تمثالها الرائع فى شخصية جامدة واحدة

كما فعل السباعى ويمثل بطل الدمنهورى جيل الجامعيين السعوديين الذين كانوا يعودون من مصر ولبنان بالشهادات فلا يجدون الفتاة السعودية المتعلمة التى تستطيع أن ترتفع إلى مستوياتهم العقلية الجديدة. والصراع الذى ينشب فى نفسية البطل هو الصراع الأبدى بين العاطفة والواجب. أيتزوج من الفتاة العربية المثقفة التى رآها وحادثها وأحبها أم يتزوج من ابنة عمه الجاهلة التى كان قد أحبها قبل سفره وارتبط معها بالعهود والمواثيق؟ إنه يحب الأولى ويعطف على الثانية وينتهى الصراع - كما هو متوقع - بتغليب الواجب على العاطفة والحب هو الثمن(٣٨).

وفى رواية ابراهيم الناصر (ثقب فى رداء الليل) صراع من نوع آخر حين تنتقل الأسرة المحافظة المتزمتة من القرية الى المدينة فيتعرض ابنها الأكبر لمغريات المدينة ومباهجها فيقع فى مجموعة من التناقضات: «حياء القرية وتفسخ المدينة.. قسوة الأب ورأفة الأم.. حرمان المنزل وعطاء المجتمع.. وتؤدى هذه العوامل مجتمعة فى نفس البطل الى تمرده فضياعه..»(٣٩).



ان جامعة الدول العربية ستكون قد بدأت بالطريق الصحيح لو أنها تحولت من مؤسسة سياسية الى مؤسسة ثقافية تسعى الى توحيد العرب من خلال بناء الانسان العربي فى منزله وفى حقله وفى مصنعه بناء ثقافيا يعرب وجدانه وذوقه وحسه لكى يكون المغربي والخليجي والنيلي نموذجا «ولا أقول نمطا» عربيا موحدا للانسان الذى نطمح الآن نصفه بالعربي المعاصر ومن هنا نوحد القاعدة ونطهرها دون أن ندخل فى دوامة الصراع والاختلاف الذى يؤول بنا الى مزيد من التشتت بعد اربعين سنة أخرى من الآن.

«د. عبدالله الغذامى»

لقد بلغت «الرواية» درجة لا بأس بها من النضج والعمق على يدى حامد دمنهورى ثم ابراهيم الناصر. ولكن الأول قد اختطفه الموت وهو فى بداية عطائه فلم يكتب سوى رواية واحدة (ومرت الايام) بعد رواية (ثمن التضحية). أما الثانى - وندعو له بطول العمر - فلم يكتب بعد روايته الأولى سوى روايتين أخريين: (سفينة الموتى) و(عذراء المنفى).

ونحن لم نتحدث هنا عن رواية «المغامرات» او الرواية «الميلو درامية» التى كتبها بعض أدبائنا فى فترات مختلفة لأنها ضئيلة القيمة من الناحية الفنية. ومع ذلك: فلا يزال فى الساحة بعض الروائيين الواعدين ولكنهم قلة. ويبدو أن إنتاجنا فى فن «الرواية» لا يزال ضئيلا محدودا إذا ما قورن بالفنون الأدبية الأخرى: «الشعر.. والمقال.. والقصة القصيرة».

هذه لمحات سريعة وخاطفة عن الأدب العربى المعاصر فى المملكة العربية السعودية.. وفى مثل هذه اللمحات يُنسى الكثير ولا يذكر الا القليل ويمر القلم على

السطح دون أن يغوص إلى الأعماق. ولا تمثل هذه اللمحات سوى الخطوط العريضة التى أريد منها ـ كما سبق أن ذكرنا ـ مجرد التقديم والتعريف.

ولابد أن نؤكد أخيراً على بديهية تحتاج أحيانا إلى التأكيد وهى أن الأدب المعاصر فى المملكة العربية إنما هو جزء لا يتجزأ من أدب أمتنا العربية فى جميع أقطارها وأصقاعها فلا يمكن دراسته منعزلا عن بيئته الكبرى التى يستمد منها النور والغذاء فيقوى بقوتها ويضعف بضعفها فهناك ـ اذن ـ أدب عربى واحد لا آداب عربية متعددة. فإذا ما نسبنا الأدب إلى القطر الذى أنتجه فإنما نعتبر هذا الأدب رافداً للنهر العربى الكبير الذى لا يزال متدفقاً منذ ظهور الاسلام حتى يومنا هذا رغم الفرقة والشتات فعسى الله ان يجمع الشمل ويوحد الكلمة وما ذلك على الله بعزيز.

(١) مرآة الحرمين ـ أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية.
(٢) الرحلة الحجازية ـ لولى النعم الحاج عباس حلمى باشا الثانى خديو مصر (ط٢، القاهرة ١٣٢٩هـ) يبدو ان الطبعة الأولى من الكتاب قد صدرت سنة ١٩١٠ أو ١٩١١م علما بأن الرحلة نفسها قد تمت فى شهر ديسمبر سنة ١٩٠٩م وكانت عودة الخديوى من المدينة الى مصر يوم السبت ١٥ يناير سنة ١٩١٠م.
(٣) المصدر السابق المقدمة.
(٤) خير الدين الزركلى: ما رأيت وما سمعت.
(٥، ٦) أمين الريحانى: ملوك العرب ـ أو رحلة فى البلاد العربية.
(٧) بنت الشاطئ: أرض المعجزات.
(٨) طه حسين: ألوان.
(٩) وحى الصحراء: صفحة من الأدب العصرى فى الحجاز جمعه محمد سعيد عبد المقصود وعبد الله عمر بلخير.
(١٠) انظر محمد عبد المنعم خفاجه: رائد الشعر الحديث ـ أحمد زكى ابو شادى.
(١١) احمد زكى ابو شادى: شعراء العرب المعاصرون.
(١٢) انظر كتاب محمد عبد المنعم خفاجه: صور من الأدب الحديث.
(١٣) انظر للكاتب: فن القصة فى الأدب السعودى الحديث.

الكاتب فى سطور

● ولد بمكة المكرمة، وتلقى تعليمه الابتدائى والثانوى فى مدارسها.

● حصل على الليسانس من كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية وآدابها ـ بجامعة القاهرة سنة ١٩٥٨م.

وحصل على الدكتوراه.. واشتغل بتدريس الأدب العربى الحديث فى قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود.. وكان عميدا لكلية الآداب.. ورئيسا لقسم اللغة العربية ثم عميدا لمركز الدراسات الجامعية للبنات.

● أسس مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود ورأس تحريرها لعدة سنوات.. وهو عضو فى هيئة تحرير مجلة الدارة وفى ملف الثقافة والفنون وعضو فى مجلس إدارة النادى الأدبى بالرياض، وفى لجنة التخطيط الشامل للثقافة العربية التابعة لجامعة الدول العربية.. كما أنه عضو فى لجنة جائزة الدولة التقديرية فى الأدب وفى لجنة اختيار الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربى.

● مَثَّل بلاده فى عدة مؤتمرات محلية وعالمية.. وله مؤلفات قيمة ومشاركات ثبتة فى الصحافة المحلية والعربية.

(١٤) الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية.
(١٥) طه حسين: كتابه السابق.
(١٦) جريدة «حجاز» ع٥٦، س٢ جمادى الأولى سنة ١٣٢٨هـ.
(١٧، ١٨) الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ: الصحافة فى الحجاز ١٩٠٨-١٩٤١م، دراسة ونصوص.
(١٩) الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ: النثر الأدبى فى المملكة العربية السعودية ١٩٠٠-١٩٤٥، (مطابع نجد التجارية ط١، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).
(٢٠، ٢١) انظر: ادب الحجاز - أو صفحة فكرية من أدب الناشئة الحجازية شعراً ونثراً - جمعه ورتبه محمد سرور الصبان.
(٢٢) عبد القدوس الانصارى: الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر (بحث القى فى المؤتمر الأول للأدباء السعوديين بجدة فى مساء يوم ٤-٣-١٣٩٤هـ.
(٢٣) العقد الثمين من شعر محمد بن عثيمين.
(٢٤) ديوان عبد الله الفيصل: محروم - وحى الحرمان.
(٢٥) ديوان حمزة شحاته: شجون لا تنتهى.
(٢٦) ديوان محمد الفهد العيسى: الابحار فى ليل الشجن.
(٢٧) انظر عبد الله عبد الجبار: التيارات الأدبية الحديثة فى قلب الجزيرة العربية (مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية - جامعة الدول العربية وانظر ايضا عبد الله بن ادريس: شعراء نجد المعاصرون.
(٢٨) ديوان محمد حسن فقى: قدر ورجل.
(٢٩) انظر الدكتور عبد الله الحامد: فى الشعر المعاصر فى المملكة العربية السعودية.
(٣٠) احمد فرح عقيلان: جناية الشعر الحر.
(٣١، ٣٢) انظر الدكتور بكرى الشيخ أمين: كتابه السابق وانظر ايضا الدكتور عبد الله الحامد: كتابه السابق.
(٣٣) من الأدباء الذين جمعوا بين الصحافة والأدب فتولوا رئاسة التحرير فى بعض جرائدنا المحلية: محمد سعيد عبد المقصود وفؤاد شاكر وعبد القدوس الانصارى وعبد الوهاب آشى ومحمد حسن فقى واحمد السباعى وحسين عرب ومحمد سعيد العامودى ومحمد حسن كتبى واحمد قنديل ومحمد على مغربئ وأمين مدنى وحمد الجاسر وعبد الله بن ادريس وسعد البواردى.
(٣٤) انظر عزيز ضياء: حمزة شحاته - قمة عرفت ولم تكتشف.
(٣٥، ٣٦) انظر للكاتب: فن القصة فى الأدب السعودى الحديث.
(٣٧) محمد علوان: الخبز والصمت وكتابه السابق.
(٣٨، ٣٩) انظر للكاتب كتابه السابق.

● وجوه ثقافية ●



احمد زكى ابو شادى

(١٨٩٢- ١٩٥٥) شاعر عربى وطبيب ولد فى القاهرة وكان ابوه محمد محاميا ذا مكانة فى الحركة الوطنية المصرية (١٩١٩) سافر الى انجلترا فى سن العشرين ليدرس الطب واتقن هناك اللغة الانجليزية واطلع اطلاعا واسعاً على آدابها وعاد الى مصر أو اعيد اليها (١٩٢٢) لنشاطه الوطنى. وبقى منذ ذلك الحين يقسم وقته وجهده بين تخصصه العلمى (البكتريولوجيا) وهوايته العلمية (النحالة) وانتاجه الأدبى. وفى اواخر عمره اصابته خيبة امل لقسوة النقد الذى وجه الى شعره ولاضطراب الاحوال السياسية فى مصر قبل ثورة ١٩٥٢ فهاجر الى الولايات المتحدة الامريكية واقام بها حتى توفى. يؤمن بأن وظيفة الشعر هى التعبير عن وجدان قائله. واتخذ خليل مطران إماما فى ذلك وغلب على شعره التغنى بالحب وجمال الطبيعة و لم يخل من شعر المناسبات وانتاجه غزير يشمل مع القصائد التى جمعت فى عدة دواوين: «الشفق الباكى» ١٩٢٦ و«أشعة وظلال» ١٩٢٨ و«الشعلة» ١٩٣٣ و«فوق العباب» ١٩٣٥.. وغيرها من قصائد قصصية وأوبرات. أصدر مجلة «ابولو» (١٩٣٢) التى كانت ميدانا لكثير من المواهب الشعرية المتفتحة فى مصر والعالم العربى. ومن مؤلفاته المسرحية: «اخناتون فرعون مصر» ١٩٣٣ وهى فى ثلاثة فصول بالشعر و«الآلهة» ١٩٢٧ فى ثلاثة فصول بالشعر، «وأردشير وحياة النفوس» ١٩٢٨ فى اربعة فصول بالشعر «واحسان» ١٩٢٧ فى ثلاثة فصول بالشعر «والزباء ملكة تدمر» ١٩٢٧ فى ثلاثة فصول



الأدب في هذا القرن وتأثير السياسة فيه

كانت الحياة الأدبية فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى تسير فى اتجاه تقليدى يعتبر امتدادا لعصور الانحطاط التى مرت بها شبه الجزيرة العربية وذلك بسبب الواقع المرتبط بالحياة السياسية والفوضى القبلية التى ضربت أطنابها مما أدى الى تبلد الأذهان وركودها ولم تكن سيطرة الاتراك وحدها سبب هذا التخلف بل رافقه الصراع الأوربى الذى غزا سواحل الخليج وكان الوالى التركى لا يتعدى نفوذه دائرة قصره رغم ما أوكل إليه من رقابة على شئون إقليم الأحساء والقطيف وما أوكل اليه ايضا من تصريف شئون قطر والكويت وهو دور مرت به معظم البلاد العربية التى سبقتنا فى مجال النهضة الثقافية والأدبية.

وكان طبيعيا أن تتأثر منطقة الخليج بأوضاعها السائدة وأن الفكر والادب رهن الانحطاط لولا ظهور دعاة الاصلاح للتمسك بالدعوة السلفية التى نادى بها الامام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وهى التى كان لها التأثير المباشر فى رقى الجزيرة ونهضتها الفكرية الحديثة كما هو معروف لدى الباحثين فى تاريخ شبه الجزيرة العربية.

وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٨م حيث انتهت سيطرة الأتراك من الوطن العربى لم يتنفس الناس الصعداء إذ أن بعض ديار الخليج لا تزال كما أسلفت تئن من سيطرة الصراع الأوربى وكانت معاهدات انجلترا مع مشائخ الخليج منذ اوائل هذا القرن تشكل نقطة البدء فى حياة سياسية جديدة كان لها نتائجها الوخيمة وأهمها تجزئة المنطقة الى مشيخات تنغلق على نفسها ومحاربة فكرة الوطن الواحد.

وظلت المنطقة فى شبه عزلة ولم تستطع التخلص من ذلك إلا بعد قيام الجامعة العربية ثم تخلصها من الاستعمار نهائيا فى أوائل التسعينات للهجرة فيما عدا المملكة العربية السعودية التى استعادت منطقة الاحساء من تركيا مغتنمة خروجها من حرب البلقان منهوكة القوى وذلك فى عام ١٣٣١هـ وكذا الكويت التى ظلت محتفظة

عضو شرف جمعية التاريخ والآثار بكلية الآداب بجامعة الملك سعود

الأدب في الخليج

بطابعها واستقلالها الداخلى ثم استقلت الكويت نهائيا عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م بعد إلغاء المعاهدة مع الانجليز.

والتعليم المدرسى المنتظم لم يكن موجودا ولم تعرف منطقة الخليج مدارس بالمعنى الصحيح قبل الحرب العالمية الأولى سوى بعض كتاتيب لتعليم القراءة والكتابة باستثناء الأحساء التى كانت مركزا حيا من المراكز الدينية والثقافية حيث «**بيوت العلم**» التى تهتم بدروس التفسير والفقه واللغة وقد توافد إليها العديد من رجالات الخليج ينهلون من هذا المنبع الثر ومنهم الشيخ عبد العزيز الرشيد الذى كان من رواد الفكر فيها بعد وكذلك الشاعر الكويتى صقر الشبيب وغيرهما **«ونلاحظ الآن أن الاحساء كانت تمثل نقطة الجذب عند الأجيال المتقدمة يرشحها قربها أولا حيث عسر الانتقال واشتهارها بالفقه الحنبلى والمذاهب الأخرى أيضا واتجاهها المحافظ»**.

وفى الكويت والبحرين كانت أعمال الملاحة والعلاقات التجارية تدفع بأبنائها الى تعلم الكتابة وشىء من الحساب كضرورة ملحة وكان انشاء الكتاتيب التى يديرها «**المطوع**» أو «**الملا**» هى المدارس السائدة فى أوائل هذا القرن وكذلك الأمر بالنسبة لقطر.

والانتاج الأدبى على العموم ـ الذى ساد فى هذه الفترة ـ هو الانتاج التقليدى وهو فى صياغته يمثل مزيجا من القول المبتذل والصنعة المتكلفة التى يأباها الذوق السليم ولا سيما الرسائل. . أما فن الانشاء فقد طغى عليه البديع والسجع ولم تصقله الديباجة العربية إلا أن القطيف والبحرين استطاعتا بحكم احتكاكهما الخارجى أن تسيرا خطوات جادة نحو النضوج المبكر. . ونجد شيخ الأدباء فى البحرين المرحوم إبراهيم بن محمد آل خليفة يدبج لنا بقلمه الرصين بعض رسائل تظهر فيها بوادر الأصالة ولا سيما تلك الرسائل التى كان يتبادلها مع أمين الريحانى منذ عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٢م وكان شيخ الأدباء قد عين نائبا لرئيس مجلس المعارف عام ١٣٣٩هـ/ ١٩١٩م فأصبح مجلسه منتدى أدبيا للعلماء والناشئة على السواء يتطارحون فيه الشعر ويتابعون قراءة الصحف التى تصدر إذ ذاك مثل «**اللواء**» لمصطفى كامل و«**المؤيد**» للشيخ على يوسف و«**المنار**» للشيخ رشيد رضا و«**الاهرام**» و«**المقتطف**» التى كانت

تصل عن طريق بمبى بالهند.

وتدل رسائله التى كان يتبادلها أيضا مع مؤرخ الكويت «عبد العزيز الرشيد» ومع علماء من آل مبارك وآل عبد القادر فى الأحساء على تطلع اصلاحى مبكر ينبه فيه الأذهان الى مطالب العصر ووجوب رفع شأن الأمة.

كما نجد بعض القصائد للشاعر محمد حسن المرزوقى وماجد بن صالح الخليفى ومحمد بن عبد الوهاب الفيحانى من دولة قطر وأحمد بن مشرف وسليمان بن سحمان من السعودية وهم يمثلون بداية الدعوة إلى الفصحى.

حركة الانبعاث

بدأت تظهر أهمية التعليم تدريجيا فى مختلف مناطق الخليج ففتحت المدارس الأهلية وازدهرت حلقات المساجد بطلبة العلم ولا سيما فى الاحساء التى تعددت فيها المدارس الوقفية.

ثم انه ارتحل الكثير من أبناء الخليج الى المعاهد الاسلامية للتزويد بالعلوم.. ووفد الى المنطقة عدد من المصلحين من أمثال الشيخ عبد العزيز الثعالبى والمحقق الشنقيطى وغيرهما.

وقد ظهرت فى البحرين بوادر نشاط أدبى أثناء الحرب العالمية الأولى وما بعدها تتمثل فى الأديب عبد الله الزائد ومحمد صالح يوسف وقاسم محمد الشيراوى الذين تمكنوا عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢١م من تأسيس النادى الادبى بالمحرق برئاسة الشيخ محمد بن عبد الله آل خليفة وتبعهم الشاعر المعروف عبد الرحمن المعاودة كما ظهرت بوادر أخرى فى الكويت يمثلها الأديب عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف بن عيسى القناعى والشاعر صقر الشبيب والتقت دعوات الاصلاح بين هؤلاء الرواد ليتردد صداها فى أنحاء الخليج فيما بعد وافتتحت المكتبة الأهلية فى الكويت عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢م وافتتح النادى الأدبى سنة ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م وكان له الأثر الكبير فى تنمية الفكر «راجع تاريخ الكويت ص٢٩٥».

نمت هذه الحركة الصحفية رويداً رويداً وكانت الرياح تهب عليها من مصر التى كانت فى الطليعة نظرا لسبقها فى التخلص من السيطرة العثمانية وبدأت هذه الأفكار تلتقى على صعيد الاصلاح وظهرت كتابات فيها بعث وإحياء للروح العربية.. ثم اتجه الشيخ عبد العزيز الرشيد (١٣٠١هـ/ ١٣٥٨م) الذى كان قد سافر الى مصر وتعلم طرق إصدار الصحف إلى إصدار مجلة الكويت سنة ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٨م.

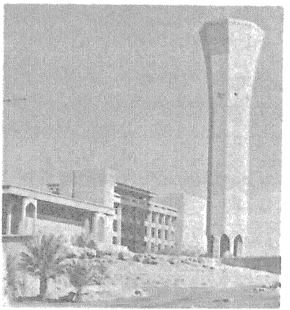
وهى تعتبر أول نشاط صحفى يظهر فى المنطقة ثم أصدر عبد الله الزائد (١٨٩٤هـ/ ١٩٤٥) جريدة البحرين عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٩م وهذا قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية بستة اشهر وهو أول صحفى يناقش مسائل السياسة بروح العصر

ويعبر عن مدى التطور الاجتماعي والثقافي الذي برز في منطقة الخليج سواء في أسلوبه الكتابي أو في موضوعاته التي يناقشها.

وكان من أتباع الرشيد فئة من الكُتَّاب والشعراء في الكويت أمثال خالد العدساني وحجي بن قاسم وعبد اللطيف ابراهيم النصف وأحمد البشر وصقر الشبيب وأحمد المشاري وسيد مساعد الرفاعي بالاضافة الى الشيخ يوسف القناعي الذي كان الرائد في الدعوة لكثير من المشاريع الأدبية هناك ونجد صدى هذا السبق الصحفي يصل الى البحرين ليباركه عدد من الشباب أمثال عبد الله الزائد والشاعر عبد الرحمن المعاودة وخالد الفرج والشاعر قاسم الشيراوي بالاضافة الى الشيخ محمد صالح يوسف.

وبعد.. ماذا كان صدى هذه الحركات الجديدة في المنطقة الشرقية (**الاحساء والقطيف والجبيل؟**) وما مدى الترحيب بظهور هذه الصحف؟.. لقد رحب أدباء المنطقة بهذه الخطوة وباركوها وها هو الاستاذ محمد على النحاس مدير مدرسة الاحساء يبدى تقريظه لجريدة البحرين فقد ورد في العدد السادس من هذه الجريدة عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٩م ما نصه بعد الديباجة (فقد علمت بمزيد السرور خبر ظهور صحيفتكم الغراء «البحرين» في عالم الوجود وبلغني ورودها الاحساء عند بعض الاصدقاء فأسرعت في طلبها على وجه الاستعارة وما صدقت بإجابة الصديق الى ما طلبت وارساله ما التمست حتى تصفحتها بلهفة ولا أقدر أيها السيد أن أبين ما يدور بخلدى من حسن ما رأيته فيها من ترتيب وتنسيق مما يبرهن على سعة اطلاعك وعظيم مقدرتك.. أكثر الله من أمثالك العاملين الناهضين. وهيهات أن أجد لدى سبيلا حتى أستطيع أن أوافيك حقك من الشكر الخالص لقيامك بواجب الوفاء نحو بلادك وجهادك المتواصل في ترقيتها ونشر ثقافتها فلا حيلة لي على ذلك بل أراني عاجزا وفي عجزي هذا ما يكفيك عن الشرح والتطويل.. لا زال جهادك متصلا وركن إخلاصك قائما).

وباركها أيضا أدباء من القطيف واشترك في تحريرها الأديب السعودى محمد على لقمان وكذلك عبد الله الرومى من الاحساء.



جامعة البترول والمعادن في الظهران منبع ثقافي على ضفاف الخليج العربي.

وحينما زار أمين الريحاني الكاتب اللبناني المعروف إمارة البحرين عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٢م في طريقه الى المملكة العربية السعودية احتفى به أدباؤها وأقيم له حفل تكريم في النادي الأدبي بالمحرق ألقيت فيه احدى عشرة خطبة وأربع قصائد وآخرها كلمة أمين سر النادي الشاب عبد الله الزائد وخاطبه في كلمة طويلة قال فيها:

«إن فى ذمتك للشرق عامة وللعالم العربى خاصة أمانة يجب أداؤها وأمنية لا أخالك تغفلها ونصيحة غايتك بذلها . . أجل ستؤدى الأمانة وتحقق الأمنية وتبذل النصيحة . . نعم ستعرِّف الغربيين بنفسية الشرقيين وأنت الرجل الذى لا يتحيز لغير الحق ولا يفوه بغير الصواب ولا يخشى إلا التاريخ . . قل لهم ان الشعب العربى هو أستاذكم الأول ومعلمكم القديم فلا تقابلوا الاحسان بالاساءة وتجعلوا ثواب ارشاده إطالة استعباده قوموا لهم مقام الناصح المحرر لا الجبار المسيطر . . دعوا الزمان الذى كيفكم يكيفهم والعوامل التى أعدتكم تعدهم» .

لاحظ هذا الاسلوب المشرق ففيه دلالة واضحة على تطور أسلوب الكتابة ثم لاحظ هذه اللفتات الذهنية والواعية من قبل الزائد .

فترة ما بين الحربين العالميتين

كان التعاون والالتقاء بين أدباء الخليج واضحا فى فترة ما بين الحربين كما كان الالتقاء بين الرواد كما اسلفت وهم عبد العزيز الرشيد وعبد الله الزائد يتم بصورة جلية فى رسائلهما المتبادلة بينهما واتصالاتهما ودعوتهما الى الاصلاح إذ ذاك .

وكان أدباء البحرين ينشرون إنتاجهم الأدبى فى مجلة الكويت الوحيدة فى المنطقة كما كان أدباء الكويت ومنهم فهد العسكر وعبد الرزاق البصير وغيرهما ينشرون إنتاجهم فى جريدة البحرين وفى نفس الوقت كان أدباء الاحساء يمارسون النشر فى هذه الصحف كما أسلفت وهى علاقة قديمة نأمل أن تبقى وتستمر بين أدباء الخليج اليوم .

مضت دعوات الاصلاح هذه بخطى حثيثة ولكن سرعان ما ظهرت ردود فعل لها وبدأ الصراع بين القديم والجديد يظهر جليا فى ايقاف النادى الأدبى عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٠م حينما هوجم من بعض المحافظين وانتقد لاشتراكه بمجلتى المقتطف والمنار ولكن سرعان ما تأسس النادى الأدبى الذى ترأسه الشيخ محمد بن عبد الله الخليفة وحينما أقام احتفاله بتنصيب شوقى أميراً للشعراء ظهر الصراع بين المحافظين والمجددين فى الشعر إذ اعتبر شوقى إذ ذاك رأس المجددين . وينقل الشيخ عبد العزيز الرشيد فى تاريخه طرفا من الصراع الذي يواجهه من المثبطين إزاء دعوته لنشر التعليم المنظم كما ينقل صورة من الجدل العنيف الذى قام بينه وبين بعض رجال العلم فى الأحساء .

والواقع أن زيارة الريحانى ومجاهرته بتحرير المرأة ومطالبته بسفورها ودعوته لقبول المدنية الأوربية لاقت معارضة شديدة فى الاحساء عام ١٣٤٢هـ/ ١٩٢٢م وكان قد زار الكويت والبحرين وانتهت زيارته بسلام .

ولا شك ان الريحانى قد تأثر بمدنية الغرب ودعوته لسفور المرأة ومساواتها بالرجل وهى دعوة مضللة مخالفة لسنن الطبيعة ومخالفة قبل ذلك لإرادة الله أما التعليم الذى تمليه حاجة المرأة نفسها أو تمليه حاجة الأمة فأمره يختلف عن ذلك لا سيما ما كان ملائما لطبيعتها وأنوثتها مثل تربية الجيل النسائى أو تعليمه أو دراسة الطب النسوى أو الخدمة الاجتماعية حيث تعالج وتوجه وتربى وتعلم بنات جنسها وكل ذلك لا بأس به بعيدا عن السفور والاختلاط والتبرج والخلوة التى تؤدى الى الحرام .

وفى هذه الفترة نبغ المرحوم خالد محمد الفرج واطلق عليه لقب شاعر الخليج وهذا اللقب بحق

ينطبق عليه تماما ولا زالت مناطق الخليج حتى هذه اللحظة تدعى نسبته اليها حيث انه أقام فى الكويت والبحرين والقطيف والدمام وكان الفرج يتجه الى الشعر السياسى وقد صب جام غضبه على بريطانيا بعد أن أعطت اليهود وعد «بلفور» المشؤوم وكان له نشاط أدبى ملحوظ سواء فى البحرين أو فى المنطقة الشرقية من السعودية حيث قضى معظم حياته وأصدر كتبه ومارس الحياة الاجتماعية فيها.

●● وحينما نُصِّبَ الشاعر أحمد شوقى أميراً للشعراء اشترك النادى الأدبى فى البحرين بتحيته عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٧م وأهداه نخلة صغيرة من الذهب ذات عروق منضدة باللؤلؤ وأرسلت الهدية وبرفقتها قصيدة خالد الفرج التى قال فيها:

من منبت الدر تسليم وتكريم
لشاعر اللغة الفصحى وتقديم
حياك من دارنا البحرين لؤلؤها
والنخل إذ بسمت فيه الأكاميم
وكيف لا وهى مهد الضاد إذ درجت
فيها غذاها به شيح وقيصوم

● وألقيت القصيدة فى الحفل فى دار الرابطة الشرقية بالقاهرة يوم ٢٩ ابريل ١٩٢٧م فرد شوقى ببيتين من قصيدة طويلة القاها فى دار الأوبرا ردا على تحايا الوفود حيث قال:

قلدتنى الملوك من لؤلؤ البحرين
آلاءها ومن مرجانه
نخلة لا تزال فى الشرق معنى
من بداواته ومن عمرانه

● وجوه ثقافية ●



ابن دنيال محمد

(١٢٤٨-١٣١١) طبيب مصرى ألف تمثيليات لخيال الظل بقيت ثلاث منها وكتبت شعرا ونثرا منظوما وهى البقية الباقية من الميراث العربى للمسرح فى القرون الوسطى.. ويدل المخطوط على ان التمثيليات الثلاث كان يراد تمثيلها فى ايام متتالية وانه كتب ليساعد المدير فى الاخراج.. اذ تصف المقدمة طريقة الادارة والتمثيل.. اول تمثيلية هى «طيف الخيال» بعد الاناشيد المبدئية، من حمد الله، والثناء على نبيه الكريم، والدعاء للحاكم، نرى الجندى، زير النساء السابق، وقد اقنعته احدى الخاطبات بأن يتزوج لضيق ذات يده، وامتدحت له جمال الزوجة فيتزوجها ثم يرفع النقاب عن وجهها فاذا هى فى غاية القبح ويهدد الخاطبة ويقرر الحج الى الأرض المقدسة ليكفر عن ذنوبه.. والتمثيلية الثانية هى «عجيب وغريب» وقد يكونا اسما لشخصين او وصفا لهما وموضوعها ليس متكاملا بل مجرد استعراضات لحوادث واشخاص تذكرنا بالمقامات. والتمثيلية الثالثة «المتيم» وهذه التمثيليات هى المثال الوحيد الباقى من ذلك العصر. ولعل اهميتها قائمة على انها صورة حية لعصره فى القاهرة. وكان ابن دنيال موفقا فى وصفه للأطباء كما كان موفقا كثيرا فى وصفه للصناع والعمال.

المؤثرات الخارجية

الاتجاه (الكلاسيكى) القديم :

وظاهرة أخرى يجب الاشارة اليها وهى وضوح الحركة الأدبية الكلاسيكية وتأثيرها فى هذه الربوع حيث كان الشعراء التقليديون كالرصافى والزهاوى يبثون أشعارهم فنجد صداها فى الخليج كما نجد فى القطيف صدى هذه الحركة بجذورها وأعماقها فنبتت هناك مدرسة شعرية جديدة غذاها ونماها فيها بعد أولئك الذين نزحوا من العراق وأولئك الذين عادوا إليه أو يعودون اليه بانتظام وهى صلة أدبية لها أثرها الكبير. . كما نجد الأستاذ ابراهيم العريض يؤمن كل الايمان بتتلمذه على حركة الفكر المعاصر فى لبنان.

ونعود الآن لنتساءل ماذا كان دور المعاهد الأولى ودور الصحافة ورجال العلم ودور الشعراء الأوائل فى عهد الكفاح ضد الاستعمار والسيطرة الأجنبية فى منطقة الخليج؟ والجواب على ذلك نجده فى إنتاج بعض الأدباء الذين عايشوا هذه الفترة وخاصة الأستاذ عبد الله الزائد والشاعر خالد الفرج ويضم انتاج الأول وافتتاحياته فى صحيفة البحرين الكثير من النماذج التى تبين دوره فى مكافحة الاستعمار. . كما يضم ديوان خالد الفرج حصيلة وافرة من القصائد التى تتحدث عن أوضاع الخليج فى ظل الاستعمار.

وبالنسبة للتراجم والتعريف برجال الفكر والأدب يمكن أن نقول إن التعريف بالرجال كان بداية التاريخ الأدبى فى فترة ما بين الحربين على نحو كتاب **«أنوار البدرين فى تراجم علماء القطيف والاحساء والبحرين»** لعلى بن حسن البلادى البحرانى ١٣٤١هـ/ ١٩٢١م.

ويكاد ينفرد الاستاذ ابراهيم العريض الذى جاء فى أواخر مرحلة «الكلاسيكية» وتزعم المرحلة «الرومانتيكية» بأنه يجمع بين المرحلتين. ومثله مثل الشاعر فهد العسكر الذى يعتبر من المرحلة الكلاسيكية ومن المرحلة الرومانتيكية فى نفس الوقت - ولذلك يدور خلاف بين أدباء الخليج عمن كان رائد الرومانسية هل هو العريض أم العسكر؟ ويبدو لى أن الاستاذ ابراهيم العريض هو رائد هذه المرحلة كما تشهد بذلك مؤلفاته وبدايتها مجموعته الأولى «الذكرى» التى طبعها فى بغداد عام ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م. . وسيان أيهما كان الرائد فمما لا شك فيه انهما اتجها الى الادب المكشوف يصورون المرأه وهواجسها وعلاقتهم بها متأثرين بقراءات اجنبية وعلى كل منهما وزره فى هذا النهج وهو سبق لا يشرف باى حال من الاحوال.

من أقصى الوطن العربى الى أقصاه.. تروح ساعة العمل الثقافي الجدى من جديد.. تروح لتعلن انه لابد من احياء ثقافي يمهد للاحياء العربي العام المنتظر والواجب والحتمي في مختلف جوانب الحياة ردًا على مرحلة التشرذم والتأزم والتراجعات.. ولقد جربنا - أيها الاخوة - المادة... جربنا الاستهلاك... جربنا التصارع والتقاتل... جربنا العنف والعنف المضاد... فلماذا - من أجل التغيير - لا نجرب باخلاص الثقافة.. والفكر والعمل ؟!

ثم لنر الفارق... ولنشهد النتائج المدهشة.

« د. محمد جابر الانصاري »

تلك هى الخطوط الرئيسية فى ظهور الشعر والنثر فى مراحل ما قبل النفط وهى فترة ظهرت فيها بوادر المقالة العصرية والانتقال من الرسالة المسجوعة كما ظهر فيها الانتاج المرتبط بالمناسبات الدينية والوطنية وانتقل الشعر من مرحلته التقليدية «الكلاسيكية» الى مرحلة جديدة حيث أخذ يعبر عن مشاعر الناس وأحاسيسهم وتطلعاتهم وإن لم يتطور كلية من ناحية الأسلوب حيث احتفظ بطابعه «الكلاسيكى» الى فترة طويلة تلت ذلك.

أما فى الاحساء فقد اقتصر الشعراء على «**احياء الديباجة القديمة المشرقة يضمّنونها فنون الشعر المعروفة**» ومن هذه الطائفة احمد بن عبد الله آل عبد القادر واحمد محمد آل ماجد الذى له بعض قصائد جيدة توفى سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١١م وعبد اللطيف ابراهيم المبارك هاجر الى العراق وعمان فى رحلات علمية وكان له شعر كثير يمتاز بقوة السبك.. توفى سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٣م وعبد العزيز عبد اللطيف آل مبارك عالم وشاعر عالج فن الشعر توفى سنة ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٤م وعبد الله بن على آل عبد القادر الذى له اطلاع جيد فى الدين واللغة وتتلمذ عليه الكثير من رجالات الخليج وقد عالج نظم الشعر وتوفى سنة ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٥م وعبد العزيز بن حمد المبارك الذى تتلمذ عليه البعض فى علوم اللغة والدين وتوفى سنة ١٣٦٠هـ/ ١٩٤٠م وصالح محمد المبارك وتوفى سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٣م وعبد الله بن عبد اللطيف آل عمير عالم وشاعر وتوفى سنة ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م كما كانت الاحساء تضم آخرين من آل الملا وآل مشرف وآل علجى وهم يتناولون المديح والغزل والمراثى ويتفكهون فى مجالسهم وفى بساتين النخيل ويصفون جمال الطبيعة أحيانا (**انظر طرفا من أخبارهم فى «شعراء هجر» للحلو و«تحفة المستفيد» و«شعراء العصر الحديث فى جزيرة العرب»**) ويمثل حركة الاحياء الشعرى ثلاثة شعراء ممن ذكرنا آنفا وهم عبد العزيز بن عبد اللطيف آل مبارك (١٣١٠-١٣٤٣) وعبد العزيز محمد المبارك (١٢٧٩-١٣٥٩) وعبد الله بن على آل عبد القادر (١٢٧٠ - ١٣٤٤هـ).

. جيل ما بعد النفط حتى انشاء الجامعات عام ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م

الكتابة بروح عصرية:

استمر صدور جريدة البحرين ستة اعوام متتالية من عام ١٣٥٩هـ/ ١٩٣٩م وخلال الحرب العالمية الثانية ثم توقفت فى عام ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م. وفى ذلك الوقت كانت معظم أجهزة الاعلام ولا سيما العربية تقف معارضة لدول المحور واليابان وتوقفت جريدة البحرين الأسبوعية عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٢م وفى هذه الاثناء كان الشاعر عبد الرحمن المعاودة يبرز بنشاطه الأدبى حيث أصدر ديوانه عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٢م وطبع بمطبعة البحرين وكان قد درس فى الجامعة الامريكية ببيروت عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٨م وفى هذه الفترة أى بعد الحرب اشترك مع نادى الاصلاح بالمحرق من عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م الى عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م لاقامة بعض التمثيليات وكان المعاودة يكتب مسرحيات قصيرة مثل العلاء بن الحضرمى ويوم ذى قار وغيرهما وفى عام ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٢م أصدر الزائد ديوان شعره وطبع بمطبعة البحرين.

كان المرحوم خالد محمد الفرج قد انتقل الى القطيف بالمنطقة الشرقية منذ عام ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠م على أثر تولى العسكرى البريطانى «الميجر ديلى» وظيفة المعتمد البريطانى فى البحرين وهو الذى اغتصب جميع سلطات الحاكم ونفى أحرار البلاد إذ ذاك مما دفع قبيلة الدواسر الذى ينتسب اليها الفرج للانتقال من بلدة ـ البديع ـ فى البحرين الى بلدة الدمام بالمنطقة الشرقية من السعودية وهى التى لم تكن مأهولة حينذاك.

وقد ظل الفرج يتزعم الحركة الادبية فى المنطقة الشرقية منذ ذلك الوقت ووجد فى القطيف بيئة أدبية جديدة تضم العديد من الشعراء والشداة. .

وفى الوقت الذى أوشك فيه زعماء العرب أن يصدقوا على «بروتوكول» الجامعة العربية كان الزائد ينشر دعوته لمشروع اتحاد الامارات العربية. وفى الفترة التى تلت ذلك بدأ خالد الفرج فى إعداد مؤلفاته مثل ملحمة أحسن القصص التى تحكى سيرة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية طيب الله ثراه. . وهى ملحمة تمتاز بحسن السبك والشاعرية الملهمة كما نشر بحثه علاج الأمية فى تبسيط الحروف العربية ثم قدم توسعته وتعديله الى مجمع فؤاد الأول بالقاهرة سنة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٥م وصدر فى عام ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م كما صدر ديوان شعره فى دمشق عام ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

●● بعد توقف مجلة الكويت ـ وتوقف جريدة البحرين بحوالى أربع سنوات صدرت مجلة صوت البحرين ـ فى شهر ذى القعدة عام ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م وقام بتحريرها نخبة من الشباب برئاسة الاستاذ ابراهيم حسن كمال واستمرت خمس سنوات ثم توقفت هى الأخرى.

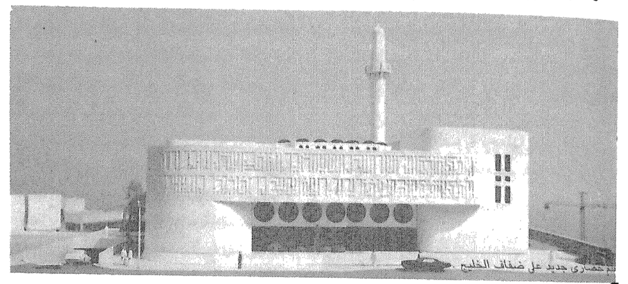
● وفى مجلة صوت البحرين برزت الأقلام الادبية النشطة وكانت ملتقى الكُتّاب الناضجين وعلى صعيدها ظهرت الفنون الادبية الحديثة من قصة ومقالة وبحث وظهرت فى الكويت صحف أخرى مثل البعثة وغيرها.

●● ولكنها لم تكن فى مستوى ـ صوت البحرين ـ التى أصبحت مدرسة أدبية مستقلة واجتذبت إليها العديد من الاقلام المتطورة فى البحرين والمنطقة الشرقية وبعض البلاد العربية وكانت بحق تناقش مسائل الادب والفكر وتتحدث عن التيارات الأدبية والمذاهب الفكرية التى يتحدث عنها أدباء مصر والشام والعراق.

● وأذكر مناقشات عدة أثيرت واشترك فيها العديد من أدباء المنطقة لعل أهمها موضوع **«الفن للفن»** و**«الفن للحياة»** وفيها ظهرت الدعوة الصريحة للتخلص من الاستعمار وكشف مخططاته فى الخليج.

● ولم تكن الكويت بمعزل عما يجرى على صعيد الفكر والأدب بل كانت تشارك منذ أمد طويل ونرى الاستاذ عبد الرزاق البصير ينشر مقالات فى جريدة البحرين منذ عام ١٩٤٠م يتناول فيها المعارك الدائرة فى مصر بين القديم والجديد ويشير الى المعارك بين «الكلاسيكيين» والجدد أى بين المازنى والعقاد من ناحية وبين هيكل وطه حسين من ناحية أخرى وانتظمت البعثات من بلدان الخليج الى مصر وأوربا وغيرهما وظهرت التخصصات التى لم تكن موجودة من قبل.

وهكذا ظهر جيل من الأدباء والشعراء يعالج الكتابة بروح عصرية تختلف عما كان عليه أولئك الرواد وظهرت بواكير الانتاج الأدبى الرصين الذى لفت أنظار الأدباء العرب فى مختلف أصقاعهم.



... حضارى جديد على ضفاف الخليج

ولا شك أن عوامل متعددة أدت الى هذه النتيجة لعل أهمها كما أسلفت:

١ ـ انتشار التعليم العصرى المنظم بما فى ذلك الابتعاث.

٢ ـ ظهور الصحافة الأدبية ومرور الأدباء بتجربة الكتابة منذ فترة طويلة نسبيا.

٣ ـ الاتصال بالتيارات الثقافية والترابط فى المشاعر بين الامة العربية.

التجديد فى الاسلوب والفكرة

هذا التمازج والاحتكاك وهذا الترابط المتصل الوثيق فى المشاعر والأهداف جعل للأدب فى هذه المنطقة ملامح خاصة ووثب به الى مستوى الجزالة فى الاسلوب وأخذ يعبر عن حياتنا الى حد بعيد لكنه لم ينفعل بالفكرة الاسلامية ويتبنى المنهج الاسلامى بصورة جادة وواضحة.

الواقعية والرومانسية

لقد صارت المذاهب الأدبية الجديدة كالواقعية والرومانسية أمراً مألوفا عند الأدباء وأصبح للأدب فنونه الخاصة وأشكاله ومضامينه الواضحة ولم يعد الكاتب يعنى بالأسلوب التقليدى القديم وبالمضمون الذى توارثه جيلا بعد جيل وإنما ظهر أدب جديد يتصف بدقة الفكر وقوة العبارة وجزالة اللفظ فصفت ديباجة الأدب وتخلصت من الشوائب فصار الأدباء والشعراء يصورون عواطفهم ويتجهون بأقلامهم الى الاحداث التى تدور فى بلدهم ومرد ذلك الى الاتجاه الجديد الذى سار عليه الأدباء وهم يتأثرون بتراث المعرفة الجديدة وبأساليب الفكر الحديث وبالمقاييس التى ابتدعها المجددون فى مصر والمهاجر الامريكية.

وظهرت الصحافة الأدبية فى المنطقة الشرقية من السعودية متأخرة عن زميلاتها فى الكويت والبحرين ولكنها كانت أقدم من قطر والامارات العربية المتحدة.

وظهرت أول صحيفة إخبارية فى منتصف السبعينات الهجرية من هذا القرن وسميت أخبار الظهران وهى جريدة أسبوعية تهتم بشئون السياسة وكانت تندد بالاستعمار

البريطانى فى الخليج كما ظهرت جريدة الفجر الجديد ـ وكـذا مجلة الاشعـاع ومجلة الخليـج العـربى ثم احتجبت هذه الصحف بصدور نظام المؤسسات فى أوائل الثمانينات الهجرية وعلى هذه الصحف تتلمذ الكثير من أدباء المنطقة ولكن الرواد الأدباء والشعراء كانوا قد سبقوا ظهور هذه الصحف حيث وجدوا فى الصحف العـربيـة متسعـا لانتاجهم من أمثال مجلة الأديب والعرفان والأمالى والكتاب المصرية وغير ذلك.

● كمـا ظهـر إنتـاج بعض أدبـاء المنطقـة وشعرائها كالأستـاذ احمـد الـراشد المبارك وغيره فى مجلة صوت البحـرين وبعض الصحف المصـرية واللبنانية ونشر الاستاذ خالد محمد الفرج أبحاثه الأدبية والتاريخية منذ اوائـل السبعينـات فى مجلة ـ الحـج ـ ومجلة المنهـل ـ وجريدة البلاد ـ ومجلة البعثة التى كانت تصدر فى القاهرة.

● وأدباء المنطقة الشرقية فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثـانية كانوا يتجهون الى الانتاج الجديد الوافد من مصـر وكـانت الصحف العـربيـة تصل الى المنطقة بصورة منظمة منذ عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م عن طريق مكتبة بايزيد ـ بالخبر وقبل ذلك عن طريق البحرين.

ولقد عرف أدباء المنطقة الألوان الأدبية المختلفة التى يقع فيها الصراع بين القديم والحديث كما وجد منهم من كان يتابع المعارك الادبية فى مصر منذ ثلاثين عاما وقد تطرقت لذلك الكاتبة المصرية الكبـيرة الـدكتـورة ـ بنت الشاطىء التى زارت المنطقة الشرقية فى بعثة من جامعة فؤاد الاول فى اوائـل السبعينـات الهجـريـة وسجلت إعجـابها الشديد بادباء المنطقة عندما تحدثت عن لقائها بهم وقـالـت عنهم انهم يعرفون المعارك الأدبية ومجال الفكر فى مصر اكثر مما يعرفه المصريون أنفسهم كما ورد فى كتابها ـ أرض المعجزات.

والواقع أن أدباء المنطقة ومعظمهم أدباء الخليج قد عرفوا خصومات الرافعى مع طه حسين.. وعرفوا مجلة الرسالة ومحررها المرحوم احمد حسن الزيات الذى اتصف بالبلاغة وعرفوا الكثير عن الكُتّاب الـذين يوجهون حركة الفكر فى مصر العربية مما أذهل الكاتبة المصرية وجعلها توجه اللوم لأدباء مصر على نسيانهم وتجاهلهم لهذه الحركة الأدبية النامية فى شرق الجزيرة.



الايدى الخليجية تخطط وتبنى

تأثير مدرسة أبولو والمهجر

ومن صفات هذه النخبة أنها عرفت الأدب بمفهومه الجديد وبدأت فى الحوار والنقد وتتبع المدارس الأدبية المعاصرة فى الوطن العربى وأخذوا يعبرون عن أحاسيسهم ومجتمعهم وكانوا فى أسلوبهم يتجهون الى الجزالة ومنهم من اتخذ «الرومانسية» مادة لتعبيراته كما اتخذ الاستاذ ابراهيم العريض الفن الروائى فى الشعر سبيلا جديدا يختطه بين أدباء الخليج، وإطار الرومانسية يكاد يشترك فيه معظم شعراء هذه الفترة حيث تأثروا بمدرسة أبولو وبمدرسة المهجر وظهر فى الكويت أدباء مثل أحمد مشارى العدوانى وفاضل خلف وعبد الله زكريا الانصارى واحمد محمد زين السقاف ومحمود شوقى الأيوبى وأحمد البشر وغيرهم وكان لهم النشاط الواضح ولا سيما فى مجال الصحافة التى ظهرت طفرة فى دولة الكويت.

إن فترة ما بعد ظهور النفط تعتبر المنطلق الكبير فى حياتنا الأدبية فمن مقالة متجددة متطورة فى أسلوبها ونهجها الى قصة جديدة تحذو حذو القصة المصرية الرائدة ومن شعر رصين يتميز بوضوحه وظهور المؤثرات الانسانية فيه الى محاولات جادة فى سبيل إنماء الحركة الأدبية وتطعيمها بأفكار العصر ومدارسه الجديدة. ومما عمق الرومانتيكية ظهور النفط فى شرق الجزيرة بكميات تجارية حيث أدى الى زيادة الدخل الذى انعكس أثره على الحياة العامة فتغيرت أساليب الحياة وظهرت الصحافة وبدأ الاتصال والتمازج مع ثقافات الشعوب الأخرى.

وفى مقابلة أجريتها مع الاستاذ سعد البواردى رئيس تحرير مجلة الإشعاع عام ١٣٧٦هـ حول الكُتّاب والشعراء الذين استطاعت المجلة أن تضمهم اليها أورد اسماء من المنطقة الشرقية مثل موسى الشيخ على من القطيف قصصى ومترجم عبد الرحمن العبيد من الجبيل شاعر. عبد الله احمد شباط من المبرز كاتب. ابراهيم بن عبد المحسن بن عبد القادر من المبرز كاتب. على الزاكى من مطار الظهران كاتب.

وفى اجابة أخرى يقول **«وحكمنا على الشعر هو الحكم ذاته على الأدب السعودى أنه اقتباس.. تقليد للنزعة الشعرية الجديدة التى قادها نزار قبانى والفيتورى وأبو ريشة ونازك الملائكة والعيسى تلك النزعة الواقعية المتحمسة لمشاعر الواقع والساعة والتى تحاول ان تخلق من تعابير الشاعر اندفاع أمة وخلق جيل وأخالنى فى غير حاجة إلى ان أوكد ان من بين شعرائنا فى الحجاز وفى المنطقة الشرقية بالذات من بلغوا الذروة أو كادوا فى انتاجهم الشعرى المتحمس الموهوب»**.

وفى مجلة الاشعاع نشرت قصائد (الى أحرار المغرب العربى) بمناسبة الذكرى الأولى لجهاد الجزائر وكذلك ذكرى باندونج عام ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م فى نفس المجلة وممن تحدث عن مؤتمر باندونج فى الكويت الشاعر محمود شوقى الأيوبى.

●● والواقع ان الاتجاه الرومانسى السائد فى منطقة الخليج بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت الى جانبه الواقعية وسارا على منهاج واحد واندمجا معا نتيجة الاستفادة من التجربة العربية ونتيجة المتغيرات الدولية إذ ذاك.

إن الشاعر الخليجى فى ذروة التحول من الاتجاه الكلاسيكى إلى الاتجاه الرومانسى والواقعى قد وضع بصماته على ما ينشده ولا سيما فيما يتعلق بغوص اللؤلؤ

والتغني بالنخلة وفيها يرسمه من ألوان الحياة المختلفة «واذا بحثنا عن أصول ثقافة هؤلاء الشعراء وجدناها في شعر خليل مطران وعلى محمود طه وإلياس أبي شبكة وايليا أبي ماضي وغيرهم من شعراء المهجر أو من الرومانسيين في الوطن العربي» وهو استنتاج يلتقي مع استنتاج الاستاذ سعد البواردي قبل سبع وعشرين سنة والذى أعرفه عن نفسي كشاعر - وعن انتاج ادباء المنطقة الشرقية بالذات ان اطار الرومانسية يكاد يشترك فيه معظم شعراء هذه الفترة حيث تأثروا بمدرسة أبولو ومدرسة المهجر ولا أنكر أثر الناقد الكبير مصطفى السحرتي وما كان يبثه من مفاهيم عن التجربة النفسية ووحدة القصيدة والصور الخيالية مما نعتبرها مفاهيم جديدة كنا نطبقها بحيث تكون القصيدة وحدة متماسكة في استهلالها وموضوعها وختامها. كما ان تنويع الوزن يعتبر تجديدا في حد ذاته.. لكن صورة هذا التجديد تبدو أكثر وضوحا عند الشعراء ناصر أبو حيمد وعبد الرحمن المنصور وغازى القصيبي من المنطقة الشرقية وكذا عند الشاعر احمد العدواني من الكويت لأنهم مارسوا التجديد في التفعيلات ايضا على نحو ما يسمى بالشعر الحر.

نمو الدراسات الأدبية والترجمة

ويلي ذلك الدراسات الأدبية وحركة التأليف التى بدت تنمو خلال القرن المنصرم ونعد منها المؤلفات التالية على سبيل المثال وليس الحصر.

(أ) *من أوائل التأليف ما ظهر على شكل أبحاث دينية ودراسات لغوية ولا سيما لعلماء الاحساء ويليها كتب التراجم والتاريخ مثل كتاب «أنوار البدرين في تراجم علماء القطيف والاحساء والبحرين «لعلى البلادى البحراني» (١٢٧٧-١٣٤١) مطبعة النعمان بالنجف و«تاريخ الكويت» لعبد العزيز الرشيد.*

(ب) البحث العلمي الاكاديمي *ويمثله كتاب «كاظمة في الأدب والتاريخ» ليعقوب يوسف غنيم ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.*

(ج) المذكرات وأهمها: *مذكرات خالد الفرج - مخطوطة - و«من البحرين الى المنفى - سانت هيلانه» بقلم عبد الرحمن الباكر ط بيروت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.*

(د) *كتب في البحث الاجتماعي مثل: «المجتمع العربي بالكويت» لعبد العزيز حسين ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.*

(هـ) التحقيق الادبي: *المجموعة الكاملة لآثار ابراهيم بن محمد الخليفة أشعاره ورسائله المطبعة الشرقية البحرين ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.*

«من الامثال العامية» لخالد سعود الزيد ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.. بالاضافة الى منشورات عدة تتعلق بالتراث العربي قامت بنشرها حكومة الكويت ومنشورات اخرى قامت بها أيضا دار الكتب القطرية.

(و) دراسة الادب المعاصر: *وأقدمها الادب في الخليج العربي.. للمؤلف ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.. لمحات من الخليج العربي.. لمحمد جابر الانصاري.. أدباء من البحرين دراسة وتحليل.. على طالب ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م.. أدباء الكويت في قرنين.. لخالد سعود الزيد ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.. أدب النثر المعاصر في شرق الجزيرة العربية.. للدكتور عبد الله آل المبارك ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.*

(ز) النقد وفلسفة الشعر:

الاساليب الشعرية: لابراهيم العريض

١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م.

الشعر والفنون الجميلة: لابراهيم العريض ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٢م.

الشعر وقضيته: لابراهيم العريض ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

جولة فى الشعر المعاصر: لابراهيم العريض ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م.

فن المتنبى بعد الف عام: لابراهيم العريض ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

(ح) الدواوين الشعرية:

ديوان خالد الفرج: طبعة دمشق ١٣٧٢هـ.

ديوان الخليفى: (فصيح ونبط) قطر.

القطريـــات: للشاعر عبد الرحمن المعاودة.

دوحة البلابل: للشاعر عبد الرحمن المعاودة.

لسان الحال: للشاعر عبد الرحمن المعاوده

(ط) كتب المقالات:

وتمثلها مجموعة مختلفة ـ لعبد الله زكريا الانصارى.

تأملات فى الادب والحياة ـ لعبد الرزاق البصير.

فى الأدب والحياة ـ لفاضل خلف ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

أحلام الشباب ـ لفاضل خلف ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م.

تحفة المستفيد ـ للشيخ محمد بن عبد القادر.

ولقد اتسع مجال التأليف ليشمل العديد من الدراسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ولكن معظم هذه الدراسات يغلب عليها طابع التكسب عن



● وجوه ثقافية ●

ابو الفرج الاصبهانى
على بن الحسين

(٨٩٧-٩٦٧) اديب. ولد «بسر من رأى» ومات ببغداد التى نشأ بها وزار البصرة والكوفة وانطاكية وغيرها. كتب لركن الدولة البويهى ونادم معز الدولة وعاش فى رعاية امراء العراق والشام والأندلس. كان شاعرا هجاء ماجنا متغزلا فى الغلمان ولكن شهرته تقوم على كتبه التى الفها فى الغناء والتاريخ والنوادر والأدب والانساب مثل: «مقاتل الطالبيين» و«أدب السماع» و«اخبار الطفيليين» و«جمهرة النسب». واشهرها «الاغانى» وهو موسوعة تضم التاريخ والأدب والنقد والموسيقى والأخبار والأنساب والتراجم. ألفه اساسا على الاصوات المائة التى اختارها للرشيد: ابراهيم الموصلى واسماعيل ابن جامع وفليح بن ابى العوراء. فكان يقدم «الصوت» (اللحن) ويبين ناظمه وملحنه ومغنيه ثم يترجم لواحد او اكثر منهم فضم الكتاب معلومات غنية تتعلق بالموسيقى والغناء ومدارسها وتراجم الموسيقيين والمغنين وشعرا ونقدا للشعر وذكرا للمدارس الشعرية وتراجم للشعراء وانسابا وأخبارا جاهلية واسلامية فصور الحياة الاجتماعية والفنية للعرب منذ الجاهلية الى العصر العباسى فعد اعظم مرجع لكل باحث فى الثقافة العربية الاولى والحياة الاجتماعية عامة.

طريق التأليف واتخاذ النشر وسيلة لذلك ـ وهذه دراسات تفتقر فى كثير من الحالات الى البحث العلمى الصادق والدراسة المستفيضة الجادة .

ويشمل أيضا مؤلفات تبحث فى اللغة كتلك التى تعدد الكلمات واللهجات فى الخليج وما دخل من مفردات انجليزية وفارسية وهندية وهى ظاهرة لغوية تكاد تطغى على لغتنا العربية وأصالتها جاءت كأثر سيىء من آثار الاستعمار والاختلاط مع شعوب أخرى مجاورة .

اما الدراسات الوثائقية المتعلقة بالخليج والجزيرة العربية فإن بلدان مجلس التعاون عقدت عدة مؤتمرات لمناقشة هذا الموضوع وكان آخرها الحلقة الخامسة التى عقدت فى دارة الملك عبد العزيز بالرياض وكان ضمن مقرراتها كتابة موسوعة جغرافية للمنطقة وإبراز تراجم للشخصيات الأدبية التى أثرت فى حياتها العامة وأثرت فى انتاجها وخدماتها للأمة .

اما بالنسبة للترجمة فنجد الشاعر ابراهيم العريض من أقدم ادباء الخليج الذين ترجموا بعض انتاجهم للغات اجنبية كالانجليزية أو الهندية وكذا الشاعر احمد الراشد المبارك من المنطقة الشرقية وفاضل خلف من الكويت اما الذى توسع فى هذه التراجم فهو الشاعر السعودى المعاصر غازى عبد الرحمن القصيبى الذى اختار من مجموعاته الشعرية عدة مقطوعات ترجمها ونشرها باللغة الانجليزية . . اما الشاعر ابراهيم العريض فلم يقتصر على ترجمة نماذج من شعره كما أسلفت وإنما ترجم لغيره حيث نشر رباعيات الخيام «دار العلم للملايين ـ بيروت الطبعة الاولى ١٣٨٦ـ١٩٦٦» ثم اتجه الى ترجمة نماذج من الشعر الانجليزى والامريكى .

الشعر : اتجاهه وتطوره
الشعر التقليدى أوالكلاسيكى

اخذ الشعر كفرع من فروع الادب العربى حيزا كبيراً من حياة أدباء الجيل ولذلك جاءت النماذج الادبية الموثقة من الشعر الخليجى أكثر بكثير من الفنون النثرية الاخرى . والدارس للشعر الخليجى واتجاهاته وتطوره لا بد له من ان يلم بواقع الشعراء وبيئتهم حيث إن الشاعر الصادق صورة لمجتمعه يعبر عن أحاسيسه ومشاعره وتطلعاته ويتغنى بامجاده ويبث همومه وأحزانه فى ثنايا انتاجه .

لقد كان الشعر من أغزر الاشكال الادبية انتاجا فى المنطقة حيث انه قطع أشواطا لا بأس بها ربما لأن الشعر كان له دور اعلامى إذ ذاك كما ان الاتجاه التقليدى أو القديم بدأ منذ مستهل القرن الرابع عشر الهجرى وامتد حتى منتصفه تقريبا . . ونستطيع ان نقول ان صقر الشبيب وعبد الله النورى وعبد الله سنان بالاضافة الى محمود شوقى الايوبى وعبد الله زكريا الانصارى من الكويت ساروا فى اتجاه واحد من حيث الخط التقليدى كما سار فى نفس الاتجاه عبد الحميد الخطى وخالد الفرج وعبد العزيز عبد اللطيف آل مبارك وعبد العزيز بن حمد آل مبارك وعبد الله بن على العبد القادر من المنطقة الشرقية وابراهيم بن محمد آل خليفة وعبد الله الزائد من البحرين وأحمد يوسف الجابر من قطر.

ويمكن أن نضع هؤلاء جميعا على الرغم مما بينهم من اختلاف فى الاتجاه فى خط واحد حيث إنهم يمثلون مرحلة هامة فى حياة ما قبل النفط ويشمل هذا الاتجاه الشعر التعليمى الذى انتهجه بعض الشعراء محاولين التعبير

عن أحاسيسهم وخلجاتهم بأسلوب علمى يعتمد على التشطير والتخميس والالغاز وألوان المدح والرثاء وما رافقه من النقاش الاجتماعى والحوار الذى كان يقوم بين المتمسكين بالقيم ودعاة التحرر . . ومن هؤلاء عبد العزيز العلجى الذى كان يحاور دعاة التحرر كما أورد ذلك المرحوم عبد العزيز الرشيد فى تاريخ الكويت.

غير انه ظهر فى القطيف شعراء اتصف شعرهم بالبلاغة وجزالة اللفظ وإن لم يتجاوز إطار المرحلة التقليدية التى أشرت إليها وربما أن الاحتكاك مع العراق والاتصال السائد معه هو الذى اعطى لأدباء القطيف هذه الجزالة فى التعبير والتصوير وليس الخطى والعلجى هما البذرة الأولى بل هناك عدد من الشعراء أسهموا فى هذا المجال.

والشعر فى هذه المنطقة ظل لفترة زمنية محدودة يرتبط بإطاره التقليدى فالشاعر يتحدث عن الرثاء والفخر والمديح بنفس الاسلوب الذى كان سائدا فى الشعر العربى التقليدى وبالنسبة للخصائص الفنية فى شعر المنطقة نجد ان الشعر يرتبط بقائله وبالفترة التى يعيشها وإن كان فى مرحلته التقليدية ظل على صفته القديمة حيث تتعدد أغراض القصيدة وتبدو خالية من الوحدة العضوية كما ان الاستهلال لا يعبر عن مضمون القصيدة ولا يرتبط مع كيانها العام ونادراً ما تعثر على قصيدة تتصف بالوحدة والتجانس إلا فى فترة التطور ويغلب على شعر المرحلة التقليدية الاخوانيات وهى التى يتداولها المشايخ والأدباء فيما بينهم . . ثم نجد أنها تشتمل على استهلال من الغزل والنسيب وكذا شعر الفخر على نحو قول الشاعر العمانى محمد بن شيخان السالمى المتوفى سنة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٧م.

سحبت حمير أذيال العلا
فغدت تمتد فى كل بلد
أسلفوا العز وأعلوا هامه
وحووه بطريف وتلد
ورثوا أودية العلياء عن
كبراء عن شديد عن أشد

كما نجد شكوى الزمان ترتبط مع المديح فى أحيان كثيرة وغالبا ما يتحدث الشاعر الخليجى التقليدى عن تجاربه فى الحياة فيأتى بأبيات عفوية يصور فيها خواطره وخلجات نفسه ورغم أنها ذات طابع تقليدى إلا أنها تعطى انطباعا عن مرحلة مهمة من مراحل الفكر والأدب فى هذه الربوع.

ومن التعسف أن نهضم هذه المرحلة حقها ونقول إنها لا تساوى شيئاً إذا أدركنا البيئة التى عايشها هؤلاء الشعراء أما القصائد التقليدية عامة فمتوسطه من حيث أبياتها.

وتشتهر هذه المرحلة أيضا بالشعر المشتمل على الأراجيز وهى المقطوعات الطويلة التى تبحث فى علم من علوم اللغة أو الدين كالمواريث ونحوها . . ونجد ذلك واضحا فى شعر آل مبارك من الاحساء وفى شعر فرج العمران من القطيف وفى شعر ثانى المنصور من الجبيل. اما لغة هذا الشعر وأسلوبه فهى لغة عربية لا غبار عليها وإن كنا نلمس فى بعض الالفاظ والتراكيب ضعفا واضحا بينما نرى بعضهم الآخر

يهتم باختيار الألفاظ واستعمال الفصيح من الكلمات والبعد عن العامية ويتجلى هذا عند البيتوشي والعلجي وغيرهما.

اما شعراء القطيف فنجد لديهم تنوعا فى الألفاظ كما نجد لمحات فنية فى ثنايا الشعر حيث تقل فيه المساجلات والاجازات التى كانت سائدة لدى شعراء الاحساء.

والبحور التى نظم بها هؤلاء هى بحور الشعر المشهورة وأهمها بحر الكامل ومجزوء الرمل والبحر الطويل والبسيط والوافر والرجز ومما يتصل بالقافية ما يعرف بالتشطير والتربيع والتخميس وقد نظم على هذا المنوال بعض شعراء المرحلة التقليدية متأثرين بغيرهم مما ساد فى عصر ما قبل النفط فى حين ان جيل ما بعد النفط أو جيل التطور لم يهتم بهذا النهج التقليدى وان كنا نجد ذلك فى بعض أشعار خالد الفرج الحديثة كما ورد فى ديوانه المطبوع فى دمشق ١٣٧٤هـ.

والشعر فى قطر يسلك نفس الاتجاه التقليدى حيث لا يوجد سوى شعراء المدرسة المحافظة امثال الشاعر عبد الرحمن المعاودة الذى يقف على رأس المدرسة المحافظة والشاعر احمد يوسف الجابر وهو شاعر مخضرم عايش القديم وشاهد الجديد ولكنه أشد محافظة على القديم من سابقه.

لقد كان جيل ما قبل النفط تشغله هموم الحياة فهو فى جهد متواصل من أجل لقمة العيش ولم يتيسر له رغد الحياة الذى جاء فى عهد جيل ما بعد النفط كما أن القيود التى تعوق هؤلاء سواء كانت اجتماعية أو سياسية حالت دون إبراز كثير من الخواطر المعبرة الا فى حدود ضيقة.. يقول.. دكتور شوقى ضيف فى كتاب له «ولابد لجودة الانتاج الأدبى أو لنهوضه ان يُيَسر لأصحابه شيء من لين العيش ويسر الحياة وشيء من الحرية الفردية التى ترد اليهم كرامتهم وتشعرهم أنهم أحياء وهى حرية تستمد من حرية الشعب نفسه تلك الحرية التى تمكنه من تحقيق آماله ومطامحه واعتداده بوجوده فيحس كل شخص أنه يعيش معيشة كريمة ويتعاون مع مواطنيه فى بعث الحياة فى كل مرفق وكل شأن من شئون أمته».

ولا شك أن جيل ما بعد النفط الذى عاصر الاستقلال والاستقرار والازدهار الاقتصادى قد أنتج انتاجا جديدا يختلف عن سلفه ويتسم بسمات العصر ويرتبط بأشواق الامة ورغباتها حسب المتغيرات التى طرأت على أثر الاستقلال وتطور المصادر الطبيعية واتصال المنطقة بالدول المتقدمة صناعيا.

●●

فى أدب الخليج العربي نعتبر القصة من الألوان الجديدة ويبدو أنه لم يُقَدَّر لها النبوغ على نحو ما كان عليه الأمر فى أدب المقالة والشعر..

●●

الانتقال الى الرومانتيكية والواقعية

وبعد اكتشاف النفط وظهوره بكميات كثيرة فى منطقة الخليج اخذت الحياة الاقتصادية تزدهر رويدا رويداً وبدأ الناس يمارسون حياة جديدة ودخلت المنطقة عناصر جديدة من ثقافات مختلفة فأثر ذلك على الشعر ونما وتطور بتأثير هذه العوامل فظهر جيل ما بعد النفط من أمثال . . محمد سعيد المسلم ومحمد سعيد الخنيزى وغازى القصيبى وناصر ابو حيمد وعبد رب الرسول الجشى وكاتب هذه السطور فى المنطقة الشرقية .

أما عن اتجاهات الشعر الجديدة من حيث مضامينه فيظهر ذلك جليا فى الشعر الاسلامى والشعر السياسى والشعر الاجتماعى وشعر الطبيعة . . وفى الكويت نجد من هذه الطبقة الشاعر احمد العدوانى واحمد محمد زين السقاف وفاضل خلف كما نجد الشاعر ابراهيم العريض من البحرين وكذلك الشاعر أحمد محمد الخليفة .

وفى هذه الفترة ظهر الشعر الرومانسى والشعر الواقعى وطبعا معظم انتاج هذه الفترة لا تكاد تشذ أى منطقة عن المنطقة الاخرى . . وربما ان ذلك بتأثير مدرسة الديوان وجماعة ابولو التى تأثر بها الادباء فى فترة ما بعد الحرب ولا سيما جيل التجديد الذى ظهر فيها بعد .

إن التجديد لا يعنى تجديد الاسلوب او الشكل وانما شمل المضامين أيضا . . وفى إطار الشكل ظهرت القصيدة المرسلة أو الشعر الحر أو المطلق كلون جديد من ألوان الأدب يفرض نفسه على حياتنا الأدبية والفكرية .

وإن كان كثير من رواده قد تراجعوا عنه وعلى رأسهم الشاعرة نازك الملائكة التى رجعت عن كثير من أفكارها فى الشعر الحر وتراجعت عن أحكام لها نشرتها فى السبعينيات للهجرة وتكاد الحركة الشعرية فى البحرين تأخذ طابع الشمول بما تبدعه من انتاج شعرى يختلف عن مناطق الخليج الأخرى . . واخشى ما أخشاه ان يساق المقلدون فى هذا المضمار فتظهر طبقة من الشعراء تنتج ما يسمى بالشعر الحر تقلد فيه بعض مدارسه فى الغرب تقليداً ممسوخاً وتنسى أنها وريثة تراث حى مشرق نابض بالكلمة المعطاءة والقافية الموسيقية المعبرة والقوة البلاغية تشد الناس الى الشعر وتدعوهم لحفظه وتذوقه .

وبعض هؤلاء يغرب فى تفكيره ويحتويه القلق والضياع حيث يعبر عن مشاعر غريبة الوجه واليد واللسان كما يقول المتنبى : وسيظل البقاء للأفضل بدليل ما تطالعنا به محافل الجامعات كل عام من مناقشة رسائل مقدمة لنيل درجة علمية عن أدباء جيل ما قبل النفط او بعده من الشعراء والمفكرين الذين اكتمل نضوجهم وتعددت مواهبهم واستقامت لغتهم .

لقد ظهرت الدواوين لجيل ما بعد النفط فى وقت مبكر فالعريض أصدر ديوانه «العرائس» فى الستينات للهجرة . . وقد ترجمت نماذج من شعره الى لغات أجنبية وظهرت دراسات تتحدث عن الحركة الشعرية فى منطقة الخليج عامة . أما سمات الشعر التى اتصف بها هؤلاء الشعراء فهى تتفاوت وتتباين بحسب اهتمامات هؤلاء الشعراء . . ولعل أوضحها تلك المشاركة الوجدانية لمشاعر الأمة

العربية فى معظم المناسبات التى مرت بها بعد الحرب العالمية فحينما تم وقف اطلاق النار فى الجزائر عمت الفرحة بلدان الخليج وتردد صداها بين الدمام وقطر والكويت. . وفى الحفل الذى أقيم بمبنى السكة الحديد بالدمام بهذه المناسبة ألقيت هذه القصيدة التى نشرت فيما بعد ومطلعها:

ارج من الذكرى ليوم عاطر
ومنى يجسمها نشيد الشاعر
وملاحم نسج الإباء إطارها
فتضوعت عن أنجم وأزاهر
قد كنت أرتقب الصباح فهالنى
أنى رأيت الصبح ملء نواظرى
فإذا شدوت فإنما أشدو على
لحن الخلود يشير فىَّ مشاعرى

●● *ونجد الشاعر عبد الرحمن المعاودة من قطر يلقى قصيدة فى الحفل الذى أقامته وزارة المعارف القطرية بهذه المناسبة فيقول:*

تضيق القوافى عن جهاد الجزائر
وإطراء ما قاموا به من مآثر
همو القوم ما هانوا لدى الخطب او ونوا
وما نكصوا يوما أمام العساكر
تحدوا فرنسا بالعصى فأذهلوا
جميع بنى الدنيا بعزم الجبابر
يسيرون نحو الموت والبشر طافح
على أوجه مثل البدور الزواهر
ومن رام عزاً فى الحياة ترفعت
به النفس عن كل الأمور الصغائر

تصوير البيئة

الشعر الاجتماعى:

يشترك شعراء الخليج فى التعبير عن الغوص على اللؤلؤ باعتباره من المهن العريقة فى الخليج. . فيقول الشاعر محمد احمد الخليفة من البحرين عن الغواص:

أنا الغواص فى البحر
حليف الجد والصبر
أعيش مع الرياح الهوج
فى كر وفى فر
فقد علمنى دهرى
بالجرأة والصبر
وزودنى بقلب طـ
ـامح للعمل الحر
أنا ابن الموج والأنـ
ـواء والظلمة والفجر
أنا من صارع الريح وغـ
ـنى أول الدهر

● وقد قلت من قصيدة عنوانها «همس القلادة» المنشورة بجريدة اليمامة:

يا أيها الغواص مالك تجتلى
فى كل آونة نشيداً من كدر
ترنو الى الاصداف علَّ بطيها
ظل السعادة تقتفيه كالأثر
فتغوص فى ذاك الخضم تلاحمت
فيه المنى وتواثبت فيه الصور

● الى ان قلت:

فتأمل الحسناء همس قلادة
تروى الشقاء لمن بكوا فيه الدرر

●● وفى تصوير بيئة الخليج يشترك الشعراء فى الحديث عن «النخلة» باعتبارها مصدرا للرزق عايشها الأجداد وورثوها للأحفاد جيلا بعد جيل.

● يقول الشاعر عبد رب الرسول الجشى من القطيف:

والنخل وارفة الظلال كأنها
جيش كثيف بالخليج معسكر
تهدى لها الصحراء فى السحر الصبا
فتمر كالحلم اللذيذ وتخطر

●● وقد قلت فى قصيدة بعنوان «النخلة الوحيدة» ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م:

ما أرى فى تطلع واشتياق
وقفت فى فتوة واتساق
تتسامى على الربا وتناجى
همسات الأصيل فى الآفاق
قد حكى طيفها عروس رمال
أثقلتها الحلى بالأعذاق
وحفيف الرياح فى أذنيها
مثل همس المتيم المشتاق
وسقاها الندى قطرات
من جفون الغروب والإ مراق

● كما قلت من قصيدة على نهر الرون مشيرا الى النخل:

ونخل على هضب الجزيرة خلته
يمد يدا نشوى تجيش وتدعونى

أما البحر. فقد تناوله معظم شعراء الخليج ووصفوه ووقفوا على ضفافه يسائلونه عن أخبار الماضين ولا يكاد يخلو ديوان واحد منهم من الاشارات واللمحات الفنية التى تذكر بالبحر وأمواجه ولآلئه وسفنه وأسماكه وعالمه الكبير المتصل بحياتهم. كما نجد الطابع الاجتماعى والاتجاه الى التراث الشعبى يشد كثيرا من شعراء ما بعد النفط ليعبروا عن احساسهم ووجدانهم تجاه البيئة بما تمثله من غوص وتغن بجمال القرى والريف والبحر وما شابه ذلك.

●● وتختلف تعبيرات هؤلاء الشعراء فى تصوير مضامين الصدق الفنى ورقة الاحساس بين شاعر وآخر.

اما محاولات التغيير فى الأسلوب والشكل فقد تبناها من هذا الجيل ثلاثة شعراء هم احمد العدوانى.. ناصر أبو حيمد.. غازى القصيبى.. لكنهم ظلوا محافظين على قواعد اللغة يمارسون الشعر المقفى بجزالة وبلاغة الى جانب ممارسة الشعر الحديث كظاهرة فنية جديدة.

● لقد أصبح جيل ما بعد النفط أقرب لتمثيل البيئة والتعبير عن المرحلة التى عاشوها سواء فى تصوير كفاح الأمة فى سبيل الاستقلال أو فى بعث التراث الحضارى وتخليد المسميات الأثرية القديمة والشعراء القدامى الذين عرفتهم شواطىء الخليج على مر العصور.

النثر الفنى:

تحدثنا عن نشوء الأدب فى فترات مختلفة وعن

العوامل المؤثرة فى نمو الشعر.

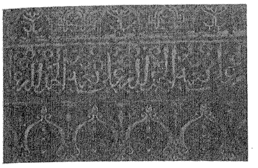
وفى هذا الفصل نبحث الملامح الجديدة فى ميدان النثر بمختلف أشكاله من مقالة وقصة ورواية ومسرحية وما قدمه أدباء الخليج سواء من ناحية الشكل والأسلوب أو من ناحية الموضوع والفكرة وكيف نشأ ونما الأدب الخليجى تحت تأثير هذه العوامل التى سبقت الاشارة اليها من صحافة وإذاعة وتعليم ومكتبات ومطابع وأندية .

المقـــال

يعرف المقال بأنه الموضوع الذى يتحدث عن رأى خاص أو فكرة أو مسألة تبحث فى العلوم أو الاقتصاد أو الاجتماع ـ وخطة المقالة أن كل قضية فيها تكون نتيجة لما قبلها ثم مقدمة لما بعدها وأسلوبها يعتمد على دقة الكلمات وسهولة التركيب ووضوح المعنى .

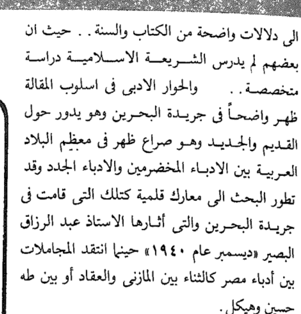
وتعتبر جريدة البحرين ـ منذ أوائل الستينات للهجرة منطلق التطور فى كتابة المقالة حيث كانت ملتقى الأقلام من أبناء الخليج كالشيخ محمد بن عيسى آل خليفة وإبراهيم العريض وعبد الرحمن المعاودة والاديب الكويتى عبد الرازق البصير الذى نشر حلقات بعنوان «سبيل السعادة» والاديب السعودى محمد على لقمان وكذلك عبد الله الرومى من الاحساء كما كتب فيها من أدباء العرب المرحوم عباس محمود العقاد بعض مقالات عن الحرب العالمية الثانية وكتابات العقاد لا شك أنها مدرسة للشداة فى ذلك الوقت وتعتبر مقالات الزائد التى كتبها عن قضية فلسطين من أهم المقالات، وعلى سبيل المثال انظر مقالته عن هجرة اليهود الى فلسطين وموقف بريطانيا وفرنسا من هذه الهجرة .

وفى الكويت بدأ فن المقالة منذ عام ١٣٤٨هـ/ ١٩٢٨م مرتبطا بالصحافة وقد تطورت تدريجيا حيث انتقلت الى الصحافة اليومية والى الاذاعة فى صيغة احاديث ومن المعروف ان هذا اللون من الأدب يتجه الى التركيز فى العبارة والوضوح فى الفكرة والبساطة فى اللغة ويعتبر الاستاذ عبد الله زكريا الانصارى من أبرز كُتّاب المقالة الاجتماعية وكذا الاستاذ فاضل خلف والاستاذ عبد الرزاق البصير وعبد العزيز حسين واحمد السقاف ويعتبر التخصص من ابرز سمات الكاتب الناجح كالتخصص فى المقالات التربوية أو الاجتماعية او الادبية اما الخصائص الأسلوبية فهى تتفاوت بين الادباء وليس هناك من خصائص مشتركة بينهم.



●● وبالنسبة للمقالات التى تبحث فى الشؤون الاجتماعية فهى متعددة وهى بصفة عامة تتناول موضوعات عدة مثل تعليم المرأة والتطور الحضارى ومشكلة الفقر والتخلف وقد تطرقت أيضا صحيفة «صوت البحرين» الى هذه الموضوعات وكذا مجلات «البعثة» «والرائد» ثم تطورت البحوث الى مناقشة مسائل النمو وتبلور المجتمع . أما المقال الثقافى فنجده واضحا فى صحيفة (صوت البحرين) و(البعثة) و(الرائد) ونلمس فيه تطور انشاء المقال بأسلوبه وجدته وحيويته .

وتأتى بعد ذلك المقالات التى تبحث فى الشؤون الاسلامية لتبرز أفكار الباحثين فى وجوب تطوير العقلية العربية وفعاليتها ومواكبتها للمعانى الكبرى التى جاء بها الاسلام وهى كتابات تدل من ناحية الاسلوب على جزالة اللفظ أما من حيث المحتوى فهى لا تستند



الى دلالات واضحة من الكتاب والسنة . . حيث ان بعضهم لم يدرس الشـريعـة الاسـلاميـة دراسـة متخصصـة . . والحوار الادبى فى اسلوب المقالة ظهـر واضحـاً فى جريـدة البحـرين وهو يدور حول القـديم والجـديـد وهـو صراع ظهر فى معظم البلاد العـربيـة بين الادبـاء المخضرمين والادباء الجدد وقد تطور البحث الى معارك قلمية كتلك التى قامت فى جريـدة البحـرين والتى أثـارها الاستاذ عبد الرزاق البصير «ديسمبر عام ١٩٤٠» حينما انتقد المجاملات بين أدباء مصر كالثناء بين المازنى والعقاد أو بين طه حسين وهيكل .

وينتقل الصراع الى أدباء الخليج أنفسهم وذلك عندما نشر عبد الرحمن المعاودة رباعيات الخيام وقيام الأديب عبد الله الرومى من الاحساء بنقد شعر المعاودة .

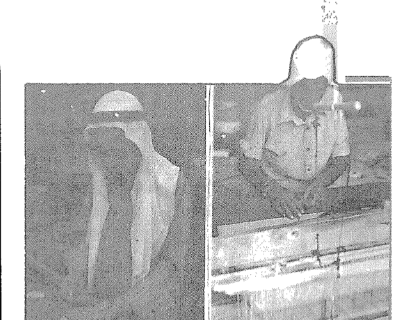
وتطور المقال الأدبى الى مناقشة الالتزام والمذهب الـواقعى فى الأدب ودار حوله جدل طويل فى مجلة ـ صوت البحـرين ـ والاضـواء ثم اتجه الى منـاقشـة الفلسفة الأدبية لتفسير الادب وتفسير مذاهبه الجديدة المتعـددة ولكن يبدو ان الاستاذ إبراهيم العريض فى مقالاته ومحاضراته التى القاها فى بعض الجامعات وفى مؤتمرات الادباء العرب تمثل النضج فى بحث الفلسفة الأدبيـة وتأتى الكتابات المعاصرة فى مجلة «الاشعاع» بالمنطقـة الشـرقيـة وهى مجلة أدبيـة كانت تصدر فى منتصف السبعينات لتعمق مفاهيم المقالة على نحو ايجـابى بالنسبـة لأدباء المنطقة الشرقية بل انها كانت تعنى بالناشئين وتهتم بهم أكثر من غيرهم وألاحظ ان المقـال تخلص من المنهج التقليدى وأخذ يستند على منـاقشـة مرتبـة من المقـدمة الى النتيجة ومن ناحية الاسلوب نراه يتخلص من الـركـاكـة والسقم تمامـا ليواكب المقالة وتطورها فى البلاد العربية الأخرى .



● وجـوه ثقافيـة ●

احمد شوقى

(١٨٦٨ـ١٩٣٢) شاعر عربى لقب بأمير الشعراء ـ ولـد بالقاهرة لأسرة ذات جاه امتزجت فيها الدماء العربية والتركية والكردية واليونانية. تعلم فى مدرسة الحقـوق وارسله الخـديـوى توفيق فى بعثة الى فرنسا فدرس الأدب الفرنسى مع دراسته للقانون وعمل بعد عودته فى «**القلم الافرنجى**» بالديوان الخديوى وتوثقت صلتـه بالقصر فى عهد الخديوى عباس الثانى فصار «**شـاعـر الأمـير**» المعبر عن سياسته فافقده ذلك ثقة الـوطنيين، وحين خلع الانجليز عباس الثانى وولوا السلطان حسين كامل مكانه قابل شوقى هذه الخطوة بالسخـط والألم وعـبر عن ذلـك فى شعره فأبعد الى اسبـانيـا وبقى هنـاك طوال الحـرب العالمية الأولى، واطلع على آثار الحضارة العربية الأندلسية وتغنى بها فى بعض قصائده وعاد الى الوطن بعد عقد الصلح وكـان بعد عودته اقرب الى الشعور بقضايا الشعب ومشكـلاتـه حتى أصبـح يعـد نفسـه شاعر الشعب والعروبة والاسلام بعد ان كان شاعر الأمير والخليفة. حاول تأليف الرواية التاريخية فى مطلع حياته الأدبية ولكن نجاحه الأكبر كان فى الشعر على نمط القصيد التقليـدى فبلغ بهذا النمط ذروته فى العصر الحديث بعد ان أحياه البارودى. اما مسرحياته الشعرية التى تعـد طلائع فى هذا الميدان مثل «**مصرع كليوبطرة**» ١٩٢٩ و«**مجنـون ليلى**» ١٩٣١ . و«**قمبيز**» ١٩٣١ .



اشتهر الحرفيون الخليجيون بمهاراتهم العالية على مستوى العالم العربى كما اشتهر الخليج بجودة اللؤلؤ.

وقد صدرت عدة كتب لمؤلفين من الخليج جمعوا فيها مقالاتهم التى كانوا ينشرونها رغم التفاوت الزمنى الذى يفصل بينها.

وهـذا الاتجـاه فى التأليف لا يحسن الا فى حالات معينـة حيث تأخذ هذه المقالات الطابع العلمى والأدبى وما عدا ذلك فتعتبر المقالة قضية تنتهى بانتهاء الظروف التى نشرت فيها.

القصة والرواية

القصة فى أدب الخليج العربى تعتبر من الألـوان الجديدة ويبدو أنه لم يقدر لها الذيوع على نحو ما كان عليه الامر فى أدب المقالة والشعر مما يجعل الباحث لا يتمكن من الاحاطة بالصورة الادبية والفنية كاملة لما يكتنفها من غموض.

لا ينبغى ان يتبدد المثقف فى الهموم الذاتية التى تعطل قدرته على التفكير وعلى الابداع.. بل يتوفر له المناخ الملائم للانتاج وللابداع، وللعطاء: فكرا، وكلمة هادفة!

أيضا لا ينبغى ان يتطوح دور "الثقافة" فى اشكالات، وحوارات عقيمة، أو جدلية.. يكون الهدف المستتر من ورائها: ترويج ذات المثقف، واغراضه الأنانية، وربما أيضا أحقاده، ولتوجهاته الخاصة!

ان دور «المثقف» يرتبط بطموحات الانسان بمجموعه، وكأمة - يتوقان الى عطاء أمثل وايجابى حقيقة فعاليات الكلمة، وفعاليات التوجيه، وفعاليات التثقيف والوعى.

ودور «الثقافة» يرتبط هو الآخر بتلك الاصوات الناضجة: فكرة، وشعورا، وأهدافا، وابداعا.. وهى اصوات ترتقى بأبعاد الخطة الثقافية التى تستهدف هموما عديدة.. تقتحم عالمنا العربى

«عبد الله الجفرى»

●● والواقع ان القصة ظهرت فى مصر وكانت من أبرز ألوان الادب هناك ثم انتقلت الى ديار العرب ومنها منطقة الخليج حيث بدأت على شكل محاولات أولية إلا انها اخذت تستكمل عناصرها ومقوماتها بعد ذلك وكانت المحاولات الأولى فى مجلة البحرين ١٣٥٩هـ/١٩٣٩، ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ونشرت مجلة البعثة منذ عام ١٣٧١هـ/١٩٥١م محاولات لا بأس بها فى القصة القصيرة ثم ظهرت فى مجلة صوت البحرين محاولات جادة لأحمد سليمان ومحمود المردى كما ظهرت محاولات لموسى الشيخ على . . وخليل التفريع من المنطقة الشرقية نشر بعضها فى مجلة «الاشعاع» ومعظمها يدور فى إطار «رومانسى» وواقعى وتتحدث عن مشكلات اجتماعية متعددة .

أما الرواية فنجد من اوائل كتابها كلا من : فرحان راشد الفرحان . . ومحمود المردى . . وعبد الرزاق البصير ومعظم هذه الروايات تدور احداثها حول عادات الخليج وتقاليده واستخراج اللؤلؤ وظهور النفط وما تركه من أثر وتحول فى سلوك الناس وانماط حياتهم .

وكانت روايات ابراهيم العريض فى البحرين ومسرحيات عبد الرحمن المعاودة قد بدأت قبل ثلاثين سنة ومن أسوأ ما خلفه هذا الفن حديثا مشاركة المرأة فى التمثيل المسرحى وهى ظاهرة سيئة من ظواهر العصر كما ان وسيلة الكذب وتلفيق الاحداث لاضحاك الناس قضية تأباها الشريعة الاسلامية .

وحبذا لو اقتصر المسرح على الموضوعات التربوية والتوجيه الاجتماعى والدعوة الى المثل العليا التى تؤمن بها هذه الامة بدل التشجيع على الاختلاط والسفور وتعمد الكذب فى العمل المسرحى المعاصر.

النقد

الحركة النقدية هى عملية تقييم للإنتاج الادبى . . ولكنها فى منطقة الخليج تأخرت فى ظهورها تأخراً ملحوظا عن الالوان الادبية الاخرى ولا توجد اليوم حركة نقدية معاصرة كتلك التى كنا نقرأ بواكيرها فى مجلة «**صوت البحرين**» فى أوائل السبعينات الهجرية كما لا يوجد اليوم تحليل للمؤلفات التى تصدرها المكتبة العربية ولا أعرف سبب هذا الركود فى النقد فى حين اننا نقرأ الدواوين الشعرية والانتاج الأدبى المنوع الذى يظهر فى الصحف المحلية ولكن الاقلام الناقدة لا تتحدث عن ذلك .

والنقد فى حد ذاته ليس الغرض منه إظهار المعايب فحسب بل أيضا يتطرق لإيضاح الحسنات ويعرض المناقب والمثالب على حد سواء والدراسة النقدية هى التى تتحدث عن حياة الكاتب وأثره فى مجتمعه والتمثيل بنماذج من انتاجه وذكر مميزاته فى الأسلوب والتعرض لخصائصه الفنية ومكوناته الثقافية والفكرية واهتماماته بما ينفع الناس .

ان النقد يجب ان يتطرق الى عنصر الجمال والى مميزات الاسلوب والقيم الجمالية اضافة الى عنصر الموضوع والمحتوى واهميته فى حياة الامة وثقافتها وتاريخها ومستقبلها .

اننى ارجو ان يتصدى للنقد اولئك الشباب الذين تخرجوا فى كليات اللغة العربية ممن لديهم القدرة على الاستيعاب والتأمل والتحليل والتقييم ومتابعة الدراسات الأدبية التى تثرى أدبنا المعاصر.

وبالله التوفيق .



ليس من شأن هذه المقالة البحث فى اعماق الفكر الثقافى اليمنى ولا سبر أغواره أو توضيح اتجاهاته ورصد انعكاساته فذلك مطلب يحتاج الى شىء من التأنى والامساك بخيوط كثيرة أسهمت فى دفع حركة الثقافة ومعرفة اسباب متعددة لتبنى عليها نتائج ثابتة وأحكام متقصية.. وانما سبيل هذه المقالة هو رصد الحركة الثقافية فى اليمن خلال القرن الرابع عشر الهجرى واعطاء تصور عام للنشأة والتطور دون الدخول فى تفصيلات كثيرة واحتمالات متعددة ذلك لأنا نعتقد اعتقادا جازما أن ذلك من مهمة البحث المبرمج الذى لا يكتفى باللمحات العابرة والخطوط العريضة وانما يتعداها الى التفصيلات الدقيقة والاستقصاء المسهب الذى يجعل من البحث قيمة علمية بالاضافة الى القيمة التاريخية.

ولا بد بعد هذه الاضاءة ونحن بسبيل الحديث عن الثقافة فى اليمن من كلمة توضح المفهوم الدقيق للثقافة وتبين المقصد من ذلك إذ ان الثقافة التى تحتوى الاصالة وتنتج الفكر ليست مجرد معلومات عامة يتلقاها المتلقى تكسبه معرفة بالشىء دون فهمه.. وانما الثقافة هى تلك المعارف الفكرية التى تسربت الى ذهن هذا المتلقى ففهمها وتأثر بها وحاول ان ينقلها الى غيره.

ومن هنا فانا عندما نقف عند لفظة الثقافة فى المعاجم العربية فإنا نجدها تعطينا هذا المفهوم فى عمومياته فكلمة ثقافة مصدر للفعل (ثَقِفَ) إذا صار حاذقا فطنا وهو امر يبين ما وضحناه سلفا من أن الثقافة لا تعنى معرفة عامة وانما تعنى فهم ما يتلقاه الانسان ونقله الى غيره.

ومن هنا فقد تعددت مشاربها واختلفت اتجاهاتها وتنوعت مصادرها.. فمنها ما يصل الى ذهن الانسان عبر قنوات التعليم المختلفة ومنها ما يصله عبر وسائل الاعلام المتنوعة ومنها ما يلتقطه من أسفاره ورحلاته واحتكاكه بالمجتمعات والشعوب. وننظر فى وسائل نشأة الثقافة اليمنية خلال القرن الرابع عشر فنجد انها

جامعة الملك عبدالعزيز - كلية الآداب / جدة

اليمن النشأة ووسائل التطور

لا تخرج عن هذه المسارات المعروفة والطرق المطروقة من عوامل التلقى ووسائل التأثير. . إلا انه يمكننا القول بأن النشأة الثقافية بصفة عامة لها ثلاثة مصادر رئيسية وهذه المصادر هى:

التعليم الذى يعد مفتاح الثقافة وبابها وللطريق الذى يسلكه الدارس لينال قسطا من المعارف يجد ويكد فى طلبها ويعانى فى حل مستعصياتها وفك رموزها حتى يفتح له الباب على مصراعيه بعد ذلك الى فهم كل ما يدور حوله ويحدث فى حياته ومجتمعه.

ثم بعد أن يأخذ بهذا المفتاح ويسلك تلك الطريق يأتى دور التلقى والتأثير فى حياته الثقافية مما يصل الى ذهنه ويتلقاه من وسائل الاعلام والاندية الثقافية والأدبية والمجالس العامة وهى ثقافة تأتيه طوعا وحسب ميوله ورغباته لا يكد فى طلبها ولا يجهد فى نوالها.

ثم بعد ذلك يأتى دور النضج الثقافى والفكرى وهى مرحلة ثقافية يستفيدها الانسان من رحلاته واسفاره عبر الحياة وهى ثقافة يلتقطها التقاطا من احتكاكه بالآخرين ومشاهداته حيث يكون انعكاسها على ذهنه تيارا فكريا جديدا.

ويبقى بعد هذا التقسيم او محاولة التصنيف للثقافة. . أن ننظر الى النشاط الثقافى على انه تلقى لمعلومات شتى ومعارف مختلفة بشرط الادراك والهضم الذهنى فكيف ذلك؟.

ان الذى يحفظ مثلا ألفية ابن مالك فى النحو دون أن يعيها ويستوعبها عقليا وفكريا ليس مثقفا ثقافة نحوية والذى يعرف كتابا او كتبا فى الفقه ليس بالضرورة ان يكون مثقفا ثقافة فقهية او دينية والذى يحفظ عن ظهر قلب قاموس اللغة الانجليزية أو الفرنسية أو الالمانية أو غيرها من اللغات دون ان تكون هذه الالفاظ التى حفظها وسيلة الى معرفة فكر هذه اللغة لاصلة بينه وبين هذه اللغات وثقافتها.

والذى يذهب فى شرق الارض وغربها ويعاشر شعوبها ويعود ولا يعرف من هذه البلدان سوى شوارعها وعظم عماراتها وازدحام اسواقها ليس

مثقفا ولا مزودا بحصيلة معرفية وهكذا فى كثير من هذه الاحوال.

فهذه معرفتى بالثقافة أو فهمى للثقافة التى تبنى الشعوب فكريا وعلى اساسها يكون الانتاج الفكرى والنهضة العلمية.

وإذا كنا قد فهمنا الثقافة على هذا النحو فاننا نضع الثقافة اليمنية خلال القرن الرابع عشر الهجرى داخل هذه الاطر التى تحدثنا عنها وهى الجانب التعليمى الذى يعد المفتاح والوسائل الاعلامية والمؤثرات الخارجية من نقل لفكر وحضارة وعادات الأمم الاخرى أو ما يمكن ان نسميه بمحصلة الرحلات والاسفار، فعلى هذا الاساس فى تقديرى قامت الثقافة فى اليمن وعلى اساسه تشكلت وتفاعلت ثم اعطت.

لم تكن اليمن لتخلو من منابع التعليم القديم الذى يقوم اساسا على معرفة الثقافة العربية التراثية التقليدية من نحو وبلاغة وفقه وتفسير وأدب وغير ذلك مما له صلة بالمعارف العربية العامة أو التخصصية فى فن من هذه الفنون. وقد ظلت مدينة «زبيد» تمثل هذا اللون من الثقافة فى غرب اليمن منذ القدم. وقد لحقت بها مدينة «تريم» فى شرق اليمن (حضرموت) إلا أن (تريم) برزت فى أوائل هذا القرن لتنافس (زبيد) فى بعض الفترات حتى انها اصبحت اكثر جذبا للطلاب من (زبيد) وذلك بفضل علمائها.

●● وبالاضافة الى هذين المركزين الهامين فإن حركة التعليم التقليدى كانت منتشرة فى كثير من المدن الرئيسية من مثل معهد الشيخ بن سلم فى غيل باوزير والمدرسة العلمية ومدرسة الايتام فى صنعاء والمعهد الدينى بسيوون. وقد ظلت هذه المعاهد العلمية تمد المساجد بالخطباء والكتاتيب بالمعلمين والمحاكم بالقضاة والحكومة بالموظفين وبالاضافة الى هذه المعاهد فإن ظاهرة الكتاتيب ظلت منتشرة والتى كانت اسبق الى الوجود من هذه المعاهد وكانت تكون رافدا ثقافيا تعليميا محدودا فالغاية منها قراءة القرآن الكريم ومعرفة بعض مسائل الحساب وقواعد الكتابة.. الخ.

من أبرز الأعراض الحالية لوضعنا الثقافى العربى: انه يمثل نوعًا من «حوار الطرشان» كما يقول إخواننا فى ديار الشام. فكل كاتب يغنى على ليلاه بمفرده.. وكل كاتب يقوم بعزف منفرد على ربابته، وكأننا فى برج بابل القديم حيث «تبلبلت» اللغات فلا أحد يفهم من أحد، ولا أحد يحاول الاستماع إلى أحد، لقد فقدت ثقافتنا المعاصرة «فضيلة الاستماع» واكتفت بشهوة «التسميع».. كالاعلام العربى تمامًا..

ان الثقافة الجديدة يجب أن تؤسس على الأصول لا الفروع.. فى أصول حضارتنا والحضارات الانسانية الأخرى ماصلح منها بعد الغربلة.. وليس القصد الانغلاق على أصول من حضارتنا بعينها فقط.

«محمد جابر الانصارى»

وإذا كان تتبع مراحل تطور التعليم فى اليمن مسألة واسعة وشائكة نتيجة لندرة المصادر الا اننا نظن ظنا قويا أن الكتاتيب كانت الطور الأول للتعليم فى اليمن وقد صاحب ذلك أو تلاه انشاء المدارس الحكومية التى تقوم على التعليم المنهجى المبرمج من ابتدائى الى اعدادى الى ثانوى وقد سبقت عدن فى ذلك جميع انحاء اليمن حيث نجد أن اول مدرسة ابتدائية فتحت سنة ١٨٥٦م ثم اغلقت بعد سنتين لتعود الى الظهور بعد عشر سنوات سنة ١٨٦٦م وقد كان التدريس فيها باللغة الانجليزية ولهذا فإن عدن تعد مركز التعليم المتطور والثقافة الحديثة فى اوائل هذا القرن ثم انعكس تأثيرها وتأثير استيقاظ الوعى العلمى فى انحاء الوطن العربى على باقى مناطق اليمن وكانت النهضة العلمية التى كانت رافدا من روافد الثقافة اليمنية.

●● ولعلنا بعد هذا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا انه الى منتصف القرن الرابع عشر الهجرى كان التعليم فى اليمن يدور فى حلقة التراث وعلى النمط القديم ما عدا عدن ـ وهذا يعطينا مفهوما لطور الثقافة الاول فى اليمن فلم تكن الحياة الاجتماعية او السياسية أو الثقافية أو الاقتصادية لتسمح للتطور والتعليم فقد تعاونت ظروف كثيرة لتظل الثقافة محصورة فى قالبها التقليدى بحسب متطلبات العصر والمصلحة.

ولكن مع تقادم العهد ونمو الوعى العام وازدهار الثقافة التعليمية فى بعض نواحى الوطن العربى أخذ التعليم يتطور وأخذ يسير وفق مناهج متطورة ومنظمة مما وفر ثقافة تعليمية متنوعة.

ومن هنا فقد انتشرت المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية فى كثير من المدن الرئيسية وقد زاد الاهتمام بالتعليم وثقافته بعد قيام الثورة فى اليمن الشمالى حيث بلغت الاحصائيات نسبا عالية فقلما تجد قرية لا توجد بها مدرسة ابتدائية.

وهكذا نلاحظ ان المنبع التعليمى القديم قد تطور أو نتج عنه منبع حديث وقد تطور هذا الحديث من التعليم الابتدائى المنظم الى أن وصل الى عصر الجامعة حيث قامت جامعتان فى اليمن احداهما فى عدن فى الجنوب والاخرى فى صنعاء فى الشمال.. ولعل قيام الجامعتين يفسر لنا مدى التطور الذى حدث للجانب التعليمى وبالتالى انعكاس هذا الدور على الجانب الثقافى فلم يعد المتعلم فى اليمن يخرج ليؤدى وظيفة معينة فحسب وإنما أصبح يؤدى دورا اسمى من ذلك التخصص إما بالمشاركة فى التعليم أو نشر الوعى أو المتابعة لما يجرى من حوله من أمور تهم وطنه وأمته.

والمنبع الثانى من منابع الثقافة اليمنية خلال القرن المنصرم هو النشاط المنبرى والتأثير الاعلامى حيث نجد منذ منتصف القرن أن الجمعيات والاندية أخذت تنشط ثقافيا بالاضافة الى دورها الاجتماعى بحيث تعقد الاجتماعات الثقافية وتستضيف بعض الشخصيات أو تدعوها الى القاء بعض المحاضرات أو التحدث الى المجتمعين ولعل من بواكير هذا النشاط (نادى الادب العربى) و(نادى الاصلاح العربى الاسلامى) فى عدن وقد قامت على انقاض هذه

النـوادى وبعض الجمعيات أحزاب سياسية فيما بعد (اهتمت بنشر الوعى بين الطبقات البسيطة. ولم يقتصر هذا النشاط المنبرى على عدن بل خرج الى بعض المناطق لحضرموت الا أن النشاط المنبرى فى الشمال ظل محسورا الى ما بعد قيام الثورة حيث برز كقوة دافعة للوعى القومى والوطنى.

واذا كانت الاندية الادبية التى كانت لا تخلو مدينة كبيرة فى الجنوب منها قد ساهمت فى نشر الوعى بين المثقفين وكانت تيارا واضحا فى النهضة العلمية الثقافية فإن الصحافة على الرغم من انعدام المطابع قد ساهمت بحظ وافر فى نشر الثقافة والوعى الوطنى وقد بدأت الصحافة اليمنية فى الجنوب يدوية أى (مخطوطة) ولعل اهم صحيفتين صدرتا فى حضرموت قبل أن تبدأ الصحافة المطبوعة فى انحاء الجنوب هما صحيفة «**التهذيب**» حيث صدر العدد الأول منها فى ١ شعبان سنة ١٣٤٩هـ وقد تبعتها رصيفتها صحيفة «**عكاظ**» ثم تلت هاتين الصحيفتين صحيفة «**الاخاء الحضرمية**» وهى مخطوطة ايضا وقد صدر العدد الاول منها فى محرم سنة ١٣٥٧هـ ثم تلت هذه الصحف الحضرمية صحيفة «**فتاة الجزيرة**» فى عدن الصادرة فى عام ١٩٤٠م كما صدرت مجلة «**الحكمة اليمانية**» فى الشمال سنة ١٩٣٨م ثم ازدهرت الصحافة وخاصة فى عدن والمكلا وصنعاء بعد الثورة.

ومن هنا فقد كان للصحافة دور هام فى نشر الثقافة حيث نجد هذا الحرص من الشباب الطموح فى نشر العلم والمعرفة بشتى الطرق ومختلف الوسائل.

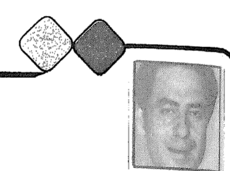
والى جانب الصحافة فقد ساهمت الاذاعة بنصيب وافر ولعل اول اذاعة فى اليمن هى اذاعة صنعاء التى بدأت البث سنة ١٣٦٦هـ وقد تلتها اذاعة عدن سنة ١٩٥٤م كما بدأ التلفزيون العدنى البث سنة ١٩٦٤م أى بعد عشر سنوات ثم تلاه فى السبعينات تلفزيون صنعاء.

ان وسائل الاعلام بمختلف انواعها قد ساعدت وساهمت فى نشر الثقافة فى شتى المجالات واخذت تبث الوعى الوطنى والقومى مما ساعد على النهضة الفكرية الشاملة والتطور الثقافى وقد كونت رافداً هاماً من روافد الثقافة اليمنية الحديثة.

اما الدور الثالث للنشاط الثقافى فى اليمن فيتمثل فى التيار الخارجى الذى اغنى الثقافة اليمنية بمفهومات جديدة وألقى امامها بُعداً جديدا من الفكر الخارجى ويأتى هذا التيار فى مجالات ثلاثة:

١ - استقدام المدرسين من مصر والعراق وسوريا ولبنان وغيرها من البلدان العربية.
٢ - ارسال البعوث الى هذه البلدان والبلدان الأوروبية.
٣ - الصحف والمجلات.. والنقل لما هو صالح من عادات وتقاليد وثقافة الامم الاخرى.

وبالنسبة للمجال الاول فقد قدم هؤلاء المدرسون للتدريس فى مراحل التعليم المختلفة



> وماجدوى الارتباط بالماضى ؟
>
> إنه يحفظ للأمة هويتها وللمفكر وحدته وأصالته والعرب فى حاضرهم أحوج إلى الحفاظ على هويتهم ووحدة فكرهم والانسان العربى أصبح فى حاجة ماسة الى استلهام تراثه وذلك لأن هذا التراث معزول عما يضطرب فى العالم العربى من صراعات حادة على مختلف الجبهات والتراث هو قوام حياة الأمة وكفيل بنمائها واستمراريتها والمميز لهويتها القومية بين سائر الأمم ان التراث العربى هو نتاج الثقافة المدونة والمنقولة والشفاهية وهو يشكل مجموع التكوينات المتميزة للشعب العربى فى المشرق والمغرب وهذا ما يؤهله للاعطاء البديل الحقيقى لغياب الفعل المسرحى عن ساحة الآداب العربية فى الماضى وكذلك البديل الحقيقى للمسرح الحالى القائم أساساً على النقل والاقتباس عن الغرب أو القائم على الأشكال الغربية فى المسرح .
>
> « د. سمير سرحان »
>
> رئيس مجلس ادارة الهيئة العامة للكتاب بمصر

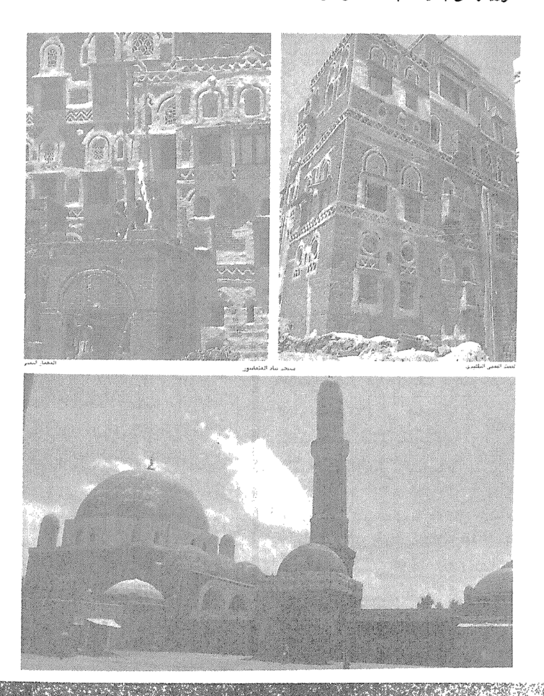
ولا شك ان فى أدمغتهم معارف ومفاهيم مختلفة بعضها ثقافية وبعضها سياسية وأخرى علمية وهم قد تلقوا هذه المعارف على يد أساتذة كبار سواء أكان فى بلدانهم او فى بلدان أوروبا المختلفة وقد نقلوا كل ما يدور فى أذهانهم الى تلاميذهم ولا شك أنهم قد اثروا فيهم وألقوا اليهم بكل ما يريدون ان يقولوه وقد تمثل ذلك فى طموح كثير من تلاميذهم الى مواصلة تعليمهم فى الخارج.

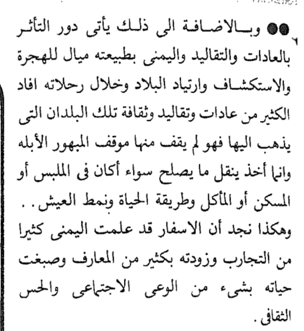
اما المجال الثانى فإن التعليم الثانوى لم يبدأ فى اليمن الا بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجرى ناهيك عن التعليم الجامعى باستثناء عدن حيث نجد ان اول مدرسة ثانوية بدأت سنة ١٩١٧م تقريبا. . لهذا فقد كانت الاندية والحكومات المحلية والمجالس البلدية تبعث بطلابها لاكمال دراستهم الثانوية فى الخارج وتطلب من الحكومات مساعدتها فى ذلك وبفضل هذه البعوث اخذت الحركة العلمية فى التطور وبدأ التفاعل الثقافى يبرز ولم يقف البعث للطلاب عند حد التعليم الثانوى فقد تعداه الى التعليم الجامعى حيث ان اول بعثة دراسية خرجت من عدن سنة ١٩٢٥ الى جامعة ليدس ببريطانيا وقد تبعتها بعثات بعضها بجهود ذاتية من قبل النوادى الاصلاحية والاهالى وبعضها عن طريق الحكومة العدنية.

اما بالنسبة الى المجال الثالث فقد لاحظنا عند حديثنا عن الدور الثانى لنشأة الثقافة اليمنية وتطورها أن الصحافة المحلية أدت دورا هاما فى نشر الوعى الثقافى على الرغم من الظروف الصعبة التى كانت تصادفها ونحن هنا لا نعيد

الحديث عن تلك الصحافة أو عن دورها وإنما نقصد بهذا المجال الصحافة الخارجية أى صحافة البلدان العربية والاجنبية وقد كانت هذه الصحف والمجلات والكتب تصل عن طريق البريد والمسافرين الى شتى بقاع اليمن وقد كان فيها تنشره الشيىء الكثير من الثقافة والعلم والفكر وإن كان توزيعها فى بداية النهضة محدودا وكانت تصل الى طبقة المثقفين الا انها مع تطور النهضة الثقافية قد وصلت الى أيدى كثير من الناس.

ومع انتشار التعليم زادت فعالية هذه الصحف الفكرية والتثقيفية ومن ثم فهى قد زودت العقل اليمنى بكثير مما يجرى خارج وطنه وأوقفته على كثير من الافكار والآراء فى شتى المجالات.





●● وبـالاضـافـة الى ذلـك يأتى دور التأثـر بالعادات والتقاليد واليمنى بطبيعته ميال للهجرة والاستكشـاف وارتياد البلاد وخلال رحلاته افاد الكثير من عادات وتقاليد وثقافة تلك البلدان التى يذهب اليها فهو لم يقف منها موقف المبهور الأبله وانما أخذ ينقل ما يصلح سواء أكان فى الملبس أو المسكن أو المأكل وطريقة الحياة ونمط العيش. . وهكذا نجد أن الاسفار قد علمت اليمنى كثيرا من التجارب وزودته بكثير من المعارف وصبغت حياته بشىء من الوعى الاجتماعى والحس الثقافى .

ونخلص بعـد هذه المحـاولـة لابراز حركة الثقافة فى اليمن خلال القرن الرابع عشـر الهجـرى الى أن الثقافة فى اليمن كانت فى نهضتها تستند على التراث فقد كانت هذه الثقافة بوحى منه واعتمدت عليه فى شتى مراحلهـا ثم إنهـا لم تكتف بذلـك بل استقطبت ما هو جديد ونافع فى عالم المعرفة ومن ثم فلم تترك مجالا لم تستوعبه فقد استوعبت الفكر العلمى والسياسى كما استوعبت الفكر الدينى والتراثى .

وقد وضح كل ذلك فيما نقرأ من انتاج مفكريها وأدبائها فليس هذا الانتاج الا صورة لما بلغته هذه الثقافة من تطور ونمو.

وقـد نتـج هذا التطـور والنمو عن تأثر هذه الثقافة بتيارات مختلفة وفدت اليها وافادت منها كما وضحنا سلفا.



بديع الزمان الهمذانى

احمد بن الحسين

(٩٦٩ـ١٠٠٨) أديب ولد بهمذان ومات بهراة. انتقـل الى هراة (٩٩٠م) فجـرجـان، فنيسـابـور (٩٩٢م) وتنقـل فى مدن خراسان وسجستان وغزنة حتى استقر بهراة. اتصل بالأمراء والوزراء والكبراء ومـدحهم ونـاظـر الخوارزمى فى انشاء النثر والشعر وحكم له بعض الحـاضـرين فحـاز الشهـرة وتفـرد بالرياسة بعد موت خصمه وكان سنيا اشعريا سريع الحفظ والارتجال قادرا على التلاعب بالفاظه فى شعره ونثـره ادعى انـه دون اربعمائة مقامة طبع منها نحو خمسين وطبع له ديوان رسائل أغلبها اخوانية وديوان شعـر صغـير. وكان فى نثره يبالغ فى التزام السجع القصـير الفقـرات والجناس والغريب ويحب تضمين الآيات والأمثال والأشعار ويتلاعب بكتابته : فيكتب الرسالة التى تقرأ من آخرها الى أولها. او لا يوجد فيها حرف منفصل او تخلو من بعض الحروف او أول سطورها ميم وآخرها جيم او اذا قرئت من اولها الى آخـرهـا كانت رسالة. فاذا عكست سطورها كانت جوابا لها: او اذا فسرت على وجه كانت مدحا وعلى آخر كانت ذما واغلب شعره الباقى فى المدح وهو شعر وسط وكان يحسن نقل الشعر الفارسى الى شعر عربى .



من حديث الادب

دكتور
علي جواد الطاهر
«بغداد»

لم تنقطع سلسلة التراث الأدبى فى العراق على مدى عصوره وان جرى اختلاف فهو بين الازدهار والفتور وبين أزمان النابغين لدرجة العبقرية وأزمان غير النابغين وشهد القرن الثالث عشر (التاسع عشر) نهضة أدبية وسمت القرن بفضيلة على سابقه لما نشطت فيه من حركة وكثر من شعراء مجيدين وما لقى الأدب من عناية خاصة فى مجالسه وأعلامه وحماته ـ وامتدت بعد ذلك ـ آثارها الى القرن الرابع عشر.

وكان أول من تنبه لهذه النهضة ونبه إليها استاذنا الدكتور محمد مهدى البصير وأهم ما يعود الأمر فيه لدى التنبه والتنبيه أنه أحد وارثيها الذين أدركوا طرفا منها وبلغهم ما كان لأولئك الأدباء من مكانة ومنزلة حتى اذا أضاف الى درسه التراثى الدراسة الحديثة فى فرنسا عرف كيف يقدم تلك النهضة للأجيال التالية عبر الدرس فى دار المعلمين العالية وعبر الاذاعة اللاسلكية ثم عبر كتابه الفذ فى بابه: «نهضة العراق الأدبية فى القرن التاسع عشر» ـ بغداد، مطبعة المعارف ١٣٦٥/١٩٤٦ ـ ٣٦٧ ص».

مهد الدكتور البصير لكتابه بالاجابة عن سؤالين هما:

«كيف نشأت هذه النهضة؟ ومن كان يتعهدها بالرعاية والتشجيع؟ وما سر نموها وتقدمها؟»

وأجيب عن السؤال الأول: بأن الثقافة العربية الاسلامية فى العراق لم تنقرض بانقراض الدولة العباسية (. . .) ولم تبلغ هذه الحركة فى وقت من الاوقات ما بلغت من النمو والانتشار فى القرن الماضى فقد كان ازدهارها فيه ـ على وجه التقريب ـ عاماً لأنه شمل بغداد والنجف والحلة وكربلاء والكاظمية وسامراء والموصل فى وقت واحد.

اما السؤال الثانى فجوابه: أن الظروف هيأت لهذه النهضة حماة وأنصاراً لم يكونوا فى الحسبان: فقد تعهدها نفر من الولاة العثمانيين النبهاء منهم داود باشا الذى حكم العزاق من سنة ١٢٣٢ إلى سنة ١٢٤٧هـ وعلى رضا باشا الذى تولى الحكم فى العراق من سنة ١٢٤٧ الى سنة ١٢٥٩هـ وخصها بالرعاية والعطف عدد من الأسر العراقية النبيلة فمن هذه الأسر ببغداد آل النقيب (. . .) وآل جميل وآل الشاوى (. . .) وآل كُبَّه (. . .) أما فى خارج بغداد فمن أهم الأسر التى ساعدت على نشر لواء الأدب آل العمرى فى الموصل (. . .) وآل كاشف الغطاء فى النجف (. . .) وآل

العربى فى العراق

قزوين فى النجف والحلة وهم أعظم هذه الأسر حظا فى خدمة الأدب.

ثم شرع الدكتور البصير يتحدث عن أعلام الأدب الذين مثلوا النهضة: السيد محمد سعيد الحبوبى.. السيد حيدر الحلى.. الشيخ صالح التميمى.. عبد الباقى أفندى العمرى.. عبد الغفار الأخرس (...) السيد إبراهيم الطباطبائى (...) أبو الثناء الآلوسى (السيد محمود).

وجاء فى خاتمة الكتاب: «وتسألوننى عن مركز العراق الأدبى فى القرن التاسع عشر بالنسبة الى سائر الأقطار العربية فأقول لكم إنه يبزها جميعاً سوى مصر التى أنجبت محمود سامى البارودى وإن كانت مصر قد أنجبت البارودى وحده بينما أنجب العراق ثلاثة من أمثاله. وشيىء آخر لابد من أن أقوله لكم وهو أن القرن التاسع عشر فى العراق نتيجة رائعة للقرون المتوسطة فى هذه البلاد ومقدمة أكثر روعة للقرن العشرين. فليس من شك فى أنه لو لم ينبغ عندنا التميمى والحبوبى وحيدر لما نبغ عندنا الزهاوى والرصافى والكاظمى».

يلاحظ ملاحظون على كتاب الدكتور البصير حماسة ربما وصفوها بالمبالغة، وقد تكون الملاحظة صحيحة لبعيد عن العصر والقطر ولمن ينسى الباعث الذى حث البصير الى الاذاعة والاعلان والتأليف وهو التذكير بمنسيين وإنصاف مغموطين وتثبيت حقيقة تاريخية ولو فرضنا صحة المبالغة فان الذى يبقى من الحقيقة لدى إبعادها غير قليل لقد كانت نهضة ولا شك وهى جديرة بالبحث والتقدير ولا غنى عن بحثها لاستكمال حلقات التاريخ الأدبى فيما سبقها وفيما لحقها - وفى أعقابها ندخل القرن الرابع عشر وعلى آثارها يبدأ أدباء القرن الرابع عشر من أبناء جيل جديد.

ولو أجلت النظر فى مجمل الأدب العربى فى أقطاره كلها معاصرة للأدب الذى درسه البصير لما وجدت حركة ونبوغاً كالذى جلاه.

واذا أخذنا مصر - مثلا فاننا نرى شعراءها من أمثال اسماعيل الخشاب ومحمود صفوت الساعاتى وعلى الليثى.. بعيدين عن أن يمثلوا نهضة وبعيدين جداً عن أن يوازنوا بحيدر أو الحبوبى أو التميمى.

اما محمود سامى البارودى (المتوفى سنة ١٣٢٢هـ/ ١٩٠٤م) فهو عالم آخر وقل عالم جديد حتى عدّ رائد الشعر العربى الحديث. أريد أن أقول إنه خارج مجال الموازنة وهو متقدم فى الزمن الشعرى.

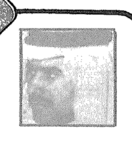
ونترك الموازنة ونبتعد عن المبالغة ليبقى بأيدينا ـ غير ما أيدناه من شاعرية العصر ومكانة شعرائه وأدبائه فى القرن الثالث عشر ممتداً الى أوائل الرابع عشر (توفى السيد حيدر سنة ١٣٠٤هـ ولا عبرة فى تقدم وفاة السيد الحبوبى فى القرن الرابع عشر ١٩١٦/١٣٣٤ فقد كان قد ترك قول الشعر منذ عقود).

يبقى جيل كامل من الشعراء الذين يكونون كوكبة بارزة فى شعراء القرن الرابع عشر قد نشأوا وترعرعوا وقالوا الشعر فى ظل شعراء القرن الثالث عشر الممتد الى الرابع عشر مستمدين من مكانتهم مكانة ومن نبوغهم نبوغا، ومن التلمذة عليهم لغة وعروضا ونسجا.

واذا بقينا فى محيط النجف والحلة وحدهما رأينا من هذه الكوكبة: **الشيخ جواد الشبيبى. . الشيخ محمد رضا الشبيبى. . الشيخ محمد باقر الشبيبى. . الشيخ على الشرقى. . الشيخ محمد مهدى البصير. . احمد الصافى النجفى ـ تمهيداً لمحمد مهدى الجواهرى تاليهم فى النبوغ زمنا وباذّهم درجة.**

واذا خرجنا الى بغداد والكاظمية. . رأينا ثلاثة هم أكبر شعراء العراق اسما ومكانة وشهرة يزحف بهم القرن الرابع عشر الى أواسطه ويتعدى أواسطه وهؤلاء الثلاثة ـ وقد ذكرهم الدكتور البصير ـ عبدا لمحسن الكاظمى (المتوفى سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) وجميل صدقى الزهاوى (المتوفى سنة ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٦م) ومعروف الرصافى (المتوفى سنة ١٣٦٤/ ١٩٤٥) وهم يدخلون ثلاثتهم فى التمهيد لمن سبقوهم نبوغا: محمد مهدى الجواهرى.

ويمكن أن نخرج عن بغداد الى غيرها كالموصل والبصرة. . لنرى شعراء آخرين كانوا معدودين فى عصرهم ولا يستغنى تاريخ الأدب العراقى عن ذكرهم والوقفة عندهم من امثال: حبيب العبيدى وخيرى الهنداوى وكاظم الدجيلى وعبد الحسين الازرى. . وغيرهم ـ ينظر كتاب رفائيل بطى، الأدب العصرى فى العراق العربى.



أصبحت أكره كلمة «المتلقى» التى يمطرها النقاد والكتّاب «المبجّلون» قراءهم «الغلابى» عندما يتحدثون عنهم.. أكره هذه الكلمة ليس بسبب مللى من كثرة ما قرأتها.. وإنّما لأنّها تُشعرنى أن القارئ إنّما هو أداة تلقٍ فقط لادور له سوى التلقى الذى هو مُرغم عليه.. بينما وصفه بـ «القارئ»، تدل على إعطائه الحرية بقراءة عطاء الكاتب من عدمها...

فيا أيها الكتاب «النجباء»، لاتزيدوا هموم القراء وتشعروهم أنهم مرغمون على قراءة ما «تُدبّجون»، فإنهم «قراء» وليسوا «متلقين»

«محمد القاضى»

ولكننا مع هذه الكوكبة من شعراء القرن الرابع عشر بدءاً بمطلعه وسيراً معه حتى أواسطه وما وراء أواسطه. . وقد رأينا صلتها بالنهضة السابقة عليها. . اننا مع هذه الكوكبة لا نكتفى بهذه الصلة وهذه التلمذة وهذه الاستمرارية لأن هناك عوامل أخرى مهمة فى تكوينهم وتميزهم وعدهم عصراً حديثا فى الأدب العراقى ولنذكر - سلفا - ان هذه العوامل قامت خارج القطر العراقى كأن يكون العراقى قد لامسها فى مكانها أو أن تكون هى قد وردت اليه. وهذه العوامل - لدى الحقيقة - عاملان: **الأول متصل بتاريخ الدولة العثمانية والثانى فى هذا الذى سبقت اليه مصر والشام من نهضة فى الطباعة والصحافة والفكر والابداع الأدبى.**

من البديهى فى التاريخ أن الحكم التركى - العثمانى سيىء وسيىء جدا قائم على الاستغلال وتعم «الفوضى» المساحة الشاسعة المترامية الأطراف التى تكون السلطنة وبين هذه وهذا حروب داخلية وخارجية ومؤمرات ودسائس ومنافسات. . وولاة يتوزعون على الوحدات الادارية ولاهم لهم غير الكسب الحرام بكل وسيلة بعيداً عن مصلحة البلد الذى يتولون أمره.

وكلما اضطربت الأحوال فى الآستانة ازداد الابتزاز لدى الباب العالى وحاشيته وولاته بدءاً بالصدر الأعظم وشيخ الاسلام ونهاية بمالا ينتهى من الجنود والمرتزقة.

المسألة معروفة وكتب التاريخ تشرحها وتوضحها ولا تحيد عنها - والشاذ شاذ أما الأدب والثقافة والفكر. . فتلك أمور لا مكان لها فى الحديث واذا ذكرت فعلى الوجه الثانوى.

وفى رجعة الى الوراء قليلا الى القرن الثالث عشر من أجل الاتصال بالقرن الرابع عشر لا تعدم فى «الشاذ» ما يشار اليه وما يزداد مع الزمن وتطور الأحوال والتأثر بروح العصر فيما جد فى الغرب عموما وفى فرنسا خصوصا من وسائل التعلم والنشر كالصحافة والمدارس ومن دلائل الابداع فى الشعر والنثر ومن سمات الفكر فى التحرر والاصلاح والثورة.

■■ **تبدأ قليلة الشأن محدودة ثم تتسع شيئا فشيئا.**

وفى ميدان الأدب تعلق العثمانيون حتى منتصف القرن التاسع عشر (حوالى ١٢٦٧هـ) بالموضوعات الفارسية والاسلوب الفارسى. ولكن عدداً من الشبان الموهوبين ما لبثوا أن وجهوا إثر حركة الاصلاح التعليمى الى باريس استكمالا لدراستهم» - يُنظر كارل بروكلمان تاريخ الشعوب الاسلامية. . نقله الى العربية نبيه فارس ومنير بعلبكى بيروت دار العلم للملايين، ط ٥ تموز ١٩٦٨، ص٦٠٨.

●● وعادوا فعملوا فى الصحافة والترجمة وشؤون الفكر فبرهنوا على قدرة اللغة التركية فى استيعاب المادة وإذاعتها فى الناس ولدى مزاولة الأنواع الأدبية من شعر وقصة ومسرحية ومقالة. . ومن هؤلاء إبراهيم شناسى ونامق كمال وعبد الحق حامد، وأحمد مدحت ومحمد توفيق وحسين رحمى ومحمود أكرم وأحمد جودت وخالد ضياء - ينظر المصدر السابق: بروكلمان. . وندخل معهم أوائل القرن الرابع عشر (العقد الأخير من القرن التاسع عشر) وقد استحال الأدب قوة شعبية لا تروق للسلطان (عبد الحميد الثانى) وحاشيته (وخاصة شيخ الاسلام أبو الهدى الصيادى) فعملوا على كبتها وكبت الثورى منها على الأخص ولا سيما بعد أن تألفت جماعة «تركية الفتاة» (سرية).

ولا نعـدم من الولاة ـ ونحن نتكلم على العراق ومازلنا فى القرن الثالث عشر نسير به من عقده الرابع ـ من هيأ ـ مع ظلمه لنفسه ذكراً فى الحياة الأدبية. وقد مر معنا ذكر داود باشا وعلى رضا باشا ولا معدى من ذكر من جاء بعـدهما فكان له الفضل الكبير والخير الجزيل فقد تهيأ للعراق واليا عادلاً ساعياً الى خدمة الشعب عامـلا على توفير وسـائل العمران والتعلم ذلكم المصلح ـ الذى سيدعى بأبى الأحرار ـ مدحت باشا وقد جاء الى ولاية العراق مصحوبا بهالة معروفة من الاصلاحات والمواهب والحزم والتجديد.

دخل العراق واليا فى ١٨ محرم ١٢٨٦هـ/ ٣٠ نيسان ١٨٦٦ ـ أول صفـر ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢ (ينظـر ـ ابراهيم الوائلى، الشعر السياسى العراقى فى القرن التاسع عشر) إنها مدة قصيرة (ثلاث سنوات) ولكنها ثرية بالاصلاحات الأدارية والعمرانية والعسكرية انشأ خلالها ـ فيما أنشأ ـ أول مطبعة فى البلاد وأسس جريدة الزوراء.

ونقترب مع مدحت باشا من نهاية القرن الثالث عشر/ الربع الأخير من القرن التاسع عشر.

وإذا كانت اصلاحاته وأفكاره وشخصيته قد أثارت السلطان ودعته الى عزله فان عزله منحه فرصة العودة الى بلاده والعمـل مع الأحـرار ـ وعلى رأسهم ـ للاصـلاح خارج الحكم وداخله. ونقصـد بداخله دخوله الوزارة أيام السلطان عبد العزيز والسلطان مراد والسلطـان عبـد الحميـد (الثانى) وحين صار صدراً أعظم ـ فى عهد هذا السلطان الأخير ـ تمكن من إعلان الدستور (لأول مرة) فى أواخر عام ١٢٩٣/ ١٢ كانون الأول ١٨٧٦. وأحس السلطـان بالخطر المحدق به فأقاله فى ٢٤ ك٢ سنه ١٨٧٧ بعد ٤٨ يوما من صدارته العظمى ثم ألغى الدستور فى ١٣ شباط ١٨٧٨.

وهكذا ندخل مع سلسلة هذه الأحداث الجسام القرن الرابع عشر الهجرى. وأهمية هذه الأحداث وما ترمى اليـه من إصلاح وإيقاظ انها لا تقتصر على الاتراك وحـدهم وإنـما هى تهم الامم الاخـرى التى تعانى السلطان الجائر ومنها الأمة العربية والأدب العربى.

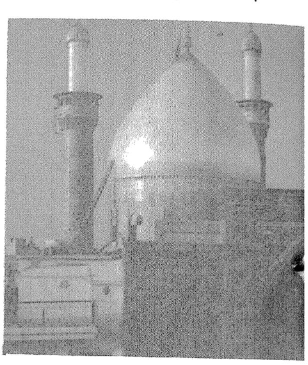
ان إقالة مدحت باشا وإلغاء الدستور وما أعقبها من استبـداد.. كل أولئـك لم يحل دون الـدعـوات الاصلاحية واتساع رقعتها واستطالة مداها.. بل إنها عادت بالوبال على السلطان وعزلته عن الأمة فى قصره (يلدز) ومعه شيخ الاسلام أبو الهدى الصيادى ومن هم على شاكلتهما.

استمرت الدعوة وقامت الجمعيات السرية وتسربت خارج تركية والى أورية وقامت جمعية الاتحاد والترقى وتبنـاهـا ـ من سلانيـك ـ أنـور بك ونيازى بك من العسكـريـين وطلعت بك من المـدنيـين.. وسارت الدعوة قدما الى الاصلاح والدستور وانتمى إليها من النـاهضـين من غير الأتـراك كالعـرب. ففى ظل الاصـلاح والـدستـور تنـال الأقطـار الـواقعـة تحت السلطان حظاً من الحرية والمساواة والعدالة.

وها هو ذا الدستور يعلن (ثانية ـ فى عهد السلطان عبـد الحميـد الثـانى نفسـه) فى ٢١ تموز ١٩٠٨م/ ١٣٢٦ فتعم الفرحة العالم ويتباشر العرب به ويعلقون الآمـال الجسام وينبرى الأدباء والشعراء يسهمون فى إعـلان هذه الفـرحة ويزيدون من المطامح والايقاظ ويـرون فى مجلس (المبعـوثـان) (الـبرلمان) طريقا الى إحقاق الحق.

وها نحن أولاء فى الربع الأول من القرن الرابع عشر ونستطيع أن نؤلف كتابا كاملا فى إسهام الأدب العربى ـ والشعر منه بخاصة ـ فى هذه المسيرة من بيان جور

السلطان وحاشيته وولاته وبيان احتجاج العرب على سوء المعاملة التى تلقاها اقطارهم ويقع تحت طائلتها شعبهم وبيان آمالهم الجسام التى علقوها على جمعية الاتحاد والترقى (الوجه المعلن لجمعية تركيا الفتاة) فى دعوتها الاصلاحية وإعلانها عن المساواة وفى إعلانها الدستور وما يضمن هذا الدستور للشعوب الرازحة تحت عبء السلطنة ومن تلك الشعوب العرب.



مسجد فى العراق.

نؤلف كتابا جليلا فى وقفة جليلة من تاريخ الأدب العربى ولأدباء العراق وشعرائه خاصة فصل بارز من فصول هذا الكتاب وللمرء أن يرجع الى دواوينهم بدءاً بالزهاوى والرصافى.. والشبيبى.. ولدى كل شاعر وأديب.. وفى كتاب أنيس المقدسى لمحات عامة عن ذلك «الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث» وينظر ما ألف خاصاً بتاريخ الأدب الحديث فى العراق ومن ذلك كتاب الدكتور يوسف عز الدين.. غير ما ألف خاصاً بشاعر من الشعراء.

ولم تكن الدولة العثمانية العامل الوحيد فى تنبه العراقيين للدستور وضرورته وثمراته المرتقبة فقد جاء عامل آخر من ايران.. والدستور فى هذا العامل عرف بالمشروطة وبلغت الدعوة اليه فى النجف خاصة درجة شديدة شملت الشباب والشيوخ وعلماء الدين والشعراء وحولت المجتمع الواعى الى أحرار ينادون بالمشروطة والى آخرين يلتزمون «المستبد».. ويذكر ان الدستور أعلن فى إيران سنة ١٩٠٦م (١٣٢٤هـ).



ولكن مهلا.. وتتهيأ مادة لجزء ثان من الكتاب.. فيها بدء التشكك بجدوى الدستور ولاسيما فيما يحقق المساواة بين **الاتراك والعرب وما يتآمر به «الرجعيون» على الدستور وعلى معانيه ومادعت اليه «الفتنة الرجعية»** سنة ١٩٠٩ من عمل جمعية الاتحاد والترقى على خلع السلطان فقد زحف جيشهم من سلانيك ودخل الاستانة وخلع عبد الحميد فى ٢٧ نيسان من تلك السنة وأجلسوا على العرش أخاه محمد رشاد. وبخلعه سرت هزة شعرية لا تقل عن هزة الدستور ولكن ذلك الى حين.. هو وحسن الظن بالاتحاديين والشعور بالرابطة العثمانية والاخاء العثمانى العربى. لقد شرع الدستور يخيب الآمال وشرع الاتحاديون مستبدون بالحكم والرأى ويظهرون من العصبية القومية (التركية) ما يثير مشاعر العرب ويدفعهم شيئا فشيئا الى الاعتزاز بقوميتهم (العربية) ومجدهم فى التاريخ وأثرهم فى إقامة أود الدولة العثمانية وجلال لغتهم التى كانوا ينتظرون لها القوة والاحترام فاذا الاتحاديون يعملون على محاربتها ويبلغون فى ذلك مبلغ التتريك قولا وفعلا.. وهكذا تتكون دواعى الأدب القومى (العربى) على اختلاف فى الدرجات للقرب والبعد عن الدولة العثمانية. ولا تعدم فى القرب من يبقى الى جانب الأمل فى العثمانيين لرابطة عامة

بين الاقطـار واذا كان الاسـلام من دواعي ارتبـاط المسلمين العرب بالأتراك العثمانيين فمن المسيحيين من ظل قريباً من الرابطة.

ويتضح هذا القرب ـ بوجه من وجوهه ـ لدى قيام الحرب العالمية (الاولى ١٣٣٢/١٩١٤) وبقاء عرب الى جوار الدولـة العثمانية ـ حتى فى حالة انتقادهم على حال تلك الدولـة وتألمهم للخراب الذى حل بأوطـانهم ولدينا ـ فى العراق ـ أكثر الأدلة فيها قام به السيـد محمـد سعيـد الحبـوبى من قيـادته جيشا من المتطوعين الى جوار الجيش العثمانى النظامى فى حرب الانكليـز حين دخلوا العراق من ثغرة البصرة فى ٢٣ تشـرين الثانى ١٩١٥ وجرت حرب «الشعيبة» التى انتصر فيها الانكليز وشقوا طريقهم ـ بعدها ـ نحو بغداد.

ونذكر أن فى جيش المجاهـدين المتطوعين الشاعر العـراقى محمـد رضـا الشبيبى ـ وهو هو العارف بما أصـاب العـراق من دمار على يد العثمانيين العارف بجمعيـة الاتحـاد والترقى الداعى الى الحق العراقى والحق العربى ـ ينظر ديوانه ـ وينظر لمواقع الشعر والنثر فى هذه المسيرة من اعلان الدستور حتى نهاية الحرب العالمية ـ كتاب انيس المقدسى المذكور سابقا. وتنظر بالطبع دواوين الشعراء العراقيين وكتاب رفائيل بطي المذكور فى أعلاه وما ألف فى الشعر العراقى.

ولا شك فى المسؤوليـة الكبـيرة التى يتحملهـا الاتحـاديـون وقـد استبدوا بالحكم وقلبوا ظهر المجن لحلفـائهم العرب وتنكروا لحقوقهم وحاربوا لغتهم..

واذا بلغ الاتحـاديون من العصبية التركية ذلك المبلغ كان طبيعياً أن يزداد ابتعاد العرب عنهم وميلهم الى من يمكن أن يسـاعـدهم ضدهم. لقـد اتضح كل شيىء وتهيأت العـوامل كلها للعمل القومى العربى واتجهت الأنظـار الى مكـة المكـرمـة حيث الشريف حسين وقد «نهض نهضته المعروفه.. وأطلق رصاصته الأولـى بمكــة (فى ٩ شعبــان ١٣٣٤هـ/ ١٩١٦) وحاصر من كان فى البلاد الحجازية من عساكر الترك وأمـدّه الانكليـز بالمال والسلاح ونعت بالملك المنقذ ووجـه ابنـه فيصـلا الى سورية فدخلها مع الجيش البريطانى فاتحا». الزركلى الاعلام ٢/٢٤٩.

اتجه «احرار» العراق نحو الملك حسين ومجدوه شعراً ونثـراً وارسلوا اليه رسولهم الشاعر الشيخ محمد رضا الشبيبى فتحمل المشاق من أجل الوصول اليه يبلغه ما يلقى العراق من عنت الانكليز وما يعمله العراقيون للثورة عليهم.

وهنـا يدخـل الأدب العـراقى دائـرة خاصـة به موضوعها الثورة العراقية دون ان تنفصل هذه الدائرة عن الدائرة العربية الكبرى ولكننا قبل الانسياق مع الدائرة الخاصة هذه نقف عند ما سميناه ـ لدى نهاية الفقـرة الأولى من حديثنا ـ بالعامل الخارجى الثانى المؤثر فى مسيرة الأدب العربى فى العراق.

هذا العـامـل الخارجى هو عامل فكرى ثقافى أدبى يمتـزج فى شخصية الأديب العراقى من أبناء القرن الرابع عشر مع موروثه الذى تلقاه عن أسلافه القريبين والبعيـدين بما نهض بالأدب ـ كما رأينـا ـ فى القـرن الثالث عشر ممتداً الى الرابع عشر من أمثال الحبوبى وحيـدر والعمـرى والأخرس.. والآلوسى.. الذين كانوا امتداداً حيا لتاريخ طويل قوامه الأدب العربى كله فى أوج ازدهاره.

هذا العـامـل الفكـرى الثقـافى الأدبى الثانى يثرى مضمون الأدباء ويوسع فى دائرة نظرتهم فى الحياة ودائرة

مفهوم الغرض الأدبى ويبعث فى الأديب الثقة على قدرته فاعلا فى الحياة مغيراً أو معدلا من أنماط الأدب منبها الى قضايا فلسفية واجتماعية وسياسية . . جاعلا منه ـ بمعنى مختصر عضواً فعالا فى المجتمع وبمعنى أوضح مواطنا من نوع ذلك المواطن الغربى الذى أقام الدنيا وأقعدها مصلحا ثائرا مفكراً معلما ناظراً فى الكون ومتأملا فى الناس .

ولم يتهيأ للعراقى ما تهيأ لأخيه ـ آنذاك ـ العثمانى من الدراسة فى فرنسا والعودة الى الاستانة صحفيا وكاتبا وأديباً ومترجماً للمجتمع واللغة حتى نهض بالأدب التركى نهضة عالية منحته هويته وأبعدته عن الخضوع للغة الفارسية فكان له شعراؤه وقصاصوه وكتاب مسرحياته فضلا عن متحرريه فى الفكر الفلسفى أو الاجتماعى او السياسى ـ وقد رأينا طرفا من ذلك .



المدرسة المستنصرية فى بغداد أول جامعة اسلامية فى العالم اسست عام ٦٢٥هـ

●● ومن أين للعراقى بأن يقف على ما فعله الغربى فى مسيرته الطويلة الثرية؟

لم يتهيأ له ما تهيأ لأخيه فى مصر والشام من احتكاك مباشر وعلم مباشر ولغة أخرى. وأمر الشام ـ ولا سيما لبنان معروف ـ وأمر مصر كذلك منذ دخلها نابليون ومنذ أرسل محمد على باشا بعوثه . . وليس للعراق شىء من هذا وهذا وقد سارت مصر والشام أشواطا . . وأثرى مصر كذلك من هاجر اليها من «السوريين» . . ولم يتجه هؤلاء السوريون أو بعض منهم صوب العراق . . على حين اتجه آخرون ـ كما هو معروف ـ مهاجرين الى الامريكتين ليقيموا هناك ـ فيما يقيمون ـ صحافة وفكراً وأدبا وشعرا . .

ـ فما العمل ؟

ـ العمل هو الطريق غير المباشر وان كان هذا أقل جدوى وأضعف أثراً أجل ولكن لا يوجد غيره وهكذا وطبيعى أن يكون الفكر الحديث الوارد بوساطة الآستانة أقل خطراً من ذلك الوارد من مصر والشام لضعف صلة العراقيين بالآستانة والمقصود بهذه الصلة طبعاً إقامة العراقى فى الآستانة والذين أقاموا محدودون لا يتعدون فى الغالب عددا معدودا من أبناء الموسرين المتصلين بوجه وآخر بالحاكم العثمانى يدرسون هناك أكثر ما يدرسون الفنون العسكرية . وقد يدرس غيرهم غيرها . ولكن اقامتهم فى الآستانة تقربهم مما دخل حياتها من أنماط الفكر الغربى غير ما يتصلون به مع

اخـوانهم العرب هناك ممن هم أسبق منهم أو أعرف وغير من يلتقون معهم على العمل العربى المشترك او من يناقشونهم لدى المخالفة ونذكر ـ هنا ـ من الأدباء :

«احمـد عزت الأعظمى» (١٢٩٧ـ١٣٥٥هـ = ١٨٨٠ـ١٩٣٦م) كاتب عراقى له اشتغال بالحركة العربية القومية وتاريخها (. . .) تخرج بمدرسة الحقوق بالآستانة وأصدر بها مجلة **«المنتدى الأدبى»** ثم **«لسان العرب»** فكانتا ترجمان اليقظة العربية فى العاصمة العثمانية. . ـ عن الزركلى، **الاعلام** ١/١٧٠.

جميل صدقى الزهاوى (١٢٧٩ـ١٣٥٤هـ = ١٨٦٣ـ١٩٣٦م) شاعر ينحو منحى الفلاسفة (. . .) كان (. . .) استاذا للفلسفة الاسلامية فى المدرسة الملكية بالآستانة، واستاذا للآداب العربية فى دار الفنون بها (. . .) فنائباً عن المنتفق فى مجلس النواب العثمانى. . الزركلى ٢/١٣٧.

معروف الرصافى (١٢٩٤ـ١٣٦٤هـ = ١٨٧٧ـ١٩٤٥م) شاعر (. . .) رحل بعد الدستور الى الآستانة فعين معلما للعربية فى المدرسة الملكية وانتخب نائبا عن «المنتفق» فى مجلس «المبعوثان» العثمانى وهجا دعاة الاصلاح واللامركزية من العرب وانتقل بعد الحرب العامة الأولى سنة ١٩١٨ الى دمشق ثم عين استاذا للأدب العربى فى دار المعلمين بالقدس فأقام مدة. . الزركلى ٧/٢٦٨.

هذا التأثر بالجديد عن طريق الاستانة على قلته يحتاج الى دراسة خاصة «مقارنة» يمكن أن يذكر معه ما كان يمكن أن يصل الى العراق مكتوبا باللغة التركية فيقرؤه أو يتأثر به القليلون الذين يعرفون التركية ويتقربون من وسائلها وولاتها.

أما الجديد الواصل الى العراق من مصر والشام فأكثر خطراً وهو عامل جدير بدرس مفصل لدى بحث الأدب العراقى الحديث فى نشأته وتطوره واتجاهاته الفنية والفكرية وكان يصل الى العراق المطبوعات ولكن أهم المطبوعات فيما نحن فيه المجلات وربما كانت «المقتطف» أخطر مجلة فعلت مفعولها فى التغيير والأثارة والتنبيه الى مناطق الجمود ومناطق الحركة وكانت تنقل الى القارىء العربى ـ والعراقى ـ آخر ما يصل اليه الغرب من اختراعات واكتشافات وآخر نظرياته وحركاته ومؤلفاته. واذا كان العلم الحديث ـ من علوم الفلك والحياة والاجتماع من أشد ما بعد عنه علم العراقى فان «المقتطف» تقربه ميسراً مترجماً او ملخصاً.

وتلحق بالمقتطف مجلات أخرى. . منها «الهلال».

ومع المجلات جرائد أحيانا
ومع الجرائد كتب. .

●● ولكن هذا الوارد على ماله من اهمية بالغة لم يدرس دراسة علمية خاصة ولم يدرس أثره المباشر فى أدباء طليعة القرن الرابع عشر. ولا شك فى أن تلك الطليعة كانت تقبل عليه بنهم وشغف متحدية ما كانت تلاقى ممن لا يرضيهم ذلك ولا يقرون «شرعية» المجلة والجريدة. . وحين يقرءون يتأثرون وينعكس ذلك فى شعرهم ونثرهم مضمونا وشكلا فيصيرون مجددين ـ وقد صاروا.

ان هذا الوارد من مصر والشام أساس فى الأدب العراقى الحديث فقد نفذ الى أقصى الزوايا. . فاذا «النجف» طليعة الأدب الحديث ممثلة بالعديد من أبنائها من الشبيبى والشرقى والصافى ومع النجف المدن الأخرى كالحلة ومنها البصير. . وهكذا كان ولك

أن تلحظ الأثر الوارد فى التجديد لدى قراءة لشعراء كتاب رفائيل بطي ـ الأدب العصرى فى العراق العربى. والعصرى تعنى الحديث والجديد.

ولا بد من ملاحظة بصدد التأثير الخارجى أقصد ما جرى فى «الموصل» خاصة بسبب خاص من وجود تنظيمات كنيسية فيها الذى يعرفون الفرنسية أو الايطالية والذين يتنقلون فى البلاد بين الموصل وحلب وأدرية فيتأثرون بما يرون ويعلمون وكان من آثار ذلك حركة مسرحية محدودة فيها تأليف وترجمة وتمثيل وربما انتقل شيىء من هذه الحركة ضمن المجال المحدود الى بغداد ـ والحركة مبكرة فى التاريخ يمكن أن ترجع الى النصف الثانى من القرن التاسع عشر/ الربع الأخير من الثانى عشر.

هذا التأثر الخارجى حاصل ولكنه ـ كما أشرت ـ محدود وقلما امتزج فى مجموع الحركة الأدبية للقطر. . ينظر عن الحركة المسرحية خاصة ـ كتاب الدكتور على الزبيدى ـ المسرحية العربية فى العراق ١٩٦٧ . . أحمد فياض المفرجى ـ الحركة المسرحية فى العراق ١٩٦٥ . . الدكتور عمر الطالب . . المسرحية العربية فى العراق ١٩٧١ .

ويذكر كذلك ـ لدى الكلام على الأثر المحدود ـ اتصال مباشر كان يقع بين لبنان والنجف خاصة حين يأتى عاملون للدراسة ومعهم شيىء من جديد لبنان وهذا الالتقاء ـ مهما يكن ـ جدير بدراسة خاصة . . وتذكر اقامة ولو قصيرة لمحمد رضا الشبيبى فى لبنان (وسورية).

ونصل بعد هذا الى ما أشرنا اليه من الدائرة الضيقة التى سينفرد بها العراق بحكم تفرد أحداثه الخاصة ضمن الأحداث العربية العامة وقد رأينا الانكليز يقهرون الأتراك

● وجوه  ثقافية ●

جمال الدين الافغانى

(١٨٣٨/ ١٨٣٩-١٨٩٧) كاتب وخطيب ومصلح دينى واجتماعى وسياسى له خطرات فلسفية ودعوة الى تحرر الأمم الاسلامية من الاستعمار والتدخل الاجنبى وذلك باتحادها واقامة حياتها السياسية والاجتماعية على نظم دستورية. اقام جمال الدين دعوته على دعائم مستمدة من فكرته عن الجامعة الاسلامية التى أخذ يدعو اليها فى مختلف البلاد الاسلامية ويبين حقيقتها لدى كثير من الامم الغربية. اتخذ من بيته بالقاهرة ملتقى لتلاميذه ومريديه فاستطاع بدروسه فى الدين والفلسفة والاخلاق والاجتماع والسياسة وبمقالاته فى الصحف والمجلات ان يثير الشعور الوطنى ويحيى الشعور الدينى فى قلوب المسلمين. ومن آثاره المكتوبة رسالته فى «الرد على الدهريين» وفيها نقض الفلسفة المادية وصحيفة «العروة الوثقى» التى كان يصدرها مع تلميذه وصديقه الامام محمد عبده ومقالاته فى مجلة «ضياء الخافقين» التى اشترك فى تحريرها وكانت تصدر بالعربية والانجليزية وكتابه «تتمة البيان» وهو مختصر فى تاريخ الأفغان.

والعراقيين المتطوعين عند الشعبية ويسيرون نحو بغداد.

ووصلوا الى بغداد واحتلوها سنة ١٣٣٥هـ/ ١١آذار ١٩٦٧م.

وملكوا البلاد مستعمرين مستغلين.

وما كان ذلك ليرضى العراقيين وقد تنبهوا لحالهم واطلعوا على مافى العالم من حركات ورأوا ما فى بلادهم من خراب وتخلف وجهل وقاسوا ذلك الى ماضيهم من جهة وسيادة المستقلين فى حاضر العالم من جهة.. ولا يمكن أن يناموا على ضيم.. ومضى الناهون المثقفون الأدباء يلتقون ويتناقشون ويقررون وينظمون أنفسهم ويؤلفون الجمعيات ويقومون بالاتصالات ولا ينى الانكليز يضيقون الخناق ويزيدون من سوء المعاملة فيزيد ذلك الناس حنقا الى حنق ويبعثهم من جد الى جد فى السر لدى الضرورة وفى العلن حين يمكن العلن وللأدباء - والشعراء منهم خاصة - دور بارز فعال فى الاستثارة والتنظيم والاعداد وهم الطليعة الواعية والفئة العارفة العالمة الشاعرة وقد نشأوا - فى غالبهم - نشأة حميدة نفسا وخلقا غذوها بما رأوه من عمل عربى واسع ووصلت اليهم أخباره متصلا بما قرأوه ووعوه.

ولنذكر هنا احتياطا على التعميم ان شاعرين كبيرين هما اشهر شاعرين عراقيين آنذاك - لم يمتا الى هذا العمل بسبب والخيِّر الخيِّر منهما من وقف بعيداً عن العداء.. الشاعران هما: «**الزهاوى والرصافى**».

اما الكاظمى فكان قد غادر العراق وأقام فى مصر حوالى عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.

اما الشيخ محمد رضا الشبيبى فهو عامل فعال فى الحركة وقد رأيناه يغادر العراق مبعوثا عن الناهضين للاستقلال الى الشريف حسين ليشرح له الحال ويبلغه المقررات. ثم توجه عائداً الى دمشق - حيث الملك فيصل بن الحسين ومن حوله عرب وأعون وعراقيون يعملون معه.. وكان العراق يغلى فى الاستعداد لمواجهة الانكليز والأدباء يكتبون المقالات ويلقون الخطب وينظمون القصائد ويوزعون المنشورات وبدت مقدمات الثورة وكانت مناوشات لم تلبث أن أعلنت على حقيقتها فى ١٣ شوال ١٣٣٨هـ/ ٣٠ حزيران ١٩٢٠ ويبقى الأدباء والشعراء فى المقدمة منها ورأس الايقاظ والاستنهاض.

لقد مهدوا لها وخاضوا غمارها ولقوا فى سبيلها الأذى والسجن والنفى ولم ينقطعوا يوما عن القول والنظم.. وظلوا مدة يتذكرونها ويتأملونها.

الأدباء كثيرون والشعراء كذلك.. ولكن الاسم الذى برز أكثر والتصق بها خطيباً وشاعرا وعُدَّ خطيب الثورة كما عُدّ شاعرها هو الشيخ محمد مهدى البصير وشعره سجل للثورة فى مختلف مراحلها.

رأى نازك

الملائكة فى ابتكارها الشعر الحر

ابتكاراً على غير سابقة لها قبلها غير

مقبول.. لأن محاولات كثيرة

سبقت فى مصر ولبنان والمهجر

وهكذا صارت الثورة العراقية وقد عرفت فيها بعد بثورة العشرين (١٩٢٠، مادة أدبية ومعلما أدبيا عراقيا يمكن ان يدرس خاصا وقد وقعت هذه الدراسة فعلا فصدر للاستاذ ابراهيم الوائلى «ثورة العشرين فى الشعر العراقى» (بغداد ١٣٨٨/١٩٦٨) وللاستاذ عبد الحسين المبارك «ثورة ١٩٢٠ فى الشعر العراقى» (بغداد) ١٣٩٠/١٩٧٠) ولن يقف الحال عند هذين الكتابين غير ما لقيت الثورة من بحوث ووثائق وشهادات وغير كتاب مهم سجله أديب من أعلامها هوالشيخ محمد مهدى البصير فصدر سنة ١٩٢٤ باسم **«تاريخ القضية العراقية»** يظل أبداً مصدراً أساسا صادقا. هذا الى ان البصير فى كفاحه الثورى الشعرى هذا وفيما سارت عليه حياته الى الدكتوراه فى فرنسا الى الاستاذية بدار المعلمين العالية صار موضوعاً للبحث والدرس ومن ذلك ما صدر لمنعم حميد حسن بعنوان **«محمد مهدى البصير.. شاعرا» بغداد** ١٩٨٠.

ويذكر أن البصير جمع شعره الذى قاله فى الثورة العراقية فى ديوان خاص سماه «البركان» صدرت الطبعة الأولى فى حياته والثانية بعد وفاته ـ ولا يستغنى عنه فى أية دراسة أدبية أو تاريخية للثورة.

كان طبيعياً أن تخفق الثورة عسكريا ولكن الطبيعى كذلك أنها لم تخفق معنوياً وكانت درساً قاسيا للانكليز فيما خسروا من نفوس ومكانة وما تعرضوا فيه ـ والى الأبد ـ من إهانة وكره.

واذا كان المنتظر أن يتولى «عرش» العراق عبد الله بن الشريف حسين فان دخول الفرنسيين الشام وانتصارهم الساحق على الجيش العربى فى معركة ميسلون.. كان عاملا ـ من عوامل ـ حولت العرش الى فيصل.

ولم يقعد الشعب عن المعارضة على الرغم مما أخذه الحكم من مظاهر تقلل من سلطان الانكليز عليه وتألفت الأحزاب وكان الأدب فى غالبه مع الشعب، وفى مقدمة الأدب الشعر والشعراء هم هم من رأينا قبل الثورة وخلالها وربما انضم اليهم آخرون، وربما برزت حصة الرصافى فى عدائه للانكليز والملك وتردد شعر للصافى.. أما أبرز الشعراء الجدد وأغزرهم شاعرية فهو محمد مهدى الجواهرى الذى سيبقى اسمه فى تصاعدٍ فناً وسياسة..

أقول «فنا» لأن أغلب ما كان يقال لا يبلغ درجة مرموقة من الفن وكأنه يكتفى بالمضمون الايقاظى الجماهيرى فى الشرح والاستثارة والاستنهاض عارضاً ذلك بما يتيسر من لغة فصيحة سهلة التركيب واضحة المعنى مع حرص على بحور الشعر لدى الوزن والقافية ـ ان القصائد ـ فى مجملها اشبه بالخطب حينا وبالمقالات حينا.. وكأن لم يكن شرطا فى الشاعر أن يكون موهوباً معداً للشعر وانما يكفى القدرة على النظم وليست هذه القدرة صعبة على من رامها وربما كان هذا الذى هم فيه هو المفهوم العام للشعر العربى الحديث فى كل مكان. وللموهبة الكبيرة أن تأخذ طريقها خلاله معربة عن نفسها بموسيقى وخيال وصور.

ومازلنا نحيل للوقوف على اسماء الشعراء وامثلة من اشعارهم على كتاب رفائيل بطى: الأدب العصرى فى العراق العربى مع اضافات أخرى خارجة عن الشعر الجدد.

وكتاب بطى هذا صدر فى القاهرة بجزءين سنة ١٩٢٣ خاصين بالمنظوم على أمل إصدار جزء آخر أو جزءين المنثر ولم يتحقق هذا الأمل.

● وإذا لاحظنا أن الكثير من الشعراء المعدودين ـ وفى مقـدمتهم الذين احتواهم كتاب رفائيل بطى شرعوا يقلون من القـول ـ باستثنـاء الـزهاوى والرصافى . . فمنهم من مل السياسة ومنهم من شغلته الوظيفة ومنهم من شغله الـدرس بل منهم من شغلتـه السيـاسـة نفسها . . نسائل من أين لرفائيل بطى المادة ـ لو طلبها ـ لقسم النثر من كتابه؟ ومعلوم أن قوام النثر العصرى أى منـذ اتصـال العراقيين بالأدب العصرى العربى المقالة والقصة وحين قامت صحافة قامت مقالة وتتسع هذه المقالة كلما اتسعت الصحافة فمذ دخل الانكليز نشأت صحف وخلال الثورة نشأت صحافة وبعدها وهكذا هى بازدياد وتنوع ولا سيما لدى تعدد الاحزاب واشتـداد المعارضة. وكانت الصحف تصدر طافحة بالمقالات وربما طالت المقالة حتى شغلت عدة أعمدة أو صفحة كاملة من الجريدة وأكثر من صفحة.

● واننا لو نظرنا الى هذه المقالات جملة رأيناها مقالات تعليمية لا يتعدى هدف الكاتب فيها من توضيح رأيه فى الدعوة اليه أو فى مهاجمة رأى غيره ولا شك فى ان الغـالب عليهـا الـوجه الوطنى . . وان لغتها سليمة وتـركيباتها جيدة ولم يكن أصحابها بمن يجهل النحو والصرف ومفردات اللغة . . بل لم يكونو ليكتبوا من غير حماسة أو انفعال وتلازم فقرات.

لا شك فى ذلك وانها لمقالات صحفية على أية حال وربما اختلطت مع روح الخطبة أحيانا كثيرة . . وانها مادة ضروريـة للمؤرخ السياسى أو الاجتماعى ولمن يؤرخ للصحافة كذلك. ولكنك إن طلبت أدلة على الابداع وعلى الموهبة الخلاقة وعلى الصور الجميلة فى اللغـة الموقعة مما يجعلها أدباً مبدعاً شأن ما أمكن ان تكون مقالات كتبها مصريون او سوريون تأثروا بهم أو قرءوهم فى الأقل . . ان طلبت ذلك لم تجده فهم لم يقصدوا اليه ولو قصدوا لما أمكنهم لأنهم كتاب فقط وليسوا مؤهلين للنثر الفنى بمن فيهم الشعراء الذين زاولوا المقالة واذاكان أولئك الشعراء قد زاولوا القصيدة مقالة فالأولى بهم أن يزاولوا المقالة مقالة.

●● المقالات كثيرة وكثيرة جداً وللمرء أن يرجع الى الجـرائـد بدءاً بجريدة العراق ـ أو ما قبلها ـ ومروراً بالاستقـلال (ومـا تقلبت عليـه من أسـماء) والمفيـد والعاصمة والبلاد (وما تقلبت عليه من أسماء) والعالم العربى والزمان.

والكتـاب كثيرون . . هم غالباً أصحاب الجرائد نفسهـا أو المقـربون منهم: ابراهيم حلمى العمر . . قاسـم العلوى . . المحـامى على محمـود . . سليم حسون . . توفيق السمعانى . . عبد الغفور البدرى.

ولكن لا أثر يذكر للفن، وهو قليل جداً حتى لمن اشتهر ـ لسبب وآخر ـ على أنه كاتب مقالة يذكر معها ويؤخذ مثل منه عليها أقصد ـ خصوصاً ـ فهمى المدرس.

وربما حاول بعضهم الفن ولكنه حاول فقط وما ارتفع ويذكر هنا إبراهيم صالح شكر.

وتبقى من خير المقالات أو ادخل الكلام بالمقالة بناء وتركيزاً ما كتبه محمود أحمد (السيد) . . واذا سرنا قدما ونحن سائرون قدماً حتى الحرب العالمية الثانية أمكن ذكر افتتاحيات جريدة صوت الأهالى . . من حيث رصانة الأداء وتماسك التعبير عن الفكرة.

ولا تعدم بين حين وحين وعلى صفحات المجلات التى تطلع وتختفى سريعا . . لمحات من فن يسمى فيه أصحابه مقالتهم: صورة قلمية أو من الشعر المنثور.

أريد أن أقول إن المقالة العراقية تبقى تعليمية ـ غير فنية أو غير قاصدة الى أن تبدو فنية ـ حتى فى المجلات الأدبيـة والمجـلات الأدبيةُ كثيرة العدد ولكنها قصيرة

العمر ويمكن أن نخص بالذكر هنا مجلة صدرت قبل الحرب العالمية هى «لغة العرب» للأب انستانس مارى الكرملى ومجلة صدرت فى العشرينات هى مجلة «الحرية» لرفائيل بطى . . ومجلة سيقترب صدورها من وقوع الحرب العالمية الثانية هى «المجلة».

ونعود الى السؤال: ترى من أين لرفائيل بطى «النشر» لو أصدر «قسم المنشور» من كتابه **«الأدب العصرى فى العراق العربى»** وهو فى عام ١٩٢٣؟ كان الممكن ان يجده فى المقالات التى أشرنا الى طابعها العام ولكانت نثراً فقط وليس نثراً فنيا وانها لكذلك حتى لو تأخر صدور كتابه الى الحرب العالمية الثانية.



إيوان المدرسة الشرابية ببغداد مع الحجرات على جانبيه والرواق الذي أمامها بزخارفه ومقرنصاته الرائعة

ـ والقصة ؟

ـ لم تكن حتى عام ١٩٢٣ شيئا كانت نوعا مزدرى وقلّما قرأها الأدباء حينما ترد من مصر والشام. ثم ان الذى يرد كان محدوداً قليل الفن وفيه ما كان حكايات شعبية متوازنة.

وكان المنتظر أن يكون للحركة الأدبية التجددية فى الآستانة أثر ملحوظ عند اولئك الذين عاشوا مدة خارج القطر أو الذين عرفوا اللغة التركية وقرءوا فيها. وقد ذكرنا عدداً مهماً من الأدباء المجددين الأتراك وفيهم من الّف القصة (وفيهم من كتب المسرحية) غير من ترجم آثاراً عن الفرنسيين وكان فيمن ذكرنا: «**نامق كمال . . وعبد الحق حامد . . ونزيد هنا رجائى زاده محمود أكرم بك . . وخالد ضيا بك . . وعمر سيف الدين ـ ينظر كتاب حسين مجيب المصرى، تاريخ الأدب التركى ـ القاهرة ـ مطبعة الفكرة ١٣٧٠/ ١٩٥١**».

ذكرت هؤلاء إلحاقا لفكرة سبقت فى الدعوة الى دراسة مقارنة لأثر الأدب التركى الحديث فى الأدب العربى (العراقى) خصوصاً فيما نقله ذلك الأدب التركى من الفكر الفرنسى والأدب الفرنسى والروسى ولم أطلع على قصة ذكرت للرصافى ولكنى أضيف محمود احمد الى من أمكن ان يقرأ التركية وأدبها الحديث وهو فى العراق. ودعا الى هذه الاضافة السؤال عن القصة فى العراق وكتاب سابق لى عن رائدها محمود أحمد السيد (بيروت دار الآداب ١٩٤٩) ومحمود أحمد عجيب فى إصراره على قراءة القصة والثقة بمكانتها ثم مزاولته كتابتها وإصداره أول أعماله (فى سبيل الزواج) سنة ١٩٢١ والمؤثرات فى محمود أحمد كثيرة منها الحكايات التراثية وما دخل منها عالم المطبعة ومنها ما كان يرد الى العراق ـ ويتصدر محمود أحمد ـ للحصول عليه وقراءته من قصص عربى مصرى أو سورى ومنها وهذا المهم ذكره هنا ـ الأدب التركى الحديث التجددى فى نزعاته وفى أنماطه وفى قصصه خصوصا وقد أعجب به موضوعاً ومترجماً فتأثر به ونقل الى العربية منه وأشهر من تردد اسمه لديه: رشاد نورى وأرجند أكرم وجناب

شهاب الدين وخالدة أديب ـ ينظر كتاب «محمود أحمد السيد ص ٩١ وما بعدها.

ومضى محمود أحمد (المدرس ـ السيد) يوالى اهتمامه القصصى والكتابة والنشر فى هذا الفن فأصدر ـ فيما أصدر ـ الطلائع جلال خالد ـ فى ساع من الزمن . . ولحق به آخرون أشهرهم ـ غير جعفر الخليلى ـ ذو النون أيوب يتبعه جيل من الشباب يقلد حينا ويهم بالفن حينا ـ ينظر كتاب عبد الإله أحمد ـ نشأة القصة وتطورها فى العراق ١٩٠٨ـ١٩٣٩ .

والمسرح والمسرحية ؟

ـ اشرنا الى انهما طازئان على الحياة الأدبية العربية ودخلا القطر على غير نضج ولم يقتصرا بعد حين من الزمن على الطوائف غير المسلمة فقد شرعت المدارس تتنبه اليها والى خطرها فى بث الوعى السياسى والتربوى.

وتكونت فرق أهلية متنقلة برز فيها حقى الشبلى . . ولكنها ليست شيئا من الناحية الفنية تأليفا وتمثيلا . . ثم أرسل حقى الشبلى فى بعثة الى فرنسا وعاد مزوداً بالتوجه الفنى وتأسس معهد الفنون الجميلة . . وشرع يوسف العانى فى مزاولاته الأولى الممهدة لنشاط اكبر واسم أذيع . . تمثيلا وتأليفا ـ والغالب على التأليف الأهلى هذا هو اللغة العامية .

●● ولا تعدم المسرحيات الأدبية بل الشعرية مثل: «ثورة العرب الكبرى . . ثورة العراق الكبرى» . . وكلتاهما لعبد الحميد الراضى ـ تنظر المراجع التى ذكرت للمسرحية اعلاه والفن فيها ضئيل.

أجل ولا يخرج المجموع عن مرحلة التمهيد.

■ والتمهيد نحو الأوطد والأوسع والأرقى قائم فى أبواب الحياة العامة كلها ومنها التعليمية والثقافية من مدارس لدرجة الكليات . . وطباعة لدرجة التعدد . . وصحافة لدرجة التنوع . . ومع اولئك ما رأينا للشعر والنثر . . وما سنرى من أوليات جيل جديد فى كل من عانى الحرب العالمية الثانية يافعا أو شابا . . وسيبرز بعدها بوجه خاص . الى جوار عدد قليل من الكهول بقى فى الساحة الأدبية بعد أن انصرف الشيوخ قبل ذلك الى اهتمامات أخرى من سياسية وإدارية وتعليمية وأبرز الباقين على مدى عال: محمد مهدى الجواهرى ـ فى الشعراء . . وذو النون أيوب فى القصة . . وسيكون للجيل الجديد فى الفكر والشعر والقصة ومكانته . . التى تطرد مع الوعى السياسى وتقدم التعلم وازدياد ما يرد من الخارج . . ومن بعث من العراقيين الى الخارج فى دراسة وما أشبه . ونذكر فى الوسائل الجديدة الواردة مجلة «الأديب» البيروتية ومن الوسائل التعليمية الناهضة: **«دار المعلمين العالية»**.

■ ان الأدب العراقى بعد الحرب العالمية الثانية يتصل بسابقه فى شيىء هو الاستمرار الطبيعى فى الوراثة والتلقى وقد ينفصل عنه فى شيىء هو هذا الوارد الجديد فى الظرف الجديد فى رعاية الجانب الفنى ممتزجاً بالمضمون الحديث ـ ويصعب أن تفصل السياسة عن الأدب.

● ويبقى الشعر هو النوع الأدبى السائد فى نمطه الوجدانى (الغنائى) بارزاً خاصة فى حماسته الوطنية ويظل اسم محمد مهدى الجواهرى كبيراً يرتفع ويزداد ارتفاعا كلما لقى العنت والأذى وكلما أبدع وجوَّد فى التصوير . . ويأتى بعده صف طويل من الشعراء يتدرجون فى صغر السن عنه وصغر الموهبة.

●● وصغار السن الطالعون جيلا جديداً ـ مع

احترامهم شاعرهم الكبير - يبحثون لهم عن مكان متميز ووسم بسمة مختلفة يغذيها هذا الجديد الذى تصل أخباره أو أمثلته أو متمثليه وفيهم من «شب عن الطوق» فلم يعد مكتفياً بالتراث أو ما يرد من مصر ولبنان والمهجر وإنما شرع يتلقى التأثير المباشر بلغة أجنبية انكليزية أو فرنسية.

● وهنا.. هنا برز «شعر» جديد حديث يبتعد قليلا قليلا عن البحور الموروثة بابتعاده عن البيت الموروث ذى الشطرين الى الاكتفاء بعدد معين من التفعيلات وبابتعاده عن القافية بميله الى تنويعها حينا وإلغائها حينا.

● زاولوا هذا النمط الذى هو عندهم «شعر» دون أن يكون له عندهم كلهم اسم خاص وبرز فيه اثنان بل ثلاثة هم: «**نازك الملائكة.. وبدر شاكر السياب.. وبلند الحيدرى**» وعد عام ١٩٤٧/١٣٦٧هـ بدءاً تاريخيا لهذا النمط من الشعر ومستهله قصيدة لنازك الملائكة بعنوان «**الكوليرا**» من الوزن المتدارك (الخبب) وقصيدة للسياب بعنوان «**هل كان حبا**» من بحر الرمل وطال النقاش فى أيهما الأسبق والأحق.. ولا أشك فى أن قصيدة نازك الملائكة أسبق وأدخل فى الجديد ولكن الاجماع فى نتيجة النقاش الطويل على أن السياب مضى فى النمط على ما هو أقوى وأجد وأعرف وكلاهما رائد وكأن السياب الأحق فى خلاصة الحساب.

ثم جاء آخرون وآخرون حتى صار للنمط الجديد أنصار ومكان.. فهو حركة لا معدى عن الاعتراف بها فضلا عن تأريخها - وقد اعترف بها فعلا واستحال العراق عاملا مؤثراً بها فى نظائر لها فى الأقطار العربية الأخرى اعترفت بالريادة العراقية لها.

أما الاسم الذى غلب - مع الزمن - على هذا النمط من الشعر فهو: «الشعر الحر» هو حر لأنه لم يلتزم تفعيلات البحور الموروثة كلها فى شطوره والبيت العربى الموروث يتألف من شطرين على حين يتوالى هذا الجديد شطراً شطراً على اختلاف عدد التفعيلات بين الشطور وهو حر لأنه لا يلتزم بالقافية الموحدة وربما ضحى بها كاملة.

من سماه بهذا الاسم: الشعر الحر؟

ترى نازك الملائكة أنها هى أول من سماه بالشعر الحر وانها ابتكرته ابتكاراً على غير سابقة له قبلها أو علم لها بما قبلها ورأى نازك الملائكة غير مقبول لأن محاولات كثيرة سبقت فى مصر ولبنان والمهجر لا يعقل أنها لم تسمع بشىء منها.. بل ان اسم «الشعر الحر» نفسه قد تردد مرة فى مصر خاصة - والصحافة المصرية تصل جيداً الى العراق - ومعلوم انه ترجمة لما جرى فى العالم بين امريكة وأوربة من تطور شعرى استلزم المصطلح باللغة الانكليزية Free Verse وبالفرنسية Vers Libre والتحرر من النمط المألوف حاصل لدى هؤلاء وهؤلاء على اختلاف فى الدرجة وقد ورد اسم الشعر الحر فى المحاولات المصرية..

ثم إنه وصل الينا مبكراً من بدء القرن العشرين حين نحا أمين الريحانى منحى الشاعر الامريكى «وتمن» فذكر اللفظين الانكليزى والفرنسى وقال ترجمتها: الشعر الحر أو الشعر المنثور - لأنه كان أقرب الى «وتمن» فقد استعمل الشعر المنثور وسار المصطلح على ذلك النوع من النتاج الابداعى فى العالم العربى كله.

الخلاصة أنه لابد من الاعتراف بالمحاولات المتعددة

التى جرت فى العالم ـ ومنه العالم العربى ـ قبل عام ١٩٤٧ ولابد من الاعتراف بأن التسمية قد وجدت فى ذلك العالم قبل عام ١٩٤٧ (ينظر كتاب س. موريه ـ حركات التجديد فى موسيقى الشعر العربى الحديث، ترجمة سعد مصلوح، القاهرة ١٣٨٩/١٩٦٩) ـ ومن هنا ينبثق شك فى الحدّية التى تدعيها نازك الملائكة فى نسبة الابتكار اليها مطلقا فى نمطه واسمه ومن الشك ما يكون يقينا.

●● ويذكر لنازك الملائكة وهى رائدة لهذا الشعر ـ ولا نقاش ـ وبارزة مبدعة فيه ـ دون شك ـ انها عنيت فى وضع قواعد له تمخض عنها كتابها الذى صار شهيرا «قضايا الشعر المعاصر» ط١، بيروت ١٩٦٢، وتعددت طبعاته ودخله تعديل والكتاب مهم على ما فيه من نظرات قابلة للمناقشة أو نوقشت فعلا. والشعر الحر ليس حراً تماما فهو مقيد بالتفعيلة مثلا. ولا تعترف نازك بشعر لا يقوم على التفعيلة وينتسب ـ بذلك ـ الى بحر من البحور الموروثة.

هذا شعر «حر» ومنهم من دعا الى تسميات أخرى كالمنطلق وشعر التفعيلة والشعر الحديث وما أشبه دون نجاح يذكر.

فما اسم الشعر الموروث فى مقابل ذلك؟.. هو شعر فقط وشعر تقليدى وشعر قديم ولكن الاسم الذى غلب هو الشعر العمودى لأنه سائر على عمود الشعر العربى الموروث. وسارت التسمية وان لقيت اعتراضاً هنا أو هناك ومالت نازك الملائكة الى تسميته بالشعر ذى الشطرين.

■ كُتب وأُلفّ فى الشعر الحر كثيراً فى العراق وفى غير العراق له وعليه وبمنهج علمى موضوعى ولكن الذى لا شك فيه أنه شق طريقه ومضى يتوطد يوما بعد يوم ويزداد أنصاره ومتابعوه ـ حتى مع تراجع نازك الملائكة عن تصلبها السابق الذى أعلنته فى ديوانها الثانى: شظايا ورماد.

■ يسير.. دون أن يقضى ـ بالطبع ـ على الشعر الموروث (العمودى) واذا كثر قائلوه ـ فى العراق مثلا ـ كثرة عجيبة فمازال الجواهرى الشاعر الأكبر ومازالت أجيال تتوالى على الشعر العمودى، ويذكر هنا عبد الرازق عبد الواحد ومحمد حسين آل ياسين وشاعر آخر يتفوق كثيراً فى إبداعه ولكنه يؤثر الصمت أو البعد عن الأضواء هو عبد الأمير الورد.

●● واذا عدنا الى الشعر الحر وقد عُدَّ السياب ونازك الملائكة وبلند الحيدرى روادا يقرب منهم ويليهم آخرون منهم: «شاذل طاقة.. ومحمود البريكان.. ورشيد ياسين.. وصالح جواد الطعمة.. وعبد الوهاب البياتى.. وسعدى يوسف.. الخ وهيأ عبد الوهاب البياتى ـ ولا سيما بقدرته الخاصة فى الدعاوة لنفسه والانتفاع الشخصى بوسائل النشر ـ شهرة واسعة.

وصدر بالسياب أكثر من كتاب وأقرب ما أذكر من مراجع الشعر الحر فى العراق كتابا ليوسف الصائغ وكتابا لمحسن أطيمش.

● وتلا جيل الرواد جيل أكثر تحرراً ولعله أكثر ادعاء فى الابتكار حتى وردت معه كلمة «الاجتياز» أى أن الرواد صاروا قدماء وانهم ممهدون ليس غير اما الحر فهو شعرهم وانهم اجتازوا تلك المرحلة ـ انه ادعاء أكثر منه واقعا. وأكثر ما جرى هذا فى ستينيات القرن الميلادى/ ثمانينيات القرن الهجرى وأكثر ما نهض على غياب من أولئك وأكثر ما ظهرت اسماؤه ونصوصه فى مجلة «الكلمة».

وحين علت هذه الأصوات فى الستينات عرفت

موجتهـا بالستينيـة وعرف شعراؤها بشعراء الستينات (اوالستينيـين) . . وحـين وجد ذلك الاسم استدعى إطلاق الشعراء الخمسينيين على الرواد . .

● وصحب الموجة الستينية فى الشعر نشاط خاص لما عرف بقصيـدة النثـر . . وهى قصيدة يمكن الرجوع بجذورها غير المباشرة الى ما عرف بالشعر المنثور ثم الى ما كان ينشره حسين مردان باسم النثر المركز ـ الى جوار شعره العمودى وشعره الحر ولابد من أن يكون التأثير المباشـر يرجع الى عوامل خارجية من لبنان وسورية ـ ولابد من الرجوع الى مجلة «شعر» البيروتية لدى دراســة المـوجـة الستينيـة عمـومـا . . ثم مجلة «الآداب» البيروتية كذلك .

والمـوجـه الستينيـة فيها لها وعليها جديرة بدراسة خاصة ولتكن جامعية موضوعية يتولاها باحث مرن .

> الثقافة العربية هى الكائن الاجتماعي الذى احتفظ بهويته المنفردة فى الأمة العربية على مرِّ العصور، فكانت الجامعة التى التقت عليها والآصرة التى جمعتها، والرحم التى انتسبت اليها وكما صنعت الامة العربية ثقافتها ، كمـا تصنع وصنعت كل الشعوب، فان هـــذه الثقافة هى بدورها حافظت علـى وحدة هذه الأمة فى الظروف الفريدة التى مرت عليها، وفى الاخطار الكبيرة التى تعرضت لها ، بحكم أنها أمة عظيمة كان قدرها أن تسهم إسهامًا كبيرًا ، فى صياغة التاريخ وصياغة الحضارة البشرية .
>
> « د . د . محي الدين صابر »

لم يشتهـر بقصيـدة النثـر شاعـر معـين ويمكن أن تلتقــط امثلتهــا فى مجلة «الكلمـة» ويبدو ان القناعة حصلت بالاحتفـاظ بالتفعيلة فى الشعـر الحـر ومضى اسمها يتكرر والذين كتبوا عليها كثيرون ـ كما اشرت ـ يذكر منهم : «**حسب الشيخ جعفـر** . . **وسامى مهدى** . . **وحميد سعيد**» ولهم ـ كما لغيرهم ـ دواوين مطبوعة .

وتسير الأيام والستينيون منهم من يصمت أو يقل ومنهم من يواصل ويرى فى نفسه من التطور مالا يقبل معه بلقب الستينى وحده وقد دخل العقد السبعينى وتقـدم فيه ونظم ونشر . . وأصدر ولا يسره أن يفقد مكانه فيه .

ونشأ «جيل» جديد . . سمى نفسه السبعينى لأنه رأى لنفسه تميزاً على سابقيه فى الجمالية خاصة ، وأعلن عن طموح واسع . . وهؤلاء كثيرون كذلك ترد على القلم من اسـمائهم : «**خـز على المـاجـدى** . . **زاهر الجيـزانى** . . **غزاى درع الطـائى** . . **عبـد المطلب محمود** . . **عدنان الصائغ** . . **الخ**» .

والقافلة تسير ـ بانتظار مصفاة الزمن بدءاً من هذه السبعينات الميلادية التى هى العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجرى، ورأينا معها اتساع المسافة بين الشاعر والمتلقى وأقل ما يطلبه الجمهو ما يمثل حاجته أو أن يفهم أو أن يتذوق ولا يكاد يجد هذا فيما يقرأ ـ إن قرأ ـ من شعر وفيما يسمع إن سمع .

وتقرب مسيرة القصة من مسيرة الشعر . .

●● ولا تعـدم فى أواخـر الأربعينـات خاصـة جيلاً جديـداً يسـير ـ كما هو طبيعى ـ متأثـرا بسابقيه من عراقيـين وغير عراقيين (مصريين) ثم يزداد توطداً فى الفن بحكم توسعه فى الاطلاع على العربى والعالمى وبحكم توسع المدى الاجتماعى ـ الانسانى ـ النفسى

الذى يجول فيه وبحكم ترسخ ضرورة إخراج المضمون ـ أيا كان ـ مخرجاً فنياً، مبدعا . . واكثر ما باشر هؤلاء نتاجهم فى مجلة الأديب «البيروتية» . . ولقوا التشجيع والذيوع . . ومضوا يتقدمون ويبرز فيهم : **«عبد الملك نورى . . وفؤاد التكرلى . . ومهدى عيسى الصقر . . وشاكر خصباك . . وغائب طعمة فرمان . . وفيهم من تأثر خاصة بموباسان أو جخوف ومنهم من مال الى الحركات النفسية والى اسلوب التداعى (فى اللاوعى) . . وصدرت لهذا أو ذاك مجموعات قصصية . . ولكن خير قصصهم عموما ما صدرت فى مجموعات خلال الخمسينات . . (ينظر للكاتب: فى القصص العراقى المعاصر ـ نقد ومختارات) ولا معدى من ذكر مجموعة عبد الملك نورى: نشيد الأرض ومجموعة فؤاد التكرلى: الوجه الآخر . ونشير الى ملامح فى الوجودية وصلت الى الأديب العراقى عن اكثر من طريق: مباشر بالقراءة فى لغة اجنبية وغير مباشر بما أخذته مجلة «الآداب» البيروتية على عاتقها . الخ وان ظلت «الواقعية» سمة عامة للقصة .**

لقد بلغت القصة العراقية درجة عالية وفى المختار منها ما يناظر أو يفوق المختار من القصة العربية وما يصلح للترجمة فنيا، ويعدل أمثلة من القصة العالمية ـ وقد تهيأ شيىء من كل ذلك .

والنتاج دائما هو فى القصة القصيرة ولا تجد رواية تذكر ويمكن ذكر قصة طويلة هى قصة «الوجه الآخر» للتكرلى ـ وينظر كتاب الدكتور عبد الإله أحمد ـ الأدب القصصى فى العراق، كما ينظر له : فهرست القصة العراقية . . ويتقدم شباب آخرون لكتابة القصة .

ثم تتهيأ ظروف خاصة للقصة هى التى تهيأت للشعر فى الستينات/ الثمانينات تؤدى بالقصة الى ما أدت بالشعر، ويطغى الضياع والغثيان فى الفحوى وكأنه وجودى وتسود الهلهلة والهلامية فى النسج . وقل التخفيف الشديد من السمات المعروفة للقصص حتى تقترب من الشعر أحيانا أو حين تريد أن تكون شعرا .

وتبقى مجلة «**الكلمة**» الأداة البارزة هنا كما كانت هناك بل انها شرعت تصدر كتباً فأصدرت مجامع قصصية هنا كما أصدرت دواوين هناك .

والقصاصون كثيرون **«موسى كريدى . . عبد الرحمن مجيد الربيعى . . يوسف الحيدرى . . سركوب بولص . . عبد الستار ناصر . . جليل القيسى . . خالد الخميسى . فاضل العزاوى . . محمد عبد المجيد»** .

واذا غلب على الفئة الكبيرة منهم ـ وفيهم الأسماء السابقة ـ سمات تزيد وتقل من الوجودية والضياع والهلا مية صادقة أو مفتعلة . . فقد بقيت فئة أخرى متماسكة دون جمود يأتى على رأسها محمد خضير، ويرد فيها خضير عبد الأمير . وقريب منها برهان الخطيب ولك أن تضعه بين بين .

واظب اكثر هؤلاء القصاصين على النشر وأكثر من عرف منهم بسبب من الدعاوة لنفسه بكل سبب على ما يشبه مسلك البياتى فى الشعراء : «**عبد الرحمن مجيد الربيعى**» وهو الى ذلك اكثرهم إلحاحا على النشر وادعاء سمات القصة الجديدة فى ادعائها اجتياز قصة القرن التاسع عشر والنصف الأول للعشرين والاختلاف عن عمالقتها .

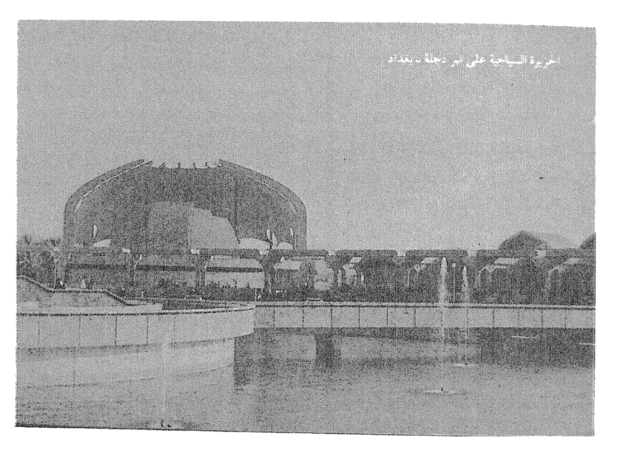
وجرى لقصاصى الستينيات أى للذين أوغلوا فى السمات الجديدة ما جرى لشعرائها من ثقة بالنفس وبالجديد الذى طلعوا به ومن ثم دعوة اجتياز الرواد . واذا كان هؤلاء هنا ستينيين فليكن الرواد خمسينين . . وأكثر من تبنى الدعوة والتفريق عبد الرحمن مجيد الربيعى .

وتوالت المجاميع القصصية الجديدة.. وطمح الطامحون الى إطالة القصة وسموا هذه الاطالة رواية وان لم تمتلك سمات الرواية وانها فى أحسن امثلتها روايات قصيرة واذكر من هذه الأمثلة «الوشم» للربيعى و«القلعة الخامسة» للعزاوى.

ومن الروايات القصيرة الناجحة ما كتبه برهان الخطيب بعنوان «شقة فى شارع أبى نواس».

ويمضى الستينيون فى الموجة والنشر..

بمسيرته ومسيرة القصة السابقة فى الواقعية على خلاف ما غلب على الموجة الستينية وكلما تقدمنا فى الستينات بدا على الموجة تكسر وشيىء من علامات النهاية ثم لم يعد معدى لقصاصيها والقصاصين اللاحقين بهم فى الكف عن عالم الضياع والغثيان ففيهم من راجع نفسه ومنهم من نظر فى الأمر الواقع لدى الحكم الجديد الذى يدعو الى الالتزام والبناء ولا موقع ولا منفعة لمن يبقى على نهجه «الوجودى» القديم.. وشرع من



الجزيرة السياحية على نهر دجلة - بغداد

وتسأل عن الخمسينيين ومن كاد أن يلحق بهم أين صاروا؟ منهم من سكت ومنهم من ابتعد أو ابعد ومنهم ما زاول القصة على قلة وتقطع.. وأبرز نتاج يذكر نتاج غائب طعمة فرمان وقد توجه الى «الرواية» فأصدر «**النخلة والجيران**» «وخمسة أصوات» ومضى يعد غيرهما.. وطبيعى أن تتصل مسيرته الجديدة

أعضائها من يتنكر للماضى القريب أو ينكر.. ثم يتبنى متطلبات الحكم الجديد.

وهكذا ونحن فى نهاية الستينيات وعلى أبواب السبعينيات نشهد المنعطف وفى المنعطف عود الى الواقعية السابقة مع الأضافة اللازمة التى نريد أن

تخرج من الواقعية الانتقادية الى الواقعية الاشتراكية ومن التشاؤم الى التفاؤل.. ولا بأس بعد ذلك أن يبقى من الموجة الستينية شيء من نمط التعبير اللغوى وشيء عن «القصة الجديدة».

ويدخل جيل جديد يزاول الفن قصة ورواية (قصيرة).. ولكنه لم يعلن عن نفسه باسم السبعينيين كما أعلن الشعراء وإنما اكتفى بأن يكون فى المتطلبات الجديدة وقد التقى فيها بمن عاد اليها من الستينيين.

لقد كتبت قصص وروايات قصيرة جيدة.. وتعددت الكتب الصادرة فاذا ذكرنا من الأسماء الجديدة «على خيون.. وعبد الخالق الركابى.. وهشام الركابى.

وذكرنا من الستينيين «موسى كريدى.. وعبد الرحمن مجيد الربيعى».. ومن أبناء الستين «محمد خضير»..

● ذكرنا من الخمسينيين غائب طعمة فرمان وغانم الدباغ.. ورأينا منهم فؤاد التكرلى يتحفز لكتابة رواية ستكون الأولى فى بابها عندما تصدر.. وقد صدرت والقرن الرابع عشر يتهيأ للوداع.. والعقد التاسع من القرن العشرين يشرف على الابتداء (١٩٨٠) انها «الرجع البعيد» أعلى ما وصلت اليه الرواية العراقية وهى رواية بمعنى الكلمة وستنقل الى اللغة الفرنسية وقد نقلت.

وتسأل عن المرأة العراقية الأديبة وقد رأينا مكانة نازك الملائكة وقد خرجت شهرتها عن حدود القطر وكذلك تأثيرها والشواعر كثيرات على اختلاف فى الدرجة والاستمرار وهن «لميعة عباس عمارة.. عاتكة وهبى الخزرجى.. وتلتزم الثانية الشعر العمودى باصرار وتعصب على حين قد تنظم الأولى شعراً حراً وتفضل

●●

الأديب العراقى حقق الكثير فى مجال الشعر والقصة والمسرحية.. والمقالة المبدعة..

●●

تنوع القوافى ضمن الشعر العمودى (ينظر كتاب بدوى طبانة ـ أدب المرأة العراقية) ونالت فطينة النائب شهرة خاصة باسمها المستعار صدوف ولكنها لم تحافظ عليها.

●● يمكن تأليف كتاب خاص يتزايد حجمه على الزمن فى موضوع «المرأة العراقية شاعرة».. وكتبت العراقية القصة وان كانت قد جاءت ـ كما هو طبيعى ـ متأخرة عن اختها الشاعرة وأقل شهرة ومكانة ولكنها كتبت ووالت الكتابة وربما كانت لطفية الدليمى أثبتهن قدما ـ ان كتاباً يمكن تأليفه فى المرأة العراقية قاصة.

المسرحية

وقد تقدم المسرح كثيراً وتعددت الفرق ويسهم فيها الهواة والمحترفون وقد توطد معهد الفنون الجميلة ومن فروعه المهمة: المسرح، ثم انشئت أكاديمية

الفنون الجميلة ومن فروعها المهمة : المسرح .

ويتقدم اسم يوسف العانى ويقترن معه آخرون . . من ممثلين وممثلات ومخرجين ويكون من الطبيعى أن تتقدم المسرحية أو مكانة المسرحية فى الأقل قراءة واستقبالا فى المستورد وتعريفا وتأليفاً . . وتأخذ اللغة الفصيحة نصيبها البارز فى الكتابة ويكثر المؤلفون وتبرز فيهم ثلاثة أسماء هى : نور الدين فارس وعادل كاظم ومحيى الدين زنكنة . . ويمكن أن يؤلف كتاب جديد فى المسرحية العراقية .

● واذا كان الأديب العراقى مبدعاً قد حقق الكثير الكثير فى الشعر والكثير فى القصة والجدير بالاهتمام من المسرحية . . ولمحات من المقالة المبدعة خصوصا فى العقود الأخيره فان الطموح نحو الأحسن والأعلى حاصل .

وعلى هذا الطموح نودع القرن الرابع عشر لنستقبل الخامس عشر .

● ولقد اكتفينا ـ هنا فى هذا الحديث ـ بالأدب المبدع شعراً ونثرا لأن الحديث فى الأدب على اطلاقه وفيه النقد والدراسة والصحافة والترجمة والتحقيق واللغة يحتاج الى وقت وتخصص واستعانة . وهذا المحذور نفسه ـ وعلى وجه أدق ـ هو الذى وقف دون جر الحديث فى «الثقافة» على اطلاقها وان الفرع الواحد من فروعها يتطلب وقتا وتخصصا واستعانة . . بعد أن قطع العراق خلال هذا القرن مراحل ومراحل . . وتقدم فيها كلها وليكن فى الحديث عن الشعر والنثر ما يدل على غيره أو يومىء اليه فى الأقل .



● وجوه ثقافية ●

فرح انطون

(١٨٧٤-١٩٢٢) اديب وروائى وصحفى ولد فى طرابلس (لبنان) اشتغل بالصحافة كان يكتب بالفرنسية والعربية باسماء مستعارة جاء الى الاسكندرية ١٨٩٧ وأصدر مجلة «الجامعة العثمانية» ١٨٩٩ و«الجامعة» حرر «صدى الاهرام» الذى خلف جريدة «الاهرام» عند انتقالها من الاسكندرية الى القاهرة حتى عطل «الصدى» بعد نصف سنة انشأ مجلة «السيدات» لشقيقته روز أنطون (تزوجت من نقولا الحداد فيما بعد) وساعدها فى تحريرها سنتين. سافر مع اخته الى امريكا ١٩٠٧ وأصدر فى نيويورك مع نقولا الحداد «الجامعة» وكانت جريدة ومجلة معا استمرت ستة اشهر. لم يصب نجاحا فى الصحافة فى امريكا فعاد الى مصر ١٩٠٩ حيث اشتغل بالسياسة والصحافة الوطنية فحرر فى «اللواء» و«البلاغ» و«الاهالى» الف عددا كبيرا من الروايات المسرحية والغنائية ومنها: «ابوالهول يتحرك» أو «الفراعنة ساهرون» وهى مسرحية تاريخية غنائية (ح١٩٢٢) ولم تطبع بعد. و«بنات الشوارع» و«بنات الخدور» وهى مسرحية غنائية (ح١٩٢٣) و«البرج الهائل» فى خمسة فصول مقتبسة من «ديماس الاب» ومثلت ١٨٩٨ «وجراز يللا» مقتبسة من لامرتين ومصر الجديدة ومصر القديمة وهى مسرحية غنائية اخرجت ١٩١٣ «والمتصرف فى العباد» وهى مسرحية غنائية ١٩٢٢ «وصلاح الدين او بيت المقدس» اخرجت ١٩٢٣ .



مما لا شك فيه أن الحديث عن الثقافة فى أى بلد من البلدان موضوع شائك يحتاج الى كثير من البحث والتقصى لأن الثقافة ليست موضوعاً قابلاً للتحديد فى مادتها ولا فى مكوناتها ولا فى بداياتها فهى نتاج فكرى لمجموعة العقول والقرائح المتلاقحة فيما بينها على امتداد حقب من الزمن من جهة والمتجذرة عبر تراثها القديم الذى يلونها بطعومه وخصائصه المميزة من جهة ثانية والمتضحة على معطيات الثقافة المعاصرة لفترة الحديث عنها والتى تعمر الأمم فيما حولها فتؤثر وتتأثر بذلك من جهة ثالثة.

الثقافة فى امة من الأمم ترتقى برقيها الاجتماعى وتتقدم بتقدمها السياسى وتقوى بقوتها.. وعلى العكس تخمل هذه الثقافة بخمول الأمة وتتراجع بتراجعها وربما تندثر باندثار الأمم التى كوَّنتها. فيوم كانت الأمة العربية قوية راقية متقدمة نشرت ثقافتها.. وأستطيع أن أقول فرضت ثقافتها على خارطة امتدادها السياسى من حدود الصين شرقا حتى الأندلس غرباً ويتسابق أبناء الأمم المنضوين تحت لواء الأمة العربية المسلمة للتسلح بالثقافة العربية يؤثرون ويتأثرون وينقلون إليها مافى ثقافاتهم الأصلية من علوم وفنون وآداب حتى أصبحت الثقافة العربية فى عصرها الذهبى - القرن الثالث الهجرى - مستودعاً للعلوم الانسانية كلها وآدابها وفنونها فحفظت للبشرية ثقافتها.. ولما بدأت تلك الدولة الفتية تذبل وتتقلص بفعل عوامل الضعف والانحلال أخذت ثقافتها تنحسر شيئاً فشيئاً حتى كادت تندثر تحت وقع سنابك الاجتياح المغولى الهمجى فى منتصف القرن السابع الهجرى.

لذلك فإن الحديث عن الثقافة فى سوريا يحتاج الى إلقاء الضوء على نقاط ثلاث على الرغم من صعوبة الفصل فى الحديث عن الثقافة فى قطر من الأقطار العربية على حده نظراً لتشابك العوامل المكونة لهذه الثقافة فى قطر ما مع الأقطار العربية الأخرى.

اولاً: فالثقافة المتكونة فى سوريا والتى نشهدها

سوريا ولبنان

اليوم تأثرت الى حد بعيد بالتيارات السياسية التى تلاطمت على أرضها منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى والتى صنعتها ظروف القهر والجهل والاستلاب التى رزحت تحت نيرها ليس سوريا فحسب بل معظم أصقاع الأمة العربية إبان الحكم العثمانى وما تلاه من انتداب ووصاية وحماية واستعمار من قبل الدول الاستعمارية الكبرى.

ثانيا: وتأثرت الثقافة القائمة فى سوريا بالجذور الثقافية للتراث العربى القديم وفى مقدمتها القرآن الكريم والحديث الشريف وما يتبعهما من دراسات أدبية وتاريخية وما يُروى من شعر وما يسرد من أحداث والتى ربما كانت فى يوم من الأيام النبع الوحيد الذى تستقى منه العقول وتنهل منه النفوس على اعتبار أنه المورد الوحيد الذى ظل على الأقل بعيداً عن الفناء محفوظاً فى الصدور.

ثالثا: وأخيرا كان التأثير الكبير الذى كون الثقافة فى سوريا اليوم ولقح الافكار وفتح أمامها أبواب العلم والثقافة على مصراعيها ونقلها النقلة الحضارية الكبيرة، هو الاتصال بالثقافة الغربية وما قدمته من منجزات حضارية عن طريق البعوث والدارسين الذين أوفدوا إلى الغرب للتحصيل أو عن طريق التجار الذين كانوا يتنقلون بين موانىء البحر المتوسط او عن طريق رجال المال والاقتصاد الأجانب المستثمرين أو عن طريق البعثات التبشيرية الدينية التى وصلت اليها أو عن طريق المهاجرين الذين استقروا فى المهاجر الأمريكية والأوربية.

التيارات السياسية منذ منتصف القرن التاسع عشر

بدأت النهضة الثقافية فى بلاد الشام قبيل منتصف القرن التاسع عشر إثر حملة ابراهيم باشا. ولا نستطيع فى هذا الوقت الحديث عن سوريا لأن هذه التسمية على الرغم من قدمها فى التاريخ فقد كان يطلق عليها بلاد الشام التى كانت تعنى فلسطين والأردن وسوريا اليوم ولبنان

التى قسمها الاستعمار الغربى فى معاهدات ما بعد الحرب العالمية الأولى فوضع فلسطين والأردن تحت الوصاية البريطانية وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى .

وقد تميزت الثقافة فى بلاد الشام فى تلك الفترة بتيقظ الشخصية العربية ونهضة الأمة وتحرر الوطن من القيود الظالمة التى كان يرسف فيها الفكر والعاطفة وذلك بـ:

١ ـ التحرر من قيود الجهل والضلالات المتفشية .

٢ ـ الانطلاق الى آفاق المعرفة الحديثة عن طريق الاتصال بالثقافة الغربية الشاملة .

٣ ـ النزوع الى الاستقلال السياسى فى الأقطار العربية المختلفة من نير الحكم العثمانى المتخلف .

٤ ـ شعور الأمة العربية بكرامتها وحنينها الى ما كان لها من تاريخ مجيد وحضارة خالدة .

٥ ـ غلبة روح الحرية على الاستخذاء والخضوع للحكم الأجنبى الظالم .

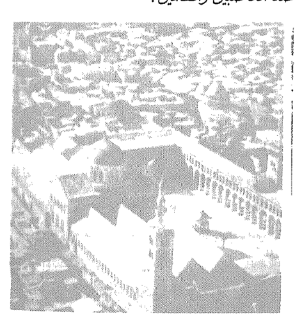
٦ ـ التأثر بمبادىء الثورات العربية فتحت عيون العرب على أفكار جديدة وتطورت الحياة .

٧ ـ كل ذلك فتح امام الأمة العربية باباً يلجون عبره الى العصر الحديث هو باب القومية العربية . . فعلى أساس مفهوم القومية تحرك المجتمع العربى فى بلاد الشام .

٨ ـ يضاف الى ذلك تغير البُنى الاجتماعية فى المجتمعات الغربية نتيجة لانحسار الاقطاعية وتقهقرها وقيام المجتمع على أساس العدالة الاجتماعية والمساواة .

وهكذا وجد الكتاب والخطباء والشعراء مادة رئيسية يتحدثون فيها وأفكاراً معاصرة تعمر العالم حولهم يطالبون بها فإليهم يرجع الفضل فى تنبيه الشعور القومى وإرشاد الأمة الى مواضع الخلل والفساد الاجتماعى والسياسى لتعمل على استبدال الحاضر المتردى بما هو خير وأجدى .

ولا نستطيع أن نغفل عوامل أخرى لأن تطور الزمن وتحرك الأحداث العالمية فى مطلع القرن العشرين كان اسبق الى كيان الأمة العربية فهزها هزاً أطار عنها اثار العصور الماضية من تواكل وتخاذل فهب المتنورون والمثقفون ينفخون فى أعطاف الأمة نفخة الكبرياء والعزة القومية واليقظة الاجتماعية فكانوا من العوامل التى شحذت العزائم وأوقدت الهمم وصارعت الظلم وأخذت بنصرة المفاهيم السامية المضطهدة من حرية واستقلال ووعى قومى واصلاح اجتماعى وتحرير من أدران الفساد والطغيان ونضال مرير ضد الغاصبين والظالمين .



فأنشأوا النوادى الأدبية وألقوا الخطب وعقدوا المؤتمرات حتى تنبه الوعى واستنارت العقول. وقد شهد مستهل القرن العشرين ومازال يشهد الى الساعة التى نعيشها اليوم جنودا يقاتلون وقادة يوجهون وأنصاراً يؤيدون فى سبيل تحرير الوطن العربى من العدو الخارجى الذى تكالب على الامة العربية عامة وعلى بلاد الشام بصورة خاصة ليظل الاستعمار والظلم والاستثمار والتحكم آخذا بخناق الأمة دافعاً بها الى الهوة التى لا تنهض منها ولا تعى فيها مالها من الحقوق فى الحياة والحرية والاستقلال.

كل هذه المعاناة والآلام الجسام حرضت الشعب العربى فى سوريا وزادت من إقدامه فى كفاحه السياسى ونضاله الاجتماعى وكان الدور الخلاق الذى لعبته الثقافة حاسماً فى الارتفاع بكفاح الشعب ونضاله الى الأمل المنشود بما دبجه الأدباء من مقالات وما سطرته العقول النيرة من كتب وبما فاضت به القرائح من أشعار فعادت الجماهير العربية السورية على أضواء المشاعل الثقافية إلى مرحلة تحقيق الاستقلال.

كان فجر السابع عشر من نيسان ١٩٤٦م فاتحة عهد الاستقلال فى سوريا فبدأ البناء الثقافى لَبِنَة لَبِنَة ويتزامن التقدم السياسى والاجتماعى والثقافى وتسير كلها معا بخطوات واسعة لتتلافى ظلام القرون السابقة وتواكب ركب الحضارة الغربية المتقدمة. فقامت الحكومات الوطنية ببناء الصرح الثقافى الوطنى بكل ما تعنيه الثقافة بمفهومها الواسع. فأقامت النظم السياسية الديمقراطية والمنظمات الشعبية الرديفة وأنشأت الصحف والمجلات العديدة التى عملت على تفتح الوعى وإفشاء الثقافة بين الجماهير وأقامت المصانع وطورتها ونشطت الزراعة وأرست قواعدها ووصلت البلاد بشبكة من الطرق المعبدة والسكك الحديدية فقربت البعيد وبنت المدارس على اختلاف أنواعها وشيدت الجامعات ونشرتها فى انحاء سوريا وكثرت المطابع وأصبح الكتاب كرغيف الخبز متاحاً للجميع.

الجذور الثقافية

لو حاولنا استقراء الأسباب التى أدت إلى انتعاش الثقافة العربية فى العصر الحديث فى البلاد العربية بصورة عامة وفى بلاد الشام بصورة خاصة لوجدنا أن النهضة المعاصرة خضعت لأسباب عجلت لوجودها والتمهيد لها.

ـ من هذه الأسباب العوامل الثقافية الأصيلة التى حفظت التراث العربى والاسلامى فى اللغة والأدب والعلم والفن خلال العصور وربطت بين أشتات الشعب العربى الذى تداولها فى مختلف أقطاره وأمصاره.

إذا كان لكل أمة عريقة مظاهر تقليد أو تطور وبقاء أو تحول فقد مضى العرب فى حياتهم على غرار ذلك وكتب لهم البقاء بفضل تراثهم اللغوى الذى صانه القرآن الكريم والحديث الشريف ونتاجهم الفكرى الذى احتوته الأسفار الباقية حتى اليوم وعطاؤهم العاطفى والفنى الذى نقله الينا شعرهم وما فاضت به قرائحهم وما أوتوا من أصالة وطموح كانا سبب خلودهم عبر الزمن.

ولقد كانت اللغة العربية التى هى الوعاء الحضارى الذى نقل إلينا الثقافة العربية وحفظها لنا منذ فجرها عزيزة الجانب قوية البناء محببة الى النفوس فقد حفظها لنا القرآن الكريم من الضياع وكان كفيلا على مر الأجيال والزمان بصونها والسمو بها فحفظ فى الصدور وأصبحت الكتاتيب وحلقات المساجد المنهل الوحيد للعلم والمعرفة والتنوير فهى تقوم مقام المدارس والجامعات والمراكز الثقافية.. يُتعلم فيها القراءة والكتابة وحفظ القرآن وعلومه على اختلاف أنواعها ثم ينتقل الطالب الى الحديث ومصطلحاته وعلومه فيتخرج فيها جهبذا ثم ينتقل لينهل الثقافة والعلوم من مظانها.

بعد المرحلة السابقة كان الطالب يطمح الى المزيد فيلتفت الى ما خلفه أولئك الذين رفدوا البيان العربى من كتاب وشعراء وذوى المعرفة والرواية من أسفار حفظت التراث الفكرى من الضياع على الرغم من عوامل الضعف الاجتماعى والتفكك السياسى وأشتات الحروب والفتن التى كانت تعصف بالأمة العربية إبان العصر المغولى والتركى حتى اوائل القرن التاسع عشر فكانت تلك المؤلفات العربية والاسلامية التى سلمت من الدمار وبلغت أيامنا من أسباب البعث الفكرى فى بلاد الشام خاصة والأمة العربية عامة وكان أبناء بلاد الشام لا يجدون شفاء نفوسهم وعقولهم إلا بالانكباب عليها والنهل من معينها لتحصيل شتى المعارف الفكرية والتاريخية.. ومختارات وتعليقات وما حوته من آثار لغوية ومؤلفات فى النحو وشروح البلاغة ودواوين شعرية وشروحها ومجموعات كثيرة فى شتى العلوم وموسوعات حوت الكثير من التراث فى عهوده الزاهية.

كل ذلك كوّن خزانة ثقافية زاخرة بشتى العلوم والآداب والمعارف الانسانية أضاءت سبيل النهضة الثقافية العربية المعاصرة فى بلاد الشام. ووجدت الثقافة فى ذلك الجيل جسراً تَعْبُرُ عليه بين القديم والحديث.

وانطلاقا من هذه الجذور الثقافية ومرونتها وهذه اللغة الشريفة وقابليتها للتطوير المستمر وقدرتها على النمو الدائم نهض العرب الشاميون نهضتهم الحديثة وعادوا الى تراثهم يطلعون عليه وينشرونه ويتأثرون به فكان فهم القديم وهضمه وتمثّله القاعدة الصلبة التى انطلقوا منها إلى الثقافة المعاصرة بكل معطياتها دون أن يفقدوا الأصالة والجذور الثقافية فأخذوا يطلعون على ثقافة الغرب وينهلون منها بنهم يترجمون منها ما يناسبهم حينا ويقرأونها بلغتها الأم أحيانا أخرى ويطبقونها على حياتهم مستفيدين منها فى كل نواحى الحياة تفكيراً وعملاً وتحرراً. ومن اختلاط هذين التيارين الثقافيين تكونت على أرض سوريا هذه الثقافة المتفجرة التى نراها اليوم.

ومن العوامل التى ساعدت على ازدهار هذه الثقافة: الحرية الشخصية التى نعم بها الشعب منذ فجر الاستقلال ١٩٤٥م فقد أتاحت هذه الحرية الفرصة أمام المبدعين وطالبى المعرفة جنى ثمار الثقافة الغربية والتحصيل فى البلاد الأجنبية التى يرغب فيها.. أو يترجم ما طاب له مما يساير تطور المجتمع

وحاجة الناس. ثم أعقب ذلك عودة البعوث من مختلف أنحاء العالم جالبين معهم أسس الثقافة الغربية محاولين تطبيق منجزاتها من طباعة وآلة وكهرباء وتخطيط واحصاء وكل ما شاهدوه ولمسوه هناك.. فقامت المدارس وتعددت أنواعها تعليمية ومهنية وتقنية وانتشرت الكليات لتشكل فيما بعد جامعات فى أكثر من محافظة من محافظات القطر، وأصبح التعليم الابتدائى الزامياً وهناك خطة لمحو الأمية تسير بخطى تبشر بخير وهناك كثير من القرى السورية ودعت الأمية إلى الأبد.

وأصبحت الجامعات تخرج كل عام أفواجاً من الخريجين الذين أصبحوا يشكلون أزمة فعملت الدولة على تخطيط الدراسة الجامعية حسب حاجة القطر وتوزع الطلاب على الكليات والمعاهد العالية والمتوسطة حسب متطلبات خطة التنمية التى تضعها. ومن الجدير بالذكر أن الجامعات السورية هى الجامعات الوحيدة فى الوطن العربى التى تدرس كل مواد فروعها باللغة العربية. إضافة الى أنها أدخلت تدريس اللغة العربية فى كل فروع الجامعات وكلياتها العملية والنظرية مرافقة بواحدة أو اكثر من اللغات الأجنبية.

ونستطيع القول إن هناك ثورة ثقافية عارمة تجتاح القطر العربى السورى من شماله الى جنوبه، وتشكل نهضة شاملة تدفع القطر بخطى حثيثة لخلع كل أردية التخلف والانتقال الى الثقافة العصرية بكل معطياتها من مؤسسات ثقافية تعليمية.. ومسرحية تمثيلية.. ومهنية تقنية.. وبدأت المفاهيم الثقافية تتضح يوماً بعد يوم.

• وجوه ثقافية •



اديب اسحاق

(١٨٥٦-١٨٨٥) صحفى واديب وشاعر وخطيب ومترجم وكاتب مسرحى وممثل وسياسى. ولد بدمشق واشتغل بالصحافة منذ مطلع شبابه، فحرر جريدة «التقدم» البيروتية لصاحبها يوسف الشلفون واشترك فى تحرير مجلة «ثمرات الفنون» جاء الى القاهرة واصدر ١٨٧٧ جريدة «مصر» بايعاز من استاذه جمال الدين الافغانى، انتقل الى الاسكندرية واشترك مع سليم النقاش فى اصدار جريدة «التجارة» ١٨٧٨ وعطلت الجريدتان غير مرة فسافر الى باريس وهناك اصدر جريدة «مصر القاهرة» ١٨٨٠ وكان ينسخها بيده لافتقاره الى وسائل الطباعة. عاد الى بيروت. فالقاهرة واشتغل فيهما بالصحافة كما شغل بعض مناصب الترجمة فى مصر. توفى فى بيروت. عرف بأسلوبه الرصين وحماسته المتدفقة ودعوته الى الحرية والكرامة الانسانية. ترجم عن الفرنسية روايات «اندروماك» و«شارلمان» و«ابنة رولاند» واقتبس رواية «الباريسية الحسناء» والف «الدور» و«تراجم مصر فى هذا العصر» و«غرائب الاتفاق» و«نزهة الاحداق فى مصارع العشاق» واشترك مع غيره فى تصنيف كتاب «آثار الادهار».

لا يستطيع أحد أن يزعم أنه قادر على الاحاطة بتوضيح عوامل البعث الثقافى كلها فى أمة من الأمم كما لا يستطيع علماء الاجتماع على الدوام أن يتلمسوا النظام الذى تخضع له الشعوب فى تطورها الثقافى لكنهم يصفون مراحل هذا التطور ويعللون أسبابه ويظهرون نتائجه ويؤمنون بينهم وبين أنفسهم بأن ثمة نظاما تجرى عليه الأمور وأن صناع التجديد وبناة التطور فى هذا الوضع يشبهون سدنة الهياكل، يعيشون وراء فكرة يخلد فيها على الدوام سرّ الهيكل.

وشأننا هنا أن نتقصى المراحل ونعلل الاسباب آملين أن نخرج بنتائج أقرب الى الصحة ما امكن ومن أجل ذلك فلن نستطيع فصل تكون الثقافة فى بلاد الشام فى بداياتها وحتى مطلع القرن العشرين عما حدث فى مصر، فمصر والشام صنوان.

لذلك تُعتبر حملة نابليون على مصر سنة ١٧٩٨م ثم على سوريا فيضاً من نور شق الأجفان العربية المغلقة على حقائق جديدة وبصّر العرب بأنفسهم وبالعالم الجديد بعد أن أعماهم ظلم المماليك والأتراك عن معرفة علومه وإدراك أسراره بل نقول إنه كان وفاء لديْن قديم.. فقد سبق للأمة العربية أن أمدت الغرب بعلومها ومعارفها فأنقذته من وهدة الجهل والتخلف. فقد أحضر نابليون معه المطبعة الحديثة وأنشأ مدرستين ومكتبة ومسرحاً للتمثيل وجريدتين هما: (**العشارى** المصرى.. والبريد المصرى) واسس مجمعاً علمياً اهتم بالعلوم والآداب وأشرف الشعب العربى فى مصر بالنظر فى شؤون بلاده الى جانب ما أنشأ من مراصد فلكية وما أجرى من تجارب علمية كل ذلك امتد أثره إلى بلاد الشام بسبب أو بآخر.

ولم يقتصر الانصال بالحضارة الغربية على مصر فإن لبنان بحكم موقعه الجغرافى اتصل بالغرب منذ أوائل القرن السابع عشر حين أراد فخر الدين المعنى الثانى أن يستفيد من الحضارة الغربية.

وساعد ذلك على الاتصال بالغرب فتعلموا فى مدارس أوربا وتأثروا بالحضارة الأوربية تأثرا كبيرا ونقلوا هذه التأثيرات إلى وطنهم وراحت عوامل الاتصال تتخذ طرقا كثيرة من أهمها:

(١) البعثات العلمية:

رأى العرب عند اتصالهم بالعالم الغربى تأخرهم عن ركب الحضارة وحاجتهم إلى العلوم والمعارف الجديدة فى سبيل بناء مجتمع جديد ودولة حديثة فتوالت البعثات من بلاد الشام ومن لبنان أولا ثم من مصر ثم من سائر البلاد العربية بعدئذ. وقد عاد الموفدون يحملون علوماً وأفكاراً جديدة أسهمت فى بناء الثقافة فى بلاد الشام على أسس حديثة.

(٢) المدارس والجامعات

قلنا إن المدارس فى العصور السابقة كانت تقتصر على حلقات المساجد والكتاتيب وكانت العلوم التى تدرس فيها لغة وديناً أو ما يمت إلى اللغة والدين بصلة فلما جاء العصر الحديث كثرت

المدارس اقتداء لما فى الغرب ثم نظمت وتنوعت فروعها. ففى سنة ١٩١٩م أنشئت جامعة دمشق، وأقيمت الجامعة الامريكية ومن يومها راحت تشاد المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية حتى لم تبق قرية تخلو منها ثم أنشئت المدارس المهنية والمعاهد المتوسطة لتشمل مختلف نواحى العلم والمعرفة، زراعية وصناعية وهندسية وتجارية وسكرتارية واعلامية وطوبوغرافية وسياحية وفندقية وغيرها كما انشئت الدراسات العليا فى مختلف جامعات القطر فى دمشق وحمص وحلب ودير الزور واللاذقية إضافة الى مراكز البحوث والدراسات المتخصصة فى مختلف المجالات.

(٣) المطابع

اخترعت الطباعة فى القرن الخامس عشر واستفاد العرب منها منذ القرن السادس عشر فجلبت الى بيروت وحلب مطابع خشبية ثم الى دمشق وكان لمطبعة نابليون أثر لا يستهان به لكن مطبعة محمد على باشا التى أسسها مطبعة بولاق سنة ١٨٢١م كانت أكبر أثرا إذ استقدمت مطابع مشابهة الى بلاد الشام ثم ارتقت حتى وصلت الى أفضل المطابع فى أوربا (الأفست) وراحت تطبع الصحف والمجلات والكتب بسيل جارف ولم يقتصر ذلك على دمشق وحلب بل انتشرت فى حمص وحماة وبيروت وغيرها من المدن.

(٤) المكتبات

ساعدت المطبعة على إعادة التراث العربى الأثيل وكثرت الكتب المؤلفة والمترجمة واتسع نشرها. مما ترتب عليه إنشاء المكتبات العامة لتيسير المراجع وتسهيل الدراسات وجمع المخطوطات كالمكتبة الظاهرية فى دمشق والمكتبة العامة فى حلب وبيروت وطرابلس وغيرها من المدن ولم تبق جامعة من جامعات القطر الا ولها مكتبة عامة ولم تبق كلية من كليات الجامعة إلا ولها مكتبة



بعلبك بلبنان

اختصاصية وأقيمت المراكز الثقافية فى كل محافظة من محافظات القطر وعمت الأقضية وبعض النواحى.. الى أن أقيمت وحدات ارشادية تحمل الكتب الى القرى النائية. أضف الى ذلك المكتبات الخاصة حيث راح الناس يتفاخرون بجمع الكتب وتنسيق الرفوف حتى أصبحت عادة شائعة يستعملها الناس للزينة.

(٥) حركة الترجمة والتأليف

اطلع العرب فى العصر الحديث على علوم وفنون وثقافة جديدة لم يجدوا بدا من ترجمتها لتتم الفائدة منها كما استحدثت علوم جديدة لا عهد للعرب بمثلها كالاذاعة والتلفزة والتلغرفة والتصوير والذرة والميكانيكا وغيرها فترجموا هذه المعارف كلها وادخلوا منذ مطلع هذا القرن دراسة اللغات الأجنبية الى مدارسهم فقررت اللغة فى سوريا بدءاً من المرحلة الاعدادية حتى نهاية المرحلة الجامعية ووجد فى الجامعة فروع لها فى كليات الآداب وعنوا بدراسة اللغة الفرنسية والانكليزية والألمانية وأخيراً الروسية إضافة إلى اللغات الشرقية الفارسية والعبرية والريانية.

(٦) الصحافة :

عرف العرب الصحافة منذ حملة نابليون ومحمد على باشا فقامت عدة صحف فى سوريا منها اليومية والأسبوعية تظهر أسماء وتختفى اسماء كالأيام والقبس وبردى والرأى العام والمنار وغيرها وكثرت المجلات الشهرية والربعية كمجلة الدنيا والمضحك المبكى والثقافة وغيرها، ولم تقتصر الصحف على دمشق بل تعدتها الى بقية المحافظات وتشرف الدولة اليوم على هذا القطاع فتصدر عدداً من الصحف اليومية كالبعث وتشرين والثورة وغيرها. كما يصدر عن اتحاد الكتاب العرب صحيفة اسبوعية وأخرى شهرية وثالثة للثقافة الأجنبية ورابعة للتراث وخامسة لكتاب العرب كما تصدر وزارة الثقافة عدداً من المجلات كالمعرفة ومجلة أسامة للأطفال وهناك صحف رياضية. وللمؤسسات مجلات لا تحصى فلكل مؤسسة مجلة خاصة بها.

(٧) المجامع العلمية

نقل العرب فكرة المجامع عن الغرب فأسسوا فى دمشق المجمع العلمى العربى سنة ١٩١٩م للنهوض باللغة العربية وسد حاجاتها من المصطلحات العلمية والثقافية المعاصرة وكان أول مجمع يتصدى لمثل هذه الغاية فى الوطن العربى الى أن أسس المجمع اللغوى المصرى عام ١٩٣٢م ثم قامت الجامعة العربية فيما بعد بانشاء المنظمة العربية للثقافة والعلوم والفنون لترفد ذلك بمستحدثات الثقافة العالمية فتغنى لغتنا وعلومنا وآدابنا بالطعوم الثقافية المعاصرة.

(٨) التمثيل

لم يعرف العرب التمثيل قبل العصر الحديث وتعتبر سوريا رائدة هذا الفن فى الوطن العربى بدءا من مارون النقاش الذى مثل أول رواية فى العصر الحديث هى رواية البخيل لموليير فى أربعينيات القرن الماضى ثم أعقبه سليم النقاش وأبو خليل القبانى الذى ارتحل الى مصر ليمثل هناك ثم اعقبه سليمان القرداحى وفرح أنطون.

ثم كثرت الفرق التمثيلية التى اسهمت فى هذا الجانب الثقافى الهام واليوم تشرف الدولة على هذا القطاع وتمنحه كل التشجيع وتقوم ببناء مسرح قومى ضخم فى دمشق هذا بالاضافة الى عشرات الفرق الخاصة التى تجوب مدن القطر وأدخل ذلك فى النشاطات المدرسية والجامعية كما أنشىء معهد عال للتمثيل فى دمشق.

(٩) الاذاعة والتلفزة

بدأت الاذاعة السورية بثها منذ فجر الاستقلال ١٩٤٦م لتؤدى دورها فى تنمية الثقافة ونشرها للجميع وفى سوريا أكثر من محطة للبث وعلى أكثر من قناة ثم دخلت الشاشة الصغيرة الى الاستعمال فى سوريا فى نهاية الخمسينيات من هذا القرن إبان عهد الوحدة بين سوريا ومصر، وأصبح البث ملوناً من بداية الثمانينات وعلى قناتين لتدخل الثقافة الى كل بيت.

على الرغم من هذا فلا تزال هناك ثغرات كبيرة فى ثقافتنا المعاصرة يجب ان نعمل على سدها بوعى وبصيرة بناء على بحث دقيق فى التاريخ والتقاليد والعادات وسلوك الانسان إذا أردنا أن نصل الى خلاصنا.

وبرأى «كرين برينتون» ان الخلاص رهن بوعينا بذاتنا بكل نقائصها ومتناقضاتها وليس بستر عيوبنا.. كما اتبع مفكروا الغرب وباحثوه هذا المنهج. ولهذا يذهب هؤلاء الى ان الغرب يتمتع بميزة خاصة فى مواجهته لأزمته المصيرية على غير ما هو حادث بالنسبة لشعوب أخرى تعانى أزمة تحول حضارى ثقافى.

ومن تلك الميزات

اولا: فهى أن الغرب عاش اكثر من خمسة قرون هى عمر العصر الحديث فى ظل سيادة العقل والعلم حتى أضحى كلاهما قيمة أساسية وسمة مميزة.

ثانيا: إن الانسان الأوربى يعانى حقا ولكنه يدرك أنه يعانى وأخطر ما يتهدد المريض أن ينكر مرضه وراء أوهام وادعاءات.

ثالثا: إن مفكرى الغرب قادرون على رصد عناصر أزمتهم وتحليلها وبيان تسلسل أحداثها تاريخياً. والكشف عن جذور المعاناة ومنشأ أوجاع الحياة دون رقيب أو حجر على رأى ودون اتهام بالزندقة أو بالخروج على الموروث.

رابعا: يواجه بجرأة وحرية مشكلاته مهما تباينت الآراء أو تعارضت مع آراء أخرى كانت لها قداستها حيناً من الزمان.

ولهذا يؤكد «كرين برينتون» باستمرار أن تباين الآراء وتناقض الأفكار ليس عيباً أو نقيصة بل دليل خصوبة وثراء.

إذا تم ذلك أمكن ردم الهوة وجسر الثغرة فى ثقافتنا المعاصرة ودفعها لكى تتسنم مسيرة الأمة نحو العدل والخير والحرية.



روكس
بن زائد العزيزي
«عمّان»

● تمهيد: صورة خاطفة لما مرّ بالديار الاردنية أو مرت به من مراحل واوضاع:

قبل ان اتكلم على ثقافة الأردن وتطورها ارى من واجبى ان ارسم صورة للادوار والمراحل التى مر بها القطر او مرت به.

فقد مرت هذه الديار بمرحلة بداوة - فى العهد العثمانى - كان شعارها: «عدّ آرجالك واردِ الماء» وكاد الناس فى تلك الفترة يعدون التعلم منقصة فى الرجولة بدليل ما قاله الشاعر البدوى:

«ما عِمرْ خَطِيبْ قوم سَوَّى نِفِيلَه
إلّا فى قَضْبِ الوَرَقْ والتفاتر

وكان التعليم فى العهد التركى مقصوراً على بعض الدساكر هذا بعد اعلان الدستور العثمانى. لا انكر انه كان فى تلك الدساكر مدارس هزيلة للذكور وللاناث. وكان اقبال الاناث على التعليم نادراً، لان القوم كانوا يظنون ان تعليم الفتاة يفسد اخلاقها. فكأن القوم قد استجابوا لنداء (المعرى) القائل:

ولا تحمد حسانك ان توافت
بايد للسطور مقومات

فوق هذا فان الادارة العثمانية نفسها كانت عاجزة عن اقرار الامن الذى هو اساس لكل خير وتقدم ومعوان على النهضة فكانت الديار الاردنية ساحة غزو ومنازعات بين القبائل والعشائر الاردنية نفسها زيادة على ما كان يعيبها من هجمات القبائل المقيمة خارج الاردن.

وكان الارادنه مقسومين الى ثلاث فئات:

أ - فئة البدو، وهى الكثرة

ب - فئة الريفيين وهى اقل من فئة البدو وعملهم الزراعة البدائية.

ج - وفئة الحضر وهى اقل الفئات ويشتغلون فى التجارة والحِرَف.

وكان بعض البدو يسطون على الريفيين والحضر مما اضطر هاتين الفئتين الى القبول بما يسمونه (الخاوة)(٢) - لعجز الادارة العثمانية - التى هى نفسها كانت تدفع (خاوة) لشيوخ القبائل باسم (الصَّرّ) تلك هى الوسيلة التى كانت تلجأ اليها الادارة العثمانية لحماية الحجاج وجباة الضرائب.

وقد ادركنا نحن حالة من الفوضى وانعدام الامن

فة فى الاردن

ابـان الحـرب العـالميـة الاولى حيث كان اللصوص ينقبون البيوت واهلها فيها فان استيقظ صاحب الدار قتلوه وذهب دمه هدراً وان جَرَحَ أحدَ اللصوص او قتله لم يسلم لا من الدولة ولا من اهل القتيل. . ولم يعد الرجل آمنا على نفسه وهو يمشى فى شوارع البلدان.

قال الشاعر المشهور (سالم القنصل): ١٩١٦م
السُّـوقْ فَعْطَـة والبِيَادرْ على احْيَارْ
ذِلّ أَوْ مَهَـانِــه أَوْ كِلَّنــا خَايفــين

المعنى: السُّـوق يُنهب نهباً جهاراً والبيادر آيلة الى النهب ونحن فى ذل واهانة شنيعة وكلنا خائفون وظل الامر يسوء اكثر فاكثر الى ان ثار الناس على البدو وزال الحكم العثمانى سنة ١٩١٨م.

عهد الامارة (شرقى الأردن) من ١٩٢١ الى الاستقلال ١٩٤٦.

- أسس المغفور له الامير (عبد الله بن الحسين) امارة «شرقى الأردن» فى اوائل آذار سنة ١٩٢١ بناء على الحاح زعماء البلاد تلافياً للفوضى التى عمت وطمّت

وليس من شأننا ان نخوض فى امور السياسة فقد تم الاتفاق بين سموه والمستر (تشرشل) على تأسيس امارة مستقلة فى (شـرقى الاردن) تسـترشـد برأى معتمـد بريطانى يقيم فى عمان واستثنت (شرقى الاردن) من وعد (بلفور) رسمياً فى ايلول سنة ١٩٢٢.

وقـد كان سمو الامير (عبد الله) يطمح الى ان يجعل الأردن واحة سلام وعلم بدليل ما ذكر الدكتور (ناصر الدين الاسد)(٣) «اراد ان ينشىء مجمعاً لغوياً ومكتبة عامة فى شرقى الاردن سنة ١٩٢٤ وقد اصدر بذلـك نشـرة اشـارت اليها «**مجلة المجمع العلمى العربى**» فى دمشق بما يلى: «**جاءتنا نشرة مآلها ان الامـير عبد الله اصدر امراً بتأسيس مجمع علمى فى** (عـمان) عاصمـة (شـرق الاردن العـربى)(٤) **وانتخب رئيسـاً له سماحة رصيفنا الشيخ سعيد الكرمى وكيل الشؤون الشرعية**». . اما اعضاؤه فهم العلماء: *رضا توفيق بك ـ الـتركى المشهــور ـ والشيـخ مصطفى الغلاييني ـ ورصيفنا رشيد بك يقدونس ـ ومحمد بك الشريقى مدير جريدة الشرق العربى ـ المنشأة فى تلك البقعة من زمن قريب.*

وعلمنــا انــه انتخب اعضــاء شرف له العلماء

الرصفاء: احمد زكى باشا.. ورئيس مجمعنا السيد محمد كرد على.. والشيخ احمد عباس الازهرى.. والاب أنستاس مارى الكرملى.. والسيد اسعاف النشاشيبى

وفى تلك النشرة ان المجمع سيعنى باحياء اللغة العربية ونشر المدارس والمؤلفات والغاء المحاضرات وانشاء دار كتب واصدار مجلة شهرية.

لكن هذا الحلم الذهبى لم يتحقق مع الاسف ولعل شح الموارد المالية من جهة وتصلب المعتمد البريطانى المستر (كوكس) الذى عين معتمداً لبريطانيا فى شرقى الأردن فى اوائل نيسان سنة ١٩٢٤ كان وراء اخفاق تلك الامنية الغالية على الأمير- طيب الله ثراه فقد وصفه بقوله: «ثم جاء الكولونيل (كوكس) وكانت له شخصية ادارية وكان لا يحب ان يعمل مع اشخاص لا يرتاح اليهم ولقد مكث مدة طويلة ولولا الصبر والحكمة التى مَنّ الله بها علينا لكان الا:متزاج معه من المستحيلات»(٥) وفوق هذا فقد كانت اهداف دار الاعتماد ان تخرج المدارس كتبة للدوائر.

وتشدد (كوكس) هو الذى اثار شاعر الاردن المرحوم «مصطفى وهبى التل» الذى لقب نفسه بـ (عرار) فقال:

لا تحسب الجرح فيمن لا يضجّ أسىً
يا (كوكس) مندملًا فالضيم نكّاء
والحق لا بد من اشراق طلعته
مهما استطالت على اهليه ظلماء
وقوة الضعف ان جاشت مراجلها
تنمرت نعجة واستأسدت شاء

نظرة القوم الى المعلم:

لم يكن الناس قد تنبهوا الى قيمة العلم فلما أنشئت مدرسة (السلط) سنة ١٩٢٣ كانت هى المدرسة الثانوية الوحيدة فى البلاد وكان اول فوج قد تخرج فيها سنة ١٩٢٨ ادخل فيها احد الشيوخ ابنه وبعد بضعة اشهر زار ابنه هذا فوجده قد ازال شعر لحيته وكوى ملابسه ورتبها فامره ان يخرج من المدرسة ويتبعه حالاً قائلاً: «**عوذا، هذا الولد مسْتَنْثى**».

- اى اعوذ بالله هذا الولد تحول انثى - واتفق مرة ان وجيها رأى احدى قريباته تعد العدة لكى يسافر ابنها الى (بيروت) ليتعلم الهندسة فصفق كفاً بكف وقال: «وش له بالهندزه لا هى لابوه ولا لجده هاضا(٦) (عيد مزيَد) معلم الابناية، اللى ما مثله، ما يِطقّ الطقة لاجن، الهندزه اشوى من التّصويرا».

المعجزة التى حققها القطر الاردنى:

اثبت فى القصة التى نشرتها لى (المجلة الجديدة) فى القاهرة سنة ١٩٣٤ لصاحبها (**سلامة موسى**) **بعنوان** (**ابناء المغاسنة**) ولخصتها جريدة «الدفاع» التى كانت تصدر فى (يافا) فى ١٦٠ ايار سنة ١٩٣٦ وطلبت من كل شاب عربى ان يقرأها. اثبت ان (الكرك) على اتساع رقعتها لم تجد يومذاك من يقرأ الانذار الذى وجهه (ابراهيم باشا) ابن (محمد على باشا) الى زعيم الكرك يومذاك ليسلم الكرك سنة ١٩٣٢ فأبى فاحرق وليداه (السيد) و (علي).

منابع الثقافة عند تأسيس الامارة ١٩٢١ الى حين الاستقلال سنة ١٩٤٦:

بعد ان رسمت صورة تقريبية لاوضاع الامارة الاردنية عند تأسيسها اتقدم الى ذكر منابع الثقافة الاردنية فى هذه الحقبة فاقول: «انها كانت مقصورة على:

أ - ديوان الامير - جلالة الملك فيما بعد - الذى كان اديباً شاعراً ناثراً وخطيباً مفوها يعطف على الادباء ويدنيهم منه يحاورهم ويناقشهم ويقرأ ما يكتبون وينظمون فيرد عليهم احياناً باسم مستعار وأحيانا باسمه الصريح كما فعل فى الرد على المرحوم (مصطفى وهبى التل) يوم تغزل الشاعر بفتاة (جركسية) اسمها (برفين) ورد عليه قريبه (الدكتور صبحى ابو غنيمه) الذى انحاز الى (دمشق) قائلاً:

«مالى و(برفين) ياعشاق (برفينا)؟ فبلغ الامير ما قاله (مصطفى) وما قاله (ابو غنيمه) فرد الامير على (مصطفى وهبى التل) قائلاً:

ناديت من (برفين) غير سميعة
فاصرخ وصح ما شئت يا (برفين)
ان كان شعراً ما يقال فقد دنا
وقت يصح لنا به التأبين
واخوك بـ(الشام) العريقة نازل(٧)
لك فى قريضك مسعف ومبين
اوحى لك التدخين ما قد قلته
فى كل حرف منه نيكوتين
هبلتك امك كيف تمدح دمية
برطانةٍ ضحكت عليها الصين؟

● فاجابه مصطفى وهبى التل قائلا:

هلم هلم نلم شعث قريضنا
وبغير دين بنى النسيب ندين
فلقد تناولنا بلاذع نقده
جزل الحديث اخو حجاج رصين
تأبى عليه شمائل قرشية
ان تستخف بمثلنا (برفين)
مولاى إن الحسن لا وطن له
وحديث اخوان الصفاء شجون
و(الاشرفية)(٨) ما على ظبياتها
ان لا تكون رمالها (يبرين)(٩)
ودع الملام فما يلين قناتنا
فى حبها تعريضك الموزون
(برفين) يا مولاى لاعثرت بكم
(فى حلبة النظر السديد) عيون
رعبوبة ومن المحاسن حسبها
ان الفؤاد بحسنها مفتون
لم يثنه عن ان يهيم بحبها
عمر اقل سنيّه خمسون
او بعد هذا هل علىّ وصاحبى
جرح اذا ناديت يا (برفين)

ب - والمدارس وقد كانت هزيلة فى بادىء الامر كما خلفها العثمانيون لكنها اخذت فيما بعد تتدرج وتتطور ولا سيما من ١٩٥١/ ١٩٥٢ الى ١٩٦٠/١٩٦١ فقد جاء فى كتاب (الاردن الحديث) ما يشير الى ان عدد المدارس قد بلغ فى هذه الحقبة الفاً وستمئة وست عشرة مدرسة كان عدد معلميها ومعلماتها تسعة آلاف واربعمئة وستة وثلاثين وبلغ عدد طلابها وطالباتها مائتين وثلاثة وثمانين الفاً وتسعمئة واثنين وعشرين طالباً وطالبة والمدارس موزعة على هذا النحو:

(١) ـ حكومية ١١٧٦ مدرسة
(٢) ـ وكالة غوث اللاجئين الفلسطينين ١٧٥ مدرسة.
(٣) ـ مدارس خاصة ٢٦٥ مدرسة.

ج ـ **الصحافة**: اما الصحافة الاردنية فانها منيت بقصر العمر لكن الصحافة التى كانت ترد من مصر ومن لبنان ومن سورية ومن فلسطين فانها كانت رافداً او ينبوعاً من ينابيع الثقافة.

الثقافة الأردنية بعد نكبة العرب الكبرى سنة ١٩٤٨ وبعد اتحاد الضفتين رسميا سنة ١٩٥٠م.

لما وقعت النكبة وانضمت الضفة الغربية الى الاردن رسمياً سنة ١٩٥٠ دخل عنصر جديد فى الثقافة الاردنية بسبب اثر النكبة فى النفوس ولان وسائل الثقافة كانت قد اتيحت لتلك الضفة اكثر مما اتيحت للضفة الشرقية فدخلت المطبعة التى هى من وسائل الثقافة العظمى فى القدس:

فلما وقعت الكارثة سنة ١٩٤٨ اندفع من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية نحو نصف مليون لاجىء رحب بهم اخوانهم الارادنة بعمق ومحبة.

وعلى الرغم من هذه النكبة التى ما عرف التاريخ لها مثيلاً فان الاردن اتكأ على جراحه واخذ يواصل سيره متطوراً فى كل ناحية.

الشعر والشعراء فى الأردن

نشأت النهضة الشعرية فى بلاط الامير وانطلقت منه لان الامير نفسه كان شاعراً و ناثراً وخطيباً مفوهاً ومؤلفاً لذلك شجع الشعراء واخذ بيدهم فكان يجالسهم ويناقشهم وكان شعره نابعاً من الفطرة يكره الغموض فى الشعر(١٠) يكاد يكون مصوراً لدقة وصفه كما يبدو ذلك واضحاً فى قصيدته (البرق والغَوْر)(١١) واخوانياته لها نطوة فى القلب كما ظهر فى قصيدته بـ(الصورة) فى الصفحة الـ٥٣٩ ـ ٥٤٠(١٢).. بارع فى التغلغل الى اعماق النفس البشرية وذلك واضح فى قصيدته (الغيرة) الصفحة الـ٥٤٣(١٣) قال: وقد سئل عن (الغيرة):

شعور كمين وسط قلبى يذيبنى
اذا سارق المحبوب عين رقيبى
اذا شعرت نفسى بامر يريبنى
على من تحب النفس زاد لهيبى
أغارُ على المحبوب ما دام حبه
صحيحاً وللمحبوب كان وجيبى
اذا المرء لم يعبأ بما سر نفسه
فما ذاك فى جنبيه قلب لبيب
أرى الغَيْرة المعيار للحق واضحاً
وفاقدها فى الناس جد مريب
ايا سائلاً عَن غيرة عرفت بها
بنو العرب يوم العهد غير قريب
لقد وأد الاجداد جل بناتهم
حمية حُرٍّ للإباء مجيب
يخافون تدنيساً لعرض كريمة
بفقد كريم من اب وقريب
فتلك التى تُسمى بغيرة يعرب
وهذا جوابى وهو غير غريب

اما مؤلفاته فى النثر فهى:
١ ـ مذكرات الملك عبد الله ـ مطبوعة.
٢ ـ تكملة المذكرات ـ مطبوعة.
٣ ـ الامالى السياسية ـ مطبوعة.

شعراء البلاط الهاشمى

٤ ـ من انـــا؟ ـ مطبوع.
٥ ـ جواب السائل عن الخيل الاصائل ـ مطبوع.

ومن نشره وصفه لشاعر الأردن المغفور له (مصطفى وهبى التل) الذى لقب نفسه بـ(عرار): كما ورد فى كتاب (الملك عبد الله كما عرفته) للمرحوم الاستاذ (تيسير ظبيان) صاحب جريدة (الجزيرة) قال:

«انك يا (مصطفى) لمجموعة من متناقضات تعتز بها فى عينى: الصخب والشغب.. الرضى بعد الغضب.. خصم الاقوياء.. رفيق الضعفاء.. كريم فى فاقة.. نهاب وهاب.. فقير فى نفسك.. غنى فى صحابك.. لا أدرى عن عقيدتك لكنك غيور على ملتك.. اقليمى مفرط.. عربى متشطط.. اذا مات خصمك رثيته واذا احتبس عليك صاحبك ربما هجوته.

هذه صفات متناقضات تكونت فيك واجتمعت فاذا كانت ناحية منك تُغْضب فنواحٍ كثيرة منك ترضى فانت عقدة العقد تشبه الصوف الملتف بالشوك فمن ذا الذى ينقيك؟»(١٤).

(١) مصطفى وهبى التل.

قد ينصرف الذهن عند قولنا شعراء البلاط الى انهم وقفوا شعرهم على مدح الامير. الحقيقة ان هذا وهم لا اساس له فهؤلاء الشعراء لقبناهم هذا اللقب لانهم كانوا يجالسون الأمير ويطارحونه الشعر ويقربهم



ساحة الندوة وتظهر خلفها استراحة جرش السياحية

كما كان يقرب كل اديب ومفكر فشعرهم تناول كل غرض على نقيض ما روى التاريخ عن شعراء البلاط الذين كان شعرهم ـ تقريبا ـ وقفاً على اذاعة محامد ممدوحهم. فشعر (مصطفى وهبى التل) فيه تعريض بالامير وكان الامير ـ طيب الله ثراه ـ فى ذروة السماحة النفسية يوم كان مصطفى وهبى التل ـ عرار ـ يدخل القصر وقد طوف به عرق (قعوان) كل مطاف وهو فى قصيدته (بقايا الحان واشجان) خاطب الامير بابيات اضطر المشرف على ديوان عرار ان يحذفها لدى الطبع لكن الامير تسامح وأ غضّ عنها(١٥).

وبما أنَّا قد ذكرنا (عراراً) فلنعرف به ونعرج على

شيء من شعره لانه خير من يمثل الثقافة الاردنية من الشعراء.

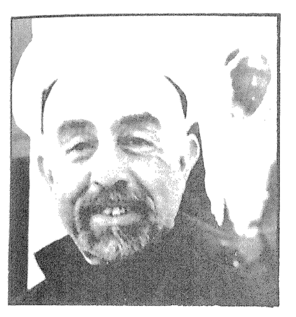
فهو (مصطفى وهبى بن صالح المصطفى اليوسف التل) من مدينة (اربد) مركز لوآء (عجلون) - شمالى الأردن - ولد فى الخامس والعشرين من ايار سنة ١٨٩٧ انهى دروسه الابتدائية فى (اربد) وفى سنة ١٩١٢ سافر الى دمشق فالتحق بمدرسة (عنبر) الثانوية وبعد مدة سافر الى (بيروت) فادخل فى (المكتب السلطانى) ثم عاد منه الى مدرسة (عنبر)، فى دمشق ثم جاءت ظروف ارغمته على الذهاب الى (حلب) فى شمالى (سورية) فانهى دراسته الثانوية ما بين ١٩١٧ - ١٩١٨م وسر هذه التنقلات الكثيرة بين المدارس والبلدان يعود الى انه كان منضماً الى النشاط الوطنى المناهض للحكم العثمانى.

وقد ذكر الدكتور (هاشم ياغى) فى معلوماته التى استقاها من مقدمة المحامى (محمود المطلق) - من اقرباء عرار - لعشيات وادى اليابس - الطبعة الاولى ومن كتاب (عرار شاعر الاردن) ليعقوب العودات ومن محاضرات الاستاذ الدكتور (ناصر الدين الاسد) ان (عراراً) كان يعرف «التركية - والفرنسية - وانه كان مولعاً بالفارسية خاصة وبرباعيات الخيام وانه ترجم بعض الشعر عن الفرنسية(١٦)

أجيز بممارسة المحاماة سنة ١٩٣٠ بعد ان درس القانون دراسة خاصة. . تولى مناصب حكومية كثيرة كان يُطلِّقها او تُطلِّقه لان شخصيته كانت تأبى عليه الاستمرار فى منصب يفرض عليه القيود. ولانه كان معارضاً للحكومة دائماً.

عُيِّن حاكما ادارياً لمديرية (وادى السير) وهى بلدة يسكنها (الجركس) لكنه أقيل بعد توليه المنصب باربعة اشهر.

ونفى الى (جدة) وسجن فى (معان) وهو فى طريقه الى منفاه - شهرا - وبعد هذا الشهر وصل الى (جدة) فاعتقل هناك نحواً من ثمانية اشهر ثم اخلى سبيله. ولما عاد الى الأردن عين فى مناصب عديدة لكنه لم يستقر فى منصب منها. فمارس المحاماة مع سخطه على الذين يُسيِّرون دفة الحكم فى الديار الاردنية كان ناقماً على الانكليز وعلى دار الاعتماد خاصة.



الملك عبد الله مؤسس المملكة الاردنية الذى كان ديوانه أبرز ينابيع الثقافة فى الاردن



فؤاد الخطيب — مصطفى وهبى التل

كان شديد الهيام بالاردن الى درجة جعلت الكثيرين يتهمونه بالاقليمية والعنصرية وكان يعرف لنفسه قدرها ويصرح بانه شاعر الأردن غير المدافع قال فى رثائه لفؤاد ابن عمه :

أ(فؤاد) جئتـك للسـلام فحيِّنى
واجتح حدود الرمس إن تك سامعى
انا (مصطفى وهبى) أتعرف من أنا؟
انـا (شـاعـر الأردن) غير مدافـع
قد جئت استجديك رد تحيتى
رد التحيـة عل ردك نافعـى

وكان يحب النَّوَر ولذلك سمى ديوانه باسم الفتاة النورية التى نصبها ملكة جمال (وادى اليابس)(١٧) ودعاها ـ مس وادى اليابس ـ وكان اسمها عشيات فسمى ديوانه باسمها تخليداً لها (عشيات وادى اليابس) :

يا اخت واد قد دعـوتـك باسمـه
ولـه نسـبـت تبركـاً ديـوانـى(١٨)

لا اطيل الوقفة عند (عرار) وان كان يستحق وقفة اطول لاذكر نفراً من شعراء البلاط الذين منهم :

(**فؤاد باشا الخطيب**)والده حسن ابن الشيخ يوسف الخطيب مصرى الاصل اقامت اسرته فى (شحيم) من اعمال لبنان من قرون خمسة فلما قام الشريف حسين بن على بالثورة العربية الكبرى انضم الشاعر اليها ولقب بشاعر الثورة العربية ولما اسس الامير عبد الله امارة شرقى الاردن استدعاه بعد زوال الحكم الهاشمى من الحجاز فلبى الدعوة سنة ١٩٢٦ فعين مستشاراً خاصا به .

وبقى فى الاردن الى سنة ١٩٣٩ وقبل ان يغادر الاردن سنة ١٩٤٠ سُنَّ قانون خاص مُنح بموجبه راتباً تقاعديا وهجر الاردن الى لبنان سنة ١٩٤٠

وضع مسرحيته المشهورة «**فتح الاندلس**» التى اثنى عليها شاعر القطرين خليل مطران اطيب الثناء . وفى سنة ١٩٤٤ دعى الى المملكة العربية السعودية فعين مستشاراً للمغفور له جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ثم عين وزيراً مفوضاً فسفيراً فوق العادة للمملكة العربية السعودية فى افغانستان وهناك ادركته المنية فنقل الى (شحيم) .

من اشهر قصائده تلك القصيدة التى نظمها اثر اعلان الثورة العربية الكبرى ومطلعها :

لمن المضـارب فى ظلال الـوادى؟
ريَّـا الـرحـاب تغص بالـورَّاد؟ .
الله اكـبر تلك أمـة يعـرب
نفـرت من الاغـوار والاجـنـاد

٣ ـ معالى الاستاذ (عبد المنعم الرفاعى) عمل سفيراً ثم وزيراً الى ان تسلم رئاسة الوزراء .

شعره انيق الديباجة يلتزم فى شعره عمود الشعر ـ وله قصائد كثيرة فى مدح الامير عبد الله ـ فالملك فيها بعد ـ وطنى النزعة ومن جيد شعره قصيدته (فلسطين الدامية بين الجلاء والتقسيم) يقول :

أتـركـى للطـير ارجـاء الحـمـى
والـضـحـايـا لنسـور الملعـب

● وفيها يقول :

لن يمـوت الشـرق والشمس التى
اشـرقـت من أفـقـه لم تغـب

ولدولته فى الغزل قصائد ساحرة .

● وقد تقاطر إلى عمان شعراء من النابغين مثل:

«عبد المحسن الكاظمى الشاعر المرتجل.. خير الدين الزركلى.. محمد على الحومانى وهو ذو اسلوب ساحر فى الالقاء».

وقد ظهر فى الاردن شعراء غير من ذكرنا يحتاج ذكرهم الى كتاب ضخم.

النشر والناشرون فى الأردن

ذكرنا ان امير الاردن كان شاعراً ناثراً ومؤلفا وقد برز فى الاردن عدد كثير من الادباء وكان اول ما كتبوا غير الشعر المقالات التى تناولوا فيها مجالات فكرية متنوعة فكان من الكتاب:

«المرحوم شكرى شعشاعة.. ومحمد اديب العامرى.. ورفعت العلبى وحسنى فريز وهو شاعر ثائر.. وعبد الحليم عباس.. وعبد المنعم الرفاعى.. واديب عباسى.. وروكس بن زائد العزيزى.. ومحمد الشريفى.. وجريس القسوس.. وخالد الساكت.. ومصطفى زيد.. وعيسى الناعورى».

ومن الضفة الغربية: «اسحق الحسينى.. ومحمود السمره.. وخليل السكاكينى.. وخليل ببدس.. ومحمود سيف الدين الايرانى».

وبعد المقالات جاء دور الاحاديث الاذاعية يوم اسست الاذاعة والمحاضرات فى كل فن ومطلب.

● وقد تنوعت فنون النشر مثل:

الرسائل: وقد كتب على هذا اللون كل من:

١ - المرحوم خليل السكاكينى الذى وضع كتاباً باسم ابنه (سري).

٢ - روكس بن زائد العزيزى نشر رسائله فى مجلة رقيب صهيون الشهرية التى كانت تصدر فى القدس موجهة الى (نبيل) حوت آراءه فى الادب والحياة ٣٤ - ١٩٤٠.

٣ - عيسى الناعورى موجهة الى (وحيد) سنة ١٩٤٦.

٤ - يعقوب العودات الذى لقب نفسه البدوى الملثم وجهها الى ابنه خالد صدرت فى كتاب فى سلسلة اقرأ.

الادب المدرسى: نشط التأليف المدرسى فى كل الموضوعات وقد وضع صاحب هذا المقال ثلاثة عشر كتاباً فى تاريخ الادب والمختارات الادبية والتاريخ وشارك فى اربعة بقواعد اللغة كلًا من الاستاذ خالد الساكت والاستاذ محمد سليم الرشدان ووضع كتابين لتعليم الصغار باسم المبتكر لتعليم اللغة العربية ومرشدا لمبتكر شاركه فيه المغفور له الشيخ ابراهيم القطان قاضى القضاه وآخر ما طبع له ثلاثة كتب للاطفال شارك فيها حسنى فريز ومحمود العابدى ١٩٨٥.

● ●

اصبح فى "عمان" وحدها اليوم.. اكثر من خمس وثمانين مطبعة فى عدادها مطابع عصرية من أرقى أنواع المطابع..

● ●

التاريخ: من ابرز الكتب التى وضعت فى هذا الباب:

١ ـ تاريخ شرقى الاردن وقبائلها لبك باشا ترجمة العين بهاء طوقان.

٢ ـ الحركة العربية وضعه الاستاذ سليمان موسى.

٣ ـ صفحات من تاريخ الاردن ـ مادبا وضواحيها ـ وضعه الاستاذ جورج سابا والاستاذ روكس بن زائد العزيزى.

٤ ـ للدكتور الاستاذ عبد الكريم الغرايبة ـ عميد كلية الاداب فى الجامعة الاردنية مؤلفات قيمة: **«سوريا فى القرن التاسع عشر. تطور مفهوم النضال العربى ضد الاستعمار. مقدمة فى تاريخ العرب الحديث. العرب والاتراك.. افريقيا العربية فى القرن العشرين».**

٥ ـ ولدولة المغفور له وصفى التل كتاب نفيس عنوانه: (كتابات فى القضايا العربية) فى ٥١٦ صفحة.

٦ ـ وللدكتور يوسف الغوانمة (تاريخ مملكة الكرك) وغيره من الكتب.

٧ ـ وللدكتور مصطفى الحيارى ـ الامارة الطائية فى بلاد الشام.

■ اما ما كتب على القضية الفلسطينية فلا يكاد يفى بها بحث مهما طال.

ومن الذين حققوا تحقيقات ماتعة ـ الدكتور الاستاذ عدنان البخيت عميد البحث العلمى فى الجامعة الاردنية فقد حقق (المنازل المحاسبة فى الرحلة الطرابلسية) والدكتور يحيى جبرله تحقيق وجمع الرحلة التنوخية.

ومن الذين حققوا تحقيقات قيمة الاستاذ الدكتور: عبد الكريم خليفة رئيس المجمع العلمى الاستاذ فى الجامعة الاردنية. فقد حقق (كتاب

● وجوه ثقافية ●



حافظ ابراهيم

(١٨٧١-١٩٣٢) لقب بشاعر النيل، ولد بالقرب من ديروط بصعيد مصر ومات فى القاهرة. كان أبوه مهندسا وأمه سيدة تركية. مات ابوه وهو فى الرابعة فقضى حياة مضطربة فى كفالة خاله ولم يتلق تعليما منظما ثم دخل المدرسة الحربية فى القاهرة وعين ضابطا فى السودان فاشترك مع بعض زملائه فى حركة تمرد على القواد الانجليز. وأحيل الى الاستيداع وعاد الى القاهرة حيث بقى فترة طويلة دون عمل وكان الأفق الوطنى حافلا بالأحداث الكبيرة فاتصل بكثير من الزعماء فى ميادين السياسة والفكر والاجتماع وبخاصة الشيخ محمد عبده.. شارك مشاركة قوية فى الأحداث السياسية معبرا عن مشاعر الطبقات الشعبية ثم عين فى وظيفة بدار الكتب المصرية.. وكان الاستعمار البريطانى يحرم على موظفى الدولة الاشتراك فى السياسة فلزم حافظ جانب الحذر وقل انتاجه أو ما كان ينشر منه.. وقد غلب الطابع السياسى والاجتماعى على شعر حافظ. اسلوبه فخم جزل دون تعقيد او مبالغة فى المعانى. وكانت له طريقة مؤثرة فى القاء شعره فى المحافل. طبع ديوانه فى حياته فى ثلاثة أجزاء صغيرة (١٩٠١-١٩٢٢) ثم طبع بعد وفاته شاملا لكثير من شعره الذى لم ينشر فى الطبعة الاولى وله كتاب نثرى **«ليالى سطيح»** على اسلوب المقامات. له ترجمة غير دقيقة لرواية البؤساء الفرنسية.

الـواضـح لابى بكـر الاشبيلى النحـوى المتوفى سنة ٣٧٩هـ ورسائل ابى العلاء المعرى فى ٧٩٠ صفحة من القطع الكبير.

ومن الـذين يستحقـون وقفـة خاصة
اللامع الاستاذ (احسان عباس) الذى وقفنا له على نحو خمسة عشر تحقيقاً بارعاً فى كل فن ومطلب وهو من اعضـاء مجمع اللغة العربية الاردنى جم النشاط. .

ومن المحققين اللامعين الدكتور الاستاذ يوسف نجم.

النقد فى الاردن: برز النقد فى الاردن فى اول أمره وهو تجريح لان هذا هو المفهوم الذى كان سائداً وكان بعضهم يعتقـد ان النقـد خصـومـة فاذا اتصل احد الاصدقاء بصديقه المنقود يقول له: «ول هذا فلان ذابحك» ثم تطور النقد الاردنى الى الموضوعية ولعل من اشهـر قضـايـا النقد فى الاردن الكتاب الذى وضعه الكاتب بعنوان «فريسة ابى ماضى» الذى اكتشف فيه اصول قصيدة (الطين) وانها للشاعر البدوى المرحوم (على الـرمتى) وقـد تردد صداهــا فى عالم الادب ومازالت اصداء هذا الكشف تتردد الى اليوم. . ولكى اوضح مقدار الحقد الذى كان يترسب فى النفوس على اثـر النقـد اعـرف اديبـاً نقـد اديبـاً آخر بحسن نية وبموضوعية فلما صار المنقود فى منصب مسؤول انتقم من الناقد بعد ثمان وعشرين سنة. . انتقاماً ادبياً الحق بالنـاقـد ضرراً بالغـاً لا يعوض، فادركت ان بعض النـاس يؤمنون بان الحقد عقدة وجهاء. . ولابد من اشارة الى ما كتبت (أمينة العدوات) فى النقد كاسهام للمرأة فى هذا الباب.

ومن النقاد المعروفين «**السلفة يوسف. . وابراهيم خليل. . ولكل منهما منزلته**».

الترجمة من اللغات الحية

الـذين مارسوا الترجمة من الارادنة كثيرون لكنى اقف عند اثنين باجلال وتكريم لانى اعدهما مدرستين سامقتين وهما:

١ ـ المغفور له «عادل زعيتره شقيق الرجل ـ اكرم زعيتر ـ فعادل رحمه الله ترجم سبعة وثلاثين كتاباً كلها من عيون الكتب منها:

«**أين الانسـان. . الآراء والمعتقـدات. . اصـل التفاوت بين الناس. . اصول الفقه الدستورى. . وغيرها**.

اما العملاق الثانى فهو المرحوم (خليل بيدس) صاحب مجلة «النفائس العصرية» التى كانت تصدر فى القدس فمن ترجماته:

«ابنـة القبطـان. . اهوال الاستبداد. . الحسناء المتنكرة. . شقاء الملوك. . الطبيب الحاذق. . وغيرها.

وله من الكتب الموضوعة خمسة عشر كتاباً وشارك الاستاذ شريف النشاشيبى بخمسة كتب. .

اما الاستاذ خيرى حماد فهو معجزة حقاً اذ ترجم اكثر من سبعين كتاباً.

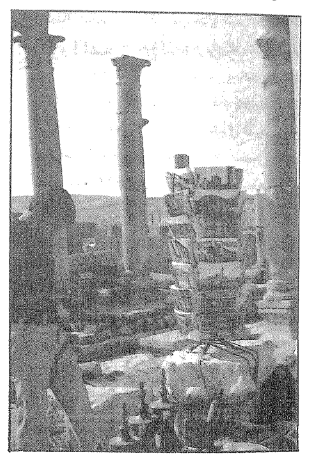
وهنـاك باقعـة آخر المربى الممتاز المرحوم (**خليل السكاكينى**) فقد طبع له ثلاثة عشر كتاباً لكن قيمة هذا الانسان تتركز فى آراءه فى التربية.

من الذين ترجموا عن الايطالية خاصة. . «**الاستـاذ عيسى الناعورى**». . ومن الذين ترجموا الكتب يوسف حنا ترجم (**فلسطين فى العهد الاسلامى**) والاستاذ انور عرفات ترجم (**رحلات ببركهات**) والاستاذ حسنى فريز ترجم (**طـاغـور واساطير يونانية**) والمرحوم امين ابو الشعر

ترجم (جحيم دانتي) وشاهر الحمود ترجم (السلطة والفرد) والاستاذ الدكتور البرت بطرس ترجم (انطاكية في عهد تيورد سيوس الكبير) وروكس العزيزي ترجم بعض القصص عن الفرنسية وغير هؤلاء ممن لا تحضرني اسماؤهم.

ادب التراجم والسير: هذا اللون من الادب والثقافة كان للارادنة فيه حظ وافر وسهم ربيح. ومن اشهر الكتب في هذا الباب:

١ - كتاب (من اعلام الفكر والادب في فلسطين) للمرحوم (يعقوب العودات) الذي كان يوقع كتاباته بـ(البدوي الملثم) طبع سنة ١٩٧٦ في ٦٨١ صفحة من القطع الكبير وهو كتاب مفيد جداً.



اعمدة اثرية في جرش

٢ - كتاب (من هو) طبع ١٩٨٤ جمع وتبويب (رشيد ابو غيدا)، (عدنان لبيون)، (الياس سمعان) في ٢٨٠ صفحة من القطع الكبير.

٣ - سدنة التراث القومي سيرة الأب انستاس ماري الكرملي طبع سنة ١٩٤٦ في القدس للعزيزي.

٤ - شاعر الانسانية سيرة احمد زكي ابو شادي طبع في مصر لروكس العزيزي.

٥ - الامام علي اسد الاسلام وقديسه - طبع في النجف سنة ١٩٦٦ وطبع مسروقاً في بيروت سنة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م طبع منه عشرة آلاف نسخة وطبعته القوات المسلحة الاردنية هدية للقوات الخاصة طبعة ثالثة سنة ١٩٨١م.

٦ - المرحوم عبد الحليم عباس في اصحاب الرسول.

٧ - كابد هاشم من بناة النهضة الاردنية - المجموعة الاولى.

القصة في الأردن

على الرغم من ان القصة حديثة عهد في الاردن الا ان ادباء الاردن مارسوا القصة بنجاح وان كانت قصص المرحلة الاولى كانت إلى المقالة اقرب منها الى القصة الا انها بعد الاستقلال خطت خطوات جيدة - فالذي اعرفه اني عندما اردت ان اضع كتاباً في الادب الاردني سنة ١٩٤٦ اتصلت بخمسة واربعين اديباً وكاتبا وطلبت من كل منهم بعد ان يُعِّرفَ بنفسه تعريفاً موجزاً ان يختار بنفسه احسن ما كتب من: «مقال او قصة او محاضرة او قصيدة».. على ان لا يزيد الاختيار عن نصين.



جاءتنى الاجابات كان اكثرها مقالات ولم يشذ عن ذلك سوى ما بعث به المغفور له شكرى باشا شعشاعة فكان قصيدة واقصوصة هى الى المقال اقرب منها الى القصة.

والمرحوم رفعت العلى بعث لى بقصيدة وبقصة فيها بعض عناصر القصة ومن المحزن ان هذا الكتاب فقد يوم نهبت دارى فى القدس سنة ١٩٤٨ وعُبِثَ بخـزانـة كتبى وعـاد لى من هذا الكتـاب اوراق معـدودات بهمة احد ضباط الجيش العربى الاردنى الصغار يومذاك وهو (مأمون باشا خليل) مدير الامن العام المتقاعد اطال الله عمره.

فمن القصاصين البارزين الذين يعدون رواداً:

١ ـ المرحوم خليل بيدس.
٢ ـ المرحوم محمود سيف الدين الايرانى.
٣ـ المرحوم الدكتور صبحى ابو غنيمه.

وممن كتبوا القصة بنجاح: «الاستاذ عبد الحميد الانشاحى.. والمرحوم عبد الحليم عباس فقد كتب الرواية (فتاة من فلسطين) وكتب القصة القصيرة وهو بحاثة ومحقق.. والاستاذ حسنى فريز كتب القصة القصيرة والقصة الطويلة بروح شعرية وكتب المرحوم محمد اديب العامرى القصة (شعاع من النور).

ومارس القصة مع الشعر وغيرهما من فنون الادب الاستاذ «عيسى الناعورى» ومن كتاب القصة المرحوم «امين فارس ملحس».. ومنهم الاستاذ «محمد سعيد الجنيـدى».. والاستـاذ «احمـد العنـانى».. ونجله الكـريم الدكتور «جواد العنانى».. وشارك العنصر النسوى فى القصة مشاركة تحمد، وممن كتبن القصة بنجاح «المرحومة سميرة عزام.. ونجوى قعوار».

ولما اسست رابطة الكتاب الاردنيين ظهر من اعضائها كثيرون كتبوا القصة ومن الذين اجادوا:

«فخـرى قعـوار.. سالم النحـاس.. جمال ابو حمدان.. محمـود شقـير.. خليـل السـراحـرى.. الدكتور عبد الله الشحام.. احمد جبر.. فؤاد القسوس وهـو صيـدلانى كيـماوى.. عصـام موسى.. مفيد نحله». وقد برع فى المسلسلات التاريخية **«الدكتور وليد سيف»** وان كان هذا يدخل فى باب الاعمال التلفزيونية.

وهناك كثيرون لا سبيل الى حصرهم اذا علمنا ان رابطة الكتاب تضم اليوم ـ كما ذكرنى رئيسها الدكتور (خالد الكركى) من مدة نحواً من (٣٣٠) عضواً.

نشوء المسرح فى الأردن

كنـا اول من نبـه على وهم كاد يتصوره الناس حقيقة وهو الاعتقاد ان المسرح لم ينشأ فى الاردن الا فى الستينات.. والحقيقة ان اول رواية مثلت فى الاردن كانت سنـة ١٩١٣ فى ديـر الـلاتين فى (مادبا) وهى تمثيلية هزلية اسمها «هات الكاوى يا سعيد» غرضها فضح ادعاء المدعين. ونامت الحركة المسرحية كل ايام الحـرب العـالميـة الاولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨م وفى سنة ١٩١٨ بعث الحركة المسرحية فى (مادبا) مجموعة من الكتاب وكنت من المشاركين فى احياء الحركة المسرحية فى تلك الفترة.

ولما حول عملى القلمى الى مدينـة (عجلون) فى شمالى الاردن نقلت فكرة المسرح اليها وانشأت ناديا ـ مع الـدكتور الهولندى يعقوب برونج ـ دعوناه (نادى عكـاظ) كان من نشـاطـاتـه: «المسـرحيـات..

المحاضرات . . تعليم الفنون الجميلة ـ الرسم ـ الحفر فى الخشب ـ الموسيقى . . الرحلات .

وفى سنة ١٩٦٤ اسست اسرة المسرح فاصبح للوزارة او بالاحرى لدائرة الثقافة والفنون، اسهام رسمى وزاد اسهامها يوم تأسست جمعية الفنون الشعبية سنة ١٩٦٨ وشاركت فى نهضة المسرح مشاركة محمودة الجامعة الاردنية من سنة ١٩٦٨ الى الآن . . يمثل طلابها فى بعض الكليات المسرحيات الجادة الهادفة .

الاذاعة والتليفزيون وخدمة المسرح

وقد نهض التأليف المسرحى بفصل تشجيع الاذاعة الاردنية والتلفزيون الاردنى ونهض التمثيل نهضة جعلت للاردن حضوراً محموداً تعثر فى اول الامر لغياب العنصر النسوى لكن لما شاركت المرأة صار التمثيل طبيعياً ولم يعد من الضرورى ان يرتدى شاب ملابس فتاة ليقوم بدورها فأضحى فى الاردن نهضة مسرحية تحمد وامسى فيها نجوم لا يقلون فى مستواهم عن اخوانهم فى مصر وفى لبنان واخذت المسرحيات والمسلسلات الاردنية تعرض فى الكثير من البلاد العربية وجاء دور الاغنية الاردنية لتنشد بالفاظها فى الهند وفى غيرها من بلاد الله الواسعة وكان رواد هذه الاغانى :

١ ـ *المرحوم الشاعر رشيد زيد الكيلانى .*
٢ ـ *والاستاذ سليمان المشينى الشاعر المدير العام للاذاعة الاردنية الهاشمية .*
٣ ـ *والشاعر المبدع الاستاذ حيدر محمود المدير العام لدائرة الثقافة والفنون وغيرهم .*

المطبعة والصحافة وأثرهما فى اغناء الثقافة

لم تعرف الديار الاردنية المطبعة قبل تأسيس الامارة واليوم اصبح فى (عمان) وحدها اكثر من خمس وثمانين مطبعة فى عدادها مطابع عصرية من ارقى انواع المطابع ووجود المطابع ثروة عظمى تساعد على اغناء الثقافة وحبذا لو كان هناك دور نشر متخصصة صحيح ان هناك بعض الناشرين لكن على نطاق محدود .

اما الصحافة فقد كانت كما اسلفت قصيرة العمر فى (شرقى الاردن) ويهمنا ان نذكر المجلات التى كانت تغذى الثقافة وتبرز ما تنتجه الافكار والاقلام نذكر منها :

*١ ـ **مجلة (الجزيرة)** لصاحبها المرحوم (تيسير ظبيان) وقد كانت تظهر فى (دمشق) وقد ذكرنى الاستاذ (ظبيان) أن المغفور له الامير (عبد الله بن الحسين) شجعه على نقلها الى (عمان) وقد فعل سنة ١٩٣٩ وقد صدر منها عدد ممتاز سنة ١٩٤٠ فى شهر تشرين الثانى فى اثنتين وخمسين صفحة من القطع الكبير وقد كتب فى هذا العدد النخبة من ادباء الاردن مثل :*

«شكرى باشا شعشاعة . . مصطفى وهبى التل . . محمد الشريفى . . روكس بن زائد العزيزى . . محمد اديب العامرى . . عبد المنعم الرفاعى . . حسنى فريز . . عبد الحليم عباس . . رفعت العلى . . جميل دياب . . عيسى الناعورى . . جريس الغسوس . . البدوى الملثم . . حسنى زيد الكيلانى . . رشيد زيد الكيلانى . . محمد زيد الكيلانى . . مصطفى زيد» .

وقد كتب فى هذا العدد بعض ادباء فلسطين وضمت اعداد الجزيرة اقلاما من سورية وكان

لصدور هذا العدد قيمة خاصة لان امير البلاد افتتح هذا العدد بكلمة سامية كان وساماً فى صدرها.

وعلى اثـر صدور العـدد الممتاز اخـذت المناقشات الادبية والمساجلات تظهر على صفحات الجزيرة ويـرز اسم صاحب السمو واضحاً حينا واحيانا متسترا وراء توقيع مستعار لكن اسلوب سموه كان ينم عليه. ومن الذين شاركوا فى النقاش المرحوم (سعيد جمعة) والمرحوم عبد الحليم عباس.

وقـد كان لهذه المجلة فضـل لا ينكـر فى تنشيط الحركة الثقافية ومن المؤسف انها تحولت فى آخر ايامها جريـدة مع هذا فقـد ظلت ميـدانـاً لأقلام كثير من الكتاب النابهين.

(٢) مجلة الرائد لصاحبها المرحوم المحامى (امين ابو النعر) ظهرت اسبوعية وسدت فراغاً لكنها لم تعمر طويلاً.

(٣) مجلة القلم الجديد ـ لصاحبها المرحوم الاستاذ عيسى الناعورى صدر العدد الاول منها فى اول شهر ايلول ١٩٥٢ وصدر آخر عدد منها فى اول آب ١٩٥٢.

لقيت رواجاً كبيراً كان العدد الحادى عشر خاصاً بـ(ليبيا) وكان كتابه من اخواننا الليبيين وخصص العدد الثانى عشر والاخير بالمهجر وكان عدد صفحاته ٧٢ صفحة.

(٤) الافق الجديد.. صدرت سنة ١٩٦١ نصف شهـريـة ثم صارت تصـدر شهـرية خدمت النهضة الادبية خدمة جلى لكنها لم تستطع الاستمرار فتوقفت عن الصدور سنة ١٩٦٥.

● وصدر عن دائرة الثقافة والشباب هذه المجلات:

(٥) افكار.. وقد خدمت النهضة ـ توقفت مراراً لكنها عادت الى الظهور.

(٦) الشباب.. توقفت ثم عادت الى الظهور.

(٧) الفنـون الشعبية ـ توقفت نهائياً بعد ان خدمت التراث الشعبى خدمة جليلة.

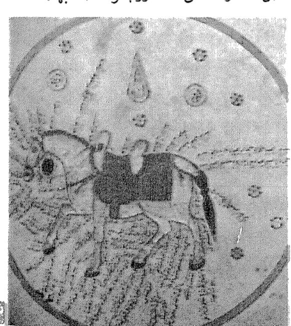
(٨) صوت الارض المقـدسـة كانت تصـدر فى مطلع كل شهـر عن المكتب الكـاثـولكى للصحـافة والنشر واصلت مسيرتها ست سنوات.

(٩) جريـدة فلسطـين صدرت فيـها بعـد باسم الدستور وتصدر اسبوعياً ملحقا ثقافيا بعد ان وحدت هى وجـريدة الجهاد وهى الجهاد الاسبوعية التى كنا نحررها سنة ١٩٤٨.

(١٠) جريدة الدفاع مازالت تصدر ملحقاً ثقافيا.

(١١) وجـريـدة صوت الشعب بعـد ان كان اسمها (الشعب) وهى تصدر ملحقا ثقافيا كل اسبوع.

(١٢) وهنـاك جريـدة الوفاء لصاحبها المرحوم الاستـاذ صبحى زيد التى تحولت الى مجلة اسبوعية قبل ان تتوقف عن الصدور بموت صاحبها.



الاهتمام بالآثار

قال احد رجال الآثار البارزين: لو سورت الاردن لكانت من اعظم دور الآثار في العالم لما حوت من الآثار الخالدة فى: « **قرية التَّنّور. . القدس. . البيضا. . الكرك. . اريحا. . السامرة. . تل السعيدية. . مادبا. . باب الذراع. . ام قيس. . عاى. . الهيكل. . الازرق. . جرش. . رمّ. . المخيط. . تللات الغول. . فحل. . الكتابات الصفوية. . عمان. . الجيب. . القويسمة. . تل الفارعة. . القويبته. . تل الخليفة. . الفرديس. . دوثان. . وغيرها من المدن والقرى**».

وقد كانت هذه الآثار فى العهد العثمانى مهملة وليتها كانت مهملة وحسب لكنها كانت تدمر وأصحاب السلطة لا يحركون ساكنا. لكن بعد تأسيس الامارة اتجهت الانظار الى الآثار التى فى المدن والقرى والصحارى وكانت الآثار تنقل الى القدس فى عهد الانتداب لصيانتها فلما انشئت دار الآثار اعيدت الآثار التى حفظت فى القدس وصارت الحكومة تهتم بالآثار ولما تأسست الجامعة الاردنية صارت الآثار تدرس فى كلية واضحى الناس الذين كانوا قديما يدمرون الآثار من اجل الحصول على حجارتها للبناء صاروا يحافظون عليها وبعد ان كان الاطفال نكبة على الزخارف النفيسة (الفسيفساء) صاروا اليوم يعرفون لها قيمتها.

الاهتمام بالتراث الشعبى

كان اول من تنبه للتراث الشعبى فى الاردن ولدراسة الآثار جماعة من الرحالة الاجانب واول من وضع كتاباً تناول فيه حياة الشعب الاردنى وتراثه باللغة العربية كان الارشمندرين (بولس سلمان) - المطران فيما بعد - فقد وضع كتابه النفيس «خمسة اعوام فى شرقى الاردن» فى ٢٨٦ صفحة من القطع الوسط وطبعه فى (حريصا) - لبنان - سنة ١٩٢٩ ووضع مقدمته شاعر القطرين المرحوم (خليل مطران) وقد نقدنا هذا الكتاب فى حينه نقداً مراً نشرنا اول مقالة منه فى مجلة «الامناء» التى كان يصدرها فى القاهرة المرحوم الاستاذ (سليم قبعين) لكن قسوة النقد جعلت شاعر القطرين يتدخل لوقف مقالاتى الثلاث الباقية وفعلا حيل دون نشرها.

ثم تلاه المرحوم (عودة باشا القوس) فى كتابه (القضاء البدوى) فى احدى وخمسين صفحة طبع سنة ١٩٣٦ فى ٢١ كانون الاول وطبع طبعة ثانية ١٩٧٢م فى ١١٠ صفحات.

ولما قرر ان يترجم فى مكان آخر. . سئلنا عن كثير من الاصطلاحات البدوية التى فى الكتاب فوضحناها لهم بالعربية الفصيحة ولا ندرى أأشاروا الى ذلك ام اغفلوه؟. . ثم وضعنا كتابنا «قاموس العادات» واللهجات والاوابد الاردنية» الذى اقترحه علينا استاذنا العلامة (الاب انستاس الكرملى) والعربانى لويس ماسنيون - خدمة للمجمع العلمى فى القاهرة سنة ١٩٣٨ وظل الكتاب ينمو نموه الطبيعى الى ان نهب فى عداد ما نهب من دارنا فى القدس سنة ١٩٤٨ وفى هذه السنة عدت الى تأليف الكتاب وما نهب من مخطوطاتى وتم طبع الكتاب بعون الله وبهمة الاستاذ (معن باشا ابو نوار) ومساعده (حابس باشا) المجالية - المشير اليوم - قائد القوات المسلحة الاردنية ١٩٧٣ - ١٩٧٤ واعيد طبعه يوم اهديته الى ابناء الشهداء من الجيش العربى.

وبعد ذلك وضعت مسلسلات بدوية بثت من (دبى) وزارت اكثر البلاد العربية ثم طبع لى كتابى

(معلمة للتراث الاردني) وهو في خمسة اجزاء يتناول الحياة الاردنية اصولا وفروعاً. وقد اهديته الى جلالة الحسين المعظم في ذكرى ميلاده السعيد.

وبعد ذلك وضع صديقنا العزيز الاستاذ الدكتور هاني العمد كتابه «اغانينا في الضفة الشرقية» وهو كتاب نفيس ثم كتابه الامثال الشعبية وكتابه اللطيف البكائيات.

وبعد ذلك وضع الاستاذ الكبير المحامي (محمد ابو حسان) كتابه الفذ (تراث البدو القضائي نظرياً وعمليا).

ثم وضع الاستاذ محمد العويدي العبادي مجموعة من الكتب تناول فيها حياة البدو.

وبعد احتلال اسرائيل (فلسطين) ومحاولتها ان تطمس كل اثر للحياة العربية الفلسطينية تنبه القوم لقيمة التراث فانطلقت الاقلام من عقالها تدرس كل ظاهرة بهمة لا تعرف الملل واضحى من المتعذر حقاً ان يلم الكاتب بكل ما كتب على هذا الموضوع وحسبك من ذلك الموسوعة الفلسطينية التي ما تزال تعتمد على كبار الكتاب من ابناء فلسطين.

مستقبل الثقافة في الاردن كما أراه

ان الذي اراه في مستقبل الثقافة الاردنية ـ قياساً على ما وصلت اليه من ازدهار اليوم وقد بدأت كما يقول المعاصرون من الصفر ـ يشير الى انها اليوم بخير كثير ولا نخشى عليها انتكاسا في المستقبل او انتقاصا لكننا نخشى من التوسع في التعليم الذي وصل الى اقاصي الصحراء. ان يجعل التعليم الذي هو اساس الثقافة بهرجاً لا يقوم على اساس متين فتهتز الثقافة كما ان لنا ملاحظة ـ ان لم يتداركها المسؤولون ـ تنم على قصور وهذا القصور يتجلى في:

١ ـ خلو المملكة من دار نشر كبرى تتولى طباعة ونشر مؤلفات الادباء والمفكرين الارادنة وهذا اذا استمر لا شك في انه سيصيب الثقافة بشلل.

٢ ـ خلو المملكة من مكتبة عامة غنية بالمراجع التي تعين الباحثين على ما هم في سبيله من البحث هذا اذا استثنينا مكتبة امانة العاصمة ومكتبات الجامعات الثلاث ومكتبة المجمع اللغوي وهذا ليس كافيا.

فان لم يتدارك المسؤولون هذين الخللين فان الثقافة ستصاب بشيء من الجمود وهناك قضية تهدد الثقافة وهي ان مناهج التعليم تحتاج الى اصلاحات كثيرة لكي تصبح وافية باغراض البلاد اذ ان فكرة حشو الادمغةوالاعتماد على الذاكرة مازالت مسيطرة. وهنا اتوقف قليلا لاقول انتم اردتم ـ والسؤال موجه للمسؤولين في وزارة التربية والتعليم ـ ان يظل الفكر معطلا والذاكرة وحدها هي العاملة؟.

فعسى ان يتنبه المسؤولون الى واجباتهم قبل فوات الاوان.. والله الموفق وهو المستعان.

هذه الالمامة بالثقافة الاردنية سجلتها اجابة لطلب صاحب مجلة المنهل الشهيرة وليس معنى هذا اني اومن بالاقليمية او ادعو اليها من قريب او من بعيد لكني اعتقد ان كل قطر يتلون ادبه العربي بلون البيئة والعادات والتقاليد وهو ادب عربي واحد لا يتجزأ.

---

(١) لم يؤثر عن متعلم في كل حياته ان صنع مكرمة ومكرمته الوحيدة هي انه يحسن مسك الورق والدفاتر وقد قلبوا الدال تاء. (العزيزي).

(٢) الخاوة هي اتاوة يفرضها القوي على الضعيف ليحميه من الاعتداء على حياته او ممتلكاته ومن المحزن أن الادارة العثمانية دفعت (الخاوة) لزعماء القبائل ليحرسوا حجاج بيت الله الحرام وليحافظوا على الحياة من النهب عند جبايتهم الاموال الاميرية.

وقد ذكر ذلك صاحب هذا البحث فى مخطوطته (الخاوة فى الاردن) و Libbyhosltins- The jordan Vally .

(٣) الاتجاهات الادبية الحديثة فى فلسطين والاردن.

(٤) كانوا يغلطون فى كتابة الاردن ويثنون الكلمة بلا نسبة فتصبح حدودها الشرقية تشمل الشرق كله، والصواب شرقى الاردن (العزيزى).

(٥) الآثار الكاملة للملك (عبد الله بن الحسين) الدار المتحدة للنشر الصفحة الـ ١٨٩ بيروت سنة ١٩٧٢.

(٦) اى الهندسة اخف ضرراً من التصوير لان احد ابنائها كان يحترف التصوير.

(٧) يقصد بقوله اخوك ـ الدكتور صبحى ابو غنيمة.

(٨) الاشرفية جبل فى جنوب عمان الشرقى وكانت (برفين) تسكنه.

(٩) بيرين موضع فى شبه جزيرة العرب فى الاحساء.

(١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤) راجع الصفحات ٥٣٥، ٥٣٨، ٥٣٩ـ٥٤٠، ٥٤٣، ٨٠ـ٨١ من كتاب الآثار الكاملة للملك عبد الله بن الحسين.

(١٥) عشيات وادى اليابس الطبعة الثانية الصفحة ال ٢١٥.

(١٦) بحث للاستاذ الدكتور هاشم ياغى الصفحة ال ٨٣و٨٤ من كتاب (ثقافتنا فى خمسين عاما).

(١٧) (وادى اليابس) موقع جميل شمالى (عجلون) سماه المغفور له الملك عبد الله (الوادى الاخضر).

(١٨) ذكر لى المرحوم (زعل القسوس) ١٩٥٨ ان اسم الفتاة الغجرية التى كان يحبها المرحوم عرار هو (عشيات) وباسمها سمى ديوانه وقد غابت هذه الحقيقة عن كل من كتب على هذا الشاعر الكبير وظنوا ان عشيات جمع عشيه ـ آخر النهار ـ وهو وهم فهم والمرحوم (زعل القسوس) من رجال القانون كان على صلة أسرية وثيقة هو والشاعر. وفى البيت اشارة واضحة لما ذكر (العزيزى).

(١٩) اسمها ترسم ويكتبون رسم الاطفال صورها ووضع المؤلفون لها قصصاً مناسبة.

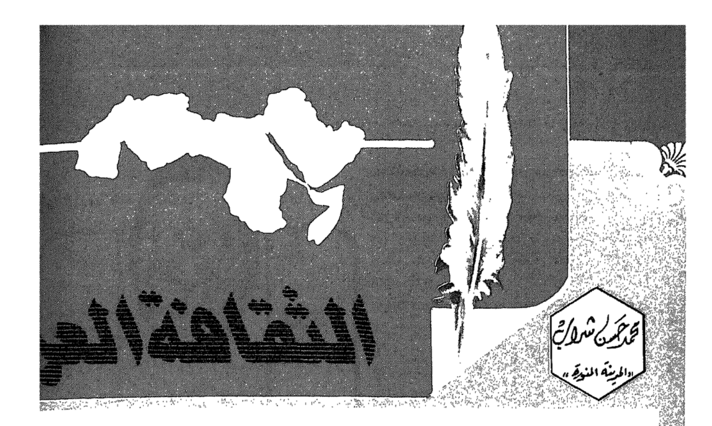
(٢٠) الاستاذ سليمان موسى والمرحوم (محمود العابدى) يستحقان ان نقف عندهما وقفة خاصة لو ان المقام يتسع لذلك فمن مؤلفات سليمان موسى؛ (ايام لا تنسى) الاردن فى حرب ١٩٤٨.. (فى ربوع الاردن).. (المراسلات التاريخية ١٩١٤ـ١٩١٨) وغيرها كثير.. اما المرحوم العابدى فمن مؤلفاته (عمان فى ماضيها وحاضرها) و(مخطوطات البحر الميت) هذا المقال فيه اشارات الى الثقافة الاردنية فى القرن الرابع عشر. والموضوع يستحق كتاباً ضخماً ولعله لا يفى بما يجب (العزيزى).

● وجوه ثقافية ●



جبران خليل جبران

جبران خليل جبران: (١٨٨٣ـ١٩٣١) شاعر لبنانى عميد أدباء المهجر وأوسعهم تأثيرا. ولد فى «بشرى» بلبنان وتعلم فى مدرسة الحكمة ببيروت. هوى الأدب والرسم معا فاتجه الى باريس لدراسة الفن وهناك اتصل بالمثال العالمى «رودان». هاجر صبيا مع بعض اقاربه الى الولايات المتحدة قبل ان يعود اليها شابا وهناك مارس الرسم وانتج معظم شعره ونثره وحين الفت «الرابطة القلمية» من ادباء المهجر فى نيويورك ١٩٢٠ انتخب عميدا لها وكان اعضاؤها من اشد دعاة التجديد تحمسا. تعبر كتاباته عن شوق محرق الى العدالة والحرية وثورة عنيفة على التقاليد. وقد صاغ لنفسه اسلوبا سهلا يجمع بين الحرارة الوجدانية والتأثير الخطابى وكتب بعض القصص «الأرواح المتمردة» و«الاجنحة المتكسرة» وكثيرا من الشعر المنثور «عرائس المروج» و«رمل وزبد» وقليلا من النظم «المواكب» وكتب بالانجليزية «النبى»وهو احسن كتبه على الاطلاق اذ تكاملت فيه مواهبه الشعرية والوعظية (ترجم الى العربية).



إن مفهوم الثقافة العربية ـ كما حدده منهاج المنهل وكما هو واقع ـ يشمل مناحى متعددة يحتاج التبسط فيها إلى مقالات بل مجلدات ولذلك عمدت إلى الايجاز لأضمن شمول هذا البحث المناحى كلها أو أكثرها دلالة على الموضوع ثم إن الحديث عن الثقافة العربية فى فلسطين تعترضه صعوبة تحديد الأرض التى تحتضن الثقافة العربية الفلسطينية حيث اتسعت الرقعة التى يسكنها العربى الفلسطينى بعد الهجرة وبعد النكسة وفى كل مكان يحل فيه الانسان يكون منتجاً ولذلك فإن الصعوبة تكمن فى نسبة هذا الانتاج ـ هل إلى الأرض ـ أم إلى الانسان؟ وبخاصة اذا حصل الفلسطينى على وثيقة رسمية تمنع من دخوله فى الاحصاء الرسمى . . ولأن الثقافة العربية التى نبحث عنها تجمعها فى الوطن العربى خيوط واحدة ولا تكاد تختلف بين الأقاليم إلا بمقدار ما يؤثر المناخ على لهجات الناس فى المنطق. وبسبب هذه الظروف فإننى قصرت بحثى على الثقافة العربية الفلسطينية فى الأرض الفلسطينية أو ما يشبهها ففى الفترة التى سبقت النكبة سنة ١٩٤٨م هناك أرض وشعب وانتاج موحد أما الفترة التى تلت النكبة فهناك أرض فلسطينية وعليها شعب: فى الضفة الغربية وقطاع غزة والأرض المحتلة.

وهناك تجمعات فلسطينية حافظت على هويتها الرسمية والموروثة وهؤلاء الذين هاجروا الى سورية ولبنان وتجمعوا فى مناطق تشبه تجمعهم فى بلدهم فلسطين. وقد اقتصرت فى البحث عن الثقافة على هذين التجمعين الأصيل والطارىء وألمحت إلى ما كان موزعا فى انحاء المعمورة.

■«**التعليم**» أصل الثقافة وبداية كل معرفة. . كان التعليم فى بلادنا فلسطين فى القرن الثالث عشر الهجرى يجرى فى الكتاتيب والمساجد وبعض دور القرآن التى أسست فى القدس ونابلس ولم تؤسس المدارس النظامية التى تشرف عليها الدولة إلا فى المنتصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى ففى عام ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م أنشئت فى استانبول أول وزارة للمعارف وتقرر فتح المدارس فى القرى والمدن التابعة للحكومة التركية وتأسست فى فلسطين ثلاث مراحل للتعليم: الاولى: الابتدائية وتنشأ فى القرى والمدن ومدتها ثلاث أو أربع سنوات والمرحلة الثانية: الرشدية ومدارسها فى مراكز الأقضية. . ومدتها ثلاث



سنوات والمرحلة الاعدادية ومدتها سنتان فى مراكز ألوية القدس ونابلس وعكا.

وهنـاك مرحلة ثانوية عليا وتسمى «**السلطانية**» وكان فى فلسطين كلها مدرسة واحدة من هذا النوع أحـدثـت عام ١٩١٥م فى بيـت المقـدس ويلتحق خريجوها بالجامعة العثمانية فى الآستانة وكانت المدارس المفتوحة خاصة بالذكور.

والتعليم الدينى أساس التعليم والتدريس باللغة التركية وفى سنة ١٩٠٨م أدخلت تعديلات على قانون التعليم ودخلت فى المنـاهـج الدراسية المواد العلمية والـرياضية وأصبحت العربية لغة التعليم وكان الى جانب المدارس الحكومية مدارس الارساليات الأجنبية وكانت تتفوق على سابقتها فى الجوانب العلمية.

أما فى العهـد الـبريطـانى الذى بدأ سنة ١٩١٧م فكانت مراحل الدراسة تبدأ فى صف «**بستان**» الأطفال ومدته سنة واحـدة ثم المرحلة الابتدائية ومدتها سبع سنوات ثم المرحلة الثانوية ومدتها أربع سنوات. ولكن هذا النظام لم يكن سائـدا فى جميع أنحاء فلسطين لأن المدارس الابتدائية لم تكن منتشرة فى جميع القرى واذا وجدت المـدرسـة الابتدائية فإنها تكون ناقصة ولا يوجد تمام المرحلة الابتدائية إلا فى بعض القرى.

ولـم يكن فى فلسطـين زمن الانتداب البريطانى إلا ثلاث مدارس ثانـويـة كاملة للطـلاب وهى الكليـة العـربيـة والمـدرسـة الـرشيـدية فى القدس والمدرسة العامرية فى يافا وقد اكتملت الأخيرة سنة ١٩٤٦.. لذلك كان القسم الأكبر من الطلبة من تلاميذ المرحلة الابتدائية.

ففى العـام الدراسى ١٩٤٥/١٩٤٦م بلغ عدد الطلاب فى المدارس الحكومية حوالى ثلاثة وثمانين ألفا كانت نسبة الطلاب فى المرحلة الابتدائية منهم ٩٨٪.

و بعد انهاء المرحلة الثانوية يلتحق بعض الطلاب بأحد المعاهد العالية وهى اثنان للبنين واثنان للبنات أما معهدا البنين فهما الكلية العربية والمدرسة الرشيدية ومعهدا البنات هما: كلية المعلمات فى القدس ومركز تدريب المعلمات الريفى فى رام الله.

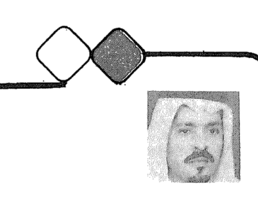
وفى أواخر عهد الانتداب أنشىء معهد الحقوق فى القدس ومدته الدراسية خمس سنوات بعد انهاء المرحلة الثانوية أما التعليم المهنى والزراعى فكان محصوراً فى

مدرستين: مدرسة «خضورى» الزراعية ومدرسة «حيفا» الصناعية.

وبعد سنة ١٩٤٨م انضمت الضفة الغربية الى الأردن فشمل التعليم كافة المدن والقرى وتعددت المدارس الثانوية والاعدادية وتوزع الطلاب بعد المرحلة الثانوية بين جامعات الاردن وسورية ولبنان ومصر ونهض كذلك التعليم فى قطاع غزة الذى تشرف عليه الادارة المصرية وكان معظم طلاب القطاع يدخلون الجامعات المصرية بعد إنهاء المرحلة الثانوية وبعد سنة ١٩٦٧م تأسست فى المناطق العربية من فلسطين أربع جامعات: «الجامعة الاسلامية فى غزة.. وجامعة النجاح فى نابلس.. وجامعة بيرزيت.. وجامعة بيت لحم» والثلاثة الأخيرة فى الضفة الغربية وكانت بداياتها القديمة مدارس أهلية دعت الحاجة الى تحويلها الى جامعات.

وقد نشطت جهود التربويين فى فلسطين منذ فترة مبكرة من تاريخ فلسطين وشهدت الساحة التربوية عددا من الباحثين فى هذا المجال قبل النكبة وبعدها: ومن رواد التربية الكبار «خليل سكاكينى» (١٨٧٨-١٩٥٣م) الذى أسهم فى تدريس اللغة العربية تنظيراً وتطبيقاً وكان فى طليعة الرواد الذين دافعوا عن اللغة العربية فى وجه الهجمات التى كانت تشن عليها.. ودعا الى تقديسها والذود عنها وهو يقول فى هذا الصدد:

«اللغة قبل كل شىء هى العنصر الذى نقيم به أمجاد الأمة وعلينا أن نعلم الولد كرامة أمّته ومجدها فى الكلمات العربية ليقرأها ويشعر بأنه يشرف على مجده وعزته من خلال الحروف والكلمات» وله من الكتب «الجديد فى القراءة العربية» أربعة أجزاء والدليل الأول والثانى فى تعليم اللغة العربية.



إننّا نجد أن المفروض تقبل الجديد بصدر رحب.. ثم تمحيصه واخضاعه لهويتنا الثقافية الدينية والقومية أى ضم الطريف إلى التليد فاذا تجافى ذلك الجديد عن هويتنا الثقافية، ومقوماتنا كأمة عربية حق لنا حينئذ رفض ذلك الجديد.. بل وجب علينا محاربته دون هوادة.. وبالقدر نفسه نرفض الانغلاق على انفسنا، والانكفاء الى داخلنا.. بل نطالب - فضلا عن ذلك - بضرورة الانفتاح على تيارات الثقافة العالمية لنأخذ منها ما يناسبنا، ويحقق معارفنا بدماء جديدة ومفاهيم جديدة تكون - فى النهاية - بعد صهرها وهضمها وتعريبها مفخرة من مفاخرها قبل أن تضيع عنا ما ابتنته جدودنا.

«على محمد العمير»

ومن المربين الرواد: أحمد سامح الخالدى ـ الذى أسهم فى حقل التربية والتعليم (١٨٩٦ ـ ١٩٥١م) ومن كتبه «**ادارة الصفوف**» و«**أركان التدريس**» و«**طرق التدريس المثلى**».

ومن المربين القدماء: خليل بيدس (١٨٧٥ ـ ١٩٤٩م) وقد ألف فى الحساب والقراءة والصرف ومن كتبه «**العقد الثمين فى تربية البنين**» و«**مرآة المعلمين**» ومن المربين مصطفى مراد الدباغ وله كتاب «**مدرسة القرية**».

ومن المؤلفين فى التربية: خليل طوطح وله كتاب «**التربية عند العرب**» ولاسحق الحسينى «**رأى فى تدريس اللغة العربية**» و«**أساليب تدريس اللغة العربية**» ولأسحاق أحمد فرحان اهتمام كبير بقضايا التربية ومشكلاتها ومن كتبه «**التربية الاسلامية**» أهدافها وسماتها وتجديدات العصر لها. ولعبد الرحمن عدس كتاب «**مبادىء الاحصاء فى التربية وعلم النفس**» ولا يتسع المجال هنا لذكر أعلام التربية من أبناء فلسطين وأحيل القارىء الى البيبلوغرافيا الفلسطينية الأردنية (١٩٠٠ـ١٩٧٠) و(١٩٧١ـ١٩٧٥م) وكتاب «**من أعلام الفكر والأدب فى فلسطين**» ليعقوب العودات.

الصحافة

تأتى بعد التعليم فى نشر الثقافة العربية لأنها مدرسة الشعب التى ينهل منها فى كل يوم وقد نشأت الصحافة العربية فى فلسطين وتطورت عبر أربع مراحل تاريخية.. أما المرحلة الأولى فتبدأ سنة ١٨٧٦م وتنتهى سنة ١٩١٤م وقد ظهرت أولى الصحف باللغة العربية فى فلسطين سنة ١٨٧٦م وكانت رسمية تمثل الحكومة التركية فقد أصدرت الحكومة العثمانية جريدتين رسميتين هما: «**القدس الشريف**» باللغة العربية والتركية و«**الغزال**» باللغة العربية فقط وقام بتحرير القسم العربى الشيخ على الريماوى (١٨٦٠ ـ ١٩١٩م).. أما الصحافة الوطنية فقد تأخر ظهورها حتى مطلع القرن العشرين بسبب سياسة الاستبداد والتريك التى فرضتها الحكومة التركية على المواطنين العرب وفى هذه الفترة اعتمد أهل فلسطين على الصحافة العربية فكانوا ينشرون فيها انتاجهم الأدبى والسياسى ويعد عام ١٩٠٨م نقطة انطلاق للصحافة فى فلسطين وذلك بعد اعلان الدستور العثمانى الذى نص على جواز اصدار الصحف وبلغ عدد الصحف الصادرة فى فلسطين حتى مطلع الحرب العالمية الأولى ستا وثلاثين صحيفة منها السياسية ومنها الأدبية.. أما السياسية فكانت أكثرها معارضة للسلطة وقامت أوائل الصحف الفلسطينية بدور هام فى كشف أهداف الحركة الصهيونية وقامت بحملات مكثفة ضد الهجرة الصهيونية والاستيلاء على الاراضى العربية.

●● ومن هذه الصحف: «**الأصمعى**» و«**القدس**» و«**الانصاف**» و«**النفير**» وكانت تصدر فى القدس وجريدة «**الكرمل**» فى حيفا لصاحبها نجيب نصار وكانت أول من نبه العرب الى خطر الحركة الصهيونية.

● وصدرت فى المرحلة الأولى أيضا الصحف والمجلات الأدبية التى عالجت على صفحاتها الشؤون السياسية واستعمل الكتاب الصحافة الأدبية مدخلاً الى السياسة.. ومن الصحف التى كانت تجمع بين السياسة والأدب: الأصمعى والقدس ومن أهم المجلات الأدبية مجلة «**النفائس**» التى أسسها خليل بيدس فى حيفا سنة ١٩٠٩م وبقيت حتى سنة ١٩١٤م ثم عاودت الصدور فى زمن الانتداب البريطانى ويعتبر صاحبها من رواد القصة الحديثة فى

الوطن العربى كله وكانت المجلة منبراً للأدباء الذين التفوا حول خليل بيدس ووثقوا بمذهبه الأدبى وتخصصت المجلة فى نشر القصة والاقصوصة وكان أكثرها مترجماً عن الأدب الروسى الذى كان خليل بيدس يجيد لغته.

●● وصدرت مجلة المنهل سنة ١٩١٣م وصاحبها محمد موسى المغربى وساهم فى تحريرها على الريماوى واستقطبت الأدباء العرب رغم أنها عاشت سنة واحدة فقط.

وفى مطلع الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م احتجبت جميع الصحف الفلسطينية.. ثم جاءت المرحلة الثانية: من ١٩١٩ - ١٩٤٨م وتطورت الصحافة فى هذه الفترة بسبب استعمال اللغة العربية فى المدارس - وصدر فى هذه الفترة عدد كبير من الصحف وبلغ عدد الصحف فى العشرينات الميلادية أربعا وأربعين صحيفة من بينها ثمانى صحف سياسية - وعشر صحف أدبية وخمس صحف اقتصادية وشهدت هذه المرحلة صدور الصحف اليومية ومن أولها «لسان العرب» و«السراط المستقيم» و«فلسطين» وفى أواخر العشرينات أصبحت الصحافة العربية فى فلسطين من أقوى الوسائل الجماهيرية فى التعبير عن الرأى العام وكانت أداة لإقلاق السلطة البريطانية وفضح الهجرة الصهيونية الى البلاد ولاحظت «لجنة شو» التى قدمت الى فلسطين بعد ثورة سنة ١٩٢٩م أن الفلاحين فى فلسطين كانوا أكثر وعياً فى السياسة من كثير من الأوربيين بالرغم من أن نسبة الأمية كانت فاشية بينهم إذ كانوا يجتمعون حول من يقرأ لهم الجرائد ونتيجة لذلك وضعت الحكومة قانون صحافة صارماً طبق سنة ١٩٣٣م وفى الثلاثينات الميلادية شهدت فلسطين مولد عدة مجلات أدبية من بينها «الأخلاق» التى كان يكتب فيها: خليل بيدس وعجاج نويهض ومجلة «المطرقة» و«الفجر».

وقد عالج الكتاب على صفحات هذه المجلات مواضيع شتى اجتماعية وأدبية وتهذيبية انتقادية وظهرت أسماء بعض الأديبات فى هذه الفترة منهن: فدوى طوقان وسميرة عزام وأسمى طوبى.

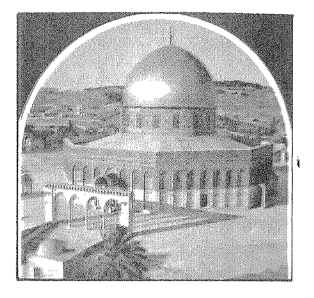
أما المرحلة الثالثة: فبدأت سنة ١٩٤٩م وانتهت سنة ١٩٦٧م وفى هذه الفترة توقفت الصحف العربية عن الصدور فى فلسطين المحتلة ماعدا صحف الحزب الشيوعى الفلسطينى التى ظلت تصدر فى حيفا ومنها جريدة «الاتحاد الاسبوعية» ولازالت تصدر حتى اليوم ثم صدرت عدة نشرات فى الأرض المحتلة من بينها نشرة «الأرض» فى عكا ونشرة «آفاق» وكان عمر هذه النشرات قصيرا بسبب مطاردة السلطات الاسرائيلية للمثقفين الذين يرفضون الاحتلال. أما فى الضفة الغربية فقد صدرت بين عام ١٩٥٠ - ١٩٦٧م ثمانى عشرة صحيفة ومجلة.

أما المرحلة الرابعة: بعد سنة ١٩٦٧م حيث أصبحت فلسطين كلها تحت الاحتلال الصهيونى وقد سمحت السلطات بإصدار عدد من الصحف مع المراقبة الشديدة.

وفى خارج فلسطين اهتمت المنظمات الفلسطينية بالصحافة فصدرت عدة مجلات اسبوعية وشهرية ودورية تعالج كافة المسائل التى تتعلق بالقضية الفلسطينية منها مجلة **«الثورة الفلسطينية» ومجلة «شؤون فلسطينية»** و«الكاتب الفلسطينى» التى تمثل الكتاب الفلسطينيين ومجلة «صامد» التى تعنى بالشؤون الاقتصادية.

. الأدب العربي الفلسطيني

نهض فى القرن الرابع عشر نهضة شملت أكثر مناحيه ويمكننا أن نقول إنه أدب متميز ذو طابع فريد لأنه لم يكن أداة متعة وإنما كان مشعلاً يضيىء ونارا تصهر وتذيب وشهاباً ينقض ويحرق لم يبدأ فى مطلع القرن وليداً وإنما كانت بدايته بركاناً يقذف بالحمم وبقى الى أيامنا هذه يزيد انفجاراً وحماسة لأن الظروف التى أحاطت بالأرض الفلسطينية كانت تختلف عن غيرها من الظروف التى أحاطت بالأقاليم



الأخرى. فما اجتمعت جيوش الشر يوماً كما اجتمعت لاغتيال أرض فلسطين وشعبها وما تخلت الانسانية يوماً عن نصرة حق مظلوم كما تخلت عن شعب فلسطين ولذلك قام الفلسطينيون قومة رجل واحد يدافعون عن كيانهم بكل ما يملكون من أسلحة وكانت الكلمة النابضة بالحياة هى سلاحهم الأوحد فى بعض فترات نضالهم عندما كانوا يمنعون من اقتناء السلاح المادى وسوف أوجز القول فى النواحى الأدبية التى برع فيها أهل فلسطين خلال القرن الرابع عشر الهجرى.

أولها: التعبير الأدبى.. شعره ونثره.. وقد ظهرت بداياته القوية منذ أوائل القرن وبرع فيه على مدى القرن عدد من الشعراء الكُتّاب والكُتّاب الشعراء أذكر فى بدايات القرن الشاعر والأديب الصحافى الذى مر ذكره فى حقل الصحافة الشيخ على الريماوى وقد كان متمكناً من اللغة العربية وقرض الشعر ـ وكان من رواد الأندية الأدبية التى ضمت أدباء تلك الفترة وشعراءها ونشر انتاجه الأدبى فى الصحف الصادرة بين عامى ١٩٠٨، ١٩١٤م وسجل فيها أهم المناسبات والأحداث الوطنية وعرف بقصائده المطولة أنظر: **«محاضرات فى الشعر الحديث فى فلسطين والأردن»** لناصر الدين الأسد.

ومن الشعراء الأدباء: محمد اسعاف النشاشيبى (١٨٨٥ـ١٩٤٨) شاعر وكاتب ولغوى متمكن من اللغة العربية وأدبها وكان نسيج وحده اسلوباً وكلاما وذاعت شهرته فى البلاد العربية وأطلق عليه «أديب العربية» وكان أثيلاً عند الأدباء والشعراء ولا سيما عند أمير الشعراء أحمد شوقى وله فى رثاء أمير الشعراء خطبة تعتبر يتيمة القرن وكان من كتاب مجلة الرسالة البارزين وترك آثاراً متعددة من شعر وخطب وأبحاث أدبية نقدية (انظر: من أعلام الفكر والأدب فى فلسطين ليعقوب العودات).

ومن الشعراء الرواد: أبو الاقبال سليم اليعقوبى (١٨٨٠ـ١٩٤٦) شاعر وخطيب وصحافى اختار حسان فلسطين اسماً أدبياً مستعاراً وكانت قصائده ذات طابع اسلامى دافع فيها عن الجامعة الاسلامية وخليفة المسلمين العثمانى وحرض على مقاومة انشاء الوطن القومى لليهود فى فلسطين ولاقى شعره رواجاً بين الجماهير الشعبية وله فى مدح الملك عبد العزيز قصائد فريدة. وشهدت مرحلة الانتداب البريطانى البغيض وما تلاها ميلاد عدد من الشعراء طبقت

الأرض شهرتهم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من يتنظر وما بدلوا سلوكهم ولا حادوا عن منهجهم أذكر منهم «**ابراهيم طوقان**» الذى كان يرسل قصائده على أعداء الوطن فتقع صواعق حارقة وينادى بنى وطنه الى الجهاد فتقول له الأمة لبيك. ومن أعلام الشعر فى فلسطين شاعر فلسطين وعاشقها عبد الكريم الكرمى (١٩٠٧ - ١٩٨٠) المكنى بأبى سلمى عاش عمره فى وطنه وفى مهاجره وهو ينبه أمته الى المخاطر ويلهبها حماساً وحمية والشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود الذى يستحق وحده لقب «**رب السيف والقلم**» لأنه نال درجة الشهادة وهو يجاهد بسيفه وقلمه.

ومن شعراء فلسطين: برهان الدين العبوشى من مواليد ١٩١١م أسهم فى أحداث فلسطين بسلاحه وقلمه فحبس ونفى وهو أول من نظم قضية فلسطين فى مسرحية شعرية.

ومن كبار الشعراء: معين بسيسو من مواليد غزة ١٩٢٦م وعلى هاشم رشيد وأخوه هارون هاشم رشيد وهما من أبناء غزة وعصام حماد من نابلس وحسن البحيرى من حيفا وعبد الرحيم عمر من قرية جيوس وكمال ناصر من أبناء بيرزيت ومصباح العابودى من طبرية ويوسف الخطيب من «دورا» فى منطقة الخليل وأخيراً وليس هو آخر الشعراء أحمد فرح عقيلان من مواليد الفالوجة فى فلسطين وصاحب ديوانى «**جرح الاباء**» و«**رسالة الى ليلى**» ومؤسس مدرسة أدبية فى قطاع غزة وبخاصة خان يونس نهل منها عدد من الشعراء والادباء ذوى الاتجاه الاسلامى أذكر منهم الشاعر عبد الرحمن بارود ومحمد صيام.. وكل من ذكرت من الشعراء من ذوى الاسلوب الرصين والمعانى الهادفة والروح الوطنية الفياضة ولهم الانتاج الغزير الذى يكون مدرسة شعرية فريدة متميزة.

وعندما قارب القرن الرابع عشر على الانتهاء برزت الى الوجود مدرسة شعرية جديدة على أرض فلسطين تحت مظلة من الارهاب والتهديد وهى مدرسة «شعر المقاومة» وهى جديدة فى شكلها ومضمونها تمثل فترة تاريخية فى حركة الشعر العربى المعاصر وقد جاءت على أثر نكسة حزيران ١٩٦٧م لتعبر عن الظرف العربى الجديد وتحدث تطوراً فى حركة التعبير الشعرية العربية حيث ظهر صوت جديد يعبر عن المأساة ما لبث أن جسده شعراء المقاومة حاملين نغمة حزن شفافة تناسب جو النكسة وتعبر عن روح الثورة والمقاومة وكان لهذه المدرسة تأثير كبير على حركة الشعر العربى وتغيير مسار اتجاه كثير من الشعراء من ذلك أن الشاعر نزار قبانى الذى كان قبل النكسة شاعر المرأة وإذا به يتحول الى شاعر مقاومة يعبر عن الواقع المؤلم ويمجد بطولات المجاهدين.

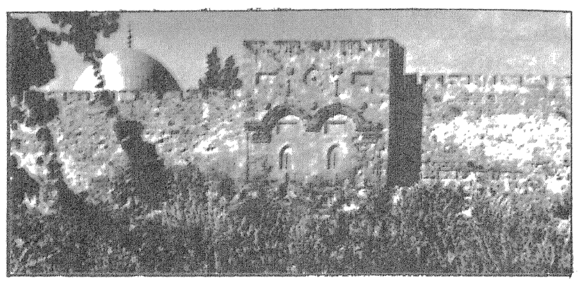
ومن العجيب أن هذا الاتجاه من الشعر يظهر بين أبناء الأرض المحتلة الذين عاشوا محرومين من التعليم العربى فى ظل الاحتلال الصهيونى وقد أثبت شعر المقاومة التصاقه بالتاريخ وعبر عن رفضه الهزيمة وقبوله التحديات العاتية وأثبت أنه قادر على خلق الثورة ومعبر عن قدرتها على الاستمرار وهو ثورة فى الروح واللغة والواقع حيث كان هؤلاء الشعراء مناضلين ولذلك قالوا: «**نحن لا نكتب أشعاراً ولكنا نقاوم**» ولذا نهض هؤلاء الشعراء بمهمة القادة السياسيين لعرب الأرض المحتلة حين حرمهم العدو من امكانية بناء طليعة سياسية تقود النضال فى الوطن المغتصب.

ويمثل مدرسة شعر المقاومة ثلاثة شعراء هم: «**توفيق زياد.. ومحمود درويش.. وسميح القاسم**» والجديد فى هذا الشعر كونه عودة بالشعر العربى ليكون معبراً عن

الأرض التى نشأ عليها بعيداً عن الرومانسية الذاتية هاجراً اسلوب الندب واللهجة الخطابية فكل قصيدة تمثل رموزاً للأشياء التى تمثل الأرض الفلسطينية والذاتية الفردية تحولت الى ذاتية جماعية والأحلام والخيالات كلها عشق للأرض وعندما تدرس معجم هذا الشعر فإنك واجد فيه كل ما تنتجه الأرض ويدعو الى التعلق بها من ذلك القمح والزيتون والبرتقال

●● كما استخدم الشعراء الموروثات الشعبية الشاهدة على الحضور القومى الراسخ القديم وعلى مثول الفلسطينيين فى وطنهم منذ فجر التاريخ كما يقول سميح القاسم.

فى الكتب أشياء عجيبه.
وربابة الأعمى تكذبها.
وآثار المضافة والزريبة.



والعشب والقبرات والعصافير كما تجد فيه المفردات الدالة على الدفق الحيوى للتربة وعلى التجدد والولادة المستمرة: مثل ألفاظ الحقل والمحراث والحليب والعسل والنهر والغيم والمطير والخبز والزيت. . كما تلمس فى هذا الشعر الاصرار على البقاء فى الوطن والصمود فى وجه الغزاة كما يقول توفيق زياد:

هناك على صدوركم باقون كالجدار
وفى حلوقكم
كقطعة الزجاج كالصبار
وفى عيونكم
زوبعة من نار
ولنأكل التراب إذا جعنا ولا نرحل.

أدب الرحلات

من الفنون التى برع فيها الفلسطينيون وبرز بينهم رحالة ملكوا صفات الرحالة العرب القدامى الذين اشتهروا بيقظة الملاحظة وعمق الإدراك وبراعة التعبير عن كل ما يلقونه فى البلاد التى رحلوا إليها: وفى طليعة هؤلاء الشيخ خليل الخالدى (١٨٦٣ - ١٩٤١) الذى أولع بالرحلات الطويلة الشاقة حيث شد الرحال الى العالمين العربى والاسلامى شرقاً وغربا وطاف فى دور الكتب القائمة فى العواصم الاسلامية ووصف ما احتوته من كتب مخطوطة وآثار محفوظة وأصبح ثقة العالم الاسلامى فى التراث العلمى الاسلامى ورحل الى الاندلس مرتين وكتب كتاباً بعنوان رحلتى الى بلاد المغرب والأندلس. . وقال عنه

أحمد بن محمد الهوارى فى كتابه «**معجم الشيوخ**» إن للشيخ الخالدى مذكرة فى نحو خمسين جزءا فى ذكر ما وقف عليه من الكتب والمكتبات التى زارها».

ومن الرحالة الفلسطينيين: الاستاذ أكرم زعيتر فقد ترأس وفداً عربياً الى أمريكا اللاتينية فى سنة ١٩٤٧م لشرح قضية فلسطين والدفاع عنها فطاف فى جمهورياتها واتصل بساستها وألف كتابا فى وصف رحلته أسماه «**مهمة فى قارة**».

● وأسهم «عارف العارف» بالتعبير عن رحلته التى أجبر عليها حين أسره الروس سنة ١٩١٥م مع رهط من الضباط العرب كانوا فى الجيش العثمانى وأمضى سجيناً ثلاث سنوات ثم هرب من سجنه وعاد إلى وطنه فكتب عن رحلته هذه بعنوان «رؤياى».

وممن عنى بأدب الرحلات نقولا زيادة وألف كتابين الأول: «**رواد الشرق العربى فى العصور الوسطى**». والثانى: «**الجغرافية والرحلات عند العرب**».

الترجمة

أسهم الفلسطينيون بنصيب طيب منذ بداية القرن الرابع عشر الهجرى وبدأ نشاطهم فى هذا الميدان منذ سنة ١٨٦٠م حيث قام يوسف دباس اليافى بترجمة كتاب «**مرشد الأولاد**» وترجم بندلى الجوزى كتاب «**الأمومة عند العرب**» عن اللغة الالمانية سنة ١٩٠٢م ونشأ مناخ ملائم للترجمة فى فلسطين حين صدرت الصحف العربية.

●● ومن أوائل من نشر الأدب المترجم فى الصحافة: «**خليل بيدس**» فى مجلة النفائس العصرية حيث ترجم كثيراً من الروايات القصيرة عن اللغة الروسية التى كان يجيدها كما ترجم أربعة كتب فى سنتى ١٨٩٨ و١٨٩٩م ومن المترجمين عن الأدب الروسى نجاتى صدقى الذى درس فى جامعة موسكو واطلع على الآداب الروسية فنقل عنها بعض الآثار نقلاً دقيقاً بلغة عربية صافية.

وقد أثنى ميخائيل نعيمة على صنيعه فى كتابه عن «بوشكين» الشاعر الروسى الذى نشره فى سلسلة اقرأ سنة ١٩٤٥م وكان عمله عن تشيكوف الذى أصدره أيضاً فى سلسلة اقرأ سنة ١٩٤٧م من الأعمال التى حافظ فيها على روح المؤلف ومزاجه وتعابيره فى لغة عربية صافية دقيقة.

وفى طليعة المترجمين الأصلاء فى النهضة العربية عامة والثقافة الفلسطينية خاصة «**عادل زعيتر**» الذى نقل عن الفرنسية ما يزيد على سبعة وثلاثين كتابا.. ولكن الترجمة عن الانجليزية كان لها النصيب الأوفر بسبب الاستعمار البريطانى المباشر لهذا القطر ومن أبرز الذين عرفوا فى هذا الميدان «**أحمد شاكر الكرمى**» الذى ترجم سنة ١٩٢١ بعض شعر الشاعر الانجليزى شلى.

ويعد أحمد سامح الخالدى أشهر من عنوا بالنقل عن الانجليزية فى ميدان التربية والتعليم واشتهرت كتبه فى فلسطين والأقطار العربية **ومن المترجمين المكثرين: خيرى حماد حيث بلغ عدد ما ترجمه خمسين كتابا فى السياسة والأدب والفلسفة والاقتصاد.**

الدراسات الأدبية والنقدية

بدأت فى مطلع القرن الرابع عشر الهجرى وكانت لا تخرج عن التقاريظ التى تدل على اعجاب الناقد بما قرأ دون تعليل أو تحليل.

وما أن يمضى الربع الأول من القرن حتى تحدث

● وجوه ثقافية ●



ابو خليل القبانى

(١٨٣٣-١٩٠٣). اول من دعم صناعة التمثيل بروايات عربية فى سورية ومصر خاصة وادخل فيها رقص السماح على ضروب الموشحات واوزانها. جاء الى القاهرة (١٨٨٣) واقام فيها سبعة عشر عاما ترك خلالها ثروة فنية من الموشحات والروايات التمثيلية التى قام بتأليفها وتلحين اغانيها. واول رواية غنائية له بمصر كانت على مسرح دار الأوبرا (١٨٨٤) وهى رواية «الحاكم بأمر الله» وانشد فيها الموشح المشهور من نغم «الحجاز» على ميزان «الشنبر».

«برزت شمس الكمال
من سنا ذات الخمار»

ومن تلاميذه الشيخ درويش الحريرى وكامل الخلعى وكلاهما كان حجة فى الحان الموشحات. توفى الشيخ القبانى بدمشق.

قفزة كبيرة فى حركة النقد الأدبى فى فلسطين عندما ظهر كتاب روحى الخالدى (١٨٦٤-١٩١٣م) تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب وفيكتور هوجو وظهر الكتاب سنة ١٩٠٤م وكان تأثره بالأدب الغربى أعمق من تأثير المهجريين الذين كانوا فى زمانه وكانت دعوته الى التجديد مبنية على الفكر الأدبى الواضح وقفزت الحركة النقدية بعد ذلك قفزة أوسع وتعددت فيها الاتجاهات وفى الفترة الزمنية التى تلت كتاب روحى الخالدى وانتهت بنكبة فلسطين سنة ١٩٤٨م نستطيع أن نؤرخ لمدرستين فى النقد الأدبى كان الدافع الى وجودهما المآسى التى عاناها المجتمع العربى الفلسطينى حيث رفض النقاد ظاهرة المدرسة الرمزية التى تستعمل الايعاز والتلميح فى التعبير عن الحالات النفسية بدلا من الاسلوب التقريرى المباشر وتحل الخيال محل الواقع والحقيقة وناهض النقاد الفلسطينيون الفكرة الجمالية الكامنة فى مذهب «الفن للفن» واتجهت المدرسة النقدية نحو تيارين بارزين هما: المدرسة الرومانسية التى غلبت فيها الاتجاهات الايجابية وقلت السلبية وتيار المدرسة الواقعية الجديدة.

ويمكن أن نذكر من نقاد المدرسة الرومانسية خليل بيدس.. ومحمد اسعاف النشاشيبى.. وخليل سكاكينى.. وأحمد شاكر الكرمى. وتناولت هذه المدرسة قضايا أدبية هامة منها: أهمية الرواية (أى القصص الروائى) فى بناء الحضارة والثقافة.

وفى هذا يقول خليل بيدس مبيناً العلاقة بين الكاتب ومجتمعه: الروائى يكتب للعامة وهم السواد الأعظم من كل أمة يكتب للنفوس الحائرة والقلوب النائمة يكتب للنفوس الجائعة والقلوب الظمأى.. وأسهم أحمد شاكر الكرمى فى الحركة النقدية فنقد كتاب «الشاعر» الذى ترجمه المنفلوطى الى العربية. ومن القضايا التى أثارها «**الشخصية فى الأدب**» ورأى أن النقد الموضوعى أوسع مجالاً من النقد الذاتى وقسم النقد الى نقد بيانى ونقد تحليلى ومن آرائه النقدية قوله **«لا جدال فى أن اللغة هى مادة الأدب ولكن امتلاك**

تلك المادة وحدها من غير إلمام بفنون التصرف فيها لا يصير المرء كاتباً ولا شاعراً كما أن امتلاك الذهب لا يصير المرء صائغاً».

وممن كتب فى المدرسة الواقعية نجاتى صدقى الذى سلط الأضواء على فلسفة ابن خلدون وقربها الشديد من فلسفة هيجل فى الجانب الجدلى منها ومنهم عبد الله مخلص (١٨٧٨ - ١٩٤٧م) الذى هاجم نظرية الفن للفن، وفكرة النقد للذوق الموهوب.

حركة النقد الأدبى: بعد سنة ١٩٤٨م فيمكن تقسيمها الى قسمين: **الأول**: داخل فلسطين المحتلة **والثانى** خارجها. أما فى فلسطين المحتلة: فقد التصقت حركة النقد الأدبى التصاقاً وثيقاً بالشعر والأدب فى فلسطين المحتلة وظهرت فيه سمات المدرسة الواقعية الجديدة فى النقد الأدبى وبخاصة عند الشعراء النقاد الثلاثة محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وكان نقداً ذا مذاق خاص بالإضافة الى نضجه وعمقه وسعة آفاقه وكان أيضاً نقداً تطبيقياً لأنه يتحسس ما يقوله الناقد فى شعره هو نفسه وفى شعر الآخرين ومن القضايا التى عالجها هؤلاء الشعراء النقاد دور شعر الأرض المحتلة فى الشعر العربى المعاصر الثورى ويبين محمود درويش أن هذا الشعر يصب فى نهر الشعر العربى بتياره الخصب الملتحم بالأرض والانسان وما يعترضهما من اضطهاد وعذاب وعدوان.

أما فى خارج فلسطين - فى المهاجر - فقد ظهر عدد كبير من النقاد الفلسطينيين الذين أغنوا المكتبة العربية بالمؤلفات النقدية التى تدور حول الأدب العربى بعامة والأدب الفلسطينى بخاصة ومن هؤلاء النقاد محمود سيف الدين الايرانى (١٩١٤ - ١٩٧٤م) من مواليد يافا وله كتاب «**فى الأدب والحياة**» فى ثلاثة أجزاء. وعبد الكريم الكرمى (أبو سلمى) وكتب سيرتى أحمد شاكر الكرمى والشيخ سعيد الكرمى.. ومن كبار النقاد العرب «**الدكتور احسان عباس**» الذى أغنى المكتبة العربية تأليفاً وتحقيقاً ونال جائزة الملك فيصل العالمية فى الأدب مناصفة مع الدكتور القط على كتابه «بدر شاكر السياب - دراسة فى حياته وشعره» ومن كتبهُ «النقد الأدبى عند العرب».

ومن النقاد المشهورين: محمد يوسف نجم وله كتاب «القصة فى الأدب العربى» و«الأدب العربى فى المهجر».. وللدكتور محمود السمرة مقالات فى النقد الأدبى.. وكتب ودراسات نقدية أخرى. ومن المشهورين فى الدراسات الأدبية والنقد: عبد الرحمن ياغى وله كتاب «حياة الأدب الفلسطينى الحديث» والدكتور كامل السوافيرى وله كتاب «الشعر العربى الحديث فى مأساة فلسطين».. والاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى.. وغير هؤلاء كثير ممن لا يتسع المجال لذكرهم ويجد القارىء طرفا منهم فى كتاب «مصادر الدراسات الأدبية» ليوسف داغر وكتاب: «من أعلام الفكر والأدب فى فلسطين» ليعقوب العودات والموسوعة الفلسطينية.

الدراسات اللغوية والنحوية

شارك فيها الفلسطينيون بجهد وافر وشاركوا فى الأعمال المجمعية اللغوية فى العالم العربى فى وقت مبكر من انشائها ومن هؤلاء محمد اسعاف النشاشيبى الذى انتخب عضواً فى المجمع العربى فى دمشق سنة

١٩٢٣م والشيخ سعيد الكرمى وعين عضواً فى المجمع المذكور سنة ١٩٢٠م . . وساهم اللغويون الفلسطينيون فى الدراسات اللغوية تأليفاً فكتب خليل بيدس «الكافى فى الصرف» سنة ١٩٢٥م . ومن كتب خليل سكاكينى اللغوية «وعليه قس» فى النحو سنة ١٩٤٣م ووضع محمد اسعاف النشاشيبى «كلمة فى اللغة العربية» . . ووضع محمد العدنانى «الاعراب» فى خمسة أجزاء سنة ١٩٥٦م و«معجم الأخطاء الشائعة» سنة ١٩٧٢م .

ومن شارك فى الدراسات اللغوية الاجنبية حسن الكرمى وله «المنار» وهو معجم انجليزى عربى ووضع ربحى كمال للطلاب والمترجمين «المعجم الحديث - عبرى عربى» . .

وأقف عند هذا الحد فى كلامى عن الأدب والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية وتركت حقولاً أخرى فى هذا الباب لم يقصر الفلسطينيون عن المشاركة فيها ومن ذلك (القصة) التى كانت لهم مشاركة مستفيضة فيها قبل النكبة وبعدها ولمعت أسماء بارزة فى القصة والرواية «راجع : دراسات فى أدب النكبة لعبد الكريم الأشتر» وكتاب «حياة الأدب الفلسطينى لعبد الرحمن ياغي» وكتاب «الرواية فى الأدب الفلسطينى» لأحمد أبو مطر وشارك الفلسطينيون أيضا فى الأدب الاذاعى وبرز منهم أعلام قدموا من خلال الاذاعة المسموعة والمرئية أحسن ما يقدم من إنتاج : أذكر من هؤلاء حسن الكرمى - صاحب برنامج «قول على قول» فى اذاعة لندن والدكتور عمر الخطيب صاحب البرامج الثقافية المشهورة فى تلفزيونى الكويت والسعودية والمعلق الرياضى المشهور أكرم صالح الذى كان من أفصح من نقل البرامج الرياضية والذى كان يضفى على التعليق الرياضى مسحة أدبية يجعله محبوباً من السامعين وأخيراً أذكر الاستاذ الشاعر المربى أحمد فرح عقيلان صاحب الاسلوب العذب والصوت النابض بالصدق والنبرة النافذة الى القلب وذلك فيما قدمه من أحاديث فى اذاعات المملكة العربية السعودية .

التاريخ والجغرافيا والعلوم السياسية

لقيت هذه العلوم اهتماماً كبيراً من الباحثين الفلسطينيين وبخاصة ما يتصل بالقضية الفلسطينية إذ انصب جل اهتمامهم بعد تكشف الخطط الصهيونية على تاريخ فلسطين وجغرافيتها وعلى طبيعة القضية بعامة .

ومن رواد البحث التاريخى فى فلسطين «روحى الخالدى» وله كتاب فى «أقسام العالم الاسلامى» ألفه سنة ١٨٩٦م و«المقدمة فى المسألة الشرقية» سنة ١٨٩٧م .

ومن أشهر المؤرخين الفلسطينيين وأغزرهم انتاجاً محمد عزة دروزة حيث اقتربت مؤلفاته من الخمسين كتاباً أرخت للأمة العربية والاسلامية والقضية الفلسطينية .

ومن كتبه «تاريخ الجنس العربى فى مختلف الأدوار والأطوار» فى سبعة أجزاء وكتاب «القضية الفلسطينية» وكتاب سيرة الرسول كما وردت فى القرآن . ونالت فلسطين النصيب الأوفر من الدراسات وقدم لها أهلها من الابحاث ما لم يكتب مثله عن أى قطر عربى آخر. وأشهر من ألف فى جغرافية وتاريخ فلسطين غير من سبق : «عبد الله مخلص» الذى عرف بتأريخه لعدد من المدن الفلسطينية مثل الخليل وصفد وبيت لحم . . وأحمد صالح الخالدى أرخ لعدد من النواحى الهامة ومن كتبه «رجال الحكم والادارة فى فلسطين من عهد الخلفاء الراشدين الى القرن الرابع عشر الهجرى» ومن كتبه أيضاً «أهل العلم بين مصر وفلسطين» ويعد

عارف العارف. . من مؤرخي فلسطين المرموقين وله من الكتب «النكبة» في سبعة أجزاء وصف فيها معارك الفلسطينيين مع الاعداء حتى أوائل الخمسينات الميلادية. . ومن مؤلفاته «تاريخ بير السبع وقبائلها» وتاريخ غزة.

وبذل مصطفى مراد الدباغ جهداً كبيراً في جغرافية فلسطين وتاريخها وصنف كتاب «بلادنا فلسطين» في عشرة مجلدات في وصف مدن وقرى وجبال ووديان فلسطين ولم أر من كتب مثله لقطر عربي آخر. ويطول الحديث لو أردت أن أذكر الباحثين الفلسطينيين الذين شاركوا في الابحاث التاريخية للعرب وفلسطين وأذكر منهم أميل الغوري وأحمد الشقيري ومحمد أديب العامري واسحق موسى الحسيني وأنيس الصايغ وعبد الوهاب الكيالي ومحمود زايد وأخيراً: كاتب هذه الكلمات وله كتاب «المدينة في العصر الأموي». و«تاريخ الوادي المبارك العقيق».

الفلسطينيون والآثار

وعني الدارسون الفلسطينيون بالآثار لا لهدف التأريخ لها فقط ولكن البحث فيها كان أداة من أدوات المقاومة الفلسطينية لأن الأعداء لم يكتفوا باستخدام اسلوب البطش والغدر والخديعة لاحتلال فلسطين وانما استخدموا اسلوب التضليل وتزييف التاريخ لاقناع الرأى العام العالمي بحقهم في فلسطين فنقبوا عن الآثار وسرقوها وطمسوا كل ما يكذب افتراءاتهم منه وأظهروا بعضه بعد تقديم التفسيرات التي تناسب هواهم فكان على الفلسطينيين أن يقدموا الدراسات الصحيحة التي تثبت أن الفلسطينيين الكنعانيين العرب هم أقدم من عرف التاريخ من سكان فلسطين.

الفلسطينيون والدراسات الاسلامية

شارك الفلسطينيون في الدراسات الاسلامية والتوجيه الديني والدعوة الى تصحيح مسار العرب على هدى من تعاليم الشرع الاسلامي لتعطي النضال العربي دفعة قوية يستطيع أن يقف بها أمام الغزو الأوربي وظهر في هذا المجال علماء ودعاة كان لهم صوتهم المميز وأثرهم الواضح أذكر من هؤلاء الشيخ سليم اليعقوبي ومحمد عزة دروزة والشيخ عبد الحميد السائح رئيس المجلس الوطني الفلسطيني والشيخ عبد الله غوشة والشيخ عبد الله القلقيلي والشيخ تقي الدين الشهابي والشيخ محمد أبو سردانة والاستاذ احمد فرح عقيلان.

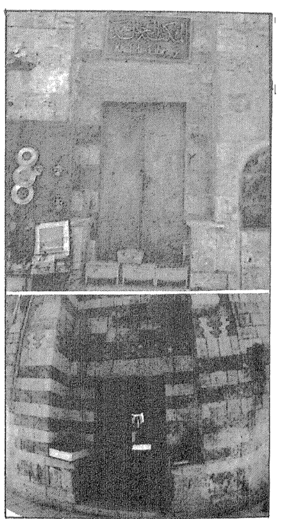
الفلسطينيون والعلوم الطبيعية والتطبيقية

نبغ عدد من أبناء فلسطين في العلوم الطبيعية والتطبيقية وقدموا الابحاث المفيدة التي تعد في الطليعة في ميدانها ومن هؤلاء: علي نصوح الطاهر ومن كتبه «شجر الزيتون» وسعيد التاجي الفاروقي وله كتاب «الوضع الزراعي العام في البلاد العربية» ويعد قدري حافظ طوقان (١٩١١ ـ ١٩٧١م) من أبرز الرياضيين في العالم العربي ومن مؤلفاته «ابن حمزة والتمهيد الى اللوغارتمات». . وفي الكيمياء برز عادل جرار ومن كتبه «المطاط» وبرز في الهندسة العسكرية محمد ابراهيم الشاعر وله كتاب «الهندسة العسكرية المصورة. . وكتاب «الألغام والمصائد والمتفجرات».

وبعد فإنني أكتفي بما ذكرت عن «الثقافة العربية الفلسطينية» في القرن الرابع عشر الهجري وفيه غناء ودلالة على ما لم أذكر من فنون وعادات وضروب أخرى من المعرفة

تدخل فى باب الثقافة واذا كان لى من حكم فإننى أرى أن ما قدمه أبناء فلسطين يسر الصديق ويغيظ الأعداء الذين يهدفون الى افناء هذا الشعب واذابته فى المجتمعات ويطعنون فى قدرة الشعب الفلسطينى على بناء الحضارة. . ولكن الواقع يكذب افتراءاتهم ورغم كل المصاعب فإن الفلسطينى سوف يبقى صامداً على أرضه ومحافظاً على خصائصه فى مهاجره ومشاركاً فى دفع عجلة الحضارة العربية الى الأمام فى القرن الخامس عشر الهجرى وما تتبعه من القرون والموعد مع الاعداء قريب مهما طال الزمن.

والمتعمق فى دراسة المجتمعات الفلسطينية فإنه يستبشر بمستقبل منتج فى جميع مجالات الحياة ففى



الأرض المحتلة يصر الشعب على البقاء والمحافظة على اتصاله العربى ثقافياً وحضارياً فهو ينكب على التعليم والبحث ويحرص على التضلع من الثقافة العربية رغم الحجر المضروب على ايصال الكتب إليه فينبش عن المعرفة فى كل مكان يتوقع وجودها فيه، من اذاعات وصحافة ومدرسة ويتابع دراسته النظامية فى ظروف يائسة ليس له من ناصر إلا الله تعالى ثم اصراره العنيد الذى ورثه من أجداده الكنعانيين الذين ثبتوا فى أرضهم رغم الغزو المستمر لأرضهم حيث كانت فلسطين المعبر الوحيد ونقطة الاتصال بين الشرق والغرب.

وكانت دول الحضارة القديمة فى مصر والعراق لابد لها من المرور فى فلسطين والسيطرة عليها عند كل غزو يقوم به طرفا القوة فى الأزمان الغابرة وكان كل غزو يذوب ويتلاشى مهما طال زمنه ولا يستطيع أن ينتقص من خصائص الشعب. ومن هاجر من الشعب الفلسطينى وسكن المخيمات فإنه محافظ على هذه الروح رغم مضى أربعين سنة على الغربة حيث نقل معه موروثاته وعاداته الشعبية فى أفراحه وإتراحه. . غنائه وعويله وفى الكلمة والحرف والمعنى. . والخبير فى اللهجات الفلسطينية يستطيع أن يميز الفلسطينى بين عشرات من المتكلمين ومهما كان المكان المهاجر اليه ليس الشيوخ والكهول فقط بل حتى الاطفال الذين يكونون عادة أكثر اندماجاً فى المجتمع عن طريق المدرسة والشارع حيث يلعبون مع أترابهم.

وسوف يشهد القرن الخامس عشر الهجرى زيادة فى الانتاج البشرى علماً وثقافة ولن تخمد الجذوة حتى يرجع الشعب الى أرضه ويرفع فيها كيانه الحضارى واذا رأيت خموداً فما هو الا كما قيل:

أرى خلل الرماد وميض نار
ويوشك أن يكون له ضرام

من روافد الثقافة الفلسطينية

التحرير

«التراث الشعبي» يمثل في مجمله مجموعة عادات والتقاليد والحرف والصناعات والفنون بكل انواعها التي تواطأ وتواضع عليها شعب من الشعوب حتى أصبحت على مر الايام والازمان السمة البارزة والمميزة له ولشخصيته المتفردة عن غيرها. . وقد تلتقى مع غيرها في بعض هذه السمات الشعبية وقد تختلف عنها اختلافاً طفيفاً ولكن رغم ذلك يبقى لها تميزها في ما لا تشترك به مع غيرها. . ويدخل في هذا بالطبع مجموعة من الفنون التشكيلية التقليدية والفنون الشفاهية الأدبية والانغام والغناء والموسيقى والرقص والحِكَم والامثال الشعبية والعادات في الزى والسكن والأكل والشرب ومناحي الحياة الأخرى من مولد وزواج وموت وغيرها. . كما تشمل فنون الرسم والنحت والصناعات اليدوية مثل الأزياء الشعبية والفخار والزجاج والصناعات المعدنية والصدفية والعاجية والخشبية والحصير وغيره. . وفي استعراض سريع نتناول بعض هذه الفنون في عرض مبسط يكتفى باعطاء الفكرة العامة فحسب.

الموسيقى

الانسان منذ القدم عرف النغمة الموسيقية وصاحبته حياته في بداوته وتحضره. . تواقيع جاءت عفوية في حركة حياته سواء كانت غجرية بدوية أو مدنية حضرية. . ولعل اقدم استخدام للآلات الموسيقية يرجع الى استغلال الانسان لها في الوقاية من ظواهر تخيفه وترعبه مثل الارواح الشريرة والامراض والموت ـ حسب اعتقادهم أو لاستجلاب العوامل الخيرة مثل هطول المطر أو جلب البنين ووفرة المحصول وغيره ـ وظلت استخدامات الموسيقى تتطور مع تطور الانسان في سلم الرقي والتحضر. .

تذكر الروايات ان فلسطين وطن الكنعانيين وان الدولة اليهودية استعارت جميع مظاهر الملك من الكنعانيين: من لغة وعبادات وبعض الفنون. . وقد جاء الملك داوود بالمغنين الكنعانيين لكى يعلموا خدام الهيكل العزف والغناء.

ومن الآلات الوترية: التي كانت تستعمل في فلسطين قديما:

القيثارة: وقد اقتبسها العبرانيون من كنعان وسموها «كنور» واصل الكلمة (كنر) ويعنى أحدث صوتا كبيراً وصريراً كرنين الوتر عندما يضرب. .

النبل: ولها اثنا عشر وتراً وكانت تضرب بالاصابع وليس بالمضرب.

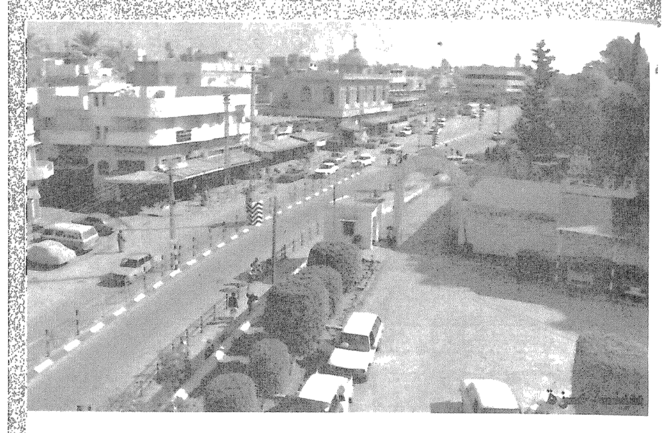
السبكة: لها ثلاثة او اربعة اوتار على وجه التقدير وهى صغيرة الحجم تشبه القيثارة العصرية وكانت تحدث اصواتا عالية الدرجة.

الجتيت: يرجح أنها من فصيلة القيثارات.

الفيترس: أحد افراد عائلة القيثار مع اختلاف في الشكل وعدد الاوتار ومنها ما يُحمل ويُعلق بالرقبة.

من الآلات النافخة: **العوجاب**: وترجمت بكلمة مزمار ولعلها مشتقة من كلمة عجب التي تعنى تنفس أو نفخ ولعلها كانت مزماراً مؤلفاً من قصبتين أو من عدة قصبات.

الناي: عرفت بالجليل وتعرف اليوم بـ (الشبابة) ولا يزال استعمالها شائعا في الاوساط الشعبية في فلسطين. . والناى في اللغة الأكادية «نايو» ومعناه



الندب والحزن . . ففى اسطورة «المشتار وتموز» تندب إلاهة الحب عشيقها القتيل قائلة «لقد أصبح قلبى كالناى الحزين» ولم يقتصر استعمال الناى فقط على النواح والبكاء فقد جاء ذكره فى وصف الاحتفالات المدنية المرحة لمصاحبة الغناء والرقص وغير ذلك من الأعياد العامة . . وهو مؤنس الراعى فى وحدته وتطرب له المواشى وتأنس كما انه خير مصاحب لحلقات الدبكة ولكثير من الأغانى الشعبية ذات الايقاعات المختلفة .

القرن أو الشوقار : ولا تزال تستعمل فى أثناء ممارسة شعائر أحد الايام اليهودية المقدسة وهى متخذة من قرن الكبش . . وتصنع الآن من المعدن .

البوق : آلة موسيقية على هيئة القرن كانوا ينفخون فيها فى الأعياد وعند إعطاء علامة الحرب .

●● يستعمل الشعب الفلسطينى فى حياته اليومية الآن الآلات الايقاعية والنافخة والآلات الوترية . .

● **ومن هذه الآلات المستخدمة الآن :**

(١) الآلات الايقاعية

■ الفقاشات أو (الكاستانيت) وكانت تعرف باخشاب الرقص لأنها كانت تصنع من خشبتين أو عظمتين مجوفتين تلبسان فى الأصبع الثالثة والابهام من كل يد . . يعود تاريخ ظهورها الأول فى الجنوب الغربى من آسيا الى الدولة المصرية القديمة اما فى العصر المدنى فقد أصبحت تصنع من حديد أو معدن . . نقلها الاسبان عن عرب الاندلس فى القرن الحادى عشر الميلادى .

■ الطبل : يصنع فى فلسطين من اطار خشبى يشد على كلا جانبيه جلد مربوط بحبال ويضرب بعَصَوَين وأحيانا بعصا واحدة . . يستعمل عادة فى المواسم والاعياد والمواكب الشعبية . . كانت هذه الطبول تستخدم فى الشرق فى الحروب وفى بلاطات الملوك والحكام لأداء اشارات التعظيم فى نوبات معينة . . انتقلت الطبول الى أوربا فى القرن الثالث عشر الميلادى عن طريق العرب فى الحروب الصليبية .

■ الدف: دائرة من الخشب مغطاة برق غزال أو غيره وتُحلى تلك الدائرة بالنقوش والصدف.

■ النقارة: مكونة من كاستين خشبيتين أو من فخار أو صلصال مجوف وعليها جلدتان مشدودتان يضرب عليها بعودين من الخشب.. كان العرب يضعونها على ظهور الجمال.

■ الدربكة: انبوب ينتهى بما يشبه البوق يشد عليها رق وينقر عليها باليدين يكثر اهل فلسطين من استعمالها ولا يخلو حفل شعبى او مناسبة منها.

ويظهر ان للدربكة عند نساء فلسطين مكانة محببة ولعلها الآلة الوحيدة التى تتقنها القروية والمدنية على السواء.. وتظهر الفلسطينية تجاوباً كبيراً مع الايقاع.

■ البازة: وهى نوع من أنواع النقارات تشبهها شكلاً وتختلف عنها فى صغر حجمها.

(٢) من الآلات الوترية

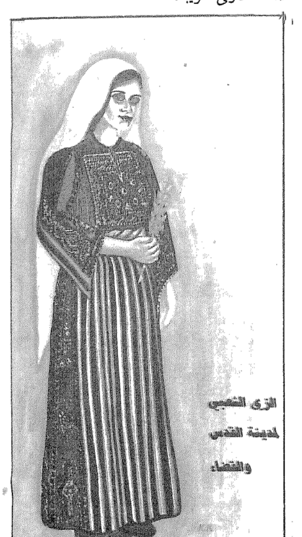
■ الرباب: لعلها اكثر الآلات شعبية فى فلسطين بل لعلها أخلص ما يخدم الموسيقى الشعبية فيها.. وترافق الرباب المغنى فى أغلب أغانيه الشعبية (العتابا - الميجانا - دلعونة - الخ) فى السير الشعبية والأقاصيص وتستثنى غالباً من مصاحبة حلقات الدبكة ويفضل عليها المجوز والناى.

■ العود: وهو عماد التخت الشرقى.. كان الفلسطينيون يستوردون الاعواد من مصر ومن سورية.. واسرة القرعة فى القدس لعلها اشهر من احترف صناعة العود فى فلسطين.

■ القانون: من الآلات الوترية التى استعملها العرب منذ القدم ويختلف عن العود والطنبور فى عدم وجود عنق له ويختلف عنه ايضا فى كثرة الأوتار المشدودة عليه ليحدث أصوات السلم التى تستطيع الأصابع إخراجها على الوتر الواحد فى العود.

■ الكنارة أو السمسمية: آلة وترية مصنوعة من الخشب أو قطعة من المعدن مغطاة برقم وهى قطعة من الجلد الرقيق تلصق بوجه الآلة تحت موضع الضرب.. مستوى أوتارها مواز للصندوق المصوِّت ومثبتة أوتارها فى اطار خشبى.

ومن آلات النفخ: **البارغول**: آله ذات لسان واحد تكون إما بارغولاً منفرداً أو بارغولاً مزدوجاً.. ويتكون المفرد منه من قصبة ذات ثقوب يكون فى الجزء الملامس للفم منها لسان ملصق طرفه الأعلى بالقصبة فاذا نفخ فيه اهتز اللسان محركاً الهواء.. ويتكون البارغول أو الارغول المزدوج من قصبتين من هذا النوع غير ان القصبة التالية غير مثقوبة ولها من الطول ضعف الأولى تقريباً.



الزى الشعبى لمدينة القدس والنساء

■ المزمـار: يصدر الصوت منه باهتزاز لسانين فى الجزء الملامس للفم فيه.

■ المجـوز: وهـو الآلـة النفخيـة الاكثـر شيـوعاً فى فلسطين وما هو الا مزمار مثنى غير ان فتحته مستديرة وليست مخروطية كالمزمار.

●● وللشعب الفلسطينى الكثير من الحكم والامثال الشعبية التى تناولت بعض الآلات الموسيقية مما تعطى مدلـولا عامـا على حسهم الموسيقى وتعلقهم بها . .

ومن أمثالهم فى ذلك . . (يموت الزمار واصبعه بيلعب ـ صوت الطبل يدوى لبعيد ـ اللى يطبل لك زمر له ـ خزقنا الدف وبطلنا الغنانى ـ الزمار بيعرف دار الطبال ـ الطبـل متعـود عاللطم ـ شكيت لابن عمى حمل ربابتين وراح) . . الخ .

الأغنية الشعبية فى فلسطين

الاغانى الشعبية الفلسطينية تناولت موضوعاتها : «الحب ـ الغزل ـ الافراح ـ والمآتم ـ الحرب والحماسة ـ اغانى العمـل والتجارة ـ السياسة والهزل ـ الرثاء ـ الروايات ـ القصص» .

وتكونت اللهجة العامية فى فلسطين نتيجة مؤثرات عديدة تفاعلت مع لهجات القبائل العربية التى وفدت الى فلسطـين من أشـوريـة وفـارسية ويونانية وتركية وانجليـزية . . كل هذا الخليط اوجد لهجة فلسطينية من خصـائصهـا كلمات وصفـات لغوية تخضع كليا لظواهر (الكشكشة ـ العنعنة ـ ابدال حروف الحلق ـ ابدال حرف الضاد) واستعمال مترادفات تؤدى المعنى نفسه وتأدية مقاطع معينة باصوات ذات جرس معين يعطى طابع القرية والمدينة .

ومن صفات اللحن الشعبى الفلسطينى

(١) قصر الجمل :

وتكـرر هذه الجمـل مراراً وهذا التكرار يزيد فى حلاوة اللحن ومرونته ولعل علة هذا التكرار ترجع الى اتسـاقهـا مع الحركة الجسمية المتكررة فى العمل وما يصاحبها من نغم ولفظ ويرجع ايضا الى ان الكلمة المسموعة تحتاج الى التكرار لتثبيتها فى الذهن والسمع على خلاف المطبوعة .

(٢) أبعاد اللحن :

(البعـد هو المسـافة بين الصوتين وأحد الصوتين يكون الحد الأعلى للبعد الآخر أو الحد الأدنى وتقاس المسافات والابعاد بما تحويه من درجات وتكون تسميتها تبعـاً لهذا المقيـاس) فالمسـافـات فى الالحان الشعبية بسيطـة . . وفى غالبهـا تراوح بين المسـافـة الثـانيـة والخامسة فقط . .

(٣) الطابع المقامى :

فقـد بنيت الأغـانى الشعبيـة الفلسطينيـة على المقـامـات العـربيـة (الجـاذبيـة اللحنيـة . . الزخرفة اللحنية . . الايقاع وتكثر فيه الاوزان الثنائية والمركبة) .

و هناك نوعـان من مؤدى الغنـاء الشعبى : «المحـترف والهـاوى» وهؤلاء المغنـون هم: الحـادى ـ الشاعر ويحترف إلقاء الحكايات والقصائد على نغم الربابة .

الشيخ الطبانجى : وهو الذى يمارس الغناء الشعبى فى منـاسبـات المـوالد والمواسم الدينية ـ الدراويش ـ الحكواتى ـ المسحراتى) .

أنواع الأغانى الشعبية فى فلسطين كثيرة ومتعددة وتنطلق على هذه الانـواع تسميـات مختلفـة حسب

المنـاطق ولعـل أشهـرها هى: (العتابا ـ الشروقى ـ الطلعة ـ الدلعونا ـ زريف الطول ـ الجفرة ـ ع اليادى)

الـدبكة: رقصة شعبية موقوفة على الرجال وعلى الشبـاب منهم خاصة لأنها تحتاج للقوة والعنفوان.. يرقصهـا الشبـاب على شكـل حلقة مفتوحة يقودها (اللوِّيح) وهو راقص ماهر رشيق القوام يلوح عادة بمنديله وتضم الحلقة عدداً من الراقصين يراوح من (٦ الى ١٥).

● ومن انـواع الدبكة واشهرها الدبكة الشمالية التى تبـدأ بعـزف منفرد وأثناء غناء (القوِّيل) تكون هناك حركة من أرجل الراقصين تشبه حركة (خطوة التنظيم) العسكـريـة.. وعند الانتهاء من غناء القوِّيل ينفرد اللوِّيح بالرقص وعندما يرى قائد الدبكة ان حركات الأرجـل اصبحت ذات إيقـاع واحـد يقول ـ ريّح ـ وهكذا يقوم الراقصون بحركة خفيفة بالاقدام اليمنى للامـام والخلف.. وبعد ثوان يهتف اللوِّيح: اطلع فينطلق الراقصون فى ايقاعاتهم الرئيسة..

● ومن أنواع الدبكة: دبكة الغزالة التى تتميز بثلاث ضربات شديدة بالقدم اليمنى والدبكة الخليلية وهى مجهدة.

الدلعونا: نمط يشيع استعماله فى حلقات الدبكة مع عزف الشبـابـة (وهى مزمـار من النحـاس بستة ثقـوب) أو (الـيرغـول) ويتألف المقطـع الـواحد من الـدلعونا من أربعة أشطر الثلاثة الاولى منها موحدة القافية والأخير بقافية أخرى يلتزمها المغنى فى المقاطع التـالية.. وموضوع هذا النوع من الغناء هو التغزل بالمرأة وقليلا ما يتناول الموضوعات والاحداث السياسية.

زريف الطول: وتركيب هذا النوع يشبه تركيب (الـدلعـونـا) ولكن الاختلاف يقع فى سرعة الايقاع وطريقة أداء اللحن وهو ينشد أيضاً فى حلقات الدبكة وترافقه انغام الشبابة أو المجوز أو اليرغول والعزف فى هذا النوع يقال له (البلدى).

الطلعـة: سميت بهذا لان المغنى الشعبى يقـوم بتجديد أبيات القصيدة واحداً بعد الآخر وتعد الطلعة من اغانى الدبكة المشهورة وتتسع لتلتزم أشكالا فنية عديدة وملامح كثيرة تجعل المستمع يظن ان لكل مطلع شكـلا مغـايـراً للمطـالع الاخرى.. وللمقطع عدة قواف ويميل اللحن فى الطلعة الى الرشاقة والخفة.

الشـروقى: من أبرز خصائصه ان يكون لصدور الابيات قافية ولاعجازها أخرى ولحنه يناسب الاغانى والكلمات الحماسية.

الفرعاوى: يتألق من مقطع واحد.. يقوله المغنى ويردده الناس من بعده ويتميز بسرعة الاداء والنغمة القـويـة المنسجمـة مع المضمـون الـذى يتسم غالباً بالقـوة.. والشطرة الاولى التى يؤديها المغنى تصبح لازمة يرددها وراءه الجمهور.

العتابا: يتألف المقطع الواحد من أربعة أشطر وتبدأ دائـما بصيحة (أوف) ممدودة منظمة ويذكر ان العتابا قديمـة من أيـام هارون الرشيد وان احدى الجوارى كانت تتغنى بالعتابا فى حضرته.

الميجنا: ويحكى ان (ميجنا) هو اسم فلاحة جميلة كانت تعمـل عند أحد الاقطاعيين فهام بها فخطفها وعندما عاد زوجها الى البيت ولم يجدها هام على وجهه وانشد ابياتاً مفعمة بالحزن والأسى وسمى هذا النوع الذى غناه (ميجنا).

السـامـر: الاصـل فى السـامـر هو تلك الحفلة الشعبيـة السـاهـرة التى تقـام فى مناسبة العرس ثم صارت تطلق على ذلك النوع من شعر المواليا الذى

يؤدى بطريقة جماعية وبالتناوب بين فريقين . . وهذا النمط من الغناء الذى يصاحبه شكل بسيط من الرقص ينتمى الى جنوب فلسطين ويحمل اسم : السامر ـ السحجة ـ الدِّحِّيَّة ـ الهلايوى هلا ـ السرِّيداه ـ الرزعة .

السحجة : تصفيق بايقاع موسيقى معين يتناغم مع غناء شعبى غالباً ما يكون الحداء (وياحلالى يامالى . . والسامر . . الخ) تقام السحجة فى الليالى التى تسبق زفاف العريس ويشارك فيها أبناء القرية والقرية المجاورة الذين يأتون خصيصاً ليسحجوا أو يشاركوا فى الفرح .

●● ومن انواع الأغانى الشهيرة عند الفلسطينيين أغانى الحصاد إذ ينطلقون الى الحقول وفى يد كل منهم (منجله) وينشدون :

يا منجلى . . يامنجلاه
راح للصايغ جلاه
ما جلاه الا بعلبه
يا ريت العلبة عزاه

■ وتنبرى احدى النساء بالغناء والفتيات يرددن وراءها :

. . يا بناتى . .
ـ يا نعم يا ماما
. . بدى أجوزكن
ـ على مين يا ماما
. . ع ها الراعى
ـ الراعى ما بنريده
يطلع ويدخل وعصا الغنم فى ايده
. . يا بنات
ـ يا نعم يا ماما

● وجوه ثقافية ●

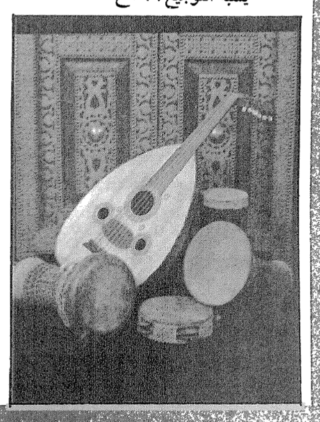


توفيق الحكيم

(١٨٩٨ـ) قصصى وكاتب مسرحى عربى . ولد بالاسكندرية لأب مصرى على شىء من الثراء وأم تركية . . سافر الى فرنسا بعد تخرجه فى مدرسة الحقوق . ليواصل دراسة القانون ولكنه كان اكثر اهتماما بالأدب والفن . وبعد عودته تولى عددا من الوظائف الى ان عين عضوا متفرغا بالمجلس الأعلى للفنون والآداب . بدأ انتاجه الأدبى فى أوائل العشر الثالثة بمسرحيات مثلت فى وقتها . ولكن انتاجه الكبير لم يظهر الا بعد عودته من باريس بسنوات . فأخذ يخرج فى تتابع سريع سلسلة اعمال ناضجة جعلته يعتبر اكبر كاتب روائى ومسرحى فى العربية : **«أهل الكهف» و«عودة الروح» (١٩٣٣) و«شهرزاد» (١٩٣٤) و«يوميات نائب فى الأرياف» (١٩٣٧) . و«عصفور من الشرق» (١٩٣٨)** . ترجمت بعض اعماله الى الفرنسية والانجليزية والروسية والاسبانية ، كما مثلت بعض مسرحياته على مسارح باريس وبوخارست . يتفرد بحوار لينٍ رشيق . . ويوصف مسرحه احيانا بأنه ذهنى ويقارن بابسن وماترلنك . موضوعاته مستمدة من الحياة المعاصرة ومن القصص العربى القديم والأساطير اليونانية والفرعونية . اما رواياته فوثيقة الارتباط بالحياة القومية والاجتماعية منذ ثورة (١٩١٩) . . عبر عن آرائه النقدية فى كتاب «فن الأدب» ١٩٥٢ وفى مقدمات بعض مسرحياته .

. . بدى اجوزكن
ـ على مين يا ماما
. . على الفلاح
ـ الفلاح نريده
يدخل ويطلع ومنجل الحصيدة فى ايده
■■ وهكذا يشترطن ان يكون الزوج فلاحاً مرتبطاً بارضه.

ومن أغانيهم أيضا اغانى الجمالين :
يا حسرتى حملوا
يا حسرتى شالوا
قطعوا شطاطيط البحر
روس الشفا نالوا
وتودعن يا حبايب
واشبعن توديع
توديعكن لو يا حبايب
يشبه التوجيع . . الخ



الأمثال الشعبية

أما فى مجال الأمثال الشعبية فللفلسطينيين ثروة هائلة منها تلتقى الى حد كبير مع مثيلاتها لدى الشعوب المختلفة لا سيما الشعوب العربية وتمتاز فى الوقت نفسه بخصائص فلسطينية ناجمة عن الظروف التى تميزت بها الحياة العربية الفلسطينية عبر مسيرتها الحضارية . . ومن نماذج امثالهم :

«العين ما بتعلا على الحاجب ـ اعمل معروف وارميه فى البحر ـ القرعة ابتتباها بشعر بنت عمها ـ السكافى حافى والمحيك عريان ـ لو جحا بدَّاد بدَّد فى بلاده ـ لو عكا خايفه ما وقفت على شط البحر ـ شد شد قربت الرحلة على اللد ـ ضربوا اليهودى بعلبة لبن قال: وحياة دينى انى مشتهيها».

العادات والتقاليد الشعبية

دورة الحياة من (المولد حتى الممات) تتخللها مجموعة من الاعراف والتقاليد فى جميع مراحلها فى الافراح والاتراح والمناسبات اليومية . . وبقصد الايجاز نقف على بعض نماذج منها :

تقاليد التحية والمجاملة : منها اضافة الى (السلام عليكم) تعابير مثل (جوَّك) بمعنى قواك الله ـ والرد عليها (جوّى الله عزايمك) وتحية (العواف ياغانمين) واصلها (عوافى ـ جمع عافية ـ للغانمين)

● وفى تحية القادم لقوم يعملون (صح بدنه) وإذا جاء لجماعةٍ يحلبون مواشيهم او يجمعون ثمارهم يحيهم (اللهم صلى على سيدنا محمد . . اللهم زد وبارك . . الله يطرح البركة).

● وفى تقاليد الجيرة نجد امثالهم الشعبية تسجل اهميتها بمثل قولهم (النبى وصى ع سابع جار) و(جارك القريب أفضل لك من اخوك البعيد).

فنون شعبية أخرى

ضمن الفنون التى سجلها الفن الشعبى الفلسطينى (الازياء والتطريز ـ الفخار ـ الزجاج ـ الصناعات المعدنية ـ الصناعات العظمية والصوفية والعاجية ـ الصناعات الخشبية ـ فن الفسيفساء.. الخ).

البيئة التى يعيش فيها الفنان الشعبى وما تحويه من موارد طبيعية ومواد أولية وما تتأثر به من طبيعة المناخ تجعل لكل تجمع بشرى مهما صغر صفة خاصة يتسم بها.. فالحِرَف اليدوية الشعبية اضافة الى انها متحررة تحرراً شبه تام عن الآلة فهى تحكى احاسيس هذا الفنان ومشاعره وما يجيش فى نفسه.

ونذكر من صناعاتهم اليدوية

الشمع: وهى صناعة رائجة يتكاثر الطلب عليها فى شتى الاحتفالات الدينية والاعراس والمآتم.. وقد اشتهرت القدس بهذه الصناعة ومن اشهر الاسر المحترفة صناعة الشمع «اسرة فراج ـ الاردعجى ـ كتن ـ الجوزى ـ الشماع».

صناعة الخشب: صناعة خشب الزيتون من الحرف الشعبية العريقة.. والقدس هى اشهر مدينة فلسطينية اختصت به.. ومن المصنوعات الخشبية (المصابيح ـ المسابح ـ الشمعدانات ـ القلائد ـ الجمال ـ اوان للزهور وغيرها».

صناعة الزجاج الخليلى: كانت هذه الصناعة واسعة الرواج تصدّر إلى اسواق سوريا ومصر وتركيا والحجاز ورومانيا.

●● واقدم حى فى الخليل يعرف بحى القزازين نسبة الى هذه الصناعة.. وهذه الصناعة ازدهرت فى القرن التاسع عشر وعرضت مصنوعات الخليل فى معارض أوربية اهمها: (بودابست ـ فيينا ـ باريس).

صناعة الصدف: اشتهرت بهذه الصناعة مدينة (بيت لحم) وشملت صناعتها النقش والحفر والنحت والترصيع لانواع الحلى المختلفة.. ويعنى محترفو هذه الصناعة بترصيع غلافات الكتب وغيرها بالصدف.

الحرف المعدنية: ومنها الفضية والنحاسية والذهبية.. فالأدوات والآنية النحاسية بأشكالها المختلفة ساهم فى صنعها وزخرفتها مهاجرو الارض المحترفون من يافا والقدس ونابلس والناصرة وعكا.. وصنع المحترفون جميع ادوات الزراعة والحراثة.. وكانوا يبدون اهتماماً كبيراً بالخنجر (الشبرية) فيطعمونه بالحجارة الكريمة والعاج وكانوا يصنعونه من الفضة أو من الذهب احيانا.

صناعة النسيج: هناك أنواع لنسج الأقمشة القطنية والحريرية كالكرمسوت وهو خليط من القطن والحرير المموج.. ثم القطن المعروف بالحضارى المبرسم وهو مقلم فيه زهور حريرية حمراء.. والهرمز وهو حرير ناعم مهفهف والتوبيت وهو من القطن الاسود يلمع على احد جانبيه والروزا وهى حرير بيج لامع متقن الصنع وغالى الثمن.

ومن المدن الشهيرة فى هذه الصناعات: «**المجدل ـ الناصرة ـ صفد ـ بيت جالا ـ نابلس ـ أبو ديس ـ الخليل**».. ولعل **أقدم** بلد عرف هذه الصناعة «**غـزة**».

(*) راجع الموسوعة الفلسطينية.



الثقافة تعريفات مختلفة بعض هذه التعريفات يحصرها فى جوانب محددة من جوانب النشاط الانسانى وبعضها الآخر يتسع ليشمل كل ما صنعه أى شعب أو أمة من نظم وحياة اجتماعية وأدوات ومصنوعات وأفكار ـ أى التراث الاجتماعى الذى تراكم خلال الأجيال المتعاقبة والذى يعيش فيه هذا الشعب أو هذه الأمة على حد قول الدكتور محمد الهادى عفيفى(١) وهو ما يراه أيضا علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع.

الثقافة إذاً هى محصلة التفاعل الاجتماعى بين أفراد مجتمع من المجتمعات وهى ترسى أنماطا سلوكية يقبلها ذلك المجتمع وفى اطارها يحقق الأفراد حاجاتهم البيولوجية والاجتماعية(٢) وتنتقل الثقافة بهذا المعنى من جيل الى جيل فتكون رصيدا متراكما محملا بالمعانى التى يعبر عنها الأفراد بلغتهم بما فيها من رموز خاصة. وعلى ذلك فهى ليست فطرية وانما يكتسبها الفرد خلال نموه وسط الجماعة ولهذا فهى أساس يؤثر فى تكوين شخصية كل فرد ينمو وسط هذه الجماعة(٣) وتستمر السمات الثقافية العامة للمجتمع بما يسهم به فيها ثانية هؤلاء الأفراد.

أما التغيّر الثقافى فيأتى نتيجة للتغير الفكرى وهذا بدوره يتغير تحت تأثير الظروف المحيطة به من اقتصادية وسياسية واجتماعية وغيرها ومن الطبيعى ان يسبق بعض الأفراد بقية مجتمعهم فى الوصول الى الأفكار الجديدة وهؤلاء هم قادة الفكر أو رواده ولابد لهؤلاء من وسيلة تواصل ـ كلمة أو لحن أو صورة.. الخ. تنقل أفكارهم الى بقية أفراد مجتمعهم وتحت تأثير العوامل المشتركة تلقى أفكارهم القبول عند أفراد المجتمع فيتم التفاعل وتتحول الأفكار الى سلوك يتحول بدوره الى انتاج فى شتى المجالات ويمثل الثقافة العامة لذلك المجتمع حسب التعريف السابق للثقافة.

ولنتتبّع تاريخ النهضة الثقافية فى مصر فى الربع الأول من القرن العشرين يجب البدء بما قبل هذا القرن للبحث عن بوادر هذه النهضة والعوامل التى أدت اليها ثم معرفة لمن كان فضل ريادة الفكر (وهو الجزء الأول من هذه المقالة).. ثم نتابع فى هذا القرن استمرار العوامل المؤثرة والقيادات الجديدة التى حملت لواء النهضة فى مجالاتها المختلفة ونستعرض نماذج من هذه الأفكار الجديدة كما تبدو فى صور التعبير المختلفة

مدرس تاريخ الفنون كلية الفنون التطبيقية / جامعة حلوان

الثقـــافيــة فى مصـــر

من أدب وفن وغــيره ومـا ترتب عليهـا من تحولات حضارية (وهو الجزء الثانى من المقالة).

١ ـ الحركة الثقافية فى مصر قبل القرن العشرين

نعمت مصر الاسلامية حتى القرن الخامس عشر بنشاط ثقافى بلغ أوجه على أيدى جملة من مؤرخيها العظام مثل ابن خلدون والمقريزى وابن حجر والعينى وابن تغرى بردى وابن الصيرفى والسخاوى والسيوطى وابن اياس وغيرهم. . لكن هذه النعمة لم تدم اذ تمكن الأتراك العثمانيون فى بداية القرن السادس عشر من القضاء على دولة المماليك فى مصر والشام كما انتصروا على الدولة الصفوية وضمت مصر والشام والعراق الى أملاكهم وأصبحت القسطنطينية مركز الثقل ومقر الخلافة ومحور الارتكاز فى العالم الاسلامى وتحوّل اليها مركز النشـاط العلمى باعتبـارهـا العاصمة وأصبح التأليف فيها باللغة التركية أكثر منه بالعربية وركدت بذلـك الحـركة العلمية والثقافية فى مصر فى القرون الثلاثة التى خضعت فيها للحكم العثمانى (السادس عشـر والسابع عشر والثامن عشر) ساعد على ذلك أيضـا ما فعله سليم الأول عنـدما صحب معه الى القسطنطينية عددا من كبار العلماء والفنانين والصناع المهرة عند خروجه من مصر. كما حمل معه معظم ما كانت تذخر به مكتبات القاهرة من نوادر الكتب والمؤلفات.

بوادر النهضة التلقائية فى نهاية القرن الثامن عشر:

عادت بوادر نهضة علمية جديدة تظهر تلقائيا فى مصر قرب نهاية القرن الثامن عشر مع محاولة على بك الكبير الاستقلال عن الدولة العثمانية فظهر عدد من العلماء والأدباء والمفكرين مثل الشيخ حسن الجبرتى العالم الرياضى والفلكى والشيخ محمد الشبراوى شيخ الأزهر الذى قال الشعر وفيه لمحة تجديد والشيخ حسن العطـار شيـخ الأزهر الذى كان مولعا بقراءة الكتب المترجمة وكانت له ميول تاريخية وجغرافية ورثها تلاميذه ومن بينهم رفـاعـة رافع الطهطاوى والشيخ اسماعيل الخشاب الذى كتب فى الشعر والنثر معا والسيد محمد مرتضى الزبيدى صاحب **«تاج العروس فى شرح القاموس»** والشيخ عبد الرحمن الجبرتى المؤرخ المشهور.

لم تلبث هذه المقدمات للنهضة الثقافية التلقائية ان توقفت عندما أتت الحملة الفرنسية الى مصر ومعها علماء وفنانون فرنسيون ومكتبة ومطبعة فأقاموا عدة مكتبات فى بيوت استولوا عليها وأقام فى بعضها بعض المصورين الذين بهروا الناس بما رسموه من صور «يظن من يراها أنها بارزة فى الفراغ مجسمة تكاد تنطق» كما قال الجبرتى(٤) كما كانت تلك المطبعة أول مطبعة وجدت فى مصر وقد اصطحبها الفرنسيون معهم عند جلائهم عنها وأقام الفرنسيون معهدا أيضا وجعلوا يرغّبون المصريين فى زيارة هذه المنشآت الثقافية ويرحبون بهم فيها ليجتذبوهم الى جانب الحضارة الغربية.

توقف التأليف وبداية الترجمة:

أخذ المصريون بما رأوا من عجائب التقدم الذى وصلت اليه الدول الغربية وكانوا حتى ذلك الحين فى عزلة عن العالم ضربتها على الشرق الأوسط بأسره الدولة العثمانية لدى ثلاثة قرون ويوضح ذلك أهمية الأثر الذى تركته الحملة الفرنسية على الفكر والثقافة فى مصر والعالم العربى الذى تعود أن يتابع ما فى مصر دائما من اتجاهات جديدة(٥) فلا عجب اذا ان ترك المصريون بوادر نهضتهم التلقائية الناشئة وسعوا الى النقل عن الحضارة الغربية فتوقفت حركة التأليف ونشطت الترجمة(٦).

ازداد الاتجاه الى الحضارة الغربية فى عهد محمد على بعد جلاء الحملة الفرنسية فقد أراد إحداث نهضة حقيقية ورأى ان ذلك لن يتحقق الا بالنقل عن الغرب ففتحت المدارس الحديثة على النظام الأوربى وأرسلت البعثات الى أوربا واستمرت حركة الترجمة طوال عهده. الا ان معظم الترجمة كانت لكتب علمية وحربية لخدمة الجيش والمدارس والدواوين الى ان فتحت مدرسة الألسن وبدأ رفاعة الطهطاوى يضع مشروعه لترجمة عدد من الكتب لتغطية تاريخ العالم.

ساعد على احداث هذه النهضة فى عهد محمد على تلك المطبعة التى أنشأها فى بولاق سنة ١٨٢٢ وكانت هذه أول مطبعة فى مصر بعد ان خرجت منها مطبعة الحملة الفرنسية لكن مطابع كثيرة أنشئت بعد ذلك ملحقة بالوزارات والمدارس العليا. انتشرت بذلك الكتب اذ كانت المطبعة تطبع عادة من كل كتاب ١٠٠٠ نسخة(٧).

بتولى عباس الأول حكم البلاد أصيبت الحياة الثقافية فى مصر بنكسة كان من مظاهرها ان أغلقت مدرسة الألسن وكان رفاعة الطهطاوى وتلاميذه منهمكين فى أعمال الترجمة.

لم تزل آثار هذه النكسة حتى بدأ عهد اسماعيل وكان محبا للثقافة الغربية فأعيدت فى عهده مدرسة الألسن وتبعتها نهضة ثقافية جديدة قادها كل من رفاعة الطهطاوى وتلاميذه وعلى مبارك وتلاميذه.

رفاعة الطهطاوى:

تحوّل رفاعة الطهطاوى وتلاميذه من الترجمة الى التأليف فكان رفاعة أول مؤرخ مصرى عرف تاريخ مصر على حقيقته فى ضوء الكشوف الأثرية وما كتبه المؤرخون الأوربيون فى عصره(٨) وترجع أهميته الى الأثر الذى تركه على الحركة الوطنية فقد تأثر عبد الله النديم بما كتبه الطهطاوى عن تاريخ مصر وكان يقرؤه فى مخبأه ثم تأثر به مصطفى كامل عندما اتصل بعبد الله النديم وتتلمذ عليه(٩).

كان فريق رفاعة الطهطاوى من ذوى الثقافة

الأزهرية الاسلامية التى طعمت فيما بعد بالثقافة الفرنسية التى تلقاها بعضهم فى باريس وتلقاها البعض الآخر فى مدرسة الألسن.

على مبارك:

أما فريق على مبارك فقد كانوا من أعضاء البعثات ومن خريجى الهندسة أو المعنيين بالآثار وقد طعمت ثقافتهم العلمية بالثقافة الفرنسية أيضا وانضموا الى مجموعة الطهطاوى فى التأليف فى عهد اسماعيل.

كان على مبارك نفسه زميلا لاسماعيل فى بعثته بأوربا فعهد اسماعيل اليه - حين ولى الحكم - بادارة شئون التعليم فوضع مشروعا لتنظيم التعليم الأبتدائى وعنى بأعداد المعلمين ولم يكن بمصر مدرسة للمعلمين فأنشأ مدرسة دار العلوم وأخذ أساتذتها من علماء الأزهر وطلابها من الأزهر كما قام بجمع الكتب والمخطوطات الباقية بالمساجد والمكتبات الأهلية وأنشأ بها أول دار للكتب بالقاهرة وهى الدار الخديوية.

الجامع الأزهر - من الخارج

الحركة الثقافية بين الشرق والغرب:

تنازعت الحركة الثقافية فى ذلك الحين تيارات الثقافة الفرنسية الحديثة والثقافة العربية القديمة فقد استخدم قادة الثقافة فى مصر من فريقى رفاعة الطهطاوى وعلى مبارك المراجع العربية القديمة والمراجع الفرنسية الحديثة على حد سواء فرجعوا الى الطبرى وابن عبد الحكم والمسعودى وابن خلدون والمقريزى والسيوطى كما رجعوا الى فولتير وروسو ومونتسيكيو وجيزو وكاترمير(١٠).

بلغ الصدام بين تحفظ الفكر الشرقى وتحرر الفكر الغربى مداه فى أواخر القرن التاسع عشر حتى طغت فى النهاية الموجة الغربية ازاء التقدم الأوربى الملحوظ الذى لمسته طائفة المثقفين الجديدة تلك الطائفة التى ظهرت اثر التحولات الاجتماعية التى أعقبت اصدار اللائحة السعيدية (١٨٥٨) وانشاء مجلس الشورى (١٨٦٦)(١١).

ظهور طائفة المثقفين:

أصدر سعيد اللائحة السعيدية التى أتاحت للمصريين تملك الأراضى بعد ان عجزت الدولة عن استثمارها فظهرت طبقة الملاك ومنها الأعيان الذين تكونوا عن العصبيات الريفية ووجدوا فرصة للظهور من خلال مجلس شورى النواب فى عهد اسماعيل وامتلكوا الأراضى من تصفية الدومين والدائرة السنية وكونوا اقطاعيات صغيرة ثم وجدوا مساعدة من الاحتلال ليضرب بهم طبقة الذوات التركية(١٢).

نشدت هذه الطبقة حكما دستوريا يمكنها من المشاركة فى الحكم فقط فلم تتشيع لحركة مصطفى كامل بقدر

ما تشيعت لمصالحها الحقيقية لكنها استطاعت ان تنفق على تعليم ابنائها فى المدارس المصرية وفى الخارج.

من هؤلاء الأبناء نشأت طبقة المثقفين التى تأثرت بالفكر الغربى والنزعات القومية التى سادت أوربا فى القرن التاسع عشر وشاركت فى الحركة الوطنية ثم تأثرت بمحمد عبده الذى جعل همه بعد فشل الثورة العرابية الدعوة الى الاصلاح ونشر التعليم وتقييد سلطة الخديوى ولم يتعرض كثيراً للاحتلال على أساس ان التعليم هو الذى سيجعل الأمة ترفض الاحتلال وتطرده ومن بين هؤلاء المثقفين خرج قاسم أمين وعمر لطفى وطلعت حرب(١٣).

الروح القومية:

كان للروح القومية التى نشطت وظهرت فى مقاومة المصريين للحملة الفرنسية ثم فى تولية محمد على أثرها على النهضة الثقافية التى ظهرت بوادرها فى القرن التاسع عشر كما تتضح من نشاط رفاعة الطهطاوى الذى كتب تاريخ مصر من عهد الفراعنة بما يوضح الدور القيادى لها فى ركب الحضارة وكان لذلك أثره على الحركة الوطنية فى القرنين التاسع عشر والعشرين(١٤).

جمال الدين الأفغانى:

كذلك كانت دعوة جمال الدين الأفغانى الى الجامعة الاسلامية من أهم المؤثرات لبعث الوعى القومى والفكرى فى مصر - وغيرها من بلاد العالم الاسلامى - فقد استهدف الأفغانى انهاض الدول الاسلامية من ضعفها وتبصرة شعوبها بحقوقها ورفع نير الأجنبى عنها وتحديد مركز الحاكم والمحكوم فيها ولكنه ربط ذلك بالخلافة فى الآستانة(١٥) ومهدت هذه الحركة لظهور الثورة العرابية(١٦).

يتضح أثر حركة جمال الدين الأفغانى من أسماء من اتصلوا به فى مصر مثل الشيخ محمد عبده وسعد زغلول وابراهيم اللقانى وابراهيم الهلباوى ومحمود سامى البارودى وابراهيم المويلحى وأديب اسحق... وغيرهم(١٧) وكان مصطفى كامل ومعظم أنصاره من المحامين الذين درسوا القانون وحاولوا اثبات بطلان الاحتلال البريطانى ممن آمنوا فى بداية أمرهم بفكرة الجامعة الاسلامية (١٨).

الى جانب نمو الروح القومية شهد القرن التاسع عشر مظاهر ثقافية أخرى كان لها أثرها على النهضة الثقافية التى أعقبت ذلك فى بداية القرن العشرين منها العناية بالآثار وبدء الصحافة والمسرح بمساعدة المهاجرين الى مصر من سوريا ولبنان وظهور الجمعيات العلمية وبعض النشاط فى الفنون التشكيلية.

العناية بالآثار:

بدأت العناية بالآثار فى عهد اسماعيل الذى كان مهتما بها واليه يرجع الفضل فى انشاء دار الآثار المصرية وتشجيع مريت باشا على البحث والحفر والتنقيب كما أنشئت بأمره «مدرسة اللسان القديم» تحت اشراف العالم الألمانى هنرى بروكس.

لم تدم مدرسة اللسان القديم أكثر من خمس سنوات (١٨٦٩-١٨٧٤) ولم يزد عدد تلاميذها عن عشرة تلاميذ الا أنه من بين هؤلاء كان العالم الأثرى أحمد كمال (باشا) أول مصرى يعمل فى الآثار وقد كون لنفسه مدرسة جديدة من الأثريين المصريين الذين

تابعوا النهضة الأثرية فيما بعد ـ فى القرن العشرين ـ من حفر وتنقيب ودراسة وتأليف(١٩).

فى أواخر القرن التاسع عشر أيضا بدأت فكرة انشاء «دار الآثار العربية» (متحف الفن الاسلامى حاليا) وتكونت لذلك لجنة حفظ الآثار العربية فى (١٨ ديسمبر ١٨٨١ صدر دكريتو) بذلك فجمعت التحف والآثار الأسلامية من المساجد والدور ووضعت فى جامع الحاكم ونقلت فيها بعد ١٩٠٣ الى المتحف الحالى(٢٠) ويرجع الفضل فى ذلك الى «على بهجت بك» الذى أصبح أمينا لها وقام بنشاط كبير فى التأليف والترجمة(٢١).

أنشىء فى نهاية القرن التاسع عشر أيضا المتحف اليونانى الرومانى بالأسكندرية سنة ١٨٩١ والمتحف القبطى بالقاهرة سنة ١٨٩٨(٢٢).

نشأة الصحافة المصرية:

أما عن نشأة الصحافة المصرية فيمكن ارجاعها الى عام ١٨٢٢ حين أسس محمد على بالقاهرة «الوقائع المصرية» الا أن الدور النشيط للصحافة يرجع الى عام ١٨٧٦ حين أنشئت جريدة «الأهرام» وهو نفس العام الذى أنشىء فيه صندوق الدّين والمراقبة الثنائية فى مصر فكان الهدف من أنشاء جريدة الأهرام ايقاظ الرأى العام لاتخاذ موقف من صندوق الدّين والمراقبة الثنائية والتدخل الأجنبى(٢٣).

عندما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية ودولة الروسيا (١٨٧٧) أثار ذلك اهتمام المصريين فتلقّطوا الأخبار من الجرائد الأوربية ثم أخذت الجرائد المصرية تكتب هذه الأخبار وتطوى موقف الروس مما أثار الرأى العام المصرى بين

وجوه ثقافية



احمد لطفى السيد

(١٨٧٢-١٩٦٣). مفكر وفيلسوف عربى مصرى. ورائد من رواد الحركة الوطنية. ولد ببرقين بالدقهلية حصل على ليسانس الحقوق ١٨٩٤، التحق بخدمة القضاء ثم رقى الى وظيفة مساعد نيابة ١٨٩٦ فوكيل للنيابة استقال من منصبه ١٩٠٥ واشتغل بالسياسة. شارك فى تأسيس حزب الامة وتولى رياسة تحرير الجريدة (١٩٠٦-١٩١٤) عاد الى خدمة القضاء. ثم عين مديرا لدار الكتب المصرية (١٩١٥-١٩١٨) فمديرا للجامعة المصرية ١٩٢٥ فوزيرا للمعارف ١٩٢٨. عاد الى ادارة الجامعة ١٩٣٠، ثم استقال ١٩٣٢. وفى يوليو ١٩٣٨ عاد للمرة الثالثة مديرا للجامعة. عين عضوا بمجمع اللغة العربية ١٩٤٠، فرئيسا له (١٩٤٥-١٩٦٣). عين وزيرا للخارجية ١٩٤٦، فنائبا لرئيس الوزراء وعضوا بمجلس الشيوخ اسهم فى عدة مجامع وجمعيات علمية. ترجم لأرسطو، وجمعت خطبه ومقالاته واحاديثه. دون مذكراته. نال جائز الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية ١٩٥٨.

مؤيد ومعارض ونشأت جرائد جديدة للرد على ما تقوله هذه الجرائد كما ذكر الشيخ محمد عبده فى مذكراته(٢٤)

تعدّدت الصحف والجرائد فكان منها : «**مصر . . والوطن . . واللواء . . ووادى النيل . والمؤيد**» . ومجلات «المقتطف» التى جاء بها يعقوب صروف الى مصر عام ١٨٨٦ و«**روضة المدارس**» التى انشأها على مبارك وعهد بادارتها الى رفاعة الطهطاوى وكانت أول مجلة ثقافية فى مصر الحديثة ومجلة «الشفاء» التى أصدرها شبلى شميل ومجلة «الجامعة العثمانية» التى أصبحت الجامعة فيما بعد والتى أنشأها فرح أنطون (١٨٩٩) وكانت الصحف فى القرن التاسع عشر تهتم بالمقالة اكثر من الخبر فنشرت كثيرا من الفصول والكتب التاريخية وغيرها(٢٥).

دور السوريين الوافدين الى مصر فى حركتها الثقافية :

لعب السوريون واللبنانيون الوافدون الى مصر دورا هاما فى الحياة الثقافية فى القرن التاسع عشر خاصة فى الصحافة والتمثيل . وقد وفدوا الى مصر فى فوجين الأول فى عهد محمد على وكانوا من السوريين الذين عملوا مترجمين فى المدارس العليا الجديدة وفى ادارات الحكومة وساهموا فى حركة الترجمة فى عصر محمد على فنقلوا كثيرا من الكتب عن الفرنسية او الايطالية الى اللغة العربية(٢٦) .

وجاء الفوج الثانى فى عهد اسماعيل وما بعده اذ ظلت الحركة العلمية سائدة فى الشام ومركزها بيروت ـ فى الفترة التى ركدت فيها فى مصر عقب وفاة محمد على(٢٧) فلما تفاقم ضغط السلطان عبد الحميد على المؤسسات الأدبية والصحفية فى سوريا(٢٨) هاجر الكثيرون من أصحاب الأقلام والمفكرين الى مصر منذ عهد اسماعيل حتى قيام الحرب العالمية الأولى وقد كان أكثر نشاطهم فى الصحف مثل «**المقتطف**» التى أنشأها يعقوب صروف وفارس نمر الذى أنشأ «المقطم» أيضا و«الشفاء» لشبلى شميل و«الجامعة» لفرح أنطون وكان لهم نشاطهم فى المسرح أيضا .

المسرح :

قاد السوريون القادمون الى مصر الحركة المسرحية الناشئة فيها فعندما وصل سليم النقاش الى الأسكندرية سنة ١٨٧٦ اشترك مع الكاتب أديب اسحق فى العمل المسرحى واستمر سنة واحدة ثم انسحبا تاركين فرقتهما لأحد أعضائها (يوسف خياط)(٢٩) .

كانت هناك فرق مسرحية كثيرة منها فرقة سليمان الحداد وسليمان القرداحى وأبو خليل القبانى واسكندر فرح وكان يعمل فى فرقة القبانى ثم انفصل عنها (١٨٩١) وألف فرقة خاصة ثم توقف بعد بضعة سنين وأجر مسرحه للشيخ سلامة حجازى ثم للجوق العربى الجديد الذى ألفه عبد الله عكاشة وكان يديره الشاعر البيروتى الياس فيّاض(٣٠).

سلامة حجازى :

عرف الشيخ سلامة حجازى طريقه الى المسرح أول الأمر عندما بدأ يقدم بعضا من أغانيه بين فصول هذه المسرحيات وكان فى بداية أمره يرفض التمثيل لأنه فى نظره عمل خليع ولكن هذا الرأى تغير عندما شاهد بالصدفة فاصلا تمثيليا لكل من سليمان الحداد وسليمان قرداحى فى أحد أفراح الخديوى فأعجب بهما وغير رأيه فى التمثيل وانضم الى فريقهما من ١٨٨٥ ـ ١٨٨٩ .

قدم سلامـة حجـازى أيضـا عديـدا من المسرحيات مع فرقة اسكندر فرح وكان سلامة حجازى أول موسيقى عربى عرف الطريق الى المسرح الغنائى وقد قرّبه الخديوى اليه وسمح له بتقديم مسرحياته الغنائية على مسرح الأوبرا(٣١).

اعتمد المسرح فى مصر ـ على العموم ـ منذ ظهوره فى القرن التاسع عشر على التأليف وكانت موضوعاته بعضها من التاريخ والآخر من واقع الحياة الاجتماعية او الأخلاقية او الكتب المقدسة وتناولت المأساة والملهاة والرواية الهزلية باللغة الفصحى او العامية(٣٢).

فى عهد محمد على أنشئت «الجمعية المصرية» (Societe Egyptienne) من جماعة من المستشرقين والعلماء الأوربيين المقيمين فى مصر (١٨٣٥) وكان غرضها الأول انشاء مكتبة تضم أكثر عدد ممكن من الكتب وخاصة ما يتحدث منها عن الشرق ثم أصبح هدف الجمعية طبع ونشر الكتب المتصلة بالشرق ثم انضم اليها بعد ذلك عدد من المصريين ممن تثقفوا بثقافة أوربية وانتهى أمر الجمعية الى الانحلال فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وضمت مكتبتها الى دار الكتب الخديوية(٣٤).



سوق الغورية وكيف تتم الصفقات التجارية .. منظر مرسوم باليد سنة ١٨٨٠م.

الجمعيات العلمية:

من مظاهر الحركة الثقافية فى مصر فى القرن التاسع عشر كانت الجمعيات العلمية وقد أنشأ نابليون عند مجيئه الى مصر فى سنة ١٧٥٨ أول مجمع علمى بها وكان أعضاؤه من العلماء الفرنسيين الذين صحبوا الحملة وتبلورت ثمرة بحوثهم فى كتاب «وصف مصر» Description de L'Egypte وقد ألغى هذا المجمع عندما خرجت الحملة من مصر(٣٣).

أعيد انشاء المجمع العلمى فى عهد محمد سعيد بالأسكندرية باسم «المعهد المصرى» (L'institut d'egypte) ونقل بعد ذلك الى القاهرة وكان أعضاؤه من العلماء المصريين والأوربيين المقيمين فى مصر وأنشأ المجمع مجلة علمية له وكان ينشر مجلدات مذكراته السنوية (Memoires) (٣٥).

فى سنة ١٨٦٨ أنشأ بعض المفكرين المصريين «جمعية المعارف» لنشر الثقافة بواسطة التأليف والطباعة والنشر وقامت بطبع عدد كبير من المؤلفات العربية القديمة فى التاريخ والفقه والأدب(٣٦).

فى سنة ١٨٧٥ أنشئت الجمعية الجغرافية الخديوية فى عصر اسماعيل وكانت لها مجلة هامة نشرت فيها أبحاث جغرافية وتاريخية وأثرية وكشوف تمت فى القرن التاسع عشر(٣٧).

الفنــون:

لم يظهر مصريون فى مجال الفنون التشكيلية فى مصر فى القرن التاسع عشر وان كانت نهاية ذلك القرن قد شهدت ميلاد بعض من أصبحوا روادا لهذه الفنون بين المصريين فى أوائل القرن العشرين مثل محمود مختار (١٨٩١-١٩٣٤) ومحمود سعيد (١٨٩٧-١٩٦٤) ومحمد ناجى (١٨٨٨ - ١٩٥٦) وأحمد صبرى (١٨٨٩ - ١٩٥٥) ويوسف كامل (١٨٩١ -) وراغب عياد (١٨٩٢ - ١٩٨٤). أما فى ذلك الحين فقد كان النشاط الفنى قاصرا على الأجانب من الفرنسيين الذين رافقوا الحملة الفرنسية وبقوا فى مصر بعد رحيلها وغيرهم ممن وفدوا الى مصر بعد ذلك من جنسيات مختلفة.

دور هؤلاء المصورون مناظر من الحياة المصرية وحظوا برضاء الخديوى اسماعيل فأقاموا أول معرض لهم فى مصر سنة ١٨٩١ بصالة الأوبرا الخديوية افتتحه الخديوى واقتنى هو وكثير من حاشيته الكثير من المعروضات(٣٨) وبعدها تشجع هؤلاء الفنانون فأخذوا فى تحسين شارع الخرنفش الذى كانوا يعيشون فيه وأسموه «شارع الفن» وفى فناء أحد بيوته كان الموسيقيون الأوربيون يقيمون حفلات الكونشرتو للأثرياء من المصريين والأجانب(٣٩).

كانت هذه أهم الملامح التاريخية للحركة الثقافية التى دخلت بها مصر القرن العشرين ومع بداية هذا القرن العشرين.. تبدو معالم نهضة ثقافية جديدة قوامها دعوة الشيخ محمد عبده الى التوفيق بين الحضارة الغربية والتراث الشرقى وأزكتها الحركة الوطنية التى تصدى لقيادتها المثقفون المصريون كما يتضح من الجزء الثانى من هذه الدراسة.

٢ - الحركة الثقافية فى مصر مع بداية القرن العشرين

أ - الامام محمد عبده وتطور الفكر المصرى فى بداية القرن العشرين:

قارب القرن التاسع عشر على الانتهاء والفكر المصرى فى وسط الطريق بين الأخذ بالثقافة الغربية **(كأثر من آثار الحملة الفرنسية ونظام محمد على وحماس اسماعيل للثقافة الغربية)** والتمسك بالتقاليد القديمة والروح الشرقية **(اثر ازدهار الروح القومية والاهتمام بالآثار القديمة ودعوة السيد جمال الدين الأفغانى)** ولكل من الاتجاهين كان هناك أنصار ومؤيدون ولعبت المطابع التى ظهرت لأول مرة فى مصر فى ذلك القرن دورها فى نشر هذه الأفكار أو تلك كما حملت الصحف والمسرح - وكلاهما فى مصر وليد ذلك القرن أيضا - آثار هذين الاتجاهين الى طبقة المثقفين وغيرهم.



تعد الجمعيات العلمية من مظاهر الحركة الثقافية فى مصر فى القرن التاسع عشر..

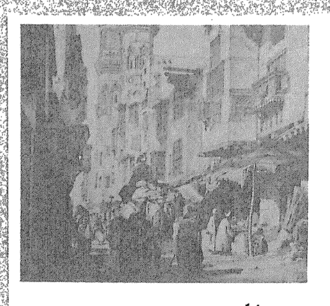


بين هذين الاتجاهين كان هناك بعض المعتدلين الذين حاولوا التوفيق وأهم هؤلاء الامام الشيخ محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥) الذى حمل كل آثار التطور الثقافى فى القرن التاسع عشر وأصبح رائدا للفكر المصرى فى القرن العشرين.

تبنىّ محمد عبده أفكار أستاذه جمال الدين الأفغانى التى تهدف الى انهاض العالم الاسلامى وتخليصه من السيطرة الأجنبية على اساس الاخذ بالشريعة الاسلامية وكان لمحمد عبده من الذكاء ودقة التفكير ومنطقيته وحريته ومن الروح العملية ما جعله يتصدى لزعامة الفكر وريادة النهضة الثقافية فى كثير من المجالات.

وضع الشيخ محمد عبده برنامجا طالب فيه بإقامة حياة حرة وتحسين حال الفلاح والغاء السخرة والتخلص من نظام الطبقات (٤٠) وقد اختلف مع أحمد عرابى حول طريقة تحقيق تلك الأهداف فقد رأى أن الثقافة والتربية الأخلاقية والسياسية يمكنها ان تحدث هذا التحول بالتدريج أما العنف - الذى كان يراه أحمد عرابى - فقد يؤدى الى تدخل أجنبى.

لكن الشيخ محمد عبده لم يلبث أن أيّد الحركة العرابية وأصبح يكتب لصالحها ويدعو لها فلما فشلت الثورة حوكم مع رجالها وحكم عليه بالسجن ثم بالنفى ثلاث سنوات فرحل الى سوريا سنة ١٨٨٣ ثم لحق بجمال الدين الأفغانى فى باريس سنة ١٨٨٤ حيث أنشأ جريدة **«العروة الوثقى»** ولم تلبث الجريدة أن توقفت عندما حال الاستعمار دون وصولها الى البلاد الاسلامية فانتقل محمد عبده الى بيروت ثم سوريا وأزعج نشاطه السلطان عبد الحميد. فسعى لدى الحكومة الانجليزية للعفو عنه وأعادته الى مصر فعاد اليها سنة



١٨٨٨ وعُيِّن قاضيا بالمحاكم الشرعية ثم مستشارا فى محكمة الاستئناف ثم عين عضوا فى مجلس ادارة الأزهر كما عيّن سنة ١٨٩٩ عضوا فى مجلس شورى القوانين(٤١).

كان لاهتمام محمد عبده باصلاح التعليم والتربية الأخلاقية أثره فيما تمتع به من عميق الأثر فى مصر والعالم الاسلامى فقد اقترح محمد عبده على أستاذه الأفغانى بعد توقف صدور **«العروة الوثقى»** وفشل مشروع الجامعة الاسلامية ان يهجرا السياسة وينشئا مدرسة خاصة تعنى بتربية الشبيبة فيصلان عن طريق التربية الى اصلاح الأخلاق وتكوين الصفوة من الشباب المصرى التى تعمل على اصلاح المجتمع وهو أسلوب أبطأ من الأسلوب الثورى الذى بشر به أستاذه ولكنه أبقى منه أثرا.

ما أن عاد محمد عبده الى مصر وعيّن فى القضاء حتى عمل على تحقيق بعض أهدافه فسعى لانشاء «مدرسة القضاء الشرعى» لرفع مستوى القضاة فى المستقبل ثم وضع مشروعا اصلاحيا للأزهر كانت أهم جوانبه تحديد مدة الدراسة وتحديد بداية ونهاية للسنة الدراسية وتحديد

امتحانات سنوية للطلبة ومكافأة المتفوقين والغاء دراسة بعض الكتب العقيمـة وادخـال دروس جديـدة فى التـاريخ والتـاريخ الطبيعى والرياضيات والجغرافيا والفلسفـة والاجتماع وغيرها. . كما تضمن المشروع توفير الشروط الصحية فى الأزهر وتعيين طبيب له وبناء مستشفى لطلبـة العلم الفقـراء وقـد وقف الخديوى وبعض الشيوخ المتحفظين فى وجه هذه الاصلاحات فكـانت تسـير حينـا وتتـوقف حينا ولكن دعوته الى استخدام العقل والاجتهاد سرعان ما ظهر أثرها بين الأزهـريين المتحررين. فى أول مارس سنة ١٩٠٣م عين الشيخ على الببلاوى شيخا للأزهر وكان على وفاق مع الشيخ محمد عبده فعادت أعمال الاصلاح فى التعليم الأزهرى من جديد.

لـم يتركـز اهتمام محمد عبده باصلاح التعليم فى الأزهر فقط بل اهتم بالتعليم عامة وبالتربية الاجتماعية وتثقيف الأمـة على أنهـا السبيـل الى رفـع مستواها والنهوض بها اجتماعيا وهو مالا يتم بتقليد الغرب دون فهم وادراك ولا التمسـك بظـواهـر المدنية المادية مع الغفلة عن صميم المدنية الروحية فالعلم الحقيقى هو الذى يعلم الانسان من هو ومن معه فيتكون من ذلك شعور واحد وروابط واحدة هى ما يسمونه بالاتحاد كما قال(٤٢).

استنكر محمد عبده ذلك اللون من الثقافة «المدرسية» التى تنمى الذهن دون أن تقوى الشخصية وتدفع الى الجـدل دون الانتـاج والى القول دون العمل وانتقد نظـارة المعـارف على صفحات الوقائع المصرية التى كان يعمـل محررا بها وكـان من أثـر ذلك أن أنشىء مجلس أعلى لهذه النظارة واختير هو عضوا فيه(٤٣).

من اهتمام محمد عبده بالتعليم عمله على انشاء جامعـة مصـريـة حديثـة» بعد أن يئس من اصلاح الجامعة الأزهرية وقد نشرت لمحمد عبده رسالة توضح هذا الاتجاه قال فيها: «**اذا نظرنا الى التعليم الذى تنشده الحكومة من حيث قيمته فنحن مضطرون الى ان نلاحظ أنه لا يكاد يقدر الا على تكوين رجـل محترف بحـرفـة يكتسب بها عيشـه ومن المستحيل ان يستطيع هذا التعليم تكوين عالم او كاتب أو فيلسوف فضلا عن تكوين نابغة وكل ما لدينـا من المـدارس التى تمثل التعليم العالى فى مصـر انما هى مدرسة الحقوق والطب والهندسة وأما بقية الفروع التى يتكون منها العلم الانسانى فقد ينال منها المصرى صورا سطحية فى المدارس الاعدادية ويكاد يكون من المستحيل ان يتقن منها شيئا**»(٤٤)وقد بذل محمد عبده جهودا كثيرة حتى أقنع احمـد المنشاوى (باشا) بأن يوقف لبناء الجامعة قطعة أرض فى احدى ضواحى القاهرة ولكن المنشاوى مات قبل أن يتم المشروع.

فـى عام ١٩٠٠م أسس محمد عبدة «**جمعية احياء العلوم العـربيـة**» التى قامت بطبـع عدد كبـير من المخطوطات العربية القديمة فى اللغة والفقه والأدب والتاريخ وهو فى نفس الحين يقرأ لبعض الطلبة فى بيته «**تـاريـخ المدنية فى أوربا وفرنسا**» لمؤلفه الفرنسى فرانسـوا جيـزو الذى عرّبه حسنين نعمة الله خورى وسماه «**التحفة الأدبية فى تاريخ تمدن الممالك الأوربية**».

ونـراه فى رحلته الى أوربا وصقلية عام ١٩٠٢م يصف دور الآثـار فى بالـرمـو ويبين فوائد الفنون بها وحكم الشرع فيها وأنه لا خطر منها على العقيدة لأن الاسـلام لا يحرم هذه الفنون فقد جاء نصيرا للعلم والمدنية الصحيحة وخبيرا بمطالب الحياة الانسانية الراقية.

كان لمحمد عبده أيضا فضل احداث نهضة أدبية ولغوية واضحة اذ حوّل الكتابة من كتابة مسجوعة سخيفة الى كتابة مرسلة جميلة ومن كتابة فارغة المعانى الى كتابة ذات معنى وكانت وسيلته فى ذلك ان عهد الى الأستاذ سيد المرصفى تدريس كتب الأدب فى الأزهر وهو ما لم يكن معروفا من قبل واستغل وصوله الى منصب المحرر الأول للوقائع المصرية وأنشأ بها قسما غير رسمى بجانب الأخبار الرسمية تحرر فيه مقالات اجتماعية وأدبية اصلاحية وجذب اليه سعد زغلول والشيخ عبد الكريم سليمان وابراهيم الهلباوى والشيخ محمد خليل والسيد وفا. وقدّموا جميعا نماذج أدبية تحتذى فى كتاباتهم بالجرائد وكان يدعو الجرائد الى الاستعانة بمن يرفع مستواها الأدبى.




الشيخ محمد عبده

جمال الدين الافغانى



سـيد درويش



سلامة حجازى



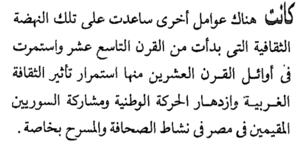
احمد حسن الزيات



احمد أميـن

ولعل أهمية ما تركه محمد عبده من أثر على الفكر المصرى فى القرن العشرين تتضح مما قاله كرومر فى تقرير له أذاعه سنة ١٩٠٦: «**هناك فريق من المصريين يزيد عددهم عاما بعد عام ولم ينوه بهم الناس الا قليلا هؤلاء أنصار الشيخ محمد عبده.. يعملون جادين لخدمة اخوانهم فى الوطن والدين على أنهم لا يمتون بصلة الى الجامعة الاسلامية ويجاهدون لاشراك بلادهم فى تقدم المدنية الأوربية. وعندى أن الرجاء العظيم فى ازدهار القومية المصرية بأقوى معناها وأقربه الى الواقع معقود على أنصار هذه المدرسة**»(٤٥).

ولقد كان من تلاميذه: قاسم أمين وسعد زغلول ورشيد رضا ومصطفى المراغى والأحمدى الظواهرى ومصطفى عبد الرازق وتأثر به أحمد لطفى السيد وفريد وجدى وعباس العقاد وطه حسين واحمد أمين وعلى عبد الرازق وحسين هيكل وخالد محمد خالد وكان من بين أصدقائه حفنى ناصف وحافظ ابراهيم والشيخ عبد الكريم سليمان وتأثر به أيضا عمر لطفى الذى وضع أساس التعاون والجمعيات التعاونية فى مصر وشارك هؤلاء بنصيب كبير فى قيادة النهضة الثقافية فى مصر فى الربع الأول من القرن العشرين.



كانت هناك عوامل أخرى ساعدت على تلك النهضة الثقافية التى بدأت من القرن التاسع عشر واستمرت فى أوائل القرن العشرين منها استمرار تأثير الثقافة الغربية وازدهار الحركة الوطنية ومشاركة السوريين المقيمين فى مصر فى نشاط الصحافة والمسرح بخاصة.

ب ـ أثر الثقافة الغربية على النهضة الثقافية فى مصر

بلغ تيار الثقافة الغربية الوافدة الى مصر مداه فى بداية القرن العشرين وكان من أكبر العوامل المؤثرة على النهضة الثقافية بها فى ذلك الحين سواء كان ذلك التأثير موافقا للأخذ بالأساليب الغربية أو معارضا لها ومتمسكا بالتقاليد عاملا على احياء التراث كرد فعل لهذه الموجة الغربية.

كان التأثير الايجابى أوضح ما يكون فى دعوة الشيخ محمد عبده الذى حاول أن يوفق بين منهج التعليم الاسلامى وبين المناهج الغربية. وقد اتصل بالغرب عن قرب وكان له أصدقاء أوربيون يراسلهم مثل جوستاف لوبون وهربرت سبنسر وتولوستوى وولفرد بلنت كما ترجم لهربرت سبنسر كتابه عن التربية وقد هاجم محمد عبده بشدة النزعة التى كانت سائدة للاقتباس عن آراء الغرب اقتباسا سطحيا.

تبع محمد عبده فى الدعوة الى النهضة المصرية على أثر الحضارة الغربية كل من قاسم أمين لتعليم المرأة وطلعت حرب للتحرر الاقتصادى واحمد لطفى السيد الذى نادى بأن تكون مصر للمصريين بمفهوم جديد مستمد من المعانى القومية التى سادت أوربا فى ذلك الحين وترجم فتحى زغلول كتبا عن الغرب من التى تحمل النزعة القومية منها **«أصول الشرائع»** لبنتام و**«خواطر وسوانح فى الاسلام»** للكونت هنرى دى كلنزى و**«روح الاجتماع»** و**«تمدن العرب»** **«وسر تطور الأمم»** لجوستاف لوبون و**«سر تقدم الانجليز السكسون»** لديمون ديمولان.. وغيرها.. وحمل مصطفى عبد الرازق رسالة التوفيق بين القديم والجديد وبين الشرق والغرب واستطاع ان يحسن أداءها.

ومن بين السوريين الذين عاشوا فى مصر ونقلوا اليها ثقافة الغرب أديب اسحق الذى حملت كتاباته لون الثقافة الفرنسية وترجم الى العربية كثيرا من الاصطلاحات الموفقة عن الفرنسية.

وفى مجال الأدب أحدث احمد شوقى بعض التجديد فى الشعر العربى بما اقتبسه عن شعراء الغرب وعن الثقافة الأوربية(٤٦) وتعمق العقاد فى الثقافة الأوربية وكتب فى الآداب والفنون والفلسفة بالرغم من أنه لم يسافر الى أوربا. ودرس ابراهيم عبد القادر المازنى الأدب الانجليزى والغربى بعد ان فرغ من دراسة نوابغ الأدب العربى.

● ●

حين قارب القرن التاسع عشر على الانتهاء كان الفكر المصرى فى وسط الطريق بين الأخذ بالثقافة الغربية والتمسك بتقاليده وموروثاته وظهر لكل اتجاه أنصاره ومؤيدوه وجاءت الصحف والمجلات لتطرح كل ذلك على بساط البحث

● ●

وكان محمد حسين هيكل يؤمن بالحضارة الغربية على أن تغرس بذورها فى أرضنا الشرقية لتكون تطورا حقيقيا يحدث فى صميم الحياة القومية وفى ذلك يقول :

«حاولت أن أنقل لأبناء لغتى ثقافة الغرب المعنوية وحياته الروحية لنتخذها جميعا هدى ونبراسا ولكننى أدركت بعد لأى أننى أضع البذر فى غير منبته فاذا الأرض تهضمه ثم لا تتمخض عنه ولا تبعث الحياة فيه وانقلبت ألتمس فى تاريخنا البعيد فى عهد الفراعنة موئلا لوحى هذا العصر ينشىء فيه نشأة جديدة فاذا الزمن واذا الركود العقلى قد قطعا ما بيننا وبين ذلك العهد من سبب قد يصلح بذرا لنهضة جديدة فرأيت أن تاريخنا الاسلامى هو وحده البذر الذى ينبت ويثمر ففيه حياة تحرك النفوس وتجعلها تهتز وتربو»(٤٧).

ولكن استفادوا من دراساتهم للمنهج الغربى الحديث فى البحث فى تراثهم القومى كل من طه حسين حين كتب عن ابن خلدون ومصطفى عبد الرازق حين كتب عن الامام الشافعى ومحمد حسين هيكل عندما كتب قصة زينب ومحمود مختار الذى نحت تمثال «خالد بن الوليد» و«طارق بن زياد» .

أما مصطفى لطفى المنفلوطى فكان يدعو الى مقاومة تيار التقليد الأوربى والأخذ منه بحذر ودعا المواطنين إلى اصلاح مجتمعهم والاعتزاز بتاريخهم وأنفسهم .

●● وفى مثل هذه الدعوة يقول سيد درويش :

صفر يا وابور واربط عندك
نزلنى فى البلد دى
بلا أميركا بلا أوربا
مافيش أحسن من بلدى
دى المركب اللى بتجيب
أحسن من اللى بتودى(٤٨)

جـ - أثر الحركة الوطنية على النهضة الثقافية

أثرت الحركة الوطنية على كثير من نواحى الحياة فى مصر فى الربع الأول من القرن العشرين ومن بينها النواحى الثقافية التى تبادلت معها التأثير فقد أثرت فيها ثم تأثرت بها ويبدو ذلك واضحا فى الاهتمام بنشر التعليم وفى نشاط الصحافة وفى الدعوة الى التحرر الاقتصادى .

الاهتمام بنشر التعليم :

يلاحظ ان الدعوة الى التعليم كوسيلة لتحقيق الأهداف الوطنية قد أجمع عليها كل من فكّر فى الاصلاح بدءاً من مصطفى كامل ومحمد عبده . . ثم كل من حزب الأمة والحزب الوطنى فكان لطفى السيد يرى أنه لكى تؤدى التربية والتعليم فى مصر وظيفتها لابد وأن «تعملا على انماء حرية الفكر والاستقلال فى العمل بعكس ما جرت عليه سياسة الاحتلال فانها تعمل على حصر التعليم فى دائرة ضيقة وهى اعداد المتعلمين فحسب للعمل فى ادارات الحكومة عملا آليا كما تحذر من أن يتطور التعليم فى مصر تطورا يقدر على انماء الحرية الفكرية والاستقلال فى العمل(٤٩).

أدى نادى المدارس العليا - الذى تأسس سنة ١٩٠٥ وضم الطلبة والخريجين دورا هاما فى نشر التعليم فقد أنشئت مدارس الشعب بجهود أعضاء النادى - الذين تطوعوا للتدريس فيها والحزب الوطنى بزعامة محمد فريد وهى مدارس ليلية لتعليم الفقراء والعمال مجانا .

وفى عام ١٩٠٩م وصل عدد هذه المدارس أربعة فى الخليفة وبولاق وشبرا والعباسية ضمت كل مدرسة منها ١٢٠ تلميذا من مختلف الحرف.

أدى هذا النادى دوره أيضا فى انشاء الجامعة ففيه نوقشت الفكرة التى دعا لها مصطفى كامل على صفحات اللواء فى ٢٣ أكتوبر ١٩٠٤ وعاود الدعوة لها فى ١٩٠٥ وهو نفس العام الذى أنشىء فيه نادى المدارس العليا واجتمعت فيه اللجنة التأسيسية للجامعة الأهلية فى بداية الأمر بعد ان دعا مصطفى كامل الغمراوى أبناء الأمة للتبرع لها فى ٣٠ سبتمبر ١٩٠٦م وهو نفس العام الذى افتتح فيه دار النادى (٥أبريل).

شهد نادى المدارس العليا ميلاد الجامعة كما شهد فى ٦ سبتمبر سنة ١٩٠٨ الاحتفال بأول بعثة أرسلتها الجامعة الى أوربا وتوالى بعدها الخريجون والمبعوثون الذين حملوا لواء النهضة الثقافية.

نشاط الصحافة:

كانت الصحف موجودة من القرن الماضى ولكن الحركة الوطنية ساعدت على ازدياد نشاطها ونشأة المزيد منها فأصبح لكل حزب جريدة ناطقة باسمه يتجمع حولها أنصاره مثل «اللواء» و«الجريدة».

لم يقتصر دور «الجريدة» على ما كانت تنشره على صفحاتها بل كانت دارها مركزا ثقافيا يلتقى فيه الشباب ليستمعوا الى دروس يلقيها عليهم لطفى السيد وغيره من كبار الأساتذة وأحيانا كان هذا المنتدى يتحوّل الى «مدرسة جامعة» يطالع فيها طلاب المدارس العليا ما لا يطالعونه فى مدارسهم(٥٠). الى جانب دورها السياسى حملت «الجريدة» مسئولية ارشاد الناس الى مواطن الجمال والحياة المتمدينة الراقية فاتصفت لذلك بصفتين بارزتين هما: «التجديد والتعقيل والترشيد مصبوغتين بصبغة الحرية(٥١) يتضح ذلك من رعايتها لحركة تحرير المرأة قولا وفعلا فأفسحت صدر صفحاتها لكل من ملك حفنى ناصف (باحثة البادية) ومارى زيادة (مى) ونبوية موسى ولبيبة هاشم فكتبن فيها. ودعا لطفى السيد النساء الى محاضرات عامة بمقر الجريدة يستمعن فيها أو يحاضرن وهو أمر جديد على المألوف فى ذلك الحين.

كان على صفحات الجريدة أيضا ان نشر طلعت حرب سنة ١٩٠٧ دعوته الاقتصادية وبرنامجه الذى نفذه بعد ذلك بخمس عشرة سنة.

بمثل الدور الذى أدته الجريدة ورائدها لطفى السيد قامت «السياسة» جريدة الأحرار الدستوريين التى حررها (١٩٢٢) محمد حسين هيكل واشترك معه فى تحريرها عدد من خيرة الكتاب فأنشأ لهم «السياسة الأسبوعية» أيضا فأصبحت مدرسة للثقافة والفكر وتوجيه الحركة الأدبية(٥٢) والفنية فقد اهتمت بالدراسات الفنية والنقد الفنى ورسم فيها محمود مختار بعضا من رسومه.

ومن الصحف التى حملت ايضا رسالة الأدب والفن كانت مجلة «المقتطف» التى أصدرها يعقوب صروف فأصبحت مجلة كبار الكتاب والعلماء وعن طريقها عرف القراء الأديبة (مىّ) وظلت لذلك تعتبر يعقوب صروف أستاذها وصاحب الفضل عليها.

عن طريق الصحف وجد كثير من الشعراء والأدباء فرصة لنشر انتاجهم مثل ابراهيم عبد القادر المازنى الذى احترف الصحافة منذ سنة ١٩١٩. وفى نفس

العــام أصــدر بيرم التــونسى جريــدة «المسلة» بالأسكندرية ليكتب فيها أزجاله ويعبر عن آرائه .

هنا يذكر ايضا دور الصحافة فى الدعوة للاكتتاب لاقامة تمثال مختار «نهضة مصر» فى ميدان عام وما قامت به «دار الأخبار» وصاحبها أمين الرافعى عندما عرض نموذج التمثال بالدار وبدأت الدعوة لاقامته .

د ـ دور السوريين فى النهضة الثقافية فى مصر

استمر الدور الثقافى الذى بدأه السوريون فى مصر من القرن التاسع عشر وكان أكثر ظهورا فى الصحافة والمسرح والأدب بعامة ويكفى هنا أن نشير الى بعض من أهم هؤلاء الذين برز نشاطهم فى القرن العشرين مثل سليم النقاش (ابن أخو مارون النقاش) الرائد الأول للمسرح العربى فى بيروت ـ الذى أتى بفرقته الى الأسكندرية فى سنة ١٨٧٦ فكانت أول فرقة مسرحية فى وادى النيل بعد أن أغلق مسرح يعقوب صنوع (أبو نظارة) .

مثال ثان هو فرح أنطون (١٨٧٤-١٩٢٢) الذى أصدر مجلة «الجامعة العثمانية» (الجامعة فيما بعد) وكان من أبرز أعلام التأليف المسرحى الأربعة فى مصر فرح أنطون وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وعلى أحمد باكثير(٥٣) وقد بلغ ما قدمه للمسرح المصرى من روايات مترجمة أو مؤلفة أربع عشرة رواية .

المثال الثالث هو جورج أبيض الذى سافر الى باريس سنة ١٩٠٤ بمساعدة الحكومة للتخصص فى فن التمثيل وعاد بعد سبع سنوات فألف فى سنة ١٩١٢ فرقة عربية ومثل الروايات على الطريقة العصرية فأصبح رائد التمثيل العربى الحديث.



محمد بن الطيب الباقلانى

(٩٥٠-١٠١٣) متكلم، فقيه. ولد بالبصرة ومات ببغداد اعتنق المذهب الاشعرى وصار اكبر دعاته فاستدعاه عضد الدولة الى شيراز لمجادلة المعتزلة فتغلب عليهم وبقى معه الى ان دخلا بغداد فعاش فيها. بعثه فى وفد الى القسطنطينية فجادل علماء المسيحيين وتغلب عليهم. تولى قضاء الثغر مدة وزاول التدريس العام ثم لأبناء عضد الدولة. الف اكثر من خمسين كتابا فى الفقه وفى ابانة اصول الاشعرية والدفاع عنها والرد على المذاهب الأخرى. اهمها: «التمهيد» و«الاصول الكبير» و«هداية المسترشدين» والف «اعجاز القرآن» الذى رد فيه على الأدباء والبلاغيين والمتكلمين وأجمل الاعجاز فيها فى القرآن من مغيبات وتاريخيات وفى نظمه الغريب ورأى انه نظم خارج عن معهود العرب تتعذر معانيه على البشر ويشتمل على فصاحة معجزة ونفى كل شبه فى نقد الشعراء والكتاب القدماء. فكتابه هام فى علم الكلام قلبل الاهمية فى النقد.

من الشخصيات الهامة ايضا الشاعر الكبير خليل مطران (١٨٧٢-١٩٤٩) أحد الثلاثة الكبار فى الشعر: شوقى وحافظ ومطران(٥٤) وقد جمع بين البلاغة العربية والأساليب والمعانى الأوربية ومن قصائده الوطنية قبل ١٩٢٥ ما كتبه فى تأبين مصطفى كامل فى حفل الأربعين (١٩٠٨) وتحية للمجاهدين فى المؤتمر الوطنى ببروكسل برئاسة محمد فريد (١٩١٠) وتحية رأس السنة الهجرية (١٣٢٩هـ/١٩١١م) وتحية لبعثة الأطباء الى طرابلس بعد حرب الطليان (١٩١١) ورثاء محمد فريد (١٩١٩).

أخيرا تأتى الأديبة مىّ (مارى) زيادة (١٨٨٦-١٩٤١) التى أتت مع والدها الى مصر سنة ١٩٠٨ ونشرت أول انتاجها بالفرنسية ثم أتقنت العربية بعد ذلك وكتبت بها وأصبحت لها مكانة مرموقة بين أدباء العرب ويرجع دورها الهام فى خدمة الأدب والفكر العربى الى ذلك «الصالون» الذى فتحته فى بيتها وكان يقصده كل يوم ثلاثاء كبار رجال الأدب والفكر والفن ويمكن ادراك أهمية هذا الصالون من أسماء من ترددوا عليه ومنهم يعقوب صروف وشبلى شميل ولطفى السيد واحمد شوقى واسماعيل صبرى وولى الدين يكن وخليل مطران وأنطون الجميل وطه حسين ومصطفى عبد الرازق وعباس العقاد ومصطفى الرافعى ومنصور فهمى وداود بركات.. وغيرهم.

تتضح أهمية هذا الصالون أيضا من قول العقاد: «**لو جمعت الأحاديث التى دارت فى ندوة (مىّ) لتألفت منها مكتبة مصرية تقابل مكتبة «العقد الفريد» ومكتبة «الأغانى» فى الثقافتين الأندلسية والعباسية**»(٥٥).

هـ - الحركة الوطنية والنهضة الأدبية

كانت النهضة الأدبية فى الربع الأول من القرن العشرين من أظهر معالم النهضة الثقافية فى تلك الفترة ومن أبرز نواحى النهضة الأدبية كانت النهضة الشعرية فقد حظيت هذه الفترة بحشد من الشعراء لم يحدث ان تجمع مثلهم فى وقت واحد من التاريخ الحديث. وكما يقول عبد الرحمن الرافعى: «**سارت النهضة الشعرية فى مصر الى جانب النهضة الوطنية التى هبت لمقاومة الاحتلال ومن هنا جاءت صلة الزعيم مصطفى كامل بشعراء عصره وكانت دعوته الوطنية تلقى صدى وتأييدا فى قصائدهم الغر بحيث يمكن القول بأن الشعر لم يتألق فى سماء مجده مثلما تألق فى عهد مصطفى كامل ومحمد فريد**»(٥٦).

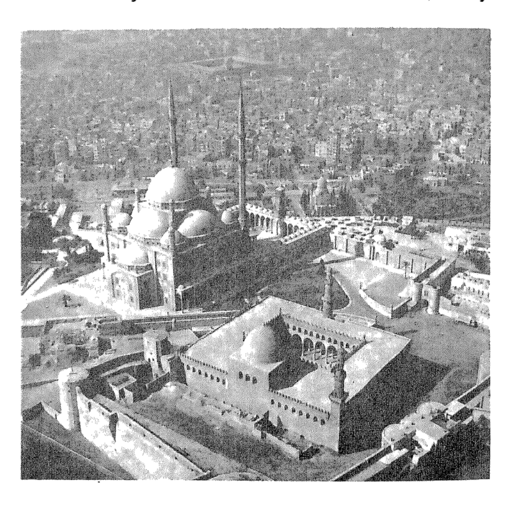
عملت الصحافة فى عدة اتجاهات تلتقى عند التوعية والتجديد والتحرر من المستعمر.. وفوق ذلك تمثل دورها المركز الثقافى وعلمى..

كان على رأس هؤلاء الشعراء احمد شوقى (١٨٧٠-١٩٣٢) واحمد محرم (١٨٧١-١٩٤٥) واحمد الكاشف (١٨٧٨-١٩٤٨) ومصطفى الرافعى (١٨٨٠-١٩٣٧) وحافظ ابراهيم (١٨٧٢-١٩٣٢) وخليل مطران واحمد نسيم (١٨٨٠-١٩٣٨) ومحمد عبد المطلب (١٨٧٠-١٩٣١) وعبد الحليم المصرى (١٨٨٧-١٩٢٢) وغيرهم من الأعلام الذين «ردوا للشعر العربى فى الربع الأول من القرن العشرين أصالة الجاهليين ونضارة العباسيين ورشاقة المحدثين وبعثوا فى أوصاله نبض العصر فعبروا عن كل قضايانا القومية والسياسية والاجتماعية(٥٧).

بذلك تقدمت مصر حتى أصبحت صاحبة الزعامة الأدبية فى البلاد العربية كما يقول أنيس المقدسى(٥٨).

و ـ الحركة الوطنية ونهضة الفنون

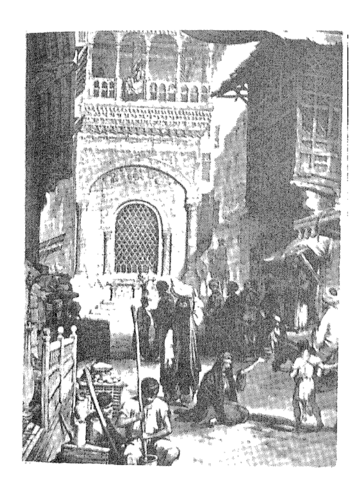
كانت الفنون الأدبية أسبق الى المشاركة الايجابية فى الحركة الوطنية من الفنون التشكيلية ويرجع ذلك الى ان نشأة الحركة الفنية فى مصر فى القرن العشرين ارتبطت بالفنانين الأجانب وكان أوائل الرواد من المصريين مثل محمود سعيد ومحمد ناجى من الهواة الذين تلقوا دروسهم الأولى فى الفن على أيدى هؤلاء الأجانب فى المراسم الخاصة وكان كلاهما من أسرتين غنيتين استطاعتا ان ترسلاهما الى الخارج وهناك درسا الفن وعادا يتأملان الحياة المصرية ومنها يرسمان مظاهرها.



حين أنشئت مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٠٨ كان جميع مدرسيها من الأجانب أيضا الا أن أول طالب دخلها كان محمود مختار الذى أصبح مثّال مصر الأول وكان له من نشأته الشعبية ما جعله أكثر تشبثا بمصريته وانفتاحا على التيارات الوطنية التى تدور من حوله فلما وصل فرنسا كأول مبعوث لها فى الفنون من مصر لم تتحول مشاعره عن أمانى الوطنيين وعبر عن ذلك بتمثال نهضة مصر الذى عرض نموذجه الأول فى معرض الفنانين الفرنسيين بعد ان جمعت له لجنة الطلبة المصريين التى كانت تدعو للقضية المصرية المعونة اللازمة لتنفيذه ويوم افتتاح المعرض كانت تظاهرة وطنية ضخمة تلك التى احتشد فيها الطلبة المصريون فى باريس يحيون نهضة مصر وتمثالها. وبعد حصول التمثال على جائزة المعرض بدأت دعوة المصريين للاكتتاب من أجل اقامته فى ميدان هام فى مصر. هذه الدعوة التى كانت صورة أخرى من صور النشاط الوطنى المرتبط بالفن لأول مرة فى تاريخ مصر الحديث. ويمكن تبين أهمية ذلك من الفصل المفتعل بين الفن والسياسة الذى كان سائدا فى ذلك الحين حتى أن المادة (٤) من قانون جمعية محبى الفنون الجميلة ـ أكبر جمعية ترعى الفنون فى مصر ـ كان ينص على أنه **«لا يجوز للجمعية ان تجادل فى الأمور السياسية أو الدينية»** (٥٩).

أما الدور الهام الذى لعبه المسرح والموسيقى والغناء وخاصة دور فنان الشعب سيد درويش فى الحركة الوطنية فهو أكبر من ان يكفى هذا المجال المحدود لاعطائه صورة منصفة له.

لكن يكفى ان نشير الى ان النشأة الشعبية لسيد درويش ـ مثل مختار الى حدٍّ ما جعلته نموذجا حيّا لما يدور داخل كل وطنى من أمانى وانفعالات وان ثقافته الذاتية المستمدة من وسط بيئته الشعبية جعلته خير من يعبر عن هذه الأمانى والانفعالات بأسلوب سهل بسيط ينساب الى قلوب جموع المواطنين فيرددونه ألحانا يتحركون مع ايقاعاتها غير مبالين برصاص الانجليز كما حدث سنة ١٩١٩.



المراجع

(١، ٢، ٣) الدكتور محمد الهادى عفيفى «التربية والتغير الثقافى» القاهرة ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ الطبعة الثانية ١٩٦٤ ص٥٥، ٦١.
(٤) نقلا عن: محمد عزت مصطفى «ثورة الفن التشكيلى» القاهرة ـ دار الكاتب العربى ـ بدون تاريخ ص٢٨.
(٥، ١١، ١٢، ١٣) الدكتور حسين فوزى النجار «لطفى السيد

● وجـوه  ثقافيـة ●

احمــد اميــن

(١٨٨٧-١٩٥٤) باحث ادبى عربى ولد بالقاهرة ودرس فى الأزهـر ومـدرسـة القضاء الشرعى وتولى القضاء الشرعى مدة ثم انتقل الى التدريس فى كلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة) ثم انتخب عميدا لها. وعين عضوا فى المجمع اللغوى. اتجه اولا الى الفلسفة فكتب «الاخـلاق» (١٩٢٣) وتـرجـم «مبادىء الفلسفة» لرابوبورت ثم عنى بدراسة تاريخ الحياة العقلية فى الاسلام فأصدر اهم كتبه: «فجر الاسـلام» و«ضحى الاسلام» (ثلاثة اجزاء) «ظهر الاسلام» (اربعة اجزاء) نشر مقالات ادبية كثيرة فى مجلتى «الرسالة» و«الثقافة» وجمعها فى كتاب «فيض الخاطر» الذى ظهر فى اجزاء متتابعة قبيل وفاته. ترجمة ذاتية: «حيـاتى». اسلوبه مقتصد واضح. يطلب الافهـام والافادة حتى فى اعماله الانشائية التى يقل فيها جانب التأثير الوجدانى.

والشخصيـة المصريـة» القاهرة - مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٣ ص٩، ١٠، ص ص٦١-٦٢.

(٦، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١٤، ١٦، ١٨، ١٩، ٢١، ، ٢٥، ٢٦، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧) الدكتور جمال الدين الشيال «التاريخ والمؤرخـون فى مصـر فى القـرن التـاسع عشر» المكتبة التاريخية باشراف الدكتور أحمد عزت عبد الكريم - القاهرة - مكتبة النهضة المصـريـة ١٩٥٨ ص ص ١٩٨-١٩٩، ٢٠٣، ٧١، ص٧٥، ٢٠٠، ص١٥٨، ص٢٩٢، ص١٤٢، ص١٥٤، ص٢٠٤، ص١٨١، ص٢٠٧، ص ص٢٠٨-٢٠٩.

(١٥، ١٧، ٢٣) الدكتور احمد أمين «زعماء الاصلاح فى العصر الحـديث» القـاهـرة - مكتبـة النهضـة المصـريـة ١٩٦٥ ص ص٢٩١-٢٩٢، ص١٥٨، ص٢٩٤.

(٢٠، ٢٢، ٣٨، ٣٩) كمال المـلاخ، رشدى اسكندر - خمسون سنـة من الفن - القـاهـرة - دار المعـارف ١٩٦٢، ص ص ١٠٣-١٠٤، ص ص١٠٤-١٠٥، ص ص١٠-١١.

(٢٤، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥) الدكتور عثمان أمين «رائد الفكـر المصـرى» الامـام محمـد عبده - رسل الوعى الأنسانى - القـاهرة - مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة الثانية ١٩٦٥، ص ص٢٥-٢٦، ٢٢٠، ص ص٤٨-٥٢، ص١٤٧، ص١٠١، ص ص٥٥-٥٦، ص ص٢٤٢-٢٤٣، ص١٤٧.

(٤٦، ، ٥٦،) عبـد الرحمن الرافعى «شعراء الوطنية» القاهرة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤ ص٤٢، ص٤٥.

(٤٧) أنيس المقدسى «الفنون الأدبية وأعلامها فى النهضة العربية الحديثة» بيروت - دار الكتاب العربى ١٩٦٣ ص٣٤٣.

(٤٨) فكـرى بطرس فنانو الاسكندرية «مذاهب وشخصيات» القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤ ص٦٧.

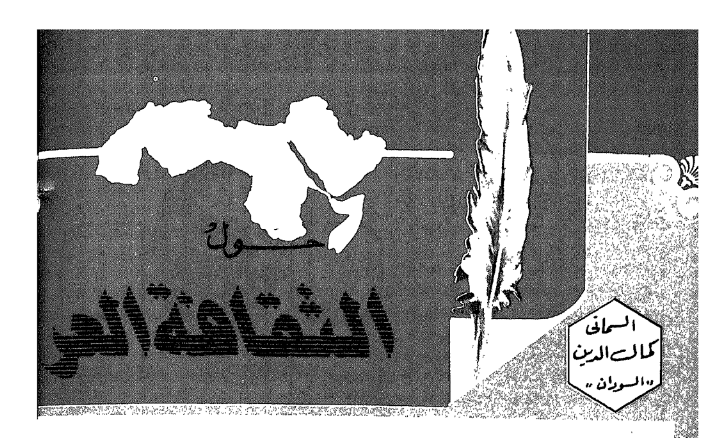
(٤٩، ٥٠، ٥١،) الدكتور حسين فوزى النجار «لطفى السيد والشخصيـة المصريـة» القـاهـرة مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٣ ص١٤٢، ص ص١٣٥-١٣٦، ص١٣٨.

(٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣٢، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٨ أنـيس المقـدسـى «الفنون الأدبية وأعلامها فى النهضة العربية الحديثة» بيروت - دار الكـاتـب الـعـربى ١٩٦٣ ص ص١٠-١١، ص٥٣٥، ص ص٣٣٨-٣٤٠، ٥٤٠، ٤٧٠، ١١.

(٣١) فكرى بطرس «فنانو الاسكندرية» مذاهب وشخصيات - القاهرة - الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤ ص ص٢٦-٢٨.

(٥٧) عبد العزيز الدسوقى «زعيم جماعة الفرسان» ص٨١.

(٥٩) جمعيـة محبى الفنـون الجميلة - الكتـاب السنوى الأول - القاهرة ١٩٦٣ ص٩.



السودان بلد مترامى الأطراف يحمل فى طياته سماته ومميزاته الخاصة به كما فيه بعض العموميات التى يشترك فيها مع بقية الدول المماثلة له فى بعض العوامل والتركيبات المشتركة.. يتفرد بتكوينه الخاص من حيث التنوع السكانى والتوزيع القبلى والانتماء العرقى.. ومن حيث التكوين الطبيعى للبشر وما ينفردون به من أخلاق وصفات واعراق وعادات.. كل ذلك فى جملته له تأثيره الفعال والاكيد فى ثقافة الامة وبلورتها فى الصورة التى تبرز تلك المكونات وبالتالى ينسحب ذلك على التكوين الاجتماعى.

السودان كرقعة جغرافية :"فيه صحارى لا يحدها البصر وفيه جبال منها الشاهق الاشم ومنها المتوسط الارتفاع فيه بقاع على ضفتى النيل (مكسوة بالخضرة والنماء) فيه ادغال ووحوش ووعول تجوب غاباته الكثيفة.. يتمتع الجزء الشمالى منه بشمس ساطعة ويكاد القسم الجنوبى يتحرق شوقاً الى رؤية الشمس والقمر مدى اشهر فى السنة حيث السحب الكثيفة والامطار الغزيرة.

●● القوم يتفاوتون بين الشدة ولين الطبع.. يتعاملون بمثلهم السائر (**اصرف ما فى الجيب ياتيك ما فى الغيب**) عندهم حجاب البدويات واحتجابهن عن الغريب وسفور المدنيات وتطلعهن الذى لا يحد.. ان بيننا من عرفوا الحياة حق المعرفة وتأثروا بما يتأثر به شباب القرن العشرين من النظريات العلمية».. هذه فقرة من مقال للاستاذ محمد احمد محجوب كتبه فى العقد الثالث من هذا القرن خلص منها الى فكرته الداعية لـ(**القومية السودانية**) أو الادب القومى فى السودان.. اوردتها لانها تغطى جانبا من الملامح التكوينية فى السودان التى كان لها اثرها فى ملامح تكوينه الثقافى ـ وان كانت جزئية لكن لها اثرها العام.

هذا التفاوت والتعدد العرقى والقبلى تبعه تعدد واختلاف فى اللهجات واللغات المتحدَّث بها فقد وصل تعدادها الى حوالى (١٤٠) لغة ولهجة ـ غير العربية التى تُعَدّ العامل المشترك بين تلك التكوينات وعلى تفاوت ملحوظ فى قوتها أو ضعفها على ألسنهم ـ موزعة فى اقاليم السودان شماله وجنوبه.. شرقه وغربه.. فالفصائل



بيئة فى السودان

النوبية فى شمال السودان المتاخم لمصر كالكنوز والسكوت والمحس والدنافلة ـ مازالت تحتفظ بلغاتها الخاصة ولهجاتها وتتخاطب بها الى جانب اللغة العربية ـ والقبائل البجاوية فى شرق السودان كالأمرأر والبشاريين والهدندوه لازالت تتحدث لهجات مشتقة من (التبداوية) والحال فى جنوب السودان اكثر تعقيدا وتنوعاً فالقبائل الرئيسية كالشلك والدينكا والنوير والباريا والانواك والزاندى وغيرها تتميز كل واحدة منها بلغتها وعاداتها(١).

ولغة (البارى) تمتد مساحة المتحدثين بها ما بين الحبشة وجنوب السودان وهى مزيج من الحامية والنيلية أو السودانية.

والسودان تطل حدوده فى معظمها على دول أفريقية ليست عربية وكثير من رعاياها هاجر الى السودان سواء أكان عابراً ثم استقر فيه مثل القبائل التشادية والنيجيرية وغيرها التى اتخذت السودان معبراً لاداء فريضة الحج أم مجموعات وفدت الى السودان واستقرت فيه فعلا.. وهذه جاءت ومعها لغاتها وعاداتها.

ولذا فقد انتقلت (الهوسة) الينا من نيجيريا وغيرها.. وفى الغرب نجد قبائل **(الزغاوة والقرعان والبديات والطوارق)** وهى مجموعات عبرت الصحراء الكبرى الى السودان وتسمى بالجماعات الليبية).

وكل هذا الخليط ـ من الوافد والمستقر ـ ترك بصماته على (العامية العربية فى السودان) فانتجت هجينا مولدا.. أصبح التعامل به ومعه طبيعياً وأصبح لصيق اللسان.. هذه لمحة خاطفة اردت بها اعطاء فكرة عامة وسريعة عن هذه التكوينات الجانبية لاخلص الى التكوين الاساسى للثقافة فى السودان.. وهى عربية إسلامية.

عرف السودان الهجرات العربية قبل الاسلام بقرون فهاجر اليه اليمنيون وعرب الحجاز وعرف أقواماً من غير العرب وفدوا إليه من آسيا والحبشة والبربر.. وهاجرت اليه بعد الفتح الاسلامى قبائل عربية حجازية ويمنية ومغربية تعايشت مع أهله الأصليين وامتزجت بهم بالزواج والمصاهرة.. وتدفق الى السودان من القبائل

العربية جهينة وبنو هلال وبنو سليم وربيعه وقريش والانصار والجعافره ولخم وفزارة وغيرها . . وطبيعى ان يحدث هذا الاختلاط والتزاوج وتبادل المعرفة فعلته فى تكوين الاجيال التالية وهناك أيضا بعض الأجناس الاخرى التى استوطنت السودان من الاتراك والمصريين.

ولما كان المهاجرون العرب هم الجنس الغالب فى السودان على كل الأجناس الأخرى فقد كان أثرهم اكثر عمقا ووضوحا واكثر ما يتميز ذلك فى التوزيع القبلى للسودان وكثرة قبائله وغلبة اللغة العربية على غيرها من اللهجات المحلية مما جعل هذه الأخيرة تنزوى وتنحصر فى أضيق نطاق كلهجات للتخاطب اليومى بين اصحابها غير مكتوبة ولا مدونة . . وان كانت قد تركت بصماتها فى بعض مفردات كلماتها التى دخلت العربية واستوعبتها.

«ونحن اذا أمعنا النظر فى لهجتنا العامة نستطيع ان نكتشف اننا ما نزال نحتفظ بكثير من رواسب اللغات الميتة كالفرعونية والنوبية والزنجية والبجاوية(٣) . »

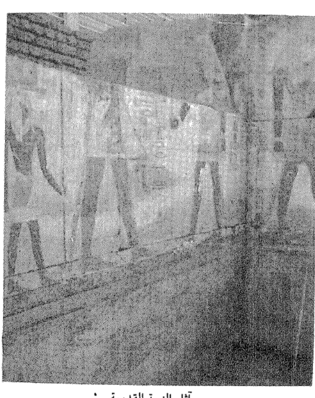
ويرجع السبب فى ذلك الى ان العرب عند استقرارهم فى السودان وجدوا مسميات لبعض الاشياء المستخدمة فى الحياة اليومية فتعاملوا معها بنفس مسمياتها من غير تغيير مما ادرجها ضمن العربية الوافده المستقرة وذلك لعدم عهدهم بها من قبل.

المكونات الثقافية

الثقافة السودانية دخلت منذ القدم فى صراع مع ثلاث مكونات أساسية متمثلة فى :

(١) الثقافة المحلية الافريقية (النوبية) قبل دخول المسيحية إليها وكان النوبيون يشكلون قوة سياسية واقتصادية وعسكرية لعديد من الهجمات المعادية والثقافة النوبية لصيقة بالفرعونية فهما أبناء عمومه .

(٢) الثقافة المسيحية ودخلت السودان عن طريق مصر وانفتحت بلاد النوبة على العالم المسيحى وارتبطت بالامبراطورية البيزنطية وبلاد البحر الأبيض المتوسط . . ويبدو تأثير هذا الانفتاح بصورة واضحة فى الفن الكنسى النوبى وفى انتشار اللغة الاغريقية آنذاك الى جانب النوبية كلغة كنيسة . . ولهذا الخلط بين الموروث النوبى فى تقاليده وعاداته والموروث الجديد من الوضع المسيحى وغيره ظهر كثير من العادات لا زالت موجودة حتى يومنا هذا فى شمال البلاد .



من آثار النوبة القديمة

(٣) الثقافة العربية الاسلامية : ودخلت البلاد منذ منتصف القرن السابع الميلادى تقريبا ودخلت فى صراع مع الثقافة الكنسية وكان لها النصر والانتشار. . واعتنق النوبيون الاسلام واصبحت العربية لسانهم اضافة الى لهجاتهم المحلية. . ورغم دخول الثقافة العربية الاسلامية الى السودان فى وقت مبكر الا أنها لم تكن لها فاعليتها وسيطرتها الا فى بداية القرن السادس عشر الميلادى عند قيام دولة (الفونج) حيث اصبح فيها الاسلام دين الدولة واللغة العربية هى لغة الكتابة والتخاطب. . ولقد دعم ملوك الفونج منذ اللحظة الأولى مسيرة الكلمة العربية الأم الى داخل السودان على يد العلماء والفقهاء ورجال الطرق الصوفية. . «ومع تلك الرياح بدأت القصيدة العربية فى السودان رحلتها التاريخية الطويلة»(٤).

ويؤكد الدكتور عبد المجيد عابدين هذا الرأى بقوله **(وكان من المنتظر ان نسمع عن آثار العربية الفصحى فى السودان منذ ان وطىء العرب المسلمون ارض هذه البلاد ولكننا لا نسمع عن شىء يستحق الذكر الا منذ القرن السادس عشر الميلادى)**(٥).

هذه الدعوة خاطئة

■ ان هذا الوضع الماثل فى السودان من تعدد عرقى للاجناس وتعدد واختلاف فى اللهجات واللغات وتعدد فى المعتقدات ما بين مسلمين ومسيحيين ووثنيين دفع بعض المثقفين فى السودان الى الدعوة لما اسموه (الحوار الحضارى) فى القطر الواحد حيث يقوم هذا الحوار على شقين (حوار لكل ثقافة منفردة) أى أن يقوم الحوار بين اللهجات واللغات بعضها البعض وبين القيم الاجتماعية والقيم الفنية والجمالية التى تحملها كل مجموعة عرقية من مجموعات السكان وتأكيد وتأصيل كل ذلك فى حدوده الجغرافية مع الاحتفاظ بالمكون العام لكل الثقافة السودانية.

وعلى حد هذا الرأى للدكتور نور الدين ساتى(٦) تكون هناك (أصالتان) للمجتمع السودانى خاصة وعامة (فأصالته الخاصة) تجعله ينسجم مع بيئته التى تحيط به مباشرة فى الاقليم الذى يعيش فيه واصالته (العامة) تجعله ينسجم مع كافة الأصالات الفرعية الاخرى.

فى تأصيل اللهجات المحلية يقول (ولغة السودان الاوسط ـ أى العربية ـ هى اللغة الأولى فى بعض مناطق شرق وغرب السودان ولكن هذا لا يمنع من الاهتمام ببعض اللغات المحلية كاللغة التبداوية مثلا فى شرق السودان واللغة الفوراوية فى غرب السودان كيما تحتل هاتان اللغتان الموقع الثانى فى اقليميهما. . والاهتمام الذى نتحدث عنه يكون بكتابة هذه اللغات السودانية من ناحية واصدار المعاجم التى تساهم فى ارساء اسباب الحوار بين هذه اللغات ولغة السودان الاوسط).

وهذه الآراء حسب اعتقادى لها محاذيرها من جانبين: قومى. . وعقدى.

من الجانب القومى: معلوم أن من اهم مقومات اللقاء القومى والتقارب النفسى بين الامة الواحدة والقوم الواحد هما: اللغة والعقيدة. . فهما سبيل التواصل الوحيد بين العقل الجمعى والفكر الجمعى والثقافة الواحدة التى تضم شمل هذه الامة أو تلك. . وتَخَلُّف واحد من هذين

العنصرين ولو جزئيا لا شك له أثره فى البناء العام الا انه لا يعيق المسيرة فى عموميتها . . واذا ما تناولنا الموضوع فى بعض تفاصيله يمكننا القول بان نسبة ٩٨٪ من الشعب السودانى تقريباً يعرف العربية ويتحدثها - مهما كانت درجة التخاطب بها عند بعض القبائل - والى جانب هذه اللغة تحتفظ بعض القبائل بلهجاتها ولغاتها غير العربية . . ولما كان أمر اللغة عندنا بهذه الدرجة وهذه الصفة فباى مبرر واى حق ترتفع بعض الاصوات داعية الى تأصيل اللهجات المحلية فى مناطقها بدعوى التقارب الاجتماعى بين اهل هذه اللهجة او اللغة . . ولما كان هؤلاء يتحدثون العربية سلفاً - مهما كانت درجة التحدث بها - صحة أو خطأ - فلماذا لا نسعى جادين الى تأكيدها وتأصيلها فى السنتهم حتى يتم التواصل الاجتماعى فى اوسع صوره بدلا من هذه التجزئات والتشتت بين (اصالة فرعية) و(اصالة عامة).

<u>ومن الجانب العقدي</u>: فان اللغة العربية هى لغة القرآن الكريم أى لغة الدين الاسلامى أى انها حاملة منهج سماوى لخير البشرية . . و الشعب السودانى فى غالبه الاعم شعب مسلم والدين الاسلامى هو دين الدولة الرسمى فلما كان الامر بهذه الدقة لزم تعلم اللسان العربى على من لا يعرفونه وتأصيله وتأكيده عند من يعرفونه واى محاولة لتأصيل لهجات محلية فى قومها (وهم قوم مسلمون من شعر راسهم وحتى اخمص أقدامهم) واى محاولة مثل هذه لا تعنى إلا شيئاً واحداً وهو انحسار العربية امام اللهجات واللغات المحلية.

والدين الاسلامى هو الضمير الحى الباقى فى وجدان الامة السودانية.

نعلم يقينا ان الاستعمار بذل ولا زال يبذل قصارى جهده من خطط وتمويل لابعاد اللغة العربية من الساحة التى تتحدث بها ومسحها من على الالسن مسحاً وذلك لمعرفتهم التامة والأكيدة باهمية اللغة كرابط قومى إضافة الى ثقلها الدينى . . والامثلة كثيرة فى بعض دول عالمنا العربى الذى حاول الاستعمار افتراسه و(فرنجته) ما استطاع . . ولتأكيد ذلك نقرأ معا هذا التقرير للحاكم الانجليزى حينما كان السودان مستعمرة انجليزية فى عام ١٩٢٧م يقول:

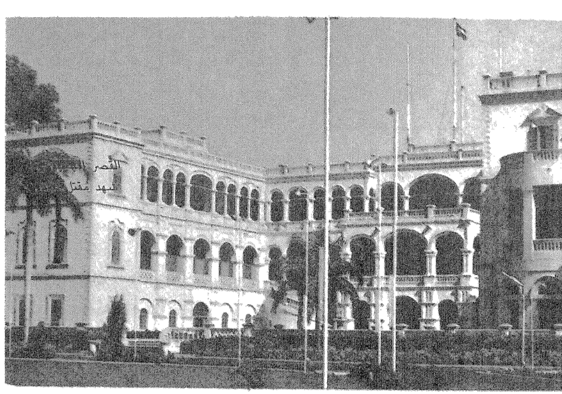
«حينما ذهبت سواء عند قمة جبل ايماتونج أو عند حدود الكونغو البلجيكى وجدت ابناء الشعب فى مختلف المناطق يتكلمون العربية وعلينا مواجهة هذا الامر الواقع . ان نقدر بعناية ما إذا كانت مسألة العمل لاستبعاد اللغة العربية استبعاداً كاملاً تستحق ما تتطلبه من جهود وأموال بل ينبغى علينا ان نتساءل هلا يمكن ان تكون العربية أداتنا رغم ما ينطوى عليه ذلك من اخطار».

وقد درست هذه المسألة بعناية فى مؤتمر (الرجاف) بجنوب السودان لشئون اللغة فى عام ١٩٢٨م . . وقد انعقد هذا المؤتمر تحت رعاية الحكومة الانجليزية آنذاك وحضره ممثلون لجمعيات المبشرين فى يوغندا والكونغو والمعهد الدولى للغات والثقافات الافريقية . . ووضع ذلك المؤتمر الاسس الضرورية لتنمية اللهجات المحلية واللغة الانجليزية فى جنوب السودان واقامة كافة العراقيل فى وجه اللغة العربية . . واختار المؤتمر ست مجموعات من اللغات لدى بعض القبائل منها: **«الدينكا . . والبارى . . والنوير . . واللاتوكا . . والشلك . . والزاندى»** وقرر ان يجرى التدريس فى المراحل الأولى باى منها ورفض استخدام اللغة

العربية بدعوى انها ستفتح الباب امام انتشار الاسلام وامام تعريب الجنوب . .

ان تقريراً مثل هذا عندما يكتبه مستعمر لا يكتبه وهو متكىء على سريره أو اريكته وانما يكتبه بعد دراسة متأنية دقيقة ومتأملة عرف منها اهمية اللغة العربية بخاصة كاداة التقاء قومى ثم اداة منهج سماوى اذا ما انتشر بين القوم وفى ربوعهم فلا وجود لمثل هذا الدخيل المستعمر بينهم ولهذا عمل مؤتمرهم على ابعاد العربية عن لسان القوم ما استطاعوا فاذا كان امر اللغة بهذا المستوى ـ وهو كذلك فعلاً ـ ألا يصبح تعلمها وتطويع الالسن بها واعتبارها اللغة الاولى امراً قوميا تحتمه ضرورة التلاقى والاتصال بدلاً من ان نعين على تأكيد وتأصيل لهجات لا يستطيع ان يعرف الواحد منا ما يريده الآخر مادام كل منهما يتحدث بلهجة مغايرة .

ولـلاختصـار أقـول ومن غير تحيز او هضم لحقوق آخرين وهذه هى الحقيقة الماثلة فعلا: ان الثقافة السودانية ثقافة عربية اسلامية بكل ثقلها العلمى والفكرى والروحى . . إذ استطاع الاسلام ان يكتسح (بلاد النوبة) ـ وهم مسيحيون منذ دخوله رغم الصراع الطويل الذى دام بين الكنيسة وبين المسلمين الا ان النوبيين جميعهم اعتنقوا الدين الاسلامى وتعلموا اللغة العربية مع احتفاظهم بلهجاتهم الفرعية غير العربية . . وعلى هذا الاساس سار الزحف الاسلامى العربى فى طريقه حتى تبلور فى تكوين



اول دولة اسلامية عربية فى السودان هى مملكة (الفونج ١٥٠٥ـ١٨٨٢) انتشر خلالها العلماء والفقهاء فى حلقات الدرس وفتحت خلاوى القرآن الكريم (الكتاتيب) . . ثم جاءت الثورة المهدية .

ويسند رايى هذا الاقتراح الذى اتخذه مؤتمر التخطيط الثقافى الذى انعقد فى فبراير ١٩٧٩م والقائل بتأكيد مكانة اللغة العربية التى اكتسبها عبر تاريخها فى السودان كلغة قومية شاملة . . وهذا بالطبع يخرجنا من مازق الازدواجية الذى نحن فيه الآن . .

الحياة السياسية

مع مطلع القرن (الرابع عشر الهجرى) ظهرت «الثورة المهدية» فى السودان قوية فتية بعد انتصارات متتالية متلاحقة هزمت فيها الاستعمار التركى الذى خيم على البلاد قرابة ستين عاما (١٨٢٢-١٨٨٢) هذه الثورة الايمانية لا تحمل سلاحاً غير سلاح الايمان بالله والجهاد فى سبيله ورفع راية الحق ورفع الظلم عن كاهل ابناء هذا الوطن . . وهذه هى الملامح الرئيسية للثورة المهدية .

قائدها ورائدها الامام محمد احمد المهدى من أبناء شمال السودان من اسرة متوسطة الحال عاشت على ضفة النيل تصنع المراكب . . حفظ القرآن الكريم وكان عابداً ناسكا . . تقيا ورعاً . . تربى روحياً وعلميا فى كنف الأستاذ محمد شريف نور الدائم ابن الشيخ احمد الطيب منشىء الطريقة (السمانية) فى السودان .

محمد احمد المهدى لم يعجبه ما وصل إليه الناس فى بلاده من سطوة الحكام وظلم المستعمرين ولم يرضه ما يعيشه الناس من جهل وبعد عن الدين . . فاعلنها ثورة اسلامية تبعد المستعمر وتبعد ما علق باطراف الدين من خرافات ودجل وشعوذة . . وعلى هذا يقوم مبدؤه على الاصلاح الدينى والاصلاح السياسى . . وانتشرت دعوته وآمن بها القوم وحملوا معه السلاح ضد الغاصبين (السيف والخيل والدروع) وفوقهما الايمان الذى لا يزعزعه دمار . . ودخلوا فى حرب ضروس عاتية ضد الانجليز وكان للثورة النصر . . ولكنها ـ بكل اسف ـ لم تدم طويلا (١٨٨٢-١٨٩٨) ستة عشر عاما واستولى الانجليز على الحكم ثانية . . وبدأ الصراع ثانية . . وامتد من هذا التاريخ ١٨٩٨ وحتى ١٩٥٦ حيث الاستقلال ورفع العلم .

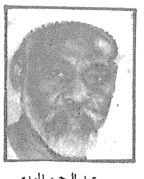
وبدأ المستعمر يعمل جاداً على الفرقة واذكاء نار العصبية من جديد واشعال اوارها الذى أخمده محمد احمد المهدى . . وضع الانجليز (خطة محكمة ليعزلوا السودان عن العالم ويقطعوا أوصاله حتى يسهل عليهم ابتلاعه وهضمه . . ورأوا ان ذلك لا يكون الا بمحاربة الدين الاسلامى ومحو اللغة العربية وهدم صرح الاخلاق وجعل الناس كالضرائر فيما بنيهم فأعانوا المبشرين واستعانوا بهم ووطدوا لهم وقالوا إن الاسلام لا يساير الحضارة وان اللغة العربية تضيق بالعلوم الحديثة وان الاخلاق السودانية بربرية وان النهوض لا يكون الا بترسم خطى أبناء التايمز كما جعلوا من السودان شمالاً وجنوبا)(٧).

قامت سياسة الانجليز أولاً على مبدأ «فرق تسد» فعملوا على تقوية الزعامات القائمة وقتئذ وعلى خلق زعامات محلية جديدة وعملوا على تقوية نفوذ هؤلاء الزعماء الجدد وزيادة ثرائهم(٨) . . و«قاموا بتولية بعض من قربوهم اليهم من السودانيين بعض المناصب الكبرى فى الادارة والجيش . . كونوا الطبقات بين افراد المجتمع الواحد واعادوا الرئاسات وايقظوا النعرات القبلية من رقدتها حتى بلغ بهم الامر الى انزال اشد

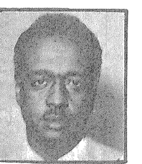
العقاب على من لم يذكر اسم قبيلته إذا ما سئل عن جنسيتـه فاذا ذكر انه سودانى فتلك جريمة نكراء يعادلها من العذاب اشده(٩).

ومن هنـا يحتدم الصراع بين السودانيين وبين الحكم الاستعمارى ومحاولاتـه الجـادة فى تغيير ملامح الحيـاة الـدينيـة والاجتـماعيـة والثقـافية لسودانيين ويتوالى الصراع ويتصاعد مع السنين رفضاً لتلك المخططات . .

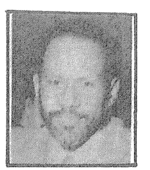

اسماعيل الأزهرى


عبد الرحمن المهدى


محمد احمد محجوب


الشريف الهندى


خضـــر حمـــد


د. حســـن الترابى

فى عام ١٩٠٥ انشأ المستعمرون كلية غردون التذكارية (جامعة الخرطوم) الآن ولم يكن القصد منهـا الاستزادة من العلم والمعرفة ورفع المستوى الفكرى والثقافى للطلاب وانما هى على حسب رأى اللورد كرومـر (اعطـاء معلومات فى القراءة والكتابة والحساب لعدد معلوم من الشباب بقدر ما يمكنهم من أن يشغلوا عن جدارة المـراكـز الثانوية فى ادارة البلاد والحاجة لمثل هذه الطبقة ماسة)(١٠).

●● وضـرب الانجليـز منـذ البداية سداً منيعاً وستــاراً حديـديـاً حول اولئك الطلبـة وكبتـوا محاولاتهم للتفكير فى أى استزادة من العلم وكان التطلع خارج السودان للحصول على مزيد من المعرفة والثقافة جريمة نكراء . . وكم تطلع العديد من الطلبة لكسر تلك القيود والهرب الى معاهد العلم والمعرفة فى مصر (التى كانت قلوبهم تهفوا اليها بحكم الجوار ووحدة اللغة والدين وما نالته من تقـدم فكرى وحضارى . . فقد كانت بحق قبلة آمالهم جميعا)(١١).

●● حبس الانجليـز على الشعب أنفـاسـه وبخـاصة الطلاب حتى أصبح عندهم من أقل مستلزمات الحذر وأدنى درجات الحيطة ان يتبع قلم مخابـراتهم الخـريجين ويحصى كل خطواتهم حتى حيـاتهم الخـاصة تحصى وترصد ويحاسبون عليها حساباً عسيرا .

هـذه نماذج قليلة أبسطها بين يدى القارىء على عجـل لاعطـاء صورة سريعـة لطبيعة المستعمر واستراتيجيته التى ينطلق منها .

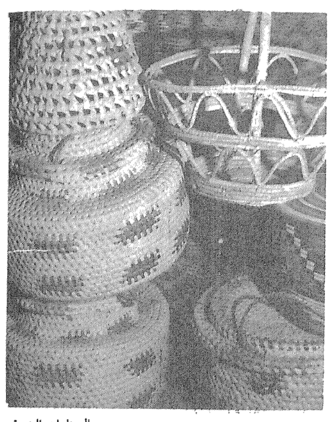
وامتـدت وسائل الدفاع والكفاح على عدة

مراحل شهد فيها الانجليز قوة هذا الشعب وفدائيته ولم يغمض للمستعمرين جفن منذ اول يوم احتلوا فيه السودان . . وتتابع الحركات التحريرية فى السودان يتمثل فى مجموعة الاحداث التى سبقت ثورة ١٩٢٤م ومهدت لها وتليها سلسلة من الاحداث والاضطرابات أدت الى قيام مؤتمر الخريجين فى عام ١٩٣٨م وما اعقبه من تطورات سياسية وحزبية وقيام الجمعية التشريعية الأولى ١٩٤٨م ثم استقلال السودان فى عام ١٩٥٦م.

وسوف اختصر ـ بالطبع ـ كل تلك الفترة الزمنية واحداثها لاقف على اهمها وابرزها فى التكوين الثقافى السياسى . . تخرج فى كلية غردون مجموعة من الطلبة الذين عرفوا بالذكاء والتفوق وكانت احداث البلاد تدفعهم الى الجهاد والكفاح فبدأوا الاعداد نحو حياة أفضل يتمتعون فيها بالحرية وبدأوا ينظمون صفوفهم وظهرت فى اوساطهم المنظمات السرية والانشطة الاجتماعية والثقافية.

أندية الخريجين

فى عام ١٩١٨ انشأوا نادى الخريجين بام درمان وتركزت جهودهم الأولى فى التوعية الاجتماعية والثقافية والدينية واعداد المجتمع للتقبل والاستجابة للصحوة الوطنية التى بدأت معالمها تظهر على السطح وانتشرت الأندية الثقافية والأدبية فى انحاء المدن والأقاليم فقام نادى الخريجين فى الخرطوم ومدنى وبور سودان وكوستى وغيرها من المدن واصبحت فيها بعد قاعدة الانطلاق الوطنى . . *ولقد رأى جيل الرواد حاجتهم الى زيادة معلوماتهم والى التفتح العلمى والثقافى والسياسى فاقبلوا على الجرائد المصرية يتلقفونها تلقفاً بلاغتها وسياستها وجهادها ورسالتها وثقافتها ومصوراتها . . وكذلك جعل الاتصال بالحضارة الغربية يزداد من طرق شتى أهمها اللغة الانجليزية والتدريب المدنى والصناعى والمشروعات الزراعية كمشروع الجزيرة ثم الهجرة الى جامعات أوربا بآخرة(١٢).



من الصناعات اليدوية

ثورة **١٩٢٤** كان لها أثرها الفعال فى النفوس ورسبت فيها الشعور القومى وكثر الحديث عن التحرر والاستقلال ونبذ الفرقة . . وتتالت مجموعة من الاحداث عقب الازمة الاقتصادية العالمية فى ١٩٢٩ . . وظهرت الفكرة لقيام مؤتمر عام للخريجين وكان أن نادت به جريدة السودان ١٩٣٥ وتكرر النداء فى مجلة الفجر ١٩٣٧ فصادف قبولا وتحمساً وظهر المؤتمر للوجود فى فبراير ١٩٣٨ قوة سياسية اصبح لها وزنها ولها حسابها من قبل الانجليز(١٣).

●● وصدقت الحكومة الانجليزية على قيام المؤتمر. . وكان هذا التصديق نابعاً من فكرتهم القائمة على عزل السودان عن مصر وعن الدعوة لوحدة وادى النيل ولمحاولة انفرادهم بالحكم. . وتأكيدا لهذا الدور فقد أصدر المستر (جيلان)(١٤) السكرتير الادارى الى كل الاداريين الانجليز صغارهم وكبارهم يطلب منهم عدم التعرض بمنع الاجتماعات أو التصدى للاشخاص الذين يقومون بنشاط لقيام هذا المؤتمر. . ولم يكن للمستعمر ما أراد فقد انقلب المؤتمر الى نواة للرأى العام ودفة لتسييره فى الاتجاهات الوطنية والقومية. . وساعتها ايقن الانجليز أن الشعب السودانى اكتمل وعيه. . وفى عام ١٩٤٤ أسس مجلس استشارى كل اعضائه من السودانيين. . وقدم مؤتمر الخريجين للحاكم العام مذكرة طالب فيها بحق تقرير المصير واجراء اصلاحات فى النظم المالية والتعليم والقضاء والتجارة واصلاحات اخرى دستورية تمهد لتقرير المصير. . واستمر العمل والسهر وتوج باعلان اتفاقية تقرير المصير فى عام ١٩٥٣ وشكلت اول حكومة سودانية فى ٩ يناير ١٩٥٤ وتم الاستقلال فى يناير ١٩٥٦. . هذا شريط لكفاح سنين امتدت من (١٨٩٨ حتى ١٩٥٦) لا تسمح طبيعة الاستطراد السريع بالتوسع فيه.

المرتكزات الثقافية والفكرية

الحياة الثقافية والفكرية للامة السودانية ـ كما أسلفنا القول ـ جاءت وليدة ثقافات متعددة تكونت على مدى اعصر خلت وسنين حاضرة معاشة وتعددت ألوان الثقافة بتعدد المناهل والمشارب وتضافرت مجموعة من المكونات الفكرية والثقافية لتخرج لنا ما نحن عليه اليوم من فكر ومعرفة وأدب وفن.

وتلك المكونات رغم ما حوته واستوعبته من بعض موروثات ضاربة فى القدم قبل دخول الاسلام الا أن الثقافة العربية الاسلامية ظلت لها الغلبة وترجع اقدم صورها فى المسجد و(الخلوة) كتاتيب تحفيظ القرآن الكريم ـ وحلقات العلم وما يجود به العلماء الأجلاء على الطلاب فى حلقات تعقد فى منازلهم لدراسة علوم الدين والعربية ثم الدور الكبير الذى قام به المتصوفة فى نشر العلم والمعرفة.

وتتمثل أحدث صور تلك المكونات فى الجامعات ـ (جامعة الخرطوم ـ جامعة ام درمان الاسلامية ـ جامعة الجزيرة ـ جامعة جوبا) ولا سبيل لاحصاء معاهد الدراسات العليا والمتخصصة والهيئات والمنظمات المعنية بجوانب الثقافة والفكر والمعرفة. . كما تتمثل أيضاً فى الكليات والمعاهد العلمية والمدارس والبعثات العلمية ثم تأتى الصحف والكتب والمجلات لتزيد من تعميق الفكر وما نتج عن ذلك من عقد الندوات والمحاضرات والمجالس الخاصة والعامة مما أدى الى تبلور ملامح الادب والفكر فى السودان.

التعليم :

كلية غردون التذكارية: هى اول معهد نظامى أسس فى السودان الحديث وضع المستعمر الانجليزى حجر أساسها فى ١٨٩٩ وبدأت بالمرحلة الابتدائية فى عام ١٩٠٣م. . وفى عام ١٩٠٥ انشىء فى الكلية قسم ثانوى يقضى فيه الطالب اربع سنوات مع دراسة خاصة للمعلمين

والمهندسين والقضاة كما عاونت على مد الادارة الحكومية بالكتبة والمحاسبين.

●● درّس فى تلك الكلية نخبة فاضلة من العلماء المصريين منهم الاستاذ احمد هدايت أول ناظر للكلية وعبد الرؤوف سلام والخضرى والجداوى وعبد الوهاب النجار وغيرهم.. ويلاحظ ان تعاليم الشيخ محمد عبده كانت موضع عناية بعض هؤلاء المدرسين الذين تأثروا بها او كانوا من تلاميذه.. ويحسب الدكتور عبد الله الطيب أن الشيخ محمد عبده كانت له يد فى اختيار الاساتذة المصريين الذين جاءوا للتدريس فى كلية غردون (١٥).

ولقد تخرج فى كلية غردون جيل ناضج قاد حملة التوعية الثقافية والتوجيه الاجتماعى والنضال السياسى.

المعاهد العلمية:

فطن الفقهاء والعلماء والمشائخ لما يرمى اليه الانجليز من اهداف وغايات تقوم على ابعاد الدين الاسلامى أو على اقل تقدير زعزعة مثله وقيمه فى المجتمع السودانى واحلال اللغة الانجليزية محل اللغة العربية أو على أقل تقدير احياء ونشر اللهجات الدارجة والمحلية لتزاحم الفصحى ما استطاعت.

فى مدينة ام درمان ـ العاصمة الوطنية ـ كانت تعقد حلقات العلم فى مسجدها الكبير ومثلها مساجد المدن الكبرى وزوايا القرى التى ينفق عليها العلماء والمشائخ.. فى عام ١٩١٢ تطورت تلك الحلقات الدراسية لتكون معهد ام درمان العلمى وتولى رئاسته العالم الفاضل الشيخ «ابو القاسم احمد هاشم» وظل يعمل فيه على مدى عشرين عاما.. واقامه على نظام الازهر الشريف وتكون على ثلاث مراحل الاولية والوسطى والعالمية وكان يعطى شهادات دراسية.. وعلى مر السنين ادخل فى المعهد الكثير من التعديلات التى تزيد من فاعليته.. وتخرج فيه من الطلاب من اصبحوا فى الطليعة مع اخوانهم الخريجين وقادوا مع زملائهم حركة التوعية الدينية ولقد كان لهم اكبر الاثر فى هذا المضمار.. وتوالى انشاء المعاهد الدينية والعلمية فى مدن وقرى السودان لتؤدى خدمتها للدين واللغة.. ولكن الانجليز لم يعجبهم ذلك فحاربوا المعاهد بشتى الوسائل والصور فحينا يوقفون الدراسة فيها واخرى لا يعترفون بشهاداتها ولا بمن تخرجوا فيها فسدوا امامهم مصادر الرزق والعيش ولكن كل ذلك لم يثنهم عن مواصلة هدفهم الأسمى فى أداء الرسالة المنوطة بهم.

الخلاوى ومجالس العلم:

مهما يكن موقفنا من (المتصوفة) سلباً او ايجاباً ومهما تكن مآخذنا عليهم فى الفلسفة التى تقوم عليها مذاهبهم وفلسفة حياتهم فان كل هذا لا يوقفنا دون تسجيل منطوق التاريخ العلمى وجهدهم فيه فى السودان بخاصة.. ونقطة مهمة لابد من تسجيلها هنا وهى أن رجال الطرق الصوفية فى السودان هم الذين حملوا الدعوة الاسلامية ورفعوا رايتها.. انشأوا (الخلاوى) لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده ومدارسة علومه وصرفوا عليها من اموالهم الخاصة بكل سخاء واصبحت مناطق جذب وفد إليها الطلاب من الشرق والغرب والشمال والجنوب وكانت هذه الخلاوى هى الرافد الحقيقى للمعاهد الدينية

وجـامعـة أم درمان الاسلامية . . عقدوا مجالس العلم وأسسـوا المسـاجـد . . وهم بهذه الصفـة اصبحـوا علامــة بارزة فى التكـوين الثقــافى الاسلامى والعربى فى السودان . . ويسجل هذه الحقيقـة كل من كتب عن تاريـخ الثقــافــة السودانية . . واذا ما كانت لنا مآخذنا على بعض تصرفاتهم وفلسفاتهم الحياتية فلا يمنع هذا بحال أن نسجل هنا ما شهد لهم به تاريخ مسيرتهم فى السودان .

الرحيم مصطفى قليلاتى وهو شاعر واديب وثيق الصلة بادباء ذلك الجيل من السودانيين وفى عهده ازدهرت الرائد وفتحت صدرها للشعراء والكُتّاب من البلاد(١٦) . . وكانت الرائد ملتقى جيلين . . الجيل الذى تلقى ثقافته فى الازهر الشريف او فى حلقـات الدراسة فى منازل كبار العلماء والفقهاء الـذين اتخـذوا من دورهم مدارس لنشر الثقافة الدينية والعربية . . والجيل الناشىء الذى تخرج



جامعة الخرطوم

الصحـافـة :

ظهــر فى الســودان العـديـد من الصحف والمجـلات . . منهــا السيــاسى والاجتــماعى والأدبى . .

صحيفـة الـرائد : صدرت فى عام ١٩١٤م أدبيـة اجتـماعيـة أسبـوعيـة انشأها تاجر يونانى تعــاقب على تحريـرهـا عدد من الســوريـين والمصـريين منهم الاستاذ توفيق وهبى وهو شاب مصـرى كان يشغـل منصب القضـاء . . ومنهم الشـاعـر السـورى فؤاد الخطيب وكـان استـاذاً للأدب العـربى فى كليـة غردون والاستـاذ عبد

فى كلية غردون وكانت تقيم المسابقات الأدبية .

صحيفــة حضـارة الســودان : انشئت عام ١٩١٩ تولى رئاسة تحريرها الاستاذ حسين شريف وهو اول صحفى سودانى يحترف الصحافة وكانت اول صحافة سودانية لحماً ودماً وروحاً ، ولما آلت ملكيتها فى عام ١٩٢٠ للسادة على الميرغنى وعبد الـرحمن المهدى والشريف يوسف الهندى تحولت من صحيفـة ادبيـة اجتـماعيـة الى سيـاسية . . وجـاءت بعـدهـا حضـارة السـودان الثـانيـة . . واستـمــرت حتى ١٩٣٧ . ولقــد طرحت هذه

الصحيفة على بساط البحث والنقاش ما عرف حينها بـ (المسألة السودانية) وظهرت فيها ثلاثة آراء «تيار يدعو الى القومية والذاتية السودانية المنفصلة عن غيرها والقائمة بذاتها تحمل سماتها وكيانها الخاص بها ورفع هذا التيار شعار (السودان للسودانيين) وان كان هذا التيار سودانيا خالصاً الا ان الانجليز حاولوا استيعابه واستثماره لصالحهم للوقيعة بين السودانيين وبين المصريين. . وتيار ثان يقف فى صف الانجليز ويحاول ان يستظل بظل التاج البريطانى. . اما التيار الثالث فيدعو الى وحدة مصر والسودان لما بينهما من روابط ازلية.

وعلى صفحات هذه الجريدة تفتحت براعم ادباء وشعراء كان لهم اعظم الاثر فى النهضة الثقافية والسياسية. . وان كان النشر فيها محدوداً تحكمه الجوانب السياسية إلا ان ذلك لم يمنع من ظهور بعض البراعات الأدبية والثقافية.

مجلة النهضة السودانية:

صدرت لمدى عامين متتاليين (١٩٣١-١٩٣٢م) وتولى رئاسة تحريرها الاستاذ محمد عباس أبو الريش وتعتبر مجلة رائدة فى مجال الصحافة السودانية. . التقى على صفحاتها جهابذة الكُتّاب والادباء السودانيين من الشباب والشيوخ ودارت بين صفحاتها معارك قلمية مشهورة أثرت الحياة الثقافية فى السودان تناولت الاسلاميات والادب والتاريخ والعلوم والسياسة والفلسفة والاجتماع والتعليم وغير ذلك من المواضيع العامة. . صدر العدد الاول منها فى ٤ اكتوبر ١٩٣١. . وجاء فى كلمة المحرر لاول عدد منها: «بلادنا السودان كغيرها من بلاد الشرق بها كثير من النقص الأدبى والاخلاقى والاجتماعى ولما كانت هذه الاشياء لا يمكن اظهارها بارزة للعيان ومعالجتها الا بواسطة الصحف السيارة التى لا يمكن لامة من الامم مهما قل شأنها ان تستغنى عنها بحال من الاحوال. . ولما كانت اخلاقنا ومجتمعاتنا مصابة بكثير من الادواء التى تحتاج لاطباء نطس يعالجونها بما أوتوه من حكمة وروية لذلك أقدمت على اصدار هذه المجلة آملا خدمة المجموعة وان يتصل جمهور القراء بعضهم ببعض فى الافكار والنظريات والابحاث والمعتقدات(١٧).

ومن السمات البارزة فى هذه المجلة غلبة الجانب الادبى وهذا يتمثل فى القصة والمقال والشعر وبعض الادب المترجم. . ولكنها أقل حظاً فى الجانب النقدى الذى هواكثر وضوحاً فى مجلة الفجر التى تلتها مباشرة. . صدر منها اثنان وثلاثون عدداً ثم ماتت بموت صاحبها فى ١٩٣٢ واعادت دار الوثائق المركزية فى الخرطوم تصويرها فى مايو ١٩٦٩ لأهميتها.

مجلة الفجر: (١٩٣٤-١٩٣٩)

صدر منها مجموعتان الأولى فى عهد عرفات محمد عبد الله وتتكون من ثمانية وعشرين عدداً صدرت فى الفترة من يونيو ١٩٣٤ الى اكتوبر ١٩٣٥ والمجموعة الثانية صدرت بعد وفاة عرفات وأصدرها الاستاذ احمد يوسف هاشم حتى ١٩٣٩م.

وتأتى مجلة (الفجر) لتحمل الراية من زميلتها (النهضة) مواصلة المشوار الطويل غير آبهة بما يلاقيها فى طريقها من عثرات وعقبات. . قدمت من الكتاب والادباء عدداً اكبر مما قدمته (النهضة)

وارسخ قدماً واوسع افقاً كما زاد الاهتمام فيها بالنقد الادبى زيادة واضحة وتناولت المقالات فيها ميادين كثيرة للفكر . . وفى مجال القصة كانت فيها اكثر نضوجاً ودقة . . كما ظهرت فيها محاولة لكتابة الرواية . . الكثير من الأدباء والباحثين يعتبر مجلة الفجر مدرسة أدبية قائمة بذاتها تضاهى الى حد ما مدرسة ابولو فى مصر . . ويرى محمد احمد محجوب ان جماعة الفجر وجماعة اصدقاء الامين مدنى قد أثرتا الى حد بعيد فى الحياة الأدبية فى السودان . . وجاء فى اول كلمة لرئيس تحريرها الاستاذ عرفات محمد عبد الله (فهذه صحيفتنا بين يدى قارئها فيها صورة صادقة بقدر ما نستطيع ان نصور مبدأها الذى تدين به فى خدمة الآداب والفنون والثقافة العامة نرجو بذلك خدمة هذه الامة السودانية وهذه اللغة العربية قبل كل شىء وبعد كل شىء . . رائدنا الاصلاح ما استطعنا نقول كلمة الحق لانبالى ما يصيبنا من ورائها لا ندين لفئة ولا لفرد بتبعية أو خضوع فى راى أو عمل) (١٨).


الصادق المهدى


د. الخير يوسف نور الدائم

وتبعا لاتساع المدارك فقد تقدمت الثقافات وأصبح الجيل الجديد يلتهم كل ما يفد اليه من أنواع الثقافات . .«والجيل الجديد من أبناء هذه البلاد وخاصة من تمخضت عنهم ثورة ١٩٢٤ رأوا حاجتهم الملحة الى زيادة معلوماتهم فكان اول خطوة خطوها أن أقبلوا على قراءة جل ما تخرجه المطابع المصرية كما أقبل اولئك الشبان على دراسة بعض ما تخرجه المطابع الانجليزية . . فهنالك من الشبان من يتوفرون على دراسة العلوم الاقتصادية والسياسية ومنهم من يدرسون التيارات الحديثة فى نظم الحكومات والامم ومنهم من يتقصون الاساليب الادبية والخطابية والمحسنات اللفظية فى تلك اللغات الأجنبية ويحاولون نقل بعض التعابير والاساليب الى اللغة العربية شأنهم فى ذلك شأن غيرهم من ابناء هذا الشرق العربى(١٩).

● وظهر عدد كثير من الصحف والمجلات على امتداد العقود المتعاقبة منها الحزبى الذى يمثل جهة سياسية ومنها غير ذلك من تلك التى تهتم بالثقافة والآداب والفكر والعلوم . . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: «جريدة (السودان) تأسست ١٩٣٤ ـ جريدة (النيل) تأسست ١٩٣٥ ورئيس تحريرها احمد يوسف هاشم وأسس من بعدها جريدة (السودان الجديد) اسبوعية ثم يومية . . وظل يعمل بها حتى وفاته فى ٣ يونيو ١٩٥٨ وواصلت صدورها بعد ذلك . . صحيفة (صوت السودان) رأس تحريرها الأستاذ محمد عشرى الصديق فى الأربعينيات . . جريدة الأمة ورأس تحريرها الأستاذ يوسف مصطفى التنى . . صحيفة (السودان) عبد الرحمن أحمد . . جريدة (الشباب) أصدرها عثمان احمد عمر . . (الرأى

العام) ١٩٤٥ ورئيس تحريرها الاستاذ اسماعيل العتبانى . جريدة (العلم) على حامد . . جريدة الايام أسسها بشير محمد سعيد ٣ اكتوبر ١٩٥٣ . . جريدة الصحافة ومن الصحف الحزبية (الميثاق الاسلامى) تابعة للاخوان المسلمين . . (الميدان) تابعة للحزب الشيوعى . . ومن المجلات مجلة الثقافة السودانية . . مجلة الخرطوم . . مجلة البيان . . مجلة الشباب . . مجلة الاذاعة والتلفزيون والمسرح . . مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم .

بعض هذه الصحف والمجلات لم يعمر طويلا و بعضها استمر فى العطاء . . ولكن الحكومات العسكرية التى امتدت ٢٢ عاما أوقفت هذا التيار الثقافى وحصرته فى الصحف التابعة للدولة تحت رقابتها مما عطل الحركة الثقافية او على اقل تقدير شل قوة دفعها .

●● ويوقفنا الاستاذ محمد احمد محجوب على تطور الثقافة السودانية لدى جيل الرواد بقوله : **«ولقد قطع الكثيرون شوطاً بعيدا فى هذا المضمار ـ الثقافى ـ وتأثروا بالافكار الغربية والتحليلات الغربية وأخذوا يسمعوننا صدى ذلك الأثر فى قصائدهم وكتاباتهم واخذ القراء يستسيغون انتاجهم ويقبلون عليه كما كانوا يقبلون فى الماضى على انتاج المدرسة العربية للبحث ولم يقف أولئك عند هذا الحد فانهم بعد ما كانوا يقرأون الأدب المصرى والادب الغربى فى خشوع ويتلقون الوحى عنه ويحسبون ان كل ما يأتيهم من خارج الحدود خلو من العيب أخذوا يتناولون ما يقرأون فى الأدبين بالنقد والغربلة»**(٢٠).

ولقد ظهر هذا التطور الفكرى فى مجلتى النهضة والفجر حيث برزت فيهما كثير من الكتابات النقدية والتحليلية لكثير من كتاب الشرق والغرب ونلحظ انها دراسات ناضجة تعبر عن استيعاب واع وذكاء وافر وبصيرة متقدة .

التحول الاجتماعي

الحياة الاجتماعية من عادات وتقاليد وموروثات ومن مثل وسلوكيات واخلاق وطبيعة معاملات أشياء متوارثة تتوالد عبر الأجيال المتطاولة فى الأزمنة الغابرة . . وتعدد الانتماءات العرقية فى السودان من شماله الى جنوبه ومن شرقه الى غربه كان له اثره الواضح فى ترسب بعض الموروثات الضاربة فى القدم . . الا أن الدولة الاسلامية التى نشأت فى السودان (مملكة الفونج أو المملكة السنارية (١٥٠٥-١٨٢٠) استطاعت بجهدها وجهد العلماء ـ جماعات وافراد ـ نشر التعاليم والسلوك والاخلاق الاسلامية مما جعله ينتظم البلاد كلها . . ولكن رغم ذلك تبقى بعض المترسبات من الموروثات القديمة باقية

ودخل اليها من الجديد ـ نتيجة فهم مغلوط وخاطىء فى الدين ـ بعض السلوكيات مثل (القباب المشادة على قبور الاولياء والصالحين ـ وزيارتهم والتمسح باعتابهم والتبرك بتراب قبورهم ـ الأعياد والموالد ـ الرقى والتعاويذ والأحجبة ـ شد الرحال لزيارة ضريح الولى فلان . . أو قبة الدهب من اجل الولد ـ ونوعية السؤال المتّجه للشيخ نفسه ـ حيا أو ميتا ـ (يا الشيخ فلان تلحقنى وتفزعنى ـ ياالحاق بعيد . . الخ) وهذه من اخطاء وسقطات بعض المتصوفة .

ويظهر جيل النهضة جيل جديد من الافندية يشك فى كثير من القيم الموروثة بما يبديه من استعداد للأخذ من المدنية الجديدة.. ثم تبع ذلك انحراف سريع عن مألوف التقاليد فجعل سلطان الآباء يضعف لازدياد اعتمادهم على ابنائهم الجدد الآخذين بنصيب من جاه السلطان وماله وجعل سلطان الدين يتزعزع لانصراف الطلاب عن معاهده وشك كثير من المثقفين فى قيمة معارفه ثم تبع تعليم البنين تعليم البنات والتطلع الى شيىء من السفور(٢١).

● وجوه ثقافية ●

ابن باديس عبد الحميد:

(١٨٨٧-١٩٤٠) رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر ١٩٣١. ولد فى قسنطينة ودرس فى الزيتونة بتونس. اصدر «مجلة الشهاب» وشن فيها حملات شديدة على الاستعمار. رفض محاولة فرنسا ان يتولى رياسة الامور الدينية. اضطهد واوذى.. انشأت جمعية العلماء فى عهده كثيرا من المدارس كان لها الفضل فى حفظ الجزائر لعروبتها. توفى بقسنطينة وله تفسير للقرآن الكريم اشتغل به تدريسا زهاء ١٤ عاما ونشرت اجزاء منه.

ونستكمل جزءاً من الصورة مع الدكتور عبد الله الطيب «وشهد الجيل الذى تلا الحرب الثانية اعتناقا لاهواء ومذاهب جديدة مما تفتقت عنه اذهان المفكرين فى الشرق والغرب مثل ماركس وغاندى والاشتراكيين البريطانيين ورجال الحركة الوهابية والحركة القومية المصرية(٢٢).. ونستأنس براى الاستاذ محمد عشرى الصديق فهو من الرواد ايضا. " كان دخول الكتب الغربية حاملة الينا ذخائر الأمم الغابرة والحاضرة من فلسفات ومعتقدات ومشاعر واخلاق من الأسباب الرئيسية لهذا التحول الذى نشهده بوضوح يوماً بعد يوم ثم هؤلاء الاقوام الذين يقصدون بلادنا لانشاء المدنية (والاقامة أو لغير ذلك من هذه الأسباب حمل الينا هؤلاء عادات قومهم وأفكارهم» ويقول «تطورت الحياة ونشأت الجرائد والمجلات ونشأت المكاتب وقامت الاندية والمقاهى البلدية وازدهرت المجتمعات وظهرت الشخصيات وطرحت المسائل والنظريات على بساط البحث ونمت المنشآت الاخرى من صناعية وتجارية واجتماعية ورياضية فتكونت آراء ومشاعر مختلفة وهى الآن (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦) فى تفاعل مستمر مع الآراء والمشاعر الموجودة فاستجاب لها بعض الناس وحاول البعض رفضها فبدأ العراك الفكرى والنفسى وظهرت طلائع عصر النقد والشك(٢٣) وهذا بالطبع رأى شاهد جيل وكثيرا ما أجد نفسى اكثر عرضا واعتماداً على آرائهم.

كانت النهضة اكثر وعياً بالمتطلبات الاصلاحية للمجتمع فوضعوا امام أعينهم خطوطاً عريضة لتلك المشاكل التى يعانيها الناس فى حياتهم وعملوا على معالجة التعليم بصفة عامة وتعليم

المرأة بخاصة واصلاح أمر العقيدة وابعاد ما علق بها مما ليس فيها من شيء وابطال الخرافة والوهم والدجل والشعوذة والسحر واصلاح ما تعيشه بعض القبائل واقعاً ملموساً من تلك العادات المنافية للعقل.

وقضية التعليم كانت فى مقدمة قائمة الاصلاحات إذ لم يكن فى البلاد سوى كلية غردون وبعض المدارس والارساليات.. هذا بالطبع عدا التعليم الأهلى الذى تطرقنا اليه فيما سبق والمتمثل فى حلقات الدرس فى المساجد ومنازل العلماء والفقهاء ومشائخ الطرق الصوفية والخلاوى التى تقوم بتحفيظ القرآن الكريم..

اما تعليم البنات فقد اختلفوا فيه بين مؤيد ومعارض ذلك لان التقاليد المتعارف عليها آنذاك لا تسمح بخروج المرأة إلا لشأن عظيم لذلك وجد دعاة تعليم المرأة عنتاً كثيرا فى كسر هذا الحاجز النفسى بين المرأة واسرتها وبين قبولهم لتعليمها.. ونستأنس ببعض آراء ذلك الجيل فى هذا الموضوع يقول عرفات محمد عبد الله فى مقال طويل عن تعليم المرأة: إن (كثيراً من عقلاء «المحافظين» الذين سمت افكارهم فوق التعصب الاعمى مازالوا يعارضون فى ارسال بناتهم الى المدارس التى وجدت خلال الربع الاول من القرن العشرين لعدة اعتبارات وجيهة فى ذاتها منها ما يرجع الى العاة وما سببه الغيرة على العرض وما أساسه الدين ونحن نعلم ان اكثر مدارس البنات كانت للارساليات يديرها القسس والرهبان باموال التبشير(٢٤) وهى عنده ايضا الصالحة فى المحيط الانسانى الكبير وهذا ما يجب ان تعد له بالتهذيب الدينى والاخلاقى والأدبى لتقوم بنصيبها فى نهوض الأمة من ثباتها ولترسل أشعة اللطف والرحمة والفضيلة فيما حولها من آباء واخوة وأبناء وهو شىء خصت به(٢٥).

●● ومحمد احمد محجوب يقول فى المرأة (**ولكنى أريدها زوجاً مدبرة وامًّا تعنى بتربية طفلها وترعى جسده وروحه وتتكفل بغذائه الجسمى والعقلى والخلقى ولا أريدها سافرة متبرجة ولكن اقول بمحافظتها على تقاليدها المرعية وعلى تقاليد وتعاليم دينها الحنيف**(٢٦).

وهذان الرأيان فى رايى - يمثلان خلاصة منهج الجيل فى تعليم المرأة.. وكما نعلم فان المرأة السودانية استطاعت ان تسجل حضورها الاجتماعى والعلمى والفكرى فى مسيرة العطاء الثقافى فى السودان عندما طرقت ابواب التعليم حتى الجامعة بل والدراسات العليا بكل تخصصاتها فى فروع المعرفة وساهمت فى التدريس فى الجامعات والكليات والمعاهد العليا.. أما فى سبيل الاصلاح الدينى فقد كان نصيبهن وعطاؤهنَّ فيه وافرا(٣٠).

ويسجل الدكتور عبد المجيد عابدين رأيه فى الحركة الاصلاحية التى قام بها جيل الرواد بقوله (هذه اليقظة العلمية والروحية التى تمتع بها كتاب الجيل الماضى قد جعلتهم من غير شك أشد إحساساً بالدجل العلمى والروحى الذى كان يبدو فى بعض الاوساط السودانية كما جعلتهم أقدر من غيرهم على تحسس مواضع الداء فى المجتمع السودانى وتشخيص الدواء له.. لذلك وقف الرواد بعصا المعلم المرشد ينبهون الناس الى طريق الاصلاح ليسلكوه وطريق الفساد ليتجنبوه(٢٧).

وعلى طريق الاصلاح الدينى والاجتماعى تأتى جماعة (انصار السُنَّة) التى انشئت فى عام ١٩٣٩ فى السودان وتقوم على الدعوة الى التوحيد الخالص المطهر من أنواع الشرك. . وتناولوا كثيرا من انحرافات وشطحات المتصوفة بالنقد والاستنكار. . وعلى نفس المنهج الاصلاحى تقوم جماعة (الاخوان المسلمون) وهى تقوم على اساس الاسلام (دين ودولة) لذلك نجد حركتهم السياسية تتحرك فى الاتجاه الدينى. .

الشعر

نقطة البداية التقريبية للشعر فى السودان وكيفيتها شأنها شأن البدايات الشعرية فى العالم العربى وقد لا تختلف الا فى بعض جزئيات وتفاصيل. . ولا اقف هنا لاحقق تلك البداية زمنا ومضمونا مادمت اقدم هنا مجرد معلومات سريعة خاطفة.

ولنكون على مقربة من القرن الرابع عشر الهجرى وفى خلاله نتناول شعراء مرحلة التقليد المبكر ونذكر منهم: حسين الزهراء (١٨٣٣-١٨٩٥) عبد الله أبو المعالى - محمد احمد هاشم (١٨٢٥-١٩١٠) عمر الازهرى متوفى فى (١٩١٤) محمد عمر البنا (١٨٤٨-١٩١٩) عبد الغنى السلاوى ولد (١٨٢٢) محمد طاهر المجذوب (١٨٤٢-١٩٢٩) المضوى عبد الرحمن مولود فى (١٨٥٧) وشعراء هذه المرحلة لا يخزجوا فى شعرهم عن شعر المناسبات الدينية والاجتماعية والتقريظ والمدح وغيرها (فاذا ولد ولد فلابد أن تسرى البشائر ويسمع الطير فوق بانات الربى ويجود المزن بمائه ويقبل المزن لابساً حلل المنى ويلمع النور فى الآفاق. . وإذا قرظ احدهم كتاباً فهو انما يقرظ درر المعانى والعقد الفريد الذى لا نظير له والكنز الذى كان مدفوناً عن الأبصار. . والممدوح هو الجوهر الذى له الفضل والمجد المؤثل). (وهم فى غزلهم يستعيدون صوراً من الشعر العربى كبكاء الحمامة ورجيعها ورحيل الحبيبة ووصف المطى وارجاع الحنين الى برق نجد. .) (وقد تأثروا فى غزلهم بنماذج من فترة المماليك فجاء كشعرهم فى الموضوعات الاخرى مليئاً بالملح والطرائف اللغوية وإظهار المهارة الفنية مما يجعلها أقرب الى تلاعب الحواة منها إلى الشعر(٢٨).

ونجد مثالا لذلك عند الشيخ عمر الازهرى وهو احد خريجى الازهر الشريف يقول فى قصيدة نال بها جائزة مجلة الجوائب المصرية.

سلوا عن فؤادى مسبلات الذوائب
فقد ضاع من بين القلوب الذوائب

فلا سلمت نفس من الحب قد خلت
ولا كان جفن دمعه غير ساكب

سبا مهجتى لدن المعاطف. . أهيف
له لفتات دونها كل ضارب

ولا عيب فيه غير أن جفونه
بنتها على كسر جميع المذاهب

ومع بداية (الثورة المهدية) نجد الشعر التقليدى قد أخذ مفاهيم جديدة واصطبغ بصبغة عصره وحياة أهله فقد انتزعت الثورة الشعراء من تهويماتهم البعيدة عن

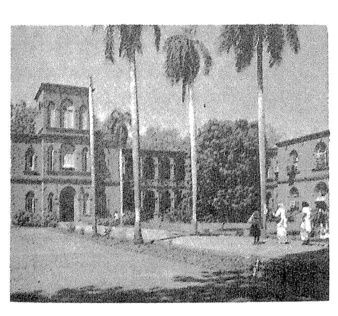
واقعهم والمنفصلة عن حياتهم.. نفخت الثورة فى الشعر روح الجهاد وملأته بمعانى البذل والتغنى بالبطولة والحرب والقتال فى سبيل الله سبحانه.. فى تلك الفترة اصبح من اهم اغراض الشعر الدعوة الى المهدية وتثبيت اركانها فهى ثورة اصلاح دينى وسياسى جاءت مع مطلع القرن الرابع عشر الهجرى.. فتغنى الشعر بالانتصارات الخارقة التى حققتها الثورة المهدية.. رجال عزل الا من سلاح الايمان بالله أو ما يأخذونه غصباً من العدو فى انتصاراتهم ضد عدو شرس يحمل العدة والعتاد ورغم ذلك تنتصر الثورة على المستعمرين الانجليز ومن والاهم.. وهنا نقف عند قصيدة للشاعر الشيخ محمد عمر البنا أنشدها المهدى يحث فيها جموع الأنصار ـ أى أنصار المهدى ـ على الجهاد يقول فيها:

الحرب صبر واللقاء ثبات
والموت فى شأن الآله حياة
والجبن عار والشجاعة هيبة
للمرء ما اقترنت بها العزمات
والصبر عند البأس مكرمة ومقدام
الرجال تهابه الوقعات
قوم إذا حمى الوطيس رايتهم
شم الجباه وللضعيف حماة
ولباسهم سرد الحديد وبأسهم
شهدت به يوم اللقا الغارات

■ ويرسم لوحة بديعة لجانب من ميادين الحرب:

ركبوا الجياد وغادروا شلو العدى
رزق النسور ولحمهم أقوات
والخيل ترقص بالكماة.. كأنها
تختال فى ميدانها فتيات
فأثرن نقع الموت فى عرصاتهم
وأغرن صبحاً اذ علت اصوات

ومن الملاحظات التى يمكن تسجيلها حول شعر فترة المهدية انه شعر قام به العلماء والفقهاء الذين انحصرت ثقافتهم فى العلوم الفقهية والشرعية ولهذا جاء مجال القول فيه محصوراً الى حد بعيد.. وقد مزج الشعر بين الدين وسياسة الحكم بعد ان حاول الاستعمار الفصل بينهما ويمتاز الشعر فى تلك الفترة بعنصر الخيال ويمتلىء بالعاطفة والصدق خاصة فى بعض ذلك الذى تغنى بالانتصارات.. وذلك الذى نظم فى رثاء الامام المهدى.. اما الاسلوب فظهر فيه ما يسميه الأدباء باسلوب الفقهاء من اقتباس من القرآن الكريم والسنة المطهرة وبعض الاقوال المأثورة أما المعانى ففيها الجديد الرائع اذا ماقيست بما نظم فى العهد السنارى (١٥٠٥-١٨٢٢) والتركي (١٨٢٢-١٨٨٢) ويمكن ان يتمثل هذا واضحاً عند محمد عمر البنا ـ الحسين الزهراء ـ محمد طاهر المجذوب ـ عبد المحمود نور الدائم).



وفى المرحلة التالية للثورة المهدية ظهر من الشعراء من كان اكثر ابداعاً واتقاناً وهم الجيل الذى عاش خلال فترة الحكم الانجليزى من ارباب الشعر التقليدى. . وهذه المرحلة تمثل فى تاريخ تطور الشعر السودانى مرحلة الاحياء والبعث والرجوع به الى عصور ازدهاره ومجده وهذا القول لا ينفى بالطبع ابداع واجادة من ارتقوا به الى نفس الدرجة من القلة السابقة من الشعراء. . ونذكر من رواد هذه المرحلة (محمد سعيد العباسى ـ عبد الله عبد الرحمن ـ عبد الله البنا ـ احمد محمد صالح ـ الطيب السراج ـ بابكر بدرى ـ مدثر البوشى ـ محمود أنيس ـ حسيب على حسيب) وغيرهم ممن حملوا راية الشعر فى تلك الفترة.

ومما يمكن ان نسجله من ملاحظات سريعة حوله. . أن قسماً منه ما لم تكن فيه مشاركة ولا ابداع وانما هو التقليد التام فى الشكل والمضمون. . فى الصياغة والمعانى. . تتقدم القصيدة مقدمة طللية أو ابيات غزلية او نسيب مكرر لاكته الالسن وضمت عليه الشفاه ولا شىء فيه مما يتصل بحياة الناس او ما يعانونه.

وقسم آخر تناول تجارب جديدة معاصرة. . تناول ما حدث ويحدث فى البلاد من احداث سياسية واجتماعية ووطنية. . وهذا القسم فيه جدة الموضوع التى استتبعت جدة بعض الافكار والعواطف(٢٩) وكل ذلك أدوه فى لغة جزلة رصينة استخدموا فى تناوله نفس الادوات التقليدية للقصيدة العربية.

ويرجع بعض النقاد هذا التقليد فى الأداء والاسلوب الى طبيعة التشابه بين البيئة الاجتماعية والطبيعية فى السودان وبين مثيلتها فى جزيرة العرب(٣٠).

ولكن هناك عوامل اخرى اراها اكثر اهمية واقناعاً من هذا تتمثل فى الرغبة الملحة والحاجة الماسة الى اثراء المعجم اللغوى للامة السودانية التى كادت السنون أن تفعل فيه فعلتها. . ويؤكد هذا المبدأ محاولة المستعمر الانجليزى الجادة فى ابعاد السودانيين عن لغتهم العربية واحلال الانجليزية مكانها ومن هنا تكون عملية الرجعة هذه رد فعل طبيعى. . ليس هذا فحسب فاللغة العربية هى لغة الدين ومن هذا الجانب ايضاً كانت الرجعة مكثفة فى شعر ذلك الجيل الى الامجاد الاسلامية التى سطرها التاريخ. . ولذلك نسمع اصوات شعراء تلك المرحلة متعالية داعية لوحدة الشعوب الاسلامية واعلاء شأن العربية.

وفى هذا الاطار نجتزىء للاستشهاد ابياتاً من قصيدة عبد الله عمر البنا فى (مناجاة الهلال) القاها فى نادى الخريجين عام ١٩٢١ وكان لها دوى عظيم فى اوساط المجتمع السودانى يقول فيها:

ياذا الهلال عن الدنيا أو الدين
حدث فان حديثاً منك يشفينى(٣١)
وارمق بطرفك من بغداد دائرها
واندب بها كل ماضى العزم ميمون

سلها تخبرك كم ضمت مقابرها
من ذى حفاظ وبذل غير ميمون
سل دار عاتكة عن شأن عاتكة
فيها وعن سائل فيها لهارون

سلها عن الجيش جيش الله أين مضى

وكيف جُرِّد من ماضٍ ومسنون
أخلى منابرها من فى مقابرها
من كلٍ متضح الآثار . . مدفون
وقبلها ابك دمشقاً انها فجِعَتْ
بسادة عمَّروا الدنيا أساطين
وسل معاوية عن شاتميه فكم
عفا وأعطى برأى منه مرصون
يأسو جراح مقال ليس تؤلمه
بالمال والمال من أجدى القرابين
واذكر ليالى للفاروق أرقه
فيها التقى وحنان للمساكين

●والشاعر فى هذه الابيات يقدم لنا صورة للعدل والخير والتقى والاصلاح والحكمة وسداد الرأى صورة يقدمها ماثلة للعيان ليضع بجانبها صورة من الواقع المؤلم المعاش:

يا أمة جهلت طرق العلاء فلم
تسبق لغاية معقول ومخزون
فللمدارس هجران وسخرية
وللمتاجر ضعف غير موزون
وللمفاسد اسراع وتلبية
ولا التفات لمفروض ومسنون
والناس فى القطر اشياء ملفقه
فان تكشف فعن ضعف وتوهين
فمن غنى فقير فى مروءته
ومن قوى بضعف النفس مرهون
ومن طليق حبيس الرأى منقبض
فاعجب لمنطلق فى الارض مسجون

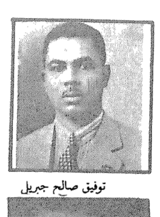
وما دام حيز المكان فى (المجلة) لا يسمح باطالة السرد والاستدلال بشىء من الانواع الشعرية الأخرى فى هذه المرحلة فانى اكتفى بجزء من قصيدة (سنار بين القديم والحديث) للشاعر المبدع الاستاذ محمد سعيد العباسى لاول مملكة اسلامية عربية فى السودان امتدت من مطلع القرن السادس عشر وحتى الثمانيات من القرن التاسع عشر . . فهو يرنو ببصره الى ما عاشته تلك المملكة من عز ومجد وقوة حيث يسترجع تاريخ ملوك كرام اقاموا صرح المجد ورفعوا قواعده . . وفى ذلك رجعة لاستقراء التاريخ .

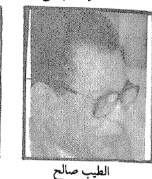
يارفاقاً فديتهم هل معيد
لى منكم ذكرى خليط أجدّا
وربوعاً أحالها عنت الدهـ
ـر مراحاً للحادثات ومغدى
أسعدتنا فيها الغداة دموع
لم تخنا بالأمس فى دار سعدى
زرت بالأمس سنار والجوانح أسرى
زفرات هدت قوى الصبر هدّا
إن محا الدهر حسنها فلقد كانت
مرادا للمتقين وخلدا(٣٢)

والشعر فى تلك الفترة حمل لواء الحرب الضروس ضد الاستعمار والمستعمرين والى جانبه الشعر الشعبى فى الميدان .

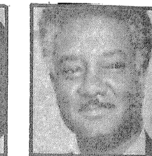
فيما يتعلق بالسمات والخصائص الفنية لشعر هذه المرحلة يمكن القول: ان الخيال عند اغلب شعراء هذه المرحلة جزئى قائم على الصورة


محمد سعيد العباسى


توفيق صالح جبريل


الطيب صالح


محمد الفيتورى


صلاح احمد ابراهيم


د . عبد الله الطيب

الجزئية ويستمد حيويته منها وقل أن تجد فيه صورا تبرز فى اسلوب يمكن ان يتخذ وسيلة من وسائل الاقناع بالحقائق النفسية والكونية وتصويرها فى صورة متكاملة الا ما نجده عند قلة منهم وهى ليست كثيرة . . واغلب الخيال عندهم هو الخيال البيانى التفسيرى الذى يصور الاشياء على اساس اضافتها الى اشياء اخرى تقويها وتظهرها مستعيناً فى ذلك بالفنون البلاغية والصورة عندهم مبتورة غير كاملة لعدم وقوف الشاعر عندها كثيرا ويرجع ذلك الى عملية القفز والوثب التى يمارسها الشاعر فى قصيدته من معنى الى غيره . .

أما المضمون ـ كما سبق القول فيه ـ فهو استقرائى لتاريخ امجاد العروبة والاسلام وامجاد السابقين من قادة ورواد الامة والافادة منها فى صياغة الحاضر على هداها وطريقها . . ومن جانب آخر فهو رد فعل مباشر لدعوات الاصلاح العامة التى سادت العالم العربى الاسلامى آنذاك من دعوة للجامعة الاسلامية والوحدة العربية وغيرها . . ولهذا يكثر الاسلوب التقريرى والوعظى . . واسلوب انتزاع العبرة من التاريخ وتسجيل الحكمة فى غالب شعرهم الذى يتصل بالاصلاحات السياسية ـ الاجتماعية ـ التعليمية ـ الخلقية . . الخ . . تغنوا بالطبيعة فى شعرهم وتأثروا بها ووقفوا عندها ولكنه نقل للمرئى فى صورته من غير أن نلمس الاثر النفسى لذلك المرئى فى أعماق الشاعر ولا انفعاله بالطبيعة من حوله . .

الاتجاه التجديدى فى الشعر السودانى

ونشأ جيل جديد من الرواد ؟تأفف من قيود الماضى المرهقة واوضاعه الجامدة . . فيجيش صدر هذا الجيل الحديث برغبة التحرر والانطلاق وينشد مثلا جديده ولكنه لا يزال مبهما غامضا لا يستطيع استجلاءه يحن الى هذا المثل المبهم ويسعى اليه وينظم أشعاره الحزينة المتلهفة شوقاً إليه(٣٣) تحدثوا فى شعرهم عن الحق والخير والحب والجمال كمثل عليا تقوم عليها الحياة . . والجمال عندهم تحول الى صيغ ومفاهيم جديدة لم تعرف له من قبل بفضل المزج الذى قاموا به بين الدين وفلسفة الجمال . . واصبحنا نسمع من يقول(٣٤) ان (مجال الأدب غير محدود بل له مجال عرضه السموات والارض خليق به الذين يتفكرون فى خلق السماوات والارض) ويذهب الى أن (التفكر

يكشف للمتفكر عن لباب المخلوقات وحقائقها فيدفعه الى الشعور بعظمة صانعها والى اجلاله والتقرب من دائرة معرفته) وبهذه الفكرة يخلص حمزه الملك طمبل الى ان الادب يصح ان يكون (قاعدة يقوم عليها اساس صالح للتدين) ولقد دعتهم تلك الفلسفة الى التهويم فيما وراء الطبيعة . . ونجد لديهم رغبة جامحة الى تجريد الحب ما استطاعوا حتى يصبح غاية فى ذاته . . (فاذا تغزلوا لا يقفون عند الأعضاء بل ينفذون الى دلالالتها وآثارها فى الاغلب فلا تهمهم الصفات الحسية من العيون والثغور والصدور والاجياد بقدر ما يهمهم آثارها فى نفوسهم وما توحيه من معانى القوة والراحة والسمو(٣٥).

●● ولنسمع جزءا من قصيدة (**نعيم الحب**) للشاعر التجانى يوسف بشير: (٣٦)

إن لى من وراء عينيك هاتين مصلى وفيهما لى مخدع
فيهما لوعة القلوب ونعماها . . وكم فيهما حديث موقع
نفس هائم بسعده الحب نديًا كانما هو . . مدمع

● ونأخذ أنموذجا آخر من قصيدة «السر» للشاعر حسن عزت لما فيها من جولة حرة حول جمال الطبيعة وحسنها:

إن رأيت الفجر مأخوذا بألحان المساء
ورايت النور عربيد الخطى عذب الضياء
ورأيت الشمس تخشاها مصابيح السماء
ورأيت الطل رقراقا على الزهر الوضاء
ورأيت الطير سحرى الصدى عذب الغناء
ورأيت الناى لا يشدو بقدسى الرجاء
وإذا بالوتر المحزون مخنوق البكاء
فأعيدى لى أناشيدى وغنينى غنائى
واسكبى فى قلبى الفرحة من بعد الشقاء
وأعيدى أملى الموعود من دنيا الغناء

وتناول شعرهم الطبيعة وما وراء الطبيعة ممتزجة بنظرتهم الفلسفية كما تناول قضايا مجتمعهم ووطنهم وقضايا الامة العربية والاسلامية وشعرهم يلمح فيه لمسة الغموض كما هو واضح فى شعر التجانى يوسف بشير . . الصورة عندهم بدت فى شكل لون من الوان التعبير والامتاع وطوراً متقدماً من اطوار الخيال فقد اهتموا بها حتى أصبحت من مميزات شعرهم . . ابتكروا صوراً جديدة توائم افكارهم ومجالات تعبيرهم التى نحوا فيها منحى جديدا . . وكثرت عندهم تعابير مثل (سكرة الحيرة - الفجر المخمور - الخصب المحموم - عيون النجوم - نيوب الوجوم - كهوف الظلام - ضفاف الخطوب . . الخ).

والالفاظ عندهم تقوم بعملية التداعى حول المضمون وتنجح بفضل ادراك الشاعر لحساسية العلاقات بينها فى خلق جو متناغم يلف القصيدة وفى اعطاء الالفاظ روحاً جديدة تساعدها على التحول الى لون أو حركة او نغمة فى القصيدة . (٣٧).

هذا الاتجاه الشعرى تغلب فيه الاوزان الخفيفة والقصيرة على الاوزان المنبسطة واحيانا لا يتقيد الشاعر بوزن واحد ولا قافية واحدة فى القصيدة واحيانا تأتى القصيدة على مجزوء بعض البحور . . وفى محاولة للخروج عن القافية الموحدة للحد من رتابة الشكل فى القصيدة استخدموا تغيير القافية بعد كل عدد من الأبيات . . ويمكن ان نقرأ فى ذلك للشعراء (**يوسف التنى - د. محى الدين صابر - محى الدين فارس - النجانى يوسف بشير - مرضى محمد خير (ميهان) محمد احمد محجوب وللمحجوب محاولة فى الشعر الحر تعتبر**

جريئـة فى وقتهـا حيث جاءت قصيـدتـه «آدم الصغـير» على هذا النمـط فى عام ١٩٣٦ . . واعقبهـا بمجمـوعـة اخـرى لا تتجـاوز ستـة قصـائد)[٣٨] اما من حيث الوحدة فان القصيدة الجديدة سوية الخلق يكمل بعضها بعضا لانها تصـدر من منبع عميق واحد لا ضحالة فيه ولا سطحية . . فالقصيدة عندهم قطعة من التجربة ملونة بلون معين من الشعور وموسومة بوسم واحد تجد أثره فى كل بيت فيها .

وفى نهايـة الأربعينـات ظهـرت صحـوة شعبية وتكونت الحركة الثقافية وارتفع الصوت الجمعى منـاديا بحقوقه المسلوبة والمغتصبة وظهرت حينها رايـة الجبهـة المعـاديـة للاستعـمار وظهـر الفكـر الاشـتراكى ومـا يحتـويـه من مضـامين ومفاهيم جديدة . . وهذا الاتجاه السياسى الجديد (صحبه استكشـاف المتعلمـين لمدرسـة جديدة فى الفكر والأدب . . تولى عنايتها الكبرى للشعب وطبقاته المحرومة وتهتم بسواد الناس ولا تعد الادب والفن الصحيحـين الا ما تنـاول تجاربهم وعـبّـر عن احساسهم وآمالهم(٣٩).

ولقد أثر ذلك كثيرا فى التخفيف من جموح الأدباء واسرافهم فى المثالية والرومانسية والانطوائية فنادوا بالعودة الى الشعب والاهتمام بانتاج ادب يكون وثيق الصلة بتجاربه وقضاياه وروحه . . ونجد من شعراء تلك المرحلة «صلاح احمد ابراهيم ـ عبد العـزيز صفوت ـ محمد الفيتورى ـ جيلى عبد الرحمن ـ مبـارك حسن خليفـة ـ محمـد المهدى مجذوب . . الخ» .

وتتـداخـل المـذاهب التجـديدية فى الشعر والشعر الحر ويجيد فيه شعراء لا حصر لهم منهم الـدكتـور محمد عبد الحى الذى يمكن أن يعد أنموذجاً فى أدائه الشعرى . .

●● ويمكننا هنا أن نجتزىء من قصيدة للفتيورى :

المـلايـين أفـاقت من كراهـا
ما تراهـا ملأ الأفق ضيـاهـا
خرجـت تبحـث عن تاريخهـا
بعد ان تاهت على الارض وتاها
حملت افؤسـهـا وانحـدرت
فى روابيـهـا وأغـوار قراهـا
فانظـر الاصـرار فى أعينهـا
وصياح البعث يجتاح الجباهـا

الاتجاهات النقدية

بلغ افتتـان الجمهـور بالشعـر التقليـدى فى العشـرينـات من هذا القرن حداً من التقديس جعل مهمة نقده عسيرة ان لم تكن مستحيلة . . فقد ظل صدى الشعر التقليدى قوياً مجلجلا يكاد يطغى على كل صوت عداه . . .

●● مر النقد فى السودان ـ أو المحاولات النقدية ـ توخياً للدقة ـ بمجموعة من الاطوار تدرج فيها من طور النشأة والبـدايـة فى جريـدة حضـارة السودان فى النصف الثانى من العقد الثانى من هذا القرن واعتلى سلم النضوج والوضوح على صفحـات مجلة النهضـة وخطـا عنـدها خطوات موفقة واعتلى سلم النضوج وبلغ مستوى عاليا من النضـج فى مجلة الفجـر التى احتجبت فى ١٩٣٧ . . وبعـدهـا دخـل المجتمـع فى العراك السياسى بشكل مركز ضد الاستعمار حيث بدأت تتبلور الحـركـات السيـاسية . . وبالتالى اصبح

الناس فى شغل عن الأدب وغيره بهمهم الاكبر ويمكن القول بان الحركات النقدية بدأت مزاولة نشاطها بعد فترة الاستقلال فى فترة الستينيات وان كانت هذه ايضا تكسر حدتها وحركتها من حين لآخر ما يطفو على السطح السياسى.. منها الحكم العسكرى الاول بزعامة الفريق ابراهيم عبود ١٩٥٨-١٩٦٤ حيث انتهى بثورة اكتوبر الشعبية ١٩٦٤ - ولم تعمر طويلا إذ قصم ظهرها الانقلاب العسكرى بزعامة جعفر نميرى ١٩٦٩ - حتى الانتفاضة الشعبية فى رجب ١٤٠٥-١٩٨٥.

وإذا ما استعرضنا بعض ملامح المحاولات النقدية فى الفترة الممتدة من العشرينيات وحتى نهاية الثلاثينيات نجد المجالات المطروحة فيه على صفحات الصحف والمجلات تنحصر حول معنى الشعر ومضمونه ونبذ التقليد بكل صوره.. وأن الشعر لا يمثل شعر الشخصية التى ينبغى ان تكون حاضرة فى كل نبضة فى العمل الأدبى والرسالة التى ينبغى ان يقوم بها الشعر وصدق التعبير عن النفس.. كما تناول موضوع وحدة القصيدة من كل جوانبها.. وتلك الآراء فى مجموعها لا تمثل تقنينا لمذهب واضح السمات والمعالم يمكن ان يحدد منهجا بعينه ولكنها مجرد خواطر وآراء واجتهادات متناثرة تفتح منافذ للاصلاح الادبى والتعبير عنه.

تأثر اصحاب تلك المحاولات بالمذاهب النقدية التى ظهرت فى الأدب العربى فى عصرهم وتعمقوا فكرها فمنهم من تأثر بمدرسة التجديد أو جماعة الديوان (**العقاد.. شكرى.. المازنى**) ومنهم من تلا خطو المهجريين مثل: جبران خليل جبران.. ميخائيل نعيمة.

ومن اولئك الرواد الذين طرقوا باب النقد: «**الامين على مدنى - حمزة الملك طمبل - محمد عشرى الصديق - عبد الله عشرى الصديق - محمد احمد محجوب - معاوية نور - التجانى يوسف بشير** الى حد ما فى بعض آرائه.. ولم تقتصر محاولاتهم النقدية عند الادب السودانى بل تعدوه الى نقد بعض الادباء العرب فى بعض اعمالهم.. وبعض الاعمال الادبية لدى الغربيين.

الامين على مدنى (١٩٠٠-١٩٢٦).. ترجع اهميته النقدية الى ريادته لدعوة التجديد فى الادب السودانى الحديث بغض النظر عن نواحى الضعف والقصور والثورة الجامحة التى شابت مفاهيمه واسلوبه ومن اقواله: (ان النهضة الادبية فى بلادنا كلها اطلال دارسة ودمى لعبت بها ايدى البلى واقفة موقف الهدوء والجمود لا ترى فيها حراكا فان رأيتها تخطو فخطواتها للوراء راجعة القهقرى.. ويقول: هى الآن فى حاجة الى يد تجيد الهدم وتحسن البناء.. الى يد تحطم الاطلال وتدك الدمن البالية دكا(٤٠) واحسبه فى هذا القول تأثر بالاستاذ العقاد فى مثل قوله (وربما كان نقد ما ليس صحيحا اوجب وأيسر من وضع قسطاس الصحيح) (فلهذا اخترنا ان نقدم تحطيم الاصنام الباقية على تفصيل المبادىء الحديثة)(٤١) والامين لم يضع منهجاً ولم يفصل مبادىء وانما هى مجرد خواطر مرسلة.

وعند حمزة الملك طمبل (١٨٩٩-١٩٦٢) نجد المجال يتسع اكثر للموضوعية وان لم يفلت من حيز التعميم من حين لآخر. ونلمس فى نقده الكثير من الخشونة والهجوم الساخر ويتبع فى نقده اسلوب الهدم اولا كما هو عند الأمين على

مدنى.. التزم فى نقده الجانب الفنى من حيث البناء الفنى والموضوعى للقصيدة واهتم بمفهوم الشعر وغايته.. واعتمد فى نقده على الجانب التطبيقى كما نرى ذلك فى نقده لشعر الشيخ احمد المرضى - احمد محمد صالح - على ارباب وغيرهم.. وعنده روح الاستقصاء الدقيق لجزئيات دقيقة فى القصيدة.

محمد عشرى الصديق تغلب عليه روح الفلسفة والعمق الفكرى.. تناول فى نقده الكثير من جوانب الشعر وهو اكثر دقة فى استخدام مدلولاته وطويل النفس من غيره اثارة او سخرية.. تناول فى نقده شعر الرثاء بعامة فى الشعر العربى مقارنا بمثيله فى الآداب الغربية.. (ان ما يطالعه القارىء فى مراثى شعرائنا أن الواحد منهم كانما قد عاهد ضميره ان ينأى عن الحقيقة والبساطة ما استطاع الى ذلك سبيلا وكانه لا يجيد فى هذا الباب الا اذا اغلق فؤاده وختم على وجدانه وبصيرته وجعل يقول مالا يعتقد ومالا يحس وما ليس له ادنى صلة به)(٤٢) وله عديد من الآراء النقدية لا أود الوقوف عندها خوف الاطالة.

محمد احمد محجوب (١٩٠٨-١٩٧٦) فقد مر بمرحلتين فى حياته الادبية ومحاولاته النقدية بخاصة.. الاولى محاولاته التى نشرها فى (حضارة السودان) وشن فيها هجوماً ساخناً وعنيفاً على شعر المحافظين واتبع حملته تلك بحملة على بحور الخليل ودعا عليها بالطمس والزوال.. ولقى ردوداً حادة من بعض الكتاب منهم: ابراهيم عبد الرازق فى مقال بعنوان «**لا كاتب ولا شاعر بالسودان سوى..**»(٤٣) ومحمد كامل هدايت فى مقال بعنوان

● وجوه ثقافية ●

سليم تقلا

(١٨٤٩-١٨٩٢) الذى انشأ مع شقيقه بشارة تقلا (١٨٥٢-١٩٠١) جريدة الاهرام بالاسكندرية (١٨٧٥) كما انشأ «صدى الاهرام» (١٨٧٦) و«الوقت» (١٨٧٨) و«الاحوال» (١٨٨٢). انفرد بشارة بالاهرام بعد وفاة سليم، وأصدر بالفرنسية جريدة يومية عنوانها «البيراميد» (١٩٠٠) واحتجبت (١٩١٤) تولت ادارة الاهرام بعد وفاة سليم السيدة زوجته الى وفاتها (١٩٢٤) آل امر الاهرام الى جبرائيل تقلا (ت١٩٤٣) الذى اقترن اسمه بادارة الاهرام منذ (١٩١٢) وبوفاة جبرائيل آلت ملكية الاهرام الى ورثته ثم الى الاتحاد القومى (١٩٦٠).

(حول الادب السودانى)(٤٤) ولعل حداثة التجربة الادبية وثورة الشباب هما اللتان اوقعتا المحجوب فى مثل ذلك.. وقد تنازل عن آرائه فى بحور الخليل وبعض الاراء النقدية الاخرى فى مرحلته الثانية عندما كتب مقالا بعنوان (**الشعر إلهام وصناعة**) اما مرحلته الثانية فقد كانت مرحلة النضوج الفكرى والثقافى فجاءت آراؤه ونقداته متزنة هادئة رزينة يسجل رأيه فيها من غير ضجيج او انفعال او سخرية.. وتلك هى سمته المميزة له فى كل ما كتب.. وحرص المحجوب على ان يقول الأدب شيئاً بل اشياء وحرصه على ريادة الادب فى التوجيه واصلاح المسار لا يقف دون حرصه على ان يحتفظ الادب والفن بالجانب الجمالى والفنى لان الادب يفقد كيانه ووقعه وتأثيره اذا فقد الجانب الجمالى فيه.

● ويتسع مجال النقد ومداه فى الصحف والمجلات المتعددة وصعد قمته فى العقدين الخامس والسادس وظهرت فيه العديد من الكتب بعضها نشر على صفحات الصحف والمجلات مثل كتاب «محاولات فى النقد» للاستاذ محمد محمد على وغيره ممن نضجت فيهم الملكة النقدية وهم كثير لا مجال لذكرهم فى هذه العجالة.

النثر

بعد الثورة المهدية انتقل النثر فى السودان الى مرحلة متقدمة أبعدته من سمات النثر الصوفى القائم فى أغلبه على ألوان البديع المختلفة والمحسنات البلاغية المعقدة.. مرحلة المهدية عرفت بمرحلة (الرسائل والمنشورات) التى كان يبعث بها المهدى الى القادة ورؤساء الدول مبيناً فيها طبيعة الحركة واهدافها وما ترنو اليه من غايات اصلاحية ومجموعة الرسائل التى كان يرسلها ايضا لقواد الجيش.. وفيها رسائل وعظية بغرض العظة والتربية الدينية.. وهذه المرحلة وان لم تكن قد تخلصت من السجع والجناس والاقتباس لكنها خطت خطوة نحو الفصحى والتعبير السليم.

الجيل الذى نشأ بعد الحرب العالمية الاولى ووقف على التيارات الادبية الوافدة من مصر ولبنان وسوريا وتأثر بالادب الغربى وغيره ممثلاً فى الصحف والمجلات والكتب ـ وان كان تداولها آنذاك قليلاً نادراً هذا الجيل كان نقطة البداية لمن تلاه.. كل تلك المؤثرات الثقافية اكسبته قوة التعبير وعمق النظرة مما ساعد على ايجاد اسلوب عربى جديد فى كتاباتهم يقوم على (الترسل والوضوح والتركيز) فيما كتبوا من مقالات وقصص وغيرها.. اكثر جيل الرواد فى مجلتى (النهضة والفجر) من الأقاصيص الموجهة التى تعالج المشاكل الاجتماعية السودانية وابتعدوا عن تلك الصور الفنية التى تقصد لذاتها ولعل احدهم واظنه محمد احمد محجوب يعلل ذلك بقوله «ان الفن الخالص الذى يقصد لذاته لا مكان له فى بلد هى فى حاجة اليوم قبل الغد للاصلاح والأخذ بيده نحو التقدم والتطور.. وانه لمن الأجدى والأفيد للفنانين والأدباء ان يتجهوا للغاية التى يرجوها البلد منهم».. وبصفة عامة نلحظ الاقصوصة النفسية والتاريخية عندهم.. ولعل فى تلك الفترة يستوقفنا كِتاب «موت دنيا» تأليف محمد احمد محجوب والدكتور محمد عبد الحليم وطبع الكتاب فى القاهرة ١٩٤٦.. وهو يُعَدّ أول كتاب فى السيرة الذاتية يغطى الفترة الممتدة من اوائل العشرينيات من هذا القرن وحتى العقد الرابع منه.. والكتاب سجل حافل ـ مجمل ومفصل ـ لحياة الكاتبين وواقع جيلهم فى تلك الفترة.

واذا ما تناولنا مجال القصة نجدها(٤٥)فى العقد الخامس والسادس قد ابتعدت من رومانسيتها ودخلت مرحلة الواقعية ونجد من كتابها: «**صلاح احمد ابراهيم ـ محمد سعيد معروف ـ على الملك ـ عبد الله رجب ـ عثمان على نور.. ومنهم ابو بكر خالد ـ الطيب زروق ـ جمال عبد الملك (ابن خلدون) مختار عجوبه ـ عيسى الحلو.. الخ.**

وعلى الساحة الادبية تظهر مجموعة من مدارس ومظاهر القصص فنجد مدرسة (اللاروائية) و(اللاقصة) تستغرق فى وصف لحظة اولحظات معينة فى وعى الشخصية وعرضها كمشكلة أساسية او

كمنظور اساسى للانسان من ناحيتيه الاجتماعية والانسانية ومن الذين تناولوا هذا الفن محمود محمد مدنى ومحجوب الشعرانى ولحد ماعيسى الحلو. . والقصة هنا ترتكز على التبحر فى اللحظة ومحاولة استقصاء كل المحاولات التى يمكن ان تظهر فى هذا الوقت والمكان المحدودين وذلك من خلال الغوص فى الواجهة البشرية المقدمة. . وظهر فيها ايضا: «**احمد المصطفى ـ سامى سالم ـ سامى يوسف ـ يوسف آدم ابكر**». . وهى ترتكز ايضا على اللغة المكثفة والجمل القصيرة المشحونة بالعاطفة والمقصود منها ان تحدث نفس الشحنه العاطفية. . ولا شك ان قصص وروايات الطيب الصالح تقف فى قمة الاداء. . ونجد فى هذا المجال ايضا مختار عجوبة وعيسى الحلو ممن تناولوا عرض المشكلة الاجتماعية التى تقودنا للمشكلة الانسانية.

ومن ظهر من الشباب فى السبعينيات: «حسن ابوكدوك ـ يوسف خليل ـ عثمان على الفكى ـ يوسف العطار ـ سعد الدين ابراهيم» ومعظم اعمالهم تبحث فى مشكلة التأزم الاجتماعى.

(٢،١) مجلة الثقافة السودانية مايو ١٩٧٩. مقال بعنوان (الانسان والثقافة واللغة فى أفريقيا جنوب الصحراء) د. عبد الحق عبد الحى.
(٣) قاموس اللهجة العامية فى السودان ـ د. عون الشريف قاسم.
(٤) أصول الشعر السودانى ـ عبد الهادى الصديق.
(٥) تاريخ الثقافة العربية فى السودان ـ د. عبد المجيد عابدين.
(٦) مجلة الثقافة السودانية العدد الخامس عشر/ أغسطس ١٩٨٠ (الحوار بين المكونات الثقافية).
(٧) البعث الوطنى وروافد الزحف ـ الشيخ مدثر على البوشى ص ٢٤-٢٥.
(٨) رسائل عن السودان ـ البكباشى محمد نجيب ص ١١-١٢.
(٩) ملامح من المجتمع السودانى ج٢ ص ٧٧ ـ حسن نجيلة.
(١٠) الحكومة المحلية فى السودان ص ٤١ محمد احمد محجوب.
(١١) ملامح من المجتمع السودانى ج١ ص ١٢٩.
(١٢) محاضرات فى الاتجاهات الحديثة فى النثر العربى فى السودان ـ د. عبد الله الطيب ص٨.
(١٣) كفاح جيل ـ احمد محمد خير المحامى ص ٩٤.
(١٤) رسائل عن السودان ـ محمد نجيب ص ١٤.
(١٥) تاريخ الثقافة العربية فى السودان. . د. عبد المجيد عابدين ص ١٥٥.
(١٦) ملامح من المجتمع السودانى الصفحات من (٨-١٦) يراجع تاريخ الثقافة العربية فى السودان ص١٥٥.
(١٧) مجلة النهضة السودانية العدد الاول اكتوبر ١٩٣١ ص٣ كلمة المحرر.
(١٨) مجلة الفجر العدد الأول ٢ يونيو ١٩٣٤ كلمة المحرر.
(١٩، ٢٠) نحو الغد ـ محمد احمد محجوب ـ راجع الصفحات (٢١٦-٢١٨-٢١٩).
(٢١، ٢٢) الدكتور عبد الله الطيب ـ محاضرات فى الاتجاهات النثرية ـ ٢٤-٢٥ وما بعدها.
(٢٣) آراء وخواطر ـ محمد عشرى الصديق ص١٩٢.
(٢٤، ٢٥) مجلة النهضة العدد الثالث اكتوبر ١٩٣١ ص١٦ ـ مقال بعنوان (تثقيف المرأة).
(٢٦) مجلة الفجر عدد ١٢ نوفمبر ١٩٣٤ ص٥٢٠.
(٢٧) تاريخ الثقافة العربية فى السودان ص ١٧١-١٧٥.
(٢٨) الدكتور ابراهيم الشوش/ الشعر الحديث فى السودان ص ٢٥-٢٦.
(٢٩) الاتجاهات الشعرية فى السودان ص٤.
(٣٠) راجع (الأدب السودانى وما يجب ان يكون عليه) ص٥٦.
(٣١) ديوان البنا.
(٣٢) ديوان العباسى (٣٣-٤٠).
(٣٣) الاتجاهات الشعرية فى السودان ـ د. محمد النويهى ص٨٧.
(٣٤) الادب السودانى وما ينبغى ان يكون عليه ص٣٧.
(٣٥) مقدمة ديوان (الصدى الاول) كتبها محمد احمد محجوب.
(٣٦) ديوان اشراقه للتجانى يوسف بشير ص١٢٢.
(٣٧) الشعر الحديث فى السودان ص٦٥١.
(٣٨) راجع ديوان محمد احمد محجوب قلب وتجارب.
(٣٩) الاتجاهات الشعرية فى السودان ص ١٠٧.
(٤٠) كتاب (أعراس ومآتم) الامين على مدنى ص٦١.
(٤١) كتاب (الديوان) العقاد/ المازنى/ المقدمة ص٤.
(٤٢) آراء وخواطر ١٧٠-١٧٢.
(٤٣، ٤٤) حضارة السودان ١٩٢٩ ـ ٥ مايو و٨ مايو).
(٤٥) راجع مقالاً بعنوان (حول القصة القصيرة فى السودان للاستاذ ابراهيم اسحق ابراهيم (مجلة الثقافة السودانية) العدد العاشر مايو ١٩٧٩).



الثقافة العربية في تونس

اظن انه يخفى على احد ان الخوض فى شؤون الثقافة ومحاولة التعمق فى البحث عن اسرارها وملابساتها ـ سواء من حيث جوهرها او فيما يتعلق بمختلف صور تطبيقها ـ عسير وشاق. ذلك ان مفهوم الثقافة قد كان ولا يزال مفهوما صعب الحصر والتحديد وثيق الصلة بالتيارات الفكرية المختلفة متطورا بتطوراتها فى الزمان والمكان. على اننا وان صعب علينا بعض الشىء ان نجد تحديدا مضبوطا للثقافة بوجه عام ـ وذلك لان الثقافة فى جوهرها ظاهرة حية متطورة تأبى الحصر والتقييد ـ فانه بامكاننا من خلال التعرض الى خصائص الثقافة فى مظاهرها الاجتماعية والانسانية ومحاولة معرفة الاهداف والمرامى التى تسعى الى تحقيقها والوظيفة التى يمكن ان تقوم بها بامكاننا إن نحيط شيئا فشيئا بهذا المفهوم وان نخرج فى شأنه بفكرة على جانب من الوضوح.

ماهى الثقافة؟

اذا ما رجعنا الى النظرة التقليدية لمفهوم

عن مجلة الفكر التونسية

الثقافة فى تونس

الثقافة وجدناها تتميز عند القدماء بميزتين هما الاستقرار والحصر. فالثقافة عندهم هى مجموع ما يتحصل لدى الانسان المتعلم من مختلف المعارف والعلوم فيما يتعلق بالانسان والطبيعة والغيبيات. يضاف الى ذلك شىء من الإطلاع على ميادين الفنون من حيث تطورها التاريخى بالخصوص.

وهذه الثقافة الحاصلة عندهم على طريق التعلم المدرسى فى غالب الاحيان والمرتبطة ارتباطا متينا بمفهوم الاثر المكتوب او المحفوظ تكون طبعا من خصائص النخبة القليلة المتعلمة مقصورة عليها دون سائر الشعب. اما صور الثقافة الشعبية فلم يكن لها كبير اعتبار.

ثم تحولت الامور شيئا فشيئا مع تقدم الزمن واضطرت التيارات الفكرية الى مسايرة التغييرات الجذرية التى طرأت على الشعوب فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية والتى بدلت وجه الانسانية واقرت مصير الانسان الجديد وازالت كثيرا من المسافات والفروق داخل المجتمعات وخارجها.

فالحديث عن الثقافة اليوم هو الحديث عن قضية الانسان فى مظاهره المتعددة المتداخلة باعتباره فردا يعيش داخل مجموعة وطنية معينة وباعتباره ايضا وفى نفس الوقت فردا ينتسب الى المجموعة البشرية الكبرى.

والثقافة اليوم قبل كل شىء وعى وتوعية.

١ - هى اولا **وعى** يتطلب من ذوى الكفاءات فى ميدان الانتاج والخلق ان يعودوا بالنظر وبالتحسس والممارسة الى تراث مجتمعاتهم وكنوز حضاراتهم الحية يملأون منها صدورهم ونفوسهم ويتفاعلون بعناصرها الخالدة فيهم ثم يستمدون منها قوة على الخلق وعلى الزيادة فى اثراء التراث الذى وصلهم.

٢ - والثقافة ايضا وبالخصوص **توعية** اذ ان اساس الثقافة اليوم هو ذلك الانتشار والتغلغل فى الناس اللذين لا معنى للثقافة بدونهما والعمل الثقافى هو ربط بين حاضر الامة وماضيها. وهو نفاذ الى قيمها الحضارية الدائمة وهو تهذيب وتثقيف للكائن الاجتماعى حتى يتمكن من ادراك مواطن الجمال فى تراثه القومى وفى تراث البشرية وحتى يبلغ من دقة الاحساس وصفاء العواطف ما يسمح له بالتأثر بالجمال وبالخير وما يعينه على تنمية مواهب الخلق والابداع فى

نفسه وما يجعله كفيلا بالانطلاق الى اسمى مراتب النبل البشرى.

وفى هنا تتضح لنا اهمية الثقافة بالنسبة لحياة المجتمعات فهى ليست مطلقا مجرد مجموعة من الاثار الفكرية والفنية انتجتها بيئة أو بيئات معينة بل الثقافة جو حي يسود المجتمع ومحيط مكهرب يعيش فيه افراد هذا المجتمع فيبعث فيهم باستمرار شرارة الحياة المتجددة ويصل فى كل لحظة بين ماضى الامة وحاضرها ومستقبلها، كما يصل فى كل لحظة ايضا مصير هذه الامة بمصير ابناء البشر فى كل مكان.

الثقافة فى تونس

تتميز الثقافة فى تونس بانها ظاهرة عريقة اذ ان هذه البلاد انتجت منذ اقدم العصور من الادباء والمفكرين ومن الفنانين ما جعل الشخصية الثقافية التونسية موجودة فى كل العصور رغم انها كانت تندرج احيانا ضمن ثقافات الامم الفاتحة والغازية التى تعاقبت على هذه البلاد فى مختلف عهود التاريخ.

وقد كان موقع بلادنا الجغرافى فى مفترق طرق العالم القديم.. مفيدا من جهة لانه يمكن من التفتح ومن الاتصال بمختلف الحضارات.. وخطيرا من جهة اخرى لانه يهدد بتلاشى الشخصية التونسية وذوبانها.

لكن الشخصية الثقافية التونسية استطاعت ان تثبت فى وجه الاعاصير بل واصبحت الثقافة التونسية فى وقت من الاوقات عاملا من اهم عوامل المقاومة والصمود فى وجه الاجنبى الدخيل.

ويمكن ان نقول ان الثقافة التونسية اخذت تظهر منذ الاستقلال فى صورة ثلاثة مظاهر كبيرة ومتداخلة.

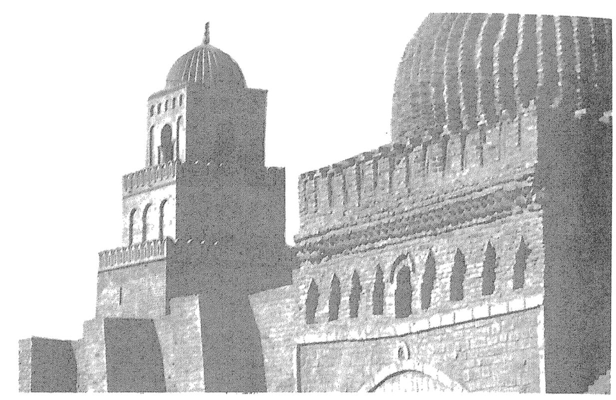
١) ـ الثقافة المتأثرة بوجه خاص بقدماء الكتاب العرب وبالكتاب الشرقيين المعاصرين وهى النزعة التى سميت احيانا بنزعة «التمشرق».

٢) ـ الثقافة المتأثرة بوجه خاص بكتاب الغرب ومفكريه وفنانيه وهى النزعة التى عرفت بـ«التمغرب» على ان كلا من هاتين النزعتين الثقافيتين هى لا محالة الى زوال الا فى العناصر الخالدة التى يمكن ان تهضمها الشخصية الثقافية التونسية.

وهما زائلتان لانهما بنيتا فى الاصل على فراغ كان موجودا فى ميدان الثقافة التونسية هو الآن بصدد الزوال. كما بنيتا على شعور بالنقص فى مستوى الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالنسبة الى البلاد الاجنبية وخاصة البلاد الاوروبية التى كان يحد من مفعول اشعاعها الثقافى انها كانت مصدر هيمنة سياسية واقتصادية بالنسبة الينا.

ويمكن ان نشير هنا الى مسألة الاتصال بين مختلف الثقافات الانسانية وامكانية تفاعلها وتلاقحها على انى اكتفى بان اقول ان هذا الاتصال والتلاقح يثير مشاكل عديدة اهمها علاقات القوة المادية بين المجتمعات المتصلة ببعضها بعض ونسبة المحافظة على ان يكون التلاقح والاخذ بين الثقافتين متبادلا فى نطاق التقدير المتبادل حتى تحافظ كل ثقافة على جوهرها واصالتها.

٣) اما المظهر الثالث من مظاهر الثقافة التونسية الحاضرة فهو مظهر الثقافة التونسية الاصيلة المتفجرة



من اعماق الانسان التونسى والتى تتجه اولا وبالذات الى مجموعة الامة التونسية ، وهذا لا يعنى طبعا انه يجب ان تبقى فى حدود القومية الضيقة .

الاختيارات الثقافية الكبرى فى تونس

العناية بالثقافة :

لا يمكننا ان نفهم المجهود الكبير الذى يبذله المسؤولون عن مصير الامة اليوم فى ميدان الثقافة الا اذا عدنا فأدرجناه فى السعى الحثيث والمجهود العام الذى يبذل من اجل رفع مستوى الانسان فى هذه البلاد والعمل على التقدم فى جميع الميادين وعلى ضمان المناعة والازدهار لهذا الوطن .

فهذا المجاهد الاكبر الرئيس الحبيب بورقيبة يقول فى خطابه بتاريخ ٧ نوفمبر ١٩٦٢ .

«لئن كان للانسان جهاز هضمى يتطلب الغذاء فان له ايضا فكرا وروحا يتطلبان الثقافة» .

وفى هذه الكلمة الموجزة دلالة كافية على منزلة الثقافة عندنا وشعور المسؤولين بتونس باهميتها .

ضمان التثقيف لجميع أبناء الشعب

لقد كانت الدولة العصرية منذ مدة غير بعيدة تعتبر نفسها مسؤولة عن تمكين افراد الامة من الحصول على المعرفة بطريقة عقلية جدلية داخل المدارس والمعاهد المعدة لهذا الغرض . اما تحصيل الثقافة فقد كان من خصائص الافراد . اما اليوم فقد اصبح من واجب الدول المتحضرة ـ ومنها الدولة التونسية ـ ان تلتزم بان تضمن لجميع مواطنيها امكانية «ممارسة العالم الحى الذى يعيشون فيه ، عالم الثقافة التى يحياها الانسان فى كل يوم» وهذه سبيل جديدة «تمكن المواطنين من الاتصال بكنوز ثقافتهم بطرق ليست فى غالب الاحيان طرق المعرفة التقليدية» .

ولكي تتمكن الدولة من ضمان التثقيف لجميع افراد الامة فانه يجب تركيز العمل على نقطتين اساسيتين : هما اعداد المواطن لتقبل الثقافة من ناحية وجعل الثقافة فى متناول الجمهور من ناحية اخرى.

اعداد المواطن لتقبل الثقافة

محو الامية : رهان يشرف هذه الامة :

ان عجز قسم من الامة عن القراءة والكتابة هو من اكبر عوائق النهضة والتقدم سواء فى ميدان الثقافة أو فى سائر الميادين.

ولذلك فإننا نرى ان كل المجتمعات التى عزمت على تلافى تاخرها والانطلاق فى سبيل الحياة الكريمة قد اولت مشكلة محو الامية قدرا كبيرا من اهتمامها ووجودها.

وفى تونس تصدت الحكومة منذ سنوات لبحث هذا المشكل وتوفير الحلول الكفيلة بمحو الامية تدريجيا حتى زوالها التام.

وقد اصبح مجهود مقاومة الامية يكتسى صبغة حملة قومية يشرف عليها رئيس الدولة بنفسه منذ اكتوبر ١٩٦٦م.

ويعتمد هذا المجهود على مراكز الدراسة الموزعة فى انحاء الجمهورية.

وهذا العمل لا يقتصر على تعليم القراءة والكتابة والحساب فقط وانما يسعى ايضا باستعمال عدد من الوسائل الثقافية السمعية والبصرية او غيرها الى تلافى التخلف الثقافى الموجود عند الدارسين او حتى عند غيرهم من سكان الارياف بالخصوص وان كان بعضهم يعرف القراءة والكتابة.

والملاحظ ان ارادة الدولة فى تعميم الانتفاع بهذا العمل الهام قد جعلها تبحث عن انجع الطرق فى تطبيقه وذلك باجراء تجربة انموذجية بقرية تازركة وبالعناية فى نفس الوقت بعملة المعامل ووحدات الانتاج فى القطاع المنظم من ناحية وبسكان الارياف والقرى من ناحية اخرى.

وهذا المجهود يرمى فى حقيقة الامر الى هدف يجمع بين التعليم والثقافة والتكوين الاخلاقى ويلتقى فى هذه الغاية مع كل الجهود المبذولة فى ميدان التربية والتكوين العقلى والفكرى للانسان التونسى حيثما كان.

العناية بوسائل نشر الثقافة فى الجماهير

(أ) فنون المشاهدة العمومية.

١ ـ المسرح

يعد المسرح من اهم وسائل تثقيف الجماهير وقد كان دائما محل عناية المسؤولين التونسيين بوجه عام ورئيس الدولة على وجه الخصوص.

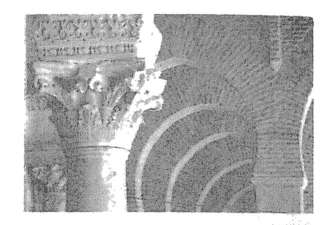
ومن جهة اخرى فان المواطن التونسى لم يكن فى اى وقت من الاوقات معرضا تماما عن المسرح حتى فى عهد الاستعمار والتخلف.

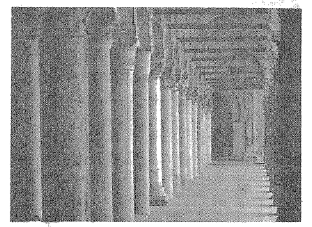
ويمكن ان نقول ان الهياكل المسرحية متوفرة نسبيا ببلادنا فهناك مسارح محترمة فى المدن الكبرى على الاقل وهناك عدد من الفرق المسرحية المحترفة والهاوية وتبذل كتابة الدولة للشؤون الثقافية والاخبار مجهودا كبيرا فى اعانة هذه الفرق وفى تركيز الفرق المدرسية بالخصوص والاخذ بيدها. كما تبذل مجهودا فى تكوين الممثلين

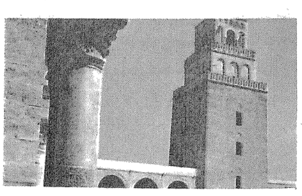
الناشئين سواء بمركز التكوين المسرحى او بالخارج احيانا.

لكن مشكلة المسرح بتونس هى فى الحقيقة مشكلة المسرحية التونسية.

فلقد كان المسرح منذ ظهوره حوارا وجدلا فى شؤون الجماعة التى يبرز فيها ولها. ولذا كان متين الصلة بحياة الامة يواكبها فى تطوراتها ويكون شاهدا على ازماتها ومعبرا عن آلامها وآمالها.







ان المسرح هو الحياة. والحياة جد وجهد مستمر ومعاناة من الامم والافراد لمنزلتها فى هذا الكون وابراز للفترات والحالات الثرية الزاخرة بمعانى الانسانية من تاريخ الاجيال المتعاقبة.

فهل يوجد اليوم فيما يعرض عندنا من الانتاج المسرحى ما هو كفيل بمثل هذا التقدير والاجلال من طرف الجماهير الشعبية والمثقفين؟ وهل يجد المتفرج التونسى اليوم فى معظم ما يقدم اليه من المسرحيات معالجة للمشاكل الجوهرية التى تعترض امته؟ وهل يلاقى صدى لجهاد شعبه المرير من اجل الحياة الكريمة سواء فى حاضره او فى ماضيه القريب؟ كل هذه اسئلة بالنسبة للمسرح التونسى تمثل مشاكل لم يقع بعد التوصل الى فضها رغم انها تخامر - فى اعتقادى - كل مسؤول وكل مثقف بهذه البلاد.

على ان حل هذه المسائل يكتسى صبغة اكيدة لان الاسراع بايجاد الحلول فى هذا الميدان هو شرط اساسى لبعث السنن والتقاليد المسرحية بين الجماهير ولضمان تطور المسرح التونسى نحو مستقبل زاهر.

ومن جهة اخرى فان المسرح بتونس - بالاضافة الى ضعف مضمونه وموضوعاته فى غالب الاحيان - يشكو ايضا قدرا لا بأس به من ضعف الاساليب وجمود الشكل. فبلادنا اليوم تعيش - كما يعيش العالم كله - فترة انسانية ثورية تغيرت فيها الحياة المادية والفكرية تغيرا جذريا وتبدلت مراتب القيم ومقاييس الفن والجمال. ولابد للمسرح اذا هو اراد ان يواكب الحياة ان يتطور فى مضامينه وفى اساليبه ايضا. ولذلك وجب تشجيع الباحثين عن الاساليب الفنية الجديدة وعن الطرق التعبيرية الطلائعية سواء فى ميدان المسرح او غيره من ميادين الفن.

وهنا ناحيــة اخيرة تتمثـل فى ان النشـاط المسرحى بتـونس يتميـز بانه يصطبغ احيـانـا بشـىء من الازدواج - فى العاصمة على الاقل - ذلك اننا نعرض فى كل سنة عددا من المسـرحيات الاجنبية تقدم باللغة الفرنسية بالمسرح البلدى. وهذه طبعا ظاهرة طيبة مبدئيا لكنه يجب ان نحتاط لها حتى لا تؤدى احيانا الى شىء من الاخلال بمجهودنا الثقافى.

١) يجب ان تكون هذه العروض المسرحية الاجنبية اللغـة ذات صبغة تكميلية بالنسبة للحركة المسرحية التونسية التى يجب ان تبقى موضع الجهود الاساسية.

٢) يجب ان يحتـاط من مزاحمة هذا المسرح الاجنبى لحركة المسرح التونسى سواء من حيث استعمال اجهزة المسارح او من حيث اقبال الجمهور.

٣) يجب كذلـك وبالخصوص السهر على ألا تكون هذه العــروض الاجنبيـة (الممتـازة بحكم تقـدم المجتمعـات التى انتجتهـا) شعـورا عنـد قسم من الشعب بانهم يكونون نخبة ممتازة ولو ثقافيا.

٤) هذه المسـرحيات الاجنبية اللغة لا تثير فى غالب الاحيان قضايا اجتماعية او حضارية قريبة من القضايا التى نلاقيهـا فى بلادنا او فى غيرها من البلاد النامية وذلك لانها تعبر عن ظروف وملابسات خاصة ببلدان غربية متقدمة ومصنعة منذ زمن طويل فهى من هذا الباب محدودة الفائدة الا اذا كانت تصور نماذج بشرية خالدة صالحة لكل زمان ومكان. اما المتعة الفنية التى تحصـل منهـا للمثقف التونسى الذى حذق الفرنسية فهى ناشئة بدون شك عن عملية تحول مؤقت او دائم الى جو من الحساسية المكيفة والتقاليد الفكرية المركبة بمـوجب طول ممارستـه للغـة هذه البـلاد الاجنبيـة وتاريخها واعلام حضارتها.

وهذا ليس معنـاه اننا ندعو الى قطع الصلة بتراث الامم الاخرى وانما هى دعوة الى زيادة فى الضبط عند الاختيار ثم هى بالخصوص دعوة الى نقل هذه الاثار الاجنبية الى لغة البلاد حتى تكون حقا موضع انتفاع بالنسبة للجماهير.

وهكذا يتضح لنا بوجه عام ان المسرح يمكن ان يكون من اهم مؤسسات اعداد افراد المجموعة لتقبل الثقافة والتفتح لها فى البلاد النامية اذ روعيت فيه بعض الشروط التى تضمن استمرار صلة الجماهير به واقبالها عليه..



● وجــوه ثقافيـة ●

يوسف توما البستانى:

(١٨٩٢-١٩٥٢) لبنـانى بدأ حيـاته بائع كتب متجولا فى القاهرة واستقر (١٩٢٠) فى مكتبته المعروفة بمكتبة العرب بشارع الفجالة. اهتم بنشر مؤلفات جبران خليل جبران وله معه رسائل طويلة اشترتها منه مكتبـة الكـونجرس كما نشر مؤلفات امين الريحانى واليازجى والشدياق اشتغل بتجارة المخطوطات واقام عن طريقها علاقات طيبة مع مكتبات اوروبا وامريكا وكان من العاملين على تكوين النقابة التى ضمت المشتغلين بتجارة الكتب.

(٢) السينما

هذا هو الفن الثانى من فنون المشاهدة العمومية . . وهو فن حديث لكنه من اشد الفنون اثرا فى الجماهير ومن اجداها فى نشر الثقافة بين افراد المجتمعات وقد عرف الجمهور التونسى الظاهرة السينمائية منذ زمن طويل ويمكن ان نقول ان السينما هى من الوسائل التثقيفية التى تلاقى اقبالا كبيرا من طرف التونسيين عليها على اختلاف درجاتهم الثقافية ومستويات عيشهم.

الا انه يجب ان نشير الى بعض الميزات نجدها فى صلة الجمهور بالانتاج السينمائى المعروض بالقاعات التونسية.

أ) الجمهور التونسى يستهلك باستمرار انتاجا سينمائيا غير تونسى.
ب) اغلبية الجمهور التونسى تميل الى الافلام ذات الصبغة التجارية.

وبهذه الصورة فان اقبال عدد كبير من المواطنين على قاعات السينما وكثرة ممارستهم للافلام لا تؤدى الى جميع ما يمكن ان يؤمل من نتائج فى ميدان التثقيف ورفع مستوى المواطن وتربية حاسة الجمال فيه.

ويمكن ان نلمس بوضوح فى هذا المثال العلاقة المتينة التى تربط بين ميدان الفن والثقافة وبين الملابسات الاقتصادية اذ ان الاقتصار على عرض افلام تثقيفية ذات مستوى جيد لا يمكن اصحاب القاعات من تسديد نفقاتهم فضلا عن الارباح الضرورية لضمان بقاء مشاريعهم وعملها.

ثم ان تربية ذوق الجمهور وحمله على الاقبال على الافلام الجيدة العميقة لا يمكن ان يتوفر الا بعرض عدد كبير من هذه الافلام التثقيفية التى ليس من شأنها فى هذه الفترة على الاقل ان تضمن الارباح الكافية حتى ان الامر يكاد يفضى بنا الى نوع من الدور والتسلسل لا مخرج لنا منه الا بالالتجاء الى توجيه سينمائى مضبوط مدقق.

(٣) حفلات الموسيقى وعروض الفنون الشعبية

هذا النوع من اهم فنون المشاهدة العمومية او هو فن يجد ببلادنا تجاوبا عميقا فى نفوس الجماهير بمعناها الواسع ويعتمد هذا الفن على الموسيقى والانشاد فى الغالب وقد يتخلل ذلك رقص فردى او جماعى موقع لا يشارك فيه الجمهور.

وهذه الحفلات موجودة بتونس منذ زمن طويل وهى داخلة فى تقاليد التونسيين على اختلاف اصنافهم. ولكنها كانت عندنا فى القديم حفلات خاصة فى غالب الاحيان تقام فى المناسبات السعيدة داخل المنازل ولكنها لم تكن مجرد حفلات عائلية.

وكانت هذه الحفلات تختص احيانا بصبغة كلاسيكية اندلسية تونسية كما كان يقع بالرشيدية وقد تختص بصبغة شعبية فولكلورية فتعتمد عندها على الايقاع وبعض آلات النفخ القديمة ويكثر فيها الرقص ـ وقد نجدها تكتسى احيانا سواء فى المنازل او فى بعض الزوايا صبغة دينية واضحة تعتمد على الانشاد والتوقيع على الدف.

اما اليوم فالحفلات الموسيقية تعتمد على فرق عديدة الافراد والآلات يقل فيها التخصص فيما عدا بعض

القطع الفولكلورية التي يستعمل لها المزمار او المزود بصورة خاصة.

ويمكننا هنا ان نتساءل عن حظ هذه الحفلات والعروض من رسالة التثقيف والفائدة التي يمكن ان تحصل للجماهير من مشاهدتها.

والحقيقة هي ان الخدمة التي يمكن ان تؤديها الحفلات الموسيقية والفلكلورية بانواعها لسد حاجة الجماهير للثقافة ولتربية ذوقها النقي يمكن ان تكون جليلة اذا نحن احسنا اختيار ما نقدمه للجمهور من عناصر الجمال المسموع والمرئي مما يمكّن من تدعيم الصلة الطبيعية بين الشعب وبين تقاليده الجمالية في ميدان الموسيقى والغناء والرقص وهي تقاليد متأصلة في صميم الشعب التونسي فكلما كان مستوى الحفلات الموسيقية والعروض الغنائية والراقصة جيدا وثريا كلما كانت الاوقات التي تقضيها الجماهير في مشاهدة هذه الحفلات والعروض اوقاتا تزيد في رصيد المتفرج من رقة الاحساس وسلامة الذوق.

ولا تكون هذه الاوقات كذلك الا اذا كانت المادة الفنية المعروضة فيها على الجمهور تتسم هي اولا بالاصالة والسمو وتحمل الى الجمهور شحنة من المشاعر والعواطف الرائعة سواء كان ذلك بالنسبة الى الموسيقى الكلاسيكية او الشعبية او العصرية او كان بالنسبة الى فنون الايقاع او المشاهد التعبيرية او الرمزية.

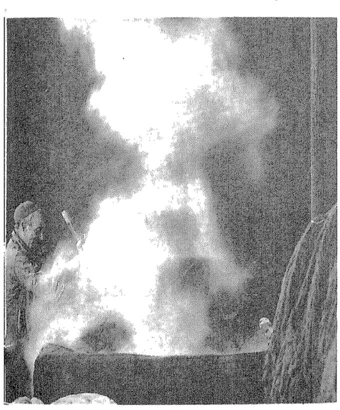
هذه هي اهم فنون المشاهدة العمومية باعتبارها وسائل تساعد على اعداد المواطن لتقبل الثقافة ويجب ان تكون هذه الوسائل التي ترتكز على فنون المسرح والسينما وحفلات الموسيقى والرقص وغير ذلك من الفنون الشعبية متكاملة متكاتفة في عملها من اجل بلوغ نفس الاغراض كما انه لا يمكننا اليوم ان نتصور فن المسرح مثلا او الفنون الموسيقية مقصورة في اداء رسالتها الثقافية على وسيلة الاتصال المباشر بالجماهير في القاعات المخصصة لهذا الغرض.

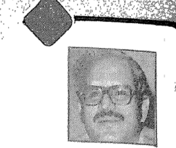
ب) الثقافة والوسائل السمعية والبصرية:

الاذاعة والتلفزة

تعد الاذاعة والتلفزة اليوم من اهم الوسائل لنشر الثقافة بين الجماهير ورفع مستواها وتتميز هاتان الوسيلتان بانهما من عوامل تلقي الثقافة بصورة جماعية وان كان هذا التلقي لا يكتسي في غالب الاحيان صبغة عمومية بل صبغة عائلية.

ويجب ان نلاحظ ان اثر الاذاعة اوسع في الجماهير من اثر التلفزة من حيث الكم وذلك يعود طبعا الى قدم وجود الاذاعة ببلادنا وحداثة عهد انشاء التلفزة التونسية.





فى القسم الذى شهد سباق التنمية المتسارع هناك حاجة ماسة اليوم للتوقف الهادىء المتانى والمتأمل لتقويم تجربة البناء والتمييز بين الايجابيات والسلبيات وفصل اعراض الطفرة الخارجية عن اساسيات البناء الجوهرى الذى انجز وكذلك لتقويم واستكشاف طبيعة المرحلة الحالية والمرحلة المقبلة وما تحملانه من مستجدات ومتغيرات واذا كانت الوفرة المادية قد حلت العديد من المشكلات فى المرحلة السابقة فان الترشيد فى الوقت الحاضر والمستقبل سيحتاج الى الكثير من التخطيط المدروس. والتفكير المتعمق والحلول الفكرية المبتكرة التى لابد منها لمواجهة المتغيرات والتحديات الماثلة ومثل هذا التفكير الجدى القادر على المعالجة والمواجهة لا يمكن ان ينمو الا فى مناخ ثقافى حى يشمل المجتمع بأسره فى مراكز البحوث والجامعات والاندية الثقافية والتلفاز والاذاعة والصحافة وفيما تصدره المطابع ودور النشر من كتب وابحاث ذات نظر ثاقب وتحليل مبتكر.

اما القسم الآخر من عالمنا العربى الذى اوشك - كما نامل - على تجاوز مشكلاته الداخلية وازماته العنيفة فان مرحلة التهدئة الجديدة احوج ما تكون ايضا الى تنشيط فكرى وثقافى بنظرات ومنطلقات جديدة كل الجدة تتجاوز اطار الجو المتأزم الخانق كالذى سيطر مثلا فى السنوات العشر الاخيرة على لبنان العزيز وطبع مؤسساته الجامعية والثقافية والفكرية بطابع الحرب الاهلية والتوتر الدائم واتاح للفكر المعادى نشر مقولاته وترويج ادعاءاته فى ظل الغزو الاسرائيلى وما سبقته من ظروف قاسية وما تلته من مضاعفات مأساوية. **محمد جابر الأنصارى**

والاذاعة وسيلة تثقيف جوهرية بالنسبة لمجتمعنا اليوم اذ انها اصبحت تكون جزءا من حياة المواطن التونسى فى اى جهة كان من تراب الوطن. ولقد قامت الاذاعة بدور عظيم فى التعريف بالتراث الثقافى القومى سواء كان موسيقيا او ادبيا او تاريخيا مكنت الشعب من ممارسة اثار الكثيرين من فنانينا وادبائنا.

كما ساعدت الاذاعة ومازالت تساعد المواطن التونسى على مواكبة مجهود الامة وتفهم ابعاد الاعمال التى يقوم بها الانسان التونسى من اجل ان يضمن للجماعة البشرية التى تعيش فوق هذه الرقعة من الارض حياة دائمة الكرامة مستمرة التقدم.

ويمكن ان نجزىء الانتاج الاذاعى الحاضر الى الاقسام التالية:

١) الانتاج الموسيقى والغنائى:

أ - تساعد الاذاعة اولا على احياء التراث الموسيقى القديم وعلى ايقاظ العواطف الى ما يتضمنه هذا التراث سواء كان اندلسيا او تونسيا حضريا او ريفيا او بدويا من روائع الجمال.

ب - من اركان الانتاج الاذاعى الاغنية التونسية الحديثة. وهذه الاغنية فى الغالب نتيجة مجهود ثلاثى يقوم به الشاعر والموسيقار والملحن والمطرب المؤدى.

١ - كلمات الأغنية التونسية

اذا اعتبرنا ان الحكم للاشياء او عليها يكون باعتبار النسبة الغالبة عليها فانه علينا ان نقول ان كلمات الاغنية التونسية لا تزال ضعيفة.

وهذا الضعف يعود فى العادة الى سببين لهما علاقة بموضوع الاغانى:

● الاول منها هو ان ناظمى الاغانى الغرامية يعجزون فى كثير من الاحيان عن ابتكار المعانى المعبرة عن

العـواطف العميقة والصور الوجدانية الطريفة فتأتى نصوص الاغانى الغرامية فى الغالب باردة خالية من اى توقد يكرر بعضها معانى البعض بل وتأتى التعابير نفسها مرددة معادة مملة .

● امـا النـزعة الثانية فى الاغنية التونسية فهى نزعة تجديدية غير موفقة لانها تظفر بالموضوع ويعوزها الفن الضرورى لابراز الفكرة فى قالب جميل .

ومعظم اغانى هذا النوع الثانى تعمد الى الالتزام الاجتماعى او السياسى وتسعى الى خدمة فكرة جديرة بالتقدير . لكنها محاولات تقصد فلا تصيب لانها ترتكز على قوالب ثقيلة لا صلة لها احيانا بالفن بل ان من شأنها ان تنفر الجماهير من المعانى التى تدعوهم اليها .

● ويوجد نوع ثالث من الاغانى اشير اليه هنا على سبيل الذكر فحسب وهو نوع الاغنية الفكهة ونحن فى هذا الميدان نعيش على رصيد قديم لم يوفق شعراؤنا الى اثرائه اذ ان معظم ما طلع علينا من جديد فى هذا الباب انما هو انتاج فاتر لا يحرك ساكنا .

على ان هذا لا يعنى ان كل انتاجنا الغنائى غير صالح لكنى اقصد ان نسبة الاغانى الجيدة من حيث الكلمات هى نسبة ضئيلة .

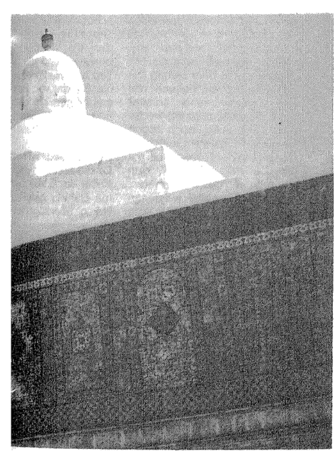
٢ ـ التلحين

لقد اظهر الملحن التونسى فى عدة مناسبات انـه قادر على وضـع الحـان فى مستـوى جيـد تتجاوب مع مشاعر الجمهور التونسى وتحرك عواطفه .

لكن الملحنين التونسيين يميلون فى كثير من الاحيـان الى حلول السهولة بل ان بعضهم لا ينظر الى عمله الفنى بكامل الجد فينشأ عن ذلك كسل وانتاج يتميز بالقلة وعدم التعمق والبحث .

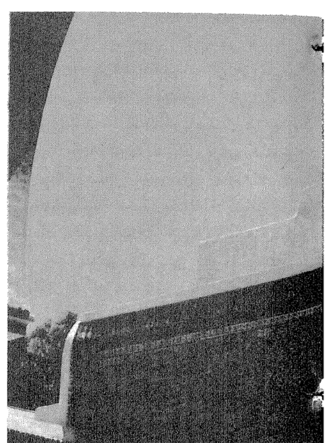
وهذه ظاهرة خطيرة بالنسبة لمستقبل الشعور فى الجماهير التونسية فقد بقى ذوق الجمهور التونسى مكيفا مدة طويلة بما يتهـاطـل عليـه يوميـا من الانتاج الغنائى الشرقى . ولقد اراد المسؤولون التونسيون تحطيم هذه الدائرة المفرغة بايقاف هذا الغزو وفسح المجال امام فنانينا . فاذا هم لم يحسنوا الاضطلاع برسالتهم فى هذا الباب ولم يغتنموا هذه الفرصة السانحة فانهم سوف يُعتبرون مقصرين فى حق انفسهم وفى حق ثقافة امتهم .

ج) توجـد بالاضـافـة الى هذا الانتـاج الغنـائى والكـلاسيكى والحـديث بالاذاعـة محاولات قليلة فى تأليف المعـزوفـات المـوسيقيـة التعبيرية المتأثرة احيانا بمنهج الموسيقى الغربية . كما توجد محاولات طيبة فى ميدان تأليف الابيريت وموسيقى المصاحبة .



٢) الانتاج المسرحى بالاذاعة والتلفزة

المسـرحيـات التى تقـدم للجمهـور عن طريق الاذاعة لا تختلف كثيرا عن معظم ما يتقدم بقاعات المسـرح من حيث المـوضـوعـات فهى فى الغـالب مسرحيات اجتماعية متوسطة القيمة الفنية او قطع من نوع الكوميديا يتخذ فيها الاضحاك غاية فى حد ذاته وقد تصاحبه دروس اخلاقية مباشرة او غير مباشرة. وسواء تحدثنا عن المسرحيات الطويلة او عن المنوعات المسرحية او عن المسلسلات المختلفة فان اعظم عقبة نصطـدم بها هى مشكلة التأليف وقـد رأينا ذلك فى حديثنا عن مشاكل المسرح والحقيقة هى انه ليس لنا اليوم فى تونس كتاب مسرحيون بالمعنى الصحيح انما اقصى ما نجـده فى هذا البـاب هو بعض افراد من الممثلين او من رجال التعليم او من مختلف الموظفين يهوون الكتابة المسرحية ويستعملونها كوسيلة اضافية للارتزاق يستعينون بها على مواجهة متطلبات الحياة المادية.



٣) البرامج الأدبية بالاذاعـة

أ) الاحاديث: تتعرض فى غالب الاحيان الى الحركـات الادبية والفكرية التى ظهرت ببلادنا خلال فترات مختلفة من تاريخها. وتوجد احاديث لها صبغة اشمل من الادب التونسى تتعرض الى نواح طريفة من تاريخ الفكر العربى بوجه عام. كما تقـدم الاذاعـة احاديث فى التاريخ التونسى والفن المعمارى والتقاليد الاجتماعية ببلادنا.

ب) البـرامـج الثقافية: هى منوعات ومناقشات وعـروض ادبيـة وثقـافيـة وفنيـة تعـرض بالخصوص الاحـداث الفكرية التى تعيشها البلاد من خلال ما يصدر من نشريات وما يقدم من مهرجانات مختلفة.

● وان كان دور الاذاعـة فى تتبـع الحياة الفكرية فى الميدان الادبى والمسرحى مثلا دورا هاما فان للتلفزة امكـانيـات اوسع فى عرض مظاهر الحياة الثقافية فى ميـادين الرسم الفنى والحفلات الموسيقية والعروض الفلكلورية وتاريخ الفن المعمارى والآثار وحتى النشاط السينمائى.

كما يمتاز جهاز الاذاعة والتلفزة بكونه مدرسة لنشر اساليب العمل الثقافى بين اجيال الشباب سواء عن طريق حصص الاطفال او عن طريق حصة «هواة الادب».

ويجب ان لا ننسى فى ختام هذا العرض السريع ان حصـة مثـل حصـة المرأة هى ايضـا فى كثير من الاحيان ذات اثر ثقافى لا ينكر بالنسبة الى مستمعيها.

ملاحظة :

في ختام حديثنا عن الوسائل السمعية والبصرية يجب ان نشير الى وسيلة ثقافية هامة ـ وهى سمعية لا بصرية ـ يمكن ان يكون لها مستقبل زاهر فى بلادنا اعنى بذلك وسيلة الاسطوانة الثقافية. وقد شرع بعد فى اعداد العدة لاستغلال هذه الوسيلة التثقيفية الهامة على نطاق واسع.

ج) الثقافة والوسائل المطبوعة :
(النشر والتوزيع)

لقد كان الكتاب منذ القديم رمزا للثقافة فى كل الحضارات العظيمة ولكن فكرة الكتاب كانت دائما فى القديم مقترنة بفكرة النخبة الاجتماعية.

فقد كان الكتاب فى القديم مخطوطا نادرا لا تقدر على التصرف فيه الا الخاصة من العلماء واولى الامر.

وحتى بعد الثورة التى حدثت مع اكتشاف الطباعة وتعدد الكتب فان الكتاب بقى من نصيب النخبة القادرة على القراءة والكتابة اما جماهير الاميين فلم يكن للكتاب عندها وجه استعمال مفيد.

وفى مجتمعنا اليوم وباعتبار نظرتنا الى الثقافة على انها جهود متكاملة متضافرة ترمى الى غرض واحد فان للكتاب قيمة كبيرة جدا.

فمن الاكيد ان يفرض الكتاب التونسى نفسه على الجماهير فى هذا الظرف بالذات.

● ***فالكتاب التونسى كتراث صورة من حضارتنا العريقة وثقافتنا الاصيلة يجب ان تبرز الى الوجود.***

● ***والكتاب التونسى كحاضر صورة من واقعنا الذى نعيشه، من جهادنا وطموحنا وامالنا. . صورة يجب ان تبرز وان تبقى آية من آيات منزلة الانسان فى هذا العصر.***

● ***والكتاب التونسى محاسبة لانفسنا واشراق كاشف لنا مراحل مسيرتنا.***

● ***والكتاب التونسى اخيرا فرض لوجودنا وبناء لتبادلنا الثقافى مع غيرنا من الشعوب على اساس التعادل والتكافؤ والافادة المشتركة، بدلا من الخضوع للغزو الفكرى والقناعة بمنزلة المستهلك البسيط.***

ولكى يكون موقع الانتفاع بحركة نشر الكتاب التونسى عظيمة فانه لابد من الاتجاه معا الى مصدرين:

١) التراث التونسى المخطوط

توجد بالبلاد التونسية عشرات الالاف ان لم نقل مئات الالاف من الكتب التونسية المخطوطة ويوجد قسم كبير من هذه المخطوطات بمكتبات خاصة على ملك افراد.

ويبدو ان هذه المخطوطات التى هى على ملك خواص تتميز بقيمتها العظيمة حتى اذا قيست بانفس ما يوجد فى المكتبات الحكومية، وذلك لانها خلاصة قرون من الاختبارات ولاسباب اخرى يطول شرحها.

وانه من ابسط واجبات هؤلاء الخواص ان يسمحوا لمصالح الدولة المختصة بهذا الميدان ان تقوم بتصوير هذه المخطوطات على اشرطة تحفظ بدار الكتب الوطنية مثلا وتزيد فى تسهيل نشر هذه الكتب التى هى تراث للمجموعة.

٢) حركة التأليف الأدبي بتونس

اقل ما يقال فى الكتابة الادبية بتونس انها ليست غزيرة. ولئن بدت منذ مدة بوادر نهضة ادبية فانها ما فتئت بوادر محتشمة.

والجدير بالملاحظة ان اكثر الادباء انتاجا أو على الاقل اشهرهم انتاجا منشورا هم الشعراء اذ اننا لا نفتأ نرى بين الفينة والاخرى ديوانا يبرز الى الوجود.

أما كتاب القصة الطويلة قليلو الانتاج رغم ما رصد لهم من التشجيعات المادية والجوائز. فعدد القصص الطويلة التى نشرت لا يتجاوز العشر فيما اعلم. اما المسرحية التونسية فعبثا تحاول العثور عليها فى اسواق الكتب.

والغريب انك كثيرا ما تسمع المسؤولين عن دار النشر يعبرون عن رغبتهم فى الظفر باثار الادباء التونسيين المعاصرين لنشرها. ثم يحدثك اكثر من كاتب او شاعر عن كتبه المخطوطة التى يتمنى ان يراها مطبوعة فى ايدى القراء غير انه يبدو ان كثيرا من كتابنا وخاصة منهم الناشئين انما ينظرون الى بنات افكارهم بعين الهوى التى لا ترى سوى المحاسن.

٣) الأدب التونسى والمجلات

لقد قامت المجلات الثقافية والادبية منذ زمن طويل بدور هام جدا فى تاريخ الحركة الفكرية ببلادنا ومكنت عددا كبيرا من كتابنا من تأدية رسالتهم الانسانية حتى فى عهود الاستعمار رغم صعوبة الظروف وقلة الوسائل وقد بقيت اسماء بعض هذه المجلات لامعة فى الافق الثقافى التونسى كالعالم الادبى والمباحث والندوة والتجديد.

واليوم ومنذ فجر الاستقلال السياسى تقوم الحركة الفكرية والادبية بتونس على كاهل مجلة هى اكبر مجلات تونس وهى «مجلة الفكر» التى استطاعت ان تكون رمزا للعمل الثقافى الجدى المبنى على طول النفس والساعى الى رفع مستوى الانسان.

● وان فى دوام هذه المجلة واستمرارها لرمزا وبشرى لمستقبل الثقافة والادب بتونس لان الحركة الادبية التونسية لم تكن فى يوم من الايام مفتقرة الى شىء كافتقارها الى طول النفس.

ويجب ان نشير هنا الى نشأة مجلات دورية مختصة بفن من فنون الادب واهمها مجلة قصص الفتية.

٤) الثقافة والمجلات المختصة

يوجد عدد من المجلات المختلفة تقوم بدور هام بنشر الثقافة فى اوساط معينة من المجتمع التونسى تتوجه اليها بالذات فمنها مجلات اتحاد الشباب التونسى (**وهما مجلة «الشباب» ومجلة «عرفان»**) وغيرهما. الا ان هذه المجلات ليست ثقافية صرفا ولكن دورها هام ودقيق بحكم خصائص الجمهور الذى تتجه اليه.

٥) التوزيع وظيفة ثقافية

لا معنى لنشر اى انتاج ادبى او اى تراث ثقافى اذا لم يعقبه مباشرة توزيع شامل وسريع بين جماهير المستهلكين وذلك هو الاساس لعملية نشر الثقافة.

والناحية التجارية فى التوزيع هامة لكنها ليست الغاية الجوهرية التى تخضع لها سائر العوامل فعملية التوزيع هى وظيفة ثقافية يجب ان تستجيب لحاجة لدى الجماهير. فمن واجب جهاز التوزيع ان يكون دائما محتاطا لتلبية هذه الرغبة الجماهيرية فى احسن الظروف مناسبة لها اى ان لا يكون ذلك قبل قيام هذه الرغبة ولا بعد فتورها.

د) بنوك الثقافة : المكتبات والمتاحف (والمعارض).

هذا هو القسم الرابع والاخير من وسائل نشر

الثقافة فى الجماهير . وقد اطلقنا عليه هذا العنوان لان المكتبات والمتاحف هى فى الحقيقة مستودعات لحصيلة تراث الامة فى مختلف مراحل تاريخها فى ميادين المعارف والفنون. ولكنها ليست مستودعات لتجميد هذه الكنوز بل هى ايضا مصارف تضع على ذمة الجميع كل ما انتجته عبقرية الاجيال الماضية والحاضرة ليكون موضع تبادل واستفادة ومصدر حياة متجددة مستمرة ومصدر ثروة متزايدة مع كل جيل .

١) المكتبات : دور تعلم وتثقف وعمل

- المكتبات القارة مكتبات كبرى محورها المكتبة الوطنية التى يجب ان تتميز بالشمول ودقة التنظيم وحولها مكتبات الكليات وغيرها من المكتبات المختصة بالاطفال او غيرهم .

ويجب ان توجد مكتبات بكل المدن والقرى تتناسب مع الوظيفة التى يجب ان تقوم بها .

- المكتبة المتجولة : فى شكل حافلات متنقلة تمر بالارياف والقرى الصغيرة بعد فترة معينة وتمكن السكان من استعارة كتب مختلفة لمدة معينة .

وهذه المكتبات المتجولة هى نوع من اقتباس الاسلوب التجارى لغرض ثقافى اذ هى تقوم بزيارة الاماكن البعيدة لتوصل الى سكانها هذه البضاعة الثقافية التى اصبحت حاجتهم اليها كحاجتهم الى المأكل والملبس .

٢) المتاحف

هى تاريخ حى وحضارة الاجيال تحدث عن نفسها .

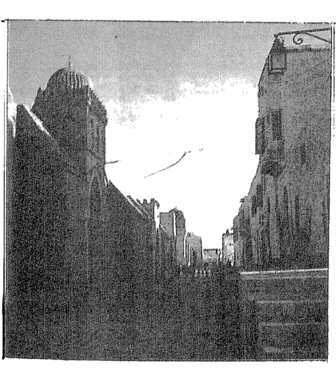
والمتاحف فى الغالب قارة لا تنتقل بسهولة لذلك فانه ينبغى الاكثار منها فى كل مكان وحث الناس وخاصة الشباب على التردد عليها والتفاعل مع ما تحتويه من نفائس تاريخ الامة واعلام مجدها .

وانه ليحسن ان نخصص قسما من المتاحف المركزية الكبيرة للانتاج الفنى المعاصر .

وبمناسبة ذكر هذه المؤسسات التى يحفظ فيها تراث الامة فانه تجدر الاشارة الى اهمية العمل الذى تقوم به مصالح كتابة الدولة للثقافة والاخبار لجمع التراث الشعبى من شعر واغان وقصص فى البطولة واساطير شعبية نلمس فيها روح الشعب عن كثب ونقف على حياة اعلام الكفاح المليئة بمعانى الانسانية العميقة .

٣) الرسم ومعارضه

توجد بتونس حركة نشيطة فى ميدان الرسم الفنى وتعتمد هذه الحركة بصورة عامة على جماعة من كبار الرسامين التونسيين الذين يميلون غالبا فى رسومهم الى النزعة التشكيلية وهؤلاء الجماعة يكونون ما يسمى بمدرسة تونس للرسم .



اما موضوعات لوحات هؤلاء الرسامين المشهورين فهى تونسية اجتماعية فى غالب الاحيان لكنها تتميز فى الغالب باعتمادها على ابراز الواقع الاجتماعى فى الماضى القريب او البعيد.

اما الحاضر المتفتح على المستقبل فانا لا نجده غالبا كموضوع فى اللوحة بل يجب النفاذ اليه احيانا فى الاساليب وطرق التعبير الفنى ذاتها.

وبجانب ممثلى مدرسة تونس للرسم فانا نجد من الرسامين الشبان من نهج مسالك جديدة اكثر تحررا واميل الى النزعة التكعيبية او الفوق واقعية وهؤلاء الرسامون ما زالوا بصدد البحث عن طريقهم وعن مطابقة فنهم لحياتهم وحياة مجتمعاتهم وحياة البشرية فى هذه الظروف الصعبة التى تعيشها.

ويمكن ان نقول ان فن الرسم من الفنون التى تحتاج الجماهير الى تربية طويلة للاقبال على مشاهدتها وتذوقها خصوصا فى اتجاهاته الحديثة. ومهما يكن من امر فان جماهير الشباب والكهول المثقفين قد بدأت منذ زمن تظهر تأثرا بمعارض الرسم وتفاعلا مع تياراته ببلادنا وان فى ذلك املا يبشر بمستقبل مزدهر لهذا الفن الذى لم يدخل الحضارة العربية الاسلامية الا حديثا. هذا وان فى عفوية اتصال الجماهير باللوحة الفنية وفى اثرها المباشر وقدرتها على مخاطبة الافكار والارواح ما يحتم علينا ان نولى هذا الفن كل عناية وتقدير.

جعل الثقافة فى متناول الجمهور

ان ابرز ما يمكن ان نستخلص من حديثنا عن ميادين النشاط الثقافى ووجوهه ان العمل الثقافى عمل جد متشعب يتطلب الشمول والاستمرار معا.

ولا يمكن ان تكون الجهود فى هذا الميدان الا جهودا جماعية منسقة حتى تقرب من الهدف وهذه الجهود تحتم تشريك كل القوى الحية فى هذه الامة فى عمل موحد متعدد الوجوه من اجل النهوض الثقافى.

ومن اجل ذلك عمد المسؤولون عن مصير هذه الامة الى تجنيد جميع الطاقات لهذا العمل كما اختاروا ان يكون هذا المجهود يسير حسب قواعد اللامركزية التى تجعل من كل جهة من الجمهورية مركزا للاشعاع الثقافى يساهم بقسطه فى بناء هذا الهيكل العظيم.

١ - اللجان الثقافية

هذه الخلايا التى تعتبر كل منها نواة للحركة الثقافية بجهتها تقوم بدور هام فى تنظيم جوانب العمل الثقافى بالاعتماد على حاجيات الجهة وظروفها مع تنسيق هذه الخصائص الجهوية ولكن كثيرا من هذه اللجان لم تؤد مع الاسف الدور المرتجى منها.

٢ - النوادى الثقافية

تقوم بعمل ثقافى هام يتمثل فى بعث حركة ثقافية محلية بواسطة وسائل التثقيف المختلفة كالمحاضرات والافلام المناقشة والعروض الفلكلورية واستعمال المكتبة... الخ.

٣ - فروع المنظمات القومية

تقوم فروع اتحاد الشباب التونسى (**الجهوية والمحلية**) وفروع الاتحاد النسائي وغيرها من المنظمات بنشاط ملحوظ فى ميدان الثقافة بمختلف الجهات.

وتجدر الاشارة هنا الى ان دور الشباب تعتبر مراكز نشيطة للعمل الثقافى بانواعه خصوصا باعتبار هذا النشاط تمرينا على اساليب العمل الثقافى لا عملا فنيا مكتملا.

● الشعب الدستورية :
لها ايضا نشاط ثقافى متواصل يمكنها فى كثير من الاحيان من الاشعاع المرجو حتى فى النطاق المحلى.

● دار الشعب او دار الثقافة : مؤسسة ثقافية جامعة.
دار الشعب او دار الثقافة هى خلاصة المجهودات التى يبذلها المسؤولون على مختلف المستويات وفى شتى الميادين. وهى مركبات ثقافية (بما فى كلمة المركب من معنى صناعى اقتصادى) مفتوحة فى وجه الجماهير للاخذ بيدها ورفع مستواها وخلق ذلك الجو المكهرب المشع من الثقافة الحية الاصيلة المنبعثة من اعماق الانسان والمشحونة باشواقه وافراحه ومآسيه.

فالثقافة فى جميع مظاهرها مبنية على اتصال الناس فيما بينهم على صعيد الفكر وعلى صعيد العاطفة وعلى صعيد التبادل. ودار الثقافة يجب ان تكون بقعة من هذه البقاع التى يحيط بها الاجلال والخشوع لا اجلال الاحتكار وخشوع القلة بل اندفاع الحب فى صدور الجماهير والجموع الحاشدة.

ومما يجب ان تمتاز به دار الثقافة بالنسبة الى غيرها من مراكز العمل الثقافى هو ان تكون مظاهر الثقافة فيها وما يعرض على الجماهير من النوع الراقى المتكامل لا من نوع تجارب الهواة فى مختلف ميادين الثقافة كما قد يجوز ان يقع فى دور الشباب مثلا باعتبار ذلك تدريبا على الاساليب الثقافية وطرق العمل الفنى.

فالطابع الغالب على دار الثقافة يجب ان يكون دوما طابع «الجودة والخلق» وبهذه الصورة فقط يمكن



حول التراث

فى تاريخ تونس بل والمغرب العربى تراث حافل بالابتكار والنبوغ ملىء بشتى الوان المعرفة ومختلف الرجال الذين صبوا عبقريتهم وحياتهم فى مؤلفات فائقة فى العلم والفلسفة وفى التاريخ والادب على اختلاف ضروبه والوانه.

وكثيرون هم الذين يجهلون تماما الجهود العظيمة والمساهمات الكبيرة التى بذلها ابناء المغرب العربى فى حقول الحضارة الاسلامية والثقافة العربية منذ ظهر الاسلام كعامل حاسم فى حياة وتفكير شعوب المغرب العربى، هذا فضلا عن جهودهم فى تراث وحضارات ما قبل الاسلام.

المحافظة على المستوى الثقافى الرفيع الذى نحن فى حاجة اليه بالرغم عن حركة الانتشار الواسع والسعى الى الشمول فلا يكون توفير الكم على حساب الكيف.



عن مجلة الفكر التونسية

العربي بتونس

وجهود ابناء الشمال الافريقى هذه لا تقل اهمية ولا مكانة او قيمة عن جهود ابناء الشرق العربى سواء فى الفلسفة او فى الادب او فى غيرهما من حقول المعرفة الانسانية غير ان ابناء الشرق المعاصرين قد نهضوا باعباء الواجب نحو تراثهم الفكرى والحضارى ونحو الرجال الجهيرين من اسلافهم ممن اسهموا فى بناء التراث وتقدم الحضارة ثم لم يقفوا عند حد جهودهم الخاصة بل اضافوا اليها ما ترجموه من جهود الغربيين وخاصة المستشرقين الذين لم يبذل جيل من اجيال العرب الاحياء ما بذلوه فى احياء التراث العربى الاسلامى وتدعيمه بالدراسات والبحوث المتصلة المستوعبة لكل جانب وحقل من جوانب وحقول الثقافة والحضارة العربية الاسلامية.

غير ان ما نقل من جهود المستشرقين قد كان اكثره اما عاما بالحضارة والثقافة الاسلامية العربية او خاصا بجانب من جوانبها فى الشرق. وباستثناء عدد قليل من الكتب والمترجمين المعنيين بتراث المغرب العربى، مثل الاستاذ محمد عبد الله عنان والدكتور حسين مؤنس والدكتور احسان عباس.. فان معظم الكتب المترجمة ليست لها علاقة بتراث المغرب العربى وتاريخه اولها علاقة عامة ذات نطاق ضيق محدود.

ولما يلاحظ هنا ان كثيرا من الكتب المترجمة فى الشرق ـ لا سيما تلك التى يتولاها مترجمون محترفون ـ تأتى فيها الحقائق مشوهة أو مبتورة أو محرفة وقلما يتفطن لها المترجم المشرقى لان معلوماته

وخبرته بتاريخ المغرب وجغرافيته وتراثه ورجاله محدودة جدا.

وما يقال عن الكتب المترجمة يقال ايضا عن الكتب المؤلفة فى الشرق حول تاريخنا وثقافتنا واعلامنا فى كل حقل وفى كل ميدان. فكثير من هذه الكتب محشو بالاخطاء والتشويه ومملوء بالاحكام المرتجلة والآراء المخطئة. ولئن كان البعض تعوزه الخبرة اللازمة لموضوعه ولا يستند الى مراجع ومصادر كافية فان البعض الآخر تتوفر لديه ـ بحكم موضوعه او تخصصه ـ كل الامكانيات ومع ذلك فهو يميل الى السرعة والارتجال اكثر من ميله الى العقل والعلم وامانة البحث والدرس.

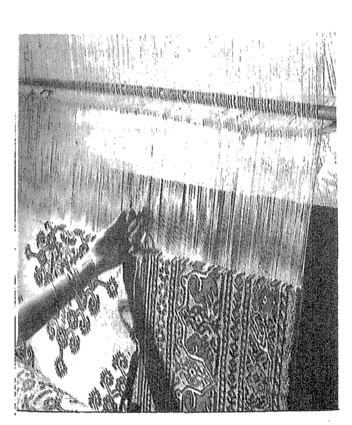
والواقع اننا بقدر ما نعتب على هؤلاء عدم تحريهم للحقائق وارتجال الآراء والاحكام وميلهم مع الهوى احيانا بقدر ما نلوم انفسنا ـ نحن ابناء هذه البلاد ـ لما نحن عليه من تقاعس واهمال وعزوف عن البحث والتأليف لاظهار محاسن ماضينا وذخائره وكنوزه، وما كان فيه من اعلام افذاذ فى كل فن وفى كل علم.

●● نعم. لقد بذلنا جهودا كثيرة ومحاولات عديدة منذ منتصف القرن الماضى الى اليوم.

● لا شك.. ان عهد الاحتلال الاجنبى لاقطارنا وما كان يزخر به من اضطهاد وتنكيل وتجهيل ومن محاولات متصلة لمسخ شخصيتنا وصرف شبابنا ومثقفينا عن تراثهم وماضيهم بل وحتى عن لغتهم قد كان ذا اثر جهنمى فى تخريب كل الجهود وتثبيط كل الهمم وانصراف كل الطاقات الى المقاومة وتحرير الوطن مما جعل النهضة الفكرية ـ لاسيما فى ميدان نشر التراث ودراسته ـ امرا ثانويا يتحدث عنه الكثيرون لبعث الشعور القومى وزرع الاحساس الوطنى اكثر من اى شىء آخر.

اذا كان هذا كله صحيحا وكانت له بالامس ظروفه القاهرة فان عهد الاستقلال والسيادة الوطنية يتيح لنا اليوم الفرصة كاملة فى كل اقطار المغرب العربى لا للاهتمام بتراثنا واحيائه فقط بل ولترجمة نفائس الكتب التى كتبت عن بلادنا وتاريخنا وتراثنا بالخصوص.

لقد جمعتُ ـ خلال السنوات القليلة الماضية ـ ما يقرب من مائة كتاب تناول فيها اصحابها الفيلسوف العظيم عبد الرحمن بن خلدون فلم يكن فى هذه المائة كتاب سوى ثلاثة او اربعة كتيبات مغربية عن هذا الرجل الذى ما فتح مغربى فمه الا افتخر به.



وجمعتُ مثل هذا العدد من كتب ودراسات عن شاعرنا الذى نكاد لا نفتخر بسواه اعنى «ابو القاسم الشابى» فلم يكن بينها ايضا سوى نسبة قليلة من الكتب المغربية.

اما اذا تجاوزنا هذا الستار العاجى الذى ضربناه حول عقولنا باسمى الشابى وابن خلدون فاننا لا نجد اى شىء يذكر لا سيما فيما يتعلق بتراثنا واعلامنا السالفين.

والحق انه لولا جهود عدد من الرواد النشيطين الذين قاموا - اعتمادا على امكانياتهم الخاصة - بجهود عظيمة للغاية، . كل فى قطره وحسب ظروفه لولا جهود هؤلاء الرواد لما كان هناك شىء ذو اهمية على الاطلاق.

ويطيب لى هنا ان انوه بهؤلاء الرواد بل باهم الاسماء التى جاهدت جهاد الابطال من اجل احياء امجادنا العلمية وبعث كنوزها ونشر ذخائرها.

وفى طليعة هؤلاء البحاثة العلامة الاستاذ **«عبد الله كنون» والمرحوم الدكتور «محمد بن ابى شنب» والمرحوم العلامة «حسن حسنى عبد الوهاب» والاستاذ الاديب «على مصطفى المصراتى»**(١).

والواقع ان ميدان التراث فى حياتنا العلمية والادبية يشكو قلة الافراد المتخصصين فيه والمنصرفين بجهودهم اليه فبينما نجد الشعراء والادباء والفقهاء والعلماء بالعشرات نكاد لا نجد - فى ميدان التراث - الا افرادا يعدون باصابع اليد الواحدة فى كل قطر من اقطارنا المغربية وهذا هو العامل المباشر فى قلة انتاج المغاربة فى هذا الحقل مع ان اكثر من نصف كتب التراث العربى فى العالم كله هو انتاج مغربى، سواء تم انتاجه فى ليبيا او تونس او الجزائر أو المغرب الاقصى أو الاندلس وصقلية فى عصورها الاسلامية.

ولست ممن يدعى الاختصاص او الدراية بهذا الميدان ولكن لدى بعض الملاحظات والمعلومات الخاصة بوضعية تراثنا فى تونس اردت ان انقلها لعل فيها ما يفيد وعلى الاخص لعلها تحرك الهمم الى الالتفات الجدى نحو تراثنا والعناية به وتوجيه انظار المثقفين والعلماء والمسؤولين عن الثقافة والتربية فى اقطارنا نحوه.

قامت فى تونس محاولات كثيرة فى الماضى والحاضر لاحياء التراث المغربى العربى وتحقيقه ونشره. . بعض هذه المحاولات كان رسميا تحت اشراف الدولة او برعايتها وبعض آخر كان محض جهود فردية قام بها علماء وادباء. . لئن كان اكثرهم غير متخصص ولا متدرب على طرق التحقيق والنشر الحديثة فان غيرتهم الوطنية ونزعتهم العلمية قد كانت الحافز الاعظم لهم على انجاز ما قاموا به من جهود.

الرائد الأول

وانه لواجب علينا - قبل كل شىء - ان نسجل هنا اسماء الرواد الاولين منهم تشريفا لهذه الكلمة وتخليدا لذكرهم.

واقدمهم دون جدال العلامة البحاثة والمصلح الجرىء **«سليمان الحرائرى»** الذى كان اول تونسى استعمل المطبعة العربية الحجرية بتونس منذ عام ١٨٤٩ مستعينا بصديقه وتلميذه الاب المستشرق فرنسوا بورقاد (F.Bourgade) فكان كتاب **«مسامرات قرطاجنة»** اول كتاب حديث طبع باللغة العربية فى تونس حسبما نعلم. ثم نشر

الحرائرى بعد ذلك كتبا عديدة بالمطبعة العادية اثناء هجرته واقامته بباريس نذكر منها ما له علاقة بالتراث حيث نشر بتحقيقه كتاب «**قلائد العقيان**» للفتح بن خاقان الاندلسى ومقامات احمد بن المعظم وسيرة عنترة العبسى.

جماعة الرائد

وبينما كان سليمان الحرائرى يواصل عمله كاستاذ فى معهد اللغات الشرقية بباريس حتى وفاته بها عام ١٨٧٧ كان علماء آخرون يواصلون فى تونس تحت اشراف الدولة التونسية وفى مطبعتها الرسمية ـ مطبعة الرائد التونسى التى احدثت عام ١٨٦٠ ـ يواصلون طبع الكتب الحديثة وكتب التراث فى وقت واحد بهمة لا تكل وعزيمة لا تنى.

من هؤلاء الاعلام نذكر الشيخ محمد السنوسى الذى كان اول مدير تونسى لهذه المطبعة والشاعر محمود قبادو والشيخ محمد بيرم الخامس والشيخ محمد البشير التواتى والعلامة سالم بو حاجب.

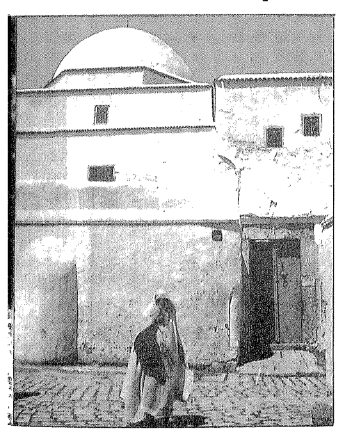
وقد استمر نشاط هذه الحركة المباركة فى حماسة وانتظام وصعود حتى نكبت البلاد بالاحتلال الفرنسى يوم ١٢ مايو ١٨٨١م فاختل سيرها واخذت فى التراجع حتى توقفت تماما بنهاية العقد الاول من القرن الحالى.

وخلال هذه المدة تم نشر عشرات الكتب القديمة والحديثة على اختلاف احجامها وموضوعاتها ورغم ان طرق النشر والتحقيق الدقيقة العصرية كانت مفقودة فى اكثرها الا انها كانت طلائع نهضة جبارة لو اتيح لها ان تتواصل وتتفاعل مع مظاهر التقدم العلمى الحديث لغيرت كثيرا من مظاهر الحياة العلمية والفكرية فى تونس.

على اننا نؤكد بان عشرات الكتب التى انجزتها هذه الحركة المباركة قد كانت تظهر فيها عناية بالغة من الجد فى العمل والتثبت فى المعلومات وتصحيح النص الى اقصى حد متيسر للمشرفين عليها وقد كان هؤلاء وغيرهم طليعة رائدة ـ من علماء وادباء ـ مثلوا بحق نهضة تونس فى القرن التاسع عشر احسن تمثيل.

ومما يلاحظ هنا ان مطبعة الرائد التونسى قد كان لها فى تونس نفس الدور ـ تقريبا ـ الذى كان لمطبعة بولاق فى مصر.

ومن المصادفات الطريفة التى حدثت لكل من هاتين المطبعتين ان كلا منهما قد ساهم فى نشأتها وحركتها العلمية عالم اديب من علماء البلد الآخر:



فقد ساهمت تونس فى حركة النشر لمطبعة بولاق باحد ابنائها من العلماء الافذاذ وهو الشيخ «محمد بن عمر التونسى» الذى كان من ابرز علماء عصر محمد على ومن كبار المساهمين فى منشورات مطبعة بولاق ترجمة وتصحيحا وتأليفا(٢).

كذلك كان احد ابناء مصر ومن ادبائها وعلمائها البارزين فى القرن الماضى من بين المشرفين والمساهمين فى نشاط مطبعة الرائد التونسى وخاصة فى تحرير جريدة الرائد وهو الشيخ حمزة فتح الله(٣)

ونعود الى منشورات مطبعة الرائد التونسى فنذكر باننا نستطيع ان نبوبها الى الابواب الكبرى التالية:

أولا: كتب دراسية او مدرسية ـ للتعليمين المدنى والعسكرى فمن النوع الاول كتاب «متن الآجرومية» ومتن ابن عاشر وعدة شروح على الآجرومية منها شرح خالد الازهرى وشرح الماكودى ومختصر الدر الثمين للشيخ ميارة وحاشية على القطر وشرح الاربعين النووية ومنهج السالك الى الفية ابن مالك للشيخ الاشمونى الى غير ذلك من كتب سدت حاجة التعليم المدنى حسب برامج ذلك العصر.

●● واما فى التعليم العسكرى حيث كانت اكاديمية باردو الحربية تشرف على اكبر حركة فى الترجمة والتأليف العسكرى العلمى حدثت بتونس حتى الآن فقد تم طبع كتب كثيرة نذكر منها بالخصوص: كتاب «**كنزفنون الضباط الصغار**» لأحمد المورالى وكتاب «**خدمة ضباط عسكر التريس**» و«**طابور عسكر**» له ايضا.



ثانيا: كتب فى الفقه والحديث والعقائد ونلاحظ سلفا ان بعض هذه الكتب كان مقررا ايضا للتعليم فى الزيتونة والمدرسة الصادقية فمما طبع خصيصا للصادقية كتاب عقيدة الامام السيوطى ومجموعة الاحاديث القضاعية والمكودى على الأجرومية وشرح صغرى الصغرى للسنوسى الحسنى. ومما طبع للزيتونة ولعموم القراء: **كتاب موطأ الامام مالك وشرح الاربعين النووية وحاشية على قرة العين لشرح ورقات امام الحرمين مع الشرح المحشى للشيخ الحطاب.**

ثالثا: كتب فى اللغة والادب - شعرا ونثرا وهى ايضا نوعان حديثة لمعاصرين وقديمة من التراث ونكتفى بذكر بعض اسماء النوع الثانى فمن ذلك ديوان حسان بن ثابت وكتاب خاص الخاص لابى منصور الثعالبى والجزء الاول من عمدة ابن رشيق وقصيدة بانت سعاد.

رابعا: كتب تاريخية ونقتصر فيها على كتب التراث: ومنها كتاب المؤنس فى اخبار افريقية وتونس لابن أبى دينار والجزء الاول من الحلل السندسية فى الاخبار التونسية للشيخ الوزير السراج وتاريخ الدولتين للزركشى.

خامسا: كتب فى السياسة والاصلاح والسلوك وسياسة الملك ومعظم هذه الكتب حديثة الا ان بعضها كان من التراث ككتاب «**واسطة السلوك فى سياسة الملوك**» للامير موسى ابى حمو الزيانى، و«**سلوان المطاع فى عدوان الاتباع**» لابن ظفر الصقلى.

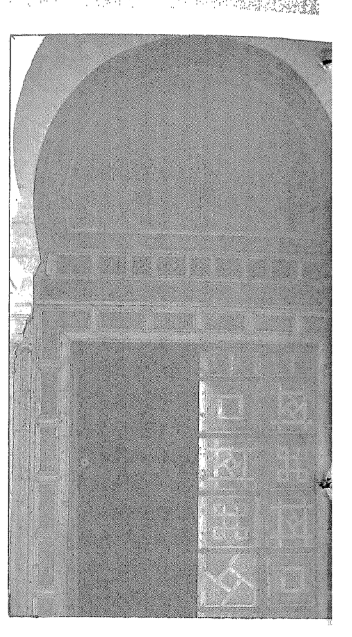
سادسا: كتب فى الجغرافية والفلك والتقاويم، ومعظم هذه الكتب حديثة وهى كثيرة مثل النزهة الخيرية لحسن لازغلى والواسطة الى معرفة مالطة وكشف المخبأ عن فنون اوروبا وهما لاحمد فارس الشدياق طبعتهما مطبعة الرائد اثناء اقامته بتونس واشرافه على تحرير جريدة الرائد حيث اعتنق الاسلام وتسمى باحمد ثم اطلس فى الجغرافيا لمحمد بن حميدة والجوهر المرتب فى العمل بالربع المجيب للشيخ محمد المكى بن عزوز وهو فى الفلك ومن كتب الفلك القديمة كتاب المطلع فى الفلك للشيخ محمد بن سعيد السوسى ت (١٠٤٠هـ).

سابعا: كتب فى التصوف ومن قديمها كتاب «**مناقب الائمة الاربعة**» للشيخ الحريفيش والشعرانى هذا فضلا عن مجموعات القوانين الاصلاحية المختلفة وابرزها واهمها باطلاق قانون «عهد الامان» الذى هو اول قانون دستورى صدر فى العالم العربى بل والاسلامى وقد كان ضمن مجموعة قوانين اخرى اول ما طبعته مطبعة الرائد من كتب وكان صدوره يوم العشرين من محرم عام ١٢٧٤هـ الموافق لليوم العاشر من شهر سبتمبر ١٨٥٧م. وتم طبعه عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م ويحتوى على مائة واربعة عشر فصلا او بندا(٤).

ومعلوم انه انبثق عن هذا الدستور مجلس نيابى سمى (بمجلس الشورى الاكبر) وقد تولت مطبعة الرائد طبع محاضر جلساته الاولى فى مجلد عام ١٢٧٩هـ/ ١٨٦٢م(٥)

عهد الحماية

فى هذا العهد تغيرت الامور تماما منذ زحف الاحتلال على تونس يوم ١٢ مايو ١٨٨١ وفرض على البلاد كابوسه وطغيانه طيلة ثلاثة ارباع قرن



وقد اصيبت خلالها جهود الدولة التونسية ومواكب نهضتنا الفكرية بالخصوص اصيبت بانتكاسة كبيرة فاحتجبت بالتدريج وفق مخطط استعماري جهود الدولة ورعايتها للحركة العلمية وخاصة فى ميدان الطبع والنشر واحياء التراث لا سيما وان مطبعة الرائد قد كانت هى المطبعة العربية الوحيدة بتونس حتى عام ١٨٨٧ حين ظهرت جريدة الحضارة وكونت لنفسها مطبعة خاصة بعد تجارب طبعها فى مطبعة الرائد وفى غيرها.

وبعد انقطاع النشاط الرسمى فى ميدان النشر واحياء التراث حلت محله جهود العلماء والادباء الخاصة التى تعاقبت دون كلل وفى تقدم مستمر رغم قوانين الاستعمار الجائرة وعراقيله المثبطة حتى طلع النور بفجر الاستقلال يوم ٢٠ مارس ١٩٥٦م.

وفى خلال هذا الزمن الطويل من الحكم الاجنبى استطاعت جهود المناضلين والعاملين باخلاص فى حقل الطبع والتأليف نشر مئات من الكتب المختلفة كما ضحى الكثيرون فى سبيل تحقيق نهضة الفكر والثقافة بتونس سواء عن طريق الصحافة او النشر او التعليم.

وهكذا زاد عدد المطابع العربية وارتفع مستواها الفنى كما اقتحم ميدان النشر بالخصوص أصحاب المكتبات التجارية والصحف الوطنية يحدو الجميع الروح العلمية والغيرة الوطنية دون اهتمام بالجانب التجارى او السعى وراء الربح.

ويمكننا ان نصنف العاملين فى ميدان نشر الكتاب بتونس خلال فترة الاحتلال الاجنبى الى:

أولا : الحكومة.
ثانيا: اصحاب المكتبات والناشرون الهواة.
ثالثا: اصحاب المطابع والصحف.
رابعا: العلماء والادباء الذين نشروا كتبهم على حسابهم الخاص.

أولا: الحكومة

فأما الحكومة فان نشاط المطبعة الرسمية قد انقطع او كاد منذ نهاية العقد الاول من القرن الحالى واقتصرت على طبع الرائد التونسى الذى

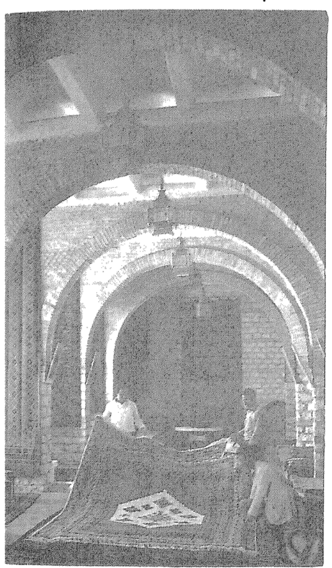
انقطع هو الآخر عن نشر ما كان ينشره فى عهد نشأته الاولى من مقالات وقصائد واخبار واصبح جريدة رسمية خاصة بالقوانين والاوامر والبلاغات الرسمية كما ازدوجت لغته منذ عام ١٨٨٢ فاصبح يصدر فى طبعتين عربية وفرنسية.

ومعظم الكتب التى طبعتها مطبعة الرائد فى هذا العهد قد كانت على حساب مؤلفيها او ناشريها الخواص.

وقد حاول بعض المستشرقين - وهو الاستاذ وليم مرسى - الاعتناء بالمخطوطات ونشرها فدعا الى تكوين لجنة تعنى بالتراث التونسى خاصة فتكونت بالفعل عام ١٩٢٣ «**اللجنة التونسية لنشر المخطوطات العربية**» وضمت سبعة افراد برئاسته وكان من ابرز اعضائها العلامة المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب وقد اختارت هذه اللجنة عشرين مخطوطا لتعمل على تحقيقها ونشرها تحت اشراف ادارة العلوم والمعارف فى ذلك العهد غير ان المشروع بقي يتعثر ولم يطبع منه سوى ثلاثة كتب احدها «**آداب المعلمين**» **لمحمد بن سحنون** وقد حققه ونشره على حسابه الخاص العلامة حسن حسنى عبد الوهاب وطبع عام **١٩٣١** اما اعضاء اللجنة الآخرون فلم ينجزوا سوى كتابين هما: «**رحلة التجانى**» و«**تخريج الدلالات السمعية**» ولكن طبعهما وتحقيقهما واخراجهما كان على حالة مزرية وفى غاية النقص والخلل فحجبا عن الانظار ولم يقع عرضهما للبيع ابدا.

ثانيا: الناشرون الهواة

اما النوع الثانى اى اصحاب المكتبات والناشرون الهواة فمن اشهرهم اسماء واكثرهم غيرة ونشاطا الاديب المرحوم الاستاذ «**زين العابدين السنوسى**» الذى اسس عددا من الصحف والمجلات وانشأ مطبعة ودارا للنشر تحت اسم «دار العرب» ويليه نشاطا وغيرة السيد «**الجيلانى الفلاح**» ثم السادة: «**صالح العسلى**» صاحب المكتبة العتيقة و«**محمد الامين**» صاحب المكتبة العلمية والحاج «**محمد الثمينى**» صاحب مكتبة الاستقامة.



ولئن كانت جهود زين العابدين السنوسى متجهة اكثر ما يكون الى الانتاج الحديث حيث نشر - فيما نشره - ديوان مصطفى آغة وديوان

الشاذلى خزنة دار وكتاب «العمال التونسيون وظهور الحركة النقابية» للطاهر الحداد وكتاب «الخيال الشعرى عند العرب» لأبى القاسم الشابى فى طبعته الاولى عام **١٩٢٩** فان جهود معاصريه الآخرين قد كان فيها اهتمام خاص بكتب التراث وان لم تخل جهود زين العابدين من مساهمة فى احياء التراث فقد نشر كتيبا صغيرا عن الصيام لابن رشد وتولى طبع بعض كتب التراث لحساب غيره فى مطبعته مثل كتاب «**ابن سحنون**» السالف الذكر وكتاب «**تاريخ الدولة الحفصية لابن الشماع**».

●● ونكتفى هنا بالنسبة للناشرين الآخرين بذكر بعض كتب التراث التى تولى نشرها محمد الامين الكتبى: وفى مقدمتها كتاب «**لباب اللباب**» لابن راشد الاندلسى وكتاب «**الهبة والعطا فى شرح عقيدة الوسطى**» لابى اسحق الاندلسى و«**القوانين الفقهية**» لابن جزى و«**تنقيح الفصول فى الاصول**» للقرافى و«**ذيل بشائر اهل الايمان**» فى تراجم العلماء التونسيين لحسين خوجة.

ثالثا: المطابع والصحف

اما اصحاب المطابع فنكتفى بذكر المطبعة التونسية ومطبعة التقدم ومطبعة النهضة واهم هذه المطابع دون ريب هى المطبعة التونسية التى قامت بدور عظيم للغاية فى طبع الكتب والصحف طيلة نصف قرن وحلت بذلك محل مطبعة الرائد ومن اهم مطبوعاتها فى باب التراث العربى: كتاب «**معالم الايمان فى معرفة اهل القيروان**» لعبد الرحمن الدباغ وهو يقع فى اربعة اجزاء و«عنوان الاريب عما نشا فى تونس من عالم اديب» للشيخ محمد النيفر «**ومعالم التوحيد فى القديم والجديد**» لمحمد بلخوجة و«**شهيرات التونسيات**» لحسنى عبد الوهاب والكتب الثلاثة الاخيرة لمؤلفين حديثين غير ان موضوعها من صميم تراثنا وتاريخنا الثقافى القديم.

اما مطبعة التقدم فقد كان يديرها الصحفى والمناضل الوطنى المرحوم «**البشير الفورتى**» الذى تولى طبع وتصحيح كتاب «**الحلل الموشية فى الاخبار المراكشية**» وقد نُسب خطأ الى لسان الدين ابن الخطيب.

ونعود الى الصحف والدوريات فنذكر ان اكثرها اهتماما وعناية بالتراث هى صحف «**الحاضرة**» و«**الوزير**» و«**الزمان**» **ثم مجلات** «**البدر**» و«**الفجر**» و«**العالم الادبى**» و«**المباحث**» و«**الثريا**».. ففى كثير من اعداد هذه الدوريات مسلسلات متنوعة بعضها مخطوطات محققة وبعضها الآخر دراسات مدققة تتصل بتاريخنا السياسى او الثقافى بوجه عام ولو استخرجت هذه المسلسلات اليوم واعيد طبعها مستقلة لكونت عشرات الكتب وقد قمت عام **١٩٦١** بتجربة ناجحة فاشرفت على جمع مسلسلة «على الدوعاجى» «جولة بين حانات البحر المتوسط» و«مذكرات منفى» لمحمود بيرم التونسى وتولت نشرهما كتابين الشركة القَومية للنشر والتوزيع.

وهذا بالضبط ما كانت تقوم به مجلاتنا وجرائدنا القديمة ومن هذا القبيل القسم الخاص من جغرافية افريقية والاندلس الذى نشرته مجلة البدر تباعا ثم فصلته فى كتاب مستقل وقد استخرجه العلامة حسن حسنى عبد الوهاب من كتاب

«مسالك الابصار» للعمرى وعلق عليه تعليقات ضافية.

كذلك فعلت جريدة «النديم» فى كتاب «قرطاجنة فى اربعة عصور» للاستاذ احمد توفيق المدنى ومثل هذا فعلته مجلة المباحث بكتاب «ثورة الفكر او مشكلة المعرفة عند الغزالى» للزعيم المرحوم الاستاذ على البلهوان الذى نشر كثيرا من فصوله فى المباحث ثم تولت هى طبعه فى كتاب مستقل فكان باكورة منشوراتها.

ومن المفيد ان نذكر هنا ان هذه المجلة قد فتحت صفحاتها لاقلام المغاربة جميعا مثلها فى هذا مثل كل الصحف التونسية السابقة واللاحقة الا انها قد تميزت عن غيرها بشىء جديد وهو رصدها جوائز مالية سنوية للكتاب والباحثين فى المغرب العربى وفعلا فان اولى جوائزها قد كانت من نصيب مؤلف من المغرب الاقصى هو الاستاذ «محمد الرشيد ملين» عن كتابه «عصر المنصور الموحدى» فحبذا ان تتجدد مثل هذه المشاريع والمبادرات التى تهدف الى تحقيق الوحدة الفكرية والثقافية بين اقطار وابناء المغرب العربى بل وان تكون على نطاق اوسع واعمق تمهيدا وتدعيما لبناء الوحدة المغربية الشاملة.

رابعا: العلماء والادباء

ونهى هذه الجولة حول تراثنا فى تونس بالحديث عن نشاط بعض العلماء والادباء الذين كانوا يعتمدون على انفسهم فى نشر ملفاتهم الحديثة او نشر كتب التراث التى قاموا بتحقيقها.

ورغم كثرة هؤلاء فى ميدان المؤلفات الحديثة كالشاعر سعيد أبى بكر والشيخ محمد العربى القروى والشاعر صالح السويسى والمؤرخ احمد توفيق المدنى والبحاثة محمد بن الخوجة والرحالة محمد المقداد الورتتانى والاديب محمد المرزوقى والشاعر منور صمادح فان باب التراث كان ضئيل الحظ جدا.

ولا شك ان ابرز الاسماء واهمها هو الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب الذى يعتبر الرائد الاول للبحث الحديث فى خصوص الحضارة الاسلامية بتونس ونشر التراث العربى بها فأول



الياس ابو شبكة:

(١٩٠٣-١٩٤٧) شاعر عربى ولد بنيويورك ونشأ بلبنان وتوفى ببيروت اشترك فى تحرير «صوت الاحرار» و«المكشوف» و«الجمهور» كان يتقن الفرنسية ويجيد الترجمة عنها وتأثر بالشعراء الرومانسيين الفرنسيين وعد امام المدرسة الرومانسية فى لبنان من دواوينه الشعرية: «الباكورة» و«القيثارة» و«افاعى الفردوس» ويعد اهمها وقد قورن بـ «ازهار الشر» لبودلير لما فيه من تعبير مباشر عن التمزق والألم وتصارع الخير والشر والجمال والقبح فى نفس الشاعر.

كتاب طبع له كان عام ١٩٠٥ وآخر كتاب كان فى عام ١٩٦٨م وبين هذين التاريخين نشر بالعربية والفرنسية عشرات الكتب والابحاث المتصلة بالتراث التونسى خاصة والمغربى عموما.

وسأكتفى هنا بذكر الاسماء البارزة من كتب التراث التى نشرها والكتب ذات العلاقة الوثيقة به.

فمن النوع الاول:

١ - *القسم الافريقى من كتاب «اعمال الاعلام» لابن الخطيب طبع فى بلرمو بصقلية عام* ١٩١٠ .
٢ - *«رسائل الانتقاد» لابن شرف القيروانى ط*١٩١١ .
٣ - *«آداب المعلمين» لمحمد بن سحنون ص* ١٩٣١ .
٤ - *«رحلة التجانى» ص* ١٩٥٨ .
٥ - *«وصف افريقية والاندلس» من كتاب المسالك للعمرى ط* ١٩٢١ .
٦ - *«الجمانة فى ازالة الرطانة» فى لهجة اهل الاندلس لمؤلف مجهول ط*١٩٥٣ .
٧ - *«التبصر بالتجارة» للجاحظ ط* ١٩٣٢ و١٩٦٦ .
٨ - *«كتاب يفعول» للصاغانى ط* ١٩٢٤ .
٩ - *«ملقى السبيل» للمعرى ط* ١٩١١ .

ومن النوع الثانى:

١ - *«بساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق» ط* ١٩١١ .
٢ - *الامام المازرى ط* ١٩٥٥ .
٣ - *«مجمل تاريخ الادب التونسى» ط* ١٩٦٨ .
٤ - *«شهيرات التونسيات» ط* ١٩٣٤ و١٩٦٦ .
٥ - *«ورقات عن الحضارة العربية بافريقية» جزآن ط* ١٩٦٣ و١٩٦٦ .

عهد الاستقلال الحديث

وهذه الكتب الثلاثة الاخيرة قد صدرت مع رحلة التجانى فى عهد الاستقلال وهذا يدعونا الى ان نختم جولتنا بعرض ما تم انجازه فى عهد الاستقلال من مشاريع وكتب تتصل بتراثنا تحقيقا ونشرا مع الملاحظة بان السنوات الخمس الاولى من الاستقلال قد انصرفت فيها كل الجهود الى تجسيم مظاهر الاستقلال وتحقيق الجلاء وهذا ما جعل النشاط الرسمى فى ميدان احياء التراث يتأخر بعض الشىء غير ان تدارك ذلك قد وقع بالتدريج فى السنوات اللاحقة فقد ظهرت باكورة انتاج وزارة الثقافة عام ٦٣، بنشرها تباعا كتاب «**اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان**» لاحمد بن أبى الضياف فى ثمانية اجزاء وهناك كتب اخرى اصدرها (المعهد القومى للآثار) قبل هذا التاريخ اى بين اعوام ٥٧-١٩٦٢ حين كان يديره العلامة المرحوم حسن حسنى عبد الوهاب فقد نشر المعهد المذكور مجموعة من الكتب عربية وفرنسية من اهمها «رحلة التجانى» و«مؤنس الاحبة فى اخبار جربة» المنسوب لمحمد أبو رأس الجربى وكتاب عن «نقائش القرجانى» وآخر عن «نقائش المنستير».

●● وابتداء من عام ١٩٦٥ اناطت وزارة الثقافة بتونس مهمة نشر التراث الى الدار التونسية للنشر فأصدرت بعض الكتب العامة منها:

١ - الجزء الاول من «القسم المغربى من خريدة القصر» للعماد الاصفهانى.
٢ - «الفارسية فى مبادىء الدولة الحفصية» لابن القنفذ.

٣ ـ الواضح فى مشكلات شعر المتنبى» لأبى القاسم الاصفهانى.
٤ ـ «سياسة الصبيان» للطبيب احمد بن الجزار القيروانى.
٥ ـ «طبقات علماء افريقية وتونس» لأبى العرب.

أما الناشرون الخواص بتونس فقد نشروا كتبا اخرى من التراث اهمها ما نشرته مكتبة المنار وهو:
١ ـ «اشعار ابى الحسن على الحصرى» للشاعر القيروانى الضرير.
٢ ـ «جيش التوشيح» لابن الخطيب.
٣ ـ «ورقات عن الحضارة العربية بافريقية» لحسن حسنى عبد الوهاب، الجزآن الاول والثانى.

● كذلك نشرت المكتبة العتيقة بتونس أربعة كتب من تراث تونس والاندلس وهى:
١ ـ «تاريخ الدولتين» للزركشى.
٢ ـ «قلائد العقيان» للفتح بن خاقان الاندلسى.
٣ ـ «المؤنس فى اخبار افريقية وتونس» لابن أبى دينار.
٤ ـ «فهرست الشيخ الرصاع».

الا ان طبع واخراج هذه الكتب كان رديئا للغاية ومحشوا بالاخطاء المطبعية كما رتبت فيها الفهارس بطريقة غير علمية مع العلم بان الكتب الثلاثة الاولى قد سبق طبعها فى تونس او باريس بعناية افضل وطبع أليق وأتقن.

ونشرت دار الكتب الشرقية كتاب «منهاج البلغاء» لحازم القرطاجنى وهو من تحقيق الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة.

ونضيف الى هذا كله نشاط بعض المحققين التونسيين الذين ساهموا فى خدمة التراث العربى عامة والمغربى بوجه خاص سواء بتحقيق الكتب او بوضع الابحاث والفهارس حولها.

ومن ابرز العاملين فى هذا النشاط الاستاذ «ابراهيم شبوح» الذى نشر من كتب التراث او من الفهارس والبحوث حولها:

● وجوه ثقافية ●



● ابو شامة المقدسى، عبد الرحمن بن اسماعيل:

(١٢٠٣-١٢٦٨) لغوى ومحدث ومؤرخ ولد ومات بدمشق ودرس اللغة والفقه بها وبالاسكندرية ولى مشيخة دار الحديث للاشرفية بدمشق وأدى لسانه اللاذع الى ان دخل عليه اثنان يتظاهران باستفتائه فضرباه فمرض ومات أو قتله جمهور غاضب لاتهامه باحدى الجرائم. الف عدّة كتب، مثل: «الروضتين فى اخبار الدولتين» ترجم فيه لصلاح الدين ونور الدين و«ذيل الروضتين» و«مختصر تاريخ دمشق» و«الممتع المقتضب فى سيرة خير العجم والعرب» فى التاريخ و«المرشد الوجيز الى علوم تتعلق بالكتاب العزيز» و«البسملة» و«ابرز المعانى فى شرح حرز الأمانى فى علوم القرآن و«شرح البردة» و«المقاصد السنية فى شرح القصائد النبوية» فى اللغة.

١ ـ الجزء الاول من «معالم الايمان فى معرفة اهل القيروان» للدباغ.

٢ ـ «برنامج شيوخ الرعينى الاشبيلى».

٣ ـ «فهرس كتب الطب المصورة فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة».

٤ ـ «سجل قديم لمكتبة جامع القيروان».

هذه لمحة عن وضعية تراثنا تحقيقا ونشرا فى عهد الاستقلال ولم نتعرض الى عشرات الكتب الحديثة التى طبعت فى السنوات العشر الماضية اذ لا صلة لها بموضوعنا كما اننا لم نتقص كل كتاب طبع بل غرضنا اعطاء صورة عامة.

خطوات نحو المستقبل

ونود فى النهاية ان نختم هذه العجالة باستكمال جوانب اخرى تتصل بالتراث وذات اهمية قصوى للباحثين والمهتمين به.

واول هذه الجوانب ان تراث تونس بل المغرب العربى كافة ـ بما فيه تراث اجدادنا فى الاندلس وصقلية ـ لا يزال مشتتا فى جميع انحاء العالم. وان الشأن يدعو ان تنهض الحكومات المغربية منفردة او مجتمعة الى جمعه بواسطة الشراء او التصوير وهذا يقتضى ايجاد مركز مشترك او معهد خاص يضم نفائس تراثنا ويحتوى على مصور لكل مخطوط مهما كان حجمه وكانت اهميته.

وقد بدأت تونس خطوة اولى نحو هذه الغاية حيث صدر امر جمهورى يقضى بلم شتات المخطوطات المفرقة فى الجوامع والمكتبات الحكومية والزوايا لتجمع فى مكان واحد هو الآن دار الكتب الوطنية التى ينتظر ان تضم زهاء اربعين الف مخطوط.

غير اننا نلاحظ ان القانون ـ او الامر الجمهورى ـ لم يتعرض بشىء لمكتبات الخواص لهذا فان الشأن يدعو ايضا إلى اصدار امر آخر يحمى تراثنا ووثائقنا القومية بحيث يمنع الافراد المالكون لها من بيعها الى الاجانب او تحويلها الى جهة اخرى دون علم السلطة المعنية.

كذلك ينبغى ان ينص هذا القانون على اتاحة الفرصة امام الباحثين للاستفادة مما يملكه الخواص من وثائق ومخطوطات وهذا لا يكون الا بعد تصويرها او تسجيلها لدى المؤسسات المعنية.

ويطيب لى هنا ان انوه بوجه خاص بالجهود التى بذلها الاشقاء فى المغرب الاقصى لا سيما فى جمع التراث وفهرسته والتعريف به فى المجلات والعمل على تحقيق عيونه ونشرها بين الناس.

---

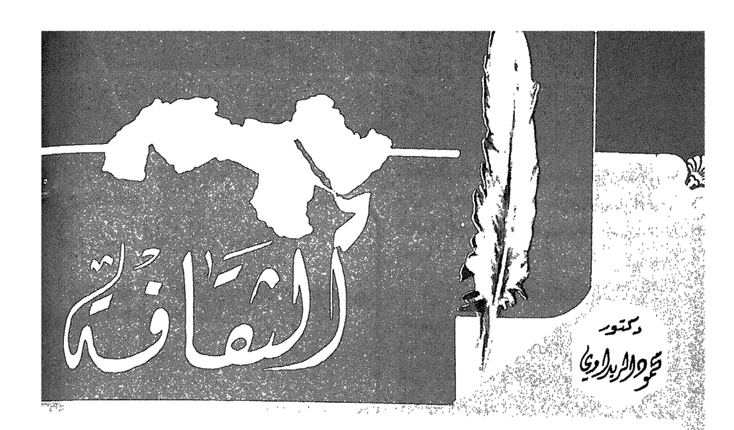
(١) الاول من المغرب الاقصى والثانى من الجزائر والثالث من تونس والرابع من ليبيا وكلهم من ذوى الشهرة والصيت وفى غنى عن كل تعريف.

(٢) راجع عنه: معجم المؤلفين ج: ١١ ص: ٨٢ والاعلام ج: ٧ ص: ٢٠٩ ومجلة كلية آداب الاسكندرية م٢ (١٩٤٤) ص: ١٧٩-٢٢١.

(٣) راجع عنه معجم المؤلفين: ٤ ص: ٨٠ ـ الاعلام ج: ٢ ـ ص: ٣١٣،.

(٤) انظر عن هذا الدستور وظروفه ونصه كتاب «الدستور التونسى» لزين العابدين السنوسى ط٢ ـ تونس ١٩٥٥.

(٥) راجع تفاصيل ما طبعته المطبعة الرسمية قبل الحماية فى: (المجلة الزيتونية) م٤ ـ ج: ٥ ـ ص: ١٩ ـ ٢٦ ومجلة ابلا عدد: ٩٨ ـ ص: ١٤٧-١٧٣.



يحار المرء إذا ما عزم على الكتابة فى ثقافة الجزائر هذا القطر الذى يحتل واسطة العقد فى بلدان شمال افريقيه.. وما سبب الحيرة إلا أن هذا القطر قد شهد مجموعة كبيرة من الحضارات التى تناوبت عليه بدءاً من حضارة الفينيقيين والرومان والعرب والعثمانيين وانتهاء بالحضارة الفرنسية، ولعله من البديهى جداً أن هذه الحضارات قد تركت كل واحدة منها بصماتها الثقافية على صفحة أديم هذا القطر.

فإذا أضفنا الى هذا أن الجزائر بلد «متوسطى» أى من البلدان التى تشرف على حوض البحر الأبيض المتوسط، هذا البحر الذى كان مهد الحضارات الأولى ونقطة انبثاقها، ولما كانت الجزائر تحتل مراكزاً ممتازاً على سواحله لقربها من قارات الحضارة القديمة الثلاث: **افريقية وآسية وأوروبة**، أدركنا غنى الصورة الثقافية التى يجب أن تكون عليها ثقافة الجزائر اليوم.

وإذا أضفنا الى كل ذلك أن واحدة من هذه الحضارات وهى الحضارة العربية الاسلامية التى طبعت الجزائر بطابعها النهائى كانت هى بحد ذاتها ثرية الأشكال الحضارية.. متعددة الجوانب الثقافية.. ففضلاً عما حملته جيوش الفتح الاسلامى التى قادها عقبة بن نافع والموجات التى جاءت بعده عاشت الجزائر فترة من الحكم الأموى فالعباسى وفى هذه الفترة نشأت فيها حضارات تفرعت عن دوحة الحضارة المشرقية كحضارة الرستميين فى (تبهرت) وحضارة الحماديين فى (القلعة) وحضارة الحفصيين فى (قسنطينة) أضف الى ذلك ما خلفه بنوزيزى وبنوزيان من صور حضارية..

هذا فضلا عما اصطبغت به الجزائر من حضارتين اسلاميتين كبيرتين تركتا على أرضها بصمات واضحة وغنى ثقافياً وفكرياً هما حضارتا المرابطين والموحدين.. كل ذلك يدل على أن الثقافة العربية الاسلامية قد ضربت جذورها وطبعت السكان بطابعها حتى السكان الاصليين كالقبائل البربرية التى دانت ـ نهائيا بالاسلام، وحرصت

العربية فى الجزائر

على تقبل القرآن وما يدور فى فلكه من ثقافة عربية إسلامية.

فإذا تذكرنا أنه تعايشت على أرض الجزائر مجموعة من الشعوب العريقة كالعرب الذين وفدوا مع جيوش عقبة بن نافع وتقابعوا على شكل هجرات تحمل موجات بشرية كبنى هلال وبنى سليم وتفاعلوا مع القبائل الأصلية للبربر وانضاف اليهم الوافدون من الاندلس بعد سقوطها من أيدى العرب وتوضع فيها (الكرفل وهم الهجناء من والدّين من اصل عربى وتركى و(المولدون وهم الهجناء من والدين من اصل عربى وأوروبى) مع شريحة قليلة من عناصر السكان الاسبان والطليان والفرنسيين إذا تذكرنا كل ذلك أدركنا أية ثقافات تمازجت وتشابكت وتداخلت على أرض الجزائر.

أمام كل هذه التراكمات الثقافية يقف المرء حائراً يتلمس قدمه موطىء الخطوة الأولى التى هى بداية مسيرة (الألف عام) من الإرث الثقافى فى الجزائر. .

كل هذا يصور جانباً واحداً من مشكلة استعراض الحياة الثقافية فى الجزائر وثمة وجه آخر لتلك المشكلة يتمثل فى الحديث عن مفهوم عناصر الثقافة ومقوماتها وبصيغة أخرى ما هى العناصر التى يتكون منها مفهوم الثقافة أو يحتويها مضمونها؟ وفى هذا المجال لا أحبّ أن استعرض التعريفات المختلفة لمفهوم (الثقافة) وانما حسبى أن أقول إن الثقافة تعنى فى المصطلح التقليدى (الكلاسيكى) حصيلة نتاج التعليم والتربية فى مجتمع ما بكل مستويات هذا التعليم الدنيا والعليا وحصيلة نتاج الآداب والفنون. . الآداب بفرعيها الكبيرين المنثور والمنظوم وبالأجناس الأدبية كلها من شعر وقصة ومسرحية ومقالة وخطابة وكذلك الفنون من نحت وتصوير وموسيقى وسائر الفنون التشكيلية والجميلة. . ويدخل فى عناصر ثقافة أمةٍ ماتفرزه وسائل إعلامها من مكتوب ومنطوق وأعنى بذلك الصحافة والاذاعة والتلفزة زد على كل ذلك المتاحف ومواطن الآثار و(الفلكلور الشعبى) فإذا ضممت إلى كل هذا العادات والتقاليد وأنماط العيش الأخرى ادركت اتساع المفهوم العام للثقافة بهذا المصطلح التقليدى.

ولرُبَّ مقترح يقترح علينا الاقتصار على جانب واحد من عناصر مقومات الثقافة فى الجزائر واستعراضه تاريخياً بدلاً من الدخول فى زحمة هذه العناصر المتداخلة المتشابكة. . والحقيقة أن هذا الاقتراح هو لسان حال إحساسى وأنا أقدم على كتابة هذا الموضوع شاعراً بالتبعة الضخمة الملقاة على عاتقى من جراء محاولة الاحاطة بموضوع متشعب الجوانب متعدد الأبعاد وخاصة البعد العمودى، أقصد التاريخى والبعد الأفقى أقصد الاجتماعى. . ولكنى عدلت عن هذا الإحساس الذى يتناول بحث مشكلة واحدة إلى المنهج الذى يعمد الى اعطاء نظرة شمولية (بانورامية) للثقافة الجزائرية فى بُعْدَيْها الأفقى والعمودى. . مسوغى فى ذلك إيمانى بأن ثقافة هذا الجزء القصى من الوطن العربى بجناحه الغربى المتمثل بثقافة شمالى إفريقية ليست الرؤية عنها واضحة فى ذهن المثقف الذى يعيش فى المشرق العربى. . وقد يبدو اختيارى للنظرة الشمولية أشد حاجة للانسان الخليجى الذى حجبت عنه مظاهر الثقافة المغربية طوال فترات احتلال الاجنبى لبلدان المغرب العربى عامة والجزائر خاصة التى كان حظها من هذا الاحتلال فترة وصلت إلى قرن وثلث القرن.

ولابد من الاعتراف بأننى أكتب ما اكتبه الآن وأنا بعيد عن مراجعى ومصادرى فى الموضوع واعتمادى فيه على الذاكرة التى قد تخون المرء أحيانا. . فلذا سمحت لنفسى أن اكتب ما أكتب معتمداً مرة على ما سطرته أقلام بعض المثقفين الجزائريين ومعتمداً مرات أخرى على الذاكرة راجياً من الله الا يوقعنا فى الزلل.

ونظرا لسعة آفاق الموضوع وتشعب أبعاده فإننى سأقتصر من حديثى على ثقافة الجزائر على فترتين من تاريخها الثقافى الطويل:

الاولى: الثقافة الجزائرية فى ظل الاستعمار الفرنسى.

الثانية: الثقافة الجزائرية فى ظل الاستقلال. . وتمتد هذه الفترة من قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادى الى ما بعد منتصف القرن العُشرين أى ما يواكب القرن الرابع عشر الهجرى ولا يزيد عنه إلا فى القليل.

ترجع بدايات الحديث عن ثقافة الجزائر الى أواخر العهد التركى فيها فالعثمانيون لم تكن لهم ثقافة عريقة يفرضون أنماطها على الأمم التى دخلت فى امبراطوريتهم، لذلك لم يكونوا يتدخلون فى توجيه الحياة الثقافية فى البلدان التابعة لهم، فامتازت الثقافة طوال أيامهم بالجمود ولما غزت فرنسا الجزائر وجدت الساحة الثقافية شبه خالية إلا من رواسب الثقافة العربية والاسلامية التى اصطنعها بعض المثقفين بحكم الوراثة وتحلت بالقيم الاسلامية وما يتفرع عنها من عادات وتقاليد وفنون محلية ومؤلفات فى بعض مذاهب الفقه المالكى بشكل خاص ومصنفات فى الشعر والنثر والتاريخ وبعض علوم العصر.

وعلى الرغم من أن شمالى افريقية كان فيها مراكز إشعاع ثقافى كبيرة دان لها العالم فى القرون الوسطى كالأزهر والزيتونة والقيروان والقرويين وتناثرت مراكز الاشعاع الثقافى هذه على امتداد الساحل المتوسطى ووقفت منارات اشعاع عملاقة

لفترة طويلة من الزمن إلا أنها ـ فى الفترة التى نتحدث عنها ـ أخذ اشعاعها فى الخفوت ومال نجمها نحو الأفول وعلى الرغم من أن الجزائر تقع بين الزيتونة والقيروان شرقيها والقرويين غربيها إلا أنها لم يكن فيها مركز عملاق كهذه المراكز الثقافية يعطيها لونها الثقافى ويحميها من أى غزو ثقافى وافد . . ورغبة فى إعطاء صورة تقريبية عن واقع الثقافة فى الجزائر فى إبان فترة الاستعمار نقسم عهد الاستعمار الى فترتين متمايزيتين فى لون الثقافة .

الاولى : فترة ما بين أوائل الاحتلال الى سنوات الحرب العالمية الأولى .

الثانية : تمتد من سنوات ما بعد الحرب العالمية الأولى الى قيام الثورة الجزائرية فالاستقلال . واعتقد انه من المسلم به أن الاحداث التاريخية ليست فواصل حقيقية للتبدلات الثقافية وإنما هى مؤشرات تصلح للاستئناس بها ، صحيح أن التبدلات الثقافية تتأثر إلى حد كبير بالتبدلات السياسية ولكنها غالباً ما تتأخر عنها لفترة قد تطول وقد تقصر لأن الثقافة تستغرق بعض الوقت حتى تقف على سوقها وتستكمل نضجها وبالتالى حتى تؤتى أكلها ومثل ذلك يقال عن انحسار ظل الثقافة الغازية بعد رحيل الجيوش والأفراد الذين حملوها وهذا ما يفسر المقولة التى تقول «**إن تحرك الثقافة تحرك بطىء**» .

وأظن أنه من نافلة القول أن نعيد للأذهان أن فرنسا قد احتلت الجزائر حوالى سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٣٠م وبعد استكمال احتلال البلاد شهدت الجزائر صراعاً حاداً بين الثقافة الفرنسية المغزوَّة والثقافة الاسلامية المغزوَّة وانتهى هذا الصراع لصالح الثقافة الفرنسية .

ولذا ما أن استكانت الجيوش ووضعت الحرب اوزارها حتى اسرع المثقفون الفرنسيون يغرسون ثقافتهم فحملوا معهم أرتالا من المستشرقين ورجال الفكر تعضدهم المطابع والتراجمة . . تماماً كما فعل نابليون فى حملته على مصر قبل ثلث قرن ومنذ السنوات الأولى شرعت المطابع تطبع

مطبوعات باللغة العربية كالجرائد لمخاطبة الجماهير التى كانت حتى وقتذاك لا تعرف إلا العربية وشيئاً من التركية ولكن التركية ليست بذات بال وأخذ التراجمة يقومون بدور الوسيط بين الحاكم والمحكوم، وراح المستشرقون يقومون بدراسة الآثار التى خلفتها الأمم التى تعاقبت على حكم الجزائر ووقفوا فى دراستهم عند جانب ثرىٍّ . . من هذه الآثار هى الآثار الاسلامية.

فى هذا الجو كانت هناك طائفة محلية من المثقفين الجزائريين قد تلقت تعليمها وثقافتها التقليدية فى العهد العثمانى ولم يكن بمقدور هذه الفئة ان تتمثل الثقافة الفرنسية الجديدة ونظرا لأن هذه الفئة لم تستطع تمثل الثقافة الوافدة والتعايش معها فقد آثرت الرحيل من الجزائر فكانت هجرة بعض العلماء مع الأمير عبد القادر إلى المشرق . . وتوضّع قسم كبير منهم فى بلاد الشام ثم لما تمكن الاستعمار من الجزائر أرغم هؤلاء الذين لم يطوعوا أنفسهم لثقافته على الهجرة أيضا فإذا أضفنا إلى ذلك أن موقف الفرنسيين من الثقافة الاسلامية كان موقفاً عدائياً أدركنا لماذا أخذوا فى هدم المساجد والكتاتيب والزوايا والأوقاف الاسلامية وكلها كانت منبع إشعاع ثقافى تنشر الثقافة الاسلامية وتقوم بتعميم التعليم وامتدت يد الغازين الى المكتبات العامة والخاصة فصادرتها مثل مكتبات أعلام الثقافة الجزائرية فى ذلك العصر كالامير عبد القادر وابن الفكون وباش ترزى ولم تسلم منهم مكتبات المساجد كالتى كانت فى مسجد تلمسان ومعسكر وقسنطينة فنقلت مخطوطاتها ونفائسها الى فرنسا وتوزعتها المكتبات العامة ومكتبات الأفراد . . ومن أعلام المثقفين فى هذه الفترة الأمير عبد القادر الجزائرى وحمدان خوجة الكاتب الدينى الاجتماعى صاحب كتاب (المرأة) وابن العنّابى صاحب كتاب **(السعى المحمود فى نظام الجنود)** والفقيه الشاعر ابن الكبابطى والكاتب قدور بن رويلة صاحب كتاب **(وشاح الكتائب)** الذى هاجر أخيراً الى الشام وتوفى فيها سنة ١٨٥٥.

وتلت هذه المرحلة التأسيسية بالنسبة للاستعمار مرحلة أخرى كانت كارثة على الثقافة الوطنية وتميزت بأنها أضعف الفترات الثقافية انتاجاً وأقلها ولاء للوطن وفيها تنبه الفرنسيّون إلى وجوب استبقاء بعض العناصر المثقفة المحلية وكسب ودّها وخاصة أن المحتلين كانوا قد تمكنوا من حكم الأهلين تمكنا لا يُخشى معه نشوء خطر من مثل هؤلاء فعمدت فرنسا الى اصطناع هؤلاء واختبار بعض النابهين منهم بعد أن يلمحوا فيهم إتقان الفرنسية فيرسلونهم الى فرنسا لاستكمال ثقافتهم، وهناك يقومون بجولات اطلاعية ويحضرون حفلات منظمة ويزورون المتاحف والمعارض والنوادى ثم يرتدّون الى بلدهم وهم مبهورون بالثقافة الفرنسية ويلهجون بذكر تقدم فرنسا ومحاسن أخلاق أهلها فتكون النتيجة أن المستعمر بصنيعه هذا ـ قد كسب هذه الطائفة من المثقفين وسخّر طاقتهم بعد ذلك للتأثير على بقية السكان الجزائريين.

وفى هذه الفترة تمكن الفرنسيون من احتكار التعليم والاشراف على توجيه المناصب الدينية



● وجـوه ثقافيـة ●

ايليا ابو ماضى:

(١٨٨٩-١٩٤٧) شاعر عربى مهاجر ولد فى لبنان وانتقل فى صباه الى مصر ثم هاجر الى الولايات المتحدة واقام بها الى ان مات. شارك فى نشـاط «الـرابطـة القلمية» واسس صحيفة «السمير» العربية فى نيويورك. ظهر اول دواوينه «تذكار الماضى» فى الاسكندرية ١٩١١، ودواوينـه الثلاثة التالية فى امريكا: «ديوان ايليا أبو ماضى» ١٩١٦ و«الجداول» ١٩٢٧ و«الخمائل» ١٩٤٦ والأخيران على الخصوص يضمان انضج شعره الذى يهيمن عليه نوع من الايمان بالحب والحيرة والحزن الشائعة فى الأدب المهجرى.

وهما المجالان الوحيدان للظهور بالنسبة لأصحاب الثقافة العربية. لهذا لم تعد المدرسة طليقة لتؤدى رسالتها العـربيـة أو الاسلامية، اللهم إلا اذا استثنينـا ما يقـوم به (الكتّـاب) - أى (المسجد) والعـوام يُحوِّرون اللفظـة فيجعلونهـا: (مِسيـد) وتعنى المدرسة - وما زالت اللفظة مستعملة - بهذا المعنى - حتى اليـوم) من دور فى تحفيـظ القرآن الكريم على الطريقة التقليدية، فظل (الكتّاب) بطـريقتـه التقليدية يعمل بجانب المدارس التى أسسهـا الفرنسيّون من ابتدائية ومتوسطة وثانوية وهذه أخذ يرتادها أبناء سراة القوم وتكرّم المستَعْمِر فأدخل مادة اللغة العربية فى بعض المدارس مثل مدارس الجزائر العاصمة وتلمسان وقسنطينة.

وفى عام ١٨٥٠ أنشئت ثلاث مدارس فى هذه المـدن الثـلاث لتحتضن الـدراسات التقليدية ولكن هدفها تخريج موظفين تحتاج اليهم الادارة الفـرنسيـة كالقضـاة ورجال الافتـاء والـتراجمـة ومدرسى اللغة العربية والديانة وكان الذين يشرفون على سير هذه المـدارس من المستشرقين الفرنسيين الذين يعرفون بعض قواعد اللغة العربية ويلمون ببعض الأشعـار والأمثال والخطب وكان - طبعـاً - ينقصهم الـذوق الأدبى والمعـرفة بجـماليـات اللغـة وكـانـوا يعلمون الناس العـربيـة - لا حبـاً بالعـربيـة ذاتها - وإنما ليخلقوا جيلاً من الموظفين يشكلون قنوات اتصـال بين الحاكم والمحكوم ليس إلا..

وهذا ما جعل ملكة الشعر والكتابة الفنية تضعف أكثـر من العهـد العثـمانى وترتب على هذا خلو ميـدان الشعـر من شاعـر يتمتع بالأصالة.

ومن الأسماء التى يقع عليها المرء وتمثل الثقافة فى هذه الفترة وتتصف بهذا اللون الذى وصفناه:

«الشاذلى القسنطينى وابن موسى والعنترى وأبو حامد المشرفى وابن الحفاف والعمالى ويوقندورة وابن العطار والشاعر الطيب بن المختار ومحمد بن على التلمسانى».

وفى هذه الظروف المتردية والممعنة فى التضييق على الثقافة الاسلامية واللغة العربية وآدابها لا نتوقع - أبدا - ازدهاراً للأدب وإنما هو نثر ركيك وشعر تقليدى ظل يدور فى فلك الأغراض القديمة كالرثاء والمدح وخاصة مدح القادة الفرنسيين كما فعل ابن الفكون وابن صيام وابن القاضى بالاضافة الى شيىء من المدائح النبوية فى الفترات التى سبقت هذه الفترة.. وهنا بزغ نجم الأدب الشعبى وضَمُرَ الانتاج باللغة الفصحى وأصبح الشعر الملحون (العامى) يزاحم الفصيح ونشطت الصحافة المكتوبة باللغة الفرنسية ومن قدر له أن يطلع على الصحيفة الوحيدة التى كانت تكتب بالعربية وهى صحيفة (المبشر) التى أنشأها الفرنسيون سنة ١٨٤٨م يدرك تدنى لغة الصحافة ولكن ذلك ليس بغريب لأن الفرنسيين عمدوا إلى اصدارها لتكون وسيلة لنشر الاعلانات والمراسيم والتعيينات والقرارات الرسمية بأسلوب ركيك وعبارات مترجمة تخلو من كل ذوق وفن.. وقد خلت الجزائر فى هذه الفترة من النوادى الأدبية ولذلك غدت هذه الفترة فترة انحطاط فكرى وثقافى وضمور للغة العربية الفصحى والأدب المقول فيها.

وفى مطلع القرن العشرين عُينَ (مسيو كونار) والياً فرنسياً على الجزائر وقد كان تعيينه حدثاً سياسياً كبيراً ترتب عليه تبدل فى السياسة الثقافية إذ عمل هذا الرجل على رد بعض ما استلب من الشخصية الجزائرية والثقافة الجزائرية فعمل على ابقاء الشخصية العربية الاسلامية للجزائر كما شجع على بعث فن العمارة الاسلامى واحياء التراث المكتوب ورد للمساجد دورها فى تعليم الدين واللغة العربية.. ولما ظهرت فى المشرق حركة الجامعة الاسلامية التى تزعمها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده حاربها الانكليز فى مصر ورحب بها الفرنسيون واجتذبوا الشيخ محمد عبده لزيارة الجزائر وقد لبى هذا العرض فكان لزيارته للمغرب العربى أثر كبير على الثقافة فيه كما سمح الفرنسيون لمجلة (المنار) لسان حال محمد عبده وجماعته بالدخول الى الجزائر فغدت هذه المجلة - كما وصفها الدكتور أبو القاسم سعد الله - مدرسة اصلاحية متنقلة وقد ظهرت فى هذه الفترة نهضة ثقافية ذات طابع اسلامى نجدها فى الصحافة الوطنية. وفى مجموعة من النوادى والجمعيات الثقافية وفى حركة التأليف والترجمة وتحقيق كتب التراث ونشرها.

ومن مثقفى هذه الفترة أبو القاسم الحفناوى وعبد الرحمن التلمسانى وابن أبى شنب والشيخ عبد القادر المجاوى والمولود بن الموهوب وقد كان لدخول مجلة (المنار) الى الجزائر فضل بعث الصحافة الجزائرية فازدهرت الصحافة العربية ونشأ نثر صحفى هو مزيج من الأفكار الأصيلة والمترجمة.. كانت الصحافة تنقل خطب رجال

الفكر الذين يلقون خطبهم وأفكارهم ومحاضراتهم فى النـوادى والجمعيـات . . من هذه الصحف جريـدة (كـوكب افريقية) وجريدة (المغرب) وشـرعت مطبعـة (فونتانا) تطبع الكتب العربية وشاركتها فى ذلك المطبعة الثعالبية التى تخصصت بطبع الكتب الدينية وبعض المصاحف.

بين الحربين

أما الفترة الثقافية الثانية فهى - كما اسلفنا - تمتد من نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩١٨م حتى قيام الثورة الجزائرية سنة ١٩٥٤م وهنا تبرز على الساحة السياسية والثقافية حركة كان لها أثر كبير



ومـن النوادى الجديرة بالذكر فى هذه الحقبة نادى (صالح باى) فى قسنطينة والجمعية التوفيقية والجمعية الرشيدية فى العاصمة.

وأما حالة الشعر فى هذه الفترة فلم تكن أحسن حالا منها فى الفترة السابقة فقد كتب فيه المجاوى وابن الموهوب وكحول وهؤلاء هم الذين اسهموا فى النثر ايضاً وكانت فى النثر مدرستان متمايزتان : الأولى تسـير على الأنـماط القديمة الموروثة من العصـور المتأخـرة التى عمادها الجملة المسجوعة وتـوخى الألفـاظ الغـريبـة والرواسم المكررة . . والثانية أطلقت الجملة من عقالها ونحت فيها نحو الأساليب العصرية.

فى توجيـه الأمـور تلكم هى الحركة الاصلاحية الـواسعـة التى تزعمها (الشيخ عبد الحميد ابن باديس) فإذا اعرضنا عن الجانب السياسى منها إذ ليس من شأننـا الحديث عنه فإننا سنقف طويلاً عند الجانب الثقافى.

بدأت حركة (ابن باديس) قبل الحرب العالمية الأولى وكانت تهدف الى نشر التعليم ثم توقفت إبـان الحرب واستؤنفت بعدها بعد أن تزود ابن باديس بثقـافـة جديـدة تعلمهـا خلال زيـارتـه للمشـرق وفى المشرق التقى ابن باديس برفيقى الجهاد البشير الابراهيمى والطيب العقبى واتفقوا وهم فى الحجـاز على العودة إلى الجزائر والقيام بنهضة فيها تهدف الى نشر التعليم واحياء اللغة

العربية وبث الاصلاح الديني والاجتماعي . .
وقد سبق ابن باديس الى العودة الى الجزائر ثم لحقه الشيخ العقبى قادماً من الحجاز والشيخ الابراهيمي قادماً من سوريا وتوزعوا مراكز النشاط حيث استقر ابن باديس في (قسنطينة) التي كانت بوابة الجزائر على الشرق وعلى منبعين من منابع الثقافة العربية والاسلامية هما جامع الزيتونة والقيروان. أما العقبى فقد استقر في (بسكرة) واتخذ من المسجد منبراً لبث أفكاره فهاجم الطرقية والمتصوفة والشعوذة والخرافات والمتاجرة بالدين ودعا الى السلفية والاسلام المنقى القائم على العلم والقوة والكرامة وقد استفاد العقبى من وجوده في الحجاز فتشبع بدعوة (محمد بن عبد الوهاب) فلما رجع الى بلاده امتزجت بسلوكه الديني واصلاحه الاجتماعي .

وقد التف حوله مجموعة المثقفين في الشرق الجزائري مثل الشاعر محمد العيد آل خليفة والأمين العمودي والهادي السنوسي أما البشير الابراهيمي فقد تولى قيادة العلماء بعد الحرب العالمية الثانية وأصدر جريدة (**البصائر**) من جديد في مدينة الجزائر وتأسس في هذه الآونة (**معهد ابن باديس**) **بقسنطينة** و(**دار الحديث**) بتلمسان التي أشرف على انشائها الابراهيمي وربط الابراهيمي بين حركته وحركة المشرق العربي وأرسل بعثات طلابية الى المشرق العربي وتوجها هو برحلته الى الاقطار العربية والاسلامية يُعرِّف الناس بالجزائر والقضية الجزائرية وكانت (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) في عهده أكثر صلة بالأسرة السعودية في ذلك الزمان.

لنترك (**الدكتور ابو القاسم سعد الله**) يحدثنا عن لون الثقافة في هذه الفترة فيقول: «***أهم ما يميز المدرسة الاصلاحية هو العروبة والشرقية والوطنية والعلمانية أما العروبة فقد عرفت على أيدي أصحاب هذه المدرسة تقدماً كبيراً، ويعود الفضل في طرح هذه القضية على مستوى واسع الى ثقافة الابراهيمي والعقبى في المشرق من جهة واعتناق ابن باديس لفكرة العروبة من جهة اخرى يضاف الى ذلك تبلور مفهوم العروبة في المشرق العربي منذ الحرب العالمية الأولى والتواصل الاعلامي والشخصي بين الجزائر والمشرق في فترة ما بين الحربين***» .

● وبالاضافة الى ما أسسه هؤلاء المثقفون الثلاثة الكبار فقد أسهم مجموعة من المثقفين من رجال الدرجة الثانية كأحمد رضا حوحو والعربي التبسي ومولود الحافظي ومعظمهم أسهم بقلمه في صحف ومجلات الشرق أيضا قبل أن يتصدى للكتابة في الجزائر فكتب العقبى في جريدة (القبلة) في الحجاز وكتب حوحو في مجلة (**المنهل**) وكتب الابراهيمي في عدة صحف شرقية كما كتب الزاهري في مجلة (**الفتح**) وقد أدخلوا الى الجزائر مبادىء الاصلاح الديني التي نادى بها (محمد بن عبد الوهاب) لاسيما العقبى - كما أشرنا - وافكار محمد عبده التي جهر بها الابراهيمي .

وكان همُّ هذه الجمعية بعث الشخصية الجزائرية المتمثلة في الثقافة العربية: «**اللغة . . التقاليد . . الدين . . التعليم**» وقد اتجه المصلحون الى الشباب الذين هم أمل المستقبل فعمدوا الى التعليم والتوعية والتحرر من الأوهام

والخرافات والايمان بالعلم والتقدم.

وقد طبع هؤلاء المصلحون الثقافة فى عصرهم بطابع سيادة البيان العربى وتصفية اللغة من شوائب العجمة بحكم تأثير الثقافة الفرنسية على المواطن وربط الشعب بأمجاده باحياء تراثه عن طريق الكلمة المكتوبة شعراً ونثراً. والكلمة المقولة خطابة ومحاضرة. أما فى حقل القصة والرواية فقد ظهرت مجموعة طيبة من القصص فى العقود الثلاثة بعد الحرب العالمية الأولى كما أسهم المثقفون فى الكتابات التاريخية والاصلاحية وتقدم النقد الأدبى. ولمعت بعض الاسماء فى الشعر مثل محمد العبد آل خليفة ومفدى زكريا وجلواح وحمود ويلحق بهم أحمد سحنون وسعيد الزاهرى.

ولا يستطيع الانسان ان يمر بثقافة هذه الفترة دون أن يشير الى بعض المثقفين الجزائريين الذين كتبوا أدبا ولكن اصطنعوا اللغة الفرنسية لأنها اللغة الوحيدة التى حذقوها كـ(مالك بن نبى ومالك حداد ومحمد ديب وكاتب ياسين وغيرهم كثيرون. و لقد أدرك بعضهم عهد الاستقلال فمنهم من استعصت عليه العربية ومنهم من استعصى عليها ومنهم من فاتته الفصحى فمال الى العامية.

الصحافة الدخيلة والأصيلة

ويجدر بنا أن نقوم بإطلالة على (الصحافة) الوطنية فى هذه الفترة وهى إطلالة سريعة مقتضبة فأول ما يطالعنا من صحافة عهد الاحتلال مجموعة الجرائد التى كانت تصدرها السلطات المحتلة بأيدى رجال فرنسيين مثقفين استقدمتهم ليكونوا الرديف لرجال السياسة والمعوان لهم.. أو هم يقومون بسياسة الجانب الفكرى والثقافى وكان يمثل هذه الفئة مجموعة المستشرقين ومن تعاون معهم من المثقفين المحليين الذين ينطقون جميعا بلسان حال المستعمر ومن جرائدهم: (المبشر) وقد اسلفنا الحديث عنها - **وجريدة (النصيحة ١٩٠٤) و(كوكب افريقية لمحمود كحول ١٩٠٧) و(أخبار الحرب ١٩١٢) و(الاحياء) أصدرتها بمدينة الجزائر العاصمة سيدة فرنسية اسمها «جان ديريو»**. فالملاحظ هنا أن طلائع الصحافة فى الجزائر كانت استعمارية، مما أوجد ردة فعل فى نفوس المثقفين الوطنيين المخلصين فبادروا الى انشاء صحف عربية اسلامية حقيقية منها جريدتا **«الجزائر وذو الفقار»** فى عام ١٩٠٨ و١٩١٣م لعمر راسم و**(الحق الوهرانى) ١٩١١ و(الفاروق)** لعمر بن قدور وكانت هذه واسعة الانتشار وبعيدة الافق وجريدة



(**الاقدام**) للأمير خالد وبعد الحرب العالمية الأولى ولدت الصحافة المعبرة عن الحركة الاصلاحية وكانت (**المنتقد**) **١٩٢٥** فى طليعتها ثم تلتها مجلة الشهاب الاسبوعية **١٩٢٦** وتحولت الى شهرية بعد **١٩٢٩** وهذه استقطبت كل الأقلام التى ستتمخض عنها النهضة الأدبية الجزائرية الحديثة كما صدرت (**صدى الصحراء**) لابن العابد وصدرت جريدة (**الاصلاح**) للطيب العقبى **١٩٢٧** فى بسكرة، ثم توالت مجموعة من الجرائد مثل (**السنة**) و(**الشريعة**) و(**الصراط**) ومن المتوقع أن يكون الاستعمار لها بالمرصاد يسكتها متى شاء ولكن أكثر هذه الصحف تأثيراً فى الثقافة الجزائرية وأطولها عمراً هى «**البصائر**».

الثقافة فى ظل الاستقلال

غداة استقلال الجزائر كثيراً ما كنت تسمع من أفواه المثقفين الجزائريين العبارة التى تقول: «**لقد انتهينا من الجهاد الأصغر وهو تصفية الغزو العسكرى ونستقبل الجهاد الاكبر وهو تصفية الغزو الثقافى**» والحقيقة أن الغزو الثقافى الفرنسى للجزائر لم يرحل برحيل الجيوش المحتلة وإنما ظل جاثما على صدر الجزائر ومتمكنا من نفوس بعض المثقفين الجزائريين..

إنْ صعوبة مقاومة الغزو الثقافى فى الجزائر تكمن فى أن الخصم غير منظــور ولم يبرز فى يوم ما فى ساحة النزال وانما هو مستحكم فى نفوس جيل بأكمله من الجزائريين، شيدته فرنسا فى قرن وثلث القرن فلن يستطيع ربع قرن أن يهدمه ويزيل أنقاضه.. عندما هب الجزائريون لتصفية الغزو العسكرى هبوا هبة رجل واحد فأجهزوا عليه، ولكنهم عندما تصدوا لمقاومة الغزو الثقافى تفرقت بهم السبل فرفع فريق شعار تصفية الغزو الثقافى الفرنسى ونادى هؤلاء بإحلال الثقافة العربية محل الثقافة الفرنسية وذهب فريق آخر الى وجوب استمرار الثقافة الفرنسية محتجين بأن الثقافة العربية لا تقوى على أن تكون البديل الحضارى والصحيح للثقافة الفرنسية وذهب فريق ثالث الى إمكانية الجمع بين الثقافتين الوطنية والدخيلة، وافترض هؤلاء ان جيل ما بعد الاستقلال يكون مرحلة انتقالية تحتاج الى بعض الوقت للعمل على تنمية الثقافة الوطنية التى تزيح بدورها الثقافة الدخيلة وتحل محلها.

إنْ رجال الفريق الأول هم الذين يقفون الآن فى الميدان تعضدهم القرارات السياسية التى تتابعت خلال عقدين من الزمان، فقد صدرت مجموعة قرارات تؤكد على استرجاع الهوية الثقافية الوطنية.. أكثرها كان فى ميدان التعليم الابتدائى والثانوى والأصلى والجامعى وبعضها كان فى وزارات ذات مساس بالجماهير كوزارة العدل والقضاء وكان العنصر الثقافى الذى يحتل الصدارة فى أوليات الثقافة هو (التعريب) لأن التعريب وأداته اللغة هى الوعاء الذى يستوعب الثقافة فى كثير من أشكالها المكتوبة والمسموعة ولذلك ركزت الحكومات التى تتابعت بعد الاستقلال على (التعريب) باعتباره مطلباً وطنياً وجماهيرياً وحتى دينياً ولكن مسيرةالتعريب لم تكن بالشكل الذى يسر الصديق فقد اعترضتها عقبات كثيرة منها:

١ - **الداخلى**: وهذه العقبة ممثلة بالجهاز

الادارى الذى يكاد يصل الى ٨٠٪ من موظفى الدولة الذين تثقفوا ـ فى ظل الاستعمار ـ ثقافة فرنسية خالصة فعندما رحل الاستعمار سنة ١٩٦٢م لم تجد الحكومات المتتابعة بدّاً من الاستعانة بهذه العناصر التى لم تسمح لها ظروفها أن تتثقف بغير الفرنسية وهى تشكل الجهاز الهيكلى والوظيفى للدولة وليس فى حوزة الدولة ولا فى مقدورها أن تشكل (الملاكات والجزائريون يسمونها الاطارات أو الكوادر) الوطنية المعربة التى تلبى الحاجات الوطنية وتسهم فى تغيير الوجه الثقافى للجزائر وعلى الرغم من الجهود الصادقة التى بذلت فى بعض قطاعات الدولة ومؤسساتها فقد نجح التعريب فى بعض القطاعات وأخفق فى القطاعات الأخرى نتيجة اعتبارات تتعلق بأشخاص المنفذين تارة وعدم جدية العناصر التى يقع عليها التعريب تارة أخرى. . وهناك وهم خاطىء وسوس فى أذهان حملة الثقافة الفرنسية خلاصته أن التعريب الذى يزحف اليهم سيفقدهم مراكزهم ويمتد الى لقمة عيشهم فلذلك قاوموه ورفضوه فى السر وإن لم يستطيعوا رفضه فى العلن ـ ولو علم هؤلاء أن الجزائر بحاجة إلى كل طاقة وطنية وأنها مازالت بحاجة الى جهود المتعاونين والمتعاقدين لخففوا كثيراً من غلوائهم ولما وقفوا حجر عثرة فى طريق التعريب، هذا مع العلم أن الجزائر أحست أن هؤلاء الوطنيين المقاومين للتعريب يشكلون كتلة كبيرة فى حجم الملاك الوظيفى لا يمكن الاستغناء عنه لتمتعه بالخبرة والمعرفة الوظيفية، لذا سنت الحكومة مجموعة من القرارات هدفها تعريب لسان وقلم هذه الكتلة الوظيفية الهائلة لتضم جهدها وفاعلياتها وتغرّد مع السرب المعرَّب فتخطو خطوة ايجابية فى التخلص من التبعية الثقافية. . وعرضت الدولة على هؤلاء الحوافز والمغريات المادية والمعنوية ولكن نفراً من هؤلاء ظل يجدف فى التيار المعادى لحركة التعريب إلا أن الدولة شعرت أن هذه الفئة آخذة فى الضمور والتلاشى بحتمية الزمن ومصيرها الى الزوال لتحل محلها عناصر شابة مثقفة ثقافة عربية ولذلك سكتت الحكومة عن المحاولات المستمرة لمعالجتها.

ولعله من أهم ركائز الثقافة «**قطاع التعليم**» والحقيقة أن دولة الجزائر منذ تكونت تطلعت أول ما تطلعت الى قطاع التعليم وتعريب التعليم فأولته عناية فائقة وتوالى مجموعة من وزراء التعليم الابتدائى والثانوى والعالى والأصلى ـ كانوا متحمسين لعملية التعليم وتعريبها ـ حماساً منقطع النظير فأتى هذا الحماس أكله وقد أسهمت فى دفع عجلة تعريب التعليم الى الأمام جهود جاءت من الخارج من البلاد العربية التى بهرتها ثورة المليون ونصف شهيد فوجدت أن الواجب القومى يملى عليها الوقوف بجانبها فى فترة السلم كما وقفت بجانبها فى فترة الحرب ولهذا تدافعت على الجزائر جيوش المعلمين الذين قدموا من الاقطار العربية المختلفة. واذا أحببنا ان ننقد أنفسنا نقداً ذاتيا فلا يسعنا إلا الاعتراف بأن جيوش المعلمين الذين وصلوا الى الجزائر من الأصقاع العربية لم يكونوا بمستوى الطموح الذى كانت ترجوه الجزائر ذلك أن الكثرة الكاثرة من هؤلاء ليسوا خريجى معاهد تربوية أو مؤسسات ثقافية راقية لذلك كانوا يحملون رسالة التعريب ولكنهم لم يكونوا حملة

رسالة ثقافة ولذلك نعترف بأنهم لم يكونوا البديل الحسن للمثقف الفرنسى الذى حلوا محله أو ربما تعايشوا معه فى مدرسة واحدة لأن الجزائر اضطرت ان تستبقى بعض الفرنسيين المؤهلين فى فنون معينة فاستمروا فى المدرسة الجزائرية لسنوات طويلة بعد الاستقلال، هنا كانت تقوم نظرة تقويمية يقوم بها الطالب الجزائرى بين المعلم العربى والمعلم الفرنسى ومقارنة رصيد كل منهما فى الثقافة بالاضافة إلى التعليم. . فإذا أضفنا الى ذلك أن قلة من المعلمين العرب الوافدين كانوا يشعرون بأنهم أصحاب رسالة ثقافية نبيلة تخدم اللغة العربية فإن فرنسا كانت ترسل شبابها وبناتها الذين هم فى سن خدمة العلم ليؤدوا ضريبة تجنيدهم الاجبارى على شكل تعليم للغة الفرنسية والثقافة الفرنسية فى الجزائر وتشعرهم فرنسا بأنهم حملة رسالة الثقافة الفرنسية الى العالم الثالث وتوصيهم بأن يؤدوها خير أداء.

٢ ـ الخارجى: ويتمثل بالمحاولات التى بذلتها فرنسا فى استمرار وجودها الثقافى وتعميق هذا الوجود وهى وإن اعترفت بهزيمتها العسكرية فإنها لم تعترف بهزيمتها الثقافية ولهذا أخذت تغذى وجودها الثقافى من الخارج وما إرسال شبابها وبناتها لأداء خدمة العلم فى تعليم اللغة الفرنسية فى الجزائر إلا من هذا القبيل.

وبالمناسبة فإن عالمنا المعاصر يعيش صراعاً حضارياً عنيفاً تحاول فيه الحضارة القوية أن تغزو الحضارة الضعيفة وأن تسيطر عليها لا أن تحاورها كما يدعو الى هذا (الحوار) ـ بين الحضارات ـ بعض كبار المثقفين الفرنسيين أنفسهم، وفى الوقت الذى تشكو فيه الحضارة الأوربية من غزو الحضارة الأمريكية لها فإنها تجند كل قدراتها الثقافية لتغزو ثقافات أدنى منها. ولهذا فإن الثقافة الفرنسية تتسرب الى المواطن الجزائرى عبر قنوات اتصال كثيرة جداً يسهل عبورها وييسره قرب الجزائر من فرنسا ولعل من هذه القنوات ـ على سبيل المثال ـ الكتاب والاذاعة والتلفزة والصحافة والسينما وهجرة الجزائريين غير المنقطعة إلى فرنسا وأنماط التعاون التعليمى والتقنى والابتعاث والتجارة والعلاقات المصرفية والزواج من الفرنسيات وغيرها من المجالات العامة التى تشهد بحضور الثقافة الفرنسية فى الساحة الجزائرية.



ومازلنا بصدد الثقافة والتعليم جدير بنا أن نذكر موقف الدولة من المؤسسات التعليمية الخاصة التى كانت تديرها وتشرف عليها مؤسسات فرنسية وتبشيرية بدءاً من رياض الأطفال وانتهاء بالمدارس الثانوية مروراً بالمراحل الابتدائية والمتوسطة فقد عمدت الدولة الى (جزأرتها) ووضعها تحت رقابة الثقافة الوطنية وجعلت طلابها - وغالبا ما يكونون من ابناء طبقة معينة - يخضعون للتعليم الكامل أو الجزئى باللغة العربية.

صراع الثقافات فى الجامعات والتعليم العالى

كانت استراتيجية فرنسا الثقافية فى الجزائر أن تحول بين المواطنين وحقهم فى التعليم والتحرر من الأمية الكتابية والثقافية ومارست هذه الحيلولة خاصة فى التعليم الجامعى لأن المواطن الذى يتثقف ثقافة عالية نيرة ويطلع على الحركات الفكرية والثقافية فى العالم لم يعد - فى نظر المستعمر - مادة خاماً يمكن التكيف به كما يشاء ولم يعد جاهلاً مذعناً لكل ما يفرض عليه وإنما يصبح عنصراً متمرداً لا يقبل كل ما يفرض عليه، بروح رواقية قدرية تستسلم للواقع بعُجَره وبُجَره، لهذا ضيقت سلطات الاستعمار التعليم على المواطنين وجعلته أشد تضيقاً كلما اقترب من قمة الهرم فكنت لا تجد إلا القلة التى تصل الى الندرة من الشباب الجزائرى الذين يواصلون تعليمهم الجامعى فى جامعات الجزائر نفسها أو على شكل مبتعثين لجامعات غالباً ما كانت جامعات فرنسية.

فعندما سطعت شمس الاستقلال وحطمت الحواجز بين المواطنين والمؤسسات التعليمية أقبل أبناء الجزائر بنهم المتعطش على التعليم ففتحت لهم السلطات الوطنية أبواب هذه المؤسسات التعليمية على مصراعيها فأقبل الطلاب والشباب يستقون من مناهل المعرفة ومصادر الثقافة ولم تعد الجامعات حكراً على أبناء سراة القوم أو صنائع الاستعمار وإنما غدت أبوابها مفتوحة لكل من تؤهله قابلياته الفكرية والعقلية الدخول إليها.

فى هذه الحقبة التى تلت الاستقلال أخذت الحكومات الوطنية على عاتقها تعميم التعليم وإشاعته على نطاق واسع وتوزيعه على رقعة الخريطة الجزائرية فى المدن والأرياف والمزارع وحتى الأماكن القصية من الجبال والصحارى لأن السلطة الجزائرية آمنت بأن كل الشعب الجزائرى أسهم فى حركة التحرير وقدم لمذبح الحرية مليونا ونصف المليون من الشهداء فما أحرى ابناء هؤلاء الشهداء والمجاهدين أن يستردوا شيئاً من حقهم فى العلم كان قد استلب منهم.

ولا أريد - هنا - أن أتحدث عن الكثرة الكاثرة من المدارس والمؤسسات العلمية والمعاهد التقنية (التكنولوجية) التى وفرتها الدولة للمواطنين ولكننى أريد أن اتحدث عن مؤسسات التعليم العالى الممثلة بالجامعات والمعاهد العليا التى يسرتها الدولة للمواطنين، فبالاضافة الى (جامعة الجزائر) العاصمة العريقة أحدثت الدولة جامعتين إحداهما فى الغرب الجزائرى فى مدينة (وهران) والثانية فى الشرق الجزائرى فى مدينة

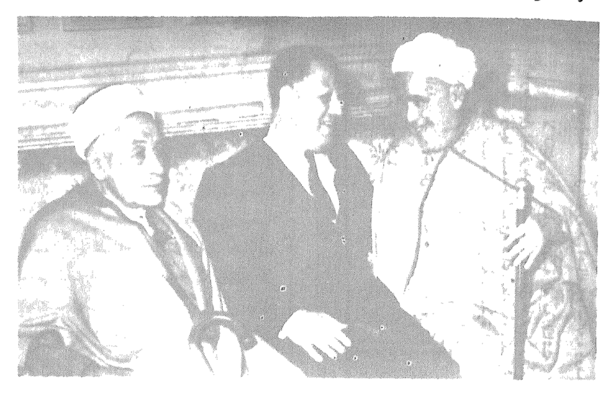
(قسنطينة) ثم استحدثت جامعة للعلوم التيكنولوجية فى الجزائر العاصمة فشيدتها فى (باب الزوار). وانطلاقاً من الشعار الذى سارت به الجزائر وهو (التوازن الجهوى) وهو لعمرى - خطة حكيمة اذ تقضى سياسة التوازن الجهوى بعدم التركيز على العاصمة بانشاء المؤسسات والشركات والمعامل فيها، إذ أن ذلك من شأنه أن يستقطب القوى البشرية فى الأرياف فتتوضع فى العواصم وتوضعها يزيد فى الازمات المستحكمة فى العواصم كأزمة السكن والنقل والتموين وغيرها لذلك نادت حكومة الجزائر (بالتوازن الجهوى) الذى خلاصته توزيع المؤسسات الكبرى والمعامل والمصانع والمزارع على مدن القطر كلها لتبث القوى البشرية المنتجة فى مواضعها واستغلال جهودها فى عين المكان الذى توجد فيه وبذلك تتفادى الدولة الهجرة الداخلية المستمرة من الريف الى المدينة وخاصة العاصمة وطبقت الدولة مبدأ التوازن الجهوى على الجامعات أو ما يسمى (بالمراكز التعليمية) أو (الوحدات التعليمية) التى هى نواة لجامعات ستغدو كبيرة فى قادمات الأيام فطورت المعاهد العليا فى (عنابة) فنشأت جامعة عنابة كما انشأت فى منطقة الأوراس (جامعة باتنة) وانشأت جامعة (تيرى أوزيو) فى منطقة القبائل الكبرى و(تلمسان) فى اقصى الغرب ويتزايد انشاء الجامعات فى كل خطة خمسية حتى تشمل كبريات المدن كمعسكر واسطيف ومستغانم ولعل من أحدث الجامعات وأهمها (جامعة الأمير عبد القادر الاسلامية) التى عمدت الدولة لانشائها لتسد حاجة المواطنين الروحية وتثقفهم ثقافة إسلامية تخصصية يلتقى فيها المسلمون من عرب وبربر ولتكون نقطة اشعاع للثقافة الاسلامية فى منطقة شمالى افريقية على مقربة من الحضارات الأوربية فى الجهة المقابلة لحوض البحر الأبيض المتوسط.

ومنذ توسعت الدولة فى انشاء الجامعات لم يوقفها ذلك عن التوسع فى الابتعاث أيضاً الذى لم يعد مقصوراً على الابتعاث للجامعات الفرنسية وانما تطلع الجزائريون الى الجامعات العربية فى المشرق العربى فأوفدوا الأعداد الكبيرة من الطلاب وخاصة فى العلوم الانسانية الى جامعات المشرق ولكننا لو أننا رجعنا بحديثنا عن الجامعات الجزائرية لألفينا أن سياسة التوسع فى التعليم الجامعى ترتَّبت عليها مشكلتان كبيرتان:

الاولى: الكتاب الجامعى وخاصة الكتاب الجامعى المعرَّب فى كل ميادين التخصصات الجامعية كالطب والهندسة والعلوم التقنية والحقوق والتجارة وجميع فروع العلوم الانسانية بدءاً من تأليفه بأيد جزائرية وانتهاء بطباعته ووسائل توزيعه وتسويقه وهذا موضوع يحتاج وحده دراسة مستفيضة لا يتسع لها مثل كلامنا هذا.

الثانية: الاستاذ الجامعى وهنا أعود مرة أخرى لأذكر بسياسة التوسع فى التعليم الجامعى وبسياسة (التوازن الجهوى) هاتان السياستان تطلبتا عدداً كبيراً من مدرسى الجامعة والملاكات (الاطارات) الفنية والخبرات التخصيصية التى لم تكن الجزائر تملك القدر الكافى منها فلذا عمدت الى نظام التعاقد مع (المتعاونين) وهو حاجة لابد منها فى هذه المرحلة من مراحل التطور الثقافى فى

الجزائر وعلى الرغم مما يعتور قضية (المتعاونين) من سلبيات بعضها له صلة بالمتعاون وبعضها له صلة بالجهة المتعاون معها إلا أن نظام التعاون قدم للجامعة الجزائرية خدمات ثقافية جلى فى مرحلة هى بأشد الحاجة الى مثلها ريثما تكوّن المؤهلات العلمية التى تجعلهم ينضوون فى سلك الجامعيين والباحثين الأكاديميين ولن اتحدث عن هؤلاء.. وحسبى أن أعود الى القسم الأول فهؤلاء (اطارات) متخصصة مثقفة ثقافة أكاديمية كاملة على تفاوت بين الأشخاص تفرضه طبيعة



الشيخ الابراهيمي بالقاهرة في الخمسينات مع السيد عبد الخالق حسونة الامين العام للجامعة العربية آنذاك وبطل الريف المغربي الأمير عبد الكريم الخطابي

ملاكاتها (أطرها) وتقف برسوخ على قدميها.

وإذا تركنا الثقافة الوافدة مع هؤلاء المتعاونين والتفتنا الى (الاطارات) الجامعية الوطنية وجدنا أنها تقسم الى قسمين، الأول: مثقف كامل التكوين الثقافى ويحمل المؤهل التعليمى الذى تفرض الجامعة توفره فى (إطاراتها) وسأتحدث عن هذا القسم ببعض التفصيل بعد قليل. والقسم الثانى هم فئة الشباب الذين هم فى طور التكوين وهم جادون فى استكمال ثقافتهم والحصول على

الفروق الفردية الثقافية ولكن هؤلاء أتموا ـ غالبا ـ ثقافتهم فى الجامعات الفرنسية وقليل منهم أتموا دراستهم فى جامعات أنكلو ساكسونية ـ والمشكلة تكمن فى تلك الفئة التى تخصصت تخصصاً أكاديمياً متعمقاً بفرع من فروع الثقافة ولكن كانت أداتهم فى ذلك اللغة الفرنسية وهم معذورون فى ذلك لأن أغلبهم حصل على ثقافته ربما فى ظل الاستعمار الفرنسى الذى كان يفتتح قناة وحيدة هى قناة الثقافة الفرنسية أمام الطالب الجزائرى وإن كنا نلتمس لمثل هذا المثقف العذر

في الماضى فإن المسؤولين على الجامعة وثقافة اساتذتها يرفضون فكرة الاستمرار فى تدريس المواد الاختصاصية فى الجامعة باللغة الفرنسية لما تتطلبه اللغة الفرنسية من جر الثقافة الفرنسية وراء هذه اللغة وبالتالى يظل الغزو الثقافى الفرنسى متمكنا من أذهان الاساتذة الذين ينقلونه بدورهم الى جيل الشباب الناشىء. لذا راحت الدولة تفكر فى الاستفادة من هذه العقول الكبيرة والتخصصات الفردية ولكن بالتوفيق بين الحاجة الماسة لهذه الاختصاصات ـ وخاصة أنها وطنية ـ وبين شعار التعريب الذى لا تتنازل عنه الدولة فى أى قطاع من قطاعاتها بله الجامعة. . لذا حرصت السلطة الجامعية على استمرار هؤلاء فى العطاء التخصصى ولم تشترط عليهم سوى تطويع السنتهم للغة العربية. . والواقع أن الكثير من هؤلاء استجاب لهذا المطلب الجامعى المقنع ونشأت معاهد ومؤسسات وايفادات وفترات تربص داخل الجزائر وخارجها أخذت كلها بأيدى هؤلاء إلى استعادة لغتهم الوطنية فمكنتهم من تقديم خبراتهم وأفكارهم وثقافتهم بلغة عربية مبينة ومازال قسم منهم فى طريقه الى استعادة لغته الاصلية وثقافة امته العريقة.

الروافد الثقافية الأخرى

أحسست ـ وأنا اكتب هذا القسم من الثقافة فى الجزائر ـ أننى أسرفت بعض الاسراف فى مناقشة وجوه الثقافة فى ميدان التعليم الجامعى والتمست لنفسى عذراً فى هذا الاسراف ان هذا هو الجانب من الجوانب التى اعرفها حق المعرفة لأننى عشت التعليم العالى فى الجزائر وتنقلت وحاضرت فى جامعات العاصمة ووهران وقسنطينة وعنابة وقبزى أوزو وباتنة ولذلك جاءت صورة الثقافة الجزائرية من خلال المؤسسات الجامعية واضحة فى ذهنى.



غير أنه هناك بؤر إشعاع ثقافى فى الجزائر غير المؤسسات الجامعية، جدير بمن يحاول أن يرسم صورة للثقافة الجزائرية ولو كانت غير متعمقة أن يلم بهذه البؤر كالصحافة المحلية التى تؤكد على الثقافة الوطنية تعرضها وترسخها كالمجلات والنشرات الصادرة عن وزارة الثقافة وعلى رأسها مجلة (الثقافة) التى تقوم بدور هام جدا فى بعث الثقافة العربية وعرض منتجات الفكر العربى القديم والمعاصر من شعر ونثر ومقالة وقصة ورأى وخبر ثقافى تعضدها فى هذا الاتجاه مجلة (الأصالة) التى تصدر عن وزارة التعليم الأصلى والشؤون الدينية، هذا فضلاً عن الصحف اليومية المعرَّبة



• وجـوه ثقافيـة •

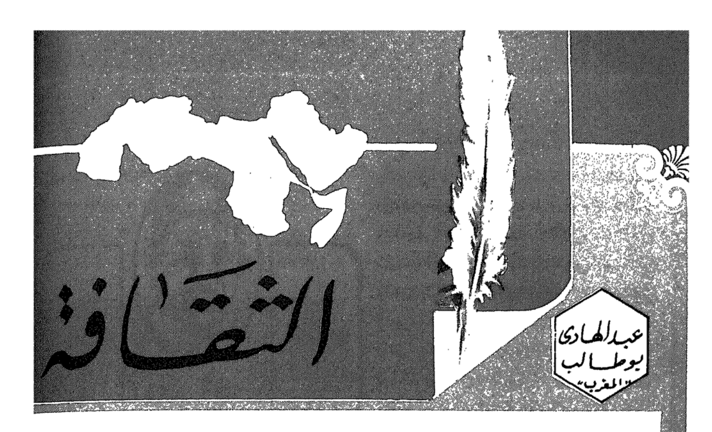
مصطفى صادق الرافعى

(١٨٨٠-١٩٣٧) اديب عربى عاش فى مصر - بدأ حياته الأدبية شاعرا فى مدرسة البارودى فأخرج عدة دواوين، ظهر اولها سنة ١٩٠٢. وصفه المنفلوطى بأنه من شعراء المعانى كابى تمام. تحول فى الشطر الثانى من حياته الى النثر فكتب عدة كتب من نوع النثر الشعرى: **«حديث القمر» ١٩١١ و«المساكين» ١٩١٧**، وبسط آراءه فى الأدب القديم فى كتابيه: **«تاريخ آداب العرب» و«اعجاز القرآن»** وكتب فى السنوات الأخيرة من حياته مقالات فى موضوعات متفرقة ينحو فى بعضها النحو القصصى، جمعت فى «وحى القلم» **١٩٣٦** عد ممثلا للمدرسة القديمة ودارت بينه وبين المجددين معارك نقدية حامية كتب فيها **«تحت راية القرآن» ١٩٢٦**، ردا على كتاب **«فى الشعر الجاهلى» لطه حسين و«على السفود» ١٩٣٠**، وهو نقد عنيف لشعر العقاد.

والتى مازالت تكتب بالفرنسية كالمجاهد والشعب والنصر وغيرها ولا يستطيع المرء وهو يتحدث عن الثقافة فى الجزائر أن يغفل التقليد الحميد الذى سلكته الجزائر منذ فترة ليست بالقصيرة وهو المؤتمر السنوى الذى تقيمه الجزائر تحت عنوان (ملتقى التعرف على الفكر الاسلامى) والحقيقة أنه ملتقى يحقق شعار (حوار الحضارات) ويؤدى رسالة هامة فى تعريف الملتقين وغيرهم على الثقافة الجزائرية والعربية والاسلامية.

كل هذا بالاضافة الى المؤتمرات الأخرى الخاصة بالتعريب أو الشعر أو الأدب عموماً من تلك الندوات التى ينظمها (اتحاد الكتاب الجزائريين) أو المهرجانات الثقافية التى تشارك فيها الفرق الجزائرية سواء فى حقل السينما أو المسرح أو (الفلوكلور الشعبى) أو الفنون التشكيلية المعاصرة أما فى ميدان الكتاب الجزائرى فإنه أخذ فى النمو والتطور نحو الأفضل وحركة النشر التى تشرف عليها (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع) تشهد بأن المطبوعات الجزائرية أخذت تحمل الثقافة العربية والاسلامية الى كل مكان.

إننى متفائل بمستقبل الثقافة الجزائرية وأعقد الآمال على المثقف الجزائرى المعاصر لأننى أتصور أنه - بحكم اتقانه للغة الفرنسية - سيكون واسطة من وسائط أو قنوات الاتصال بين الثقافات عربيها وفرنسيها كما تعلق عليه أهمية كبيرة ليقوم بدور الناقل للثقافتين العربية والفرنسية فى مجتمع (حوار الحضارات) وبتقديرى أن الانسان الجزائرى مؤهل لأن يقوم بذلك.



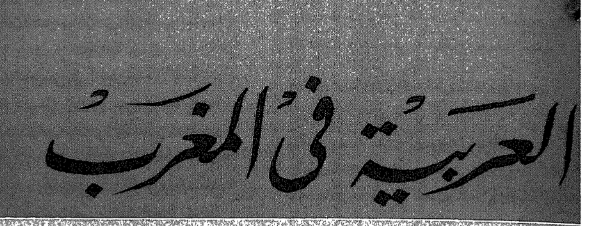
لم يرتح قدماء نقاد الأدب المغربى لكلمة الصاحب بن عباد التى علق بها على كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه بعد قراءته قائلا: «هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا» إذ أن كتاب «العقد الفريد» لم يعكس صورة الأدب العربى فى المغرب الاسلامى بقدر ما عكس فى الواقع طبيعة الاتصال المستمر بين الأدب المشرقى والأدب المغربى ذلك الاتصال الذى حرص المغاربة كل الحرص على الوفاء له والالتزام به.

والأدب المغربى والأندلسى لا ينفصلان عن الأدب العربى فى المشرق بل تكاد بيئتهما الاجتماعية تتحد لتشابه البنيات الثقافية والتاريخية رغم اختلاف البيئة الطبيعية.. وقد تشابهت البيئة الاجتماعية بفضل تأثير العقيدة الاسلامية واللغة العربية وهذا ما جعل الأندلسيين يتطلعون دوما الى المشرق وآدابه. ويؤكد ذلك صاحب الذخيرة بقوله: «إن أهل هذا الأفق أبوا إلاَّ متابعة أهل المشرق: يرجعون إلى اخبارهم المعتادة رجوع الحديث الى قتادة».

لم يمنع هذا الامتزاج الثقافى بين المغرب العربى والمشرق العربى من ظهور إنسية مغربية واضحة المعالم تحتوى جميع خصوصيات الأدب المغربى الثقافية وتطبعه بمميزات تعطيه شخصية مغربية.

لقد انفتح الأدب العربى فى المغرب على ثقافات متعددة ذات أصول مختلفة بقيت معالمها بعد الفتوح الاسلامية واضحة فى التقاليد والعادات والأعراف والفنون والآداب وبذلك نشرت على الثقافة المغربية بصفة عامة ظلالاً من الفينيقية والرومانية والثقافة الابيرية التى مزجت بين القوطية والوندالية والبيزنطية.

وظل الأدب المغربى والأدب الاندلسى ممتزجين متحدين لغة وموضوعا منذ بداية الفتوح الاسلامية ينهلان من المشرق ويعبران عن مشاعر المغرب العربى من عهد الشاعر سابق المطماطى البربرى الذى كان ضمن حاشية عمر بن عبد العزيز والذى ترددت اشعاره فى بلاطه الى عصر المرابطين والموحدين الذين جمعوا المغرب والأندلس فى دولة واحدة ازدهرت فيها فنون التعبير الأدبى والفنى.



العربية في المغرب

وما ان انهارت غرناطة حتى ورث المغرب جميع خصوصيات الأدب الأندلسي. وكان ابن الخطيب «كاتب الطول والعرض الى يوم العرض» أعظم مثقف أندلسي غرس في المغرب العربي مقومات الأدب والفن الأندلسيين ليصبح المغرب الوريث الوحيد للفردوس المفقود.

التعبير الأدبي عن الإنسية المغربية

واتضحت معالم الانسية المغربية في شكل مذهبية مميزة للأدب والفن المغربيين وعملت البيئة المغربية على خلق نموذج للعقل والوجدان للانسان المغربي مبرزة هويته ومشاغله وطموحاته واهدافه.

أستوحت الانسية المغربية عناصرها من بيئتها الطبيعية وعراقتها وتجربتها التاريخية كما استمدت بعدها الروحي من العقيدة الاسلامية وتراثها الأدبي والفني عبر ماضيها الطويل واتضحت معالم شخصيتها في هيامها المطلق بالحرية التي جعلت من المغرب جنديا مدافعا عن وطنه باستمرار بل مشفقا ـ الى حد الانعزال ـ على حريته ان تمس دفعا لأي احتمال للنيل من هذه الحرية.

وهذا لم يخضع المغرب لأية سلطة أجنبية عنه مهما كانت قوتها وقدرتها فاستبسل في مقاومة الرومانيين والونداليين والبيزنطيين بعد أن احتوى أدبهم وثقافتهم.

ولم يكد المغرب يعتنق الاسلام دينا حتى اتخذ العربية لغة واستقل عن الخلافة العباسية تأكيدا لشخصيته الحرة ولذلك لم يعرف التبعية الروحية لأية دولة اسلامية وحتى عندما امتد سلطان الخلافة العثمانية على العالم الاسلامي وقف نفوذه عند حدود المغرب الشرقية وبقي المغرب بذلك محتفظا باستقلاله.

وازدادت وحدته صلابة بوحدة مذهبه الفقهي المالكي. وسلوكه الصوفي الجنيدي ووحدة التجويد والخط والحفاظ على استعمال الأرقام العربية وظل مع هذه الخصوصيات الحضارية يهفو دوما الى بلاد الشرق مهبط الوحي وموطن العروبة وكما قال ابن الخطيب:

إذا فاتنى ظل الحمى ونعيمه
فحسب فؤادى أن يهب نسيمه

ظل الأدب المغربى فى إطار هذه الانسية يعبر بصدق عن أصالة المغربى وعن عواطفه النبيلة وإحساسه الجم. والأدب الصادق استبطان داخلى لجوهر النفس البشرية وارهاص ورصد لحركة التاريخ. ولهذا بقى الأدب المغربى يستطلع نهضة أوروبا وما تحمله من مواقف العداء لشعوب طالما نازعتها السيادة والتفوق ويرصد فى آن واحد مجريات الأحداث فى الشرق وما تتسم به من تشاؤم.

وإذا كان المغرب ثغرا إسلاميا يواجه طموح الغرب ويقف فى وجه ما يسعى إليه من توسع فإن الأدب المغربى ظل تعبيرا عن كل ذلك فهو يستنفر الأمة العربية لتأخذ حذرها وفى نفس الوقت يستشف اسباب التقدم والتطور فى الغرب.

بداية النهضة الأدبية

كانت نهضة أوروبا وما تحمل من رغبة فى التوسع ومن طمع فى الاستيلاء على العالم الاسلامى سببا فى ظهور حركة معاكسة فى المغرب كانت تسعى جهدها لترد عن نفسها الغزو الاوروبى سواء فى السياسة والحرب أو فى الحضارة والفكر. وكانت فى نفس الوقت تحاول معرفة اسباب التقدم والتفوق الحربى والعلمى فى أوروبا حتى تستطيع أن تتفادى الهزيمة والتردى.. وقد زاد سقوط الجزائر ثم تونس فى يد الاستعمار الفرنسى فى حماسة التوقى والحذر فى المغرب تجنبا لنفس المصير المفجع ولهذا انكمش المغرب على نفسه فانعزل عن الغرب والشرق ضناً بحريته واستقلاله وخوفا على نفسه من هجمة الاستعمار.

وبسبب هذا الانكماش تأخرت النهضة الأدبية فى المغرب الى العقد الثانى من القرن العشرين بينما بدأت نهضة مصر وسوريا والعراق ولبنان منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى. وبذلك ظل الأدب المغربى محتفظا بمقومات الأدب العربى القديم وموضوعاته إلا ما كان من تطلعات لمجاراة الاحداث وتكسير الطوق والتحرر من الركود والتحلل من عقدة الخوف من حضارة الغرب.. ولكن لم يمنع الحذر من القدر فقد بسط الاستعمار الغربى سيطرته على إفريقيا الشمالية كما بسطها على البلاد العربية والاسلامية فى المشرق وافريقيا.. وسرعان ما اخذ الاستعمار الفرنسى فى المغرب يعمل بنهم على تغيير البنية الثقافية العليا ليغير بذلك البنية السفلى فما ان استقر بالبلاد حتى فرض اللغة الفرنسية فى التعلم والادارة والاعلام وأنشأ لهذه الغاية سلسلة من المدارس لنشر اللغة الفرنسية على انقاض اللغة العربية وبالتالى العقيدة الاسلامية تفويتا لمقومات الشخصية المغربية.

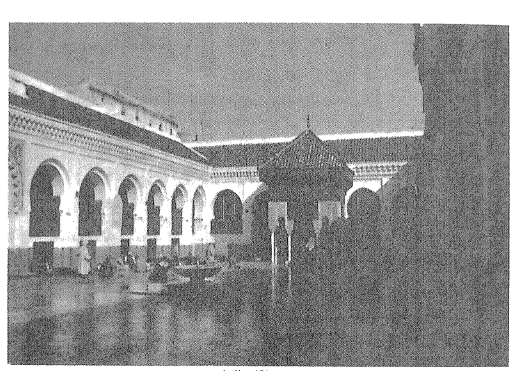
وكان رد الفعل فى المغرب عنيفا وعكسيا أيضا تبلور فى تأسيس مدرسة مغربية جديدة تحافظ على تراث المغرب الثقافى وتطوره وتستوعب المعرفة العلمية المعاصرة فى تلقيح بالمعرفة الاسلامية واللغة العربية والثقافة المغربية.

وربطت الأحداث والفواجع بين المغرب والمشرق فاستوحى المغرب من الحركة السلفية الجديدة عناصرها القويمة سيما ولهذه الحركة جذور فى تاريخ المغرب العريق.

ولما يميز هذه الحركة أنها ادركت ضرورة الجمع بين الأصالة والمعاصرة فقد كانت تدعو الى الحفاظ على التراث الأصيل كما تنقل عن العرب ما تستعين به، على ان تدخل العصر الحديث وتنافس فيه التطور الأوروبى وقد اقتنعت ان النقل والترجمة عن الغرب وإشاعة العلوم الدقيقة التى كانت السبب الرئيسى لتفوق أوروبا لن تؤثر على نهضتها الحديثة بل بذلك وحده تستطيع صد عدوان اوروبا واستحواذها على خيرات بلاد المسلمين وتفويت ثقافتهم وتحريف هويتهم.

وأخذت الشخصية المغربية تستعيد مقوماتها وحيويتها وروحها الاستقلالية واعتزازها بماضيها وتفاؤلها بمستقبلها فواجهت الاستعمار الاسبانى والفرنسى فى الحرب الريفية التى قادها البطل محمد بن عبد الكريم الخطابى ونازلت «السياسة البربرية» التى فجرت بها فرنسا غضب الشعب فعبر من جديد عن وحدته الوطنية التى لا يفصم عروتها الوثقى اختلاف اللهجات والعرقيات والاقليمية.

وسواء أسبق الأدب هذه الأحداث أم واكبها



□ ما يزال مسجد القرويين ينبض بالحياة وتقام به حلقات العلم □

ولما كاد صوت دعاة حركة السلفية المغربية يدوى ويحمل راية الدعوة الشيخ ابو شعيب الدكالى ومدرسته (التى لا تقل مكانة علمية عن مدرسة الشيخ محمد عبده فى مصر) حتى سرت هذه الدعوة فى البلاد كما تسرى الكهرباء فى الاسلاك.

فقد كان المعبر الصادق عن الوطنية المغربية والحارس الأمين لضمير الأمة المغربية والمعادلة التى لا تخطىء بين عقل المجتمع ووجدانه. وما كاد يطمئن الأدب الى واقعه الجديد حتى تفتح على الثقافة العربية فى المشرق وعلى الثقافة الوافدة من فرنسا وإسبانيا أيضا.

لقد فتحت السلفية آفاق الفكر العربى عند الكُتّاب والمثقفين المغاربة إذ بالانتماء إليها تعرفوا على تاريخ الغرب من خلال الترجمات العديدة لحضارة أوروبا العلمية والادبية وربما استطاعوا أن يعرفوا عن المغرب أكثر مما تحمله المدرسة الفرنسية فى المغرب التى كان من المفروض عليها أن تنقل الآداب الفرنسية فقط دون إثارة محاور الأدبين الانجليزى والألمانى مثلا وبذلك فالسلفية فتحت آفاقا على العالم الغربى ظلت مقفلة فى المدرسة الفرنسية.

ومن الحق ان نعترف بها للحركة السلفية من فضل على النهضة الأدبية المغربية فقد وجدت مكانا رحبا فى جامعة القرويين بفاس ومعاهد تطوان والكلية اليوسفية بمراكش وكانت شعاراتها الاسلامية سببا فى ربط أواصر الصلة الثقافية مع مختلف المسلمين ومع بعثات الطلاب فى القاهرة ودمشق وبغداد وامتد نفوذها الى المعاهد المزدوجة الثقافة التى انشأها الفرنسيون كمؤسسات للدراسة الفرنسية ووجدت فى جمعية الطلبة المسلمين فى باريس مكانا صالحا لصهر الطموحات السلفية التى جمعت بين المثقفين ذوى الاتجاه الأصيل ومزدوجى الثقافة.

ولقد عملت السلفية على توحيد الأمة الاسلامية وتوحيد الأدب المعبر عن نهضة الأمة العربية جمعاء وعما ينصهر فى اعماقها من اتجاهات مختلفة كما كانت عامل تجديد للأدب المغربى الذى تعرف على النهضة الأدبية فى مصر وسوريا ولبنان والعراق فاستفاد من ترجمة اللبنانيين للآثار الفرنسية وبالأخص فى الأدب المسرحى كما استفاد من تجديدات شوقى وحافظ ابراهيم ومن نقد طه حسين والعقاد والمازنى ومن مدرسة ابى شادى الرومانسية وأدب المهجر وبذلك تكونت نفس المدارس الأدبية المشرقية فى المغرب الأقصى وكان اثرها عظيما فى خلق وعى عميق وشعور بالعروبة كعامل من عوامل التضامن والوحدة.

وبرزت النهضة الأدبية الجديدة جهود المدرسة الفرنسية فى المغرب التى تعلم الفرنسية كلغة أولى وتلقى بصيصا على اعلام الثقافة الفرنسية ساعية الى أن تجعل منهم نماذج قدوة عليا لا تضاهى وفى نفس الوقت تعلم اللغة العربية بطريقة خاصة على اساس تكوين علم نحو جديد ممسوخ يقرب تركيب الجملة الى الفرنسية ويبعدها عن اصالتها العربية ولم تهتم بدراسة التاريخ ولا الأدب قدر اهتمامها بتعليم اللغة العربية مترجمة عن اللغة الفرنسية وإليها.

كان الفرنسيون يقصدون بهذا التخطيط التربوى تكوين جيل جديد ينقل ما يريدون نقله من ثقافة فرنسا الى المغرب ليكونوا زمرة طيعة من الموظفين العاملين بالادارة الفرنسية ولكن دون أن تستوعب هذه الزمرة الثقافة الفرنسية كعامل عظيم من عوامل الانفتاح والتحرر والاتصال.

كان الاتجاه السلفى اتجاها واقعيا يغذى طموحات المدرسة الاصيلة والمدرسة الفرنسية المغربية على السواء إذ أن التعليم الفرنسى الموجه لم يستطع صهر توجيهاته فى بوتقة فرنسية.. فالمغاربة يشعرون بخصوصياتهم الثقافية والحضارية وقد

● وجـوه ثقافيــة ●



احمد بن ابراهيم الغزاوى

● ولـد بمكـة عام ١٣١٨هـ وتلقى علومه بالمدارس الاهلية بها: (المدرسة الصولتية.. المدرسة الخيرية، الفلاح) واشتغل فى عدة وظائف فى عهد الحكومة السعودية منها رئاسة ديوان رئاسة القضاء وصار معاونا لمدير الطبع والنشر ثم سكرتيرا لمجلس الشورى ثم عضوا فيه ثم نائبا ثانيا لرئيس مجلس الشورى ثم نائبا للرئيس وحده من عام ١٣٧٣هـ الى عام ١٣٨٦هـ ثم رئيساً لمجلس الشورى.. وفى عام ١٣٥١ حاز لقب شاعر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله. وحاز اوسمة من الدرجات العالية من قبل الدول العربية.. وحاز رتبة وزير مفوض من الدولة العربية السعودية من الدرجة الاولى سنة ١٣٧٣هـ.

● رأس تحرير كل من جريدة ام القرى ومجلة الاصلاح وصوت الحجاز ونشر الكثير من قصائده ومقالاته فى الكثير من الصحف السعودية وغيرها من صحف العالم العربى.

● له شعر جزل قوى واكثره منشور فى الصحف السعودية.

ظهر بين هؤلاء كتاب وشعراء ومؤلفو قصص ومترجمون كان أثرهم قويا فى تطور المجتمع المغربى، ولكن وعيهم بالمفاهيم الحضارية كان غير وعى ذوى التكوين العربى فى المعاهد والمؤسسات العربية فقد كانوا يجنحون الى نهضة متأثرة بالغرب وثقافته مغمورين بها فى فرنسا من انظمة إدارية وديمقراطية فهم منبهرون ومنصهرون ومتأثرون الى حد كبير بالمدارس الأدبية والفنية الفرنسية ولم يستطيعوا إقحام هذه المدارس فى الأدب المغربى الأصيل الذى كان يرفضها بطبيعته إذ ان المعاصرة ترفض العصرى الغريب عن بيئتها وطبيعة تكوينها.

ان المعاصرة استمرار للقديم واستيعاب الجديد الملائم للتطور وهى نماذج مثالية تحافظ على الجوهر والاستجابة للواقع أما العصرى فقد يكون غريبا أو جامدا أو مستعملا فى غير موضعه.

الاستقلال تأكيد للذات والانفتاح الأدبى

جاء الاستقلال فأتاح للشعب ان يعبر عن إرادته من خلال لغة التاريخ والطموح.. والشعب لا يعبر الا بلغته المستوحاة من صميمه وإلا بإرادته النابعة من معاناته فبدا أن الاصالة أكثر إدراكا للواقع وأقدر على التعبير عن إرادة الشعب. وبرزت حملة التفكير والتعبير الفرنسى وانقطعت الصلات بين الاتجاهين الاتجاه الاصيل الذى زاد يقينا بأصالته والاتجاه المقابل الذى غير مسيرته وأدى الأدب رسالته فأرسى دعائم الحرية والتعريب والوحدة وزاد اتصالا والتحاما بالثقافة

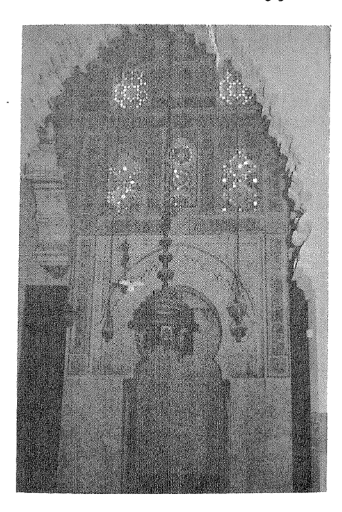
العربية الاسلامية على مدى الامتداد الأفقى والتاريخى . . وجدٌ فى إحياء تراثه والمزيد من البحث عن ذاته واستكمال التلاقح مع النهضة الحديثة .

كان استقلال المغرب فرصة لتكسير الحدود الثقافية التى ظلت تفصل المغرب عن المشرق العربى وعن الثقافة الغربية على السواء فقد اتصل المغرب بالآداب المشرقية المعاصرة وحرق الاشواط ليكوّن معها وحدة ثقافية ذات اصول مشتركة وهدف واحد كما اتصل بالآداب الفرنسية والاسبانية والأنجليزية واستفاد من الثقافة الفرنسية ليترجم من الغرب وينقل عنه مختلف الاعمال الادبية على اختلاف مدارسها المتعددة كما ان الادب المغربى استطاع بسهولة ان يستوعب الاساليب الجديدة وفنون التعبير الادبى المختلفة فظهر الفن التشكيلى فى التشخيص والتجريد بمختلف مدارسه التشكيلية والتكعيبية وغيرها كما ظهر فن النحت على الخشب والمرمر والنحاس .

وكان النشاط المطبعى على موعد مع الاستقلال فقد وجد الكُتّاب والأدباء متنفسا فى جو الحرية التى ضمنها الاستقلال السياسى فافسح المجال للآلة المطبعية لتصدر عشرات الكتب والمجلات وعشرات الصحف والنشرات وإنه لمن العسير ان نحصى المطبوعات المغربية ومع ذلك فإن مئات من الكتب ما زالت لم تر النور بعد .

وتتكامل النهضة الأدبية المعاصرة مع سائر اساليب التعبير فى العالم المعاصر فبجانب الكلمة المكتوبة والمسموعة تجد السينما التاريخية والوثائقية والاجتماعية مكانتها فى النهضة المغربية فقد تأسس المركز السينمائى المغربى فى الستينات ورغم صعوبة المنافسة فى هذا الميدان فقد أحرزت السينما المغربية على جوائز مشرفة وما تزال تتلمس طريقها على يد ثلة واعية من رجال السينما والمسرح .

وبدأت النهضة المسرحية فى العشرينات بعد ان اكتشف المغاربة الأدب المسرحى الحديث على يد سلامة حجازى المصرى الذى عرض بالمغرب رواياته المسرحية وازدادت رسوخا على يد المسرحيين المغاربة الذين اصبحت مكانتهم فى العالم المسرحى مكانة مرموقة .



وكان للفن الاذاعى والتلفزيونى والسينمائى أثر بارز فى الاقتباس والتجديد والتأثير على الشعب بما يقدم اليه من تطورات العصر فى مختلف ميادين العلوم والآداب والتوعية بحركة الاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى العالم المعاصر.

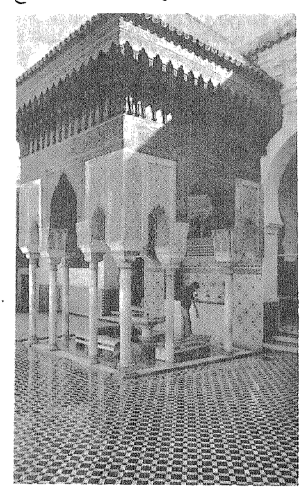
اما الفن المعمارى بالمغرب فقد ظل منفتحا على الهندسة المعمارية الرومانية والبيزنطية ثم تطور هذا الفن على يد المهندس المغربى الذى زاوج بين الاصالة والمعاصرة سواء فى بناء المؤسسات او المساجد او التخطيطات العمرانية المدنية واستطاع الفنان المغربى ان ينقل مختلف انماط المعطيات الهندسية المعمارية الاصيلة الى الفن المعمارى الجديد بما يجسده على الجص والخشب واشكال الفسيفساء . ولعل «**ضريح محمد الخامس فى عاصمة الرباط**» خير مثال على تطور الفن المعمارى المغربى الجديد.

واذا كانت الآداب والاخلاق تنعكس تطوراتها على مظاهر الحضارة فإن الزى المغربى ظل شاهدا على ذلك إذ بجانب الجلباب المغربى المعروف منذ بداية الحضارة المغربية العتيقة والذى ظل المغربى محتفظا ومعتزا به ظهر اللباس الأوروبى الأكثر انسجاما مع العمل فحافظ المغربى على أصالته وتفتح للتجديد النافع كما هى عادته.

وظلت النهضة المغربية بعد الاستقلال تتفتح على الأدب الغربى وتدعم علاقاتها بالأدب الشرقى وتحافظ فى نفس الوقت على اصالتها اللغوية والفنية سواء فى الطرب الأندلسى الذى اقام المغرب له مدارس لتعلمه وضبطه وتسجيله أو الطرب الملحون (الزجل) بجانب تشجيع الموسيقى العصرية التى اصبحت ذات شخصية مغربية لا تفقد صلاتها بالموسيقى الشرقية.

وكما حافظ المغربى على الطرب والموسيقى حافظ على الصناعات التقليدية من فن نسج الزرابى وصياغة الحلى والتوريق على النحاس والنقش فى الخشب كل ذلك شاهد على نهضة حقيقية واعية.

و عندما نريد تلخيص الرسالة الثقافية فى القرن الرابع عشر الهجرى نلقاها تعبيرا عن الصراع لاثبات الوجود والذات المغربية وتفتق الخيال للتطلع على



المستقبل وبذلك اعطت الثقافة للمغرب طابعه وأعادت له إنسيته وجعلته اكثر وثوقا بنفسه ورسالته لقد التزم الادب مع الحركة الوطنية فى كفاحها وأرسى دعائم اعمالها وكان سجلا لكفاحها وبذلك ابرز هويتها واصالتها.

وشجع الادب المغربى التعريب وقاوم التغريب وحطم القيود الوهمية التى فرضت على ثقافة المغرب ولغته واصالته ردحا من الزمن كما انفتح على مختلف التيارات الغربية الكلاسيكية والرومانسية اللاتينية والسكسونية واخذ من الفرنسية والاسبانية كما اخذت عنه فأمسى بذلك اكثر وثوقا بنفسه وشخصيته.

أدبنا غــدًا

وإذا تعمقنا تحليل الاهداف العامة للعمل الثقافى فى المغرب المعاصر ودرسنا نتائج اعمال المؤسسات الثقافية والأدبية فى المغرب نجد ان المغرب سيكون غدا لا محالة رائدا من رواد الأدب الانسانى الحديث لا يضيق بتنوع الثقافات بقدر ما يؤمن بقدرتها على الانسجام.

إن الحاضر مؤشر للمستقبل فمن الآن نلاحظ انه بجانب المؤسسات المغربية التى تحافظ على أصالة المغرب الثقافية وتتفتح على الثقافة العربية والاسلامية تقوم عدة اندية ثقافية اجنبية سوفياتية وامريكية فرنسية وكندية وانجليزية وغيرها بجانب المراكز الثقافية العربية الممثلة للوطن العربى كما نجد عدة معاهد فنية لدول اخرى لها مع المغرب اتفاقات ثقافية.

وفى المغرب الرابطة الفرنسية والاميديت الامريكية كما ان منظمة اليونيسكو توحد بين جهوده وجهود العالم المعاصر ثقافيا ومنظمة (الالكسو) تنسق بين اعماله الثقافية والتربوية واعمال الدول العربية وبالاخص فى الجانب اللغوى بواسطة مكتب تنسيق التعريب الذى يوجد مقره بالمغرب من خلال منظمة الايسيسكو ومقرها فى الرباط ايضا التى تبذل الجهد لعقد اواصر الصلات الثقافية والتربوية والعلمية بين الدول الاسلامية وهى فى نفس الوقت ترصد الصحوة الاسلامية وتنسق بين المؤسسات والمنظمات الثقافية والاسلامية فى العالم الاسلامى حتى توحد الصف الاسلامى على اساس ثقافى وتقدم مزيدا من التوجيه والعون لدعم الثقافة الاسلامية التى تحتاج فى نهضتها وصحوتها إلى الوحدة والتآزر.

وبالمغرب اليوم متاحف تاريخية لتطور الانسان والحضارة المغربية بمختلف مظاهرها مما يؤكد به



● وجـوه  ثقافيـة ●

محمد حسن عواد

● ولد بجدة سنة ١٣٢٠هـ. وتوفى جمادى الثانية ١٤٠٠هـ.
● ترأس وفد بلاده فى مؤتمر أدباء العرب الاول الذى اقامته جمعية اهل القلم فى بيت مرى بلبنان فى عام ١٩٥٤.
● حاز الجائزة الاولى المحلية والثانية العالية فى مسابقة لندن الشعرية فى نهاية الحرب العالمية فى عام ١٩٤٣م (١٣٦٢هـ).
● نظم الشعر فى العاشرة من عمره ونشر حول العشرين منه كتابه «خواطر مصرحة».
● له اربعة دواوين مطبوعة نابضة بشعر الحياة الحديثة وخمسة كتب اخرى ادبية واجتماعية الى جانب قصة كبيرة عميقة اسمها «طريق الخلود» ومؤلفات لم تطبع وله دواوين شعرية ومؤلفات منها: «خواطر مصرحة.. والبراعم (ديوان شعر).. وسليمان بن عبد الملك ونحو كيان جديد وغيرها».

المغرب هويته الثقافية وانتماءه الى تراثه وحضارته كل هذا مؤشر على ان مغرب الغد ـ منسجما مع مختلف الثقافات سيعطى ويأخذ دون عقدة خوف او نقص او استعلاء.

وإذا كان لكل شىء ايجابياته وسلبياته فإن سلبيات نهضتنا المعاصرة لم تخلص بعد من تأثيرات عتيقة تضيق بها اللغة والواقع ومن تأثيرات غربية لم تناسب طبيعة التفكير المغربى وعبقريته غير ان عالمية المعرفة وسرعة انتشار الأعلام والجهد المبذول لقيام حوار هادف بناء بين الشرق والغرب والشمال والجنوب سوف ينعكس كل ذلك على ثقافة المغرب ليكون ادبه اكثر تحررا وبحثا عن عالم انسانى موحد الأهداف والغايات.

والشىء المؤكد ان الامة العربية فى حاجة الى ترتيب بيتها الثقافى لا تقل عن حاجتها الى ترتيب بيتها السياسى والاقتصادى ولهذا عليها ان تعيد النظر فى شؤون الأدب والفكر وتقيم التجربة الأدبية الحالية لتفصل بين المظهر المفروض على مجتمعنا والجوهر الوجدانى والنفسى المتأمل فى اعماق الأمة العربية.

وإن طبيعة المرحلة التاريخية تفرض مزيدا من التخطيط والوعى والتنمية لنخرج من عصر الفرقة والخلاف المفروض على العرب فى مواجهة موحدة للتحديات وما اكثرها.

أن هندسة النهضة اليوم ليست بيد الادباء والقراء والنقاد والكتاب فقط بل بيد العلماء والسياسيين والاعلاميين ايضا وفى مراكز البحوث والمجامع مثلما هى فى المؤسسات والمنظمات العامية والقومية.

وإن اداة النهضة من صحافة وتلفزيون وسينما ومسرح وبنوك المعلومات ومراكز الترجمة يجب ان يكون لها منطلقات جديدة لا تصدر عن أفراد فقط مهما كانت عبقريتهم بقدر ما ينبغى ان تصدر أيضاً عن المنظمات والمؤسسات لتستشف الدور الحضارى متكاملا.. تدخل باب الحضارة المستقبلية بعطاء غير مشوب بنقص.



مضت ثلاث سنوات منذ وصولى فرنسا ولازلت أترقب ما يحدث واحاول متابعة الانجازات الثقافية هنا وهناك ولكن من الصعوبة بمكان متابعة الأحداث هنا نظرا لسرعتها وتتابعها فى فترات متقاربة.

ولدى منذ زمن ليس بالقصير تساؤلات متعددة.. حول موقع المجتمع الفرنسى ضمن المجتمعات الغربية؟ مظاهر الحياة الثقافية؟ وسائل الاعلام ودورها فى توجيه الرأى العام؟ وأخيراً صورة العالم العربى فى فرنسا؟.

فحسب معايشتى للمجتمع الفرنسى ألاحظ أنه مجتمع محافظ يميل كثيراً الى الوحدة مع نفسه.. ولكن من ناحية أخرى يحب كثيراً المناقشة وتحليل الآراء المختلفة فهو مجتمع حذر وغير متسرع.. يميل الى الهدوء فى معظم الأحيان.

ولذلك فإن التعامل مع هذا المجتمع - فى الحقيقة - صعب جداً فلابد من فهم تركيبته الاجتماعية وعاداته وتقاليده، ثم بالتالى محاولة الاتصال بأفراده من أجل معرفة آراءهم وأفكارهم ثم نظرتهم للمجتمعات الأخرى.

● هذا المجتمع يعطى الثقافة ومجالاتها أهمية لا يعادله فيها - حسب رأيى الخاص - أى مجتمع فى العالم - وكدلالة على ذلك..

الحياة الثقافية فى فرنسا ممتدة ساحتها.. حتى المقاهى الشعبية تتحول أحيانا إلى نادٍ أدبى مؤقت يتكون أعضاؤه من مرتادى المقهى..

عشرات الكتب الصادرة يومياً فى مجالات مختلفة.. والافلام السينمائية الهادفة المعروضة بانتظام.. المسارح التى تعرض المسرحيات المترجمة لاعمال كبار المفكرين والأدباء والمتعلقة بالجوانب الثقافية والسياسية والاجتماعية.. اضافة الى الكثير من الجرائد والمجلات المتخصصة والشاملة لجميع العلوم الانسانية.. بجانب خمس قنوات تلفزيونية تعمل ١٢ ساعة يومياً. الجامعات العريقة فى المدن الرئيسية ومراكز البحوث المتخصصة والمنتشرة فى المقاطعات الفرنسية المختلفة.

ولذلك فإن اطلاق لقب «فرنسا القلب الثقافى لاوروبا» يعبر عن حقيقة ما يجرى فى هذا البلد من حياة ثقافية شاملة من الصعب مقارنتها بحياة أخرى.

فى هذا الجو يعيش الفرنسى معايشاً للأحداث ومتفاعلاً

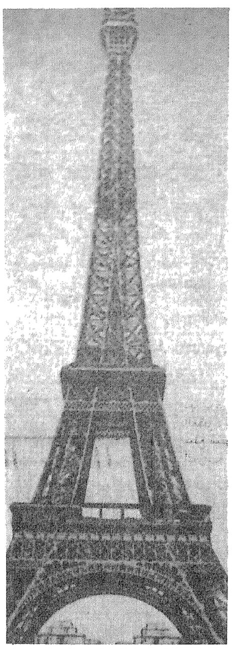
التجربة في فرنسا

خالد الرجيعي

معها . . وبنفس الوقت يبحث عن كل جديد (يحلل . . يناقش . . يعترض) المواطن هنا فى حالة ترقب دائم .

● فى هذا البلد الديمقراطى الذى أوصل حرية الفرد الى مكان مميز فليست هناك أى رقابة عليها إلا ان يقوم ذلك الفرد بالاعتداء على حرية الآخرين فيتعرض لعقوبة القانون فيحكم عليه بموجب القانون الذى وافق عليه . .

● من خلال وجودى ومتابعتى المستمرة لما يحدث توصلت الى أن هذا المجتمع أوصل الحياة الى مكانة يبحث الانسان دائماً عن الطرق الموصلة اليها . . ولكن لابد من التذكير بأن تلك الحياة ومستواها الحالى لم يكن الوصول اليها سهلاً ولكنه حدث نتيجة لجهود شاقة ومعقدة وتحديات صعبة اوصلت العقليات الى تحليل

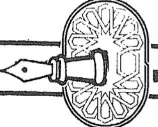


واعتبار وفهم المشاعر الانسانية فوجد المواطن الفرصة والجوالمناسب للعمل والمثابرة للوصول الى اهدافه فى الحياة واثبات وجوده .

ونظراً للعلاقات الشخصية التى حاولت بواسطتها الاتصال بفئة من هذا المجتمع من أجل ان اكسب من خلالها خبرة جديدة فى مجال الفكر والرأى وهى فئة تعيش ضمن اطار الجامعة من اساتذة وباحثين وطلبة حيث ان نسبة كبيرة من هؤلاء يمتلكون عقليات رزينة ويدركون جيداً أن الثروة الحقيقية فى الحياة هى ان يستمر التفكير . .

ولذلك كانت علاقتى بتلك الفئة وستبقى كذلك علاقة يسودها التفكير والاحترام المتبادل .

والحقيقة ان ما يشدنى هنا هو الحياة الثقافية باشكالها المختلفة ابتداءاً من الجامعات والمكتبات . . والمسارح ووسائل الاعلام . .



والسينما والمتاحف وإنتهاءاً بالمقاهى الشعبية هنا وهناك حيث ان القهوة هنا تتحول الى (نادى أدبى مؤقت) يتكون اعضاؤه من مرتادى هذه القهوة التى تتحول بذلك الى معرض لطرح الافكار والآراء حول الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية والاعلامية.. كل شخص يحاول الادلاء برأيه ومن ثم مناقشته مع الآخرين.. وهكذا..

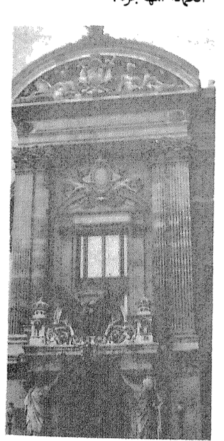
● ومن خلال متابعتى للكتب الصادرة بين الحين والآخر.. والبحث عن الوقت الملائم لقراءتها فإننى أضيف - يوماً بعد يوم - كل ما هو جديد الى تفكيرى وعاطفتى واسلوب الحياة التى أعيشها.

● وبالنسبة لوسائل الاعلام الفرنسية سواء منها المرئية أو المسموعة أو المقروءة فهى موفقة كثيراً فى عرضها لمادتها المشتملة على الأحداث والاخبار هنا وهناك.. سواء فيما يتعلق منها بالاوضاع الداخلية أو الخارجية.. ولكنى ألاحظ أنها تعمد الى المبالغة أحياناً فى تحليلها لبعض الأخبار أو المشاكل بطريقة تجعلنى لا أتابع قراءتها وخاصة التحليلات المنوعة حيث انها تبتعد كثيراً عن الحقيقة نفسها.. ويتفق كثير من أصدقائى هنا على هذه الملاحظة.

فالصحافة الفرنسية مثلا عند عرضها للمشاكل الاجتماعية أو الاقتصادية التى يتعرض لها المجتمع يخرج القارىء منها بفكرة أن المجتمع يتعرض فعلاً لأزمات حقيقية مؤثرة.. ولكن عندما يلقى نظرة على الفرنسيين وأسلوب حياتهم ومظاهرها فإنه يلاحظ أن هناك فجوة بين تحليلات الصحافة والواقع الفعلى لحياة المجتمع وأفراده.

وهناك نقطة مهمة أحاول لفت الانتباه اليها: وهى تتعلق بصورة العالم العربى هنا فى فرنسا.. فهى فى الحقيقة مشوهة وغير واضحة وان كانت هناك أسباب ساهمت بتكوين هذه الصورة عن طريق فئة قليلة من العمالة المهاجرة العربية العاطلة عن العمل والتى ارتكبت بعض الأخطاء غير المغتفرة تجاه المجتمع الفرنسى خاصة فيما يتعلق بالسرقة وتجارة المخدرات وعدم احترام القوانين الادارية المحلية.. كما أن حدوث العديد من أعمال العنف مثل التفجيرات والاختطافات والاغتيالات التى تم تنفيذها على الأراضى الفرنسية - وضد المصالح الفرنسية فى الخارج - وذهب ضحيتها الكثير من الابرياء والتى اعلنت مسئولية حدوثها بعض العناصر العربية غير المسئولة.

كل هذه الاسباب مجتمعة دفعت المجتمع الفرنسى الى الخروج بصورة سلبية عن كل ما هو عربى.. وبذلك عمل على اتباع اسلوب وشعور يتسم بالحذر والقلق والغضب وبالتالى المعاداة للعرب ونتيجة لذلك أصبحت الحوادث العنصرية تزداد يوماً بعد يوم فى جميع ارجاء فرنسا وخاصة فى المدن التى يعيش فيها نسبة كبيرة من العمالة المهاجرة.



وقد لعبت وسائل الاعلام الفرنسية دوراً فى ذلك حيث استغلت هذه الحوادث كوسيلة وذريعة للهجوم ضد العرب دون استثناء. فلذلك كان لها تأثير فعال ومباشر فى تفكير وردة الفعل لدى المواطن ولذلك فإن حزب اليمين المتطرف (حزب الجبهة الوطنية) (F.N) استغل هذا الوضع استغلالا مباشراً.. حيث بدأ المناداة الى طرد العرب من فرنسا وخاصة العاطلين منهم وصغار السن.. والى تخفيض حجم العلاقات الفرنسية ـ العربية وخاصة فى المجال الاقتصادى. وتزداد شعبية هذا الحزب يوماً بعد يوم.

● ●
بعض الممارسات الخاطئة من بعض المهاجرين العرب فى فرنسا شوهت الصورة العربية هناك..
● ●

كل ذلك يحدث والدول العربية لم تقم بأى بادرة من اجل توضيح صورة العالم العربى أمام المجتمع الفرنسى والدفاع باستمرار عن ما يطرح ضده وذلك بواسطة وسائل الاعلام الفرنسية المختلفة.

وهناك ـ بوجهة نظرى الخاصة ـ فرصة تاريخية للدول العربية تتمثل فى «**معهد العالم العربى**» فى باريس.. والذى سيتم افتتاحه رسمياً فى شهر اكتوبر القادم.. وذلك بأن تعمل جميع الدول التى ساهمت بإنشائه على الاتفاق بشأن استيراتيجية موحدة شاملة لجميع المجالات خاصة الاعلامية بالاضافة الى المجالات السياسية والثقافية.

● وفى رأيى ان الجامعات ووزارات الثقافة والخارجية.. ومراكز البحوث والدراسات العربية المتخصصة تقع عليها مسئولية أداء رسالة متكاملة من خلال هذا المعهد ولابد من التنسيق فيما بينها حيث ان الاعلام العربى غير موجود فى القارة الاوربية.. وان يتم التركيز على استغلال الوسائل الاعلامية الفرنسية من صحافة واذاعة وتلفزيون وسينما من أجل اعطاء المجتمع الفرنسى والمجتمعات الاوروبية الأخرى فكرة واضحة عن العالم العربى والاسلامى وعن كل ما يستجد من أخبار وأحداث.. ذلك لأن الإعلام يعد انعكاساً للمفاهيم التى يعيشها المجتمع فى المجالات المختلفة ويصل الى الرأى العام بطريقة سهلة ومباشرة. وأن يتم بالاضافة الى ذلك وضع برنامج متكامل يتضمن محاضرات وندوات ودراسات على مدار العام.. وذلك ضمن نطاق النشاط الثقافى بالمعهد.

● وحسبى انه متى ما تم الاتفاق على تلك الاستراتيجية الشاملة فإن الصورة التى يحملها المجتمع الفرنسى عن العرب وتفكيرهم وثقافتهم ستتغير تدريجياً نحو الأفضل. بل وفى فترة مستقبلية قادمة سيجد هذا المجتمع نفسه مضطراً لمعرفة المزيد والمزيد عن حضارتنا الانسانية الغنية.



يأخذ البعض فى تقديرهم احيانا ان الإعلام ونقصد الإعلام العربى ذو طبيعة ومضمون سياسى سيما حين يكون ميدان عمله فى المجال الخارجى ولئن كان مثل هذا التقدير صحيح ومفيد فى مراحل معينة يكون فيها الموقف السياسى الذى يعبر عنه الاعلام وينطبق بمشكلاته موقفا موحدا واضح المعالم فإنه ليس كذلك حين تكون المواقف السياسية غير منسجمة وحين يصل الاختلاف فى شأن القضايا التى يدعو لها الاعلام مرحلة خطيرة ينتقى فيها ما يسمى بالحل الوسط او الحد الادنى من التفاهم.

وفى الظروف السياسية السائدة فى عالمنا العربى التى ليست بحاجة الى توصيفنا لها فان ما يطلق عليه «بالاعلام السياسى» لا يمكنه ان يؤدى وظيفته الناجحة بمصداقية وشمولية لإحداث التأثير المطلوب والاستجابة المتفاعلة لدى الجمهور المستقبل ايا كانت الاشكال والقنوات الاتصالية المستخدمة وقد عبر كثير من خبراء الاعلام العرب عن خيبة امل مريرة فى السنوات الاخيرة من ظاهرة الوهن فى الاعلام والسياسة من جهة وبسبب المعطيات القائمة فى الواقع العربى السياسى من جهة ثانية.

لكل هذا يبدو من الواضح ان يتجه الاعلام العربى بمرافقه ومكاتبه المنتشرة فى انحاء مختلفة من العالم الى البعد الثقافى فى أولوياته محكوما بعوامل عديدة من شأنها ان تضغط فى هذا الاتجاه واهمها:

> **العمل الثقافى العربى فى الخارج يحتاج فى مده وانتشاره الى تعاون المؤسسات والمنظمات الثقافية فى العالم العربى**

● ان عنصر الثقافة فى معانيه والوانه المختلفة يعتبر من اقدم قنوات الاتصال بين الامم والشعوب وحينما تنفتح الشعوب على ثقافات بعضها البعض تحدث عملية تفاهم عقلية وعاطفية فيما بينها تساعد على ازالة الترسبات وتنقية الصورة وفتح مسالك اوسع لتنمية العلاقات بينها فى مجالات اخرى.

● ان الثقافة والتعرف من خلالها بين الدول تتخطى حجب السياسة وحواجزها لتصبح عملية التبادل فى دائرتها حركة تعامل شعبى لا يمكن ان يصنعها بقرارات سياسية سلطوية وبمعنى آخر ان الثقافة كقناة للتفاهم الشعبى تتفوق على ما ترسمه الاتفاقات التى يوقعها السياسيون فى تحقيق التعاون بين الشعوب بل يمكن ان تعجز الاتفاقات وارادات السياسيين عن تحقيق ما تنجزه الثقافة فى هذا الميدان.

وما نقصده بالثقافة هو ما تواضع عليه المتخصصون من أنها ذلك

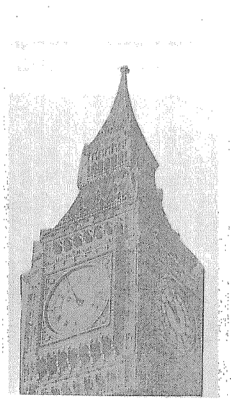
التجربة في لندن

محمد مصالحة

تونس

الرصيد المتراكم لدى شعب ما من القيم والمفاهيم والتقاليد وانماط السلوك فى بعديها المادى والمعنوى وتعكس خبرة ذلك الشعب الحياتية وتجاربه الانسانية وفى هذا فهى مفهوم يتصل بالادب والفن والفكر والانجازات التى يحققها شعب ما فى هذه المجالات.

ومما لا شك فيه ان دول العالم قديمها وحديثها قد تنبهت الى اهمية الاتصال الثقافى لوسائل الاتصال الحديث وهكذا استغلت الدول المتقدمة والمتخلفة على السواء هذا التطور لتعزيز التفاهم بينها وتبادلت عبر الاقمار الصناعية والمحطات الارضية وشبكات الاذاعات والتلفزة البرامج والمسلسلات الثقافية المتنوعة وكذلك تبادلت الفرق الرياضية والموسيقية والمعارض وركزت على اللقاءات المباشرة فى الندوات والحلقات العلمية التى تعالج موضوعات ثقافية تتصل باهتمامات كل منها.



ولم يكن حظ العالم العربى فى هذا المضمار اقل من سواه فقد دأبت الدول العربية فى ان تستفيد من هذا التعامل الانسانى الثقافى بهدف التعريف بتجاربها وأوجه التطور الذى حققته ويعكس خصائص شخصيتها الوطنية وقد شهدت العديد من العواصم الاوروبية الغربية تظاهرات عربية قُطْرية فى غالبيتها وعلى مستوى الجامعة العربية فى السنوات الماضية وقد كانت حصيلة هذه التظاهرات كبيرة فى معايير الربح الاعلامى وذات مردود يتفوق على ما تكتبه صحيفة او يتضمنه برنامج اذاعى وسواها من قنوات الاتصال الحديث.

واخذاً بهذا الاسلوب فى العمل احتضنت فى العامين الماضيين بعثة الجامعة العربية فى لندن برنامج عمل ثقافى بدعم من مجلس السفراء العرب وقد تركب البرنامج من عدة محاور تم وفقا لها توزيع العمل الى عدة قطاعات هى:

(١) قطاع المراكز الثقافية:

ويشتمل على اقتراحات بشأن اقامة مركز ثقافى عربى فى لندن يكون نواة لمجلس ثقافى عربى ودولى يضم مكتبة شاملة وقاعة لعقد الندوات والمعارض وتساهم فى إنشائه المؤسسات العربية الرسمية والخاصة.

(٢) قطاع الجامعات واقسام الدراسات العربية والاسلامية فى المملكة المتحدة:

ويستهدف النشاط فى هذا القطاع اعداد دليل شامل باسماء المراكز واقسام الدراسات العربية والشرقية فى الجامعات البريطانية واسماء المحاضرين فيها وعقد اجتماعات دورية لهذه الاقسام مع المؤسسات العربية الرسمية والعلمية للاستفادة من طاقتها وامكاناتها فى تنمية التعامل الثقافى العربى البريطانى.

كما دعت الخطة الثقافية الى تعزيز الاتصالات بين الملحقين الثقافيين العرب واساتذة الجامعات البريطانية المعنيين بالشؤون العربية للاستفادة منهم فى المناسبات الوطنية والقومية.

وترى الخطة وهى محقة فى ذلك ان قطاع الجامعات اذا ما تم استغلاله بصورة مثلى يعتبر بيئة مواتية للعمل الثقافى العربى حيث تشكل الجامعات المنتسبة لها من مدرسين وطلبة وعاملين قوى اجتماعية مثقفة ومؤثرة فى آن واحد فى البناء الفكرى والثقافى للامة اية امة. وبمعنى آخر ان عناصر هذه البيئة تمثل شرائح اجتماعية مستنيرة وقادرة على الاشعاع اكثر من الانسان العادى وبالتالى فان الاتصال بها والتعاون معها يهيىء فرصا افضل للحوار والتفاهم.

ومما لا شك فيه انه يمكن وضع تفصيلات برنامج طموح ولسنوات عديدة فى هذا الميدان يمكن وفقا له تشجيع تبادل الزيارات بين الاساتذة والمحاضرين الاكاديميين عرب وبريطانيين وتنظيم مواسم ثقافية عربية فى الجامعات البريطانية للاسهام فى هذا البرنامج وتشجيع الطلبة البريطانيين على وضع دراسات عن العالم العربى ثم الانكباب على تزويد مكتبات الجامعات البريطانية بالمراجع والكتب والمطبوعات التى تعالج بروح عملية الشؤون العربية.

● ●

الاتصال الثقافى بين الشعوب أهم وأعمق أثراً من أنواع الصلات السياسية وغيرها.

● ●



لندن

(٣) القطاع التربوى:

وهـو ميدان لا يقل اهمية عن سابقه فالمدرسة هى المؤسسة الثانية بعـد الاسـرة التى تتم فيها تنشئة الافراد وتشكل المجموعات المنتسبة اليهـا من تلاميذ ومعلمين وهيئات إشـرافية وادارية جزءً كبيرًا من اى مجتمـــع . . فهى من حيث الكم والـدور والـوظيفـة من المجـالات الـرحبة للعمل والتأثير على انماط الافكار والاتجاهات لدى الناشئة فى مرحلة مبكرة من حياتهم.

وتساعد عملية الاتصال المنظم ولا سيما بالاجهزة التدريسية وتغذية مكتبـات المـدارس بالمواد الثقافية بالعربية وتنظيم المسابقات الطلابية للكتـابة عن العرب فى موضوعات معينـة والقاء المحاضرات من قبل المتخصصين وتنظيم برامج متصلة للزيارات . . كل ذلك من شأنه ان يضمن دخـــولا مبكـرا فى عمليـة التنشئة والتربية للافراد فى سن مبكر مما يساعدهم على تحديد مواقفهم ايجابا او سلبا فى ضوء ما يصلهم من معلومات صحيحة او موضوعية.

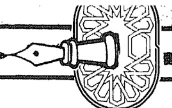
هذه اهم عنـاصـر خطـة ثقـافيـة للعمل فى بريطانيا على سبيل المثال لا الحصر وقد امكن فى وقت قصير الشروع بتنفيذ بعض من توجيهاتها فى المجـــال الثقـــافى حيث نظمت ندوتـان فى مجالى العلوم العـربيـة والطـب وتـاريخـه بالتعـــاون مع مؤسســات بريطـانيـة متخصصـة ونظم اول معرض للكتاب العربى عام ١٩٨٤ وتجرى الترتيبات لعقد دورتـه الثـانية هذا العام . ورتبت زيارات لوفود تربوية ودينية بريطانية الى المنطقة العربية وعقدت حلقة دراسية عن مكانة المرأة فى الاسلام فى المجتمـع العـربى بالتعاون مع جامعـــة اكسفـورد . . وتم توزيـع كميـات من الكتب والمطبـوعـات على المدارس البريطانية تعالج فى مجموعها جوانب مختلفة من الحضارة العـربيـة وابـرز مفكـريها وعظمائها المبـدعـين . . غير ان كل ما تم او سيتم ما يزال دون التوقعات التى وضعت على اساسها خطة العمل الثقافى فى بلد كبريطانيا.

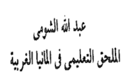
ولعل الحصيلة التى تم التـوصـل اليهـا من مثـل هذه المبـاشـرة فى الاتصال بالمجتمع البريطانى فى قناة ثقافية ومن خلال مؤسساته وافراده المهتمين بالبعد الثقافى تضغط باتجاه التـوسـع والمتـابعة وعدم الانقطاع الـزمنى ومـا يلزم تنفيذها هو توفر القنـاعـات والرغبة السكانية لدى المؤسسـات العربية الثقافية المماثلة (جامعات ـ وزارات تربية وثقافة . .

ومعـاهـد ومراكز ومنتديات فكرية وثقـافية) القابلة للترجمة فى العمل لمساعدة الاجهزة العربية المخططة والمنفذة فى دولة اجنبية كبريطانيا فى اداء دورها.

إن الصعوبات التى تواجه العمل الثقـافى العربى انما تكمن فى توفر عنصر الايمان بهذا البعد فى التعاون

اكاديمية الملك فهد فى لندن





عبد الله الشومى
الملحق التعليمى فى المانيا الغربية

ان الحضارة الاسلامية والعربية قد اسهمت بدور كبير وتركت آثارا عميقة فى تقدم الجنس البشرى وفى نهضة العالم الغربى العلمية والثقافية وخاصة فى مجالات العلوم الانسانية وعلوم الطبيعة مثل الطب والفلك والرياضيات وقد سادت العالم العربى والاسلامى مراحل من الركود إلا ان العالم بدأ منذ فترة يشهد معالم انتفاضة جديدة احتلت المملكة العربية السعودية مكانة الصدارة فى هذه الانتفاضة التقدمية اذ خطت خطوات رائدة شهد بها العالم فى جميع مجالات الحياة وأصبحت برامج التنمية فى وطننا العزيز مثالا وقدوة يحتذى بها هذا وقد علمت البشرية ان شمس الاسلام قد أشرقت من أرجاء هذا البلد الآمن لتنير الطريق أمام كل ضال وتحتضن الحرمين الشريفين ويأوى إليها الآلاف من المسلمين من جميع ارجاء العالم.

دمية في كامل زينتها: لم تعد الدمى تتشبه بالكبار



الدولى لدى مخططى وراسمى السياسات العربية العليا فى المجال الخارجى ووضع اولويات فى مشروعات هذا العمل وتخصيص اعتمادات مالية كافية لها وتدعو الى أن تبادر المؤسسات العربية القومية الى تنسيق جهودها وامكاناتها مهما كانت متواضعة وفى مقدمتها الجامعة العربية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واتحاد الجامعات العربية والمنظمة الاسلامية للتربية والثقافة والعلوم وسواها من الاجهزة والمؤسسات او المنظمات لا سيما الاتحادات العربية ذات الاهتمامات الثقافية كما تدارس معا السبل العلمية للارتقاء بمستوى العمل الثقافى العربى مع الدول او المنظمات الاقليمية المماثلة، لان ما يتم حاليا إنما يجرى فى غياب التنسيق ويأخذ طابع الجهد الاحادى على مستوى الدول ومؤسساتها الوطنية مع الدول الاجنبية.

الثقافة السعودية

تواريخ وارقام

هذا الملف عزيزنا القارئ جهد متواضع من أسرة التحرير قصدنا به رسم أبعاد الثقافة بصورة مركزة ومبسطة لحركة الثقافة في المملكة العربية السعودية وان كنا حرصنا - قدر طاقتنا - على ان يكون شاملاً ودقيقاً الا أنه لم يشمل كل ذلك العطاء.

التعليم في المملكة

تواريخ وارقام

تقدم هذه الاحصائيات السجل الموضوعى لما تحقق من انجازات وما استجد من توسع وتطوير فى إعداد القوى البشرية الوطنية اللازمة لاحتياجات التنمية . . متضمنة كافة الاحصاءات التفصيلية عن كافة مراحل التعليم فى المملكة لتشمل بيانات المدارس والمعاهد التابعة لوزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات والمؤسسة العامة للتعليم الفنى والتدريب المهنى ووزارة التعليم العالى ووزارة الدفاع ووزارة العمل والشئون الاجتماعية ووزارة الصحة وغيرها من المؤسسات والسلطات التى تقوم بدور بارز فى الخدمات التعليمية بالاضافة الى التعليم الاهلى . .

تبين هذه الاحصاءات ان هناك «١٨١٨٤٠٠» طالبا وطالبة يدرسون فى «١٣٤٤٩» مؤسسة تعليمية وان هناك «١٣٤٥٧٧» من المعلمين والاداريين الذكور والاناث يعملون فى التدريس والادارة طبقاً لاحصاءات ١٤٠٢هـ/١٤٠٣هـ وقد صاحب الاهتمام بالتوسع الكمى فى التعليم اهتمام بتحسين نوعية التعليم وذلك من خلال برامج التطوير فى المناهج ونظم الامتحانات والتقويم وبرامج اعداد المعلمين والمعلمات واستخدام التكنولوجيا الحديثة .

نظم التعليم فى المملكة .. ونشأتها

فى ١٣٤٤/٩/١ أعلن المغفور له الملك عبد العزيز إنشاء مديرية المعارف واضعا بذلك الأسس لأول مؤسسة تعليمية حديثة فى المملكة . . وفى المحرم ١٣٤٦هـ صدر قرار تشكيل أول مجلس للمعارف «واضع نظام التعليم فى الحجاز» وقد نص على ان يكون التعليم فى المرحلة الابتدائية اجبارياً ومجانياً وان يتكون التعليم من اربع مراحل هى تحضيرى وابتدائى وثانوى وعالى وجميعها مجانياً فى جميع مراحلها .


جلالة الملك المفدى اول وزير معارف

فى عام ١٣٥٧هـ صدر نظام جديد لمديرية المعارف ظل مصاحباً لها حتى انشاء وزارة المعارف عام ١٣٧٣هـ . .

ومن انجازات مديرية المعارف :

- *أنشأت المعهد العلمى عام ١٣٤٥هـ وهو أول مؤسسة تعليمية حكومية لما فوق المرحلة الابتدائية .*
- *اسست مدرسة العلوم الدينية عام ١٣٥٣هـ .*
- *انشأت مدرسة تحضير البعثات عام ١٣٥٥هـ اول مدرسة ثانوية تؤهل خريجيها للجامعات .*
- *كما اصدرت الكثير من النظم التعليمية للمدارس فى شعبان ١٣٤٧هـ وأصدرت أول منهج سعودى للتعليم الابتدائى عام ١٣٥٤هـ وعملت نظاماً للمدارس الاهلية عام ١٣٥٧هـ كما ان لها تجارب اولى فى افتتاح المدارس الليلية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم وبعض المدارس المهنية وساهمت فى وضع اللبنات الأولى للتعليم العالى بانشاء كلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٣٦٩هـ وكلية المعلمين عام ١٣٧٢هـ .*

ومع انشاء وزارة المعارف ينتقل التعليم الى مرحلة جديدة من النمو والانطلاق كان الملك المفدى فهد بن عبد العزيز أول وزير للمعارف فى المملكة . . وقد

ملف احصائي

وضع الخارطة التنظيمية الأولى للوزارة متضمنة إدارات التعليم المتخصصة فى مختلف مناطق المملكة لتكون نمطاً مصغـراً للوزارة ولتشـرف على ادارة ومراقبة سير التعليم فى كل منطقة وقد تم هذا التطـور على سنوات متعاقبة حتى وصـل الى ماهـو عليه الآن كما يتضح فى الشكل التالى :

● وكـان عام ١٣٨٠هـ عام انشـاء الرئاسة العامة لتعليم البنات دفعة قوية لتـعليم البنــات فى المملكــة الا ان الرئاسة لم تكن اول من شرع بتعليم البنات فقد كان هناك مدارس خاصة أو اهليــة وعـدد من الكتـاتيب التى حافظت على الـتراث الاسـلامى فى تعليم الفتـاة والاهتمام به كان بعضها يلتـزم بمناهج وزارة المعارف وبعضها يجتهـد فى وضـع منـاهـج خاصـة . . واستطـاعت الرئاسة فى اقل من عشر سنـوات ان تحقق نظاماً كاملاً لتعليم الفتـاة السعـودية يتدرج من التعليم الابـتـدائـى الـذى بدأ عام ١٣٨٠/١٣٨١هـ الـى الـتـعـليـم المتـوسـط والثـانـوى والـذى بدأ عام ١٣٨٣هـ وصـاحب ذلك وضع نظام إعــداد المـعـلمات بدأ عام ١٣٨٠هـ وتطـور هذا النظام من خلال مراحله حتى شمـل معـاهـد إعداد المعلمات نظام الثلاث سنوات بعد الكفاءة الى جانـب عدد من برامـج الـتـدريب الاهليـة. ومـع بدايـة عام ١٣٩٩هـ أنشأت الـرئـاسـة الكليـات المتوسطة للبنــات لاعــداد المعلمات للمـرحلة المتـوسطـة والثانوية كما قامت بافتتاح اول كلية للتربية للبنات عام ١٣٩٠هـ بالـريـاض ثم توالى افتتـاح كليـات التربية (انظر الجزء المخصص لتعليم البنات فى هذا الملف الاحصائى) . . كما ان الـرئاسة العامة لتعليم البنات تشـرف على انـواع اخرى من تعليم الفتـاة تشمل مراكز لتدريب الفتيات على التفصيل والخياطة ومراكز لتعليم الكبيرات ومحو الامية .

المرحلة/ نوع التعليم Stage/Type of Education			مدارس Schools	فصول Classes	طلاب Students	معلمون Teachers	اداريون مساعدون Asst Adminis.
ض الاطفال		Kindergarten	1	37	914	46	11
إبتدائي		Elementary	4413	34802	688170	45406	564
المتوسط Intermediate	نهاري Day	General عام	1162	7177	181578	14596	1973
		Modern حديث	3	29	704	72	13
		Quranic تحفيظ قرآن	36	115	1960	279	28
		Evening (General) ليلي (عام)	122	430	19010	—	—
		Total جملة	1323	7751	203252	14947	2014
الثانوي Secondary	نهاري Day	General عام	393	2713	68584	4894	713
		Comp. شامل	4	172	4941	246	25
		Evening (General) ليلي (عام)	65	211	6465	—	—
		Total جملة	462	3096	79990	5140	738
داد المعلمين		Teacher Training	78	538	10127	1318	282
التعليم الخاص Special Education		Blind مكفوفون	11	98	377	381	61
		Deaf صم	10	145	1374	295	145
		Retardates تربية فكرية	7	97	813	183	82
		Total جملة	28	340	2564	859	288
المجموع		Total	6305	46564	985017	67716	3897
ليم الكبار		Adult Education	1475	3291	70755	—	—
المجموع العام		Grand Total	7780	49855	1055772	67716	3897

● وفى عام ١٤٠٠هـ صدر المرسوم الملكى الكريم رقم م/ ٣٠ وتاريخ ١٠/٨/١٤٠٠هـ القاضى بانشاء مؤسسة مستقلة للتعليم الفنى والتدريب المهنى ـ والتى كانت مسئوليته ملقاة على عاتق وزارة المعارف من عام ١٣٩٠ حتى عام ١٤٠٠هـ ـ بهدف تطوير التعليم الفنى والمهنى فى المجالات الصناعية والزراعية والتجارية ورفع مستويات التدريب فى مختلف المجالات والتركيز على البحوث والدراسات المهنية الهادفة الى تنمية الأداء العملى والكفاية الانتاجية للقوى العاملة الوطنية . . وتدير المؤسسة حاليا معهدا فنياً عاليا لتدريب المدرسين العمليين وثلاثة معاهد تجارية عالية للعلوم المالية والتجارية كما يتبع المؤسسة عدد من المدارس «المعاهد الثانوية المهنية» للتعليم الصناعى والزراعى والتجارى كما يتبعها عدد من مراكز التدريب والاعداد المهنى كما تضم دورات مسائية علاوة على الدراسة الصباحية . .

ويتبين ذلك من الشكل الآتى

بيان بعدد المدارس والمعاهد الصناعية والتجارية والزراعية وفصولها على حسب المستوى من ٨٩/ ١٣٩٠هـ الى ١٣٩٩/ ١٤٠٠هـ

السنة الهجرية	عدد الطلاب					عدد الخريجين				
	المعهد التجاري العالي	المعهد الفني العالي	المدارس الثانوية الزراعية	المدارس الثانوية التجارية	المدارس الثانوية الصناعية	المعهد التجاري العالي	المعهد الفني العالي	المدارس الثانوية الزراعية	المدارس الثانوية التجارية	المدارس الثانوية الصناعية
٨٩ / ١٣٩٠	–	–	١٢٨	١٨	٦٩٢	–	–	–	–	١٥٧
٩٠ / ١٣٩١	–	–	٢٩	–	٨١٩	–	–	–	–	٢٠٧
٩١ / ١٣٩٢	–	–	–	١٣٤	٧٦٥	–	–	–	–	١٥٢
٩٢ / ١٣٩٣	–	٥٨	–	٣٢١	٩٧٧	–	–	–	–	١٨٧
٩٣ / ١٣٩٤	–	١١٩	–	٥٨٤	١٤٧٧	–	١٠	–	١١٣	٢٢٦
٩٤ / ١٣٩٥	–	١٠٥	–	١١٧٠	٢١٣٣	–	٥٣	–	٣٣٨	٣٤٥
٩٥ / ١٣٩٦	١٩	١٠٨	–	١٦٤٣	٢٢٩٣	–	٥٠	–	٢٨٦	٦٣٤
٩٦ / ١٣٩٧	٩٥	١٠٦	–	٢٣٠٦	٢٠٤١	١٦	١٠	–	٣٨٠	٦٨٧
٩٧ / ١٣٩٨	٢٢٩	١٤٧	١٣٦	٢٩٨١	١٤٧٤	٤٥	٥٢	–	٨١٨	٦٢٧
٩٨ / ١٣٩٩	٢٤٧	١٤٦	٢٦٥	٣٥١٦	١١٤٥	٧٥	٤٧	–	٨٥٩	٣٩١
٩٩ / ١٤٠٠	٢٦٤	١٣٧	٣٢٢	٤٢٨٨	١٢١٣	٦٣	٦١	١١٨	١٠١٤	٢٦٦

• مستوى متوسط.

بيان بعدد الطلاب والخريجين من المدارس والمعاهد الصناعية والتجارية والزراعية من ١٣٨٩/ ١٣٩٠ حتى ١٣٩٩/ ١٤٠٠هـ

السنة الهجرية	عدد الفصول بحسب النوع						عدد المدارس بحسب النوع					
	المعهد التجاري العالي	المعهد الفني العالي	الزراعية الثانوية	التجارية الثانوية	الصناعية الثانوية	المجموع	المعهد العالي التجارية	المعهد الفني العالي	الزراعية	التجارية	الصناعية	المجموع
٨٩ / ١٣٩٠	–	–	٥	١	٢٧	٣٣	–	–	١	١	٥	٧
٩٠ / ١٣٩١	–	–	٢	–	٣٩	٤١	–	–	١	–	٤	٥
٩١ ١٣٩٢	–	–	–	١٠	٤٣	٥٣	–	–	–	٣	٤	٧
٩٢ ١٣٩٣	–	٣	–	١١	٥٢	٦٦	–	١	–	٣	٤	٨
٩٣ ١٣٩٤	–	٦	–	٢٢	٧٠	٩٨	–	١	–	٣	٤	٨
٩٤ ١٣٩٥	–	٨	–	٤٥	٩١	١٤٤	–	١	–	٨	٤	١٣
٩٥ ١٣٩٦	١	٨	–	٧٣	١٠٨	١٩٠	١	١	–	١١	٨	٢١
٩٦ ١٣٩٧	٥	١٣	–	١٠٢	١٠١	٢٢١	٢	١	–	١١	٨	٢٢
٩٧ / ١٣٩٨	١٣	١١	٦	١٢٩	٨٩	٢٤٨	٣	٢	١	١٤	٨	٢٨
٩٨ ١٣٩٩	١٧	١٢	١٢	١٦٢	٨٢	٢٨٥	٣	٢	١	١٤	٨	٢٨
٩٩ ١٤٠٠	١٤	١٢	١٢	١٨٣	٩١	٣١٢	٤	٢	١	١٥	٨	٣٠

● وقد ظلت وزارة المعارف تشرف على التعليم العالى والجامعى الى بداية عام ١٣٩٥هـ حيث صدر المرسوم الملكى رقم ١/٢٣٦ بتاريخ ١٣٩٥/١٠/٨هـ القاضى بانشاء وزارة التعليم العالى لتتولى تنفيذ سياسة المملكة فى مجال التعليم العالى بالاشتراك مع الجامعات القائمة.

تعليم البنات

● يقوم تعليم البنات فى المملكة على مراعاة الجوانب الدينية والخلقية وغرس المثل الكريمة إضافة الى التزود من المعرفة.. والتعليم فيها غير مختلط.

دور الحضانة ورياض الأطفال

تشجع الدولة دور الحضانة ورياض الاطفال سعيا لرفع المستوى التربوى فى البلاد ورعاية الطفولة وقد كان اهتمام الرئاسة برياض الاطفال مبكراً عن الحضانة حيث افتتحت أول روضة أطفال حكومية فى مكة المكرمة عام ١٣٩٦/٩٥هـ وكانت تستوعب (٢٠٠) طفل مع اشتراط ان تكون الامهات من بين العاملات وفى عام ١٣٩٧/٩٦هـ اخذ هذا النوع من التعليم فى الانتشار والتوسع حتى بلغ (٢٤) روضه حكومية موزعة على المدن الرئيسية فى المملكة.. (والجدول الاحصائى يوضح ذلك التوسع من حيث الكم والكيف) من ١٤٠٠/٩٥هـ.

وفى ١٤٠٠/٨/٦هـ صدر قرار سمو ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء رقم ١٣م/١٩٣٥/٢/٢ بأن تكون تبعية رياض الاطفال على مستوى المملكة للرئاسة العامة لتعليم البنات.

أما فيما يتعلق بدور الحضانة ففى عام ١٣٩٧/٩٦هـ تم الاتفاق مع منظمة اليونيسيف لتقوم مشاركة منها بتزويد رياض الاطفال ودور الحضانة بجميع أقسامها بالالعاب والتجهيزات المناسبة وان تخصص خبيرة فى هذا الشأن لبدء التنفيذ والاسهام بخبرتها كلما دعت الحاجة الى ذلك.

وفى عام ١٣٩٩/٩٨هـ تقرر افتتاح ٢٠ حضانة بمدينة الرياض كتجربة تلاها افتتاح ٢٥ حضانة موزعة على المدن الآتية (جدة ـ مكة المكرمة ـ المدينة المنورة ـ الطائف ـ أبها ـ عرعر ـ الهفوف ـ الدمام ـ بريدة ـ عنيزة.

وقد وصل عدد الاطفال الجدد عام ١٤٠٥/١٤٠٤هـ (٨١٠٠) طفل.

المرحلة الابتدائية:

بدأ التعليم المنظم للفتاة فى عام ١٣٨٠هـ بافتتاح ١٥ مدرسة حكومية للبنات وفصل واحد لإعداد المعلمات وقد تضاعف هذا العدد مع انتهاء

مرحلة التعليم	مدارس	فصول	طالبات	معلمات متفرغات	اداريات متفرغات
حضانة *	٩٦	١٥٠	١٦٠٩	١٨١	—
رياض اطفال	٦١	٢٧٥	٥٨٦٠	٤٧٩	١٦٤
الابتدائى	٣٠٧٥	٢٣٤٠٩	٥١٣٢٢٧	٢٩٨١٨	٥٥١٨
تحفيظ القرآن الكريم الابتدائى	٢٠	١٣١	٢٧٨٩	١٨١	٣٧
المتوسط	٧٨٥	٥١٠٦	١٢٢٨٩١	١٠١٦٠	٢٦٢٣
الثانوى	٢٨٩	٢٤٤٠	٦٥٠٩٠	٤٨٣١	١٢٦٦
اعداد المعلمات معاهد	٨٥	٢٠٦	٤١٤٦	٤٩٣	٤٠
اعداد المعلمات/ كليات متوسط	١٤	اقسام	٢٩٠٨	٣٩٣	٨٢
* التعليم العالى	١١كلية	اقسام	١٥٤٤٢	١٠٨٩	٦١٥
تعليم الكبيرات محو الامية	١٦٦٢	٤٩٥٤	٦٩٠٨١	١١٦٢	٧٦
مراكز التدريب على التفصيل والخياطة	١٩	١٠٧	١١٩٩	١٨١	٤٣
المجموع	٦١١٧	٣٦٧٧٨	٨١٤٢٤٢	٤٨٩٦٨	١٠٤٦٤

الخطة الثانية ١٣٨١/٨٠هـ الى ١٤٠٠/٩٩هـ.

المرحلة المتوسطة:

هى مرحلة ثقافية عامة غايتها تربية النشء تربية اسلامية شاملة يراعى فيها نموه وخصائص الطور الذى يمر به - كما جاء ذلك فى المادة ٨٢ من سياسة التعليم - والجدول التالى يوضح التوسع الكمى لهذه المرحلة منذ بدايتها عام ١٣٨٤/٨٣هـ وحتى ١٤٠٠/٩٩هـ.

المرحلة الثانوية:

هى المرحلة التى تلى المرحلة المتوسطة وتعتبر مرحلة اعداد للتعليم العالى والجامعى وفيها يتم الارتقاء بالتربية العامة للطالبات بالاضافة الى تزويدهن بما يحتجن اليه من العلوم والآداب والمهارات بما يمكنهن من مواصلة الدراسة.

- والجدول التالى يوضح التوسع الكمى فى هذه المرحلة من ١٣٨٤/٨٣هـ أول قيامها الى ١٤٠٠/٩٩هـ نهاية الخطة الثانية.

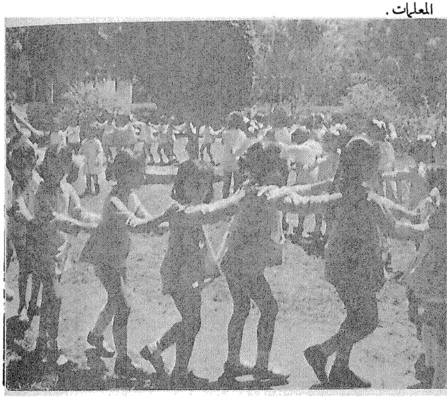
مدارس تحفيظ القرآن

أنشئت عام ١٤٠٠/٩٩هـ للحفاظ على القرآن الكريم واشاعة حفظه ودراسة علومه من قبل فتيات المملكة وتتفق خطة الدراسة فيها مع خطة مدارس تحفيظ القرآن فى وزارة المعارف.

- الجدول يوضح مدى انتشار هذه المدارس سنة الافتتاح.

وقد تم افتتاح اربع مدارس جديدة مع مطلع عام ١٤٠١/١٤٠٠هـ وتتضمن الخطة الثالثة ١٤٠٥/١٤٠٤هـ الوصول الى عشرين مدرسة ليصل عدد الطالبات الى (٢٠٣١) مما يتطلب معه زيادة المعلمات.

تم عام ١٣٩٣/٩٢هـ فتح خمس مدارس فى الرياض ومكة وجدة والدمام ثم اخذت هذه المدارس فى التوسع والانتشار عاماً بعد عام حسب الجدول الاحصائى التالى وحتى عام ١٤٠٠هـ.



محو الأمية وتعليم الكبيرات

لم تغفل الرئاسة ان توجه عنايتها واهتماماتها الى قطاع محو الأمية وتعليم الكبيرات ايمانا منها بان فتح أبواب العلم أمام المرأة يوسع مداركها وينمى شخصيتها ويمكنها من القيام بمسئولياتها الاساسية فى الحياة وتنفيذا للمرسوم الملكى الصادر بتاريخ ١٣٩٢/٦/٩هـ الخاص بمكافحة الأمية فى جميع قطاعات الشعب

التعليم الأهلى

يمثل التعليم الاهلى قطاعا هاماً فى التربية الوطنية يعاون المدارس الحكومية وبخاصة فى الفترة الاولى من قيام الرئاسة العامة لتعليم البنات.. لذا لم تبخل الرئاسة بالدعم والتشجيع المستمر لها.

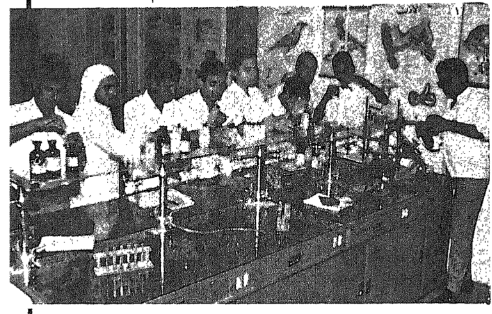
ولقد مر هذا النوع من التعليم بعدة مراحل هى مرحلة الكتاتيب تطورت الى مرحلة المدارس الخاصة التى لا تخضع لاشراف يوحدها..

مثال ذلك المدرسة الابتدائية بمكة المكرمة عام ١٣٦٢هـ ومعهد الرياض النموذجي عام ١٣٧١هـ ومؤسسة الثقافة الشعبية فى جدة عام ١٣٧١هـ. والمدرسة النموذجية بالدمام عام ١٣٧٨هـ وقد ازداد عددها فى هذه المدن حتى وصل الى ١٣ مدرسة تضم (٦٥٥٣) تلميذة.

وعندما قامت الرئاسة العامة لتعليم البنات عام ٨٠/١٣٨١هـ رأت ان من واجبها رعاية هذه المدارس الأهلية والعمل على توجيها ومدها بالعون المادى والفنى مما هيأ لها التطور والنمو وساعدها على البقاء والاستمرار والتوسع وفيما يلى جدول احصائى يوضح ذلك.

مدارس اعداد المعلمات الثانوية

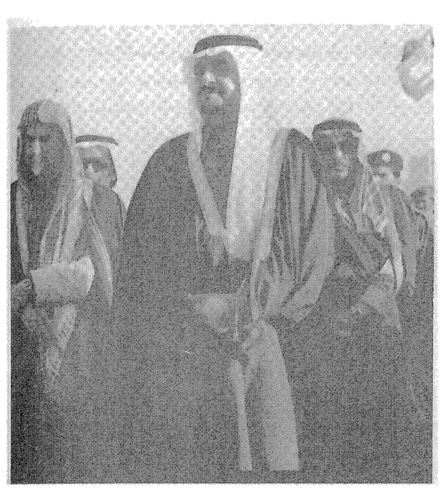
ادركت الرئاسة ان نمو المدارس وسرعة انتشارها يتطلب سرعة التغلب على مشكلة اعداد المعلمات للعمل فى جميع المراحل الابتدائية لذا قررت منذ عامها الاول فتح ابواب اول معهد لاعداد المعلمات كانت الدراسة فيه ثلاث سنوات بعد المرحلة الابتدائية واستمر الحال كذلك حتى مدت الدراسة فى هذه المعاهد الى خمس سنوات بعد الابتدائية ثم رفع القبول الى ما بعد الكفاءة المتوسطة ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات.. وذلك بهدف تحسين نوعية المعلمة السعودية ورفع مستواها الثقافى لتكون على مستوى كاف لتحمل اعباء المسئولية المناطة بها وفيما يلى جدول احصائى يوضح التوسع الكمى فى هذه المعاهد منذ بدايتها عام ٨٨/١٣٨٩هـ وحتى ٩٩/١٤٠٠هـ.

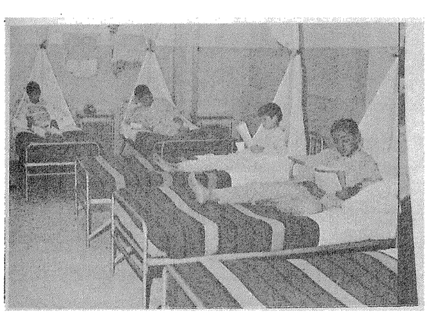


الكليات المتوسطة للبنات

انشأت رئاسة تعليم البنات مع بداية العام الدراسى ٩٩/١٤٠٠هـ أربع كليات متوسطة للتربية فى المدينة المنورة والاحساء والقصيم وأبها اضافت اليها مع العام التالى كلية خامسة فى الطائف وتبلغ كليات البنات حاليا احدى عشرة كلية ثلاث منها فى الرياض هى التربية والتى افتتحت عام ١٣٩٠هـ والمعهد العالى للخدمة للبنات بالرياض والذى انشىء عام ١٣٩٥/١٣٩٦هـ وكلية الآداب للبنات بالرياض التى تأسست عام ١٣٩٩/١٤٠٠هـ وكلية البنات بالدمام التى تأسست عام ١٣٩٩/١٤٠٠هـ وكلية التربية للبنات بالمدينة المنورة التى تأسست ١٤٠١/١٤٠٢هـ وكلية التربية للبنات بالقصيم وكلية التربية للبنات بأبها تأسستا عام ١٤٠١/١٤٠٢هـ وكلية التربية للبنات بتبوك التى تأسست عام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ وقد بلغ عدد طالبات وكالة الرئاسة العامة لكليات البنات للعام الدراسى ١٤٠٣/١٤٠٤هـ مرحلة البكالوريوس ١١٤٢٤ ـ مرحلة الماجستير ٢٧٨ ـ مرحلة الدكتوراه ٢٨.. وبذلك يكون مجموع طالبات الكليات ١١٧٣٠ طالبة.. وقد بلغ عدد اعضاء هيئة التدريس مجتمعين (١٠٠٠) عضو.

وتتكون كليات التربية من اقسام ادبية وأقسام علمية وتبلغ فى جملتها اثنى عشر قسماً هى: *«الدراسات الاسلامية.. اللغة العربية.. الجغرافيا.. التاريخ.. اللغة*





الانجليزية.. التربية وعلم النفس.. الفيزياء.. الرياضيات.. النبات.. الحيوان.. الكيمياء.. الاقتصاد المنزلى..» وبعض تلك الكليات قد استكمل كل اقسامه ككلية التربية بالرياض وكلية التربية بجدة والباقى لازال فى طريق الاستكمال.. هذا فيما يتعلق بالمرحلة الجامعية أما مرحلة الدراسات العليا فقد بدأت فى المملكة بكلية التربية بالرياض عام ١٣٩٧/٩٦هـ وتخرج حتى نهاية عام ١٤٠٤/١٤٠٣هـ اربعون طالبة من مرحلة الماجستير وطالبة واحدة من مرحلة الدكتوراه كما أنه قد تخرج عام ١٤٠٥/١٤٠٤هـ مجموعة من طالبات الماجستير لم توضح حتى الآن فى جدول احصائى.

هذا وقد أوجد قسم الدراسات العليا فى كلية التربية بجدة من العام الدراسى ١٣٩٩/٩٨هـ وتخرج سنة حتى عام ١٤٠٤/١٤٠٣هـ ثلاث وخمسون طالبة من مرحلة الماجستير وطالبة واحدة من مرحلة الدكتوراة أما العام ١٤٠٥/١٤٠٤هـ - فلم يوضح.

وقد اوجد قسم الدراسات العليا بالمعهد العالى للخدمة الاجتماعية من العام الدراسى ١٤٠١/١٤٠٠هـ وبكلية التربية للبنات بمكة المكرمة من العام ١٤٠٢/١٤٠١هـ وبلغ عدد خريجات الماجستير خمس طالبات بكلية مكة المكرمة وأربع طالبات بمعهد الخدمة فى العام الدراسى ١٤٠٤/١٤٠٣هـ وسيواصلن ان شاء الله مرحلة الدكتوراه.

وقد تم افتتاح اقسام للدراسات العليا بكليتى الآداب والعلوم بالدمام وكذلك بكلية الآداب بالرياض فى

ملف احصائي

الكلية / المرحلة	تربية الرياض		تربية جدة	تربية مكة	معهد الخدمة	آداب الرياض	آداب الدمام	علوم الدمام	تربية بريدة	تربية أبها	تربية المدينة	تربية تبوك	الجملة
	الاقسام الادبية	الاقسام العلمية											
مرحلة البكالوريوس	١٤٩٩	٧٤٥	١٥١٤	٥٩٤	٤١٨	٢٦٨٤	٤٤٠١	١١٣٣	٦٠٩	٤٠٩	٧١٤	٣٦٢	١٥٠٨٢
مرحلة الماجستير	٦٧	٥١	٦٠	٢٣	١٩	١٣	٢٢	١٨	—	—	—	—	٢٧٣
مرحلة الدكتوراه	١٣	٢١	٤٤	٩	—	—	—	—	—	—	—	—	٨٧
الاجمالي	١٥٧٩	٨١٧	١٦١٨	٦٢٦	٤٣٧	٢٦٩٧	٤٤٢٣	١١٥١	٦٠٩	٤٠٩	٧١٤	٣٦٢	١٥٤٤٢
	٢٣٩٦												



«احدى فرق الرماية للناشئين»



وزير المعارف   الرئيس العام لتعليم البنات

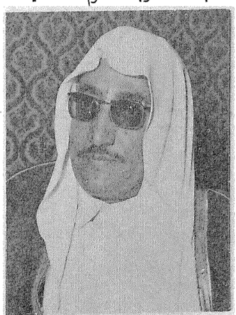
العام ١٤٠٣/١٤٠٤هـ. . (والجداول الاحصائية الآتية توضح التزايد الكمى لعام ١٤٠٤هـ.

الجامعات فى المملكة

تواريخ وأرقام

أقدم جامعات المملكة هى «جامعة الملك سعود» الرياض سابقا.

أنشئت عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) وكانت اول كلية تنشأ بها هى الآداب عام ١٣٧٨/٧٧هـ ثم العلوم عام ١٣٧٩/٧٨هـ ثم توالى انشاء وضم كليات جديدة حتى صارت فى الوقت الحالى ست عشرة كلية وهناك عدة مراكز مرتبطة بالجامعة تقوم باجراء البحوث والدراسات العلمية والتنسيق البحثى للكليات المختلفة هى - مركز البحوث بكلية الآداب انشىء عام ١٣٩٧هـ ومركز البحوث التربوية الذى انشىء عام ١٣٩٦هـ ومركز البحوث العلمية لكلية التربية بأبها الذى انشىء عام ١٣٩٨/١٣٩٧هـ ومركزالبحوث الزراعية الذى انشىء عام ١٣٩٩/٩٨هـ ويتبع كلية الزراعة ومركز البحوث لكلية الصيدلة الذى تم انشاؤه عام ١٣٩٧هـ ومركز ابحاث كلية الطب الذى تأسس عام ١٣٩٨هـ. ومركز البحوث لكلية العلوم الادارية الذى انشىء عام ١٣٩٨/٩٧هـ ومركز البحوث لكلية الهندسة الذى انشىء عام ١٣٩٥/٩٤هـ ومركز الحاسب الآلى المدعم بأحدث تكنولوجيا البرامج المتطورة SOF TWARE ومركز البحوث لكلية طب الاسنان تأسس عام ١٤٠١هـ ومركز البحوث لكلية العلوم الذى انشىء عام ١٣٨٧هـ ومركز اللغات الأوروبية والترجمة بكلية الآداب ومركز الدراسات الجامعية للبنات الذى انشىء عام ١٣٩٦هـ ومركز خدمة المجتمع عام ١٤٠٣/١٤٠٢هـ وللجامعة عدة اصدارات منها مجلة اخبار الصيدلة (١٩٧٤م) ومجلة البحوث الزراعية (١٩٧٣م) ومجلة دراسات كلية التربية «سنوية» وصحيفة رسالة الجامعة التى يصدرها قسم الاعلام وأنشئت عام ١٩٧٥م وصحيفة قسم الاعلام رسالة الجامعة ومجلة العلوم الهندسية



وزير التعليم العالى

(١٩٧٥م) ومجلة كلية الآداب (١٩٧٠م) ومجلة كلية الزراعة (١٩٧٢م) ومجلة كلية الطب (١٩٧٥م) ومجلة كلية العلوم الادارية (١٩٧١م).. وهناك معاهد تتبع جامعة الملك سعود مثال معهد اللغة العربية الذى انشىء عام ١٣٩٤هـ.

وبجامعة الملك سعود انشئت أول مكتبة وهى مكتبة كلية الآداب عام ١٣٧٧/١٩٥٧م وفى عام ١٣٨٤هـ تقرر انشاء مكتبة مركزية تغطى مختلف التخصصات العلمية بالاضافة الى مكتبة خاصة بكل كلية وفى عام ١٣٩٤هـ تم احداث مؤسسة اطلقت عليها اسم عمادة شؤون المكتبات للاشراف العام على مكتبات الجامعة ويقدر عدد كتبها الآن اكثر من (٨٠٠ر٠٠٠) مجلد باللغات المختلفة وبها اقسام متعدده وتضم اكثر من (١٢ر٠٠٠) دورية عربية وأجنبية واكثر من (١٤ر٨٠٠) مخطوط أصلى ومصور على الأفلام ولها «للمكتبة دليل مطبوع يعرف باسم دليل مكتبات الجامعة طبع عام ١٣٩٩هـ.. هذا وقد اوجدت الجامعة لطلبتها الكثير من النشاطات الرياضية والفنية والثقافية ووسائل الترفيه والانشطة الاجتماعية

ملف احصائي

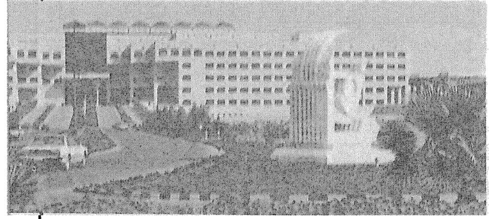
وتوفير المستلزمات الصحية وسبل المواصلات والأقسام الداخلية بالاضافة الى تقديم المكافآت والمنح الدراسية.

عدد طلبة الجامعة لعام ١٤٠٣/١٤٠٤هـ (٢٠٤٠٤) منهم ١٦٠٣٨ من الطلاب و٤٣٦٦ من الطالبات لمرحلة البكالوريوس.. اما مرحلة الدراسات العليا فمجموعها لنفس العام ٤٧٩ منهم ٣٢٨ طالبا و١٥١ طالبة ومجموع اعداد اعضاء هيئة التدريس من اساتذة واساتذة مشاركين وأساتذة مساعدين ومدرسى لغة ومحاضرين ومعيدين ٢٤١٩ بالجامعة.

- الجامعة الاسلامية (المدينة المنورة)

انشئت الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة عام ١٣٨٠/١٣٨١هـ الموافق ١٩٦٠/١٩٦١م كمؤسسة اسلامية عالمية من حيث الغاية عربية سعودية تعنى بالدراسات الاسلامية والعربية وكانت كلية الشريعة اول كلية تنشأ بها عام ١٣٨١هـ انشئت بعدها عام ١٣٨٦هـ كلية الدعوة وأصول الدين وكلية القرآن الكريم والدراسات الاسلامية عام ١٣٩٤هـ وكلية اللغة العربية عام ١٣٩٥هـ ثم انشئت كلية الحديث الشريف والدراسات الاسلامية عام ١٣٩٦هـ.

وللجامعة الاسلامية عدة مراكز تابعة.. منها مركز شؤون الدعوة الاسلامية ولها اصدارات مثل مجلة الجامعة الاسلامية التى تصدر عنها اربع مرات فى العام منذ ١٣٨٧هـ وللجامعة خمس معاهد تابعة لها.. ودور للمرحلة الثانوية والمتوسطة والابتدائية فى المدينة المنورة ومكة المكرمة ولكل كلية من كليات الجامعة مكتبة خاصة وللجامعة مكتبة مركزية تضم اكبر مجموعة من الكتب الدينية والعربية فى شتى العلوم والفنون يبلغ عددها اكثر من تسعين الف مجلد وهى مصنفة ومفهرسة على أحدث الاساليب والنظم العصرية.


جامعة الملك سعود بالرياض


الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

عدد طلاب الجامعة الاسلامية للعام ١٤٠٣/١٤٠٤هـ لمرحلة البكالوريوس ٣٠٦٥ أما مرحلة الدراسات العليا فتضم ٢٧٦ وبذلك يكون مجموع طلابها ٣٣٤١ طالبا أما اعضاء هيئة التدريس فمجموعهم ٣٧٨.

جامعة البترول والمعادن (الظهران)

هى مؤسسة حكومية شبه مستقلة ترتبط اداريا بوزارة التعليم العالى ويشرف عليها مجلس ادارة مستقل وقد تأسست فى الخامس من جمادى الأولى عام ١٣٨٣هـ الموافق ٢٣ سبتمبر ١٩٦٣م بمستوى كلية ثم تحولت الى جامعة فى الخامس من المحرم ١٣٩٥هـ الموافق ١٧ يناير ١٩٧٥م.

وتشتمل الجامعة على:

● كلية العلوم الهندسية التى تأسست عام ١٣٨٧/١٣٨٨هـ الموافق ٦٧/١٩٦٨م وبها الاقسام الآتية: «قسم هندسة البترول والهندسة الكهربائية والهندسة الكيميائية والهندسة المدنية والهندسة الميكانيكية وهندسة النظم وقسم الحاسب الآلى «الكمبيوتر» وتمنح هذه الكلية شهادة البكالوريوس.

● كلية العلوم التى تأسست عام ١٣٨٩/١٣٩٠هـ الموافق ١٩٦٩/١٩٧٠م وبها الاقسام الاتية «قسم علوم الأرض الجيولوجيا».. وقسم الدراسات العامة وقسم العلوم الرياضية وقسم الفيزياء وقسم الكيمياء وتمنح البكالوريوس.

● كلية الهندسة التطبيقية التى تأسست عام ١٣٨٩/١٣٩٠هـ الموافق ١٩٦٩/١٩٧٠م وبها الاقسام الاتية «قسم الهندسة الكهربائية التطبيقية والهندسة المدنية التطبيقية والهندسة الكيميائية التطبيقية والهندسة الميكانيكية التطبيقية وقسم التربية البدنية وتمنح البكالوريوس.

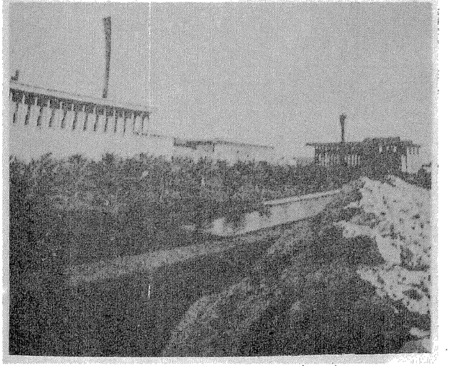
● كلية الادارة الصناعية التى تأسست عام ٩٦/١٣٩٧هـ الموافق ٧٦/١٩٧٧م وبها الاقسام الاتية «قسم الدراسات العليا وقسم الدراسات الجامعية وتمنح البكالوريوس.

● كلية تصاميم البيئة التى تأسست ١٤٠٠/١٤٠١هـ الموافق ٨٠/١٩٨١م وبها الاقسام الآتية «قسم العمارة والهندسة المعمارية وقسم تخطيط المدن وتمنح البكالوريوس.

وللجامعة البترول والمعادن بعض المراكز والمعاهد التابعة لها مثل:

« مركز الحاسب الآلى الذى انشىء عام ١٣٨٩هـ والذى يصدر المجلة العربية للعلوم والهندسة وهى مجلة فصلية «٤ مرات فى السنة» تصدر منذ عام ١٩٧٥م ونشرة البحوث الاكاديمية وهى نشرة فصلية «٣ مرات فى السنة».. وتصدر ايضا مجلة معهد اللغة الانجليزية وهى مجلة فصلية تصدر «٣ مرات فى السنة».

● معهد البحوث الذى تأسس عام ١٣٩٦/١٣٩٧هـ وتشتمل ابحاثه على المجالات الآتية «البترول -



جامعة البترول والمعادن

الدراسات الاقتصادية ـ دراسات البيئة والمياه ـ الطاقة ـ علوم الأرض والمعادن ـ المقاييس والمواصفات .

وللجامعة مكتبة مركزية انشئت عام ١٣٨٥هـ وهي تضم حتى نهاية النصف الأول من عام ١٤٠٣هـ (٢١٦٫٠٠٠) كتاب في علوم شتى وبلغات عربية وأجنبية ومجلات ودوريات علمية وصحف منتظمة وحوالي (٥٣٠٫٠٠٠) مرجع وأفلام مصورة على الرقائق وأغلب هذه المراجع باللغة الانجليزية .

بلغ عدد طلاب جامعة البترول والمعادن للعام الجامعي ١٤٠٣/١٤٠٤هـ (٣٩١٤) طالبا وبلغ عدد اعضاء هيئة التدريس الاجمالي ٦٣١ .







د. منصور التركي — د. عبد الله التركي — د. رضا عبيد

د. راشد الراجح — د. بكر عبد الله بكر — د. محمد سعيد القحطاني

جامعة الملك عبد العزيز (جُدة)

اصبحت جامعة الملك عبد العزيز مؤسسة علمية وثقافية عامة بعد أن كانت اهلية بموجب المرسوم الملكي رقم ١٥٠ الصادر في ٤ صفر ١٣٩١هـ الموافق ٨ اغسطس ١٩٧١م وقد صدر النظام الأساسي للجامعة في ٢٢ محرم ١٣٩٢هـ بموجب المرسوم الملكي رقم م/٥ وتضم جامعة الملك عبد العزيز الكليات الآتية :

● *كلية الاقتصاد والادارة : انشئت عام ١٣٨٧/١٣٨٨هـ وهي اولى كليات الجامعة .*

● *كلية الآداب والعلوم الانسانية التي افتتحت عام ١٣٨٩/ ١٣٩٠هـ .*

● *كلية العلوم التي بدأت الدراسة فيها عام ١٣٩٣/ ١٣٩٤هـ .*

● *كلية الهندسة والعلوم التطبيقية : انشئت عام ١٣٩٤/ ١٣٩٥هـ وبدأت فيها الدراسة عام ١٣٩٥/ ١٣٩٦هـ .*

● *كلية الطب والعلوم الطبية : افتتحت عام ١٣٩٥/ ١٣٩٦هـ وتضم كلية علوم الارض ـ (معهد الجيولوجيا التطبيقية سابقا . . الذي تأسس عام ١٣٩٠/ ١٣٩١هـ وفي عام ١٣٩٨هـ تحول المعهد الى كلية علوم الأرض.*

● *كلية التربية بالمدينة المنورة . . انشئت عام ١٣٩٧هـ وبدأت الدراسة فيها في بداية عام ١٣٩٧/ ١٣٩٨هـ وتضم كلية علوم البحار التي كانت قسما من اقسام كلية العلوم عام ١٣٩٥هـ وفي عام ١٩٧٨م تحولت الى معهد علوم البحار وما لبث ان تحول المعهد وتطور الى كلية عام ١٤٠١هـ .*

وقد بدأت الدراسة في مجالات الارصاد بالجامعة عام ١٣٩٨/١٣٩٩هـ حيث انشيء معهد الارصاد ثم تحول الى كلية عام ١٤٠٠/١٤٠١هـ .

وتضم الجامعة الكثير من المراكز التابعة لها منها : مركز الملك فهد للبحوث الطبية التابع لكلية الطب ومركز البحوث والتنمية الذي بدأ نشاطه عام ١٣٩٤هـ وهو تابع لكلية الاقتصاد والادارة ومركز التعريب التقني الذي انشيء عام ١٣٩٩هـ ومركز اللغة الانجليزية الذي تشرف عليه كلية الهندسة والمركز العالمي لابحاث الاقتصاد الاسلامي الذي انشيء عام ١٣٩٧هـ ومركز الحاسب الالي الذي انشيء عام ١٣٩٦هـ . . ومركز الوسائل وتكنولوجيا التعليم الذي انشيء عام ١٣٩٢/١٣٩٣هـ .

وللجامعة اصدارات علمية مثل نشرة أخبار الجامعة التي تصدر عن قسم الاعلام في كلية الآداب بالجامعة منذ

عام ١٩٧٦م ومجلة الاقتصاد والادارة التى تصدر ثلاث مرات فى العام منذ ١٩٨٢م ومجلة كليــة الآداب والعلوم الانسانية وتصدر سنوية منذ ١٩٨١م ومجلة كلية علوم البحار وتصدر سنوية منذ ١٩٨١م ومجلة الملك عبد العزيز الطبيـة وهى فصليـة تصـدر منذ عام ١٩٨١م والمجلة العلميـة التى تصدر عن كلية العلوم وهى سنوية ومجلة المنار التى تصدر عن اللجنة الاجتماعية منذ عام ١٩٧٩م ومجـلة المـهنـدس التى تصدر عن كلية الهندسة وهى فصلية تصـدر منـذ ١٩٨٢م ومجلة الهنـدسة والعلوم التطبيقية التى تصدر عن كلية الهندسة وهى فصلية تصدر منذ عام ١٩٨١م .

عدد طلاب جامعــة الملك عبـد العزيز للعام الجامعى ١٤٠٣هـ/١٤٠٤هـ:
مرحلة البكـالوريوس ١٤٫٤٠٣ منهم ١٠٫٢٤٣ طالبـاً و٤٫١٦٠ طالبـة أما مرحلة الـدراسات العليا فتضم ٣٥٦ طالبـا وطـالبـة منهم ٢٩٢ طالبا و٦٤ طالبة وتضم الجامعة من اعضاء هيئة التدريس ١٤١١ .

جلالة الملك المفدى يتفقد مشروع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض

جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية (الرياض)

مع بداية النهضة العلمية الشاملة فى عام ١٣٧٠هـ ونظراً لاقبال الشباب على منـاهـل العلم افتتحت حكومة جلالة الملك عبد العزيز رحمه الله معهد الـريـاض العلمى الـذى كان اللبنـة الاولى للمعـاهـد العلميـة فى مختلف مناطق المملكة وافتتحت كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٧٣هـ واللغة العربية بالـريـاض عام ١٣٧٤هـ ثم تتـابـع افتتاح المعاهد العلمية وكانت منضوية تحت مسمى الرئاسة العامة للكليات والمـعـاهـد الـعـلـمـيـة وفى ١٣٩٤/٨/٢٣هـ صدر المـرسـوم الملكى رقم م/٥٠ المبنى على قرار مجلس الـوزراء رقم ١١٠ وتـاريـخ ١٣٩٤/٨/١٧هـ بالموافقة على نظام جامعــة الامــام محمـد بن سعـود الاسـلامية واعتبارها مؤسسة تعليمية وثقافية عالية ومنذ انشاء الجامعة وهى فى توسع مستمر إذ يوجد بها الآن عشر كليات ومعهد عال للقضاء بالرياض وآخران خارج المملكة باندونيسيا واليابان .

اما المعاهد العلمية التابعة لها فقد بلغ عددها ٥٦ معهداً منتشرة فى انحاء المملكـة منهـا أربعـة داخـل الرياض والبـاقى خارجهـا سوى ثلاثـة خارج المملكـة فى رأس الخيمـة ومـوريتـانيا وجيبوتى . . وتشمل الجامعة بالاضافة الى كلية الشريعة واللغة العربية : .

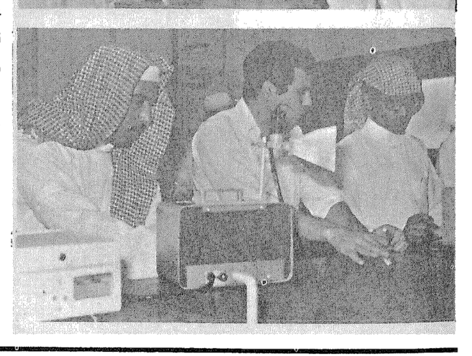
كلية اصول الدين التى تأسست عام ١٣٩٦هـ وكلية العلوم الاجتماعية التى كانت جزءاً من كلية اللغة العربية منذ عام ١٣٩٠هـ ثم استقلت عنها عام ١٣٩٦هـ وكلية الشريعة وأصول الدين بالجنوب التى انشئت عام ١٣٩٦هـ بمدينة أبها وكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب التى انشئت عام ١٣٩٦ بأبها وكلية الشريعة واصول الدين بالقصيم التى انشئت عام ١٣٩٦ ببريدة وكلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالقصيم التى انشئت عام ١٣٩٦هـ ببريدة وكلية الشريعة والدراسات الاسلامية بالاحساء وهى من أحدث كليات الجامعة حيث افتتحت عام ١٤٠٢هـ وكلية الدعوة والاعلام بالرياض والتى تعرف باسم المعهد العالى للدعوة الاسلامية والذى تأسس عام ١٣٩٦هـ وفى عام ١٤٠٤هـ عدل اسمه الى كلية الدعوة والاعلام بموجب قرار المجلس الاعلى للجامعة بجلسته الثانية بتاريخ ١٤٠٤/٧/٢١هـ.

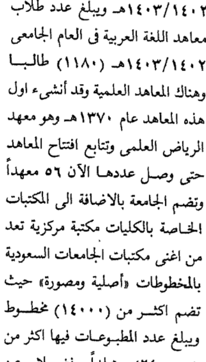
ويتبع الجامعة ويرتبط بها مركز البحوث الذى انشىء بهدف وضع سياسة للبحوث الاسلامية لتوائم العصر ولاجراء الدراسات العلمية فى مختلف المجالات بقصد خدمة الاسلام وقضاياه وابراز خصائصه الكفيلة باسعاد البشر وللمركز ثمانى وحدات تابعة له.

كما ان للجامعة اصدارات تصدر عنها واغلبها سنويا مثل مجلة أضواء الشريعة ومجلة كلية اللغة العربية ومجلة كلية أصول الدين ومجلة كلية العلوم الاجتماعية ومجلة رسالة الطالب المسلم وهى فصلية ومجلة كلية الشريعة بالجنوب ومجلة كلية الشريعة بالقصيم ومجلة «هـذه سبيلى» التى كانت تصدر عن المعهد العالى للدعوة وتصدر حاليا عن كلية الدعوة والاعلام ومجلة كلية الشريعة بالاحساء ومجلة مركز البحوث.

وهناك عدة معاهد تابعة لجامعة الامام محمد بن سعود وهى .. المعهد العالى للقضاء الذى انشىء عام ١٣٨٥هـ والمعهد العالى للدعوة الاسلامية بالمدينة المنورة الذى افتتح عام ١٣٩٨هـ وتم فصله عام ١٤٠٠/١٤٠١هـ ومعاهد تعليم اللغة العربية وهى: معهد اللغة العربية بالرياض انشىء عام ١٣٩٧/١٣٩٨هـ ومعهد تعليم اللغة العربية باندونيسيا الذى افتتح عام ٩٩/١٤٠٠هـ والمعهد العربى الاسلامى باليابان الذى افتتح عام







١٤٠٢/١٤٠٣هـ ويبلغ عدد طلاب معاهد اللغة العربية فى العام الجامعى ١٤٠٢/١٤٠٣هـ (١١٨٠) طالبا وهناك المعاهد العلمية وقد أنشىء اول هذه المعاهد عام ١٣٧٠هـ وهو معهد الرياض العلمى وتتابع افتتاح المعاهد حتى وصل عددها الآن ٥٦ معهداً وتضم الجامعة بالاضافة الى المكتبات الخاصة بالكليات مكتبة مركزية تعد من اغنى مكتبات الجامعات السعودية بالمخطوطات «أصلية ومصورة» حيث تضم اكثر من (١٤٠٠٠) مخطوط ويبلغ عدد المطبوعات فيها اكثر من (٢٤٠٠٠٠) مجلداً فضلا عن الدوريات والصحف والافلام المصوره.

معلومات احصائية عن الجامعة.

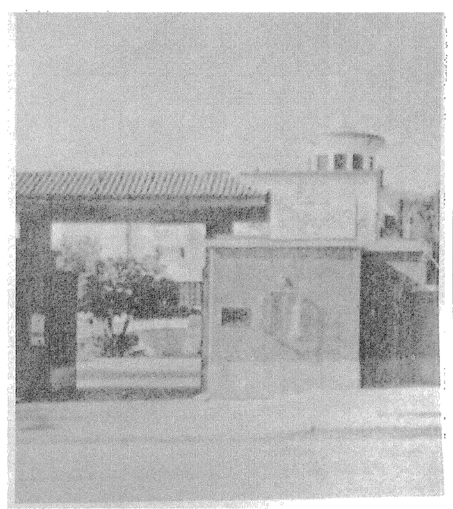
- عدد طلاب الجامعة للعام الجامعى ١٤٠٣/١٤٠٤هـ : .
- مرحلة البكالوريوس (٧٠٢ر٩) منهم (١٦٦ر٨) طالبا و(٥٣٦ر١) طالبة.
- مرحلة الدراسات العليا (٠٧١ر١) منهم (٠٦٧ر١) طالباً و(٤) طالبة.
- عدد اعضاء هيئة التدريس مجموعهم (١٠٢٧).

ـ جامعة الملك فيصل (الاحساء)

كانت فكرة انشاء جامعة بالمنطقة الشرقية امنية لدى جلالة المغفور له الملك فيصل تحقيقاً لفكرة نشر الجامعات فى كل مكان بالمملكة.. وقد تبنى جلالة الملك خالد ـ رحمه الله ـ فكرة انشاء هذه الجامعة واجريت عدة دراسات وعلى ضوئها صدر قرار مجلس الوزراء رقم ١٩٦٤ بتاريخه ٢٠/١١/١٣٩٤هـ بالموافقة على انشاء جامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية وفى ٢٨/٧/١٣٩٥هـ اصدر جلالة الملك خالد رحمه الله ـ المرسوم الملكى رقم م/٦٧ بالموافقة على نظام الجامعة الجديدة وتقرر ان يكون مقرها الرئيسى فى الاحساء ولها فروع فى الدمام وقد افتتحها جلالته يوم الثلاثاء الموافق ٦/٦/١٣٩٧هـ.

وتضم الجامعة الكليات الآتية:

- كلية الطب والعلوم الطبية بالدمام.. التى تأسست عام ١٩٧٥م وكلية العمارة والتخطيط بالدمام التى بدأت الدراسة فيها عام ١٣٩٥/١٣٩٦هـ وكلية العلوم الزراعية والأغذية بالاحساء التى انشئت عام ١٣٩٥/١٣٩٦هـ بالدمام ثم انتقلت الى مقرها الحالى بالاحساء وكلية الطب البيطرى والثروة الحيوانية التى انشئت عام ١٣٩٥هـ بالاحساء وكلية التربية بالاحساء التى بدأت الدراسة فيها اعتباراً من العام الجامعى



جامعة الامام بالرياض

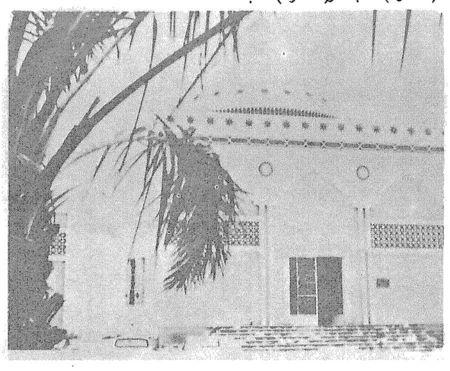
١٤٠٢/١٤٠١هـ وكلية العلوم الادارية والتخطيط التى تأسست عام ١٤٠٤/١٤٠٣هـ على ان تقبل الدفعة الاولى من الطلبة فى العام الجامعى ١٤٠٥/١٤٠٤هـ.

وهناك مراكز ترتبط بالجامعة مثل مركز الترجمة والتأليف والنشر ومركز الحاسب الآلى ومحطة التدريب والأبحاث الزراعية والبيطرية والمستشفى البيطرى التعليمى الذى تم تشييده عام ١٤٠٢/١٤٠١هـ وبدأ تشغيله عام ١٤٠٣/١٤٠٢هـ ومستشفى الملك فهد الجامعى بالخبر الذى افتتح فى ٢١ جمادى الآخرة ١٤٠١هـ.

وللجامعة عدة اصدارات منها مجلة الجامعة وهى سنوية تصدر منذ عام ١٣٩٩هـ ومجلة الفيصل الطبية وهى فصلية تصدر منذ عام ١٤٠٠هـ والمجلة الزراعية البيطرية وهى نصف سنوية تصدر منذ عام ١٤٠١هـ ومجلة الفيصل للعمارة والتخطيط وهى مجلة نصف سنوية تصدر منذ عام ١٤٠١هـ ويوجد بالجامعة بالاضافة الى مكتبات الكليات.. مكتبة مركزية وتوجد فى الدمام وتضم عدة آلاف من الكتب المرجعية والدوريات المهمة فى كل الفنون وسبل المعرفة وقد بلغ عدد الكتب بها لعام ١٤٠٣/١٤٠٢هـ (٦٨٫٠٠٠) مجلد باللغتين العربية والانجليزية بالاضافة الى ما يزيد على (٢٫٥٠٠) نسخة من الدوريات والمجلات العلمية.

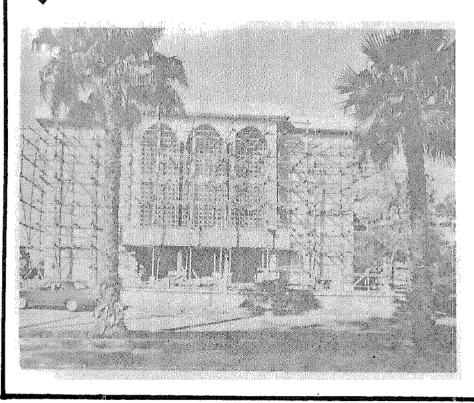
عدد طلاب جامعة الملك فيصل لعام ١٤٠٣هـ (٢٫٦٤٩) منهم (١٫٦٤٨) طالباً و(١٫٠٠١) طالبة

ومجموع اعضاء هيئة التدريس بالجامعة (٧٤٥) عضواً.



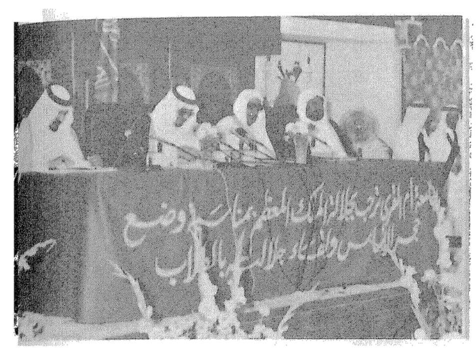
مبنى المكتبة المركزية

بناء مكتبة جامعة الرياض



جامعة ام القرى (مكة المكرمة)

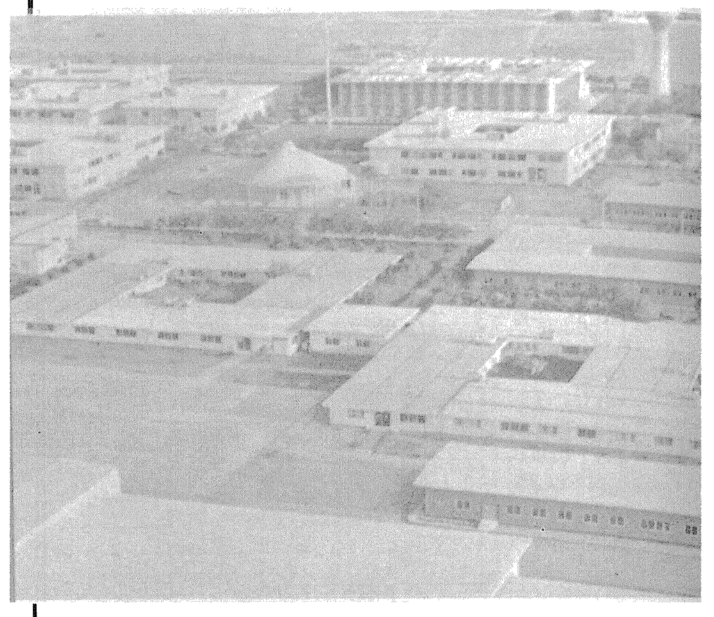
بدأت جامعة ام القرى بإنشاء كلية الشريعة عام ١٣٦٩هـ ثم اسندت مهمة إعداد المعلمين لهذه الكلية عام ١٣٨١/١٣٨٠هـ وسميت كلية الشريعة والتربية.. وفى عام ١٣٨٢ تم انشاء كلية التربية المستقلة بمكة المكرمة وكانت الكليتان تابعتين لوزارة المعارف ثم ضمتا الى جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٣٩١/١٣٩٠هـ وفى ١٤٠١/٦/٢٢هـ صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٩٦ بانشاء جامعة ام القرى اعقبه صدور المرسوم الملكى رقم م/٣٩ وتاريخ ١٤٠١/٩/٢٨هـ بالموافقة على نظام الجامعة وقد افتتح فيها عام ١٤٠٢هـ كلية التربية بالطائف وكلية الدعوة واصول الدين وكلية العلوم التطبيقية والهندسة وكلية اللغة العربية وتحتوى على اكثر من (٥٠) قسماً علمياً للبنين والبنات ومعهد اللغة العربية لغير الناطقين بها وفى بداية عام ١٤٠٣/١٤٠٢هـ صدرت الموافقة على انشاء كلية العلوم الاجتماعية وكلية العلوم الزراعية.. وبذلك أصبحت الجامعة تضم ثماني كليات كما أنشيء معهد للبحوث العلمية واحياء التراث الاسلامى عام ١٣٩٦هـ ويتبع كلية الشريعة ويتبع الجامعة ايضا مركز البحوث التربوية والنفسية الذى انشيء ١٣٩٤هـ ومركز الوسائل التعليمية الذى انشيء عام



جلالة الملك المفدى فى لقائه مع طلبة جامعة ام القرى فى مكة المكرمة



١٣٩٣/١٣٩٢هـ ومركز ابحاث الحج الذى انشيء عام ١٣٩٥هـ ومركز الدراسات العليا الاسلامية المسائية الذى اسس عام ١٤٠٢هـ ومركز تعليم اللغة الانجليزية الذى تم افتتاحه ١٤٠٣/١٤٠٢هـ ومركز الدورات التدريبية الذى انشيء فى ١٣٩٥/٥/٣هـ والمركز العالمى للتعليم الاسلامى الذى انشيء عام ١٤٠١هـ ومركز الحاسب الآلى الذى انشيء عام ١٤٠٠هـ وللجامعة اصدارات عدة منها مجلة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية وهى سنوية تصدر منذ عام ١٣٩٣هـ ومجلة مركز البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى وهى سنوية تصدر من عام ١٣٩٨هـ ومجلة كلية التربية سنوية تصدر منذ عام ١٣٩٥هـ ومجلة ندوة



جامعة الملك عبد العزيز بجدة

الطالب وهى سنوية تصدر عن عمادة شؤون المكتبات ومجلة ثمرات الايمان تصدر عن قسم الطالبات فى الجامعة منذ عام ١٣٩٩هـ ومجلة كلية اللغة العربية ومجلة كلية الدعوة واصول الدين ومجلة الاعلام الاسلامى ومجلة معهد اللغة العربية ومجلة المركز العالمى للتعليم الاسلامى ومجلة كلية العلوم التطبيقية والهندسة.

وهناك معاهد تابعة للجامعة منها معهد اللغة العربية الذى انشىء عام ١٣٩٥هـ كمركز ثم تحول الى معهد عام ١٤٠٠هـ ـ معهد البحث العلمى واحياء التراث الاسلامى وتم انشاؤه عام ١٤٠٢/١٤٠٣هـ وتضم الجامعة ايضا منذ عام ١٣٩٦هـ المكتبة المركزية بالاضافة الى مكتبات خاصة بكل كلية وتضم المكتبة المركزية اكثر من (٢٥٧,٠٠٠) مادة مكتبية من الكتب المطبوعة والمخطوطات فيها حوالى (٦٦٠) مخطوطاً ولها اشتراك فى (٣٠٣٦) دورية عربية واجنبية فى مختلف العلوم والفنون والمعرفة.

عدد طلبة جامعة ام القرى للعام الدراسى ١٤٠٣/١٤٠٤هـ (٩٤٢١) منهم ٥٦٤٧ طالباً و(٣٧٧٤) طالبة.

الاذاعة في المملكة

تواريخ وارقام

يمكن تقسيم تطور الاذاعة فى المملكة الى أربعة مراحل:

■ المرحلة الأولى: (١٣٦٨-١٣٧٤هـ):

كانت تسمى (الاذاعة اللاسلكية للمملكة العربية السعودية من مكة المكرمة).

١٩ رمضان ١٣٦٨هـ: أذيع اول برنامج تجريبى من استديو جدة (أول استديو تم انشاؤه).

٢٣ رمضان ١٣٦٨هـ: صدر المرسوم الملكى بتأسيس الاذاعة

قبل موسم حج ١٣٦٨هـ: انتهى العمل من ستديو مكة المكرمة.. ومنه اذيعت شعائر الحج لذلك العام من منى وعرفات لاول مرة.

١٣٦٩هـ: بدأ بث برنامج باللغة الفرنسية والانجليزية.. وفى نفس العام أيضا بدأ بث البرامج الموجهة الى آسيا وافريقية بـ (الأردية والاندونيسية) واضيفت اليها بعد ذلك (التركية - الفارسية - السواحلية - الصومالية - البنغالية - الكورية - التركستانية - البمبارى)..

● بدأ الارسال بقوة (٣ كيلو وات).

١٣٧٢هـ: تأسست ادارة هندسية متخصصة بالاذاعة.. وكانت قبل ذلك مرتبطة بادارة البرق والبريد حتى ربيع الثانى ١٣٧٤هـ: بثت الاذاعة برامجها على موجة متوسطة وخمس موجات قصار.

● **الفترات الاذاعية:** بدأ البث بفترة واحدة مسائية باللغة العربية ثم اضيفت لها فترة صباحية.

فى ذى الحجة ١٣٧٠هـ: أضيفت فترة للظهيرة.

صفر ١٣٧١هـ: أضيفت فترة مسائية أخرى.

لم يتجاوز البث اليومى ثلاث ساعات وربع الساعة.



وزير الاعلام

وكيل وزارة الاعلام

● **نوعية البرامج:** «القرآن الكريم.. البرامج الدينية.. البرامج الثقافية.. أناشيد.. نشرات الاخبار».

■ المرحلة الثانية: (١٣٧٤-١٣٨٠):

جمادى الثانية ١٣٧٥هـ: انتهت اعمال تركيب مرسلة إذاعية فى جدة بقوة (١٠ كيلو وات) لتغطية شمال المملكة.. ركب هوائى متعدد الاتجاهات يُغطى مساحة قطرها (١٢٠٠كم) من جدة.

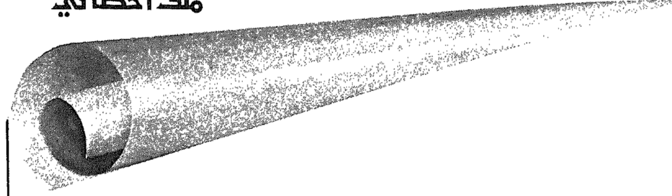
الحجة ١٣٨٠هـ: وضع حجر الأساس لمشروع الاذاعة فى جدة ويستهدف تقوية الارسال ليصبح بقوة (٢٠٠ كيلو وات) بدلا من خمسين.. وكان فى المشروع: إنشاء محطة ارسال على الموجة المتوسطة بقوة (٥٠ كيلو وات) ومحطتين أخريين على الموجة القصيرة.

انشاء استديو كبير لتسجيل التمثيليات الاذاعية - اللقاءات الندوات.

انشاء ثلاث استديوهات اضافية للتمثيليات.

انشاء ثلاث استديوهات للبث

ملف احصائي



المباشر وتسجيل البرامج.

انشاء استديو للبرامج الموجهة.

● الفترات الاذاعية:

من ١٣٧٧هـ: قدمت الاذاعة ثلاث فترات إذاعية:

الصباحية من (السادسة الى السابعة والنصف)

الظهيرة من (الثانية الى الثالثة والنصف)

السهرة من (السابعة مساء الى الحادية عشرة ليلا)

البث اليومى (سبع ساعات)

● نوعية البرامج:

«الدينية - الاعلامية - المنوعة - التمثيليات - الثقافية - الأغاني والموسيقى».

■ المرحلة الثالثة (١٣٨١-١٣٩١هـ):

برامج اذاعة المملكة العربية السعودية

البرنامج العام (من الرياض)
ساعات الارسال اليومية: ٢٠ ساعة
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ١٦٪
- البرامج الثقافية ١٠٪
- البرامج الاخبارية ٢٠٪
- برامج اخرى ٥٤٪

اذاعة نداء الاسلام (من جده)
ساعات الارسال اليومية: ساعتان
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ٢٩٪
- البرامج الثقافية ٤١٪
- البرامج الاخبارية ١٥٪
- برامج اخرى ١٥٪

البرامج الموجهة
اذاعة جدة

برامج القسم الاوروبي
(اذاعة الرياض)

اذاعة القرآن الكريم (من الرياض)
ساعات الارسال اليومية: ١٨ ساعة
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ٧٥٪
- البرامج الثقافية ١٦٪
- البرامج الاخبارية ٦،٥٪
- برامج اخرى ٢،٥٪ (تمثيليات وحلاته)

البرنامج الثاني (من جده)
ساعات الارسال اليومية: ٢٠ ساعة
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ١٦٪
- البرامج الثقافية ١٠٪
- البرامج الاخبارية ٢٠٪
- برامج اخرى ٥٤٪

القسم الفرنسي
ساعات الارسال اليومية: ٥ ساعات
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ١٥٪
- البرامج الثقافية ١٨٪
- البرامج الاخبارية ١٣٪
- برامج اخرى ٥٤٪

القسم الانكليزي
ساعات الارسال اليومية: ٦ ساعات
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ١٦٪
- البرامج الثقافية ٢٠٪
- البرامج الاخبارية ١٥٪
- برامج اخرى ٤٩٪

قسم البمبارا
ساعات الارسال اليومية: ساعة
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ٥٥٪
- البرامج الثقافية ٢٠٪
- البرامج الاخبارية ١٥٪
- برامج اخرى ١٠٪

القسم التركي
ساعات الارسال اليومية: ساعتان
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ٤٠٪
- البرامج الثقافية ٢٧٪
- البرامج الاخبارية ٢٣٪
- برامج اخرى ١٠٪

القسم التركستاني
ساعات الارسال اليومية: ساعة
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ٦٠٪
- البرامج الثقافية ١٢٪
- البرامج الاخبارية ١٨٪
- برامج اخرى ١٠٪

القسم الفارسي
ساعات الارسال اليومية: ساعتان
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ٤١٪
- البرامج الثقافية ٢٨٪
- البرامج الاخبارية ٢١٪
- برامج اخرى ١٠٪

القسم الصومالي
ساعات الارسال اليومية: ساعة
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ٣٦٪
- البرامج الثقافية ٢٥٪
- البرامج الاخبارية ٢٠٪
- برامج اخرى ١٢٪

القسم السواحلي
ساعات الارسال اليومية: ساعة
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ٣٦٪
- البرامج الثقافية ٢٨٪
- البرامج الاخبارية ٢٦٪
- برامج اخرى ١٠٪

القسم الاردو
ساعات الارسال اليومية: ساعتان
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ٤٠٪
- البرامج الثقافية ٢٩٪
- البرامج الاخبارية ٢١٪
- برامج اخرى ١٠٪

القسم البنغالي
ساعات الارسال اليومية: ساعة
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ٤٥٪
- البرامج الثقافية ٢٥٪
- البرامج الاخبارية ٢٠٪
- برامج اخرى ١٠٪

القسم الاندونيسي
ساعات الارسال اليومية: ساعتان
نسبة توزيع البرامج
- البرامج الدينية ٣٨٪
- البرامج الثقافية ٢٧٪
- البرامج الاخبارية ٢٥٪
- برامج اخرى ١٠٪

قفزت ساعات البث اليومى الى سبع عشرة ساعة

بدأت مشاركة المرأة السعودية فى البرامج من خلال البرامج الخاصة بالمرأة والطفل. . ١٣٨١هـ: انشئت اذاعة (نداء الاسلام بمكة المكرمة). .

واكبت أول خطة خمسية للتنمية فى المملكة (١٣٩٠/١٣٩٥هـ).

تميزت هذه المرحلة بالتطور «الكمى والنوعى».

وصلت ساعات الارسال اليومى الى حوالى ٨٨ ساعة.

وزادت ساعات ارسال اذاعتى البرامج الاوروبية بالانجليزية والفرنسية.

البرامج الموجهة باحدى عشرة لغة

رمضان ١٣٨٤هـ: بدأ البث من اذاعة الرياض. . ١٣٨٨هـ: بدأ بث البرنامج الموجه باللغة الانجليزية من اذاعة الرياض. ١٣٩٥هـ انشىء برنامج باللغة الفرنسية من اذاعة الرياض.

وصل عدد البرامج الموجهة باللغات الاخرى غير العربية الى اثنى عشر برنامجاً.

■ المرحلة الرابعة (١٣٩٢- وحتى الآن):

(القرآن الكريم ـ ونداء الاسلام).

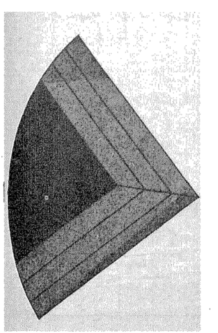
استخدم نظام الدورة الاذاعية بمعدل اربع دورات فى السنة.

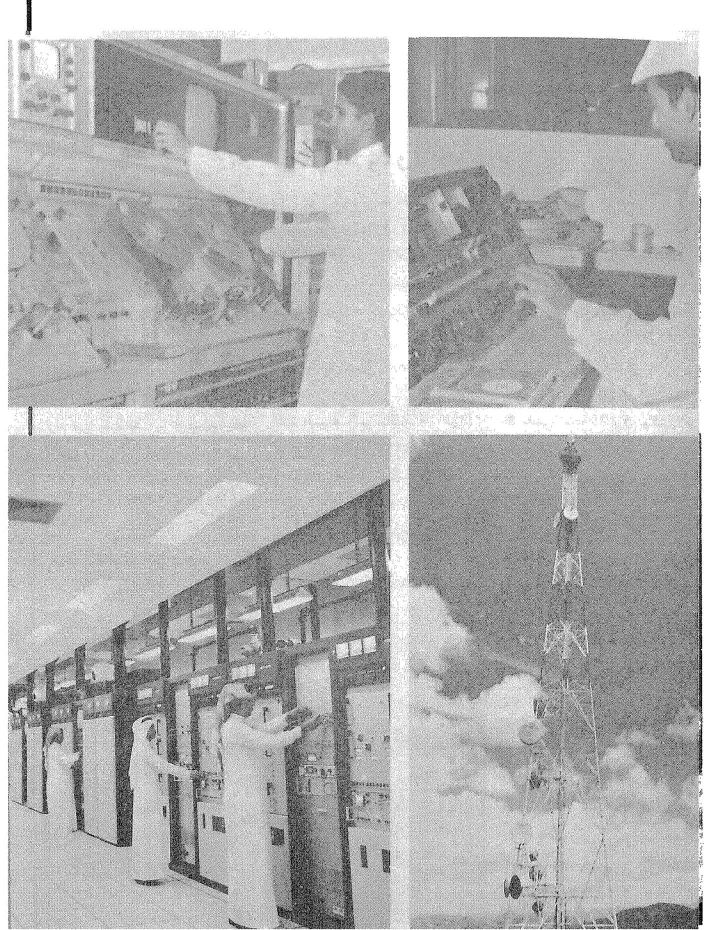
محرم ١٤٠٣هـ: وضع خطط براجية متميزة لشهر رمضان المبارك وموسم الحج واليوم الوطنى للمملكة.

تم إنشاء البرنامج الثانى. . يبث براجه من إذاعة جدة.

وصلت ساعات ارساله اليومى الى (١٨ ساعة).

البرنامج العام من اذاعة الرياض مدة ارساله (٢٠ ساعة).





التلفزيون في المملكة

تواريخ وارقام

المرحلة الأولى: ١٩ ربيع أول ١٣٨٥م/ ١٧ يوليو ١٩٦٥م

● بدأ البث التلفزيوني من محطتي (الرياض) و(جدة).

● قوة الارسال (٢ كيلو واط) لكل منها هوائي ارتفاعه (٣٠٠) قدم.

● يغطي الارسال مساحة تتراوح ما بين (٨٠ الى ١٠٠) كيلومتر.

وتم فيها بعد تطوير وتوسيع محطة تلفزيون الرياض.. اصبحت تحتوي على ثلاثة استديوهات: «احدها للانتاج.. الثاني للبث على القناة (٥).. والثالث للبث على القناه (٧)..

واشتملت المحطة على (٤) مرسلات بقوة (٥ كيلو واط).

المرحلة الثانية: ١٣٨٧/ أغسطس ١٩٦٧م

● وصل البث التلفزيوني من جدة الى (مكة المكرمة والطائف) بواسطة ثلاث مرسلات: الأولى في الكيلو (٢٢) (طريق جدة - مكة المكرمة) وارتفاع برجها (٢٧٠) قدماً - الثانية في (الهدا) وارتفاعها (٣٠٠) قدم.. وهذه توصل الارسال الى مرسلة: (مكة المكرمة) ويبلغ ارتفاع برجها (١٧٥) قدماً وقوتها (٢ كيلو واط) والى مرسلة (الطائف) ويبلغ ارتفاع برجها (٣١٥) قدما وقوتها (٢ كيلو واط) هاتان الاخيرتان معدتان لـ(الاستقبال والارسال معاً) من وإلى محطة (جدة) لاستخدامهما في نقل الاحداث الهامة على الهواء مباشرة مثل المواسم الدينية وغيرها.

المرحلة الثالثة: شوال ١٣٨٧هـ/ ديسمبر ١٩٦٧م:

افتتحت محطة تلفزيون المدينة المنورة.. قوتها (٥ كيلو واط).. ارتفاع هوائيها (٣٠٠) قدم.

ربيع ثاني ١٣٨٨هـ/ يونيو ١٩٦٨م

● افتتحت محطة تلفزيون القصيم.. قوتها (٥ كيلو واط) ارتفاع هوائيها (٣٠٠) قدم.



وكيل وزارة الاعلام المساعد لشئون التلفزيون

شعبان ١٣٨٩هـ/ نوفمبر ١٩٦٩م:

● أفتتحت محطة تلفزيون الدمام.. ارتفاع الهوائي (١٣٧٥) قدماً - يزيد في ارتفاعه عن برج ايفل بسبعين قدماً - لها مرسلتان قوة كل منهما (١٢٫٥) كيلو واط ترسلان بقوة مجموعها (٢٥) كيلو واط.

● تغطي المنطقة الشرقية باكملها من المملكة العربية السعودية ومعظم مناطق الخليج العربي..

رمضان ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م:

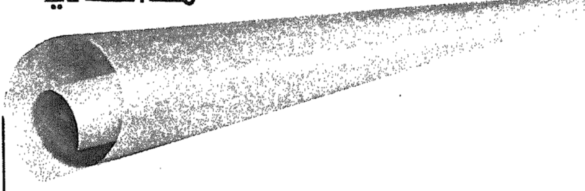
● افتتحت محطة تلفزيون أبها قوتها (٥ كيلو واط) وُسِّعتْ تقوية المحطة لتغطي المساحة حتى حدود المملكة مع الجمهورية العربية اليمنية عن طريق مشروع تقوية ميكروويف تنقل البث من ابها الى جيزان ونجران ومجموعة قرى العابس.

١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م:

● بدأ التلفزيون نقل مناسك الحج للعالم الاسلامي.. وكان ذلك عبر الاقمار الصناعية الاردنية بالتعاون مع التلفزيون الأردني.

١٣٩٤هـ - تم إعداد برنامج مناسك

ملف احصائي



الحج وبثه من جدة عبر الأقمار الصناعية المؤقتة فيها.

شوال ١٣٩٦هـ/ سبتمبر ١٩٧٦م:

● بدأ البث التلفزيونى الملون بصورة دائمة بعد فترة تجارب استمرت عدة اشهر.

١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م: أنشئت وكالة الأنباء السعودية.

●● فى المنطقة الغربية أقيمت ست محطات للتقوية كل منها بقوة (١٠) واط وتقوم بالتقاط الاشارة من مرسلة الطائف وتبثها عبر منطقة الهدا.

● تم انشاء مرسلة على جبل (سلع) بالمدينة المنورة بقوة (١٠) واط لنقل الاشارة من محطة المدينة المنورة الى منطقة سلطانه.

● اقيمت فى المنطقة الشرقية أربع محطات تقوية فى كل من أبقيق ـ رأس تنورة ـ رحيمة ـ الجبيل وقوة كل منها مائة واط.

● لمواجهة توسيع نطاق البث التليفزيونى فى المنطقة الشمالية فقد لجأت وزارة الاعلام الى اسلوب عملى وهو تأمين مراكز متنقلة للبث

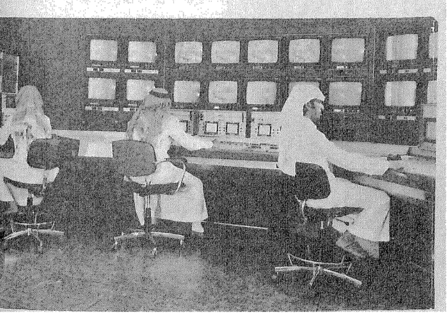
مبنى التلفزيون بالرياض

التليفزيونى عبارة عن وحدات كاملة من السيارات جهزت بمحطة تليفزيون مصغرة. فهناك سيارة تحتوى على أجهزة فيديو تيب وأجهزة عرض سينمائى اضافة الى استوديو صوتى صغير يمكن أن يقدم فيه المذيع (صوتا) مواد البرامج. وهناك سيارة أخرى تحمل برج الارسال الذى يلتقط الاشارة التليفزيونية من أقرب محطة بث أو محطة تقوية أو مرسلة من مسافة تصل الى (٣٠) ثلاثين كيلو مترا.

كما أن هناك سيارة ثالثة تحتوى على محطة كهربائية كاملة لتوليد الطاقة اللازمة لتشغيل وحدات المركز المختلفة.







مراكز البث التليفزيونى فى مجال التغطية التليفزيونية:

أ) مراكز الارسال التليفزيونى:

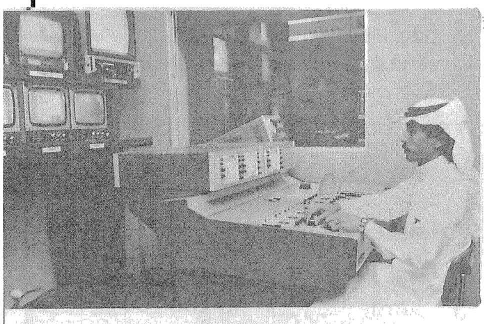
وهى تشمل (٣٣) ثلاثة وثلاثين مركزا للارسال التليفزيونى تغطى مساحة شاسعة من المملكة وتستقبل الاشارة التليفزيونية عبر شبكة الميكروويف ثم تعيد بثها مرة أخرى.

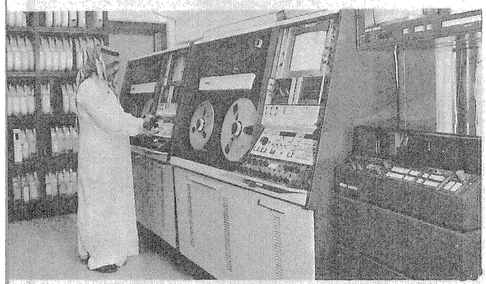
ب) مراكز العمود الفقرى:

وهذه عبارة عن مراكز ارسال صغيرة تتغذى بالاشارة التليفزيونية عن طريق الكيبل المحورى الواصل بين جدة والرياض.

جـ) مراكز اعادة البث:

وعددها اثنا عشر مركزا وهى عبارة







عن أجهزة تستقبل الاشارة من أقرب محطة ثم تعيد بثها.

د) المراكز التليفزيونية المتنقلة:

وهى عبارة عن وحدات من السيارات مجهزة بمحطة تليفزيونية مصغرة وهى موزعة على المناطق التالية: «**حائل - تبوك - الباحة - سكاكا - الخماسين - ينبع - الزلفى - القريات - حفر الباطن**».

وبتنفيذ هذه الخطة أصبح البث التليفزيونى يغطى ٩٠٪ من المناطق الآهلة بالسكان فى المملكة.

مشروع مركزية البث من الرياض:

استكملت مشروعات (مركزية البث) من محطة واحدة (الرياض) وقد تم ربط المحطات ببعضها عبر الكيبل المحورى الممتد من الدمام الى المنطقة الغربية وفى نفس الوقت فانه يمكن البث من أية محطة فرعية عبر محطة الرياض.

الاستوديوهات الجديدة:

١ - استوديو الطائف.. تم انشاء هذا الاستوديو لاستخدامه فى أعمال التغطية التليفزيونية أثناء انعقاد مؤتمر القمة الاسلامى عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) بمدينة الطائف ويتم استخدامه حاليا لبث نشرة الاخبار أثناء اقامة جلالة الملك المعظم فى الطائف وانتقال الوزارات والدوائر الحكومية إليها.

٢ - استوديو الحرم المكى الشريف:

وهو عبارة عن استوديو صغير يشتمل على سبع كاميرات تغطى أرجاء الحرم المكى ويستخدم فى تغطية ونقل الشعائر والمناسبات الدينية المختلفة التى تتم داخل الحرم.

٣ - استوديو مكة المكرمة:

وهو استوديو صغير تم انشاؤه حديثا فى مكة المكرمة وسوف يستخدم أساسا لتغطية أخبار الحجيج أثناء موسم الحج ولانتاج بعض البرامج القصيرة.

التجهيزات الهندسية للشعائر المقدسة:

تم انشاء شبكة للميكروويف تربط أماكن الشعائر المقدسة بمحطة تليفزيون مكة المكرمة اضافة الى قصر جلالة الملك فى منى ومكة المكرمة وعن طريق هذه الشبكة تتم التغطية التليفزيونية لجميع الشعائر أثناء موسم الحج اضافة الى تغطية المؤتمرات التى تعقد بفندق الانتركونتيننتال بمكة المكرمة حيث تم ربطه بها.

ويمكن استخدام طائرة مروحية (هيليو كوبتر) مزودة بأجهزة للتصوير التليفزيونى ترتبط مع شبكة الميكروويف بأجهزة ارسال خاصة لاتمام هذه التغطية بالاضافة الى عدد كبير من الكاميرات التليفزيونية المحمولة مع أجهزة الفيديوتيب.

■■ نسبة توزيع البرامج:

- **البرامج الدينية والثقافية ٢٥٪**
- **البرامج المنوعة والغنائية ١٢٪**
- **الافلام والمسلسلات الاجنبية ٨٪**
- **البرامج التمثيلية المحلية والعربية ١٥٪**
- **البرامج الرياضية ١٠٪**
- **برامج الاطفال ١٥٪**
- **الاخبار والبرامج الاخبارية ١٥٪**

المنظمات والهيئات التى يشارك التلفزيون والاذاعة فى عضويتها:

المنظمات الدولية:

- اتحاد إذاعات الدول العربية
- منظمة اذاعات الدول الاسلامية
- اتحاد اذاعات الدول الاوربية
- اتحاد اذاعات دول عدم الانحياز
- اتحاد اذاعات دول آسيا والمحيط الهندى
- الجامعة الدولية للاذاعة والتلفزيون

المنظمات الخليجية:

- جهاز تلفزيون الخليج
- مؤسسة الانتاج البراجمى المشترك
- مركز التوثيق الاعلامى لدول الخليج
- لجنة التخطيط والتنسيق للاعلام البترولى لدول الخليج العربية
- المركز الخليجى لتنسيق التدريب الاذاعى والتلفزيونى
- وكالة أنباء الخليج.

مركز تلفزيون الرياض:

- يعتبر هذا المركز رمزاً للتطور الاعلامى الذى تشهده المملكة العربية السعودية لما يحتويه من تجهيزات فنية حديثة ولما يوفره من امكانات كبيرة لعمليات البث والانتاج التلفزيونى بالاضافة الى ما يتصف به من روعة فى التصميم والانشاء.
- يشغل مركز تلفزيون الرياض مساحة (٣٣٫٠٠٠) متر مربع.. ومما يشمله المركز:

■ مبنى استديوهات البث والانتاج والدوبلاج.. يضم (٢١) استديو تلفزيونى

■ مبنى النقل الخارجى:

نظرا لأن الارسال التليفزيونى من خارج الاستوديوهات يعتبر من اهم عناصر البرامج التليفزيونية وذلك لما يقوم به من تغطية حية للأحداث الجارية. ولأهمية ذلك فقد حرصت وزارة الاعلام على أن يضم مركز التليفزيون مركزا خاصا مستقلا لأعمال النقل التليفزيونى يتألف من ثلاثة أدوار جهزت جميعها بكافة الامكانيات الفنية مع خمس سيارات للنقل التليفزيونى وخمس عشرة سيارة للتصوير السينمائى من مختلف الأحجام لأعمال التصوير الخارجى والنقل المباشر هذا بالاضافة الى تجهيز هذا المركز بورش فنية لصيانة السيارات والتجهيزات الفنية.

■ **محطة توليد الطاقة الكهربائية الاحتياطية :**

نظرا للأهمية البالغة التى تتطلبها استمرارية بث البرامج التليفزيونية وانتاجها عند انقطاع التيار الكهربائى العام فقد روعى بأن يضم مركز تليفزيون الرياض محطة توليد كهربائية احتياطية بطاقة (١٠) عشرة ميغاوط تعمل بصورة أتوماتيكية فور انقطاع التيار الكهربائى العام لتقوم بتغذية جميع المرافق التليفزيونية والاذاعية ومكاتب الوزارة بالطاقة الكهربائية .

وفيما يلي بيـان مراكـز البث التليفزيوني في مجـال التغطيـة التليفزيونية لمـدن وقـرى المملكة

مراكز البث التليفـزيوني في مجال التغطية التليفـزيونيـة

اسم المركز	قناة البث	بالكيلوواط	مجال البث والتعطية التليفريونية
أبها	٥	٥	١٠٠ كم جنوبا وشمالا ، ١٠٠ كم شرقا وغربا .
جيزان	٧	٥	٤٠ كم جنوبا ، ٢٠ كم شمالا ، ١٠ كم شرقا وغربا .
نجران	١٠	٢٠٠ واط	٢٠ كم شمال شرق ، ١٠ كم غربا .
العابس	٧	١٠ واط	٥ كم الشمال والجنوب الشرقي .
ظهران الجنوب	٦	١٠ واط	١٠ كم في اتجاه الجنوب الغربي .
الاحساء	٩	١	١٠ كم في الاتجاه من الجنوب الشرقي الى الجنوب الغربي .
المجمعة	١١	١٠	٦٠ كم في اتجاه الجنوب .
المفوف	٢٥	١	٢٠ كم في جميع الاتجاهات .
الخرج	١١	١	١٠ كم شمالا ، ٢٠ كم جنوبا .
شقراء	٢٤	٥ واط	دائرة نصف قطرها ٥ كم .
الدوادمي	٢٦	٥٠ واط	دائرة نصف قطرها ١٠ كم .
عفيف	٢٦	٥ واط	دائرة نصف قطرها ٥ كم .
حائل	٥	١	دائرة نصف قطرها ٢٥ كم .
تبوك	١٠	١	دائرة نصف قطرها ٢٥ كم .
الباحة	٩	١	دائرة نصف قطرها ٢٥ كم .
سكاكا	٩	١	دائرة نصف قطرها ٢٥ كم .
وادي الدواسر	١٠	١	دائرة نصف قطرها ٢٥ كم .
ينبع	٦	١	٣٥ كم شرقا ، و ١٥ كم شمالا وجنوبا .
الزلفي	٥	١	دائرة نصف قطرها ٢٥ كم .
القريات	٧	١	دائرة نصف قطرها ٢٥ كم .
حفر الباطن	٥	١	دائرة نصف قطرها ٢٥ كم .
جبل سلع	٧	١٠ واط	١٠ كم شمالا .
رحيمة	١١	١٠٠ واط	دائرة نصف قطرها ٥ كم .
أبقيق	١١	١٠ واط	دائرة نصف قطرها ٥ كم .
الجبيل	١١	١٠٠ واط	دائرة نصف قطرها ٥ كم .
الغاط	٧	١ واط	٥ كم جنوبا ، و ٥ كم شمالا .
عرعر	٢٣	١	٢٠ كم الجنوب الشرقي ، ٥ كم في باقي الاتجاهات .
طريف	٢٤	١	١٥ كم في جميع الاتجاهات .
بيشة	٣٩	١٠	٢٠ كم شمالا ، ٢٠ كم جنوبا .
النماص	٣٠	١	٢٠ كم شمالا ، و ١٥ كم جنوب الشرق .
القنفذة	٢٢	١	٢٠ كم في اتجاه الشمال ، ١٥ كم في باقي الاتجاهات .
ليلى	٢٧	١	٢٠ كم في اتجاه الجنوب الغربي ، ١٠ كم باقي الاتجاهات .
الحوطة	٤٥	١	٢٠ كم في اتجاه الجنوب الشرقي ، ١٠ كم باقي الاتجاهات .
السليل	١١	١	٢٠ كم في اتجاه الجنوب الشرقي ، ١٥ كم باقي الاتجاهات .
أملج	٤١	١	٢٠ كم في اتجاه الشمال ، ٢٠ كم في اتجاه الجنوب الشرقي .
بدر حنين	٩	١	٢٠ كم في اتجاه الجنوب ، ١٠ كم في باقي الاتجاهات .
رابغ	٤٢	١	٢٥ كم في اتجاه الجنوب ، ١٠ كم في باقي الاتجاهات .
الخرمة	٢٦	١	٢٠ كم في اتجاه الجنوب ، ١٠ كم في باقي الاتجاهات .
تربة	٤٠	١	٢٠ كم في اتجاه الشمال الشرقي ، ٥ كم في باقي الاتجاهات .
العلا	٧	١	٢٥ كم في اتجاه الجنوب ، ٢٥ كم شرقا .
خيبر	٢٩	١	٢٠ كم في اتجاه الجنوب ، ٣ كم في باقي الاتجاهات .
تيماء		١	٢٥ كم شمال شرق ، ٢/٥ كم جنوب شرق .
حقل	٢٧	١	٢٠ كم شمالا ، ٢٠ كم شرقا .
الرياض	٧	٥	دائرة نصف قطرها ٧٠ كم .
القناة الثانية			
رفحا	٢٨	١	٢٠ كم شرقا ، ١٠ كم غربا ، ٥ كم جنوبا

النشر و الطباعة

النشر في مفهومه لا يقتصر على تأليف الكتاب أو تصنيعه أو تسويقه بل يجمع كل هذه الأطراف الثلاثة معاً وهى حجر الزاوية فى الحكم على الملامح الثقافية فى أى مجتمع من المجتمعات.

وتعتبر صناعة النشر من الأعمال التجارية الاستثمارية الرائجة على المستوى العالمى وهى فى تقدم مستمر نظراً للتوسع الكبير فى مجال التعليم الذى يشهده العالم قاطبة والمجتمع السعودى بخاصه وطبقاً لاحصائية نشرتها اليونسكو عما نشر عام ١٩٧٤م؟ فقد بلغ عدد العناوين التى نشرت ٥٧١ ألف عنوان وقدر مجموع مبيعات العالم من الكتب عام ١٩٧٠م بحوالى ٣٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار وتمشيا مع هذا التوسع العالمى الكبير فى ميدان صناعة الكتاب فقد شهدت المملكة العربية السعودية تطوراً ملحوظاً فى حركة النشر خلال الفترة ما بين ١٣٩٠/١٣٩٩هـ ولعل أهم ما يميز هذه الفترة انتشار المطابع وتعدد دور النشر والتوسع فى مجال التعليم.

فقد بلغ عدد الموضوعات التى ألف فيها ٢٨٢ موضوعاً شملت فنون المعرفة المختلفة ومنها:

- *الأدب والدين والتاريخ والعلوم الاجتماعية تشكل ٨٥٪ من المجموع الكلى.*
- *الموضوعات ذات الصبغة الادبية حوالى ٣٠٪.*
- *الشعر والقصة الجزء الاكبر منها حوالى ٤٥٪ فعدد العناوين التى نشرت فيها بلغت ١٠٧ عنوانا.*
- *الموضوعات ذات العلاقة بالفنون الجميلة بلغت حوالى ٧٥ر٪ وهى نسبة ضئيلة.*
- *العلوم البحتة تشكل حوالى ٧٪ من المجموع العام وهى نسبة غير مرضية فى عصر العلم والتكنولوجيا.*

● المنهل: هذه الاحصائيات تمثل الفترة ما بين (١٣٩٠-١٣٩٩) وقد استعنا بمؤلف الدكتور يحيى محمود ساعاتى (حركة التأليف والنشر فى المملكة العربية السعودية ١٣٩٠/ شعبان ١٣٩٩هـ ببليوجرافيا موضوعية ودراسات تحليلية قام بنشره النادى الأدبى بالرياض ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

واما ما صدر فى تحليل المناهج والدراسة والكتب الجامعية فإنه لا يجاوز نسبة ١٣ر٦٪ من مجموع الكتب الصادرة.

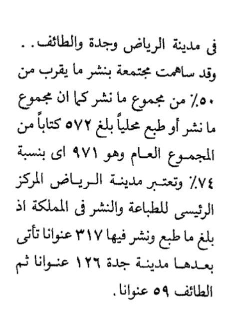
اما فى مجال الترجمة فعلى الرغم من وجود عشرات المثقفين المؤهلين الذين حصلوا على درجات علمية من جامعات غربية فإن ما قدموه فى هذا المجال لا يشكل إلا حوالى ٥ر٪ وهى نسبة ضئيلة جدا.

فى مجال العناية بالتراث فلم يلق ما يليق به من اهتمام فعدد ما نشر من كتب التراث فى هذه الفترة لا يزيد على عدد اصابع اليدين علما بأن اغلبية ما نشر رسائل صغيرة.. وفى مجال العناية بالكتابة للاطفال يُعَدّ الاستاذ عبد الكريم الجهيمان الاديب الوحيد الذى اتجه بجدية نحو هذا الموضوع.. وهناك المشاريع الخاصة بكتب الاطفال تخطط لها بعض دور النشر المحلية.

دور النشر والهيئات العلمية الناشرة:

بلغ عدد دور النشر والهيئات العلمية والوزارات التى ساهمت فى أعمال النشر حوالى خمسين اغلبها يقع

ملف احصائي



فى مدينة الرياض وجدة والطائف. . وقد ساهمت مجتمعة بنشر ما يقرب من ٥٠٪ من مجموع ما نشر كما ان مجموع ما نشر أو طبع محلياً بلغ ٥٧٢ كتاباً من المجموع العام وهو ٩٧١ اى بنسبة ٧٤٪ وتعتبر مدينة الرياض المركز الرئيسى للطباعة والنشر فى المملكة اذ بلغ ما طبع ونشر فيها ٣١٧ عنوانا تأتى بعدها مدينة جدة ١٢٦ عنوانا ثم الطائف ٥٩ عنوانا.

وتعد جامعة الرياض اكبر جهة ناشرة فى المملكة حيث نشرت ٦٤ عنواناً.

وتأتى دار الشروق بجدة فى المركز الثانى اذ بلغ عدد ما تمكنا من احصائه من منشوراتها حوالى ٤٨ عنوانا ذات صبغة اكاديمية بحتة.

ويحتل المركز الثالث نادى الطائف الأدبى الذى نشر حتى الآن اكثر من ٣٦ عنوانا أما جامعة الامام محمد بن سعود فمركزها الرابع وقد احصينا من منشوراتها ٣٠ عنوانا

وجدير بالذكر ان الاندية الأدبية والتى بدأت منذ عام ١٣٩٥هـ لها نشاطات فى ميدان النشر وان كان متواضعاً شكلا ومضمونا. . كما أن لجمعية الثقافة والفنون باع فى نشر عدد جيد من الكتب ولكنها يغلب عليها الطابع الأدبى والشعبى بصفة خاصة وان كانت قد اخرجت عدداً لا بأس به من الكتب المتنوعة.

وتجدر الاشارة أيضا الى ان دور النشر قد توسعت توسعاً ملحوظاً بعد الفترة من ١٣٩٠/١٣٩٩هـ.

وان حركة النشر فى المملكة العربية السعودية تسير باطراد نحو التحسن وقد سبق أن أشار الدكتور عباس طاشكندى فى مقال له نشر بجريدة البلاد ١٣٩٧/١١/٢٧ الى أن «الجدوى الاقتصادية للاقدام على أعمال النشر مضمونة فى هذه البلاد ذلك ان حجم الأعمال التى تنتظر النشر مهولة فى ظل الحاجة الملحة الى نشر المؤلفات الدراسية سواء للتعليم العام بمراحله المختلفة أو التعليم الجامعى والعالى هذا بالاضافة الى مجالات أخرى عديدة كأدب الاطفال

جدول احصائي بعدد ما نشرته الهيئات العلمية والمؤسسات الحكومية رتب أبجديا

اسم الهيئة او المؤسسة	مقرها	عددمانشرته
الجامعة الاسلامية	المدينةالمنورة	١
جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية	الرياض	٣٠
جامعة الرياض	الرياض	٦٤
جامعة الملك عبد العزيز	جدة	١٥
جامعة الملك عبد العزيز	مكة	٨
الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون	الرياض	١١
الجمعية العربية السعودية لعلوم الحياة	الرياض	١
دارة الملك عبد العزيز	الرياض	٩
رعاية الشباب	الرياض	٢
الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد	الرياض	١
كلية التربية للبنات	الرياض	٣
المديرية العامة لسلاح الحدود	الرياض	١
معهد الادارة العامة	الرياض	٦
المكتب الرئيسي لرعاية الشباب	الاحساء	١
النادي الادبي	الرياض	٨
نادي جازان الادبي	جازان	٧
نادي جدة الادبي	جدة	٤
نادي الطائف الادبي	الطائف	٣٦
نادي المدينة المنورة الادبي	المدينة	١٠
نادي مكة الثقافي	مكة	٤
الندوة العالمية للشباب الاسلامي	الرياض	١
وزارة الحج والاوقاف	مكة	١
وزارة الداخلية	الرياض	١
وزارة الزراعة	الرياض	١
وزارة المعارف	الرياض	٢

ونشر الرسائل الجامعية والبحوث العلمية المتخصصة والترجمات ويتوقع ان تستقطب هذه المجالات جهود الناشرين فى انحاء البلاد وتعدد دور النشر سيؤدى بدوره الى تنافس مفيد تنعكس آثاره على الحركة الثقافية فى البلاد . .

ولا شك ان الفترة من ١٣٩٩هـ وحتى الآن ١٤٠٦هـ تعتبر من أخصب وأثرى فترات النشر والتأليف فى المملكة لما صاحبها من:

● توسع هائل فى التعليم فى كل مراحله حتى الجامعة والدراسات التخصصية فوق الجامعية . . فقد بلغت جامعات المملكة الآن (سبع جامعات) عدا المعاهد العليا والمراكز التخصصية .

● وقد أسهمت الجامعات بنصيب وافر فى حركة التأليف والطباعة فى المجالات العلمية والأدبية والتاريخية وغيرها .

● توسع هائل وكبير فى دور الطباعة . . ودور النشر حيث نجد منها على سبيل المثال: تهامة ـ الشروق ـ مؤسسة إقرأ الخيرية ـ دار الرفاعى ـ دار المريخ ـ دار الحرمين ـ دار العلوم ـ المكتبة الوطنية ـ الدار السعودية ـ دار الاصلاح ـ دار ثقيف ـ دار مكة للطباعة والنشر . . وكثير غيرها . . ولسنا بسبيل إحصائها وكلها موزعة فى الكثير من مدن المملكة الكبرى تؤدى دورها فى حركة الطباعة والنشر .

● إسهام رابطة العالم الاسلامى فى هذا الميدان سعيا منها لنشر العلم والمعرفة وربط المسلم بدينه وعقيدته .

● انتشار الأندية الأدبية على اكبر رقعة من المملكة كان له دوره فى ميدان الطباعة والنشر . . وقائمتها تظل فى تصاعد مستمر .

● وكل هذا فى مجموعه أدى الى وجود تلازم بين القارىء والكتاب وازدياد مساحة الوعى القومى .



مؤسس المجلة (رحمه الله) مع الأستاذ محمد حسين الأصفهانى صاحب اقدم دار طباعة فى المملكة .

المطابع في المملكة

	المطبعة	منشؤها	تاريخ الانشاء	ملاحظات
الرياض ★	مطابع الرياض	حمد الجاسر	١٣٧٢هـ	
	المطابع الاهلية للأوفست	عبد الله العلي الصانع	١٣٨٩هـ	
	مطابع جامعة الملك سعود		١٣٩٣هـ	
	مطابع الفرزدق	عبد الله بن خميس	١٣٩٧هـ	
	شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة	سمو الامير خالد الفيصل	١٩٧٧م	
جدة ★	مطبعة الاصلاح	راغب مصطفى توكل	١٣٢٧هـ	
	مطبعة الفتح	عبد الرحيم صدقة عبد الفتاح	١٣٤٩هـ	
	مطابع مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر	أحمد عبيد	١٣٧٢هـ	
	مطابع دار الاصفهاني	محمد حسين أصفهاني	١٣٧٤هـ	
	شركة المدينة للطباعة	علي حافظ، عثمان حافظ	١٣٨٢هـ	
	مطابع جامعة الملك عبد العزيز	إدارة سلوم احمد باهبري	١٣٩٤هـ	
	مطابع سحر	عبد الله خياط	١٣٩٤هـ	
مكة المكرمة ★	المطبعة الأميرية (مطبعة الحكومة)	عثمان نوري باشا	١٣٠٠هـ	
	مطبعة جريدة شمس الحقيقة		١٣٢٧هـ	توقفت أواخر نفس العام
	مطبعة الترقي الماجدية	محمد ماجد الكردي		
	مطابع رابطة العالم الاسلامي		١٤٠٠هـ	
	مطابع الحكومة			
	دار الثقافة للطباعة	صالح محمد جمال	١٣٧٧هـ	
المدينة المنورة ★	المطبعة العلمية	الشيخ كامل الخجا	١٣٢٩هـ	توقفت ودرست آثارها
	مطبعة الحجاز	فخري باشا	١٣٣٤هـ	توقفت ودرست آثارها
	مطبعة طيبة الفيحاء	أحمد الفيض آبادي	١٣٤٦هـ	
		عبد الحق النقشبندي		
	مطبعة المدينة المنورة	علي حافظ، عثمان حافظ	١٣٥٥هـ	
	الشركة السعودية للأبحاث والتسويق	هشام ومحمد علي حافظ	١٣٩٢هـ	
	مطابع الجامعة الاسلامية		١٣٩٩/١٤٠٠هـ	
	مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف		٦ صفر ١٤٠٥هـ	افتتحه جلالة الملك المفدى فهد بن عبد العزيز
الدمام ★	مطابع شركة الخط للطبع والنشر	خالد محمد الفرج	١٣٧٤هـ	كان وراء تأسيسها عبد الله المحلوق
	المطبعة السعودية	على بن حمد المطوع	١٣٧٥هـ	
	مطابع المطوع		١٣٧٨هـ	تحولت الى شركة طباعة عام ١٣٨٤هـ يمتلكها على بن حمد المطوع وسليمان عبد الله الغنيم
	مطابع الوفاء	هاشم حبيب رضا	١٣٩٣هـ	
	دار اليوم للصحافة والطباعة والنشر		١٣٩٦هـ	

★ هذا.. ويوجد الآن عدد كبير ووافر من المطابع الأهلية والخاصة.

جدول تعاقبي تاريخي (ChronoLoqicL) يوضح حركة الصحافة في المملكة خلال القرن (١٤هـ)

السنة هـ	اسم الدورية	مكان وتاريخ صدورها	المؤسس	أبرز المحررين والكتاب
١٣٠١	حجاز ولايتي سلنامه ★	١٣٠١	الحكومة العثمانية	؟
١٣٢٦	حجاز(*) (كانت العربية بعنوان والحجاز في الاعداد الاربعة الأولى)	مكة ٨/ ١/ ١٣٢٦	الولاية العثمانية	رئيس كتاب الوالي العثماني
١٣٢٧	شمس الحقيقة	مكة/ محرم ١٣٢٧	حزب الاتحاد والترقي الحاكم	عبد الله قاسم . . محمد توفيق مكي
	(الاصلاح الحجازي) = (الاصلاح) فيما بعد	جدة ٢٦/ ٤/ ١٣٢٧	مصطفى راغب توكل (شركة من أعيان جدة)	أديب هراري (لبناني)
	صفاء الحجاز (الصفاء) أحيانا	مكة أو جدة ٣/ ٨/ ١٣٢٧	احمد رأفت الاسكندراني	؟
١٣٢٨	المدينة المنوره	المدينة ١٣٢٨ (١٦ تشرين الثاني ١٩٠٩م)	الشيخ مأمون الأرز نجاني	الشيخ محمد مأمون
١٣٣٤	القبلة	مكة ١٥/ ١/ ١٣٣٤	الحكومة الهاشمية	محب الدين الخطيب . . حسين الصبان
	الحجاز	المدينة المنورة ٩/ ١٢/ ٣٤	الدولة العثمانية	حمزة غوث
١٣٣٨	مجلة مدرسة جرول الزراعية	مكة/ رجب ١٣٣٨هـ	المدرسة الزراعية بجرول	؟
	الفلاح	مكة ٢٤/ ١٢/ ١٣٣٨	عمر شاكر	؟
١٣٤٣	بريد الحجاز	جدة ٢٩/ ٣/ ١٣٤٣	محمد صالح نصيف	؟
	أم القرى	مكة ١٥/ ٥/ ١٣٤٣	رسمية مديرها المسؤول الشيخ يوسف ياسين وتتبع وزارة الاعلام فيما بعد	رشدي ملحس . . سعيد عبد المقصود . . فؤاد شاكر . . عبد القدوس الانصاري . . احمد ملائكة
١٣٤٧	الاصلاح	مكة ١٥/ ٢/ ١٣٤٧	مديرية المعارف العامة	———

ملف احصائي

اعداد د./ محمد حمدون

الاتجاه الصحفي	فترة النشاط	خصائص ثقافية مميزة
بيان دوري حكومي	صدر منها ٥ اعداد فقط حتى ٢١/٤/١٣٣٣هـ	باللغة التركية ـ غير ذات تأثير او انتشار
أسبوعية غير منتظمة، رسمية، اخبار الدولة		باللغتين العربية والتركية، وكان للعربية اهتمام أدبي
وطنية علمية تجارية انتقادية فكاهية (يومية ـ صدرت مرة كل اسبوع مؤقتا)	لم تعمر إلا بضعة شهور توقفت خلالها مرات	اسلوبها ركيك وشعارها «حب الوطن من الايمان»
اسبوعية سياسية أدبية تجارية	عاشت بضعة أشهر وتوقفت بوفاة صاحب امتيازها	كانت مضادة لجمعية الاتحاد والترقي وشعارها: «إن اريد الا الاصلاح».
سياسية أدبية تجارية	توقفت بعد صدور العدد الثاني	ذات جرأة في النقد الاجتماعي
مناسباتية	صدر منها ٧ أو ٨ اعداد فقط	تركية/ عربية ولها اتجاه إعلامي
دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين اسبوعيا	كانت تصدر بانتظام حتى توقفت في ٢٥/٢/١٣٤٣هـ	ذات أسلوب صحفي وأدبي جيد حملت على الاستعمار شعارها ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها..﴾ الآية ثم حذف احتراما للقرآن.
٣ مرات ثم ٥ مرات اسبوعيا وهي سياسية أدبية اقتصادية	كانت تنفق عليها الحكومة وتوقفت في ١/٦/١٣٣٥هـ وربما قبل ذلك	أول مطبعة للحكومة بالمدينة المنورة احضرتها الحكومة ولكنها أعادتها الى دمشق بعد ذلك.
ثقافية زراعية	توقفت بعد (٣) اعداد فقط فكانت تهتم باخبار طلبة المدرسة	أول مجلة علمية
ثقافية اجتماعية (مرتين اسبوعيا)	كانت استمراراً لصدورها من قبل في دمشق حتى توقفت تماما في ٢٠/٢/١٣٤٣هـ	الاهتمام بالخبر لم تكن منسجمة مع الوضع أولا
يومية صدرت مرتين اسبوعيا ـ الاخبار المحلية والعالمية	احتجبت (٥) أشهر ثم احتجبت نهائيا في جمادى الاولى ١٣٤٤هـ	لا علاقة لها بالحكومة وتركز على مصلحة البلاد اسلوبها صحفي متحرر وكتابتها أرفع مستوى وتهتم بالناشئة
اسبوعية رسمية	توقفت قليلا أثناء الحرب ثم عادت وقد تخلت عن الطابع الثقافي واصبحت نشرة للرسميات	اهتمت بالأدب والاجتماعيات والشعر في اول أمرها. واستقطبت كثيرا من كبار كتاب المملكة وشعارها ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربياً لتنذر أم القرى وما حولها﴾
مرتان اسبوعيا ولم تتقيد بذلك إسلامية اصلاحية	كانت تطبع بمصر (السلفية) ثم مكة (الماجدية) في (السلفية) واحتجبت في ١٣٥٢هـ	اهتمام بالتفسير والحديث والمواعظ ومقاومة الفساد وتنمية الوعي الديني

السنة	اسم الدورية	مكان وتاريخ صدورها	المؤسس	أبرز المحررين والكتاب
١٣٤٩	الحـــرم	مصر ١٣٤٩/٧/١٠	فؤاد شـــاكر	فؤاد شاكر، البعثة السعودية بالقاهرة
١٣٥٠	صـوت الحجـاز	مكة ١٣٥٠/١١/٢٧	محمـد صالـح نصيف ثم الشـركـة العربية للطباعة والنشر فمؤسسه البلاد	الشيخ محمد سرور الصبان.. عبد الله عريف.
١٣٥٥	المنهـل	المدينة/ ذو الحجة ١٣٥٥هـ	عبد القدوس الانصارى	نبيه بن عبد القدوس الانصارى.. زهـير بن نبيه الانصارى.. كتاب من كل انحاء العالم
١٣٥٦	المدينة المنورة	المدينة ٢٥/ ١/١٣٥٦	على وعثمان حافظ	على حافـظ، عثمان حافـظ، امين مدنى، ضياء الدين رجب
	النداء الاسلامى	مكة، ربيع الثانى ١٣٥٦هـ	الشيخ مصطفى الدرفيرى	ابراهيم الشورى، احمد عبد الغفور عطـار، محمد حسين زيدان، محمد حسن عواد، عبد الحميد الخطيب
١٣٦٥	Sun and Flare (الشمس والمارج)	الظهران ٣/ ١٣٦٥/٧هـ	أرامكو ARAMCO	———
١٣٦٦	مجلة الحج (مجلة التضامن الاسلامى فيما بعد)	مكة، رجب ١٣٦٦هـ	المديرية العامة للحج	هاشـم زواوى، محمد سعيد عبد المقصود
١٣٦٧	مجلة الغرفة التجارية الصناعية	جدة، ربيع الاول ١٣٦٧هـ	الغرفة التجارية الصناعية	محمد راسـم، عبد الله عريف
	حـراء	مكة، ٦/ ١٣٦٧/٥هـ	محمد صالح جمال	———
١٣٧٢	اليمامـة	الرياض ذو الحجة ١٣٧٢	حمد الجاسر	سعد البواردى، حسن عبد الله القرشى
١٣٧٣	قافلة الزيت (الشهرية)	الظهران، صفر ١٣٧٣	أرامكو	حافـظ البـارودى، شكيب الأموى عبد العزيز مؤمنة، سيف الدين عاشور
	مجلة الرياض	جدة، ١٣٧٣/٨/١	احمد عبيد	؟
١٣٧٤	اخبار الظهران	الدمام ٧٤/٥/١	شركة الخط للطبع والنشر	عبـد الكـريم جهيمان، عبد العزيز حمد العيسى

الاتجاه الصحفي	فترة النشاط	خصائص ثقافية مميزة
أدبية اجتماعية مصورة (جريدة غير منتظمة الصدور)	ظلت حتى ١٠١٦/١٣٥٢	اخبار البعثة السعودية بالقاهرة وتعريف بلسان حال البلاد السعودية
أسبوعية امتداد لبريد الحجاز ذات امتداد شعبي	ادمجت مع عرفات في ١٣٧٨/٧/١٩ وصار اسمها البلاد السعودية جريدة يومية	الاهتمام بالابحاث العلمية والنقدية والرياضية وشعارها: صحيفة الشعب العربي السعودي الذي كان شعار صحيفة المدينة من قبل
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة	لم تتوقف حتى الآن سوى فترة الحرب وقد انتقلت من المدينة الى مكة فجدة	ذات ابواب ثابتة في الاسلاميات والابحاث التاريخية اللغوية والادبية.. عدم نشر المهاترات الجدلية.. الاستفتاءات.. رحلات وآثار المملكة.
اخبارية سياسية اجتماعية شعبية	اسبوعية ثم مرتان اسبوعيا من ١٣٧٩هـ توقفت اثناء الحرب وبعدها عادت واصبحت يومية في ١٣٨٢هـ	اهتمت بالنواحي الفنية والمقال الأدبي ونشر الصورة شعارها: «إن الايمان ليأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها» بعد ان اخذت شعارها السابق «البلاد»
علمية دينية اجتماعية شهرية (مؤقتا) تصدر بالعربية والملايوية	لا يعرف متى توقفت	الاهتمام بالتعاون بين العنصرين العربي والاندونيسي لخدمة الدين والوطن شعارها: (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا).
نشرة أسبوعية باللغة الانجليزية	بدأت «الشمس» و«المارج» منفصلتين ثم انضمتا معاً للاهتمام بموظفي ارامكو	الثقافة العامة وشؤون موظفي الشركة واخبار النفط لا جدال ولا مذاهب
شهرية تهتم بالحج وأخباره ونشر توجيهات واحصاءات عنه	كانت تصدر نشرات لارشاد الحجاج بلغات اجنبية عديدة ثم توقفت عن ذلك	نشاط البحث الاسلامي والتاريخي واستقطاب كتاب اسلاميين من داخل وخارج المملكة.
شهرية اقتصادية تجارية	توقفت بعد بضعة اعداد ثم عادت نشرة تجارية ثم صارت مجلة التجارة (صفر ١٣٨٠)	الاهتمام الصحفي بالتجارة والاقتصاد والصناعة
اسبوعية حتى ١٣٧٧/١١/١٣هـ.. ثم يومية مع الندوة في ١٣٧٨/٧/١٢ أدبية نقدية اجتماعية	كانت تطبع بجدة وإدارتها في مكة مما سبب لها بعض المتاعب	الاهتمام بجوانب الثقافة ـ الادب والنقد والاجتماع ـ ثم الاهتمام برسائل للمسؤولين
مجلة شهرية مؤقتا ثقافية ادبية اجتماعية	تحولت الى اسبوعية صفر ١٣٧٥هـ ونصف اسبوعية في رمضان ١٣٨١هـ ثم عادت اسبوعية وكانت تطبع في مصر ثم جدة فبيروت فالرياض	الاهتمام بشؤون البادية والدعوة لتعليم المرأة
شهرية تاريخية.. فنية ملونة	كانت تتوقف بسبب عقبات مختلفة ثم تعود للظهور	عدم الجدل الديني أو السياسي والاهتمام بالشؤون العلمية والثقافية خاصة فيما يتصل بالزيت
شهرية أدبية اجتماعية	صدر منها (١٢) عدداً فقط	المقال، الشعر، القصة المحلية والمترجمة علاج المشكلات الاجتماعية
اسبوعية جامعة	توقفت رمضان ٧٦ الى رمضان ٨٦م وطبعت بالمطبعة الوطنية بالدمام	ربط الشرقية ثقافيا واقتصادياً ببقية مناطق المملكة ـ الدعوة للخير في تؤدة فـ«الطفرة محال»

السنة	اسم الدورية	مكان وتاريخ صدورها	المؤسس	أبرز المحررين والكتاب
	الفجر الجديد	المنطقة الشرقية ١١/٧/١٣٧٤هـ	نخبة من الشباب المثقف	———
؟	صرخة العرب	القاهرة، ١٣٧٤هـ/يناير ١٩٥٥م	احمد عبيد	اسماعيل الحبروك، ثروت اباظة (مصريان)
١٣٧٥	الاشـعاع	الخبر، محرم ١٣٧٥	سعد البواردى	كتاب من المناطق الشرقية والوسطى والغربية
	مجلة وزارة الزراعة	؟، محرم ١٣٧٥	وزارة الزراعة	———
	مجلة الاذاعة والتليفزيون	جدة، ربيع الثانى ١٣٧٥	وزارة الاعلام	فهد العباس، حمزه بوقرى
١٣٧٦	هجـر	الاحساء ١/١/٧٦	النادى الادبى بمعهد الاحساء	عبد الله بن خميس عبد الله شباط
	مجلة الخليج العربى	المبرز ١/٣/١٣٧٦	عبد الله شباط	؟
	الاضـواء	جدة ٦/١١/١٣٧٦	محمد سعيد باعشن.. عبد الفتاح أبو مدين.. محمد امين يحيى	———
	المعهـد	الرياض ١٣٧٦	طلبة معهد العاصمة النموذجى.. عبد الله المعلمى.. عبد المحسن الرويشد.. عبد الله سطيح.	الامراء محمد بن سعود الكبير.. طلال بن سعود بن عبد الله.. عبد الله بن فيصل بن تركى
١٣٧٧	الخليج العربى	الخبر ١/٣/١٣٧٧	عبد الله شباط	ابراهيم الناصر.. سيف الدين عاشور.. عبد العزيز التويجرى
	عرفـات	جدة ٢٠/٤/١٣٧٧	حسن عبد الحى قزاز	عبد العزيز الرفاعى.. احمد صلاح جمجوم.. احمد زكى يمانى
	النـدوة	مكة ٨/٨/١٣٧٧	احمد سباعى	———
	مجلـة الجامعة	الرياض ١٣٧٧هـ	جامعة الرياض	———
١٣٧٨	المعرفـة	الرياض ١٣٧٨هـ	وزارة المعارف	سعد البواردى.. محمد حبشى.. عبد الله ابن ادريس
١٣٧٩	الرائـد	جدة ١/٣/٧٩	عبد الفتاح ابو مدين	محمود عارف.. عبد الله مناع.. ابو تراب الظـاهرى
	الروضـة	مكة/ ربيع الاول ١٣٧٩	طاهر زمخشرى	تحت رعاية صاحب السمو الملكى الامير (الملك حاليا) فهد بن عبد العزيز
	قافلة الزيت الاسبوعية	الظهران/ ربيع الثانى ١٣٧٩	ارامكـو	———
	مجلة قريش	مكة ١/٥/١٣٧٩هـ	احمـد السباعى	محمد عبد الله مليبارى عبد الله احمد الدارى

ملف احصائي

الاتجاه الصحفي	فترة النشاط	خصائص ثقافية مميزة
اسبوعية جامعة	غير معروف متى ولا أسباب التوقف	اهتمامات تحررية ادبية
سياسية جامعة مصورة	توقفت فى خلال عام وكان غرضها إسماع صوت البلاد السعودية	جمع كلمة العرب واعادة الارض المغتصبة
شهرية أدبية اجتماعية	توقفت بعد عامين تقريبا	اهتمت بالقصة القصيرة والطويلة والفكاهة وروضت اسلوب السخرية والصراعات
زراعية ثقافية ارشادية توزع مجانا	توقفت فترة ثم عادت باسم مجلة الزراعة ثم توقفت ثانية	الاهتمام بالمزارعين والزراعة والارشاد الزراعى وشعارها (افرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون)
شهرية جامعة برامج عربية واجنبية	عدل اسمها ثم توقفت ١٣٨٧ طباعة الاصفهانى	ادخال الفن والرياضة الى جانب الأدب والسياسة
اجتماعية ادبية شهرية	لم يصدر إلا عدد واحد طبع فى بيروت	محاولة الجمع بين القديم والحديث
مجلة لخدمة الفرد والمجتمع	صدر منها (٦) اعداد فقط	تقوية الحركة الأدبية فى المنطقة الشرقية
ثقافية أدبية اجتماعية (يومية تصدر اسبوعية مؤقتاً)	احتجبت (١٥) يوما ثم عادت لتحتجب نهائيا فى ٢٥/٦/١٣٧٨هـ	الاهتمام بجدة خاصة كعاصمة تجارية ومحور نشاط بالمملكة، اصدار اعداد خاصة
سنوية للأدب والاجتماع والثقافة والاستطلاع والرياضة	طبعت بمصر فبيروت فجدة (مطابع شركة المدينة)	الاهتمام بروائع الأدب والاهتمام بالرياضة والتربية
شهرية أدبية اجتماعية	طبعت بالرياض فجدة فالخبر وتوقفت بعد نظام المؤسسات	اهتمت بقضايا المرأة ومشكلات الخليج عارضت الهجرة اليه حفاظا على معالمه العربية
اسبوعية شعبية	لم تكن منتظمة أدمجت فى البلاد السعودية آخر عدد ٩/٧/١٣٧٨هـ	اهتمت بالمعرفة الانسانية واعرف بلادك والرياضة
أدبية شعبية (٣ مرات أسبوعية)	اندمجت مع حراء ١٧/٧/٧٨	اهتمام بالشعر والتعبير باللغة الدارجة
علمية ثقافية سنوية	غير معروف ما صدر منها	أكاديمية تهتم بما يلقى فى الجامعة من بحوث.
تربوية ثقافية اجتماعية تصدر كل ٤ شهور	غير معروف ما صدر منها	التعليم والتربية والمؤتمرات التعليمية
ادبية ثقافية نصف شهرية	تطورت الى شكل جريدة ١٣٨١ وتعقد ندوات حتى صدور نظام المؤسسات	النقد الهادف الى اصلاح مرافق الحياة.. الحفاوة بالتراث نقده وتقديمه
خاصة بالطفل	سدت فراغا فى هذا الجانب إلا انها ـ للأسف ـ توقفت بعد فترة.	الاهتمام بالطفل، حكايات وألعاب
على شكل جريدة	ليس فيها ما يشير الى تسلسل اعدادها وسنيها	الاهتمام بموظفى الشركة وثقافتهم دون الخوض فى السياسة أو المذاهب.
اسبوعية أدبية جامعة	توقفت بعد إصدار (٢١٩) عددا فى أربع سنوات ونصف على أثر قانون المؤسسات	الامثال الشعبية، اللغة الدارجة الكاريكاتير فى علاج المشاكل المحلية والسياسية

السنة	اسم الدورية	مكان وتاريخ صدورها	المؤسس	أبرز المحررين والكتاب
	القصيم	بريدة ١/ ٦/ ١٣٧٩	عبد الله العلي	عبد الكريم الجهيمان
	الجزيرة	الرياض/ ذو القعدة ١٣٧٩	عبد الله بن خميس	عبد العزيز الربيعي
	مجلة راية الاسلام	الرياض ١/ ١٢/ ٧٩	عبد اللطيف بن ابراهيم	صالح محمد اللحيدان
	عكـــاظ	الطائف ٣/ ١٢/ ١٣٧٩	احمد عبد الغفور عطار	عزيـز ضيـاء.. عبـد العزيز وعبد الرشيد عطار
١٣٨٠	الرياضـــة	مكة/ ربيع الثانى ١٣٨٠	فؤاد عنقاوى..	محمد عبد الله مليبارى
	مارد الدهشـاء	الدمام/ رمضان ١٣٨٠	مصلحة السكة الحديد	ـــــ
	حماة الأمن	جدة/ شوال ١٣٨٠	وزارة الداخلية	ـــــ
	النشرة السعودية الاسبوعية News from Saudi Arabia	جدة ١٣٨٠	وزارة الاعلام	اشراف عزت مفتى
	مجلة كلية الملك عبد العزيز	(؟) ١٣٨٠هـ	كلية الملك عبد العزيز	معظم الكتاب من رجال الجيش
	مجلة المالية والاقتصاد	جدة ١٣٨٠هـ	وزارة المالية	ـــــ
١٣٨١	مجلة «الندوة الشهرية»	مكة / القعدة ١٣٨١هـ	محمد صالح جمال	حسن عبد الله آل الشيخ.. حسين عرب
	اخبار البترول والمعادن	جدة ١٣٨١هـ	وزارة البترول	كتابها من الاخصائيين
	مجلة تجارة الرياض	الرياض ١٣٨١هـ	الغرفة التجارية بالرياض	ـــــ
١٣٨٢	مجلة وزارة المواصلات	جدة ١٣٨٢هـ ؟	وزارة المواصلات	ـــــ
	الاسـبوع التجارى	جدة ٢٨/ ٥/ ١٣٨٢	عبد العزيز مؤمنة	ـــــ
	مجلة الجيش العربى السعودى	(؟) ١٣٨٢هـ	الادارة العامة للجيش	الكتاب من رجال الجيش
١٣٨٣	مجلة رابطة العالم الاسلامى	مكة/ ربيع الاول١٣٨٣هـ	رابطة العالم الاسلامى	حسـين سراج.. ابراهيم الشورى.. محمد سعيد العامودى
	الادارة العامة	الرياض/ جمادى الاولى ١٣٨٣هـ	معهد الادارة العامة	ـــــ
	جريدة البلاد	المنطقة الغربية ١/ ١١/ ١٣٨٣	مؤسسة البلاد	محمـد سرور الصبـان.. محمد حسن فقى.. عبد المجيد شبكشى.. د. عبد اللطيف جمجوم
	المدينـة	المدينة ١/ ١١/ ١٣٨٣	مؤسسة المدينة	عبيد مدنى.. احمد صلاح جمجوم.. على حافظ.. عثمان حافظ..
	النـدوة	مكة ١/ ١١/ ١٣٨٣	مؤسسة مكة	حسين عرب.. سليمان فقيه.. عصام خوقير
	مجلة اليمامة	الرياض ٧/ ١١/ ١٣٨٣	مؤسسة اليمامة	حمد الجاسر.. رضا عبيد.. عبد الرحمن آل الشيخ

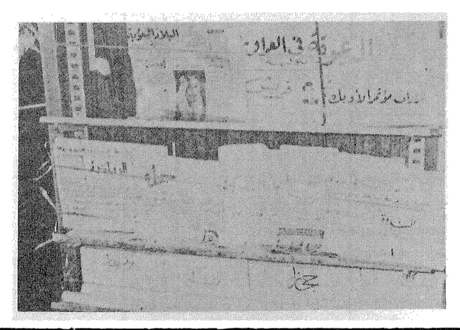
الاتجـــاه الصحفي	فـــترة النشـاط	خصائص ثقافية مميزة
اسبوعية تجارية ثقافية زراعية اجتماعية	؟	لا تهتم بالصورة الا نادرا، انباء المدن والاقاليم والرياضة والشعر
ادبية اجتماعية دينية لغوية شهرية	آلت الى الجزيرة الصحفية بعد قانون المؤسسات	العلوم والفنون والآداب
دينية علمية ثقافية اجتماعية	؟	الدين والاجتماع
جريدة أسبوعية للأدب الرفيع	صدرت على شكل جريدة أسبوعية الى أجل ـ حتى قانون المؤسسات	احياء ذكرى السوق الادبي القديم، الاهتمام بالادب الرفيع
مجلة تعنى بشؤون الرياضة	؟	الرياضة والرياضيين
نصف شهرية محدودة	بدأت نشرة وتحولت مجلة في محرم ١٣٨٣هـ	مصلحية محدودة بنشاط السكة الحديد
ــــ	ــــ	الشرطة وعلاقتها بالجمهور
اسبوعية لتلخيص وترجمة الاخبار	توقفت لفترة ثم عادت في ١٣٨٣هـ	نشر اخبار المملكة في لغات اجنبية
؟	؟	الشؤون العسكرية والتاريخية ومعها طرائف ايضا
مالية اقتصادية اجتماعية	مطابع الاصفهاني وتوزع مجانا	الشؤون المالية الاجتماعية
تصدر كل ٣ شهور للثقافة العامة وعلى مستوى أرفع	توقفت بعد صدور (٨) اعداد فقط	ثقافة عامة
شهرية محدودة	تصدر بعض الاعداد الممتازة	اخبار داخلية وخارجية والبترول
اقتصادية شهرية	ــــ	توظيف رؤوس الاموال، خدمة موارد العيش
دورية ربع سنوية	ــــ	تهتم بالمواصلات
اسبوعية اقتصادية	توقفت على اثر قيام نظام المؤسسات	التجارة والصناعة والاقتصاد
عسكرية ـ نصف سنوية ثقافية اجتماعية	ــــ	الثقافة العسكرية والتاريخية
شهرية دينية ثقافية	بدأت عربية انجليزية فرنسية ثم توقفت عند العربية فقط	الاهتمام بالشؤون الاسلامية وشعارها ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾
نشرية دورية للموظف	لم تكن لها مواعيد ثابتة للصدور	الوظائف والشؤون الادارية
صحيفة يومية	تطورت عن البلاد وكان لها ملحق صدر في ٩١/٦/١٤ وتوقف في ٩١/١٢/٨ ومجلة البلاد	دخلت عصر الصحافة واشتركت في وكالات انباء عالمية ـ الاهتمام بتعليم الفتاة والرياضة والمقال والادب عامة وشؤون المجتمع
صحيفة يومية	تطورت عن المدينة بعد قانون المؤسسات	تهتم بنشر الصورة عدا الدعوة
صحيفة يومية	تملك داراً للطباعة ومستمرة في الصدور لليوم	
مجلة اسبوعية (جريدة اسبوعية اولا)	مستمرة في الصدور لليوم	

السنة	اسم الدورية	مكان وتاريخ صدورها	فترة النشاط	أبرز المحررين والكتاب
	جريدة الجزيرة	الوسطى ٢٠/٢/١٣٨٤	مؤسسة الجزيرة	عبد الله بن خميس .. عبد الله السديرى .. عثمان الصالح .. عبد العزيز الخويطر
	عكــاظ	الغربية - جدة ١٣/٦/٨٤	مؤسسة عكاظ	احمد عبد الغفور عطار .. احمد قنديل .. عمر فقيه
١٣٨٤	اليـــوم	الدمام ١/١٠/١٣٨٤هـ	مؤسسة دار اليوم	عبد المنعم الزواوى .. حمد المبارك .. عبد العزيز التركى
١٣٨٥	الريــــاض	الرياض ١٤/١/١٣٨٥	مؤسسة اليمامة	———
	الدعـــوة	الوسطى ١٠/١/١٣٨٥هـ	مؤسسة الدعوة	عبد الله بن ادريس .. صالح اللحيدان
	مجلة التجارة والصناعة	مكة ١٣٨٤هـ	الغرفة التجارية مكة	———
	مجلة الدفاع	(؟) (١٣٨٤ ؟)	القوات المسلحة	كتابها عسكريون ومدنيون
	الزهـــراء	مكة/ صفر ١٣٨٥هـ	مدرسة الزهراء	طلاب ومدرسو المدرسة
	Riblica (صورة طبق الاصل)	يوليو ٦٦ (١٣٨٥)	الدار السعودية للنشر	———
	مجلة كلية التربية	مكة ١٣٨٦/٨٥	كلية التربية بمكة	أساتذة الكلية.
١٣٨٦	أخبار العالم الاسلامى	مكة ١٧/٧/١٣٨٦	رابطة العالم الاسلامى	كتاب من كل انحاء العالم
	العـــرب	الرياض/ رجب ١٣٨٦هـ	حمد الجاسر	———
	Red Sea Review (نشرة البحر الاحمر)	(؟) فبراير ١٣٨٦/٦٧	مؤسسة عاشور للعلاقات العامة	———
	Saudi Economic Survey (النشرة الاقتصادية السعودية)	———	———	———
١٣٨٧	كلمة الحق	مكة/ محرم ١٣٨٧	احمد عبد الغفور عطار	
	Riyadh Daily (يوميـة الرياض)	الرياض ١٣٨٧	مؤسسة اليمامة	———
١٣٨٨	الاقتصــــاد	الدمام/ صفر ١٣٨٨	الغرفة التجارية بالدمام	———
	مجلة الجامعة الاسلامية	المدينة/ ربيع الاول ١٣٨٨	الجامعة الاسلامية بالمدينة	اساتذة الجامعة
	الرياضـــى	المدينة/ رجب ١٣٨٨	عبد الله المنيعى	———
	الجناح الأخضــر (اهلا وسهلا حاليا)	١٣٨٨هـ	شركة الخطوط الحديثة السعودية	———
١٣٨٩	مجلة المدينة المنورة التجارية	المدينة / ربيع الاول ١٣٨٩	الغرفة التجارية بالمدينة	عبد العزيز ساب
	التربية الفنية	الرياض ١٣٨٩	معهد التربية الفنية بالرياض	الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ.

الاتجاه الصحفي	فترة النشاط	خصائص ثقافية مميزة
جريدة يومية	مستمرة في الصدور	
جريدة يومية	مستمرة في الصدور	خدمة الدين وصد المفتريات ضد الاسلام والعروبة اضافة الى الاستطلاعات التي تخدم البيئة بالكلمة و الصورة والرأي المنبثق من الجمهور
جريدة يومية اخبارية	مستمرة في الصدور - بدأت اسبوعية ثم مرتين ثم ثلاثة اسبوعيا	
جريدة يومية	مستمرة للآن	
جريدة يومية	مستمرة في الصدور ذات طابع محافظ لا تنشر اعلانات الدخان	
نشرة شهرية تجارية اقتصادية	؟	الثقافة التجارية - الاستيراد والتصدير
ثقافية طبية	؟	الثقافة العسكرية والطبية والتاريخية
ربع سنوية مؤقتا	نسائية في اهتماماتها وتحريرها	التربية والثقافة نسائية
نشرة انجليزية مستمدة من الصحف والاذاعات	———	تعليقات تحقيقات بيانات بالانجليزية
سنوية (لكن غير متسلسلة)	———	نشاط جامعي
جريدة اسبوعية اسلامية	تطبع بمطابع الاصفهاني بجدة	تنوير الرأي العام الاسلامي العالمي
مجلة شهرية جامعة	تصدر عن دار اليمامة	تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وجغرافية بلادهم وعنايتها الخاصة بالجزيرة
نشرة باللغة الانجليزية	تستمد موادها من وسائل الاعلام	ما يهم الاجنبي من أبناء المملكة
———	———	المشروعات الانمائية والاقتصادية بالمملكة
مجلة شهرية عقائدية	توقفت بعد صدور (٤) اعداد	منبر للدعوة وعناية بشؤون المجتمع والحياة
نشرة دورية باللغة الانجليزية	تكتب على الآلة الكاتبة	أخبار المملكة معدة للجاليات الاجنبية
مجلة شهرية اقتصادية	———	العناية بشؤون التجارة والاقتصاد في المنطقة الشرقية والمملكة عامة
دينية دورية	———	الابحاث الجامعية الدينية ولا تتعرض للسياسة أو الحزبية
مجلة شهرية للرياضة والشباب	شركة المدينة للطباعة/ فمطابع البنوى	الاهتمامات الرياضية
دورية خاصة بالشركة	———	استطلاعات وابحاث خفيفة في الآداب والفنون والآثار والمتاحف العربية والاسلامية والعالمية
دورية كل ٣ شهور	———	اخبار التجارة والاقتصاد بالمدينة والمملكة
دورية (؟)	؟	النشاط الفني والتربوي

سنة	اسم الدورية	مكان وتاريخ صدورها	المؤسس	أبرز المحررين والكتاب
	النشرة التربوية	الرياض ١٣٨٩	المعهد الملكى الفنى	ـــــــــــ
	اضواء الشريعة	الرياض ٨٩/ ١٣٩٠	كلية الشريعة	اساتذة الكلية
١٣٩١	الخفجى	الخفجى/ صفر ١٣٩١	شركة الزيت العربية المحدودة	ـــــــــــ
	مجلة كلية اللغة العربية	الرياض ١٣٩١	كلية اللغــة	هيئة التدريس
١٣٩٤	مجلة اقرأ	جدة/ ٢٤/ ١١/ ١٣٩٤هـ	مؤسسة البلاد للصحافة والنشر	د. عبد الله مناع . . عمر يحيى محمد
١٣٩٥	مجلة الدارة	الرياض ١٣٩٥	تصدر عن دارة الملك عبد العزيز	محمد حسين زيدان . . عبد الله الحقيل . . د. منصور الحازمى
١٣٩٦	المجلة العربية	الرياض ١٣٩٦هـ	تصدر عن وزارة التعليم العالى	حسن عبد الله آل الشيخ . . عبد العزيز الرفاعى . . عبد الله بن خميس . . حمد القاضى . . وكتاب عالميون
١٣٩٧	مجلة الفيصل	الرياض ١٣٩٧هـ	دار الفيصل للثقافة	علوى طه الصافى
١٤٠٠	رسالة الخليج العربى	الرياض ١٤٠٠	مكتب التربية العربية لدول الخليج العربى	د. محمد الاحمد الرشيد . . د. على بن حمد التويجرى

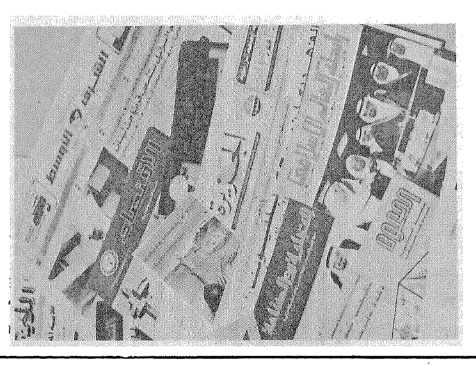
★ يبدو أن الدكتور عبد الله الحامد خلط بين (حجاز) الصادرة بالتركية سنة ١٣٠١هـ و(حجاز) الصادرة باللغتين العربية والتركية سنة ١٣٢٦هـ . . انظر بحثه (الصحافة والأدب فى المملكة) الفيصل ع٩٦ ص ٦٧



الصحافة السعودية القديمة

الاتجاه الصحفي	فترة النشاط	خصائص ثقافية مميزة
دورية (؟)	مطابع المعهد	الادب والثقافة والعلوم والاحصاءات المدرسية الدقيقة
دورية سنوية	؟	العلوم الشرعية والعقائد والاحكام
شهرية	مستمرة في تطور فني جيد	استطلاعات ملونة وثقافة عامة
دورية ؟	؟	الدين واللغة والأدب شعارها ﴿وقل رب زدني علما﴾
اسبوعية سياسية جامعة اجتماعية	مستمرة وفي اخراج جيد متجدد	الاهتمام بالسياسة والثقافة والادب وعلم الاجتماع
ربع سنوية	مستمرة وفي اخراج جيد يتناسب مع موضوعاتها	الادب واللغة والتاريخ والتراث ابحاثها محكمة
ثقافية شهرية اجتماعية جامعة	مستمرة وفي اخراج جيد	الاهتمام بالادب والثقافة العربية وفتح المجالات للثقافة الخارجية
ثقافية شهرية	مستمرة وفي اخراج جيد	الاهتمام بالادب والثقافة العربية والعالمية.
ربع سنوية تربوية ثقافية	مستمرة منذ صدورها	تهتم بالبحوث التربوية والانسانيات وذات طابع أكاديمي - بحوثها محكمة

الصحافة السعودية الحديثة



الجمعية العربية السعودية

للثقافة والفنون

أسست الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون فى (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).

■ من أهداف الجمعية :

- الارتقاء بمستوى الثقافة والفنون فى المملكة.
- رعاية الأدباء والفنانين السعوديين والعمل على رفع مستواهم الثقافى والفنى والاجتماعى.
- تمثيل المملكة فى كل عمل من شأنه الارتقاء بالثقافة والفنون على المستويين العربى والعالمى.
- تبنى المواهب الشابة لابراز تفوقها ونبوغها.

■ اللجان التابعة للجمعية :

اللجنة الثقافية - الفنون المسرحية - الفنون الموسيقية - الفنون الشعبية - الفنون التشكيلية - الاعلام والنشر والعلاقات العامة.

■ التنظيم الادارى للجمعية :

(الادارة العامة للمركز الرئيسى بالرياض)

● **الادارة الثقافية :** وتتبعها (لجنة الشعر - القصة - الأدب الحديث - التراث - اسرة تحرير ملف الثقافة والفنون).

● **الادارة الفنية :** وتتبعها (لجنة المسرح - الموسيقى والغناء - الفنون الشعبية - الفنون التشكيلية.

● **إدارة الفروع :** وترتبط برئيس مجلس الادارة أو من ينيبه وتتبعها كل فروع الجمعية فى مدن المملكة.

■ من منجزات الجمعية فى النطاق المحلى :

الاعمال الأدبية والثقافية :

● تأسيس نادى القصة السعودى للنهوض بأدب القصة والمسرح.

● البدء فى اعمال موسوعية منها: «موسوعة الألفاظ المصطلح عليها عند أهل الفن.. موسوعة النباتات فى الجزيرة العربية.. موسوعة الالحان الشعبية فى الجزيرة العربية.. مشروع كتاب عن الرسم الاملائى والتعبيرى».

● احالة مجموعة من المخطوطات العربية الى بعض الباحثين والمحققين السعوديين والعرب لتحقيقها.

● **جائزة الدولة التقديرية للأدب :** وقد منحت فى عامها الاول للأساتذة «احمد السباعى - حمد الجاسر - عبد الله بن خميس» وفى عامها الثانى منحت للاساتذة «الامير عبد الله الفيصل - احمد عبد الغفور عطار - طاهر زمخشرى».

● تنظيم موسم ثقافى منبرى اشتمل على المحاضرات والندوات واللقاءات المفتوحة.

● انجاز مشروع دليل الكاتب السعودى.

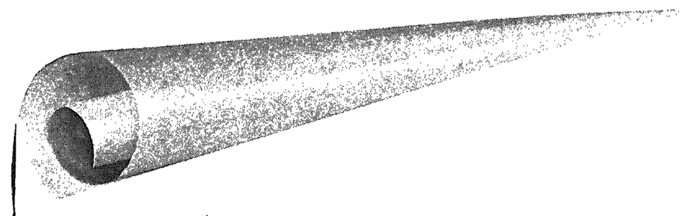
● إصدار ستة اعداد من ملف الثقافة والفنون.

● افتتاح المركز الثقافى بالرياض.. انشاء مكتبة كبيرة.

● إصدار حوالى خمسة وثمانين كتاباً منوعاً فى الدين والعلوم والثقافة



● سمو الأمير فيصل بن فهد



والفنون.

● تخصيص جائزة لأحسن كتاب سعودى.. ونشر بعض المؤلفات القيمة ضمن مطبوعاتها.

■ **العروض المسرحية:**

تعمل الجمعية على تقديم مسرح سعودى جاد يتفق مع القيم الروحية السامية والحضارة العربية الاسلامية الاصيلة.. من العروض المسرحية التى قدمتها:

«طبيب بالمشعاب.. آخر المشوار.. قطار الحظ.. رقم ٣. عقاقير وعقارات.. باقى الغسيل.. خطاء ولكن.. المقاول.. الدراهم مراهم.. الحل المفقود.. واحد صفر.. الحل الاكيد.. ليلة عيد.. وطنى».

■ **معارض الفنون التشكيلية:**

وتشمل المعارض الجماعية والثنائية والشخصية.. وقدمت الجمعية كثيرا من هذه المعارض الفنية.

■ **التراث والفنون الشعبية:**

ينالان اهتمام الجمعية بوصفهما من الالوان المعبرة عن جانب مشرق فى

● مبنى الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالرياض.

● محمد أحمد الشدى
رئيس مجلس ادارة الجمعية.

المملكة العربية السعودية حيث تقوم بدعم وتشجيع الافراد والجماعات من ذوى الاهتمام وتولى المخطوطات العربية والاسلامية عنايتها.

■ **مكتبة الفيديو والتسجيلات:**

أنشئت مكتبة الفيديو لتضم مجموعة كبيرة من اعمال الجمعية الفنية والادبية والعلمية والثقافية ليسهل الاطلاع عليها والافادة منها.

■■ **من مشاركات الجمعية الخليجية والعالمية:**

● مهرجان الخليج العربى الثانى.. أقيم فى طوكيو - فى شهر محرم ١٤٠٦هـ.

● تلقت الدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم للمساهمة فى الكتاب الجامع للفن التشكيلى.

● معرض الرياض بين الأمس واليوم.. أقيم فى المانيا.

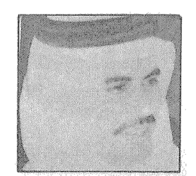
● دعوة للمشاركة فى اخراج مؤلف عن الموسم العربى مقدمة من المجلس الدولى للغة الفرنسية.

● مهرجان سوسه للفكاهيين العرب.. اقيم فى القعدة ١٤٠٥هـ.

■■ **مهرجان جرش فى المملكة الاردنية الهاشمية.**

● معرض الدوحة للكتاب.. ربيع الثانى ١٤٠٦هـ.

● المهرجان الأول للفنون الشعبية لدول الخليج العربية.. نظمته الرئاسة العامة لرعاية الشباب.



● شاركت فى اجتماعات اللجنة العليا لمهرجان الفرق المسرحية الأهلية لدول مجلس التعاون الخليجى.. إقيم المهرجان فى مدينة جدة يناير ١٩٨٦.

● تلقت دعوة للمشاركة فى مسابقة (ابن زيدون) الشعرية من المعهد الأسبانى العربى للثقافة.

● ساهمت فى (المعرض الفنى عن الحضارة والفنون والتراث فى المملكة) نظمه نادى الطلبة السعوديين بالقاهرة.

● شاركت امانة مدينة الرياض فى الاحتفال بمرور خمسين عاما على مدينة الرياض.

● المهرجان الاول للألعاب الشعبية المقام فى البحرين.

● شاركت فى مهرجان قرطاج المسرحى بمسرحية (المهابيل) وقبلها شاركت بمسرحيات (الحل الاكيد) و(صفعة فى وجه المراة).

● شاركت فى مهرجان (المربد) الشعرى - أقيم فى العراق.

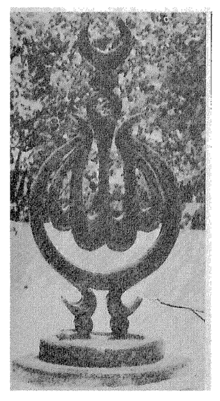
● شاركت فى مؤتمر الوزراء المسؤولين عن الشئون الثقافية فى الوطن العربى - بدعوة من المنظمة العربية للثقافة والآداب والعلوم والفنون وعقد المؤتمر فى تونس - نوفمبر ١٩٨٥.

● الاشتراك فى الاسبوع الثقافى العربى المقام فى المكسيك خلال شهر فبراير ١٩٨٦ - ومعرض الكتاب العربى المقام ايضا فى المكسيك مارس ٨٦.

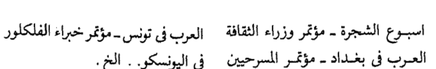
● بمناسبة السنة الدولية للشباب اقيم معرض فنانى المنطقة العربية الجماعى فى فرع الجمعية فى جدة - ابريل ١٩٨٥.

● المشاركة فى الاسبوع الثقافى العربى الاول لدول الخليج العربية اقيم فى باريس ١٤٠١هـ.

● المشاركة فى الاسابيع الثقافية فى كل من البحرين - المغرب - اليمن - تونس - الدانمارك - النمسا - الجزائر - وكذلك المشاركة فى المناسبات الدولية والعربية والمحلية بما فيها الايام العالمية والمؤتمرات والمهرجانات.



تشكيل بالخشب للفنان ابراهيم المحارب



● مهرجان الشباب العربي السادس - الاسبوع الثقافي بالجزائر.

● المعـرض الـدولي للكتـاب في فرانكفورت ١٣٩٩هـ.

● المعرض الاسلامي الاول للكتاب بأبي ظبي ١٩٨١ .

● المعـرض الـدولي للكتاب العربي الثالث بصنعاء ١٩٨١ .

● معرض الكتاب الدولي في الكويت ١٩٨١ .

● معرض الكتاب الدولي في الكويت ١٩٨٢ .

■■ كما شاركت الجمعية في مناسبات أخرى منها:

● العام الدولي للطفل - العام الدولي للمعاقين - اليوم العالمي لمحو الأمية - اسبـوع الشجرة - مؤتمر وزراء الثقافة العـرب في بغـداد - مؤتمـر المسرحيين العرب في تونس - مؤتمر خبراء الفلكلور في اليونسكو . الخ .



● احدى الحفلات العامة التي تشرف عليها الجمعية



● الخط العربي في أحد المعارض التي تشرف عليها الجمعية

الاندية الادبية

فكرة انشاء الاندية الادبية الثقافية

انبثقت فكرة الاندية الادبية من حوار دار بين الامير فيصل بن فهد بن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب وطائفة من الادباء السعوديين الذين اجتمعوا به فى مكتبه بوزارة العمل والشئون الاجتماعية فى شهر صفر ١٣٩٥هـ والاندية التى اسست عقب هذا الاجتماع هى :

«نادى جدة الادبى . . نادى الرياض الادبى . . نادى المدينة المنورة الأدبى . . نادى مكة المكرمة الادبى . . نادى جازان الادبى . . نادى الطائف الادبى» .

هذا وقد تأسس بعد تلك الاندية ناديا أبها والقصيم الادبيان .

اهـدافها : يهدف النادى الى نشر الادب والثقافة بين اعضائه ونشر الوعى بين الجماهير وله ان يتخذ كافة الوسائل لتحقيق هذه الاهداف .

ومنها : «عقد الندوات والمحاضرات ودعوة مشاهير الكتاب والشعراء والادباء والقصاصين وعقد حلقات للبحث والمناقشة فى كل هذه المجالات وكذلك اصدار نشرة او مجلة تحتوى على نفائس الادب والثقافة . . وانشاء مكتبة وتزويدها بالكتب وعمل برامج تمثيلية تربوية اخلاقية والانضمام الى الروابط والجمعيات الادبية فى البلاد العربية وتبادل المعلومات والبحوث والكتب فى هذه المجالات وطبع ونشر ما يجده النادى جيداً من انتاج يساعد على دفع عجلة الثقافة فى بلادنا الفتية .

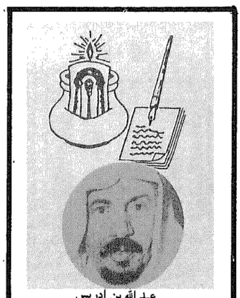
العضوية وشرطها :

تكون العضوية بالنادى كالتالى :

١ ـ عضو مؤسس : وهو الذى ساهم فى تأسيس النادى .

٢ ـ عضو عامل : وهو العضو السعودى الذى ينضم الى النادى بعد تأسيسه .

٣ ـ عضو منتسب : وهو العضو الذى ينتمى لأى جنسية اخرى من البلاد العربية والاسلامية والصديقة .



عبد الله بن ادريس

ويشترط فى العضو أن لا يقل سنه عن (١٨) عاما ويجوز لمجلس ادارة النادى ان يمنح العضوية الشرفية لمن يرى فيه الكفاءة لذلك ممن أدوا خدمات عامة ممتازة للمملكة او للنادى .

الأندية الادبية الثقافية فى المملكة

نادى الرياض الادبى :

- تأسس عام ١٣٩٨هـ
- يرأس مجلس ادارته الاستاذ عبد الله بن إدريس .
- للنادى نشاط فى مجال المحاضرات والمسابقات والندوات .



- اسهم النادى فى اصدار مطبوعات عديدة منها :

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف
١	الروض الملتهب ـــ شعر	باعطب، أحمد سالم
٢	أغنيات لبلادي	البواردي، سعد
٣	أدب الخواص	الجاسر، حمد
٤	الايناس	الجاسر، حمد
٥	معجم قبائل العرب (جزءان)	الجاسر، حمد
٦	ذكريات باريس	الجهيمان، عبد الكريم
٧	الشعر في ظلال حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب	الحامد، عبد الله
٨	رسالة الألوان	ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد
٩	المعارضات في الشعر العربي	حسين، محمد بن سعد بن
١٠	ضيـاع	الحسيني، ماجد
١١	امرأة تعبر تفكيري	الحماد، سليمان
١٢	نجد في الشعر العربي	الحمدان، محمد
١٣	موجز تاريخ الطب	الحميدان، يوسف عبد الله
١٤	بلادنا والزيت	ابن خميس، عبد الله بن محمد
١٥	ثمن التضحية	دمنهوري، حامد
١٦	ابن طباطبا الناقد	الربيع، محمد بن عبد الرحمن
١٧	التدين والمجون في شعر شوقي	الردادي، عائض
١٨	الأدب السعودي المعاصر في الكتب المدرسية	محمود رداوي

نادى مكة المكرمة الادبى الثقافى

- تأسس عام ١٣٩٥هـ
- يرأس مجلس ادارته الاستاذ ابراهيم أمين فودة
- للنادى نشاط فى مجال المحاضرات والمسابقات والندوات.
- اسهم النادى فى اصدار مطبوعات عديدة منها:

ابراهيم فودة

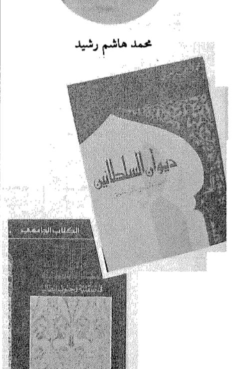
الرقم	اسم الكتاب	المؤلف
١	نهوض القران الكريم بخصائص اللغة	باجودة، حسن محمد
٢	بلاد الحجاز في العصر الأيوبي ٥٦٧/٦٤٨هـ ــ ١١٧١ ــ ١٢٥٠ م	باقاس، عائشة بنت عبد الله
٣	للحاضرة ثمن (شعر)	جبر، عبد الله
٤	وداعا أيها الشعر	جمال، أحمد محمد
٥	عقود التأمين بين الاعتراض والتاييد	جمال، احمد محمد
٦	رعشة الرماد (شعر)	حساني، محمد احمد
٧	مكه في القرن الرابع عشر الهجري	رفيع، محمد عمر
٨	التعليم في المملكة العربية السعودية	الزيد، عبد الله
٩	أصول الاعلام الحديث	سرسيف، إبراهيم
١٠	المدخل إلى البحث العلمي الجغرافي المعاصر	الصنيع، عبد الله علي
١١	الوقوف على الاطلال	عبد الواحد، مصطفى
١٢	أضواء على الأدب والأدباء في منطقة جازان	العقيلي، محمد بن احمد
١٣	حديث إلى المعلمين	فوده، إبراهيم أمين
١٤	الرياض والهدف	فودة، إبراهيم أمين
١٥	الشاعر المحسن	فودة، إبراهيم أمين
١٦	المهمة الصعبة	فودة، إبراهيم أمين
١٧	الأمثال العامية في مكة المكرمة	محضر، حسين عبد الله
١٨	طاهر زمخشري حياته وشعره	مصطفى، عبد الله عبد الخالق
١٩	فيصل وأمانة التاريخ	مطاوع، حامد
٢٠	المقال والمرحلة	مطاوع، حامد
٢١	قاتلة الشيطان وعشر قصص أخرى	مليباري، محمد عبد الله
٢٢	المتنبي شاعر العرب: مسرحية من ثلاث فصول	بوقس، عبد الله
٢٣	الفهد القائد	نيازي، عبد الكريم
٢٤	هل يكون الغد يوماً آخر	نيازي، عبد الكريم

نادي المدينة المنورة الادبي:

- تأسس عام ١٣٩٥هـ
- يرأس مجلس ادارته الاستاذ محمد هاشم رشيد
- للنادي نشاط في مجال المحاضرات والمسابقات والندوات.
- اسهم النادي في اصدار مطبوعات عديدة منها:



محمد هاشم رشيد



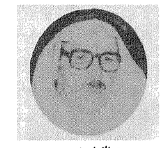
الرقم	اسم الكتاب	المؤلف
١	الشعر الحديث في الحجاز (١٩١٦ – ١٩٤٨)	أبو بكر، عبد الرحيم
٢	حروف في رماد	البليهشي، محمد صالح
٣	لمحات عن حياة الربيع	البليهشي، محمد صالح
٤	المدينة اليوم	البليهشي، محمد صالح
٥	مسيرة ٨ أعوام لنادي المدينة الأدبي	البليهشي، محمد صالح
٦	أثر حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي	الجهني، مسلم حمود عبد المحيي
٧	صور وذكريات عن المدينة المنورة	حافظ، السيد عثمان
٨	المجموعة الشعرية الكاملة	حافظ، عبد السلام هاشم
٩	المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة، ط٣	حافظ، عبد السلام هاشم
١٠	ترانيم العودة	الحجيلي، فوزان عبد الهادي
١١	ثلاثة أعوام مع مسابقة	الحيدري، دخيل الله
١٢	على ضفاف الذكريات	خاشقجي، مجدي نصر
١٣	شعراء من أرض عبقر	الخطراوي، محمد العيد
١٤	غناء الجرح	الخطراوي، محمد العيد
١٥	همسات في أذن الليل	الخطراوي، محمد العيد
١٦	الفيصليات (شعر)	ربيع، عبد الحميد
١٧	ذكريات طفل وديع – ط٢	الربيع، عبد العزيز
١٨	رعاية الشباب في الإسلام	الربيع، عبد العزيز
١٩	في ظلال السماء (شعر)	رشيد، محمد هاشم.
٢٠	الجناحان الخالدان (شعر) – ط٢	رشيد، محمد هاشم
٢١	على أطلال ارم: ملحمة شعرية	رشيد، محمد هاشم
٢٢	على دروب الشمس	رشيد، محمد هاشم
٢٣	على ضفاف العقيق (شعر)	رشيد، محمد هاشم
٢٤	جداول وينابيع (شعر)	رفه، عبد الرحمن سليمان
٢٥	أبا ريق النور (شعر)	سليمان، محمد عادل
٢٦	في موكب الضياء (شعر)	سيد، أبوزيد إبراهيم
٢٧	هموم عربية	عقيل، أبو عبد الرحمن بن

نادى جدة الادبى الثقافى:

● تأسس عام ١٣٩٥هـ
● يرأس مجلس ادارته الاستاذ عبد الفتاح ابو مدين.
● للنادى نشاط فى مجال المحاضرات والمسابقات والندوات.
● اسهم النادى فى اصدار مطبوعات عديدة منها:

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف
١	قمم الأولمب (شعر)	محمد حسن عواد
٢	الساحر العظيم (شعر)	محمد حسن عواد
٣	عكاظ الجديدة (شعر)	محمد حسن عواد
٤	الشاطىء والسراة (شعر)	محمود عارف
٥	من شعر الثورة الفلسطينية (شعر)	أحمد يوسف الريماوي
٦	أنين وحنين (شعر شعبي)	منصور بن سلطان
٧	محرر الرقيق «سليمان عبد الملك»	محمد حسن عواد
٨	من وحى الرسالة الخالدة (إسلاميات)	محمد علي قدس
٩	المنتجع الفسيح «آداب وعلوم»	محمد حسن عواد
١٠	طبيب العائلة	د. حسن يوسف نصيف
١١	مذكرات طالب (ط٣)	د. حسن يوسف نصيف
١٢	شمعة على الدرب (نثر)	د. عارف قياسة
١٣	أطياف العذاري (شعر)	مطلق الذيابي
١٤	كبوات اليراع «تصويبات لغوية»	للشيخ أبي تراب الظاهري
١٥	عندما يورق الصخر (شعر)	ياسر فتوي
١٦	ورد وشوك	حسن عبد الله القرشي
١٧	في معترك الحياة	عبد الفتاح أبو مدين
١٨	الوجيز في المبادىء السياسية في الإسلام «نظرات إسلامية»	سعد أبو جيب
١٩	أوهام الكتاب «تعقبات مختلفة»	الشيخ ابي تراب الظاهري
٢٠	علي أحمد باكثير حياته .. شعره الوطني والإسلامي	احمد عبد الله السومحي





عبد الفتاح ابو مدين



ملف إحصائي

نادي الطائف الادبي:

- تأسس عام ١٣٩٥هـ
- يرأس مجلس ادارته الاستاذ على حسين العبادى
- للنادى نشاط فى مجال المحاضرات والمسابقات والندوات.
- اسهم النادى فى اصدار مطبوعات عديدة منها:




على العبادى



الرقم	اسم الكتاب	المؤلف
١	ديوان احيحه بن الجلاح الأوسي الجاهلي	احيحه بن الجلاح، أبو عمرو احيحه بن الجلاح بن الحريش، ١٣٠ ق.م.
٢	الطائف: تاريخ وحضارة ومصادر وثراء وآثار واعلاما وعلماء وشعراء	الأنصاري، عبد القدوس
٣	معجزة القرآن الكريم البيانية	باجوده، حسن محمد
٤	نافذة علي الحائط المهدوم	باغفار، هند صالح
٥	معجم معالم الحجاز	البلادي، عاتق بن غيث
٦	تأملات بين الفكر والمجتمع	بوقري، عبد الله أحمد
٧	ابن الطراوه النحوي	الثبيتي، عياد عيد
٨	هتاف الحياة	جبر، عبد الله
٩	اهازيج	جدع، محمد إبراهيم
١٠	تذكرة عبور: مجموعة قصص	جمعان، عبد الله سعيد
١١	رجل علي الرصيف	جمعان، عبد الله سعيد
١٢	القصاص	جمعان، عبد الله سعيد
١٣	ترانيم الصباح (شعر)	حافظ، عبد السلام هاشم
١٤	كلمات حب إلى المدينة المنورة رباعيات شعرية	حافظ، عبد السلام هاشم
١٥	كنز الأنساب ومعجم الآداب	الحقيل، حمد
١٦	الرواد الثلاثة	خياط، عبد الله
١٧	جوانب صحية في التشريع الإسلامي	الدعيج، حمد
١٨	بهجة المهج في بعض فضائل الطائف	ابن زياد، أحمد بن علي ابن أبي بكر
١٩	أغنية الشمس	الزيد، إبراهيم
٢٠	ديوان جراح الليل	الزيد، إبراهيم محمد
٢١	المحراب المهجور	الزيد، إبراهيم محمد
٢٢	خطرات في الأدب والفلسفة	الزيد، حمد
٢٣	شبه الجزيرة العربية	الزيد، حمد زيد
٢٤	شعراء الحجاز في العصر الحديث	الساسي، عبد السلام طاهر
٢٥	الموسوعة الأدبية	الساسي، عبد السلام طاهر
٢٦	أوراق مطوية	السباعي، أحمد
٢٧	دعونا.. نمشي	سباعي، أحمد
٢٨	أجنحة بلا ريش	سرحان، حسين
٢٩	الطائر الغريب	سرحان، حسين

نادى جازان الادبى:

- تأسس عام ١٣٩٥هـ
- يرأس مجلس ادارتـه الاستاذ محمد بن على السنوسى
- للنادى نشاط فى مجال المحاضرات والمسابقات والندوات.
- اسهم النادى فى اصدار مطبوعات عديدة منها:



محمد على السنوسى

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف
١	الأرض... والحب (شعر)	بهكلي، أحمد
٢	طيفان.. على نقطة الصفر (شعر)	بهكلي، أحمد
٣	ابو سفيان بن حرب في الجاهلية والإسلام	الحارثي، يحيى محمد زاهر
٤	وجوه من الريف	الحازمي، حجاب يحيى
٥	الحسيني: الحلقة المفقودة في امتداد عربية الموشح الأندلسي	الرفاعي، عبد الرحمن
٦	الصندوق المدفون: قصة	سلام، طاهر عوض
٧	مع الشعراء: دراسات وخواطر أدبية	السنوسني، محمد بن علي
٨	نفحات الجنوب	السنوسني، محمد بن علي
٩	الينابيع	السنوسني، محمد بن علي
١٠	الأدب الشعبي في الجنوب	العقيلي، محمد ابن أحمد
١١	بين جيلين	عقيل، محمد زارع
١٢	قصص من الجنوب	بواكير مسابقات القصة للنادي الأدبي بجيزان
١٣	مسابقة الشعر	بنادي جيزان الأدبي

نادى القصيم الادبى :

- تأسس عام ١٤٠٠هـ
- يرأس مجلس ادارته الاستاذ الدكتور حسن فهد الهويمل.
- للنادى نشاط فى مجال المحاضرات والمسابقات والندوات.
- اسهم النادى فى اصدار مطبوعات عديدة منها:



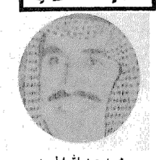
د. حسن الهويمل

الرقم	اسم الكتاب	المؤلف
١	حقائق عن الإسلام (باللغة الإنجليزية)	التكريتي، نبيل
٢	مع الشعراء	الجاسر، حمد
٣	أنوار ذهبية (ديوان شعر)	حافظ، عبد السلام هاشم
٤	الشعر السعودي بين التجديد والتقليد	ابن حسين، محمد بن سعد
٥	خرائط إرشادية للحجاج المارين بمدينة بريدة	
٦	أنوار ذهبية	الخواجة، دريد يحيى
٧	سوق النقد والأدب بالقصيم	الخواجة، دريد يحيى

نادى ابها الادبى:

- تأسس عام ١٣٩٨هـ
- يرأس مجلس ادارتـه الاستاذ محمد عبد الله الحميد.
- للنادى نشاط فى مجال المحاضرات والمسابقات والندوات.
- اسهم النادى فى اصدار مطبوعات عديدة منها:




محمد عبد الله الحميد

الرقم	اسـم الكتـاب	المؤلف
١	التبرج والحجاب في ضوء الكتاب والسنة	الألمعي، زهرة أحمد
٢	النبات في عسير	الألمعي، محمد حسن غريب
٣	باقة البنفسج	حرب، عبد الهادي
٤	شعاع الراحلين: قصائد تراثية	الحفظي، عبد الرحمن إبراهيم زين العابدين
٥	لحظة ياحلم	الحفظي، محمد عبد الرحمن
٦	الطب النبوي والطب القديم	حقي، محمد بشير
٧	شهادة للبيع	الحميد، محمد عبد الله
٨	ملامح الحياة الفكرية والأدبية في عسير ١٢١٥ ـ ١٣٥١هـ	ابو داهش، عبد الله بن محمد بن حسين
٩	قراءات في شعر الشيخ سليمان ابن سحمان.	الزيد، إبراهيم محمد
١٠	محاضرة الإدارة والمواطن (تاملات مفتوحه)	السدحان، عبد الرحمن ابن محمد
١١	فلتشرق من جديد	سلام، طاهر عوض
١٢	الأدب العالمي والعالمية في الأدب	الصافي، علوي طه
١٣	صحيفة بشر بن المعتمر واثرها في النقد الأدبي	صبح، علي علي مصطفى
١٤	جناية الشعر الحر	عقيلان، أحمد فرح
١٥	المسرح والمسرحية	ابو عجيمه، إبراهيم محمد
١٦	آراء في الشعر	عسيري، أحمد ثابت
١٧	أبها في التاريخ والأدب	عسيري، علي أحمد
١٨	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	العقيلي، محمد أحمد
١٩	سوق عكاظ في التاريخ	العقيلي، محمد أحمد
٢٠	قصائد من الجبل	
٢١	وصف الحيوان في الشعر الهذلي	النتشه، إسماعيل داود محمد
٢٢	الجاحظ بين مؤلفاته	الندوي، سلمان عابد
٢٣	زمن العشق الصاخب	النعمي، حسن محيد
٢٤	هل هناك أزمة في الأدب	يماني، محمد عبده
٢٥	الحديث النبوي في النحو العربي	يوسف، محمود فجال
٢٦	النحو: قانون اللغة وميزان تقويمها	ابن يوسف، محمود فجال



جائزة الدولة التقديرية في الأدب

صدر الأمر السامى الكريم رقم ١٢٦٤٥ فى ٢٠/٥/١٤٠٠هـ بانشاء جائزة الدولة التقديرية فى الأدب تمنح كل عام لثلاثة من الأدباء السعوديين ويشترط فيمن تمنح له الجائزة أن يكون قد ساهم مساهمة جليلة فى اثراء الحركة الدينية والفكرية والأدبية فى المملكة وأن لا يقل سنه عن الخمسين عاما وتمنح بأمر ملكى بناء على اقتراح لجنة الجائزة.

أهداف الجائزة:

- تكريم الرواد فى مجال الفكر والثقافة والأدب.
- الحفاظ على التراث الأدبى واللغوى وتنميته.
- تشجيع الأدباء على الاجادة والاتقان.
- حفز الأجيال من الأدباء على مواصلة ما بدأه الأدباء.

المنح المالية والعينية لكل فائز:

- (١٠٠,٠٠٠) مائة الف ريال مدى الحياة.
- مسكوكة ذهبيـــة.
- براءة فى الأدب.

لجنة الجائزة وتتكون من:

١ - صاحب السمو الملكى الامير/ فيصل بن فهد بن عبد العزيز. . الرئيس العام لرعاية الشباب. . . رئيسا.

٢ - معالى الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ . . وزير التعليم العالى . . عضوا.

٣ - معالى الاستاذ على حسن الشاعر. . وزير الاعلام. . . عضوا.

٤ - معالى الدكتور عبد الله عبد المحسن التركى. . مدير جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية. . . عضوا.

٥ - سعادة الدكتور منصور ابراهيم الحازمى. . الاستاذ بجامعة الملك سعود. . . عضوا.

٦ - سعادة الاستاذ محمد حسين زيدان. . رئيس تحرير مجلة الدارة. . عضوا.

٧ - سعادة الاستاذ عبد الرحمن محمد العليق. . أمينا عاما للجائزة.



● عبد الرحمن العليق

الامانة العامة للجائزة:

تكونت عام ١٤٠٣هـ. . وتقوم بتنفيذ السياسة العامة للجنة الجائزة وكافة الاجراءات الخاصة بالترشيح ويقع عليها عبء تنفيذ الحفل الخاص بتسليم الجوائز للفائزين والأنشطة المرتبطة به.

الفائزون بالجائزة:

أ - عن عام ١٤٠٣هـ:

١ - المرحوم الاستاذ احمد السباعى

٢ - الاستاذ حمد الجاسر.

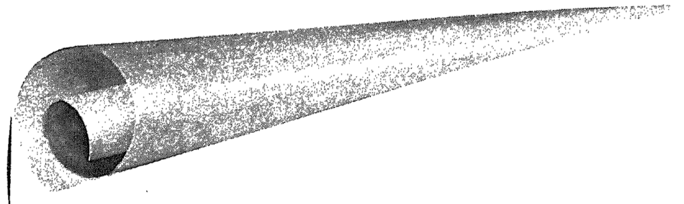
٣ - الاستاذ عبد الله بن خميس

ب - عن عام ١٤٠٤هـ:

١ - صاحب السمو الملكى الامير عبد الله الفيصل

٢ - الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار.

٣ - الاستاذ طاهر عبد الرحمن زمخشرى.



الترشيح للجائزة :

يتم ترشيح الادباء للجائزة عن طريق الجامعات والمؤسسات والهيئات العلمية والاندية الادبية والصحف المحلية والمجلات المتخصصة والفائزين بالجائزة فى الاعوام السابقة . . وتقوم الامانة العامة بالاعلان عن فتح باب الترشيح وتتلقى انتاج المرشحين والاستمارات الخاصة بهم من جهات الترشيح حيث تعرض على اللجان المتخصصة ولجنة الجائزة التى تقوم باقتراح أسماء الفائزين حيث ترفع الى المقام السامى لاستصدار أمر ملكى بشأنها وقد تم الترشيح فى العامين الأولين طبقا للآتى :

* فى عام ١٤٠٣هـ قامت ٢٩ جهة بترشيح ٤٨ مرشحا.
* فى عام ١٤٠٤هـ قامت ٣٨ جهة بترشيح ٤٦ مرشحا.

حفل الجائزة :

أولا : الحفل الأول :

تم تنفيذه يوم الاربعاء ١٤٠٤/١/٢٧هـ الموافق

● جلالة الملك المفدى يسلم الجائزة لأحد الادباء الفائزين بها .



٢/١١/١٩٨٣م تحت رعاية صاحب الجلالة الملك المفدى وحضره ١٢٠ أديبا سعوديا من خارج مدينة الرياض، ٧٠ أديبا وصحفيا من خارج المملكة.. وقد تفضل جلالته بتوجيه كلمة للحاضرين وتم اقامة معرض الكتاب السعودى الأول والمعرض السادس للفن السعودى المعاصر للفنون التشكيلية.. وتم تنفيذ ست ندوات تليفزيونية أدارها ستة من اساتذة الجامعات السعوديين..

وقد تم اعداد برنامج زيارة للضيوف أثناء اقامتهم بالمملكة مثل زيارة مؤسسة الجزير الصحفية ومؤسسة اليمامة وكلية الاداب بجامعة الملك سعود وجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية وأمانة مدينة الرياض ووزارة التخطيط الى جانب أداء مناسك العمرة بمكة المكرمة وزيارة الحرم النبوى الشريف بالمدينة المنورة.


● سمو الامير عبد الله الفيصل ● احمد عبد الغفور عطار ● طاهر زمخشري
● حمد الجاسر ● عبد الله بن خميس ● أحمد السباعى

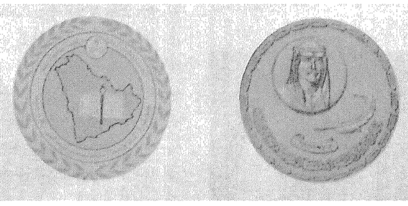
ثانيا: الحفل الثانى:

تم تنفيذه يوم الاحد ١٤٠٥/٨/٨هـ الموافق ١٩٨٥/٤/٢٨م تحت رعاية صاحب الجلالة الملك المفدى وحضره حوالى ١٢٠ أديبا سعوديا من خارج الرياض و٣٢ أديبا وصحفيا يمثلون ٢٠ دولة عربية واسلامية وأوربية وحضر كذلك رئيس هيئة جائزة نوبل العالمية.. وتم اقامة المعرض الثانى للكتاب السعودى والمعرض السابع للفن السعودى المعاصر للفنون التشكيلية وتم تنفيذ ندوتين تلفزيونيتين اشترك فيها ٨ من كبار الأدباء العرب يمثلون ست دول عربية وأمسية شعرية اشترك فيها ستة من الأدباء السعوديين ومحاضرة بجامعة الملك سعود واجراء لقاءات تليفزيونية مع الضيوف.

وقد تم اعداد برنامج زيارة للضيوف شملت مؤسسة الجزيرة والمتحف الوطنى للآثار وجريدة الرياض ومجلة اليمامة ووزارة التخطيط وامارة مدينة الرياض وتم اعداد برنامج خاص للبروفيسورة آنا مارى شيمل للاطلاع على معالم النشاط النسائى بالمملكة.

مطبوعات الجائزة:

تم اصدار عدد من المطبوعات



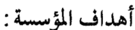
بمناسبة الحفل فى العام الأول والثانى مثل كتاب دليل الحفل الاول والثانى وكتاب (الفائزون) عن عام ١٤٠٣هـ/١٤٠٤هـ والأدلة الخاصة بمعرض الكتاب الأول والثانى ومعرض الفن السعودى المعاصر السادس والسابع وكتابين آخرين احدهما خاص بالمحاضرة التى القيت والثانى خاص بالامسية الشعرية التى نفذت فى الحفل الثانى.

هذا بالاضافة الى بعض الاستمارات الخاصة بالضيوف عن البيانات الشخصية واستطلاع الرأى والمعلومات الهامة الخاصة بانشطة الحفل.

مؤسسة الملك فيصل الخيرية

● صودق على انشائها بالأمر الملكى رقم ١/١٣٤ - ١٩/ ٥/ ١٣٩٦هـ.

● قامت المؤسسة بجهد من أبناء المغفور له جلالة الملك فيصل وبمؤازرة وتعضيد من جلالة الملك خالد رحمه الله وجلالة الملك فهد حفظه الله وهو يعتبر الرئيس الأعلى للمؤسسة ويرأس اجتماعات كل من الجمعية العامة ومجلس الامناء.

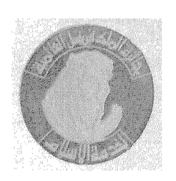


أهداف المؤسسة :

تَبنّى البرامج والمشاريع الخيرية والاتفاق عليها وتشمل:

- النشاط التعليمى والعلمى.. واوجه البر المختلفة مثل المساجد والمدارس والمعاهد والجامعات والمراكز الاسلامية ومراكز البحث العلمى وتوفير الخبرات الفنية وتقديم المعونات والمنح للباحثين والدارسين فى شتى العلوم والدراسات.. كما تقوم المؤسسة بتقديم المساعدات وانشاء المستشفيات والمصحات ودور العلاج والرعاية والتأهيل التى تهدف بصفة عامة الى رفع مستوى الفرد فى المجتمعات الاسلامية المعيشى والاجتماعى والاقتصادى ويكون ذلك داخل المملكة وخارجها.







سمو الامير عبد الله الفيصل

جائزة الملك فيصل العالمية:

اهداف الجائزة :

● العمل على خدمة الاسلام والمسلمين فى المجالات الفكرية والعلمية والعملية.. وتحقيق النفع العام لهم فى حاضرهم ومستقبلهم والتقدم بهم نحو ميادين الحضارة للمشاركة فيها.

● الاسهام فى تقدم البشرية واثراء الفكر الانسانى.

● تأصيل المثل والقيم الاسلامية فى الحياة الاجتماعية وابرازها للعالم.

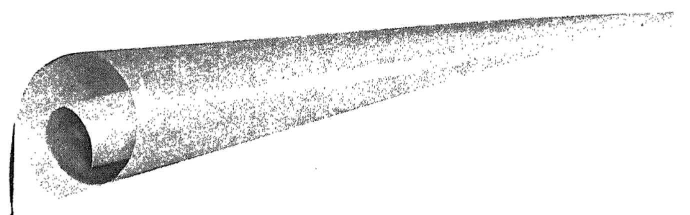
فروع الجائزة :

تتكون من خمسة فروع: «**خدمة الاسلام - الدراسات الاسلامية - الأدب العربى - الطب - العلوم**».

تتكون الجائزة من : «شهادة براءة - ميدالية ذهبية - مبلغ نقدى مقداره (٣٥٠،٠٠٠) ثلاثمائة وخمسون الف ريال».

تمنح الجائزة: فى مجالاتها المخصصة لها لكل:

● من قام بخدمة للاسلام والمسلمين بجهد بارز يتعدى ما هو عادى وواجب



وينتج عنه فائدة ملحوظة للمسلمين تحقق هدفاً او اكثر من اهداف الجائزة.

● من قام بعمل مبدع او دراسة أصيلة ينتج عنها خدمة واضحة واثراء للغة العربية وآدابها بصفتها لغة القرآن الكريم.

● من اسهم بجهد علمى بارز فى مجال الطب أو العلوم ونتج عنه فائدة ملحوظة للبشرية واثراء للفكر الانسانى.

كالجامعات ومراكز البحوث والمجامع العلمية واللغوية وغيرها ولا تقبل ترشيحات الأحزاب السياسية والافراد.

كيفية اختيار الفائزين:

يتم الاختيار للجوائز على أساس الجدارة المطلقة ويمر الترشيح عبر قنوات متعددة من اجل التحقيق من وصول المرشح الى المستوى المطلوب على مسؤولية هذه الجهات.

● تعرض الترشيحات والأعمال على خبراء متخصصين فى موضوع الجوائز وهم باحثون علماء ترشحهم هيئات ومؤسسات علمية وذلك لضمان انطباق الاعمال المرشحة على الموضوعات المعلنة للجائزة وارتفاع هذه الاعمال الى مستوى الجائزة.



الامير خالد الفيصل　　الامير سعود الفيصل

● ترسل الاعمال المرشحة الى مُحكَّمين عالميين ذوى خبرة تامة فى موضوعات الجوائز لدراسة هذه الاعمال وكتابة تقارير حولها وذلك قبل اجتماع لجان الاختيار بثلاثة أشهر على الاقل.

● تعرض الاعمال والتقارير المكتوبة من قبل المحكمين على لجنة الاختيار الخاصة بكل جائزة على حده وكل لجنة من هذه اللجان تتكون من مجموعة من كبار المختصين من داخل المملكة وخارجها فى حقول الجوائز المختلفة.



جلالة الملك المفدى مع بعض الفائزين بالجائزة

الترشيح للجائزة:

يتم الترشيح لكل جائزة من جوائز الملك فيصل العالمية من قبل المنظمات الاسلامية والهيئات العلمية للجائزة.. وهذه القنوات هى:

● يتم الترشيح من قبل المؤسسات والهيئات العلمية فى المجالات التى تتعلق بفروع الجائزة ويكون الترشيح

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية:

هو احـد اجهـزة مؤسسـة الملك فيصـل الخيرية وله شخصية اعتبارية وميزانية مستقلة أسس عام ١٤٠٣هـ ومقره الرئيسى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

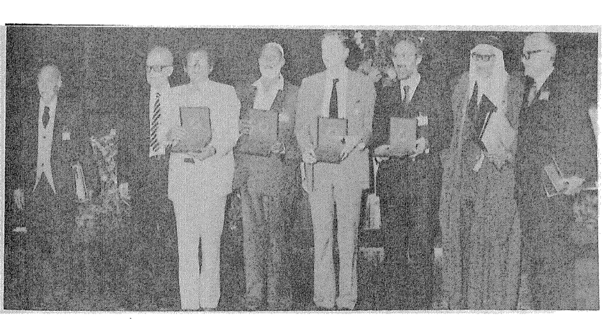
اهداف المركز:

يهدف مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية الى الاسهام فى ابراز دور الحضارة الاسلامية وما قدمته للبشرية فى شتى الميادين وما تميزت به عن سائر الحضارات الاخرى على مر العصور.

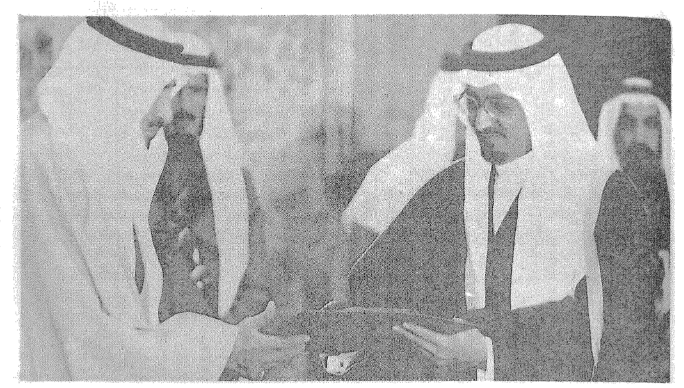
- دعم حركة البحث العلمى وتطويرها على أسس علميـة فى كل المجـالات المتعلقة بالدراسات والحضارة الاسلامية.
- ابـراز الجـوانب القيـادية والانسانية لجلالة الملك فيصل بن عبد العزيز - رحمه الله - باعتباره رائدا للتضامن الاسلامى.
- الاسهام فى اعداد علماء متخصصين فى العلوم الاسـلاميـة وعلوم اللغـة العربية والعلوم الاجتماعية عامة.
- الاسهام فى تلبية حاجات البلاد الاسلامية.
- العمل على اقتناء اكبر عدد ممكن من المخطـوطـات الاصليـة أو صور منها واقتنـاء اكـبر عدد ممكن من الكتب لاثراء مكتبة المركز وقسم التوثيق.
- ترجمة الـدراسـات والبحـوث التى تناسب اهداف المركز الى اللغات غير العربية وبالعكس.

محتويات المركز:

يضم المركز مكتبة رئيسية مهيأة لان تحتوى ما يقرب من مليون كتاب فى اغلب المجالات وبالاخص الاسلامية اضـافـة الى المراجع العامة والرسائل الجامعية وبها قسم لخدمات المكفوفين كما يضم مكتبة المخطوطات التى تضم ما يزيـد عن سبعـة الاف مخطوطـة اصلية.. والمكتبة السمعية والبصرية اضافة الى مكتبة الاطفال التى تسعى للعنـايـة بهم وتنشئتهم على أسس اسلامية وربطهم بعقيدة امتهم وتراثها وحضارتها كما يضم المركز قاعة الملك فيصـل التـذكارية التى تضم مختلف جوانب حياة الملك فيصل - رحمه الله - اضافة الى ثلاث قاعات للعرض هى قاعـة الـفـن الاسـلامى وقـاعـة المخطوطات وقاعة ترميم المخطوطات.



الحائزون على جائزة الملك فيصل العالمية للعام ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م



الملك خالد (رحمه الله) يتسلم جائزة «خدمة الاسلام» من الامير خالد الفيصل رئيس هيئة الجائزة .

الملك فهد (حفظه الله) يتسلم جائزة «خدمة الاسلام» من الامير خالد الفيصل رئيس هيئة الجائزة.

مسمى الجائزة	العام	الفائز	الجنسية	عن موضوع	ملاحظات
خدمة الاسلام	١٣٩٩	الأستاذ أبو الاعلى المودورى	باكستانى		
	١٤٠٠	الاستاذ أبو الحسن الندوى	هندى		
		الدكتور محمد ناصر	اندونيسى		
	١٤٠١	جلالة الملك خالد بن عبد العزيز			
	١٤٠٢	الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز	سعودى		
	١٤٠٣	الشيخ حسنين محمد مخلوف	مصرى		
		الامير تانكو عبد الرحمن	ماليزى		
	١٤٠٤	جلالة الملك فهد بن عبد العزيز			
	١٤٠٥	الاستاذ عبد رب الرسول سياف	افغانى		
	١٤٠٦	الأستاذ احمد حسين ديدات			
		الاستاذ رجاء جارودى	فرنسا		
الدراسات الاسلامية	١٣٩٩	الدكتور فؤاد سزكين	تركى	اثر العلماء المسلمين فى الحضارة الاوروبية	
	١٤٠٠	الدكتور محمد مصطفى الأعظمى	هندى	الدراسات التى تناولت السنة النبوية	
	١٤٠١	ـــــــــ	ـ		★
	١٤٠٢	الدكتور محمد نجاة الله صديقى	هندى	المشكلات الاقتصادية المعاصرة فى ضوء الاسلام	
	١٤٠٣	الشيخ محمد عبد القدار عقيمة	مصرى	الدراسات التى تناولت القرآن الكريم	
	١٤٠٤	الأستاذ مصطفى الزرقاء	سورى	الدراسات التى تناولت النظريات العامة فى الفقه الاسلامى	
	١٤٠٥	الدكتور محمد رشاد سالم	سعودى	البحوث التى تناولت العقيدة الاسلامية دراسة وتحقيقاً	
		الدكتور فاروق احمد الدسوقى	مصرى	الدراسات التى تناولت التاريخ الاسلامى	
		الدكتور مصطفى محمد سليمان	مصرى		
	١٤٠٦	الدكتور عبد العزيز الدورى	عراقى		
الأدب العربى	١٣٩٩	ـــــــــ	ـــــ		★
	١٤٠٠	الدكتور احسان عباس	فلسطينى	الدراسات التى تناولت الشعر العربى المعاصر	
		الدكتور عبد القادر القط	مصرى		
	١٤٠١	الأستذ عبد السلام محمد هارون	مصرى	تحقيق المؤلفات والدواوين التى تمثل أدب القرنين الثانى والثالث الهجريين	
	١٤٠٢	الدكتور ناصر الدين الأسد	أردنى	الدراسات التى تناولت الادب العربى	
	١٤٠٣	الدكتور احمد شوقى عبد السلام	مصرى	الأدب العربى فى القرنين الثانى والثالث الهجريين	
	١٤٠٤	الاستاذ محمود محمد شاكر	مصرى	الأدب العربى فى القرن الرابع الهجرى.	
	١٤٠٥	ـــــــــ	ـــــ		★
		الاستاذ محمد بهجت الاثرى	عراقى	الأدب العربى فى القرنين الخامس والسادس الهجريين فى تاريخه أو رجاله أو قضاياه أو كتبه.	
	١٤٠٦				

مسمى الجائزة	العام	الفائز	الجنسية	عن موضوع	ملاحظات
الطب	١٤٠٢	الدكتور دافيد كور نيليوس مورلى	بريطانى	الرعاية الصحية الأولية	
	١٤٠٣	الاستاذ الدكتور والاس بيترز	بريطانى	الملاريـــا	
	١٤٠٤	الدكتور جون . س . فوردتران	امريكى	أمراض الاسهال	
		الدكتور وليم جرينوف	امريكى	امراض الاسهال	
		الاستاذ الدكتور مايكل فيلد	امريكى	أمراض الاسهال	
	١٤٠٥	الدكتور روبرت بالمربيزلى	امريكى	التهاب الكبد الفيروسى	
		الدكتور ماريو ريزيتو	إيطالى	التهاب الكبد الفيروسى	
	١٤٠٦	الدكتور جيان فرانكو بوتانزو	إيطالى	مرض السكر	
		الاستاذ الدكتور البرت ربتولد	سويسرى	مرض السكر	
		الاستاذ الدكتور ليلو أورشى	إيطالى	مرض السكر	
العلوم	١٤٠٣	———	———	الفزيـــاء	★
	١٤٠٤	الدكتور جيرد بينج	المانى		
		الدكتور هندى روهرو	سويسرى	الفزيـــاء	
	١٤٠٥	———	———	الكيمياء الحيوية	★
	١٤٠٦	الدكتور مايكل جون بيردج	بريطانى	الكيمياء الحيوية	

★ حجبت الجائزة لعدم ارتقاء الاعمال المقدمة الى المستوى المطلوب



يشتمل على الابواب الثابتة والمعتادة «اسلاميات، ثقافيات، ادبيات» ذخائر المكتبة العربية التراثية . . المنهل المحكم . . وغيرها . . ومن موضوعاته :

لماذا التاريخ القديم ـ بقلم : د. مصطفى كمال عبد العليم

ازمة حضارة أم أزمة عقيدة ـ بقلم : د. حسن الكتانى

النشاط الثقافى فى الارض المحتلة ـ بقلم : محمد المشايخ

مدارس النحو العربى بين الرفض والتأييد ـ بقلم : د. مصطفى السنجرجى

● **جديد مجلتنا الداخلية «هن»**

بحث فى تجربة الكتاب للاطفال ـ بقلم روضة الفرخ الهدهد.

■ **يتواصل اللقاء مع ذكريات المفكر السعودى الكبير الاستاذ احمد محمد جمال**

● **جديد مجلاتنا الداخلية (السائح ـ فلسطيننا ـ المشتار)**

● **ملف علمى**

تنويه عزيـزى القـارىء: بعـد هذا العدد المتخصص يتجدد بنا اللقاء معك فى عددنا لشهر ذى القعدة ١٤٠٦هـ ان شاء الله مع كل ما هو جديد ومفيد.



الجنادرية

تحت اشراف الحرس الوطني

جولة في أجنحة المهرجان

اضطلعت أربع عشرة لجنة بمتابعة وتنظيم المهرجان وهي: «اللجنة العليا - اللجنة العامة للاعداد والتحضير - إدارة المهرجان - اللجنة المالية - لجنة الخدمات الهندسية والانشائية - لجنة التنظيم والاستقبال - اللجنة الاعلامية - لجنة الشعر الشعبي - اللجنة الثقافية - اللجنة الفنية - لجنة التراث الشعبي - لجنة تحكيم سباق الهجن - لجنة السباق - لجنة متابعة المخطوطات.

لقد جاءت أجنحة المهرجان المختلفة واستعداداته المكثفة دليلاً صادقاً وإبرازاً حياً لجهود لجان المهرجان ودقة متابعتها وتنظيمها حيث:

السوق الشعبي: باتساعه ودكاكينه المنتشرة في كل جوانبه تقف الابل والغنم في وسطه للبيع والشراء.. إضافة للسلع المختلفة المعروضة فيه.. اقمشة.. ملابس.. اطعمة مختلفة.. أوان منزلية.. وبالقرب من السوق بئر عليها المحالة وفيها الدلو.. وحوض للوضوء ومكان للاستحمام وحوض كبير تسقى منه الدواب..

اما البيوت السكنية فهي تحيط بالسوق من كل الاتجاهات.. والدكاكين عبارة عن غرف مفتوحة على ساحة السوق وجميعها مبنى من الطين.. وهي ذات أسقف منخفضة من خشب الأثل.

بيت الشعر: وهو عبارة عن صوف مصنوع من جلد الماعز.. يستعمله البدو في ترحالهم.. وهو ذو احجام مختلفة فمنه المثولث والمروبع يقدر عمره بحوالي ٨٠ أو ٩٠ سنة.. وكل الأدوات الموجودة فيه أثرية.. ولا يخلو بيت الشعر من (العدل) (المزود) - الجراب - الخرج - الشعداد الميركة.. الفانوس القديم.. بنادق البارود.. سيوف وخناجر (والعجرا) وهي جذع شجرة منحوته رأسها غليظة وتستخدم في الحرب للدفاع عن النفس.



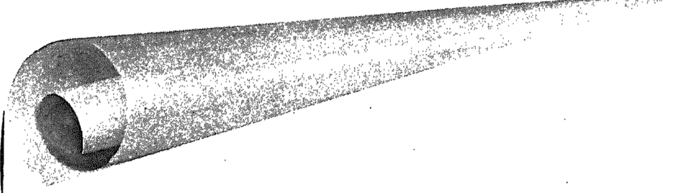
● صاحب السمو الملكي
الامير عبد الله بن عبد العزيز

والقسم الثاني منه خاص بالنساء وبه صندوق الحوائج الخاصة بالمرأة.

اما الثالث: فهو مطبخ يشتمل على أدوات الطبخ التي يستعملها البدوي.. وطول بيت الشعر حوالي ١٢ مترا ويبلغ ارتفاعه مترين وعرضه ثلاثة أمتار.

صناعة المشالح: وهي من أهم الحرف الموجودة في السوق الشعبي.. وصناعة المشالح اشتهرت بها منطقة الاحساء وتمتد الى أكثر من ٣٠٠ سنة ومن المشالح المعروضة مشالح قديمة لها أكثر من مائة عام تمت حياكتها في الاحساء وهي من صوف (وينشن).

والمشالح الملكية: يوجد منها المروبع والمتوسع ومنديلي والمقطع والمشلح الملكي يمتاز بزخارف كثيرة



على جانبيه الأماميين. . وهى من أغلى وأفضل أنواع المشالح.



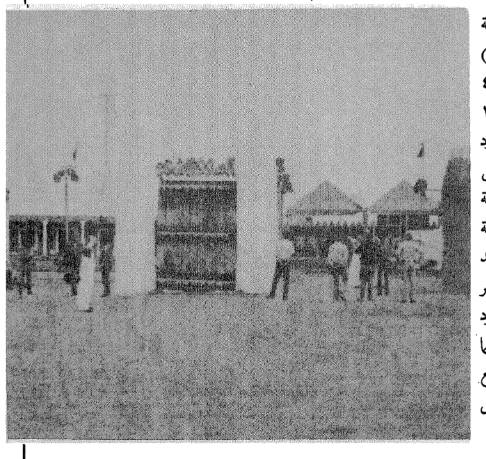
● الامير بدر بن عبد العزيز

آلات الحرب: ومنها الشلف الذى يصل عمره الى ٥٠٠ سنة وهناك البنادق (المقمع) و(الفتيل) الذى يصل عمر بعضها الى ٤٥٠ سنة. . وبعضها الى اكثر من ١٢٠ سنة والدروع وقرن البارود والسيوف التى يصل عمرها إلى أكثر من ١١٠ سنة وهى صناعة المانية نقش عليها شعار الدولة العثمانية. وأخرى صنع ايران والهند وتركيا يصل عمر بعضها الى أكثر من ١٢٠ سنة وسيوف محلية يعود عمرها الى حوالى ٢٠٠ سنة. . كما عرض سيف (مستقى) وهو صنع تركيا عمره حوالى ١٥٠ سنة وأقل طولا من السيف العادى.•

جناح الفنون التشكيلية:

شارك فيه عدد من رؤساء لجان الفنون التشكيلية ومن الفنانين التشكيليين من الرياض وجدة والدمام والاحساء والمدينة المنورة. . وعرضت فيه اللوحات التى تمت إجازتها من قبل اللجنة المختصة باجازة الأعمال الفنية. . والجناح على طراز معمارى قديم يتناسب وهذا الحدث الكبير كما أن اللوحات غلب عليها الطابع الشعبى فجاءت مصورة للحياة اليومية ممزوجة بالحاضر الأصيل إضافة الى الكتابات والوحدات الهندسية الزخرفية الاسلامية.

أما الكتاتيب: فجاءت تمثيلا لطريقة التدريس فى الماضى حيث (مجصص) المطوع واللوح الذى



كان يكتب عليه (بالطين الأبيض) أو ما يسمى (بالغرين).

السواني: وتمثل وسيلة استخراج الماء لرى الزرع وهى عبارة عن دراجة ومحالة وغرب وسريح ورشا وألواح خشبية تربط بين جدارين.. ومكان لمسير البعارين ومن أنواعها: «سواني الابل - سواني البقر».

والدياسة: لحصد المزروعات:

الاكلات الشعبية: ومثلتها أكلات المنطقة الوسطى والجنوبية والشرقية ومناطق أخرى ومنها الكليجا والفتيت - والقدوع - والغبوق - والمحوت - والصيادية - والمثلوث والحنينى - والهجور والمصابيب.

الازياء الشعبية: وعرض من أزياء النساء: «المدار والمرشّدة - والكف والمعصم - وقرض الهيل - والمسّرح - وخط البلدة والمسفع.. ومن أزياء الرجال: الدقلة والغترة والصديرية.

الفنون الشعبية: شارك عدد من فرق الفنون الشعبية بعروضه المختلفة فشاركت فرقة جيزان بعروض السيف والعزاوى والعرضة وغيرها وفرقة المنطقة الشرقية بعروض العرسانى والحداوى وغيرها والاحساء وأبها وجدة بالمزمار الشعبى والحسى.

لقد كانت اقامة المهرجان الوطنى الثانى للتراث والثقافة فى نفس موعد المهرجان الماضى وقال سمو الأمير بدر بن عبد العزيز نائب رئيس الحرس الوطنى ورئيس اللجنة العليا للمهرجان: إن هذا المهرجان: يدل على اهتمام الدولة باظهار مثل هذه المناسبات الوطنية وتجسيدها واقعاً ملموساً يغرس المفاهيم العميقة فى التراث والثقافة والفكر ويغرسها فى نفوس أبناء هذا الوطن.

ومن مستجدات هذا المهرجان:

قصر المصمك: وقد تم بناؤه بجوار السوق الشعبى جنوباً.. وبه المنصة الملكية. كما كان مقراً للفنون الشعبية واستعراضاتها وللمحاورات الشعرية.

الانسان السعودي أعظم ما رأيت فى المملكة

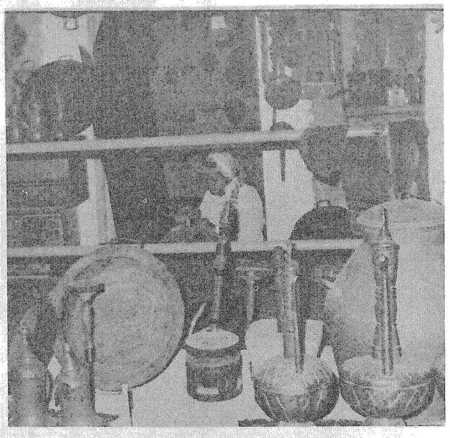
«يوسف ادريس»

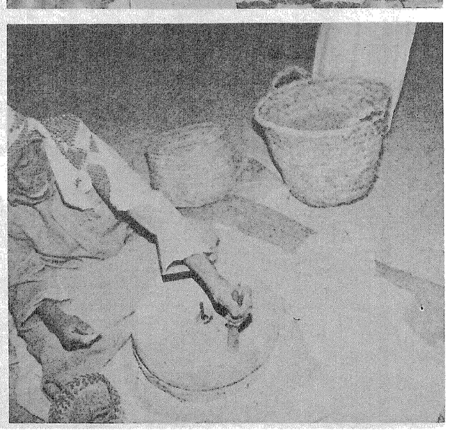
المهرجان كان فرصة نادرة جمعت نخبة ممتازة من الكتاب والادباء العرب وارجو ان يتطور هذا المهرجان الى عكاظ جديدة..

«محمود السعدني»

هذا المهرجان يعني بداية تأسيس المتاحف الوثيقية أمام الباحث السعودي العربي..

«أحمد شبرين»





مبخـرة القـرية : وهى عبارة عن مجسم جمالى لمبخـرة عمـلاقـة من الخرسـانـة المسلحة ذات ألوان جميلة تطلق البخـور بما يتـلاءم وهـذا الجو الـتراثى العريق. ومكانها غرب قصر المصمك أمام بوابته الرئيسية.

مسجـد القرية : وهو مسجد من الطين واللبن يقـع فى احـدى زوايـا القرية الشعبية بالقرب من قصر المصمك.

بئـر الـورد: أقيمت فى المزرعـة القديمة التى تضم بيت الفلاح واستراحته.

شاشـة العـرض: عرضت بعض الصور بواسطة السلايدات.

معروضات السوق: تختلف جميع معروضات السوق الشعبى لهذا العام عما عرض فى مهـرجان العام الماضى وكـانت الحـرف القـديمة تزاول على مرأى من الـزوار ومنهـا حرفـة استـاذ الجص أو المجصص ونـداف القطن وصناعة القدور وصناعة نماذج صغيرة من السفن وصناعة الصحاف.

الألعـاب الشعبية : ألعاب تمثل جزءاً من العـادات والتقـاليد والتراث منها شريخ الشرح ـ جاكم سليسل ـ الكعـابـة ـ الـدنـانـات وهى لعبـة استعراضية للصبيان.

الشعر الشعبى : شارك فى مهرجان هذا العـام مجمـوعـة من الشعـراء الشعبيـين لم يشـارك منهم شاعـر فى مهرجان العام الماضى.



505
" عائلى "
جمجوم
505
تصميم : فريد ابو سعدة


PEUGEOT
حين تجلس امام المقود فى سيارة بيجو ٥٠٥ تجد نفسك فى جو من النعومة والهدوء فى سيارة بيجو ٥٠٥ يساهم كل عنصر فى اثبات ميزاتها كسيارة عائلية عالية * خطوطها الرشيقة والمتجانسة * انضباطها التام فى المسافات الطويلة * القيادة الناعمة * رحابها الداخلية الرفيعة (مقاعد متجانسة مع الجسم / تجهيز فخم / حجم المقصورة الرحب الذى يتسع لتسعة اشخاص) فرملتها الناعمة / اضف لكل هذه المزايا الخاصة متانة بيجو التقليدية .. بيجو ٥٠٥ هى سيارة الأسرة السعيدة.
المتوكل للسيارات والآليات
احدى مجموعة محمد نور صلاح جنجوم واولاده
خبرة بيجو في آفاق المستقبل !
« صالون »
رشاقة الخطوط وجمال الشكل يعنيان: بيجو ٥٠٥ * سيارة الانسجام والتناغم * رفاهية الاستقبال * هادئة * رحبة * مكيفة الهواء «تكييف الهواء اختيارى» انها السيارة المسيطرة على المسافات الطويلة فهى قوية ومرنة وواثقة من كفاءتها.
بيجو ٥٠٥ نموذج جديد فى كل تقاليد * بيجو - جربوا: بيجو ٥٠٥
المعرض - طريق مكة المكرمة/ كيلو خمسه/ جدة
س. ت: ٢٧٧٩٥
ص. ب: ١٢ - جدة - الحجاز - المملكة العربية السعودية
تليفون: ٦٨٧٥٦٨٧ - تلكس: ٤٠١٣٦٥ منير إس جى -
برقيا: المتوكل جدة



البداية والتأسيس

تأسست شركة بترومين لزيوت التشحيم عام ١٩٦٨م وكان ذلك بموجب المرسوم الملكى رقم ٣٤ وتاريخ ١٩٦٩/٤/٣٠م.

ومن وزارة التجارة حصلت الشركة على سجل تجارى لانشاء وتشغيل مصنع لخلط الزيوت فى جدة.. طاقته الانتاجية ٧٥٠٠٠٠ برميل سنويا وصل الى حوالى مليون برميل (٨٠٠٠٠٠) عام ١٩٨٣م.

وانشىء مصنع آخر فى الرياض طاقته الانتاجية بلغت ١٧٥٠٠٠ برميل سنويا عام ١٩٨١م.

ومما هو جدير بالذكر ان وحدات تسويق زيوت بترومين (بترولوب - مصفاة جدة - وبترومين للتسويق) هذه الوحدات الثلاثة استطاعت تلبية احتياجات السوق المحلى عبر شبكة متكاملة من الوكلاء والموزعين فى كل أرجاء وكافة انحاء المملكة.. هذا إضافة الى الخدمات والاستشارات الفنية التى تقدمها بترومين لعملائها مجاناً.. كما تستخدم (بترومين) أحدث المعدات والأجهزة المخبرية فى تحليل جميع أنواع الزيوت.

تركيبة الزيت الخام

يتركب الزيت الخام من مادتين اساسيتين هما الهيدروجين والكربون الاول تتراوح نسبته من ١١:١٤٪ والثانى ٨٣:٨٧٪ مع نسب قليلة جدا من الكبريت والأوكسجين والازوت.

وينقسم الزيت الخام الى ثلاث محتويات:

الزيت البرافينى: وهو ذو محتوى برافينى عال.

الزيت النفتلينى: وهو ذو محتوى نفتلينى عال.

الزيت الخليط: وهو خليط ويدعى المتوسط.

أنواع الزيوت

١ - زيوت المحرك ٢ - زيوت التروس - ٣ - زيوت صناعية.

زيوت السيارات والمحركات

١ - زيت بترومين الممتاز للمحركات.

٢ - زيت بترومين سوبر للمحركات.

٣ - زيت بترومين اكسترا سوبر.

٤ - زيت بترومين لمحرك الدورة الثنائية أس.

٥ - زيت بترومين لمحركات الديزل هـ د.

٦ - زيت بترومين لمحركات الديزل هـ د - ١.

٧ - زيت بترومين لمحركات الديزل هـ د - ٢.

٨ - زيت بترومين لمحركات الديزل هـ د - ٣.

٩ - زيوت بترومين لمحركات أرار - ٤٠.

١٠ - زيت تروس «جيروبوكس» عيار ٩٠ وعيار ١٤٠.

١١ - زيت تروس (جيروبوكس) عيار هـ. د. ٩ وهـ. د١٤٠

١٢ - زيت تروس هـ د س ٨٥ و ١٤٠.

١٣ - زيت الالات ونظم الدورة زيت بترومين هيدروليك وزيوت تربينية وزيوت تروس صناعية.

شحوم السيارات: شحم بترومين ام. بى وشحم بترومين «مولى» Moly شحم اسود.

الشحوم الصناعية

١ - شحوم بترومين جى بى رقم ٢ر٣ (Gp.2. Gp-3)

٢ - شحوم بترومين Ep رقم ٢.

٣ ـ شحوم بترومين للحرارة العالية HI-TEMP

٤ ـ شحوم بترومين العالمى شحم (يونيفرسال)

٥ ـ مركب بترومين للتروس المكشوفة.

الزيوت البحرية

زيوت بترومين للمحركات عيار ٣٠، ٤٠، ٥٠.

ـ زيت بتروشيلد سبشيل عيار ٣٠

ـ زيت بتروشيلد ١ عيار ٣٠، ٤٠، ٥٠

ـ زيت بتروشيلد ٢ ـ عيار ٣٠ : ٤٠

ـ زيت بتروشيلد ٣ عيار ٣٠ : ٤٠ : ٥٠

ـ زيت بتروشيلد ٧٠ عيار ٥٠

الخصائص الطبيعية والكيمائية للزيوت

هناك اختبارات عديدة توفر معلومات مفيدة وثابتة عن نوعية الزيوت وعن قدرة الزيت الفعلية فى المحرك فيما يلى بعضها: «اللون.. الكثافة والثقل النوعى.. الاستحلاب (الانفصال).. درجة الوميض ودرجة الاشتعال.. عدد التعادل.. درجة الصب.. الرماد الكبريتى.. اللزوجة.

الاضافات الكيمائية

يعتبر الزيت الاساسى المكرر غير مناسب لعملية التزييت بشكله لدى تكريره لذلك تضاف اليه مواد كيمائية عديدة لتعطيه صفات جديدة أو لتقوية الصفات الموجودة اساساً.

وللاضافات انواع عديدة منها ـ منظف مشتت ومقاوم للصدأ ومقاوم للتآكل ومخفض لدرجة الصب ومحسن لمعامل اللزوجة.

التكرير

اساس تكرير الزيوت هو عملية فصل تلك الزيوت من اللقيم البترولى المتبقى من الزيت الخام بأنواع ذات درجات سيوبه مختلفة تتبعها عمليات معالجة الشوائب وتحسين بعض الصفات والتى ينتج عنها زيوت اساسية بالمواصفات التالية «صفاء اللون.. الثبات على درجات الحرارة العالية.. تغطى درجات اللزوجة المختلفة.. ذات معامل لزوجة مناسبة. تناسب مواصفات الخدمة المطلوبة بالمحرك.

التشحيم

ان غالبية زيوت التشحيم سائلة الا انها متوفرة ايضا فى حالة الميوعة كالشحوم وحالة الصلابة كالجرافيت وكلها تؤدى نفس الوظيفة كالتالى:

١ ـ فصل اسطح التشغيل بعضها عن بعض لتقليل فرص الاحتكاك وما ينتج عنه من تاكل.

٢ ـ تشبع الحرارة الناتجة خلال عملية الاحتكاك

٣ ـ نقل الشوائب ومواد التكوين الى حيث تزال.

٤ ـ حماية المعدات من الصدأ

٥ ـ تنعيم الصوت.

انتاج الزيوت الجاهزة

حسب أحدث وأدق المواصفات العالمية تتم عملية انتاج زيوت بترومين فى مصانع الشركة بجدة والرياض.. وتستعين الشركة فى ذلك بأحدث المعدات الصناعية من ناحية وبالخبراء الفنيين المدربين على أعلى مستوى علمى وتقنى من ناحية أخرى.

إعداد/ **مصطفى محمد مصطفى**

تصميم: فريد أبو سعدة



بنك الرياض

● فى غرة ربيع الأول ١٣٧٧هـ تأسس بنك الرياض باعتباره أول شركة مساهمة وطنية مصرفية برأس مال سعودى صافٍ (١٠٠٪) وهو يعد ثانى بنك محلى فى مجموع الميزانية إذ أنه يمثل ما يزيد على (خُمس) مجموع الميزانية المجمعة لدى البنوك التجارية بالمملكة.

● حقق بنك الرياض ربحاً صافياً يناهز (٦٠٠) مليون ريال وبذلك شغل المركز التاسع والستين بين أكبر (٥٠٠) بنك فى العالم.. وتلك مزية لم يظفر بها أى بنك محلى بالمملكة كما أنه حقق أعلى المعدلات العالمية فى (الربحية) صافى الربح + مجموع الأصول المالية) وصار يمثل بذلك المركز الخامس والعشرين بين اكبر بنوك العالم فيما يتصل بصافى دخل العمليات المصرفية.

● جاوزت ودائع بنك الرياض ٢٦٫٣ بليون ريال ممثلة بذلك ما يزيد عن ٢٢٪ من مجمل ودائع البنوك بالمملكة هذا إضافة لموارده الذاتية التى بلغت ٣٫٤ مليار ريال موظفة فى القنوات الشرعية المصرفية.

● بلغت محفظة قروضه واستثماراته ما يزيد عن ٢٥٪ من مجموع محفظة قروض البنوك التجارية العاملة بالمملكة.. وللبنك دور بارز فى تمويل القطاع الخاص بالمملكة.

● فى مارس ١٩٨٤م افتتح فرع لبنك الرياض (بلندن).. ولاشك أن هذا الفرع يعد نافذة على أسواق المال العالمية..

أهداف البنك وخدماته:

● بلغت فروع البنك داخل المملكة (١٤١) فرعاً بالاضافة إلى ادارته العامة وست ادارات اقليمية.. وله فرع ثان للسيدات (بالخبر) يقوم بمباشرة أعماله منذ سبع سنوات.. وسيتم قريباً بمشيئة الله افتتاح فروع أخرى فى المنطقة الوسطى والمنطقة الغربية.

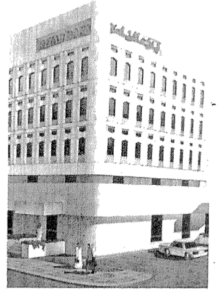
● يقوم بنك الرياض بتأجير الخزائن الحديدية ويصدر بطاقات العملاء (الذهبية ـ الخضراء)..

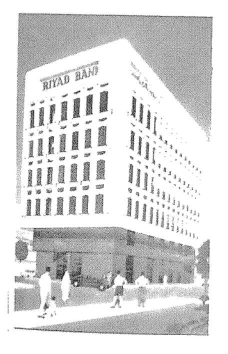
أجهزة الكمبيوتر:

● يؤمن البنك خدمات الكمبيوتر التى تم استكمالها وتشغيلها فى الثلاثين فرع وسيتم قريباً تصميم أجهزة الكمبيوتر الخاصة بباقى الفروع.

● ومما يجدر ذكره أن بنك الرياض يعد أول بنك يقوم بسعودة الكوادر العاملة به.. وقد بلغ عدد موظفيه (٥٠٠٠) موظفاً ٦٢٪ منهم سعوديون يستخدمون أحدث ما وصلت اليه وسائل وأساليب العمل المصرفى المتطورة.

كما أن جميع أعضاء مجلس الادارة والادارة التنفيذية سعوديون.





التدريب والابتعاث:

● وضع بنك الرياض نصب عينيه سياسة تدريب موظفيه على الاعمال المصرفية ومنحها اولوية مطلقة طلباً للارتقاء بمستوى الأداء لذا أنشأ معهداً بمدينة جدة (المركز الرئيسى) يقوم بإدارته موظفون ذوو كفاءات عالية.. للتدريب على الاعمال المصرفية وأحدث اساليبها وتقنياتها.. ويقوم هذا المعهد أيضاً بتدريس اللغة الانجليزية.

● يُبتعث الموظفون ذوو الكفاءة من قبل البنك الى أكبر البنوك العالمية فى الولايات المتحدة وأوروبا وتُوفر لهم فرص الالتحاق بأفضل وأحدث المعاهد العالمية لتعليم اللغة الانجليزية.. ولا يغيب عن أذهاننا ما يتمتع به المبتعثون من مزايا مادية وعلاوات استثنائية وفرص لتولى الوظائف القيادية.

دور البنك فى خدمة الاقتصاد الوطنى

أدى بنك الرياض دوراً بارزاً وملموساً كمؤسس ومساهم فى ٢٨ شركة محلية كما أن مساهماته ومشاركاته تغطى جميع مجالات الأنشطة الاقتصادية الصناعية (كالأسمنت والكهرباء والجبس وتكرير البترول والبتروكيماويات والنشاط الزراعى وخدمات النقل البحرى والبرى والعقارى) كما أنه يعمل على تشجيع صغار رجال الاعمال وقطاعات الحرفيين والمهنيين.

ولا يغفل بحال دور البنك الفعال فى شتى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية بالمملكة وفى مقدمتها خدمة ضيوف الرحمن.

● يؤدى البنك دوراً كبيراً وحساساً فى الحد من التضخم ولعل أبرز دليل على ذلك عدم مجاراته للبنوك المحلية فيما يتصل بارتفاع أسعار الاقراض المحلى.

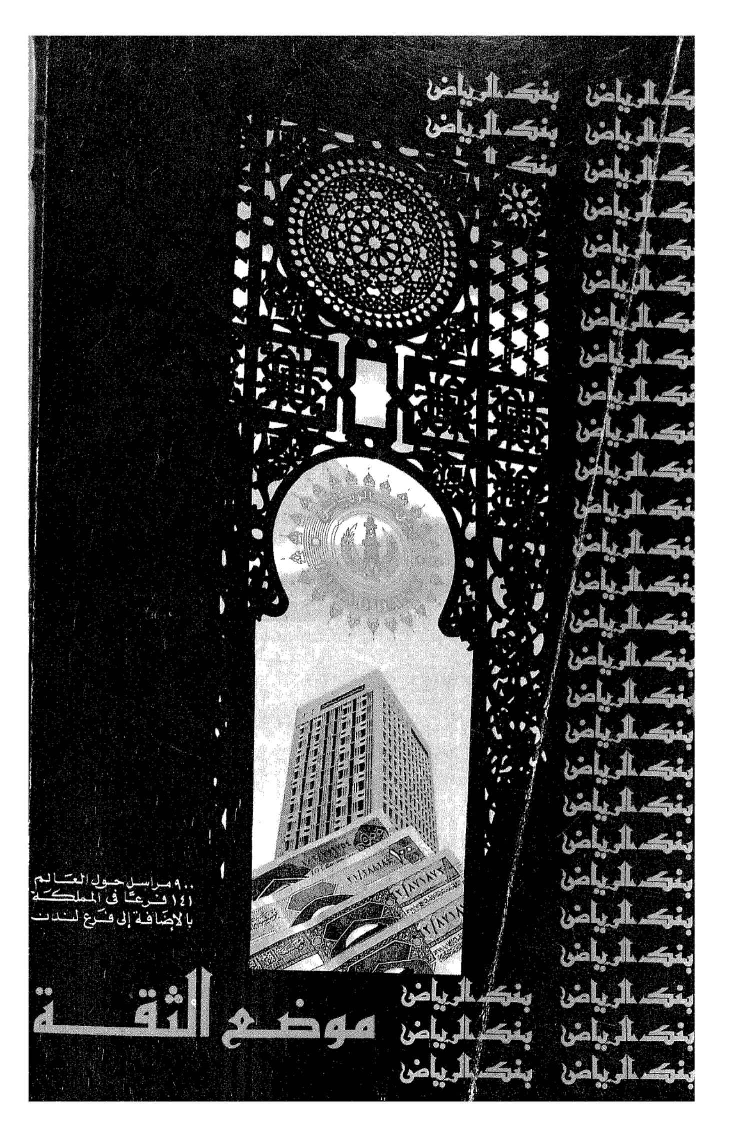
فى المجال العالمى:

لبنك الرياض دور وطنى بالغ الأهمية فى العالم الخارجى أو المجال العالمى تمثله مساهماته فى البنوك والشركات العالمية مثل مجموعات (يوباف) والبنك السعودى العالمى، والبنك السعودى الاسبانى ـ واتحاد البنوك العربية اليابانية.

اعداد (مصطفى محمد مصطفى)



مركز سكنى
شقق مفروشه
مطعــــم
خدمات داخلية وخارجية
خدمات توصيل للمطار
صالة اجتماعات
مجهزة بأحدث الوسائل
السمعية والبصرية
مكتب سياحى
بوتيكات
مركز خوجه السكنى
يشـارك فى الـنـهـضـة
العصرية المتوطده التى
تعيشها المملكة العربية
السعودية
يخدم الخـاصـة
والعامة فى جده
ستكتشف فى عوالمه
فلسفـة رفـاهـيـة
الخدمة المتميزه
مُرْكَزْ خُوجَه
Old Airport Road P.O. Box 16955
Telephone 6318 000, Telex 405127 AMKCNT SJ
405128 KHOCNT SJ JEDDAH 21474
شارع المطار القديم
ص.ب. ١٦٩٥٥ - هاتف: ٦٣١٨٠٠٠
تلكس: ٤٠٥١٢٧/٤٠٥١٢٨ - جده ٢١٤٧٤



بنك الرياض
٩٠٠ مراسل حول العالم
١٤١ فرعًا في المملكة
بالإضافة إلى فرع لندن
موضع الثقة

المنهل

ALMANHAL

مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة

...دد ٤٤٦ السنة ٥٢ المجلد ٤٧

لماذا التاريخ القديم

• مدارس النحو العربى بين الرفض والتأييد

ملف علمى

كهربائية الجسم

فسيولوجية الرؤية



بوس الجزائر بوس العروبة والاسلام

منذ هبت اوربا فى نهضتها الصناعية الكبرى الاخيرة جعلت نصب عينيها ـ وقبل كل شىء ـ الاستيلاء على العروبة والاسلام انتقاما واستغلالا .

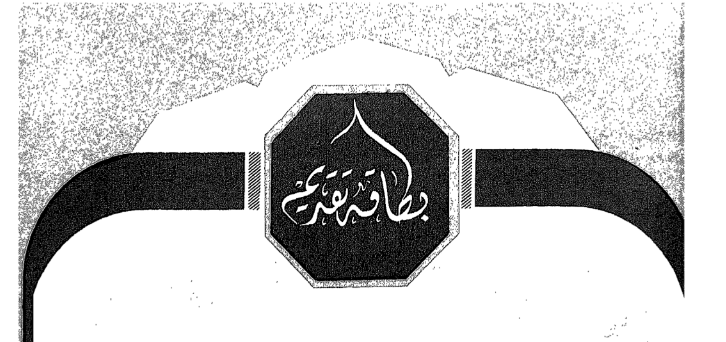
وارض «الجزائر» العربية ارض خصبة مباركة حوت من كنوز المعادن ووفير الغلال والمحصولات ما يسيل له لعاب المستعمرين علاوة على الطاقة البشرية وهى الى ذلك ذات مناظر جميلة فتانة وذات حضارة عربية اسلامية عريقة وذات مدنية زاهرة .

غزت فرنسا الجزائر اولا سلميا فلما سنحت لها الفرصة لابتلاعها ما توانت واتخذت لذلك سلما منحطا هزيلا . . من الاسباب حيث غزتها حربيا واحتلتها احتلالا عسكريا .

وهكذا انتزع استقلالها انتزاعا كليا وحكمتها فرنسا حكما عرفيا جائرا وسلطت عليها نيران حقدها الكامنة منذ هزيمة الصليبيين القديمة تلك الاحقاد العارمة التى لا تنطفى جذوتها الا لتضطرم من جديد .

وظلت الدماء العربية تغلى فى عروقها تجاه هذا الظلم الشائن . . والاحتلال الظالم والاحقاد المتأججة والاستغلال العارم . . فكانت ثورة الامير عبد القادر الجزائرى قبل نحو مائة عام ـ وقد استطاعت فرنسا ـ بعد لأى ـ اخمادها . . فزادت قسوتها قسوة ولكن الدماء العربية العريقة كانت لا تزال تغلى فى عروق اخواننا الجزائريين الذين سعت فرنسا كل السعى وبكل الوسائل الى «فرنستهم» ولكنهم لم يتفرنسوا وظلوا ثابتين كالصخرة الصماء على عروبتهم لهم زيهم العربى الخاص وتقاليدهم العربية الخاصة ومساجدهم العربية الاسلامية . . ولهم صلاتهم ببنى عمومتهم ودينهم فى أرجاء العالم على الرغم من محاولات فرنسا العقيمة لهذه الفرنسة الهزيلة الفاشلة بكل وسائل القمع والاحتيال .

الى ان استكمل الوعى العربى بعد افتتاح المعاهد العربية بالجزائر وتقدمت الدول العربية واستقلت الشعوب العربية فهب المواطنون الجزائريون عن بكرة ابيهم الى ساحة الشرف والجهاد فى الثورة الوطنية الكبرى الحاضرة التى اذاقت فرنسا الامرين وكلفتها نفقات باهظة تكاد تركع تحت اعبائها . . وكلفتها دماء غالية من ابنائها . . وكلفتها الرعب فى ديارها وكلفتها الاستجداء من دول الغرب . . وكلفتها شدة مقت العروبة والاسلام لها ومقاطعة دول العروبة والاسلام .



علاقات ثلاث
تحكم المسلم في مشوار حياته.. كلها
خير ونماء.. علاقته بالله سبحانه خالقه ومدبر
امره.. علاقته بنفسه.. علاقته بالناس والحياة. الاولى
علاقة عبادة "وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون"
والعبادة طاعة وانقياد.. والطاعة في الاوامر والنواهي
منهاج حياة.. والحياة ظل معتقد الانسان. والثانية
علاقة حفاظ ورعاية لحمل الامانة واداء الرسالة..
فالانسان ليس كماً مهملاً وانما هو فعل واداء
اما الثالثة. فقوامها "لا ضرر ولا ضرار".. الحياة
معزوفة متناسقة الانغام يؤديها
المجموع.. وتصبح نشازاً لا يطاق
ان شذ منها وتر..

"السماني"

المنهل
ALMANHAL
مجلة شهرية للآداب والعلوم والثقافة
خمسون عاما في خدمة الفكر والمعرفة

أسسها سنة ١٣٥٥هـ
عبد القدوس الأنصاري

صاحب المجلة رئيس التحرير
نبيه بن عبد القدوس الأنصاري

مدير الادارة والتحرير
زهير الأنصاري

مستشار التحرير
د. عبد الرحمن الأنصاري

مراسلونا في الخارج
● القاهرة: د. أحمد الحفناوي
● عمان: روكس بن زائد العزيزي
● الرباط: عبد الرحيم بن عبد السلام
● تونس: د. نور الدين صمود
● الجزائر: د. بكري عبد الكريم
● انقرة: د. أنور طاهر رضا

المخرج الفني
فريد أبو سعدة

معلومات ادارية

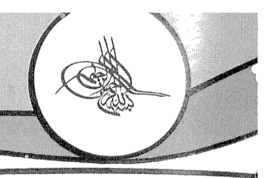
الجرولة: ٢ ش رأس نقورة . عرفات سابقا الشرقية برقيا: المنهل ص.ب ٢٩٢٥ جدة (٢١٤٦١)	قيمة الإشتراك السنوي في المملكة العربية السعودية ٢٠٠ ريالا وللأفراد ١٥٠ ريالا سعوديا	سعر النسخة
الاعلانات تخاطب بشأنها الإدارة	أو ما يعادلها .. ويدفعها الإدارة	السعودية ٨ ريالات المغرب ٦ دراهم تونس ٦٠٠ مليم مصر ٥٠ قرشا البحرين ٨٠٠ فلس قطر ٨ ريالات السودان ١٥٠ قرشا الأردن ٥٠٠ فلس الإمارات ٨ دراهم
تليفون ٦٤٣٢١٢٤/٦٤٤٧٧٩٤		

المجلة السعودية الأم

ذو القعدة والحجة ١٤٠٦هـ/ يوليو واغسطس ٩٨٦







من كتاب هذا العدد

محمد على قدس — أحمد محمد جمال

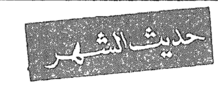
محمد على قطب — د. احسان هندى

مجلاتنا الداخلية

● تايلند ـ بلاد العجائب
جزيرة اسلند

● تفعيلات من اجل القدس
● النشاط الثقافى فى الأرض المحتلة
القضية الفلسطينية فى الشعر الفلسطينى

دين وقران
الجرح ينزف علقما
تفسير المصحف
للشرف المستباح
الى اللذين خدعتهم
المعاصرة
إلى شاعر
الوجه المتعدد
فتنة يقظلى



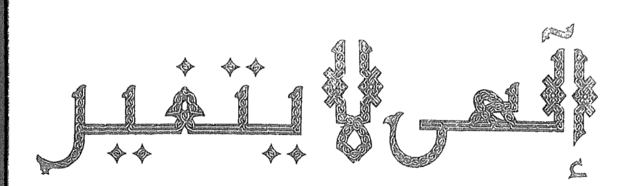
الاسلام دستور

الدين الاسلامى هو العقيدة المثلى والدستور القوى العادل الذى لا يزيده كرّ العصور وتوالى السنين وتقلب الاحوال الا قوة وثباتا وقدرة ومرونة فى القيام بمتطلبات الحياة فى اى عصر من العصور. وذلك على العكس - تماما - مما نرى فى الانظمة والشرائع الموضوعة التى يسكن فى احشائها الخراب. ويعتمل فى حواشيها الاضطراب. والتى تتلون بتقلبات الزمان وتفاعلات المكان فى غير ما نجاح ولا توفيق يضمن لشعوبها حياة كريمة مستقرة هانئة.

من ذلك يتضح لنا ان خير ما يضمن حقوق الافراد والجماعات ويكفل دوام الاستقرار والسلام وقيام حياة الامم على اساس قوى من المبادىء الفاضلة الكفيلة بسعادتها وهنائها هو انتهاج احكام الدين الاسلامى والسير على دستوره القويم الذى لا يضل ولا يغوى.

ان قوام الدين الاسلامى هو طاعة الله ورسوله.. واولى الامر.. والعدل فى الحكم.. والاحسان فى المعاملة.. والصدق فى القول.. وعون البائس ومواساة الفقير.. والتحلى بالفضائل ومكارم الاخلاق.. وتطهير النفس وصفاء الروح من ادران المادة وشوائبها.. والامر بالمعروف والنهى عن المنكر.. والجهاد فى سبيل الله.. والدفاع عن الحقوق والمحارم.. ومحاربة الظلم والفساد.. واصلاح ذات البين كما يحض على التعاون وتوحيد الصفوف والوفاء بالعهود والمواثيق واحترام الايمان والعقود.

وفيما يفترض الاسلام من فرائض وواجبات من صلاة وصيام وحج وزكاة احكام عملية تقضى باجتماع المسلمين للصلاة والحج.. وتعارفهم وتقارب وجهات نظرهم واتحاد اهدافهم.. وفى الصيام والامساك عن الطعام والشراب والشهوات ترويض للنفس ونقاء للروح وتعويدها على مغالبة الهوى واجتناب الحرمات ونحو ذلك مما فيه سلامة الانسان روحا وجسما.. ووقايته من كثير من الاضرار والمفاسد



جاء الاسلام ليطهر النفس الانسانية ويزكيها لتستقيم الحياة على السواء لابد من الصدق بين الناس واتباع شرع الله

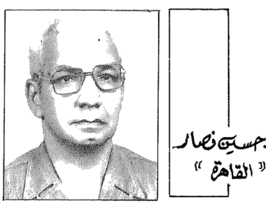
الناجمة من الافراط فى الطعام والشراب والانغماس فى الشهوات والملاذ والخروج عن مبادىء الفضيلة والاخلاق الحسنة كما ان فى الزكاة مثالاً عمليا لما افترض الله من تعاون بين المسلمين ومواساة بعضهم بعضا بما يسد الحاجة ويستر العورة ويقيم الاود فى غير احراج أو ضغط على الاغنياء.. قال تعالى ﴿خُذْ من أموالهم صدقة تُطهِّرُهُم وتُزكِّيهمْ بها وصَلِّ عليهم إنَّ صلاتَك سكنٌ لهم﴾ صدق الله العظيم.

ذلك هو بعض ما يأمر به الدين الاسلامى ويحض عليه من احكام وفرائض وفضائل.. وما يتضمن من انظمة ودساتير حكيمة كفيلة بالنجاح فى الدنيا والآخرة.

اننا ـ معشر المسلمين ـ فى عصر لا يجدى فيه غير التكتل والاتحاد والعمل يدا واحدة لضمان الحقوق واقرار السلام وصَدّ أخطار الظلم والطغيان.. واجدر بنا الرجوع الى الدين الاسلامى واحكامه وتدبرها والنظر فيها من جديد والسير على سيرة النبى محمد عليه الصلاة والسلام واصحابه الكرام والسلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعين ـ ففى ذلك تحقيق للوحدة الاسلامية المرومة والمرموقة.. واستئصال لما يندس فى جسم الامة الاسلامية من بذور الفساد ودسائس الاستعمار وبالله العون والتوفيق.

محمد على قطب

الله في عصر



د. حسين نصار
« القاهرة »

الايمان والشك ظاهرتان طبيعيتان لدى الانسان. أما الايمان فقد وجد عند الانسان أينما حل وفى أى عصر عاش. فلا نعرف مجتمعا بشريا ترك مخلفات وأخبارا مدونة لم تهبنا حفائره وأخباره دلائل على اعتناقه ديناً ما. . يستوى فى ذلك أن يضل ذلك الانسان فيتصور إلهه فى ظاهرة يرهبها أو ظاهرة يرغبها. . أو بشر يحترمه أو حيوان يتصل به أو يتخيله. . أو صنم يصنعه ويتخذ منه رمزا لمعبود ما. . أو ينضج ذلك الدين ويستقيم فيصل بمعتنقه الى المعبود الحق الخالق الجدير بالعبادة.

واذا كان ذلك ينطبق على «المجتمع» ذى العدد الكبير نسبيا فليس ببعيد أن ينطبق على المجتمع الصغير العدد ـ أعنى «الجماعة» الأولى فى حياة الانسان أو ما نعرفه اليوم باسم «الأسرة» أو العائلة سواء كان عمادها الأم ـ كما كان الأمر أولا ـ أو عمادها الأب ـ كما آلت اليه أخيرا.

بل لا أستبعد أن يكون الانسان الفرد قد عرف الايمان أيضا. . ان كان الانسان قد عاش فردا فى إحدى حقب حياته قبل أن يُكَوِّن الجماعة ويجد فيها ملاذه.

ولا اعتقد ان الشك ينفصل عن الايمان. فقد رأى كثيرون أن أصح تعريف للانسان وأكثره انطباقا عليه أنه حيوان ناطق وعنوا بذلك انه حيوان مفكر. فالفكر اذن فطرة فى الانسان. والفكر يستتبع الشك الذى قد لا يستطيع الانسان أن يفلت من شباكه المتينة فيشل تفكيره ويحبسه فى جحيم الحيرة. قد يتخذ الانسان من شكه منطلقا الى اعادة النظر واستبطان الأشياء واستنطاق الكون، فيستقيم له الطريق حتى يبلغ قمة الايمان المطلق.

ما أكثر الأولياء والقديسين الذين غلبهم الضعف البشرى وأثار فى نفوسهم الشك فى وجود «المعبود» أو فى أحقيته بالعبادة. . أو فى رعايته الانسان. . أو فى ضرورة طاعته. . أو فى اليأس من رحمته ثم ـ بعد وقت طال أو قصر ـ تمكنوا من الافلات من الشكوك والنجاة الى ساحة الايمان الوثيق.

قد أذكر أنا «**حجة الاسلام**» الغزالى وتذكر أنت «**شهيدة العشق الالهى**» رابعة العدوية ويذكر ثالث «**النبى**» يونس ويذكر رابع نبى الصبر أيوب ويذكر خامس خليل الله ابراهيم وقصته رائعة الدلالة التى رواها العلى الحكيم فى قوله فى القرآن المجيد: **﴿واذ قال ابراهيمُ ربِّ أرِنى كيف تُحْيى الموتى؟ قال: أو لم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبى﴾**. بل قد يترك كل منا البشر جميعا ويذكر نفسه ويتعمق النظر فيها فيجد ايمانا يطمئن به واليه بالمعبود ثم يجد فى



العلم

الوجود والكون شغل كثيرا من الباحثين والدارسين في مجالات العلوم والطب والفلسفة وغيرها.. واستطاع الكثيرون أن يهتدوا بمعطيات تلك العلوم إلى حقائق إيمانية.. وهذا الموضوع يلمس جانبا من ذلك

خيابا من تلك النفس وساوس لا يدرى من أين تسللت فيعزوها الى الشيطان ويجهد فى التخلص منها وان كانت تتسرب اليه أحيانا فى أثناء عبادته.

الايمان والشك اذن ظاهرتان بشريتان طبيعيتان.. قد أقول انهما فطرتان له.. خلق الله الانسان وركزهما فيه وطالبه بالايمان وحذره الشك ليتم الامتحان ويحقق الانسان هدف ايجاده على وجه هذه الارض.

وأكثر البشر ينشأون مؤمنين يتلقفون الايمان عن أبويهم ومن يعايشونهم من أقربائهم وأصدقائهم وأبناء مجتمعاتهم فلا يحتاجون الى من يعرفهم الايمان ويدعوهم اليه. يستوى فى ذلك العلماء وغير العلماء.

ولكن كثيرا من البشر أيضا يتلقون ايمانهم أو يوسعونه أو يعمقونه أو يزويدونه ثباتا قطرة قطرة طوال حيواتهم وبطرق شتى.. ويحتاج هؤلاء الى من يعينهم فى طريقهم.

ومن أجل هؤلاء كُتِبَت ـ ومازالت تُكْتَب ـ الكتب والمقالات والخطب والمواعظ فى كل مكان وزمان. ولكن القرون الأخيرة فرضت على الكتابات ان تنحو منحى خاصا يختلف عن مناحيها فى غيرها من القرون.

فقد كان الهدف الأول أو الاقدم محو الوثنية وازالة الشرك وتطهير صورة الخالق الواحد الجدير بالعبادة. وفى العصور الاخيرة شهدت أوربا ثورة العقل على كل وسائل المعرفة.. ثم انتشار المنهج التجريبى فى العلم.. ثم تقدم العلوم التطبيقية تقدما شديد الاتساع.. فبرزت المجالات المادية وتأخرت المجالات الروحية.. وانتشرت موجة عارمة من الالحاد ترفض العالم الروحانى كله.. وعلى الرغم من انحسار هذه الموجة مازال لها أتباعها فى العالم المتقدم بل فى غيره من أنحاء العالم ـ أولئك الاتباع الذين يرون أن الثورة العلمية الحالية تدل دلالة قاطعة على عدم وجود شىء روحانى واذن فالدين عبث ومضيعة ولذلك اتجهت الكتابات الحديثة الى الدفاع عن فكرة التدين ذاتها.

ومن اجل ذلك الغرض اختارت احدى الجماعات الامريكية ثلاثين من كبار المتبحرين المشهود لهم فى العلوم المختلفة: الفيزيقا والكيمياء.. والحيوان والفسيولوجيا.. والهندسة والرياضة.. والوراثة والنبات والطب.. وفلسفة العلوم وعلم النفس.. ووجهت اليهم السؤالين التاليين راجية أن تكون الاجابة مدونة: هل تؤمن بوجود الله؟.

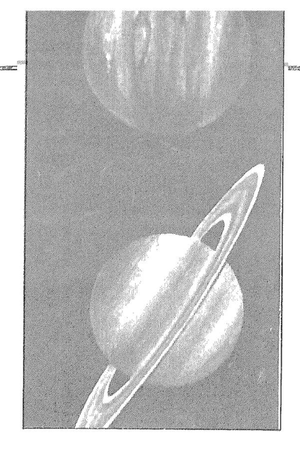
واذا كان الامر كذلك فكيف دلتك بحوثك عليه؟.

وواضح أن مَنْ قَدَّم هذين السؤالين أراد أن يبين أن العلم لا يتناقض مع الدين وأنه لا يدعو «حتما» الى الالحاد وقد فطن الدكتور(**ونشستر**) وهو ممن وجه اليهم السؤالان الى ذلك وأعاد صياغتهما فى قوله: هل من الممكن أن يكون للمشتغل بالعلوم نفس الاعتقاد بوجود الله والتقديس له كغير المشتغل بالعلوم؟.. وهل يوجد فى دائرة المستكشفات العلمية ما يمكن أن يقلل من تقدير الانسان لقدرة الخالق الاعظم وجلاله؟.. تلك أسئلة تطوف أحيانا بعقول بعض من يظنون أن العلماء فى ميادين بحوثهم المتسعة يكتشفون من الحقائق ما قد يتعارض مع الدين حسب تفسير بعض المفسرين. ومن امثلة ذلك ما حدث لى شخصيا عندما كنت طالبًا بالجامعة وكنت قد قررت أن أدرس العلوم. وانني لاذكر جيدا كيف اخذتني احدى عماتي جانبا ذات يوم وتوسلت إليَّ أن اعدل عن هذا القرار لأن العلوم - كما كانت تعتقد - سوف تقضى على ايمانى بالله. لقد كانت تعتبر - كما يعتبر الكثيرون - «أن العلوم والدين قوتان متعارضتان وانهما لا يمكن ان يجتمعا فى قلب رجل واحد».

لقد أراد ذلك المشرف أن يدحض تلك المقولة الشائعة.. وأن يكسب الى صفوفه العقول والقلوب من الناشئة العصرية التى تقدس العلم وتجل العلماء.. وتعتقد أن قولهم القول الفصل.. ولقد نجح فى ذلك نجاحا بعيد الامد.

وقد وضح الاستبيان الذى نشر فى كتاب نفيس أن المشكلة كلها تدور حول (نشأة الكون) ويمكن القول بأن العلماء أجمعوا على أربعة احتمالات تفسر هذه النشأة كما يلى:

الاحتمال الاول: أن يكون هذا الكون مجرد وهم ولا وجود حقيقيا له. وأجمع العلماء على أن هذا الاحتمال متهافت ولا يستحق الوقوف عنده للمناقشة.



الاحتمال الثانى: أن يكون هذا الكون قد نشأ من العدم صدفة ومن تلقاء نفسه.

الاحتمال الثالث: أن يكون الكون أبديا لا أول ولا آخر له.

الاحتمال الرابع: أن يكون الكون من صنع صانع..

ودار النقاش حول الاحتمال الثانى - القائل بأن الكون نشأ صدفة.. فما من عالم لم يتعرض له ويردد الادلة على نفيه معتمدا فى الغالب على ما يسود الكون من نظام محكم دقيق.

●● قال الكيميائى الدكتور (**باركسن**) مثلا «اننى أقرأ النظام والتصميم فى كل ما يحيط بى من العالم غير العضوى ولا استطيع أن أسلم أن يكون كل ذلك قد تم بمحض المصادفة العمياء التى جعلت ذرات هذا الكون تتآلف بهذه الصورة العجيبة.. ان هذا التصميم يحتاج الى مبدع ونحن نطلق على هذا المبدع اسم الله».

●● وقال النباتى الدكتور (**زمرمان**): «فمن الذى قدر وأوجد تلك القوانين العديدة التى تتحكم فى وراثة الصفات وفى نمو النبات؟ - وسوف يقودنا هذا السؤال الى

سؤال آخر أشد تعقيدا وأكبر عمقا وهو: من أين جاءت النباتات الأولى؟. أو بعبارة أخرى: كيف خلِقَ النبات الاول؟.. ونحن لا نستطيع أن نصل بعقلنا الطبيعى ومنطقنا السليم الى أن هذه الاشياء قد أنشأت نفسها بنفسها أو نشأت هكذا بمحض المصادفة؟. ولابد لنا من البحث عن خالق مبدع ويعتبر التسليم بوجود الخالق أمرا بديهيا تفرضه عقولنا علينا».

●● وقال المهندس (**هاثاواى**): «التصميم يحتاج الى مصمم.. وعلى ذلك فانه مما لا يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا إلا من إبداع إله أعظم لا نهاية لتدبيره وابداعه وعبقريته.. لقد اشتغلت منذ سنوات عديدة بتصميم مخ الكترونى.. وبعد اشتغالى باختراع هذا الجهاز سنة أو سنتين.. وبعد أن واجهت كثيرا من المشكلات التى تطلبها تصميمه ووصلت الى حلها صار من المستحيلات بالنسبة إلىّ أن يتصور عقلي أن مثل هذا الجهاز يمكن عمله بأية طريقة أخرى غير استخدام العقل والذكاء والتصميم».

وعنى العلماء بتفنيد الاحتمال الثالث: القائل بأن الكون وجد منذ وجد على هذه الصورة فلا صانع ولا مدبر له، ولا بداية ولا نهاية فهو أبدى أزلى.

●● قال عالم الحيوان الدكتور (**كيسيل**) «ولكن القانون الثانى من قوانين الديناميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأى الاخير. فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن ان يكون أزليا. فهنالك انتقال حرارى مستمر من الاجسام الحارة الى الاجسام الباردة.. ولا يمكن أن يحدث العكس بقوة ذاتية بحيث تعود الحرارة فترتد من الأجسام الباردة الى الاجسام الحارة. ومعنى ذلك أن الكون يتجه الى درجة تتساوى فيها حرارة جميع الاجسام وينضب فيها معين الطاقة. ويومئذ لن تكون هنالك عمليات كيموية أو طبيعية.. ولن يكون هنالك أثر للحياة نفسها فى هذا الكون. ولما كانت الحياة لا تزال قائمة ولا تزال العمليات الكيموية والطبيعية تسير فى طريقها.. فاننا نستطيع أن نستنتج ان هذا الكون لا يمكن ان يكون أزليا والا لاستهلكت طاقته منذ زمن بعيد وتوقف كل نشاط فى الوجود. وهكذا توصلت العلوم ـ دون قصد ـ الى ان لهذا الكون بداية وهى بذلك تثبت وجود الله.. إن ماله بداية لا يمكن أن يكون قد بدا نفسه.. ولابد له من مبدىء.. او من محرك أول.. أو من خالق هو الاله..».

●● وقال الكيميائى الدكتور (**كار**): «اما عن تحديد عمر التكوينات الجيولوجية مثل مواد الشهب وغيرها فقد امكن باستخدام العلاقات الاشعاعية أن نحصل على صورة شبه كمية عن تاريخ الارض. ويستخدم فى الوقت الحاضر عدد من الطرق المختلفة لتقدير عمر الارض بدرجات متفاوتة من الدقة.. ولكن نتائج هذه الطرق متقاربة الى حد كبير ـ وهى تشير الى أن الكون قد نشأ منذ نحو خمسة بلايين سنة وعلى ذلك فان هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليا ولو كان كذلك لما بقيت فيه أى عناصر اشعاعية. ويتفق هذا الرأى مع القانون الثانى من قوانين الديناميكا الحرارية».

وطبيعى أن يخلص كل من كتب فى تفنيد الاحتمالين السابقين الى اثبات الاحتمال الرابع: كون الكون من ابداع مبدع.. وقد رأينا شواهد ذلك فى الاقوال السالفة. ويمكن ان أضيف اليها قول **اللورد كيلفن**: «اذا فكرت تفكيرا عميقا فان العلوم سوف تضطرك الى الاعتقاد فى وجود الله».

وقول الدكتور **فاست**: «فاذا تصورنا أن كل ذلك يتم بمحض المصادفة التى تجعل الجزئيات تجتمع بصورة معينة.. لكى تُكَوِّن ذرات يتألف بعضها مع بعض.. لكى تُكَوِّن أجساما تقوم بدورها بالتكاثر وأداء سائر وظائف الحياة ويكون لها عقل وتفكير دون ان يكون وراء كل ذلك إله مدبر هو الذى خلق فصور فأبدع فان ذلك مالا يقبله عقل أو يتصوره فكر..».

ولا يقف العلماء عند مجرد اثبات وجود الله ـ بل يتعدون ذلك الى القول بأن احدا ممن أنكر وجوده لم يستطع اقامة دليل على صحة رأيه. ثم حاولوا استجلاء أسباب هذا الانكار: فرده الفيلسوف الانجليزى فرانسس بيكون الى قلة المعرفة اذ قال: «ان قليلا من الفلسفة يقرب الانسان من الالحاد.. اما التعمق فى الفلسفة فيرده الى الدين».

ودرس الكتاب ظاهرة الايمان والطرق التى تؤدى اليها. فصرح الدكتور (**أولت**) بان المنهج العلمى يعتمد على الملاحظة وفرض الفروض واختبارها حتى يصل الانسان الى النتيجة التى يطمئن اليها وأعلن ان هذا المنهج ممكن التطبيق فى الماديات. . ولكن الله ليس بمادة ولا طاقة ولا محدوداً حتى نستطيع أن نخضعه لمحكم التجربة والعقل المحدود ـ بل على نقيض ذلك تجد التصديق بوجود الله يقوم على اساس الايمان الذى يستمد التأييد العلمى من الدلائل غير المباشرة التى تشير الى وجود سبب أول» أو الاستدلال المنطقى بالاثار والنعم فى قول الدكتورين «**كونجدن ودافيز**».

ولذلك تعجز العلوم ومناهجها التجريبية فى اثبات وجود الله. . يقول الدكتور (**نوبلوتشى**): «العلوم بحكم طبيعتها المادية اعجز من أن تبحث عن الله بطرقها المادية أو أن تدرك كنه ذاته».

كما تعجز فى نفى وجوده قال العالم نفسه: «**بل ان العلوم أشد عجزا عن أن تثبت عدم وجوده تعالى**». . لأنها لا تستطيع ان تنفى وجود العالم الروحى. قال (**كونجدن**): «برغم ان العلوم لا تؤيد وجود عالم غير مادى تأييدا كاملا فانها لا تستطيع أن تنفى بصورة قاطعة وجود عوالم اخرى غير مادية وراء العالم المادى».

ولم يستخلص العلماء من الظواهر الكونية وجود الله فحسب بل استخلصوا منها عددا من صفاته عز وجل. فهو الخالق الحكيم القدير المدبر الرحيم المريد المسيطر المبدىء الجليل القدوس الخبير اللطيف العليم البديع العاقل المتعالى المحرك الاول.

وتبدو هذه الصفات ـ منذ الوهلة الاولى ـ كأنها من قول مسلم ورع. . وتغلو الصفات فى التجريد فتقر بالعجز عن ادراك الذات العلية.

قال الدكتور بيج: «لابد لنا أن نسلم فوق ذلك بما يسلم به الكثيرون من أن قدرتنا على الملاحظة لا تستطيع أن تمتد لغير جزء ضئيل نسبيا من[٢] الحقيقة الكلية. فالإله الذى نسلم بوجوده لا ينتمى الى عالم الماديات ولا تستطيع حواسنا المحدودة ان تدركه» فلا يمكن ادراكه بالحواس الطبيعية فى قول هاتاواى.

القرآن وحقا



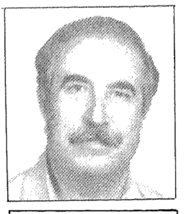
نشرت إحدى الصحف الخليجية خبراً منقولا من مدينة «تورونتو» فى كندا ويقول هذا الخبر حرفياً:

«أبدى أستاذ مختص فى علم الأجنة بجامعة تورونتو الكندية دهشته البالغة إزاء التصوير الدقيق الذى وصف به القرآن الكريم مراحل تطور الجنين منذ ألف وأربعمائة عام».

وقال الدكتور (كيث مور) رئيس قسم التشريح بجامعة تورونتو إنه قد اعتراه الشعور بالدهشة البالغة إزاء الدقة العلمية التى تضمنتها آيات القرآن الكريم بشأن مراحل تطور عملية تكوين الانسان وهو الأمر الذى لم يتمكن الخبراء الغربيون من معرفته إلا خلال السنوات القليلة الماضية فقط. وقد كتب الدكتور «**مور**» كتابين عن علم الأجنة كما درس ترجمة الآيات القرآنية التى تناولت تطور الجنين البشرى وقال: «**إنه وجدها تقدم تصويراً حياً ودقيقاً للغاية جعله يشعر بالدهشة البالغة**»[١] وقد تفحص «مور» بعد ذلك التوراة والانجيل ولكنه لم يجد فيهما ما يمكن مقارنته بما ورد فى القرآن الكريم».

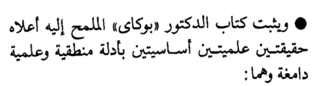
إلى هنا ينتهى نص هذا الخبر الذى أوردته إحدى الصحف الخليجية المعروفة والذى ذكرنى بأمر يجب ان يقال فى هذا المجال رغبة فى اعطاء كل ذى حق حقه. . ونسبة فضل الريادة الى صاحبه: فبالرغم من اقتناعى بأن الدكتور «**كيث مور**» هو أحد المختصين القلائل فى هذا الموضوع. . وأنه لم يقل كلامه هذا إلا بعد دراسات متعمقة وعديدة قام بجزء منها فى جامعة الملك عبد العزيز فى جدة. فإنى اعتقد بأنه لم يكن الباحث الرائد فى هذا المجال حيث سبقه الى ذلك الطبيب الجراح الفرنسى «**موريس بوكاى**» فى كتابه المعروف: «**التوراة والقرآن والعلم**» والذى

نحو علم الحياة المعاصرة



د. احسان هندي
« ابوظبي »

كان لحكومة المملكة العربية السعودية الفضل الاساسى فى ترجمته الى العربية قبل حوالى عشر سنوات . . ومعنى هذا أن الدكتور «بوكاى» قد سبق الدكتور «مور» فى بحث هذا الموضوع بأكثر من خمس سنوات .



● ويثبت كتاب الدكتور «بوكاى» الملمح إليه أعلاه حقيقتين علميتين أساسيتين بأدلة منطقية وعلمية دامغة وهما :

(١) ***إن القرآن هو الكتاب المنزل الوحيد الذى لم يتعرض لأى تحريف .***

(٢) ***إن القرآن هو الكتاب المقدس الوحيد الذى لا يوجد فيه أى تناقض مع الحقائق العلمية المعاصرة .***

ولم يخصص الدكتور بوكاى ـ كما فعل زميله الكندى الدكتور «كيث مور» ـ كتابه لمعطيات «علم الأجنة : الأمبر يولوجيا» فقط وإنما للحقائق العلمية التى يحويها القرآن ككل وأولها قضية «خلق العالم» بحسب رواية القرآن لمراحل هذا الخلق وهو أمر كنا قد تحدثنا عنه فى مقال خاص نشرناه فى إحدى الجرائد العربية المعاصرة(٢) قبل خمس سنوات .



واليوم وبعد قراءتى لما ورد على لسان «مور» وبعد مطالعتى لقرارات مؤتمر الطب الاسلامى الذى عقد فى القاهرة خلال العلم الماضى أجد من واجبى الاشارة الى أن «بوكاى» هو صاحب الفضل الأول فى كشف الحقائق العلمية المذهلة التى توجد فى القرآن الكريم .

وإنى فى الوقت الذى أوكد فيه عدم معرفتى لأى من هذين الطبيبين الرائدين أكرر قناعتى الكاملة بأسبقية الدكتور موريس بوكاى فى هذا المجال والمقال التالى يثبت ذلك كما آمل .

■ يقول الدكتور موريس بوكاى فى الفصل السابع من القسم الثانى من كتابه **«التوراة والقرآن والعلم»** وتحت عنوان **«التناسل البشرى»** : إن أوروبة ظلت حتى نهاية القرون الوسطى تتخبط فى جهل كامل بخصوص حقائق التناسل البشرى . وكان أول من بحث فى علم تشكل الجنين من الأوروبيين بحثا علمياً دقيقاً هو **«هارفى»** الذى أكد على أن كل شيىء يبدأ بتلقيح البويضة الأنثوية ثم يتكامل الجنين بعد ذلك .

● وبالرغم من أن هارفى عاش فى أواسط القرن السابع عشر وبالرغم من تقدم الطب ـ وبخاصة علم التشريح ـ بعد ذلك فقد ظل علماء أوروبيون مرموقون يعتقدون اعتقادات خاطئة فى هذا المجال حتى اختراع المجهر فى أواخر القرن الثامن عشر تقريباً .

فالعالم بيفون BIFFON مثلا كان يعتقد بأن التناسل

يتم عن طريق «**التكاثر الانقسامى**» أى أن البويضة الأولى التى وضعتها أمنا حواء كانت تحوى نوى جميع المخلوقات البشرية التى ولدت حتى الآن والتى ستولد فى المستقبل.

وفى الوقت الذى كان به غالبية علماء أوروبة يعمهون فى مثل هذا الجهل كان القرآن قد عرض قبل ألف عام من ذلك الوقت الحقائق العلمية الخاصة بالتناسل البشرى كما نعرفها اليوم فى كلمات بسيطة جداً ولكن دقيقة جداً فى الوقت نفسه. . وهذه معجزة من معجزات القرآن الكريم لأنه لا يعقل أن يكون مخلوق بشرى قد عرف هذه الحقائق منذ ذلك الوقت بل كان يجب انتظار تقدم علمى الطب والتشريح واكتشاف المجهر لمعرفة هذه الحقائق العلمية فى أوروبة.

■ **ويقول الدكتور بوكاى**: إنه لكن ندرك جيداً دقة المطابقة بين المعلومات التى جاء بها القرآن قبل أربعة عشر قرنا وبين حقائق علم الحياة المعاصر بخصوص التناسل البشرى يستحسن التذكير بمراحل تطور الجنين كما أصبحت معروفة فى هذه الايام والتى يمكن اختصارها بالمراحل الخمس التالية:

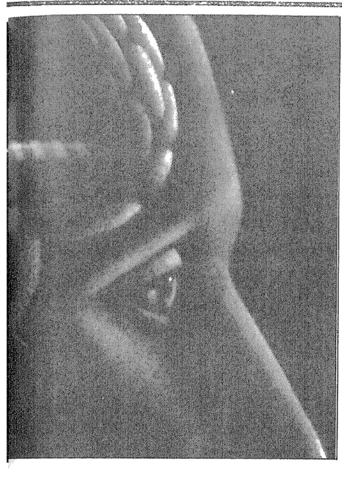
(١) انفصال بويضة أنثوية من المبيض فى فترة الاخصاب أى فى منتصف الدورة الشهرية تقريباً.

(٢) تلقيح هذه البويضة إذا تم التقاؤها بكمية من السائل المذكر (المنى) مهما كانت هذه الكمية بسيطة.

(٣) إن سائل التلقيح المذكر تفرزه الخصيتان ولكن هناك عدة غدد أخرى تشارك فى إفراز مواد تضاف الى هذا السائل بدون أن يكون لها مفعول تلقيحى ثم تخرج جميع هذه السوائل عند القذف من فتحة البول فى الجهاز المذكر.

(٤) بعد تلقيح البويضة الأنثوية بسائل الذكر تبدأ مهمة الجهاز التناسلى الأنثوى بحضن البويضة حيث تصعد البويضة الملقحة الى الرحم وتلتصق بجداره وتظل هناك طيلة فترة الحمل.

(٥) يتطور شكل الجنين شيئاً فشيئاً من مجرد بويضة لا شكل معين لها إلى كتلة من اللحم ثم تتشكل العظام والعضلات والأعصاب. . الخ.

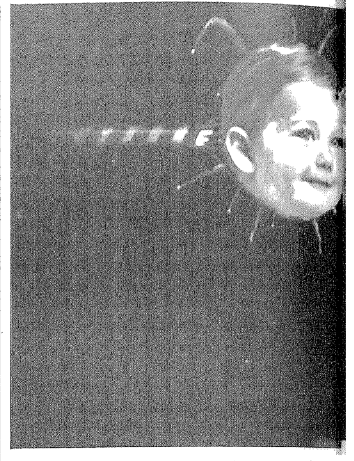


وإذا قرأنا القرآن بإمعان فإننا نجد عدداً كبيراً من الآيات التى تتكلم عن «**التناسل البشرى**» ومما يخلب اللب ان هذه الآيات جميعاً تتطابق بشكل كامل مع ما قلناه عن مراحل التلقيح والحمل كما هى معروفة اليوم فى معطيات علم الأجنة المعاصر والتى عددناها أعلاه.

لنأخذ مثلا الآية الكريمة: ﴿**يخلُقُكُم فى بُطُونِ أمهاتكم خلقاً من بعد خَلْقٍ فى ظُلُماتٍ ثلاثٍ**﴾ (سورة الزمر٦) فهذه الآية تؤكد على أن تَكوُّن الجنين يتم على مراحل عدة ﴿**خلقاً من بعد خلق**﴾. . كما أنها تشير الى بقاء الجنين فى الظلمات طيلة مدة الحمل ولكن لابد لنا من أن نتساءل هنا عن كنه هذه الظلمات؟.

■ يقول الدكتور بوكاى: «**إن الظلمات الثلاث هى الحواجز الثلاثة التى تفصل الجنين عن العالم**





الخارجى: (فالجنين يعيش داخل غشاء المشيمة التى توجد داخل الرحم الذى يوجد بدوره داخل بطن الأنثى الحامل. وعلى هذا فإن الظلمات الثلاث يمكن تفسيرها بأنها ظلمة غشاء المشيمة.. وظلمة الرحم.. ثم ظلمة جدار البطن.

●● ويشير بوكاى إلى أنه يمكن القول إن الآيات القرآنية التى تتحدث عن التناسل البشرى تدور حول خمس حقائق أساسية وهى التالية بالترتيب:

الحقيقة الأولى: هى أن تَكوّن الجنين يتم على مراحل وأن كل مرحلة تقود الجنين نحو التكامل بالنسبة للتى قبلها وذلك حتى استكمال مدة الحضانة فى الرحم والخروج إلى الحياة وهذا يبدو واضحاً فى الآية التالية: ﴿فإنّا خَلَقْنَاكُمْ من تراب ثم من نُطْفَة ثم من عَلَقَةٍ ثم من مُضْغَةٍ مُخَلَّقةٍ وغير مخلقة لِنُبينَ لكم ونقرُّ فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نُخْرِجُكُم طفلا﴾ (الحج - الآية الخامسة).

وهكذا تتدرج عملية الخلق من التراب (أى الخلية أو الذرة الأولى) الى النطفة فالعلقة (الاسبوعان الثالث والرابع من عمر الجنين). فالمضغة (الاسبوعان الخامس والسادس) وكل من هذه التعابير له معنى دقيق ومتميز سنعود إليه بعد قليل.

وهذا التدرج هو سير نحو التكامل: ﴿ثم خلقنا النطفةَ عَلَقة فخلقنا العَلَقة مُضْغَةً فخلقنا المُضْغَةَ عِظاماً فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسنُ الخالقين﴾ (سورة المؤمنون ١٤)

وتستمر العناية الإلهية بالسير بالانسان نحو التكامل حتى بعد عملية الخلق: ﴿الذى خلقك فسواك فعدلك﴾ (سورة الانفطار ٧).

وهنا يؤكد «بوكاى» على دقة التعابير المستخدمة فى القرآن بالرغم من بساطتها فى الوقت نفسه.

(١) فكلمة «النطفة» مثلا ليس لها ترجمة مماثلة فى المعنى باللغة الفرنسية وتستخدم فى العربية أصلا للدلالة على «النقاط من السائل التى تبقى عالقة فى وعاء ما بعد سكب محتوياته» وهذا المعنى ينطبق تماماً على النطفة بالمعنى البيولوجى للكلمة وذلك للدلالة على الكمية البسيطة «قد لا يتجاوز حجمها جزءاً من الميلمتر المكعب» من السائل المذكر التى تتمكن من تلقيح البويضة الأنثوية والاتحاد معها.

(٢) وكذلك كلمة «العلقة» فهى ليست تشبيهاً بالحشرة التى تحمل هذا الاسم حسب رأى بوكاى(٣) وليست مجرد «كتلة من الدم UNE CAILLE DE SANG» كما اعتقد بعض الفقهاء الفرنسيين الأوائل الذين ترجموا القرآن من أمثال (ريجيس بلاشير) وغيره وكل ما هنالك أنه يجب أن نعتبر الكلمة مشتقة من فعل «علق» بمعنى «التصق بقوة» وذلك لأن البويضة الأنثوية بمجرد تلقيحها تستقر فى الرحم وتلتصق بجداره الداخلى بقوة بواسطة استطالات يحملها جدار البويضة نفسه، ولم يكشف العلم عن هذه

الاستطالات إلا فى السنوات الأخيرة.

(٣) وأما كلمة «المضغة» فتدل على الكتلة من اللحم الطرى الذى يبدو كالممضوغ وهذا يطابق تماما الحقائق العلمية لأن لحم الجنين لا يتشكل إلا فى مرحلة لاحقة لتشكل العلقة ويكون فى بداية تشكله طرياً وكأنه قد سبق مضغه.

الحقيقة الثانية: تتعلق بكمية السائل المذكر التى تقوم بعملية التلقيح فالقرآن يذكر فى عدة آيات بقلة هذه الكمية: ﴿ألم يك نطفة من منى يمنى﴾ (سورة القيامة ٣٧)(٤) وهذا ما أثبتته الحقائق العلمية المعاصرة حيث كشف العلم الحديث عن أن نقطة واحدة من السائل المنوى تحوى عشرات الملايين من النطف التى يمكن لكل منها أن يلقح بويضة أنثوية وفى هذا تأكيد على قوة إعجاز الخالق فى خلق الانسان حيث ان هذا المخلوق الجبار لم يكن أكثر من نطفة لا يتجاوز حجمها حجم رأس الدبوس.

الحقيقة الثالثة: تتعلق بصفة سائل التلقيح وهو ذو صفتين:

(١) إنه سائل مهين: ﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ (سورة المرسلات ٢٠) وسبب مهانته هو مكان خروجه حيث انه يخرج من ذات المكان الذى تخرج منه فضلات الانسان السائلة (جهاز البول).. وهذه المهانة غايتها التذكير بقلة أهمية الانسان مقارنة بقدرة الخالق ولذا يجب على الانسان ألا ينسى أن الله خلقه من أدنى الأشياء حجماً وقيمة واعتباراً لعله يتذكر قدرة خالقه عليه ويضعها نصب عينيه دوماً.

(٢) والصفة الثانية أن هذا السائل خليط لأنه مزيج من عدة سوائل أو «أمشاج» كما جاء فى القرآن(٥).

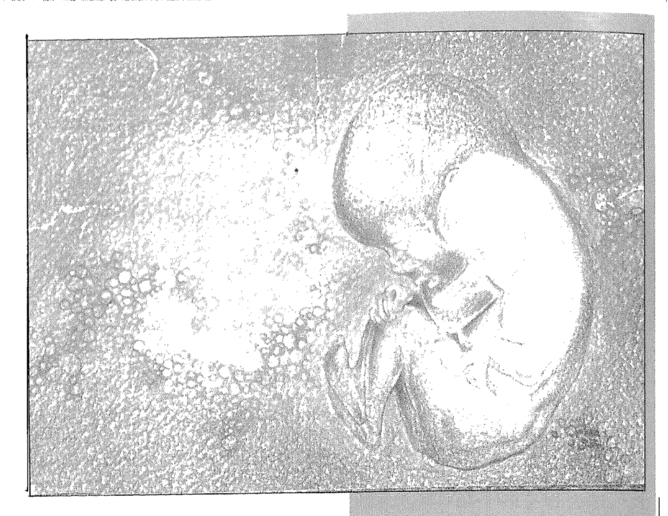
وهنا ينتقد المؤلف (الدكتور بوكاى) أولئك الذين فسروا كلمة الأمشاج القرآنية باختلاط السائل المذكر مع الافرازات الأنثوية(٦) لأن السائل المذكر بحد ذاته هو خليط من عدة سوائل: سائل الخصيتين الذى يحوى نطف التلقيح.. وسائل تفرزه غدة البروستاتة.. وسائل آخر تفرزه ثلاث غدد أخرى تم اكتشافها حديثاً وهى (غدة كوبر) و(غدة ميرى) و(غدة ليترى) وعلى هذا فالقرآن الكريم عندما وصف سائل التلقيح بأنه «أمشاج» لم يتجاوز الواقع لأن السائل المذكر هو خليط من عدة سوائل فعلا بصرف النظر عن امتزاجه - فيما بعد - بالبويضة الأنثوية.

والحقيقة الرابعة: تتعلق بالحماية التى يقدمها الرحم للبويضة بعد تلقيحها وهى حقيقة علمية يؤكد عليها القرآن إذ يشير فى أكثر من آية إلى وضع الجنين فى «قرار مكين»: ﴿ ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾ (المؤمنون ١٣).

وهذا القرار المكين هو الرحم وهى تسمية تنطبق عليه تمام الانطباق لأن الرحم سواء فى موقعه أو شكله الكمثرى أو تركيب نسيجه الداخلى هو أصلح مكان لحماية البويضة الملقحة وحضنها حتى اكتمال تكون الجنين. لذلك فليس من قبيل الصدفة - كما نعتقد - تشابه كلمة «رحم» مع كلمة «رحمة» فى اللغة العربية.. وهو أمر لا يوجد فى اللغات الأخرى.

الحقيقة الخامسة والأخيرة: هى تعيين جنس المولود فإن هذا التعيين الذى يتم فى المرحلة الأخيرة من تكون الجنين (فى الاسبوع الثانى عشر من الحمل) هو إعجاز من الله سبحانه وتعالى الذى يقول: ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ (سورة القيامة ٣٩).

والحقيقة أنه مهما تقدم علم الطب فإن الأطباء لن يتمكنوا فى اى يوم من الأيام من التحكم بجنس المولود وذلك



مايكون لهذا الإنسان أن يطغى ويتجبّر ما تذكر خلقه .. الدقة المتناهية فى وصف القرآن الكريم لمراحل الجنين وخلق الإنسان أوقفت المتخصصين عندها كثيراً ..

لتعلق ذلك بداهة بنظام الكون وبقائه . . إذ لو تمكن البشر من التحكم فى ذلك لجاز أن يفضلوا فى مكان معين أو زمان معين المواليد الذكور على الاناث والعكس . . وهذا يخل بنظام الكون وتوازنه طبعاً .

● ويشيد الدكتور موريس بوكاى فى نهاية هذا الفصل فى كتابه بالثقافة الجنسية المحتشمة التى يقدمها القرآن للمسلمين وذلك بكلمات بسيطة وبغير ابتذال مما يجعله من أهم المراجع العلمية المعاصرة بصرف النظر عن مكانته ككتاب مقدس لم تمتد إليه يد التحريف أبداً .

(١) ورد تحليل لواحد من هذين الكتابين فى مجلة «الفيصل الطبى» السعودية تحت عنوان : «مطابقة علم الأجنة كما فى القرآن والسنة» من ترجمة د . خليل سليمان .

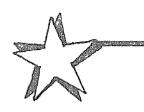
(٢) انظر المقال الذى كنا قد نشرناه تحت عنوان : «القرآن والحقائق العلمية المعاصرة» فى العدد الصادر بتاريخ ٢٠ تموز/ يوليو ١٩٨١ من جريدة «الشرق الأوسط» التى تصدر فى لندن .

(٣) بعكس رأى الدكتور كيث مور الذى يعتقد أن التسمية جاءت دقيقة من حيث ان الجنين فى الأسبوع الثالث من عمره يشبه فى الشكل العلقة المعروفة .

(٤) وهناك حديث شريف يقول فى هذا السياق : «ما من كل الماء يكون الولد» .

(٥) ﴿إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ .

(٦) ممن يرى مثل هذا الرأى الدكتور كيث مور.



طرائف واعاجيب

●● كان ماريـوس باتيستا من سكان احدى المدن الايطـالية يمتطى دراجة هوائية فاعترضه كلب اخذ يلاحقه ويزعجه فتارة يمشى امامه وطورا يجرى وراءه واحيانا يركض بجواره حتى ضجر ماريوس فنزل عن الدراجة وضرب الكلب الذى رد له التحية بعضة من العيار الثقيل فما كان من الرجل وقد آلمته العضة الا ان انقض بدوره على خصمه وتناوله بعضات شديدة وحميت المبارزة حتى كلَّ الكلب ولم يكل الرجل الذى ظل يسرف فى عض خصمه حتى انهكه وارهقه فوقع ارضا ويظهر ان هذا التعب والاهاق أثّرا عليه فظل يلهث حتى لفظ انفاسه ونفق.

وهكذا ولأول مرة ـ ربما يقتل انسان كلبا باسنانه.

وهذا يحقق المثل المعروف القائل:
من ذا يعض الكلب إن عضا.

●● رقم قيـاسى جديـد فى سبـاق تطويل الاظافر يسجله الهندى مورارى موهان اديثيا من كالكوتا.

طول اظافر يد موراري اليسرى يبلغ ١٣٨ر٧٥ سنتيمترا وهو يسبق بذلك هنديا آخر وصل الى رقم ١٣١ر٢٥ سنتيمترا.

اما الاطوال بالتفصيل فهى التالية:

ظفر الابهام: ٢٧ر٥ سنتيمترا.
ظفر السبابة: ٢٥ سنتيمترا.
ظفر الوسطى: ٢٨ر٧٥ سـم.
ظفر البنصر: ٣٠ سـم.
والخنصـر: ٢٧ر٥ سـم.

وجدير بالذكر ان مورارى لم يقلم اظافره منذ عام ١٩٦٢.

السؤال فى هذه الحالة: ماذا يمكن ان يفعل الرجل باصابعه العشر؟.

زواج غير سعيد

بالرغم من ان الحفلة كانت حفلة زفافها الا ان «ايزابيل كوين» وعمرها ١٧ عاما من بلدة بركستون البريطانية لم تكن تبدو سعيدة اذ كانت مطرقة برأسها خجـلا كما كانـت تحجب وجههـا عن عدسـات المصورين ذلك ان عريسها الشاب «جيرالد كيلى» كان يقف بجانبها والاصفاد فى يديه فقد كان محكوما بالسجن المؤبد لمحاولته نسف مقر الشرطة وقد اخرج من السجن مؤقتا لحضور حفلة زفافه.

●● لكثـرة حاجة الاسرائيليين الى الدم لجرحاهم تفتقت عبقرية شرطة السير الاسرائيلية عن اختراع جديد.

لحظات غير عابرة

فبدلا من تغريم مخالفى قانون السير الغرامة المالية المعهودة يجرى استبدال الغرامة بسحب كمية من دم السائق لانجاد المستشفيات بما تفتقر اليه.

لا يستغرب على اليهود فانه ينطبق عليهم المثل العامى الذى يقول:

يأخذ من الحافى نعال ـ فى مضرب المثل ـ بالبخل والشح والمكر والحيلة.

●● استطاع الاطباء فى مستشفى جامعة كاليفورنيا زراعة «ركبة» صناعية فى ساق رجل يعانى من التهاب المفاصل.

وقد اكد الاطباء ان هذه الركبة بامكانها ان تقوم بتأدية كافة الاعمال التى يقوم بها المفصل البشرى ويمكن تغييرها واستبدالها عند الضرورة وهذا امر يتحقق لاول مرة فى تركيب الاطراف الصناعية.

القضاء ذكاء قبلما يكون علماً

من أطرف ما مر بى هذه الكلمة عن احد القضاة أنقلها مذكراً أن القضاء ليس علما فقط ولكنه أيضا ذكاء وحذق واليك الكلمة:

● احد القضاة الاذكياء تقدم اليه رجلان يتنازعان على ملكية (عباءة) يدعى كل منهما انه صاحبها وان الآخر سرقها منه ويقيم الدليل ويسمى شهودا فاشكل الامر على القاضى وفكر فى تأجيل القضية ريثما ينتهى الى حقيقة يرضى عنها او يوفق الى حكم يرضى به. لكن سرعان ما اسعفته بديهته فقال لهما امسكا العباءة من طرفيها كل من طرف ففعلا وتركهما على تلك الحالة لحظات شغل نفسه فيها بتقليب بعض الاوراق الموضوعة امامه.. ثم.. وفجأة صاح اترك يا رجل العباءة. فتركها احدهما بحركة عصبية نمت على انها ليست له.

وهناك ظهر السارق الحقيقى بفضل ذكاء القاضى وحسن استنباطه بعد ان عجز عن اصدار حكم صحيح اذ كانت مواقفهما متكافئة امام القانون والشهود.

إن هذا الذكاء مثل ذكاء إياس القاضى المعروف والذى قال فيه أبو تمام:

اقدام عمرو فى سماحة حاتم
فى حلم أحنف فى ذكاء إياس

من جديدنا لسنة ١٤٠٧هـ

خطرات الادب
بقلم د. عبدالرحمن حسن النفيسه

ومضات نفيسة يصوغها فكر كاتبنا.. وتسطرها حافظتى.. ويفرزها يراعى.. انها خطرات مثلى تجوب "هنا.. وهناك" لتنتهى الى الانسان الذى كرمه الله وحيدا..

خصصت "للمنهل" شهريا وسط المطبوع الجديد

سقيط الندى

٤٦ أسلوب النساء العربيات فى الحرب

مما ذكره صاحب الاغانى: إن المعركة احتدمت يوم تحلاق اللمم بين بكـر وتغلب.. ولم يستطـع البكريون الانتصاف من التغلبيين حتى دخل المعركة الفِنْد الزِّمَّانى بطل بنى بكر المشهور والى جانبيه ابنتاه وهما (شيطـانتان من شياطين الانس).. فلما اشتد أوار المعـركة وتداول الحيان النصر والهزيمة تقدمت احدى ابنتى الفند وخلعت ثيابها ورمتها وسط المعمعة وما لبثت أختها ان اقتدت بها فمشتا بين الصفوف تنشدان:

وَغَى ، وَغَى ، وَغَى ، وَغَى
حَرَّ الحِـرارُ والـتظَـى
ومُـلئـت منـه الـربـى
يا حبـذا المحلَّقون بالضحى

فنزلت الى الميدان: كرمة بنت ضلع فارس بكر وهى تتغنى:

نحــن بنــات طارق
نمــشى على الـنـمارق
مشـى الـقُطـىّ البــارق
المـســك فى المـفـارقْ
والــدر فى المـخـانــق
إن تقــبـلوا نعــانــقْ
او تدبــرو نفــارق
فراق غير وامــق
عِرْس المــولّـى طالــق
والـعــار منـه لاحــق

فتحمس فرسان بنى بكر فقاتلوا مستميتين حتى انتصروا.

● وفى يوم أحـد انشـدت هنـد بنت عتبـة ابيات كرمة وحمست بها مشركى قريش وغنى رفيقاتها:

ويهــاً بنـى عبــد الــدار
ويهــاً حماة الـديــار
ضربــاً بكل بتار ●

والمرأة العربية كانت تنزل الى المعركة متغنية ببطولة قومها وباثة فيهم الحمية القبلية والدينية.. ولكن اذا رأت ذلك لا يدفع من أصابهم الخور أو أذلتهم الهزائم فانها قد تلجأ الى التهكم منهم وصفع وجوههم بما يفيقهم ليندفعوا الى القتال لغسل ما لحق بهم من عار.

وهذى بنت حكيم بن عمرو العبدى (عبد القيس) تقول لقومها:

فان لم تنــالــوا نيـلكم بسيــوفكم
فكــونــوا نســاء فى المــلاء المخلق

■ وهكـذا كانت المرأة شريكاً فى النصر. وكانت أثناء الفتوحات الاسلامية تشارك فى الحروب مشجعة وممونة وممرضة.



٤٧ الجودي لا كودي

نشرت احدى الصحف المحلية: إن عالم الجيولوجيا التركي يلمظ نَشّر بحثا علميا قال فيه: ان سفينة نوح لم ترس على جبل (أرارات) كما هو معتقد ولكن رست على جبل (كودى) بتركيا قرب الحدود العراقية.

ونحن نقول ليلمظ أو لمن نشر عنه ولم يحسن الترجمة:

١ ـ اسم هذا الجبل (الجودى) لا (كودى).

٢ ـ إن المسلمين كلهم يعرفون أن سفينة نوح رست على جبل الجودى ولم يسمعوا بأرارات وذلك من قوله تعالى: ﴿وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجوديِّ وقيل بُعداً للقوم الظالمين﴾.

ومن أصدق من الله قيلا واذا وجد النص بطل الاجتهاد وأى نص؟ إنه نص من انشأ الطوفان وغاضه ألا يكفى يلمظ هذا النص الصريح فيريح نفسه؟.

وأذكر أن قبل أزيد من عشر سنوات نشرت نشرة عراقية آثارية تنص على أن حطام سفينة نوح وجد على قمة جبل الجودى داخل الحدود العراقية.

٤٨ ولّادة وطيب الأندلس

كانت ولادة بنت المستكفى باقة الاندلس وغالبية قصورها.. واحسن زهرة فى بساتينها.. وشاعرة لم يبلغ شهرتها فى الشعر الا صديقها ابن زيدون (فى الاندلس طبعا).

حدث عنها صاحب نفح الطيب فقال: كان مجلسها فى قرطبة منتدى لأحرار المصر وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر. تناضل فيه الشعراء وتساجل الادباء.. وتفوق البرعاء يعشو أهل الأدب الى ضوء غرتها ويتهالك افراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها.

● ومن احسن شعر ولّادة هذه الأبيات:

يقرع السنّ على أن لم يكن
زاد فى تلك الخطى إذ شيعكْ
يا أخا البدر سناء وسناً
حفظ الله زماناً أطلعكْ
ان يطل بعدك ليلى فلكم
بت أشكو قصر الليل معكْ

■ وكانت ولّادة تحب الدعابة فقد قال لها شخص: ما على جلد ستين جلدة معك؟ فردت عليه:

وذى شقوة لما رآنى رأى له
تمنيه ان يصلى معى جاحم الضرب
فقلت له كلها هنيئاً فإنما
خلقت الى لبس المطارف والشرب

٤٩ حلاوة المقال

جادك الغيث إذا الغيث هما
يا زمان الوصل بالاندلس

(●) قلن: بنى عبد الدار، لأنهم كانوا حملة علم قريش

لماذا التاريخ

ليس هذا المقال بحثا فى فلسفة التاريخ أو دراسة لمناهجه وانما هو عرض لمجموعة من الخواطر تعن لى كدارس للتاريخ وخاصة لبعض فترات قديمة من تاريخ البشرية كلما زرت مناطق للآثار أو سايرت ما تنشره الصحف وتذيعه الاذاعات عن مشاكل وخلافات وحروب توشك أن تسلم الانسان الى الهلاك فيدمر ما أقام من حضارات وما شيد من مدنيات وكأنى بالانسان قد نسى تاريخه القديم وما حفل به من أحداث جلبت عليه الكوارث والمحن. . ومع ذلك لا يزال الانسان يبنى ويشيد وهو يعلم أنه غدا لا محالة سيدمر ما بنى وما شيد بالأمس هل عن للانسان وهو يحقق هذا التقدم الهائل أن يتريث قليلا ليخترق حجب الزمن رجوعا الى الماضى ليحيا مع أجيال سلفت وعاشت تصنع ثقافة وتبنى حضارة وتنشىء مدنية؟.

أو ليس من الطبيعى ان دارس التاريخ يقف متأملا وهو يزور مثلا بعض مواقع الآثار التى تزخر بها المملكة وبخاصة فى العلا. . ومدائن صالح. . ومغاير شعيب. . وقرية الفاو. . ويتساءل فيم كانت هذه القرى؟. وماذا كان عليه أهلها؟. أو ليس من الطبيعى أيضا ان يتجمع فى ذهنه كل ما جاء فى القرآن العظيم عن أقوام بادت مثل قوم عاد وثمود وأصحاب الرس وأصحاب الأيكة وأن يتلو من آياته البينات **﴿أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمرُوها أكثر مما عمروُها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** (الآية التاسعة من سورة الروم) و**﴿أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾** (الآية ٨٢ من سورة غافر).

ولا شك كذلك أننا ونحن امام احداث سلفت وأمام أحداث تترى يتملكنا فضول المعرفة ونندفع فى تتبع ماضى الانسان وماضى العالم الذى قدر لهذا الانسان أن يسير فيه وان يصنع أحداثا لا ينتهى أثرها بمجرد انتهائها.

وخير سبيل نسلكه للتعرف الى هذا الماضى هو أن نصحب منذ البداية علماء عصور ما قبل التاريخ وأن ندخل معهم مواطن حضاراته فنتعرف على أدواته

وأسلحته المصنوعة من حجر أو من معدن وأن ننطلق معهم الى كهوف حفر هؤلاء العلماء أرضياتها واستخرجوا بقايا عظام كشفت عن الحيوانات التى استأنسها الانسان وانقرض الكثير منها ونمضى مع هؤلاء العلماء نتطلع الى رسوم الكهوف وصوّر الصخور والتى سجل فيها الانسان دقائق حياته اليومية وهو يطارد الحيوانات ويقتنصها وهو يرقص رقصة المطر وهو يركب العجلات وصور الانسان فى تلك الرسوم أيضا آلهته التى تصورها ضخمة مخيفة وأقرب الامثلة على صور الصخور تلك التى نجدها فى منطقة شاسعة تمتد من جبل العوينات الذى يقع عند التقاء حدود مصر الجنوبية مع ليبيا. . وعبر الصحراء الكبرى حتى المحيط.

القديم

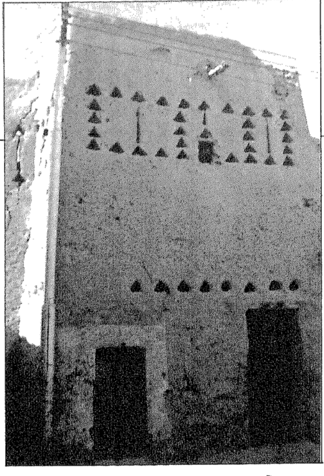
د. مصطفى كمال عبد العليم

قسم الآثار - جامعة الملك سعود بالرياض

ولا يقتصر الأمر على ذلك فإذا بالانسان الاول يهتدى الى النار ويتحول من مرحلة الصيد الى مرحلة الزراعة والاستقرار وينظم العلاقات بين أفراد مجتمعه فى اطار الاسرة ثم القبيلة ثم القرية.

ولابد ونحن نرقب العامل الذى يقف اليوم أمام مسابك المعادن وأفرانها ان نذكر الانسان الأول الذى عرف معدن النحاس ثم عرف كيف نخلطه بالقصدير ليصنع سبيكة من البرونز هى أشد وأقسى من النحاس وليصنع من هذا البرونز اسلحته وآلاته.. ولم يتردد فى ركوب البحر سعيا وراء القصدير فى مراكب صغيرة كانت تجوب البحر المتوسط من شرقه الى غربه.. واخترق كذلك سهول أوربا متتبعا أنهارها بحثا عن هذا المعدن وغيره. ولا يلبث معدن الحديد وفيه بأس شديد ومنافع للناس أن أخذ مكانه الى جانب النحاس والبرونز فصنع منه الانسان اسلحة كانت أكثر مضاء وأشد فتكا وزودته بالقدرة على البطش والتخريب شأنها فى ذلك شأن كل سلاح جديد مدمر اذا تملكه شعب قهر به شعوبا أخرى وبطش بها.

وكان من الطبيعى مع كل هذا التقدم الكبير فى مجالات الانتاج والتصنيع أن بدأت التجارة كظاهرة



حضارية هامة تربط بين المجتمعات وكانت فى صورتها الأولى تبادلا للمنتجات الزراعية الصناعية عن طريق المقايضة الا أن مجتمعا ما طمع فى خيرات مجتمع آخر فأراد ان يحصل عليها قوة واقتدارا ومن هنا عرف الانسان الحرب كوسيلة يفرض بها ارادة مجتمعه واستقلال المجتمعات الأخرى.

غير أن التجارة حققت للانسان كسبا حضاريا عندما تعرف على مواطن بعيدة عن موطنه وكشفت له عن اقوام كان يجهلها فحرص على أن ينظم علاقته معها بصورة أو بأخرى وأن يمهد طرق الوصول اليها وأن يكفل لهذه الطرق حماية كافية صونا لتجارته وحرصا على مكاسبه.

ونترك علماء عصر ما قبل التاريخ لنعايش علماء آخرين تخصصوا فى دراسة آثار شعوب شتى تجاوزت ذلك العصر عندما عرفت الكفاية فصنعت المدنية وأرست

قواعدها فى الألف الثالث ق. م فى وادى النيل وفى وادى دجله والفرات بأرض العراق ذلك لأن هذه الشعوب صاحبة المدنيات النهرية التى عرفت الكتابة وقامت بها حكومات منظمة تظلها سيطرة ملوك أقوياء سجلوا أعمالهم وتشريعاتهم فى نقوش حفروها على واجهات المعابد وحوائط المقابر واللوحات التذكارية وينبغى ألا نسقط من اعتبارنا مدنيات مماثلة نشأت فى وديان الانهار فى الهند والصين وآسيا الصغرى وايران وفى مناطق من الجزيرة العربية التى كانت تتوفر فيه موارد المياه.

ومن الشرق القديم وصلت هجرات تحمل حضارتها الى بحر إيجة وبلاد اليونان وبفضل هذه الهجرات تكونت حضارة الاغريق وتميزت تلك الحضارة بأنها حضارة الدويلة المستقلة التى رفضت ان تتحد مع غيرها من المدن الاغريقية لتقيم دولة متحدة تنتظم كل بلاد اليونان. ومن الغريب أن فترة القرنين الخامس والرابع ق.م. التى كانت أزهى فترات الحضارة اليونانية كانت أيضا فترة صراع رهيب بين مدن بلاد اليونان وعندما نجحت مقدونيا بزعامة ملكها فيليب ثم ابنه الاسكندر الاكبر فى فرض الوحدة على المدن أو الدويلات اليونانية كان ذلك نقلة هائلة فى حياة اليونان اذ ان الاسكندر دفع باليونان فى فترة قصيرة من عام ٣٣٢ الى ٣٢٣ ق.م الى قلب الامبراطورية الفارسية فى داخل آسيا وسيطر على كل الشرق القديم وبدأ بوفاة الاسكندر فى عام ٣٢٣ ق.م عصر جديد اصطلح المؤرخون على تسميته بالعصر الهلينستى ذلك أن حضارة الاغريق امتزجت بحضارات الشرق القديم.. ولكن فى ظل العصر الجديد فقدت الدويلة اليونانية حريتها السياسية ولم تعد الحضارة الاغريقية حضارة الأمس الخلاقة المبدعة والتى خلفت هذا التراث الهائل الذى لا يزال المحدثون ينهلون منه فى مجالات الفلسفة والشعر وأدب المسرح وغير ذلك لأن المواطن لم يعد مرتبطا بمدينته المحدودة بل صار فرداً فى مملكة من الممالك الهلينستيه.

تحول الإنسان الأول من مرحلة الصيد الى مرحلة الزراعة والاستقرار وتنظيم العلاقات بين أفراد مجتمعه فى إطار الأسرة ثم القبيلة ثم القرية

●● بل ان الانسان كحيوان سياسى - على حد تعبير أرسطو - وباعتباره جزءا لا يتجزأ من المدنية انتهى مع الاسكندر تلميذ ذلك الفيلسوف وبدأ يمارس حياة جديدة وكله احساس بفرديته منفصلا عن المدينة.. وكان عليه طبقا لفلسفة العصر السياسية أن يغير منهج حياته وأن ينظم علاقاته مع غيره من الافراد الذين كونوا العالم المأهول.. ومن ثم ظهرت فلسفات السلوك وأفكار جديدة عن الأخوة الانسانية وذلك حتى يستطيع معايشة الآخرين وقد تأصلت هذه المعانى فى تضرع الاسكندر لآلهته ان تتحقق وحدة القلوب (هومونيا) بين الأمم والشعوب وأن تقوم دولة تنتظم الاغريق والفرس معا.

●● واستطاعت حضارة اليونان الممتزجة بحضارة الشرق ان تغزو روما التى قهرت بلادهم وتحولت الحضارة فى صورتها الجديدة الى ما نعرفه باسم الحضارة اليونانية الرومانية وقامت روما الامبراطورية بنقل هذه الحضارة الى غرب اوربا وشمال افريقيا. وقامت بنفس المهمة الدولة البيزنطية فى آسيا الصغرى وفى بعض مناطق الشرق الأدنى.

وفى آسيا كانت دولة الفرس الساسانيين تحاول بعث دولة الفرس الآخيمينين القديمة والتى كان الاسكندر قد قضى عليها. وتحدت دولة الفرس الدولة البيزنطية حضاريا وعسكريا وكان بينهما ذلك الصراع الدامى الطويل الذى حسمه الاسلام عندما قهر كلا من الدولتين لتشغل الدولة الاسلامية الفتية الفراغ الذى نشأ بزوالهما.

●● وقد ورثت الحضارة اليونانية الرومانية مراكز جديدة ظهرت فى الغرب نتيجة لغزوات القبائل الجرمانية لولايات الامبراطور الرومانية كما ظهرت مراكز أخرى فى الشرق فى الدول السلافية فى البلقان وفى روسيا. . وقد مكنت هذه المراكز الحضارية الجديدة شعوب أوربا من أن تبدأ مدنيتها فى صورة جديدة كانت فى الواقع استمرارا للحضارة اليونانية الرومانية والتى كانت المسيحية فى حربها ضد الوثنية قد أوقفت سيرها الا أن أوربا الحديثة ما كان فى استطاعتها الا أن تقيم حضارتها ونهضتها على أسس الحضارة اليونانية الرومانية بعد أن وقفت على تراثها الحضارى الضخم الذى حفظه العرب المسلمون مترجما الى لغتهم العربية بعد أن شرحوه وأعملوا فيه النقد وأضافوا إليه من عندهم الشيىء الكثير.

هذه هى أهم المراحل التى مرت بها البشرية عبر عصور التاريخ القديم التى احتوت تجاربه وخبراته فى أكثر من مجال.

وقبل أن نجيب على السؤال الذى جاء على رأس هذا المقال «لماذا التاريخ القديم؟» يحسن بنا ان نشير الى قضية تقسيمالتاريخ الى عصوره القديمة. . والوسطى. . والحديثة. . والمعاصرة. فنقول ان هذه تقسيمات اصطلح عليها مؤرخو الغرب لتيسير الدراسة فى عصرنا الذى عرف التخصص العلمى ذلك لأن التاريخ ينساب مثل ماء النهر ولا يتوقف جريانه من منبعه الى مجراه حتى ينتهى الى مصبه.

وعلى أى حال فإنه إذا كان تقسيم التاريخ على هذا النحو جاء مناسبا للتاريخ الأوربى كما يرى ذلك مؤرخوه فلا نعتقد أنه يتناسب مع التاريخ الاسلامى مثلا ولا يتفق مع تاريخ بلد مثل مصر التى يستمر تاريخها القديم حتى الفتح الاسلامى لها فى القرن السابع للميلاد فى حين أن التاريخ القديم لأوربا يتوقف عند القرن الرابع.

ونعود إلى سؤالنا: لماذا التاريخ القديم؟. قد تكون الاجابة سهلة اذا اقترنت بأهمية دراسته وجدواها.

تأتى فى مقدمة النقاط الأساسية ان الفترة الزمنية التى يشملها التاريخ القديم تمتد من عام ٣٥٠٠ ق.م تقريبا وحتى حوالى القرن الرابع للميلاد اذا استبعدنا فترة عصور ما قبل التاريخ وهى طويلة مغرقة فى القدم وبذلك تفوق العصور القديمة فى طولها الفترة التى يستغرقها تاريخ البشرية فى العصور الوسطى والحديثة.

●● ولا يمكن القول كذلك باختفاء كل مقومات الحضارة القديمة تماما لأن بعض هذه المقومات لا تزال حية باعتبارها الدعامات الأساسية للحضارة الحديثة وما كان لهذه الحضارة أن تبدأ من فراغ أو من نقطة البداية ولا يعقل أن يقطع الانسان الوشائج والصلات التى تربط حاضره بماضيه ويبدأ مسيرته العلمية وصراعه الفكرى من حيث بدأ الانسان الأول عندما كان يحبو فى مدارج المدنية يرقب ظواهر الطبيعة من حوله ويختزن ملاحظاته ويطوع ما جهل سره لخبرته وتجربته حتى رقى فوضع القوانين وصاغ النظريات فكان العلم الحديث الذى بنى على ما حققته أجيال فنيت ولكنها خلفت تراثا ضخما ولا شك انه تبهرنا التصورات العلمية للمصريين القدماء أو البابليين وما أفاده علماء مكتبة الاسكندرية فى العصر الهلينستى بقرونه الثلاثة السابقة على الميلاد من منهج أرسطو فى البحث العلمى والذى كان يتجه الى فصل العلم عن الفلسفة وما قدمه هؤلاء العلماء بما حفظوه عمن سبقوهم فى شتى المجالات فى علوم الحيوان والنبات والفلك

والهندسة والرياضيات وفى الجغرافيا والكشف الجغرافى والتاريخ والآداب والفنون.

●● ويكفى أن نبرز ما بذله علماء الاسكندرية وذلك فيما يخص تاريخنا العربى القديم. فكانت هناك الجهود التى بذلت لاستكشاف سواحل البحر الأحمر من جانبيه العربى والافريقى ولابد وأن نذكر تلك الكتب والمذكرات والملاحظات التى أودعوها مكتبة الاسكندرية فكانت عونا ومرجعا لشؤون الملاحة والتجارة حتى نجح ملاحو الاسكندرية فى نهاية القرن الثانى ق.م. من الاهتداء الى معرفة حركة الرياح الموسمية فشقوا طريقهم الى الهند فكان ذلك النشاط الهائل فى التجارة العالمية فى ذلك الزمن. وأفدنا نحن المشتغلين بتاريخ الجزيرة العربية من مؤلفات علماء الاسكندرية من جغرافيين ومؤرخين بهذا الفيض الغزير من المعلومات عن احوالها واحوال شعوبها وطبعا علينا أن نذكر بالخير اجدادنا العرب الذين حفظوا للعالم فى نهضته الحديثة من تراث العلماء فى شتى فروع العلم والأدب والفلسفة سواء أكانوا من الغرب أو من الشرق وقد توفروا على دراسته ونقلوا الى لغتهم ما يرونه صالحا منه. ولولا علماء المسلمين لفنى هذا التراث وضاع. وبما أضافوا الى هذا التراث بعد نقده وتمحيصه كانت النهضة الأدبية الحديثة. وغاية ما أريد قوله أن علماء العصر الحديث وفلاسفته وأدباءه وفنانيه بالرغم مما أضافوه فى كافة مجالات تخصصهم فإنهم لا يستطيعون انكار فضل القدامى لأنهم لم يبدأوا من فراغ فجاء عملهم وصلا لما انقطع.

واذا تركنا هذا الجانب المادى من حضارات الاقدمين جانبا لنتعرف الى الجانب الروحى منها لوجدنا الانسان فى فهم العالم من حوله والقوة الهائلة التى تملك حركته.. واذا كنا اليوم نعيش عصور الايمان مطمئنين الى ما هدانا اليه رب واحد خالق عظيم نعبده ولا نشرك به شيئا فإنه ينبغى الا ننسى ما عاناه الانسان القديم وهو يبحث عن الدين الحق فكانت تلك الأساطير والترهات التى وزعت قوى الكون بين آلهة كثيرة متعددة.. حقيقة ان بعض الشعوب القديمة أوشكت ان تقترب من فكرة جعل احد الآلهة الها اكبر وصوروه مصدراً لكل الوجود ولكنهم جعلوا الى جانبه آلهة أخرى..

وليس بحقيقى ما يتردد أن اخناتون فرعون مصر فى القرن الرابع عشر ق.م اهتدى الى فكرة التوحيد عندما جعل من ربه آتون الها واحدا فريدا ذلك انه فى ختام صلواته لهذا الرب الذى خلقه لاسباب سياسية أساساً خاطب ربه هذا بقوله أن خلق الآلهة الأخرى على شاكلته. ومع ذلك كان من الممكن ان يهتدى المصريون الى فكرة التوحيد وهم الذين آمنوا بالحياة فى العالم الآخر وحيث الثواب والعقاب بعد حساب دقيق للمتوفى لو كانوا قد تخلوا عن فكرة وجود آلهة متعددة الى جانب إله اكبر. وحتى هذا الإله الاكبر كان يتغير تبعا لتزايد قوة كهنة هذا الإله أو ذاك وطبيعى انه من العبث التحدث عن وجود منطق مقبول فيما يتصل بمسائل الدين والعقائد والعبادات عند الشعوب القديمة. وقد سجل القرآن الكريم ما تحمله أنبياء الله ورسله فى تبليغ رسالته حتى تقبل تلك الشعوب على الايمان بالله ربا واحدا لجميع البشر.



وعجيب كان أمر وثنية العالم القديم وخاصة بعد أن ساده الاسكندر الاكبر فى القرن الرابع ق.م. وعلى نحو ما اختلطت شعوب الشرق والغرب اختلطت أيضا آلهتها وخاصة اذا اقتربت فى خصائصها فرب اله مصرى صار له اسم اغريقى أو سورى.. واصبح لبعض آلهة الاغريق اصول شرقية.. وهكذا تقبل الناس وجود آلهة متعددة الخصائص والجنسيات ولا يسأل أحد عن المعبد الذى يدخله أو عن الاله الذى يتعبد له. وحتى اليهود لم يفطن الكثيرون الى الوحدانية كعنصر أساسى قامت عليه هذه الديانة.. ومن تأمل أمرها ظن أحبارها فلاسفة لا أكثر ولا أقل ولما ظهرت المسيحية لتصلح ما اعوج من أمر اليهود تشبث بها المستضعفون من البشر أمام طاغوت الامبراطورية الرومانية التى أصبحت سيدة العالم وظنوها الامل الذى ينشدونه.. وكانت مهمة الديانة الجديدة صعبة غير هينة لانه كان عليها أن تقاوم ليس فقط وثنية هذا العالم القديم بل وأيضا عبادة الامبراطور الرومانى الذى ما كان ليسمح بان يقبل رعاياه على عبادة إله آخر.. وكلنا نعرف ما تعرضت له المسيحية ومعتنقوها وقصة صبر هؤلاء حتى أظهر الله دينه واعترف به الاباطرة. ومع بداية القرن الرابع للميلاد كان العالم القديم يجتاز فترة جديدة فى تاريخه مستظلا بالمسيحية.

واذا كان عالم اليوم يدعو الى تحقيق نوع من العالمية تتعامل فى اطارها كافة الشعوب على قدم المساواة وتسود فكرة العدالة المطلقة وتزول أسباب التسلط والتحكم فى مصائر الشعوب والدول فان العالم القديم شهد بلا شك تجربتين على الاقل وأولاهما كانت فى العصر الهلينستى الذى بدأ بوفاة الاسكندر بعد أن كون امبراطوريته شملت ذلك العالم باسره تقريبا.. ونسب الى الاسكندر الكثير عن أمله فى ايجاد وحدة عالمية شاملة تتلاشى أمامها فوارق الجنس والدين واللغة والحضارة.. وسواء أقبلنا هذا الزعم أم رفضناه فالذى حدث ان امبراطوريته تفككت بعد وفاته الى ممالك ثلاث اخفقت فى وضع أفكار الاسكندر موضع التنفيذ واستمرت التفرقة بين الشعوب وزادت معاناتها فقد كانت مملكة البطالمة فى مصر ومملكة السلوقيين فى آسيا وسوريا تمثلان تفوق العنصر الاغريقى المتعصب لثقافته وحضارته. اما التجربة الثانية فقد مارستها روما بامبراطوريتها الشاسعة التى ورثت الممالك الهلينستية وحقيقة ان روما اعطت ذلك العالم القديم وحدة فى القانون والفن.. وزعمت أنها تحقق لشعوب الامبراطورية أشياء أعظم من المصالح القومية والمحلية.. وأنها تسعى لان تجعل الامبراطورية شركة بين البشر.. ولكن هذه الشعارات تهاوت أمام واقع الحكم الرومانى لان الامبراطور الرومانى أراد أن تكون امكانيات تلك الشعوب البشرية والاقتصادية دعما لقوة روما وضمانه لاستمرار سيطرتها على العالم.

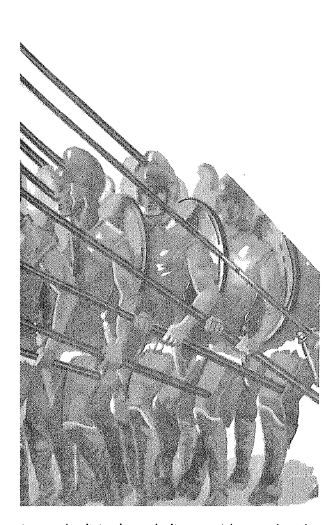
●● ولا تزال المجتمعات الحديثة تواجه مشاكل الصراع السياسى والاجتماعى والاقتصادى. وتتفتق أذهان مفكريها عن نظريات معينة.. وتحاول بعض الاحزاب أو الحكومات تطبيقها خروجا بتلك المجتمعات من دوامة الصراع واسبابه.. وهذه المشاكل كانت بعينها هى نفس مشاكل المجتمعات القديمة الى حد كبير.. فما يتردد اليوم من استخدام مصطلحات امتلأ بها قاموس المصطلحات الدستورية من الارستقراطية والديموقراطية.. والديماجوجية والدكتاتورية.. وما يتردد من حديث عن نظم اشتراكية أو شيوعية أو رأسمالية.. أو عن حكومات فدرالية.. فان كل هذه المصطلحات وهذه النظم انما ولدت فى المدن الاغريقية نتيجة للصراع بين طبقات سكانها ولا شك ان رواد الفكر السياسى المعاصر وفلاسفته تأثروا بشكل أو بآخر بتجربة المجتمعات الاغريقية وكذلك بنظم الحكم عند الرومان واذا كان فلاسفة الفكر السياسى فى العالم القديم قد نادوا بفكرة المدنية الفاضلة فلا شك انه يراود فلاسفة عصرنا نفس الامل الذى ينشدونه حقيقة واقعة.



وكثير من مشاكل عالمنا الحاضر انما تضرب بجذورها فى عمق الماضى.. وفيما يخص وطننا العربى محنة فلسطين وعدوان اليهود

المؤيدين بالامبريالية العالمية . . وزعم اليهود انهم يسترجعون وطنهم القومى . . ولووا الحقائق التاريخية وزيفوها ولكن التاريخ القديم يقول بان قبائل عبرانية تسللت الى ارض كنعان فى فلسطين ثم استولوا عليها قهرا وغزوا فى الألف الثانية ق . م . وتوسع اليهود فى غير الارض التى زعموها حقا لهم واغتصبوها من الدول العربية انما هو بعث لما فعله اليهودالمكابيون عندما انشأوا فى يهوذا (حول القدس) دولة مستقلة فى القرن الثانى ق . م . وبطشوا بالشعوب المجاورة وصادروا ممتلكاتها واستولوا على اموالهم . . ولكن الرومان عندما غزوا سوريا فى عام ٦٤ ق . م . اجبروا اليهود على العودة الى مملكتهم المحدودة حول القدس . وما يفعله اليهود اليوم من ربط انفسهم بأعتى القوى العالمية فعلوه بالامس فاستغلوا ولاءهم للفرس وملكهم قورش فحررهم من الأسر البابلى الذى حدث عام ٥٩٧ ق . م . وكانت مصر قد فتحت لهم أبوابها فى فترة هذا السبى فخانوا شعبها بولائهم للفرس فعصف بهم المصريون . . ولما ظهر الاسكندر كقوة كبرى فى الشرق القديم سارعوا بتحويل الولاء له وضد الفرس وكذلك فعلوا مع خلفائه الذين حكموا سوريا والذين حكموا مصر . . ولما أفل نجم هؤلاء وظهرت قوة روما فى القرن الأول ق . م لم يترددوا بالحاق انفسهم بالرومان وخانوا مصر مرة اخرى وساعدوا على غزو الرومان لها فى عام ٣٠ ق . م . . وتمادوا فى غيهم واعانوا الرومان على حكم مصر وقهر شعبها . . وهبت عليهم عاصفة الغضب فكان الصدام الدموى بينهم وبين المصريين والاغريق الذى بدأ فى عام ٣٨م . . وشاءت لهم غطرستهم ان يتحدوا روما التى بادرت الى الغاء دولتهم فى عام ٧٠م .

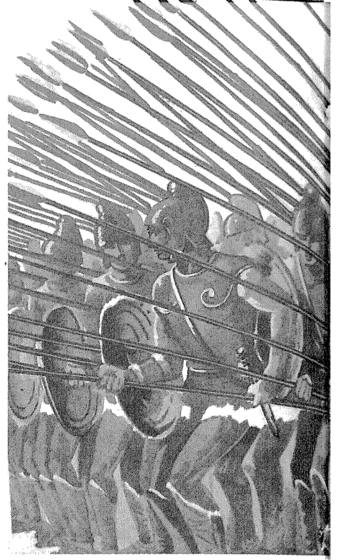
● وعندما ثار اليهود ثورتهم المشهورة فى عام ١١٥م والتى عمت وفى وقت واحد مصر وقبرص وبرقة ضربتهم روما الضربة القاضية وعندما ثاروا ضدها فى فلسطين عام ١٣٢م دمر الامبراطور هادريان هيكلهم وأقام محله مستعمرة رومانية واذا ناقشنا ما زعمه اليهود أنهم يواجهون العداء ضد السامية فاننا نجد انهم هم الذين تسببوا فيه بما



جبلوا عليه من طباع وخصال لم يستطيعوا التخلص منها حتى فى عصرنا هذا . . ولم ينشأ هذا العداء عن خلاف مع اليهود بسبب دينهم بقدر ما نشأ عن تلك الطباع والخصال ـ ومن الأصح ان نسمى هذا العداء بالعداء ضد اليهود .

وهناك أيضا مشكلة الصراع بين ايران والعراق فإن جذوره تمتد أيضا الى التاريخ القديم نتيجة لعوامل طبيعية وجيوبوليتيكية . ويكفى أن نشير الى علاقات ايران فى عهد ملكها قورش مع بابل واجتياحه لها وللعراق فى القرن السادس ق . م .

واضح اذن من كل ما تقدم أن التاريخ القديم يضع امام المعاصرين تجربته فى كافة المجالات والاحداث التى ضمنها سجله . . ويريد أن يدلل بتراثه وآثاره على ان العالم القديم عاش التجربة الانسانية فى كافة صورها



الثقافية والحضارية والاجتماعية والسياسية.

●● ولا أود ان يفهم من حديثى انى متحمس للتاريخ القديم. ذلك ان فترات من هذا التاريخ لم تكن كلها مشرقة.. فكم ارتكب من مذابح ومظالم.. وكم شن من حروب ظالمة.. وكم قاومت الرجعية الفكر المتحرر.. وكم عانت البشرية من طغيان قياصرة وبطش أكاسرة وجنون اباطرة.

واذا كان بعض ما أراد العالم القديم تحقيقه يستهوى البعض منا اليوم ونحن فى مجال الحديث عن أمل الانسان المعاصر فى الخلاص من أزمات الحروب فانه ينبغى علينا أن نتريث.. فاذا نادى البعض مثلا بالعالمية والوحدة بين البشر ويحلو لهم تذكيرنا بالوحدة والعالمية اللذين أرادهما الاسكندر فيجب ان نذكر انه اراد اقامتها على اساس ظالم فقد قهر حرية المدنية الاغريقية وقهر الفرس معا.. وعلينا أيضا ان نتحفظ عندما نقرأ لفلاسفة الرومان ولكبيرهم الفيلسوف زينون الذى كان يحلم بعالم تتلاشى فيه المدن ويحل محلها مدينة واحدة فاضلة يحكمها قانون يقدسه الجميع وحيث يكون الحب والاخاء اساس الرابطة التى تربط بين مواطنيها ولكن أى حب وأى اخاء يمكن ان يقوما فى ظل القهر والسيطرة.

واذا أراد البعض ان يلمح الى العالمية التى أوجدها الرومان فانها كانت أيضا عالمية قامت على القهر والبطش بل ان روما ابتكرت فكرة السلام الرومانى ولكن ليس بالمعنى الذى افهمه من كلمة سلام فهو سلام روما وأمنها أولا.. ولن يتحقق ذلك الا باخضاع كافة القوى الأخرى لسيادتها بقهرها واذلالها.. وتتمادى روما فى جبروتها وسخريتها عندما تطلب من الجميع الصلاة من أجل أمن روما وسلامة الامبراطور واقامة المعابد لعبادتها.

فاذا كانت العالمية فى عرف الرومان أو غيرهم تعنى السلام فالسؤال هو سلام مَنْ؟. وتكمن المشكلة فى الواقع فيمن يكون مصدر السلطة والسلطان.

●● ان أوربا العصور الوسطى عندما ورثت فكرة العالمية تصارع بابا روما مع امبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة من أجل السيطرة على تلك الامبراطورية حتى انهارت هذه الفكرة بظهور القوميات فى أوربا. فاذا أردنا اليوم أن نقيم العالمية فما هو مكان القوميات منها؟ هل هى تلك العالمية التى تحاول اقامتها استناداً الى مواثيق الأمم المتحدة وما أكثرها. هل أدرك واضعو تلك المواثيق وهم يعطون حق الاعتراض للدول الكبرى دائمة العضوية فى مجلس الأمن انما يضعون فى يدها السيطرة على مصير العالم المعاصر وغابت عن أذهانهم تجربة عصبة الامم؟ أرجو الا اكون قد ذهبت بعيدا فى هذا التصور فلا يزال العالم مشدودا الى افكار لم تفلح ثقافته وحضارته ومدنيته حتى الآن فى تخليصه منها حتى يستطيع التطلع الى عالم يسوده سلام حقيقى.

وبعد فان الانسان وهو على وشك أن ينهى القرن العشرين . . وفى ضوء ما حققه مؤخرا من ابتكارات مذهلة ليكاد عقله يطير شعاعا فيما عساه ان يوفق إليه من ابتكارات أخرى تفوق ما سبق له انجازه منها فى القدرة على التخريب والتدبير وذلك فى سنوات قليلة بقيت من هذا القرن والسنوات الأولى التى ستتبعها فى أول القرن القادم .

وينبغى للانسان الا ينسى وهو مشغول بأمر حاضره وتدبير أمر مستقبله أنه ليس وحده صاحب الفضل فيما حقق من انجازات حضارية ضخمة فهو لا يعدو ان يكون سليلا لأجيال سلفت مهدت له الارض ليسلك سبلها ذللًا وأورثته تجربتها لعله يوفق الى بناء حياة أفضل وسلمته حصيلة حضارات تزامنت وتتابعت واحتكت ببعضها وأخذت وأعطت وتصارعت فيما بينها .

ان ما يحدث اليوم هو أيضا صراع حضارى قد يكون مختفيا وراء الصراع بين القوى الكبرى للتحكم فى مصير هذا العالم . ولن تنجو البشرية من أثر ذلك كله .

وكأنى بالانسان القديم يهمس الى مفكرى هذا العصر وزعمائه وحكامه ان يعيدوا النظر فى تجربة العالم القديم بكل ماله وما عليها . . والا يتجاهلوها وهم يحلمون بمستقبل سعيد لشعوبهم والبشرية جمعاء فلا يسقطوا من اعتبارهم حركة التاريخ وأخطاء الماضى فيقيموا العدل بين الشعوب بأن ينبذوا لعبة القوة التى لن تجلب لهم ولشعوبهم وللبشرية كلها الا الهلاك والفناء . . وعليهم أن يوقنوا أنه اذا كانت أمة ما قد نجحت فى تحقيق أهدافها الظالمة باستعمال القوة واستمرأت ممارستها مرات أخرى فعليها ان تتذكر أن ليس هناك من قوة استطاعت أن تستمر أو أن تدوم .

ونتساءل أخيرا هل هناك ثمة أمل فى أن يغير الانسان الحديث من صورته؟ . . وهل سيكون هناك جديد تحت الشمس اذا تأمل هذا الانسان ماضيه التأمل الواعى؟ . وهل من حقنا بعد كل ذلك أن نتساءل لماذا التاريخ القديم؟ . .

أزمة حض

هل هناك ما يبرر هذا التساؤل فى حياتنا المعاصرة وهو التساؤل عن طبيعة الأزمة التى يعيشها الانسان المعاصر عامة ويعيشها الانسان المسلم خاصة . . هل هى أزمة حضارة أم هى أزمة عقيدة؟؟

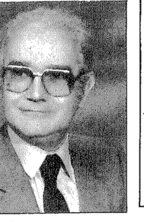
أما ان هناك أزمة يعيشها عالمنا المعاصر فلا نظن أننا بحاجة الى تقديم صورة عنها إلا أن توحيد المنظور الى هذه الأزمة أمر ليس بالهين لأن كل واحد من المعنيين بشؤون السياسة أو بشؤون الاجتماع أو بشؤون الحضارة والفكر ينظر الى هذه الأزمة من منظوره الخاص ويحللها بمنهجه الخاص، ومن العبث أن نتحدث عن أزمة عالمنا دون أن نحدد صورة هذه الأزمة . لذلك يعتبر توحيد المنظور اليها مطلباً منهجيا أساسيا لأنه سيجنبنا على الأقل الانزياح والتداعيات التلقائية التى تنقلنا من خلفيات إلى خلفيات . . ومن أسباب الى اخرى . . دون ان نتمكن من الخروج بنتيجة واضحة .

علينا اذن ان نحدد أزمة عالمنا من منظور أعمق من الاخذ بظواهر الاشياء . وفى هذا السياق نقدم احدى شهادات رجال الفكر المعاصرين الذين يعيشون فى قلب هذه الحضارة ويحيون دوافعها واهدافها ومنجزاتها فى نفس الوقت .

يقول احد المفكرين الألمان

«إن حضارتنا تمر بأزمة شديدة وكثير من الناس يظنون ان سبب هذه الازمة هو الحرب ولكن هذا خطأ . . فان كل ما يتصل بها ليس الا ظاهرة كشفت عن حال عدم التحضر التى نحن عليها . . وحتى الدول التى لم تشترك فى الحرب ولم يكن للحرب فيها

رة أم أزمة عقيدة ؟؟

د. محمد الكتانى
"المغرب"

أثر مباشر اهتزت فيها دعائم الحضارة وإن لم يظهر ذلك بنفس الوضوح الذى بدا عليه في الدول التى عانت من نتائجها الروحية والمادية . . . » .

فلندع جانباً النظريات البارعة والاستعراضات الشائقة لتاريخ الحضارة ولنهتم - بطريقة عملية - بمشكلة حضارتنا وما تواجهه من اخطار.

ولنتساءل: ما هى طبيعة هذا الانحلال فى حضارتنا؟ ولماذا حدث؟ .

ولنبدأ فنقرر أن ثمة حقيقة اولية واضحة للعيان . . والخاصية المروعة فى حضارتنا هى أن تقدمها المادى أكبر بكثير جداً من تقدمها الروحى .

لقد اختل توازنها فالاكتشافات التى جعلت قوى الطبيعة تحت تصرفنا على نحو لم يسبق له مثيل قد احدثت ثورة فى العلاقات بين الافراد وبين الجماعات وكذلك بين الدول . . وأثرت معارفنا وازدادت قوتنا الى حد لم يكن فى وسع أحد أن يتخيله . . وبهذا أصبحت أحوال الناس المعيشية أفضل من عدة نواح لكن حماستنا للتقدم فى المعرفة وأسباب القوة التى بلغناها جعلتنا نتصور الحضارة تصورا ناقصا معيباً فاننا نغالى فى تقدير إنجازاتها المادية ولا نقدر اهمية العنصر الروحى فى الحياة حق قدره ولكن الحقائق بدأت تدعونا الى التفكير: إنها تقول بلسان حاد

«إن الحضارة التى لا تنمو فيها الا النواحى المادية دون أن يواكب ذلك نمو متكافىء فى ميدان الروح هى اشبه ما يكون بسفينة اختلت قيادتها ومضت بسرعة متزايدة نحو الكارثة التى ستقضى عليها» .

إننا اصبحنا جميعا - على درجات متفاوتة - غير أحرار فى ظروف الحياة الحديثة . ففى كل مرتبة من مراتب الحياة علينا ان نقوم بكفاح اشد قسوة فى سبيل الحياة يزداد شدة من عقد إلى عقد بل من عام الى عام .

لقد اصبح حظنا فى الحياة هو العمل الشاق الطبيعى والعقلى على السواء. ولم يعد لدينا وقت لحشد الخاطر وتنظيم الافكار . . وانعدام استقلال الفكر يزداد عندنا ازدياد عدم استقلالنا ماديا . . وأينما توجهنا وجدنا انفسنا ضحايا عيلولة لم يعرف لها من قبل مثيل فى قوتها وسعة انتشارها . . والمنظمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تزيد سيطرتها علينا

بقدر ما يزداد الإحكام فى تنظيمها . . والدولة بتنظيمها المتزايد تملك زمامنا امتلاكا يزداد على الايام صرامة وشمولا . وهكذا نجد ان الوجود الفردى قد تضاءلت قيمته فى كل اتجاه وازدادت الصعوبة فى ان يكون المرء ذا شخصية . . «ذلك أن تقدم الحضارة الخارجية يجر وراءه هذه النتيجة وهى ان الافراد على الرغم مما يحصلون عليه من مزايا يضارون من نواح كثيرة ماديا وروحيا فى طاقتهم على الحضارة .

●● وتقدمنا فى الحضارة المادية هو الذى زاد فى حدة المشاكل الاجتماعية والسياسية على نحو مدمر. فالمشاكل الاجتماعية الحديثة تزج بنا فى صراع طبقى يهز العلاقات الاقتصادية والقومية ويزعزع اركانها .

ولو بحثنا فى الأسباب العميقة لوجدنا ان التقدم الصناعى والتجارة العالمية هما اللذان اديا الى وقوع الحرب العالمية (الاولى) كما ان الاختراعات التى وضعت فى ايدينا قوة تدمير هائلة هى التى جعلت الحرب ذات طابع مدمر جعل الغالب والمغلوب على السواء محطمين لمدة لا يرى المرء نهايتها. ثم ان الانجازات التكنيكية هى التى وضعتنا فى موقف يسمح لنا بالقتل من مسافة بعيدة والقضاء على اعداد ضخمة من الناس حتى إننا نزلنا الى الدرك الاسفل من الانسانية.. فلم نعد نلبى أى داع من دواعيها.. وصرنا مجرد ارادة عمياء تستخدم اسلحة مخدرة ذات قدرة هائلة على التندمير حتى صرنا عاجزين عن ابقاء التمييز بين المحاربين وغير المحاربين.

تلك هى الصورة التى يقدمها المفكر الألمانى اشفتسر عن ازمة الحضارة المعاصرة.. ولكى نصل الى الهدف من هذه المقالة الموجزة اقترح أن أحصر مجال الملاحظة والتحليل فى حيز محدود وهو واقع المجتمعات الاسلامية التى تمثل نموذجا حيا لاجتماع العقيدة بالحضارة اجتماع تضاد او تناقض او تعارض ففى هذه المجتمعات يعيش المسلم مترددا بين واقع حضارى وبين جاذبية دينية عميقة. ويوجد الى جانب هذا او ذاك شعور حاد بواقع ازمة قد تختلف عن ازمة الغرب من حيث النوع ولكنها ازمة قائمة وان شعر بها المسلمون بأشكال مختلفة.

ليكن حديثنا اذن مقصورا على المجتمعات الاسلامية ولكن من منظور واحد وهو تعارض الواقع الحضارى والشعور الدينى والتراث الثقافى فى حياة المسلم وفى وحدانه وعقله على حد سواء.

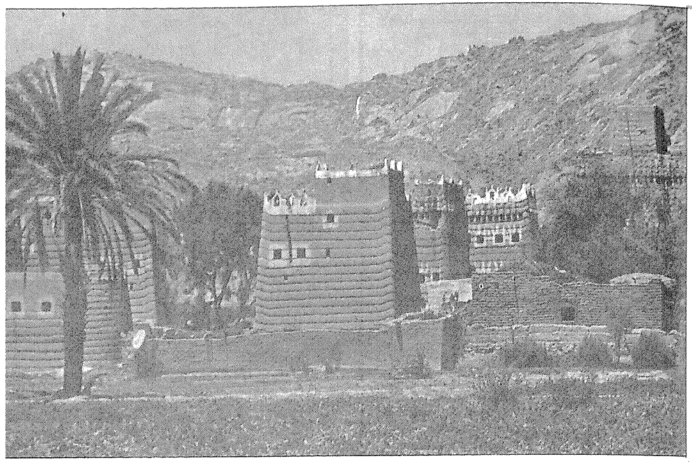
لكن علينا ان نعود لنحدد مفهوم كل من العقيدة والحضارة لنرى هل يختلفان أم يتفقان وهل يمكن ان يقع احدهما من خلال تجليه أو ظهوره فى مجتمع ما فى ازمة دون ان يقع الآخر كذلك فى نفس الأزمة؟ على ان نستعمل مفهوم الدين والعقيدة بمعنى واحد.. ومفهوم الحضارة والمدنية بمعنى واحد ايضا حتى لا يقع أى التباس.

اذا رجعنا الى المصادر الأوربية التى تتحدث او تحلل مفهوم الحضارة باعتبار ان مفكرى الغرب هم الذين بحثوا هذا الموضوع من غير أى نظرة دينية وجدناها تتحدث عن الحضارة باعتبارها ثقافة ابدعها الانسان.. ثقافة ذات بعدين فكرى ومادى. اما البُعد المادى فيعنى انجازات أو اساليب تقنية لتسخير الطبيعة والمادة.. وتنظيم الانتاج وتوزيعه.. وتنظيم العلاقات الاجتماعية.. وتأسيس كيان سياسى.. ووضع مؤسسات من شأنها الحفاظ على الوجود الاجتماعى والسياسى واستمرارهما. وأما البُعد الفكرى فيدل على وضع القيم والمعايير التى ينبغى أن توجه السلوك الانسانى داخل المجتمع.. وحماية التراث وابداع الفنون والآداب والفلسفات.

والحضارة فى النهاية هى ثمرة التفاعل بين المادى والروحى فى الانسان.. وهى المظاهر المادية الماثلة فى نظام الارتقاء الاجتماعى والسياسى والاقتصادى والتربوى.. وهى الانظمة والتقاليد وأساليب السلوك سواء كان عبادة أو تسلية او ممارسة للابداع.

الحضارة هى عمل جماعى لفائدة الجماعة وتقدمها وازدهارها لأنها لا تتجلى الا فى حياة اجتماعية ولا تظهر الا من خلال اشتراك الانسان فى محاولة شاملة لتقدم الحياة الانسانية وازدهارها.

وعندما تتم حضارة ما أى تبلغ درجة من النضج والاكتمال تتمخض عن ثقافة لأن الثقافة هى ثمرة الحضارة.. أى السلالة الجنينية المخصبة التى تحمل بذور التجدد الحضارى او استثماره.. اذ لا يمكن تصور حضارة بدون ثقافة.. ولا ثقافة بدون حضارة. غير ان الثقافة التى تتمخض عنها الحضارة



تعبر فى الواقع عن مزاج المجتمع او الأمة وعن ذوقها وعن نزعتها الروحية او المادية وعن رؤيتها للكون وللحياة من خلال رموز دينية او مقدسات او ابداع او طقوس او ما يبقى شاهدا على حركة الفكر والروح لدى الجماعة.

لذلك نجد انفسنا من موقفنا التاريخى اليوم امام حضارات متعددة طواها التاريخ.. منها ما بقيت ثقافته وتراثه شاهدا عليه دالا على كل شىء فيه.. ومنها ما انقرضت ثقافته ولغته ولم يبق منه سوى الذكر.

ووجود حضارات وثقافات إنسانية دليل على أن الانتاج الحضارى والثقافى خاضع لعدة عوامل:

(١) فهو خاضع لعوامل البيئة.. والأرض والمناخ.. والموقع والثروة الطبيعية (الجغرافية).

(٢) وخاضع لقوى الانسان المبدعة.. ومدى تفاعله مع البيئة والمحيط.. واستجابته الفعالة للتحديات المختلفة (سلوك انسانى).

(٣) وخاضع للاهداف القصوى التى يجعلها الانسان نصب عينيه فى كل تحرك من تحركاته وعمل من اعماله.. وسعيه الدؤوب نحو الأفضل او نحو الكمال باستمرار وهكذا نختصر الفعل الحضارى فى المعادلة التالية:

الطبيعة + الفعل + المنهج = حضارة

المادة + التحويل + التصميم = الصورة

وتختلف الحضارة باختلاف العوامل الرئيسية الثلاثة:

فحضارة يبدعها الانسان فى بيئة سخية إنها تحدد سلوكا معينا وتنشد اهدافا معينة ويمكن تعليل الفارق الكبير بينها وبين حضارة يبدعها الانسان فى بيئة قاسية تستدعى سلوكا مختلفا واهدافا مختلفة ولولا ذلك لكانت الحضارات الانسانية نسخا مكررة.. والثقافات البشرية ثقافة واحدة.. واللغات لغة واحدة.

أن الابداع الحضارى ينطوى على ممارسة عميقة للحرية تجاه العوامل المتحكمة فى الحضارة نفسها.

ذلك انه بقليل من التأمل نستطيع ان ندرك ان عامل البيئة لا يجعل الانسان سجينا لبيئته وانما هو عامل يستحثه على الابداع والانجاز وتجاوز المعوقات وكذلك عامل السلوك الانسانى فهو ليس سلوكا آليا كسلوك الغريزة لدى الحيوان وانما هو سلوك مبنى على الملاحظة والاختيار والتوقع لأننا لن نستطيع ابدا ان نقول عن الانسان كما نقول عن الحيوان انه فى ظروف معينة يفعل الانسان فعلا معينا . . وعامل الهدف او الغاية لا يعنى انه مفروض على الانسان من خارج وانما معناه انه اكتشاف روحى فى اعماق الفرد او الجماعة لانجاز شىء ما. وهو يتحول الى اختيار للانسان والتزام منه من حرية واختيار ووعى .

فالحضارةُ إذن انجاز مجتمع انسانى داخل بيئة معينة لنظام مادى ومعنوى ذى مستويات متعددة متداخلة حسب تعدد مستويات الحياة السياسية لحياة ارقى وسعيا وراء تحصيل اهداف قصوى يضعها افراد ذلك المجتمع نصب اعينهم كقيم مطلقة .

ولابد ان تتمخض هذه الحضارة عن ثقافة تختصر الرؤية الشاملة لذلك النظام بمناهجه وتصوراته وابداعاته .

الحضارة والثقافة مفهومان متكاملان . لأن أيا منهما لا يتم بغير وجود الآخر يبدعهما الانسان ويسخّر لهما كل قواه الروحية والعقلية والنفسية كما يسخّر لهما كل ما تصل اليه يداه من قوى الطبيعة .

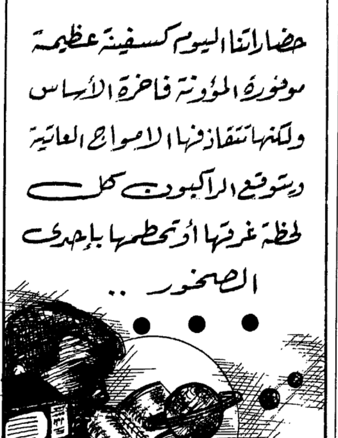
وحضارتنا الراهنة التى نعيش فى كنفها مثال على ذلك ففيها تتجلى عبقرية الانسان وقواه الروحية والعقلية والنفسية . . وفيها يتجلى أقصى حد من تسخير قوى الطبيعة للانسان .

اذا كانت الحضارة كذلك فما مكان العقيدة منها؟

قبل الخوض فى تحليل الاجابة ينبغى أن نوضح مفهوم العقيدة أكثر. وذلك باعتبارها إيديولوجيا للحياة أو لأهداف الحياة وللقيم التى يعيش الانسان لها وبها فى نفس الوقت .

قلنا فى عرض التحليل : إن المعادلة الحضارية تتلخص فى تفاعل معطيات ثلاثة : **الطبيعة** . . **والفعل** . . **والمنهج** .

ولكى نمثل لذلك بمثال بسيط جدا . . نتصور انسانا متجها فى الأرض يعترض طريقه نهر جار فهو يفكر فى عبور النهر إما سباحة وإما عن طريق مد جسر عليه . . فهو يواجه تحدى الطبيعة بفعل منظم يتغلب على ظاهرة طبيعية بظاهرة سلوكية فعلية منظمة ـ ذلك أن مد الجسر يقتضيه إبداع أسلوب وانجاز عمل تحويلى لمادة الطبيعة نفسها . فالعبور هو الفعل . . وانجاز الجسر هو المنهج . . والمادة والقوانين المتصلة بها هى البيئة . وستبقى المعطيات نفسها حتى لو نقلنا المثال الى آخر أكثر تعقيداً . مثلا بناء سد لاختزان المياه وتوليد الطاقة وتنظيم الرى فى محاولة لتحدى



الجفـاف او فى محاولة لاستغلال المياه والطاقة. ففى هذا المثال:

(١) *بيئة طبيعية تتحدى.*

(٢) *وسلوك انسانى معين تجاه الطبيعة المتحدية.*

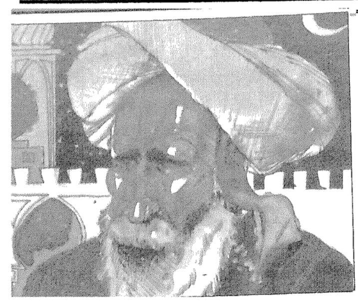
(٣) *وموجه لذلك السلوك نحو غاية معلومة.*

والحضارة عبارة عن افعال لا تحصى من هذا القبيل فهى انجـازات تقنية هائلة لتسخير الطبيعة وتحويل المادة الى غذاء وكسـاء.. ووقاء ودواء.. واستثمار التجـارب.. وتنميـة المعـرفـة وتنظيم الجماعـة.. وتحصين مكاسبها بأساليب الدفاع.. واختزان الموارد والطـاقـات.. ونشـر الامن وتكـريس دور السلطة القائمة وما الى ذلك من الامثلة التى لا يحصيها العد.

ولكل سلوك جزئى غاية جزئية يرام تحقيقها ولكل سعى فردى أو جماعى قصد جزئى ينتهى اليه ذلك السعى. ولا يعسر على الباحث المحلل أن يقول إن القصد فى هذا السعى او ذاك هو أمْنِيٌّ تارة وسياسى تارة وتربوى تارة أخرى واقتصادى أو فنى أو ترفيهى أو ما يتراءى وراء كل سلوك يومى يسلكـه الانسان لنفسه او يتضامن فيه مع جماعته.

لكن إذا تساءلنا عن القصد من وراء كل منجزات حضارة ما بكل ما لا يحصى من اعمال الانسان داخل هذه الحضـارة فهـل نستطيـع ان نعثـر أو نكتشف القصد الشامل او الأساس من كل حضارة أو مدنية بسهولة؟..

●● لا أدعو الى اجراء عملية تركيب شبه كميائى لابـراز نظام يستوعب كل جزئيات السلوك البشرى داخل حضارة ما بكل ما وراء تلك المساعى الجزئية من اهداف جزئية.. لان انجاز هذا الفعل يتطلب تحليـل الحضـارات الانسـانية بكل ما لا يحصى مما انشأته من ابداعات ومنجزات وتحويله الى مثل هذا النظـام. وقـد يخالفنـا البعض فى تصـور هذا الأمر باعتبـار ان السلوك الجـماعى والمسـيرة التـاريخيـة لا



ينطـويان إلا على صراع مستمر بين قوى اجتماعية يديرها دولاب لا يتوقف من جدلية التناقض فلا تتم صياغة وضع اجتماعى الا وتواجه نقيضها.

لنترك هذا المنهج او ذاك ولنفترض ان كل حضارة هى توجه إنسانى جماعى نحو تحقيق نمط من الحياة يقوم على قيم يعتـبرهـا الانسـان أعلى ما ينبغى تحقيقه كالعدل او كالحرية او كالرخاء او كالمعرفة او الأمن الاجتماعى.. أو على التقدم والتطور وتعتبر احدى هذه القيم او جلهـا المظهـر المعـبر عن نزوع تلك الحضارة ونتساءل:

●● *ما هى المظاهر التى تدل اكثر من سواها فى حضارة من الحضارات على روح تلك الحضارة ودوافعها وغاياتها العليا؟؟.*

●● *هل ننفـذ الى تلك الـروح عبر مظـاهـر الانتـاج الصناعى او الزراعى او المادى ام ننفذ لذلك عبر مظاهر النظام السياسى والاجتماعى؟ ام تنفذ الى ذلك من خلال مظاهر العادات والعمران والفنون؟ ام كل ذلك قشور لا غنـاء فيـه ومن ورائـه لبـاب هو الثقافة السائدة والقيم المقدسة ذلك الخيط الناظم الذى يشد كل شىء وينظم كل حركة من حركات الانسان المتفاعل مع حضارته.*

أن البؤرة التى تجمـع فى نظـرى كل هاتيك الألوان

المختلفة من الأنشطة البشرية وتنتهى عندها كل خطوط التطلعات والحوافز هى ايمان الانسان بشىء عظيم . . بقيمة عليا يكرس لها كل هذه الجهود . . ويضع نفسه فى خدمتها . . ويستميت فى بقائها . . ويشعر بتعلقه اللامتناهى بها . . وبإقدامه على التضحية بكل شىء فى سبيلها .

العقيدة اذن ـ وهى ما يعتقده الانسان من مبادىء او يقدسه من قيم عليا او يدين به من نظام او شريعة ـ هى جوهر الحضارة وخيطها الناظم الذى ينظم كل حركاتها وانجازاتها واتجاهات ابداعها او ثقافتها .

العقيدة هى التى تحدد المقاصد العليا لكل حضارة فان لم تكن لها عقيدة فلها فكرة دافعة . . أو مبدأ ناظم . . أو نظرة شاملة الى الكون .

وكل هذه المفاهيم تعنى فى قليل أو كثير مفهوم الدين باعتباره شريعة منظمة ومبدأ ناظما ونظرة الى الكون شاملة كما هو الشأن فى الاسلام .

● عرفنا إذن مفهوم الحضارة وعرفنا انها لا تكاد تنفصل عن العقيدة أو النظام الايديولوجى ونعود الى التساؤل عن ازمة العالم الاسلامى : هل هى أزمة حضارة أم ازمة عقيدة؟ .

● يكفى لمعرفة حقيقة الأزمة أن نسأل : هل الحضارة التى يعيش العالم الاسلامى فى كنفها اليوم هى حضارته التى أبدعتها روحه ويتحرك فيها بوحى عقيدته وشريعته؟؟ .

أو نسأل : هل العقيدة التى يدين بها المسلمون اليوم هى التى تنظم شؤون حياتهم ويدفعهم التحرك فى فلكها الى ابداع ما يبدعون . . ونضال ما يناضلون . . وانجاز ما ينجزون . . واقامة حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية حسب ما تخطه لهم من مبادىء واحكام؟؟ .

اذا كان الجواب بالنفى فمعناه أن هناك أزمة . . أزمة فى منتهى التعقيد . . وهى ان المسلمين اليوم يتحركون مع حضارة مؤتلقة جذابة لا يدينون بعقيدتها ان كانت لها عقيدة . وانهم فى نفس الوقت يعتقدون عقيدة لا يجدون لها فى واقعهم بعدا حضاريا بينما اول مبادىء الحياة المتوازنة ان يكون الانسان شاعرا بان ما يفعله هو على الاقل ما يختار ان يفعله . . فاذا كان الانسان يختار أفعاله فمعناه انه يقبل نتائج اختياره وأفعاله . . اما اذا كان لا يختار أفعاله فمعناه انها تُفرض عليه ويُفرض عليه بالتالى ان يقبل نتائجها . وذلك معناه انه يعيش فى منتهى الأزمة وهى أزمة فقدان التطابق بين الإرادة والسلوك والمسؤولية .

● ويضاف الى هذه الأزمة المعقدة فى حياة المسلمين انعكاس البعد الآخر للأزمة كما تعرفها الحضارة الغربية نفسها وهى انها حضارة فى طريق الأفول كما يرى البعض او انها حضارة فاقدة للتوازن بين الدوافع الروحية والدوافع المادية . أو انها حضارة فاقدة بالاساس للدافع الروحى المنظم .



نحن المسلمون نعيش ازمة مضاعفة على ثلاثة انحاء:

أولها: الازمة التى تخصنا وحدنا وهى التى وصفناها من حيث اننا نعيش ازمة الانشطار فى شخصيتنا وكياننا بين ما نعتقده وبين ما نسلكه او نعيش عليه.

الثانية: الازمة الحضارية العامة التى وصفها المفكر الالمانى الذى أشرنا اليه وصوَّرها وكانها سفينة عظيمة مجهزة أحسن تجهيز. فاخرة الاثاث موفورة المؤونة ولكنها تتقاذفها الأمواج العاتية.. ويتوقع الراكبون كل لحظة غرقها او ارتطامها بإحدى الصخور غير المنظورة. كذلك هى حضارة عصرنا التى تم لها كل شىء الا الأمن والعدل والحرية وحفظ الكرامة الانسانية.

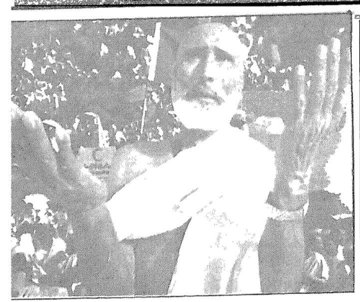
الثالثة: تخصنا وحدنا ايضا وهى اننا لا نتعامل مع هذه الحضارة الغربية برغم ما نشكو منه من اختلال وانحراف وفقدان قيم روحية كما يتعامل الغربيون انفسهم معها من حيث كونهم رغم ما يقال عن حضارتهم يعيشون نسبيا فى انتظام مع قوانينها وانسجام مع مؤسساتها فهم ينعمون مبدئيا بخيراتها وبالضمانات الاجتماعية الكفيلة لحماية حقوق الانسان المادية فيها وبالديمقراطية الحقيقية وهم لذلك يتحكمون فى تقاليدها فى المجال الاقتصادى والعلمى والعسكرى فينعمون بالسيادة والرفاهية والغلبة.. والقدرة على التخطيط وتنفيذ البرامج وانجاز المشاريع بمأمن من اى ضغط او توجيه.

●● ازمة العالم الاسلامى ازمة ذات ثلاثة ابعاد.

● انه عالم يعيش على خلاف ما تقضى به عقيدته وشريعته.

● انه عالم آخذ بحضارة لا يجد لها فى نفسه اساسا روحيا.

● انه تابع فى هذه الحضارة من غير استفادته منها لا علميا ولا اقتصاديا ولا سياسيا على المستوى المطلوب.



●● انه يعيش تبعا لذلك ازدواجية عميقة فى كل مستويات حياته سواء فى تفكيره او ممارسته وسلوكه.

الازمة كما يمكن تلخيصها نتيجة غزو حضارى اجتث العالم الاسلامى من أصوله ووضعه فى مناخ جديد مكيف حسب الشروط التى ارادها الغازى ليكون هذا العالم تابعا منقادا لسياسته مستهلكا لمنتجاته معززا لأحلافه وتكتلاته.. فلا هو يشعر بوضع طبيعى مع تراثه وتاريخه.. ولا هو يتحرك طبقا للشريعة التى صاغ حياته وفقها ونحو الاهداف العليا التى تحددها.. ولا هو يتحرك شاعرا بأنه فى انسجام مع الحضارة الجديدة بكل قيمها وأهدافها لأنه يحس فيها بأنه مجرد مستهلك فى المجال الاقتصادى.. ومجرد تابع فى المجال السياسى.. ومجرد متفرج أو مساعد فى المجال العلمى.. (وقراقوز) فى المجال الايديولوجى. ولكنه غير مستريح لان احساسه بالذات وبالعالم يزداد بازدياد الضغط عليه لذلك فهو يعيش صراعا مع الذات ومع العالم. ولكى ترتفع الأزمة لابد له من استعادة الانسجام والتوافق مع ذاته ومع عالمه ولن يتم ذلك الا باستعادة التحكم فى الأشياء المحيطة به فى تاريخه.. وفى الافكار التى يبدعها.. وفى المصير الذى يتجه اليه. وفى اعادة صياغة علاقاته بالآخرين على أسس جديدة كالعدل والمساواة والتضامن والتعايش السلمى الحقيقى..

فيصبح منتجا لما يستهلك اقتصاديا أو مسهما فيه بقوة ومحدداً لاختياراته فى المجال السياسى . . وقادراً على كفالة مطالبه علميا وتقنيا فى المجال التكنولوجى . . ومبدعاً لأفكاره .

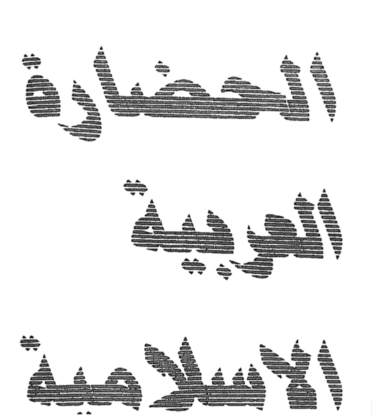
ولكى ترتفع الأزمة من أساسها أى من منظور التصور لطبيعة العقيدة وطبيعة الحضارة يجب أن يستعيد العالم الاسلامى من جديد فعالية العقيدة كمنهج لبناء الحضارة فى استثمار العقيدة .

والتاريخ الاسلامى نفسه خير شاهد على هذا التكامل بين الطرفين فقد ظهرت العقيدة الاسلامية وسط مجتمع انسانى غنى بحضاراته وثقافاته . وكانت تلك الحضارات والثقافات قد استنفدت فعاليتها ووقفت فى الطريق المسدود وهى الثقافة الهندية والثقافة الفارسية والثقافة اليونانية والثقافة الرومانية وعندما خرج المسلمون من جزيرتهم على حالة من التخلف بالقياس إلى ما كانت عليه الامم من حولهم كانوا بحكم العقيدة الجديدة اقوى فعالية واقدر على تمثل كل التراث الانسانى وتوجيهه الوجهة الملائمة للاسلام فأبدعوا الحضارة الاسلامية ونشروها فى ارجاء المعمور وسرعان ما تناست أمم كثيرة ماضيها وتراثها ولغتها لتدخل فى الاسلام وتسهم فى حضارته وتتجوهر بعقيدته لأن الروح القوية للاسلام والنظام الشامل الذى يقدمه للانسان اجتذب كل شىء وصهر كل شىء .

واليوم يستطيع المسلمون أن يفعلوا نظير ذلك مع الحضارة المعاصرة لانها تفتقد هذه الروح فلا تجدها . . وتفتقر الى ذلك النظام الانسانى الشامل فلا تجده . . وان كانت تملك أوج الفعالية الآلية والتكنولوجية . . وإنَّ عجز المسلمين عن هذا لا يعنى عجز عقيدتهم ولا عجز شريعتهم وانما يعنى عدم فهمهم لهما الفهم الصحيح .

---

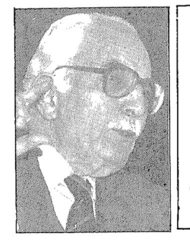
(١) البرت اشنيتسر: فلسفة الحضارة .



نشأت الحضارة العربية الاسلامية وترعرعت واينعت وأتت أكلها فى رقعة واسعة من الارض تمتد من اواسط آسية وحوض السند شرقا الى المغرب الاقصى وأسبانية غربا وهذه الرقعة مختلفة فى طبيعتها وتكوينها . . متباينة فى جوها ومناخها . . متنوعة فى غلاتها وسكانها . . متباعدة فى اجزائها .

ففيها نجد ثلاثة من اكبر احواض الانهار فى العالم القديم ـ حوض السند ووادى الرافدين ووادى النيل . . وهى اراض تعتمد على الرى النهرى فى ما تنتجه من غلال وفيها المناطق التى تغذيها مياه الامطار فى مواسمها المختلفة مثل شمال ايران وشمال العراق وديار الشام واليمن وعمان وسفوح جبال

الاطلس وأوديتهـا والانـدلس. . والغـالب على زروعها ان تكون اعذاء. . وفيها الصحارى المتسعة مثـل صحارى ايران والجزيرة والصحراء الكبرى فى افـريقيـة. . وهـذه تنقطها وتزخرفها واحات تختلف حجما وكمية ماء وهى مراكز الحياة فى تلك الانحاء الشاسعة. . والرقعة فيها السهول المتسعة والضيقة و الجبـال الشـامخـة مثل جبال البرز وزغروس وجبال اليمن وسورية ولبنان وفلسطين وسلاسل الاطلس الضخمة.


د. نقولا زيادة
"الاردن"

والمناخ والجو فى هذه الرقعة متباينان كثيرا. . فاجزاء منهـا ترتفـع الحرارة فيها الى خمسين درجة مئوية فى الظل فى ايام الصيف وفيها اجزاء ـ فى اعالى الجبال ـ يكسوها الثلج شتاء. . وقد تستمر بقع منه طول ايام السنـة. . والمطـر يسقط حيث يسقط شتاء فى اكثر اجزائها وصيفا فى مناطق الجزيرة الجنوبية.

ورقعة فيها هذا الاختلاف فى الطبيعة والتكوين وهذا التبـاين فى الجـو والمنـاخ لابد لها ان تتنوع غلاتها. فيكـون منهـا الحبـوب المختلفة الانواع. . والخضار الكثـيرة الاصنـاف. . والفـواكـه التى فيها من كل زوجان. . وما قد ينقص او ينعدم فى جهة يعوض عنه فى جهة اخرى. وفيها الى ذلك الاشجار التى تحمل الفـواكـه. . ولعـل التمر والكرم والتين اشهرها. . والتى تمد الانسان بحاجته الى الزيوت ولعل الزيتون اكرمها. . والتى تضع بين يديه الاخشاب الصالحة لصنـع جوائـز القصـور ولبنـاء السفن ولعـل الارز والصنوبر والسنديان اقواها.

والتباعد فى الاجزاء واضح. . فان اجتياز هذه الرقعة من شرقها الى غربها كان يحتاج الى شهور تتراوح بين الستة والعشرة. . والسفر البرى من شمال بلاد الشام الى اليمن كان يحتاج الى نحو شهرين او اكثر.

الى هذا كله يجب ان نذكر ان هذه الرقعة من الارض تجتازها الطرق التجارية (القديمة والمتوسطة) جمعاء. . فما كان عند اهل الهند والصين من مجوهرات، وطيوب وافاويه كان ينقل بحرا الى البحر الاحمر او الخليج العـربى ويحمـل من هنـاك برا الى البحـر المتوسط ليوزع على المناطق التى تحتاجه. . او كان ينقل عبر اواسط اسية الى ارض الرافدين ومن ثم الى المـوانىء الشـاميـة بحيث يصل الى البحر المتوسط ايضـا. ويقـال مثـل ذلـك عن المتاجر المتجهة من شواطىء البحر المتوسط الى الهند والصين.

ولا بد لنا ان نشير ولو اشارة عابرة الى التنوع السكانى الذى عرفته المنطقة باسرها. . ذلك ان الانسان كان قد استوطن هذه البلاد وصنع فيها تاريخا قبل خمسة عشر الفا من السنين على ما عرفنا من ادواته الحجرية الصـوانيـة. وهنـاك فئات نشأت فيها مثل الشعوب السـاميـة المختلفة التى غلبت على الجزيرة العربية والعـراق وديـار الشام وثمة الشعب المتوسطى الذى يبدو انه تكونت صفاته الرئيسية فى شمال افريقية. . كما ان هناك عناصر اخرى لعل اصولها ليست معروفة تماما وهناك الشعوب والقبائل التى انساحت الى تلك الـرقعـة الواسعة واستقرت فيها كالمغول من الشرق، والآريـين من الشـمال وسكـان الصحـراء الافريقيه والسودان من الجنوب. . هذا فضلا عن رشحات من

الاوروبيين وصلت اليها مع اليونان والرومان والفندال وغيرهم.

في هذه الرقعة صنع التاريخ اول ما صنع. . وترك آثاره اول ما ترك. . ودوّن اخباره اول ما دوّن. . وقد تعرف الباحثون المحدثون الى تاريخ هذه الرقعة على دفعات من حيث الاسلوب والبلد. . ففى اول الامر اكتفوا بوصف الاثار الظاهرة للعيان ومقارنة ذلك بما رواه القدامى من المؤرخين اغارقة كانوا ام رومانا ام عربا. . ونال مصر حظ من ذلك كبير بسبب الاهرام وابى الهول والتماثيل الضخمة. . ثم حلوا رموز الكتابات القديمة فقرأوا ما دوّنه صانعو التاريخ انفسهم على جدران الهياكل والأعمدة وفى الآجرات المسمارية والبرديات الهيروغليفية والألغبائية الفينيقية. . لكن الذى كشف لنا عن التاريخ الحضارى الكامل للمنطقة هو الرفش والمعول ـ اى الاعمال التى قام بها رجال الآثار ـ هذه وضعت امامنا نواحى الحياة اليومية بكل اتجاهاتها ومجالاتها.

وهذا التاريخ الاول الذى صنع فى هذه الرقعة كان (من اوله) عملا حضاريا متكاملا. . فنحن عندما نتحدث عن الجماعة المتمدنة يجب ان لا يغيب عن بالنا المعنى الذى تحمله هذه العبارة. فالجماعة المتمدنة على ما اجمع عليه الباحثون هى الجماعة التى تعيش فى مدن لا فى مجتمعات زراعية قروية فحسب. . وهى الجماعة التى تعرف التخصص المهنى. . وهى التى تقوم فيها وسائل الرى وطرقه على اساس من التعاون. . وهى الجماعة التى تتمتع مدنها بمراكز للعبادة. . وهى الجماعة التى لها كتابة. . وهى بطبيعة الحال الجماعة التى تعيش فى ظل نظام سياسى ادارى ينظم امورها جمعاء.

ولسنا نقصد ان نؤرخ لما صنعه التاريخ ودونه فى هذه

الكاتب في سطور

- كان رئيسا لقسم التاريخ في الجامعة الأمريكية ببيروت
- عمل أستاذاً للتاريخ في الجامعة الأردنية
- له مؤلفات عديدة في التاريخ الاسلامي والتاريخ القديم والحديث

الرقعة. . فبعد ظهور المدنيات الاولى فى ارض الرافدين ووادى النيل والهلال الخصيب ووادى السند قامت امبراطوريات مصر والحثيين والكلدانيين والاشوريين والفرس. . وقامت دولات الاراميين والفينيقيين والكنعانيين والفلسطينيين وغيرهم. . وتحاربت هذه فيما بينها وخربت الحروب مدنا برمتها وقضت على دولات وقتلت الوف السكان. لكن التجربة الحضارية التى انتهت اليها الى القرن الرابع ق.م كانت ضخمة واسعة فى آفاقها. . عميقة فى جذورها. . منتشرة فى فروعها. . غنية فى ثمارها. .

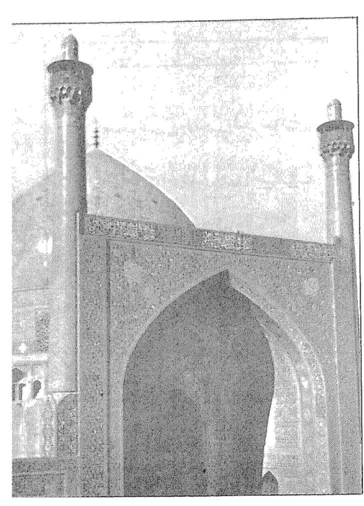
فالمدن التى بنيت كانت كثيرة عددا. . وقد سفت الرمال بعضها او ذاب بعضها (المبنى من اللبن) مع ماء المطر او الفيضان. . لكن الذى بقى منها كثير (ولا يزال الى اليوم) مثل دمشق والقدس وصور وبرسبوليس وقلعة نمرود وغيرها. وحتى بعض المدن التى طمرها الرمل والزمن اخرجها الرفش والمعول من سهادها الطويل ووضعها امامنا واضحة المعالم مثل اوغاريت ونيبور واور وارك (فى ارض الرافدين) وموهنجو دارو وهربة (فى حوض السند) وممفيس. . والصناعات كانت كثيرة منوعة شملت كل ما يحتاجه المرء. . والفنون بلغت الذروة: فبعضها يملك عليك اللب لاتقانه مثل الفخار والزجاج والحلى والمجوهرات التى اخرجت من الانقاض وبعضها الاخر يثير فى نفسك العجب لضخامته مثل الاهرام وابى الهول

والكرنك وابى سنبل وبرسيبوليس. وهناك القنى والسراديب والخنادق لنقل الماء لسقى الانسان ورى المزروع.. وهناك المعرفة الطبية الممثلة فى التحنيط والمعرفة الرياضية التى توصل اليها المصريون والبابليون.. ومراقبة السيارات فى مسالكها والثوابت فى مواضعها وثمة حروف الالفباء الفينيقية وهناك عبادات وثنية تتعلق باهداب الشمس (مصر) والقمر (بابل) والنجوم (الشعرى اليمانية) فى مصر و(عشتار او الزهرة) فى ديار الفينيقيين وكل لها طقوسها وبعضها يتصف بالوحشية ولكل معابدها وبخورها وهناك آلهة الخصب متمثلة بالارض الام ولكل منها رموزها ومعانيها. وتدور حول كل من هذه الالهة قصص واساطير تحاول ان تفسر ولكنها لا تعلل وتجرب ان توضح ولكنها لا تفلسف.

هذه كلها ظهرت فى الرقعة التى تحدثنا عنها وتبادلتها اجزاؤها فيما بينها فانتقلت من منطقة الى منطقة كما تنتقل المتاجر ولعلها انتقلت حتى مع التجار انفسهم ولكنها كانت تختلف عن المتاجر فى انه لم يكن لها ثمن مباشر ولا ارباح ترتبط بها بل كانت مقايضة عينية. فاسطورة باسطورة.. وقصة بقصة.. وهذه اذ تنتقل من جزء من الرقعة الى آخر تتخذ شكلا محليا واسما مرتبطا بالموضوع ويصبح لها وطن جديد وثوب جديد. ولما زادت هذه كلها ـ الصناعات والفنون والعبادات والاساطير ـ عن حاجة الرقعة نفسها واتسع نطاق التجارة ووسائل التنقل انتقلت الى الاصقاع المجاورة فى جزر البحر المتوسط مثلا وفى بعض شواطىء المحيط الهندى.

● فى خضم هذه التطورات عرفت الرقعة دينا سماويا واحدا فيه إله واحد هو خالق الكون.

فى القرن الرابع ق.م. احتل الاسكندر الجزء الاوسط من الرقعة التى نتحدث عنها وانتشرت جيوشه



الى شرقها.. وهذا الفتح اليونانى جاء معه بحياة لها معنى جديد.. فقد كانت الحضارة حضارة «مدين» بمؤسساتها السياسية والاجتماعية.. وقد كانت حضارة فيها للعقل دور كبير.. وللفلسفة قسط وافر.. وللعلم اثر عميق وللفن مجال واسع. وهذه نقلت كلها الى الجزء الاوسط والشرقى من الرقعة فتفاعلت مع ما كان فيها.. وامتزجت المعرفة والصناعات والفنون والاساطير والاراء والعبادات بشكل فعال.. ولما جاء الرومان فى اعقاب اليونان ـ فى القرن الاول ق.م. (وقد اقتصر فتحهم على المنطقة الممتدة من بلاد الشام الى الاندلس) جاءوا معهم بالقانون الرومانى وفن المعمار الممتاز فكان ان نتج من ذلك فى اكثر اجزاء الرقعة مدنية هى مزيج مما كان عند اهل البلاد وما جاء به اليونان والرومان.

وفى الوقت الذى كان فيه الرومان اصحاب السلطان الاكبر فى ممتلكاتهم ظهرت المسيحية فى فلسطين وانتشرت منها والمسيحية هى الدين السماوى

ان حضارات مختلفة الدرجة والنوع قامت فى فيلكه والكويت وفى تاروت (السعودية) وام النار (ابو ظبى) وعمان (ماغان القديمة). وزادت معرفتنا باليمن - بلاد البخور - التى كانت تزود المعابد والهياكل والقصور بحاجتها من هذه المادة. . وبالمدن التى كانت تقع على طرق التجارة هذه. . وبالرى والزراعة فى منطقة حضرموت. . وبالمدن القديمة التى عمرت تلك البلاد واجزاء غيرها من الجزيرة.

وانبلج صبح الحقيقة. . واشرق ضوؤها بمولد دين سماوي ثالث واخير رأى الناس فيه خيراً وهداية فدخلوه فرادا وجماعات. انبعث ذلك مع البلاغ الإلهى المرسل للرسول ﴿ﷺ﴾ فى مكة قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة ونقل الى قومه رسالة ربه. . فلما لم يقبلوا الدعوة واشتد اذى قريش هاجر الى المدينة. وهناك استمر الوحي عشر سنوات حين انتقل النبى ﴿ﷺ﴾ الى الرفيق الاعلى (سنة ١٠هـ و٦٣٢م).

وفى غضون قرن واحد بعد وفاة سيدنا محمد ﴿ﷺ﴾ كان المسلمون قد فتحوا الرقعة التى وصفناها (الا اقلها) واقاموا فيها دولة عربية اسلامية. ومع ان هذه الدولة اصابها بعد ذلك تقسم فان الروح التى سيطرت عليها هى روح الدولة الاولى.

وقد اتيح للعرب ان يحتكوا بمن كان فى تلك البلاد من شعوب واقوام متباينة الثقافة والعنصر. احتكوا بالفرس والسريان والكلدان والنبط واليونان والقبط والبربر والاسبان واليهود. كما ان العرب اتصلوا بالشعوب المجاورة لهم عن طريق التجارة. وهذا الاحتكاك يسر للعرب ان يتعرفوا الى ما كان عند تلك الاقوام المعاصرة من آراء وآداب وعلم وأديان. . كما انهم اتصلوا بما كان عند القدامى من آثار علمية وادبية وفلسفية ودينية فى المدارس التى اشرنا اليها قبلا.

وكان ثمة تمازج واختلاط بين العرب وغيرهم فى جميع

استوعبت اللغة العربية معطيات الحضارات الاخرى

تفجرت اللغة العربية من الداخل "لفظا.. وتركيبا" فكانت آلة من آلات الحضارة العالمية

الثانى الذى ظهر فى الرقعة المذكورة.

وفى الشرق العربى كان المتعارف عليه الى قبل بضعة عقود من السنين ان سكان الجزيرة العربية كانوا قبل الاسلام فى عزلة عن العالم الخارجى واحداثه وتطوراته ولا يستثنى من ذلك سوى اجزاء صغيرة فى اليمن وما اليه. . الا ان هذا كله تبدل فى العقود الثلاثة الاخيرة فصار الباحثون والمؤلفون والكتاب يعرفون ان الشعوب التى كانت تقطن الجزيرة - بدوها وحضرها على السواء - كانت جزءا حيا متفاعلا من حضارات العالم القديم. . فقد غاص الباحثون فى اعماق التاريخ وعمل الرفش والمعول على اخراج الاخبار من بطون الارض. . ووقع العلماء على عشرات الالاف من النقوش. . وكل هذا بدل النظرة القديمة.

فشطآن الخليج العربى وجزره عرفت حياة مدنية تعود الى حوالى ٣٠٠٠ سنة ق.م (قلعة البحرين). كما

نواحى الحياة. واذا نحن نظرنا الى نواحى الاحتكاك والاتصال والاختلاط والتمازج والتعايش التى تمت فى القرون الثلاثة أو الاربعة التى تلت وفاة الرسول ﴿ﷺ﴾ فى الدولة العربية الاسلامية فاننا لن نجد لذلك مثيلا فى التاريخ من حيث سعة الرقعة وتعدد الشعوب واختلاف الوسائل وتنوع الاساليب والمناحى.

فى الرقعة التى وصفنا من قبل وفى هذا المجتمع الجديد او المجتمعات الجديدة نشأت الحضارة العربية الاسلامية وترعرعت واينعت واتت اكلها.. وقد اقتصر العمل الحضارى بادىء بدء على العواصم او المراكز الكبرى كدمشق وبغداد والقيروان.. ولكن مع توالى الزمن اسهمت مدن كثيرة من مراغة وغزنة شرقا الى مراكش غربا فى العمل الحضارى.. وهى مشاركة عز فى التاريخ مثيلها ايضا.

دخل العرب باب التاريخ الواسع مع الاسلام وقد ترتب على ذلك انهم لما خرجوا الى بلاد الله الواسعة كان لهم دين توحيدى واضح المعالم بين الطرق.. وقد حددت لهم العبادات التى يتوجب عليهم ان يقوموا بها ابتغاء مرضاة الله. ولكن مالا يقل عن ذلك اهمية ولا ينفصل عنه بطبيعة الحال هو ان الدين الاسلامى وضع للناس قواعد خلقية وقوانين ادبية رفيعة ـ تحدد علاقة الناس واحدهم بالاخر.. والاسلام كان من اول امره واستمر على ذلك فى تاريخه ـ يعين للمؤمن سبيل حياته فى الحياة الدنيا ويمكن له من نصيبه فى الحياة الاخرى فلا يهمل الاولى فى سبيل الثانية.. ومن ثم فقد كان باعثا على العمل ودافعا الى السير قدما واخذ الامور مأخذ الجد.

من خصائص الحضارة الاسلامية أنها: عربية التعبير.. منفتحة الأبواب على الحكمة والمعرفة.. عالمية المحتوى.. شمولية النظرة.. دائمة الحركة غير متقوقعة ولا منغلقة

وفى ظل الاسلام نشأت الدولة العربية الاسلامية.. وبدفق من روح الاسلام وزخم من حيويته قامت الحضارة. ومن ثم فان اول الخصائص التى يجب ان تقرن بهذه الحضارة هى انها كانت حضارة اسلامية فى صبغتها وصيغتها. فالمجتمع الاسلامى هو الذى احتضن هذه الحضارة.. صحيح ان فئات غير مسلمة ـ مسيحية وغيرها ـ كان لها فى بناء الصرح الحضارى نصيب.. ولكن الذى نريد ان نقوله هو ان الجو الذى كان الجميع يتمتعون بالعمل فيه والبيئة التى كان الكل يؤلفون ويبنون ويزخرفون وينظمون الشعر ويكتبون النثر وينشئون المدارس ودور العلم والحكمة ويتابعون بحوثهم فى العلوم والطب والفلك وينشئون المستشفيات والمراصد وما الى ذلك ان البيئة والجو كانا اسلاميين.

فى القرن السادس للميلاد كانت اللغة العربية الشمالية قد اصبحت وسيلة التعبير الاولى (شعرا.. ونثرا) بالنسبة الى سائر اللهجات العربية. وقد استوى لها ما تحتاجه اللغة من ادوات تلزمها وقواعد تضبطها وصيغ تصور بها حاجاتها.. وقد وصل الينا من تلك اللغة شعر كثير ونثر اقل.. فلما اختار الله اللغة العربية لغة لكتابه الكريم واخذ الناس

بحفظه وترتيله ملأ عليهم نفوسهم لما فيه من صادق الدعوة ورفيع المعانى وسامى البلاغة . . ودخل شغاف قلوبهم . والقرآن جاء فى هذه اللغة العربية على اكمل ما يمكن ان تصل اليه والقرآن هو الذى حفظ لهذه اللغة كيانها بعد الاسلام وادى الى انتشارها وتوسيع رقعة استعمالها . . واصبحت العربية بذلك اداة ممتازة للتعبير عن المعانى التى حفل بها القرآن حيث الايمان والعقيدة ومكارم الاخلاق، والصور التى نجدها فيه للجنة والنار . . والقواعد الشرعية والخلقية التى استنت للمؤمنين . . وقصص الانبياء والرسل . واذن (فالقرآن) فضلا عن انه ثبت للعربية اسلوبها وبلاغتها فانه حملها كل هذه المعانى الجديدة فتفتقت عن اراء جديدة وصور مستحدثة . كما ان القرآن كان السبب الاول فى نشوء انواع من علم اللغة وعلوم القرآن نفسه (قراءات . . وتفسيرا) وعلوم الحديث .

واحتك العرب بالشعوب التى دخلت بلادها . . واتصلوا بالحضارات المعاصرة لهم والاقدم عهدا منهم . . فدخل الى العربية اصناف من المعرفة جديدة كان لابد لها من مصطلحات وتعابير خاصة بها . واحدثت هذه المعرفة الجديدة فى المجتمع الاسلامى تيارات مختلفة وتحديات جديدة كان لابد من ان يعبر عنها بكل ما فى الكلمة من معنى . ولان هذا كله كان يقتضى اتخاذ اساليب جديدة فى الكتابة فقد استجابت العربية لهذا كله واستطاعت ان تيسر لكل كاتب ومؤلف وباحث ما احتاج اليه للتعبير عن افكاره . وبعبارة اخرى فقد تفجرت اللغة العربية من الداخل (لفظا . . وتركيبا) فكانت «الة» من آلات الحضارة العالمية . . وهذه الالاف المؤلفة من الكتب التى وضعت بالعربية عبر القرون تؤيد هذا الذى ذهبنا اليه .

واذن فان الثانى من خصائص الحضارة العربية الاسلامية هو انها كانت عربية التعبير.

واذا تذكرنا ان العربية انتشرت فى جميع الرقعة الواسعة لغة العلم والمعرفة وفى القسم الاكبر منها لغة الحياة اليومية ايضا ـ وان ذلك فتح مجال التعلم امام الناس دون ان يكون دونهم باب موصد ـ ادركنا اهمية هذه الخاصة اى عربية التعبير فى الحضارة الاسلامية

وثالث الخصائص التى تتمتع بها الحضارة العربية الاسلامية هى انها كانت حضارة منفتحة . . فالذين بنوا هذه الحضارة ـ فى اشكالها المختلفة ـ كانوا يأخذون الحكمة والمعرفة من كل حدب وصوب ولم يكونوا منغلقين ولم يروا ان يقنعوا بالاكتفاء الذاتى . . والانفتاح فى الفكر العربى الاسلامى فى الفترة الاولى الطويلة كان انفتاحا على كل شىء وعلى كل قضية وعلى كل بحث . . وحتى امور العقيدة بالذات كانت موضع مناقشة وجدل .

ونحن اذا نظرنا الى الحضارة العربية الاسلامية من حيث محتواها وجدنا ان القضايا التى عالجتها كانت قضايا ذات محتوى عالمى ونظرة شاملة . . فالذى انتهت اليه من اراء وافكار ونتائج فى العلم والفلسفة والادب كان يتناول العالم المعروف يومئذ ولكن ما هو اهم من ذلك هو ان هذه المآتى الحضارية لما نقلت الى شعوب كانت تعيش خارج المجتمع العربى الاسلامى صلحت لتلك الشعوب واثارت فيها الكثير من التساؤلات . واذن فالحضارة العربية الاسلامية تجد فى هذا رابع هذه الخصائص وهى انها كانت عالمية فى محتواها .

والذين اتيح لهم ان يتعرفوا حتى ولو الى بعض النتاج الفكرى فى الحضارة العربية الاسلامية ـ ونقصد بالنتاج الفكرى كل ما يتولد فى العقل البشرى من دين وفلسفة وعلم لوجدنا ان هذه الحضارة التى كانت منفتحة وعالمية هى فى الوقت ذاته ديناميكية . . وهذا من طبيعة الامور. فعندما تعالج جماعة ما القضايا بانفتاح تام وبنظرة عالمية شاملة فلابد لها من ان تكون ديناميكية . . فالحركة المستمرة مرتبطة بالامرين الاخرين وبالعكس . . فاذا فقدت الحياة الفكرية ديناميكيتها فقدت تبعا لذلك انفتاحها ونظرتها الواسعة الشاملة . . وعندها تقنع بالنظرة

الداخلية والاكتفاء الذاتى بل وقد «تتقوقع» وهذا ما لم تعرفه الحضارة العربية الاسلامية فى ادوارها الاولى.

فالديناميكية هى الخاصية الخامسة للحضارة العربية الاسلامية.

الحديث عن الحضارة العربية الاسلامية طويل ولذيذ ومفيد ونحن لم نفعل هنا سوى ذكر الخصائص الاساسية لهذه الحضارة.

ولكن لابد من كلمة فى الختام: هذه الحضارة لما انتقلت الى اوروبة احدثت فيها دويا كبيرا والنهضة الاوروبية مدينة لها بالكثير.

الحفاظ على المجتمع المسلم من مقالة السوء

د. السيد رزق الطويل "جامعة أم القرى"

الحاضرة فى اللغة مقابل البادية والحضر مقابل البدو وقالوا: الحضارة (بكسر الحاء) بمعنى الاقامة فى الحضر ورواه الأصمعى بفتح الحاء حسب النطق المتعارف عليه الآن وكان العرب أول الأمر يعتزون بالبادية والتبدى لما يترتب عليها من الحفاظ على الخصائص والاعراف واللسان الفصيح ومن ذلك قول القطامى:

ومن تكن الحضارة اعجبته
فأى رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فإن فينا
قنا سلبا وأفراساً حسانا

ولأن التحضر يرتبط به قدر من الترفق وحسن التأتى للأمور والتقدم فى مجال العمران والعلاقات والثقافات أصبح لفظ الحضارة على ما ينجزه الانسان فى مختلف جوانب الحياة سواء فى النواحى العقلية والثقافية والخلقية أم فى النواحى المادية والعمرانية.

وإذا كنا هنا سنتحدث عن السلوك الحضارى فلابد أن أقدم للقارىء تصورا لأبعاده من خلال فهمى وتدبرى للكتاب العزيز، ليتبين له من أول الأمر أن السلوك الحضارى فى القرآن مستوى عظيم فى مجال القيم لايدانى وقمة شاهقة لا تطاول ومثل أعلى يترسمه المسلمون الصادقون الذين عرفوا الايمان القويم ووصلوا الى درجة اليقين.

فما هذه الابعاد؟

السلوك الحضارى هو ما يصدر عن الانسان من قول أو عمل يتسم بالسمو ويقع من الآخرين موقع الاستحسان فيدعم الود ويحرك الأريحية لما يستتبعه من آثار كريمة ونتائج طيبة تنمى الأخلاق الحسنة وتصون الأسرة وتحافظ على المجتمع.

وهذا السلوك نتيجة حتمية لعقيدة الاسلام القويمة التى تصلح القلب فيصلح بصلاحه الجسد كله ويصبح صاحب القلب السليم بما منحته العقيدة من استنارة

وبصيرة يملك الحكم الصحيح على الأشياء.

● **عن وابصة بن معبد رضى الله تعالى عنه قال: أتيت رسول الله ﴿ﷺ﴾ فقال: جئت تسأل عن البر؟ قلت: نعم، قال: استفت قلبك، البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والاثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر وإن أفتاك الناس وأفتوك.**

على ضوء ما سبق نعيش لحظات مع هاتين الآيتين من سورة النور نتبين ما فيهما من معالم السلوك الحضارى **﴿إنَّ الذين يحبون أن تشيعَ الفاحشةُ فى الذين آمنوا لهم عذابٌ أليمٌ فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ولولا فضلُ الله عليكم ورحمتُه وأنَّ الله رءوفٌ رحيم﴾.**

جاءت هاتان الآيتان بعد حديث القرآن الكريم عن الافك الذى افتراه المنافقون واشترك فيه بحسن نية بعض المسلمين فى غير وعى منهم بخطورة الكلمة حين تنتشر أو تذاع لا سيما وأن هذه الفرية كانت تمس أطهر امرأة عرفها مجتمع المسلمين. ولا أدل على ذلك من أن تصدر شهادة براءتها من رب العالمين الذى يقول الحق وهو يهدى السبيل.

وكان لابد أن ينتهى الموقف الصعب الذى ألم بمجتمع النبى ﴿ﷺ﴾ الى نصيحة تستبقيها الأجيال المسلمة حفاظا على المجتمع المسلم وبقائه ورفضا لأحاديث الفاحشة والسوء تلوكها الالسنة بالحق أو بالباطل، لأنها فى كلتا الحالتين تضر ولا تنفع وتسىء ولا تحسن.

ان الكلمة الشريفة النظيفة سمة للمؤمن الصادق وأمارة على وعيه وورعه ودينه والمؤمن كما وصفه رسول الله ﴿ﷺ﴾ ليس بسبّاب ولا لعّان ولا فاحش ولا بذىء.

ان هذه الآية الكريمة تقرر أن مما يرفضه الاسلام أن تتداول الألسن اسم الفاحشة وأن تتردد فى المجتمع آخبارها ووقائعها وأن يتسابق المتسابقون إلى اذاعة حوادثها ولو كانوا صادقين.

وحسبنا أن نصغى تماما لهذا التوجيه السديد.

السلوك الحضارى هو الذى يتسم بالسمو ويقع من الآخرين موقع الاستحسان فيدعم الود ويحرك الاريحية لما يستتبعه من آثار تنمى الأخلاق

يقول الحكيم الخبير: **﴿ولا تلمزوا أنفسَكُم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾** (سورة الحجرات/١١).

فمجرد الاسم وهو حروف وأصوات تدل على خصلة السوء مذموم عند الله تبارك وتعالى بل إن تردده على لسان المسلم يرمى به أخاه فيؤذيه فيصبح على معلم من معالم الجاهلية البغيضة.

يقول أبو ذر رضى الله سابيت رجلا أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له: يا ابن السوداء فقال النبى ﴿ﷺ﴾: أسببته؟ أعيرته بأمه أنت امرؤ فيك جاهلية»(٤) **ذلك لأن من خصال الجاهلية التطاول باللسان والمفاخرة بالكلام وإلقاء الاحكام على عواهنها من غير بصيرة أو دليل.**

ولذلك كان مما وصف الله به أهل الجاهلية قوله جل شأنه: ﴿يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلين﴾ (سورة آل عمران/٥٤).

وخطب رسول الله ﴿ﷺ﴾ يوم فتح مكة وكان مما قاله «يأيها الناس ان الله قد أذهب عنكم عُبِّيَّة الجاهلية وتفاخرها بآبائها فالناس رجلان: رجل بر تقى كريم على الله تعالى ورجل فاجر شقى هين على الله تعالى».

لقد كان رسول الله ﴿ﷺ﴾ يرد المقر بالفاحشة مرات استعظاما لبشاعتها واستبعادا لوقوعها فى المجتمع الكريم.

فما بال الذين يكذبون ويفترون ويبالغون ويمعنون فى تجسيد الأحداث.. يحركهم لهذا هوى فى نفوسهم ورغبة ملحة فى أن تنطلق قالة السوء من أفواههم؟.

هؤلاء وأمثالهم يقول فيهم رب العالمين: **﴿إنَّ الذين يُحِبون أنْ تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليمٌ فى الدنيا والآخرة﴾.**

اما العذاب الأليم فى الدنيا فيتمثل فيما يقيمه عليهم الحاكم العادل من حَدٍّ رادع لما اقترفته ألسنتهم من جرائم وإذا استمروا على ذلك دون أن يثوبوا لرشدهم ويرجعوا لما أمر به القرآن الكريم من سلوك حضارى قديم فلهم عند الله عذاب عظيم.

وقد جاءت آيات أخرى من سورة النور تصف أبعاد هذا العذاب ومداه وما يتعرض له هذا المسىء من مواقف مهينة لما أذاعه وأشاعه من فحش ما ينبغى أن يشاع أو يذاع فى مجتمع طاهر كريم فيقول تعالى فى سورة النور: **﴿إنَّ الذين يرمون المُحْصَناتِ الغافلاتِ المؤمناتِ لُعِنُوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذابٌ عظيمٌ يوم تشهد عليهم ألسنَتُهُم وأيديهم وأرجُلُهم بما كانوا يعملون. يومئذ يُوَفِّيهم الله دينهمُ الحقّ ويعلمون أن الله هو الحقُّ المبين﴾** (سورة النور من ٢٣-٢٥).

إن هذه الآيات تتضمن تشريعا حضاريا يقود الألسنة المؤمنة الى الحق لا الى الهوى والى التعفف لا الى التبذل والى الاحسان لا الى البغى والعدوان.

ومن هنا كان فضل الله ورحمته وراء هذا التشريع الكريم الذى تزكو به الألسنة والقلوب ولأجل هذا تكرر الدافع الى هذا التشريع مرتين متتاليتين فقال تعالى: ***﴿ولولا فضلُ الله عليكم ورحمَتُهُ وأنّ الله رءوف رحيم﴾*** *كما قال فى الآية التالية:* ***﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم﴾*** (سورة النور/٢١).

إن هذه الآيات تعلمنا أن اللسان إذا انحرف يقطع الأواصر ويفسد العلاقات ويشيع البلاء ويملؤ جو المجتمع بالخصومات والمشاحنات كما أن جناياته فاتكة وضرباته موجعة ولقد يستعصى على أدوائه العلاج ولقد صدق القائل:

جنايات السنان لها التئام
ولا يلتام ما جرح اللسان

ولقد حفلت السُنَّة المطهرة بما يفيد نفور الدين الحق بطهارته وقدسه من مقالة السوء من ذلك الحديث الشريف «لعن المؤمن كقتله».

● *وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ لا يكون اللعّانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة، وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع النبى ﴿ﷺ﴾ يقول: إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها الى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب».*

إننا نتذكر فى هذا الموقف قول الرسول عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل رضى الله عنه بعد أن دعاه إلى الاسلام والايمان ودله على أبواب الخير وبيّن له رأس الأمر وعموده وذروة سنامه، قال: آلا أدلك على ملاك ذلك كله؟ قال: بلى يا رسول الله قال أمسك عليك هذا.. وأشار النبى عليه الصلاة والسلام إلى لسانه فقال معاذ: أو نحن مؤاخذون بكل ما نتكلم؟ فقال: وهل يَكُبُّ الناسَ على

وجوههم يوم القيامة إلا حصائدُ ألسنتهم؟

● من هنا كان مما يحتمه الايمان الصادق أن يتحرى المرء موقع الكلمة قبل النطق بها وحصادها الذى يعود على المجتمع بعد إطلاقها واضعا نصب عينيه الحقيقة القرآنية الكبيرة: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ (سورة ق/١٨).

● إن من الدلائل البالغة التى تكشف عن فساد الكلمة الضالة وبشاعة تأثيرها هذه العقوبة الرادعة التى شرعها الله حدًّا للقاذف والتى لا تقف عند حد جلده ثمانين جلدة بل تتجاوز ذلك الى ماهو أكبر وأخطر ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون﴾ (سورة النور/٤) وهذا أمر لم يقل بعد حد الزنا مما يشير الى أن إشاعة الفاحشة تنشر فسادا فى المجتمع مثل الزنا أو تزيد.

وعلى ضوء هذا المعلم البارز من معالم السلوك الحضارى فى الاسلام نستطيع ان نقول إن الصحافة وأجهزة الاعلام بعامة فى مجتمعات المسلمين مطالبة بالالتزام بهذا الأدب الحضارى القرآنى فلا تذكر فى صفحات الحوادث مالا ينبغى أن يقرأ ولا يصدر عن الاذاعات المسموعة أو المرئية مالا ينبغى أن يرى أو يسمع أو يقال.

الكلمة الطيبة

بقدر ما حذر الاسلام من مقالة السوء ونبه الى خطرها وضلالها وسوء تأثيرها دعا الى الكلمة الطيبة وحث عليها وكشف عن قيمتها فى بناء المجتمع الكريم والذين أولعوا بإشاعة الفاحشة وإذاعة قالة السوء وأوغلوا فى لهو الحديث وباطل الكلام هؤلاء وأمثالهم لا ينبغى أن يكون لهم وجود فى مجتمع المسلمين الذى يقوم على الطهر والنقاء والكلمة الشريفة والقول السديد.

وهذان الجانبان: جانب التحذير من الأولى والدعوة الى الثانية يمثلان وجهى السلوك الحضارى الذى كشف القرآن الكريم معالمه وحدوده

وتقديم جانب التحذير منهج إسلامى عظيم فى التربية فدرء المفاسد - كما يقول الفقهاء - مقدم على جلب المصالح واجتناب عبادة الطاغوت مرحلة تسبق - فى بناء العقيدة - مرحلة العبودية لله والانابة إليه وقد قدم القرآن الكريم موازنة ذات شأن بين الجانبين يستبين منها المتدبر الواعى حقيقة كل منهما وأثره وذلك فى إطار مثل قرآنى والأمثال يضربها للناس لعلهم يتذكرون ولا يعقلها الا العالمون فقال سبحانه: **﴿ألَمْ تَرَ كيف ضَربَ الله مثلاً كلمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربِّها ويضربُ الله الأمثال للناس لعلَّهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجْتُثَّتْ من فوقِ الأرض مالها من قرار يُثَبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويُضلُّ الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾** (سورة إبراهيم/٢٤-٢٧).

هذه الصورة التى يقدمها القرآن الكريم للكلمة الطيبة رائعة حقا.

فهى كشجرة سامقة امتدت جذورها فى أعماق التربة تأتيها عناصر الغذاء من شتى الجوانب كما ارتفعت الى السماء بأغصان وأوراق وقطوف دانية وثمار مواتية أذِنَ خالقها العظيم أن يكون عطاؤها موصولا لا يخضع لميقات أو أوان.

وما اعظمها من شجرة تربط بين الأرض والسماء.

وكذلك الكلمة الطيبة.. عريقة عميقة تصدر عن عقيدة راسخة وإيمان عميق وفكر مستقيم وعطاؤها واسع الجوانب متعدد الانحاء لا يقل ولا يكل.

كما تربط بين أهل الأرض وما يرجون من خير من السماء.

وأما الكلمة الخبيثة فهى كشجرة لا أصل لها ولا عمق ولا ظل ولا ثمر صاحبها تحت وهج الشمس ولفح الحر ما يرجوه قائلها الغافل من ثمرتها **﴿كسراب بِقِيعةٍ يَحْسَبُهُ الظمآنُ ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا﴾**.

مما يحتمه الايمان الصادق ان يتحرى المرء موقع الكلمة قبل النطق بها وحصادها الذي يعود على المجتمع بعد اطلاقها

كما نلحظ فى ختام المثل الحكيم ما يشير اليه رب العالمين من قيمة الكلمة الطيبة فى تثبيت المؤمنين على منهج الحق فى الدنيا وفى موقف الحساب يوم القيامة .

*ولقد تصدى القرآن الكريم فى مواقف عدة للدعوة إلى إحسان الكلمة وسدادها فقال سبحانه : ﴿**وإذا قلتم فاعدلوا**﴾ (سورة الانعام/١٥٢) كما قال جل شأنه : ﴿**يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا**﴾ (سورة الاحزاب/٧٠) وذلك لأن العدل فى الكلمة يمنح الحب والود بقدر ما يمنع الشحناء والبغض والقول السديد يسد الثغرة ويمنع بواعث الفرقة .*

وتوافر كلمات الخير وتواترها على ألسنة المسلمين يدعم بنيان المودة بينهم ولا يسمح لغوائل الشقاق أن تتسرب إلى صفوفهم .

إن «الكلمة» بمفهومها من اللسان العربى وصلتها الاشتقاقية بالكلمة بمعنى الجرح يعنى ما لها من تأثير بالغ حتى عبر بها القرآن الكريم عما هو عقيدة ويقين إذ يقول سبحانه كاشفا الفرق الكبير بين التكوين الاعتقادى فى قلب الكافر وقلب المؤمن : ﴿**إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شىء عليما**﴾ (سورة الفتح/٢٦).

وعلينا أن نتأمل قوله سبحانه : ﴿**وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا**﴾ (سورة الاسراء/٥٢).

إنه منهج إلهى لبناء السلوك القويم فى مجتمع المسلمين عن طريق الكلمة الحسنة بعد أن تتطهر الألسنة المؤمنة من المقالة السيئة .

إن الآية تدعو إلى أن يكون القول الحسن على لسان عباد الله جميعا .

كما ذكرت بمهمة الشيطان فى الافساد وأن أمضى أسلحته فى هذا المجال كلمة باغية .

إن القول الحسن عندما يصبح سلوكا للمؤمنين يملأ مجتمعهم بالحب وتعمر حياتهم بالود وتنجاب الخصومات وتذهب الاحقاد فقد يقيم الود كلمة وقد يزرع البغض كلمة وقد تدمر قيم الدين الحق فى قلب الانسان كلمة وقد جاء فى الحديث الشريف : «**رب كلمة يقولها أحدكم لا يلقى لها بالا يهوى بها فى النار سبعين خريفا**» .

إننا لو وقفنا موقف المهلل لأسباب الفرقة الذى يتعقب بواعثها وأسبابها فى مجتمعات المسلمين يجد أن اكثرها كلمات غير مسئولة وعبارات رعناء جانبها التوفيق وزايلها الاحسان وتولى كبرها الشيطان يذيعها وينميها فيوقد نار البغضاء ويشعل لهيب الشقاق فتنقطع الأواصر وتذهب الصلات والروابط وهذا مبلغ ما يسعى إليه .

فإن النار بالعودين تذكى
وإن الحرب أولها الكلام

ولو ألقينا نظرة أخرى على آية الاسراء وقد صدرت بلفظ «قل» وهذا اللفظ لا يتصدر إلا عندما تكون الآية بصدد التعويل على أصل من الأصول الشامخة أو قاعدة من القواعد الراسخة ويأتى هذا اللفظ هنا بمثابة التنبيه أولا وقبل كل شىء على قيمة هذه المقولة ونفاذ تأثيرها .

كما أرست الآية أساسا ينبغى للانسان أن يجعله

فى حسابه وأن يحكمه فى سلوكه وهو عداوة الشيطان للانسان منذ الأزل حين أخرج آدم من الجنة بكلمة ضالــة فاجـرة إذ قال - كما حدثنـا رب العـالمين - ﴿مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾ (سورة الاعراف/ ٢٠) ومن أجل هذا ختم رب العالمين هذه الآية الكريمة التى تعد دستـورا للسـلام الاجتماعى فى الأمة المسلمة بقوله سبحانه : ﴿إن الشيطان كان للانسان عدوا مبينا﴾.

ولما يدل على أهمية القول الحسن وماله من أثر تربوى فى إقامة مجتمع فاضل وأمة كريمة ما نراه فى حديث القرآن الكريم عن الميثاق الذى أخذه الله على بنى إسـرائيل وهو ميثاق شامل جامع فيه حق الله وحق ذوى القـربى وحق الفقـراء والضعفـاء وفيـه إقـامة الصـلاة وإيتاء الزكاة وبرز من بين بنود هذا الميثاق صمام أمنهـا وجـوهـر سدادهـا وفـلاحها وهو القول الحسن للنـاس جميعا فيقول سبحانه : ﴿**وإذ أخذنا ميثاق بنى إسـرائيل لا يعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون**﴾ (سورة البقرة/٨٣).

والتعـويـل على القول الحسن فى عهد الله مع بنى إسرائيل قضية تسترعى الانتباه وتلفت النظر وذلك لأنهم على امتداد تاريخهم كانت مقالة السوء فيهم فاشية وكلمات الفساد والبغى وعبارات التزييف والتمويه شائعة ذائعة.

فقد أفسدوا بمقالة السوء دين الله ووحى السماء وحرفوا الكلم عن مواضعه.

*ماتت فى مجتمعـاتهم القيم والمثـل فلم يعد للصدق مكـان بينهم وأصبح الكـذب أحب الأمور اليهم حتى وصفهم الله بقـولـه : ﴿**سمّاعـون للكـذب، أكّالـون للسحت**﴾ (سورة المائدة/٤٢).*

*أساءوا الى مقام الانبياء ووصفوهم بما لا يليق بل تجاوزا ذلك الى التطاول على رب العالمين فقالوا - كما حدثنـا الله - ﴿**وقـالـت اليهـود يَدُ الله مَغْلولة غُلَّتْ أيديهم ولُعِنُوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان**﴾ (سورة المائدة/٦٤).*

ولا تزال مقالة السوء منهجا لهم فنرى أحفادهم فى عصـرنا الحاضر وراء كل تزييف وتمويه يختلقون الأخبار ويزيفون الوقائع ويدلسون فى تناول الحوادث لاشـاعـة القلق والاضطراب والفوضى فى المجتمع البشـرى ولأجل هذا يحاولون - وقد نجحوا كثيرا فى ذلك - أن يضعوا وسائل الاعلام فى العالم تحت أيديهم خاضعة لنفوذهم وتوجيههم.

ومن هنا طلب منهم رب العالمين - إن كانوا على نية الاستقامة على الدين الحق - أن يسيروا على درب القول الحسن.

إن الكلمة الحسنة سمة المسلم وسمته تنزل على قلوب إخـوانه فتمسح عنها الكـدر وتذهب البغضاء وتستبقى الحب والود والاخاء.

ومن هنا كان من دعائم الاسلام الكلمة الطيبة.

كما أن الكلمة النابية الجافية قطيعة باغية.

قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ : «اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة».

كما قال عليه الصلاة والسلام : «والكلمة الطيبة صدقة»

*والمناخ الذى يتنفس فيه المسلمون ينبغى أن يكون مشبعا بما يعزز الحب والود ومن هنا كان شعار هذه الأمـة عنـد الالتقاء والافتراق فى الغدو والرواح أن يلقى المسلم السلام على أخيه فقال تعالى : ﴿**وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها**﴾ (سورة النساء/٨٦).*

*إ**ن** صلاح أمتنا فى أن تعود لهذا التوجيه القرآنى الحكيم فتعتصم بالقول الحسن فى كل أمورها فى وفاقها وخلافها فى رضـاهـا وغضبهـا فى صحافتها وإعلامها فى علاقاتها الداخلية والخارجية حتى تسد على الشيطان كل منفذ يلج منـه إلى الفسـاد والافسـاد فإن عباد الله يعرفون بطيب اللسان وحسن الكلام، إذ يقول تعالى : ﴿**وقل لعبادى يقـولوا التى هى أحسن**﴾ كما قال سبحانه : ﴿**وعباد الـرحمن الـذين يمشـون على الأرض هونـا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾.*

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل.

السائح

المجلة الأولى . العدد الثالث والعشرون ذو القعدة ١٤٠٦

تغرب عن الأوطان في طلب العلا
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد



● تايلاند بلاد الغرائب والعجائب . محمد قنديل

● السفر إلى جزيرة "ايسلند" . محمد عبد الحميد مرداد



السياحة بين القديم والجديد

صورتان متقابلتان لكلٍّ طعمها ومذاقها ووقعها.. في "تايلاند" نقف على مستجدات الحياة فيها مع الوقوف على قديمها.. اما في "جزيرة ايسلند" فإن للقديم روعته عندما يقاس بالجديد.. ومع "المرداد" وباسلوبه الخاص المتميز في السرد نسترجع معه رحلته في تلك الجزيرة منذ عام ١٩٧٢.. فكم تغيرت اساليب الحياة من ذلك التاريخ.!؟

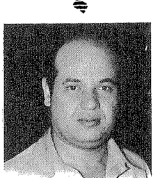
الغرائب والعجائب

تعد تايلاند أى ارض الحرية . . احد اكثر البلدان اثارة وغرابة فى جنوب شرقى آسيا . . كانت تسمى فى الماضى **«سيام»** وقبل ذلك **«آياتاها»** . . وتايلاند مملكة مستقلة منذ عام ١٢٣٨ ميلادية أى منذ اكثر من ٧٠٠ عام . . وتتمتع باستقلال دائم حيث لم تطأها اقدام المستعمر مما جعلها تحتفظ بتراث عريق من العادات والتقاليد الأصيلة التى لم تمسها رياح التغيير على مر السنين .

و**«بانجوك»** عاصمة تايلاند أسسها الملك **«راما»** الأول فى عام ١٧٨٢م عبر نهر تشاو بايا وذلك لأسباب استراتيجية وكانت فى ذلك الوقت قرية صغيرة تعيش على الصيد .

وقبل بانجوك كانت **«تونبورى»** عاصمة للبلاد حيث اسسها الملك **«تاكسين»** بعد نجاحه فى طرد قوات بورما التى هاجمت **«ايوتايا»** فى عام ١٧٦٧م ودمرت التراث الفنى فيها وأحرقتها بعد أن كانت على مدى أربعة قرون عاصمة للبلاد وتعاقب على الحكم فيها ٣٣ ملكا .

وبانجوك العاصمة مدينة صاخبة مزدحمة بالسكان حيث يوجد فيها اكثر من ٦ ملايين نسمة . . وهى تعرف باللغة المحلية بـ «كرونج تيب» ومعناها **«مدينة الملاك»** أما مطارها «دون ميانج» فهو مركز من المراكز



تحقيق : محمد قنديل

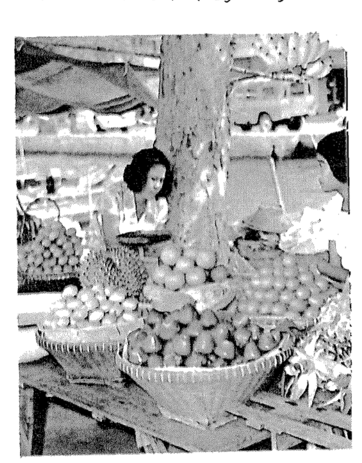
الرئيسية للخطوط الجوية العالمية التى تبلغ اكثر من ٤٣ خطا عالميا . كما ان ميناءها يعتبر من الموانى الأكثر حركة ونشاطا فى منطقة جنوب شرقى آسيا . . هذا اضافة الى شبكات الطرق البرية الحديثة والشوارع الواسعة التى تساعد على سهولة الانتقال من مكان الى آخر وخصوصا بين تايلاند وماليزيا اللتين يمكن السفر بينهما ايضا جوا وبحرا .

وتمتزج فى بانجوك ثقافات متعددة خاصة الثقافتين الهندية والصينية كما بدأت الثقافة الغربية تضع بصماتها على مختلف انماط الحياة فى بانجوك وتايلاند بصفة عامة نظرا لزيادة اعداد السائحين الأوروبيين والأمريكيين لها كل عام مستمتعين بطبيعتها الخلابة فى جزرها المختلفة التى تتيح لهم قسطا وافرا من الاسترخاء تحت الشمس الاستوائية على الشواطىء التى تكسوها الرمال البيضاء التى ترتمى فى احضانها أمواج المياه الصافية على ضفتى خليج تايلاند أو خليج سيام كما يسمى .



وفي اسواق بانجوك العجيبة يمكنك أن تشترى أى شىء يخطر على بالك . . الأقمشة الحريرية والقطنية والملابس الجاهزة المختلفة الأنواع والاشكال . . والتحف المصنوعة من الخشب والنحاس والأحجار الكريمة والخزف . . والمصنوعات الجلدية المتنوعة . . والمجوهرات الثمينة المرصعة بالأحجار الكريمة القيمة . . والفواكه الاستوائية اللذيذة الطعم . . المأكولات البحرية الغريبة . . الزهور المختلفة الأشكال والألوان . . بعض الحيوانات الصغيرة مثل القطط السيامية المشهورة والسناجيب الأليفة والقردة التى تثير الضحك بحركاتها البهلوانية السريعة وكذلك بعض الطيور الاستوائية الزاهية الألوان .

وهذه الاسواق نابضة بالحياة والبساطة وتشبه الى حد



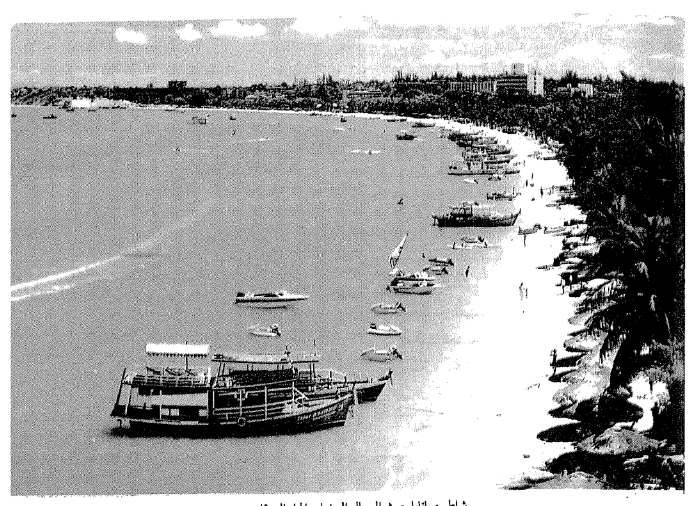
تشكيلة من الفواكة الاستوائية فى السوق الشعبى

كبير تلك الاسواق القديمة الشهيرة فى العصور الوسطى التى كان الناس يفدون اليها من شتى انحاء اوروبا مثل سوق «بارتونام» أو «باتونام» الشعبى الذى يقع فى قلب بانجوك .

اما محلات الخياطين فهى منتشرة فى جميع أنحاء بانجوك وكذلك فى مدينة «باتايا» الساحلية ومعظم أصحابها من الهنود الذين ينتمون الى طائفة السيخ والذين استقروا فى تايلاند منذ حوالى خمسين عاما تقريبا لظروف سياسية وامتهنوا الخياطة والتجارة خاصة تجارة الأقمشة . والتعامل مع هؤلاء أكثر مرونة من التعامل مع الخياطين الصينيين الذين يغالون فى أسعارهم لدرجة تصبح معها الملابس الجاهزة أقل سعرا مما لو تم التفصيل عند هؤلاء .

وبامكان أى سيدة زائرة تفصيل فستان مع البطانة حسب أحدث خطوط الموضة العالمية البسيطة بأقل من عشرة دولارات أمريكية ولكن طبعا دون القماش الذى يفضل ان تحضره معها وتختاره على ذوقها من بلدها خاصة اذا كانت من منطقة الخليج التى تمتلىء أسواقها بأرقى وأجود انواع الاقمشة الاوروبية واليابانية اذا ما قورنت بأنواع الأقمشة الأخرى الموجودة فى تايلاند والمحدودة فى تشكيلتها وأنواعها والتى يبلغ عرض المتر منها ٩٠ سم فى أغلب الأحيان .

اما الرجل فبامكانه تفصيل بدلة كاملة على الطراز الأوروبى من قطعتين أو ثلاث قطع دون القماش بحوالى ثلاثين دولارا أمريكيا والبنطلون بحوالى ستة أو سبعة دولارات أمريكية . . كما له ان يختار مجموعة من القمصان ذات الأقمشة القطنية الزاهية الألوان بحوالى عشرة دولارات للقميص الواحد مع القماش والتفصيل أيضا - والمواعيد ليست بعيدة جدا فبعد يوم أو يومين على الأكثر يمكن للرجل استلام ملابسه من الخياط اما ملابس النساء فيستغرق تفصيلها وعمل البروفات اللازمة لها فى حدود يومين الى خمسة أيام



شاطىء باتايا حيث الرمال البيضاء والمياه الزرقاء

خاصة اذا كان الفستان يحتاج الى بعض المواصفات أو الاضافات الدقيقة والخاصة والتى يعرفها أرباب الموضة من النساء جيدا.

أما اذا أرادت سيدة شراء مجموعة من الملابس الجاهزة فعليها بزيارة المحلات الكبيرة المتعددة الأقسام والمنتشرة فى جميع أنحاء بانجوك خاصة فى قلبها.. وتعرض هذه المحلات الكثير من السلع الاستهلاكية المختلفة بأسعار معقولة ثابتة ولكن بجودة ممتازة ومضمونة.. وقد يحالف المشترين الحظ فيجدون تخفيضا كبيرا ويفوزون بقدر أكبر من السلع ولكن بأسعار أقل. بينما تعرض المحلات الأخرى سلعا متعددة وبجودة معقولة ولكن النقاش حول السعر يحتدم كثيرا بين البائع والمشترى ليصل الى درجة يكون فيها السعر ٥٠٪ أو أقل من السعر الذى حدده البائع فى البداية.

وعن الأماكن السياحية فهى كثيرة سواء فى بانجوك أو خارجها شمالا وجنوبا. ففى المنطقة القديمة لبانجوك يوجد **القصر الملكى الكبير** المطل على ضفتى نهر تشاو بايا والذى أسسه الملك راما الأول عام ١٧٨٢م بمبانيه الكلاسيكية الجميلة وبروجه الذهبية ذات النقوش التى تعبر عن ابداع الفنان التايلاندى القديم.. هذا بالاضافة الى معبد «**وات بو**» اكبر المعابد فى بانجوك وأقدم جامعة مشهورة فى تايلاند تم تأسيسها قبل بانجوك عاصمة البلاد ويوجد بداخل هذا المعبد تمثال لبوذا يبلغ طوله ٤٦ مترا وارتفاعه ١٥ مترا.

وبالقرب من هذا المعبد يقع **المتحف القومى** بمبناه العتيق على نمط الفن البوذى مستعرضا تاريخ تايلاند كالحروب بالأفيال والمعدات الحربية القديمة وجزء من ادوات السيراميك من بان شينج منبع



ولعل من اشهر هذه الفواكه فاكهة «الدوريان» الذى يعتبر بحق «كنج فروت» أو ملك الفواكه نظرا لاحتوائه على هرمونات مقوية لجميع انسجة الجسم ومجددة لنشاطه . . والدوريان حبات خضراء كبيرة مكسوة بالشوك تظهر فى فصل الصيف وتعتبر ذات ثروة كبيرة لارتفاع اسعارها حيث يعتز الفلاح التايلاندى بما يملك من شجر الدوريان الذى يثمر بعد ١٥٠ سنة .

واشجار الدوريان تنتشر فى اندونيسيا وماليزيا وسنغافورة والفيليبين ويبلغ طول الشجرة حوالى ٥٠ مترا حيث تعتبر أطول شجرة فى العالم وتحرس بالأسلحة وتحاط بالاسلاك الشائكة خوفا من سطو اللصوص عليها .

ويعتبر أكل الدوريان وزراعته من أسرار السياحة الحضارة منذ ٦٠٠٠ سنة فى منطقة شمال شرقى تايلاند .

وهناك «السوق العائم» فى دام نون سادوك بمحافظة راتبورى خارج بانجوك حيث يستطيع الزائر لهذه السوق القام بنزهة نهرية عبر نهر تشاو بايا يشاهد خلالها نمطا من الحياة التقليدية للشعب التايلاندى التى نشأت على امتداد قنوات النهر وقراه المتناثرة كحبات العقد حيث تحضر المزارعات الفواكه والخضروات فى الصباح الباكر بقواربهن الصغيرة الضيقة التى تحل محل بسطات البيع .

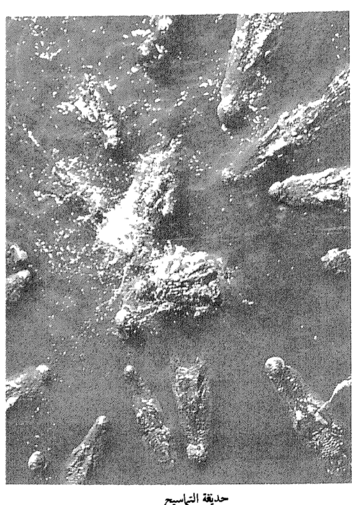
السوق العائم

فى تايلاند خاصة وجنوب شرقى آسيا عامة حيث انه فاكهة يمنع نقلها فى الطائرات نظرا لرائحته النفاذة وقلبه من الداخل لونه أبيض وطعمه يشبه طعم الآيس كريم.

وعلى بعد ٢٥ كيلو مترا جنوب بانجوك تقع اكبر مزرعة للتماسيح فى العالم حيث يوجد بها أكثر من ٣٠ ألف تمساح مختلفة الأشكال والأحجام يشاهد الزائر فيها عرضا يوضح كيفية الامساك بالتماسيح وطرق تربيتها وتغذيتها وكيفية الحصول على الجلود منها اضافة الى عرض آخر للنمور والشمانزى والفيلة التى تتدرب على حمل الكتل الخشبية الضخمة.

هذا اضافة الى حديقة الزهور (روز جاردن) التى تبعد بالسيارة ساعة كاملة ٣٠ كيلومترا غرب بانجوك ويشاهد فيها الزائر عرضا للموسيقى الكلاسيكية والرقصات الشعبية مثل رقصة البامبو ورقصة السيوى.. كما يمكن للزائر التجول داخل القرية التايلاندية بالحديقة لمشاهدة الاحتفال بالزفاف على الطريقة التايلاندية.. والتعرف على المصنوعات اليدوية التايلاندية كالخزف والحرير التايلاندى الشهير وصناعة المظلات الورقية الملونة.. وركوب الأفيال أو مشاهدتها أثناء العمل وكذلك مشاهدة مصارعة السيوف بين الرجال والنساء.. وفى داخل مقر الصليب الاحمر التايلاندى توجد حديقة للثعابين يرى الزائر فيها طريقة مسك الثعابين وكيفية انتاج المصل من الثعابين السامة مثل الكوبرا والكريت.

أما خارج تايلاند وعلى الساحل الشرقى للبلاد الذى يتاخم خليج سيام تقع «باتايا» وهى منطقة قضاء العطلات فى تايلاند حيث تنتشر الفنادق العالمية الفخمة.. ويجد الزائر الشمس والرمال وجوا منوعا حقا.. كما تنتشر على شواطىء «**جزر باتايا**» القرى التى يسودها نمط الحياة التقليدية التى لم تتغير على مر القرون.. ويمكن للزائر ان يرى فيها القردة وهى تتدرب على قطع ثمار جوز الهند واسقاطها من أعلى أشجار النخيل.



حديقة التماسيح

أما «**فوكيت**» فهى اكبر وأهم الجزر فى جنوب تايلاند.. تبعد عن بانجوك بمقدار ٩٢٠كم، ويشكل تعدين الصفيح فيها صناعة كبيرة.. ولكن المهنة الرئيسية ومصدر العيش هو صيد الأسماك حيث تنتج المياه حول فوكيت حصيلة سخية ومتنوعة من الأسماك والأطعمة البحرية.

وفى «فوكيت» شواطىء رائعة للغاية تزينها أشجار الكازوينا أو النخيل ورمالها البيضاء تتألق تحت شمس الظهيرة كما أن المياه الفيروزية اللون تتميز بنظافتها وصفائها.

وغالبا ما تنظم الرحلات من «فوكيت» على متن قوارب تتجه الى عدد من التشكيلات الصخرية العجيبة ومنها ما يعرف بجزيرة «جيمس بوند» وهى الجزيرة التى مثل فيها جيمس بوند فيلمه المعروف باسم «الرجل ذو المسدس الذهبى» (The Man with the golden





مجموعة من الفتيات والفتيان بزيهم الوطنى من شمال تايلند

gun) وفى أقصى الشمال وعلى بعد ٧٠٠كم من بانجوك تقع مدينة «شينغ ماى» ثانى أكبر المدن فى تايلاند وهى مكان تجتمع فيه أحسن الحرف اليدوية ومهارات الانسان التايلاندى لذا فهى أشبه بمستودع لثروة من الفنون والثقافة حيث يشاهد الزائر مراكز بيع التحف الخشبية والفضية المنقوشة والزهريات والمنسوجات الحريرية والمظلات التايلاندية الشهيرة الملونة المصنوعة من لب الورق

وتزاول هذه الفنون والحرف فى القرى وفى كل الأرياف ويشارك جميع أفراد العائلة فى العمل فبينما يلقى الزوج والزوجة الأوعية على دواليب الخزف البدائية تقوم الجدة بتحضير الصلصال وعجنه ثم تقوم الورشة تحت المنزل الذى يبنى من الخشب ويستقر على ركائز بالتصنيع.

وشينغ ماى منطقة تكثر فيها الجبال والتلال والوديان ذات المناظر الطبيعية الجميلة وتوجد بها حديقة للزهور والنباتات واخرى للحيوانات.. كما انها منطقة زراعية تكثر فيها زراعة الفواكه والزهور الحارة والشتوية.

والمهرجانات والأعياد صفة مميزة للشعب التايلاندى فعلى مدار أيام السنة تشهد مدن تايلاند عددا من الأعياد منها ما هو فى تواريخ ثابتة ومنها ما يخضع حسب الشهور القمرية

ومن أهم هذه الأعياد عيد سونج ران أى عيد المياه ويحتفل بهذا العيد لمدة ثلاثة ايام فى الفترة من ١٣-١٥ ابريل من كل عام حيث فصل الصيف والحر. وسونج ران عيد للرجال فقط يحتفلون به بحماس حيث يرقصون ويغنون ويرشون بعضهم بالماء خاصة من لا يضع لافتة على ظهره أو صدره تقول «**اننى فى الخارج**».

وهناك عيد للزهور يحتفل به عندما تعلن مدينة «شينغ ماى» فى فبراير من كل عام عن تفتح براعم الزهور الحارة والاستوائية فيها وظهور ألوانها المميزة. وفى هذا العيد تخرج مواكب الزهور المتعددة لتطوف المدن معبرة عن فرحتها بالزهور وجمالها ورائحتها العطرة.

ومن الأعياد المحببة لدى التايلانديين أيضا عيد «**لوى كراتونج**» ويحتفل بهذا العيد عند اكتمال القمر حيث تقوم الفتيات الجميلات بوضع اوراق شجرة الموز فى شكل قوارب عائمة تحتوى كل منها على شمعة مضيئة تنبعث منها رائحة زكية مع زهرة جميلة وقطعة صغيرة من العملة المعدنية حتى تتشرف أرواح الماء وتأخذ معها آثام وأخطاء عام مضى.

ويحتفل بهذا المهرجان الذى يسمى مهرجان الأضواء فى أوائل نوفمبر من كل عام.. انها تايلاند بلاد الغرائب والعجائب بحق.

السفر الى جزيرة « ايسلند »

السائح السعودي

محمد عبد الحميد مرداد


بعض شواطىء ايسلند

هذه هى الرحلة الثانية الى هذه الجزيرة الجميلة فى خلال ٣٠ عاما وكانت التى قبلها فى صيف عام ١٩٧٠م والآن نحن فى ليلة الثانى عشر من شهر يونيو لعام ١٩٧٢م وقد جمعت حقائبى وتقلدت الة التصوير الصغيرة ماركة (كوداك) وخرجت من الفندق مودعا صاحبى المستر «ويردوم» بادارة الفندق . . وذهبنا الى مكتب خطوط «ايسلنداير» بارض المطار وقدمت دفتر التذاكر فاقتطعت الموظفة بالمكتب تذكرة ايسلند وراجعت اوراق الصحة ووزن الامتعة ثم امرتنا بالذهاب الى مكتب الجوازات وهو قريب من المكتب . . فاعطيت تصريحات الخروج ودخلنا الى صالة المسافرين فوجدنا فيها عدداً كبيراً من الكراسى والمناضد والحوانيت التى فيها المبيعات على اختلاف انواعها .

ثم بعد الانتهاء من كل شيىء ذهبنا الى المستراح وجلسنا على مقاعدنا نقرأ الجرائد وننظر الى التليفزيون وافواج السياح الذين تجمعوا فى مجلسنا الواسع حتى بلغوا المئات . . فقلت لمن بجانبى : هل هذا العدد كله راحل الى ايسلند؟ فقال بلى ـ اما تدرى ان فى كل يوم تقوم على الاقل طائرة واحدة من هنا الى هذه الجزيرة من روسيا وفنلندا ومضيق بهرنج وغير ذلك من المدن الشمالية والقطبية كم طائرة سياحية تصل الى هذه الجزيرة .

وفى ركن الصالون آلة على شكل التلفزيون تكتب بالحروف الملونة عدد الطائرات المغادرة ووقت المغادرة ورقم الرحلة واسم الشركة والبلد الذى ترحل اليه واسماء البلدان التى ستقدم منها الطائرات ومواعيد وصولها . . وما ان دقت الساعة الثانية عشرة حتى كنا وقوفا وعلى باب الخروج الى الطائرة ـ وهناك موظفان من قبل شركة SASICELAND AIR احدهما يفتش الحقائب التى برفقة الركاب تفتيشا دقيقا



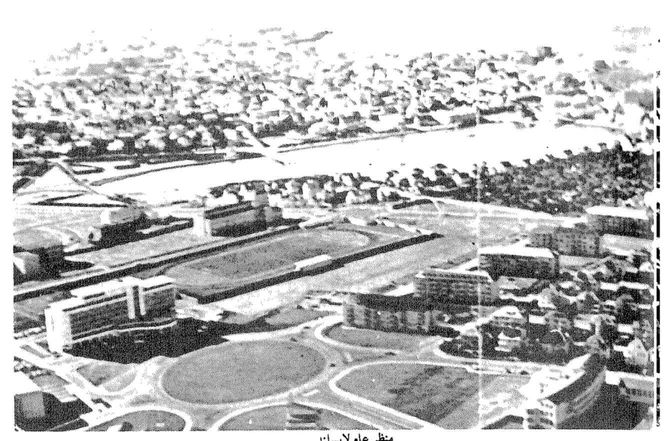
والاخـر يفتش الاجساد والجيوب خوفا من حوادث الاجرام التى تجرى فى تلك الايام من خطف او نسف.

واخيرا دخلنا الطائرة الايسلندية الاسكندنافية ودارت المحركات واقلعت الطائرة بسلامة الله حيث حلقت على مسافات عالية جدا وشقت جميع السحب وارتقت الى اعلى ارتفاع.

ثم بعد ساعتين جاء طعام العشاء بها لذ وطاب وفى هذه المرة لم يأتونى بلحم الخنزير لانى اخطرت الشركة من كوبنهاجن حسب طلبها انى لا أكل اللحوم ولا الخنزير - اللحوم لانها منخنقة والخنزير ليس من طعام المسلمين - وقد تقدم لى كلام فى هذا الموضوع فى اول المذكرات لا داعى لاعادته. كان طبقى يحتوى على الجمبرى والبطروخ المقلى بالبيض والارز الهورة بالصلصة وطبق صغير فيه جبن وزيتون وطبق فيه فاكهة من فواكه الشمال وجزر الهند وهى انواع لا تزرع فى بلادنا لكنها لذيذة مثلجة.. النوع الاول **(نانكا)** والثانى **(فاتس)** وقد رأيت مثلها فى استراليا وسومطرة. كما اتونا بقراطيس من الملح والفلفل وبعض البهارات ثم ارتفعت الاطباق وحل محلها الشاى والقهوة ثم نمنا على مقاعدنا حتى الصباح وما كنت ادرى هل هبطت الطائرة جزر فارو لتتزود بالوقود كما تفعله احيانا بعض السفن وكما هو الحال فى رحلتنا فى عام السبعين؟. ولو هبطت لما احسسنا من ثقل النوم الذى حل بنا والجو الزمهريرى - وكانت المسافة طويلة تزيد عن ست ساعات - وما ان اشرق نور النهار حتى رأينا جزيرة ايسلند وهى كالقبة البيضاء - ومنظرها من الجو كما ذكرناه ومن البحر ترى كالصخرة البيضاء المعلقة.. وكان المنظر رائعا حقا انها مظلة بيضاء معلقة فى السماء كما وصفها احد الرحالين وهو فى الزورق.. هبطت الطائرة والتصقت بجدار المطار على شكل مطار كوبنهاجن وخرجنا الى البهو المعد للاستراحة حتى تمت الاجراءات الجوازية ثم الجمركية ثم فناء المطار وقطع تذاكر الاوتوبيس الموصل الى (الترمنال) وهى المحطة الكبرى داخل البلد التى منها يتجه كل سائح الى الجهة التى يقصدها من الجزيرة.

كان صعودى على الاوتوبيس الموصل الى (ريكجافيك) وهى عاصمة الجزيرة الجميلة ومعى عدد من السياح كلهم يريدون العاصمة ولا تنس ايها القارىء الكريم مالا قيناه من هواء مثلج فى الدقائق التى مشيناها من فناء دائرة المطار حتى صعدنا الاوتوبيس فلقد تثلجت وجوهنا ورؤوسنا حتى كأننا ألبسْنا خوذات من الجليد واقنعة من الزمهرير وهذا فى فصل من فصول الصيف. اخذ منا الكمسارى نائب السائق والمحصل للاجرة ما يقارب الالفين من كرونات ايسلند وكنا قد بدلنا الدولارات بعمله البلد فى المطار كما هى العادة والدولار يقارب من عملة البلد وهى (الاورار) وكتابتها بالافرنجية AURAR (وهى مكتوبة على وجه القطعة وفى الوسط رقم النقد ثم كتابة ISLAND وعلى الوجه الثانى التاريخ اى العام الذى ضربت فيه القطعة وفى الوسط صليب وهو هكذا + ومطوقه بغصن الزيتون ومحتفظ ببعض القطع الصغيرة من العملة الايسلندية مع طوابع البريد واما اوراق البنكنوت فلا فائدة من الاحتفاظ بها ثم استعظمت اجرة الركوب لماذا تزيد عن الدولارين الى المحطة الاولى من البلد فقال لى احد السياح ان المسافة بعيدة فهان على الامر - لانى فى الرحلة الاولى دفعت للشركة السياحية ثمن ذلك ضمن التذكرة الجوية.

سارت العربية الكبيرة من المطار الجوى الدولى الكبير



منظر عام لايسلند

«الاوتوبيس السياحى الكبير» الذى يسير بالنفط والتابع للخطوط الجوية الايسلندية الاسكندنافية ويقال لهذا المطار ISLANDAND AIRPORT مشينا على الساحل الطويل والجزيرة كلها جبال ثلجية وترى الطريق وهو كاللسان المحدود فى البحر تحيط به الزوارق والمصانع وترى البيوت الصغيرة على جانبى الطريق وكأنها قباب من الثلج او القلانس الملونة وترى سيقان الزرع غارقة فى الجليد والارض كأنها مفروشة بالملح والثلج ولا ترى ماء البحيرات التى تغطى معظم الطريق الا جامدا والطريق من المطار الى البلد أطول طريق مرَّ بى اذ انتهت خمسون دقيقة ولم نصل الى الترمتال ولقد تغير علينا منظرها كأن العين قد تبدلت بعين اخرى ـ فلقد رأينا اول ما رأينا حين هبوط الطائرة رأينا الجزيرة وكأنها صخرة معلقة تحيط بها الخيام او خريطة معلقة على حائط ابيض اللون أو شماعة جاثمة فوق بساط راكن وعليها اى على فروعها جلابيب معلقة تشبه القرانيق وقد أجاد الشاعر القطبى حينما وصفها بـ بالة شاش معلقة فى سماء القطب الشمالى ـ ولما سار بنا الاوتوبيس أحسسنا بقشعريرة على الرغم من تكييفه لاننا تلقينا درسا قاسيا من الزمهرير فى العشر دقائق التى سبقت صعوده ثم احسسنا باننا نمشى فى بحر من الجليد والمستنقعات المتجمدة . . ثم رأينا ما على جانبى الطريق من بيوت ومصانع وماشية وهضاب وتلال وجبال وعربات نفطية كل ذلك مكتس باللون الابيض حتى المزارع والمراعى لا ترى عليهما من حشيش وأبٍّ غير ما تراه من الجليد والماشية تقاسى فى رعيها الامرّين لولا استعداد المكنات والالات التى تنفى الجليد وتنفضه كما تقص الزروع بها وتظهرها خضراء باهية حتى تلتهمها الماشية بسرعة .

وسط العاصمة :

بعد مضى ساعة سيرا متواصلا بالاوتوبيس وصلنا بسلامة الله الى (الترمتال) وهو آخر محطة للاوتوبيس السياحى بالنسبة للمطار ـ نزلنا جميعا وامتعتنا بايدينا ودخلنا الى البناية الكبيرة المكونة من ثلاثة طوابق والاول منها معد للمكاتب وصناديق الامتعة وعفش الركاب .

لكن من حسن الحظ كان هناك سماسرة (ادلاء) على باب المحطة يرشدون السياح الى الفنادق وغيرها من.



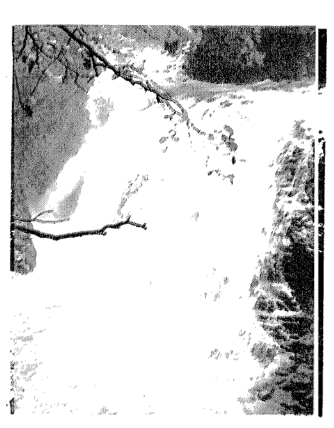
المكاتب التى يحتاجها السائح لقيد جوازه وتذكرته وحجزه وسكنه وكان من نصيبى ـ صاحب تاكسى واقف على باب سيارته الصغيرة ـ قال لى اتريد العاصمة (ريجيافيك) وكتابتها الصحيحة (ريكجافيك) وبالافرنجى كتابتها (REYKIAVIK) فقلت له هذا السير الطويل الذى استغرق ساعة وحتى الان ما وصلنا العاصمة اقول ذلك مازحا ومداعبا لانى اعرف الطريق من الرحلة السابقة لكنى جئت العاصمة قبلا بسيارة صغيرة. اما الان فكان وصولى عن طريق الاوتوبيس وما كنت ادرى ان المحطة الرئيسية لم تصل اليها بعد.

وقصدى من مداعبته الاستئناس واضحاكه حتى اتجاذب معه الحديث.. فقال لى: عندى فندق جميل فى قلب العاصمة اوصلك اليه.. فقلت له: كم تأخذ منى.. فقال: خمسة دولارات.. فقلت له: خذ حقائبى وضعها بداخل الشنطة وانا اركب بجانبك فرحب بى وصعدت الى جانبه ومشينا من جديد الى قلب العاصمة ـ وهذا رسمها:

قلت له فى الطريق: لماذا لا تكون الفنادق بجانب (الترمتال) واقصد به المحطة النهائية للاتوبيس؟.. فقال لا يوجد به الا فندق واحد لركاب الترنزيت (المرور المؤقت) وتابع لشركة (ساس) ثم سألته عن المنازل والعمارات التى فى الطريق لماذا لا تكون الفنادق فى وسطها؟. فقال: جزيرة ايسلند كلها السن بارزة فى البحر وتحيط بها خلجان كثيرة وان شئت فاعتبرها (SPIDER) اى عنكبوت يعنى لها ارجل وايدى كثيرة وكل رجل او يد بها ضاحية وسكان ومصانع واحواض سفن.. وكلامه حقيقى وواقعى:

ثم قال: العاصمة التى هى (ريكجافيك) ولا ينطقون الكاف بل يقولون ريجافيك ـ انها اى العاصمة بالنسبة لهذا العنكبوت هى الصدر ويد واحدة هى اليسرى فقط والباقى من الجزيرة كما تراه ماثلا للاعين ثم اوصلنى الى هذا الفندق وهو فى وسط سوق العاصمة وقريب من المحطات الموصلة للمتاحف والبحيرات ومكاتب السياحة والمعارض وغيرها.. فنزلت ودخلت ادارة الفندق فوجدت فى المكتب رجلا عملاقا طويلا له لحية حمراء وشارب طويل وشعر رأسه متدلى على رقبته.. ابيض الوجه جميل المنظر اسود العينين كأنه تركى وعربى، فقلت له: هل تعرف الانجليزية قال نعم ـ قلت له: اريد غرفة بسرير واحد وفيها تليفون ودفاية (آلة التدفئة) فقال نعم وهو كذلك ثم ادخل حقائبى واوصلنى الى الغرفة واسلمنى مفتاحها.

●● وجدتها نظيفة خالية من الحشرات والسرير كبير عريض فرشه وثير وملاءته حرير ـ والمدفئة الكهربائية بجانب التلفون وبداخل الغرفة كراسى جديدة للضيوف



الـزائـرين والجـرس بجانب الوسادة او المخدة للطلبات المستعجلة ـ ثم قلت للخـادمـة التى تلبى الطلبات هل تطهون للضيوف أم يأكلون فى المطاعم . . فقالت على ما يريـد النـزيـل الزائر . . فسألتها عن الاكلة الواحدة كم تكلف فقـالـت هذه (القـائمـة) وكـانت على المنضـدة فاستغربت وتعجبت حينما اتممت قراءتها وهى على النحو التالى :

وجبة الافطار ١ دولار و٧٥ سنتاً .
وجبة الغذاء ٣ دولار و٢٥ سنتاً .
وجبة العشاء ٤ دولار من غير المشروبات الكحولية .

فقلت لها : وما هى وجبة الافطار فقالت : ملعقة مربى فى طبق صغـير وقطعـة خبز ابيض وقطعة جبن دنمركى وكأس حليب فقط . . فاعرضت عن اكلهم وقررت شراء الطعام من البقالات والاسواق نظرا لهذا الغلاء الفاحش الذى لا يطاق . . اما المبيت بهذه الغرفة فبسبعة من الدولارات .

استـرحت قليـلا ثم خرجت إلى السـوق فوجـدت الأسعار خيالية لا تقارن بأسعار نيويورك ولا باريس ولا كوبنهـاجن فعلمت ان الفنـدق على حق فى رفـع سعر الوجبات . . وهذا الفندق جميل ورخيص ويصلح للسياح المعتادين للسياحة وصاحب الفندق وعائلته من عجائب الجزيرة وان شئت فقل من عجائب الدنيا وعنوان الفندق كالاتى :

(بيت الضيـافـة شارع ١٢ رقم التلفـون ١٩٣٦٧ ريكجيـافيك ايسلند) صيف عام ١٩٧٢ واعلانه المعلق على باب مكتب ادارتـه ـ مكتوب فيه ـ ارخص الغرف وانظفهـا وفى موقـع ممتاز من البلد وهو فى قلب المدينة وبـالافـرنجيـة هكـذا Guest House 12 Tel 19367 Summer 1972 .

● وسنأتى على خبر صاحب الفنـدق قبل مغادرتنا للجزيرة ـ ولما وجدت الاسعار مرتفعة جدا واحتاج الى اقامة اكثر من اسبوع للقيام برحلة من الجزيرة الى جرينلنـــد ثم الـرجـوع اليهـا ثم السفـر الى نيويورك . نزلت الى السوق الكبير واشتريت سمكا وبيضا وخضرة وفاكهة واودعتها ثلاجة الفندق وكان معى اوانى طبخ تشتغل بالكهرباء مثل غلاية الشاى وقدح معدنى صغير كالقدر استعين بهما على السلق والطهو الخفيف المختصر فى حالة وصولى آخر النهار او ضاحية او فى حالة ارتفاع الأسعار فوق الطاقة .

● وفـى الصبـاح المبكـر ارتـديت الالبسة الصوفية وقفلت غرفتى وهى رقم ٣٦ ونقلت آلـة التصـويـر ويسمـونهـا (الكمرا) بالافرنجية ثم اسلمت المفتاح لصـاحبـة الفنـدق وقلت لها اين الرجل الذى كان بالامس هنا ـ قالت انه موظف ولا يجلس هنا الا نادرا حسب ظروفه .

كانت جميلة وباسمة ومجاملة لدرجة انها وقفت منذ بدء حديثى حتى النهاية . . سألتها أين أذهب الان والشمس لم تطلع ـ فقالت تذهب الى شركة السياحة وتندمج مع السياح حتى المساء وترجع الى الفندق للنوم والراحة ـ قلت لها انى جئت الى هذه الجزيرة قبل الان واندمجت مع السياح ووقفت على كل شىء فقالت ولو ـ فقلت هذا رأيك قالت نعم ـ وكانت اذا كلمتنى تشـيرق فى كلامهـا ـ اى تعـتريهـا الشـرقـة وتسميها العامة هنا (الفهيقة) بضم الفاء وكسر الهاء المشـددة والشرقة هى الفصحى ولنفس التسمية كما يقول الشاعر:

لو بغــير المــاء حلقــى شرق
لاسـتـغـثت اليـوم بالمـاء الحميم

زوجها موظف جامعى :

ونحن فى الاخذ والرد معها خرج زوجها من الغرفة المجاورة للمكتب لابسا (بدلة) جديدة وقد كان بالامس لابسا لبسه المفضل . والبدلة كلمة تركية عامية استعملتها العـامة فى مختلف البلدان العربية لعدم وجود ما يقابلها



بالفصحى لانهـا من الازياء الاوروبية وتركيا من احدى الدول الاوروبية ولم تكن البدلة من الازياء العربية.

وكنت اظن ان المتكلمـة خادمة او موظفة لكن ظهر اخـيرا انها زوجة صاحب الفندق وحالا اسلمته المفاتيح واستأذنت منى تأدبا ودخلت الى الغرفة التى خرج منها زوجها.

● **قلت له الا تذهب لعملك؟ .** . قال الساعة التاسعة والان الساعة لم تتجاوز السابعة وعلىَّ انتظارها هنا كنائب لها حتى تفطر مع اولادها ليذهبوا الى المدرسة ثم تعطى طفلهـا الـرضيع الى المربية وتنهى اعمال المنزل ثم تخرج لتحل محلى وانا اذهب الى الوظيفة.

محاورة مع الموظف:

ولما كان الباقى له من الميعاد اكثر من ساعة تشاورت معه كما تشاورت مع زوجته وقلت له هل اذهب الى مكتب السياحة واندمج مع السياح ام اذهب بمفردى؟ . . فقال: ان سبق لك الذهاب فلا تذهب لان الجو بارد ولافح وخذ مثالا لذلك ـ قف على باب الفندق من الخارج قليلا ثم ارجـع . . فخـرجت فوجـدتـه زمهـريرا كأنى امام سبع ثلاجات فدخلت مهرولا . . فقال: ماذا تصنع لو ذهبت مع الشركة ـ قلت له وانا قد وصلت الى هنا فى صيف عام السبعين وتجولت مع السياح لكن الجو كان اهدأ وأدفأ ـ فقـال نعم بعـد شهر تماما سيكون أخف وطأة من الان قلت: اذن ماذا افعل الان واخبرته بمقصدى وهو السفر الى جرينلند لاتمام الوقوف على حالة البلاد والاسكيمو لانى قد تجولت فى بعض بلدانها الغربية والجنوبية فى العام الماضى ويبقى لى البلدان التى تقابل وتواجه ايسلند ـ ثم ارجع من هناك الى هنا ثم اتهيأ للسفر الى كندا وامريكا.

فقـال: من فضلك اجلس هناك واشار الى الكراسى التى فى بهو الفنـدق الصغـير وهى معدة لاستراحة نزلاء الفنـدق فذهبت وجلست وطلبت من الكافتيريا الخاصة بالفنـدق فنجـانـاً من القهـوة وجاء الرجل الفاضل الى جوارى على الكرسى المقابل وقال مادام ما هناك زبائن أى نزلاء وانا فراغ من العمل الان لانى ذاهب الى الجامعة ـ فسأزودك ببعض النصائح فقلت حبا وكرامة.

وكان هذا الرجل يشرق فى كلامه مثل زوجته بالضبط فأخذتنى الشفقة عليه وقلت له: ألا تشرب قليلا من الماء او تنظـر الى السقف كما هى العـادة عندنا لتذهب عنه **(الفهيقة)** أو الشرقة . . فقال: لماذا؟ . فقلت له لتذهب عنـك هذه فقـال ـ هذه غريـزة وطبيعـة من حين البدء والنشـوء . . انـا وزوجتى وبنـاتى ومعظم سكان الجزيرة فأخـذتنى الـدهشة لذلك ولم اصدق وظننت انه يهازلنى ويمزح فسكت مجاملا ومصانعا . . ثم قلت له ماذا افعل ـ فقال قل لى عن كل رغباتك وهذا الدليل الخاص الهاتف بين يدى.

جمـال رائـــع:

وبينـما هو يحدثنى اجمل الحديث واحسنه اذ خرجت (كاعبان) من الغرفة وبأيديهن الكتب المدرسية وكأنهما قمر السـمـاء اذا تبـدى فبهـرت من حسنهن وقلت له لعـل الحسنـاءين يمتان لك بصلة فقال هما بنتاى واعطى كل واحـدة منهن نقـودا ايسلندية وكلمهما باللغة الايسلندية فرددنا عليه والشرقة (الفهيقة) تعارضهما فى التكلم . . ثم خرجنـا الى المـدرسـة بعـد ما سلما علىَّ وعلى ابيهما . . فتملكتنى الـدهشـة من هذه الشـرقة (الفهيقة) التى فى الاب والام والبنات وبدأت اصدق كلام الرجل أو قلت لعل العائلة هذه بالذات فيها هذه العاهة واراد ان يغطى ـ فقال معظم اهل الجزيرة بهذه الشرقة . . وقلت فى نفسى سأخصص وقتا لاعرف حقيقة هذه العائلة ـ ثم قلت له **هل زوجتك من ذوى القربى بالنسبة لك؟** فقال: لا بل هى من مدينة أخرى من ايسلند فزادت حيرتى وازدادت دهشتى وقلت لعله يصدق وما اظنه كاذبا ـ ثم جاء ميعاده

وخرج وكانت الزوجة قد استلمت مكانه وجلست على كرسيه وقالت لى ماذا قررت فقلت لها بما قاله زوجها وانى اعتمدت رأيه والصواب فى مخالفتها.

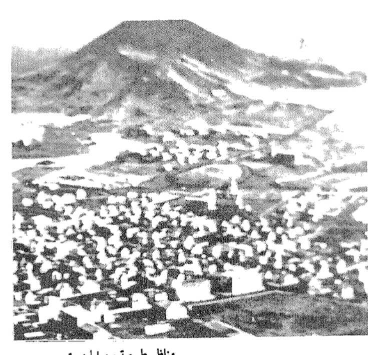
حديقـــة البـــط :

وكانت الشمس قد دخلت فى البهو وهى رأد الضحى فسلمت وخـرجت وناديت على (تكس) وهو عبارة عن بيت صغـير من الحـديـد يتسـع لستـة اشخاص ويسير بالنفط: فوقف التكسى فدخلته وقلت للسائق اذهب بى الى بحيرة البـط لانهـا على مقربة من مكاتب الخطوط الجـويـة بداخـل البلد فسار بى الى البحيرة وهى بحيرة صنـاعية تحيط بجزء كبير من خليج العاصمة وفيها البط بانـواعـه واشكـالـه والوانه واحجامه وتحيط بهذه البحيرة حديقـــة صغـيرة ذات زهــو ومن ورائهـا حدائق شعبيـة وحوانيت بيع وشراء.

■ وصلت الى البحـيرة وحـاسبت التـاكسى ومعى من المأكـولات النـاشفة ما يغذينى فجلست امام البط مثلى ومثـل سائر الناس آكل وأقذف للبط بها تيسر فيلتهم ما يلقى اليـه لصغـاره ويعلمهم السبـاحة ويناديهم بصوته الخافت فينغمون فى الماء ثم يناديهم بصوت موسيقى بطى فيخرجون واقفين وهكذا ـ وكل بطه بها لديها من صغار فوق الماء وتحت الماء ـ وهذا البط محرم صيده واقتناصه.

وفى السـاعـة الخـامسة بدأت مكاتب الخطوط تفتح ابوابها ذهبت الى مكتب الخطوط الايسلندية وسألت عن موعـد سفـر الطـائـرات الى جرينلنـد فأجابتنى الموظفة بالمكتب ان الطيران فى الاسبوع مرتين وسألتها عن سعر التذكرة ذهابا وايابا فقالت (خمسة وثمانون دولارا) وسألتها عن المسافة فقالت (اربعون دقيقة) وبعد ما سجلت هذه المعلومات رجعت الى فندقى قبيل الغروب.

وبعـد صلاة الجمـع جلست اسجـل ما شاهدته فى نهارى من اوله الى آخره وقد حان المغرب وبعد الصلاة نزلت الى مكتب الفندق فوجدت المدير المحترم قد جلس فى المكتب بمفرده.

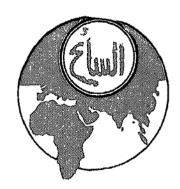


مناظر طبيعية من الجزيرة

محاورة ثانية :

فقلت له هل لى ان اسألـك وهل عندك وقت للاجابة فقال مادمت منفردا وليس لدى ما يشغلنى من نزلاء او كتابة فلك ما تريد ـ وكانت المفكرة بيدى فاخــرجت القلم وسألتـــه عن عمـره فقـال: ست واربعون سنة واسمه «ليكول بايم». . وهو من اهل الجزيرة الاصليين وزوجته تصغره بست سنوات وله من البنات ما رأيتهما فى الصباح. . وعنده طفل رضيع شقيق للبنـات واجهضت امـرأته مرتين وهو مسرور بالطفل. . وهو موظف بكلية البنات بالعاصمة ولديه شهـادة جامعيـة ويتنـاوب ادارة مكتب الفنـدق مع زوجته وبنتيه ويذاكر لهما دروسهما فى حالة فراغ الام واستلامها المكتب بعد نوم الطفل والمربية.

سألته: كيف يجمع بين العمل والوظيفة فقال كما ترى ليس لدى تكلف فى ذلك. . قلت له من هو صاحب هذا الفندق. . فقال: هذا ملكى انا وزوجتى وعندى غيره ـ فقلت له كيف يعيش النـــاس فى هذه البـلاد من غلاء الاسعـار وهـل بها من الاجانب من يشتغل بالتجارة. . فقال هذه الجزيرة لا يستطيع ان يقيم بها الاجنبى مطلقا وكل من فيها هم اهلها الاحرار الذين سكنوها من لدن اجدادهم.



الكتابة المقلوبة :

وفى اثناء المحاورة خرجت البنتان من الداخل ويحملن الكتب المدرسية ليكتبن الواجب المدرسى وليذاكر لهما ابوهما . . وجلستا فى البهو واستأذن منى ابوهما فخرجت لرؤية البلد ومعرفة البرامج الليلية ولكن الهواء المثلج لفحنى لفحة زمهريرية منعتنى من تجاوز عتبة باب الفندق فرجعت القهقرى مقهورا ولا ادرى ماذا اصنع وكيف استفيد من هذه السياحة التى حسبت علىَّ وأنا كالسجين لا استفيد من الليل شيئا كأنى حبيس القفص كالعصافير فى اقفاصها راكدة . . ولما دخلت لاطلب مفتاح غرفتى من المدير المثقف قال لى اظنك لم تستطع مغادرة المنزل فقلت طبعا ـ قال اطلع الى غرفتك واخلع ملابس الخروج والسهرة واقض مطالبك مما لابد منه ثم انزل الينا لنقضى السهرة معا وحتى اكون قد فرغت من مذاكرة بناتى ويقصد بجملة مالابد منه (العشاء) فصعدت وولجت الغرفة وانهيت كل شيىء فى خلال نصف ساعة ونزلت الى البهو فوجدت صاحب الادارة لم ينته من مذاكرة البنات . . وجلست على كرسى بجانبه ولاحظت ان البنتين تكتبان بالمقلوب ومن اليمين وبسرعة زائدة وباليد اليسرى . . فقلت لابيهما (الفهيقة) اى الشرقة عرفناها وعرفنا قصتها وما بال هذه النادرة فقال من الوالدة ـ ان ام البنات تكتب كذلك ـ اما انا فأكتب من اليسار ولا اقلب الكلمات لكن والدتهن عندها هواية من الصغر بمثل ما رأيت وشبت على ذلك وها هى تكتب امامكَ . . ثم نادها فحضرت فقال لها اكتبى سطرا من الادب فكتبت مثل كتابة بناتها ـ فقلت له ولماذا البنات يكتبن مثلها . . فقال حب التقليد والاولاد اول ما يقلدون فى هذه الدنيا الاب والام . . فاندهشت جدا من هذه الظاهرة العجيبة التى تحير الافكار وتعتبر لغزا من الالغاز.

صورة :

صورة لابد منها ـ نظرا للاسباب التى ذكرتها طلبت من هذا الوالد العجيب ان يتكرم باعطائى صورة لام البنات والبنات وهو معهم ـ فقال لماذا ـ قلت له دعاية للفندق ولنشرها فى جرائد البلاد العربية ليعلم العالم ان فى هذه الجزيرة جمالا وادبا ومميزات كثيرة لا توجد فى غيرها فاذن على شرط ان اكون معهم فى الصورة فوافقت ـ ثم نادى على احد النزلاء فى فندقه فحضر واخذ لنا صورة تذكارية .

● ثم قلت لحضرة المدير كيف اتمكن من السياحة ليلا أو نهارا مادام الجو بهذا الشكل فقال : فى الصباح ان شاء الله تخرج مع ابن اخى الذى سيحضر الان لزيارتنا وتركب عربيته النفطية ويذهب بك الى معرض القبعات (القلانس) لتشترى قبعة (سعفية) اى مصنوعة من سعف النخيل ونخيلهم جوز الهند والفوفل ـ لانك اصلع ولا تتحمل قسوة الجو الثلجى فشكرته على ذلك ونحن فى الحديث اذا بابن اخيه قد حضر ودارت المناقشة وحصل التعارف وقال ـ من حسن حظك انه من صباح الغد تبدأ الصيفية وتقفل المدارس فانا وهذا ابن اخى تحت امرك وعندنا سيارة صغيرة وليس عندنا من اى عائق يحول بيننا وبين قضاء رغباتك ـ ثم قال وهذا ابن اخى فى السادسة عشرة من عمره وهو فى الجامعة يدرس فى السنة الاولى فقلت له وهذه من الغرائب ايضا ان ابن ستة عشر يكون فى الجامعة .

● قال لا تستغرب فسكان ايسلندا كلهم مثقفون حتى كناس الشارع مثقف وبيده شهادة فالامية لا تعرف فى هذه البلاد ـ والكناسة وغيرها من الصناعات الحقُيرة اصبحت تستخدم بالالات الحديدية والكهربائية . والشهادات انواع والمدارس كذلك فالتلميذ البليد يدخل مدارس الصنائع والفنون ليتعلم صنعة او فنا يستعين به على الحياة فى هذه

البلاد وان لم يوفق يذهب الى الصيد البحرى او البرى او يكون عاملا فى المصانع أو بحارا بالسفن او جنديا مناضلا .

بروفيسور آخـــر :

وقبل ان تبدأ السهرة حضر قريب له وهو برفيسور كبير أى استاذ كبير باحدى الكليات وعرفنى به وعرفه بى ثم قال الان طابت السهرة وسيمدك اخى بجزء

من معلوماته عن هذه الجزيرة فقلت ولكنى اعرفها من قبل وسجلت ما قيل لى عنها عن طريق المرشدين الذين كانوا برفقتنا فى عام ١٩٧٠ فقال ولكن (ولا ينبئك مثل خبير) .

القهـوة الايسلنديـة :

واديرت علينا كؤوس القهوة الايسلندية فى اكواب كبار ممزوجة باللبن ـ فقلت للبرفيسور هل حصل احد

من سكان جزيرتكم على جائزة نوبل فقال نعم ـ ثم قال ـ لا تنظر الى هذا الشعب الصغير بمؤخرة عينك بل تحقق وتيقن ان هذا الشعب على الرغم من كونه مزارعا وحارثا وراعيا وفلاحا الا انه بطريق الوراثة نال واستحق ما نالـه واستحق من مجد ـ هذا الشعب الصغير باغت العالم بمخترعاته وصناعاته ليس من الان فقط ولكن من قبل ثلاثة عشر قرنا .

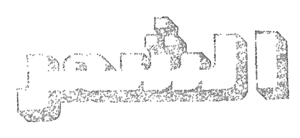
والايسلنديون لهم مهارة واصحاب صناعة وتجارة مع جيرانهم من اهل الشمال والقطب الشمالى ومنهم من حصـل على الجـائـزة الدولية العالمية ومنهم من

تحصـل على درجـات الاستحقـاق الـرابحة فتقلد الـوسام وتحصل على جائزة نوبل ـ وهذه العاصمة الصغـيرة انجبت رجـالا افـذاذا ـ فتحـوا اجواءهم لطـائرات العالم وبحارهم لسفن القارات واستقبلوا السياح والتجار والمكتشفين ـ وجهزوا المساقط المائية باحدث الالات وتغلبوا على الجليد وذللوا العقبات

وتحملوا وصبروا وقاسوا الامرين حتى بلغوا المجد والقمة .

عـــدد الســـكان :

ثم سألتــه عن عدد سكـــان جزيـــرة ايسلنـد بالضبط . . فقال : آخر تعداد لسكان الجزيرة كان فى الشهر الماضى وقد بلغ مائتى الف وبضع مئات وهم مفـرقـون فى طول الجزيرة وعرضها مدنها وقراها . . وأعظـم مدينـــة مزدحمـة بالـسكـــان هى مدينـــة (ريجكيـافيـك) وهى العاصمة واجمل مدينة بالجزيرة وقـد يصـل سكـانهـا الى ربـع المجمـوع من عدد السكان . . وهى مشهورة بجمالها الطبيعى وخلجانها الكثيرة وعماراتها الناطحة ومصانعها الكثيرة ـ وفنادقها الفخمة ـ ومزارعها ومراعيها واحواضها الكثيرة التى تبنى فيهـا مجموعة كبيرة من السفن الصغيرة وسفن الصيـد والزوارق البخارية وبلاجاتها العديدة على سائــر شواطئهـا الكثـيرة والبـلاج هو قسم من اى شاطىء كان ـ يخصص للسبـاحة والرياضة الرملية الشمسيـــة . . وقـــد تبنى بعض الغـــرف الخشبيـة المصندقة حوله ويسمونها بالشاليهات . . وهى كما قال البروفيسور ـ قطع من الارض متجاورات مزروعات وغير مزورعات ـ مزروعات تسقى بماء الانهار الكثيرة العذبة وغير مزروعات ترسو وتثبت فى قرارها بيوت وعـمارات ومصلى ويفصـل بين هذه القطـع ألسن الخلجـان والـرءوس : وتحيط بالمثلث الجبال الشامخة المكسوة بالجليد وعلى بعد ثلاثة اميال من الشواطىء الايسلنـدية سلسلة جبال على خط واحد من اول الجزيرة لاخرها وكلها جليدية وبعضها بركانى خامد والبعض الاخر هامد ومن دونها جداول مائية لبعض نهيرات صغيرة وغدران يتسرب اليها الماء من فجوات البحيرة الكبيرة التى فى جانب العاصمة على الجهة الشـرقيـة من طريق المطار وعلى بعد ٦ ستة اميال عرضا عند الكيلو عشرة .



السعودي

فى معركة الجلاء من تونس



محمد الصادق عبد اللطيف "تونس"

١٩ يولية ١٩٦١ يوم خالد فى تاريخ الامة العربية عبر فيه الشعب التونسى عن عزمه على تخليص بقية ارضه من المغتصبين الدخلاء الجاثمين على أرض (بنزرت) بقوة السلاح والجيش. . يوم سوف لن يمحى من تاريخ الشعوب العربية المناضلة والتى آمنت بان النضال سبيل الى البقاء والخلود. . والتى وقفت كلها مع الشعب التونسى فى معركته لاسترجاع الارض وتحرير (بنزرت) آخر معاقل الاستعمار الفرنسى بعد مرور خمسة اعوام على استقلال تونس وأى معنى أنبل من البطولة والفداء والتضامن والتآخى. . كان الشعر السعودى سباقا لتدوين هذا التاريخ الادبى للأمة العربية كلها والدخول فى معركة الجلاء مع رجال الادب بالقلم والفكر والكلمة الرائدة المعطاء. . وحين نحاول أن نجلى للقارىء صفحة مشرقة من أدب المعركة المقدسة والتى شارك فيها الادب السعودى مشاركة مكثفة وفعالة وممتازة ايضا، لا نجد بدا من الوقوف على قصائد عصماء شارك بها الشعراء فى السعودية يستنهضون الهمة. . لقد التفتت الشعوب كلها الى هذه المعركة التى ارادها الشعب التونسى العربى تعبيرا عن ارادة الحياة وارادها المستعمر قتلا للحرية وتنكيلا بطالبيها.

لاضاءة معالم الطريق نستقرىء الصحف السعودية الصادرة سنة ١٩٦١ لنعرف أى أدب ذلك الذى ساهم عن ايمان وتجاوب وتلقائية وتضامن فى اثراء الحماس والالتحام ولذلك عد هذا الشعر من ارفع الفنون الادبية اثرا وابلغها عمقا لانه أنار دروب حياتنا الادبية عموما ودون معركة تاريخية يهم مصيرها الامة العربية جمعاء وقد سجلت احداث (بنزرت) لاول مرة فى التاريخ والتى ثبت فيها الشعب التونسى ثبات الرواسى فكسب المعركة رغم اشتداد الهول وعظم الفاجعة وانفتاح افواه الموت.

دخل الشعراء السعوديون الملاحم يتغنون بالبطولات النادرة ويشيدون بموقف التضحية والفداء.. وقد نقلوا أحاسيس الشعب العربى كله الينا عبر الاذاعات والصحف والمجلات.. رددت الاذاعة التونسية قصائدهم فزادت المقاومين ثباتا وصرخت الدماء العربية فى العروق والشرايين.. ولذلك دخلت معركة تونس الى كل بيت عربى من الخليج الى المحيط وكان الشعر لسان المعركة ولواءها الناطق.. وكنموذج لأدب المعركة يظهر على الساحة الادبية اثنا عشر شاعرا سعوديا احتلوا الصدارة فى الترتيب مع غيرهم من بقية الشعراء العرب يومها.

وفى طليعة القافلة الشعرية يطالعنا الشاعر «احمد ابراهيم الغزاوى» باعتباره شاعر العروبة الاكبر بقصيدة عنوانها (بنزرت المجاهدة):

لا الدمعُ يُجدى ولا الآهاتُ تجزينا
تَفجَّر الغيظُ والرحمنُ يشفينا
أغرى العلوجَ بنا التفريطُ فانطلقوا
رَدْحاً من الدهر أشتاتاً يسومونا
إذ السلالاتُ حَيرى فى تفرقنا
والجهلُ ينشرنا طورا ويطوينا
وللهوى والنوى بطشٌ وسيطرة
اللهوُ يوصِمُنا ـ والقهرُ يصمينا

حتى تيقظ منا كلُ ذى كبدٍ
حَرَّى ولَجَّ بنا الايمانُ يهدينا
من المحيط سمعناها مدوِّيةً
إلى الخليج ترانيماً تُناديِنا

والشاعر محمود عارف: يسهم بقسطه.. يلهب النفوس حمية لصفع الاستعمار وفضح خططه وألاعيبه.. وهو بشعره هذا يعزز السيادة التونسية على أراضيها وحقها فى تحرير «بنزرت» هذه قصيده بعنوان: بنزرت المجاهدة.

دَعىّ يرى «بنزرت» من حقِّ غاصب
وما هو إلّا محض زَيْف لكاذب

...

من جديدنا لسنة ١٤٠٧هـ

محاورات فكرية متواصلة يمسها بمداد قلمه الندى ويلمسها بشغاف فؤاده الفني الاستاذ محمد عبد الواحد حجازى فتعبر بقارئنا الحصيف لساحات الفكر.. ومساحات المعرفة

وما يدعى «ديجول» والحق واضح
فسحقا لديجول الدعىّ الموارب
يُريدُ سلاماً والخداعُ سلاحُه
فما ينطلى منه خداع السحائب
هنا مبدأ للسلم والحربُ مطلبٌ
لكل كمىٍّ والردى للمشاغب
وياطالما كنَّا مساميحَ فى الدنا
ولكن فرنسا تنتمى للرواسب
تُكِنُّ عداء للعروبة هل دَرَتْ
بأنَّ حقوقَ الشعبِ رهن الكتائب؟
دمُ الشعب من أبناء بنزرت مهرق
اراقَتْهُ نيرانُ العدوِّ المصاقب
وفى الدم اعطار من النصر تنتمى
لارواح صيد بوغتوا فى الغياهب

●● وكذا الشاعر عبد الغنى مأمون برى من شعراء دار الهجرة ومن اعيانها ونبلائها وقصيدته التى عنونها بـ «ملحمة بنزرت» مملوءة عاطفة وحماسا هى نفس

الاحاسيس التي يتحدث عنها (التونسى) هنا وقد تسامى بعاطفته الى جعل قضية (معركة بنزرت) قضية العالم الاسلامى كله :

الحمد لله هذى دولة العرب
فى أرض تونس تُرْدى كلَّ مُغْتَصِبِ
تُرْدى طغاماً لئاماً لاخلاقَ لهم
فى ذى الدنا غير كسب المال والنشب
تُرْدِى الذى عاشَ فى بنزرت مُطَّلباً
قواعداً فى بلاد الاعْرُب النُّجُبِ

وكم ببنزرت من هيفاء ناعمة
أضْحتْ تُقاسى من الآلام والنصبِ
يا ليت شعرى هل للعرب ماحقه
تغتال من يعتدى فى امة العرب
يا ليتَ شعرى هل لى أن أرى أمما
كانوا ليوثَ الشَّرى فى كلِّ مُنْقلبِ
أم هل أرى تونسَ الخضراء آمنة
من بعد حرب عَوان جاء عن كَثَبَ

● والشاعر عابد ابراهيم الجوفى من شعراء المملكة وأدباء الديار النجدية والذى يعتبر ان العروبة درع لتونس فى ابائها وصمودها وأن وحدة الكفاح من اجل بنزرت تفرض التضامن والصمود وهذه قصيدة بعنوان : «بنزرت عودى» .

بنزرت عودى للعروبة إنَّنا
شعبٌ إذا جاء القتالُ عنيد
بنزرت عودى للعروبة والحِمَى
لن نستكينَ وربّنا معبود
بنزرت بالروح العزيزة تُفْتَدى
ما ضاع حق والحماة أسُودُ
يا شعبنا قل للحبيب وصحبه
سيروا فإنَّا للبلاد جنود
طوبى لتونس والعروبة درعها
فى كل آونة أبى وصمود

يا شعب يعرب لا تقف فى حيرة
ان العدو فرنجة ويهود
قاتل بصبر يا شباب فانه
من حيّ يحى والقتيل شهيد

● والشاعر محمد هاشم رشيد: من شعراء طيبة الذى يقول: العروبة كلها بنزرت فى لجج الجحيم الهادر.. وهو بذلك يترجم عن الاخوة العربية التى أرسى قواعدها الاولى فى دار الهجرة سيدنا محمد بن عبد الله عليه السلام وجمعت المهاجرين والانصار فى لحمة متينة : وفى قصيدته بنزرت الثائرة تلمس هذا :

ثار الحليمُ وضاعَ رُشْدُ الصابر
وهفا الى الغمرات كلُّ مغامِرِ
وتفجَّرت فى (تونس الخضراء) من
حمم اللظى ما ردَّ كيدَ الغادر
(بنزرت) هاهى والعروبة كلها
بنزرت فى لجج الجحيم الهادر

● وكذلك الشاعر حسن صيرفى : من شعراء طيبة المباركة ومن أجوار حرم الرسول الامين يدفعه احساسه الاسلامى الزكى الى أن يجعل من يوم تحرير «**بنزرت**» يوم عيد العروبة جمعاء ومن الذود عن بنزرت ساحة جنود الحق وأنصار السلام إنه تبنى معركة بنزرت وتحدث عنها كانه يمشى بين صفوفها ويتعرض لنارها وحديدها وصدر هذا الاحساس عن روح اسلامية صافية وهذه قصيدته بعنوان (**أنا المكافحة**) :

تنفس الصبحُ وفرَّ الظلامُ
وعدتُ الى الصحو بعد المنام
خادعتُ سجانى وياطالما
اسمعته معسولَ لين الكلام
حتى اذا ما سنحتْ لىَ فرصة
افحمته وهو الد الخصام
نازلتُه بالرغم من اننى
منهوكة الاعضاء بعد السِّقام

● والشاعر ابراهيم جدع من شعراء الحجاز الذى نادى من وراء البحـار والصحارى بأن ارض العروبة للعروبة وحدها وستكون كذلك ما دام فى العرب هذا الاحساس الفياض وهذه الغيرة وذلك الحماس المتدفق هذه قصيدته (**أرضنا العربية بنزرت**) :

بنــزرت قامتْ للكفــاح فمجـدوا
عزم الــشبــاب وقــوة الاحــرار
ثاروا فكــانــت غضبــة عربيــة
لله للاوطــان فى اصــرار
واستشهــد الابــرار فى صولاتهم
نالــوا الخـلود ومنــزل الابــرار
وتطلعت ارض العــروبة فى أسى
وبكــتـهـم الاحــرار فى الأقطَــار
وبكــاهم الاســلام فى عليــائـه
تَبّــاً لُخُبْـثِ الأحمــق الـغــدار

● ومن شعراء الارض المقدسة «الشاعر محمد على قطب» الذى يرسلها صرخة مدوية وشرارة ملتهبة تلتهم العدوان وتؤكد للمعتدين ان (بنزرت) للعرب أجمعين يفديها العرب بدمائهم لأنها فلذة من ارضهم وقلعة من قلاع وطنهم الكبير وهذه قصيدة بعنوان: «**ابطال معركة بنزرت**» .

قلبٌ يئــنُّ وأدْمُــعٌ تترقــرق
تبكى جنــودا فى الــوغى تتمــزق
أبتِ الكــرامةُ فيهمـوا ان يُظْلَمـوا
ودم الـعــروبــة فيهمــو يتـدفق
لا يرهبــون لقــا العــدوِّ وبأســه
أو يفــزعــون لما يخيــف ويحــدق
يحمــون عن اوطــانهم وديــارهم
ويــدافـعــون وقـلبهم يتحــرق
والغـاصب المأفـون يمعن فى أسى
فى جوره يردى المئــين ويــزهــق
لا من ضمــير وازع يلوى به
عما يشــين ولا يفــيــد المــنطــق

● والشـاعـر عبـد الرحمن رفة من أدباء طيبة دار الهجرة ومهبط الوحى يترجم عما يجيش به صدر كل مسلم أبىٍّ وعربى مقدام وهذه قصيدته بعنوان (**بنزرت المناضلة**) :

بنــزرت لا تبكى الشباب إذا هموا
هبــوا فداء للحــمــى والــدار
فالمــوتُ فى سُوْح الفــداء كؤوسـه
عنــد الأبــاة مذاقــهــا كالآرى
يتســابقــون الى ارتشـاف رحيقـه
فى طعــنــة او وثــبــة من ضارى
يتنــازعــون لدى الجــلَادِ شرابَها
والمــوت أخــلد للفتــى المغــوار

● والشاعر «**على حسين عويضة**» من مدينة الرسول الاعظم يرسل صيحات متتالية كى يهب العرب اجمعين لنصرة تونس وشد أزرها. وهذه قصيدة بعنوان «**صيحة الحق**» .

إلام المعــتــدى البــاغـى الأثـيم
يجور وفــيــم يغــتر الــلئــيــم
فيــسـفــك من دم الاحــرار ظلما
بتــونس والجــزائــر ما يروم. .؟
يســومهم العــذاب وليس يخشى
عواقــب يوم يجتـمــع الخـصــوم
ويــوم ينــادى ربّ العــرش فيــه
جزاؤك أيهــا الطــاغـى الجـحـيم

● والشـاعر «**ماجد الحسينى**» من شعراء المدينة المنورة يعبر عما يجيش فى اعماقه نحو بنزرت والعروبة .

(بـنــزرت) لا اشــكــو ولا أتألم
الصــامــدون بَنــوك مازالــوا هُمُ
والـليث ما عرف الشكــاة ولم يهن
يومــا ومـن داس الـعــرين يحطم

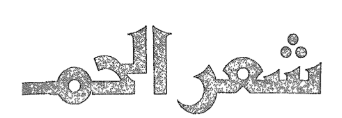
لَبـى نداءك كل حر فى الـورى
ومشـى اليـك وقلبـه يتضـرم
والحـر فى أى الـبـلاد يروعـه
ما روع الحـر الابـىّ ويـكـلـم
وبنـو العـروبة لو تنـاءت دارهم
(شـعـب) توحـده القلوب وتحـزم

● وخاتمة الوجوه الشعرية هذه الشاعر: «**محمد كامل خجـا**» من أدباء المدينة المنورة الذى نطق بلسان الأمة التونسية جمعاء فكان حقا الرجع الصادق. . وقد نجح فى رسم هذه اللوحـة النـاطقـة أعظم نجـاح وهذه قصيدة بعنوان: (*ساعة . . فى بنزرت*):

من ملجأى أنا وصبيتى الصغار
أبوهم أمس انتهى تدريبه وانضم للجنود
وجاءنى مودعا وقال فى اختصار
(أنا مسافر) وقَبَّل الصغار

وقيمة هذا الشعر انه كان الجسر المتحرك الذى قوى اللحمة الاخوية بين الشعبين السعودى والتونسى اولا ثم زكى الادب العـربى بهذه التداخلات الواقعية الصادقة فكان بحق اسهاما فى أدب المعركة التحريرية ولسان حالها المعبر عنها. . وكفاهم فخرا إنهم دونوا هذا التاريخ للامة العـربيـة جمعـاء فأعطـوا المثال عن صدق الرؤيا وبلاغة الاحسـاس والتجـاوب الانسـانى كأروع مثال للتضامن والتآخي والتآزر. . وما كان ليقرأ هذا الشعر أو يجمع لولا الصحف السعودية التى نقلت عواطف الشعراء هناك ثم جريدة الصباح التونسية التى واكبت المعركة وغذتها بهذه القصائد ثم كتابة الدولة للاخبار والارشاد التونسية التى جمعتـه وكـونت مع غيرهـا عكـاظية شعرية صدرت سنة ١٩٦٣ بعـد حصول الجلاء التام وبسط النفوذ الادارى على بنـزرت من طرف السلطة التونسية وبمناسبة أعياد الجـلاء السنـويـة يذكـر ولا شك شعراؤنا العرب ومنهم السعوديون هذه المدينة المناضلة بما عهدوا عليه من وفاء للماضى ـ للقيم ـ للبطولة ـ وقد دونوا التاريخ بما كتبوه من أشعـار دخلت التـاريخ مع دخـول بنزرت عالم التحرر والانعتاق بعد استعمار دام ثمانين سنة.

وكفى شعراء العربية السعودية فخرا أنهم ساهموا فى تدوين التاريخ الادبى لتونس المعاصرة بما أعطوه لها من



تغنى الشعراء العرب بالأمجاد والبطولات العـربيـة قديـما وحـديثـا وحفل ديوانهم الشعرى بصور ناصعة من مفاخرهم ومآثرهم.

ففى العصر الجاهلى طبعت الحياة البدوية القبلية التى عاشها العرب فى بيئة صحراوية قاسية العلاقات بين القبـائل العربية بطابع الصراع من أجل البقاء فكثـرت الحـروب بين هذه القبـائل وسجلت (أيام العـرب) صورا حافلة لتلك الحروب التى جسدت علاقات الصراع بين القبائل العربية.

ولقد كان من أهم أسباب هذا الصراع تنافس القبائل العربية على موارد الكلأ والماء اذ كانت هذه الموارد تمثل مصدر الحياة العربية التى كانت تقوم على رعى الابل والأغنام.

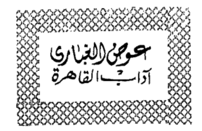
لقد آمن العرب فى العصر الجاهلى بمنطق القوة كى يواجهـوا قسـوة الطبيعـة من جهة ولكى يكونوا قادرين على الحيـاة فى مجتمـع دانت السيطـرة فيـه للأقوياء من جهة أخرى.

وواكب الشعـر العربى هذا الواقع الذى عاشه

نبض الوجدان وعصارة الفكر فلا تصنع ولا مجاملة فكانوا بحق علامة مضيئة فى أدبنا الحديث بما قدموه للقراء العرب من انتاج فكرى قيم وعطاء شعرى هادف.

هذا الذى قدمته فى هذه الصفحات وللقراء حكمهم وحيث لا شعور فلا فكر ـ وحيث لا فكر فلا بيان وحيث لا بيـان فلا أدب والشعـور والفكـر والبيـان (على رأى ميخائيل نعيمة) اذا تواجدت كان صاحب الاثر كاتبا وهذا ما نطقت به القصائد وعبرت عنه فلذلك حفظتها الايام وروتها الاقلام.. واستنطقتها الاحداث.

...اسة فى الأدب العربى



عوض الغبارى
آداب القاهرة

العرب فى العصر الجاهلى اذ كان للشاعر الجاهلى منـزلـة رفيعـة بين قومـه.. فقـد كان لسانهم المعبر عنهم.. وكـان شعـره صدى لافتخـارهم بقـوتهم وسيطرتهم وشجاعتهم فى الحروب.

وذخـر الشعـر العـربى ـ نتيجـة ذلـك بمعانى الحماسـة ـ ومعنـاهـا الشجاعة التى تمثلت فى فخر الشاعر بقبيلته وتجسيده لمظاهر سيادتها وقوتها ومكانتها بين القبائل الأخرى على نحو ما نجد فى معلقة عمرو بن كلثـوم اذ تعد هذه المعلقة صورة واضحة لذلك الشعر الحماسى.

ولم يقتصر شعر الحماسة العربى على معانى القوة ـ فى مظـاهـرهـا المـادية المتمثلة فى البطولة الجسدية ـ فحسب بل ارتبط هذا الشعر ايضا بصور الفروسية العـربيـة التى استمدها الشعراء العرب من العرف والعـادة والتقليـد العـربى الذى تميز بمجموعة من الصفـات الأخـلاقيـة كان العربى يتمسك بها كل التمسك ويحرص على ألا يخل بها.

لقد تميز الفارس العربى ـ الى جانب ما تميز به من قدرة على القتال وما تميز به من قوة جسدية تمكنه من ممارسة هذا القتـال وقـدرات تؤهله لأن يكون فارسا مثل البراعة فى استخـدام ادوات الحـرب كالسيف والـرمح أو المهارة فى ركوب الخيل اذ ان اسم الفارس مقترن بالمهارة فى ركوب الفرس والقدرة على استخدامه فى القتال بمجموعة من الصفـات الخلقيـة التى مجدت معـانى الأخلاق الرفيعة والمثل العليا والخصال الكريمة كالشجاعة والكرم.

ولقد استمد الشعراء العرب هذه المعانى التى تتعلق بالفروسية العربية فبثوها فى شعرهم الحماسى.. ولقد مثل عنترة بن شداد هذه المعانى فى شعره أروع تمثيل.

لقد حرص العـربى ـ كما اسلفنـا ـ على التمسـك بمجموعة من الخصال الكريمة كالشجاعة والكرم والعزة والاباء والحلم والوفاء والكرامة والشرف وحماية الجار واغاثة الضعيف وحماية النساء والأعراض ورفض الضيم والذلة

والهوان وكان اى مساس بصفة من تلك الصفات يمثل لدى العربى عارا ومثلبة لا نظير لها.

ولقد حفل ديوان الشعر العربى بتصوير هذه المعانى الحماسية احتفالا جعل اكثر هذا الديوان يدور حول هذه المعانى اذ تعد الحماسة العربية اكثر الموضوعات الشعرية دورانا فى ديوان الشعر العربى مما جعل ابا تمام الشاعر العباسى المعروف يسمى مختاراته الشعرية باسم ديوان الحماسة على الرغم من ان موضوع الحماسة هو موضوع واحد فقط ضمن موضوعات عديدة من مختاراته.

فشعر الحماسة اذن هو صوت الشاعر العربى الذى تغنى بكل ما يعتز به من صفات القوة والفروسية والبطولة والانتصارات والقيم الرفيعة والخصال الحميدة ـ التى يضمها معنى جامع هو معنى (المروءة) وهو كذلك صوت الشاعر المدوى يهجو أعداءه بكل ما يناقض تلك الصفات الكريمة التى سبق الاشارة اليها اذ كان الشاعر يهجو خصمه بالجبن والبخل والمذلة والقعود عن الهمم واستمراء الضعف والفرار من القتال وعدم الغيرة على النساء وكل ما يناقض معانى المروءة.

فالشاعر العربى يبث هذه المعانى الحماسية فى فخره بقبيلته وفى فخره بذاته وفى مدحه للسادة من قومه وكذلك فى رثائه لهم(1) كما يهجو خصومه بنقيض هذه المعانى لذا فقد كانت الحماسة هى المعين الذى استمد منه الشاعر العربى معظم صوره فى مختلف موضوعاته.

واذا كان بعض النقاد القدماء قد جعل الحماسة غرضا من اغراض الشعر العربى فان هذا الموضوع كان اهم هذه الأغراض الشعرية بل اوسعها انتشارا وتداخلا مع الموضوعات الشعرية الأخرى كالفخر والمدح والرثاء والهجاء فهو يشمل هذه الموضوعات جميعها بردائه.



ارتبط مفهوم الحماسة العربية ـ اذن ـ بالشجاعة فى الحرب وبالمثل والمبادىء الأخلاقية فى السلم.. وصور الشعر العربى هذه المعانى مجتمعه ففى معلقة عمر وبن كلثوم ينطلق صوت الشاعر متغنيا بمآثر قبيلته مفتخرا بسيادتها وقوتها حيث يقول:

وقد علم القبائلُ من معدّ ... اذا قبب بأبطحها بنينا

بأنّا المطعمون اذا قدرنا ... وأنّا المهلكون اذا ابْتُلينا

وأنا المانعون لما أردنا ... وأنا النازلون بحيث شينا

● فيجعل الشاعر قبيلته مشهورة بين القبائل العربية بكرمها لضيوفها وبأسها فى قتال الأعداء وارادتها القوية بين الناس وقوتها التى تجعلها تنزل حيث شاءت من بلاد العرب.

● ثم يعدد الشاعر بعض الصفات التى يتصف بها ابناء قبيلته فهم لا يحكمون المال فى علاقاتهم مع الآخرين اذ لا يقبلون عطايا من يسخطون عليهم فى حين يتقبلون هدايا من يرضون عنهم.. وهم يمنعون جيرانهم ما أطاعوهم فاذا عصوهم عزموا عليهم فقاتلوهم وعادوهم.. وهم من القوة بحيث يأخذون من كل شيىء افضله ويدعون للآخرين ارذله.. فهم السادة والقادة وغيرهم اتباع وهم يأبون الذلة والهوان فاذا أكره الملك الناس على ما فيه ذلهم أبوا على أنفسهم أن يطيعوه اذ كيف يقبلون الضيم وهم من الكثرة والقوة بحيث يملأ فرسانهم طباق الأرض وتملأ سفنهم عباب البحر فيضيق البر عن بيوتهم والبحر عن سفنهم.. وهم من السيادة بحيث يسجد الجبابرة لأصغر صبيانهم.

■ وعلى هذا النحو تمثل معلقة عمرو بن كلثوم معانى الحماسة العربية التى سجلها شاعر ارتبط بقبيلته ارتباطا وثيقا فصار متحدثا بضميرها.. معبرا عن مفاخرها.. مسجلا لانتصاراتها.. مصورا لبطولاتها الحربية.

● ويعطينا عمرو بن كلثوم فى هذه المعلقة صورة الفارس الذى ينضوى تحت لواء قبيلته . . فليست فروسيته نابعة من احساسه بذاته فقط وليست صورة لشجاعته وخصاله فى حد ذاتــه فحسب ولكن فروسيتــه هى صورة القيم العربية التى تجلت معانيها فى قبيلته تلك القيم التى عبر عنها فى معلقته تعبيرا يمكن ان يكون مثالا للشعر الجاهلى الـذى ارتبطت فيه معانى الحماسة بظروف الحياة العربية وواقعها الحضارى والتاريخى على نحو ما بينا فى صدر هذا المقال .

● يقـول عمـرو بن كلثوم مصوراً بعض معانى فروسية قبيلته فى الحرب :

متـــى ننـــقـــل الـــى قوم رَحَـــانـــا
يكـــونـــوا فى الـلقـــاء لها طحينـــا
نُطـــاعـــنُ ما تراخى النـــاسُ عنَّـــا
ونضـــربُ بالسيـــوف إذا غشينـــا
بسُـــمْـــرٍ من قنـــا الخَطِّـــى لُدْنٍ
ذوابـــل او بيـــض يختـــليـــنـــا
كأن جماجـــم الأبطـــال فيـــهـــا
وســـوق بالأمـــاعـــز يرتمـــيـــنـــا
نشـــق بها رؤوس الـــقـــوم شقـــا
ونـخـتـلـب الـــرقـــاب فتختلينـــا

■ ففـرسان القبيلة يقتلون اعداءهم فيصيرونهم اذا دارت رحى الحـرب طحينـا وهم يطعنـون الأبطال برماح سمر ويضربونهم بسيوف بيض فتتناثر جماجمهم على الأرض ـ الصلبـة كتنـاثر أحمال ابل تسقط فى أمـاكن كثيـرة الحجارة . . كما أنهم يشقون بالسيوف رؤوس أعدائهم شقا كما يقطعون رقابهم .

■ وتتجسد فى هذه الأبيات معانى القوة اذ ان الشاعر يفخر بأن قومه يهزمون الأقوياء الأبطال مما حدا به الى ان يحذر الآخرين بقوله :

ألا لا يَجْهَـــلَنْ أحـــدٌ علينـــا
فنجهـــل فوق جهـــل الجـاهلينـا

■ ولم تخل معلقة عمرو بن كلثوم ـ على الرغم مما بدا فيها من روح العنجهية والعصبية القبلية ـ من معان تمس ذات الشاعر فقد كانت القصيدة صدى لغضبة الشاعر الذى ثار عنـدما علم بأن امه قد اهينت لدى عمرو بن هند وهنا نلاحظ ان للمرأة دورا كبيرا فى الهاب الحماسة العربية فلقد كانت التفاتة الفارس العربى الى المرأة فى أثناء الحرب تثير مكامن الحقد فيه وتدفعه دفعا الى بذل روحه خاصة اذا رآها خائفة فزعه . وقد عبر عن ذلك عمرو بن معد يكرب ـ أحد فرسان الجاهلية فقال :

لما رأيـــت نســـاءنـــا
يفـــحـــصـــن بالمـــعـــزاء شدا
وبـــدت لميس كأنهـــا
بدر الســـماء اذا تبـــدَّى
نازلـــت كبـــشـــهـــم ولم
أر من نزال الـــكـــبش بُدَّا

فقـد أثـار فزع النساء وفرارهن حفيظة الشاعر فأقبل على القتال غير هياب ولا وجل ونازل أقوى الفرسان بل رئيسهم .

✻ ويمثل شعر عنترة بن شداد نموذجا آخر للحماسة العربية يستمد الشاعر معانيها من اعتداده بنفسه كفارس شاعر فرض نفســه على مجتمـع لم يعـترف به فى البداية باعتباره عبدا . . وقد كان المجتمع العربى فى العصر الجاهلى مجتمع السادة لا يعترف فيه بالعبيد الذين كان السادة يتصرفوا فيهم كما يتصرفون فى متاعهم وقد كان عنترة عبدا على الرغم من أن اباه كان من اشراف قبيلة عبس . . ولم يعـترف به ابـوه لأن عادة العـرب فى الجاهلية ألا يعترفوا بأبنائهم من اماء . . وكانت أم عنترة جارية حبشية سوداء وقد أثر عدم اعتراف أبيه بنسبته اليه فى نفسه تأثيرا قويا . . كما كان لسواده تأثير

كبير فى نفسه ايضا . . ولقد كانت حياة عنترة صراعا مستمرا من أجل الحصول على حريته ففاض شعره باحساسه بالظلم الاجتماعى وسعى الى رفع هذا الظلم بقوته وفروسيته التى اشتهر بها . لقد عانى عنترة بسبب وضعه الاجتماعى فصهرته الآلام النفسية التى عاناها فهذبت روحه ورققت مشاعر الحب التى ربطته بعبلة ابنة عمه جوانب نفسه . . فاتخذ من بطولته وشجاعته النادرة فى الحروب وسيلة لاعتراف المجتمع به . . واتخذ مما اشتهر به من تَسامٍ واحساس بالمروءة الكاملة عوضا عن سواد بشرته وعبوديته .

■ ويصور شعر عنتره هذه الجوانب المضيئة من فروسيته أروع تصوير حيث يقول :

بكرتْ تُخَوفنى الحتوفَ كأننى
أصبحتُ عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها ان المنية منهل
لابد أن أسقى بكأس المنهل
فاقنى حياءك لا أبا لك واعلمى
أنى امرؤ سأموت ان لم أقتل
إنَّ المنيةَ لو تمثل مثلت
مثلى اذا نزلوا بضنك المنزل

● ويقول من نفس القصيدة :

واذا الكتيبة أحجمت وتلاحظت
ألفيت خيرا من معمم مخول
والخيل ساهمة الوجوه كأنما
تسقى فوارسها نقيع الحنظل

● كما يقول :

ولقد أبيتُ على الطوى وأظله
حتى انال به كريم المأكل

ففى هذه الأبيات الرائعة يجسد عنترة صراعه مع تقاليد المجتمع العربى الذى لم يعترف بنسبته الى ابيه فيتخذ من بطولته سلاحا يواجه به هذا النقص فاذا افتخر المفتخرون بأحسابهم وأنسابهم فهو يفتخر ببأسه فى القتال . وهو الى شرف مكانة ابيه بين قومه يعوض احساسه بالنقص من جهة مكانة أمه ويتخذ من استنجاد الفوارس به شفاء لنفسه المكلومة حيث يقول فى معلقته .

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها
قِيلُ الفوارسِ ويك عنتر أقدم

ويصور عنترة جوانب بطولته فى اسلوب يفيض بالعذوبة والانسانية لأنه يتخذ صيغة الحوار فى رسم صوره فيجعل منها صورا حية خالدة . . فهو يحاور صاحبته التى تخوفه من الموت فيؤكد لها انه لا يخاف المنية وكيف يخافها وهى لو صورت لتمثلت فى صورته ان عليها ان تقتنع بأن الموت نهاية كل حى . . وهو يقنعها بذلك فى أسلوب رائع حيث يقول وهو يحاورها :

فاقنى حياءك لا أبالك واعلمى
انى امرؤ سأموت ان لم اقتل

■ ***ان هذا الحوار الانسانى الذى يديره عنتره فى شعره الحماسى يكسب صوره حياة وحركة فلا يقدم لنا نفسه محاربا صلبا فقط بل يعطينا صورة (الانسان) فى ذلك المقاتل الصلد ولعل حواره مع فرسه يؤكد هذا المعنى ايضا حيث يقول مصورا احتدام المعركة :***

لما رأيتُ القومَ أقبل جَمْعُهُم
يتذامرون كررتُ غير مذمم
يدعون عنتر والرماحُ كأنها
أشطان بئر فى لبان الأدهم

■ *فهو يندمج فى القتال فيقتل الأبطال ولكنه لا يتحول -*

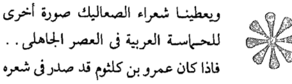
مع ذلك ـ الى فارس قاسى القلب بل ان قسوة الحروب وشدة القتال لا تنسيه ان يشفق على فرسه فيحاوره ويخلع عليه صفات انسانية تعكس حساسية الشاعر المرهفة فعنتره بن شداد ـ اذن ـ نموذج الفارس القوى فى الحرب . . اللين فى السلم لا يقسو قلبه على الرغم من أهوال الحروب التى يواجهها بل يفيض قلبه بالمشاعر الانسانية . . وهو بذلك يعطينا الصورة المثالية للفارس العربى حيث يقول :

ولقد أبيت على الطوى وأظله
حتى أنال به كريم المأكل

فهو عف كريم لا يتدنى . . فالجوع حتى الموت خير عنده من الطعام الخبيث الدنىء . . ولعل شاعرا فى العربية لم يحقق ذلك التوازن الدقيق بين بطولة الحرب وبطولة النفس كما فعل عنترة حيث يقول ـ فى أسلوب يقوم على الحوار ايضا :

أثنى علىَّ بما علمتَ فإننى
سمح مخالقتى اذا لم أُظْلَم
فاذا ظُلِمْتُ فانَّ ظلمى باسل
مرّ مذاقته كطعم العلقم

ففى هذه اللوحة الرائعة يعبر عنتره عن جوانب الفروسية فى اشمل معانيها اذ يجمع فيها بين بطولة الحرب وبطولة النفس فيعطينا بذلك صورة الفارس العربى فى أرفع نماذجها . . فهو يرسم فى هذه الأبيات صورة مكتملة للفارس العربى فهو مسالم لا يقاتل الا حين يشعر بالظلم فاذا شعر بالظلم قاتل قتالا عنيفا فجرد سيفه ورمحه وكر على فرسه وصرع الأبطال وتركهم مضرجين بدمائهم . ثم يصور عنتره نفسه كريما عالى الهمة يحقق الانتصارات ويعف عن غنائمها . . ولعل هذه الصورة الكريمة التى تحلى بها عنترة هى صورة الفروسية العربية (الحقة) فهو لا يستخدم قوته فى العدوان على الناس بل يستخدمها فى رد الظلم عن نفسه الابية .



ويعطينا شعراء الصعاليك صورة أخرى للحماسة العربية فى العصر الجاهلى . . فاذا كان عمرو بن كلثوم قد صدر فى شعره الحماسى عن ارتباطه بقبيلته . . واذا كان عنترة بن شداد قد صدر فى شعره الحماسى عن اعتداده بفروسيته وايمانه بذاته . . واذا كان طرفة بن العبد قد صدر فى شعره الفروسى عن فلسفة معينة للحياة فان شعراء الصعاليك قد صدروا فى اشعارهم ـ التى تمثل لونا من ألوان الفروسية العربية ـ عن تحللهم من قيود القبلية العربية . فلقد كان طائفة الصعاليك لا تتمتع بحماية المجتمع العربى لأنهم كانوا ـ فى أغلبهم ـ اما مخلوعين من قبائلهم أو شذاذاً أو عبيدا أو محترفى صعلكة .



● والصعلوك فى العصر الجاهلى فقير جائع تموج نفسه بثورة عارمة على الأغنياء ـ خصوصا البخلاء منهم ـ اتخذ من قوته وما امتاز به من شجاعة وصبر فى القتال وشدة مراس ومضاء وسرعة عدو وسيلة للاغارة على هؤلاء الأغنياء وسلب اموالهم .

● كانت حياة الصعاليك فى العصر الجاهلى ـ اذن ـ صراعا من أجل الحياة وعلى الرغم من انهم عاشوا على السلب والنهب وقطع الطريق الا أنهم عكسوا فى شعرهم

صورا للفروسية العربية تغنوا فيها بمغامراتهم فصوروا لوحات خصبة لاغاراتهم وارتيادهم منازل الهلاك والحتوف وتفاعلهم مع البيئة الصحراوية التى رسموا صورا حية لمعالمها ولحيوانها.

وكان ابرز هؤلاء الصعاليك عروة بن الورد ـ الذى كان فيما يروى زعيما لهم.. وكان عروة صورة للصعلوك الذى تميز بالمروءة والتعاون الاجتماعى بينه وبين فقراء قبيلته وضعفائها اذ لم يكن يغزو للنهب والسلب وانما كان يغزو ليعين الفقراء والمرضى والمستضعفين.

● ولقد عبر عروة بن الورد عن هدف الصعاليك فى محاورته لأحدهم حيث يقول:

فقلت له: ألا احى وأنت حر
ستشبع فى حياتك أو تموت

● فغاية حياة الصعلوك ان يعيش حياة كريمة.

■ ويرسم عروة بن الورد صورة الصعاليك فى شعره حيث يقول:

لحى الله صعلوكا اذا جن ليله
مصافى المشاش آلفا كل مجزر
يعد الغنى من نفسه كل ليلة
أصاب قراها من صديق ميسر

■ ففى هذه الصورة يبدو الصعلوك خاملا ذليلا مهينا ضعيف الهمة ليس هناك ما يشغله سوى ان يلتقط فضلات الأغنياء فيكتفى بذلك ولا يؤدى الا التافه من الأمور اذ ليس هناك ما يعمله سوى خدمة النساء.

● ثم يقدم عروة بن الورد صورة أخرى للصعاليك حيث يقول:

ولله صعلوك صفيحة وجهه
كضوء شهاب القابس المتنور
مطلا على أعدائه يزجرونه
بساحتهم زجر المنيح المشهر

■ وهنا يرسم عروة الصورة المثلى للصعلوك من وجهة نظره فيجعله بطلا يشرق وجهه بأعماله المجيده يطل على أعدائه فيظفر منهم بكل ما يريد وهم لا يأمنون جانبه اذ يتوقعون اغارته فى كل وقت فمثل هذا الصعلوك يظل حميدا فى حياته ومماته.

ولقد تخلصت الصور الحماسية التى قدمها عروة بن الورد من خشونة المعانى التى قدمها شعراء الصعاليك من امثال الشنفرى وتأبط شرا.. فعلى حين مثل شعر هذين الأخيرين الجوانب الجافة من حياة الصعاليك مثل شعر عروة الجوانب المضيئة الخصبة من هذه الحياة اذ تحولت الصعلكة عنده الى ضرب من ضروب المثل والقيم الرفيعة يعبر عنها بقوله:

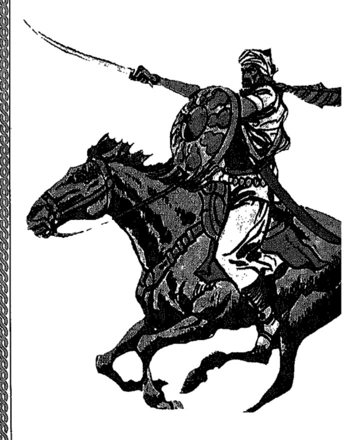
انى امرؤ عافى انائى شركة
وأنت امرؤ عافى انائك واحد
أتهزأ منى ان سمنت وأن ترى
بوجهى شحوب الحق والحق جاهد

● فهو بهذه المعانى الانسانية الرفيعة يعبر عن تضحيته من اجل الفقراء الذين يشركهم قوته ويؤثرهم على نفسه.

وبعد هذا العرض لألوان من شعر الحماسة فى الأدب العربى فى العصر الجاهلى نستنتج ان هذا الشعر كان تعبيرا عن علاقة الشاعر بقبيلته وعن القيم والمواضعات الاجتماعية العربية التى سادت العلاقات القبلية فى المجتمع العربى.

لقد كان شعر الحماسة ـ على اختلاف وجهات اصحابه ـ مرتبطا بالواقع الاجتماعى للحياة العربية فى العصر الجاهلى وكان اروع شعر عربى صاح به الشعراء وهتفوا به مصورين كل قيمهم ومعانيهم.

وما ان ظهر الاسلام وعم نوره شبه الجزيرة العربية حتى تحولت معانى الحماسة العربية من تمجيد لقيم تخص الفرد او القبيلة وتستمد اصولها من عصبية محمومة لاتنى تطلب ثأرا او تبغى عدوانا الى تمجيد لمعان اشمل تضم المجتمع العربى الاسلامى تحت لواء العدل والحق والانسانية اذ صار نشر الدين الاسلامى والفتوحات الاسلامية التى تبعت ذلك - من اهم المعانى التى دارت حولها اشعار الحماسة التى مجدت الدعوة الاسلامية ومبادئها التى تحقق الأمن والسلام لكل البشر كما اصبح الرسول «ﷺ»



الصورة الرفيعة لما ينبغى ان يكون عليه الانسان من خلق كريم.

● وهكذا اخذت الحماسة العربية فى العصور الاسلامية معنى جديدا كما أخذت فى العصور الحديثة ابعادا أخرى نرجو ان يتسع لها حديث آخر.



● *هذا الانسان وما تقوم عليه حياته من سلوكيات وافكار وميول وطباع هل نعد كل ذلك اثرا اساسيا للبيئة التى يعيش فيها ام ان البيئة مجرد جزئية مؤثرة فيه.*

هذه الدراسة الثبتة المتواصلة تطرح هذا التساؤل وتجيب عنه .. مرسلة للمنهل خاصة من قلم الاستاذ الدكتور حسين نصار.

✪ ✪ ✪

● *قديماً كانت الترجمة ينبوعاً ثراً لتبادل الثقافات ولا تزال .. والافكار والأساليب تتجدد عبر هذا الجسر الواصل بين ثقافات الأمم .. وعلى هذا المسار الثقافى يقدم المنهل للقارىء العربى وفى حلقات متصلة بعض اعمال الشاعر الفرنسى «بول فاليرى» التى نقلها للعربية الأستاذ الاديب مصطفى القمرى.*



تقدم إلىّ خلال سنة ١٣٩٠هـ بعض محررى الصحف اليومية بأسئلة تتعلق بالفكر والأدب والصحافة والقضايا الاجتماعية ايضا ـ وكانت على النحو التالى :

س : ما رأيكم فى تعليم الفتاة . وإلى أى المراحل تحبذون تعليمها؟

ج : أحيلك على كتابى (مكانك تحمدى) ومحاضرتى (رفقا بالقوارير) ففيهما الجواب على سؤالك عن تعليم الفتاة وإلى اى مدى ينبغى تعليمها وليس هذا من قبيل الدعاية والاعلان عنهما، فقد نفدت ثلاثة أرباع المطبوع منهما . . وهى نسبة جيدة فى التوزيع .

س : الاساتذة . . محمد حسن عواد . . ومحمد حسن فقى . . وحسين عرب . . واحمد السباعى . . ومحمد فوزى البشبيشى(١) من كبار الادباء . . هم ميولهم ومكانتهم الأدبية المعروفة . اود كتابة تقنين مختصر يتفق ومكانة كل منهم؟ .

ج : كلهم أدباء ملء السمع والبصر والفؤاد . . وانا شخصيا اجلهم واستمتع بانتاجهم الأدبى شعراً ونثراً وقصة وتأريخاً ولهم آثارهم الأدبية الخالدة الماجدة .

س : ما رأيك فى النادى الثقافى المقترح إنشاؤه بمكة؟ .
ج : النادى الثقافى . . فكرة رائعة ولكن التنفيذ لو تم سيكون اروع(٢) .

س: الشروق . . والغروب . . لهما فلسفة وحساسية خاصة فصف لنا ما يوحيه اليك جمال الشروق وحساسية الغروب؟ .

ج : كل شىء فى الطبيعة جميل ورائع وأخاذ . . إذا تأملناه بقلوب صافية خالية



ذكريات ماتعة تتدفق عبر قنوات الزمن فتلد جديدا عبقا مستلا من سجف الحياة الفكرية والأدبية.. لأديب وباحث ومفكر له قيمته وقدره ومكانته.. استجاب بكرم الأحافل لدعوتنا فى رصد هذه (المذكرات) إن صحت التسمية فأفرغ بعض وقته المكثف لتطالع القارىء الحصيف فى حلقات يتضاعف بها عطاؤنا وتتعاظم بها مسيرتنا ونهجنا.

من هموم الدنيا واكدار العيش وشرور الناس.

الغروب - والشروق - والصحو - والغيم - والنجوم - والشمس - والقمر - والبحار - والصخار - وكثبان الرمل - حتى قطعان الماشية وهى سارحة او رائحة.. كلها رائع وجميل وبديع.

س : للغضب.. والرضا.. والفرح.. حدود فمتى يغضب ويرضى ويفرح الاستاذ احمد؟.

ج : للغضب والرضا والحزن والفرح أسباب وموجبات.. لا أستطيع لها فى هذه اللحظة التى تسألنى فيها ان أحصيها عداً.. وانا أسألك اين هى موجبات الرضا واسباب الفرح؟ أما الاخرى فحدث عنها ولا حرج.

س : نرى بعض كتابنا يقومون بنشر إنتاجهم فى أكثر من صحيفة من صحفنا المحلية. الا ترى معى ضرورة التزام الكتاب بالنشر فى جريدة واحدة.. ليتمكن القارىء من متابعة انتاج كاتبه؟.

ج : سبق أن كتبت أكثر من وجهة نظر فى عكاظ عن ضرورة التزام الكاتب بالكتابة فى صحيفة واحدة.. وأكدت ذلك فى مقال نشرته جريدة (البلاد) لان ذلك فى مصلحة الصحيفة - اولا - فلكل كاتب قراؤه المعجبون به المتتبعون لآرائه ونقداته وفى مصلحة الكاتب ثانياً.. من اجل تجويد انتاجه.. لأن الكاتب اذا عمم إنتاجه على عدد من الصحف اضطر تلقائيا - وفى سبيل الاستفادة من مكافآت الصحف المتعددة - اضطر الى السرعة فى الانتاج والاكثار منه والمكثار كما يقول المثل العربى (كحاطب ليل).

س : المعروف ان احمد شوقى قد بويع بأمارة الشعر فهل توافقون على فكرة

المبايعة لأمارة الشعر؟ .

ج : اذا كان بين شعراء العصر الذى نعيشه من يستحق الأمارة . . كشوقى فلا مانع عندى من قبوله . . وأنا شخصيا لا استطيع ترشيح أمير للشعراء لأنى بعيد عن أجوائهم . . وحرام على أن اتدخل فى أمور يجب التفرغ لدراستها وفهمها جيدا . . ليكون الحكم فيها سليما وعادلا .

س : هل استحق طه حسين لقب عميد الأدب العربى؟ .

ج : ارجح أن طه حسين استحق لقب عميد الأدب العربى فى تلك الفترة التى اطلق عليه هذا اللقب خلالها .

س : ما هو آخر كتاب قرأته وما هى النتيجة المستخلصة منه؟ .

ج : آخر كتاب قرأته . . هو كتاب «مجتمع الكراهية» للاستاذ سعد جمعة وهو شخصية اردنية سياسية تولى رئاسة الحكومة الاردنية بعد النكسة حزيران ١٩٦٧ .

وكتابه هذا يتحدث عن المجتمع العربى الذى تسوده وتفتته الأحقاد والمكائد والبغضاء بين شعوب المنطقة افرادا ومؤسسات وقيادات . . الأمر الذى سبب نكسة ١٩٦٧م . . وقد تتاح الفرصة لى لاكتب عنه عرضاً ونقداً ان شاء الله .

وفى هذا الكتاب جوابك على السؤال الأخير عن الحل المنتظر لأزمة الشرق الاوسط او مشكلة فلسطين بصفة عامة . . فهو - اى الحل - العودة الى الاسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً . . وبغير ذلك لن ينتصر العرب على إسرائيل .

وقد كرر هذا الحل . . اللواء محمود شيت خطاب فى عدد من مؤلفاته ومقالاته وهو خبير عسكرى نابه . . ولا ينبئك مثل خبير.

وهذا أديب ناشىء يوجه الى هذه المسائل الأدبية :

س : يلاحظ فى أكثر كتاباتكم المنهج الاسلامى - الا فيما ندر - حتى اصبحتم تلقبون بالكاتب الاسلامى - هل هناك مؤثرات أثرت فى حياتكم وفيما تكتبون؟ .

ج : أما وصفى بأنى «كاتب اسلامى» فهو لقب كبير لا أستحقه كالثوب الفضفاض على جسد نحيل . . وان كان يشرفنى أن يكون اتجاهى أدبيا نحو الفكرة الاسلامية شريعة وعقيدة وسلوكاً وهو ما أرى ان يلتزم به كل أديب مسلم . . فالاسلام دين الفكر والتفكير والأدب والتأديب والعبرة والاعتبار.

وإذا كان (الأدب) قولا . . فـ(من أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين) .

ولا أريد أن ازيد على ما أوجزت وغيرى يستطيع الحكم علىَّ بما يبدو له من دراسة ما أكتبه .

س : بلادنا كانت ولا تزال تتمتع بإنتاج أدبى واسع . . لكنه لم يستطع ان يجارى الآداب الاخرى من ناحية البروز والظهور - بماذا تعلل ذلك؟ .

ج : قلت فى استفتاء (البلاد) المنشور بعددها الصادر يوم ١٣٨٧/٢/٥هـ «إن الأدب العربى استطاع ان

يواكب الآداب العالمية الأخرى فى محاولة لمشاركتها فى التعبير عن مشاعر العرب والحديث عن قضاياهم ومشكلاتهم.

أما أدبنا السعودى فهو يستطيع أن يواكب الآداب العربية ولكنه ينقصه الدعاية والنشر والتعميم ومسئولية هذا التقصير تقع على كاهل الأدباء السعوديين أنفسهم فمعظمهم قادر على نشر إنتاجه من نثر أو شعر أو قصة ولكنه (يسأل الله ان يجمعه بسلمى) والذين طبعوا دواوينهم وقصصهم وبحوثهم لم يجدوا من يروج لها خارج بلادهم.

ونحن ننتظر من (دور النشر السعودى) أن تقوم بدور فعال فى النشر والترويج على نطاق واسع داخلياً وخارجياً وان كانت عروضها لا تغرى الأدباء بالتعاون معها - كما قال الدكتور حسن خفاجى عميد كلية التربية فى تعقيب له نشرته (عكاظ) يوم ١٣٨٧/٢/٦هـ.

س: اطلعت على قصيدة لكم جاءت فى كتاب الاستاذ الأنصارى قيل إنها من أحسن إنتاجكم واجبتم بأنها ليست كذلك - نود أن نعرف ما هو إنتاجكم الشعرى؟ وما هى أول قصيدة لكم؟.

ج: لى ديوان شعر إسمه «الطلائع» أصدرته عام ١٣٦٦هـ وهو يضم قصائد مختلفة الألوان والأفكار من سياسية إلى اجتماعية إلى نفسية إلى عاطفية نشرت قبل طبعها فى صحف ومجلات داخلية وخارجية كمجلة (الثقافة) و(الرابطة) المصريتين ومجلة (الجمهور) اللبنانية ومجلة (الساعة) المصرية. ومجلة (الصباح) المصرية ومجلة (الشرق الجديد) المصرية ومجلة (مصر الفتاة) المصرية و(العرفان) اللبنانية و(الرحاب) العراقية وغيرها.

ولا أذكر - يقينا - أول قصيدة قلتها وأول بيت فيها ولكنك ستجد فى (الطلائع) أن أقدم ما نشر فيه شعر مؤرخ بعام ١٣٥٧ أى قلته،وعمرى نحو الثالثة عشرة تقريباً.



س: بمناسبة الحديث عن الشعر - أعتقد أن المفهوم الأدبى للشعر يختلف من أديب وأديب - فما هو المفهوم الذى يحمله الاستاذ احمد محمد جمال؟ وما رأيكم فيما يقال له: الشعر المنثور؟.

ج: الشعر قسم من أقسام الأدب أو لون من ألوانه - وهى النثر.. والشعر.. والقصة.. والامثال.. والخطابة وأعتقد أن المجال لا يتسع لتفصيل آراء مؤرخى الأدب العربى وفى هذا التقسيم وتفضيل بعض الانواع على بعض.

وفى نظرى: أن الشعر لا يقل أثراً وتأثيراً وقيمة عن النثر فى تأدية رسالة الفكر والوجدان الا ان النثر أسهل اداء وأيسر إلقاء ولذلك تحول كثير من الشعراء إلى كتاب واصبح الشعر بالنسبة لهم كبداية لحياتهم الادبية.

ولا أعرف شعراً يقال له: (منثور) أو شعر حر فالشعر فى تعريفه القديم والحديث هو القول المقفى الموزون وهذه التسمية فيها كثير من المغالطة فإما أن يكون الكلام نثراً فهو نثر سواء ارتقى أسلوبه او انحط وإما أن يكون شعراً بأوزانه وقوافيه المتعارف

عليها فى علم العروض فهو شعر. .

وكما قال الشاعر العراقى الراحل أمجد الزهاوى:

اذا الشعر لم يهزك عند سماعه
فليس خليقا أن يقال له شعر

س : المدارس الأدبية ذات اتجاهات متعددة وكل أديب ينتمى الى إحدى هذه المدارس. . فما هى المدرسة التى تولونها وجهكم؟.

ج : المدرسة الأدبية التى أنتمى اليها هى مدرسة الحق والخير والجمال والالتزام بهذا الثالوث الأدبى قولا وسلوكاً وأقول (الالتزام) لأن فاقد الشىء لا يعطيه والكاتب الكاذب يضحك على نفسه قبل ان يضحك على قرائه. .

س : الاستاذ عبد العزيز الربيع كتب فى جريدة «عكاظ» عن وجهة نظره التى يرى فيها أنه لا يجب الالتزام فى الأدب ـ فما تعليقكم عليه؟.

ج : لقد استمتعت بحديث الاستاذ الربيع ـ فى عكاظ ـ عن الأدب والأدباء ولكل اديب وجهة نظره فى فهم (الأدب) وهل يكون ذاتيا أو حياتيا. أما رأيى انا فقد بسطته فى جريدة (البلاد) حيث قلت إن الادب اهتمام فكرى شامل وانفتاح وجدانى رحيب على شئون الحياة والناس وقلت كذلك: إن الادب ليس انطواء فكريا ولا انزواء وجدانيا ولا هو بالحديث الدائم عن (الذات) عن آلامها وآمالها دون مشاركة للبيئة فى همومها ومشكلاتها ومحاولة لتقويم أمورها واصلاح شؤونها.

وأظن أن الاستاذ الربيع عندما قال: (أنا لا أؤيد فكرة الالتزام فى الادب ويجب أن يكون للأديب حريته فى معالجة الموضوعات كما يشاء وبالأسلوب الذى يريد) إنما يعنى أنه لا يؤيد الالزام وأنا معه فى هذا الرأى لأن الالزام يأتى من الخارج أما (الالتزام) فهو من ذات الأديب أى انه يلتزم بفكرة او مبدء او منهج يعتقد بصلاحه وسموه فهو يكتب على ضوئه وتحت رايته.

وقد تحدثت فى جريدة (البلاد) عن ضرورة (التزام) الأديب واوردت رأيا للدكتور طه حسين فى ذلك.

أدباؤنا بخلاء وكسالى

وكتبت جريدة (المدينة) يوم ١٠/١١/١٣٩٧هـ كلمة قالت فيها: «قال الاستاذ احمد محمد جمال الأديب والشاعر والكاتب الاسلامى المعروف: لدينا ادباء وشعراء تفخر بهم المملكة، ولكنهم غير معروفين خارج المملكة لعدم نشر إنتاجهم بسبب البخل والكسل وقد انتقل هذا الكسل والبخل ايضا الى الأندية الادبية مع ان هناك إمكانيات متاحة لهذه الأندية لكى تعمل.

وتحدث الاستاذ احمد جمال عن الادب الاسلامى فقال: «ان ادباءنا فى العالم العربى وحتى فى المملكة لا يلتزمون بالفكر الاسلامى فى الوقت الحاضر مع انه كان فى الماضى موضع اهتمام الأدباء العرب امثال العقاد والرافعى والزيات وأحمد أمين. وحول سؤال عن خطوته الأولى فى الأدب أجاب الاستاذ احمد جمال بأنه بدأ شاعراً وقال إنه طبع ديوانه الاول قبل ٣٣ عاما ـ وكان الاستاذ احمد محمد جمال يتحدث فى البرنامج التلفزيونى المعروف «أديب من بلادى» الذى يقدمه الزميل راضى صدوق».

هذا بعض من حوار كان يجرى بينى وبين الادباء الناشئين وبين مقدمى بعض البرامج الاعلامية ـ يكشف عن آرائى ووجهات نظرى نحو بعض المجالات الفكرية والأدبية.

---

(١) الاستاذ البشبيشى ـ رحمه الله ـ أديب مصرى كان فى تلك الفترة مدرساً بجامعة ام القرى ـ كلية الشريعة سابقا قسم اللغة العربية ـ وكان يشترك فى النشاط الأدبى فى مكة المكرمة.

(٢) انشىء فعلا النادى الثقافى تحت إشراف الرئاسة العامة للشباب ويرأسه الآن الاستاذ ابراهيم امين فودة.

فلسطيننا

تفعيلات من اجل القدس
النشاط الثقافي في الارض المحتلة
القضية العربية في الشعر الفلسطيني
بيان هام
اعلام من فلسطين . كنوز القدس

شعر حسن احمد اللوزي
محمد المشايخ
محمد حسن شراب

العدد الثالث عشر
ذو القعدة ١٤٠٦ هـ



* إن مكاثرة شعب آمن فى وطنه وبلاده بشعب غريب أجنبى له مطامع قوية فى وطنه مما لا يستطيع شعب فى العالم ولا حكومة من حكومات الأرض قبوله ولم يسبق له مثيل فى تاريخ الشعوب.

★ ★ ★ ★ ★ ★

☆ ☆

عبدالعزيز آل سعود

شعر حسن أحمد اللوزي

تفعيلات

وَفِيْ وَحْدَةِ الْوَجْدِ والنَّارِ وَالانْتِظَارْ
يُنَاوِشُنِي الشَّجْوُ
يَشْرَحُ سَمْعِيْ صَهِيْلُ الْخُيُوْلِ الَّتِي
———— خُصِيَتْ
لِكَيْ لاتُعَاشِرَ عَاصِفَةَ الرِّيْحِ
———— وَالمُعْجِزَاتْ
وَفِي فُسْحَةِ الْوَقْتِ يَبْكِي الشَّرِيْدُ
———— قَتِيْلاً عَلَى هَامِشِ الطُّرُقَاتْ.

فَمَنْ يُشْعِلُ الانْفِجَارْ . . .
وَيُمْسِكُ هَذَا الدَّمَارْ
وَيَفْتَحُ نَافِذَةً فِي صُخُوْرِ الْحِصَارْ
وَمَنْ يَتَصَدَّى لِمَنْ فِي جُنُوْنِ الْغُبَارْ.
يَأْخُذُ شَمْسَ النَّهَارْ
لِسُوْقِ النَّخَاسَةْ ؟
أَيَاضِحْكَةً فِي لَهِيْبِ الْعَنَاءْ
تَجِيءُ بِغَيْثِ الأَمَلْ
أَيَابَارِقاً مِنْ سُهَيْلٍ لِمْ أَعْطِنَا شَمْعَةً وَاحِدَةً
لِكَيْ نَسْتَضِيْءُ بِهَا عُرْيَنَا الْمُسْتَبَاحْ
مَكَائِدَ هَذَا الزَّمَانْ

لِمَاذَا الْعِنَاقُ مَرِيْرٌ وَحُلْوٌ مَعَ الْبُنْدُقِيَّةْ ؟؟

* * * * *

لِمَاذَا الطَّرِيْقُ إِلَى الْقُدْسِ لاَ تَتَوَاصَلُ بِالانْهِيَارْ ؟
وَكَيْفَ يَتُوْبُ عَنِ الانْتِحَارْ . .
قَلْبُ الْمُقَاتِلِ شَبَّ وَشَاخَ مِرَاساً يَخُوْضُ الْحِصَارْ

* * * * *

أَيَابُغْيَةَ النَّفْسِ وَالشُّهَدَاءْ
لَكَ اللهُ فِيْ زَمَنِ الْجُبَنَاءْ
وَلِلأَرْضِ غَفْوَتُهَا سَاعَةً فِيْ السَّرِيْرْ.
وَلِلأُمَّةِ الْمُسْتَبَاةِ انْشِطَارَاتُهَا فِي انْفِجَارِ الْهَجِيْرْ
لِمَنْ وَصْمَةُ الْعَارْ . . مَنْ وَأَدَ الْكِبْرِيَاءْ ؟؟

* * * * *

من اجل القدس

محمد الضبعان

نَعُدُّ جَماجِمَنا المُهْدَرَهْ
عَلَى طُرقِ القِمَمِ المُغلَقَهْ !!

* * * * *

أَنا جُرْحُكَ الانْتِماءْ
أَنا النَّبْضُ مِنْكَ إلَيْكْ
وَلَيْسَ لِغَيْرِكَ سَالَتْ دِمَاءُ الضَّحَايَا

وَكَانَتْ رُؤَى الشُّهَدَاءْ
وَمِنْ أَجْلِ عَيْنِكِ إِنِّي تَقَسَّمْتُ ناراً وَمَاءْ
تَبَعْثَرتُ مِثْلَ الشَّظَايَا
وَأَعْلَنْتُ صَمْتَ الْبُكَاءْ .

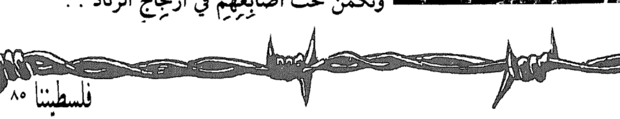
* * * * *

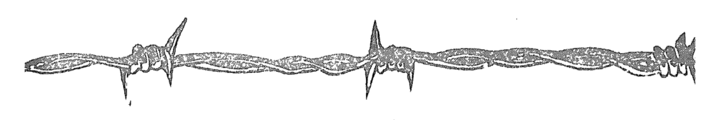
لِتَأْخُذَ خَارِطَةُ الحُلْمِ أَبْعَادَهَا
لِيُثْمِرَ نَخْلُ العُرُوبَةِ
وَيَفْتَضِحَ الحَبْلُ المُتَوَرِّمُ في رَحِمِ الذِّكْرَيَاتْ
وَفي غَسَقِ الأُمْنِيَاتْ
بِمَوْتٍ جَدِيْدٍ يَرِجُّ الطَّرِيْقْ .

* * * * *

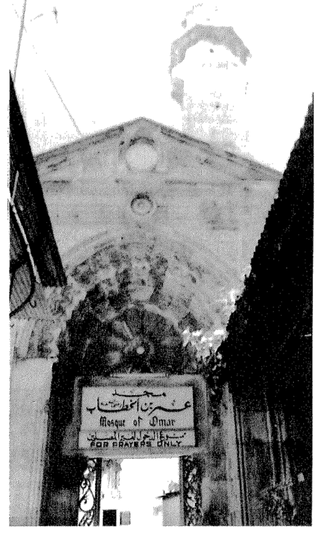
أَرَى القُدْسَ تَفْرِشُ رَاحَتَهَا مَوْضِعاً لِلسُّجُودِ المُقَدَّسِ
تَحْتَ رُؤُوسِ الشُّرَاةِ
وَتَكْمُنُ تَحْتَ أَصَابِعِهِمْ في ارْتِجَاجِ الزِّنَادْ . .

ذنة الجامع العمري
بل كنيسة القيامة بالقدس





النشـ
الثقـ



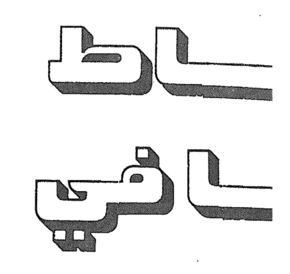
على الرغم من كثرة الانتاج الذى ابدعه أدباء الأرض المحتلة. . وعلى الرغم من تمتع معظم هذا الانتاج بالجماليات الفنية والشكلية للأعمال الادبية المعاصرة ـ الا ان هذا الانتاج لم يجد بعد من يقيمه أو يوصله على الأقل الى القراء فى الوطن العربى وان كان بعض أدباء الضفة الغربية وقطاع غزة قد حاولوا تخطى الحاجز الاسرائيلى عبر جسرى نهر الاردن فان انتاجهم كان يشق طريقه الى الاعدام عبر الرقابة الاسرائيلية التى تحارب الاقلام الشريفة وما تسطره من أدب ملتزم ومقاوم وتبقى هنالك قنوات خاصة للتواصل مع هؤلاء الادباء قد لا يتاح لها ان تعبر لكل

الدارسين. . غير ان معظم المطلعين على ابداعهم الادبى يقفون عاجزين امام الهالة التى يتركها اثر ما يقرؤون فى نفوسهم ـ كيف لا وهم يقفون أمام العمالقة الذين يواجهون سلطات الاحتلال بامكاناتهم المحدودة والتى يعتبر الادب والفن جزءا منها. . ولعل هذه السطور تتمكن من تقديم ملخص عام لابعاد الحركة الادبية والفنية فى المناطق المحتلة من فلسطين بعد عام ١٩٦٧ .

الصحافة الادبية :

توجد فى مدينة القدس حاليا سبع صحف عربية عملت منذ صدورها على تشجيع الاقلام الادبية الواعدة فى الارض المحتلة أو على احتضان كتابات كبار الادباء فى الداخل من أجل ايصال صوتهم المقاوم الى الجماهير الفلسطينية والعربية فى كل مكان. هذه الصحف هى (الفجر. . الشعب. .





في الأرض المحتلة

بقلم . محمد المشايخ "عمان"

القدس . . الطليعة . . الميثاق . . الدرب . . المرايا) أمـا فى قطـاع غزة فقـد نالت صحف (العلوم . . الاسبوع الجديد . . الشروق . . الشرق الاوسط . . البشير . . صوت الجماهير . . الوحدة) حظا وافرا من الانـتشـار ورغم كون هذه الصحف تهتم بالخـبر والتعليق السياسى الا انها استطاعت أن تؤلف ضمن اسـرة تحريـرها مجموعة من الكتاب المبدعين الذين يعتـبرون العماد الاساسى للحركة الادبية فى الوطن الفلسطينى المحتل.

المجلات الادبية :

بعد عام ١٩٦٧ ظهرت فى الضفة الغربية مجلات ادبية عديدة هى (الوان . . فتاة فلسطين . . المسرح) ولكنهـا جميعـا أغلقت بأوامر من الرقيب العسكرى الاسرائيلى قبل مرور عامين على اصدارها . . وكان لظهور مجلة (البيادر) المقدسية التى ما تزال تصدر منذ عام ١٩٧٤ وحتى الآن أثر كبير فى ارساء دعائم حركة ادبية قوية فى الوطن المحتل . . وظهرت بعدها مجلة (الشراع) المقدسية عام ١٩٧٧ الا ان انها اغلقت عام ١٩٨١ قبل ان تتمكن من دعم الاتجاه الادبى والفنى الملتزم الذى ظهرت من أجله . . اما مجلة (الكاتب) فقد ظهرت عام ١٩٧٨ ورئيس تحريرها هو الشاعر الـفلسطينى «اسعـد الاسعـد» . . وقـد شاركت (البيـادر) فى دورها الادبى النشيط . وأخيرا ظهرت مجلة (الفجـر الادبى) ذات الصيت الـواسـع . . والصدر الذى استطاع احتضان كافة الاقلام المبدعة بغض النظر عن اتجاهاتها المختلفة . ولابد هنا من الاشـارة الـى ان صحف ومجـلات (الاتحـاد . . والجـديد . . والغد) التى تصدر فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ مازالت تعمـل على اثراء ادب الارض المحتلة واستيعاب كل ما ينتجه أدباؤها .

دور النشر الادبية :

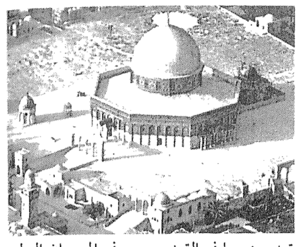
توجد فى الضفة الغربية الآن ثمانى دور للنشر هى «دار ابن رشـد . . دار الوحدة . . دار الشرارة ـ لكامل جبيل . . دار العامل ـ لعادل سمارة . . دار البيادر ـ لجاك خزمـو . . دار ابـو عرفه . . ومنشورات صلاح الـدين التى اصـدرت كتبا لكل من «اميل توما . . اسعـد الاسعد . . خليل توما . . سميح القاسم . . فيليتسيـا لانغـر . . اميـل حبيبى . . عبـد اللطيف عقل . . على الخليلى . . أديب رفيق محمود . . محمد شحـادة . . محمـود شقـير . . ليلى علوش . . سهام داود» . . وتوجد فى الضفة الغربية ايضا دار الكتاب التى اصـدرت كتبـا لكل من «محمد ايوب . . زكى العيله . . غريب عسقلانى . . اكرم هنيه . . سميح القـاسم . . اميـل تومـا . . سحـر خليفه . . اسعد الاسعد» وآخرون . ولا بد من الاشارة هنا الى دار

الاسوار فى عكا والتى نشرت كتبا كثيرة لادباء من المناطق الفلسطينية المحتلة بعد عام ١٩٦٧م.

الشـــــعر:

شهدت الفترة التالية لحزيران ١٩٦٧م ركودا ادبيا ملحوظا نجم عن الصدمة التى شعر بها الاديب الفلسطينى نتيجة للواقع الاحتلالى الجديد - واقع الهزيمة الذى يدعوه للمواجهة.. وواقع الصمت الذى يدعوه لممارسة الفعل والانفتاح على ما أبدعه الادباء الفلسطينيون فى المناطق المحتلة من فلسطين عام ١٩٤٨م.. ومن ثم بدأ الادباء فى ترسيخ أقدام ثابتة لحركة ادبية وطنية فلسطينية متكاملة.. ففى مجال الشعر اصبحنا نقرأ قصائد لما يزيد على خمسين شاعرا منهم «على الخليلى.. فدوى طوقان.. للى كرنيك.. حنان عواد.. خليل توما.. بنايوت زيدان.. خديجة ابو عرقوب.. عبد الناصر صالح حلمى الاسمر.. موسى علوش.. عبد القادر صالح.. ليلى علوش.. جبرا حنونه.. موسى حداد.. لطفيه حمدان.. سميح فرج.. عيسى قراقع.. موسى الجابرى.. عطا الله قطوس.. ماجد الدجانى.. وليد الهليس.. اسعد الاسعد.. محمود عوض عباس.. خالد نصرة.. احمد عيد احمد.. يوسف حامد.. توفيق الحاج.. سميرة الخطيب.. على مبارك.. فوزى البكرى.. عبد اللطيف عقل.. جمال سلسع.. اديب رفيق محمود.. سعيد الغزالى.. راضى عبد الجواد.. باسم هيجاوى.. حسن ابو لبده»..

وفى مجال الشعر لابد من الاعتراف ان هناك تواصلا ما بين شعراء المناطق المحتلة من فلسطين عام ١٩٤٨ والمناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧ وليس ادل على ذلك من مشاركة شعراء الوطن الفلسطينى المحتل فى مهرجان الشعر الوطنى الفلسطينى الذى



يعقد سنويا فى القدس.. وفى المهرجان الوطنى الاول على سبيل المثال القى الشاعر سميح القاسم مقطعا من قصيدته (زمن الخروج على يأجوج ومأجوج) جاء فيه:

انهض يا قابيل
واصرخ فى اسرائيل
اصرخ فى وجه الفانتومات ووجه الدبابات
اصرخ فى وجه الظلم الحاكم
والحكم الغاشم
تكسر غصنا نزرع عشرة
تهدم بيتا نبنى عشرة
تقتل رجلا ننجب عشرة
يا حشرة.. والعفو من الحشرة.

ولابد من الاشارة هنا انه للشعراء المذكورين ولغيرهم دواوين شعرية خاصة بهم كما ان صحف ومجلات الارض المحتلة تكاد تنشر بشكل يومى عشرات القصائد التحريضية والمقاومة الملتزمة التى يبدعونها.

القصة القصـــيرة:

بعد الاحتلال الاسرائيلى للضفة الغربية وقطاع غزة لم يكن هنالك اطار اعلامي تظهر فيه القصة القصيرة بشكل واضح الا بعد ان ظهر كتاب (٢٧ قصة قصيرة من القصص الفلسطينى فى الارض المحتلة) والذى شارك فيه كل من القصاصين -

ابراهيم العلم . . جمال بنورة . . حمدى الكحلوت . . زكى العيله . . زياد حوارى . . سامى الكيلانى . . صبحى حمدان . . عبد الله تايه . . على لبّد . . غريب عسقلانى . . فضل الريماوى . . محمد ايوب محمد . . كمال جبر . . مفيد دويكات» .

ومع هذه الاسماء يمكن للدارس ان يجد اسماء قد تصل بقصاصى الارض المحتلة الى الرقم خمسين حيث ان هنالك اسماء كثيرة تنشر باستمرار مثل: «عادل الاسطه . . ابراهيم جوهر . . سمير عتيلى . . ساميه فارس . عبد الكريم قرمان . . فالح عطاونه . . محمد ياسين مكى . . محمد عبد الله قراقع . . معين جبر . محمد على طه . . محمد زحايكه . . وصفى يوسف . . يعقوب الاطرش . . يوسف العبيدى . . سليمان ناطور . . حليمه جوهر . . ماهر عوده . . ولهؤلاء ولغيرهم مجموعات قصصية عدا القصص التى ينشرونها فى صحف ومجلات الوطن المحتل او التى يلقونها فى الامسيات القصصية التى تقام فى كافة المؤسسات التربوية والثقافية والاندية والجمعيات ومراكز الشباب المنتشرة فى مدن وقرى الارض المحتلة .

الرواية :

ونظرا لقلة الانتاج الروائى فى المناطق المحتلة بعد عام ١٩٦٧م فقد لوحظ اهتمام الادباء هناك بالروايات التى تصدر فى فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ مثل الوقائع الغريبة فى اختفاء سعيد ابى النحس المتشائل لا ميل حبيبى الصادرة عام ١٩٧٤ . . والى الجحيم ايها الليلك لسميح القاسم الصادرة عام ١٩٧٧ . . ورغم انشغال ادباء الضفة الغربية وقطاع غزة بدراسة هذه الروايات ونقدها الا انهم استطاعوا ابداع العديد من الروايات مثل الصبار وعباد الشمس ولم نعد جوارى لكم لسحر خليفه . . والطوق لغريب عسقلانى والذين يبحثون عن الشمس لعبد الله تايه والحصار لاديب رفيق محمود والمفاتيح تدور فى الاقفال وضوء فى النفق الطويل لعلى الخليلى وبنت من البنات لزياد حوارى . . ويرى النقاد ان هذه الروايات تصنف فنيا ضمن (الاوتوبيوغرافيا) أى الاعتراف الذاتى من قبل الكاتب على ان خبراته اوسع من ان تقتصر على ذاته فترى اعماله تمتد الى الابعاد الانسانية والاجتماعية والسياسية .

ادب الاطفال :

ثمة عوامل كثيرة تمنع من ظهور هذا الادب الى الساحة الثقافية فى الوطن المحتل اولها الاحتلال وثانيها غياب الافراد والمؤسسات المهتمة بهذا الادب . . فقد ظهرت فى القدس عام ١٩٧١ مجلة (براعم) واستمرت شهريا لمدة ٢١ شهرا ثم توقفت . . وبعدها ظهرت وما زالت تظهر مجلة (السندباد) غير انها مجلة ترفيهية محضة ولا تعنى بأية ثقافة فلسطينية . اما فى قطاع غزة فتصدر عن وكالة الغوث الدولية مجلة عنوانها (الطليعة) وهى ذات اهتمامات بعضها يرتبط بالمجال الذى نتحدث عنه . . وبالاضافة الى مجلات الاطفال هنالك مجموعة من الكتب مثل (اغانى الاطفال فى فلسطين، وعايش تلين له الصخور لعلى الخليلى والجندى واللعبة لمحمود شقير وحكاية عمار لساميه فارس) وأخيرا فان مكتبات الشوارع والمدارس فى الوطن المحتل تعانى من تضخم ناجم عن الحكايات التقليدية العربية والمترجمة غير انها لا تهتم بالطفل الفلسطينى الذى يجد البديل احيانا بين ما ينشر فى صحف ومجلات الارض المحتلة .

النقد الادبى :

لابد من الاشارة هنا الى ان النقد الادبى فى الارض المحتلة مازال يظهر على شكل مقالات وبحوث قصيرة لم يتم تجاوزها الى الدراسة المنهجية الموسعة . . هذا مع الاعتراف ان الارض المحتلة

انجبت العديد من النقاد مثل (على الخليلى . . ابراهيم العلم . . عادل الاسطه . . صبحى شحروري . . محمد البطراوى . . احمد حرب . . فخرى صالح وغيرهم) .

الفن التشكيلى :

واكب الفنان التشكيلى الفلسطينى مقاومته للسلطات الاسرائيلية بالريشة واللون واللوحة مثلما واكب زميله الاديب المقاومة بالقلم والورقة واللفظة الشريفة والنظيفة . وقد انجبت الارض المحتلة عشرات الفنانين التشكيليين نذكر منهم على سبيل المثال «عصام بدر . . سليمان منصور . . كامل المغنى . . نبيل عنانى . . نصرى ضبيط . . منى هاشم . . فيرا تمارى . . سميرة بدران . . ليلى علوش . . رحاب النمرى . . جمال بدران . . فتحى البلعاوى . . سعود الشوّا . . كريم دبّاح» وقد وصلت لوحات هؤلاء الفنانين التشكيليين الفلسطينيين وغيرهم الى الآفاق نظرا لتعاونهم المستمر والذى ادى لانبثاق اتحاد الفنانين التشكيليين الذى يضم فى اطاره فنانى قطاع غزة وعلى رأسهم الفنان التشكيلى «فتحى غبن» .

التراث الشعبى :

يمتاز الوطن المحتل بنشاط خاص فى مضمار التراث الشعبى نظرا لمحافظته على الهوية العربية والاسلامية للانسان الفلسطينى فى الداخل . . لذلك رأينا عشرات المؤسسات الرسمية والشعبية هناك تعمل على الاهتمام بهذا التراث عن طريق تدوينه وحفظ مخلفاته المادية وتقف على رأسها جمعية انعاش الاسرة فى هذا بالاضافة الى عشرات المهتمين بشكل شخصى بهذا التراث ومنهم الباحثون الفولكلوريون (على الخليلى . . د/عبد اللطيف البرغوثى . . جميل السلحوت . . د. محمد شحاده . . سميحه خليل . . عمر عنانى) . . وتحفل الارض المحتلة بعشرات الاصدارات التراثية . . هذا عدا المعارض التى تقام فى مختلف ارجاء الضفة الغربية والتى تبرز معالم الارض الفلسطينية وما خلفته من تراث فلكلورى على مدى الاجيال .

المسرح :

شهدت الارض المحتلة من عام ١٩٦٧ وإلى الآن عشرات الفرق المسرحية التى تمتاز بنشاط



كانت الحلقة الأولى عن الدور القيادى الذى تسنمه الشعراء فى المعركة . . وكانت الحلقة الثانية عن موقف الشعراء من المراحل التى جاءت تنفيذاً للخطة الصهيونية والتى نبه الشعراء الناس اليها . . ولكن ما الأثر الذى أحدثه الشعر فى سير المعركة مع الاعداء؟ . . إن الذى ينظر الى النتائج التى وصلت

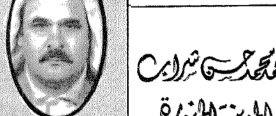


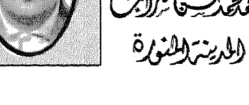
بعضهـا بشكل متواصل والاختفاء السريع لبعضها الآخر. . ومن الفرق التى لابد من الاشارة لجهودها فى هذا المضمار «الامل الشعبى المقدسية. . الفرافير الفلسطينيـة. . الحكـواتى. . النجـوم المسرحية. . صنـدوق العجب. . الـدلال الشعبى. . الصقـور الشعبيـة. . مسرح الشموع. . مسرح الشروق. . بلا ـ لين ـ ويضاف لها عشرات الفرق الاخرى غير المتبلورة او غير المنفصلة عن النـوادى والمعـاهـد والجامعات وغيرها من المؤسسات الاجتماعية. . هذه بالاضافة الى روابط المسرح التى ينحل بعضها معلنا ولادة روابط جديدة تجمع فى اطارها شمل المسرحيين فى الوطن المحتل ومنهم «ابراهيم جبيل. . احمد ابو سلعـوس. . عادل الـترتـير. . يوسف امين. . عبد العـزيـز الرجبى. . انيس محمود. . عماد مزعرو. . وغيرهم من كتاب المسرح الذين ظهرت على ايديهم عشـرات النصوص المسرحية والكتب النقدية ومنهم محمد كمال جبر وجمال بنورة.

القضيـــة العربيـــة الفلســطينية

فى الشعر الفلسطيني

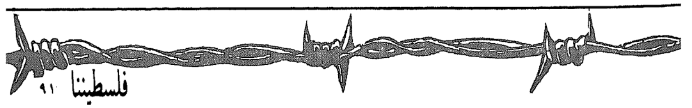
الحلقة الثالثة

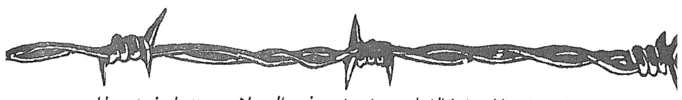




محمد حسن شراب
المدينة المنورة

اليهـا القضيـة فى أيـامنـا يقول: إن أثر الشعراء فى المعركة كان سلبياً. . وأنا أرى أن القضايا الكبرى لا تقـدر نتـائجها بالفوز والغلب والانتصار وانما تقدر النتـائج بمقـدار المعـانـاة التى يلاقيهـا أصحـابها والـوسائل المتعددة التى استعملوها لمحاولة الوصول الى الهدف الذى يرضونه دون أن يتسرب اليأس الى نفـوسهم. . فقد يخسر الجيش المعركة ولكن جنوده الـذين بذلـوا كل ما عنـدهم كانوا منتصرين لأنهم ضربوا أروع الأمثال فى الاستشهاد من اجل المبدأ. . وشعراؤنا بذلوا كل ما عندهم فى سبيل القضية ومن كان منهم من أربـاب السيف والقلم استشهـد وهو





يضـرب بسيفـه فى رقـاب الاعـداء كالشـاعر «عبد الرحيم محمود».

لقـد قال الشعراء لأمتهم بالمأثور «لا يلدغ المؤمن من جحـر مرتـين» ودافعـوا عن كرامتكم لأنه «لا يأبى الكرامة إلا حمار» وتمثلوا بقول شاعر العرب:

ولا يقـيـم على ضيـم يراد به
إلا الأذلان عير الحـى والـوتـد

فهؤلاء الانجليـز الـذين تحالفنـا معهم على تركيـا لمساعدتنا على نيل الاستقلال قد تنكروا للعرب وغدروا بهم بعد انتصار الحلفاء فى الحرب العالمية الأولى.

● فقال الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود:

غدر الحـليـف وأي وعـد صانــه
يومـاً وأيــة ذمــة لم يخفــر
لما قضى وطـراً بفضـل سيـوفنـا
نسـى اليـد البيضـا ولـما يذكـر
فإذا الـدم المهـراق لا بمـراقــه
جدوى ولا بنجيـعــه المتحــدر

● ثم يوجه الكلام الى الحليف (بريطانيا) وهو فى الوقت نفسه دعوة صريحة الى شعبه بألا يأمن فيما بعد لوعد لأن الغدر شيمة هؤلاء الناس:

ياذا الحليف سيـوفنـا ورمـاحنـا
لم تنثـلم فاعـلم ولم تتـكـسـر
بالأمس أبـلـت فى عداك وفى غد
فى كل قلب غادر متـحـجـر

هذى البـلاد عريننـا وفـدى لها
من ولـد يعـرب كل أسـد هصـر

والشاعر عبد الرحيم محمود ولد سنة ١٩١٣م فى قرية «عنبتا» بقضاء طولكرم واتم تعليمه الثانوى فى كلية النجـاح الـوطنية بنابلس واشتغل فى سلك الشرطة أولا ولكنه استقال بعد مدة قصيرة فعمل معلما فى كلية النجاح حتى سنة ١٩٣٦م حيث بادر الى صفوف الثوار تحت قيادة البطل «عبد الرحيم الحاج محمد» وفى سنة ١٩٣٩م فر من السلطات البريطـانية الى العراق ودخل الكلية العسكرية.. وبعد تخرجه منها عمل مديرا لمدرسة ابتدائية فى البصرة ثم عاد الى كلية النجاح فى نابلس ولبث فيها معلماً حتى أواخر عام ١٩٤٧م فالتحق ضابطاً فى جيش الانقـاذ.. وخاض أكثر المعارك التى نشبت بين العرب واليهود فى شمال فلسطين وأصابته شظية مدفع فى معركة قرب قرية «الشجرة» بين طبريا والناصرة فاستشهد على اثرها.. ودفن فى مدينة الناصرة.. وقد ضاع أكثر شعره ولم يجمع منـه سوى كراسة صغيرة طبعت سنة ١٩٥٨م وشعـره عذب رقيق قريب الى القلب ينضـح بالشعـور الانسانى والعواطف الفياضة والثورة الوطنية العارمة وقبل ان تضـع الحرب أوزارها أصدرت بريطانيا وعد «بلفور» الشهير.. وبعد أن تم لها النصر أخذت حكومة الانتداب البريطـانيـة على عاتقهـا تنفيذ سياسة التهويد بعد أن اكتسب الانتداب صفته القانونية بقرار من «عصابة» الأمم فهيأت الظروف والأحوال السياسية والاقتصادية الكفيلة بتحـويل فلسطين وطناً قوميا لليهود.. ولم تخف الوسائل المنظورة والمستترة على الشعراء وكأنهم خشوا أن يستسلم حينـا آخـر.. ومن الرفض المصحوب بالمناقشة والتسفيه المنطقى قول الشيـخ ابراهيم الدباغ «مضت ترجمته فى الحلقة الثانية»:

ما وعـد بلفـور من أمر السما ولا
فى الجدب من أرضنا زرع لمحتطب

هل وعد بلفور تشريع إذا فرطت
أغلوطة منه تدعو الناس للعجب
ما حكمه بعد أحكام السماء ولا
يرضى به بعد حكم الله غير غبي

● ولم يكن رفض الشعراء مبعثه عاطفة شخصية أهاجها حب الوطن وذكريات الأرض والوطن والأهل كما قال الشاعر:

ولي وطن آليت ألا أبيعه
وألا أرى غيري له الدهر مالكا
وحبيب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضاها الرجال هنالكا

● ولكن الرفض كان مبنيا أيضا على ايمان بحقهم وحق أمتهم في هذه الأرض.. وهو مبني أيضا على معرفة واعية بعناصر القوة عند الأمة - تلك القوة التي تضرب بجذورها في أعماق الأرض ويصعب على المعتدي اقتلاعها.. منها قوة الحضارة التي امتزجت بكل ذرة رمل في هذا الوطن.. والتي أدركها المسلم والمسيحي في هذه البلاد. وفي معنى ما يقوله الشاعر اسكندر الخوري البيتجالي (المسيحي).

اتستسيغون هضم العرب حقهم
في مهد عيسى وفي مسرى النبيينا
وتطلبون جلاء عن مواطننا
وأن نبيعكم خضراً أراضينا
وأن يكون لكم جيش ومملكة
فيها لجمع شتات الموسولينا

وايمان الشعراء بعناصر القوة في شعبهم لم يجعلهم يركنون الى هذه القوة دون التنبيه الى عناصر القوة عند العدو لأن الجيش الذي يغتر بعدته وعدده ويستهين بقدرات عدوه قد يأتيه الفشل من جهة اغتراره. وقديما قيل: «**من مأمنه يؤتى الحذر**» وقال تعالى ذاكراً هذا المعنى: ﴿**ويومَ حُنين إذ أعجَبَتْكُمْ كثرتكم فلم تُغْنِ عنكم شيئاً وضاقتْ عليكم الأرضُ بما رحبت ثم وليتم مدبرين**﴾.. ولذلك نبه الشعراء الأمة الى عناصر القوة عند الخصم: وهما خصمان:

أحدهما: الانجليز الذي تدرع بالقوة المادية والعسكرية

والثاني: اليهود الذين تدرعوا بالمكر والحيلة والى هذين الخصمين يرمى الشاعر ابراهيم طوقان عندما يقول:

لنا خصمان: ذو حول وطول
وآخر ذو احتيال واقتناص
تواصوا بينهم فأتى وبالا
واذلالا لنا ذاك التواصي
مناهج للابادة واضحات
وبالحسنى تنفذ والرصاص

● والاستعمار وإن كان يملك القوة العسكرية الباطشة إلا أنه يلجأ الى الكلمات المعسولة.. والعبارات المزخرفة التي تدغدع الأحاسيس وتهدهد النفوس.. أشبه ما تكون بسجع الكهان الذي تسمع له رنيناً ولا ترى له طحناً.. وتحرص كل دولة مستعمرة أن تحيط «عباراتها المزخرفة» بالمناخ الذي يوهم الناس بصدقها وذلك بالاتفاق مع مثيلاتها من الدول المستعمرة على الشهادة بصدقها - على طريقة «تشهد لي وأشهد لك» كما يحصل بين اللصوص والمزيفين.. فمنذ قامت «عصابة الأمم» وتلتها «هيئة الأمم» ومن له حق الرفض «الفيتو» والقبول «مجلس الأمن».. ونحن نسمع عبارات «**العدل والحق والحرية وحقوق الانسان**» ومع ذلك لم نجد انسانا مظلوما عاد اليه حقه المغتصب.. ولذلك فقد كان الشعراء أكثر يقظة لهذه

الألفاظ الخادعة ودعوا الشعب ألا يغتروا بها ـ فقال الشاعر ابراهيم الدباغ مخاطباً الانجليز:

ملأتـم الأرض عن عدل وأغـنيـة
عنـه فهـل أخـذتها هزة الطـرب
الـعـدل شعـر خيـالى حقيقتـه
فى ذمة الظلم والتـدليس والكذب

● ويقول الشاعر الفلسطينى محمود الحوت:

كم حدثـونا عن العـدل المقيت وكم
كانـت لهم حلبـات الظـلم مستبقـا

أما الشاعر أبو سلمى «عبد الكريم الكرمى» فيتناول عصبة الأمم التى أقرت الانتداب البريطانى على فلسطين.. ويناقش سياستها المتناقضة.. ومبادئها المزيفة.. وأثرها على الشعوب فيقول:

قم تأمـل تر الـشعـوب يجرون
قيـودا من الحـديـد المـشلم
بيـنهـم عصبـة الأراقـم تسعـى
كلما غاب أرقـم جاء أرقـم
حرمـوا الظلم بينهم واسـتراحـوا
ولـديـنـا يحللون المـحـرم
ثم قالـوا: بيـع العـبيـد حرام
إن بيـع الأحـرار أنكـى وأظـلم

● واسمحوا لى هذه المرة أن أفيض فى الحديث عن شاعر فلسطين وعاشقها عبد الكريم الكرمى.. فالقلم عند ذكره لا يملك إلا الاطناب لأن الفكر يطغى عليه كالعباب. فهو سليل أسرة الأدب والشعر واللغة.. رأسها العلامة الشهير الشيخ سعيد الكرمى.. الأديب اللغوى.. عضو المجمع العلمى فى دمشق. وشقيقاه: احمد شاكر الكرمى الذى لفت أنظار الأدباء فى عصره.. ولم يكتمل عقده الثالث (توفى سنة ١٩٢٧) والأديب الاذاعى المشهور «حسن الكرمى» صاحب (قول على قول). وولد أبو سلمى سنة ١٩٠٧م فى مدينة طولكرم وتلقى تعليمه فى بلدته فى «السلطة». ونال الثانوية من «مكتب عنبر» فى دمشق. وعاد الى فلسطين وعمل معلماً فى القدس. ولكن سلطات الانتداب أقالته من سلك التعليم لأنه نشر قصيدة عنوانها «جبل المكبر يا فلسطين» فى مجلة الرسالة المصرية هاجم فيها السلطات البريطانية وشبه قصر المندوب السامى بسجن الباستيل. ومنها هذه الأبيات:

إيه فلسطين المجاهدة اثبتى
فالظلم مرتعه يكون وبيلا
هاهم بنوك لووا أعناق الردى
وأتوك لا يرضون عنك بديلا
قم يا شهيد القوم واخطب فى الورى
أصبحت حيا مذ غدوت قتيلا
جبل المكبر طال نومك فانتبه
قم واسمع التكبير والتهليلا
جبل المكبر لن تلين قناتنا
حتى نهدم فوقك «الباستيلا»

● والتقى الشاعر بصديقه ابراهيم طوقان وكان رئيس القسم الأدبى فى اذاعة فلسطين فضمه طوقان الى هيئة القسم الأدبى... ودرس خلال ذلك فى معهد الحقوق الفلسطينى بالقدس ونال شهادته فترك الاذاعة وعمل محامياً فى حيفا حتى سنة ١٩٤٨م فغادرها الى دمشق وقال قصيدته الشهيرة «سنعود» التى يقول فيها:

غداً سنعود والأجيال تصغى
الى وقع الخطى عند الاياب
نعود مع العواصف داويات
مع البرق المقدس والشهاب
مع الفجر الضحوك على الصحارى
نعود مع الصباح على القباب
مع الرايات دامية الحواشى
على وهج الأسنة والحراب

وقد بدأت رحلة أبى سلمى مع الشعر منذ أن كان

طالباً فى مكتب «عنبر» فى دمشق وفيه اكتسب كنيته «أبو سلمى» من مطلع قصيدة غزلية نظمها سنة ١٩٢٤ يقول فيها:

سلمى انظرى نحوى فقلبى يخفق
لما يشير الىَّ طرفك أطرق

وقد واكب أبو سلمى القضية الفلسطينية منذ أن عاد الى فلسطين بعد انتهاء دراسته وجمعته مع ابراهيم طوقان صداقة حميمة .. ولكن الأجل وافى ابراهيم طوقان وهو فى الشباب وبقى أبو سلمى حتى بات جزءاً من تاريخ فلسطين حيث لم يترك جانباً من جوانب النضال إلا وطرقه.. فرثى الشهداء الذين سقطوا وهم يقارعون الاستعمار.. ووضع أمله فى إيمان الشعب العربى القوى بالشهادة فى سبيل المبدأ فيقول:

قوموا انظروا «القسّام»
يشرق نوره فوق الصرود
يوحى الى الدنيا
ومن فيها بأسرار الخلود
إيه شعوب العرب
أنتم مبعث الأمل الوحيد
يا من يُعزّون الحمى
ثوروا على الظلم المبيد

وتوجه الشاعر الى الاطفال أمل المستقبل وبناته.. فأنشد وغنى لهم عن الطبيعة والوطن.. وخصهم بديوان شعرى كامل. قال فى إحدى قصائده:

أرض فلسطين استحالت حرما
مقدساً فقبلوا الترب الندى
من كل قطر عربى عصبة
ثائرة ترعى أصول المحتد
هبت على الوادى وأجرت دمها
متحداً يا للدم المتحد

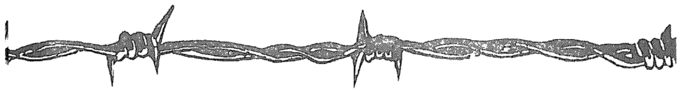
وبقى أبو سلمى بعد النكبة على نضاله وتفاؤله بالنصر فها هو يقول:

أيها الباكى وهل يجدى البكا
بعدما أصبحت فى كل مهبّ
كفكف الدمع وسر فى أفق
حافل بالأمل الضاحك رحب
يا أخى ما ضاع منا وطن
خالد نحمله فى كل قلب

وتقديرا لأبى سلمى الذى كافح من أجل قضية فلسطين أكثر من نصف قرن بالكلمة الملتهبة المحرضة على الفعل الثورى وبالموقف الملتزم وطنيا وقوميا.. منحه اتحاد كتاب آسيا وأفريقيا «جائزة اللوتس السنوية للآداب» سنة ١٩٧٨م وفى السنة نفسها أقام الشعراء والأدباء العرب حفلاً تكريمياً للشاعر.. قال يومها الشاعر محمود درويش «يا أبا سلمى أعطنى يدك لأرى البيدر الذى كنت ألعب فيه قبل ثلاثين سنة.،. حولك الآن جيل لم يلمس من فلسطين إلا يدك ومع ذلك فإنه أكثر قدرة على إعادة تكوينها بأدوات اللحم والدم.. فلسطيننا باقية فى العقيدة التى يشربها طفل ولد الساعة فى مخيم أو قرب سجن فأسست به ذاكرة صافية».. توفى رحمه الله وهو يحضر أحد المؤتمرات الدولية ليطرح قضية فلسطين.. ودفن فى مقبرة الشهداء فى مخيم اليرموك بدمشق سنة ١٩٨٠م.

ترك رحمه الله مجموعة من الدواوين والاعمال الأدبية.. واسلوبه غنائى عذب ساحر العبارة مشوب بنزعة رومانسية خفيفة يكاد يكون مجموعة من الأغانى الملحنة.. زاخر بالعواطف المشتعلة والخيال المحلق والشعور السيال.. أما إبداعه فكان فى ايجاد فن الغزل بالأوطان على مستوى الهوى العذرى وشحنه بالوجد المبرح.. وأسبغ عليه من مفاتن بلاده ما جعلها مهوى الأفئدة ومبعث الهيام.

وبعد: فماذا نريد من الشعراء غير ذلك؟.. لقد سهروا الليالى يفكرون فى أحداث أمتهم.. وتألموا فنادوا وبصروا



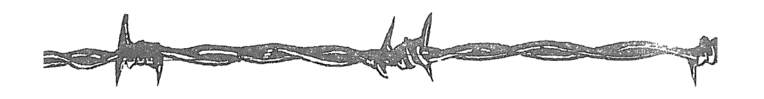
فنبهوا. . ونالهم فى سبيل ذلك الأذى فصبروا ولم يرجعوا عن رأيهم. . وكـانت القصيدة منهم تؤلف كتيبة والبيت يصنع مدفعاً. . ولكن من العجيب أن المستعمر الأعجمى يقدر مكانتهم ويخشاهم ـ فيسجن هذا وينفى ذاك ويحرم الآخر من وظيفته. . وينذرهم بالثبور وعظائم الأمور إن لم يسكتوا أما العرب فإنهم اذا سمعوا القصيد ولوا ﴿كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة﴾ أو استهانوا بالقصيد وصاحبه.. ومن كان منهم صاحب قلب واع وقف يضرب كفاً على كف. . ويرجع ويحوقل ويمصمص شفتيه. . فهل طغت العجمة على سمعنا ومنطقنا فلم نعد ندرك ونتذوق مدلولات الكلمات؟ ألسنا من نسل أولئك العرب الذين كانوا يهتزون للكلمة فيهبون حمية وغياثا وحماية لجار ودفاعاً عن حياض؟ . لقد قال شعراؤنا ما قاله لقيط بن يعمر الايادى الى قومه يحذرهم من كسرى. . فكانت قصيدته الحد الفاصل بين الحياة والموت. . وكان فيها نجاة للقوم:

أبلغْ إيادا وخلل فى سراتهم
إنى أرى الرأى إن لم أُعص قد نصعا
يا لهف نفسى إذا كانت أموركم
شتى وأحكم أمر الناس فاجتمعا
ألا تخافون قوماً لا أبالكم
أمسوا إليكم كأرسال الدَّبى سرعا
فى كل يوم يسنون الحراب لكم
لا يهجعون إذا ما غافل هجعا
مالى أراكم نياماً فى بلهنية
وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا
فقلدوا أمركم لله دركم
رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لقد نخلت لكم رأيى بلا دخل
فاستيقظوا إن خير العلم ما نفعا

فماذا كان من الأمر بعد سماعنا نحن نداءات الشعراء؟ .

«الحديث موصول»

بيان هاد
صادر عن إتحاد
المؤرخين العرب
لفضح اساليب
الكيان
الصهيونى فى
تشويه تاريخ
الأمة العربية



ايها المؤرخون العرب فى كل مكان فى الوطن العربى وخارجه:

يا من حملتم امـانة التاريخ وتراث الامة فى اعناقكم ونذرتم انفسكم للدفاع عن شرف الامة ومجدها وفعلها الحضارى للانسانية.

يا من تعبرون بصدق عن صوت تاريخكم القومى وقد جعلتم من اقلامكم حرابا لكل من حاول او يحاول تشويه التاريخ القومى العربى ويقلب صورته ويشكك فى منطلقاته ويخرق وحدته الفكرية.

ان اتحاد المؤرخين العرب الذى ينضوى تحت لوائه مؤرخو الامة العربية كافة يتوجه بهذا النداء باسمكم جميعا الى المثقفين العرب فى كل مكان للوقوف بوجه الموجة الوحشية الصهيونية الحاقدة على الامة العربية وتاريخها وتراثها التى تخطط باستمرار لهدم الـوجـود العربى والذات العربية لتجعل من الانسان العربى متشككا فى امجاد امته وحضارتها الانسانية التليدة.

ايها المؤرخون ايها المثقفون الاماجد:

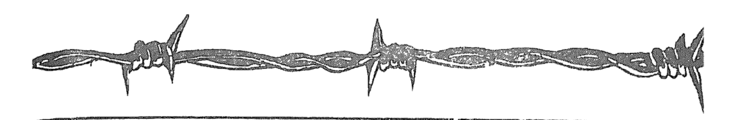
لم تعد مواجهة الكيان الصهيونى للامة العربية مقتصرة على التحدى العسكرى وحده وانما اتجه هذا العدو الى استغلال الفكر العربى والنيل منه ومحاولة تسخير ما يصدر فى هذا الكيان من مؤلفات باللغة العربية وخاصة فى المـوضـوعات التاريخية لخدمة اهدافه، هذه الاهداف التى تصب فى مجرى معروف هو الحقد على العرب وعلى تاريخهم وقيمهم من اجل طمس ما قدمته الحضارة العربية لحركة الانسان على الارض من معطيات فى الماضى وتعطيل كل دور حضارى يمكن ان يقوم به العرب فى الوقت الحاضر.

ومن هنـا تقـع على عاتق المؤرخـين العرب مسؤولية الانتباه لما يصدر عن الكيان الصهيونى فى فلسطين من منشورات ومطبوعات تخص القضية العربية عموما والتاريخ خصوصا وذلك بدراسته دراسة واعية عميقة واكتشاف ما فيه من سموم حاقدة وافكار مريضة تبثها دور النشر الصهيونية لضرب الفكر العربى فى الصميم.

إن الكيـان الصهيـونى يعنى عنـايـة كبيرة بالدراسات المتعلقة بالوطن العربى والعالم الاسلامى وقد اخذت الجامعات الصهيونية على عاتقها توجيه البحوث والدراسات نحو قضايا تباشر التاريخ العربى والاسلامى فى كثير من ابوابه ومنافذه وهى فى سبيل تحقيق هذه الغاية راحت تتابع بشكل دقيق كل ما يصدر عن الوطن العربى من مؤلفات وبحوث ودراسات وتجميعها وتحليلها لتعطيل كل ما فيها من معطيات تخدم الحقيقة التى يعززها التاريخ وتسندها الحقائق وذلك بطرح آراء ودعاوى باطلة من لدن الكتاب والباحثين والمؤرخين اليهود تفسد الاوجه المشرقة فى التفكير العربى قديما وحديثا.

إن الاعمال اليهودية التى تنشر فى الوطن الفلسطينى المحتل تحتاج من المؤرخين العرب وقفة جدية لتجميعها ودراستها وتحليلها خدمة لمرحلة الحسم القادمة مثلما يفعل الكيان الصهيونى نفسه.

ومن اجل ذلك ترى الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ان الضرورة القومية والحضارية للامة العربية تقتضى ضرورة العناية القصوى من لدن اقسام التاريخ فى الجامعات العربية ومراكز البحث العلمى وكل المثقفين العرب بالنتاج الفكرى وخاصة التاريخى اليهودى المنشور فى الارض المحتلة أو عن مؤرخين يهود مكتسبين جنسيتها وينشرون اعمالهم فى دول غربية. فتسعى بكل حرص الى الوصول الى كل ما يصدر منه ومن ثم احالته الى اتحاد المؤرخين لدراسته من قبل متخصصين بالدراسات الاسرائيلية للوقوف على ما فيه من افكار تزيف الحقائق وتشوه الوقائع وما



هذا العمل الا تأكيد الاهتمام بالقضية المصيرية للامة العربية التى نرى ان مصلحتها فهم العقلية الصهيونية وسبلها فى معالجة القضايا والاحداث التى مرت وتمر بها المنطقة العربية اليوم.

ولتقديهم نماذج من الاهتمام الحاصل داخل الارض المحتلة بالدراسات العربية قديمها وحديثها تلفت الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب انظار السادة المؤرخين لما صدر عن الجامعة العربية فى القدس فى بداية عام ١٩٨٦م من قوائم تناولت تحقيق كتب تراثية ومؤلفات عن قضايا تاريخية وأدبية واجتماعية عن الوطن العربى والعالم الاسلامى ودراسات مختصرة تعنى بالمشاكل المعاصرة التى تعالج القضية الفلسطينية.

ففى مجال تحقيق التراث نشرت الجامعة العبرية مجموعة من الكتب منها:

- انساب الاشراف للبلاذرى وقد نشر النص بالعربية والهوامش بالانجليزية وما تم نشره يمثل الجزء الرابع من الكتاب وقد حققه (ماكس شوسلنجر) وهناك مجلدات اخرى نشرت سابقا بواسطة الجامعة نفسها من قبل.. الكتاب يعتبر من الاعمال الاساسية فى التاريخ العربى المكتوب فى اطار الانساب.

- كتاب ذم الدنيا لابن أبى الدنيا وقد حققه (المجور) ونشر النص بالعربية.

- الاحاديث الحسان فى فضل الطيلسان لجلال الدين السيوطى وحققه (أرازى).

- فضائل البيت المقدس لابى بكر بن احمد الواسطى.

- جوامع آداب الصوفية للسلمى.

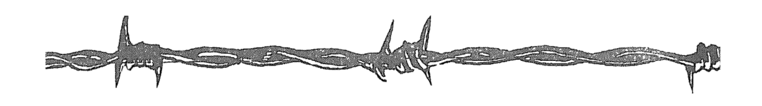
- كتاب آداب المريدين للسهروردى.

والملاحظ على هذه الكتب المحققة بواسطة اليهود انها من الاعمال الصوفية أو من تلك التى تعتمد على بحث الفضائل وهى ليست من القضايا الاساسية فى الثقافة والفكر الاسلامى ولكنها فى الوقت ذاته من الاعمال التى تستهوى المناهضين للاسلام للبحث فى ثناياها عن امور لا تتفق وروح الاسلام يمكنهم من خلالها استخلاص نقاط ضعف توجه ضد العقيدة الاسلامية وليس اليهود بدعا فى هذا المجال اذ طالما اهتم المستشرقون المعادون للاسلام بمثل هذه الاعمال تحقيقا ودراسة.

وتوجد نوعية اخرى من الاعمال التى حظيت باهتمام اليهود فى الارض المحتلة تتمثل فى الدراسات التى تقوم حول الادب والتاريخ العربى والاسلامى فكان مما نشرته الجامعة العبرية مختارات من الادب العربى اليهودى ودراسة اخرى بعنوان (قواعد اليهودية العربية فى العصور الوسطى) وهذا الكتاب يعنى بالظاهرة اللغوية اليهودية فى البلاد العربية خلال العصور الوسطى.

ويدرس كاتب آخر العلاقات بين عرب سوريا وشمال الجزيرة وشمال سيناء من جهة وسكان فلسطين وما حولها فى الفترة من القرن التاسع الى الخامس قبل الميلاد وعنوان الكتاب (العرب القدماء) وهو يركز على علاقات العرب الرحل بالامبراطوريات القديمة فى الشرق الادنى ودورهم السياسى فى تلك المرحلة.

امـا جانب العناية بالاسلام والعالم الاسلامى فنجده فى مجموعة اعمال بينها كتيب بعنوان (نهضة الإسلام فى تركيا الحديثة) وهو يبحث فى العلاقة بين الدين والقومية فى تركيا.. وكتاب آخر بعنوان (الاسلام فى اسيا) صدر فى مجلدين الاول حول جنوب شرق آسيا حرره (فـردمـان) والثـانى حول جنـوب غرب وغرب آسيا وهو يتضمن مجموعة المحاضرات التى قدمت فى المؤتمر العالمي عن الاسلام فى آسيا الذى عقد فى معهد هارى ترومان فى الجامعة العبرية



عام ١٩٧٧م والـذى القى فيـه الضوء على اوضاع المسلمين فى آسيا وهو دون شك يبرز الاهتمام الكبير للكيان الصهيونى بالعالم الاسلامى الذى ترى فيه امتدادا لما يجب ان تعنى به حتى تكون فكرة شاملة عن العلاقات بين هؤلاء المسلمين والوطن العربى .

كما ان من الاعمال الهامة التى نشرتها الجامعة العبرية سلسلة بعنوان (دراسات القدس عن العربية والاسلام) وهى سلسلة سنـويـة صدر منهـا حتى الآن خمسـة مجلدات تشمل اعمالاً قدمت الى معهد الدراسات الآسيوية والافريقية فى الجامعة العبرية تغطى موضوعات عديدة منها التاريخ الاسلامى والحضارة والفكر فى العصور الوسطى وكذلك اللغة والآداب العربية .

وتناول (لزريوس يافح) الغزالى فى دراسة مطولة جاءت فى ٥٨٤ صفحة استغرق وضعها خمسة عشر عاما عرض فيها لجميع كتابات الغزالى المعروفة كما نشرت الجامعة كتابا بعنوان (دراسات حول اليهودية والاسلام) ضم مجموعة من البحوث التى اشرف على تحريرها (ابن آمى) وجاءت فى مجلدين شملت بحوثا حول آداب وتقاليد المجتمع اليمنى والمجتمع اليهودى فى المغرب والتاريخ الاسلامى ووثائق الجنيزا .

وعـرض (سـترن) للاسماعيلية فى كتاب عنوانه (دراسات حول بدايات الاسماعيلية) اعتمد فيه على مصادر اسماعيلية ووصل اهتمام الدارسين اليهود بقضايا الاسلام الى ماليزيا فوضع احد الباحثين كتابا بعنوان (الاسلام والمؤسسات الاسلامية فى الملايو البريطانية (١٨٧٥-١٩٤١م) .

وقد تدخل الاعمال التى اشير اليها سابقا فى اطار الاهتمامات العامة للباحثين اليهود فى الارض المحتلة ولكننا نجد تركيزا كبيرا على اعمال تتعلق بالقضايا المعاصرة والعلاقات العربية اليهودية من ابرزها دراسة (لبن دور) تقع فى ٢٩٨ صفحة تحدث فيها عن الدروز فى فلسطين من زاوية سياسية حيث عالج وضع الدروز فى فلسطين البالغ عددهم ٣٤ الف نسمة وتناول دورهم فى المجتمع الصهيونى بما فى ذلك تأثيراتهم السياسية ووضع (ابن رفائيل) كتابا عن حرب الفدائيين والحرب المضادة لهم .

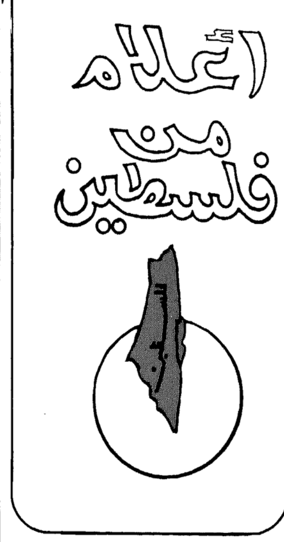
ولعل المرء يشعر بكثافة ما ينشر عن الوطن العربى والعالم الاسلامى والعلاقات بين الدولة الصهيونية والعالم داخل الكيان الصهيونى . . مما سبق فاذا كانت جهة واحدة فقط قد اصدرت كل هذه الاعمال فان هذا هو الدليل على العناية بالمعلومات سلاحا فى المواجهة يستخدم بطريقين : بث الدعاية وتشويه الحقائق ومحاولات التعرف على اوضاع الطرف الآخر تاريخيا واجتماعيا واقتصادياً .

ان اتحاد المؤرخين العرب اذ يسلط الاضواء على هذه النماذج يؤكد ان عظم المسؤولية الملقاة على عاتق المؤرخ العـربى اضحت جسيمة وتتحدد هذه المسؤولية فيما تتحدد بالكشف عما يخطط لوأد ثقافته العربية وتاريخه المجيد وتعطيل فعله الانسانى والحضارى .

واننا اذ نوجه الدعوة للمؤرخين العرب كافة فاننا ندعوهم الى ان يكونوا يدا واحدة وفكرا واحدا من اجل الوقوف امام الزحف الاستعمارى الثقافى الخطير .

وما النصر الا من عند الله **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عُمَلَكُم ورسولُه والمؤمنون﴾** .

الأستاذ الدكتور مصطفى عبد القادر النجار
الأمين العام لاتحاد المؤرخين العرب



ولد «محمود» فى يافا عام ١٩١٤م وانهى تعليمه الابتدائى والثانوى فى كلية الفرير عام ١٩٢٩ وخرج الى الحياة مسلحا بثلاث لغات حية هى: العربية والانكليزية والفرنسية، واكبَّ على الكتاب يستجلى روائعه ويستعرض بدائعه وينشد نفسه فى محاسن الكتاب.

سمير اذا جالسته كان مسليا
فؤادك عما فيه من الم الوجد
يفيدك علما أو يزيدك حكمة
وغير حسود أو مصر على حقد
ويحفظ ما استودعته غير حافل
ولا خائن عهدا على قدم العهد

محمود سيف

محمد الضبعاني

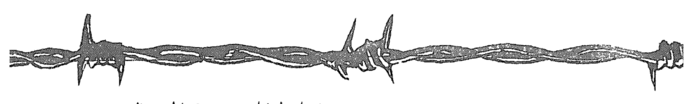
وبعد ان عب «محمود» من امهات الكتب التى سامرها فى اللغات الثلاث شرع فى نشر نفثاته فى الصحف الفلسطينية وابرزها (فلسطين) و(الدفاع) و(الجامعة الاسلامية) وفى مجلات (الشباب) لاميل غورى و(اللهب) ليوسف فرنسيس و(الرائد) لامين ابو الشعر وصال بقلمه وجال فى صفحات «السياسة الاسبوعية» و«المقتطف» و«الثقافة» و«الطليعة» و«الطريق» البيروتيتين واخيرا مجلة «العربى» الكويتية.

وربطت بين «محمود» وبين نفر من اعلام القلم فى مصر صلات قوية من الود والولاء ومن ابرزهم المازنى ومحمود تيمور والدكتور محمد حسين هيكل وسلامة موسى والعقاد وابراهيم المصرى والدكتور ابراهيم ناجى وعلى محمود طه ومعاوية محمد نور وغيرهم.

وفى عام ١٩٣٥ حمله طموح الشباب على اصدار مجلة اسبوعية ادبية فى يافا باسم «الفجر» بمشاركة الاديب المرحوم عارف العزونى وقد صدر منها حوالى ٥٠ عددا وكانت مسرحا لاقلام ادباء فلسطين ومصر والعراق وسوريا ولبنان.

حياته العملية:

عمل (محمود) فى حكومة فلسطين فترة وفى اوائل



الإيراني

الاربعينات هبط الاردن وعين استاذا للغة العربية ومديرا لمدارس ثانوية ومفتشا للغة العربية فى وزارة التربية والتعليم وسكرتيرا عاما للجنة اليونسكو الوطنية ومديرا للتعليم الخاص. وفى عام ١٩٦٠/٦١م اوفد الى باريس فى بعثة للتخصص بشؤون اليونسكو على نفقة المنظمة العالمية وأخيرا عين مديرا للدائرة العربية فى وزارة الثقافة والاعلام الاردنية. وفى عام ١٩٧١ عين مستشارا ثقافيا فى هذه الوزارة وعهد اليه برئاسة تحرير مجلة «افكار». .

وابان عمله فى وزارة التربية والتعليم اسهم فى حضور عدد من اللجان والمؤتمرات واشرف على اصدار مجلة «رسالة المعلم».

فنه القصصى:

عالج محمود بقلمه القصة القصيرة موضوعة ومترجمة واقبلت طائفة من اساتذة الجامعات العربية والمستشرقين على درس نتاجه القصصى وفى عام ١٩٣٩ اهدت مجلة «المقتطف» قراءها كتاباً ضخما اشتمل على ٣٨ قصة عالمية كان فى عدادها قصة «حطام» بقلم الايرانى.

ويعتبر «محمود» فى طليعة رجال التربية والتعليم فى الاردن والمع شخصيات هذا القطر العربى (شرقى الاردن) هم من تلامذته الذين يذكرونه بالخير استاذا ومديرا ومفتشا ويمحصونه الحب والتقدير.

ومنذ اشرع هذا القاص الكبير قلمه ونذره لتصوير المشاكل الاجتماعية التى تواجهها الطبقات الكادحة والفوارق التى تفصل بين الناس فى مجتمعهم واخراجها فى مقالات لماعة الاصباغ والتلاوين اصبح صاحب مدرسة حديثة فى فن القصة القصيرة وعده مؤرخو الادب المعاصر الرائد الاول للقصة القصيرة فى فلسطين وظل علمها الخفاق فى سورية الجنوبية.

وفى صدر الايرانى تزدحم القيم الديمقراطية الصحيحة والمواقف الاجتماعية الواعية والتطلع الى الامام فى حركة الحياة والايمان بانتصار القوى الكادحة العاملة. . وفى ذهنه صورة صحيحة للحياة السليمة.

وقصص الاستاذ الايرانى محاولات تطبيقية لفكرة الفن التعبيرى الهادف المناضل الذى يتفهم الظروف ويتخذ من المشاهدات والتجارب الخاصة نماذج فنية تصلح مقياسا للنواميس الطبيعية العامة ومع ذلك فيها تلك الالوان الحسية الشخصية وفيها تلك الحرارة الفردية. . ولكنها ليست فردية شاذة وانما هى فردية نموذجية لها طابعها الخاص الذى يصلح قياسا للطابع العام حين تتشابه الظروف. . وهذا اللون المميز وهذا الطابع الخاص يضفى على المضمون حيوية تجعله عملا فنيا ذا شأن.

«ولقد ادرك الاستاذ الايرانى ان التمرس بالحياة وتاريخها ودراسة التجربة واستيعابها وتمثلها فى ظروفها ومعرفة الاتجاه الصاعد فيها. . كل ذلك ضرورى للعمل الفنى الحق. . ولكنه فى التطبيق لم يوفق الى عرض هذه القيم فنيا فى بناء قصصى سليم فتراكمت معه ومالت الجدران فى البناء. . كما فهم ان الفنان هو خادم المجتمع الامين وأن الفن اداة من ادوات ترقية الوعى الانسانى وانه وسيلة من وسائل تحسين النظام

الاجتماعى الذى يعيش الناس فى ظله . . من اجل هذه المفاهيم والقيم عددنا الاستاذ الايرانى ظاهرة مضيئة فى تاريخ الادب القصصى فى هذه المرحلة كما كان الاستاذ خليل بيدس ظاهرة مضيئة فى المرحلة السابقة .

«ومدرسة الايرانى ومحاولتها الاعلاء من شأن القيم الاشتراكية والمدرسة المثالية ومحاولتها الرفع من شأن القيم الانسانية والمدرسة الرومانتيكية كادت جميعها ان تأخذ وجهة السير نفسها فى هذه المرحلة . . وما ذلك الا لان الكتاب على اختلافهم فى هذه المرحلة قد صدقوا انفسهم واخلصوا لاتجاهاتهم واتقنوا اعمالهم . . والصدق والاخلاص والاتقان فى العمل مهما يكن المنهج الذى ينتهج ينتج كثيرا من التقارب فى وجهات النظر .

«ولعل ذلك يرجع للظروف التى اشرنا اليها فى المقدمات الاولى للبحث من حيث ظهور الخطر الجسيم والهاوية السحيقة التى سيتردى فيها الكيان الفلسطينى وكل مقومات وجوده بفعل الاستعمار . . فقد احس كل فرد ان الكارثة لا تفرق بين احد فهرولوا جميعهم فى اتجاه واحد .

«والاستاذ الايرانى الذى عددناه من اصحاب المدرسة التى تتخذ الاشتراكية مضمونا فى أدب القصة فى المرحلة السابقة حافظ على اتجاهه وواصل جهوده القصصية وان تكن مجموعته قد ظهرت بعد النكبة بعنوان «مع الناس» الا اننا من قراءتنا لهذه القصص نستطيع ان نحكم بكل يسر ما اذا كانت الواحدة منها مكتوبة قبل النكبة او بعدها .

«ومضى الاستاذ «محمود» فى هذه المرحلة يحاول ان يبلغ بمدرسته غاية بعيدة . . فأتقن عملية الامتزاج بين مضمونه الايديولوجى وبين الشكل الفنى وكان أشد الناس حرصا على ان لا يخلو عمله الفنى مطلقا من



الايرانى (محمود سيف الدين

المضمون الايديولوجى كما كان يفعل ذلك الاستاذ خليل بيدس .

«والى جانب ذلك كان يحسن اختيار افكاره التى يتخذها اساسا لبناء العمل الفنى وكانت عملية البناء تتم وتظهر فيها عوامل النمو والتطور والتغير التى تدفع الحياة الى الامام وكان يختار شخوصه القصصية من بين جماهير الناس .

«وكانوا بسطاء ولكنهم لم يكونوا بحال من الاحوال تافهين . . لأن التفاهة فى العمل الفنى تخلق التناقض الذى يفسد على الفن قيمه ففى قصة (الظمأ) يتخذ خيوطها من وحى ثورة عام ١٩٣٨ بفلسطين وبطلها قروى هجر قريته الجبلية الى المدينة وكان فى اول

شبابه . . بعد ان اجتاح الجوع والموت قريته تلك ابان الحرب العظمى . . وتعلم القروى فى المدينة صناعة الاحذية . . ويموت اطفاله الثلاثة وامهم . . ويبقى وحده لم يستطع المرض ولا الفقر ولا الهم ان يقضى عليه فمازال فى دكانه يصنع الاحذية . . وبريق عينيه مازال متوهجا . . ولكن عاد صانع الاحذية الى الجبل منذ اسابيع . . عاد وانضم الى رفاق له فى الاعالى . . ثم لقى حتفه ببطولة خارقة .

«وهكذا يختار الايرانى فى اعماله الفنية تلك الافكار التى تنتهى بالناس الى ان يقترب بعضهم من بعض ويتعاونوا فى مواجهة الخطر فيستعذبوا باقترابهم وتعاونهم طعم التضحية .

«وفى مطالعاته التى اثبتها فى كتابه «اول الشوط» حول الثائرين من كتاب الغرب امثال اندريه جيد وموريس ماترلنك ود. هـ. لورنس وكاترين مانسفيلد يثير قضايا فكرية وفلسفية واجتماعية وادبية فى غاية الاهمية . . واذن من غايته ان يزيل الحيرة والقلق والشك المهلك وان يعيد الصفاء والطمأنينة الى الوجدان القلمى وان يثبت الايمان بحياة انسانية موفورة الكرامة يحث الناس اليها خطاهم حيث المجتمع الجديد تشتمل عليه فضائل الخير العميم تعوض كل شرور الماضى وآثامه .

«واذا الثقافة ـ فى مفهومه ـ ليست عنصرا قائما بذاته مستقلا بنفسه استقلالا تاما عن موحيات ودوافع المجتمع وميراث هذا المجتمع من اخلاق واوضاع ونظم وسائر القيم التى تحدد علاقة الفرد بالمجتمع . . ومن ثم تحكم المجتمع بالفرد واخضاعه اياه لمظاهر قوته ولحملة قوانينه الخلقية والروحية والمادية . . فاذا لم تكن الثقافة صدى حيا لهذا كله او قل مظهرا خطير الشأن يعبر عن (ارادة هذا المجتمع) ويحمل طابعه ويصور تياراته النفسية اذا لم تكن الثقافة هذا العنصر الفعال وهذا المظهر الخطير الشأن حق لنا ان لا ندعوها ثقافة .

من اثاره القلمية :

نشر «محمود» عشرات المقالات والابحاث والقصص فى امهات صحف الاردن والعالم العربى واذاع مئات الاحاديث وخرج على القارىء العربى بالآثار القلمية المنظومة التالية :

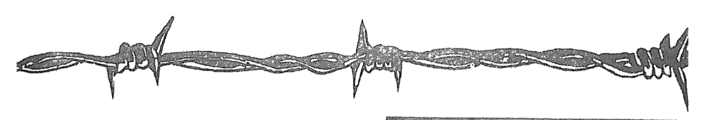
١ ـ اول الشوط (مجموعة قصصية) ١٩٣٧ .
٢ ـ مع الناس (مجموعة قصصية) ١٩٥٦ .
٣ ـ ما اقل الثمن (مجموعة قصصية) ١٩٦٢ .
٤ ـ متى ينتهى الليل؟ (مجموعة قصصية) ١٩٦٤ .
٥ ـ الاردن واليونسكو ١٩٦٥ .
٦ ـ اللغة العربية (٣ اجزاء مع آخرين) ١٩٦٦ للصفوف الاعدادية .
٧ ـ اقاصيص من الغرب والشرق ١٩٦٩ .

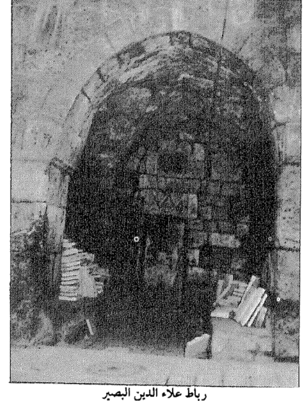
نموذج من نثره :

من قصة الارض الطيبة .

«وفى ايام الشتاء الاخيرة . . كثيرا ما كان الناس يمرون فى مدينة «أريحا» امام رجل قد علت به السن واتسخت ثيابه وبهت لون عمامته «الغبانى» حول طربوشه واستطالت لحيته واغبرت . . رجل مسكين لا يذكر احد أنه رآه يتكلم أو يبتسم أو يغير جلسته . . فهو أبدا جالس القرفصاء عند كوم من برتقال اريحا يبيع منه للمارة . . وفى راحة يده المعروقة المرتعشة برتقالة لا تفارقها أبدا . . يحدق فيها النظر من حين الى حين كالمأخوذ بلونها الذهبى الفاتن . . ثم يتحسسها براحة يده الاخرى فى كثير من اللطف والرفق والرقة» .

انه الحاج داود يحلم ثمة بالارض الطيبة . . والفردوس المفقود .





رباط علاء الدين البصير

رباط علاء الدين البصير

أنشأه الأمير علاء الدين آيدغدي بن عبد الله المعروف بالبصير ناظر الحرمين الشريفين فى سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٧م فى العصر المملوكى كما يبدو فى نقش كتابي تذكارى فوق بلاطة من الرخام ثبتت فوق باب الرباط وقد وقفه الأمير علاء الدين فى عهد الظاهر بيبرس فى السنة الآنف ذكرها. ذُكر أنه لم يظهر له كتاب وقف فكتب محضر بوقفه وثبت لدى حاكم الشرع الشريف تاريخ المحضر الثابت بوقفه: يوم الخميس ثامن عشر ربيع الآخر سنة ٧٤٢هـ/١٣٤٣م وقد وقف «جميع داخل هذا الباب من الأقباء والساحة على الفقراء الواردين لزيارة القدس الشريف».

ويتم الوصول إليه عبر مدخل جميل الشكل يؤدى الى دركاه وهى تؤدى بدورها الى ساحة مكشوفة كبيرة الحجم ويقوم حولها عدد من الخلاوى ويوجد مسجد فى الجهة الجنوبية الغربية من الساحة وهو مغطى بأقبية متقاطعة وله محراب وهو عبارة عن حنية مجوفة فى الجدار الجنوبى.

وفى العصر العثمانى استعمل هذا الرباط سجناً ثم تحول الى دار للسكن. وقد أضيف اليه عدد من الغرف فى وسط الساحة المكشوفة.

ويقطن فيه الآن عدد من السودانيين الذين وفدوا الى القدس واستقروا فيها.

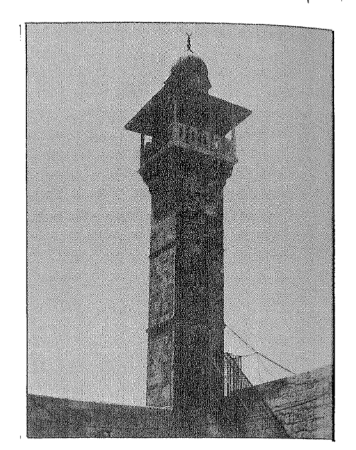
زاوية الشيخ حيدر

وتقع فى حارة الشرف عند قنطرة تسمى قنطرة دار غنيم. ذكر مجير الدين الحنبلى وهو يتحدث عن الحارات المشهورة فى القدس حارة تسمى حارة الحيادرة وأضاف انها سميت كذلك «نسبة لزاوية به

الدين الخليلي ناظر الحرمين الشريفين فى سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م.

وتتكون هذه المئذنة من بناء مربع الشكل يقوم على قاعدة مربعة عالية ولها مدخل شمالى ويتم الوصول اليه بوساطة سلم حجرى يقع فى الزاوية الجنوبية الغربية عند التقاء مبنى جامع المغاربة بجامع النساء ويقوم الطابق الأول فوق القاعدة وهو مربع الشكل أيضا ويقوم فوقه طابق ثان وله شرفة حجرية مربعة فى أعلاه وهى محمولة على حطتين من المقرنصات وفى وسطها بناء مربع صغير يشكل انتهاء بناء المئذنة.

وفى أعلى البناء يوجد نص كتابى يشير الى تحديد البناء من قبل المجلس الاسلامى الأعلى فى سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م وقد أقيمت طاقية حجرية جميلة الشكل فوق هذا المربع الصغير فى أعلى المئذنة.



لطائفة الحيادرة» المذكورين.

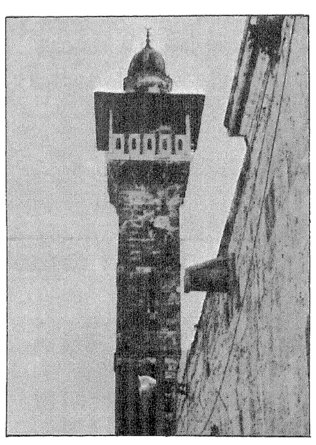
وقد جاء فى نقش أن محمداً الحيدرى هو الذى تولى عمارتها فى النصف الثانى من القرن السابع الهجرى ولعل تاريخ بنائها يعود الى سنة ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥-١٢٧٦م.

وهى خراب اليوم وقد أزيلت ولم يبق منها أثر وذلك فى أثناء إعمار ما يسمى الحى اليهودى داخل السور فى القدس.

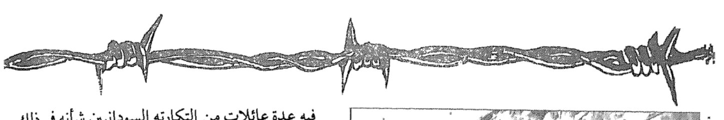
وكانت هذه الزاوية تتألف من صحن مكشوف يحيط به عدد من الغرف ويوجد قبر الشيخ حيدر فى إحدى تلك الغرف.

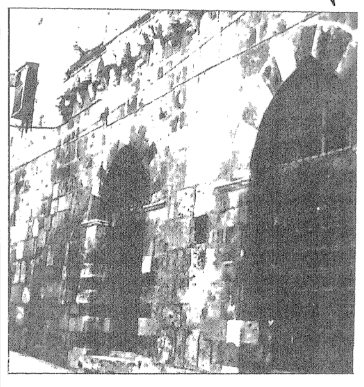
المئذنة الفخرية

وتسمى مئذنة باب المغاربة. أنشأها القاضى شرف الدين عبد الرحمن بن الصاحب الوزير فخر



المئذنة الفخرية





الرباط المنصوري

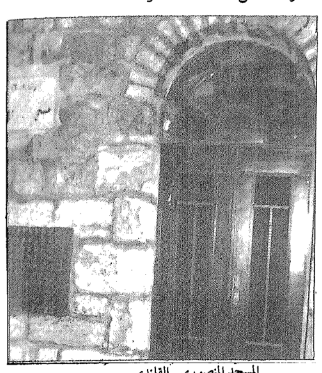
(الرباط المنصوري)

ينسب هذا الرباط الى المنصور قلاوون الصالحى وقد وقفه على الفقراء وزوار القدس فى سنة ٦٨١هـ/١ ١٢٨٢-١٢٨٣م كما يتبين من نقش كتابى فوق باب الرباط وقد أشرف علاء الدين البصير على عمارته. وهو من المؤسسات السلطانية القليلة التى بنيت خارج الحرم الشريف وقد تولى الاشراف عليه عدد من الشيوخ.

ويتكون هذا الرباط من ساحة مكشوفة يحيط بها عدد من الغرف والخلاوى وقد ألحق به مسجد.

ويتم الوصول اليه عبر مدخل معقود يؤدى الى دركاه وهى ذات سقف قبو متقاطع وتؤدى الدركاه بدورها الى الساحة المكشوفة والغرف والخلاوى والمسجد.

وفى العصر العثمانى حول هذا الرباط الى سجن فسمى حبس الرباط ثم استخدم فى العصر العثمانى المتأخر داراً للسكن وما يزال كذلك الى الآن وتسكن فيه عدة عائلات من التكارته السودانيين شأنه فى ذلك شأن رباط البصير وقد أضيف اليه حديثا عدد من الغرف داخل الساحة المكشوفة.



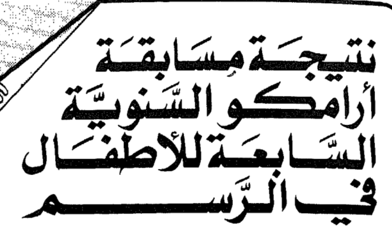
المسجد المنصورى ـ القلندى

(المسجد المنصورى ـ القلندرى)

أنشأه السلطان سيف الدين قلاوون ووقفه فى سنة ٦٨٦هـ/ ١٢٨٧-١٢٨٨م كما يبدو فى نقش كتابى تذكارى كتب على الحائط المطل على الطريق العام المؤدى إليه.

ويتم الوصول اليه عبر باب فى جداره الشمالى يؤدى الى بيت الصلاة مباشرة ويتكون بيت الصلاة من بناء مستطيل الشكل ويغطيه قبو برميلى وله محراب حجرى يتكون من حنية متوجة بطاقية.

ويبدو أنه أهمل مما أدى الى خرابه وقد تم اصلاحه وترميمه قبل سنوات ووضعت لوحة كتابية رخامية فى أعلى مدخله كتب عليها المسجد المنصورى.



نتيجة مسابقة أرامكو السنوية السابعة للأطفال في الرسم

وقع اختيار لجنة التحكيم على مائة لوحة بزيادة خمس وعشرين لوحة عمّا أعلن سابقا، وذلك من بين ما يزيد على ألفين وخمسمائة لوحة من الرسوم الجيدة التي تنم عن كثير من الأصالة والإتقان. لقد زيد عدد اللوحات المختارة نتيجة لتقارب المستويات الفنية للوحات واتسامها بالجودة والجمال، وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدلّ على المستوى الطيب الذي وصل إليه أطفال مملكتنا الحبيبة في هذا المضمار.

لقد تمّ الاتصال برقيًا بأصحاب اللوحات المختارة، وتم تسليم معظم الجوائز. ويطيب لإدارة العلاقات العامة بأرامكو أن تنتهز هذه الفرصة لتُعرب عن بالغ شكرها لجميع الذين شاركوا في المسابقة وللأساتذة والمسؤولين في المدارس في جميع أنحاء المملكة لما همتهم في إنجاح هذه المسابقة وإظهارها بهذا المظهر الجيد. كما تجدد الدعوة لجميع الأطفال في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيُعلن عنها في بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله. والله ولي التوفيق.

فيما يلي أسماء أصحاب اللوحات التي اختارتها اللجنة:

أحمد خليفة الخشرم
مدرسة المثنى بن حارثة - عرعر

أحمد محمد علي
عرفات المتوسطة - مكة المكرمة

أحمد ناصر الحداد
متوسطة وثانوية الحويلات - الجبيل الصناعية

أحمد نزيه عز الدين شونو
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

أحمد دلي مناع العنزي
الفيصلية الابتدائية - عرعر

أروى إحسان علي خليل حسان
مدارس المستقبل الأهلية - الرياض

أريج إبراهيم عبد الرحمن الضراب
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

أسامة مصطفى جبريل
متوسطة الترفيق بالظفير - الباحة

أسامة نور الدين رواس
الظهران

أسماء محمد عبد الله النافع
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

أشواق سعد فهد الوعلان
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

الريض عشيان الحازمي
معن بن زائدة الابتدائية - عرعر

أماني أسامة جعفر فقيه
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

أمل سالم علي باناعمة
المدرسة السابعة عشر المتوسطة - جدة

باسم القاضي
مدارس جامعة البترول والمعادن - الظهران

بدر فارس الحربي
مدارس جامعة البترول والمعادن - الظهران

بلال فياض
مدارس جامعة البترول والمعادن - الظهران

بلسم عبد العزيز سليمان الروق
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

حاتم سالم طلاق الرويلي
مدرسة سعيد بن المسيب المتوسطة - عرعر

حسن عبد السلام حسن أحمد
ابن الأثير الابتدائية - عرعر

حسن مكي
مدرسة حي المركبات - الدمام

حلا أنس سنو
الفيصلية الإسلامية للبنات - الخبر

حنان حسن عبد المعطي عبد العال
الأولى الابتدائية للبنات - الجوف

خلود مساعد إبراهيم العيدان
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

دينا علي طلال الجهني
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

رامي حسين فياض
مدارس جامعة البترول والمعادن - الظهران

رانية نزار سعيد الكردي
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

رذاذ فيصل أحمد زيدان
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

رشا محمد رجائي هاشم
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

رغدان فخري رباح
الثغر النموذجية بالرويس - جدة

رولا راشد حمود
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

ريم عبد العزيز صالح الجربوع
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

ريم فيصل عبد العزيز المعمر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

سارة عاشور
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

سامح فوزي ناصر
مدارس جامعة البترول والمعادن - الظهران

سديم عبد العزيز إبراهيم الحجاز
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

سلمان أحمد صالح التويجري
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

سلمى عبد الكريم عثمان الرشيد
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

سليمة طاهر أبو عافية
مدرسة الدوحة السعودية للبنات - الرياض

سمر إسماعيل عبد الرحيم السقطي
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

سند فنطول هليل العنزي
متوسطة وثانوية الحويلات - الجبيل الصناعية

سهيل فوزي ناصر
مدارس جامعة البترول والمعادن - الظهران

صالح محمد بن عفيف
مدرسة عرفات المتوسطة - مكة المكرمة

صالح محمد صالح المقبول
مدرسة عرفات المتوسطة - مكة المكرمة

طليحان مسلم عايد
مدرسة لينة الابتدائية - عرعر

عبد الكريم أحمد الهطيبل
المدرسة المتوسطة بدومة الجندل - الجوف

عبد الحليم محمد زيني تامبول
مدرسة عرفات المتوسطة - مكة المكرمة

عبد العزيز راشد فريح
متوسطة الفاروق بسكاكا - الجوف

عبد الله إبراهيم راشد الغنيم
الرياض

عبد الله حسن أحمد عبد الوهاب
مدرسة عرفات المتوسطة - مكة المكرمة

عبد الله عبد العزيز أمين
مدرسة سعيد بن المسيب المتوسطة - عرعر

عفراء الشريف مساعد آل عبد الله
المدرسة الرابعة والستون الابتدائية - مكة المكرمة

عفيف مجيد خوري
مدارس جامعة البترول والمعادن - الظهران

علي محمود علي
مدرسة طريف المتوسطة - عرعر

عمر طلعت بدر
مدارس جامعة البترول والمعادن - الظهران

عمر فاروق القاوقجي
مدارس جامعة البترول والمعادن - الظهران

فراس عبد الله صالح البنيان
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

فرحان عيد الجميلي
مدرسة معن بن زائدة الابتدائية - عرعر

فواز نايف عبد المحسن الويشير
مدرسة حي المركبات - الدمام

فيصل عبد الله صالح العميل
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

قاسم محمد هليل
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عرعر

لميس عبد العزيز الرقطان
مدارس الجامعة - الظهران

لورا بيونغ
مدرسة الظهران

لويزا هان
مدرسة الظهران

لينا فهد عبد الرحمن الصميت
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

ماجد عبد العزيز مكي تركي
مدارس الرياض الأهلية للبنين

متعب منصور ناصر الثنيان
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

محمد سليمان عبد الله السلمان
مدرسة الفتح الابتدائية - بريدة

محمد عامر عبده الحماطي
مدرسة عرفات المتوسطة - مكة المكرمة

محمد هاني كامل محمد
مدرسة الدمام المتوسطة - الدمام

محمود إسماعيل إبراهيم علي نقي
مدرسة رحيمة النموذجية - رحيمة

محمد مازن رشيد نوفل
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

ملفي خلف سليمان الصلبي
مدرسة معن بن زائدة الابتدائية - عرعر

منى أحمد نظيم سليمان
السابعة والسبعون الابتدائية للبنات - مكة المكرمة

منى عبد الرحمن أنور الراكان
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

منى عمر سرحان
المدرسة الأمريكية - الرياض

منى محمد عبد العزيز السابق
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

مها عوفي محمود كنانة
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

مها مروان محمد ملحس
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

مها مصطفى جبريل
متوسطة الترفيق بالظفير - الباحة

مهدي صالح محمد بن سند
مدرسة حلة محيش الابتدائية - القطيف

مي عبد الله الجويسري
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

نادر محمد عثمان
مدرسة حي الإسكان الجامعي - الرياض

نانيس كامل محمود
المدرسة الابتدائية الأولى - الدمام

نجوان نور الدين حسين شرف الدين
مستشفى فرزي بالخبر - بواسطة والدها

نوره محمد نزار محمد فتيح
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

نوف خليفة عبد الله اليحيا
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

نوف فايز بدر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

نوف محمد بن خالد السديري
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

هبة أحمد نظيم عبد الرحمن
مدرسة البنات السابعة والسبعون - مكة المكرمة

هبة خورشيد
مدارس التربية الإسلامية - الرياض

هبة عادل العوامي
روضة القطيف الأهلية - القطيف

هتان عبد الله منصور الشعبي
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

هدى إعجاز أحمد عبد العزيز
مدارس الرياض للبنين والبنات - الرياض

هشام علي أحمد موسى
مدرسة جيل الفيصل النموذجية - جدة

وائل عبد المجيد عميرة
مدرسة حسان بن ثابت الابتدائية - المدينة المنورة

وعد مجدي علي شكري
مدارس الرياض - الرياض

وليد أسليم فليفل
مدرسة المعتصم بالله الابتدائية - عرعر

ياسر بدر الهبيدي
متوسطة وثانوية الحويلات - الجبيل الصناعية

يامن محمد عمر باقادر
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

(PRI-3-86)

ملامح الاصالة النقـ[illegible]

كتاب العمدة

محمد الضبعاني



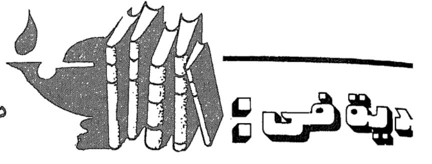
تعرض ابن رشيق القيروانى فى مطلع عصرنا الحديث لعدد من الاتهامات التى رماه بها عدد من الباحثين والدارسين فى مجال الدراسات الأدبية . . الذين اتهموه بالتقليد والنقل فى كل ما تضمنه كتابه «العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده» من موضوعات وقضايا بل زعموا مهمة ابن رشيق فى كتابه لم تعدُ أن تكون جمعا لآراء من تقدمه من النقاد وتبويبا لها فى مصدر واحد دون اضافة أو تجديد.

وليت الأمر وقف بهم عند هذا الحد من التجنى والافتيات على ما بذله ذلك الناقد المغربى وقدمه من جهود لحركة الأدب والنقد فى عصره بل حاولوا النيل من عقله وفكره فرموه بالسطحية الفكرية والسذاجة الذهنية حتى فى تناوله وترتيبه لتلك الآراء التى نقلها مما جعل الكتاب - فى نظرهم - يفتقد ملكة الابتكار والتجديد . . فهو - كما يرون - قلما ينتقد قولا أو يذهب مذهبا إلا إذا كان الكلام منقولا أو مذهبا مأثورا.

ولكن المتصفح لمحتويات ذلك السفر النقدى الكبير يستطيع أن يقف على مدى ما بذله ابن رشيق من جهود نقدية وأدبية رائعة خلال عرضه للعديد من مشكلات الأدب والنقد وبخاصة تلك التى تتصل بقضايا الشعر وعملية الابداع الفنى التى جعلها المحور الرئيسى لمحتويات هذا الكتاب.

كما يستطيع أن يتأكد من أن ما رمى به ابن رشيق من اتهامات قد قالها أصحابها دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة البحث وعناء التدقيق فى محتويات كتابه «العمدة» ليقفوا على الابعاد الحقيقية لشخصية ابن رشيق النقدية وكيف كانت معالجته للعديد من المشكلات التى تتصل بالأديب والنقد وقضاياهما التى كانت لا تزال مثار بحث ودراسة لدى النقاد حتى عصره.

ومع ذلك التحامل والتجنى الذى تعرض له ابن رشيق وجهوده الادبية والنقدية لم نعدم بعض الاراء المنصفة التى تعيد الأمور الى نصابها دون محاباة أو مواربة ففى الوقت الذى تطالعنا فيه هذه الاتهامات المتقدمة لابن رشيق لدى كل من الدكتور شوقى ضيف . . والدكتور بدوى طبانة . . والأديب التونسى محمد الحليوى نلمح على الطرف المقابل آراء منصفة تتولى الرد عليها وتصحح ما وقع



ـدية في :

د. حسن ذكرى حسن مدره

ابن رشيق القيرواني (٤٥٦هـ)

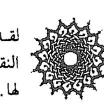
فيه أصحابها من أخطاء وتحامل على ابن رشيق.

فالقاضى الفاضل إمام الانشاء فى عصره وحامل لوائها فى القرن السادس الهجرى يمدح كتاب «العمدة» لما وصل به صاحبه فى عالم النقد عندما يقول: «والعمدة تاج الكتب المصنفة فى هذا النوع يعنى الانتقاد أو النقد الأدبى

كما يرى ابن خلدون: أن كتاب العمدة لابن رشيق لم يكتب مثله فى النقد الأدبى من قبل.. وأن صاحبه قد تفرد بذلك العمل الأدبى والنقدى الكبير فيقول: «وهذا الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة وأعطاها حقها ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله»

أما الدكتور زغلول سلام: فيرى أن كتاب العمدة يعد بحق عمدة الدراسات الشعرية فى هذا العصر ..

كما نوه الأستاذ أحمد أمين بجهود ابن رشيق النقدية فى كتابه حينما قال: «إنه بهذا الكتاب قد نقل النقد من نقد شاعر خاص أو شعراء معينين كما فعل صاحب الموازنة والوساطة الى نقد الشعر بعامة وهو كذلك قد نقل النقد الى المغرب فلم يعد وقفا على علماء المشرق.



لقد اطلع ابن رشيق على جهود معظم النقاد الذين تقدموه وأفاد من دراسته لها.. واعجب ببعض آرائهم فأيدها ودافع عنها.

وفى الوقت نفسه لم ترقْهُ بعض الآراء الأخرى فرفضها وكشف عن خطئها.. واستطاع أن يتوصل الى آراء تكاد تختلف معها وربما تعارضها تمام المعارضة. ومن هنا كانت له آراؤه الخاصة كناقد أدبى والتى لم يسبقه إليها أو يشاركه فيها أحد من المتقدمين.

فإذا ما ذهبنا نحلل محتويات ذلك الكتاب تكشفت لنا ملامح الأصالة الأدبية والنقدية التى تمتع بها ابن رشيق.. كما تتضح مكانته البارزة بين نقاد عصره.. وأن الاتهامات التى سددت إليه صدرت عن أصحابها دون أن يكلفوا أنفسهم مشقة الغوص فى محتويات ذلك السفر النقدى الكبير - حيث تبدو ملامح الأصالة الأدبية والنقدية لدى ابن رشيق واضحة جلية يحفل بها كتاب العمدة بين طيات صفحاته والتى يمكن لنا أن نشير إلى عدد منها للاستدلال على ذلك.

(١) إن أول ما يطالعنا من معالم الأصالة النقدية لدى ابن رشيق ما توصل إليه من تحديد دقيق وجديد لمفهوم الشعر لم يسبقه إليه أحد ممن تقدمه من النقاد ـ فهو وإن عرض لتعريف «قدامة بن جعفر» للشعر إلا أنه لم يقتنع به ورآه قاصرا عن تحديد مفهوم الشعر تحديدا سليما لأن الشعر الحق الجديد بهذه التسمية فى نظره هو ما أطرب وهز النفوس وحرك المشاعر

ولهذا أطلق على القائل له اسم الشاعر لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره . . فهو على ذلك تعبير عن شعور الشاعر . . وتصوير لما يختلج فى حنايا نفسه من مشاعر وأحاسيس مختلفة . . فهو عالم الخيال المطلق بعيدا عن الفلسفة وسرد الأخبار والعلم لأنها فى الواقع باب آخر غير الشعر وإن وقع فيه شىء منها فبقدر .

وبهذا الفهم الواعى لوظيفة الشعر يكاد يكون ابن رشيق أول من اهتدى الى تحديد ملائم لمفهوم الشعر يقترب من الكمال ويلتقى مع كثير من تعاريف المحدثين له . . مع تقدمه عليهم بمئات السنين .

(٢) كما كان ابن رشيق أول من تناول عملية «الابداع الفنى» بطريقة تجريبية جديدة لم يسبقه إليها أحد من النقاد المتقدمين بمثل هذه الاحاطة والشمول . . حيث استطاع أن يصف مدى ما يعانيه الشاعر . . ويسجل قوة ما يصادفه من صعاب ساعة الخلق الأدبى . . وما ذلك إلا نتيجة لتجربة حية عاشها ابن رشيق باعتباره شاعرا قد مرت به تلك العملية الفنية مرارا ـ فكان حديثه عنها حديث الخبير المجرب الذى يسجل أحاسيسه ومشاعره بصدق وأمانة .

ونظرا لأهمية ذلك الموضوع عنده آثره بتخصيص . باب من أبواب كتابه أطلق عليه **«باب عمل الشعر وشحذ القريحة له»** . بين فيه بأسلوب سهل ومنهج واضح كيف تكون المعاناة التى يتعرض لها الشاعر ساعة ابداعه . . إنها لحظات قاسية شديدة المعاناة لا يستطيع تحديدها ولا يقوى على وصفها إلا من عايشها على الحقيقة واكتوى بحر نارها ـ حيث لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا يعرف الصبابة إلا من يعانيها .

لكل ذلك جعل ابن رشيق عمل الشعر على الشاعر أشد من نقل الصخر . . وكالبحر أهون ما يكون على الجاهل ـ أهول ما يكون على العالم به . . وأتعب أصحابه قلبا من عرفه حق معرفته

(٣) يعد ابن رشيق أول من وضح معالم الاصالة الفنية امام الشعراء من خلال ما طالبهم به من وجوب الاطلاع على الشعر القديم ورواية الكثير منه وحفظ روائعه حتى يتشبع الشاعر بطرق الأقدمين فى نظمه ويقف على نهجهم فى قرضه فى نفس الوقت الذى يدعوهم فيه إلى الاطلاع على أشعار المحدثين والوقوف على ما أتوا به من معان جديدة لم يتناولها الأقدمون . . ومن عملية الامتزاج بين هذا وذاك يستطيع الشاعر أن يختط لشعره طريقا . . ويوجد لنفسه مذهبا جديدا . . لا يعادى القديم ولا ينعزل على الحديث المعاصر . وهذه هى أهم معالم الأصالة الأدبية كما فهمها المحدثون .

(٥) خالف ابن رشيق كثيرا من النقاد فى تناولهم لموضوع الوحدة فى القصيدة العربية كالحاتمى وابن طباطبا وغيرهما حيث لم يدرك النقاد العرب «مضمون الوحدة العضوية» التى نادى بها «أرسطو» ومن هنا حاولوا تطبيقها على القصيدة العربية التى لا تعرف إلا اللون الغنائى من الشعر وحده ولكن ابن رشيق

استطاع بفهمه الثاقب وذهنه الدقيق أن يكشف عن أبعاد تلك القضية ويدرك بعد مراميها حينما أعلن أن الوحدة العضوية لا تصلح إلا فى الشعر القصصى وسرد الحكايات حيث يلزم فيها أن يتم بناء اللفظ على اللفظ وذلك اللون الشعرى غير موجود فى الشعر العربى إلا نادرا وطالب بوحدة البيت المفرد فقط فقال: وأنا استحسن أن يكون كل بيت قائما بنفسه لا يحتاج الى ما قبله ولا الى ما بعده وما سوى ذلك فهو تقصير إلا فى مواضع معروفة مثل الحكايات وما شاكلها فإن بناء اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة السرد.

لقد وعى ابن رشيق طبيعة الشعر العربى التى لا تتلاءم والوحدة الموضوعية وأن الوحدة الفنية هى التى تصلح له دون غيرها ولا عجب فهو أديب شاعر قبل أن يكون ناقدا ومما يؤكد أصالة ابن رشيق فى دعوته هذه ويدعم نظريته أن «الوحدة الفنية» التى نادى بها فى القصيدة العربية لازالت سائدة بين النقاد حتى عصرنا الحديث.

(٦) وإذا كان ابن رشيق يشبه النقاد المشارقة لشدة تعويله عليهم وكثرة ما نقله عنهم واعتماده على ما خلفوه من تراث نقدى كبير فكم وجدنا له من تصويبات لآرائهم وجرأة فى الرأى تتمثل فى مخالفته لكثير من الآراء المألوفة لديهم والمروية عن كبار النقاد منهم كالجرجانى وابن طباطبا وقدامة وغيرهم.

(٧) ومن مواطن أصالته ما انفرد به من حكم فى قضية الطبع والصنعة حيث اتخذ له فيها رأيا خاصا مخالفا فيه المعهود عن معظم النقاد المشارقة الذين دائما ما يحثون على الطبع ويفضلونه على الصنعة فإذا بابن رشيق يخالفهم فى هذا الرأى المشهور بينهم كقاعدة نقدية ثابتة ويحكم بأن الصنعة عنده مقدمة على الطبع شريطة ألا يظهر أثر التكلف أو التعمل عليها.

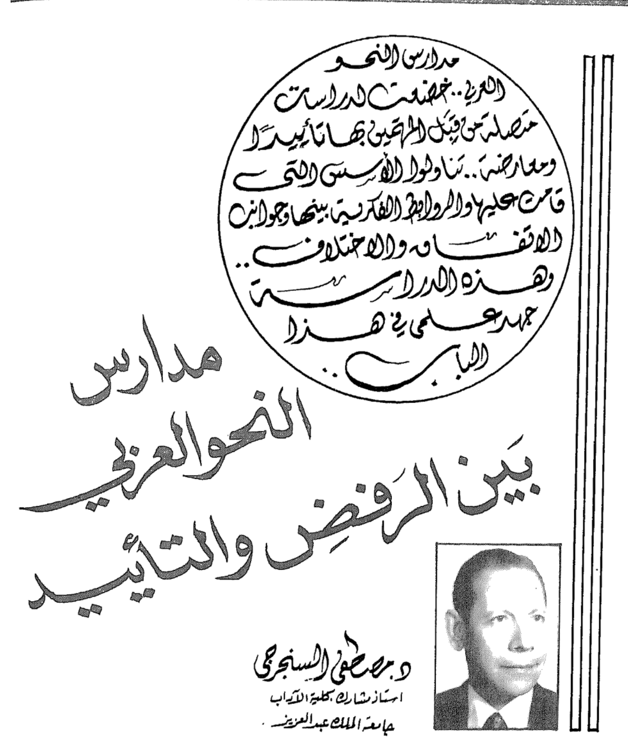
(٩) ومن الأبواب الطريفة التى جاء بها ابن رشيق فى كتابه العمدة «باب المعانى المستحدثة» الذى حاول فيه أن يكشف عن معانى المحدثين وما أبدعوه فيها وما اخترعوه منها وذلك بطريقة تكاد تكون جديدة لم يهتد إليها أحد قبله.

فقد لاحظ أن للمحدثين معانى كثيرة.. مبتكرة وجديدة.. وبخاصة بشار وأصحابه من المحدثين والمولدين.. فقد زادوا معانى ما مرت قط بخاطر جاهلى ولا إسلامى

وكان ابن الرومى فى نظره أهم شاعر عباسى يعنى بهذا الجانب الفنى.. ولذا فهو فى نظره أولى بأن يطلق اسم شاعر عليه.. الخ.

ومهما يكن فان كتاب «العمدة» الذى دبجته يراع ابن رشيق يعتبر فتحا جديدا فى عالم الكتب النقدية ـ فهو أول كتاب من كتب النقد يتخصص فى نقد الشعر. ويتناول فى دراسة موسعة كل ما يتعلق به وبقائله من عمل الشعر لأغراض الشعر وأوزانه وكل ما يتصل به ويسهم فى وجوده وتجويده ـ فهو فى الحقيقة لم يترك شاردة أو واردة تسهم فى دراسة الشعر وتعمل على جودته إلا تناولها وأشبعها بحثا ودراسة وذلك عكس ما تقدمه من كتب ومؤلفات سابقة حيث لم يكن النقد فيها مقصودا لذاته.. ولم تقتصر على دراسة الشعر وحده.

فكتاب العمدة بحق. يحتوى على نظرية شاملة للشعر عند العرب لم يعرض لها أحد من قبله كما عرض لها ابن رشيق وما زالت تحدث أثرها فى مجال الدراسات الأدبية والنقدية حتى اليوم.



من الاستعمالات اللغوية الحديثة استعمال كلمة مدرسة بمعنى الاتجاهات النحوية لطائفة من نحاة النحو العربى تنتمى إلى بلد معين فنقول مثلا «مدرسة البصرة النحوية» ونعنى الاتجاهات النحوية لنحاة البصرة.

ومن الرواد السابقين عندنا الى هذا الاستعمال الأستاذ احمد امين فقد جاء هذا الاستعمال فى كتابه ضحى الاسلام الذى بدأ نشره سنة ١٩٣٣م وذلك فى حديثه عن علم النحو فقد تحدث عن نشأته ووضح رأيه فى مدى تأثير اليونان والسريان فى وضعه ثم قال: «وعلى كل حال فقد تُوِّج نحوُ البصرة بسيبويه ونشأت بالكوفة مدرسة وعلى رأسها أبو جعفر الرؤاسى وتلميذاه الكسائى والفرّاء.

أنشأ الرؤاسى مدرسة الكوفة فى النحو ووضع فيها كتابا لم يصل الينا وقالوا إن الخليل اطلع عليه وانتفع به وبدأت من ذلك الحين مدرسة الكوفة تناظر مدرسة البصرة.

بدأ الخلاف هادئا بين الرؤاسى فى الكوفة والخليل فى البصرة ثم اشتد بين الكسائى فى الكوفة وسيبويه فى البصرة وصار لكل مدرسة علم تنحاز إليه كل فرقة ويظهر ان هذه العصبية العلمية بين المدرستين كانت مؤسسة على العصبية السياسية التى ظهرت بين البلدين»(١).

وهكذا ظل يستعمل كلمة مدرسة بهذا المعنى فى حديثه عن علم النحو ثم شاع هذا الاستعمال فرأينا عدة بحوث تتناول بالدراسة هذه الاتجاهات النحوية ويطلق على كل بحث منها كلمة مدرسة مثل **«مدرسة الكوفة»** ومنهجها فى دراسة اللغة والنحو وهو اسم البحث الذى قدمه الأستاذ الدكتور مهدى المخزومى الى كليـة الآداب بجامعة القاهرة سنة **١٩٥٣**م ليحصل به على درجة الدكتوراه.. ومثل **«مدرسة البصرة النحوية»** وهو اسم البحث الذى قدمه الأستاذ الدكتور عبد الرحمن السيد الى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة سنة **١٩٥٨**م ليحصل به على درجة الماجستير ومثل **«المدرسة النحوية فى مصر والشام»**.. وهو اسم البحث الذى قدمه الأستاذ الدكتور عبد العال سالم إلى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة سنة **١٩٦٢**م ليحصل به على درجة الماجستير.

كما وجدنا هذه الكلمة بهذا الاستعمال قد جرت على اقلام بعض الباحثين كما فى بحث الاستاذ الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبى وهو «أبو على الفارسى» وهو البحث الذى قدمه الى كلية دار العلوم سنة **١٩٥٧**م ليحصل به على درجة الدكتوراه.. فقد تحدث فيه عن جهود أبى الاسود فى وضع النحو ووضح رأيه فى عمل أبى الأسود فى شكل المصحف عن طريق النقط ثم قال: ومهما يكن من أمر فإن أبا الأسود قد وضـع علم النحـو واستخلفـه ابن عباس على البصرة وظل بها يلقى تعاليمه الى أن لقى ربه سنة **٦٩**هـ.. وقد أخذ عنه عنبسة الفيل ونصر بن عاصم الليثى (**٨٩**هـ) ويحيى بن يعمر (**١٢٨**هـ) وهم رأس المـدرسة البصرية فى النحو. وتتظاهر الروايات على أن اول كوفى وضع كتابا فى النحو هو أبو جعفر الرؤاسى بعد نحو مائة عام من تأسيس المدرسة البصرية ولذلك عد الرؤاسى رأس المدرسة الكوفية.. ويتتابع تلاميذ كل من أبى الأسود الدولى وأبى جعفر الرؤاسى على النحو الذى تذكره كتب الطبقات.

وكان لكل مدرسة طابع خاص فى تناول الدراسات النحوية مما كان سببا فى اشتداد التنافس بين المدرستين(٢).

وهكذا انتشر عندنا استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى.. وهو استعمال منقول عن الغرب فالباحثون فى حقل الـدراسـات اللغـويـة من الغـربيين قد سبقونا الى هذا الاستعمال. وأذكر على سبيل المثال المستشرق «فلوجل: Flugel» الذى درس العربية فى ليبزخ وفيينا وباريس ـ وعندما رجع الى ألمانيا عين أستاذا للغات الشرقية فى معهد ميسان الملكى.. وقد ألف كتابا فى مدارس العرب النحوية طبع فى ليبزخ سنة **١٨٦٢**م(٣).

واكبر ظنى أن استعمال كلمة مدرسة بهذا المعنى عندنا جاء بديلا لكلمة (مذهب) التى كانت سائدة فى هذا المعنى من قبل.. ولا يزال كثير من المحدثين يؤثرون استعمالها لأصالتها فى هذا المعنى.

وسواء أكانت الكلمة المستعملة هى (مدرسة) أم (مذهبا) فبعض الباحثين المحدثين يرفضون أن يكون عندنا مدارس أو مذاهب فى النحو العربى.

وذهب آخرون الى وجودها. . ويمكننا ان نفصل القول فى ذلك على النحو الاتى :

الرافضون للمدارس النحوية:

يجدر بنا أن نستهل حديثنا عن الرافضين للمدارس النحوية بما ذكره «كارل بروكلمان» Brockelman,C: فى أمر هذه المدارس ـ فقد ذكر أن العرب افترضوا ان هناك خلافا كان قائما بين مذهبين لغويين وظل كذلك عدة أجيال إلى أن تمت تسويته فى بغداد حينما توحد المذهبان فى مدرسة بغداد وذلك حيث يقول «قد افترض العرب فيما بعد استنادا الى روايات التاريخ الأدبى أن الخلاف كان قائما بين مذهبين لغويين هما مذهب البصرة ومذهب الكوفة وأن هذا الخلاف لم يُسَوَّ إلا بعد أجيال عندما اندمج المذهبان وتوحدا فى مدرسة بغداد. . ولكن الذى يظهر لنا أن المنافسات بين علماء هاتين المدرستين البصرة والكوفة قد بولغ فيه الى حد لا مبرر له»(٤).

ومن اليسير أن يدرك القارىء أن هذه العبارة تشعر بالانكار والتشكيك فى أمر هذه المدارس ولهذا كانت ذريعة للشك فيها.

وأيا ما كان الأمر فقد رفض بعض المحدثين من اللغويين العرب القول بوجود مدارس فى النحو العربى ونذكر منهم الاستاذ سعيد الافغانى. . والأستاذ الدكتور كمال بشر. . والأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر.

أما الاستاذ سعيد الافغانى فنراه حين يتحدث عن هذه المدارس يتساءل قائلا: ماذا يراد من كلمة مذهب أو مدرسة حين يقال فى علوم اللغة العربية ومذهب البصريين أو مدرسة الكوفيين؟.

ثم يجيب فيقول: «**إن نظرة فاحصة فى دراسات المحدثين تقودنا الى الشك فى بعض ما عدوه من المسلمات انسيابا على أذيال بعض القدماء ممن تكلم فى النحو والنحاة.**

لقد ادار هؤلاء التصنيف على البلدان فقالوا «نحاة الكوفة» و«نحاة البصرة» و«نحاة بغداد» حين ألفوا فى الطبقات فساق هذا ـ مع تساهل كبير ـ الى أن قيل فيما بعد «مذهب البصريين» و«مذهب الكوفيين» و«مذهب البغداديين».

وقد حان الوقت لتصحيح هذه التسمية فالأقدمون ومن تأثر بنظرتهم من المحدثين جعلوا البصريين أهل القياس لأن من ضبطه منهم كثيرون جدا ولهم فيه عناية بالغة على حين عدوا الكوفيين أهل سماع لأنهم سجلوا كل ما سمعوا وأراغوا القياس عليه فلم يحكموه إحكام الأولين وإن أربوا عليهم فى السماع مقدارا لاضبطا وجودة(٥).

وحين يفصل القول فى السماع والقياس عند البصريين والكوفيين نجده يختم حديثه بقوله «والدقة التى يؤيدها التاريخ والامعان فيه. وفى أقوال الكوفيين والبصريين ألا يكون مذهب بصرى يقابله مذهب كوفى. . بل نزعة سماعية يقابلها نزعة قياسية يختلف حظ كل منهما صحة وحالا ومقدارا بين البلدين. . بل بين نحاة كل بلد على حدة. على ذلك الأساس يصح أن نعيد النظر فى النحو وتاريخه ورجاله بهذا التصنيف الجديد بعد أن علمنا أن النزعتين تتمثلان على حقهما بالبصرة لا بالكوفة»(٦).

وحين يتحدث عن المذهب البغدادى يذكر أنه انتهى الى تصحيح التسمية الشائعة: المذهب البصرى والمذهب البغدادى وأن الأصوب أن يقال نحاة بصريون ونحاة كوفيون ونحاة بغداديون.. يختلف سهم كل فريق من حيث النزعة السماعية والنزعة القياسية عن نصيب غيره كما وكيفا(٧).

كذلك الحال حين يتحدث عن المدرسة: الاندلسية فإننا نجده يذكر أن علماء الأندلس وطلابه عكفوا على كتب البصريين والكوفيين فدرسوهما واختاروا منهما وتكون لهم مذهب خاص كانوا فيه إلى مذهب البصريين أميل وكذلك كان أكثر العلماء الوافدين عليهم من المشرق أو النازحين إليه منهم لطلب العلم(٨).

ويستمر فى حديثه عن هذا المذهب وعن رحلته الى بلاد الأندلس الى أن يقول: «أما بعد فأنا لا أقول بالاقليمية بالأدب فكيف تخطر لى فى العلم وهو الذى لا وطن له؟ وإنما تتعاون على انمائه جماهير من كل جنس وبلد ولعل المسألة من مسائله بُذِلَتْ فى كشفها جهود كثيرة ضخمة من معلومين ومجهولين، بل ما أكثر الجنود المجهولين فى العلم وإنه ليقع فى حدسى أنهم أكثر من المعروفين بمالا يخطر على بال»(٩).

وهكذا نراه فى عدة مواضع يؤكد رفض القول بالمذاهب أو المدارس النحوية ويرى أن الوقت قد حان لتصحيح هذه التسمية.

●■ وأما الدكتور كمال بشر فنراه حين يتحدث عن طريقة البحث عند البصريين والكوفيين يذكر أن طريقة البحث عندهما تتسم بعدم التكامل وبالخلط بين المبادىء اللغوية والفلسفية وغيرها.. كما تتسم بعدم الالتزام بخط تفكيرى واحد وتنفرد المدرسة البصرية بالاعتماد على الأفكار الفلسفية أكثر من الكوفيين.. كما تنفرد هذه الأخيرة بالاهتمام الزائد بكل ما هو مسموع وبالقياس عليه ثم يقول: «وليس من شأننا هنا أن نعقد مقارنة بين المدرستين وإنما يكفينا أن نشير الى أن المدرستين جميعا خرجتا عن حدود المنهج الصحيح فى كثير من النقاط أهمها بالنسبة للبصريين الاهتمام بالجانب الفلسفى المنطقى فى تقعيد اللغة والتوسع فى الأخذ عن العرب وعدم تحديد البيئة بالنسبة للكوفيين».

وبناء على ما تقدم ليست هناك فى رأينا مدارس لغوية كوفية أو بصرية أو غيرهما وإنما هناك مجموعات من الدارسين عاشت كل مجموعة فى مدينة مختلفة فهى إذن مدارس جغرافية لا علمية(١٠).

●● وأما الدكتور احمد مختار عمر فيبدأ حديثه بهذا التساؤل «**هل وجدت مدارس نحوية عند العرب؟**» وعندما يجيب عن هذا التساؤل يذكر عدة نقاط يعنينا منها نقطتان هى:

الاولى: ماذا نفهم من المصطلح «مدرسة نحوية»؟

الثانية: ما هو الاساس الذى بُنِىَ عليه تقسيم الدراسة النحوية العربية الى مدارس.؟

وفى توضيح النقطة الأولى يقول: بالنسبة للنقطة الأولى فإن هذا المصطلح يعنى ـ فى نظرنا ـ وجود جماعة من النحاة يصل بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج فى دراسة النحو ولابد أن يكون هناك الرائد الذى يرسم الخطة ويحدد المنهج.. والتابعون أو المريدون الذين يقتفون خطاه ويتبنون منهجه ويعملون على تطويره والدفاع عنه.. فاستمرار النظرية ـ أو المنهج ـ ودوامها عبر السنين شرط أساسى لتكون المدرسة التى لا يمكن أن تستحق هذا الاسم أو يعترف بوجودها بمجرد مولد النظرية أو خلقها حتى تعيش ويكتب لها البقاء لبعض الوقت بين المريدين.

ومن ناحية أخرى فنحن لا نوافق على اتخاذ المعيار الجغرافى أساسا لتقسيم العلوم الى مدارس فكرية

مختلفة. . إن وجود جماعة من الدارسين فى مكان واحد لا يكفى مطلقا لتشكيل مدرسة أو لأحقية ربطهم جميعا برباط واحد اللهم إلا إذا وجد الخيط الذى يصل بينهم والخطة أو النظرية التى يشتركون فى تطبيقها. . وعلى هذا يكون المرشح لأحقيتهم اسم مدرسة ليس وجودهم فى مكان واحد وإنما اشتراكهم فى خط فكرى معين.

وفى توضيح النقطة الثانية يقول: وإذا نحن انتقلنا الى النقطة الثانية وحاولنا أن نتعرف الأساس لتقسيم الدراسات النحوية الى مدارس وجدنا من الحتم أولا أن تظهر الحقائق الآتية:

أ - أن المعيار الجغرافى كان الأساس الوحيد لهذا التقسيم وهذا يوضح لماذا حملت كل مدرسة اسم منطقة.

ب - لا نجد أى إشارة الى مدرسة أطلق عليها هذا الاسم لالتفاف أتباعها حول رائد معين فحملت اسمه من أجل ذلك على عكس ما نجده الآن.

ج - على الرغم من أن المعيار الجغرافى كان هو الأساس الوحيد المستعمل لتقسيم المدارس العربية فإنه قد عجز تماما عن إبراز الفروق الحقيقية والاتجاهات الفكرية المختلفة لهذه المدارس كما عجز - فى نفس الوقت - عن تجميع الخصائص المشتركة والاتجاهات الفكرية الموحدة(١١).

ثم اتخذ من مدرستى البصرة والكوفة مثالا على ذلك فذكر أننا نجد البصريين أو الكوفيين يختلفون فى المسألة الواحدة. . كما نجد بصريين ينضمون الى المدرسة الكوفية. . وكوفيين ينضمون الى المدرسة البصرية وساق العديد من الأمثلة التى تصور هذه الحالات.

وهكذا يتضح لنا من كلام هؤلاء الباحثين اتجاههم الى رفض المذاهب أو المدارس فى النحو العربى ولا ريب أن هذا الاتجاه فيه هدم لأصل أجمع عليه أئمة العربية وهو وجود مذاهب فى النحو العربى.

وعلى الرغم من اختلاف هؤلاء الأئمة فى عدد هذه المذاهب فقد أجمعوا على وجود مذهب البصريين ومذهب الكوفيين. . وحسبنا أن نرجع الى كتب التراث التى عنيت بالحديث عن ترجمة النحويين واللغويين. . وعن نشأة العلوم وتقدمها لنرى الحديث عن هذه المذاهب واضحا على اكمل وجه ونذكر من هذه الكتب على سبيل المثال أخبار النحويين البصريين لأبى سعيد السيرافى وطبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى. . ومراتب النحويين لأبى الطيب اللغوى. . والفهرست لابن النديم. . ونزهة الألباء لأبى البركات بن الأنبارى. . وأنباء الرواة للقفطى. . ووفيات الأعيان لابن خلكان. . ومعجم الأدباء لياقوت. . وبغية الوعاة للسيوطى وغير ذلك من كتب التراث.

● ونذكر على سبيل المثال أيضا ما ذكره أبو بكر الزبيدى فى ابن كيسان إذ قال «هو أبو الحسن محمد بن أحمد ابن كيسان وكان بصريا كوفيا يحفظ القولين ويعرف المذهبين وكان أخذ عن ثعلب والمبرد وكان ميله الى مذهب البصريين (١٢) أكثر».

● كما نذكر أيضا ما ذكره ابن سعيد المغربى فى معرض الحديث عن علم النحو وبيان منزلته عند الأندلسيين فى القرن السابع فقال: «والنحو عندهم فى نهاية من علو الطبقة حتى انهم فى هذا العصر فيه كأصحاب عصر الخليل وسيبويه ولا يزداد مع هرم الزمان إلا جدة وهم كثيرو البحث فيه وحفظ مذاهبه كمذاهب الفقه وكل عالم فى أى علم لا يكون متمكنا من علم النحو بحيث لا تخفى عليه الدقائق فليس عندهم

بمستحق للتمييز ولا سالم من الازدراء(١٣)

وما أكثر المسائل النحوية التى تصور الخلاف بين النحويين بعامة وبين البصريين والكوفيين بخاصة.

ومن ثم افرد بعض الأئمة مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين بمؤلفات خاصة كما فعل أبو البركات بن الأنبارى فى كتابه «الانصاف فى مسائل الخلاف».

وهكذا نجد هؤلاء الأئمة قد ارتضوا أن يكون فى العربية مذاهب على هذا النحو وقد سار على ذلك الباحثون عبر هذه الأحقاب الطويلة ومن ثم كان رفض بعض المحدثين لهذه المذاهب مخالفا لما هو سائد ومعروف بين الدارسين.

وقد جاء رفضهم استناداً الى شروط اشترطوها لتكوين المذهب اللغوى وهى شروط مستحدثة مستمدة من مذاهب الغربيين واتجاهاتهم اللغوية فأخذوا ينادون بها ناسين أو متناسين أن للعربية ظروفها الخاصة بها التى تتمثل فى الحافز على دراستها والبحث عن مصادرها وتكوين مذاهبها.

إن المنصفين من الباحثين قد وضحوا لنا نشأة هذه المذاهب.. والظروف التى ساعدت على تكوين خصائصها.. والمنهج الذى سار عليه إمام كل مذهب.. ومن حوله الأتباع والمريدون. ومن هنا تسنى للباحثين أن يبرزوا الفروق الحقيقية والاتجاهات الفكرية المختلفة لهذه المذاهب.. ومن ثم فالمعيار الجغرافى لم يكن هو الأساس الوحيد المستعمل لتقسيمها وإنما كان هناك المنهج الذى نعده الخيط الذى يصل بين أنصار المذهب ويربطهم جميعا برباط واحد كما كان هناك الامام الذى نعده الرائد الذى يسير على هذا المنهج ومن حوله المريدون.

وإذا كان هناك اختلاف بين البصريين فى بعض المسائل أو بين الكوفيين فى بعض القضايا.. أو كان هناك بعض البصريين الذين انضموا الى المدرسة الكوفية فى بعض المواقف فهذا أكبر دليل على أن الثقافة العربية تكفل حرية البحث وتضمن للدارس حرية الفكر والرأى وليس فى ذلك أية دلالة على فشل هذه المذاهب.

وعلى ذلك لا يقبل قول من قال «على الرغم من أن المعيار الجغرافى كان هو الأساس الوحيد المستعمل لتقسيم المدارس العربية فإنه قد عجز تماما عن ابراز الفروق الحقيقية والاتجاهات الفكرية المختلفة لهذه المدارس كما عجز - فى نفس الوقت - عن تجميع الخصائص المشتركة والاتجاهات الفكرية الموحدة».

ولهذا نرى هذا الباحث سرعان ما يستدرك على نفسه فيقول «ولكن الى جانب هذه الاختلافات بين أبناء المدرسة الواحدة فنحن نجد بعض الخطوط والاتجاهات المشتركة التى يتميز بها أبناء المدرسة الواحدة»..

وعلى هذا فربما قبلنا مع شىء من التحفظ هذه القسمة والنقد الخطير الذى يمكن أن يوجه الى هذا المعيار هو احتمال الانحراف فى تطبيقه.

ربما قبلنا تبرير هذا المعيار على أساس أن الفكرة أو الاتجاه المعين إنما يظهر أول الأمر فى مكان ما.. ومن أجل هذا فمن المعقول أن ينسب هذا الاتجاه أو هذه النظرية الى مكان الميلاد. ولكن الشىء الذى لا نقبله هو الزعم بأن هذه المدرسة المعينة لابد أن تشمل كل المواطنين فى هذا المكان - بغض النظر عن اختلافهم - وتستبعد من عداهم دون نظر الى آرائهم ومدى اتفاقهم أو اختلافهم. وعلى هذا فنحن نعتقد أن الباب لابد أن يترك مفتوحا على مصراعيه ليضم المتفقين ويعزل المخالفين(١٤).

ونحن نؤكد للباحث أن الخطوط والاتجاهات المشتركة التى يتميز بها أبناء المدرسة الواحدة كانت مراعاة فى تقسيم هذه المدارس . . كما أن المعيار الجغرافى قد قبل لدى المؤيدين للمذاهب النحوية على أساس أن الاتجاهات المعينة إنما تظهر أول الأمر فى مكان ما . . ولهذا كان من المعقول أن تنسب الى مكان الميلاد .

أما احتمال الانحراف فى تطبيقه فهو احتمال بعيد . . وكذلك الزعم بأن هذه المدرسة المعينة لابد أن تشمل كل المواطنين فى هذا المكان . . وأما باب هذه المدارس فهو مفتوح على مصراعيه إلى ما شاء الله وليس أدل على ذلك من أننا نقرر أن بعض الباحثين المعاصرين بصرى النزعة إذا وجدناه يتفق فى آرائه مع اتجاهات البصريين وبعضهم كوفى النزعة إذا وجدناه يتفق مع اتجاهات الكوفيين .

وانصافا للحق نقول : لقد كان لهذه المذاهب دورها الكبير فى الحفاظ على اللغة عبر هذه الأحقاب الطويلة وكان فيها ثراء لها بهذه النصوص التى احتج بها المتنافسون كما كشفت عن الموهبة النادرة التى كان يتمتع بها أبناء العربية وأعنى بها القدرة الفائقة على الجدال وسرد البراهين والاحتكام الى العقل والمنطق السليم . وحسبنا فى ذلك أن نرجع الى كتب المجالس والمناظرات والنواد ومسائل الخلاف بين النحويين .

المؤيدون للمدارس النحوية :

أكثر المؤيدين لوجود مدارس فى النحو العربى يتفقون على وجود مذهبين هما مذهب البصريين ومذهب الكوفيين ومنهم من يكتفى بالقول بهما ومنهم من يضم اليهما بعض المذاهب الأخرى .

اما القول بوجود مذهب واحد فقط اشتهر به المستشرق «جوتولد فايل» إذ قال فى مقدمة كتاب الأنصاف لابن الأنبارى «ومع عظيم الاجلال لمناقبهم (يعنى الكوفيين) فى غير ذلك من النواحى فإنهم لم يؤسسوا مدرسة نحوية خاصة» .

ولا ريب أن هذا الرأى يخالف ما اتفق عليه المؤيدون لهذه المدارس فالأستاذ «احمد أمين» حين تحدث عن نشأة علم النحو ومدى تأثير اليونان والسريان فى وضعه قال «وعلى كل حال فقد توج نحو البصرة بسيبويه وكتابه ونشأ بالكوفة مدرسة وعلى رأسها أبو جعفر الرؤاسى وتلميذاه الكسائى والفراء .

أنشأ الرؤاسى مدرسة الكوفة فى النحو ووضع فيها كتابا لم يصل الينا وقالوا إن الخليل اطلع عليه وانتفع به وبدأت من ذلك الحين مدرسة الكوفة تناظر مدرسة البصرة(١٥) .

والاستاذ مصطفى السقا يتحدث عن منهج كل مدرسة من هاتين المدرستين فيذكر أنهما منهجان مختلفان اختلافا كثيرا فى مقاييسهما لتفسير الظواهر اللغوية والنحوية ثم يقول «أول المنهجين منهج علماء البصرة وعلى رأسهم الخليل بن أحمد الفراهيدى الأزدى (١٠٠-١٧٥هـ) وهم يعتمدون على القياس العقلى ويفسرون الظواهر غالبا تفسيرا عقليا محضا بدون نظر الى طبيعة اللغة ويتكلفون الحدود والرسوم والقضايا المنطقية فى تعبيرهم . . وثانى المنهجين منهج علماء الكوفة ورأسهم على بن حمزة الكسائى النحوى شيخ القراء فى مدينة السلام (توفى عام ١٨٩هـ) وهؤلاء لا يسرفون فى القياس إسراف علماء البصرة وإنما يعولون على ما سمع من العرب وهو كثير عندهم دون إفراط فى القياس كما أنهم يفسرون الظواهر الاعرابية تفسيرا أدنى الى طبيعة اللغة لا إلى الأقيسة المنطقية(١٦) .

● ويتحدث الأستاذ أمين الخولى عن هاتين المدرستين أيضا فى بحثه الذى قدمه لمؤتمر المستشرقين سنة ١٩٥١م باستنبول وكان عنوانه «الاجتهاد فى النحو العربى» وفيه يقول «وأما فى البيئة النحوية نفسها فهذا الكسائى حين سئل

عن اختلاف أحوال (أى) وتعليله أجاب بقوله (أيُّ كَذَا خُلِقَتْ) ومعنى هذا فى وضوح أن تلك الظواهر تنقل ولا تنطق ولا تفسر بعمل عقلى وهو الأساس السليم للمنهج اللغوى . . والكسائى الكوفى باجابته هذه يذكرنا بمدرسة قومه فى النحو وما تميل إليه من التتبع اللغوى وعدم التأويلات البعيدة والامعان المنطقى الذى جنحت اليه مدرسة البصرة المناظرة»(١٧) .

وكذلك يتحدث الدكتور تمام عن هاتين المدرستين فيقرر أن الباحث إذا أراد أن يُكَوِّن صورة للفروق بينهما فعليه أن يعرف كيف تختلف البلدان حول الأصول فهذا الخلاف حول الأصول هو المحك الوحيد لدعوى وجود مدرستين نحويتين هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة وفى ذلك يقول «ومن الواضح أن الخلاف حول المسائل لا ينهض مبررا لدعوى وجود مدرستين نحويتين لأن البصريين فيما بينهم يختلفون حول المسائل تأويلا وتخريجا ولكن الأصول واحدة ومن ثم يكون مجرد الخلاف فى المسائل بين البصريين والكوفين أبعد ما يكون عن الدلالة على اختلاف المدرستين وقد كانت عناية كتب الخلاف تنصب فى العادة على مسائل الخلاف دون الخلاف حول الأصول ولهذا لا يمكن للباحث عن الأسس التى قامت عليها المدرستان أن يلتمسها فى الخلاف حول المسائل ولكن كتب الخلاف نفسها جاءت دون قصد وتعمد بالكثير من الأصول التى اختلف البلدان حولها فى معرض نقاش الخلاف حول المسائل وأصبح على الطالب إذا أراد أن يكون صورة للفروق بين المدرستين أن يقف عند العبارات العارضة فى سياق النص ويجمعها ويصنفها ثم يرى بعد ذلك كيف يختلف البلدان حول الأصول فهذا الخلاف حول الأصول كما يفهم من سياق كلامنا هو المحك الوحيد لدعوى وجود مدرستين نحويتين إحداهما مدرسة البصرة والأخرى مدرسة الكوفة»(١٨) .

ويتحدث أيضا الشيخ محمد الطنطاوى عن هاتين المدرستين فيقول «تَكَوَّنَ على يد الامامين الخليل ومن معه من البصريين والرؤاسى ومن معه من الكوفيين بكل من البلدين مدرسة خاصة لها علم تنحاز اليه كل فرقة وتتابعت الطبقات المتعاصرة من كلا البلدين»(١٩) .

ويقول الدكتور عبد الرحمن السيد فى حديثه عن هاتين المدرستين «وقد استمرت كل من المدرستين فى الدراسة والبحث وفق أصولها التى وضعتها وأسسها التى التزمت السير على هديها وان لم يمنع ذلك من أن يكون لأحد علماء إحدى المدرستين رأى يوافق ما ذهبت اليه المدرسة الأخرى»(٢٠).

ويقول الدكتور عبد الحميد طلب «والمتتبع لكتب النحو وتاريخه ومسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين يرى بوضوح وجلاء مذهبين متكاملين فى النحو لكل منهما أصوله ومنهجه»(٢١) .

ويتحدث الدكتور شوقى ضيف عن الصلة بين مدرستى البصرة والكوفة فيقول «وينبغى أن يستقر فى الأذهان أن المدرسة الكوفية لا تباين المدرسة البصرية فى الأركان العامة للنحو فقد بنت نحوها على ما أحكمته البصرة من تلك الأركان التى ظلت الى اليوم راسخة فى النحو العربى غير أنها مع اعتمادها لتلك الأركان استطاعت أن تشق لنفسها مذهبا نحويا جديدا له طوابعه وله أسسه ومبادئه»(٢٢).

ويقول الدكتور محمد حسين آل ياسين «المدرسة فى المصطلح العلمى لفظ يطلق على جماعة من الدارسين تشترك فى وجهة النظر ويكون لها منهج خاص يؤلف منها جبهة علمية ويرتبط أفرادها برباط الرأى الموحد وعلى هذا فهناك مدرستان فى الدراسة اللغوية قديما هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة لصحة انطباق الحد المذكور على كلتا المدرستين»(٢٣) .

الى غير ذلك من العبارات التى تفيض بها الكتب التى تتحدث عن المذاهب النحوية.

وحين جمعت بغداد بين طائفة من أئمة الكوفيين والبصريين نشأ هذا المذهب الثالث وهو مذهب البغداديين وذلك بعد أن ظل لهيب المنافسة بين المذهبين مستمرا حتى نشأ جيل من الدارسين فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى أخذوا عن علماء هذين المذهبين وأفادوا من دراسة هذين المنهجين ومن ثم ظهر على أيديهم هذا المذهب الذى يستمد أصوله من المذهبين السابقين وكان من أهم سماته أنه يقوم على الاختيار والانتخاب من آراء هذين المذهبين.

المؤيدون للمذهب البغدادى: وقد قال بهذا المذهب كثير من اللغويين المحدثين فالدكتور ابراهيم محمد نجا له بحث عنوانه «**رسالة فى المذهب البغدادى**» تحدث فيه عن نشأة هذا المذهب وبيان مراحل تطوره وأئمة كل مرحلة كما فصل القول فى بيان مسائله حيث تحدث عن المسائل التى تتفق مع مذهب البصريين والمسائل التى تتفق مع مذهب الكوفيين، والمسائل التى انفرد بها البغداديون.

والدكتور مهدى المخزومى تحدث عن النحويين البغداديين فقال «**وأما البغداديّون فقد أخذوا عن البصريين والكوفيين ومادة الدرس عند هؤلاء وهؤلاء إنما هى النحو البصرى المتمثل فى كتاب سيبويه وكل مافى الأمر أنهم خلطوا أقوال هؤلاء وهؤلاء وانتخبوا من هؤلاء وهؤلاء ويسر لهم هذا أن بغداد كانت مقصد البصريين والكوفيين جميعا لأنها عاصمة الخلافة الاسلامية وموطن الأعمال واكتساب الرزق فكان يفد عليها بصريّون وكوفيّون وغيرهم من أهل سائر الأمصار فلما اجتمعت هذه العناصر فى صعيد بغداد وانحاز الى كل فريق تلاميذ وأصحاب وجد من هؤلاء التلاميذ من لم يقصر الأخذ على بصرى وحده وإنما كان يأخذ عن هذا ويرجع الى ذاك ومن البغداديين ناس كثيرون درسوا النحوين وتخرجوا فى المدرستين فليس المذهب البغدادى إذن إلا مذهبا انتخابيا فيه الخصائص المنهجية للمدرستين جميعا**»(٢٤).

● **والدكتور عبد الرحمن السيد تحدث عن رحلة بعض أئمة البصريين الى بغداد ثم قال «وكانت رحلتهم اليها وإقامتهم بها وتثقيفهم للطلاب والدارسين فيها فى الوقت الذى كان فيه علماء الكوفة يحتلون مراكزهم وينافحون عن سلطانهم ويُعَلِّمون مذهبهم سببا فى أن نشأ من المتعلمين جيل نهل من الثقافتين واغترف من المعينين ووقف على أسرار المدرستين فتهيأت له فرصة الموازنة والمقارنة وأتيحت له ظروف الانتقاء والاختيار وكان ذلك كما قلنا من قبل ارهاصا بظهور مذهب جديد وإيذانا بإشراق وليد حديث هذا الوليد تتضح معالمه وتظهر سماته فى محاولة التوفيق بين المذهبين وفى اختيار الأقوى من أصول المدرستين ولقد كان المبرد البصرى المتوفى سنة ٢٨٥هـ وثعلب الكوفى المتوفى سنة ٢٩١هـ شيخا المدرستين فى عصرهما آخر هؤلاء الشيوخ الذين يمثلون سمات المدرستين اللتين ظلت كل منهما منفصلة عن الأخرى سائرة فى طريقها مستقلة بنفسها متميزة بمعالمها لقد كان عهدهما نهاية عهد النضج والاكتمال أو بداية عهد التلاشى والاضمحلال.**

فلقد خلف من بعدهما خلف درس عليهما وعلى غيرهما من أعلام المدرستين فكانت أمامهم فرصة المزج مهيأة بل إن هذا المزج كان نتيجة طبيعية لهذه الدراسة المزدوجة وتلك الثقافة الجامعة ولذلك لن نعجب إذا ما وجدنا ابن النديم قد عقد فصلا عقب انتهائه من الحديث عن رجال المدرستين عرض فيه للجامعين بين المذهبين الخالطين بين المدرستين الذين آثروا التوفيق والاختيار. وإذا ما وجدنا أن بداية هؤلاء هم تلاميذ الشيخين السابقين ثعلب والمبرد وتلاميذ معاصريهما من علماء مدرستيهما وإذا كنا سنسمع أن من العلماء اللاحقين من يميل الى مذهب البصريين وأن بعضهم ينحو منحى الكوفيين فليس معنى هذا أن

كل مدرسة منها كانت قائمة بذاتها منفصلة برجالها تتابع البحث وتشترع القوانين وتعمل مستقلة كما كان شأنها فى إبان ازدهارها وإنما معناها أن هذه الأصول الموضوعة وأن تلك القوانين الموروثة وأن هذه الآراء التى حفظهـا الخلف بعد أن تلقوها عن السلف قد وجدت عند بعض الناس قبولا وحلت من عقولهم موضعا ووجدوا وجه الصواب فيها بارزا فآمنوا بها أو بأكثرها وساروا على هديها.

أما أن تكون هناك مدرسة بصرية تستقل بدراسة المذهب البصرى وتعمل على إنمائه وإذكائه ومدرسة كوفية تفرغ لدراسة النحو الكوفى فهذا مالم يكن موجودا ولم يسلك إليه سبيل»(٢٥).

● والدكتور أمين على السيد كتب تحت عنوان «مدرسة بغداد» «ثم كانت مدرسة بغداد تطورا طبيعيا للدراسات النحوية لأنه فى بغداد عاصمة الرشيد التقى علماء البصرة بعلماء الكوفة وكانت بينهما المساجلات والمناظرات ففيها التقى الكسائى وسيبويه وكان ما كان وفيها التقى المبرد وثعلب ثم كان من العلماء من أخذ عنهما ودرس عليهما»(٢٦).

● والدكتور عبد العال سالم يرد على من أنكر هذا المذهب فيقول «وهذا الانكار للمذهب البغدادى لا نسلم بصحتـه لان آراء البغـداديين ضمتها كتب النحو وكانت لهم آراء مستقلة لا تسير فى موكب آراء البصريين أو تتبع خطى الكوفيين ويكفى أن أحيل الباحث الى كتب النحو التى تخرجنا عليها كالهمع والتصريح والأشمونى ليرى صحة ما أقول.

على ان اختيـار البغـداديين لرأى بصرى أو كوفى يدل على أن لهم نظرات خاصة ومقاييس معينة يستخدمونها فى تفضيل رأى على رأى أو إيثار مذهب على مذهب(٢٧).

● والدكتور شوقى ضيف كتب تحت عنوان «نشوء المدرسة البغدادية» «أتبع نحاة بغداد فى القرن الرابع الهجرى نهجا جديدا فى دراساتهم ومصنفاتهم النحوية يقوم على الانتخاب من آراء المدرستين البصرية والكوفية جميعا وكان من أهم ماهيأ لهذا الاتجاه الجديد أن أوائل هؤلاء النحاة تتلمذوا للمبرد وثعلب وبذلك نشأ جيل من النحاة يحمل آراء مدرستيهما ويُعنى بالتعمق فى مصنفات أصحابهما والنفوذ من خلال ذلك الى كثير من الآراء النحوية الجديدة(٢٨).

● والدكتور عبده الراجحى يتحدث عن المبرد وثعلب ثم يقول «وشهدت بغداد نشاطا حيا فى حلقتى هذين العالمين الجليلين واشتد بينهما الصراع وكثرت المناظرات مما جعل الدارسين يقبلون عليهما كليهما ويأخذون عنهما معا ثم يتحيزون من هذا ومن ذاك ما يراه كل واحد مناسبا لتفكيره واتجاهه.

أزدهر هذا النشاط اذن أواخر القرن الثالث وما كاد القرن الرابع يبدأ حتى أخذت مدرسة بغداد تتميز بمنهجها الخاص ولم يكن هذا المنهج جديدا من حيث الاسس أو طرائق الاستنتاج ولكنه منهج ينبنى على الانتقاء من المدرستين البصرية والكوفية»(٢٩).

وذهب الـدكتـور احمـد مكى الانصـارى الى أن المؤسس لهذا المـذهب هو الامام أبو زكريا الفراء (١٤٤-٢٠٧هـ) وذلك حيث يقول «إن صدقت البوادر ولم تخطئنى الدلائل فإنى أقول إن الفراء فى النحو كان نسيج وحده كان يؤسس مذهبا خاصا به ذلك هو المذهب البغدادى فيما أرى.

وطالما أشفقت على نفسى وعلى صاحبى من الاقدام على هذه الدعوى العريضة التى تحتاج فى اثباتها الى مجهود شاق كما تحتاج فى تقبلها وإقناع الآخرين بها الى مجهود أكثر مشقة وعسرا إذ أنها تصطدم بالإلف القديم وللإلف تحكم فى النفوس وسيطرة على العقول حتى عند بعض الخاصة فى كثير من الأحيان فطالما

رأيناهم ينفرون من كل جديد لم يألفوه وإن كان عين الصواب .

على اننى لست أزعم انها قضية جديدة كل الجدة فقد لمحها كثير من الدارسين فى القديم والحديث وفى الشرق والغرب على السواء ولكنهم لمسوها لمسا خفيفا فى عبارات متناثرة وأحكام خاطفة يلقونها هنا أو هنـاك دون أن يجرؤ واحد منهم على تبنيها والتعمق فيها وبحث مظاهرها ونشأتها وتطورها وتأييد ذلك بالحجج والبراهين وأخيرا شاءت الأقدار أن احمل عبء هذه القضية فوجدتنى ـ بعد البحث الطويل ـ أمام حقيقة علمية لا مناص منها وإن لم تكن حقيقة علمية بالمعنى الدقيق فلا أقل من أن تكون وجهة نظر لها ما يؤيدها من النصوص الصريحة والأدلة القوية»(٣٠).

ثم ذكر بعد ذلك أنه عاش طويلا مع النحويين فى كتب الطبقات وتتبع آراءهم فى مظانها من أمهات الكتب النحوية باحثا عن الخيوط الرفيعة للمدرسة البغدادية منذ كانت لمحات مبعثرة هنا وهناك قبل أن تكون مدرسة بالمعنى العلمى لهذه الكلمة وظل يغوص وراء جذورها الضاربة وخيوطها الناحلة حتى وضع يده على البذرة الأولى عند عيسى بن عمر الثقفى (ت١٤٩هـ) فرآه بدأ يمزج الى علمه البصرى ظلالا من خصائص المدرسة الكوفية كما رأى هذه النزعة نفسها بصورة أوضح عند أبى زيد الأنصارى وذكر أن يونس بن حبيب (ت١٨٢هـ) ربما كان مثلا جيدا للخروج على المدرستين (البصرية والكوفية) معا ثم ذهب الى الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة فرأى فيه طورا جديدا من أطوار هذه النشأة رآه قد اقترب من الكوفيين اقترابا كبيرا ووافقهم فى مسائل كثيرة . . واستخلص من كل ذلك أن خيوط المدرسة البغدادية بدأت تظهر بشكل أقوى وأوضح مما كانت عليه من قبل أما الكسائى فقد ذكر أنه وإن ظهرت فيه بعض الملامح إلا أنها كانت خافتة الى حد كبير وختم هذا الحديث بقوله «كل هذه الحركات الفكرية كانت بمثابة الارهاص والتمهيد للمذهب الجديد ذلك الذى اكتمل فى شخصية الفراء وعقليته نتيجة امتزاج المنهجين واتحادهما اتحادا كاملا نشأ عنه عنصر جديد له خصائصه المميزة وطابعه المستقل وبذلك كان الفراء ـ فى نظرنا ـ هو المؤسس الحقيقى للمذهب البغدادى(٣١) .

ثم قرر أنه لا يزعم انه اول من تنبه الى هذه النظرية فإن كثيرين من القدامى والمحدثين جالت فى نفوسهم هذه الخاطرة فعبروا عنها فى لمحات خاطفة بين الحين والحين مع تفاوت بينهم فى مدى وضوح الفكرة فى أذهـان بعضهم وغموضها عند الآخرين وذكر من القدامى الذين عبروا عن هذه الخاطرة فى لمحات خاطفة أبا الطيب اللغوى وأبا بكر الزبيدى والجاحظ ومن المحدثين الأستاذ ابراهيم مصطفى والمستشرق جوتولد فايل والأستاذ احمد أمين والدكتور مهدى المخزومى .

ولم يصادف هذا الرأى قبولا لدى بعض علماء اللغة المحدثين ومن ثم نرى الدكتور شوقى ضيف يقول «وغلا بعض المعاصرين فى كتاب له عن الفراء فأخرجه من المدرسة الكوفية وجعله إمام المدرسة البغدادية التى تكونت بعده بنحو مائة عام والتى أقامت مذهبها على عُمُد الانتخاب من آراء المدرستين الكوفية والبصرية وإنما أوقعه فى ذلك أنه رأى الفراء يتأثر المدرسة البصرية فى بعض آرائه ومنازعه . كأن يعمد أحيانا فى الاعراب الى تقدير العوامل المحذوفة أو يرفض بعض اللغات الشاذة أو يأخذ بالقياس وضبط القواعد، أو يُخطِّىء شاعرا فى تعبير. وكل ما رواه من ذلك ليس فيه شىء انتخبه الفراء من آراء المدرسة البصرية وأقوال أئمتها النحويين وإنما هو فيه يدلى بآرائه الخاصة وأبعد فى الغلو فقال إنه تأثر البصريين فى تخطئة بعض القراءات متورطا فى ذلك بعض الباحثين ورأينا فى ترجمة الأخفش كيف كان يوجه القراءات التى لا

تجرى على مقاييس مدرسته وليس فى كتاب سيبويه تخطئة واحدة لقراءة من القراءات مع كثرة ما استشهد به منها وقد صرح بقبولها جميعا مهما كانت شاذة على مقاييسه إذ قال إن القراءة لا تخالف لأنها سنة(٣٢).

وأرى أن الوضع المناسب لأبى زكريا الفراء أن يكون أحد المؤسسين الثلاثة لمدرسة الكوفة فأكثر المراجع القديمة والحديثة تؤكد أن المؤسسين لهذه المدرسة هم على بن حمزة الكسائى وأبو زكريا الفراء وأحمد بن يحيى ثعلب أما المدرسة البغدادية فقد تأخر ظهورها الى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى حين ظهر جيل من الدارسين أخذوا من علماء مذهبى البصريين والكوفيين ومن ثم كان من أهم سمات المذهب البغدادى أنه يقوم على الاختيار والانتخاب من آراء هذين المذهبين.

الرافضون للمذهب البغدادى:

ومن الباحثين المحدثين من رفض القول بهذا المذهب البغدادى مكتفيا بوجود مذهبين فحسب فى النحو العربى ومن هؤلاء الدكتور عبد الفتاح شلبى وقد صرح بهذا الرأى وهو يعرض لما قرره المستشرق: Howell فقد قرر هذا المستشرق أن المبرد البصرى المتوفى سنة ٢٨٥هـ، وثعلب الكوفى المتوفى سنة ٢٩١هـ يعدان آخر ممثلين للمدرستين وقد سكن هذان العالمان المتنافسان بغداد كما اشتركا فى تأديب الشاعر الأمير ابن المعتز وقد سمع الناس محاضرات كلا الأستاذين وكان اندماج تعاليم المدرستين فى الجيل التالى من النحويين الذين أسسوا مدرسة بغداد.

كما قرر هذا المستشرق ايضا ان المدرسة البصرية احتفظت بتعاليمها الى اواسط القرن الرابع لأن ابن دريد الذى عاصر المبرد لمدة اثنين وستين عاما ظل حيا حتى سنة ٣٢١هـ وباستثناء هذا العمر الذى كان البقية الباقية من مدرسة البصرة فإن من خلف المبرد وثعلب يُسَمَّون بالبغداديين كأبى بكر بن السراج وسبرمان لا لأنهم سكنوا وحاضروا فى بغداد ولكنهم لقَّنوا هناك مذهبا جديدا مزيجا من تعاليم المدرستين القديمتين مع تفاوت بينهم فى النزوع الى احداهما دون الأخرى.

هذا ما قرره المستشرق Howell وقد علق عليه الدكتور عبد الفتاح شلبى يقوله «وأرى هذا الذى بقوله Howell وما يذهب اليه بعض الباحثين من أن هناك مدرسة نحوية باسم مدرسة بغداد متميزة عن المدرستين البصرية والكوفية لا يتفق مع ما كان يراه الأقدمون الأولون من أصحاب التراجم والطبقات ثم لا يتفق كذلك مع نصوص العلماء الأقدمين».

ثم ساق بعض العبارات التى وردت على لسان بعض هؤلاء العلماء ليدعم بها رأيه كابن النديم والزبيدى وابن جنى وختم حديثه بقوله «فالقول بأن ابن السراج وسبرمان يمثلان المدرسة البغدادية كما يذهب إليه Howell مردود ويشهد على رده كذلك أن الزبيدى ـ وهو معاصر لهما ـ يجعلهما من البصريين وكذلك يفعل ابن النديم.

وإذن فلم تكن هناك ـ فيما أرى ـ مدرسة بغدادية قائمة بنفسها لها تعاليمها غاية ما فى الأمر أن رجالا خلطوا بين المدرستين البصرية والكوفية فرأوا رأيا من هذه ورأيا من الأخرى وإن كانوا فى مذهبهم الأصيل يميلون الى هذه أو يميلون الى تلك فيكونون بصريين أو كوفيين فحسب فابن كيسان يحفظ المذهبين لأنه

أخذ عن المبرد وثعلب وكان ميله الى البصريين أكثر وكذلك كان ابن قتيبة، وابن شقير شديد التعصب مع الكوفيين مع اعتقاده مذهب البصريين وأبو على نفسه احد هؤلاء فعلى الرغم من نزعته التى تميل به الى البصرية كان يرى رأى الكوفيين فى بعض المسائل النحوية»(٣٣)

ولم يصادف هذا الرأى قبولا لدى بعض علماء اللغة المحدثين ومن ثمّ نرى الدكتور شوقى ضيف يقول «وحاول بعض الباحثين المعاصرين أن ينفى وجود المدرسة البغدادية معتمدا على من ينظمون افرادها فى البصريين والكوفيين وأن علمين من أعلام جيلها الثانى ينسبان أنفسهما فى البصريين وهما أبو على الفارسى وتلميذه ابن جنى إذ يُعبِّران فى تصانيفهما عنهم كثيرا بكلمة أصحابنا وينتصران فى أغلب الأمر للآراء البصرية وكثيرا مايطلق ابن جنى على الكوفيين اسم البغداديين وكأنهم مدرسة واحدة.

ولا يكفى ان ينسب ابن جنى وأبو على الفارسى أنفسهما فى البصريين لنعدهما حقا منهم فإنهما اتبعا فى مصنفاتهما المذهب البغدادى الانتخابى وإن كان قد غلبت عليهما النزعة البصرية وهى لا تخرجهما عن دوائر الاتجاه البغدادى القائم على الانتخاب من آرء البصريين والكوفيين وعلى غرارهما الزجاجى آخر الجيل الأول من البغداديين.

أما اطلاق ابن جنى اسم البغداديين على الكوفيين احيانا فيرجع الى أن جمهور الجيل الأول من البغداديين كانت تغلب عليهْ النزعة الكوفية فسماهم الكوفيين تارة وتارة سماهم البغداديين وأهم ثلاثة: ابن كيسان المتوفى سنة ٢٩٩ للهجرة وابن شقير المتوفى ٣١٥ وابن الخياط المتوفى سنة ٣٢٠(٣٤).

ويقول أيضا وكان يعاصرهم من يخلط بين آراء المدرستين نازعا نزعة بصرية قوية على نحو ما يلقانا عند الزجاجى وخلفه أبو على الفارسى وتلميذه ابن جنى وكان أشد منه نزوعا الى آراء المدرسة البصرية ولعلهما من أجل ذلك كانا ينسبان أنفسهما الى تلك المدرسة مما جعل الأمر يغم على بعض المعاصرين فيضيفهما الى البصريين»(٣٥).

ومن اللغويين المعاصرين الذين ذهبوا الى رفض القول بهذا المذهب أيضا استاذنا على النجدى ناصف فقد سمعته فى احدى مناقشاته العلنية يقرر أن النحو العربى فيه مذهبان فحسب هما مذهب البصريين ومذهب الكوفيين.

ومنهم ايضا الدكتور فاضل صالح السامرائى فقد قرر أن قسما من الباحثين قد أطلق على التطور النحوى الذى كان فى بغداد وعلى رجاله بعد رجال الطبقتين اسم المدرسة البغدادية ونحاة بغداد وذكر من هؤلاء الباحثين الأستاذ عبد الحميد حسن والمستشرق Howell والدكتور مهدى المخزومى والدكتور محمد اسعد طلس والأستاذ محمد الطنطاوى.

كما قرر أن الجدير بالذكر أن قدامى النحويين كانوا يطلقون كلمة (نحاة بغداد) أو (البغداديين) ويريدون بها الكوفيين وذلك لأن علماء الكوفة كانوا فى بغداد متصلين بالخلافة.. وساق لدعم رأيه عدة عبارت من بعض كتب التراث مثل كتاب (مراتب النحويين) لأبى الطيب اللغوى و(سر صناعة الإعراب) لابن جنى و(نزهة الألباء) لابن الأنبارى.

وختم حديثه بقوله «ولا نرجح ان هناك مدرسة نحوية مستقلة اسمها (المدرسة البغدادية) كما ذهب إليه قسم من الباحثين إذ أن من المعلوم أن لكل مدرسة أسسا تقوم عليها من حيث قبول الرواية ورفضها والقياس والسماع وعمن تأخذ؟ كما هو معلوم فى أسس مدرستى البصرة والكوفة ـ كما مر ـ

فما أسس المدرسة البغدادية؟ .

ان لكل من مدرستى البصرة والكوفة مصطلحات نحوية كالخفض والجر، والنعت والصفة والبدل والترجمة والظرف والصفة أو المحل والمنصرف والمجرى والمتعدى والواقع وواو المعية وواو الصرف والضمير والكناية والمكنى . . الخ .

فما مصطلحات المدرسة البغدادية؟

إن هناك مسائل خلافية كثيرة ذكر ابن الأنبارى منها فى كتاب (الانصاف) (١٢١) مسألة عدا مالم يذكره ومالم يذكره كثير فما المسائل الخلافية التى تعتمدها مدرسة بغداد؟ .

إن ما يذكر لمدرسة بغداد من المسائل الخلافية إنما هى مسائل قليلة جدا وكثير منها إن لم نقل أكثرها موافق لمذهب أهل الكوفة وهذا مالا يصح أن يقوم به مذهب نحو أو مدرسة نحوية.

إن أى نحوى بصرى أو كوفى عنده من مخالفات مذهبه نحو هذا القدر ولا يخرجه ذلك عن عداد رجال مدرسته كالكسائى والمبرد وغيرهما من رجال الطبقتين.

إن الذى يمكن أن يقال إنه بعد زوال رجال الطبقات نشأ فى بغداد من تلامذتهم أو من تتلمذ لتلاميذهم نحويون أخذوا بهذا المذهب أو ذاك أو مزجوا بينهما ولا يعنى ذلك تشكل مدرسة نحوية مستقلة(٣٦) .

ومن الذين رفضوا القول بهذا المذهب أيضا الاستاذ طارق الجنابى ونستطيع أن ندرك ذلك فى قوله «فدارسوا النحو لم يتفقوا حتى الآن على أن هنالك مدرسة نحوية متميزة يمكن أن ندعوها باسم مدرسة بغداد وليس هناك نحو متميز ذو منهج بين يمكن أن ندعوه بالنحو البغدادى ولو كانت دعوى الانتقاء من آراء المدرستين والمزج بينهما تشكل منهجا خاصا فى النحو لافترضنا ان الأخفش الأوسط (ت ٢٢١هـ) واحد من متقدمى نحاة بغداد لأنه عاش فى بغداد واتصل بالكسائى (ت١٩٢هـ) شيخ الكوفيين وتابعهم فى خمسين مسألة وهو ماقد خالف سيبويه فى مسائل كثيرة ولم يقل لنا أحد أن الأخفش بغدادى وإذا خالف المبرد سيبويه وتتبع كلامه فى (مسائل الغلط) فلا يعنى هذا أن المبرد بغدادى ولا أن وشائجه بمدرسة البصرة التى كان علما بارزا من أعلامها قد انبتت لأن سيبويه وإن كان رأس نحاة البصرة بعد الخليل فإن الخلاف أو الاختلاف معه إنما هو من باب اختلاف التلاميذ فى المدرسة الواحدة»(٣٧) .

ومن الرافضين لهذا المذهب أيضا الأستاذ محمد حسين آل ياسين فقد ذكر أن المدرسة فى المصطلح العلمى لفظ يطلق على جماعة من الدارسين تشترك فى وجهة النظر ويكون لها منهج خاص يؤلف منها جبهة علمية ويرتبط أفرادها برباط الرأى الموحد . . وعلى هذا الأساس نراه يختلف مع من أطلق على جماعة من الدارسين فى بغداد اسم المدرسة البغدادية وقد دعم رأيه بقوله «والقدماء أنفسهم اطلقوا على منهج البصريين اسم المذهب ومثله على منهج الكوفيين وهم يقصدون بهذا الاسم ما نقصد بالمدرسة ولكنهم أطلقوا على تلاميذ المبرد وثعلب (الجماعة الذين خلطوا المذهبين) ولم يطلقوا عليهم اسم المدرسة أو المذهب وعياً منهم لطبيعة المنهج»(٣٨).

وأرى أن هناك من الاتجاهات والسمات التى كانت تتحقق بين النحويين البغداديين ما يبرر إطلاق كلمة مدرسة أو مذهب عليها . نعم ان هذه السمات لم تكن من القوة والاصالة على نحو ما رأينا فى مدرسة البصرة

أو الكوفة ولهذا يمكن أن نقول ان استعمال كلمة مدرسة بغداد النحوية أو مذهب البغداديين فيه شيء من التسامح ومثل ذلك يمكن أن يقال فى «مدرسة الاندلسيين النحوية» و«المدرسة النحوية فى مصر».

أما المذهب الرابع وهو مذهب الاندلسيين فقد قال به كثير من اللغويين المحدثين نذكر منهم الدكتور أمين على السيد فى بحثه «**الاتجاهات النحوية فى الاندلس وأثرها فى تطوير النحو**» والدكتور أحمد كحيل فى بحثه «**النحو فى الأندلس**» والشيخ محمد الطنطاوى فى كتابه «**نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة**» والدكتورة خديجة الحديثى فى كتابها «**أبو حيان النحوى**» والاستاذ طه الراوى فى بحثه «**نظرة فى النحو**» والدكتور شوقى ضيف فى كتابه «**المدارس النحوية**» والاستاذ عبد القادر رحيم الهيتى فى بحثه «**خصائص مذهب الأندلس النحوى**» والدكتور عبده الراجحى فى كتابه «**دروس فى المذاهب النحوية**» وهكذا نرى كثيرا من الباحثين قد اهتموا بالحديث عن النحويين الأندلسيين ومذهبهم وكانت النتيجة ان كتب حديثا عن علماء العربية فى الأندلس باعتبارهم نحويين أكثر مما كتب عنهم باعتبارهم لغويين»(٣٩).

ومن هؤلاء الباحثين من ذهب الى أن مذهب البغداديين مرجعه الكوفة ومذهب الأندلسيين يرجع الى البصرة(٤٠).

ولا ريب أن هذا الرأى يخالف ما ذكرناه سابقا من أن مذهب البغداديين يقوم على الاختيار والانتخاب من آراء البصريين والكوفيين وكذلك مذهب الأندلسيين لا يختص بمذهب البصريين ومن ثم نرى الدكتور مهدى المخزومى يعقب على هذا الرأى بقوله «وعليه فلا وجه لما ذكره بعض الباحثين من أن امهات المذاهب النحوية أربع وأصول تلك الأمهات اثنان. البصرية والكوفية أما مذهب البغدادية فمرجعه الكوفه ومذهب الأندلسية يرجع الى البصرة لأن النحو البغدادى كما ذكروا - يقوم على الخلط بين المذهبين والنحو الأندلسى ممثلا فى كتب وصلت الينا بعضه يميل الى التوفيق بين المذهبين كنحو ابن مالك وبعضه يذهب مذهب الكوفيين كالنحو الممثل فى مقدمة ابن آجروم وبعضه يميل الى اصطناع مذهب جديد لا هو كوفى ولا هو بصرى وهو الممثل فى كتاب «**الرد على النحاة**» لابن مضاء القرطبى ولا يعنى هذا ألا يكون من أئمتهم من كان يذهب مذهب البصريين»

وهكذا نرى كثيرا من اللغويين المعاصرين تناولوا الحديث عن مذهب الأندلسيين ويعنينى أن أخص بالذكر الحديث عن بحث «**خصائص مذهب الأندلس النحوى فى القرن السابع الهجرى**» فقد تناول فيه الأستاذ عبد القادر رحيم الهيتى الرد على بعض المعارضين لوجود مذهب نحوى للأندلس وذلك حيث يقول «**يقف على رأس المعارضين الأستاذ سعيد الأفغانى وكان موقفه من ذلك يتراوح بين التردد والتشكيك وقد بنى هذا الموقف على أشياء عدة**» ثم ذكر هذه الأشياء وناقشها مناقشة موفقة وصل من خلالها الى اثبات مذهب الأندلسيين فى الدراسات النحوية.

أما خامس المذاهب النحوية وهو مذهب النحويين المصريين فقد قال به كثير من اللغويين المعاصرين نذكر منهم الدكتور عبد العال سالم فى كتابه «المدرسة النحوية فى مصر والشام» والشيخ محمد الطنطاوى فى كتابه «نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة» والدكتور احمد مختار عمر فى كتابه «**تاريخ اللغة العربية فى مصر**» والدكتور شوقى ضيف فى كتابه «**المدارس النحوية**» والدكتور أحمد نصيف الجنابى فى كتابه «**الدراسات اللغوية والنحوية فى مصر**» والدكتور عبد الكريم محمد الأسعد فى بحثه «**أبو العرفان محمد بن على**

الصبان» والدكتور عبده الراجحى فى كتابه «دروس فى المذاهب النحوية.

وقد رفض القول بهذا المذهب بعض الباحثين. نذكر منهم الأستاذ طه الراوى ومحمد طلس مع اعترافهما بوجود مدرسة نحوية فى الأندلس وكان رفضهما لمذهب النحويين المصريين مثار عجب لدى بعض الباحثين، ومن ثم نرى الدكتور احمد مختار عمر يذكر أن من الغريب ان يعترف الامام أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى باللغويين المصريين والأندلسيين ولا يذكر البغداديين ثم يقول الدكتور احمد مختار «وأغرب من هذا أن يعترف طه الراوى ومحمد طلس بوجود مدرسة فى الأندلس ولا يعترفان بوجود مدرسة فى مصر رغم أسبقية مصر فى هذا الميدان واعتماد النحو الأندلسى فى نشأته ووجوده وبنائه على مصر»

كما تعرض المتأخرون من النحويين المصريين لنقد لاذع وجهه إليهم بعض الباحثين المحدثين نذكر منهم الدكتور مهدى المخزومى فقد عد هذا الجيل المتأخر هو جيل الملفقين والجماعين فقد حشدوا فى مصنفاتهم آراء النحويين السابقين من البصريين والكوفيين والبغداديين والأندلسيين وكانوا فى حشد هذه الآراء غير مراعين للأسس المذهبية التى ينبغى أن تكون أساسا لاختيار المسائل النحوية وقد تجلى ذلك فى قوله (وجيل النحاة المصريين المتأخرين جيل الشراح واصحاب الحواشى مثل ابن عقيل وابن الصائغ والدمامينى والكافيجى والسيوطى والصبان والخضرى وهو جيل الجماعين الملفقين الذين حشدوا فى مصنفاتهم آراء النحاة الأولين من بصريين وكوفيين وبغداديين وأندلسيين ومصريين ولم يبد عليهم أنهم إذ كانوا يختارون هذا الرأى أو ذاك كانوا يصدرون عن أسس مذهبية»

ولا يخفى مدى بُعد هذا الرأى عن الحقيقة فإن لهذا الجيل آثاره العظيمة فى الدراسات النحوية فالباحث فى مؤلفات هؤلاء الأئمة يدرك مدى الجهد الذى بذلوه فى اختيار الآراء وذكر الأسباب التى دعت الى ترجيح بعض المذاهب على بعضها الآخر وهذا سر بقاء هذه المؤلفات الى يومنا بين أيدى الدارسين فى الجامعات والباحثين فى أقسام الدراسات العليا.. جزى الله هؤلاء الأئمة عن العربية وأهلها خير الجزاء.

والحق ان الدراسات النحوية فى مصر قد تحقق لها من السمات والخصائص ما يؤهلها لأن نطلق عليها كلمة «مدرسة «أو «مذهب» شأنها فى ذلك شأن الدراسات النحوية فى بغداد والأندلس ومصداق ذلك أننا نرى الدكتور عبد العال سالم يتحدث عن جهود النحويين فى مصر فيذكر أن كتب النحاة السابقين كانت تموج بمختلف الآراء البصرية والكوفية والبغدادية فضلا عن الآراء الخاصة التى كان ينفرد بها أحيانا كبار النحاة ثم يقول **«ولم يملك نحاة مصر والشام إزاء هذه الآراء المختلفة والمذاهب المتعددة إلا أن يمزجوا بينها ويوازنوا بين أدلتها فما صح فى رأيهم، واستقام فى منطقهم أخذوه بغض النظر عن المصدر الذى استقوا منه هذا الرأى والتمسوا فيه هذا المنطق بصريا أو كوفيا أو بغداديا وبغض النظر عن أن يكون هذا الرأى لفلان من النحويين أو غيره وإنما المهم أن يكون الرأى له دليل يصاحبه وحجة تسنده وبرهان يؤيده»**.

ثم يوضح اجتهادهم فى هذه الدراسة فيقول «ولما كان للنحاة فى هذه الفترة العمق فى الدراسات النحوية والوقوف على أسرارها وحقائقها فقد كانت لهم نظرات فى هذه الدراسات صائبة وآراء قيمة وتوجيهات سديدة.

وقد لا يقتصرون على دائرة التوجيه لآراء غيرهم والتماس الأدلة لها بل كانوا يتجاوزون ذلك الى آراء يصدرونها ومسائل ينفردون بها وبحوث لم يسبقهم احد فيها»

وهكذا يوضح لنا الدكتور عبد العال موقف النحاة المصريين من كتب السابقين وآرائهم ويبين مدى اجتهادهم فى دراساتهم النحوية ومن ثم تحقق لهم كثير من السمات التى امتازت بها هذه الدراسة .

وبعد فإننا نستطيع فى ضوء هذا العرض السابق للمدارس النحوية أن ندرك أن هذه المدارس قد ظفرت بدراسة بعض اللغويين المعاصرين وكانت لهم فيها نظرات مختلفة على نحو ما قدمنا . . والله الموفق الى سواء السبيل .

---

(١) ضحى الاسلام للأستاذ احمد أمين ٢/٢٩٤ .
(٢) أبو على الفارسى للدكتور عبد الفتاح شلبى ص ٤٤٠ .
(٣) رواية اللغة للدكتور عبد الحميد الشلقانى ص٢٤ .
(٤) تاريخ الآداب العربية لبروكلمان ٢/٢٨ .
(٥) من تاريخ النحو للأستاذ سعيد الأفغانى ص ٤،٣ .
(٦،٧،٨،٩) المرجع السابق ص ٧٦، ٩٥، ٩٧، ١٠٦ .
(١٠) دراسات فى علم اللغة للدكتور كمال محمد بشر ص٥٤ .
(١١) البحث اللغوى عند العرب للدكتور أحمد مختار عمر ص ٩٩-١٠١ .
(١٢) طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر محمد بن الحسن الزبيدى ص ١٥٣ .
(١٣) نفح الطيب للمقرى تحقيق الشيخ محيى الدين ١/٢٠٦ .
(١٤) البحث اللغوى عند العرب ص ١٠٤ .
(١٥) ضحى الاسلام ٢/٢٩٤ .
(١٦) ص ٦ من مقدمة بقلم الاستاذ مصطفى السقا لكتاب فى النحو العربى نقد وتوجيه للدكتور مهدى المخزومى .
(١٧) الاجتهاد فى النحو العربى ص ١٢ وهو بحث قدمه الأستاذ امين الخولى لمؤتمر المستشرقين باستنبرل سنة ١٩٥١م .
(١٨) كتاب الأصول للدكتور تمام حسان ص ٤٤ .
(١٩) نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للشيخ محمد الطنطاوى ص ٣٣ .
(٢٠) نحو ابن مالك بين البصرة والكوفة ص ٩ «رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٦١م» .
(٢١) تاريخ النحو وأصوله للدكتور عبد الحميد طلب ص ١٧٤ .
(٢٢) المدارس النحوية للدكتور شوقى ضيف ص ١٥٨ .
(٢٣) الدراسات اللغوية عند العرب للدكتور محمد حسين آل ياسين ص ٣٩١ .
(٢٤) مدرسة الكوفة للدكتور مهدى المخزومى ص ٧٠ .
(٢٥) مدرسة البصرة النحوية للدكتور عبد الرحمن السيد ص ٤٠٠ .
(٢٦) الاتجاهات النحوية فى الأندلس للدكتور أمين على السيد ص١٤١ «رسالة دكتوراه بكلية دار العلوم بالقاهرة سنة ١٩٦٤م» .
(٢٧) القرآن الكريم وأثرة فى الدراسات النحوية للدكتور عبد العال سالم ص ١٣٧ .
(٢٨) المدارس النحوية ص ٢٤٥ .
(٢٩) دروس فى المذاهب النحوية للدكتور عبده الراجحى ص ١٥٩ .
(٣٠) أبو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة للدكتور احمد مكى الأنصارى ص ٣٥١ .
(٣١) المرجع السابق ص ٣٦٦ .
(٣٢) المدارس النحوية ص ١٥٦، ١٥٧ .
(٣٣) أبو على الفارسى ص ٤٤٥ وما بعدها .
(٣٤) المدارس النحوية ص ٢٤٥ .
(٣٥) المرجع السابق ص ٢٤٧ .
(٣٦) الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشرى للدكتور فاضل السامرائى ص ٣١٤ وما بعدها .
(٣٧) ابن الحاجب النحوى للأستاذ طارق الجنابى ص ١٦ .
(٣٨) الدراسات اللغوية عند العرب ص ٣٩٢ .
(٣٩) الدراسات اللغوية فى الأندلس ص ٢٤٢ .
(٤٠) نظرة فى النحو للأستاذ طه الراوى - مجلة المجمع العلمى بدمشق م١٤ (ج٩، ١٠ ص٣١٨) .

المختار

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر



العدد السابع والعشرون ذو القعدة ١٤٠٦هـ

المشرف

محمود عارف

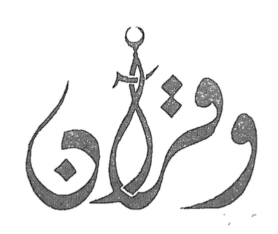
تبسَّمَ الـدهـرُ فالأيـامُ بستـانُ
وصفَّق الـوحىُ فيهـا وهى ألحانُ
نيــسـان نشـوانُ مختـال ببردتـه
نوارهـا الحلو اشكـالٌ وألـوانُ
صفـراء حمراء أنـواعٌ منـوعـةٌ
كأنَّـما هى فى الـترصيـع تيجانُ
هوت تُقَبِّلُهـا الانسـامُ هائمـة
حَيْرَى فحملهـا بالعِطـر ريحـان
وضمَّت الـزهـرَ كالمفتون من ولهٍ
فضـمَّخَتْ بعبـير الـزهـر أردان
وفى الجـدوال أمـواه مصـفـقـة
تلهـو وتلعبُ كالأطفـال مُذ كانـوا
جرتْ تهافتُ من بين الصخور كما
تدفَّـقت فى مجالى السَّبْق فرسـانُ
والسحبُ تَرْكُضُ فى الأجـواء عابثةً
كأنَّهـا فى مَراح الجـوِّ قطعـان
نِيْسـانُ ينشرُهـا طورا ويمسكهـا
كما تداول فى الـعـيـلـين هَتَّـان
يشقق السحبَ تشقيقـا ويجمعهـا
فالجـو بالسحب مكسوّ وعُرْيـان
نيسـان فى مَيْعـة الأيـام بهجتهـا
نيسـان حلمٌ دقيقُ الطَّيف وسْنـان
نيسـان شاعـرُهـا فى صدره نغمٌ
حُلْوَ الـترنُّم حُلْوَ الـوقع صحيان
قيثـاره كل غصـن زانـه زهـر
الـدوح محرابـه والـغـاب آذان
إنْ هام تيهًـا وإدلالا فلا عجبٌ
الم يلد فيـه للصحـراء سلطان؟
نامت دهـورا وفى أحشائها حُلُمٌ
يطفـو ويغـرق والعنوان عنوانُ



ومـذ تبسَّـم وحيُ الله حقَّقـه
فى صفحتى مجده جَهْـد وإيمان
العبقـريـةُ فى عطْفيـه جاثمـة
إنَّ الـعبـاقـرة الافـذاذ مالانـوا

* * *

لم يحلُم المجدُ يومـاً فوق طاقته
بغير طه وفى الامجاد أعـوان
من الجـزيـرة من دنيا العروبة من
لولا النبى ولـولا الـوحى مروان؟
بنـو أميـة راضـوا الملك جلجلة
فى الشرق فامتهدت فى الغرب اسبان
شكيمـة الملك فى يمنـاهم اتأدت
وكـان عنوانهـم سيفٌ وقـرآن
ومـا زهت ببنى العبـاس دولتهم
وازهـرت فى ظلال الشطِّ بغدان
وزان قرطبـة علم وفـلسـفـةٌ
وحكَّمت فى رقـاب العلم تطوان
إلَّا وكـانت على الاسـلام بانيـة
أمجـادهـا . إن دين الله رضـوان



د. ممدوح حقي - مصر

في الصين في فارس في الهند كم بُنيَتْ
ممالك وازدهت في الغرب بُلْدان

فكلُّ مملكةٍ من بعده نبتت
منه استقت وارتوى عرق وأغصان

ومذ أضعناه ضعنا في متاهتنا
وفرّقتنا على الأيامِ أحزان

ردّت العُرْبَ للصحراء ظامئة
حرّى يمزّقها جهلٌ وأشجان

وشرّدتهم عن الأوطان شرذمة
وشتّت السادة الأحرارَ عُبْدان

وبيع بالقمّة الجشباء عرضهم
ياويح يعرب إن العرب قد هانوا

ابكي لو ان البكا يجدي فوا اسفا
كم قُرِّحَتْ بدموع القهرِ أجفانُ

هل ردّ أندلساً دمعٌ ومسكنةٌ
وهل يردّ فلسطين الألى هانوا

* * *

قالوا فرحنا بنيسان وطلعته
يا حبذا الشهر للأحرار نيسان

نيسان لا كنت ان لم نستقلَّ كما
كنّا وعادت لنا دنيا وأوطانُ

نبني الحضارة أخلاقاً ومعرفةً
وقد بناها لهم كذب وبهتانُ

ونرفعُ المُثُلَ العليا ونخفرها
بالحبّ حتى يسودَ الخَلْقَ تحنانُ

* * *

يا مَنْ يُفَكِّرُ في إبداع قنبلةٍ
فتاكةٍ كالجحيم المرّ تختان

سائل ضميرَكَ هل مات الضميرُ هوى
هل انت في مستوى الانسان انسان؟

نيسانُ ما لم تعدْ بالحقِّ توجه
نصرُ العروبة أخطاك عدوان

ما أنت شهرُ الربيع الحلو إن خفقتْ
فيك النسائم ما فيهن يَقْظَان

ولا العروبة من قحطان ما بقيت
على حواشي بلاد العرب قرصان

تثور غسان في احشاء دولتنا
وتنتفي من دماء العرب عدنان

ان لم تثرها على المستعمرين وغى
ثارا يؤججها شِيْبٌ وشبان

تاريخنا خير تاريخ وحاضرنا
للعلم والدين اخلاق وإيمان

من المحيط الى شطّ الفرات إلى
اقصى الجزيرة أحرار وشجعان

قد وحدتنا على الاسلام آصرة
فمن يفككنا والدين قرآن؟

الجرح ينزف علقما

محمد الضبعاني

صوت بطل من افغانستان

احمد سالم باعطب الرياض

ابنيتى لا تسرفى صونى الدموع وكفكفى
لا تتركى يأس الشعوب يدب ينحر معطفى

دوسى على الاشواك ثائرة المشاعر واهتفى
واذا دعاك النصر لا .. تهنى ولا تتوقفى
شدى إزارك واصعدى علما يشع ورفرفى
وقفى على قبرى اذا عصفت بك الذكرى
قفى قولى هنا بطل الفداء هنا الأبيّ هنا الوفى
وخذى زنادى واقذفى قلب العداة به اقذفى
انى رأيت الوحش يأكل من حقول تعففى
ألقى على الطرقات أزهارى وعاث بمتحفى

لا لن أموت اذا وقفت هنا غدا فى موقفى
وزرعت احداقى منى ورويت قلب تلهفى
وتركت عاصفة الكفاح تحلى بساطك تحتفى

الجرح لم يقطر دما .. الجرح ينزف علقما
ينساب ملتهب الحشا .. حمما ويلتهم الدمى
والشعب يبنى للخلود من الجماجم سلما
والغول اصبح هيكلا .. نخر العظام محطما
امدينتى وقف الزمان على ثراك وسلما
والجرح من جسدى يسيل على ترابك بلسما
فى كل ثانية تزف البطولة ضيغما
يشدو فتصرخ أمه .. انى ولدتك مسلما
والمجد انطقه الكفاح ضراوة فتكلما
ألقى عليك رداءه .. نورا يرف منمنما
وأقام تمثالا له .. فى راحتيك ومعلما
فى وجنتيه قصيدة .. نقشت بشريان الحمى
هتفت لها الدنيا رضى .. حفظت معانيه السما وغدا لصوتك بين عشاق الحياة مترجما

نفير الصحف للشرف المستباح

محمد ضبعان

د. عاتكة الخزرجي "بغداد"

الى الأدعياء الدخلاء على شعرنا العربي الأصيل..

الى رافعي شعارات الهدم في حرم العمود القدسي..

الى كل متنكر لحركة التراث وشرف الأصالة

هذه الهمسة

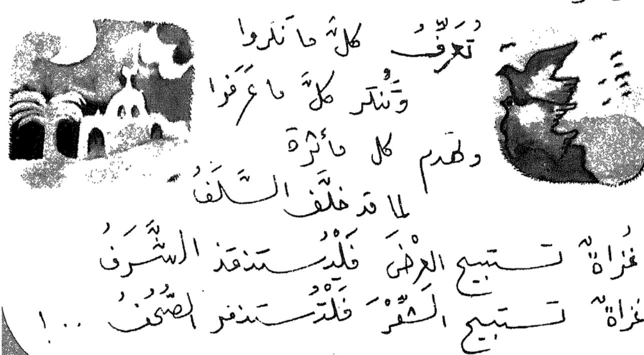
وقالوا: هل له طعمٌ؟ فقلنا الشبه والعلفُ

وقالوا: هل له لونٌ؟ فقلنا كله كلفُ

وقالوا هل له معنىً؟ فقلنا بعضه سخفُ

وقالوا اللفظ والمبنى؟ فقلنا الحشو والحشفُ

وقالوا الأصل والمرمى؟ فقلنا هجنةٌ قذفُ



تعرِّفُ كلَّ ما نكروا

وتُنكر كلَّ ما عرفوا

وتهدم كل مأثرةٍ

لما قد خلّف السلفُ

غزاةٌ تستبيح العرضَ فليُستنقذ الشرفُ

غزاةٌ تستبيح الشعرَ فلتُستنفر الصحفُ..!

الى الذين خدعتهم المعاصرة

أقول اذا كان لنا أن نقر ان العصر الحديث حمل الينا الجديد فى العلم مما ندعوه تكنولوجيا فأحدث ما أحدث من انقلاب فى المفاهيم والسلوك فإننا لم نر شيئاً كبيراً حمله الينا هذا العصر مما يتصل بالعلوم الانسانية . . وقد نكون أقرب الى هذه الحقيقة اذا نظرنا الى ما يتصل بالآداب والفنون . . لقد حملت المعاصرة الضيم على جملة هذه المعارف ذلك أن الكثير مما ينسب الى الجدة أخذا بالمعاصرة فى الفنون والآداب قد تنسبه الى التفاهة وأنت غير متحرج ولا آثم .

لقد اجتاح تيار المعاصرة والسعى وراء الجديد جمهرة أهل الفنون والآداب حتى ساد فخيل الى غير أهل الصنعة أن هذا الذى يلفظ به حملة الأقلام الجديدة هو الأدب . . وأن هذا الذى يمارس فى دنيا الفنون هو السحر الحلال . . وأن «خربشات» فلان أو فلان هى الفتح المبين .

لقد وجد هؤلاء (الشياطين) الجدد تسمحاً فحسبوا أن ما تهيأ لهم هو الفن الأصيل . . ولم لا تكون هذه التفاهات الجديدة فناً أصيلا وقد حظيت ببركة النقاد من أساتيذ الجامعات الذين دفعتهم الموجة فراحوا يلتمسون الرضا بتملقهم هؤلاء (الشياطين) الجدد .

الى هؤلاء جميعا أقول :

خطرات . . . .

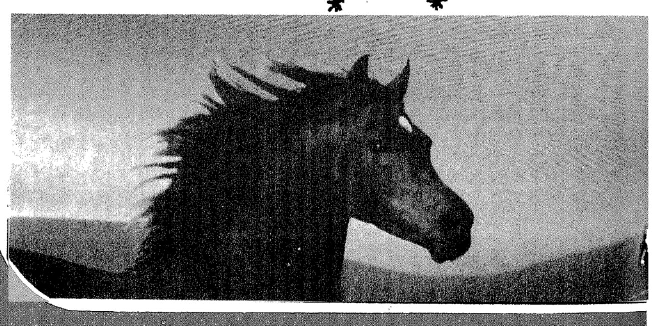
خفقَ الوطءُ فالثرى عطرُ ... ألقٌ باهرُ السّنا صُوَرُ
أجِلِ الطّرْفَ فيه مُعتبراً ... وكثيرٌ من الرؤى عِبَرُ
قِفْ تأمّلْ نثارةً فِتَناً ... من نظيمٍ ونثرِها دُرَرُ
طالعاتٌ والسِّحرُ مؤتلقٌ ... بارقاتٌ والحسنُ مزدهرُ

*

لا تَسَلْني فقد غَرِضتُ لِما ... هو من واضحِ النُّهى غُرَرُ
صُنعُ مَن أشرقَتْ بحكمتِهِ ... صَفَحاتُ البيانِ، والسُّوَرُ
وبنفسي من فيضِ حكمتِهِ ... قَبَساتٌ بهنَّ أدَّكِرُ
وبنفسي، والذِّكْرُ يعمرُها ... آيةٌ تُطّبى وتَعْتَبِرُ

د. ابراهيم السامرائي "الاردن"

وهي عندي لحنُ أرتّلهُ	ليس منه ما نفّسَ الوَترُ
*	*
كيف أغدو، وراحَ يغمزني	ذو مِراحٍ مُستَوفِزٌ بطِرُ
ساءَني منه ما يُرجّحهُ	من جُفاءٍ أزرى به وَضَرُ
ولفيفٌ من رَعْثٍ ما اجتمعتْ	من شجونٍ أحالها غَرَرُ
لائذٌ بالأصمِّ من كَلِمٍ	يتعايى، ودرْبُهُ وَعِرُ
أتُرى ينتهي الى حِكَمٍ	ذو عَياءٍ أمضّهُ حَصَرُ
أم تُراهُ يغنّي بُهرطقةٍ	وخليطٌ قد شانه خَوَرُ
يتظنّى لُقىً بمدْرجةٍ	بئس سعياً ألوى به عَثَرُ
فرَزَماتٌ وليس من نَغَمٍ	وغُثاءٌ أذلّه كَدَرُ
وَبِكَ أخضرّ نما استوى عَمَدٌ	يتعالى وأسُّه نَخِرُ
ورسومٌ بَدَتْ لناظرها	ما تُلاثُ، والجوفُ مُنقعِرُ
*	*



ستار

أينَ منّي فينانةٌ وشذًى ... ووريقٌ وافي الندى خضِرُ
وليالٍ منحتُ ريّقها ... من فتونٍ، لا النجمُ والقمرُ
وأفانينُ قد لهوتُ بها ... ولنغمُ الحديثِ والسمرُ
أتسلّى وربَّ أغنيةٍ ... من لحونٍ تغشّى بها الفِكَرُ
أتعزّى بالصفو من كلمٍ ... إنْ تداعى من غمرِهِ كدرُ
وبحسبي أصالةً وحجًى ... صفحاتٌ بهنَّ أدّكرُ
وبحسبي ما رحتُ أقبسُهُ ... من بدائعٍ قد كنتُ أدّخرُ
لستُ أزهى بالوشيِ من كلمٍ ... وشفيعي ما عنه أعتذرُ

*

أنا عندي من الرؤى صورُ ... ظاهرٌ فنُّها ومستترُ
أتصدّى لها ولي نَصَبٌ ... وأماري عنها ولي حذرُ
ما تراني مستمرئاً أدباً ... غيرَ ما نمّقتْ بهِ الطُّررُ
فهو فيضٌ أسلستْ دِرّتَهُ ... وهو نفسٌ تضوى وتعتصرُ

*

لا تلمني إمّا جنحتُ إلى ... ظلماتٍ فإنّني بشرُ
أو تراني شكوتُ من محنٍ ... أدّريها، وأجدبَ العمرُ
فمن الظلمِ أن ينالَ أخي ... من شقائي ولوعتي شررُ
وحرامٌ ألّا أجنّبَهُ ... شرَّ ما أحكمتْ ليَ الغيرُ

الى شاعر

محمد الضبعاني

د. نور الدين صمود "تونس"

يا شاعرَ الحسن الذى هزَّنى
وشاعرَ الحزنِ الذى هدَّنى
أبعدنى الشوقُ ولكنه
على بساطِ الريح قد ردَّنى
يا ساقىَ الشّرب لذيذ المُدام
تعصره من قلبك المستهام
أسكرتنا لكن بلا خمرة
ما الشعرُ إلا كيمياء الكلام
«خيَّامَ» أهل الشعرِ أسكَرْتَهُمْ
بدون خمرٍ تَصَرَعُ الشاربين
من غَيَّبوا الاحساسَ فى كأسها
ليهربوا من مُوجبات اليقين
لا تسكرُ النفسُ التى قد سَمَتْ
ببنت كرم بل بأحلى قصيد
ما الشعرُ إلا خمرة عتقَتْ
منذ امرىء القيس وعهد لبيد
عصيرُ أعصابٍ ودمعٍ ودمْ
وذوبُ روحٍ ونقيع الألم
سكبْتَها فى أحرف كالسنى
فانبعثتْ بعد البلى والعدم
ترفرف الأحرفُ - إن مَسَّها
يراعُك الشادى - كسِرْبِ الحمام
له هَديلٌ مُتْرَعٌ بالشَّجى
كصوتِ ناىٍ فى عميق الظلام

* * *



يا ساهرَ الليل أمَا تنتهى
من سهرٍ مُضْنٍ لنحتِ الحروف؟
هل تنحت الألفاظَ؟ أم يا ترى
تُسَيِّر الروحَ بدرب الحتوف؟
تعصرها خمراً لاحبابها
ليشربوها فى قصيد جديد
وقد حسبنا ذاك درب الفنا
لكنّه عندك درب الخلود

الوجه المتعدد

علي أحمد النعمي "جازان"

صورة لممارسات بعض الأفراد السلوكية الذين يتخذون من التلون وتغيير الأقنعة طريقاً للكسب في جميع أمورهم متجاوزين بذلك قدرهم المرسوم

فى مساء مُزَعْزَع بالطُّيُوف
عشتُ فى عالمٍ مريرِ النَّزيفِ
عالم زاخر بشتى المرائى
ولدَّتها استغلالُ سوء الظروف
عشتُ فيه وفى مرآئيه ليلا
مع صنفٍ فيه جميع الصنوف
واحتوانى أمامَ نوعٍ غريبٍ
مِنْ بَنِى النَاسِ فى لقاء طريف
ساقه - خانعاً - إلىَّ خيالى
وثَنى زحفه كمِينُ حروفى
قال: ضيفُ فقلت: مَرْحَى بضيفٍ
فحياتى حفيَّة بالضيوف
راحلٌ أنتَ أم مقيمٌ لدينا
فجثى لائماً طويل الوقوف؟
وتأملتُه طويلًا مشيراً
بسرورى.. وباذلًا معروفى
أتَقرَّاه يمنة ويساراً
فهو ضيف ما كان بالمألوف
وجهه تُشْرقُ البشاشةُ منه
وله جلسة الأريب اللَّطيف
وله نظرة تحاولُ أن تُفْـ
ـصح عن قصده لنفس المُضيْفِ
نظرة شدَّها النزوعُ لشيءٍ
ليس يبدو لعين كلِّ حصيف
أىَّ شيىء من أى شيىء وشيىء
فى ثقيل من الجدا وخفيف
نظرة تحسب الزمان عسيفا
لانطلاقاتها كأىّ عسيف
وله قامةٌ يهولُك مرءآ
ها.. ومنها تخشى سهام الحتوف
تخدعُ العينَ إن أطلتْ ولكن
هى «بوٌّ» والبوُّ غير مخوف
قال: إنِّى: فقلتُ أىّ لقاء
فى مساء مزعزع بالطيوف
أنت من أنت كى تعيد وتبدى
وبصيرٌ أم أنتَ شبه الكفيف؟
شبح أنت طارقٌ مستجيرٌ
من خصيم أم باحثٌ عن أليف؟
أم مُعَنَّى قَستْ عليه الليالى
أم أثيم أم أنت كالملقوف؟

قال: كلا لكنّنى قلت: لصٌّ
حلَّ ضيفاً على بئيس أسيف
ليس عندى إلا قصائد شعرٍ
وكتابٌ ورزمةٌ من كُشُوف
وبقايا أوراق بحثٍ قديمٍ
فى بيانِ التنكيرِ والتعريف
ليس عندى إلا سراجُ ضئيلٌ
هو عونى على جلاء الحروف
ونقودى محدودة العدّ حتى
لا أراها تفى بأمر الرغيف
ليس إلا «جرار» ماء «وقَعْبٌ»
وصغارٌ هم عدتى فى خريفى
ليس عندى إلا «صميلٌ» و«نَبّـ
ـوتٌ» جديد لدرء شر الضيوف
فرنا للسما ودار يمينا
وشمالا محاولا تخويفى
وتمطى مردداً همهمات
نافشا شعره بشكل طريف
قلت: يا أنت لا تقطب جبينا
لا تهمهم كالأخرس الملهوف
وتساءلْ يا أيها اللص عنى
كم لصوص تعدادهم بالألوف؟
حاولوا دائما إخافة قلبى
ثم عادوا منى بحز الأنوف
لم أكنْ.. قال. قلتُ زدنى يقينا
ولك الأمن من صليل سيوفى
قال: ما كنت سيئاً أو مريباً
أو أثيما وما أنا بمخيف

لست لصا كما فهمت وإنى
لَلَطِيْف أُحِبّ كلَّ لطيف
غير أنى أبدو بشتى وجوه
من خلال التعامل الملفوف
لى صفات تجل وصفا وعدًا
وطباعٌ كثيرة التَّزْييف
فترانى أنا بزى ملاك
ناصع الوجه كالضياء الشفيف
وترانى أنا بصورة شيطا
ن خبير فى لعبة التحريف
وترانى حينا بسحنة بحا
ر عليم بالعوم والتجديف
يعشق البحر لاقتناص اللآلى
واللآلى مهماز كل لهيف
وترانى حينا أبيًا شُجاعا
يَقْدُمُ القوم فى التِحامِ الصفوف
وجبانا أخفى عن الناس جبنى
بصراخى فى وجه كل ضعيف
وترانى يوما بهيبة شيخ
عن حطام الدنيا كثير العزوف
ينصح الناس بالتخلى عن الدنـ
ـيا.. وفيها يهيم غير أسيف
وترانى يوما ثريا ببيع
وشراء من موقع «إستيفى»
لى طريق فى السطو والنهـ
ـب.. وسلب الأشياء بلا تكليف
أزن البخس لا أخاف رقيبا
واذا كلت كلت بالتطفيف

وإذا شئتُ أن أحقق ربحاً
مستفيضا فالخير فى التسليف
وترانى حينا بذلّة مَدّا
ح مجيد فى نقره للدفوف
وترانى حينا بعزة ممدو
ح حسيب يفيض شمّ الأنوف
وترانى وقتا بزى فريق
وترانى وقتا بزيِ «عريف»
وترانى لبست يوماً حريراً
وبيوم لبست قطعة صوف
تارة أسكن القصور وأخرى
أتهاوى على ذراع الرصيف
وترانى فى رحلة بعد أخرى
فى عناء يقفو قعودى وقوفى
ليس لى موقع ومالى قرار
هذه حالتى وتلك ظروفى
فحياتى ماذا بها لست أدرى
ما تليدى فيها ولا ما طريفى
وترانى.. فقلت حسبك إنى
قد تأذت نفسى من التخريف
شئت أم لم تشأ فانت وضيع
لم يعش فى الحياة عيش عفيف
تطلب الكسبَ بالتلوُّن كالحر
با وتسعى للرزق غير شريف
صورة أنت للهوان ولون
للبشاعات.. والسلوك السخيف
فتطامن.. فالعيش حظ وقسم
وعن الكل غُنْيَةٌ بالنَّصيف
قسمة الرزق للخليقة كانت
وستبقى بأمر ربٍّ لطيف
لا ضعيف يستل مال قوى
أو قوى يلغى وجود ضعيف

فاختبى - ساخراً وقال عصينا
ما سمعنا من ناصح غطريف
خل عنك النصح الهزيل ودعنى
لأمور تسرنى فى خريفى
كنت أرجو ضيافة منك ترضيـ
ـنى.. ولكن أهنت قدر الضيوف
حين أسرفت فى الشتيمة واللو
م وفقت المعهود فى التعنيف
لم تقدر وضعى ولم ترض عنى
كطريد يعيش قهر الظروف
صَيَّرته الحياة.. يحيا بكوخ
وسواه يحيا بقصر منيف
أنا لو لم أعش بوجه كهذا
عدت بين الذئاب أشهى خروف
كُنْ بوجه تحيا بوجه ولكن
بوجوه تحيا حياة ألوف
واحتوته الظلما وعدت لحالى
فى مساء - بالاسوداد كثيف
ما لنفسى وللتلون فى العيـ
ـش وقسمى يأتى برغم الأنوف
فسلاما يا من تعدّد وجها
وتهاوى ذلا لكسب رغيف
واستفد من خطاك درساً بليغا
سوف يحميك من لهاث سخيف
واتق الله ما استطعت وحاذر
من سقوط وعش بقلب نظيف

يقظى فتنة

عبد السلام هاشم حافظ - المدينة المنورة

كحلمٍ جميلٍ خطرتِ أمامى
ونبَّهْتِ فىَّ معانى غرامى
بجسمٍ يجلّ عنِ الوصف حسناً
بهيَّاً يبيع الهوى بالسهام
ويُبدى المفاتن كالضوء يُعشى العيونْ

* * *

وفى لونه الذهبىّ الشفيفْ
تهاويلُ سحرٍ عليها أطوف
وأبصر دنيا منِ الحسن يهفو
لها الحسُّ والقلبُ يشكو الوجيف
وأحلم بالحبِّ يجمعنا فى أتون

* * *

أخمريَّة الجسم يا عبقريه
ونجوى ليالى المصيف النديه
سحرتِ البلاجَ ومن دبَّ فيه
وأيقظت فى الشطِّ ذكرى شجيَّهْ
وراقصك الماء لحنَ الغرام الحنون

* * *

فأنت جمال مثيرٌ وريق
ملاكٌ له اليوم أبهى بريق
يحار الفؤادُ بعينيك حيناً
ويجذبه الجسم حتى العروق
ويبلغ شوقى مداه لهذا الفتون

* * *

أشقراء يا حلوة الناظرين
حرير يموج على الناهدين
ويفترّ ثغر كرفِّ الورود
قوام تثنى على الخاصرين
وهيكلك العذب طيف لعوب ضنين

* * *

لكِ الله كمْ فيك من مغريات
تُشهِّى شعور الذَّكى للحياة
وتسلبُ منه شبابَ الخيال
ويا ليتها ترتضى بالهبات
وتنثر حباً لنا شوقه فى أنين

* * *

ولكنَّك اليوم فى قمتك
كهاة للعابرين السناء
ويزهو الشباب على فتنتك
وفى الغد يأتى جفاف الشتاء
وتذوى الزهور وتغمض عنها العيون
ولم تبق منها ومن ذكريات السنين
سوى الآه فى الفجر أو فى الغروب الحزين



منذ بدء الخليقة والانسان دائم البحث عن وسائل جديدة تضيف اليه مزيدا من الراحة وتوفر له الوقت وتحقق له الرفاهية وكان من نتيجة هذا البحث المستمر أن وصلت الينا جميع هذه الادوات والاجهزة والالات التى تحت ايدينا الآن.

ولعل أعظم هذه الاشياء على الاطلاق هو اختراع ذلك الجهاز السحرى الذى احدث ثورة صناعية وتكنولوجية مكنت الانسان من تحقيق أحلام بدت له مستحيلة المنال انه الحاسب الاليكترونى THE COMPUTRE الذى امتدت يده لتلمس كل حياتنا حيث تناولت المجالات العلمية والتجارية والصناعية كما تجاوزها الى المجالات القانونية والتعليمية والطبية وغيرها من المجالات التى يصعب علينا حصرها فمن منا لا يحمل ساعة رقمية أو يملك آلة حاسبة وذلك الصوت الرقيق الذى تسمعه عادة عندما تطلب مكالمه تليفونية ويخبرك بأن الخط مشغول ويطلب منك اعادة ادارة القرص لتحصل على المكالمة كل ذلك صور مختلفة من الحاسب الاليكترونى مبرمج PROGRAMED بصورة أو بأخرى وهناك الكثير والكثير من الامثلة الاخرى التى قد تأخذ ساعات طويلة فى سردها.

وعلى الرغم من هذا فالكثير من القراء يجهلون تماما عن هذا الضيف المرغوب فيه وقد يتساءل البعض قائلين

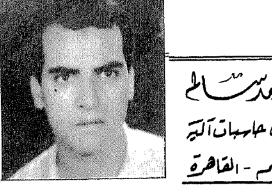
هل يستطيع هذا الجهاز التفكير؟ هل سيحل محل الانسان؟ هل يحرمنا من الحرية الشخصية؟ وما الى ذلك من هذه الاسئلة التى تتبادر الى اذهان الكثير منا وهنا أرجو ان يسهم هذا المقال فى تقديم بعض الفهم عن الحاسب الآلى تلك الآلة المذهلة التى فاقت كل تصور.

أن أى حاسب آلى يتكون من الادوات المعدنية أو المعدات المتعلقة به ويطلق عليها الاجزاء الملموسة HARDWARE هذه الادوات لا تستطيع ان تعمل بمفردها بل نرى ايضا البرامج SOFTWARE التى تملى على الحاسب ما يفعله.

والنقطه الجوهرية التى يجب ان نعرفها عن الاجهزه الحاسبة هى انها آلات اليكترونية يمكنها استقبال البيانات INPUTS تجرى عليها عمليات منطقيه ورياضية.. PROCESSING للحصول على معلومات او نتائج معينه OUTPUTS ولتنفيذ هذه المهام تستخدم الاجهزة الحاسبة دوائر اليكترونية ولوحات مفاتيح شبيهة بمفاتيح الآلة الكاتبة KEY BOARD واجهزة ووسائل أخرى لتسجيل واختزان وعرض البيانات أو المعلومات والحاسب الأليكترونى يشبه الانسان فى قدرته على تخزين المعلومات ويعالجها طبقا لقواعد معينة موضوعة له من قبل ولكن بمزيد من السرعة عن العقل البشرى غير أن النقطة الهامة التى يجب ان نتذكرها دائما هى أن الحاسب الالى ما هو إلا آلة أى أنه ليس عقلا حيث لا يستطيع التفكير من تلقاء نفسه بل يتصرف فى حدود البرامج الموضوعة له بمعرفة الانسان وكل ما يخرج عن هذه الحدود لا يستطيع أن يتصرف فيه حيث لا ارادة له ولا حياة خاصة به.

ولو بحثنا فى صفحات التاريخ عن نشأة الحاسب الأليكترونى وتطوره نجد أنه قد مر بثلاثة عصور مختلفة وهى التاريخ القديم حيث اخترع شارلز بابيدج CHARLES BABBAGE آلة اطلق عليها الال

فرض نفسه



سيد محمد محمد سالم
اخصائي حاسبات آلية
محلل نظم - القاهرة

التحليلية وهى تشمل وحدتين إحداهما لتخزين البيانات والاخرى لطبع المعلومات الناتجة اتوماتيكيا وقد كان ذلك فى سنة ٨٣٣. ثم بدأت حاسبات العصور الوسطى فى الظهور عندما تمكن هوارد ايكن HOWARD AIKEN الاستاذ بجامعة هارفارد الامريكية بالتعاون مع شركة أى بى أم من بناء آلة حاسبة كهروميكانكية عرفت باسم مارك ـ ١ MARK-1 وكان ذلك فى سنة ١٩٤٤ ثم ظهرت سلسلة من الاجهزة يمكن أن نطلق عليها بحق حاسب آلى مثل الحاسب المعروف باسم ايدسكا ايدفاك. . EDIFAC, EDSAC وفى سنة ١٩٥١ بنى يونيفاك ١ـ وهو أول حاسب أتيح استخدامه فى المشروعات الصناعية والتجارية ومع مطلع عام ١٩٥٤ بدأ العصر الذهبى للحاسب الاليكترونى حيث ازداد عدد الشركات التى تستخدم الحاسب ويمكن تقسيم الحاسبات التى استخدمت فى هذه الفترة الى ثلاثة اجيال :ـ

١ ـ حاسبات الجيل الاول (١٩٥٤ـ١٩٥٩) وكان التركيز فى هذا الجيل على تصميم حاسبات تقوم باجراء عمليات حسابية معقدة على حجم صغير من المدخلات وقد كان ابرز حاسب يمثل هذا الجيل هو أى . بى . ام ٦٥ (IPM 65).

٢ ـ حاسبات الجيل الثانى (١٩٥٩ـ١٩٦٤) وهى تتميز بالسرعة وصغر الحجم وطاقة تخزينية وحسابية عالية عن حاسبات الجيل الاول حيث تم استخدام الترانزستور بدلا من الانابيب المفرغة وتعتبر سلسلة حاسبات



أى . بى . أم ١٤٠٠ IBM 1400 اكثر حاسبات هذا الجيل شهرة .

٣ ـ حاسبات الجيل الثالث منذ سنة ١٩٦٤ وقد بدأ هذا الجيل عندما اعلنت شركة أى . بى . أم I.B.M سلسلة SYSTEM/ 360 التى تتميز بالسرعة والدقة حيث استبدلت دوائر الترانزستور بالدوائر الاليكترونيه المتكامله . . INTEGRATED CIRCUITS

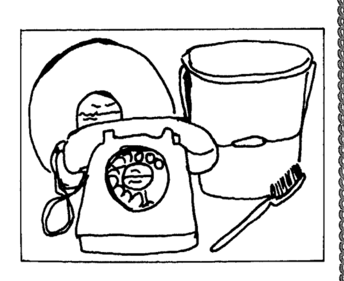
ومنذ ذلك التاريخ ويشهد العالم تطوراً ملحوظاً فى عالم الاجهزة حيث تزداد كفاءتها يوما بعد يوم فنرى الآن اجهزة تصل سرعة معالجة المعلومة الواحدة بها الى جزء من ألف مليون من الثانية NANO-SECOND مع كبر حجم الذاكرة الرئيسية بها MAIN MEMORY وصغر حجمها لتشغيل اقل فراغات ممكنة حتى لا تمثل عبئا على مستخدميها مما دفع الكثير منا الى اقتناء ما يسمى بالكمبيوتر المنزلى HOME COMPUTER للاستفادة به فى العمليات البسيطة مثل اعداد الميزانيات المنزلية REGIME واعداد كشوف المرتبات فى الشركات التى يوجد بها عدد قليل من الموظفين كما يستخدم ايضا كوسيلة للتسلية وتنمية للقدرات العقلية والى غير ذلك من العمليات .

وعلى الرغم من كل ذلك فمازال حلم الانسان فى اختراع جهاز كمبيوتر يمكنه التصرف من تلقاء نفسه قائما وبيده وان هذا الحلم سوف يتحقق فى القريب العاجل حيث طالعتنا الدوائر العملية منذ فترة قريبة بأن اليابان قد رصدت مبلغ عشرة ملايين دولار امريكى لصنع الجيل الرابع من اجيال الكمبيوتر الجيل الذى يمكنه الاستفادة من الخبرات السابقه له دون أن يتدخل الانسان فى ذلك وان علماءها قد حققوا تقدما ملحوظا فى هذا المجال . . وبهذا يضيف هذا الجيل مزيدا من الرفاهية الى البشرية التى تتطلع الى الافضل دائما .

ملف علمى

كهربائية الجسم

د. امل على المخزومى



استعمال الادوات البلاستيكية

لقد زاد اهتمام العلماء بكهربائية الجسم فى السنوات الاخيرة وذلك للاضرار الناجمة عن هذه الزيادة على فعاليات الفرد من مختلف الوجوه مما يؤدى الى الاختلال والاضطرابات السلوكية. وكثيرا ما يشعر الفرد بالمرض غير انه لا يعرف السبب. وقد يصعب على الطبيب المعالج احيانا ان يجد سببا لما يشعر به مريضه.

يوجد هناك تكافؤ كهربائى مستمر بين اعضاء جسم الانسان الاعتيادى وترتبط صحة تركيب جسم الانسان ارتباطا مباشرا بذلك التوازن وان حدث اى نوع من الاختلال فى هذا التوازن، فان ذلك يؤدى الى اصابة الفرد بعدد من الامراض الجسمية والاضطرابات النفسية.

لقد انتشرت المواد المصنعة من البلاستيك فى هذا العصر انتشارا لا مثيل له بحيث لا يمر يوم واحد الا وقد استعمل الانسان تلك المواد فى جانب من جوانب حياته اليومية. وقد اصبح استعمال هذه المواد مفروضا على الجميع نتيجة لانتشارها وسهولة الحصول عليها، ورخص اثمانها. فمثلا نرتدى الملابس المصنوعة من النايلون والبلوستر ونستعمل ادوات التزيين المصنوعة من البلاستيك ونجلس على مقاعد بلاستيكية ان كانت فى البيت او مكان العمل. نركب وسائط النقل المختلفة التى لا تخلو من البلاستيك.. الخ. ويؤدى استعمال هذه المواد يوميا الى اختلال التوازن الكهربائى فى جسم الانسان.

هناك لعبة علمية يشغف بها الاطفال فى فترة من فترات حياتهم وهى تمشيط الشعر بالمشط المصنوع من البلاستيك بشكل متكرر وتقريب المشط من قصاصات صغيرة من الورق او نشارة الخشب لجذب تلك القصاصات اوالنشارة بواسطة المشط وتعليل هذه الظاهرة لا يخلو من اهمية علمية وهو تكوين الشحنة الكهربائية نتيجة لاحتكاك المشط بالشعر.

عندما يستعمل الفرد المواد البلاستيكية على نطاق واسع ويحتك بها جسمه تتولد الشحنة الكهربائية بشكل



تولد الشحنة عند القيام بعملية تمشيط الشعر

ملحوظ للعيان وعندما يخلع المرء ملابس النايلون فى غرفة دامسة الظلام تتكون شرارات كهربائية مضيئة كما يمكن سماع ازيز تلك الشحنة بسهولة ويسر. ويمكن الشعور بذلك عند التلامس الحاصل بين فرد واخر. او عند النزول من السيارة ومحاولة غلق بابها او ملامسة اى جزء منها ان هذه الشحنة قريبة الشبه بتلك الشحنة المصاحبة للبرق الحاصل فى يوم ممطر.

تختلف هذه الشحنة نسبيا باختلاف الافراد من حيث الجنس اوالشعور بالاضطرابات النفسية او الشعور بالتعب الشديد والصداع الحاد وتزداد هذه الشحنة لدى الافراد المتعبين او المضطربين نفسيا.. كذلك تزداد عند الفرد الذى يشعر بصداع حاد.

لقد اشار الدكتور خلوق نور باقى إلى أن الكهربائية المستمرة تؤثر على العضلات الصغيرة الموجودة تحت الجلد تأثيرا كبيرا اذ انها تزيد فى ارتخاء هذه العضلات شيئا فشيئا بحيث تؤدى الى حالة لا تستطيع العمل معها ونتيجة



جذب المشط لقصاصات الورق

ارتداء الملابس المصنوعة من النايلون

لذلك تظهر التجاعيد المبكرة فى الوجه. ولا ينطبق هذا القول على الوجه فحسب وانما ينطبق على جميع اعضاء الجسم لاحتواء هذه الاجزاء على تلك العضلات الصغيرة الكائنة تحت الجلد.

تشير الابحاث والدراسات التى اجريت على الاختلافات الجنسية فى الاضطرابات النفسية إلى أن بعض الاضطرابات تكون اكثر شيوعا بين النساء عنها بين الرجال. وقد يكون احد الاسباب وراء ذلك ان النساء اكثر استعمالا للمواد البلاستيكية من الرجال. واستعرض بعضاً من الاضطرابات النفسية التى تزداد نسبة المصابين فيها بين النساء اكثر منه بين الرجال، وهى كما يأتى:

القلق النفسى:

القلق مرض خطير وخاصة فى عصرنا الحاضر الذى يطلق عليه البعض عصر القلق. والقلق هو مركب انفعالى من الخوف والاضطرابات المستمرة ويشعر الشخص القلق بتهديد متوقع او متخيل وبدون مثير ظاهر. وكثيرا ما يعيق القلق الاداء الفعلى للفرد بشكل عام والقلق خوف مبهم غامض يصعب علاجه ومعرفة سببه الا بالتحليل النفسى. ولو ان هناك علاقة وطيدة بين الوراثة والمرض الا ان للبيئة دوراً كبيراً فى ظهوره.

الهستريا:

لقد اعتبر اطباء اليونان قديما ان مرض الهستريا هو مرض تحرك الرحم فى الجسم وربما اطلقوا هذا التعبير على المرض لان الاصابة به اكثر شيوعا بين النساء عنه بين الرجال. اما الاطباء المحدثون فقد ارجعوا الهستريا الى انهيارات عصبية يعانى منها الفرد كالتوتر الناتج من المثير وكف الاستجابة المبالغ بها من قبل الشخص كما تتضمن العمليات الفيزيولوجية للقشرة اللحائية. ومرض الهستريا هو اضطراب عصبى يتميز بالتفكك العقلى Mental dissociation كذلك الاختلال الواضح فى النشاط الجسمى والعقلى. وقد تكون مظاهر المرض عضوية كالعمى الهستيرى او فقدان الذاكرة او الصمم او التمتمة. وللهستريا فى الطب العقلى عدة معان من بينها تلك الحالات من الذهول او عدم الثبات الانفعالى او توهمات هاذية وتكون احيانا قوية جدا.

التسلط:

وهو عبارة عن اضطرابات عصبية وظيفية تظهر فى شعور المريض رغم ارادته ويدرك المريض انها غير منطقية ولا يستطيع التخلص منها. يتميز المرض بتسلط الافكار والافعال ونعنى بتسلط الافكار تلك الوساوس التى تستحوذ وتسيطر على ذهن المريض بينما يعتبرها المريض غير مألوفة لديه غريبة عليه ويعجز عن التخلص منها.

اما تسلط الافعال اى القهر النفسى وذلك بان تفرض الافعال نفسها على المريض ويكون مقهورا ومجبرا على اذائها ولا يستطيع مقاومتها بل يمارسها باستسلام وبدون ممانعة وكثيرا ما يعتبر المريض بان لا قيمة لهذه الافعال ولا معنى لها ولا يعترف بمنطقيتها على الرغم من انه مجبر للخضوع بسيطرتها لانه يعتقد بانه اذا لم يمتثل ويعمل بها فالمصيبة ستقع عليه وعلى المجتمع.

كثيرا ما ينصح الطبيب الام الحامل ان تعد ملابس

الوليد الجديد المصنوعة من المواد القطنية وتعليل ذلك ان الملابس القطنية اكثر راحة للطفل لنعومتها وقدرتها على امتصاص العرق هذا صحيح الا انه يمكن اضافة سبب آخر وهو بان الملابس القطنية لا تولد الشحنة الكهربائية المستمرة. وبذلك تكون نوعا من الوقاية التى لا يشير اليها الاطباء عادة ولكنها حقيقة. وبما ان الوقاية خير من العلاج فانى اوصى النساء بالتقليل من ارتداء النايلون والتقليل من استعمالهن المواد المصنعة من البلاستيك. ونصيحتى موجهة للمرأة بشكل خاص لان النساء يستعملن كثيرا الملابس المصنعة من النايلون وهذا ما يشير الى اصابتهن بالاضطرابات النفسية ومكافحة التجعدات التى تظهر على الوجه بشكل خاص وعلى الجسم بشكل عام.

العـــلاج:

يعالج الفرد الكهربائية الزائدة فى الجسم بنفسه وذلك بالاغتسال بالماء الساخن يوميا للتخلص من الشحنات وهذا الاغتسال هو بمثابة العلاج الطبيعى لمواجهة زيادة الكهربائية المستمرة لدى الفرد. لقد ذكر الدكتور خلوق نور باقى ان الشخص المعتاد على الوضوء يمتاز بوجه يتميز بصحة احسن ويكون وجهه مشرقا. وهذه الظاهرة تؤكد ان الماء المستعمل فى الوضوء يبدد من الشحنة الكهربائية مما يؤدى بالتالى الى تقليل التجاعيد او عدم ظهورها مبكرا.

● ● ● ● ● ●

فسيولوجية الرؤية



د. ابراهيم محمد عامر
محاضر واخصائى طب العيون
جامعة الملك عبد العزيز

كان هناك فى الماضى إعتقاد خاطىء أن العين يصدر منها ضوء يسقط على الاجسام فتبصرها وتوضح معالمها.

ولقد جاء العلامة العربى الحسن بن الهيثم - أبو علم البصريات - ليصحح هذا المفهوم الخاطىء وذلك فى القرن الخامس الهجرى (القرن الحادى عشر الميلادى) بأن الحقيقة هى أن الأشياء المرئية يسقط عليها أشعة ضوئية والتى تعكس على العين ثم تتكون صورة للشيىء المرئى فى بؤرة على الشبكية وبهذه الطريقة يمكن رؤية الأشياء والاجسام المختلفة بوضوح تام.

لقد تأكدت نظرية ابن الهيثم الفريدة فى العصر الحديث على يد العالم الفسيولوجى الشهير هيلمهولتز Helmholtz الذى وضع نظريته الكلاسيكية فى كيفية حدوث الرؤية (آلية الرؤية) ومدى تشابهها الكبير مع نظرية ابن الهيثم.

■ ويمكن أن نلخص نظرية البروفيسور هيلمهولتز فيما يلى:

عندما تتجه العين ناحية جسم بعيد لرؤيته تصل الحزم الضوئية المنتشرة من هذا الجسم الى العين فى خطوط متوازية.. وأما الخطوط التى تصل الى العين عند توجيهها لرؤية جسم قريب منها فإنها تصل متباعدة.

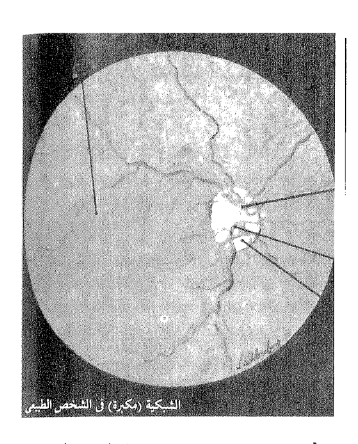
وعند اختراق هذه الخطوط للقرنية والحدقة فإنها تسقط على العدسة البللورية فيحدث للأشعة انكسار وهو ما نشاهده عندما نمد عودا مستقيما داخل كوب ماء فنلاحظ ان العود لا يظهر مستقيما على حالته داخل الماء.

وبالنسبة لحالة النظر الى الاجسام البعيدة تظل العدسة داخل العين على حالتها الطبيعية لأن انكسار الضوء الذى يحدث منها فى هذه الحالة يكون فى العين الطبيعية كافيا لجمع الأشعة الضوئية فى بؤرة على الشبكية.. أى فى اللطخ، الصفراء (المنطقة المركزية الحساسة ـ الماقوله Macula Lutea) فى الشبكية وهى وحدها التى ترى الأشياء بوضوح تام. اما بالنسبة لو ان العين نظرت إلى أجسام قريبة فإن الحزم الضوئية تسقط على العين فى شكل خطوط متباعدة وهنا لو ظلت العدسة على حالة الاسترخاء فى وضعها الطبيعى فإن البؤرة تقع فى هذه الحالة خلف مقلة العين ومن ثم تكون الرؤية غير واضحة ولكن الله عز وجل جعل للعدسة قدرة على تغيير درجة تحدبها وتحكمها بدرجة الانكسار فيها ولذا فإن العدسة فى هذه الحالة تزيد من شدة تحدبها مما يؤدى إلى تقريب البؤرة بحيث تقع على الماقوله فى الشبكية.. وكل ما سبق ذكره فى هذه النظرية إنما ينطبق على العين الطبيعية السديدة.. أما فى حالات أخطاء الانكسار (عيوب النظر) فسوف نتناولها بمشيئة الله فى فصل مستقل بعنوان أخطاء انكسار العين.

وهناك حقيقة ثابتة هى أن لله سبحانه وتعالى حكمة بالغة فى ان جعل سرعة الضوء فى الأوساط الانكسارية الشفافة بحيث إذا سقطت أشعة متوازية من مالا نهاية فانها تفقد خاصية التوازى وتتجمع فى بؤرة معينة.

ففى العين تسقط الأشعة المتوازية على القرنية وتمر خلال السائل المائى والعدسة البللورية والجسم الزجاجى وبفعل انكسار الأشعة الضوئية خلال هذه الاوساط تتجمع هذه الاشعة فى بؤرة على الشبكية فتتكون صورة صغيرة مقلوبة للجسم المرئى على الشبكية ثم يقوم المخ بتعديل وضع الصورة مع ترجمة وتفسير الشىء المرئى.

ومن إعجاز الله عز وجل فى خلق العين انه سبحانه وتعالى


الشبكية (مكبرة) فى الشخص الطبيعى

جعل المسافة بين مركز العدسة وبين الشبكية حوالى ١٧ مليمتر وجعل ايضا محصلة البعد البؤرى للقرنية والسائل المائى والعدسة البللورية والجسم الزجاجى ١٧ مليمتر ومن هنا يتضح أن أى جسم يوضع أمام العين على مسافة ستة أمتار أو أكثر فإنه يتكون له صورة على الشبكية تماما.. فتبارك الله أحسن الخالقين.

ولكى تفهم ميكانيكية الابصار يمكن تشبيه العين بآلة التصوير (الكاميرا) وذلك فى النقاط التالية:

- *القرنية والعدسة البللورية يقابلان العدسة اللامة (المجمعة) للضوء فى الكاميرا.*
- *القزحية تقابل حاجز الضوء فى الكاميرا.*
- *الحدقة (إنسان العين) تقابل فتحة الحاجز الضوئى (فتحة الكاميرا) فنجد مثلا أن الشخص الذى يقوم بعملية التصوير يقوم بتغيير فتحة الحاجز الضوئى (فتحة الكاميرا) يعمد الى تضييقها فى ضوء الشمس أو فى الضوء الشديد أو توسيعها فى الظل.. وعلى هذا الأساس تضيق الحدقة فى الضوء الشديد وتتسع فى الظلام أو فى الضوء الخافت.. وذلك من أجل تحديد كمية الضوء الساقطة*

على الشبكية وبتضييق الحدقة تتجنب العين الضوء المبهر وهـذا يساعـد على وضـوح الصـورة المتكـونـة على الشبكية . . وفي الظلام أو في الضوء الخافت تتسع الحدقة لكي تسمـح بدخـول قدر أكثر من الضوء وهذا بدوره يؤدى الى رؤية أفضل أيضا .

ـ الجسم الزجاجي يقابل الغرفة المظلمة في الكاميرا .

ـ وأما الشبكية فتقابل الفيلم الحساس . . ولكن الصورة لا تلتصق بالشبكية كما هو الحال في الفيلم الحساس بل ترتـد بسـرعة هائلة في الاتجاه العكسي وبذلك يستطيع الانسان أن يرى صورا جديدة متلاحقة باستمرار.

كيفية الابصار:

في حالة وجود مصدر ضوئي قوى أو ضعيف . . تقع الأشعـة الضوئية على الجسم المرئي فتنعكس الى العين وتمر الاشعة الضوئية خلال الأوساط الانكسارية الشفافة بالعـين وهى بالـترتيب: القرنية والسائل المائي والعدسة البللورية والسائل الزجاجي . ونتيجة ذلك يتجمع الضوء في بؤرة على الشبكية حيث تتكون صورة مقلوبة للجسم المـرئي ويؤدى ذلـك إلى تنبيـه النهـايات العصبيـة بالشبكيـة . . وينتـج عن ذلـك حدوث تفاعل كيميائي حيـوى ينتـج عنه شحنات كهربائية تصل الى المخ عن طريق خطـوط الاتصال التي تتمثل في الألياف العصبية للمسار البصرى Visual PathwaY . وعند استقبال المخ لهذه الشحنات الكهربائية يقوم بتعديل الصورة وتفسيرها وترجمة معناها حسب الخبرة المكتسبة لدى الشخص وأيضا يقوم المخ بادماج الصورتين المرسلتين من الشبكية في كل من العينـين لتحقيق الـرؤية الثنائية الموحدة Binocular Vision . . ومن هنـا يتضـح أن عمليـة الإبصار بالغة التعقيد والدقة . . وأى خلل قد يحدث لا قدر الله في أى جزء من الأوساط الانكسارية للعين أو الشبكية أو العصب البصرى أو في المسار البصرى يؤدى إلى اضطراب البصر أو فقدانه كلية .

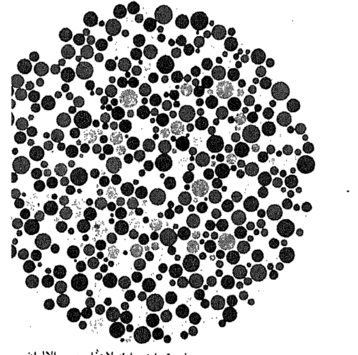
كيف نرى الألوان

أى جسم مرئي معرض للضوء يقوم بامتصاص بعض الاشعة ويعكس البعض الآخر ولون هذا الجسم هو لون الأشعة المنعكسة منه . . فمثلا العلم الأخضر يمتص جميع الأشعـة ما عدا الاشعـة الخضـراء التي يعكسهـا الى عيـوننـا . . ولـذا نراه باللون الاخضر . . وكذلك العلم الأبيض فإنه يعكس جميع الأشعة الى العين فنراه باللون الابيض . . والعلم الاسود يمتص كل الاشعة ولا يعكس منها شيئا فلذلك تراه العين باللون الأسود.

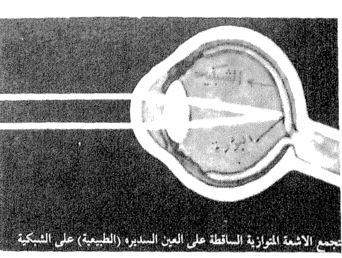
■ ولكن كيف تتم هذه العملية المعقدة؟ . . في الحقيقة ان العـين تقوم بنقل الاحساس باللون الى المخ عن طريق مخروطات الشبكية التي توجد في ثلاث مجموعات أساسية والخـاصـة بالـلون الاحمـر والـلون الاخضـر واللون البنفسجي . . وإذا حدث وتم إثـارة هذه المجمـوعـات الثلاثة مرة واحدة وبنفس الدرجة وفي نفس اللحظة فإنها تعطينا الاحساس باللون الأبيض واما إذا لم يتم إثارتها بتاتا فينتج عن ذلك الاحساس باللون الاسود.

عمـى الالوان:

عمى الالوان مرض وراثي تقوم بنقله الأمهات الى الأبنـاء عن طريق الجينـات Genes التي تحمل



لوحة (ايشيهارا) لاختبار عمى الالوان


تجمع الاشعة المتوازية الساقطة على العين السديره (الطبيعية) على الشبكية

الصفات الوراثية . . والعجيب أن السيدات والبنات لا يصبن به .

وتمييز الألوان فى الحقيقة يعتمد على وجود مصدر ضوئى وتقوم بهذه الوظيفة مخروطات الشبكية Cones المسئولة عن الرؤية الضوئية Photopic Vision أما عمدان الشبكية Rods فهى مسئولة عن الرؤية الليلية Scotopic Vision وعمى الألوان التام Total Colour Blindness نادر الحدوث للغاية بين البشر . . ولكن الغالب هو عمى الألوان الجزئى أى للون واحد أو اكثر بسبب غياب المخروطات الخاصة بكل لون ونسبة حدوثه هى أربعة من بين ألف شخص .

وينقسم عمى الألوان الجزئى الى الانواع التالية :

أ ـ **عمى اللون الأخضر** . Deutran opia

ب ـ **عمر اللون الأزرق** . Tritan opia

ج ـ **عمى اللون الأحمر** . Protan opia

وفى بعض الحالات يعانى الشخص من عمى ألوان جزئى غير كامل أى أنه يميز اللون بصعوبة ويطلق على هذه الحالة شذوذ لونى Colour Anomaly ويوجد منه ثلاث أنواع كما يلى :

- **صعوبة فى تمييز اللون الأخضر** .
Deutranomaly

- **صعوبة فى تمييز اللون الأزرق** .
Tritanomaly

- **صعوبة فى تمييز اللون الأحمر** .
Protanomaly

أسباب عمى الألوان :

١ ـ خلقى : بسبب عدم وجود أو حدوث اضطرابات بمخروطات الشبكية المسئولة عن تمييز الألوان .

٢ ـ مكتسب : ومن اهم الاسباب المكتسبة ما يلى :

- التهاب الشبكية .
- التهاب العصب البصرى بسبب ادمان الخمور والمخدرات وتعاطى التبغ (الدخان) .

وهناك اختبارات عديده لفحص قدرة الشخص على تمييز الألوان ويتم ذلك بواسطة عرض رسوم أو ارقام أو اضواء او خيوط مختلفة الالوان أمام الشخص المراد فحصه لتسميتها وأساس هذه الألوان الأخضر والازرق والأحمر بدرجاتها المختلفة ومن هذه الأختبارات ما يلى :

- **إختبار علامات ايشيهارا** .
Ishihara's charts
- **الفانون الضوئى**
Lantern Test
- **أصواف هولموجرن**
Holmogren's Test

وننصح الأشخاص المصابين بعمى الألوان بعدم مزاولة بعض المهن التى تعتمد على القدرة الفائقة فى تمييز الألوان مثل قيادة السيارات والقطارات والطائرات وبعض أعمال مختبرات علم الأحياء ودراسة بعض فروع الطب والاشتغال بتصميم وتنفيذ أعمال الديكور . . . الخ .

العلاج :

فى حالات عمى الألوان الناتجة عن أسباب وراثية أو خلقية فانه ليس هناك علاج مفيد (وشافى) لمثل هذه الحالات .

اما بالنسبة لحالات عمى الألوان الناتجة عن أسباب مكتسبة مثل التهاب الشبكية أو التهاب العصب البصرى فيتم ذلك بعلاج السبب نفسه وبالتالى تتحسن حالة الشخص فى القدرة على تمييز الألوان .

ألم الصدر هل سببه القلب

د. عماد ابراهيم الخطيب - الاردن

كثير منا تعرض لألم الصدر شاباً كان أم مسناً. ولا شك أن أول ما يتبادر الى الذهن أن سبب هذا الألم هو القلب وقد يكون هذا الاعتقاد صحيحاً وقد يكون خاطئاً والاعتقاد الأول بالقلب قد يكون له فوائده وقد يكون له مضاره فمن فوائده أنه يدفع لاستشارة طبية ليحدد له سبب هذا الألم فإن كان من القلب فيكون المريض قد راجع طبيبه دون تأخير حتى لا ينتهى به الأمر الى ما هو أسوأ من ذلك وقد يكون سبب الألم نفسياً فيطمئن المريض لذلك ولا يهتم بألم الصدر للمرة الثانية ظاناً أنه نفسى غير مبال بالقلب فيحدث مالم تحمد عقباه.

ويجب على كل شخص ان يعلم أن سبب الألم الصدرى ليس مقتصراً على أمراض القلب بحد ذاتها بل يتعدى ذلك إلى أجزاء أخرى من الجسم وسنجمل هنا الاسباب حسب أهميتها.

الاسباب القلبية:

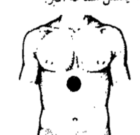
يلعب القلب دوراً كبيراً فى احداث الآلام الصدرية وأهم أمراض القلب المحدثة لهذه الالام - خناق الصدر

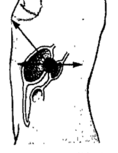
صورة تبين الاسباب غير القلبية لألم الصدر

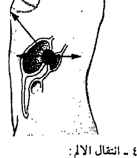
١ ـ موضع الالم: ـ هل الالم سطحي ام انه عميق؟
ـ هل يستطيع المريض ان يشير اليه بأصبعه ام انه يشمل مساحة اكبر؟

٣ ـ تطور الالم:
ـ يبدأ في الصدر ام في البطن ام في منطقة الظهر؟

٥ ـ متى يظهر الالم:
ـ اثناء الاجهاد النفسي او الجسدي
ـ بعد الاكل، اثناء الراحة، يوقظ المريض من النوم





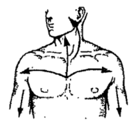


٢ ـ نوع الالم: ـ حاد طاعن
ـ على شكل ثقل يضغط على الصدر
ـ على شكل حرقة خفيفة او شديدة

٤ ـ انتقال الالم:
ـ هل ينتقل الى الذراعين الرقبة، الفك؟

٦ ـ الاعراض المرافقة للالم:
ـ قيء ـ الم في البطن ـ غثيان
ـ ضيق في التنفس ـ دوخان







المعرفة التامة للمريض بهذه الامور تساعد على تشخيص سليم وبالتالي علاج ناجح

واحتشاء العضلة القلبية «الجلطة» وهناك أسباب أقل أهمية كالتهاب التامور الحاد وام الدم الأبهرية السالخة.

خناق الصدر: Angina Pectoris

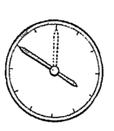
يحدث الألم الناتج عن خناق الصدر في الاشخاص بعد سن الاربعين عادة وقد يحدث قبل ذلك حيث يكون عندهم تضيق في الشريان الاكليلي نتيجة لتصلب الشرايين. ان الاشخاص الذين يصابون بتضيق نسبي في الشرايين الاكليلية يستطيعون أن يقوموا بأعمالهم العادية دون أن يشعروا بالألم ولكن حينما يقومون بجهد جسماني فإن القلب يحتاج لكمية اكبر من الدم أثناء عمله السريع وهذا مالا يستطيع الشريان الاكليلي المتصلب تأمينه بسبب ضيقه ونتيجة لذلك فإن كمية الاكسجين الواردة تكون قليلة وبهذا فإن نواتج الاستقلاب المتجمعة في عضلة القلب تؤثر على النهايات العصبية فيحدث ذلك الألم.

لذلك فإن المصاب بتضيق الشرايين الاكليلية يصاب بهذا النوع من الألم حينما يقوم بحركات مجهدة أوعندما

يلعب القلب دوراً كبيراً في احداث الآلام الصدرية واهم امراض القلب المحدثة لهذه الآلام. خناق الصدر والجلطة

يتعرض الى البرد كما يحصل هذا الألم أثناء حمل الاثقال دائماً وأثناء أعمال الحدادة والنجارة وأثناء السير على الاقدام أو السرعة في السير وكذلك بعد وجبة ثقيلة وأثناء السير على الاقدام باتجاه معاكس للهواء ويحدث كذلك

٧ ـ متى بدأ الالم وكم من الوقت استمر؟



٨ ـ العوامل التى تؤثر على الالم:
ـ هل يتحسن بالاكل ـ القىء ـ تعاطى الدواء ـ تغيير وضعية الجسم ـ الراحة.
ـ هل يزداد مع الجهد او تغيير الوضعية.



أثناء تأثر عميق أو الخوف وخلال الجماع.

يحدث ألم الخناق الصدرى عند تقاطع الثلث العلوى لعظم العقى مع الثلث المتوسط منه ولا يكون بشكل نقطة بل منتشراً فينتشر الى منطقة القلب والرقبة مع الكتف الايسر حيث يشعر المريض بالتنميل والثقل ويمتد الألم الى الذراع الايسر حيث يشمل فى الغالب الأصابع النهائية «نهايات الاصابع» وأحياناً ينتشر الى الطرف الايسر من الرقبة والفك ونادراً ما ينتشر الى اللسان ومن النادر أن ينتشر الى الوجه الخلفى للصدر حيث يشمل لوح الكتف الأيسر وفى بعض الحالات ينتشر الى الذراع الايمن وحتى الى أماكن أخرى من الجسم.

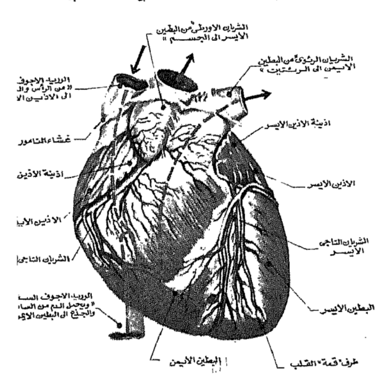
ولهذا الألم صفات خاصة فقد يكون خفيفاً وقد يكون شديداً وكثيراً ما يشعر المريض بضيق فى صدره وانزعاج حتى انه يحس بالاختناق كما أن المريض يشعر فى بعض الأحيان كما لو أن ثقلا وضع على صدره أو كأن هنالك جسماً غريباً فى المرىء أو الرغامى وفى بعض الاحيان النادرة بدلا من أن يشعر بألم يشعر بحرقه فى هذه المناطق.

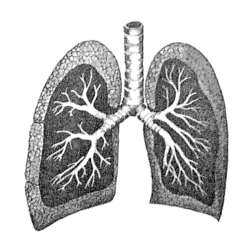
وفى الوقت الذى يكون فيه الألم شديداً ولا يستطيع المريض تحمله يترافق ذلك بالشعور بالخوف لذلك لا يتحرك المريض إذا كان سائراً فإنه يلجأ الى الوقوف واذا حصل هذا الألم أثناء سيره فى شارع عام فإن المريض يلجأ الى الوقوف والتأمل فى واجهات المحلات أو أنه يجلس فى المكان الذى يكون فيه لا يحب ان يتكلم واذا سئل فإنه يجيب باختصار شديد ويكون لونه مصفراً بينما تكون حركات تنفسه سطحية كما أنه يضع يديه فوق المنطقة التى تؤلمه. أما مدة الألم فتكون من ٣ـ٥ دقائق عادة وقد تصل الى ربع ساعة.

احتشاء القلب «الجلطة»: Myocardial in farchon

يكون سببه انسداد فرع من الشريان الاكليلى أو انسداد جذر هذا الشريان بصورة فجائية حيث ينتج عنه مساحة غير مروية بالدم وبذلك ينتج عن ذلك موت فى هذه المنطقة وفى اكثر الحالات يكون سبب هذا الانسداد حصول تخثرThrombosis داخل هذا الشريان كما هو فى تصلب الشريان الاكليلى.

يشتمل الألم فى حالة الاحتشاء القلبى مساحة اكبر





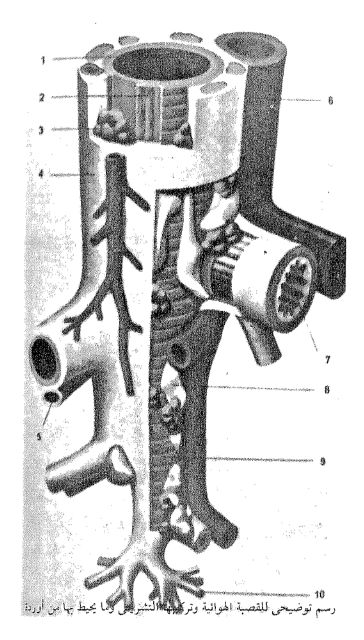
وانتشاراً أوسع حيث يمتد الى الذراعين والرقبة أو وجه الصدر الخلفى والأمامى ويحدث هذا الألم أثناء الراحة ومن دون أى سبب حتى انه فى بعض الأحيان يحدث أثناء النوم حيث يكـون سبباً فى ايقاظ المريض . . فى البداية يكون الألم شديداً لا يمكن تحمله وبذلك يشعر المريض بالخوف من الموت فلا يقع فى مكانه بل يتحرك تارة الى اليمين وتارة الى اليسار يضطجع تارة ويجلس أخرى بينما يكون وجهه شاحباً وفى بعض الاحيان مصبغاً بالزرقة ومتعرقاً .

تكون مدة الألم طويلة قد تمتد من نصف ساعة الى ساعات وفى بعض الحالات يحافظ الألم على نفس الشدة وفى حالات أخرى يخف الألم لفترة يعود بعدها ليشتد من جديد .

كما يترافق ألم الاحتشـاء فى بعض الأحيان بتقيؤ وقد ترتفع درجة الحرارة بشكل خفيف ولمدة مقيدة بعد ٢٤ـ٤٨ ساعـة من ابتـداء الألم كما يمكن أن يرتفـع سكـر الدم ويمكن أن يشاهد السكر فى البول وقد يترافق الاحتشاء الشديد بقصور القلب ووذمة الرئة وزلة تنفسية .

التهاب التامور الحاد : Acute Pericarditis

ويكـون فيـه الألم الصدرى هو العنصر التشخيصى الرئيسى فيشكو المريض من ألم مفاجىء وشديد وحاد يقع تحت القصى الى يسـار وأمام القلب وينتشر الى الرقبة والفـك والـذراعين والاكتاف ويزداد الألم سوءاً بالسعال والتنفس العميق ويترافق مع بحة الصوت أو عسرة البلع ويخف الألم عنـد الجلوس والانحناء للأمام كما يخف مع



رسم توضيحي للقصبة الهوائية وتركيبها التشريحي وما يحيط بها من أوردة

استعمال الاسبرين والكورتيزون .

وبعـد أن تعـرفنـا على الاسباب القلبية ننتقل الى أمراض الرئتين ونوردها باختصار شديد :

١ ـ التهاب الرئة : Pneumonia

يكـون الالم فى التهـاب الـرئـة حاداً واخزاً فى الجهة الجانبية من الصدر ويترافق مع عسر تنفس «ضيق تنفس» ويزداد بالانحناء وبالسعال أو بالتنفس العميق وقد يكون الألم تدريجياً أو فجائياً .

٢ ـ الصمامة الرئوية :

Pulmonary embolism

تترافق بألم واخز شديد فى الصدر.

٣ ـ الريح الصدرية العفوية :

Spontasneon Pneunothora

تترافق بألم حاد طاعن يترافق مع عسر التنفس ويزداد سوءاً بالسعال والتنفس العميق.

الآلام العضلية الهيكلية :

قد يحدث ألم فى الصدر بسبب اصابة الجذور العصبية فى الرقبة أو الفقرات العلوية أو الروماتزم أو الديك ويأتى الألم ليلاً ويزداد بالتعب والوضعية غير الطبيعية والحركة الجزئية لقسم من الجسم وليس لكل الجسم ويزداد بالسعال والعطس وقد يكون ألماً مبهماً أو واخزاً قد يستمر الألم لساعات ويزول بالراحة والمسكنات والمساج والتسخين الموضعى.

كما أنه قد يحدث الألم بسبب اصابة فى الغضاريف حيث يكون الألم هنا موضعياً وقد ينتشر الى الصدر والذراع.

الحالة النفسية :

وهذا اكثر شيوعاً وحدوثاً خاصة عند الصغار فى السن من عشرين الى أربعين عاماً، وعند النساء بشكل ملحوظ فمن المعروف أن بعض الحالات النفسية تسبب ظهور ألم فى الصدر مع الامتداد نحو اليد اليسرى وتكرار هذه الحالة تماماً كما يحدث فى الذبحة القلبية. ويجب عدم تشخيص ألم الصدر على أساس أنه حالة نفسية إلا بعد اتمام الفحوص اللازمة مثل تخطيط القلب فى حالة الراحة وبعد الجهد وفحص الجهاز الهضمى «المعدة» والمرارة والتى تثبت عدم وجود أى مرض من الظواهر التى تميز هذه الحالة :

١ ـ الألم قد يظهر والمريض مرتاح وليس هناك علاقة مع الجهد الجسمانى.

٢ ـ تخطيط القلب لا يظهر أى تغيرات حتى بعد ان يبذل المريض جهداً معيناً.

٣ ـ ليس من الضرورى أن يظهر فى حالة تأثر عصبى فقد يظهر وهو فى حالة نفسية جيدة.

٤ ـ هناك بعض الحركات التى تؤدى الى تخفيفه أو ازالته مؤقتاً وذلك بـ:

أ ـ أخذ نفس عميق وحبس النفس أطول وقت ممكن مع تكرار ذلك عدة مرات.

ب ـ رفع اليد اليسرى ولفها حول الرقبة وهذه الحركات تساعد على طمأنة المريض اذ أن الألم الناتج عن الحالة النفسية يخف بهذه الحركات أما اذا كان ناتجاً عن الذبحة القلبية فلا يتأثر بذلك.

وبالاضافة الى ما ذكر هنالك أمراض أخرى تسبب أحياناً ألماً فى الصدر ومنها القرحة الهضمية والتهاب البنكرياس والتهاب المرارة وداء المنطقة «الحزام الزنارى» وغير ذلك من أمراض لا داعى لذكرها.

من هنا نرى ضرورة الاهتمام وبشكل كبير بالألم الصدرى ومراجعة الطبيب حال حدوثه.



فى لسان العرب فى (أذى) قال امرؤ القيس يصف مطراً:

ثجّ حتى ضاق عن أذيّه
عَرْضُ خِيْم فَجِفَافٍ فيُسُرْ

قال أبو تراب: رواية الديوان: (خَيم فجُفاف) بفتح الخاء وضم الجيم فى الكلمتين والأصل بكسر الخاء وكسر الحاء فى الكلمتين وهى اسماء مواضع ذكرها ياقوت فى معجم البلدان فَخَيْم وخِيْم مواضع وحِفاف وجُفاف كذلك ولا يُدْرى أيها عنى الشاعر.

● فى لسان العرب فى (أرب) قال طرفة:

لو كنت كلب قنيصٍ كنت ذا جُدَدٍ
تكون أربتُهُ فى آخِرِ المرسِ

قال أبو تراب: ونسبه فى الأغانى (ج٢١ ص١٢٥) الى المُتلمِّس وليس هو فى ديوانه ولا ديوان طرفة وانظر أمالى ثعلب ص٢٠٠) والمقاييس.

قال ابو تراب: والأَرَبُ الدهاء والبصر بالأمور وقد ضبط فى لسان العرب بالسكون ضبط قلم وفى المحكم لابن سيده بالتحريك.

وقال الزبيدى فى تاج العروس عازياً للسان: هو كالضَّرْب.

قال أبو تراب: وأَرِبَ الرجلُ: اذا سجد على آرابه أى أعضائه متمكنا. هكذا جاء فى اللسان مشكولا ولعله أرَّب الرجُل بالتضعيف.

قال أبو تراب: لم يذكر عز الدين التنوخى فى إكمال إبدال أبى الطيب: الأُرْبان وهى لغة فى العُرْبان قال ابو على هو فُعْلَان من الإرْبِ والأُرْبون لغة فى العُرْبون. وانظر اللسان.

فى القاموس: الأُربىّ الداهية، قال الزبيدى فى التاج وهى كشُعْبَىَ وأرمى ولا رابع لها كذا بخطه.

قال أبو تراب: الأخيرة لا وجود لها فى القاموس ولا فى اللسان وقيّد مصحح التاج انه لعلها أُدَمَى أو أُرَنَى والأول موضع والثانى حَبّ وفى الأشمونى زيادة عما ذكر

● جاء فى تاج العروس ولسان العرب: قال ابن دالان الطائى:

وهم الحلوم اذا الربيعُ تجنّبَتْ
وهم الربيعُ اذا المُؤرضُ أجْدَبا

قال أبو تراب: المؤرض راعى كلأ الأرض واسم الشاعر مصحف والصواب: ابن رألان كما فى التكملة للصاغانى ولم يتنبه لهذا محمد عبد السلام هارون فيما صحح به اللسان من تحقيقات.

● جاء فى التاج وغيره: من أمثالهم «آكل من الأَرَضَة» و«أفسد من الأرضة».

قال أبو تراب: ليس فى مجمع الامثال للميدانى: آكل من الأرضة ولا هو فى جمهرة الأمثال للعسكرى ولا المستقصي للزمخشرى وإنما جاء فى كتاب الميدانى: أفسد من الأرضة وفيه ايضا: أفسد من أرضة بَلْحُبْلَى قال حمزة: يعنون:


أبو تراب الظاهري

بنى الحبلى وهم حيّ من الأنصار. رهط ابن أُبيّ بن سلول.

قال أبو تراب: جاء فى المقاييس (أرض) ابن أرض أى غريب.. قال: (أتانا ابن أرض يبتغى الزاد بعدما) وعلق عبد السلام هارون على قوله: أتانا ابن أرض.. بأن الوجه فيه أنه شخص معين ففى معجم البلدان لياقوت (ج٣ ص٣٠٩) قال ابو محمد الأعرابى: ونزل باللَّعين المِنْقرِيّ ابن أرض المُرىّ فذَبَحَ له كلباً فقال:

دعانى ابنُ أرض يبتغى الزاد بعدنا
ترامى حُلاماتٌ به وأجارد

قلت: وفى التاج وغيره: (ترامت)

■ وبعده ستة أبيات أخرى والذى فى اللسان (ج١٨ ص١٠٠) وثمار القلوب (ص٢١٢) أن ابن أرض نبت معين والبيت فى المجمل كما رواه ياقوت.

قال أبو تراب: اذا كان ابن أرض يطلق على ضرب من البقل فليس هو المراد فى البيت فلا حاجة لذكره لأنه يطلق ايضا على الغدير كما فى اللسان نفسه أما أن يكون ابن أرض هنا إنسانا بعينه فهذا ما يقتضيه اللفظ لأنه وصف بالمُرِّىِّ مُعرَّفاً فلو كان المراد أىَّ غريب لانتُزِع التعريف الا اذا كان (المُرِّىّ) فاعلا و(ابن أرضٍ) حالا له مقدما.

لكن الاشكال الذى لم يتنبه له المعلق هو أن البيت المذكور مع تاليه وهو:

ومن ذات أصغاء سهوب كأنها
مزاحفُ هَزْلَى بَيْنَها مُتَباعِدُ

مضموم القافية والأبيات التى يشير اليها مكسورتها ومنها:

رأى ضوء نار من بعيد فأمها
تلوحُ كما لاحتْ نجوم الفراقِدِ
فقلتُ لِعَبْدَىَّ اقْتُلا داء بَطْنِهِ
وأعْفَاجِهِ العُظْمَى ذوات الزوائِدِ
فجاء بِجِرْسَاوَىَّ شعير عليها
كراديسُ من أوصال أكدرَ سافِدِ.

● وهذا ما يجعلنى أرتاب فى العبارة التى وردت فى معجم ياقوت فكأن فيها سقطا أو الأبيات ملفقة وقصة المرى تنصب فى الابيات المكسورة القافية ويكون البيتان المضمومان فيهما شاهد ابن أرضٍ بمعنى الغريب كما قال ابن فارس هذا وللتحقيق مقام غير هذا.

وفى الاشباه والنظائر للثعالبى: فلأن ابن أرض اذا كان غريباً.

وفى أساس البلاغة للزمخشرى: أتانا ابن أرض أى غريباً.

وفى المجمل لابن فارس: فلان ابن أرض اذا كان غريبا.

والبيت المذكور أورده الزبيدى فى شرح القاموس للمنقرى مفسرا اياه بالغريب تبعاً للقاموس.

قال الشارح: وهو الذى لا يعرف له أب ولا أم.

وذكر زهير سلطان محقق المجمل: ان البيت فى الشعر والشعراء.

قال ابو تراب: هذا خطأ والقافية ترجمته فقط.





● **المعاجم اللغوية فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث - دكتور محمد أحمد أبو الفرج . . دكتوراه فى علم اللغة العام من جامعة لندن . . الناشر: دار النهضة العربية ١٩٦٦ د.م - ١٥٠ص.**

١ - لا أحسب الذى ورد فى الكتاب دليلًا على أنه «فى ضوء دراسات علم اللغة الحديث» أو ان «دراسات علم اللغة الحديث» ليست بالأمر الخارق الذى يصوره أهله؟ .

٢ - يعجب القارىء لما صارت عليه اخطاؤنا المطبعية من «الفظاعة» اذ ينظر فى كتاب تقل صفحاته على الـ ١٥٠ مؤلفه لغوى دراسة وتدريساً . . فيرى مثل هذه الأخطاء:

أ - ص٢٥ «الخليل بن أحمد الذى عاش فى القرن الثانى الهجرى (١٠٠-١١٥) وألف معجم العين» . .

لعله يريد ١٠٠-١٧٥

مع ملاحظة عامة هى أن الخليل لم يسم كتابه معجما . . ومثله الذين جاءوا بعده: القالى . . الأزهرى . . ابن عباد . . ابن فارس . . الجوهرى . . ابن سيده . . الزمخشرى . . الصاغانى . . ابن منظور . . الفيروز ابادى . . الزبيدى . . الخ .

ويلح الاستاذ الدكتور المؤلف على ان يسبق الاسم من اسماء مؤلفاتهم بكلمة معجم فيقول: معجم الجمهرة . . معجم البارع . . معجم التهذيب . . الخ وليس هذا صحيحاً .

وكنت أود لو وقف الاستاذ الدكتور المؤلف - ولو قليلا عند تاريخ كلمة «معجم» هذه فى التراث العربى؟ .

ب - من الخطأ المطبعى ص٢٥: الأزهى: يريد الأزهرى

جـ - ص٢٧: ابن وريد: يريد ابن دريد

ورد ذلك والمؤلف يقول: «يصرح ابن فارس بالأخذ من كتب السابقين والاعتماد على خمسة منها بالذات هى . .»

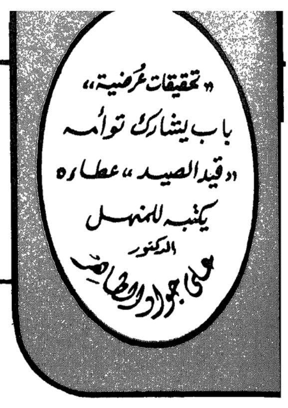
وغير منتظر من استاذ لغوى ان يلجأ الى استعمال كلمة مبتذلة هى «بالذات» .

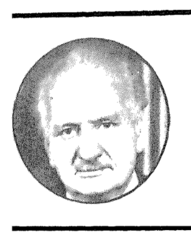
ولسنا - على أية حال - بصدد عمل جدول للخطأ والصواب ولكنا كنا نتمنى التنزه عن مثل هذا الخطأ

٣ - ص٢٨ «ويفصح ابن منظور فى لسان العرب أنه نقل معجمه عن سابقيه نقلا تاماً فبعد أن يذكر التهذيب للأزهرى، والمحكم لابن سيده والحواشى على الصحاح لمحمد بن برى والنهاية فى غريب الحديث لابن الأثير الجزرى يقول: فليعتد من ينقل عن كتابى هذا أنه ينقل عن هذه الأصول الخمسة» .

نعد الأصول التى ذكرها الدكتور المؤلف فنراها أربعة: التهذيب والمحكم والحواشى والنهاية . لماذا؟ لأنه لم يذكر ثالث كتاب ذكره ابن منظور وهو: صحاح الجوهرى - ولقد رتب ابن منظور كتابه «ترتيب الصحاح فى الأبواب والفصول» .

٤ - ذكر فى مراجعه: ابن فارس (أحمد) معجم مقاييس اللغة تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون . . وليست كلمة «معجم» السابقة على كلمتى «مقاييس اللغة» أصلية وإنما





هى من زيادات الاستاذ الدكتور المؤلف.

● **الدليل الأدبي - خلاصات وخصائص عصور وأدباء تأليف جان الديك وسامى خورى - بيروت - الاهلية للنشر والتوزيع ١٩٨١-١٨٧ص.**

(١) الجاحظ، كتاب الحيوان، ص١٤: أجزاء الكتاب: يقع فى سبعة أجزاء.

(٢) ص ١٥ «فهو ذات عبارة أدبية رشيقة ساحرة.».. هو ذو عبارة..

(٣) ص١٦ «كتاب البخلاء.. جمع الجاحظ فيه طائفة من أخبار البخلاء والمقتصدين - وتكررت المقتصدين ص١٩.. الاولى ان تكون المقترين.

(٤) ص٢٧-٢٨ «ابن الرومى.. نشأ مولى لبنى العباس.. جمع بين العرقين الرومى والفارسى..

(٥) ص٢٩: «مع أبى نؤاس» مع أبى نواس (من غير همزة).

(٦) ص٤٩ «المتنبى.. ديوانه.. عنى كثيرون بجمعه وشرح غريبه ومعانيه ومن أشهرهم العكبرى واليازجى..»

أ - اثبت الدكتور مصطفى جواد أن الشرح الذى نشر منسوبا الى العكبرى ليس من شرح العكبرى.

ب - اذا ذكرنا اليازجى.. حسن أن يذكر شرح البرقوقى.

(٧) ص٦٢ «فخر المتنبى إما كلاسيكى.. وإما وجدانى.. مطلع القصيدة كلاسيكى..» لا أحسب استعمال المصطلحات الغربية.. بهذه السهولة.. كما انه ليس من الصحيح الاقتصار على التاريخ الميلادى خصوصا مع احداث وأعلام قديمة كالجاحظ والمتنبى... الخ.

(٨) ص٧٢ «الجمعيات.. ونلفت النظر الى ما جنت على العربية من خير.

اذا كان لابد من استعمال «جنت» فلتكن العبارة: ما جنت للعربية من خير او ما جنته العربية بها من خير.

(٩) ص٧٣ «موليار»: موليير

(١٠) ص٧٢: «المكتبة الخديوية فى مصر: اسسها محمد على..» لم يؤسسها محمد على

(١١) ص٧٥: محمد عبدو: محمد عبده - وتكرر الخطأ ص٨٥

(١٢) ص١٤٥: ايليا أبو ماضى ولد فى لبنان وانتقل الى مصر «وهو فى الحادية عشرة.. حيث انصرف هناك الى بيع اللفائف أول نزوله فى الاسكندرية..» يقصد السجاير.

(١٣) ص١٧٥ «مؤلفات جبران: ترك جبران آثاراً عديدة فى العربية والانكليزية أشهرها: وسنتوقف عند اثنين من هذه المؤلفات: العواصف والنبى»..

وقد وقف فعلا عند الكتابين وكان اللازم أن يذكر أن النبى مما ألفه جبران بالانكليزية واننا نقرؤه مترجماً الى العربية.

إقرأ .. العدد القادم

من الدراسات الاسلامية

- الشريعة الاسلامية وصلاحيتها
- الزكاة مفهومها وابعادها وحكمة تشريعها

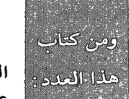
من ذخائر المكتبة التراثية

- *الرسالة الكاملية فى السيرة النبوية لابن النفيس*

- جديد ذكريات الأستاذ المفكر احمد محمد جمال
- الذاتية والموضوعية فى قصص هنرى جيمس
- بن جورين يعطى إشارة الهدم للمسجد الأقصى

ملف دراسى نقدى عن المسرح

- العرب وفن المسرح
- اشكالية الصراع بين الفكرة والصورة فى المسرحية العربية
- لغة الحوار المسرحى بين الفصحى والعامية
- أسطورة أوديب فى المسرح المعاصر



«أبو تراب الظاهرى ـ د. على جواد الطاهر
د. ابتسام صادق ـ د. ضاحى عبد الباقى.محمد عبد الواحد حجازى ـ محمد حسن شراب د. يوسف عز الدين ـ د. أنور طاهر د. حلمى القاعود وغيرهم»

هذا مع جديد الأبواب الثابتة ومجلاتنا الداخلية (السائح ـ فلسطيننا ـ المشتار ـ هن)





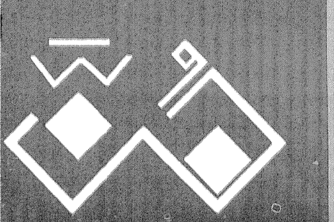


النساء .. شقائق الرجال

الاشراف

د. ابتسام صادق — الرياض

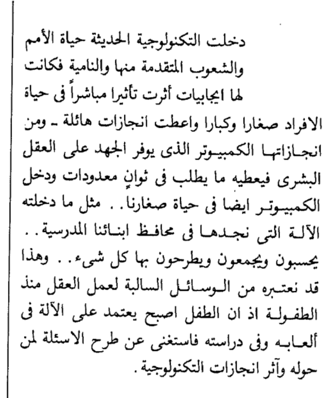
حياة عبد الحميد عنبر — جدة



حكايات

تراث يجب

حياة عبد الحميد عنبر جدة



دخلت التكنولوجية الحديثة حياة الأمم والشعوب المتقدمة منها والنامية فكانت لها ايجابيات أثرت تأثيرا مباشراً في حياة الافراد صغارا وكبارا واعطت انجازات هائلة ـ ومن انجازاتها الكمبيوتر الذى يوفر الجهد على العقل البشرى فيعطيه ما يطلب في ثوانٍ معدودات ودخل الكمبيوتر ايضا في حياة صغارنا. . مثل ما دخلته الآلة التى نجدها في محافظ ابنائنا المدرسية. . يحسبون ويجمعون ويطرحون بها كل شىء. . وهذا قد نعتبره من الوسائل السالبة لعمل العقل منذ الطفولة اذ ان الطفل اصبح يعتمد على الآلة في ألعابه وفي دراسته فاستغنى عن طرح الاسئلة لمن حوله وآثر انجازات التكنولوجية.

أن معطيات التقنية عمل رائع يعطى الطفل وجوداً متكاملاً مع منجزات عصره. لكن شريطة ألا تسلب وجوده الفكرى والعقلى. والأمم المتقدمة تعطى اهتماما خاصاً بدنيا الطفولة فنراها تجند كل امكانيات علماء التربية والنفس في وضع اسلم الخطط لتنشئة جيل الطفوله تنشئة مرتبطة بالماضى ومتكاملة مع الحاضر وهادفه نحو المستقبل. . ومع هذا الترابط ينشأ جيل له موهبته وله عطاؤه. . ويؤمن بترابط بنية ماضيه وحاضره ومستقبله الى حد بعيد وما مدينة الخيال والامتاع والابداع (والت ديزنى) الا اكبر دليل على الاهتمام بالطفولة.

حقيقى نحن دول نامية وصلتنا انجازات الامم المتقدمة واعطت اطفالنا المتعة المحببه عن طريق افلام الكرتون. . والحكايات المترجمة ولكن كثيرا منها يبتعد عن واقعنا ـ وقد قامت بعض الاهتمامات لايجاد مكتبات ثقافية تعنى بفكر الطفل العربى وتنمية مداركه وربطه بماضيه وحاضره ومستقبله الا ان هذه الاهتمامات لا تزال في طورها الاول.

ومن منا لا يحمل في داخله من الحكايات والأحاجى والحواديت القديمة التى تحمل قيماً ومثلاً. . كانت الجدة تقوم بسردها بصورة ممتعة جذابة وتركز على ما فيها من انواع القيم والبطولات. . وكانت حكايات مثيره وجميله وفيها مواقف بطولية تسرح بالخيال وتشد العزم والهمم. . منها ما هو تاريخى ومنها ما هو اجتماعى عاطفى.



واني حتى الآن احتفظ بحصيلة جيدة من تلك القصص التى اعتبرها من اجمل ما سمعت. . انها محفورة في الذاكرة. . وفي طفولة ابنائى كانت لنا

الاطفال

ان لا يضيع



ساعات صفاء فكنت احكى لهم هذه الحكايات وبعضاً من حكايات واقاصيص الكتب وهم فى كل مرة يطلبون إعادة قصص التراث اكثر من اعادة قصص الكتب.

وقالت احدى امهات هذا العصر: «ان اطفالها يفضلون دائما قصص التراث وهم يحفظونها ويطلبون اعادتها فى اكثر الاحيان.

معنى هذا ان فى قصص التراث تشويقاً والتفاف الاطفال فى أحضان أمهاتهم تحبب إليهم هذه القصص ومن حكايات الاباء والاجداد: بدر البدور.. ولولوه بنت مرجانى.. وست الحسن.. وابو جعران والضفدع.. والبسه والكلب.. وترنجه بنت حية.. والخنفسانة التى تقول لمن يخاطبها طالبا زواجها بقوله (يا خنفسانه تتجوزينى).

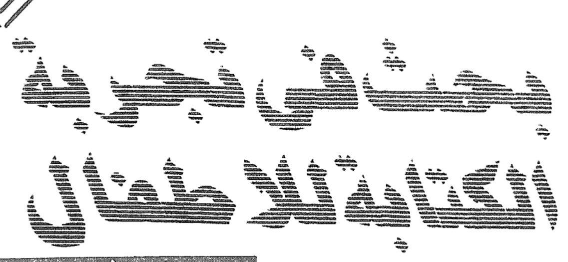
تقول: الخنفس خنفس أمك والبقرة تنطح أمك.. انا اسمى صفيه والكحلة فى عينى وفيه.. حط المهر فى كمى. واطلع اشاور أمى..

وكانها هى تريد ان تعلمه ادب الحديث مع السيدات.. وترنجه بنت رعيه تلك التى لا يعرفها زوجها وقد لحقها ظلم كثير من حماتها.. وتسكن فى القصر الذى يليه وعندها من كل فاكهة لون.. يطلب منها عنقود عنب ترفض وترد عليه انا ترنجه بنت رحيه امى اشتهتنى وابويا شال بيه.. الخ.

وكل أولئك لهن فرسان يقاتلون من اجلهن.. ولذلك كان يدخل فى تلك الاقاصيص عنصر الجن وهذه دائما تسبق بقراءة آيات من القرآن والبسملة.. وحتى القمر كانت له اناشيد جذابة مثل:

●● يا قمرنا يامليح شد حصانك واستريح
●● يا قمر ياقمرى يا سراج الليلى

انها حكايات لطيفة تثير الخيال وتجذب اهتمام الاطفال - وعلى كل ام لديها حكايات من الماضى ورثتها عن الجدة او الأم او كبار العائلة - عليها ان لا تبخل بها على اطفالها فانها كنز وثروة جيدة باقية.



روضة الفرج الهدهد (عمان)

الاطفال تربه خصبة عطشى لكل انواع المعارف. .
وهم يحبون القراءة ويقبلون عليها ويلتهمون كل ما يُعْطَى لهم شريطة أن يوافق مزاجهم من حيث الامتاع وسهولة الهضم.

والاطفال يحبون التاريخ. . التاريخ القديم والمعاصر. . تاريخ بلادهم وامتهم وتاريخ الشعوب الاخرى.

وهم يحبون البطولة. . البطولة الفردية والجماعية. . والبطولة العادية والخارقة.

والاطفال يحبون القصص. . القصص الحقيقية والخيالية. . المترجمة والعلمية الروايات والاساطير.

والاطفال يحبون الوطن. . وحبهم له يفوق كل حب. . حباً غريزياً بريئاً لا تعقيد فيه ولا مصالح خاصة. . مرتبطون به كارتباطهم بأمهاتهم وآبائهم. . دون شعارات وايديولوجيات وأفكار فلسفية وتنظيرات سياسية.

والاطفال اذكياء. . يحبون ان يتعامل معهم الكبار على هذا الاساس والا ينظر اليهم بعلياء وهم يستوعبون بسرعة. تنقصهم الخبرة فى الحياة ولكن لهم شخصياتهم وعقولهم النيرة المتميزة.

والوطن العربى يعيش قضية مصيرية. . (يعيش هجمة صهيونية عالمية شرسه تريد ان تقتلع العرب من جذورهم، وتنهب أرضهم وخيراتهم ليصبحوا خدما فى مقاهى الصهيونية وعمال أجرة فى مصانعها ومعاملها. . وممولين لمصانع أسلحتها فى امريكا.

الوطن العربى يتعرض لاعنف هجوم استيطانى استعمارى يستبيح لحم الاطفال العرب واهلهم ومدارسهم ومستشفياتهم جاعلا منها مختبر تجارب لكل انواع الاسلحة المتطورة من عنقودية وفسفورية وكيماوية.

والوطن العربى يمر بأسوء مرحلة فى عمره ـ مرحلة انحدار وتخاذل وانحسار وهزيمة وتقصير وذل وتركيع وابتزاز. . وهو يحاول بكل المواجهة ان يغطى الهزيمة كمن يغطى الشمس باصابع يده. . يحاول أن يهرب من واقعه المر الاليم والاختباء وراء شعارات عقيمة اخطرها على الاطلاق التعمية لما يجرى. . والادعاء ان الاطفال بالذات يجب ان يبقوا بعيدين عن معرفة ابعاد هذه الهجمة الصهيونية حتى لا يصابوا بالاحباط والخوف.

وكان نتيجة لذلك ان بدا مفهوم الوطن والوطنية بالانحسار من كتب المناهج المدرسية والكتب اللامنهجية بدلا من تسليح الاطفال بالمعرفة الحقيقية ليتمكنوا من مواجهة هذه الهجمة الصهيونية القذرة. . الذكية. . القادرة على الاستفادة من كل التخاذلات العربية.

ولما كان الاطفال يحبون التاريخ والقصة والابطال والوطن كان لابد من الاستفادة من هذه المعطيات لتقديم قصص وحكايات بطولية لهم من تاريخهم الحديث تسلحهم بالمعرفة وتشحذ هممهم لمواجهة العدو وتثير فيهم الحماس والاعتداد ببطولات ابائهم واجدادهم للدفاع عن مستقبل هذه الأمة . .

هل قضية فلسطين وهذه الهجمة الصهيونية الامبريالية الحاقدة موجهة فقط ضد الشعب العربى فى فلسطين؟ . .

وهل كانت مدافع وقنابل الاسطول السادس وهى تضرب وتقتل الاطفال فى لبنان موجهة فقط للشعب فى لبنان؟ . .

وهل كانت الطائرات الاسرائيلية وهى تقصف مدرسة بحر البقر فى مصر تقصد الأطفال فى مصر فقط؟؟ .

● وهل كانت ضربة المفاعل الذرى فى العراق موجهة بقصد تخلف الاقتصاد العراقى . . ومستقبل اطفال العراق فقط؟ .

● وهل تهديد تونس واليمن الا بقصد واحد فقط ألا وهو الاستيلاء على ارض وخيرات الامة العربية بأسرها وتركيع ابنائها وشى وحرق لحوم اطفالها إن جابهت او قاومت؟ .

● وهل هناك فى التاريخ زمن محدد يجب الحديث فيه والنضال من اجل القضية المصيرية للامة ثم بعد ذلك وإذا ما انهزمت هذه الامة مرحلياً امام ضراوة وقوة هذا العدو عليها ان تقفل دفاترها وتلملم كتبها وأوراقها وتكف عن النضال والحديث عن حقها وتاريخها وبطولاتها وآمالها واحلامها . . بل وتختار قيما أخرى بديله تعلمها لأطفالها وتزرعها فى نفوسهم بدل قيمة الوطن؟ .

● وهل بعد قتل الطفل العربى وتشويهه واقتلاعه من جذوره ومنعه من دراسته ومن لعبه ومن حقه فى الحياة والاكل والشرب والتعليم . . هل بعد هذا من يقول دعوا للطفولة براءتها وأبعدوا عنها مشاكل وهموم الوطن؟ .

ان المواجهة مفروضة علينا . . قتلنا مفروض علينا . . شى لحوم اطفالنا وتقطيع اطرافهم . . حرمانهم من كرامتهم ومستقبلهم مفروض علينا . . احتلال ارضهم . . تشريدهم منها . . معيشتهم فى الخيام وفى المنافى . . ضرب مؤسساتهم وتهديد مطاراتهم ونسف منشآتهم تقييد حرياتهم . . خطط جهنمية مستقبلية وآتية مفروضة علينا ـ ونحن علينا ان نعى ذلك وأن يعيه اطفالنا . . فهم المستهدفون ونحن زائلون .

من هنا كان تقديم التاريخ والبطولة والوطن شىء ضرورى للاطفال فى قالب يحبونه ويقبلون عليه . . لا ندرسهم الشعارات لترديدها . . لا نمنعهم من التمتع بالفراشات والعصافير الملونة والسندباد وعلاء الدين والغول وحكاية الملك لير والنساء الصغيرات . . ولكننا نعطيهم عمق معانى الاشياء . . عمق معنى ان تحتل الارض عام ٤٨ ويشرد منها الاهل . . عمق ان يضحى المرء لأجل هذه الارض . . عمق خطط الاعداء لاحناء ظهور كل العرب . . والطفل ذكى . . يفهم ذلك اذا ما قدم له بأسلوب سهل ممتع . . عقله ارض خصبة تتفتح فيها كل القيم . . وهو يعيش هذه القضية رغماً عنه ـ يسمعها من وسائل الاعلام المختلفة حوله يشاهدها فى التلفاز . . فليقرأها فى قصة او حكاية بسيطة اذن .

ادب الاطفال فى الوطن العربى فى مواجهة ادب الاطفال الصهيونى :

يتميز الادب المقدم للطفل الصهيونى فى طبعاته باللغة العبرية بهجمة شرسة عنيفة ضد العرب فى كافة النواحى الفكرية والعقلية والنفسية والفيزيائية .

يقول الاستاذ «قحطان الطويل» فى محاضرة له عن التمييز العنصرى فى الأرض المحتلة :

«ان البناء الفنى للأدب الصهيونى إنما يستخدم



بالطبـع ليخضـع الى حد بعيـد لمقتضيـات الأهـداف العنصرية الصهيونية التوسعية واذا كان هذا القول ينطبق على الكتب الادبية والفكرية عامة فإنه يكون أشد خطرا حين يكون الادب والفكر موجهاً للاطفال.

وفي دراسة قيمة للأخ محمد الظاهر نشرها فى مجلة الأقلام العـراقيـة العدد التاسع ـ السنة الرابعة عشرة ـ حزيران ١٩٧٩ (عدد خاص في الأدب الصهيونى) يوضح الكاتب أن هناك كتباً موجهة للاطفال اليهود ومكتوبة باللغة العبرية فقط ليقرأها الاطفال اليهود دون غيرهم من الاطفال وهى منتشـرة بمئـات الالاف من النسـخ فى المكتبات المحلية والعـامـة ومكتبـات المـدارس لتكـون فى متنـاول الطفل اليهودى وهى تركز دائما على موضوع واحد الا وهو تصوير الاطفـال اليهـود بأنهم اطفـال جبابرة عظماء لا يقهرون يهزمون العرب الاغبياء بسهولة ويسر هؤلاء المغفلين الذين يريدون ان يقتلونا من اجل المتعة الذاتية فقط.

وقد بدأت هذه الكتابات منذ الخمسينات حين قام متطرف اسـرائيلى وهـو بيجـال ماسيتـون بإصدار كتاب خاص للأطفال دعاه «**عصابة حصمبه**» وهى عصابة سرية من الاطفال اليهود تستطيع الحاق الهزيمة بأعدائها من خلال مغامرات كثيرة تنتهى دائماً بنفس النتيجة.

وبعـد ذلـك ظهـر جيل آخر من الكتاب استفادوا من تجربة وسخرية ماسيتون هذا وساروا على نهجه فى التأليف للاطفال. ولكن أكثـر الكتب رواجـاً فى الـوقت الحـاضـر والتى استطاعت تحقيق أكبر انتشار وهى كتب أثنين من المؤلفين الاول هو هارى لاين الـذى حارب خلال عام ٤٨ فى صفوف البالماخ ثم وبعد انشاء الكيان الصهيونى خدم فى

قيادة الاركان العامة والكاتب الثانى هو «شراجا أغافنى» أحد اعضاء مقاتلى الحرية فى «عصابة شترن» كتب العديد من الكتب المسلسلة منها «الجواسيس الشباب» و«الرياضيون الشباب» وقصص من التوراة للشباب.

ويقول الكاتب الاول اننى اريد ان اخلف جيلا ينتقم لى ويأخذ بثأرى.. هذا الجيل هو مئات الالاف من القراء الاطفال الذين يتهافتون على قراءة كتبى.

ويقول الثانى: «حين تكون اسرائيليا يجب ان تتحمل مسؤولية عظيمة.. فنحن شعب الانبياء.. ويجب أن نكون مثالا ونموذجا.. وإن على الطفل ان يكون مثل بطل القصة تماماً.

وهذه الكتب والقصص بمجملها تعمل على إظهار العربى بأنه الانسان اللاأخلاقى التافه الحقير.. البشع المنظر.. غير المتعلم.. السارق الكاذب.. الغبى الذى يخسر دائما امام اليهودى الذكى العظيم الذى لا يقهر.

ان دراسة هذا الأدب تستدعى الوقوف ملياً امام ما يجب عمله لمواجهة هذه الهجمة الفكرية الادبية ضد العرب ـ ذلك ان الهجوم العسكرى قد رافقه دوما هجوم أدبى لا أخلاقى يغرس الحقد والنظرة الشوفينية الاستعلائية عند الطفل الصهيونى.. والواجب هو التصدى لهذا النوع وفضحه عالمياً لأن الصهيونى فى حقيقة الأمر لا يحقد على العربى فقط بل وعلى الانسان غير اليهودى أينما كان..

وأود ان اشير هنا الى أن دار الفتى العربى فى بيروت قد أصدرت سلاسل كتب للاطفال تحمل طابعاً وطنياً يميل الى استخدام الرمز والقصه القصيرة للدلالة على حب الوطن وتعميقه وترسيخه فى نفوس الأطفال باسلوب يقرب من القصص العالمية الانسانية.. وهذا الاسلوب الذى يترفع عن زرع الحقد فى نفس الطفل ويربطه بأرضه ووطنه هو اسلوب هادىء عقلانى حضارى لا يجابه الهجمة الفكرية الشرسة التى يقوم بها أدب الطفل الصهيونى.

ولا أدرى ان كان يجدر بنا أن نبقى حضاريين أم أن علينا مجابهة العدو باسلحته وأساليبه..؟ تلك مسألة فيها نظر.

مصادر الكتابة

وللكتابة عن التاريخ الحديث لفلسطين كان لابد من الرجوع الى مراجع تاريخيه مختلفة. وقد كنت اعتمد فى الحصول على المعلومات والاحداث التاريخية على مصدرين اساسيين:

أولهما: الكتب التاريخية التى تبحث فى القضية الفلسطينية وعلى سبيل المثال لا الحصر كتب عارف العارف والدكتور عبد الوهاب الكيالى وصبحى ياسين وأكرم زعيتر وصالح مسعود بويصير وعبد القادر ياسين..

وكتب لمؤلفين اجانب واسرائيلين وذلك لتوثيق الأحداث والتواريخ لتبقى هذه القصص التى اقدمها متكئة على الحقائق الواقعية.

وقد دونت اسماء جميع المراجع لكل كتاب على حدة فى نهايته وفى ذلك تعويد للطفل على فكرة المراجع والعودة اليها اذا أراد.

اما ثانيهما: فهو المقابلات الميدانية التى كنت اجريها مع الأشخاص المعنيين بالأمر. فقد كنت اقابل اهل واقارب الاشخاص الذين اكتب عنهم ـ زوجته أو ابناءه او من حارب معه ورافقه فى رحلة الكفاح والنضال.. واذا ما تعثرت فى معرفة الحقيقة أو ضاقت بى الأمور اتصل بالمهتمين بالأمور السياسية والعسكرية استطلع رأيهم واستنير بمعرفتهم.. او اتصل بمن حولى من افراد عاديين هؤلاء الناس الذين عاشوا القضية عانوا من الاستعمار والصهيونية ناضلوا ثم فقدوا الارض والوطن.

وقد كنت احار احيانا فى الكتابة عندما يصل الامرالى وضع تخاذل او خيانة واضحة من احد الاشخاص كيف سأشرحها للاطفال وهل من الواجب ذكرها ام ان اغفالها افضل؟ . . ولقد اتخذت اسلوبا اتمنى ان اكون قد وفقت به وهو ذكر الخيانة اذا تعلقت بشخص معين . ينال جزاءه من المواطنين . . وقد كان ذلك فى احدى القصص حين قتل هذا الخائن وذلك للتميز بين الخير والشر . . بين النضال والخيانة . . اما التخاذل العربى على مستوى الحكم فهذه ليست من اختصاصى ولا من اختصاص الأطفال . . لم اكن اريد ان احيد عن الهدف الاساسى والنقيض الاكبر وهو مواجهة العدو وذلك بالدخول فى متاهات التناقضات الفرعية او الاحكام التاريخية ولذلك تعمدت اغفال الذين تخاذلوا او غابوا أو خانوا قضية الوطن . .

الاعمـــال :

كان الكتاب الاول عن عز الدين القسام الرجل الذى أسس العمل العسكرى المنظم فى فلسطين ضد الانجليز والذى نبه لخطر الهجرة اليهودية اليها . كان رجلا سوري المولد أزهرى الدراسة فهم الدين الاسلامي على اساس انه يدعو للجهاد في سبيل الله والحفاظ على المقدسات فعمل من هذا المنطلق . . وكان يدعو للجهاد من خلال دورسه الدينية فى الجوامع ومن خلال التقائه بالفلاحين والعمال فى قراهم وتجمعاتهم .

وفى البطولات الفردية كما فى حياة الشيخ عز الدين القسام يبرز العمل الجماعى فعز الدين ينظم للثورة وعندما يستشهد فى أول اشتباك له مع الانجليز تتقد ثورة ال ٣٦ وتشتعل فى رؤوس الجبال والوديان يقوم بها رجال عز الدين بعد موته . . فكأنها ثورة تفجرت بموت شهيد .

اما ثاني الاعمال وهو سر القنابل الموقوتة فهو يرمز الى



عنصر العمال والفلاحين وقود الثورة وقاعدتها الاساسية حيث يكون البطل فلاحا من قرية المزرعة الشرقية ثم تاجراً صغيرا لبيع التنكات الفارغة للزيت والزيتون . . وينضم للثورة مع لحيم التنك الذى يتعامل معه ليؤمنا للثورة قنابلها اليدوية ولينظفا اسلحة الثوار . .

اما فى الكتاب الثالث قافلة الفداء فقد اتخذت من البطل محمد حمد الحنيطى رمزاً لوحدة النضال بين الشعب العربى فى الاردن وفلسطين ذلك ان النضال فى ثورة ال ٣٦ عاش فترة توحد نضالى كبير بين الاردن وفلسطين فكان افراد العشائر والقبائل الاردنية يقومون بدور كبير واساسى فى الدفاع عن فلسطين ضد الانجليز والصهيونية وها هو محمد الحنيطى يترك عمله كضابط فى الجيش ليتعاون مع الثوار الفلسطينين وليستشهد على ارض فلسطين ولينقل جثمانه الى مسقط رأسه «**أبو علندا**» .

والكتاب الرابع الزمن الحزين فى دير ياسين يستعرض بطولة نسائية بالاضافة الى دفاع اهل القرية . . فحياة البلبيسى المدرسة فى هذه القرية . . وأم محمد رمز المرأة

القروية البسيطة تشتركان فى رد الهجوم الاسرائيلى الوحشى على القرية . . وتقدم حياة نفسها وروحها فى سبيل الوطن . .

بينما ظهرت المجنده الاسرائيلية فى قوات الهاجناه تتطاول على النساء العربيات وتسرق حليهن وتطلق عليهن وعلى اولادهن الرصاص بشراستها المعروفة للجميع .

والعمل الخامس . . رحلة النضال . . يمثل موقف البطل «حسن سلامه» فيه رمز الرجل الفلسطينى البسيط العامل فى كسارة للحجارة فى جبال فلسطين . . يترك عمله اليومى الذى يقتات منه وينتظم مع الثوار لمحاربة الانجليز . . وعندما يضطر لمغادرة البلاد لملاحقة الانجليز له يتدرب فى الكليات الحربية فى بغداد والمانيا ويعود بالطائرة لينزل بالمظلة ليعاود تنظيم الجهاد المقدس.

والعمل السادس «منقذ القرية» عن ابراهيم أبو ديه الذى مات فى لبنان بعد النكبة وقد كان مقعداً مشلولاً جراء حروبه المستمرة ضد اليهود فى القدس والخليل وصوريف وكفار عصيون والقسطل . . يقول عارف العارف فى كتابه النكبه : «لعيونك يا ابراهيم تهون العيون فليس بالقليل عليك كل المجد والشهرة فأنت بطل مقدام ثبت يوم لم يثبت غيرك . . وناضلت يوم عز النضال . . ودافعت عن القدس يوم تركها غيرك . . فاغفر لنا وخذ علينا العهد ان نحفظ اسمك فى قلوبنا وفى قلوب اطفالنا تخليداً لذكراك وشكراً لك حين لا يكون شكر على واجب ـ واجب الدفاع عن الوطن .

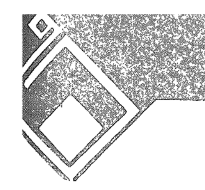
فهل يكون فى تخليد ذكراه فى كتاب للاطفال جزء من هذا العهد الذى قطعه عارف العارف على نفسه؟ . . وهل نكون قدمنا شيئاً لاطفال الامة ونحن نكتب لهم عن بطولات آبائهم؟ .

اما العمل السابع فهو فرحان السعدى يشنقه الانجليز لحمله السلاح لمحاربتهم . . صائم فى سجن عكا . . لقد كان دور الانجليز فى تهويد فلسطين وفى الضغط على الشعب العربى فيها دوراً حقيراً . . فهى التى اعطت وعد بلفور وهى التى سمحت للهجرة اليهودية . . وهى التى سلحت اليهود وحرمت وقتلت وشنقت العرب لحمل السلاح . . وهى التى فرضت الضرائب العالية على الفلاح لتضغط عليه مالياً واقتصادياً . . وها هى امريكا تقوم بدور انجلترا فيما مضى فتغدق على الكيان الصهيونى بلايين الدولارات واعتى الاسلحة واكثرها تطوراً وفتكا بالعرب .

والكتاب يحكى قصة فرحان مع الانجليز وشنقه وهو صائم رمضان وقبل العيد بيومين .

والكتاب الثامن فى سلسلة حكايات بطولية للاطفال كان عن فراس العجلونى . . ابن اللواء محمد على العجلونى





الذى حارب فى ميسلون مع يوسف العظمة والاحرار فى سوريا الكبرى ضد حملة المستعمرين الفرنسيين وجيش غورو. . وكان من رجالات الثورة العربية الكبرى ومن المخلصين لهذه الامة العربية.

وكان نجله فراس صنع يده. . جمع بين المبدأ والتطبيق. . آمن بالقضية الفلسطينية (قضية الامة العربية) واستشهد من اجلها. . وكان اول من ضرب فى العمق الاسرائيلى فى معركة خسر فيها العرب كل طائراتهم وأجهزتهم الهجومية والدفاعية وهى على الارض لم تتحرك بعد ـ فى معركة يمر عليها ابناؤنا فى كتب التاريخ المدرسية وكأنها معركة حملت على ارض القمر فاحتل فيها الصهاينة ارض الغرباء وانتهى كل شىء. . معركة هزت الانسان العربى وكسرت قلبه وروحه وان سألت ابنك عنها لا يعرف حتى اسمها. . فإن كنا لا نعطى ابناءنا عمق مأساة معركة عام ٦٧ وفقدان اراضى ثلاث بلدان عربية او فقد القوة العسكرية العربية فماذا سنعطيهم؟. . ما يكل جاكسون؟. . باباى؟. . جريندايزر؟. . وحرب النجوم؟.

أن الهزيمة لا تعنى إغفال البطولات وقضية فلسطين قضية قومية عربية تهم كل العرب واسرائيل ماضية فى عدوانها لا توفر حبة رمل واحده من ارض العرب. . والدفاع عن ارض الوطن مسؤولية ابنائه. . فلن نشترى رجالا من فيتنام أو الصين او اليابان للدفاع عنها. . ولعل التعرف الى الابطال يخلق البطولة فى نفوس الاطفال. .

ألم نتعلق فى طفولتنا بجميلة الجزائرية وأحمد بن بيلا والثوره الجزائرية اما قصة «هند واطفال دير ياسين» التى نشرت مسلسلة فى ثلاث عشرة حلقه فى الدستور ثم جمعت فى مجلة الاصدقاء لصالح جمعية اصدقاء الاطفال فهى من القصص الواقعية لما جرى ويجرى فى فلسطين. . إنها قصة هند الحسينى مع دار الطفل العربى فى القدس ومع الاطفال الذين تشردوا من قرية دير ياسين. . وهى من القصص التى اظهرت وحشية الصهيونى مقابل اصرار الفتاة الفلسطينية على صمود الإطفال فى ارضهم ولقد بعدت القصة عن ارتباطها بالاحداث الوثائقية او التاريخية ومزجت بين سنين متباعدة ما قبل النكبة الى قيام الفدائيين بأولى ضرباتهم الى القيام بالعمليات الانتحارية كالتى يقوم بها رجال المقاومة فى جنوب لبنان.

وقد نشرت فى الدستور أيضا وعلى شكل مسلسل اسبوعى قصة الاطفال والبندقيه وهى أيضا من القصص التى تعتمد على الوقائع والاحداث اليومية فى مخيمي الدهيشه فى فلسطين المحتلة وتظهر معاناة هذا الشعب هناك وكيفية مقاومة ومجابهة الاحتلال من خلال شخصية ثلاثة شباب «**الاستاذ خالد. . وعيسى. . وسعيد**» وعلاقة الثلاثة مع بعضهم ضد الاحتلال. . وشرائهم بندقية اسرائيلية من حارس معهد دينى فى القدس وجمعهم ثمنها بشق النفس. . وتعرضهم المستمر لاعتداءات المتسوطنين الصهاينة.

●● اما الكتاب الاول من سلسلة حكايات الغول «ليلى والكنز» فهى تظهر جشع اليهودى وشره واستهتاره بحياة الآخرين فى سبيل الحصول على المال ـ ولكن ذلك لا علاقه له بالعدوان الصهيونى على ارضنا العربيه.

والكتب السابقة فى مجملها تناسب الأطفال فى مرحلة القراءة الوسطى أى من عمر تسع سنوات فما فوق.

كتب الاطفال رسالة وليست تجارة:

لما كان اعتقادنا الراسخ ان كتب الاطفال رسالة وليست تجارة فلقد بات لزاما علينا ايجاد الوسائل المساعدة لايصال افضل الكتب للاطفال.

ولعل مواصفات الكتاب الجيد من ناحية الاخراج والشكل لا تخفى على احد من سمك فى الغلاف وورق جيد فى الداخل الى رسومات جذابة الى حجم الكلمات





الخاص بسن الطفل القارىء. . وهذا بطبيعة الحال يرفع تكلفة الكتاب ويجعله فى غير متناول الاطفال وهو الامر الذى يقف عائقا فى وصول هذه الرسالة الى الاطفال. وهو الامر الذى يجب ان ننتبه اليه كما انتبه اليه الكثيرون غيرنا فى امم اخرى عندما دعموا كتب الاطفال فى نشرها وطبعها وتوزيعها ليوصلوا هذه الرسالة لأصحابها.

ولعل تاريخ فلسطين ونضال ابناء الشعب العربى فى سبيلها ومدى الظلم الذى يوقعه على ابنائها وابناء العرب أجمعين يجعل لهذه القضية خصوصية خاصة وسمة عربية عالمية تظهر عدوانية هذا الصهيونى الطامع فى الأرض والخيرات وتجعل من الواجب شرح هذا العدوان وهذه الممارسات وايصالها الى اطفال العالم كله.

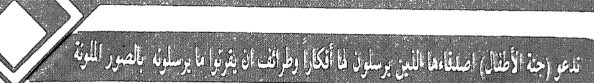
ولسنا نسعى الى تقليد الصهاينة فى ذلك بل على عنايتهم الكبرى فى ترجمة اعمالهم المتعلقة بحقهم فى هذه الارض الى لغات العالم واطفال العالم. .

كلمة اخيرة:

من استقراء تاريخ أدب الاطفال عالمياً وعربياً نعرف باختصار ان أدب الاطفال عالميا لم يصبح أدباً مكتوباً مدوناً الا منذ مئتى عام على الاكثر وقد كان من قبل شفهيا تنقله الامهات والجدات لابنائهن على شكل قصص وحكايات واشعار وأغانٍ قبل النوم.

ولما كان أدب الكبار الراشدين قد بدأ منذ بدء الكتابة فى العالم فدون الفراعنه قصصهم وسجل اليونانيون ملاحمهم واشعارهم وسجل الصينيون والفرس والعرب تراثهم وقصصهم واساطيرهم ورواياتهم. . فلقد انشئت المراكز العلمية وكليات الاداب والمعاهد ووضعت الاسس لدراسة كل هذه الاداب من قصة وشعر ورواية وملحمة. . الخ. ثم وضعت اساليب النقد والتحليل والتقويم لمعرفة الادب الجيد من الردىء.

ولعل الراشد لا يضيره ان يقرأ عملا غثاً رديئاً وسيميز ذلك بنفسه ويلقيه جانباً ولا يؤثر ذلك عليه تأثيرا سلبيا كبيرا. . لكن الطفل يضيره كل الضير ان يقرأ عملا سيئاً حتى ولو القاه جانباً. . انه بذلك قد يلقى جانبا كل موضوع القراءة فنخسر انساناً قارئا ونحن الذين نسعى بكل الوسائل لتنمية الوعى القرائى لديه ولدى الاطفال عموماً. . ولذلك كانت اهمية الاهتمام بكتب الاطفال وثقافة الاطفال فى البيت والمدرسة وفى النوادى والمكتبات العامة والخاصة. . وكان على المراكز العلمية والجامعات الاهتمام بدراسة وضع الاسس والقواعد العلمية التى تساعد على تقديم افضل الاعمال للاطفال. وعلى هذه المراكز ترجمة أدب الاطفال الصهيونى ودراسته وتوفيره للمختصين والمهتمين للاطلاع عليه فلعله يتحمس عدد اكبر للكتابة للأطفال فتتنوع الطرق والاساليب فيكتب البعض بأسلوب الالغاز أو المغامرات أو القصص البوليسية او الخيالية يجمعها خط واحد وهدف واحد وهو اعداد اطفال اليوم ليكونوا رجال الغد المشرق بالنصر ان شاء الله.



جنة الأطفال

اشراف بابا فريد

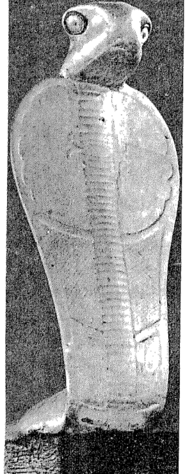
كلمة أولى

حبات قلوبنا . . أحباؤنا الصغار فى حاجة الى كل دقيقة . . كل ثانية من عمرنا . . نقف الى جانبهم نأخذ بأيديهم . . نسير بهم حثيثا فى طريق تزينه القيم الاسلامية العريقة . . يحيط به الايمان بالعلم النافع والعمل الصالح . . بتوجيه واعٍ سليم تتوازن فيه العاطفة والعقل . . من أجل بناء مستقبل واعد بكل خير وإشراق غدٍ مأمون.

حكاية من التراث الإسلامى

ذات يوم وردت بضاعة من الشام للامام **أبى حنيفة** وكان تاجراً فهدم عليه التجار لشرائها فقال لهم: انتظروا حتى يطلع النهار ولن أبيعها لأحد غيركم مهما حدث. وجاءه رجل بعدهم عرض عليه ضعف الثمن فرفض أبو حنيفة أن يبيع له البضاعة قائلا له: قد أعطينا كلمة أشهدنا الله عليها . .

ولما طلع النهار جاء التجار وباع لهم **أبو حنيفة** البضاعة بالثمن الذى وعدهم به فى البداية.



كوبرا من الخشب المذهب وهى من كنوز الفراعنة

لهم ونلك لتنشر مع ابداعاتهم وأن يكتبوا على المظروف مجلة المنهل (جنة الأطفال) جدة - ص ب ٢٩٢٥

أحبابنا الحلوين

مازن بادفيل/ ميرفت بادفيل/ السعودية مصطفى أحمد/ مصر محمود أحمد/ مصر صوفيا كوجان/ المغرب ولاء وجيه/ مصر

قال الطبيب للمريض متى يزداد ويرتفع نبضك؟

فرد المريض بذكاء: عندما أدفع لك الأتعاب . .

سؤال وجائزة:

من هو أول من كتب «لا إله الا الله محمد رسول الله» على العملة؟

اختبر ذكاءك

أجاب رجل سئل عن عمره بقوله: كان عمرى منذ ١٠ سنوات أربعة أمثال عمر ابنى الذى سيصبح عمره ١٢ سنة بعد سنتين. . فما هو عمر الرجل الآن؟.

(ابحث عن الحل فى الصفحتين).

«عزيزى: ارسل اجابتك على العنوان الموضع اعلاه مع صورة شخصية ملونة ولك منا جائزة».

هل تعلم



أطول رجل فى العالم طوله ٢٨٥ سم

ان المرأة فى العصور البدائية كانت تلف حول قديمها قطعاً من جلد الحيوان، وفى القرن السابع صنع الفرنسيون الاحذية للسيدات من النسيج السميك وفى عام ١٥٦٥ صنع الانجليزى «وليم ريدر» أول زوج من الاحذية.

● عمر الرجل ٥٠ سنة.





مريم والأسئلة

بقلم الدكتورة :

امل على المخزومى

لقد قرأت عمود «رأى الاسرة» فى مجلتكم الغراء العدد ٤٤٣ ص١٥٧ الذى تضمن شكوى (ام مريم) عن طفلتها التى تكثر الاسئلة وما تثير تلك الاسئلة من انزعاج لها . . يسرنى ان اجيب عن تساؤلاتها حول هذه الظاهرة :

(١) لا يمكن وضع اجابات جاهزة لأسئلة الاطفال ذلك لأن هذه الأسئلة تختلف من طفل الى آخر . . كما ان الاجابة الواحدة قد ترضى طفلا ولا ترضى طفلا غيره . اضف الى ذلك ان جوانب الحياة كثيرة تكاد لا تعد ولا تحصى . وبدلا من الاجابات الجاهزة يمكن وضع قواعد عامة للآباء والمربين يتقيدون بها عند الاجابة على الاسئلة الكثيرة للاطفال .

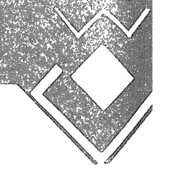
(٢) أهنىء الاخت (ام مريم) على هذه الطفلة وذلك للبوادر التى تدل على ذكائها بكثرة الاسئلة التى تطرحها . . اننا نعلم بانه كلما زاد ذكاء الطفل كلما زاد انتباهه للمحيط الذى يعيش فيه وبالتالى يزداد لديه حب الاستطلاع والاستكشاف . . ونتيجة لذلك يطلب مساعدة الوالدين له عن طريق طرح الاسئلة التى ينشد من خلالها الفهم والادراك واتساع المعلومات لديه .

(٣) يمر الطفل بمرحلة يطلق عليها البعض «مرحلة السؤال» وتبدأ فى سن ٢-٦ سنوات يكون الطفل منتبها لكل شيىء مما يجعله يكثر من الاسئلة باستعماله ادوات الاستفهام مثل لماذا؟ متى؟ اين؟ ماذا؟ كيف؟ من ؟ كم؟ . . الخ وهذه الاسئلة قد تحرج الام لانها لا تستطيع احيانا الاجابة على كل سؤال يطرحه . . كما يذكر البعض ان ١٠-١٥٪ من حديث الطفل فى هذه المرحلة يكون عبارة عن اسئلة وكثيرا ما تلاحظ هذه الظاهرة المربية فى الحضانة . . وسبب ذلك هو اطراد نمو ذكاء الطفل فى هذه المرحلة . يؤكد «بياجيه» ان الذكاء فى هذه المرحلة كثيرا ما يعتمد على استخدام اللغة بشكل واضح وتتصل هذه اللغة المستخدمة بالمدركات الكلية .

(٤) تزداد قدرة الطفل من خلال فهمه الكثير للمعلومات البسيطة التى تزخر بها بيئته . . كما انه يدرك الامور التى تثير اهتمامه . . على الام ان تستغل هذه المرحلة وتساعد طفلها على نمو مداركه العقلية وزيادة خبراته من خلال استكشافاته للاشياء ومن خلال الاجابة على اسئلته مهما بلغت .

(٥) يجب ان تكون اجابة الاسئلة مناسبة لسن الطفل لكى ينمو النمو الصحيح من الناحية اللغوية والعقلية والاجتماعية .

(٦) يجب على الوالدين مساعدة الطفل للقيام بالتجريب بنفسه واستكشاف النتائج لهذه التجارب البسيطة بنفسه مع مساعدة الوالدين بشكل يبتعد عن التدخل . وقد يستطيع الطفل تلقى الاجابة الشافية لبعض الاسئلة التى تدور فى ذهنه .

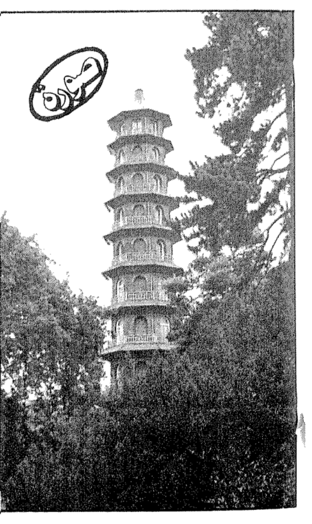


(٧) صحيح ان اسئلة الطفل تكون محرجة احيانا ويصعب علينا الاجابة عليها ـ ولكن ينبغى على الاباء والامهات اعطاء الاجابة الصحيحة بطريقة بسيطة جدا ـ والابتعاد عن اللف والدوران ـ لان هذه الطريقة كثيرا ما تربك الطفل وتجعله يعيش فى دوامة وقد يفقد الثقة بهم.

(٨) يجب على الاباء الا يتركوا الاسئلة بدون اجابة.

(٩) يجب تدريب الطفل على صياغة الاسئلة الجيدة وافهامه كيف ومتى يسأل.

(١٠) يجب توفير القصص المصورة المناسبة لسنه.. واحيانا يجد بعض الاجابات على اسئلته من خلال الصور والمناظر.. ويقع العبء الكبير على الام لانها المعلم الاول للطفل.



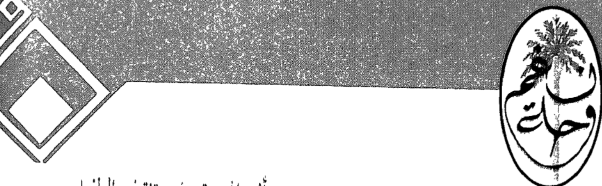
الهرة والاطفال الاشقياء

شعر يوسف حمدان

جاءت ليلى تبكى مرة
فى أصبعها عضة هرة
ركض إليها كل الأسرة
بابا ماما الأخت الكبرى

قالت ليلى هذا جزائى
أنا أخطأت بحق الهرة
جمعت صحابى ومسكناها
وحبسناها داخل حفرة

سلوى ألقت عليها حجرا
سامى سحب الذيل وفرا
ماءت .. ماءت لم نرحمها
وتجمعنا عليها عشرة
فلتت منا ولحقناها
كى نمسكها انقلبت نمرة
وحين مددنا إليها الأيدى
كانت أكثر منا شرا
فتحت فمها وتحدتنا
أخذت منهم ومنى الثأرا

يبقيك لى

شعر: مشاعل عبد المحسن

يُبقيكَ لى إذ تاه طَيفُك من غدى
يبقى الفـراغ مكـانـك فى مرتعى
وجـراحـك بعـد انتـزاع نصـالهـا
تنمـو نصـالاً من نزيف الأضلع
تبقيـك لى شهقـات أبيـات تموت
عنـد اكتـمـال قصيـدة لن تُسْمَع
يبقـيـك لى ماء الحيـاة بغضهـا
ان جذت الافـنـان تبكى بأدمعى
وأراك فى رحم الليالى الخاليات
تنسـب الى الآتى وان لم توضـع
وأراك فى صمت الصـديق تعمـدا
ان جاء ذكـرك فى الحـديث الموجع
تبـدو على وجـه الـلئيم شماتـه
فأراك فى وجـه الشـمـاتـة مفجعى
فإذا اضعتـك لحظـة من خاطـرى
ما عدت اذكـر من حيـائى موضع
لم أتـعـب الـدنيـا وأنت بداخلى
والآن تـتـعـبهــا وأنـت بها معـى
ألـقـى على دهش السكينـة علّنى
ألــقــى لغـدرك حجـة قد تقـنـع
فأراك دينـا قد سددتـه للهـوى
فلكـم ذلـلـت قبيـلك من مولـع

أثر الموسيقى فى تثقيف الطفل



للموسيقى أهميتها فى تثقيف الطفل والتأثير على مشاعره ووجدانه.. وبرغم علمنا بهذه الحقيقة فاننا لا نجد اهتماما كافيا بالدراسة الموسيقية فى مدارسنا على اختلاف مراحلها وقديما قال افلاطون: «انه حين يسلم الانسان نفسه للموسيقى ويثابر على ذلك منذ طفولته فان فعلها يذيب مافيه من توتر وغضب ويجعله انسانا دمثا حلو الشمائل وان حسنت ثقافته الموسيقية يكون له نظر ثاقب كما تساهم الموسيقى والتربية الرياضية فى اصلاح كل من الجسد والنفس والتوفيق بينهما».

وقد كتبت الدكتورة ليلى محمد زيدان المدرس بجامعة حلوان فى دراسة لها بعنوان: التربية الموسيقية فى مدارس الأطفال تقول ان للموسيقى فى مدارسنا عدة أهداف:



سؤال

د. اخلاص فخرى عمارة

خفقـات قلبى يا حبيبى ساءلتنى ما الخبر؟
طال البعـاد وملنـا وعن هوانـا كم صبر..؟
أتـراه ضيع عهدنا؟.. حتى الوعود أما ذكر
وكيف طاوعـه الفؤاد على الفـراق بنا غدر؟
ورجـوتها لا تعجلى ما خان عهدى أو هجر-
ان الحبيب على الـوداد كما عهـدنـا قد سهر
ولئن بدا متبـاعـدا هو ما تشـاغـل أو فتر

١ ـ التكامل فى نمو الطفل جسمانيا ونفسيا .

٢ ـ جذب حب الأطفال للمدرسة وللمواد الأخرى التى يدرسونها .

٣ ـ تنمية روح الانتماء للمجتمع لدى الأطفال وبث روح التعاون بينهم .

٤ ـ تعريف الأطفال بدول العالم عن طريق تقديم مقطوعات موسيقية عالمية .

٥ ـ تنمية الادارك الحسى لديهم والتدرج فى تربية الادراك الحسى والعناصر الموسيقية والذوق الموسيقى .

٦ ـ الكشف عن ذوى المواهب فى سن مبكرة .

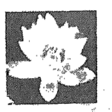
وقد رات الباحثة أنه لكى تتحقق هذه الأهداف يجب :

أولا : الاستفادة من التوصيات التى طالبت بها رسائل الماجستير والدكتوراه للعمل على وضع المنهج الموسيقى الملائم لكل مرحلة .

ثانيا : زيادة عدد المدرسين المؤهلين تأهيلا موسيقيا عاليا فى المدارس المختلفة للقيام بهذه المهمة الضرورية للارتقاء بالحس الموسيقى لدى الأطفال .

بالحب ينبض قلبه لكن تقنع واستتر
تشتكى بوعده لا تنشكى غاب منى أو حضر
ودعى التساؤل والظنون وخلفى تلك الفكر
وتساءلت دقاته والى متى هذى الستر؟
وإذا طوينا يومنا وغدا توخينا الحذر
حتام يبقى حبنا سرا نخاف اذا ظهر؟
الحب من قدر الاله فهل نعارض ما قدر؟
هو أمره فى خلقه ألنا الخيار اذا أمر؟
هلا سعدنا بالهوى فهو الهناءة للعمر
والحق أشهد يا حبيبى كاد قلبى ينتصر
قد حار عقلى بالجواب أتيت أسأل ما الخبر

علمتنى

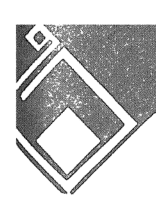


كلمات بقلم :
منى علمى محمد صادق

علمتنى عيناك
ـ كيف أحبّك من غير حدود
عَلَّمنى حبُّك
ـ أنْ أكونَ بدون حواجز أو قيود
ـ وان اعبر المسافات لاصل الى حبك المنشود
ـ وان اطوى الصفحات لابقى لديك كتاباً مرصودا
ـ وان اظل سيفا فى نصله مغمودا
ـ يهابه الجميع ولا يقربه الا كل فارس مفقود
ـ لأكون اهلا لحبك يا اثمن جوهرة فى الوجود

علمنى حبك
ـ ان اشفى من غير دواء
ـ واقلب الايام واعود بالتأريخ الى الوراء
ـ واكتب الشعر كل مساء
ـ واظل اعطى واعطى بسخاء
ـ واجعل سمائى ارض وارضى سماء
ـ واصرخ للعالم اجمع بحبك يا أحلى الاسماء
ـ كل ذلك لك وحدك دون سائر النساء

علمنى حبك
ـ ان افتح باب قلبى وادخل لعالم مجهول
ـ واصنع فيه تمثالا لحبّ خالد لا يزول
ـ عرفت بحبك شيئا اسمه اللا معقول
ـ سأكون لك دوما طال البعد ام لم يطول
ـ وسيبقى بينى وبينك على الدوام رسول
ـ وهو حبنا الساكن فى الضلوع والعقول



نغم وحة



في ضيافة الأدب الغربي

للشاعرة زينب تيلور ترجمة نعمت عامر مصر

عليناأن ننقل الثقافة الغربية لحاضرنا بقدر وميزان..

وعلينا أن نستفيد منها لإثراء ملكاتنا.

وعلينا أن نطرح شوائبها ونرحق من معينها المتفق مع حضارتنا ومثلنا ومقوماتنا..

أجبت : نعم .... فى ظلال المساء
وبالنفى .... كان جواب الصباح
ففى ضوء شمعتنا .. كم هراء
يقال ... وفى الشمس ولى وراح

* * *

فقد يأسر القلب عزف الكمان
وضوء الثريات فوق الرؤوس
وفى حلبة الرقص دون اتزان
تغازلنى : أنت شمس الشموس
وتسألنى : هل بقلبى افتتان
أجيب : بلا ... أونعم ... فى الوطيس

* * *

وقل : إننى غرة لاهية
تغيرت ما بين يوم وليلة
فجسنة أحلامنا نائية
لبيتى ... أنا ... حرة ... مستقلة

مجد المسجد أو النعيم السرمدى

شعر

سهام إسماعيل حجى

بمناسبة اقامة مسجد باحدى المدارس . .

☆ ☆

حلقْ بفكرك فى سماء السؤدَد
واخشعْ لربِّك فى رحابِ المسجدِ
فاليوم للنشء المُرَجَّى قد بنوا
بيتا لربِّ العرش عذب الموردِ
نورُ الوضوء على مُحيّاهم بدا
متلألئا . . كسبيكة من عَسْجَدِ
وإذا المصاحفُ بين أيديهم غدتْ
منشورة . . لتلاوة وتعبُّدِ:

تلقى الشبيبة فى سموٍّ ترتقى
نحو العُلا بتدينٍ وتجرُّد

* * *

إنَّ الحياة روايةٌ وفصولها
عما قريب تنتهى . . فتزَوَّد
والزاد ـ خير الزاد تقوى عابد
نبذ المحارم للنعيم السرمدى
مهما جمعت من الزخارف جاهداً
لا شىء يبقى مثل عَوْدٍ أحْمدِ
من لى بجيل مستجدٍّ لم يرثْ
إلا عن الجد القديم الأبعد[1]
«يرث ابن هند» فى أصالة رأيه
أو (خالدا) فى عزمه المتوقِّد
لنعيد للجُمُعاتِ سابق عهدها
ونُعيد للإسلام مجد المسجد

* * *

من كان يرجو الله واليوم الذى
فيه الشفاعة . . عزَّ جاه (محمد)
فلْيَهتبل فى الخير فرصة عُمره
متأسّياً بنبيِّه وليقتد
هيا الى بيت الإلّه نؤمُّهُ
فلعلنا بعد الغواية نَهْتَدِى
فالدينُ أسّ سعادة الدنيا به
تصفو الحياة بفطنة وتوقُّد
وتنافسوا لعمار مسجدنا . . ولا
تتقاعسوا فالبذل ينفع فى غد
من ضنَّ مقتدرا ـ أضاع مثوبة
وغدا برغم تكاثر صفر اليد

---

(١) هذه الأبيات الثلاثة من قصيدة للشاعر الراحل محمود غنيم عنوانها (آمال وآلام).



حول الرثاء فى شعر

اطلعنا على مقال الأدبية نعمت عامر بعنوان: «الرثاء فى شعر المرأة»(1) والذى تناقش فيه بعض آراء أستاذنا العقاد رحمه الله إذ كان يرى أن المرأة قد قصرت فى نظم الشعر بعامة وفى الرثاء خاصة.. واستدلت الشاعرة فى محاولتها لتفنيد رأى العقاد بمرثية (جليلة) لزوجها كليب وأحب هنا أن أتحدث عن شاعرة كبيرة أخرى معاصرة تشارك (جليلة) فى الاسم ولا تقل عنها فى المنزلة الأدبية وهى الشاعرة جليلة رضا التى تمثل مع فدوى طوقان ونازك الملائكة أضلاع المثلث الذهبى فى شعرنا العربى المعاصر.. ويشاركنا فى هذا الرأى صديقنا الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى(2).

وكيف لا؟.. والأستاذة جليلة رضا تعد أول شرقية كشفت عن مكنون سر المرأة فى شعرها.. وأخرجت أحاسيسها الى النور وعبرت عنها بكل زواياها.. وتحدثت عن شئونها الصغرى وشئونها الكبرى جميعا.. إلا أنها آثرت الابتعاد عن الأضواء منذ سنوات بعيدة.. وزهدت فى كل ما فى الحياة من مباهج فيما عدا شىء واحد لم تطق هجره ألا وهو: الشعر.. لأنها لا تستطيع أن تصبر على لأواء الحياة إلا به ـ كما يقول صديقنا الأستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجة.

فالشعور الصادق هو مادة الشعر الأولى لديها وخاصة فيما يكمن بأعماقها من حزن دفين يطالعنا فيما نظمته فى شقائها بوحيدها المتخلف عقليا الذى عاش أكثر من ثلث قرن بين جدران المصحات والمستشفيات العقلية.. ونتبين ذلك من الاهداء الذى تستهل به ديوانها الأول: (اللحن الباكى) بقولها: «**الى من لا يدرك أننى أمه ولكن حياتى وقف عليه.. الى ولدى الوحيد أهدى الشىء الوحيد الذى وجدت فيه.. عوضا عنه**» ثم تقول فى مناجاة وحيدها هذا:

بُنَىّ فُدِيْتَ بالعمر القصير
فَخُذْ ما شئت من عهد السرور
لقد حكم الإله عليك حكما
ومالك ـ غير ربّك ـ من نصير

● الى ان تقول بعزاء وعمق إيمان:

وحكم الله أعدل كل حكم
يُشعّ عليك نوراً فوق نور

● ***ثم تقول بحنان الأمومة الفياض:***

بُنَىّ جعلتنى أهوى بقائى
فعشت لغصنك الغض النضير
وجَرَّعنى الزمانُ كئوس همٍّ
وضنَّ علىَّ بالعيش القرير

المرأة

من الناقشة يبتبق النور



احمد مصطفى حافظ
مصـر

وتقول:

اخـافُ على خُطـاك حصـاةَ أرضٍ
وقــد أعلو الهضـاب مع الصخـور

● وتعود بعد زهاء ثلاثين عاما ـ وهى الفترة الواقعة ما بين إصدار ديوانها الأول: (اللحن الباكى) عام ١٩٥٤ ـ وديوانها الأخير: «العودة الى المحارة» عام ١٩٨٣ والذى حصلت به على جائزة الدولة للشعر من المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة ـ تعود لتناجى ابنها مرة أخرى وقد ازدادت تجربتها نضجا وخبرتها بالحياة عمقا فتقول:

سأظـلّ أؤجِّـل أشعـارى
حتـى تتكسّـر أقـلامـى
حتـى تتـصلبّ فى عجـز
كفّـى وسُـلامـى إبهـامـى
ما أقسـى ان أسكـت دهـرا
عن عزف الألحـان العليـا
أن أشـدو طيلـة أعـوامـى
لتـفـاهـة كونـى .. للدنـيـا

● الى أن تقول:

أن أحـرم ولـدى من شهـدى
وزهـورى.. وأريـج صلاتـى
أن أوصـد شبـاك نعيمـى
وأديـر الظهـر لجنـاتـى

● وتختتم قصيدتها بشجو مذيب فتقول:

هل أنظـم شعـرا فى حبـك
وهـواك النبـع لأشعـارى؟
لا أقـوى سأظـل أؤجـل
حتـى تتراخـى .. أوتـارى

■ وفى ديوانها: «أنا والليل» تطالعنا ـ أيضا ـ فى قصيدتها: «بين علمين» بمأساتها الداوية بسبب ابنها الذى لا يدرى من أمر نفسه شيئا فتقول:

ولـدى الوحيـد علام
تضحـك فى الفـراش وتبتسم
ولمـن تشـير؟ ومـا أمـامـك
ها هنـا.. إلا الظُّـلم
نم هادئـا أقـلقـتـنـى
متـحـركـا دعـنـى أنـم
عَذَّبْـتَ أمَّـك يا فتـى
عذَّبْتَـهـا.. حتـى العـدم



■ وهذه صورة إنسانية زاخرة بالمشاعر الآسية تجعلنا نتعاطف مع الشاعرة ونعيش تجربتها ونقف على أبعاد وجذور ألمها الدفين.

أما مراثى جليلة رضا ـ الشاعرة المتفردة ـ فإنها فيها ليست الشاعرة التى لم تبلغ شأو الرجال بل هى الشاعرة المحلقة التى لم يستطع الشعراء الرجال ـ فى تقديرى ـ أن يبلغوا الأفق الفنى الرفيع الذى تحتله بمفردها بتألق وأستاذية وبعفوية وبساطة آسرة تفوق مراثى عزيز أباظة وعبد الرحمن صدقى ورجب البيومى الشعرية لزوجاتهم ومراثى سعيد العريان النثرية لحليلته.. رغم صدق مشاعرهم وعمقها.

ولا يكاد المجال يتسع لعقد المقارنة وإعطاء الدراسة حقها من الافاضة الذى أثارته وفاة زوجها الصحفى الكبير الراحل (محمد السوادى).. ولطول احتباس الأسى فى أعماقها لم تعمد ـ كما يقول العقاد ـ الى الطريق الأيسر المعهود: الذى قوامه النواح على الميت وتعديد مناقبه المأثورة.. وتكرار التفجع بصيغة واحدة يتغير فيها بعض الكلمات ولا يتغير فحوى الكلام.. وإنما لجأت (جليلة) فى أحزان وحدتها ـ الى الحديث عن «المقعد الخالى»(٣) الذى كان يجلس عليه المرحوم زوجها مؤثرا إياه على بقية المقاعد.. فتقول:

يا لهذا المقعد الخالى وكم يبدو حزينا
إنه ما زال للأمس وفيا وأمينا
لم يزل يهفو الى من كان يسترخى عليه
للذى عشرين عاما.. عاشها بين يديه
إنه يطوى لمن غاب اشتياقا وحنينا

■ تماما: مثل الشاعرة.. سواء بسواء.. يطوى المقعد للغائب أيضا اشتياقا وحنينا.

■ ثم تتحد مشاعرها مع (المقعد) الحزين فتناجيه بقولها:

مهبط الوحى.. ويا هوة شمس المغرب
إيه يا عرش مليكى ووساد المتعب
كنت للغائب دنيا من أمان وسلام
كنت حصنا قد تحدى فيك إعصار الظلام
كنت مأوى عقله الحر.. وسجن المذنب

● ثم تحدق الشاعرة فى الفراغ الرهيب ومأساوية الوجود الانسانى عامة.. فتقول بحزن كونى فادح متسائلة:

ذلك الجسم الذى كان هنا.. أين توارى
أين ولى وتلاشى تاركا كونا ودارا
يا لسخرية عيشى يا تفاهات وجودى
أو يُمْسى الفرد منا.. مضغة فى حلق دود
والجماد الصلب باقٍ.. يتحدانا جهارا

● والجماد الصلب هنا هو المقعد الخالى نفسه الذى عاد يذكرها بالمهزلة البشرية بعد أن كان ـ منذ قليل ـ مادة عزاء لها عن راحلها العزيز.. إلا أنها سرعان ما تعود إلى مناجاته مرة أخرى وهى تسدل ستار ختام القصيدة:

مخزن الذكرى ويا من شارك الراحل زاده
كان فى حضنك قلبا نابضا يهوى بلاده
كان فى حضنك شيخا فيلسوفا وحكيما
كان فى حضنك ضيفا قلق الروح سقيما
ثم ولى عنك يوما مؤثرا حضن سواده(٥)

● وفى قصيدتها (الزيارة الرهيبة) نراها تتخيل نفسها وقد هبطت لزيارة زوجها فى باطن الأرض وهو رهن الأكفان وقد عمه الذهول:



ونساءل من يهبط نحوى؟ فأجاب الضيف : أنا الطيف
صاح المتسائل مذهولا : أتركت الأحياء : وكيف؟
ردّ الزائر: فيم الدهشة اشتقت إليك إشتقت إليك.
. وأتيتك فى ثوبى • • الأبيض أتسلل لأنام لديك
إفسح لى ركناً من فضلك. . فالحجرة تتسع لألف
إلا أن الزائر أو الزائرة الشاعرة وجدت أن :

النائم لا ينطق حرفا
مفترشا فى صمت أرضه
وانتبه الضيف على وخز
فى طرف الاصبع كالعضّه
وأحس الكومة فارغة
لاصدر هنالك أو منكب

● وإذن فقد التهمت الأرض واحدها فيمن التهمت من قبل واستفاقت الشاعرة من ذهولها على مرأى الرفات والأشلاء.

وانتفض الزائر مذعورا
واستند الى السقف الخائر
مفتقدا أدراج السلم
ليعود الى البيت الآخر
وتعثر فى جسم صلب
فإذاه على الأرض. . حصاة

قلّبها فى الكف برفقٍ
وعلى خدّيه العبرات
وتساءل وهو يناجيها
واها. . أتكون هى. . الشاعر؟

وأخيرا ما ندلل على أن شاعرتنا الكبيرة «جليلة رضا» قد طرقت دروبا لم تكن معروفة من قبل - بل إنها هى وحدها التى عبدتها وشقت مفاوزها فى أعماق الصخر وتركت بصماتها المتميزة عليها. . قولها عندما مات الشاعر المصرى الجهير صلاح عبد الصبور واهتزت لوفاته. . وعجبت لأن العالم لا يزال كما هو يسير على منواله الطبيعى اليومى المطرد:

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بعد أن ذابت الشمعة قبل طلوع الفجر. .
● وتتحسر على رحيل الشاعر الذى لا يكاد يشعر به أحد مهما بلغته عبقريتهم من امتياز وتفوق. .

كل ذلك يحدث فى الخارج، خارج الحجرة التى يسجى فيها الشاعر ولكن. . فى الداخل. .
تتغير كل الأزمان
تغنى الياء. . وتغنى السين. . وتبقى ال. . كان
يغنى الخير. . ويغنى الشر
تغنى أدوات النصب وكل حروف الجر
تخرس ألسنة الصفحات وتمحى اللمسة
تهرب من ثقب الباب : الأسماء الخمسه
يرتاح القلم أخيرا. . من قيد الإبهام
يمشى الخفّان. . بلا أقدام
يرتفع الرأس المتخفى. . فى صدر الأحزان
ينقطع أنين الصور المصلوبة فوق الجدران
يتجمد نهر الشمع. . تذوب الأضواء
تلغى القاعدة. . والاستثناء.

أوراق

الورقة ١١٢

مكامن السعادة عند المرأة يعرفها الرجل من أيام الخطوبة.. وربما فى وقت مبكر وهى غالباً لا تتجاوز: «الجواهر ـ والملابس ـ والعطور».

وغالبية النساء.. لا يعرفن مكامن السعادة عند أزواجهن الا بعد المولود الاول وربما الثانى أو الثالث.. وربما يقضى المسكين نحبه أو يطلقها ولما تضع يدها على مكامن سعادته.. وخطأ تُجمع النساء على ان مسحة المكياج الطريق لقلوب الرجال.. فيكثرن من مساحيق التجميل ولا يعملن عقولهن فيما هو أهم من المظاهر.

الورقة ١١٣

سرعتى وسرعتك فى اتخاذ القرارات ليست سواء ومهما حاولت أن اكون فى مستوى سرعتك.. ستظل سرعتى بطيئة.. فأنت تحركك تيارات العواطف الساخنة.. وأنا موجات باردة من جبال الألب.

الورقة ١١٤

قال لى: الأم اكبر مروج دعاية لابنتها.

قلت: وماذا فى ذلك..

أجاب: ليس المهم ان تقع.. فى يد المشترى فالأهم هو احتفاظه بها.

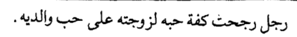
قلت: الدعاية لن تتوقف..

قال: التجربة ستكون اكبر برهان.

قلت: ليت الأمهات يدركن ما يقلن.

الورقة ١١٥

صدقينى أن المرأة التى تغار من حب زوجها لوالديه امرأة أبسط ما يقال فيها ـ ساذجة وهل تريدين أن أخبرك بمن يفوق عليها فى سذاجته؟.

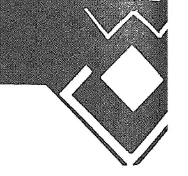


رجل رجحت كفة حبه لزوجته على حب والديه.

الورقة ١١٦

انهم متفرغون.. يتسلون فى ألعاب صغارهم.. اما أنا فكيف لى أن أوفق بين طلباتك والتزاماتى من جهة.. وراحتى من جهة أخرى..

دعينى أغرق فى عملى حتى رأسى..



اضاءات وجدانية خاطفة.. ولمحات خاطر سريع.. تلمس من واقعنا ما نود أن نقف عنده..

زوجية

يوسف ابو عواد

الورقة ١١٧

أرأيت اننا مختلفان حتى فى اسلوب تعاملنا حتى مع الهاتف.. اوصيك ـ أحيانا ـ اذا طلبنى أحد «أنا نائم» وأنت اذا امسكت بـ «السماعة» أيقظتينى من منامى..

الورقة ١١٨

أتدرين لماذا اكثر المثقفات من النساء عرضة للمشاكل مع ازواجهن اكثر من سواهن؟.

ببساطة.. لأن المثقفات فى غمرة استقصائهن لأخبار مشاهير النساء والتمثل بهن.. يفوت عليهن الواجب المطلوب منهن تجاه أزواجهن.

صدقينى ان اكثر ما يجنى على الزوجة المثقفة هو غرورها بثقافتها ـ ما قيمة ثقافة لا ترشد صاحبها الى اسباب السعادة مع نصفه الآخر.

عفوا: اننى اطالب كل امرأة أن تجتهد فى أن تكون مثقفة.. لكن الشطارة فى توظيف هذه الثقافة لبناء حياة اسرية سعيدة لا أن تكون معول هدم.

الورقة ١١٩

نساء اليوم كثرة البدائل أماتت لديهن روح الابتكار.. هذا حقيقة.. وليس اتهاما.

اننى فى أحيان كثيرة تقولين فيها ليس لدى ما اعده لك على طعام الغداء.. أهم بدخول المطبخ فأعمل لك من الأطباق الزاخرة ما يدلل على قصورك.. فهلا حاولت الابتكار؟ ان علبة ـ صلصة واحدة كفيلة باخراج ـ طبخة ـ محترمة.. اذا نحن اقتنعنا اننا من الطبقة الكادحة.. ولسنا ارستقراطيين كما يهيأ اليك..

الورقة ١٢٠

كل مشاهد يأخذ من المسلسلة التلفزيونية أو التمثيلية التى تعرض على الشاشة الصغيرة ما ينقصه فكل انسان ينشد قدراً من الكمال.

فهل الهدف هو الانسجام مع احداث القصة طلباً لمتعة؟ أم لأخذ العبر من المواقف والشخصيات؟.

واذا كان هذا وذاك فلماذا تتحقق المتعة بدليل ـ التصاقنا با «الشاشة» واسكاتنا للصغار.. ولا نلمس آثاراً لـ «الثانية» فكم من عبر مرت فى احداث شاهدناها ولم نعتبر.



* النميري: هو محمد بن عبد الله بن نمير، من ثقيف - شاعر غزل - ولد بالطائف - من شعراء الدولة الأموية - كان يهوى زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف الثقفي.

حبيبتي زينب:

أبعث إليك برسالتي هذه وأنت تتأهبين للسفر مع زوجك إلى البصرة.. وما حفزني إلى كتابتها إلا لكي تتأكدي من حبي لك وما قاسيته من أجلك وكي لا تصدقي ما يروجه عني المروجون الحاسدون من أنني إنسان لا هم له إلا مطاردة الحرائر والتشنيع عليهن.. فبعد أن هددني أخوك الحجاج بقطع لساني - وأنا أعلم أنه إذا هدد لم يتقاعس أو يتردد - اضطررت إلى الفرار إلى اليمن متجشما أهوال البحر ومتجشما هموم قلبي ومخاوفي من الغد المجهول:

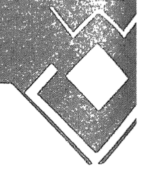
أتتني من الحجاج والبحر بيننا
عقارب تسري والعيون هواجع
فضقت بها ذرعاً وأجهشت خيفة
ولم آمن الحجاج والأمر فاظع
فبت أدير الأمر والرأي ليلتي
وقد أخضلت خدي الدموع التوبع
فلم أر خيراً لي من الصبر إنه
أعف وخير إذ عرتني الفواجع

فلا يغضبنك يا حبيبتي إذ هجوت أخاك الحجاج قائلا:

ففي الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف
إذا شئت منأى لا أبالك واسع
فإن نلتني حجاج فاشتف جاهداً
فإن الذي لا يحفظ الله ضائع

حبيبتي زينب:

وأنا على ظهر السفينة الصغيرة التي اجتزت بها بحر عدن إلى اليمن تهادت في خيالي ذكريات هوانا وما قاسيناه وما أشجانا: فهل تذكرين يا حبيبتي أول



السيدة الجميلة

لقاء لنا وأنت فى سفر لك بين الطائف ومكة؟ لقد راعنى يومها جمالك فما ملكت إلا أن هتفت به متغنيا وكأن الدنيا كانت تتغنى به معى . . فقلت :

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت
به زينب فى نسوة عطرات
ولما رأت ركب النميرى أعرضت
وكن من أن يلقينه حذرات
مررن بفخ رائحات عشية
يلبين للرحمن معتمرات
يخمرن أطراف البنان من التقى
ويخرجن جنح الليل معتجرات
فكدت اشتياقاً نحوها وصبابة
أقطع نفسى إثرها حسرات
فراجعت نفسى والحفيظة بعدما
بللت رداء العصب بالعبرات

وليتنى يا حبيبتى ما نطقت بهذه الأبيات فقد ترنم بها الناس فى كل مكان فأثارت حمية أخيك الحجاج مما جعله يتوعدنى . . فأطلق رجاله للقبض علىَّ ولم أجد مفراً من الاحتماء بأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فاستجرت به فأجارنى وزودنى برسالة إلى أخيك الحجاج يوصيه بى خيرا وألا يتعرض لى بسوء . . وآه يا حبيبتى لو رأيتنى وأنا أقدم إليه رسالة أمير المؤمنين : فلقد قال لى : أنشدنى ما قلت فى زينب ولأعفون عنك . . فما صدقته فى بادىء الأمر ولاسيما حين لمحت سيفه إلى جواره ولكننى لم أجد لى مخرجاً سوى الاعتراف فقلت له : يا سيدى الأمير أنا القائل :

تضوع مسكاً بطن نعمان أن مشت
به زينب فى نسوة عطرات

فقال لى : كذبت والله ما كانت تعطر إذا خرجت من منزلها

فلما قلت له :

ولما رأت ركب النميرى أعرضت
وكن من أن يلقينه حذرات

قال لى : يحق لها أن ترتاع لأنها من نسوة خفرات صالحات

ولما قلت له :

مررن بفخ رائحات عشية
يلبين للرحمن معتمرات

قال لى : صدقت لقد كانت حجاجة صوامة ما علمتها

ولما قلت له :

يخمرن أطراف البنان من التقى
ويخرجن جنح الليل معتجرات

قال لى : صدقت هكذا تفعل المرأة الحرة المسلمة . .

ثم هل تدرين يا زينب يا حبيبتى ماذا حدث بعد ذلك؟ . . حدث مالم أكن أتوقعه ، لقد قال لى : إنى أرى



ارتياعك ارتياع مريب وقولك قول برىء وقد أمنتك .

حبيبتى زينب :

لا أخفى عنك أننى طيلة مقامى فى اليمن كنت فى غاية القلق ففى نهارى كنت أهيم على وجهى بين طرقاتها يحادثنى الناس فلا أعرف ماذا يطلبون ولا بماذا يردون . . وأحياناً كنت أرد عليهم بكلام فألمح على وجوههم علامات من الدهشة أو الاشفاق أو السخرية . . لا أدرى . . أما الليل فآه مما كان يعترينى فيه من أشجان وأحزان كنت استحيى فيه ماضىٌ معكم حيث يتعزى خيالى بذكرياتنا التى كان لنا فيها أجمل اللقاءات ـ بل أحلى اللقاءات . هل تذكرين تلك الليلة التى كان يضم لقاءنا فيها نخبة من صويحباتك الفاتنات الرشيقات؟ . . هل تذكرين ما جرى بينى وبينك . . بل بينى وبينهن من مناقشات ومعابثات؟ . . وهل تذكرين يوم أن أرسلت إلىّ وأنا فى البصرة . .

تقــولـين أن قد فضــحتـنـى
وصـرحـت باسمـى فى النسيب فما تكنى
وأشمـت بى أهـلى وجـل عشـيرتى
ليـهـنـك ما تهواه إن كان ذا يهنى

لقد كانت رسالتك هذه هى سبب نقمة أخيك الحجاج علىّ ورغبته فى التخلص منى وكانت فتنة الخوارج فى البصرة فرصته التى لا تعوض فقرر أن يكون هو على رأس الجيش . . وهنا أدركت أننى قد وقعت فى ضائقة لا قبل لى بها ولا قدرة لى على مواجهتها . . وكيف يا حبيبتى؟ كيف أواجه الحجاج ابن جلا وطلاع الثنايا؟ . . وتلفت حولى عسى أن أجد من يشفع لى عند أخيك فيتوسل إليه أن يغفر لى هذه الزلة . . لكن تبين لى أن الكل كان خائفا من التقرب إليه بكلمة تستعطفه أو تسترحمه . .

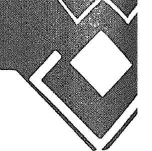
ولما ضاقت بى السبل دعوت الله مفرج الكروب وغافر الذنوب وكاشف كل غمة أن ينقذنى من محنتى ويفرج كربتى . . فاستجاب سبحانه لسؤلى وضراعتى . . فكان أن ذهب والدك شيخنا وسيدنا وحكيمنا يوسف بن الحكم الى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان فخاطبه فى شأنى بل فى شأن حبنا . . بل فى شأن المحبين العاشقين جميعا . . أفتدرين ماذا قال له؟ .

لقد فاتحه فى أمرى بكلام هو أعجب من الخيال ـ لقد قال له : يا أمير المؤمنين إن غلاما منا قال فى ابنتى زينب مالا يزال الرجل يقول مثله فى ابنة عمه ، وأن هذا ـ يعنى ابنه الحجاج ـ لم يزل يتوق إليه ويهيم به وأنت الآن تبعثه إلى ما هنالك وما آمنه عليه .

فما كان من مولانا أمير المؤمنين إلا أن استدعى الحجاج وقال له : إن محمداً النميرى جارى ولا سلطان لك عليه فلا تعرض له . .
وهكذا استطاع شيخنا وسيدنا وحكيمنا «يوسف بن الحكم» أن يحفظ حبنا ويحميه من بطش أخيك الحجاج . .

حبيبتى زينب :

إنه لأمر يدعو إلى الدهشة والعجب فرغم الوساطات والشفاعات ورغم ما يعلمه الحجاج من حبى لك وهيامى بك فإنه ظل جادا فى طلبى ساعيا إلى الايقاع بى . . فماذا أفعل ووجدانى مشبوب بحبك وخيالى مشوق للتغنى





بسحر وصالك؟. يا إلهي.. أعني احتمال غصص الغربة عن وطني وأهلي وحبيبتي.

حبيبتي زينب:

لما كانت أشواق الحب غلابة ومواجيد الغرام مما لايمكن صدها أو إهمالها فإنني لم أجد مناصاً من العودة إلى وطني وأن أواجه مصيري بنفسي.. فعدت وتوجهت إلى الحجاج فور وصولي.. فلما رآني قال لي: إيه يا نميري ألست القائل:

ففى الأرض ذات العرض عنك ابن يوسف
إذا شئت منأى لا أبـالـك واسـع

فإن نلتنى حجاج فاشتف جاهدا
فإن الـذى لا يحفـظ الله ضائـع

فقلت له وأنا متفزع منه: بل أنا الذى أقول:

أخـاف من الحجـاج مالست خائفـا
من الأسـد العـربـاض لم يثنه ذعـر
أخـاف يديـه أن تنـالا مقـالـتـى
بأبـيض غضـب ليس من دونـه ستر

وأنا الذى أقول:

فهـا أنـا طوفت شرقـاً ومغـربـا
وأبـت وقـد دوخـت كل مكـان
فلو كانت العنقـاء يومـاً تطـير بى
لخلتـك إلا أن تصـد ترانـى

وبعدها نظرت الى شفتى الحجاج وأنا لهيف على سماع ما تنفرجان عنه.. ورأيت وسمعت ما أذهلنى لقد تبسم الحجاج وآمننى من خوف ثم قال لى ملمحاً لا تعاود ما تعلم واذهب حيث تشاء.. فخرجت من عنده وأنا لا أصدق ما حدث لى..

حبيبتى زينب:

لقد نزل على خبر زواجك من الشيخ الثقفى الحكم بن أيوب كالصاعقة فزلزل كيانى وأيقنت أننى سأعيش بقية عمرى تعس شقى.. وهكذا كتب الحجاج بتدبيره هذا أن يظل فؤادى ينزف حسرة ولوعة على فراقك مادمت حيا..

غدا يا زينب تذهبين مع الحكم إلى البصرة حيث عينه الحجاج حاكماً عليها.. فبحق ما كان بيننا من حب لا تمقتى أيام حبنا بل اذكريها بخير إن مرطيفها يوماً بخاطرك..



مريم جبر

الحر شديد جدا هذا النهار واولئك المشغولون بالأرقام يقولون بأن درجات الحرارة تسجل ارتفاعا كبيرا فوق المعدل السنوى لها .

«آب» على اواخر عتبات العام يحترق . . وهم يبررون احتراقه بأجهزة وخرائط تحاول الغاء يقينى انما هذا الاحتراق بعض اشتعال الهشيم فى صدرى . . أتوغل فى صفاء الوجود بعيدا عن امرأة ـ وعاء فرغ من كل ما عدا هذا الاحساس المدمى بالاحتراق . . وأتلمس صدق «اللزاب» فى عجلون . . أتنفس شيخوخة الشباب فى مدينة لا تعرف أى امرأة مهملة . .

● لكن الصدر لا يفرغ ولا ينثنى عن رسم شارات من الاستفهام تصير هشيما يغذى نار آب المستعرة ولا ينتهى .

تراخت يدى فجأة فسقط كتاب هو آخر الاشياء التى تشيح بوجهها عنى . . ترفضنى الى حد الازدراء . . غير أن يدا ما تمتد الى بمغلف صغير .

ـ رسالة؟

سرت فى جسدى قشعريرة خفيفة . . منذ زمن بعيد لم تنطبق أصابعى على مغلف أزرق . . أشك فى ان يكون لى .

«سراب» أنه اسمى حقا لكن . . كأننى ما قرأت هذا الاسم من قبل ولا سمعت به ـ كومة اخرى من بقايا الاخضر تصير هشيما ـ لماذا اكون سرابا؟ هل أقفر قاموس الاسماء ـ الالقاب أمام أهلى فلم يجدوا غير هذا الاسم يلصقونه بى؟ .

لو كان لهذه المدينة ـ عجلون ان تنطق لرفضتنى وترابها المعطاء يرفض السراب . . لا يخدع . انت قلت لى ذلك ذات يوم وكنت مازحا فلم أغضب . . لكننى الآن وبعد رحيلك رجعت لنفسى وقلتها غير مازحة .

الرسالة لى . . لكننى لست فى انتظار أى شىء وأى شخص فقط بانتظار ما ينقذنى من براثن هذه النار التى تمتد عبر كيانى فأهرب . . ألوذ بوعى الاخضر فى مدينتى التى استمد منها قدرتى على مواجهة جبنك وتخاذلك .

■ لم أفض غلافها بعد فصحراء العالم ملأى بالسراب الذى أنا بعض منه ولذا فان الشك فى حقى بهذه الرسالة يساورنى لكن الرجل مضى وترك بين يدى هما عنوانه أنا ومدينتى وصندوق البريد ورقم الهاتف حتى لم يبق غير تاريخ ميلادى يصفعنى به لينبهنى ساخرا الى ان هنالك فى العالم الغريب من يفتش عنى . . من يذكرنى برسالة داخل مغلف أزرق .

انقضضت على المغلف بأسنانى اذ لم تقو أصابعى على تمزيق ورقه . الورقة داخله زرقاء ايضا ـ وياليت السماء تمطر ـ ورحت أقرأ .

هربت؟ ان شئت نعم فاعلمى اذن ان لجوئى اليك كان هروبا ايضا . . مم؟ هذا ما تبحثين عنه وهو ما أشك فى قدرة العينين اللتين لم ترتميا الا على قطرات الندى فوق الاخضر تصدقانه عينان ان

العنوان

ارتفعتا فليس أبعد من شجرة «سرو» على تلة فى «عجلون» وان تعمقتا فليس أعمق من نبع فيها لم تشهد عيناك لحظات موتها وموتى فى بيروت. . هل سمعت بهذا الاسم من قبل؟ بيروت التى أقصد ليست تلك التى تعرفينها من خلال نشرات الاخبار وصفحات الصحف ليست بيروت المدينة الارض والسماء والبحر والحصار والدمار و. . . . بيروت التى أحدثك عنها هى الجرح الذى انزلق من بين أصابعى أنينا تناهى حتى الصمت الابدى فى ساحة الجامعة. لم احدثك عن «أمل» التى انتهت بين يدى فجأة وتركتنى فى منتصف الحلم أنتعل شهادتى وأعود الى «عمان» لانك ما سألتنى الا عن الشهادة وجميل انك لم تنسى ان تسأليني عن اخبار بيروت ولم يفتك ان تطلبى وصفاً دقيقا لحالنا وقت الحصار كنت تكتبى عنها شيئا تأخذينه من «شاهد عيان» ينقل لك الصورة كما هى.

لم أحدثك لأنك لم تسألى عنى. فقط سألت نفسك وسألتنى عما تريدين امتلاكه منى فهربت لأنه ليس لدى ما أعطيك حق امتلاكه بصدق. . السطور ما انتهت بعد لكنى لا أستطيع المتابعة. ابتلعت دهشتى ومرارة الكلمات فى حلقى. . حالة من الهذيان المر انتابتنى. . حشوت الورقة فى قلب المغلف وخرجت مسرعة الى اين؟ لا أعى هدفا تسوقنى اليه قدماى المنهكتان وجه العالم ينكشف لى غريبا مستهجن الملامح. . أمعقول كل هذا؟؟

أخبط أرض الشارع بقدمى. . أركض بلا وعى. . ضغط شديد على أذنى وزعيق شديد يخترق مسامعى. . شهقت أمام مكتب البريد وألقيت بالرسالة أمام الموظف.

- هذه الرسالة . . هذه ليست لى. «قلت لاهثة»

نظر إلىَّ بدهشة وتساءل بعد ان تفرس وجهى والرسالة ذات المغلف المفتوح فى يدى:

- نعم؟؟

- الرسالة . . ليست لى. عدت أكرر

- كيف؟؟؛

- (. . . . .)

تأملنى بحيرة وتناول المغلف بحركة عنيفة ألقى عليه نظرة وسألنى:

- ما اسمك يا آنسة؟

- . . . . سراب . .

- أكملى . . الاسم كاملا

لم أستطع اكمال الاسم ولم يحاول هو ان يستوضحنى أكثر.

- ما رقم صندوق البريد الخاص بك؟

- ثـ . . ثـ (١٣).

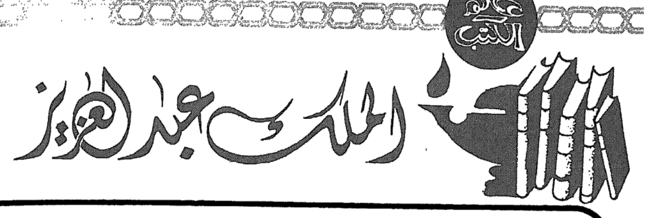
■ كدت أصل مرحلة الاغماء وأنا أنطق الرقم وأفطن الى أنه ذات الرقم المشؤوم وفى هذه اللحظة فقط أدركت مدى شؤمه.

كان الرجل يمطرنى بنظرات من الشك فى قدراتى العقلية مما زاد فى ارتباكى. ومحاولتى لتبرير وجودى الغريب فى المكان.

- هناك خطأ فى العنوان. أكيد. قلت بملء ارتباكى».

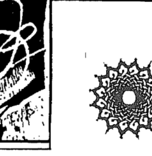
- الرسالة باسمك وعنوانك فهى لك. . تفضلى

● قال بتجهم وراح يضرب بختم على كومة من المغلفات معظمها زرقاء بينما رحت أرقبه باعياء وأخال فى كل واحدة منها خطأ فى العنوان وصفعة تختزل كل عذابات العمر فى رسالة.



عرض وتحليل الدكتور حمد بن ناصر الدخيل

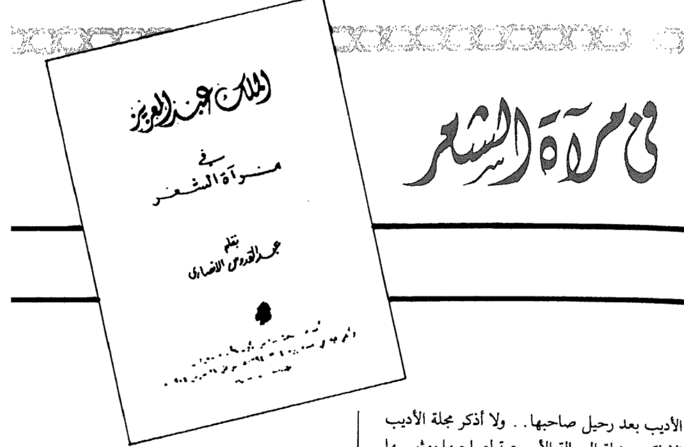




من جميل المصادفات وحسن الاتفاق أن استعرض كتاباً فى مجلة المنهل لمؤسس المنهل الأستاذ عبد القدوس الأنصارى طيب الله ثراه. والاستاذ المؤلف (١٣٢٤هـ-١٤٠٣هـ/ ١٩٠٦م-١٩٨٣م) غنى عن التعريف فهو علم من أعلام النهضة الأدبية الحديثة فى المملكة العربية السعودية ورائد من رواد الصحافة فى العالم العربى له فى ميدان الدراسات الأدبية والتحقيقات التاريخية والجغرافية والأثرية والتراجم آثار بارزة تشهد له بالأستاذية والريادة والتمكن، استطاع أن يؤثل مجده الصحفى والتاريخى ومكانته الأدبية بعصاميته وجهاده وصبره. أمسك بالقلم منذ يفاعته، يحقق ويدرس ويوضح ويشرح وينقد ويرد لم يتوقف ولم يحجم ولم يعتر ذلك القلم ضعف ولا جمود ولا نكوص عما يعتقد أنه حق وصواب حتى انتقل إلى جوار ربه فكان خير مثل للعالم الصبور الدؤوب والأديب المخلص لفنه، تمكن بعزمه وتفانيه أن يضمن لمجلة المنهل مسيرتها الطويلة عبر نصف قرن من الزمان.. وأى فرد يستطيع بجهوده الذاتية وموارده الخاصة المحدودة أن يحافظ على إصدار مجلة تصدر كل شهر طيلة نصف قرن من الزمان؟. إذا كانت هذه المدة تعد قصيرة بالنسبة لمجلة أو صحيفة تدعمها الحكومات او الشركات والمؤسسات التجارية وتضمن صدورها وانتشارها ورواجها إن لم يكن بقيمتها وأهمية ما ينشر فيها فبالنفوذ والمال، إذا كانت هذه المدة قصيرة فإنها تعد بالنسبة لمجلة يقوم على إصدارها شخص فرد بجهوده وموارده الخاصة مدة طويلة تمخضت عن تجربة جديرة بالاعجاب والاشادة.

وفى بلاد الغرب فى بريطانيا بالذات حملت إلينا الأنباء منذ مدة احتجاب صحف ما كان يدور فى خلد أحد أنها ستحتجب فى يوم من الأيام أو على الأقل أنها ستحتجب فى المستقبل المنظور لشهرتها وكثرة قرائها وتاريخها الطويل الذى طالما صافحت فيه وجوه كثير من القراء خلال سنوات متتالية تجاوزت عشرة عقود عدا.

ولا أذكر مجلة المنهل ومؤسسها إلا تبادر إلى ذهنى مجلة الأديب ومؤسسها الأديب الشاعر البير أديب فظروف المجلتين من حيث النشأة والمسيرة وقيامهما على جهد فردى تكاد تتشابه فقد أصدر البير أديب مجلته عام ١٩٤١م والحرب العالمية الثانية قائمة وجحافل هتلر وحلفائه تجتاح العالم وتصليه نارا حامية وحافظ على استمرار صدورها منذ ذلك التاريخ وسط زوابع الفتن والحروب الأهلية الطائفية فى لبنان معتمدا فى ذلك على جهده وصبره وموارده المالية القليلة وتشجيع الأدباء حتى قضى نحبه منذ شهور قلائل وسقط القلم الذى طالما كتب وشعر ولا أعلم ما آل إليه مصير



الأديب بعد رحيل صاحبها . . ولا أذكر مجلة الأديب إلا ذكرت مجلة الرسالة الأسبوعية لصاحبها ومؤسسها الأستاذ احمد حسن الزيات لتماثل فى ظروف النشأة والمشوار وخدمة الأدب على الرغم من تفاوتهما فى المستوى واتجاه صاحبيهما.

ومهما يكن من أمر فإن مجلة المنهل فاقت رصيفتيها طول عمر وتنوع مادة وحاضرها ومستقبلها الشاهد ينبئان بأنها ما تزال تعيش مرحلة شبابها وفتوتها ونرجو أن تمتد هذه المرحلة سنوات طوالا حافلة بالعطاء الخير والانتاج المثمر.

والاسترسال فى ترجمة مؤسس المنهل ومنشئها من تحصيل الحاصل ومن قبيل القول المعاد المكرور فأنت - لا شك - واجد له ترجمة أو ذكرا فى كل كتاب يتحدث عن الأدب السعودى أو النهضة الثقافية والعلمية فى المملكة العربية السعودية ودواعى ترجمته كثيرة منها ما يتصل بمجلة المنهل التى غرس نبتها وتعهدها حتى قوى عودها واشتد وبسقت أغصانها وطاب ثمرها وما كان لها من تأثير جم فى الحركة العلمية والأدبية فى المملكة ولصاحبها من ريادة فى عالم الصحافة ومنها ما يتصل بآثاره المتنوعة فى الأدب والتراجم والتاريخ والرحلات وتحقيق الأماكن


عبد القدوس الانصارى

التاريخية والجغرافية والأثرية ومنها ما يتصل بجهوده فى التربية والتعليم حينما كان أستاذاً للأدب العربى فى مدرسة العلوم الشرعية فى المدينة المنورة التى أنشأها السيد احمد الفيض آبادى عام ١٣٤١هـ بجوار الحرم النبوى الشريف.

ولعل من أبرز الكتب التى ترجمت لأستاذنا كتاب (وحى الصحراء)(١) للأستاذ المرحوم/ محمد سعيد عبد المقصود والأستاذ عبد الله عمر بلخير أمد الله فى عمره وقد صدرت طبعة الكتاب الأولى عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٧م) وهو العام الذى صدر فيه أول عدد من مجلة المنهل وكذلك كتاب الموسوعة الأدبية(٢)

للأستاذ عبد السلام طاهر الساسي.

ومما يجدر ذكره ونحن نتحدث عن المؤلف أن بوادر نبوغه ومشاركته فى التأليف ظهرا فى ريعان شبابه فقد طبعت له مطبعة الترقى بدمشق رواية (التوأمان) سنة ١٣٤٩هـ كما طبعت له عام ١٣٥٣هـ كتابه المشهور (آثار المدينة المنورة) قبل صدور مجلة المنهل بسنتين طبع على نفقة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة لصاحبيها السيد احمد الفيض آبادى وسامى حفظى، وصدر الكتاب بمقدمة شعرية للأستاذ المرحوم أحمد عبيد صاحب كتاب «ذكرى الشاعرين شوقى وحافظ» وأحد أصحاب المكتبة العربية الشهيرة بدمشق ذات الاهتمام بكتب التراث، ولقد تضمن الفهرس الذى أصدرته المكتبة عن محتوياتها من الكتب عام (١٣٥٤/١٣٣٥هـ - ١٩٣٥/١٩٣٩م)، اسم الكتاب فى صفحة ٦١ ومن الطريف أن ثمنه فى ذلك الوقت كما فى الفهرس ٢٣ قرشا سوريا، ثمن قليل جدا بالنسبة لهذه الأيام ولكنه كثير فى ذلك الوقت. ومن الكتب ما ثمنه قرش واحد فى الفهرس، أى ما يعادل هللة سعودية فى الوقت الحاضر.

ومما يستحق الاشادة فى حياة الأستاذ عبد القدوس الأنصارى العلمية والأدبية أن الصحافة لم تصرفه عن المشاركة فى التأليف كما صرفت غيره من كبار الكتاب كالزيات والبير أديب فسوى مجلة المنهل التى يكتب فيها مقالا أو أكثر فى كل عدد طيلة ما يقرب من نصف قرن فقد كان يمد الصحف والمجلات المحلية والعربية بمقالاته وأبحاثه ودراساته وقدم للقارىء العربى خلال هذه الفترة عددا من المؤلفات أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر (تاريخ مدينة جدة) و(طريق الهجرة النبوية) و(ديوان الأنصاريات) والأخير ديوان شعر طبع فى بيروت عام ١٣٨٤هـ.

والكتاب الذى نحن بصدده (الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر) يجلو لنا جانبا من شخصية الأستاذ المؤلف الثرة المتعددة الجوانب من الجانب الأدبى والذاتى والنقدى وعلى الرغم من وجازته وصغر حجمه بالنسبة لاتساع الأبحاث التى تطرق إليها وأهميتها إلا أنه يعتبر جديدا فى موضوعه وفى حدود ما أعلم لا يتوافر فى المكتبة السعودية كتاب مستقل سواه يؤرخ دور الشعر فى تتبع مراحل حياة الملك عبد العزيز ورصد منجزاته الحضارية والثقافية والتاريخية ومعظم الكتب التى تحدثت عن الملك عبد العزيز وعن مسيرة المملكة خلال عهد جلالته تغلب عليها الصبغة التاريخية المحضة.

وتزداد قيمة الكتاب وأهميته للأمور التالية:

١ - معاصرة الأستاذ المؤلف للشعراء الذين تحدث عنهم فى كتابه بل كانت له صلة علمية وأدبية بمعظمهم كما يتضح ذلك من خلال صفحات البحث والاحالات.

٢ - رئاسته لتحرير جريدة أم القرى الجريدة الرسمية للدولة لمدة أربع سنوات (١٣٥٩-١٣٦٢هـ) وصلته المستمرة بها وبمحرريها قبل هذه الفترة وبعدها ومتابعته لأعدادها وما ينشر فيها مما هيأ له فرصة الاطلاع على القصائد التى حبرت فى الملك عبد العزيز وهى فرصة لا يظفر بها من كان فى منأى عن ذلك المصدر المهم الثر.

٣ - مشاركة مجلة المنهل فى نشر بعض القصائد التى أنشدت فى الملك عبد العزيز وتفردها أحيانا بنشر بعض القصائد كقصيدة الشاعر اللبنانى فارس سعد الميمية التى بعثها للملك عبد العزيز فى حياته ثم طواها الشاعر حتى سلمها للمؤلف لينشرها فى المنهل فنشرت له فى شهر رمضان ١٣٩٣هـ أكتوبر ١٩٧٣م.

٤ - إحالته الى المصادر التى اعتمد عليها فى ذكر القصائد والنماذج التى اشتمل عليها الكتاب.

ولم يكن المؤلف الفاضل يريد أن يتوسع فى الموضوع ويورد كل ما يعرفه عنه ولو قصد ذلك لوجد مجال القول ذا سعة وإفاضة وبخاصة وأن الشعراء الذين اتصلوا بالملك عبد العزيز من مختلف الأقطار العربية والاسلامية إبان حكمه الطويل الحافل بالأمجاد

والبطولات والاصلاحات شعراء كثيرون والشعر الذى أنشدوه بين يدى جلالته أو بعثوا به إليه شعر كثير أيضا لا يستوعبه مجلد أو مجلدان ولا يحيط به بحث يلقى فى جمع من الناس.

يقول الأستاذ المؤلف: «لو جمع سائر الشعر الذى قيل فى الملك عبد العزيز لملأ مجلدات ففى عصرنا الحالى لم تنثر درر البيان الشعرى على ملك أو زعيم عربى كما نثرت هذه الدرر على عبد العزيز.

لذلك رأى الاقتصار على أبرز الشعراء الذين اتصلوا بالملك عبد العزيز ومحضوه قصائدهم بالقدر الذى يسمح به الوقت المخصص لإلقاء البحث على المؤتمرين.

وحسب المؤلف فيما صنع فى كتابه أنه عبد الطريق وأقام المعالم ونصب الصوى لمن أراد أن يتوسع فى الموضوع من الباحثين وطلاب الدراسات العليا فى الجامعات.

وقد ذكرنى كتاب الأستاذ عبد القدوس الأنصارى بكتاب صغير كنت قد قرأته للدكتور المرحوم أحمد احمد بدوى استاذ النقد الأدبى سابقاً فى كلية دار العلوم بجامعة القاهرة عنوانه (صلاح الدين الأيوبى بين شعراء عصره وكتابه).

وفى الواقع بين الشخصيتين اللتين يتحدث عنهما الكتابان شخصية صلاح الدين الأيوبى وشخصية الملك عبد العزيز شبه كبير فكلاهما خاض حربا ضروسا فى سبيل العقيدة وتوحيد الكيان.. صلاح الدين حارب الصليبيين فى عدة مواقع وخلص بيت المقدس وأعاد للاسلام مكانته والملك عبد العزيز حرر الأرض من المفسدين والطامعين وأصحاب الفتن وذوى الأغراض وفتح الأماكن المقدسة على مصراعيها للحجاج المسلمين وأعاد للاسلام والعروبة هيبتها المفقودة فى قلوب الأعداء وصلاح الدين أعاد المذهب السنى السلفى بعد أن كان المذهب الفاطمى أو العبيدى هو المذهب السائد فى عدد من البلدان والملك عبد العزيز أحيا دعوة الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب السلفية وحكم الشريعة الاسلامية فى كل كبيرة وصغيرة.

وكلاهما أيضا استقطب اهتمام عدد من شعراء العربية وأدبائها فصلاح الدين رأوا فيه رمز البطولة المفقودة والشجاعة النادرة وتحرير بيت المقدس من نير الصليبين وعبد العزيز رأوا فيه زعيم الإصلاح ورائد التجربة الفذة فى توحيد كيان المملكة وأخذها بأسباب الحضارة الحديثة.

وكتاب «الملك عبد العزيز فى مرآة الشعر» يصنف ضمن الكتب الأدبية الموضوعية التى تجمع بين الفائدة والمتعة وبين الخبر التاريخى والتحليل الأدبى.. تقرؤه فلا تمل قراءته حتى تأتى على آخر فصوله يتنقل بك من فائدة إلى فائدة ومن حقيقة إلى أخرى تحس أنها غائبة عنك أو لا تجدها فى كتاب آخر أو لا تظفر بها مجموعة لك فى كتاب سهل التناول خفيف المحمل.. وتأليف هذا الكتاب فكرة انبثقت من المؤتمر الأول للأدباء السعوديين الذى عقدته جامعة الملك عبد العزيز فى حى الزاهر بمكة المكرمة فى شهر ربيع الأول من عام ١٣٩٤هـ (مارس - آذار - ١٩٧٤م) وكانت الجامعة قد وجهت دعوة إلى الأدباء السعوديين تدعوهم فيها إلى المشاركة فى المؤتمر وضمنتها سبعين موضوعاً من بينها موضوع الكتاب ليختار العضو المشارك واحدا منها يتحدث فيه إلى المؤتمر، فكان أن اختار المؤلف الفاضل هذا الموضوع وكانت أيضا لفتة كريمة من الجامعة التى حملت اسم المؤسس الملك عبد العزيز أن تخصص بعض بحوث المؤتمر ومحاضراته للحديث عن الحركة الأدبية فى عهد الملك عبد العزيز (١٣١٩-١٣٧٣هـ (١٩٠٢-١٩٥٣م) رحمه الله فكان هذا البحث وقد ألقاه الأستاذ الكريم على المؤتمرين فى مساء يوم ١٣٩٤/٣/٤هـ (٢٧مارس ١٩٧٤م).

وقد نشر البحث ضمن بحوث المؤتمر فى المجلد الثانى (ص٥٠٧-٦١٥) عام ١٣٩٤هـ وطبع فى العام نفسه بمكة المكرمة فى مؤسسة مكة للطباعة والاعلام فى ١٢٣ صفحة ثم نشرته دارة الملك عبد العزيز حكم اختصاصها فى مثل هذا الموضوع فى سلسلة مطبوعاتها بالتعاون مع دار

العمير للثقافة والنشر عام ١٤٠٣/١٩٨٣م فى ١٣٦ صفحة.

وقبل أن نستعرض مضمون الكتاب لابد من الاشارة الى منهج البحث الذى اختطه المؤلف الفاضل وأوجزه فى النقاط التالية فذكره يغنى عن الكلام الكثير:

١ ـ التعريف بالشاعر المختار وبعض شعره تعريفا موجزاً مركزاً وإبراز خصائص شاعريته فى إيجاز.

٢ ـ إيراد مقتطفات مختارة من قصيدة أو قصيدتين أو ثلاث أو أربع للشاعر.

٣ ـ تحليل تلك المقتطفات وإبراز مراكز الجمال فيها.

٤ ـ مقارنتها بغيرها إذا اقتضى الحال ذلك.

٥ ـ تحليل مفاخر الملك عبد العزيز على ضوء المختار من الشعر الذى قيل فيه والمدون فى هذا البحث.

٦ ـ دعم الأبحاث بما تضمه أطرها من مناسبات تاريخية وأدبية ولغوية واجتماعية وعمرانية واقتصادية . . الخ.

٧ ـ ذكر المصادر والمراجع فى هوامش الصفحات.

ثم يوجز لنا المؤلف فى بضعة أسطر فحوى الكتاب بقوله: «قد اخترت قصائد وملاحم شعرية لعشرين شاعرا عربيا نظموا عقودها فى سيرة جلالته، وتغنوا بمكارمه ومفاخره وبطولته النادرة وعبقريته وكرمه الحاتمى الفياض وسياسته العربية الاسلامية الحكيمة وثباته على المبدأ الحميد والخلق النظيف السديد وحنوه على شعبه وتأسيسه لهم هذه المملكة وتوحيده لشمل أبنائها وبناء كيان لهم كريم عزيز.

وقد وضع أولئك الشعراء العشرين تحت قسمين رئيسيين:

القسم الأول:

شعر الملامح وهو الذى يصف ويصور الشمائل والملامح والمفاخر والمآثر وقد انتظم هذا القسم قصائد ومختارات لتسعة عشر شاعراً من شعراء المملكة وأقطار عربية وإسلامية أذكرهم بحسب ترتيبهم الهجائى فى الكتاب مشيراً إلى القطر الذى ينتمى إليه كل شاعر إذا لم يكن من شعراء المملكة:

«احمد بن ابراهيم الغزاوى . . احمد فتحى (مصر) . . احمد قنديل . . حسين عرب . . خير الدين الزركلى . . سليم أبو الاقبال اليعقوبى (فلسطين) . . عباس محمود العقاد (مصر) . . عبد المحسن الكاظمى (العراق) . . عبيد مدنى . . على احمد باكثير (مصر) . . على بن محمد السنوسى . . فؤاد الخطيب . . فؤاد شاكر . . فارس الأسعد (لبنان) . . محمد احمد العقيلى . . محمد بن بليهد . . محمد بن عثيمين . . محمد بن على السنوسى . . نظر احمد السهسوانى (الهند).

القسم الثانى:

شعر الملاحم وقد عرفه المؤلف بأنه الشعر المعروف بشموله لكل من سيرة البطل الذى نظمت فيه الملحمة الشعرية وسير أسلافه وأوضاعهم وسير خصومه وأوضاعهم وانتصاراته الحاسمة وهزائمه إلى بطولات أخرى مقارنة أو مقاربة والى احداث أخرى جسام استطاع طائر الشعر المحلق أن يضمها بين جناحيه وأن يؤلف بينها وأن يربط بعضها ببعض بخيط رقيق من نسج الخيال المحلق فى سائر الأجواء المتألقة والقاتمة على السواء.

وقد تضمن هذا القسم الحديث عن الشاعر خالد بن محمد الفرج وملحمته «**أحسن القصص**».

وإذا كان المجال لا يتسع لأن نقف عند كل شاعر من الشعراء المذكورين لتوضيح جوانب من حياته وأدبه وشعره وبخاصة فيما يتصل بموضوع الكتاب إلا أننى أود أن أقف عند شاعرين اثنين كان لأولهما منزلة أدبية وفكرية رفيعة فى الأدب العربى الحديث وهو عباس محمود العقاد (١٨٨٩ـ١٩٦٤م) وكان لثانيهما ريادة الشعر الملحمى فى الأدب السعودى وهو خالد بن محمد الفرج (١٨٩٨ـ١٩٥٤م).

فقد كان العقاد عضو بعثة الشرف التى قدمت من مصر الى جدة لمرافقة الملك عبد العزيز فى زيارته

الثانية لمصر عام ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م وألقى بين يدى جلالتـه قصيـدتـه الهمـزيـة فى اليخت الملكى (المحروسة) يوم الثلاثاء الموافق ٥ صفر ١٣٦٥هـ ٧ ينـايـر (كـانون الثانى) ١٩٤٦م وكان يصادف يوم ذكرى جلوس جلالته:

■ يقول فيها:

أسـد العـرين يخوض غيـل المـاء
يا بحـر راضـك قاهـر الصحـراء
حيـاك باديـهـا وحـاضـرها معـا
فاغـنـم تحيـة يومـه الـوضـاء
يوم من الـبـشـرى يردد ذكـره
ركـب الـسفـين وجـيرة البيـداء
عش يا طويـل العمـر عيش معمر
تحيـى به أمـم من الأحـيـاء
ما خص طالعـك الـريـاض بيمنـه
بل فاض من عمم على الأرجـاء

● إلى آخر أبيات القصيدة.

وقد نشر العقاد مقالا له بعنوان **(مع عاهل الجزيرة العربية)** فى مجلة «الكتاب» بتاريخ صفر ١٣٦٥هـ (فبراير ١٩٤٦) ثم أضيفت القصيدة إلى المقال وطبعا فى كتاب يحمل العنوان نفسه فى المطبعة العصرية فى بيروت.

أما خالد الفرج فقد أنشأ ملحمة شعرية خاصة بسيرة الملك عبد العزيز وأعماله وبطولاته منذ ولادته عام ١٢٩٣هـ حتى عام ١٣٤٨هـ سماها (أحسن القصص) طبعت فى المطبعة العربية بمصر عام ١٣٥٠هـ وتتكون من ١٣١ صفحة من القطع المتوسط وقد قدمها المؤلف لجلالته بعد طبعها وقال فى مقدمتها: «أما بعد يا صاحب الجلالة إن من المأثور عن جلالتكم هذه الكلمة الحكيمة: (أحب سماع الشعر ولكن نوعين منه لا أحبهما: الهجو والغلو فى المديح وهذه منظومة تحتوى على سيرة جلالتكم نظمتها للحقيقة والتاريخ فلا مبالغة فيها ولا تحامل على أحد وليست سوى صدى لأعمال توجتم بها هام العروبة بأكاليل



الفخار وصفحات بيضاء خالدة أضفتموها الى تاريخ العرب المجيد أنتم أعلم بدقائقها وجلائلها.. نظمتها للأمة العربية التى رفعت رأسها بكم وبأعمالكم المجيدة الخالدة أطال الله بقاءكم حتى تتم للأمة العربية أمانيها على يدكم).

● والملحمة طويلة تقع فى عشرين فصلا وكل فصل يشتمل على موضوع خاص به وقد نظمها على بحر الخفيف لمناسبته لانشاء المطولات والملاحم وجعلها سباعية الأشطار التزم فى الشطر السابع حرف روى واحدٍ هو الراء المسبوقة بألف ومطلعها:

هو ذا الـدهـر أكـبر الأسـفـار
فيـه أسمى العظـات والاعتبـار
ما الـليـالـى فيـه سوى أسطـار
فى طروس من نسـج ضوء النهـار
ملئـت من تقـادم الأعـصـار
صفـحـات ملئـن بالأخـبـار
لذوى الاتعاظ والأبصار

وعلى ذكر ملحمته (أحسن القصص) يحسن أن أشير إلى أن له ملحمتين(٣) أخريين ملحمة بائية فى تاريخ نجد منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أن استقام الأمر للملك عبد العزيز بتوحيد الجزيرة العربية تحت راية

واحدة وتتضمن الملحمة أكثر من ٥٠٠ بيت وأخرى لامية سماها الشاعر (الملحمة الذهبية) نظمها بمناسبة مرور خمسين سنة على استعادة الملك عبد العزيز ملك آبائه وأجداده منذ افتتاحه الرياض فى شوال عام ١٣١٩هـ/يناير ١٩٠٢م.

ولم يتحدث الأستاذ المؤلف عن ملحمة بولس سلامة الشاعر اللبنانى (ملحمة عيد الرياض) لأنها - فيما ذكر - تعرضت كثيرا لأحداث خارجة عن نطاق موضوعها.

وما دمنا فى ذكر الملاحم الخاصة بتاريخ الملك عبد العزيز طيب الله ثراه أحب أن أشير الى ملحمة (امجاد الرياض) فى حياة المغفور له جلالة الملك عبد العزيز (١٢٩٣هـ/ ١٣٧٣هـ - ١٨٧٦/١٩٥٣م) للشاعر الدكتور محمد العيد الخطراوى وهى خاصة كما يفهم من العنوان بالحديث عن أعمال الملك عبد العزيز وبطولاته ومناقبه وتتكون من ٢٤ نشيدا قصيرا ولكل نشيد قافية مستقلة ولكنه اعتمد الردف فى جميع أبيات الملحمة فجاءت قوافيه مردفة موصولة بحرف مد والتزم فى الملحمة بحراً واحداً هو الخفيف وقد ألقيت فى مؤتمر الأدباء السعوديين الأول الذى ألقى فيه البحث الذى نحن بصدد عرضه ثم طبعت فى مطبعة الدنيا بدمشق فى ١٣١ صفحة من القطع الصغير.

ولم يشر المؤلف الفاضل إلى هذه الملحمة لأنها نشرت بعد تأليف كتابه.

●● رحم الله المؤلف فقد قدم الكثير لشعراء الضاد من آثار فى الفكر والتاريخ والأدب.

الهوامش

(١) وحى الصحراء ص: ٢٤١-٢٦٠ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م جدة.

(٢) الموسوعة الأدبية (٣/١٠٣-١١٠) الطبعة الأولى مكة المكرمة ١٤٠٠هـ مطبوعات نادى الطائف الأدبى.

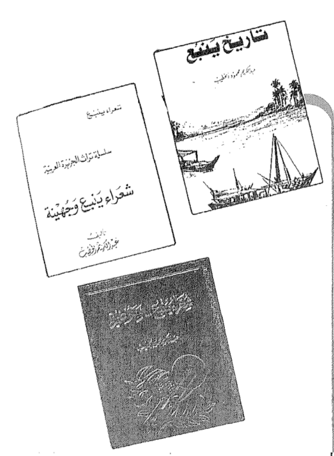
(٣) خالد الفرج حياته وآثاره لخالد سعود الزيد ص: ١١٢ الطبعة الثانية ١٩٨٠م الكويت.



●● الأستاذ عبد الكريم الخطيب أهدى «المنهل» ثلاثة كتب من مؤلفاته تدور حول «ينبع».

(١) «تاريخ ينبع» مطابع الشرق الاوسط/ الرياض - فى خمسة فصول تناول فيها: التاريخ القديم لـ(ينبع) - الحياة العامة - تاريخ ينبع السياسى - ثم ينبع فى كتب التاريخ.

(٢) كتاب «شعراء ينبع وجهينة» مطبعة الحضارة العربية / الفجالة/ مصر/ تناول فيه عددا من شعراء ينبع بعامة وشعراء جهينة بخاصة.



(٣) «شعراء ينبع وبنو ضمرة» منشورات مؤسسة الأصالة للثقافة والنشر/ الرياض تتبع فيه: قبيلة بنى ضمرة ومنازلهم فى ينبع - نسبة كثير عزة لينبع - نسبة ونسب بنى عزة - رحيل بنى ضمرة وجهينة الى مصر - كثير وعزة بمصر - شعر كثير - وتناول بالحديث الشاعر نصيب بن رباح من شعراء بنى ضمرة.

●● «مع الأيام» و«الأحاديث والذكر» كتابان من جديد الأستاذ شكيب الأموى طباعة دار العلم للطباعة والنشر ١٤٠٦هـ . . من القطع الكبير . . يضمان بين صفحاتها مجموعة متنوعة من المقالات والخواطر فى الادب ـ الثقافة ـ السياسة ـ الاجتماع وغيرها مما سبق ان نشره المؤلف فى عدة صحف سعودية





منها: الندوة ـ البلاد ـ عكاظ والمدينة . . وترجع الى عام ١٣٨٤هـ وما بعدها . . الكتابان يمثلان سجلا حافلا لذكريات خالدة ومواقف وأحاديث يطيب استرجاعها واستذكارها . . ومن «أرشيفه» الخاص يختم صفحات الكتابين بمجموعة من الصور النادرة .

●● فى سلسلة «المكتبة الصغيرة» اصدرت دار الرفاعى مجموعة مختارة من المؤلفات منها:



«أبو دلف الخزرجى عبقرى من ينبع» تأليف الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى . . أبو دلف أحد مشاهير ينبع وأحد اعلام التاريخ (الطبعة الرابعة) شاعر عاش فى عصر المتنبى والشريف الرضى ـ رحالة جاب الآفاق وجغرافى ترك آثاراً جغرافية ـ جيولوجى عربى له إلمام واسع بالحفريات .

«عبد الله بن رواحة رائد شعر الجهاد الاسلامى» تأليف الدكتور محمد بن سعد الشويعر تناول فيه نسب الشاعر ومكانته ـ سيرته ـ مكانته الشعرية ـ قضية الالتزام فى شعره .

«القاضى عياض» تأليف الأستاذ عبد الله كنون جاء الكتاب فى ثلاثة فصول: مساهمة المغرب بين الادب والعلم فى بناء الحضارة العربية والعلوم الاسلامية ـ القاضى عياض عالماً ـ القاضى عياض أديبا . .





«الحج فى الأدب العربى» تأليف الأستاذ عبد العزيز الرفاعى (الطبعة الثانية) كتيب شيق يصحبك فى رحلة شعائر الحج وأماكنها من خلال وصف الشعراء لها ووقوفهم عندها وتأملهم فيها منذ الجاهلية حتى الآن . . ويستعرض الكتيب أيضا أثر الحج فى الرحلات والمؤلفات وحفظ التراث .





«أم عمارة الصحابية الباسلة» للأستاذ عبد العزيز الرفاعى يحكى فيه أسرة ونسب وسيرة هذه الصحابية الجليلة وجهادها فى سبيل الله سبحانه .

● وضمن مطبوعات «المكتبة الصغيرة» مؤلف للدكتور عبده بدوى بعنوان (نجوم فى آفاق العربية) تناول فيه خمس عشرة شخصية من الأعلام كان لهم دورهم ومركزهم العلمى فى الدراسات العربية منهم: أبو الاسود الدولى ـ الفراء ـ حمزة الاصفهانى ـ الجرجانى ـ ابن الجوزى ـ أبو حيان . . وغيرهم .





«مذنب هالى عبر التاريخ العربى» تأليف الأستاذ محمد زاهد عبد الفتاح أبو غدة . . تتبع فيه المؤلف تاريخ المذنب وفترات ظهوره منذ القدم وورده فى الشعر العربى وما ذكرته عنه كتب التاريخ العربى . .



المد الثقافى للمملكة فى المانيا

●● المملكة العربية السعودية فى منهاج نهضتها الحديثة الذى اختطته عملت جادة بكل وسعها وطاقتها للافادة مما وصلت اليه الدول المتقدمة فى المجالات العلمية والتقنية . . ومن أجل ذلك أقامت المملكة جسورا من التعاون مع كثير من الدول الاوربية فى مجالات التجارة والاقتصاد والعلوم والتدريب والتعليم والصناعة وغيرها من المجالات الحيوية الاخرى . . وامتدت جسور التعاون واللقاء لتشمل الجانب الثقافى . . والذى استطاعت المملكة من خلاله أن تعرِّف نفسها وتوقف تلك الدول على قيم وحضارة وتراث المملكة وما حققته الآن من تقدم وازدهار فى كل جوانب حياتها العامرة . .

وترجع بداية هذه التجربة الى عام ١٩٥٨م حينما ابتعثت المملكة عدداً من الطلاب الى المانيا وتتابعت صور التعاون الثقافى حيث اقامت المملكة فى مدينة (بون) معرضاً فنياً لمجموعة من اللوحات الفنية والقطع الأثرية . . وقدمت فرقة الفلكور الشعبى السعودية استعراضا للرقصات الشعبية . . وفى مدينة (كولون) اقيم معرض (الرياض بين الأمس واليوم) ثم انتقل الى عدة مدن فى المانيا وقد لاقى اقبالا كبيرا مما يدل على رغبة تلك الشعوب فى الاطلاع على معالم النهضة والتعرف على الثقافة والحضارة العربية . . وبصفة سنوية تشارك المملكة ممثلة بوزارة التعليم العالى فى معرض الكتاب الدولى السنوى الذى يقام فى مدينة فرانكفورت .

ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية على تعاون وثيق بوزارة البحث العلمى ومختلف مراكز البحوث فى المانيا . . كما يوجد تعاون مشترك بين هيئة التعاون الفنى (GTZ) وبين المؤسسة العامة للتعليم الفنى والتدريب المهنى فى المملكة حيث يوجد عدد من المدرسين فى جامعات كاسل وهامبورج وهانوفر للتحضير للدراسات العليا . . علاوة على البعثات التدريبية فى عدة مجالات منها : البرق والبريد والهاتف . . الزراعة ـ المصانع الحربية .

وفى هذا الاطار التعاونى العام نلمس التعاون العلمى المشترك بين جامعة الملك سعود بالرياض وجامعة تيبنجن العريقة إذ يدرس فيها عدد من الطلاب السعوديين للتخصص فى الدراسات الطبية ـ هذا اضافة الى تبادل الاساتذة والبحث العلمى بينهما وهذا ينسحب على كثير من الجامعات الالمانية التى ابدت رغبتها فى مثل هذا التعاون العلمى بين الجامعات والمؤسسات العلمية فى المملكة .

د . العثيمين امينا عاما لجائزة الملك فيصل

الدكتور عبد الله العثيمين استاذ التاريخ فى كلية الآداب بجامعة الملك سعود والباحث المعروف اختير امينا عاما لجائزة الملك فيصل العالمية خلفا للدكتور احمد محمد الضبيب الذى اصبح وكيلا لجامعة الملك سعود للبحوث العلمية والدراسات العليا بعد سنوات من العمل المبدع فى امانة الجائزة .

● فى شهر نوفمبر القادم وفى إطار الحركة الثقافية لدول مجلس التعاون الخليجى تستضيف دولة «قطر» الشقيقة مهرجان القصة والشعر فى دول الخليج . . تشارك فيه كل دولة بستة من المبدعين فى تلك المجالات المعينة ويتخلل المهرجان عرضا للفنون الشعبية الخليجية .


احمد الباقورى


د . عبد المنعم النمر


د . عز الدين اسماعيل

● فى مصر أعلن المجلس الأعلى للثقافة اسماء الفائزين بجوائز الدولة التقديرية للفنون والآداب وجائزة الدولة التشجيعية أيضا لعام ١٩٨٥م .

وكانت الجوائز التقديرية فى مجال الآداب من نصيب الدكتور عز الدين اسماعيل والدكتور عبد المنعم النمر . . وفاز بجائزة العلوم الاجتماعية الدكتور جمال حمدان واسم المرحوم احمد حسن الباقورى والدكتور محمد أبو الوفا التفتازانى . . اما التشجيعية فقد منحت فى مجالات : الفنون الشعبية ـ التصوير ـ القصة القصيرة ـ الشعر ـ الدراسات الادبية ـ الفلسفة ـ المسرح ـ والقانون .

مهرجان جرش



د. الحازمى — عبد الله الشهيل

مع مطلع هذا الشهر بدأت اعمال (مهرجان جرش) الخامس للثقافة والفنون فى العاصمة الأردنية وعمان.. ومن أبرز سمات هذا المهرجان شموليته وعالميته حيث اشتركت فيه وفود عربية وأوربية تمثل جوانب الثقافات المتعددة.. ومن اعمال المهرجان: أمسيات شعرية ـ ندوات ومحاضرات تناولت مدارس الشعر والادب فى الوطن العربى ـ معارض للكتب ـ معارض للفن التشكيلى والصناعات المحلية والآثار ـ عروض مسرحية شملت مسرحيات محلية أردنية وغيرها.. وقد شارك فى هذا المهرجان من المملكة العربية السعودية وفد ادبى مكون من: الاستاذ عبد الله محمد الشهيل ـ الدكتور منصور ابراهيم الحازمى والدكتور عبد المحسن بن فراج القحطانى والدكتور محمد العيد الخطراوى والشاعر على عبد الله مهدى.



د. منصور التركى — د. عبد الرحمن الانصارى

مع كتاب العقود الثلاثة

● فى شهر ربيع الثانى ١٤٠٧هـ تكمل جامعة الملك سعود عقدها الثالث بإذن الله سائرة فى سبيل العلم وبهذه المناسبة تعمل الجامعة على اصدار كتاب عن مسيرة الجامعة العلمية والثقافية والاجتماعية.. ويرأس اللجنة الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصارى رئيس قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب والمشرف على عمادة مركز خدمة المجتمع والتعليم وتضم عدداً من أساتذة الجامعة واقسامها الأخرى.. وينتظر من هذا الكتاب أن يكون حافلا بالدور الأدائى المتصاعد دائماً لهذه الجامعة الام

مسابقة إحياء التراث لعام ١٩٨٧/٨٦م (مصر)

يعلن مجمع اللغة العربية عن جائزة سنوية قيمتها ١٥٠٠ (ألف وخمس مائة جنيه) ذات مستويين جائزة أولى وقيمتها (١٠٠٠ جنيه) وثانية وقيمتها (٥٠٠ جنيه) تمنح لأجود ما يقدم إليه من التراث العربى الذى ينشر لأول مرة محققا تحقيقا منهجيا فى اللغة العربية بالشروط الآتية:

١ ـ أن يكون العمل المقدم فى متن اللغة العربية أو فى أحد علومها أو فى نص من نصوصها الأدبية (شعرا أو نثرا).

٢ ـ تعد النصوص من التراث العربى إذا كانت مؤلفة باللغة العربية قبل نهاية القرن الثانى عشر الهجرى.

٣ ـ ألا يقل النص المحقق عن خمس عشرة ملزمة من ذوات الست عشرة صفحة ولا تحسب فيها المقدمة ولا الفهارس.

٤ ـ ألا يكون العمل المقدم قد سبق تحقيقه تحقيقا علميا.

٥ ـ ألا يكون من منشورات مجمع اللغة العربية فى القاهرة.

٦ ـ ألا يكون قد مضى على نشره أكثر من خمس سنوات والمعتبر فى ذلك تاريخ آخر جزء (إن كان ذا أجزاء).

٧ ـ ألا يكون النص المقدم قد نال جائزة ما ـ من أية جهة أو هيئة من الهيئات أو سبق تقديمه لدرجة علمية.

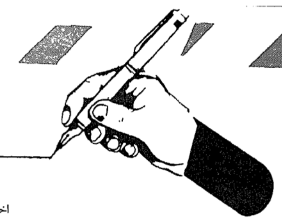
٨ ـ يجوز أن يكون العمل المقدم من تحقيق فرد أو أكثر كما يجوز أن يشارك المحقق أو المحققين مراجع أو أكثر وفى حالة تعدد المحققين أو مشاركة المراجعين توزع الجائزة على المحققين بالتساوى مع تخصيص ربع الجائزة للمراجعين.

٩ ـ أن يكون الكتاب المقدم جيد الطباعة حسن الاخراج.

١٠ ـ يستوى فى التقدم الى هذه الجائزة جميع المشتغلين بتحقيق التراث العربى من المصريين وسائر العرب وغيرهم.

١١ ـ يقدم المتسابق ست نسخ من العمل المحقق الى المجمع باسم الأستاذ الأمين العام للمجمع وليس له الحق فى استردادها.

١٢ ـ آخر موعد للتقدم الى الجائزة هو ٣١ من مارس سنة ١٩٨٧م.



● استطلاعات المنهل

الاستاذ نبيه الانصارى
تحية طيبة وبعد . .
فأنا شاكر لكم كل الشكر على كريم إهـدائكم وسعيـد كل السعـادة بتلك السيـاحـة الـداخلية التى اضطلع بها الدكتور ضاحى وهو مجمعى قديم.
وقد درج المجمع زمنا غير قصير على أن يعمـل فى صمت وأذكر أنى سميت أعضـاءه يوم أن انضممت اليهم باسم «اصحاب الصومعة» الذين حرصوا على أن يعملوا فى صمت وأن يتفانوا فى خدمة اللغة.
وقد آتى عمله ثمارا وأخرج ما أخرج من قرارات حول تيسير اللغة متنا وتركيبا وكتابة واملاءا.
وتفضلتم فقدمتم لقراء مجلتكم صورة مفصلة عن تلك الجهـود الطـويلة ونحن نرحب بهذا التعـاون الصـادق فى سبيـل اللغة كل الترحيب.
وتفضلوا بقبـول شكـرى مرة أخرى وأصدق تحياتى.

رئيس المجمع
د. ابراهيم مدكور

المنهل:
نشكـر لسيـادتكم هذا التـواصل العلمى ونعدكم اننا مستمرون ان شاء الله فى التعـريف بمـراكـز الاشعـاع العلمى والثقافى فى وطننا العربى الاسلامى لنعطى القارىء العربى ولو شيئا يسيرا عن الجهد المبذول من اجل الحفاظ على لغتنا العربية المقدسة وتراثنا المجيد . .

اخى الاستاذ/ نبيه بن عبد القدوس الانصارى
صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:
بسـرور تلقيت رسالتكم رقم ٦٢٥٠ وتاريخ ١٤٠٦/٨/٢٤هـ المرفق بها نسخة من العدد (٤٤٥) الخاص بالثقافة العربية.
وبـاطـلاعى على العـدد شعرت بسعادة غامرة للجهد الكبير المبذول شكلا ومضمـونـا بحيث يعـد هذا العـدد وثيقة للدارسـين والباحثين فى المستقبل كما يعد خطـوة متميـزة فى الصحافة السعودية . . وهذا يعكس طموحكم وطموح القائمين على المجلة الـرائدة فى بلادنا كما يعكس قدرة أبناء هذا البلد المقدس على العطاء الجيد.
أعمق تحياتى الصادقة مقرونة بالتهانى القلبية أملاً فى أن نرى «المنهل» منهلا دائما للثقافة الجيدة والفكر البنّاء وأرجو أن تنقلوا تحياتى إلى كل العاملين فى هذه المجلة.
وتقبلوا أصدق تحياتى . .

رئيس تحرير مجلة الفيصل
علوى طه الصافى

المنهل: نشكـر لسيـادتكم هذا التقـدير ونحن على الدرب سائرون فى خدمة هذا الصرح الثقافى الشامخ بعونه تعالى.

● عـدد الثقافـة . . ودعـوة مشاركـة

اخى الاستاذ نبيه الانصارى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
شكـرا من الاعماق على هديتكم العظيمـة آخـر عدد ٤٤٥ وهـو العـدد المخصص السنوى عن الثقافة العربية فى القرن (١٤هـ).
ولو انى بعد لم أمعن فى قراءته الا أنى أثق انه سيكون حافلا لانى اعرف ذوقكم الرفيع فى اختيار المواضيع الشائقة.
اشكـركم ايضـا على دعـوتكم لى للاشتراك فى المنهل ببعض انتاجى وأبعث لكم ببعض القصائد (هدية منى للمنهل).
لك منى خالص الحب واشكر لك كل هذه العناية وانت لا شك ابن أبيك اخلاقا وسماحة وكرم طبع زادك الله من فضله وبره ومتعك بهذه الروح الطيبة الكريمة.

المخلص
يحيى توفيق حسن



المنهل:
نشكـر لكم هذا التـواصـل واهـلا بجـديـد انتـاجكم الشعـرى يتصدر مكانه اللائق به على صفحات مجلتـكم المنهـل . . هذا وسننشـر قصائدكم الواردة لنا تباعا ان شاء الله.

إلى شباب السودان

السيد رئيس تحرير مجلة المنهل
تحية طيبة مباركة من عند الله . .
نحن فى السودان ندرك ادراكا واعيا بان الدول العربية الشقيقة ظلت تدعم السودان من اجل ان يتطور زراعيا حتى يصبح سلة غذاء العالم العربى وافريقيا ومن ثم سلة غذاء العالم كله . . ولكن الذى حدث فى بلادنا هو عكس هذا . . لقد حلت المجاعة ببلادنا واخذنا نطلب العون الغذائى من كل دول العالم والمجاعة فى السودان وافريقيا مأساة انسانية إلا اننا نرى اهمية الاسهام فى ان يصبح هذا البلد العربى الافريقى الكبير بلداً زراعيا حتى ينهض بمسئولياته تجاه وطنه العربى الكبير وقارته الافريقية والمجتمع الدولى.

والرأى هو ان نتجه نحو التعمير الزراعى وان يبنى اقتصاد السودان على الزراعة التقليدية والآلية والزراعة بشقيها النباتى والحيوانى . .

المؤتمر الاقتصادى الذى عقد اخيرا بالخرطوم اعد له اعداداً جيدا فقد سبقته ثمانية مؤتمرات قطاعية تبلورت فى وضع اطار ومؤشرات لخطة انقاذية سريعة لمدة ثلاث سنوات ثم خطة ممتدة.

اى خطة لا يضمن نجاحها إن لم تدعم بالعمل ـ واهل السودان معظمهم زراع واراضيهم الصالحة للزراعة ملايين الافدنة ولو زرع كل سودانى فداناً لما تعرضنا لمجاعة ولكننا اخطأنا عندما اعتقدنا ان التقدم والمدنية فى الهجرة من المدينة الى العاصمة او عواصم الاقاليم . . ذلك مفهوم خاطىء ولكنه موجود ليس فى السودان وحده وانما فى معظم البلاد النامية وعكس هذا المفهوم تجده فى البلاد الأوروبية.

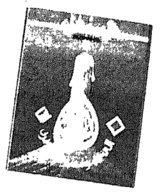
فهل نصحح هذا المفهوم الخاطىء . ؟

كمال دقيل فريد
ام درمان/ السودان

المنهل:

هذه دعوة صداقة من أحد شبان السودان فارجو ان تجد الاذن الصاغية من اهل هذا البلد العربى المسلم وننشرها على صفحات المنهل حرصا منا على رسالة الصحافة الهادفة والموجهة.

□□□□□





المنهل: منبر ثقافة

الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى
صاحب ورئيس تحرير مجلة المنهل
بعد التحية . .

لقد اثلجت صدرى رسالتكم الكريمة رقم ٦١٦٦ وتاريخ ١٤٠٦/٦/٢٩هـ التى بعثتم بها الى وارفقتم بها نسخة من العدد الأخير لمجلتكم الموقرة تلك الرسالة التى دعوتمونى من خلالها الى المشاركة بارسال انتاجى الأدبى ليأخذ طريقه الى النشر فى مجلتكم الموقرة.

انه لشرف عظيم لى أن أكون احد كتاب هذه المجلة التى أصبحت بحق منبرا من منابر الثقافة والمعرفة فى بلادنا وما المواضيع التى تضمها هذه المجلة شهريا الا دليل قاطع على المنهج السليم الذى اتخذه مؤسسها والدكم المغفور له الشيخ عبد القدوس الانصارى وهو المنهج الذى جعل بث الوعى العلمى والأدبى والثقافى بصورة عامة اساسا هاما من الأساسات التى قامت عليها فكرة هذه المجلة ولا ريب أن هذه الافكار فى جملتها دعائم قوية لرفع بناء معالم ثقافية اجتذبت الكثير من ادباء العالم العربى وجعلت من المجلة رمزا حيا للجهاد فى سبيل تدعيم اللغة العربية.

وختاما لك شكرى وتقديرى وأرفق لكم قصيدتين هما آخر انتاجى الشعرى أرجو ان حازتا على رضاكم ونالتا استحسانكم ان تأخذا طريقهما الى النشر.

وتقبلوا اسمى آيات الشكر والتقدير . .

المخلص
احمد سالم باعطب

المنهل:

نرحب بانتاج شاعرنا واهلا به وبانتاج اقرانه من شعرائنا السعوديين الشبان على صفحات مجلتنا الداخلية «المشتار».

التوأمان .. أول رواية سعودية

الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصارى
تحية طيبة وبعد ..

اطلعت على العدد السنوى المتخصص من «المنهل» الغراء وقد سعدت سعادة غامرة لعزمكم على اصدار اعدادها خلال خمسين عاما.

انكم بهذا الانجاز العظيم تؤدون خدمات لا تحصى للوطن العربى لعل أهمها اتاحة الفرصة لدراسة أطول المجلات عمرا فى بلادنا وتتبع خطى الأدب السعودى بخاصة والعربى بعامة من خلال دراسات موازنة تارة ومقارنة اخرى.

وإنى انتهز هذه الفرصة لشكركم على مواصلة المسيرة التى بدأها وثابر عليها - باصرار - والدكم العظيم ولما كنت من المهتمين بدراسة «نشأة» الأدب الحديث بالحجاز. وأعد الآن دراسة مطولة عن «بذور القصة» فى هذا الأدب فإنى أرجو ان تتيحوا لى فرصة قراءة: «التوأمان» و«مرهم المأسى» ولعلكم تذكرون أن الأولى رواية أصدرها والدكم بالمدينة المنورة والثانية قصة قصيرة نشرت بجريدة «صوت الحجاز».

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام

محمد محمود عبد الرازق

المنهل:
نقدر معكم ان هذه حتمية موطنها الاصيل الجزيرة العربية متمثلة فى ارض القداسات وموئلها هذه الوسيلة الاثيرة المنهل. وشكرا لما قدمت وسيصلكم بالبريد ما يساعد على تكوين بذور القصة فى الحجاز.

الاخ رئيس تحرير مجلة المنهل الحبيبة

إليك كلمتى يا رئيس التحرير انتم وأسرة مجلتى العزيزة «المجلة» الشامخة بعنوان: «عروس الأدب وتاج العزة».

اليك يا مجلتى الحبيبة أقول كل عام وانتم بخير بمناسبة شهر رمضان المعظم اعاده الله عليكم ياسعادة رئيس التحرير انتم وأسرة التحرير باليمن والخير والبركات أنتم والعالم الاسلامى أجمع كما أنه ليطيب لى بمناسبة تلك الأيام المباركة التى تتجلى روحانيتها معطره بأريج الايمان مع نسمات المحبة والرفعة والالتجاء الى الله سبحانه وتعالى ان أدعو لمجلتى الحبيبة وأسرة التحرير بطول العمر ودوام الرزق والريادة والقيادة العلمية والأدبية وسط هذا الجمع الغفير من المجلات العربية وغير العربية .. فتحية ودعاء بالتوفيق والسداد على طريق النصر والمحبة والخير.

ارجو ان يطيب لى شرف النشر طرفكم ودوام المراسلة منى اليكم ومنكم .. وسأعمل جاهدا بتوفيق ربى فى تدعيمه وتثبيت أركانه.

د. واصف عبد الحليم عبد الله

المنهل:
اهلا بكم صديقا مشاركا بمجلتنا مع الحرف والكلمة وسننتظر انتاجكم الادبى المخصص للمنهل.

المنهل: مع طلاب العلم



الاستاذ نبيه عبد القدوس الانصاري
رئيس تحرير مجلة «المنهل»

وبعد: فاني اتشرف أن اكتب اليكم هذه السطور البسيطة وأفيدكم بأنى تخرجت من كلية الشريعة بالجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة وطيلة اقامتى بالمدينة المنورة كنت أطالع مجلتى الحبيبة «المنهل» باستمرار والآن أنا مسافر الى بلادى (الهند) داعياً الى الله سبحانه وتعالى ومدرساً للعلوم الدينية والاسلامية والثقافية.

فأرى لزاما علىَّ أن استمر فى مطالعة مجلتى الغراء «المنهل» وأستقى من هذا المنهل العذب الفياض وأستفيد منها على درب الحياة العلمية والعملية فأرجو منكم التكرم بارسال نسخة من كل عدد علما بأنى لا استطيع أن ادفع قيمة الاشتراك نظرا لظروفى الاقتصادية.

فأرجو أن تتكرموا بتزويدى بالمجلة العزيزة لتبقى صلتى بها وتدوم الاستفادة منها.

اخوكم فى الدين والعقيدة
اشتياق أحمد الأعظمى

المنهل:
اهلا بك قارئا منتظما لمجلتكم المنهل وقد اعتمد ارسال العدد كهدية لكم بصفة دائمة.

بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد
يطيب لشركة ارامكو ان تتقدم
باسمى التهانى واجمل الامانى
الى حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز المفدى

وصاحب السمو الملكى الامير عبد الله بن عبد العزيز
ولى العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى

وصاحب السمو الملكى الامير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة
والشعب السعودى الكريم
اعاده الله على الجميع باليمن والبركات



(P R S - H - 86)

طرائف ومواقف مع الادباء

حرصت كثيرا على تتبع أخبار الادباء والوقوف على آرائهم وحرصي هذا نابع من اهتمامي بمواقفهم وما استخلصه من تلك المواقف من طرائف وقفشات وملح وحكايات أيضا تعبر عن نفسيات هؤلاء الادباء وتكشف عن ميولهم ومبادئهم ونتيجة لهذا الحرص وهذه المتابعة استطعت جمع ما قرأته من قصص وحكايات عن الادباء في بعض المقالات التى نشرتها في الصحف والمجلات. ومما كتبت مقال هو من بين مقالات كتابي الاول **(ومضات في الفكر والادب)** الذى طبع في القاهرة سنة ١٣٩٨هـ وأورد بعض ما كتبته في هذا المقال من مواقف وطرائف وأضيف اليه ما استجد لدى منها.

●● من الاخبار الطريفة التى قرأتها عن الدكتور أو (الدكاترة) زكى مبارك في الاربعينات الميلادية أنه كان محبا للموسيقى وعاشقا للطرب الشرقى كحبه وعشقه لادبه وفكره وقصته مع الطرب والموسيقى بدأت عندما أهدى الى الموسيقار محمد عبد الوهاب ـ وكان نجما من نجوم الغناء لحنا وصوتا في عام ١٩٤٣م ـ قصيدة من شعره بعنوان (يوم الثلاثاء) الا أن عبد الوهاب اعتذر عن قبول القصيدة بلباقة حيث ذكر للدكتور زكى مبارك ان قصيدته بليغة وفصيحة البيان رفيعة المستوى ولن يستقيم له لحنها حيث ان موسيقاه لا ترقى الى نظمه الرفيع. الا أن زكى مبارك أدرك ان عبد الوهاب لا يرغب في تلحين قصيدته فكان أن تحداه وقال له بأنه سيلحنها. وسيروعه لحنها. وعكف زكى مبارك على وضع اللحن المناسب لقصيدته، ولم ينتهي الامر عند هذا الحد بل سجل لحنه وقصيدته في اذاعة القاهرة. والطريف في الامر أنه لولا تدخل كبار الادباء والمفكرين بايقاف اذاعة القصيدة حفاظا على كرامة الادباء وتقديرا لمكانتهم في المجتمع لكان لنا وللاجيال القادمة حظ الاستماع الى قصيدة (يوم الثلاثاء) شعر ولحن وغناء الدكاترة زكى مبارك.

كثير منا يعرف مصدر تسمية زكى مبارك ـ (الدكاترة) فهو قد حصل على اكثر من رسالة تحصل بموجبها على درجة الدكتوراه أما التسمية التى لا يعرفها الكثير عن زكى مبارك وهى أنه (ملك الشعراء وسلطان المحبين) ومصدر هذه التسمية انها لم تخلع عليه الا من قبل رجال الصحافة والنقاد بل هو أطلق على نفسه هذه التسمية بقوله (لكي يكون الشاعر ملك الشعراء وسلطان العاشقين عليه ان يكون عاشقا ولا أذكر أني قضيت يوما بدون عشق فلي غراميات في اسيوط والاسكندرية وغراميات في باريس وكذلك في العراق فأنا صاحب كتاب «ليلى المريضة في العراق» أما بعد فان ما قدمته يشهد باني ملك الشعراء وسلطان العاشقين.

●● زكى مبارك كان عملاقا بين العماليق فقد عاصر هيكل وطه حسين والعقاد والمازنى ولطفى السيد والزيات والرافعي وأبى شادى وشكرى واحمد أمين وغيرهم وقد استطاع ان يكون ندا لهم ويقارع اكثرهم في عراك أدبي كان لبعضه شهرته. منها خلافه الكبير مع الدكتور طه حسين وكان بدء الخلاف بينهما أن طه حسين يرى ان العصر الجاهلى لم يعرف النثر الفنى وما كان موجودا كان شعبيا وضعيفا والدكتور مبارك نقض ذلك واثبت العكس واعتبر ان النثر الجاهلى كان مزدهرا. واشتدت حدة الخلاف بين طه حسين ومبارك الى الحد الذى دفع طه حسين ليفصل زكى مبارك من الجامعة فشن عليه مبارك حربا ضروساً وما لبث ان سئم ذلك الصراع وقد ساءت حالة مبارك النفسية واعترت نفسه سحابة تشاؤم وقلق احكمت خناقها عليه وأخذ ينظر الى الحياة بمنظار أسود وقد كان يقول:

فقولوا لمن دأبه ان يرى
من العيش جانبه الاسود
اذا نعب البوم في روضة
فكم بلبل فوقها غردا

●● ولعل في مقدمة الشعراء الظرفاء في العصر الحديث حافظ ابراهيم والعقاد والمازنى ومحمد البابلى وقد يعجب البعض ان يكون لعباس العقاد مواقف طريفة على ما



عرف عنه من صرامة وجهامة الا أن من المعروف عن أديب العربية الكبير عباس العقاد أنه كان من اكثر الناس فكاهة ودعابة وما ألطف العقاد حين يضحك ملء شدقيه، وما أكثر ما يضحك وجسمه كله يهتز حتى شعره الابيض وهو فى ضحكه ومرحه لا يخلو أبدا من الجد. وفيما يروى عنه انه رثى كلبه الامين وصديقه الوفى المسمى (بيجو) فقال (عندما مات صديقى «بيجو» كلبى الامين.. حزنت عليه حزنا شديدا ورثيته رثاءا تزهو به الكلاب على بنى الانسان رثيته بقصيدة عامرة الابيات كما رثيته بمقال مهيب بليغ).

●● وللشاعر حافظ ابراهيم شعر ساخر.. واكثر مواقفه الساخرة ومزاحه الدائم مع صديقه وزميله احمد شوقى وقد عرف عن حافظ انه رجل نكتة وظرف وانه خير جليس لذلك كان شوقى يحب مسامرته ومجالسته.. وبينهما مواقف طريفة وقد برع حافظ ابراهيم فى ابتداع النكتة. يطلقها لتصبح فيها بعد حديث المجالس والاندية يتندرون بها خاصة وان طرائفه ونوادره ترتبط باصدقائه الالداء ـ على حد تعبيره ـ كشوقى والبابلى. كانت علاقة حافظ بشوقى علاقة ود متينة.. لذا فقد كان شوقى طرفا فى معظم طرائف حافظ فقد عاصره وكان ندا له.. وحاول كل منهما انتزاع زعامة الشعر من زميله غير ان تنافسهما اتسم بالشرف والمحبة ولم يصل بهما التنافس الى ما وصل بغيرهما. وقد تميز هذا التنافس بالظرف والدعابة.. وظل بينهما الامر هكذا الى ان نادى حافظ بامارة الشعر لشوقى فى سنة ١٩٢٧م بقصيدته المعروفة التى قال فيها مقالته المشهورة (أمير الشعر جئت مبايعا). ومن الشعر الطريف الذى روى عن الاثنين. ان احمد شوقى نظم قصيدة انشدها فى قصر عابدين فى حفل رقص وغناء غنى فيه المغنون ورقصت فيه الغوانى. يقول شوقى فى مطلع القصيدة:

مال واحتجب
وادعى الغضب
ليت هاجرى
يشرح السبب

● وقد بلغ عدد ابيات القصيدة ستين بيتا.. ولما وصلت هذه الابيات الى اسماع حافظ رد على شوقى بقوله:

شال وانخبط
وادعى العبط
ليت هاجرى
يبلع الزلط

انفجر شوقى ضاحكا لدى سماعه الابيات التى نظمها حافظ وراح يرددها حتى كاد ينسى ابيات قصيدته. ومن المواقف الطريفة بين الاثنين.. انهما اعتادا الجلوس معا فى مقهى باحد احياء القاهرة فلما اقبل شوقى على حافظ فى مساء ذلك اليوم وكان حافظ فى ضائقة مالية.. فنادى على خادم المقهى وطلب لشوقى فنجانا من القهوة. الا ان شوقى طلب من الخادم ان يحضر له كأساً من العصير بدلا من القهوة وكان ثمن العصير باهظا اذا ما قورن بثمن القهوة، فرمق حافظ «شوقى» بنظرة.. وارتجل هذا البيت:

يقولون ان الشوق نار ولوعة
فما بال «شوقى» اليوم باردا

ولم تهدأ نفس حافظ حتى طمأنه شوقى انه سيدفع فى ذلك المساء حساب جلوسهما فى المقهى.. فسر وانفرجت سرائره. اما ما كان لشوقى من شعر طريف ولاذع.. فهو يتخذه احيانا فى نقده لمعالجة الامور السياسية والادبية والاجتماعية. فحين علم ان مدفعا من مدافع القلعة المصرية قد سرق ولم تكتشف هوية السارق قال هذين البيتين:

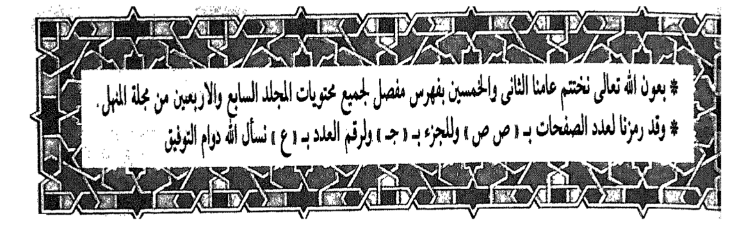
يا سارق المدفع من حصنه
هنئت بالصحة والعافية
أخاف ان عدت الى مثلها
ان تسرق القلعة والحامية



الفهرس المفصل لمجلة المنهل لعام ١٤٠٦هـ ٨٥/١٩٨٦م السنة ٥٢ المجلد ٤٧

اعداد محمد سيد احمد على الدين

المنهل



* بعون الله تعالى نختتم عامنا الثانى والخمسين بفهرس مفصل لجميع محتويات المجلد السابع والاربعين من مجلة المنهل.
* وقد رمزنا لعدد الصفحات بـ « ص ص » وللجزء بـ « جـ » ولرقم العدد بـ « ع » نسأل الله دوام التوفيق

الموضوع	الكاتب	ص ص	ج	ع
*** افتتاحيات**				
التوجه الحضارى	نبيه الانصارى	٦-٩	١	٤٣٩
الصدمة الحضارية	نبيه الأنصارى	٤-٥	٥	٤٤٢
الصفاء الذهنى	زهير الانصارى	٤-٥	٦	٤٤٣
الفصحى وتية العامية	نبيه الانصارى	٤ - ٧	٧	٤٤٤
لمن البيارق تشرع	نبيه الانصارى	٤ - ٥	٨، ٩	٤٤٥
*** حديث الشهر**				
الصحوة الاسلامية	محمد سعدى عامر	٤-٥	٢	٤٤٠
الاسلام دستور إلهى لا يتغير	محمد على قطب	٤-٥	١٠، ١١	٤٤٦
*** اسلاميات**				
دستور التسامح فى الاسلام	محمد المكى الناصرى	١٠-١٥	١	٤٣٩
واجب المفكرين للنهوض بالمجتمع الاسلامى	أبو بكر القادرى	١٨-٢٣	١	٤٣٩
مكانة الشباب فى الاسلام	علال البوزيدى	٢٤-٢٩	١	٤٣٩
ركائز الاسلام	د. ابراهيم على أبو الخشب	٦-١١	٢	٤٤٠
الاعلام الاسلامى من الاهتمام الى الالتزام	د. عبد الرحمن على الحجى	١٢-١٧	٢	٤٤٠
ايمان «شعر»	سيد عبد الرؤوف السيد	٤-٥	٣، ٤	٤٤١
الرسول محمد مفتاح شخصيته	السيد احمد المخزنجى	٦-١٣	٣، ٤	٤٤١
الهجرة قوة وحياة	د. محمد أحمد سلامة	١٤-١٩	٣، ٤	٤٤١
السيرة النبوية أول مدونه حضارية	محمد العربى الشاوش	٢٠-٢٩	٣، ٤	٤٤١
الجرجانى والابداع الأدبى فى كلام محمد	د. محمود محمد لبدة	٣٠-٤١	٣، ٤	٤٤١
الامام البرعى ورفاعه الطهطاوى	حلمى محمد القاعود	٤٢-٤٩	٣، ٤	٤٤١
الاسلام مسؤولية وعمل اجبارى	عبد الكريم التواتى	١٢-٢٣	٥	٤٤٢
حركة الاسلام الحديثة فى غرب افريقيا	د. عمار هلال	٦-٢٢	٦	٤٤٣
من معانى الحياة	عادل عبد الله حجازى	٢٢-٢٥	٦	٤٤٣
حول الاسراء والمعراج	معالى عبد الحميد حمودة	١٠-١٣	٧	٤٤٤
أدلة الترجيح فى التحرير والتنوير	د. التهامى نقرة	١٤-١٨	٧	٤٤٤
قادة الرأى فى عملية الاتصال الشخصى	محمود يوسف مصطفى	١٨-٢٤	٧	٤٤٤
الدعوة فى مواجهة الغزو الفكرى	محمد سيد احمد على الدين	٢٤-٢٩	٧	٤٤٤
الله فى عصر العلم	د. حسين نصار	٦-١٠	١٠، ١١	٤٤٦
القرآن وحقائق علم الحياة	د. احسان هندى	١٠-١٥	١٠، ١١	٤٤٦
*** ثقافيات**				
النشاط التعليمى من منظور اسلامى	د. احمد عزت صالح	٣٢-٤١	١	٤٣٩
الرؤية الابداعية لدى بول كلى	د. شاكر عبد الحميد سليمان	٤٤-٤٨	١	٤٣٩
وأد الأطفال فى أفريقية	د. محمود سلام زناتى	٩٢-٩٧	٢	٤٤٠
الدور الريادى للاندية الأدبية	محمد منصور الشقحاء	١٤٨-١٤٩	٢	٤٤٠

* بحوث فى الثقافة

* المشتار

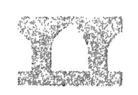
عزيزنا القارئ

تحية المودة بيننا

الحفاظ على اصدار العدد الشهرى فى موعده من غرة كل شهر عربى ـ كما عودكم منهلكم ـ كان وسيظل هاجسنا الأول. بفضل الله لم يخلفكم موعده.. وإن كان لنا أن نسوق العذر بين يدى هذا «العدد» فلأننا قد اضطررنا لظروف فنية خارجة عن إرادتنا تماما الى دمج هذين العددين فى عدد واحد.. وما كان ينبغى لنا ذلك لولا ما قدمناه..

ومع مطلع العام الجديد.. نلتقى مع عدد جديد وفى غرة كل شهر عربى.

المنهل



البنك الأهلي التجاري

تأسيس البنـك : تاسس البنـك فى ١٣٧٣/٤/٢ هجرية برأس مال قدره ٣٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال سعودى وقد بلغ حالياً مع الاحتياط ٣،٢٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ريال سعودى ولديه أكبر شبكة مصرفية تزيد عن ١٦٠ فرعا تغطى انحاء المملكة العربية السعودية كما يملك فروعاً ومكاتب تمثيل فى كافة انحاء العالم بالاضافة الى ارتباطاته بالتعاون مع اكثر من ٦٠٠ مراسل عالمى.

وبهذا يصبح البنك الأهلى التجارى الاختيار المثالى لجميع اعمالكم واحتياجاتكم سواء داخل المملكة أو خارجها.

الخدمات التى يقدمها البنك:

١ ـ الحسابات الجارية : وذلك لايتطلب حداً أدنى لفتحه أو للاحتفاظ به ولا تفرض عليه رسوم عن الخدمات أو الشيكات.

٢ ـ حسابات الادخار (التوفير) : لا يوجد حد أدنى على الودائع الادخارية.

٣ ـ صناديق الودائع الشخصية : يقدم لك البنك الاهلى صناديق الودائع الشخصية ذات المفتاح المزدوج وكلا المفتاحين ضرورى لفتح الصندوق ـ مفتاح يحفظ لدى البنـك والاخر يبقى لدى العميل ويتعذر فتح الصندوق بدون المفتاحين معاً وهذه ميزة تضمن لك الامان.

٤ ـ الشيكـات السياحية : يقدم لك البنك الاهلى مختلف انواع الشيكات العالمية بكافة العملات الرئيسية لتوفير وقتك وتسهيل معاملاتك وحماية نقودك اثناء السفر فى الخارج فضلا عن الشيكات السياحية بالريال السعودى.

٥ ـ السحب النقـدى السريع : وهى وسيلة ممتازه للسحب النقدى السريع تعمل بالحاسبات الالية الالكترونية.

٦ ـ خدمـات الاستثمار : يتولى قسم الخدمات الاستثمارية الاجابة على أسئلتك وارشادك الى افضل الطرق لاستثمار اموالك.

٧ ـ المخططات الادخارية : ليس هناك طريقة سهلة ومأمونه لاستثمار اموالك اكثر من الادخار فهو يعطيك عمولة بواقع ثابت سنوياً ويمكنك ان تبدأ بأى مبلغ.

٨ ـ الخدمات المصرفية المميزة : تقدم لعملاء البنك:

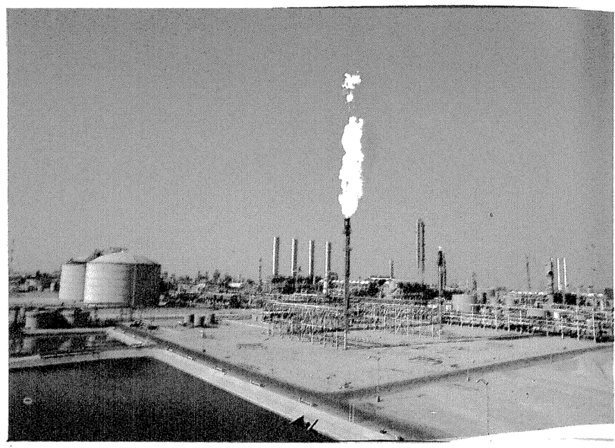
- خدمات استشارية للاملاك والعقارات
- التمويل المؤقت القصير الاجل.
- خدمات تجارة الاسهم والاشراف عليها.

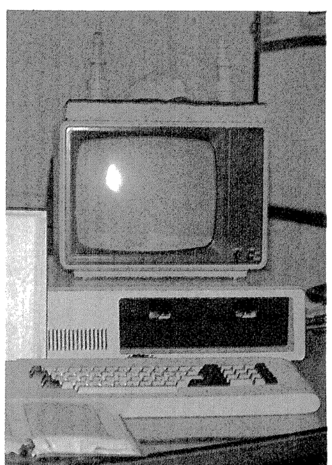
اجهزة الكومبيوتر والحاسب الالى:

يستخـدم البنك احدث اجهزة الكومبيوتر والحاسب الالى مع شاشات مراقبين قابلة للبرمجة حسب احتياجاته ومتطلباته وقام بتركيب شاشات اتصال خارجى للتعامل مع وسطاء الاسواق المالية.

فروع لخدمـات السيدات : تقوم هذه الفروع على خدمة السيدات وتلبية طلباتهن وهذه الفروع موجودة فى مدينتى الريـاض وجـدة وتنفـذ اعمالها بنسبة ١٠٠٪ سيدات محققا بذلك واحداً من مبادىء المجتمع السعودى.

مركز التدريب : يعتبر التدريب هو العمود الفقرى لتطوير الخدمات مما يؤهل الكوادر العاملة لزيادة كفاءتها فقد اقام المركز العديد من الدورات المتخصصة فى شتى المجالات تمثلت فى الـدورات التعـريفيـة للمستجـدين ودورات الصرافين ودورات الاعتمادات المستندية ودورات اللغة الانجليزية وابتعاث الشباب السعودى للخارج.





اول ندوه بنكية : يعتز البنك الاهلى بأنه أعد أول ندوة بنكية من نوعها تميزت وانفردت بكثير من الخصائص وذلك فى ابريل عام ١٩٨٥م وكانت على نطاق دول مجلس التعاون الخليجى وذلك لدفع مسيرة التعاون الخليجى فى المجالات المصرفية والتأكيد على ضرورة توحيد وتنسيق الانظمة والقواعد المصرفية .

دور البنك فى تنمية الاقتصاد الوطنى :

يعتز البنك الاهلى التجارى بمساهمته فى العديد من الشركات المساهمة بالمملكة فى عدة مجالات منها النقل والطرق والكهرباء والاسمنت كما ان له بصمات واضحة على مشاريع الهيئة الملكية للجبيل وينبع ومكة المكرمة ومنى وجميع الصناعات الرئيسية .

كما يقوم البنك بدور ريادى فى تشجيع صغار العملاء ورجال الاعمال ويمتد الى اصحاب الصناعات الصغيرة وبهذه الخدمات احتل البنك الأهلى مركز الصدارة بين البنوك الاخرى .

إعداد مصطفى محمد مصطفى

اسم واحد يقف شامخا عملاقا في عالم المصارف

في مطلع عام ١٣٧١هجرية . . بدأ البنك الاهلى التجارى اعماله المصرفية بنشاط وتؤدة . . وخلال ما يزيد عن ثلث قرن من الزمن وبعونه تعالى اصبح اليوم صرحا شامخا فى جسم الاقتصاد السعودى واكبر مصرف تجارى ليس فى المملكة العربية السعودية فحسب، بل فى جميع انحاء الشرق الأوسط . . فقد زادت أصوله المالية عن ٩٠ بليون ريال سعودى . . بما فى ذلك الحسابات النظامية وبلغت ودائعه اكثر من ٤٣ بليون ريال سعودى كما يرمز لقوته ذاك البناء الشامخ لادارته العامة فى جدة وفروعه التى تزيد عن ١٦٠ فرعا والتى تعتبر اكبر شبكة مصرفية فى المملكة العربية السعودية مرتبطة اغلبها بنظام الكترونى متطور يعمل بالكمبيوتر مما يوفر للعملاء الكرام اسرع وأشمل خدمة مصرفية

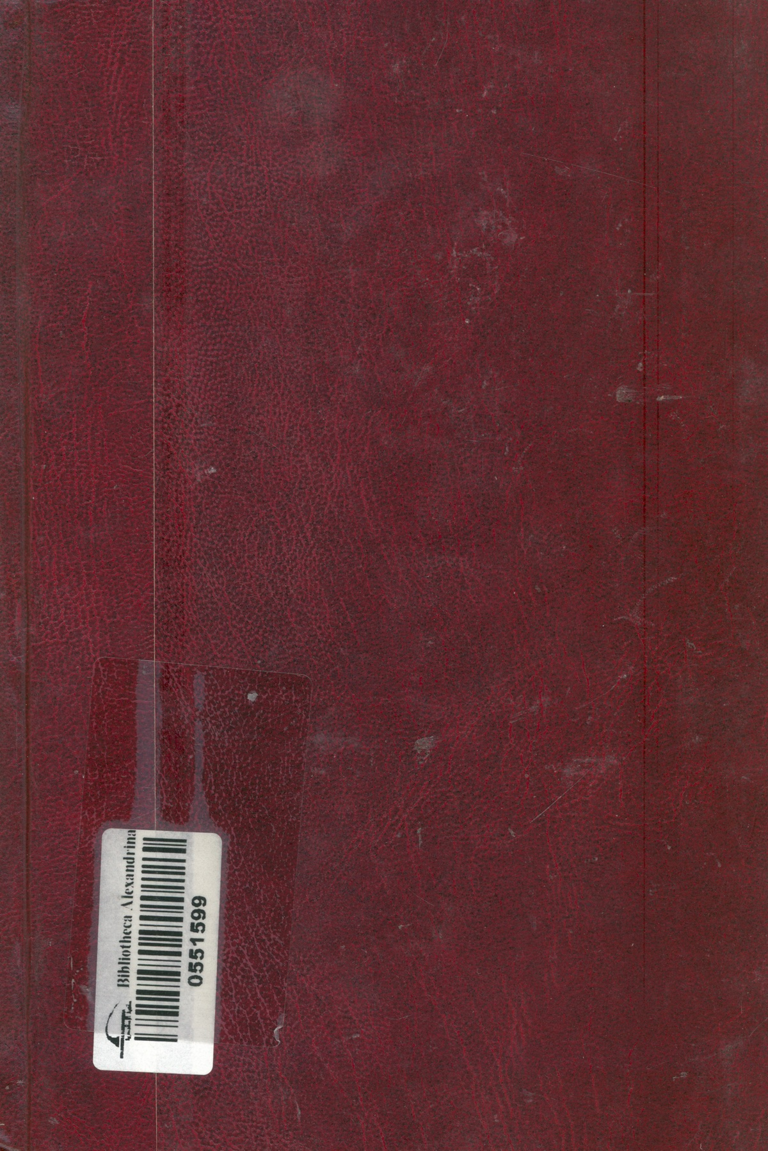
كما امتدت نشاطاته لتشمل معظم عواصم العالم حيث تتواجد فروعه ومكاتبه فى كل من نيويورك ولندن وفرانكفورت مرورا ببيروت والبحرين حتى سنغافورة وسيول.

هذا هو مصدر اعتزازنا . . وهذا هو الاساس المتين الذى بنينا عليه ثقة زبائننا الكرام لترسيخ مشاعر الطمأنينة والأمان لمستقبل استثماراتهم وسلامة اموالهم.

للمزيد من المعلومات . . يرجى زيارة اقرب فرع لكم والحصول على دليل البنك الاهلى التجارى للخدمات المصرفية العصرية.



مصرفية عصرية وثقة عريقة


Bibliotheca Alexandrina
0551599